هَذا هُوَ الإسْلام

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (١٩)

هذا هو الإسلام

أ. جوزف قزّي

دار لأجل المعرفة
ديار عقل–لبنان
٢٠٠٧

سلسلة "الحقيقة الصعبة"

دار لأجل المعرفة، ديارعقل–لبنان

(قياس ١٧×٢٤ سم)

١. **قسّ ونبيّ**، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.

٢. **نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين**، بحث في مجتمع مكّة، أ.م. الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.

٣. **عالم المعجزات**، بحث في تاريخ القرآن، أ.م. الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص.

٤. **أعربيٌّ هو؟** بحث في عروبة الإسلام، أ.م.الحريري، ٢٠٠٧، ٢٥٤ ص.

٥. **العلويّون النّصَيريّون**، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص.

٦. **بين العقل والنبيّ**، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.

٧. **رسائل الحكمة**، (كتاب الدروز المقدّس)، حمزة بن عليّ، إسمعيل التميمي، بهاء الدّين السّموقي، طبعة ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ ص.

٨. **مصادر العقيدة الدرزيّة**، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ ص.

٩. **السلوك الدرزي**، أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ ص.

١٠. **مذبحة الجبل**، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ ص.

١١. **المسيحيّة في ميزان المسلمين**، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أ.م. الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.

١٢. **نَزَعنا القناع**، (ردّ على كتاب "أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح"، لـ أحمد زكي)، أ. جوزف قزّي، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص .

١٣. **رغبات النفس والجسد**. (الحياة الجنسيّة في الإسلام)، أ.م. الحريري، ٢٠٠٠، ٢٨٨ ص.

١٤. **موازين «الحقيقة الصعبة»**، (ردّ على ردود)، أ.م. الحريري، ٢٠٠٠، ٢٣٦ ص.

١٥. **نصارى القرآن ومسيحيّوه**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ ص.

١٦. **المسيحيّة في ردود المسلمين**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ ص.

١٧. **مسيح القرآن ومسيح المسلمين**، أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٦، ٢٢٤ ص.

١٨. **بين المسيحيّة والإسلام**، أ.جوزف قزّي، ٢٠٠٦، ٤١٤ ص.

١٩. **هذا هو الإسلام**، أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٧، ١٤٠٠ ص.

٢٠. **الشيعة الإثنا عشريّة**، أ. جوزف قزّي، ٢٠٠٦، ٢٤٠ ص.

مقدّمة

لم أكتب هذا البحث كشيخٍ أزهريٍّ، ولا كعالمٍ نجفيٍّ، ولا كمؤمنٍ بالإسلام ومعتقداته. بعض موادّ هذا البحث لا يتطلّب منّي موقفاً خاصّاً أو رأياً شخصيًا؛ إنّما هو مجرّد علم، مستقًى من هنا ومن هناك، لا شأن لي فيه، لا قبولاً ولا رفضاً. وبعضها الآخر أعالجه ناقداً، قابلاً أو رافضاً، ناقضاً أو معترضاً.

في الأمر الأوّل لا مجال إلاّ أن أقول الحقيقة؛ وفي الأمر الثاني أقول الحقيقة بإخلاص ولكنّ المسلمين يقبلونها بصعوبة. بهذا أتوّج أبحاثي في كشف «الحقيقة الصعبة»، التي ناضلتُ من أجلها أيّما نضال؛ وحبستُ نفسي من أجل بنائها مدماكاً فمدماكا؛ وانتُقِدْتُ بعنفٍ وبألفاظٍ فظّة، وتعرّضتُ بسببها لتهديدٍ ووعيد.

والآن، وبعد أكثر من خمسين سنة في البحث والتعليم والتأليف، آن أوان إظهار سبب نضالي واستحباسي وحماسي في قول الحقيقة؛ وقد كشفتُ بعضاً من هذه الأسباب في كتابي السابق، رقم (١٨)، حيث حدّدتُ إيماني، وقناعتي، وهمّي، وسبب استحباسي، وهجراني عالم الظهور والأضواء.

ولم أخفِ، في ما كتبت، انزعاجي الكبير مِن طمأنينة المتديّنين والمذهولين، مسيحيّين ومسلمين. ولم أكن يوماً، مثلهم، أو منهم، مؤثراً محبّةَ اللّه على محبّة الإنسان. لهذا طلبتُ الحقيقة، وسرتُ وراءَها بحرّيّةٍ لم أرضَ لها قيداً من أيّ كتابٍ منزَل، ولا من أيّ نبيٍّ مرسَل، ولا من أيّ دينٍ سماويٍّ هابطٍ من فوق.

في هذا الكتاب أُعيد وأردّد باختصارٍ ووضوحٍ ما توصّلتُ إليه في أبحاثي السابقة كلّها. فيه أقدّم نتائج هذه الأعمال وخواتيمها. ومَن أراد المزيد من المعرفة عليه بالرجوع إليها، حيث لا بدّ من إيجاد حرّيّة التعاطي مع اللّه والحقيقة.

ثمّ إنّ هناك موادًا كثيرة جديدة، أدرجتُها هنا، بالرغم من أنّها تؤلّف مادّة دسمةً لأبحاث مستقلّة. وضعتُها هنا، بحسب ترتيبها الأبجدي، ليتسنّى للقارئ حملُ الإسلامِ كلّه في مجلّد واحد. سمّيته: «هذا هُوَ الإسْلام».

وما يؤلّف مادّته الأساسيّة هو التعريف بأهمّ مفرداتِ القرآن والحديث والسيرة النبويّة، وتناول ما يدور في فلكها وعصرها ومجتمعها، من ألفاظٍ دينيّة، وأسماءَ أشخاص وأمكنة لها صلة بنشأة الإسلام ومعتقداته، وبمن بحث فيه، من فرقٍ دينيّة ومذاهبَ فلسفيّة، وعلماء كلام، وفقهاء، وأدباء، ومفكّرين، ومفسّرين، ومحدِّثين، ومستشرقين، وباحثين...

ومرجعي في ذلك كلّه: الموسوعات الإسلاميّة، والقواميس على أنواعها، عربيّة وأجنبيّة. لقد أخذتُ عنها، وتبنّيتُ منها ما تبنّيت، حتّى إنّني نقلتُ منها الكثير، مرّاتٍ بحرفيّته، ومرّاتٍ باختصار؛ مرّات أشير إلى المراجع، ومرّات لم أشر إليها، مكتفياً بذكرها هنا مجملةً. وهي:

Encyclopédie de l'islam, nouvelle édition; 1-XI vol.; Leiden Brill; Maisonneuve & Larose; 1991-2005.

Dictionnaire Encyclopédique de l'Islam; Cyril Glassé; Préface de J. Berque; Traduit et adapté de l'anglais par Yves Thoraval; Bordas, Paris, 1991; (19x26 cm); 444 p.

دائرة المعارف الإسلاميّة، أُصدرت بالألمانيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة، واعتمد في الترجمة العربيّة على الأصلَين الأنجليزي والفرنسي. ١٥ مجلّداً. يراجعها من قبل وزارة المعارف د. محمّد مهندي علاّم؛ دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٩٣٣م.

القاموس الإسلامي، موسوعة للتعريف بمصطلحات الفكر الإسلامي، ومعالم الحضارة الإسلاميّة، وتاريخ الدول الإسلاميّة، وتراجم الأعلام والمشاهير، مع التعريف بأشهر المؤلّفات في المكتبة العربيّة والإسلاميّة، مرتّبة ترتيباً أبجديًا، وموضحة بالخرائط والصّور والرسوم. وضْع أحمد عطيّة اللّه؛ ٥ أجزاء؛ مكتبة النهضة المصريّة، بالقاهرة، سنة ١٩٦٣.

قاموس القرآن الكريم، المدخل، نخبة من العلماء والباحثين، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، ط ٢؛ ١٩٩٧ (٢٢,٥×٢٨,٥)؛ ٢٦٠ ص.

قاموس القرآن الكريم، لغة القرآن، دراسة توثيقيّة فنّيّة، تأليف الدكتور أحمد مختار عمر، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت ط ٢؛ ١٩٩٧؛ ٢٦٤ ص.

قاموس القرآن الكريم، مضمون القرآن الكريم في قضايا الإيمان والنبوّة والأخلاق والكون، الدكتور محمّد عبد الهادي أبو ريدة، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت ط ٢؛ ١٩٩٧ (١٧×٢٤)؛ ١٨٢ ص.

قاموس القرآن الكريم، طرق استنباط الأحكام من القرآن الكريم، القواعد الأصوليّة اللغويّة، د. عجيِّل جاسم النشيمي، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت ط ٢؛ ١٩٩٧ (١٧×٢٤)؛ ١٨٦ ص.

قاموس الكتاب المقدّس، تأليف نخبة من الأساتذة. هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون ألكساندر طمسن، الأستاذ إبراهيم مطر؛ دار مكتبة العائلة Family Bookshop بيروت ٢٠٠٠، (٢٠×٢٧,٥سم)، ١١٣٠ص.

مفردات من الحضارة الإسلاميّة (المذاهب والفِرَق، المصطلحات، الأعلام، الغزوات والحروب)، إعداد محمّد راجي حسن كنّاس؛ قدّم له الدكتور أحمد الصحّان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط١؛ ٢٠٠٣ (١٧×٢٤سم)، ٤٥٦ ص.

المنجد في الأعلام، ط ٢٣ مجدَّدة؛ دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨.

الموسوعة الإسلاميّة الميسّرة، أشرف على تحريرها نيابة عن الأكاديميّة الهولنديّة الملكيّة **هـ.أ.ر.جب وج.هـ.كالمرز**؛ ترجمة دكتور راشد البرادي؛ مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة ١٩٨٥؛ جزءان: ١٢٥٦ ص.

الموسوعة الإسلاميّة العامّة، سلسلة الموسوعات الإسلاميّة المتخصّصة، رقم (١)؛ إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، القاهرة، ٢٠٠٤؛ (٢٠×٢٧,٥سم)؛ ١٤٨٨ ص.

الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، سلسلة الموسوعات الإسلاميّة المتخصّصة، رقم (٢)؛ إشراف وتقديم أ.د.محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، القاهرة، ٢٠٠٣؛ (٢٠×٢٧,٥سم)؛ ٩٠٢ ص.

موسوعة علوم الحديث الشريف، سلسلة الموسوعات الإسلاميّة المتخصّصة، رقم (٣)؛ إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، القاهرة، ٢٠٠٣؛ (٢٠×٢٧,٥سم)؛ ١٠٥٢ ص.

موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، سلسلة الموسوعات الإسلاميّة المتخصّصة، رقم (٣)؛ إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، القاهرة، ٢٠٠٤؛ (٢٠×٢٧,٥سم)؛ ١٢١٢ ص.

موسوعة الحضارة الإسلاميّة، سلسلة الموسوعات الإسلاميّة المتخصّصة، رقم (٤)؛ إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، وزير الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة، القاهرة ٢٠٠٥؛ (٢٠×٢٧,٥سم)؛ ٩٨٤ ص.

إختزالات أسفار العهد القديم
بحسب ترتيبها الأبجدي

أح	سفر الأحبار	١ أخ، ٢ أخ	سفرا الأخبار
إر	نبوءة إرميا	أس	سفر أستير
أش	نبوءة أشعيا	أم	سفر الأمثال
أي	سفر أيّوب	با	نبوءة باروك
تث	سفر تثنية الاشتراع	جا	سفر الجامعة
حب	نبوءة حبقوق	حج	نبوءة حجّاي
حز	نبوءة حزقيال	حك	سفر الحكمة
خر	سفر الخروج	دا	نبوءة دانيال
را	سفر راعوث	زك	نبوءة زكريّا
سي	سفر يشوع بن سيراخ	صف	نبوءة صَفَنيا

الاختزال	السفر	الاختزال	السفر
١ صم، ٢ صم	سفرا صموئيل	طو	سفر طوبيّا
عا	نبوءة عاموص	عد	سفر العدد
عز	سفر عزرا	عو	نبوءة عوبديا
قض	سفر القضاة	مرا	مراثي إرميا
مز	سفر المزامير	١ مك، ٢ مك	سفرا المكابيّين
١ مل، ٢ مل	سفرا الملوك	ملا	نبوءة ملاخي
مي	نبوءة ميخا	نح	نبوءة نحميا
نحو	نبوءة نحوم	نش	سفر نشيد الأناشيد
هو	نبوءة هوشع	يش	سفر يشوع بن نون
يؤ	نبوءة يوئيل	يون	نبوءة يونان
يه	سفر يهوديت		

إختزالات أسفار العهد الجديد

بحسب ترتيبها الأبجدي

الاختزال	السفر	الاختزال	السفر
أع	أعمال الرسل	أف	رسالة أفسس
١ بط، ٢ بط	رسالتا بطرس	١ و٢ تس	رسالتا تسالونيكي
طي	رسالة طيتس	١ طيم، ٢ طيم	رسالتا طيموتاوس
رو	رسالة الرومانيّين	رؤ	رؤيا يوحنا
عب	رسالة العبرانيّين	غل	رسالة إلى الغلاطيّين
ف	رسالة إلى فيليمون	في	رسالة إلى الفيليبيّين
١ قور، ٢ قور	رسالتا القورنثيّين	قول	رسالة إلى القولسيّين
لو	إنجيل لوقا	متى	إنجيل متى
مر	إنجيل مرقس	يع	رسالة يعقوب
يهو	رسالة يهوذا	يو	إنجيل يوحنا

١ يو، ٢ يو، ٣ يو: رسائل يوحنا

لائحة بالسور القرآنيّة وأرقامها

١. الفاتحة
٢. البقرة
٣. آل عِمران
٤. النساء
٥. المائدة
٦. الأنعام
٧. الأعراف
٨. الأنفال
٩. التوبة
١٠. يونس
١١. هود
١٢. يوسف
١٣. الرعد
١٤. إبراهيم
١٥. الحِجْر
١٦. النحل
١٧. الإسراء
١٨. الكهف
١٩. مريم
٢٠. طه
٢١. الأنبياء
٢٢. الحَجّ
٢٣. المؤمنون
٢٤. النور
٢٥. الفُرقان
٢٦. الشعراء
٢٧. النَّمل
٢٨. القِصَص
٢٩. العنكبوت
٣٠. الروم
٣١. لُقمان
٣٢. السجدة
٣٣. الأحزاب
٣٤. سبأ
٣٥. فاطر
٣٦. يَس
٣٧. الصّافّات
٣٨. صَ
٣٩. الزُّمَر
٤٠. غافر
٤١. فُصِّلَتْ
٤٢. الشُّورى
٤٣. الزُّخْرُف
٤٤. الدُّخان
٤٥. الجاثية
٤٦. الأحقاف
٤٧. محمّد
٤٨. الفتْح
٤٩. الحُجُرات
٥٠. قَ
٥١. الذّاريات
٥٢. الطُّور
٥٣. النَّجم
٥٤. القَمَر
٥٥. الرَّحمَن
٥٦. الواقعَة
٥٧. الحَديد
٥٨. المُجادلة
٥٩. الحَشْر
٦٠. المُمْتَحَنَة
٦١. الصَفّ
٦٢. الجُمعة
٦٣. المنافقون
٦٤. التغابن
٦٥. الطلاق
٦٦. التحريم
٦٧. المُلْك
٦٨. القَلَم
٦٩. الحاقّة
٧٠. المعارج
٧١. نوح
٧٢. الجنّ
٧٣. المُزَّمِّل
٧٤. المُدَّثِّر
٧٥. القيامة
٧٦. الإنسان
٧٧. المُرسَلات
٧٨. النَّبَأ
٧٩. النّازِعات
٨٠. عَبَس
٨١. التكْوير
٨٢. الانفطار
٨٣. المُطفِّفين
٨٤. الانشِقاق
٨٥. البروج
٨٦. الطّارِق
٨٧. الأعلى
٨٨. الغاشية
٨٩. الفَجْر
٩٠. البلَد
٩١. الشمس
٩٢. الليل
٩٣. الضحى
٩٤. الانشراح
٩٥. التِّين
٩٦. العَلَق
٩٧. القَدْر
٩٨. البيِّنة
٩٩. الزّلزلة
١٠٠. العاديات
١٠١. القارِعة
١٠٢. التكاثر
١٠٣. العَصْر
١٠٤. الهُمَزَة
١٠٥. الفيل
١٠٦. قُرَيش
١٠٧. الماعُون
١٠٨. الكَوثَر
١٠٩. الكافرون
١١٠. النّصْر
١١١. المَسَد
١١٢. الإخلاص
١١٣. الفَلَق
١١٤. النّاس

آ

الآخِرَة :.هذه الكلمة وغيرها في القرآن تُطلق على يوم القيامة؛ وهي دار البقاء، كما أنّ الدنيا هي دار الفناء؛ والدار الآجلة كما أنّ الدنيا هي الدار العاجلة. جاء ذكر الآخرة في القرآن ١١٥ مرّة، عادةً بمقابل الحياة الدنيا، تارةً ترغيباً في مثل قوله: «وَالآخِرةُ خَيرٌ وأبْقَى» (٨٧/١٧)؛ «ولَلآخِرةُ خيرٌ لكَ منَ الأولَى» (٩٣/٤)، وطوراً ترهيباً في مثل قوله: «ولَهُمْ في الآخِرةِ عذَابٌ عظيمٌ» (٢/ ١١٤). والإيمان بالآخرة خامس أركان الإيمان، كما يدلّ قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، ومَلائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَومِ الآخِرِ، فقدْ ضلَّ ضلالاً بَعيداً» (٤/ ١٣٦).(أطلب مادّتَي: **اليوم الآخِر**، و**المَعاد**)

آدَم : أبو البشر. ذكر في القرآن ٢٥ مرّة. خلقه اللّه من طين[1]، أو «من تراب» (٣/ ٥٩)، أو «من صلصالٍ من حمأٍ مسنون»[2]. ثمّ جعله بشراً سويًّا. وعلّمه أسماء الأشياء (٢/ ٣١ و٣٣). واستخلفه في الأرض. وأسكنه هو وزوجَه الجنّة (٢/ ٣٥؛ ٧/ ١٩). وأمر الملائكة بالسجود له، فأطاعوا إلاّ إبليس فأبى[3]. وفيما كان آدم مع زوجه حوّاء في الجنّة نهاهما اللّه أن يأكلا من شجرةٍ فيها (٢٠/ ١٢٠). فوسوس لهما إبليس فأكلا منها. فأخرجهما اللّه من الجنّة (٧/ ٢٧). ولمّا ندما على فعلتهما، واستغفرا ربَّهما، تاب اللّهُ عليهما (٢/ ٣٧).

وفي الأحاديث النبويّة، آدم أوّل الأنبياء الذين أوحى اللّه إليهم كتاباً. وقد أخبره بأخبار الأمم اللاّحقة وأنبيائها. ولمّا أُخرِج من الجنّة نزلَ في جزيرة

---

(١) ٦/ ٢؛ ٧/ ١٢؛ ١٧/ ٦١؛ ٢٣/ ١٢؛ ٣٢/ ٧؛ ٣٧/ ١١؛ ٣٨/ ٧١ و٧٦.
(٢) ١٥/ ٢٦ و٢٨ و٣٣؛ ٥٥/ ١٤.
(٣) ٢/ ٣٤؛ ٧/ ١١؛ ١٧/ ٦١؛ ١٨/ ٥٠؛ ٢٠/ ١١٦،

سرنديب (سريلانكا)، وعاش فيها مائتَي سنة بعيداً عن زوجه يكفّر عن ذنبه. ولمّا غفر اللّه له، حمله جبريل إلى جبل عرفات بالقرب من مكّة، وهناك لقي زوجَه، وأمرَه اللّه أن يقيمَ قواعد الكعبة على مثال «البيت المعمور» الموجود في الجنّة. ثمّ علّمه جبريل مناسك الحجّ، والوضوءَ والغسل والطهارةَ والصوم والصلاة وموجباتها. وتوفّي آدم في السادس من نيسان، يوم جمعة. ودفن في مغارة الكنوز في سفح جبل أبي قبيس. ثمّ نُقل بعد الطوفان إلى بيت المقدس.

آزَر : ورد اسمه مرّة واحدة في القرآن، في قوله: «وإذْ قالَ إبْراهيمُ لأبيه آزَرَ: أتَتَّخِذُ أصناماً آلِهةً؟! إنّي أراكَ وقومَكَ في ضلالٍ مُبينٍ» (٦/ ٧٤). وهذا دليل على أنّ آزر هو والد إبراهيم. غير أنّ النسّابين يرون أن والد إبراهيم يُدعى «تارَح». وذكرتْ مثلَ هذا كتب اليهود. وفي لغة فارس القديمة فإنّ كلمة آزر نعتٌ لوالد إبراهيم. وتعني الشيخ الهرم. و«آزر»، على ما يبدو، مشتقٌ من اسم خادم لإبراهيم «إليعازر». أمّا الرازي فقال في تفسيره: «آزر عمّ إبراهيم. وأُطلق عليه أب لأنّ العمّ أب». وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: آزر إسم مدينة قديمة.. تقع بين سوق الأهواز ومدينة رامهرمز. وأمّا في التوراة فلا ذكر لآزر.

الآزِفَة : إسم من أسماء القيامة. سمِّيت بذلك لشدّة اقترابها ودنوّها، من أزفتْ، أي: اقتربتْ ودنتْ. وقيل: إنّ معنى الآزفة: يوم حضور الوفاة. ذكرها القرآن مرّتين: قال: «وأنْذِرْهُمْ يومَ الآزِفَةِ إذِ القُلُوبُ لدى الحناجِرِ كاظِمِينَ» (٤٠/ ١٨)؛ وقال: «أزِفَتِ الآزِفَةُ. ليسَ لها مِنْ دونِ اللّهِ كاشِفَةٌ» (٥٣/ ٥٧–٥٨). والمراد من الآيتَين: أنّ موعد قيام الساعة وشيكٌ وقريب؛ لا ريب فيه ولا مِراء.

آسِيَة بنت مُزاحِم : امرأة فرعون. ورد ذكرها، لا إسمها، في القرآن مرّتين: (٢٨/ ٨؛ ٦٦/ ١١). ولها نفس الشأن الذي لابنة فرعون في الكتاب المقدّس. لهذا كان في القرآن، بين الزوج والابنة، بعضُ الالتباس. كانت آسية من المؤمنين. ودلّ رسولُ اللّه على سموّ مكانتها، ورفعة شأنها حيث قال: «كمُلَ من الرجال كثير، ولم يكملْ من النساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران».. ولمّا علم فرعون بإيمانها بموسى وبربّ موسى أذاقها ألوانَ العذاب. فدعا موسى ربَّه أن يخفِّفَ

عنها. فلم تعد تشعر بالمرارة والألم بعد أن ذاقت حلاوة الإيمان. لا ذكر لآسية في التوراة.

آل البَيْت (أطلب مادّة: **أهل البيت**).

آل عِمْرَان : إسم السورة ٣ من القرآن. آياتها: ٢٠٠ مدنيّة. يُذكَر عِمران ثلاث مرّات، حيث الله اصطفى آل عِمران على العالمين (٣/ ٣٣)؛ وحيث مريم هي ابنة عِمران (٦٦/ ١٢)، وأمّها هي امرأة عمران (٣٣/ ٣٥).. أمّا الخلاف حول شخصيّة عِمران فيتراوح بين أن يكون عمران والد موسى وهارون، أو رجلاً صالحاً، أو أيضاً رجلاً شرّيراً كان في أيّام مريم أمّ عيسى، ويُضرب به المثل لشرّه.

الآلوسِي (شهاب الدين، محمود) (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) : نسبة إلى جزيرة آلوس على الفرات.. مفتي بغداد. شيخ العلماء في العراق. علاّمة. محدِّث ومفسّر للقرآن. له: «*روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*». وهو كتاب جامع لكلّ ما سبقه من التفاسير. كثير الاستشهاد بأشعار العرب. يُعنَى بذكر المناسبات بين الآيات، وبذكر أسباب النزول.

الآمِدِيّ (عبد الواحد) (ت ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م) : أديب جمع حِكَم الإمام علي في «*غُرَر الحِكَم ودُرَر الكَلِم*».

آمِنَة بنت وَهَب : وُلدت في مكّة، سنة ٥٥٦م. في بيت شرف وسيادة، من بني زهرة. ولمّا شبّت تزوّجها عبدالله بن عبد المطلب، فحملت منه بالنبيّ محمّد. ومات عبدُالله قبل أن يرى ابنَه.. خرجت آمنة بابنها ذات مرّة إلى المدينة لزيارة أقاربها؛ ولدى عودتها، دهمها الموت أثناء الطريق، فدفنتْ في «الأبواء»، بين مكّة والمدينة. وعمرها يومئذٍ لم يبلغ العشرين، وعمر ابنها ستّ سنوات.

آمِين : كلمة عبريّة ومعناها : ثابت، صادق، أمين، وحقّ. تستعمل لتفيد التأكيد في قَسَم أو عهد؛ وتستعمل أيضاً في ختام الصلاة بمعنى: «ليكن هكذا»، أو «ليتمّ هذا الأمر»، أو بمعنى «إستجب». وهي تفيد أيضاً الصدق والمصادقة على كلام عظيم؛ في مثل قول المسلمين في آخر استشهادهم بكلام الله ممّا في القرآن:

«صدق اللّه العظيم»، وهو ما يناسب قول المسيحيّين في ختام تلاوة نصٍّ من الإنجيل: «آمِينْ وْشَيْنُا لْكولخْونْ»، أي: «حقًّا والأمان لجميعكم».

لا خلاف في أن آمِين ليست من القرآن، لكنّها مأثورة عن النبيّ. وقد واظب عليها، وأمر بها في الصلاة وخارجها. قال ابنُ عَبَّاس: سألتُ النبيّ عن معنى آمين، فقال: إفعلْ. وقال قُتَادة: كذلك يكون. وعن أبي هُريرة عن النبيّ قال: آمين خاتم ربّ العالمين على عباده المؤمنين.

الآيَة : معناها: معجزة وعجيبة، كما تعني فقرة من القرآن. وهي في المعنَيين تعني «علامة» من علامات اللّه التي يُظهرها على أيدي أنبيائه كدليل على رسالته. سأل زكريّا ربَّه أن يجعل له آيَةً، أي علامة على تحقيق بشارته بالذريّة: «قال: ربِّ! إجعلْ لي آيَةً. قَالَ: آيَتُكَ ألاَّ تُكلِّمَ الناسَ ثلاثَ ليالٍ سَوِيًا» (١٩/ ١٠). تتردّد اللّفظة في القرآن أكثر من ٣٨٠ مرّة، وبأشكالٍ متعدّدة.

الآيَاتُ الشَّيْطَانِيَّة : ١ . هي ما أنزلَ جبريلُ على النّبيِّ في سورة النَّجم: «أفرأيتُم اللاّتَ والعزّى ومَناةَ الثالثةَ الأخرى» (٥٣/ ٢٠)، وما أنزلَ الشّيطانُ بعدَها مباشرةً: «تلكَ الغرَانيقُ العُلاَ. وإنَّ شفاعتَهنَّ لَتُرجَى»... فحزنَ النّبيُّ جداً لتدَخّلِ الشيطان هذا. وما استطاع النّبيُّ محوَ ما أُنزل.

غير أنّ جبريل عالج الأمر بإنزالِ آياتٍ في سورة الحجّ تسلّي عن النّبيّ حزنَه. جاء في هذه الآيات: «ومَا أرسلْنا مِن قبلِكَ (يا محمّد) من رسولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذا تمنّى (أي قرأ) ألقى الشيطانُ في أمنيّته (أي في قراءته). ثمّ يُحكِمُ اللّهُ آياتِه. واللّه عليمٌ حكيم. ليَجعَلَ ما يُلقي الشيطانُ فِتنَةً (محنة) للّذين في قلوبهم مَرَضٌ (أي شقاق ونفاق) والقاسيةِ قلوبُهم (أي المشركين). وإنّ الظالمينَ لَفِي شِقَاقٍ بعيد. وليعلمِ الذينَ أوتُوا العلمَ أنّه (القرآن) الحقُّ من ربِّكَ فيؤمنوا به فَتُخْبِتَ له قلوبُهم (أي تطمئّن)» (٢٢/ ٥٢-٥٤).

٢ . وفي القرآن أيضاً قول آخر يشير إلى تدخّل الشيطان بآيات عجيبة : «... وأمّا يُنسِيَنَّكَ الشّيطانُ، فلا تَقْعُدْ بعدَ الذِكرى» (٦/ ٦٨). معنى ذلك: وإنْ

أنســاكَ الشّيطانُ بعضَ مــا أُنزِلَ عليكَ، فــلا تَقْعُـدْ حتى يذكِّـرَكَ اللهُ بهِ... ويفسِّـر الزمــخشــري : «إنّ شغلَكَ يا مــحــمد بوســوسة الشّــيطان حــتى تَنْسَى النهيَ عن مجالَسةِ المستهزئين من قريش ، فلا تَقْعُدْ معهم بعد أن تذكر النهي».

٣ . ولكنّ محــمّدًا كــان يَعي تدخّلَ الشيطانِ في ضــميرِه ووجـدانِه، فكان يلجأ مراراً وتكراراً إلى خــديجة لتفسِّرَ له عمّا إذا كــانَ ما يحدثُ له هو من اللّه أم من الشّيطان. وقد تعجزُ خديجةُ عن التفســير، أو قد لا تطمئنُ كثيرًا الى تفاسيرها، فكانتْ تذهبُ بزوجها الى ابنِ عمِّها ورقة بن نوفل. وكــان ورقة يتدبّر محمّداً بعلمِه ومعرفتِه. وكم من مرة رجَعَ النبيُّ من عند ورَقَة إلى منزلِه «مطمئنًا»!.

٤ . تجــاه هذا الواقع المحزن الذي كــان يتــعرّض لهُ النــبيّ، كان اللهُ يأمــرُ رســولَه بالاستــعــاذة، قبل كلِّ عــملٍ وكلِّ صــلاة :«قل: ربِّ، أعوذُ بكَ من همــزاتِ الشيــاطين» (٢٣/٩٧)؛ «فاذا قــرأتَ القرآنَ فــاستعــذْ باللّه من الشيطــانِ الرجيم» (١٦/٩٨). والأمر بالاستعاذة جاء قبلَ الأمرِ بالاســتفتاحِ بالبسملة. وحتّى اليوم يستــهلّ القارئ قراءته بــ «أعــوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجــيم»، ثم يكمِّل «باسم اللّه الرّحمن الرّحيم».

٥ . وخشيــةُ تدخّلِ الشيطانِ في الوحيِ لم تكنْ عندَ النبيّ، وَهْما، فمــحمّد يردُّ التهمةَ عنه باســتمرار، ويدْفَع عن القرآنِ تهمةَ دســائسِ الشيطان. يقول : «وما تنزّلتْ به الشياطينُ. ومــا يَنبغي لهم. وما يستطيعــون. إنّهم عن السمْعِ لَمَعْزولون» (٢٦/ ٢١٠-٢١٢). ويقول أيضاً: «وما هو بقــولِ شيطانٍ رجيم» (٨١/ ٢٥)، وأيضاً: «وكذلك جَــعَلنا لكلِّ نبيٍّ عــدوًا شيــاطينَ الأنسِ والجنِّ، يوحي بعضُــهم الى بعضٍ زخرفَ القولِ غرورًا. ولو شاءَ ربّك ما فَعَلُوه» (٦/ ١١٢).

٦ . ثمّ لو أنّ للشــيطان سلطانًا علــى النبيّ وحَسْــبُ، لَهَانَ الأمــرُ، فــالنبيّ إنسانٌ كــسائرِ الناس، له أميــالُه وشــهواتُه وَرغــباتُه وأهواؤه الطبــيعيّــةُ كاملةً. إنّه أيضاً كسائرِ الأنبياء والرّسل، يتعرّضُ لتجاريب الشيطان وحيَلِه، فالملائكة أنفسُهم نَزَغَ الشيطانُ بينهم، وآدمُ هو أيضاً أسقطَه الشــيطان في حبائِله، وداوُدُ وسليمانُ

للأباضيّين عقائدهم وشرائعهم، يتّفقون بوجه عام مع أهل السنّة، ولا يختلفون معهم إلاّ في مسائل معيّنة: يعترفون بالقرآن والحديث كمصدر للعلوم الدينيّة.. اختلفوا مع علي في أمر التحكيم. لا يجادلون في شرعيّة حكم الخلفاء الراشدين، كما يفعل الشيعة. بل يصرّون على أنّ القدوة الحسنة، بعد النّبي، كانت في أبي بكر وعمر؛ أمّا عثمان فلم يقتفِ آثارهما. وليس من الضروري أن يكون الإمام قرشيّاً، بل يكفي أن يكون فاضلاً ورعاً، وأن يحكم وفقَ القرآن والسنّة... فإذا ابتعد عنهما وجب خلعه. اللّه عندهم لا يُرى حتّى في الجنّة. الخلود، سواء كان في الجنّة أم في النار، أبديّ. الإيمان يقوم على ثلاثة أركان: الاعتقاد الصحيح، والإقرار باللسان، والعمل.

أبَان بن عثمان بن عَفّان (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٤م) : أحد الولاة، وابن ثالث الخلفاء الراشدين. صحب عائشة في وقعة الجمل (٣٦هـ/٦٥٦م)؛ إلاّ أنّه فرّ من المعركة قبل نهايتها. اشتهر في نقل الحديث النبويّ، وفي كتابه «المغازي»، في سيرة محمّد، الذي يُعدُّ أقدم الآثار الأدبيّة في هذا الموضوع. مات في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك.

الإبَانَة: من أبَان. وهو اصطلاحاً: الفصل والقطْع. وإبانة الزوجة تكون بالطلاق البائن، أو الخلع، وحينئذٍ تملك المرأةُ نفسَها، ولا يحقّ للزوج مراجعتُها إلاّ بعقد جديد.

أبْجَد : أوّل الألفاظ الثمانية التي يسمّي العرب بها الحروف الهجائيّة، وهي: أبجد، هوّز، حطّي، كلمن، سعفص، قرشت، تخذ، ضظغ. والحروف من الهمزة إلى الياء تدلّ على الأرقام من ١ إلى ١٠، ومن الكاف حتّى القاف تدلّ على العشرات من ٢٠ إلى ١٠٠، والحروف التسعة الأخيرة، أي من الراء حتّى الغين، تدلّ على المئات من ٢٠٠ إلى ١٠٠٠. أمّا ترتيب الخليل، في مؤلّفه «كتاب العين»، فيبدأ بحسب الأصوات من أعماق الحلق إلى مخارج الشفاه، وهو هذا : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ص ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي. وتبعه في هذا الترتيب الأزهري في كتابه «التهذيب»، وابن سيّده في كتابه «المحكم».

الأَبَد : معناه: البقاء الذي له بداية وليس له نهاية. وقد وردت لفظ «أبَدًا» في القـرآن ٢٨ مرّة: مـرّات تعني «الخلود» في الجنّة أو في النار؛ ومـرّات تفيـد النفي المطلق. ومـرّة واحدة بمعنى اسـتمـرار شيء إلى الأبد، كـما في قـوله: «وبَدا بَيننا وبينكمُ العداوةُ والبغضاءُ أبَداً» (٦٠/ ٤).

إبْرَاهِيم بن أدْهَم (ت ١٦١هـ/٧٧٨م) : زاهد مـشـهـور من بلخ. مـارس التصوّف، ثمّ هاجر إلى دمشق. كان يأكل من عمل يديه. خرج للصيد، يوماً، فسمع هاتفـاً يهـتف به أنّـه لم يخلق لمطاردة الأرانب والثـعـالب. عـندئذٍ نزل عن دابّتـه، وصادف راعيـاً لأبيه، فأخذ جبّـة الراعي من صوف، ولبسها، وأعطاه فـرسه وما معه. كان يشارك في الغزو والجهاد، وكان يتعفّف عن قسمه من الغنيمة، فلم يأخذ منهـا سهـماً ولا نفـلاً. وقـد ظلّ يشارك في الجـهاد حـتّى توفّي ودفن في جـبلة بسورية. وقد أحلّه الصوفيّة مقاماً عظيماً.

إبْرَاهِيم بن محمَّد رسولِ الله : أمّه مارية القبطيّة، سريّة رسول الله. كان له من العمـر، حين وفاته، سنتـان. اتُّهم النّبي بأنّه ليس هو والده، بل هو العـبد الذي جاء بمارية من مـصر إلى محمّـد. وقيل أيضاً بأنّ عـائشة، لفرط غيـرتها من حبّ النبيّ لمارية، هي التي قامت بالتهمة، والتي عملت على قتل إبراهيم.

إبْرَاهِيم الخَليل : ١ . ورد إسم إبراهيم في القـرآن ٦٩ مرّة؛ وفـيه سـورة باسمه، رقمها: **١٤**. آياتها: **٥٢**. مكّيّة. إبراهيم هو، في القرآن، ابن «آزر» (٦/ ٧٤)؛ وفي التوراة هو «ابـن تارح بن ناحور»[1]. واسـم إبراهيم في العـبريّة من «أبرام» يعني «أبا شعوب كثيرة».

٢ . اعتبر القرآنُ إبراهيمَ مؤمناً بالـلّه الواحد، حنيفاً، مسلماً (٣/ ٦٧)، ولم يكن من المشـركين (٢/ ١٣٥). وهو الذي عهـد إليـه الله أن يطهّر بيتَ الله الحـرام (٢/ ١٢٥)، ويرفع قواعده (٢/ ١٢٧)، ويجعله بلداً آمناً (٢/ ١٢٦). أُنزل إليه كتاب (٢/ ١٣٦)، فـآتاه اللّهُ الحكمـة والملك الـعظيم (٤/ ٥٤)؛ وأراه ملكوتَ السـمـوات

(١) رَ: تك ١١/ ١٠-٢٧؛ ١ أخ ١/ ١٧-٢٧.

والأرض (٦/ ٧٥)، فكان له أمّة حنيفة مسلمة؛ بل «ملّة أبيكم إبراهيم. هو سمّاكم المسلمين مِن قَبل» (٢٢/ ٧٨)، وصحف كصحف موسى (٨٧/ ١٩).

٣. وُلد إبراهيم، بحسب التقليد الإسلامي، بعد الطوفان، أي بعد نوح بـ ٢٩١ سنة، في زمن الملك نَمرود، الذي عَرف بمولد إبراهيم، فأرسلَ مَن يقتل كلَّ مولود جديد. ولمّا زار القتلةُ أمَّ إبراهيم لفحصها قبل أن تلد، بحثوا في جسدها من ناحية اليمين واختفى الطفل في الجانب الأيسر؛ وبحثوا عنه في الأيسر فهرب إلى الأيمن، بحيث اضطرّوا إلى الرحيل بعد أن لم يعلموا شيئاً[٢]. فلمّا وُلد، نهض على الفور بالجهاد ضدّ الملك نمرود.

وبينما كان إبراهيم لا يزال طفلاً، وقد غادر المغارة في طريقه إلى بيت أبيه، حلّ الظلام عليه؛ « فلَمّا جَنَّ عليه الليلُ، رأى كوكباً. قال: هذا رَبِّي. فلمّا أفَلَ قال: لا أُحِبُّ الآفِلين. فلمّا رأى القمرَ بازِغاً، قال: هذا رَبِّي. فلمّا أفَلَ قال: لئن لم يَهْدِني ربّي لأكونَنَّ مِنَ القومِ الضالِّين . فلمّا رأى الشمسَ بازِغةً، قال: هذا ربّي. هذا أكبر. فلمّا أفَلَتْ قالَ: يا قومِ! إنّي بريء ممّا تُشرِكون. إنّي وَجَّهتُ وجهي للذي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ حَنيفاً. وما أنا مِنَ المشرِكين» (٦/ ٧٦–٧٩).

وذات يوم غادر رفاقُ إبراهيم المدينة ليقدّموا القرابين لآلهتهم، فتظاهر إبراهيم بأنّه مريض. وبقي في المدينة. وإذ تسلّح بفأس، توجّه إلى بيت الآلهة، وكان القوم قد وضعوا الطعام بين أيديها. فقال: «ألا تأكلون!». وقطعَ يدَ واحدٍ منهم، ثمّ قطعَ قَدَمَ آخَر، ثمّ رأسَ ثالث. ثمّ ربط الفأس بيد الصنم الأكبر، ووضع أمامه أطباقاً شتّى. فلمّا رجع قومُه، ورأوا ما صُنع بأصنامهم، اتّهموا إبراهيم بأنّه فعل هذا. فقال: «بل فعله كبيرُهم هذا. فاسألوهم إن كانوا ينطقون». فقالوا: «لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون». فقال: «أتعبدون مِن دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم؟ أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله» (٢١/ ٦٣–٧٣). فألقوا به في أتونٍ عقاباً له. ولكنّه خرج بعد سبعة أيّام دون أن يُصاب بأذى. هكذا، هزم نمرود.

---

(٢) رَ: الكسائي، قصص الأنبياء، ص ١١٥–١٢٠.

إبراهيم المَوصِلي (ت ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) : من أشهر موسيقيّي العرب. ولد بالكوفة، وتوفّي ببغداد. درس الموسيقى على أساتذة من الفرس، وأظهر براعة في الغناء والتوقيع على العود. لعب دوراً هامّاً، هو وابنه إسحق، في البلاط العبّاسي إبّان حكم المهدي والهادي والرشيد والمأمون.

أبْرَهَة الأشْرَم : قائد حبشي خرج مع «أرياط» على رأس جيشٍ من سبعين ألف مقاتل لملاقاة «ذي نوّاس» ملك اليمن اليهوديّ. وبعد الانتصار عليه، أراد أبرهة أن ينفرد بالسلطة، فقتل «أرياط». إلاّ أنّه شُرِمت شفته خلال القتال، فلُقِّب بالأشرم. ثمّ ولاّه «النجاشي»، ملكُ الحبشة، على اليمن، حوالي منتصف القرن السادس الميلادي. فبنى أبرهة، في صنعاء، كنيسةً فخمة سمّاها «القُلَّيْس» من Ecclesia ، رغبةً منه في صرف العرب عن الحجّ إلى الكعبة[٣]. فأثار ذلك حفيظة العرب، فدخل أحد بني كنانة تلك الكنيسة، فغاط فيها وبال ثمّ هرب.

ولمّا علم أبرهة بما صنع أقسم ليهدمنّ الكعبة. وجهّز جيشاً، وانطلق قاصداً مكّة، ووضع في مقدّمة الجيش عدداً من الفِيَلة؛ لكنّ الفيلة رفضت أن تتّجه نحو الكعبة. وكانت المعجزة التي ذكرها القرآن في سورة الفيل. وتناثرت جثث جنود أبرهة. ولم ينج من جيشه أحد. وأطلِق على العام (٥٧٠) الذي شهد هذا الحدث عام الفيل، وفيه ولد النبيّ محمّد.

الأبْشِيْهِي (بهاء الدين محمّد) (ت ٨٨٢هـ/ ١٤٤٦م) : نسبة إلى أبشيه، محلّة بمصر. اشتهر بكتابه: «المستَطْرَف في كلّ فنّ مستَظْرَف»، جمع فيه آيات قرآنيّة، وأحاديث نبويّة، وأمثالاً شعريّة، ومسائل لغويّة، وحكايات جادّة وهزليّة، وطرائف، ونوادر، وأخباراً شتّى، اختارها من كتب غيره، كربيع الأنوار للزمخشري، والعقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي.. وله أيضاً في الوعظ كتاب «أطواق الأزهار على صدور الأنهار»، وكتاب «تذكرة العارفين وتبصرة المستبصرين».

---

(٣) هذا ما يدلّ على أنّ حجّاج الكعبة يمكنهم أن يكونوا هم أنفسهم حجّاج «القلّيس».

الأبْطَح : مسيل واسع فيه دُقاق الحصى. واختلف الفقهاء في تحديد المكان المسمّى بالأبطح من بين أماكن النسك. فقال الجمهور هو اسم لمكان متّسع بين مكّة ومِنى، وهو إلى منى أقرب... ويرى ابن عبّاس وعائشة أنّه مكان نزل فيه رسول اللّه للراحة، وليس من المناسك.

الإبْل : ورد اللفظُ في القرآن مرّتَين (٦/ ١٤٤؛ ٨٨/ ١٧)؛ وهو إسم جمْع ليس له مفرد من لفظه، وواحده الذكر: جَمَل، والأنثى: ناقة. والصغير: حوار إلى سنة. وإذا فُطم فهو فصيل، والبكر هو الفتي من الإبل، والأنثى بكرة. وللعرب تسميات للإبل بحسب أسنانها، كابن المخاض، وهو ما أتمّ سنّة ودخل في الثانية. سمّي بذلك لأنّ أمَّه تكون غالباً قد حملت، والأنثى: بنت مخاض. وابن اللبون، وهو ما أتمّ سنتين ودخل في الثالثة. سمّي بذلك لأنّ أمّه تكون قد ولدت بعده. فهي ذات لبن، والأنثى لبون. والحِقّ، وهو ما دخل في الرابعة، والأنثى حِقّة. سمّيت بذلك لأنّها استحقّت أن يطرقها الفحل. والجَذَع، وهو الذي دخل في الخامسة، لأنّه جَذَعَ، أي أسقط بعض أسنانه، والأنثى: جذعة.

الأبْلَق :حصن منيع للسموأل، أي صموئيل، بن عادياء اليهودي. سُمّي الأبلق لاختلاف ألوانه. يضرب المثل بهذا الحصن في مناعته وصدّه لكلّ غارة. ذكره شعراء الجاهليّة.

إبْليس : ١ . وردت لفظة «إبْلِيس» في القرآن ١١ مرّة[1]. من بَلَسَ، أي يئسَ وندِم. وفي القرآن: «ويوم تقوم السّاعةُ يُبْلِسُ المُجرِمون»[2]، أي «ييأسون ويقنطون ويقطعون الرجاء من رحمة اللّه. و«إبليس» هو الإسم الشخصي **للشيطان**، أي هو إسم علم له.

(١) راجع السور التالية: ٢/ ٣٤؛ ٧/ ١١؛ ١٥/ ٣١ و٣٢؛ ١٧/ ٦١؛ ١٨/ ٥٠؛ ٢٠/ ١١٦؛ ٢٦/ ٩٥؛ ٣٤/ ٢٠؛ ٣٨/ ٧٤ و٧٥.

(٢) سورة الروم ٣٠/ ١٢؛ راجع أيضاً: ٦/ ٤٤؛ ٢٣/ ٧٧؛ ٤٣/ ٧٥؛ ٣٠/ ٤٩.

٢ . يظهر إبليس، في القرآن، بوجه خاصّ في أوائل تاريخ العالم[٣]، متمرّداً عند خلق آدم وحواء في الجنّة. وبعد أن صنع اللّهُ آدم من طين، ونفخ فيه من روحه، طلب إلى الملائكة أن يسجدوا له، فكان إبليس هو الوحيد الذي أبى أن يكون من الساجدين، لأنّه خيرٌ من آدم، إذ خُلق هو من نارٍ بينما خُلق آدم من طين. وعلى ذلك أُخرج من الجنّة مذموماً مدحوراً. وعندما كان آدم وحواء في الجنّة أغواهما بأن يأكلا من ثمرة الشجرة.

٣ . «اختلف أهل التأويل في إبليس: هل هو من الملائكة، أم هو من غيرهم؟»[٤] : قال ابن عبّاس، أحد أكثر الصحابة نقلاً عن الرّسول: إنّه «حيّ من أحياء الملائكة، يُقال لهم "الجِنّ". خُلقوا من نار السموم. كان اسمه الحارث. وكان خازناً من خزّان الجنّة. بل كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة.

وعن ابن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجِنّ، فسُبي إبليسُ وكان صغيراً. فكان مع الملائكة، فتعبّد معها. فلمّا أُمروا بالسجود لآدم سجدوا. فأبَى إبليس. فلذلك قال اللّه «إلاّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ» (١٨/ ٥٠). وعن ابن وهَب قال: قال ابن زيد: إبليس أبو الجنّ كما آدم أبو الإنس.

٤ . ولكن، هل الجنّ من الملائكة أم هم مستقلّون عنهم؟ وهنا أيضاً اختلاف بين المفسّرين:

فمَن قال إنّهم من الملائكة يحتجّون بأمرين:

أوّلاً – لأنّ الجِنّ مأخوذ من الاجتنان، وهو الستر.. والملائكة مستورون عن العيون، وجب إذاً إطلاق لفظ الجنّ عليهم، بحسب اللّغة[٥].

ثانياً – لإنّ اللّه استثناه من الملائكة وذلك يوجب كونه من الملائكة.

---

(٣) ٢/ ٣٤؛ ٧/ ١١؛ ١٥/ ٣١ وما بعدها؛ ١٧/ ٦٢؛ ١٨/ ٥٠؛ ٢٠/ ١١٦؛ ٣٨/ ٧٣ ...

(٤) تفسير الطبري على البقرة ٢/ ٣٤.

(٥) ولهذا سمّي الجنين جنيناً لاجتنانه، ومنه الجَنّة لكونها ساترة، ومستترة بالأغصان، ومنه الجنون لاستتار العقل فيه.

غير أنّ الذين قالوا بأنّ إبليس ليس من الملائكة، بل هو من الجِنّ. والجنّ غير الملائكة، فحججهم كثيرة. منها:

أوّلاً – لقوله: «إلاّ إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ» (١٨/ ٥٠). هذا يعني أنّ إبليس كان من الجنّ، ووجب أن لا يكون من الملائكة، لقوله: «وَيَومَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً (أي المشركين). ثُمَّ نَقُولُ للمَلائكَةِ أَهَؤلاءِ إيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ؟ قالوا: سُبْحَانَكَ! أنتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِم. بَلْ كَانوا يَعبُدُونَ الجِنّ» (٣٤/ ٤٠–٤١). وهذه الآية صريحة في الفرق بين الجنّ والملائكة.

ثانياً – إنّ إبليس له ذرّيّة، والملائكة لا ذرّيّة لهم. لقوله تعالى في صفة إبليس: « أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذرّيّتَهُ أوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي» (١٨/ ٥٠). وهذا صريح في إثبات الذرّيّة له؛ فيما الملائكة لا ذرّيّة لهم، لأنّ الذرّيّة إنّما تحصل من الذّكر والأنثى، والملائكة لا أنثى فيهم، لقوله: «وَجَعَلُوا الملائكةَ الذينَ هُمْ عِبَادُ الرّحمَنِ إناثاً. أَشَهِدوا (حضروا) خَلْقَهُمْ! سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ (بأنّهم إناث)» (٤٣/ ١٩). أنكر على مَن حكم عليهم بالأنوثة. فإذا انتفتِ الأنوثة انتفى التوالد لا محالة فانتفتِ الذرّيّة.

ثالثاً – ثمّ إنّ الملائكة رسلٌ، لقوله: «جَاعِلُ الملائكةَ رُسُلاً» (٣٥/ ١؛ ٢٢/ ٧٥)، ورسل اللّه معصومون. فلمّا لم يكن إبليس معصوماً وجب أن لا يكون منهم،

رابعاً – إنّ إبليس مخلوق من النار، والملائكة مخلوقون من النور. قال إبليس: «خَلَقْتَنِي مِنْ نَار» (٣٨/ ٧٦)، وقال أيضاً: «وَالجَانَّ (أبا الجنّ وهو إبليس) خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ (أي قبل خلق آدم) مِنْ نَارِ السَّمُومِ (هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام)» (١٥/ ٢٧). وقال أيضاً: «خَلَقَ الإنسانَ مِنْ صَلْصَالٍ (طين يابس) كالفَخَّارِ. وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نارٍ (هو لهبها)» (٥٥/ ١٤–١٥).

وفي النتيجة، ليس إبليس بملاكٍ ولا بإنسانٍ ولا بحيوان. إنّه من الجنِّ. أبى السجود لآدم واستكبر عليه، لأنّ آدم مخلوق من طين، فيما هو مخلوق من نار.

٣. ثمّ جرى بين اللّه وإبليس حديث غريب طويل في الجنّة. هذا الحديث يدور حول ما أمَرَ به اللّهُ الملائكةَ من السجود لآدم، فسجدوا إلاّ إبْلِيسَ. لَمْ يَكُنْ مِنَ

السَّاجِدِينَ»[٦]. وكان من الكافرين (٢ / ٣٤). غير أنّه راح ينتقم من آدم، فجرّبه بالأكل من شجرة الخلد. فأكل آدم منها هو وامرأتُه. فسبّب لهما خروجُهما ممّا كانا فيه من نعيم (٢ / ٣٦).

وفي سورة الأعراف (٧ / ١١–٣٠)، حديث شيّق بين الله وإبليس: «قَالَ (اللّهُ لإبليس): مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ؟[٧] . قَالَ (إبليس): أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ. خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَه من طينٍ[٨]. قَالَ (اللّه): فَاهْبِطْ مِنْهَا (أي من الجنّة). فَمَا يَكُونُ (ينبغي) لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا. فَاخْرُجْ (منها). إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (الذليلين)[٩]. قَالَ (إبليس): أَنْظِرْنِي (أخِّرْني) إِلَى يَومِ يُبْعَثُونَ (أي الناس). قَالَ (اللّه): إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ[١٠]. قالَ (إبليس): فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي (أي بإغوائك لي) لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ (أي لبني آدم) صراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (أي على الطريق الموصل إليك). ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَينِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ (أي من كلّ جهة فأمنعهم عن سلوكه). وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ[١١]. قَالَ (تعالى): اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً (ممقوتاً) مَدْحُوراً (مُبعَداً عن الرّحمة) لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ (من الناس): لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ»(أي من ذرّيّتك والناس).

ثمّ توجّه اللّه بالكلام إلى آدم، محذّراً إيّاه من السماع لغوايات إبليس، «وَ(قال) يَا آدَمُ! اسْكُنْ أنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ. فَكُلاَ مِنْ حيثُ شِئْتُما ولا تَقرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتكونا مِنَ الظالِمِين». غير أنّ إبليس، انتقاماً من لعنة اللّه له، ومن خروجه من الجنّة، راح يوسوس لآدم وزوجه ليأكلا من الشجرة، فيخرجان، مثله، من الجنّة: « فَوَسْوَسَ لَهمَا الشَّيْطَانُ (إبليس) لِيُبْدي لَهُما مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

---

(٦) ر: ٢ / ٣٤؛ ١٥ / ٣٠–٣١؛ ١٧ / ٦١؛ ١٨ / ٥٠؛ ٢٠ / ١١٦؛ ٣٨ / ٧٣–٧٤.

(٧) وفي سورة الحجر: «قالَ: **يَا إِبْلِيسُ! مَا لَكَ ألاّ تكونَ معَ السَّاجِدِين؟**» (١٥ / ٣٢).

(٨) ر: ١٥ / ٢٨–٣٣؛ ١٧ / ٦١؛ ٢٠ / ١١٦؛ ٣٨ / ٧٣–٧٦.

(٩) ر: ١٥ / ٣٤–٣٥؛ ٣٨ / ٧٧–٧٨.

(١٠) ر: ١٥ / ٣٦–٣٨؛ ١٧ / ٦٢؛ ٣٨ / ٧٩–٨١.

(١١) ر: ١٥ / ٣٩–٤٠؛ ١٧ / ٦٣–٦٥؛ ١٨ / ٥٠؛ ٢٠ / ١١٧–١٢١؛ ٣٨ / ٨٢–٨٥.

سَـوآتِهِمَـا. وَقالَ: مَـا نَهَاكُـمَا رَبُّكُمَـا عَنْ هذهِ الشَّـجَرَةِ إلاّ (كـراهةَ) أنْ تَكُونا مِنَ الخَالِدينَ[١٢]. وَقَاسَـمَهُـمَا (أي أقـسم لهمـا إبليسُ به): إنِّي لَكُمَا لَمِـنَ النَّاصِحِينَ. فَـدَلاَّهُمَا (حطّهـما عن منزلتـهمـا) بِغُـرُورٍ (منه). فَلَمَّا ذَاقَـا الشَّجَـرَةَ بَدَتْ لَهُمَـا سَوآتُهُمَا. وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ (يلزقان) عَلَيهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ (ليستترا به). وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَـا: أَلَمْ أَنْهَاكُمَـا عَنِ تِلْكُمَا الشَّجَـرةِ، وَأَقُلْ لَكُمَا إنَّ الشَّيْطانَ (إبليس) لَكُمَـا عَدُوٌّ مُبِينٌ؟[١٣]. قالا (آدم وحـوّاء): رَبَّنا ! ظَلَمْنَا أنْفُـسَنَا (بمعصيـتنا). وإنْ لمْ تَغْفِـرْ لَنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرينَ. قالَ (تعـالى): اهْبِطُوا (أي آدم وحوّاء وذرّيتهما) بَعضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ. وَلَكُمْ في الأرضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حينٍ[١٤]. قالَ فيها (أي في الأرض) تَحْيَونَ. وَفيهَا تَمُوتُونَ. وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (بالبعث)...

ثمّ توجّـه اللّه إلى ذرّيّة آدم، وحذّرهم كـما حـذّر أبويهم. ولكنّ الشيـاطين كـانت لكثيـر منهم أعـواناً وقـرناء : «يَا بَنِي آدمَ! لا يَفْـتِنَنَّكُمُ (يضلّنّكم) الشَّـيطانُ (إبليس)، كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ. يَنْزِعُ عَنْـهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَـا سَوآتِهِمَا. إنّه يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ (جـنوده) مِنْ حيثُ لا تَرَونَهُمْ. إنّا جَعَلْنَا الشَّيَـاطِينَ أوْلِيَاءَ (أعوانا وقرناء) لِلّذينَ لا يُؤْمِنُـونَ... فَرِيقاً هَدَى وَفرِيـقاً حَقَّ عَليهِمُ الضّـلالةُ. إنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشّيَاطِينَ أوْلِيَاءَ مِنْ دونِ اللّهِ. وَيَحسَبُونَ أنّهمْ مُهْتَدُونَ» (٧/١٢-٣٠).

الإبْن : المعنى الحـقـيـقي للابـن هو الصلبي. وهو من «بـنى» أي «نصب خـيمـة»، وبالتـوسّع «نكح»، و«بنى بامـرأته». لا يُطلق لفظ «إبن» إلاّ على الذَّكَـر، بخلاف «الولد» فإنّه يشمل الذكـر والأنثى.. ومؤنّث الابن: ابنة، ولغة: بنت. والابن من الأناسيّ يُجمع على بنين وأبناء؛ أمّا غير الأناسيّ ممّا لا يعقل فيُجمع على بنات.

---

(١٢) كما في آية أخرى: «هل أدلّك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى» (٢٠/١٢٠).

(١٣) قـال في سورة الـبقـرة: «**فَـأَزَلَّهُمَـا** (نحّـاهمـا) **الشَّـيْطانُ** (أي إبليس) عَنْهَـا (أي الجنّة) فَأَخْـرَجَهُمَـا ممَّا كـانَا فيهِ (من النّعـيم). وَقُلْنَا اهْبِطُوا (إلى الأرض) بَعْضُكُمْ لِبَـعْضٍ عَدُوٌّ. وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ (موضع قرار) وَمَتَـاعٌ (ما تتمتّعون به من نباتها) إلى حِينٍ (وقت انقضاء آجالكم)» (٢/٣٦).

(١٤) تكرار لما في الآية السابقة ٢/٣٦.

إبن أبي أُصَـيْـبِعَـة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) : طبـيب ومؤلّـف في السِّيـر والتراجم. ولد بدمشق. وتعلّم الطبّ فيها. أخـذ طبَّ العيون عن أبيه الذي كان أمهر أطبّاء العيون في دمشق. ورحل إلى القاهرة حـيث برع ولمع، وبقي فيها حتّى مات. له كتاب «عـيون الأنباء في طبقـات الأطبّاء»، ويضمّ أكثر من ٤٠٠ ترجـمة طبيب، مرتّبـة ترتيباً زمـنيًا بدءاً بالأطباء النوابغ في عـهود الإغريـق والرومان والهنود، وذلك قبل أن يترجم للأطبّاء المسلمين. وله أيضـاً: «إصابات المنجّمين»؛ و«التجارب والفوائد»؛ و«معالم الأمم»؛ و«حكايات الأطباء في علاجات الأدواء»؛ وغيرها..

إبن أبِي الحَدِيد (ت ٦٧١هـ/١٢٥٧م) : شاعـر معـتزليّ. تـعود شـهـرته الواسعة إلى «شرح نهج البلاغة». له أيضاً: «الفلك الدائر على المثل السائر».

إبن أبِي دَاوُد السِّجِسْتَانِي (عبدالله بن سليمان) (ت٣١٦هـ/٩٢٨م) : ولد في سجـستان ونشـأ بنيسابور، ورحل بـه أبوه يطوف به شرقاً وغـرباً حتّى زار وهو شابّ خـراسان وأصفهـان وفارس والبصرة وبغـداد والكوفة والمدينة ومكّة ودمشق ومصـر والجزيرة والثغور. وفي كلّ بلـد يكون فيه عالم أو حافـظ يقدّمه أبوه إليه لـيتعلّم منـه القراءة والحديث وعلـوم القرآن.. وألّف كتـباً كـثيـرة، منها: تفسير القرآن، وكـتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب فضائل القـرآن، فضلاً عن كتابه المشـهور: كتاب المصاحف، والمسمّى أيضاً: كتـاب اختلاف المصاحف.. وفيه خمسة أجزاء، وكلّ جـزء في عدّة أبواب. وتناول فيـه جمع القـرآن ومصاحف الصـحابة والمصاحف العثمانيّة وكيفيّة التعامل مع المصحف والتحريف والتبديل.

إبن أبِي رَبِيْـعَـة (عُـمَـر) (ت ٩٤هـ/٧١٢م) : شـاعـر غـزلي من سـراة القرشيّين. رقيق الأسلوب. لطيف العواطف. تاب. وتزهّد في آخر حياته. له ديوان.

إبن أبِي سَرْح (عـبدالله بـن سعـد) (ت ٣٧هـ/٦٥٧م) : صحـابيّ. وُلّي مصر لعـثمان. قاد جيشَ المسلمين في فتح أفـريقيا. سحق البيزنطيّين فـي معركة ذات الصَّواري. توفّي في عسقلان.

إبن أبِي الصَّلْت (أُمَيَّـة) (ت ٤هـ/٦٢٦م) : شـاعر جـاهلي. من رؤسـاء

ثقيف. نبذ الأصنام ودعا إلى التوحيد في الدين الحنيف.

ابن الأثير (عزّ الدين علي) (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٤م) : ولد في جزيرة ابن عمر في شمال العراق. تلقّى العلم في الموصل وبغداد. رحل إلى بلاد الشام. توفّي في الموصل. مؤرِّخ. محدِّث. حافظ. له كتاب «الكامل في التاريخ»، انتهى بحوادث عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٢م؛ وكتاب «أُسُد الغابة في معرفة الصحابة»، وهو معجم مرتّب على حروف الهجاء؛ وبلغ عدد مَن ترجم لهم ٧٥٥٤ صحابيًا وتابعيًا. ولخّص كتاب «الأنساب» للسمعاني، بعنوان «اللباب في تهذيب الأنساب».

ابن إسْحَق (أبو بكر محمّد) (ت١٥١هـ/٧٦٨م) : مؤلّف سيرة النبيّ محمّد. جدّه يسار الذي كان نصرانيًا، والذي أسره خالد بن الوليد عام ١٢هـ في كنيسة بعين التمر في العراق. جمع ابن إسحق القصص والأخبار عن النّبيّ. وسرعانَ ما اصطدم بأئمّة الحديث، أصحابِ الرأي السائد في المدينة، وعلى الأخص بمالك بن أنَس الذي اتّهمه بالتشيّع وانتحال الكثير من القصص والأشعار. لهذا ترك ابن اسحق وطنه، وذهب إلى مصر، ثمّ إلى العراق، واجتذبه الخليفة المنصور إلى بغداد، حيث توفّي..

من مؤلّفاته: «المغازي»، أي السيرة النبويّة التي نقلها عنه ابن هشام. وهي مجده، وأقدم سيرة تاريخيّة محفوظة الآن برمّتها. وهي تجمع بين الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة. وفيها أيضاً الإسرائيليّات والقصص الشعبيّة والشعر من صحيح وموضوع. وله كذلك كتاب «المبدأ»، وهو لا يعدو أن يكون القسم الأوّل من «المغازي»، أفرده بعنوان خاصّ به، لأنّه يتناول مبدأ الخلق حتّى ظهور الإسلام.

قال فيه ابن شهاب الزهري: «مَن أرادَ المغازي فعليه بابن إسحق». ورُوي عن الشافعي أنّه قال: «مَن أراد أن يتبحّر في المغازي فهو عيال على ابن إسحق». ويُعدُّ من أقدم مؤرّخي العرب.

ابن الأشْعَث (عبد الرحمن) (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م) : قائد أمويّ. ثار على الحجّاج، وأبى الخضوع لأوامر الخليفة عبد الملِك بن مَروان. استولى على الكوفة.

هزمه الحجّاج في معركة دير الجماجم. وتتابعت هزائمه حتّى قُتل.

إبن الأعْرَابي (أبو عبدالله محمّد) (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) : من أهل الكوفة. إمام في اللّغة. أخذ الأدب عن أبي معاوية الضرير والمُفَضّل الضَبِّي والكسائيّ. وأخذ عنه ابن السكّيت وثعلب. له : «كتاب أسماء خيل العَرب وفرسانهم»، و«كتاب النوادر».

إبن أمّ مكْتُوم (ت ٢٣هـ/٦٤٣م) : صحابي جليل، كفيف البصر. إبن خال خديجة. من أوائل المستجيبين لدعوة محمّد في مكّة. هاجر إلى المدينة. وكان، مع بلال بن رباح، مؤذِّنَ النبيّ. وكان رسول الله يستخلفه على المدينة حين يخرج غازياً، ليؤمّ الناس في الصلاة. هو الأعمى الذي نزل فيه قوله: «عَبَسَ وَتَوَلّى أنْ جَاءَهُ الأعْمَى» (٨٠/ ١-٢)... أُعطي لواء يوم القادسيّة حيث استُشهد.

إبن الأنْبَارِيّ (أبو بكر) (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) : لغويّ نحويّ كوفيّ. أخذ عن ثعلب. واشتهر بقوّة حافظته. له كتاب «الأضداد»، و«شرح المُعَلّقات».

إبن إيَاس (أبو البركات) (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) : وُلد ونشأ بالقاهرة. درس على السيوطي. وهو من أهم من أرّخ لعصر اضمحلال دولة المماليك. ينتهي تاريخه بحوادث عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م. أهم مؤلّفاته: «بدائع الزهور في وقائع الدهور». يعالج باختصار تاريخ مصر القديم إلى نهاية عصر الأيّوبيّين. وله أيضاً: «نشق الأزهار في عجائب الأقطار».

إبن بابَوَيه (محمّد بن علي) (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) : عالِم شيعي. يُلقّب بـ «الصدوق»، وبـ «شيخ المحدِّثين». أصله من قُمّ. تلقّى العلم على أبيه، بلغت مصنّفاته مائتَي كتاب. من طلاّب علمه: الشيخ المفيد. توفّي بالرِّيّ. أشهر آثاره: «مَن لا يحضره الفقيه»، وهو أحد كتب الشيعة الكبرى في الحديث. تبلغ أحاديثه أكثر من تسعة آلاف حديث في الأحكام والعبادات.

إبن بَاجَه (أبو بكر محمّد بن الصائغ) (ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) : يُعرف عند الأوروبّيين باسم أفَنْبَّاس Avenpace، فيلسوف عربي مشهور، ولد بسرقسطة،

ووزر للمرابطين حوالي عشرين عاماً. كان ضليعاً في العلوم الطبيعيّة والفلك والرياضيّات والطبّ والفلسفة، كما اشتهر بالموسيقى. شرح الكثير من كتب أرسطو، كما صنّف كتباً كثيرة فُقد معظمها، إلاّ أنّها منقولة إلى العبريّة واللاّتينيّة. تأثّر به ابن رُشد. مات مسموماً في مدينة فاس، بعد أن اتّهمه أعداؤه بالإلحاد والتعطيل وإشاعة الأباطيل. من آثاره: «تدبير المتوحِّد»، و«رسالة الوداع».

ابن بُطْلان(المختار بن الحسن) (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) : طبيب وفيلسوف من أهل بغداد. له مصنَّفات في الطبّ والفلسفة. منها «دعوة الأطباء»، و«تقويم الصحّة»، نُقل إلى اللاّتينيّة عام ١٥٣١. ترهّب في أحد أديار أنطاكية.

ابن بَطُّوطة (محمّد بن عبدالله) (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) : رحّالة ومؤلّف عربي، وُلد في طنجة بالمغرب. كان محبًا للاطّلاع، كثير الأسفار إلى أفريقيا والشرق الأوسط والشرق الأقصى. وهي رحلات استغرقت منه ٢٩ سنة. ثمّ عاد إلى فاس سنة ١٣٥٤م وأقام فيها حتّى توفّي. له: «تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، المعروفة برحلة ابن بطّوطة. امتازت بالدقّة في الملاحظة، والأمانة في الرواية.

ابن البِيْطَار (عبدالله بن أحمد) (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : إمام علماء النباتيّين والأعشاب. من مالقة من أعمال إشبيلية.. سافر إلى اليونان معرّجاً على المغرب وتونس وطرابلس وبرقة والحجاز وغزّة والقدس وبيروت وأنطاكية والموصل. استقرّ في دمشق، حيث توفّي. له كتابان شهيران في الأدوية والأعشاب والأغذية: «كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»، وهو مرتّب على حروف المعجم؛ وقد صنّف فيه ١٤٠٠ نوع من العقاقير، منها ٣٠٠ لم يسبقه إلى وصفها أحد؛ يذكر فيها ماهيّات الأدوية، وقوامها، ومنافعها، ومضارّها، وإصلاح ضررها، والمقدار المستعمل من جرعها أو عصارتها أو طبخها، والبدل منها عند عدمها؛ و«كتاب المغني في الأدوية المفردة»، في العقاقير، تناول فيه علاج الأعضاء عضواً عضواً؛ وكتاب «ميزان الطبّ»، وكتاب «الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام»، في نقد كتاب ابن جزلة (ت ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م).

ابن تَغْـرِي بَرْدِي(أبو المحـاسن يوسف) (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) : مؤرّخ عربي ولد وتوفّـي بالقاهرة. له «النجـوم الزاهرة في ملوك مصر والـقاهرة»، وهو أشهر مصنّفـاته التاريخيّة. وهو يصف فيه الحوادث منذ الـفتح العربي لمصر سنة ٢٠هـ/ ٦٤١م إلى عام ٨٧٢هـ/١٤٦٨م. وله أيضـاً: «المنهل الصافيّ والمسـتوفى بعـد الوافي»، أتمّ به «الوافي بالوفيّـات» للصفـدي، وقد سـجّل فيـه تراجم أعـيان عصـره من الأمـراء والسلاطين والقـادة والعلماء وغـيرهم من مـشاهيـر مصـر والشـام، من قيـام الدولة المملوكيّـة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، وفيـه أكثـر من ٣ آلاف شخصيّة مـرتّبة ترتيباً معجميّاً؛ وله: «حـوادث الدهور في مدى الأيّام والشهور»، وهو تكملة لكـتاب «السلـوك لمعرفـة دول الملوك» للمـقـريزي، بدأه حـيث انتـهى المقريزي، أي منذ سنة ٨٤٥هـ حتّى ٨٥٧هـ. يعالج هذه الفترة القصيرة بمزيد من التـوسّع. وله: «مورد اللطافـة في مَن وُلّي السلطنـة والخلافـة»، وكتـاب «البحـر الزاخر في علم الأوائل والأواخر»، إلى غير ذلك.

ابن تُومَرْت (محمّـد بن عبداللّه) (ت ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) : مصلح إسلامي مشـهور وُلد بمراكش، يُعـرف باسم مهـدي الموحِّدين. رحل إلى المشـرق، وابتدأ بالأسكندريّة.. وحجّ بعد ذلك إلى مكّة، ودرس في بغداد. ثمّ رجع إلى مراكش حيث برزت فيه شخـصيّة المصلح الخلقي الديني. وكان نساء «لمتـونة» يسرنَ سافرات؛ فلمّا رآهـنّ ابن تومرت عنّفهـنّ... ثمّ ذهب إلى جبال المصـامدة، وبدأ دعـوته فيـها بطريقـة منظّمـة، فهـاجم المرابِطين بشـدّة، وأعلن حـرباً دينيّة لـيس على الوثنيّين والمشركين فحسب، بل على المسلمين أيضاً. ولمّا كثر أتباعه، أرسل، سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م جيـشاً بقـيادة عـبد المؤمن، لمحـاربة المرابطين. وأمر بإعـدام سبعـين ألفاً. وأخذتْ دعوة الموحِّـدين تَقوى بمقدار ما أخذت تضـعف قوّة المرابطين في الأندلس وأفريقيا. ولمّا توفّي ابن تومرت، واصل عبد المؤمن النضـال.

ابن تَيْمِـيَّة (تقي الدين أحمـد) (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م). فقيـه حنبلي. جدّد المذهب. وُلد بحرّان. لجـأ مع أسرته إلى دمشق فـارًّا من فظائع المُغول. درّس فيـها الفقـه على مذهـب ابن حنبل. دعا إلى الجـهاد ضـد المغول، وحـارب جميع الـفرق

الإسلاميّة، مثل الخوارج، والمرجئة، والروافض، والقدريّة، والمعتزلة، والجهميّة، والكرّاميّة، والأشاعرة، والإسماعيليّة، والنُّصَيريّة، والحاكميّة، الذين كانوا يعتقدون بعصمة عليّ بن أبي طالب، ويرمون الصحابة بالمروق. وهاجم أيضاً التضرّع للأولياء وزيارة القبور، وحتّى زيارة قبر النبيّ، ودعا كذلك إلى تكفير الذين كانوا لا يُقيمون الصلاة ولا يصومون، والذين كانوا يأكلون لحم الخنزير.

وهاجم أيضاً عمر بن الخطّاب. وقال عنه إنّه ارتكب أخطاء كثيرة، كما قال إنّ عليًا بن أبي طالب ارتكب ثلاثمائة غلطة. وهاجم بعنف الغزالي، ومحيي الدين بن عربي، وعمر بن الفارض، والمتصوّفة عموماً. وكان يقول: «المتكلّمون والصوفيّة في وادٍ واحد».. وهاجم الفلسفة اليونانيّة وممثّليها من المسلمين، وخاصّة ابن سينا وابن سبعين..

كان ابنُ تيميّة من المشبّهة المُسرفين في التجسيم. فقد ذكر عنه إبن بطّوطة أنّه قال ذات يوم من فوق منبر مسجد دمشق: «يَنزل اللّهُ من السماء إلى الأرض كما أَنزِلُ الآن»، ونزل مِن على درج المنبر.

مِن كتبه : «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»، فيه يهاجم المسيحيّة ويرفع من شأن الإسلام؛ و«تخجيل أهل الإنجيل»، وهو ردّ على النصرانيّة؛ و«المسألة النُّصَيريّة»، وهو فتوى ضد النصيريّة؛ و«اقتضاء الصراط المستقيم ومجانبة أصحاب الجحيم»، وهو في الردّ على اليهود والنصارى؛ و«كتاب الردّ على النصارى»؛ و«مسألة الكنائس»؛ و«الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان»؛ و«الفتاوى»؛ و«كتاب السياسة الشرعيّة في إصلاح الراعي والرعيّة»؛ و«رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»؛ و«مجموعة الرسائل»...

وبعد سجنه مراراً، ورحلات وجهاد، وتآليف، مات سجيناً.

إبن جُبَيْر (محمّد بن أحمد) (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) : رحّالة ومؤرّخ أندلسي. وُلد بمدينة بلنسية. زار مكّة تكفيراً عن شربه الخمرة. كما زارها مرّة ثانية عقب وفاة زوجته أمّ المجد عائكة بنت الوزير أبي جعفر الوقشي. وحجّ للمرّة

الثالـثة، وجاور بالحـرم الشريف طويلاً. ثمّ رحل إلـى بيت المقدس. ثمّ سـافر إلى مصر. ثمّ إلى الإسكندريّة حيث توفّي.

كتب عن رحلاته كـتاباً واحداً سمّاه «رحلـة ابن جُبَير». وتُعدّ قـصّة رحلته من أهمّ مؤلّفـات العرب، وخـاصّة في تاريخ صقلّيّـة في عهد ولـيم الصالح... وله أيضاً رسـالة بليغـة مؤثرة في وصف الحـرَم النبويّ ومراسم زيارتـه، وعنوانها: «اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك».

ابن الجَزَري (شمس الدين) (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) : حجّـة في القراءات. ولد بدمشق. حفظ القرآن. حجّ إلى مكّة. ثمّ عُيِّن قاضياً بدمشق. وبعد رحلات عدّة، حطّ في شيراز حيث توفّي. له في القراءات مؤلّفات عديدة؛ أشهرها: «طَيِّبات النشر في القراءات العشر»، و«مُنجد المُقرئين ومرشد الطالبين»، و«غاية النهاية في طبقات القرّاء»، و«تقريب النشر في القراءات العشر»، و«التمهيد في علم التجويد»، إلخ.

ابن جَزْلَة (أبو علي يَحيى) (ت ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) : طبيب عربي من بغداد. يُعرف عند الغربيّين باسمBen Gesla . نصراني أسلم. يجيـد الخط، فعيّنه قاضـي بغداد الحنفي نسّـاخاً. اشتهـر بكتابه «تقويم الأبدان في تدبيـر الإنسان»، نُقل إلى اللاّتينيّة سنة ١٢٨٠م.

ابن جِنّيّ (عثمان) (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) :نحويّ بصري. من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصـريف. كان صديقاً للمتنبّي. له مؤلّفات كـثيرة، منها: «سِـرّ صِناعـة الإعـراب»، و«الخـصـائص»، و«المُنصِـف»، وشـرح ديوان المتنبّي، و«كتاب التصريف»، وكتاب «اللّمع في النحو».

ابن الجَـوْزِيّ (سِبط) (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م) : ولد في بغـداد. دعـا إلى الجهـاد ضدّ الصليبيّين، وشـارك في حملة موفّـقة على نابلس. أحبّـه الملك العادل الأيّوبي. أشهر تصانيفه : «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» في التاريخ العام.

ابن حَجَر العَسْقَلاني (أبو الفضل أحمد) (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م) : محدِّث، مؤرّخ وفـقيه شـافعي. وُلد في مصـر. لُقّب بـ «حافظ عصـره». له: «الإصابة في

تمييـز الصحابة»، يـضمّ تراجم صحابة رســول الله والتابعين، وقـد بلغ عدد تلك الترجـمات ١٢,٢٦٧؛ منهـا ١٠,٧٤٥ للرجال، و١,٥٢٢ للـنساء؛ وله أيضــاً: «فتح البـاري في شرح البـخاري»، و«تقـريب التـهذيب»، و«لســان الميزان»، و«تهـذيب التهذيب»، و«تعـجيل المنفعة»، و«نزهة الألبـاب في الألقاب»، و«بلوغ المرام في أدلّة الأحكام»، و«الدُّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، وغيرها..

إبن حَزْم (أبو محمّد علي بن أحمد) (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) : عالم أندلسي. فقيه مشـهور، مؤرّخ، شاعر مرموق، مفسِّر، محدِّث، أصوليّ، متكلّم، منطقيّ، أديب، طبيب، زاهد في الـدنيا. متنوّع التـأليف، غزير التصنـيف.. وُلد بقرطبة. كـان جدّه الأعلى نصرانيًا اعتنق الإســلام. كان في أوّل أمره من أتباع الشافعيّــة المتحمّسين، وكتب فـيهـا «كتـاب المحلّى في الآثار في شرح المجلّى بالاقـتصــار». ثمّ انقلب إلى مذهب الظاهريّة حيث أصبح من أنصاره المخلصين. اتُّهم بالمروق، واضطُّهد وسُجن مرّتين. كان شـديد النقد للعلماء والأئمّــة، فكان قلمُه مثل سيف الحـجّاج في حدّته، حتّى قيل: «إنّ لسان ابن حزم وسيف الحجّاج بن يوسف شقيقان».

بلغ عدد كتبه ٤٠٠ كتاباً، تحتوي على ٨٠,٠٠٠ ورقة. من أشـهرها : «طوق الحمامة في الأُلفة والألاّف»، و«جمـهرة الأنساب»، أو «أنساب العرب»، و«الإحكام في أصــول الأحكام»، و«الفِصَل في الملل والأهواء والـنِّحَل» الذي هاجم فيـه بعنف الأشاعرة، وانتفض بشدّة على الذين يقولون بالتـوسّل بالأولياء ومذاهب الصوفيّة وأصحاب التنجـيم، ونقَد العقائد اليهـوديّة والنصرانيّة ومعظم الفرق الإســلاميّة؛ مندمجــة فيه رســالة: «كتاب إظهـار تبديل اليـهود والنصارى للتـوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم منها ممّا لا يحتمل التأويل».

إبن حَنْبَل (الإمــام أحـمـد) (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) : ولد ونشــأ في بغـداد. وسافر إلى مختلف الأقطار الإسلامــيّة. إليه يُنسب المذهب الحنبلي الذي اعتمد على القرآن والحديث. لا يقدّم عليهما رأياً أو قياساً أو قولاً لصاحبيّ أو إجماعاً.. حرص على طلب العلم مدى حــياته. وكان يقول: «مع المحبـرة إلى المقبرة». اشتــهر بكتابه «المسند»، وهو كتاب جامع في الأحاديث.

سجن ابن حنبل وعذّب أيّام المأمون والمعتصم والواثق لرفضه موافقة المعتزلة في «خلق القرآن»، إلى أن أمر المتوكّل بإطلاق سراحه بعد ٢٨ شهراً. قال فيه علي بن المديني: «إنّ اللّهَ أعزَّ الدِّينَ بأبي بكر يومَ الرِّدّة، وبأحمد بن حنبل يومَ المحنة». وتوفّي ببغداد. وقبره فيها معروف. من ممثّلي مذهبه: إبن تيميّة وابن القيّم الجَوزيّة. وكلاهما معروف بعنفه ضدّ مَن يخالفه الاعتقاد والرأي.. وظهرت الحنبليّة، في القرن الثامن عشر، في حركة جديدة وقويّة، هي حركةُ الوَهَّابيِّين.

إبن حَوقَل (ت ٣٧١هـ/ ٩٨١م) : رحّالة وجغرافيّ من أهل بغداد. جاب العالم الإسلاميّ. اشتهر بكتابه «المسالِك والممالِك».

إبن خالَوَيْه (الحُسين) (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) : نحويّ ولغويّ مشهور من همذان. دخل بغداد وحفظ فيها القرآن على ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ-٩٣٩م)؛ ودرس النحو والأدب على ابن دُرَيد (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) ونفطويه (ت٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)؛ وأخذ الحديث عن العطّار (ت٣٣١هـ/٩٤٢م). وانتقل بعد ذلك إلى الشام، واستوطن حلب، وعاش في مَيَافارقين وحمص. اتّخذ لنفسه مذهباً وسطاً بين مدرستَي الكوفة والبصرة النحويّتَين. وذاع صيته في التدريس. وكان حظيّاً عند سيف الدولة الحمداني، ومؤدِّباً لأولاده. ناظرَ المتنبّي.. توفّي بحلب. له «إعراب ثلاثين سورة من القرآن»، و«كتاب لَيس».

إبن خُرْدَاذْبَه (عبداللّه) (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) : جغرافي كبير من أصل فارسي. شغل منصباً هامًا في طبرستان، وهو منصب «صاحب البريد والخبر» بناحية الجبل. تحوّل من المجوسيّة إلى الإسلام. كان نديماً للخليفة المعتمد. له كتاب «المسالك والممالك»، في الجغرافيا؛ وله: «مختارات من كتاب اللّهو والملاهي».

إبن خَلْدُون (عبد الرحمن) (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) : مؤرّخ وفيلسوف إجتماعي عربي. ولد في مدينة تونس. حفظ القرآن صغيراً. ودرس النحو واللّغة والفقه والحديث والشعر والمنطق. ولمّا بلغ الواحدة والعشرين من عمره عُيِّن كاتب علامة سلطان تونس.. ثمّ سجن.. ثمّ استخدمه السلطان كاتباً لسرّه. ثمّ عيّنه قاضياً للقضاة. رحل إلى غرناطة، ولحق ببلاط بني الأحمر.. ثمّ توجّه إلى المشرق

واستقـرّ في مصر وتولّى قضـاء المالكيّة. ثمّ اعتكف في قلعة ابن سـلامة حيث بدأ يصنّف كتـابه العظيم في التاريخ: «كتاب العِبَر، وديوان المبتدأ والخـبَر، في تاريخ العـرَب والعجَم والبـربَر، ومَن عـاصرَهـم مِن ذوي السلطان الأكبـر»، واشـتهـر بمقدّمته العظيمة في التاريخ وعلم الاجتماع.

ابن خَلّكان (أحمد) (ت ٦٨١هـ/١٢٨١م) : مؤرِّخ وأديب عربي. وُلد ببلدة إربل بالعراق. قاضٍ. شافعي. مـدرِّس في دمشق والقاهرة. وتوفي في دمشق. له: «وَفيَّات الأعـيان وأنباء أبناء الزمـان». توجد نسخة بخطه في المتـحف البريطاني. وهو معـجم تاريخي شهـير، من أهم المصـادر في التراجم والتـاريخ الأدبي. طبع مراراً في مختلف البلدان الإسلاميّة.

ابن الخَيَّاط (عبـد الرحيم) (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) : شيخ المعتـزلة ببغداد. تنسب إليه فرقة الخَيَّاطيّة. من كـتبه «الأنتصار» في الردّ على ابن الراوندي الملحد، والذي لم يبقَ من كتب المعتزلة غيره.

ابن دُرَيْد (أبو بكر محمّد) (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م) : ولد في البصرة. أقام في نواحي فارس، وألّف «كـتاب الجمهـرة في علم اللّغة»، وهو أشهر المعـاجم القديمة بعد كتـاب «العين». قدّم له صاحبـه بقوله: «إنّما أعرناه هذا الاسم لأنّنـا اخترنا له الجمـهور من كلام العـرب وأرجأنا الوحـشي والمستنكر». ونظراً لقـيمتـه اللغويّة اختصره الصاحب بن عبّاد في كتاب سمّاه «الجوهرة».

عمّـر ابنُ دريد طويلاً مع أنّه كـان سكّيراً مسـرفاً. توفي في بـغداد، ودفن فيهـا. يُعدّ أكبر علمـاء عصره في اللّغة وأقـدر نقّاد الشعر. وكـان يُطلق عليه لذلك «أعلم الشعـراء وأشعر العلماء». ولـه أيضاً: «كتاب الاشـتقاق»، يبحث في أسـماء القبائل والعمائر، وأفخاذها وبطونها، وسـاداتها وشعرائها، على شكل معجم. وهو ضد الشعوبيّة.

ابن دَيْصَان (ت ٢٢٢م) : فيلسوف سـرياني من أصل فرثي. هاجر والداه من بلاد فارس إلى الرها. وُلد عام ١٥٤م. وأخذ إسمه من نهر ديصان الذي يروي

الرها. درس الفلك والتنجيم. وفي عام ١٧٩م اعتنق المسيحيّة. لم يعرف المسلمون عنه غير أنّه كان من مذهب الثنويّة. يعتبر ابن ديصان عادة ممهِّداً للمانويّة. ويقول بأنّ ما يسمّى بالقدر ليس إلاّ فعل اللّه في الأجرام والعناصر. وليست حرّيّة الإنسان إلاّ النضال مع هذا القدر والحدّ من قوّته على قدر المستطاع.

ابن الرَّاوَنْدِيّ : (أبو الحُسين أحمد) (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م) : متكلّم وفيلسوف ملحد. عاش في بغداد وأصله من راوند بأصبهان. كان من المعتزلة. ثمّ نبذ تعليمهم. كتب ضدّ الإسلام والأديان المنزلة. تُنسب إليه «الراونديّة» فرقة من المتكلّمين. له كتب كثيرة، منها «فضيحة المعتزلة»، و«التاج»، و«الزمرّد»، و«الدامغ»، ردّ عليه جماعة من العلماء، أبرزهم ابن الخيّاط في كتاب «الانتصار».

ابن رُسْتَه (أحمد) : عالم جغرافي من أصل فارسي. عاش في أصفهان. له «كتاب الأعلاق النفيسة» في تقويم البلدان، لم يصل منه إلاّ الجزء السابع؛ وهو في الأفلاك السماويّة والكرة الأرضيّة والمدن والبلاد. ألّفه حوالي ٩٠٣م.

ابن رُشْد (أبو الوليد محمّد) (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) : عرف عند الغربيّين باسم أَفِرُّوِسْ Averroes. ولُقِّب بـ «الشارح». وُلد بقرطبة. قدّمه ابن طُفيل، الذي كان قد طعن في السن، بدلاً منه طبيباً خاصًا لأبي يعقوب يوسف الموحّدي. وأشار إليه بشرح كتب أرسطو. وُلّي القضاء بأشبيليّة، ثم بقرطبة.

صنّف ابن رشد كتباً في الفلسفة اتُّهم بسببها بالمروق، وحوكم من أجل ذلك، ونُفي إلى اليسانة بالقرب من قرطبة. وأمر الخليفة يعقوب المنصور، خليفة يوسف، بإحراق كتبه في الفلسفة حوالي عام ١١٩٥م. ولم يلبث بعد ذلك أن مات في مراكش. ولم يبق من مؤلّفاته باللّغة العربيّة إلاّ القليل.

بقي من كتبه: «تهافت التهافت» في الردّ على كتاب الغزالي «تهافت الفلاسفة»، و«شروحُه الوسطى» على كتابَي الشعر والخطابة لأرسطو، و«رسالة في المنطق»، وشرح لكتاب «ما بعد الطبيعة» لأرسطو، والشرح الأكبر على «ما بعد الطبيعة»، حتّى عرف بـ «الشارح الأكبر» لأرسطو. وله أيضاً: «فصل المقال فيما

بين الشريعة والحكمة من الاتّصال» في التوفيق بين العقل والنقل؛ و«كتاب مناهج الأدلّة في عقائد الملّة»؛ وله أيضاً: «الكلّيّات في الطبّ». اتّهم بالزندقة لقوله بقِدم العالم، وعلم الله للجزئيّات، والبعث.

ابن رَشِيْقُ القَيْرَوَانِيّ (أبو علي الحسن) (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) : مؤرّخ، شاعر ولغوي. له «العُمدة في صناعة الشعر ونقده». قال عنه إبن خلدون: «إنّ كتاب العمدة هو الذي انفرد بهذه الصناعة، وأعطاها حقّها. لم يكتب فيها أحدٌ قبله ولا بعده مثله».

ابن الرُّومِيّ (علي بن العبّاس) (ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م) : شاعر عربي. ولد في بغداد من أبٍ روميّ وأمّ فارسيّة. كان شاعرَ زمانه، هجّاءً، مدّاحاً، وصّافاً، مبتكراً للمعاني النادرة، متطيِّراً، متشيِّعاً، غزيرَ الإنتاج. غريب الأسلوب والفنّ. ضيّق الأخلاق متشائماً، خبيث اللسان. تغنّى بجمال الطبيعة. دسّ له القاسم بن عبيد الله، وزير المعتضد، السمّ، خشية أن يهجوه. ولمّا أحسّ بالسمّ يسري في أحشائه، وثب، فقال له الوزير: إلى أين؟ فقال: إلى حيث بعثتَني، فقال له الوزير: سلِّم على والدي، فأجابه ابن الرومي، والسمّ يقطّع أحشاءَه : ما طريقي إلى النار. ومات بعد عدّة أيّام، تاركاً ديواناً ضخماً.

ابن زُولاَق (أبو محمّد الحسن) (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) : وُلد بفسطاط مصر. درس الفقه، والتاريخ، وخصّ مصر بدرسه وبحثه. شهد في حياته ذهاب ملك بني الإخشيد، ومجيء الفاطميّين، وافتتاحهم مصر، ونشأة القاهرة عاصمتهم الجديدة. فاختار أن يكون مؤرّخ هذه المرحلة، لاتّصاله الشخصيّ برجالات الدولتَين، ولمشاهدته لأعمالهم عن كثب. من مؤلّفاته: ثلاثة كتب في تاريخ مصر، وهي : خطط مصر، تاريخ مصر، وفضائل مصر. ثمّ كتب أيضاً «سيرة المعزّ لدين الله»، و«سيرة الإخشيد». وقد دوّن الأحداث كشاهد عيان.

ابن زَيْدُون (أبو الوليد أحمد) (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) : أحد مشاهير الشعراء في الأندلس، وزير أمراء إشبيليّة. وُلد بقرطبة. ولرقّة شعره وعذوبته لقّب

بـ «بحتـريّ المغرب».. هام في حبّ وَلاّدة بنت المستكفي، ونظّم لها أروع الـقصائد وأجملَ الأشعار. ونافسه على حبّها الوزير ابنُ عبدوس، فكانت تقرّبه تارةً، وتقرّب غريمَه تارة أخـرى... خلّف ديوان شعر، ورسـالتَين في النثر: «الجديّة» اسـتعطف بها ابن جهور، و«الهزليّة» سخر فيها من ابن عبدوس وهجاه.

إبن سَبَأ (عبدالله) (ت ٣٨هـ/٦٥٨م) : يُلقّب أيضاً بابن السـوداء. يقول عنه أهلُ السنّة إنّه يهوديّ من صنعاء، اعتنق الإسلام في عـهد عثمان. زار الحجاز والبصرة والكوفة، ثمّ مصر. خرج على الناس ببدعة فظيعة حين قال: «العجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع، ويكذب برجوع مـحمّـد». وادّعى أنّ عليًا لم يمت، لأنّ فـيه جزءًا من الألـوهيّة، وأنّه سيـعود ليـملأ الأرضَ عـدلاً، وأنّ الرعد صوتـه، والبرق بسمـته، وأنّه وراء الغمـام. وقد أثار الفـتنة على عثمـان، وجمع السـاخطين عليه. ويقال: إنّ عليًا نفاه إلى المدائن. وقيل: بل أحرقه بالنار. وفيما هو يحترق قال: «الآن تأكّدتُ أنّ عليًا هو اللّه؛ لأنّـه لا يحرق بالنّار إلاّ اللّه». وهو رأس السبئيّـة الرافضة، وأوّل مَن أدخل مبدأ الرجعة.

إبن سَبْعين (أبو محمّـد عبد الحقّ) (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) : وُلد بمرسية. ومات منتـحراً بمكّة. فـيلسوف وصوفي أندلسي إشـبيلي. أنشـأ طريقة صوفـيّة خاصّة به. أبرز من مثّل مذهب الوحدة الوجوديّة المطلقـة، فأثار عليه حفيظة فقهاء المغرب وتونس، ممّا دعاه إلى الرحيل إلى المشرق.

اشتهر بنقده الفلاسفـة: الفارابي، وابن سينا والغزالي وابن رشد. ممّا قال في الغـزالي بأنّه «لسانٌ دون بيـان، وصوتٌ دون كـلام، وتخليطٌ جمَـع الأضداد، وحَيرةٌ تقطع الأكباد. مرّةً صوفيّ، وأخرى فيلسوف، وثالثة أشعريّ، ورابعة فقيه، وخامسة محيِّر. وإدراكه للعلوم القديمة أضعف من خيوط العنكبوت».

كما اشتـهـر بنقده للفقهاء، فأخذ عليهم أنّهم يتـعلّقون بالظاهر من الأعمال، دون الاهتمام بالباطن، وأنّهم لا يدركون سرّ التجرّد، ويتعلّقون بالأحاديث بحسب ظواهرها، ولا يهمّهم الآراء الحقيقيّة..

اشتهر برسالته: «الأجوبة عن الأسئلة الصقلّيّة»، وهي أسئلة فلسفيّة وجّهها فردريك الثاني إلى علماء سبته حيث عاش ابن سبعين. من هذه الأسئلة: حقيقة العالم، الغاية من علم الإلهيّات، المقولات الأرسطيّة وعددها، خلود النفس، تفسير الحديث النبوي لمحمّد: "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن».

إبن سَعْد الزُّهري (أبو عبدالله محمّد) (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) : يُعرف بكاتب الواقدي. وُلد في البصرة وتوفّي ببغداد، ودُفن فيها. ثقة. حافظ. عالم بالصحابة والتابعين. قيل: إنّه مكث ستّين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً. أشهر مؤلّفاته : كتاب «الطبقات الكبرى» وهو في سيرة النّبي والصحابة والتابعين إلى وقته. وهو «آخر جامعي السيرة من المتّصلين بالمصادر الأولى، وثاني مؤلّف بعد ابن إسحاق وصلنا كتابُه عن السيرة كاملاً، ولن يأتي مؤلّفٌ بعده بجديد فيها.

إبن السَّبِيْل : ذكره القرآن في قوله: «إنّما الصَّدَقاتُ للفقراء، والمساكينِ، والعاملِينَ عليها، والمُؤَلَّفة قلوبُهُم، وفي الرِّقابِ، والغارِمينَ، وفي سبيلِ اللّه، وَابْنِ السَّبِيْلِ، فريضةً من اللّه. واللّهُ عليم حكيم» (٩/ ٦٠). فابن السبيل هو المسافر المنقطع عن بلده، وليس لديه من المال ما يعينه على الوصول إليها. وهو من الأصناف الثمانية الذين تُدفع لهم الزَّكاة.

إبن السِكّيت (يعقوب أبو يوسف) (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) : إمام في اللغة والأدب. وُلد في بغداد. عيّنه المتوكّل مؤدِّباً لابنه المعتزّ. ثمّ أماته ضرباً. له: «إصلاح المنطق»، و«الألفاظ»، و«الأضداد». اشتهر بتفسير شعر الأقدمين.

إبن سَلاّم الجُمَحِيّ (محمّد) (ت ٢٣٢هـ/٨٤٦م) : مؤرّخ أديب. ولد بالبصرة. ذوّاقة في الأدب والشعر، وناقد، ولغوي. تقوم شهرته على كتاب «طبقات فحول الشعراء»، وهو من أقدم كتب النقد التاريخي والفنّي للشعر العربي. فيه قسم شعراء الجاهليّة إلى عشر طبقات؛ وله أيضاً: «غريب القرآن»؛ و«بيوتات العرب»؛ و«الفاصل في مُلَح الأخبار»، وغيرها.

إبن سَيِّد النَّاس (أبو الفتح محمّد) (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤) : من كتّاب

التراجم. ولد في القاهرة. أقام بدمشق حيناً، وبالقاهرة أحياناً، حيث توفي. صنّف سيرةً وافية للنّبي محمّد عنوانها: «*عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر*».

إبن سِيرِين (أبو بكر محمّد الأنصاري) (ت ١١٠هـ/٧٢٩م) : كان معاصراً للحسن البصري، ومن كبار التابعين، وإمام عصره في علوم الدين. كان أبوه ممّن سباهم خالد بن الوليد في عين التمر، وأمُّه مولاة لأبي بكر الصدّيق. وُلد ونشأ بالبصرة.. لمّا حضرتْ أنَس بن مالك الوفاةُ، أوصى أن يصلّي عليه ابنُ سيرين. لكنّ ابنَ سيرين كان في السجن في دَينٍ كان عليه. فقصد وفدٌ من أهل البصرة أميرَها واستأذنوه ليُفرج عن ابن سيرين، حتّى ينفِّذَ وصيّةَ أنَس بن مالك بالصلاة عليه، على أن يعود إلى سجنه بعد أداء الصلاة. وخرج ابن سيرين، وصلّى على أنس، وشيّعه إلى مثواه الأخير. ثمّ عاد إلى سجنه دون أن يذهب إلى أهله برّا بما وعد به. رَوَى عن أبي هُريرة، وعبدالله بن عمر، وأنَس بن مالك. توفّي ودفن بالبصرة.

إبن سِينْا (أبو علي الحسين) (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٧م) Avicenne : لقّب بالشيخ الرئيس. ولد في أفْشَنَة قرب بخارى. واستقرّ بها وفيها تلقّى العلم. حفظ القرآن ودرس الآداب حتّى بلغ العاشرة. أخذ بعلوم الإسماعيليّة. وفي سنّ الثانية والعشرين، اضطربت حياته، وكثر فيها الجدّ واللّهو، كما كثر فيها الإخفاق.

فيلسوف وطبيب وعالم من كبار فلاسفة الإسلام وأطبّائهم. برع في الرياضيّات والطبيعيّات والكيمياء والمنطق وعلم النفس والموسيقى وعلم النبات. وظهرت براعته في الطبّ النفسي. وانطلق في سنّ العشرين يجوب البلاد، ويناظر العلماء، ويتقلّب في أرفع المناصب. فقصده طلاّب العلم من كلّ صقع لينهلوا من معينه. وأكبّ على كتب أرسطو والفارابي وأفلوطين...

من مصنّفاته: كتاب «الشفاء» في الفلسفة، وكتاب «القانون» في الطبّ، وكتاب «الإشارات والتنبيهات»، و«النجاة»، و«الحدود» في الفلسفة والمنطق. وله

في النفس قصيدة مشهورة، مطلعها: «هـبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ / وَرْقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ». توفّي بهمدان. ودُفن فيها.

ابن شَاكِرُ الكُتُبِيّ (صلاح الدين، محمّد) (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) : عُرف بالكتبي، نسبة إلى مهنته تجارة الكتب. ولد في داريًّا القريبة من دمشق. عاش في فقر مدقع، حتّى تاجر بالكتب، فحاز منها علماً ومالاً. وصار مؤرّخاً وأديباً. خلّف عدداً من التصانيف، أشهرها «فَوات الوَفَيّات»، وهو ذيل كتاب «وفيّات الأعيان» لابن خلّكان؛ و«عيون التواريخ»؛ و«روضة الأزهار وحديقة الأشعار».

ابن طُفَيْل (أبو بكر محمّد) (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) : فيلسوف وعالم موسوعي أندلسي مشهور. اهتمّ بالطبّ والرياضيّات والفلك والشعر والموسيقى. أطلق عليه علماء النصارى «أبو باكِر» Abubacer ، وهو تحريف لأبي بكر. له قصّة فلسفيّة معروفة بـ «حيّ بن يقظان»، حاول فيها التوفيق بين الفلسفة والدين، وتعرف باسم «أسرار الحكمة الإشراقيّة».

فيها من آرائه الفلسفيّة جملة أمور، أهمّها: التوفيق بين الفلسفة والدين؛ وحدة الحقيقة ولو اختلفت المناهج إليها؛ الحقيقة للخاصّة غيرها للعامّة؛ الشريعة فيها باطن وظاهر؛ تدرّج المعرفة من حسّية إلى عقليّة إلى لدنيّة؛ التجربة طريق إلى المعرفة؛ الأخلاق مبنيّة على العقل؛ الموجودات مرتبطة بعضها ببعض ومتدرّجة حتّى تصل إلى وحدة الوجود؛ وأخيراً إنّ الفلسفة هي التي تساهم في تطوّر المجتمعات.

ابن طُولُون (أحمد) (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م) : مؤسّس الدولة الطولونيّة. قرّبه المستعين، فعيّنه والياً على مصر ٨٦٨. استقلّ بالحكم وأنشأ «القطائع» عاصمة جديدة له بالقرب من الفسطاط. مدّ سلطانه على مصر وسورية والثغور والموصل. بنى الجامع المعروف باسمه في القاهرة. خلفه ابنه خُمارَوَيه.

ابن طُولُون (محمّد) (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) : مؤرّخ دمشقي مشهور. من آثاره «القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة»، و«المعزّة فيما قيل في المزّة».

إبن الطَّيِّب (أبو الفرج عبدالله) (ت ٤٣٥هـ/١٠٤٣م) : طبيب وفيلسوف وكاهن نسطوري. عمل في البيمارستان العَضُديّ ببغداد. من آثاره «فردوس النصرانيّة»، و«فقه النصرانيّة».

إبن الطَّيِّب (أبو عبدالله محمّد) (ت ١١٧٠هـ/١٧٥٦م) : محدّث علاّمة باللغة والأدب. وُلد في فاس وتوفّي بالمدينة. تعلّم عليه المرتضى الزبيديّ صاحبُ «تاج العروس». له عدّة مؤلّفات، منها «إضاءة الراموس»، وهو حاشية على القاموس للفيروزباديّ.

إبن عَبْد البَرّ (يوسف) (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) : فقيه مالكي أندلسي. من آثاره «الاستيعاب في معرفة الأصحاب».

إبن عَبْد الحَكِيْم (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م) : وُلد وتوفّي بفسطاط مصر. درس الحديث والفقه، وبرع في الرواية. له كتاب «فتوح مصر وأخبارها»، وهو أوّل مَن دوّن سير الفتوحات الإسلاميّة لمصر والمغرب. فيه ٧ أجزاء في فضائل مصر، وما قيل فيها قبل الفتح من أساطير، وخطط مصر، وولاية عمرو بن العاص، وفتح أفريقية، وقضاة مصر، والأحاديث عن مصر وأهلها.

إبن عَبْد رَبِّه (أحمد) (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م) :مؤلّف أندلسي. قامت شهرته على مؤلّفه الشهير «العقد الفريد»، وهو من أهمّ مصادر الأدب في تراث العرب. قسمه إلى٢٥ كتاباً، وأطلق على كلّ كتاب إسم جوهرة. وسمّى الوسطى الثالثة عشرة «الواسطة». جمع فيه الأخبار والأنساب والأمثال والشعر والعروض والموسيقى والطبّ... أخذ عن «عيون الأخبار» لابن قتيبة، وعن الأصمعي والجاحظ، كما عن القرآن والأحاديث النبويّة وتراث اليونان والهند والفرس. ولمّا تصفّحه الصاحب بن عباد قال: «هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا».

إبن عَبْدُون (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) : شاعر أندلسي. متعدّد المواهب. وزر للمتوكل بن الأفطس. ثمّ اتّصل بالمرابطين. كان عالماً بالحديث، كاتباً، وشاعراً، أديباً، نحويًا، إخباريًا. قامت شهرته على قصيدة «البسّامة»، رثى بها ملك بني

الأفطس، وعرض أحوال الدهر وغدر الدنيا بأبنائها. وكانت وفاته في مسقط رأسه «بابرة».

إبن العِبْرِيّ (غريغوريوس أبو الفرج) (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) : وُلد في ملطية وتوفّي في مَراغة. من ألمع رجالات الأدب والعلم لدى السريان. درس الطبّ والفلسفة في طرابلس (لبنان). وكان أبوه طبيباً يهوديًا اعتنق النصرانيّة. عاش في أنطاكيّة، وبدأ فيها حياته الكنسيّة، فكان راهباً في أوّل الأمر؛ ثمّ أسقف حلب على اليعاقبة عام ١٢٤٦م. ثمّ مفريان الشرق عام ١٢٦٤م. ثمّ نُقل إلى تكريت. أشهر مؤلّفاته بالعربيّة: «مختصر تاريخ الدول»، وبالسريانيّة «التاريخ الكنسي»، و«منارة الأقداس».

إبن العَرَبِيّ (أبو بكر محمّد) (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) : إمام علاّمة حافظ قاضي. من أبرز علماء الأندلس وحفّاظها. ولد بإشبيلية. ثمّ رحل إلى مصر والشام وبغداد ومكّة. أتقن الفقه والأصول ومسائل الخلاف في الكلام. وتبحّر في التفسير. وبرع في الأدب والشعر. توفّي بفاس. فسّر آيات الأحكام في القرآن، ممّا يعتبر كتابه «أحكام القرآن» مرجعاً مهمّا للتفسير الفقهي عند المالكيّة.

إبن عَرَبِيّ (محيي الدين) (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) : أشهر أقطاب التصوّف الفلسفي في تاريخ الإسلام. ولذلك لقّب بالشيخ الأكبر. وُلد بمرسية. جال في الشرق واستقرّ أخيراً في دمشق حيث توفي، ودُفن عند سفح جبل قسيون حيث دُفن إبناه فيما بعد. هو من أنصار مذهب وحدة الوجود. كان يقول بأنّ كلّ الوجود هو مظهر للذات الإلهيّة. وبهذا كانت الأديان، في رأيه، تعتبر متكافئة. وكان يعتقد أنّه رأى محمّداً، وعرف الاسم الأعظم للّه، وأنّه اكتسب العلم من إملاءٍ إلهيٍّ وإلقاءٍ ربّاني. له: «الفتوحات المكّيّة»، و«فصوص الحِكَم»، و«مفاتيح الغيب»، و«التعريفات»، و«محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» في الأدب، و«ديوان شعر».

إبن عَسَاكِر (أبو القاسم عليّ) (ت ٥٧١هـ/١١٧٦م) : محدّث، حافظ، فقيه شافعي. رحّالة، مؤرّخ دمشق. ولد وتوفّي فيها، وحضر دفنه السلطان صلاح الدين الأيّوبي. رفيق السمعانيّ صاحب الأنساب في رحلاته. له «تاريخ

مدينة دمشق ومَن حلَّ فيها». يقع في ٨٠ مجلّداً، جمع فيه تراجم الرجال الذين لهم صلة بمدينة دمشق؛ كما فعل الخطيب البغدادي في مؤلّفه «تاريخ بغداد». خصّص المجلّد الأوّل لسيرة النبيّ، ثمّ راح يذكر فضائل دمشق، فاهتمّ بخططها ومساجدها وحمّاماتها وأفنيتها وكنائسها؛ ثمّ كتب عمّن اجتاز بها من الخلفاء والولاة والقضاة والعلماء والقرّاء والنحاة والشعراء والرواة؛ كما توسّع في الكتابة عن نواحيها ليشمل بلاد الشام، من صيدا وبعلبك والرقّة والرملة وحلب وغيرها.

وله أيضاً: تاريخ القدس، وتاريخ مكّة، وتاريخ المدينة المنوّرة، وتاريخ الخليل، وتاريخ عسقلان؛ ثمّ «معجم الشيوخ والنبلاء»، ومعجم الصحابة، ومعجم النساء، ومعجم أسماء القرى والأمصار، و«الإشراف على معرفة الأطراف»، في ٤٨ جزءًا، والموافقات، في ٧٢ جزءًا، وغيرها..

إبن عَطَاء اللّه السكَنْدَرِيّ (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) : عالم لغويّ أصوليّ بليغ فقيه متكلّم زاهد. تنقّل في طلب العلم بين القاهرة والإسكندريّة. متصوّف على الطريقة الشاذليّة. أخذ طريقه عن أبي العبّاس المرسيّ عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي.. له مؤلّفات عديدة منها: التنوير في إسقاط التدبير؛ لطائف المنن في مناقب أبي العبّاس المرسيّ وشيخه أبي الحسن؛ القول المجرّد في معرفة الاسم المفرد؛ تاج العروس في تهذيب النفوس؛ مفتاح الفلاح في كيفيّة السلوك والخلوة والذكر؛ عنوان التوفيق شرح قصيدة أبي مدين التلمساني؛ وأشهرها: الحِكَم العطائيّة، شرحها كثير من العلماء.

إبن عَطِيّة الأَنْدَلُسِيّ (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م) : إمام علاّمة شيخ المفسّرين. من غرناطة. وُلّي القضاء بمدينة المريّة. من أهمّ مؤلّفاته على الإطلاق وأشهرها تفسيره المعروف بـ «المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». لخّصه من كتب التفاسير كلّها. ينقل فيه عن الطبري كثيراً. وأحياناً يناقشه. كثير الاستشهاد بالشعر العربي. كثير الاهتمام بالصناعة النحويّة.

يقول الذهبي: قد أحسن في هذا التفسير وأبدع، حتّى طار صيته كلّ مطار، وصار أصدق شاهد لمؤلّفه بإمامته في العربيّة، وغيرها من النواحي العلميّة

المختلفة. ويقول فيه ابن تيميّة: «وتفسير ابن عطيّة خيرٌ من تفسير الزمخشري، وأصحّ نقلاً وبحثاً، وأبعد عن البدع وإنِ اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير. بل لعلّه أرجح هذه التفاسير»[1].

ومع شهرته، لا يزال مخطوطاً إلى اليوم، وهو يقع في ١٠ مجلّدات كبار، يوجد منه في دار الكتب المصريّة أربعة أجزاء (٣ و٥ و٨ و١٠).

ابن عَقِيْل (بهاء الدين عبدالله) (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) : نحويّ مصريّ من أئمّة النحاة. أشهر مؤلّفاته «شرح ألفيّة ابن مالِك».

ابن فَارِس (أبو الحسين أحمد) (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) :لغويّ كوفيّ المذهب. علّم في همذان. من تلاميذه بديع الزمان الهمذاني والصاحب بن عَبَّاد. له كتاب «المُجمَل في اللّغة» وهو معجم أبجديّ مهمّ. و«الصاحبيّ في فقه اللغة»، و«مقاييس اللغة».

ابن الفَارِض (عمر بن علي) (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م) : عُرف بابن الفارض لأنّ والدَه كان يثبت فروضَ النساء على الرجال بين أيدي الحكّام. نُعت بشاعر الحبّ الإلهي، وسلطان العاشقين. وُلد في القاهرة. عاش متنسّكاً زاهداً، وأقام في ربوع جبل المقطّم. وزار مكّة وقضى فيها وقتاً؛ ولكنّه عاد ليموت بالقاهرة. وهو مدفون عند سفح المقطّم في حديقة تطلّ على المدينة. له ديوان، أشهر ما فيه قصيدة معروفة باسم «التائيّة الكبرى» التي تصوّر في ٧٥٦ بيتاً من الشعر كلّ تجربته الصوفيّة، عرفت أيضاً بـ «نظم السلوك»، ثمّ الميميّة في الخمرة، أي المعرفة الإلهيّة، ومطلعها: «شَرِبْنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً سكِرْنا بها مِن قبْلِ أن يُخلَقَ الكرْمُ».

ابن قُتَيْبَة (أبو محمّد عبدالله) (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) : مؤلّف عربي. نحوي لغوي. فقيه ومحدّث. وُلد بالكوفة وتوفّي ببغداد. خراساني الأصل. أخذ عن الجاحظ وابن سلاّم الجُمَحي. من آثاره: «كتاب عيون الأخبار»، في ١٠ أجزاء، وهو

---

(١) إبن تيميّة، فتاوى، ٢/ ١٩٤؛ أنظر أيضاً مقدّمة أصول التفسير ص ٢٣.

من أشهر كتبه، جاء في مقدّمته: «لم أرَ صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواصّ الناس دون عوامّهم، ولا على ملوكهم دون سوقتهم. فوفّيت كلّ منهم قسمه، ووفّرتُ عليه سهمَه». وله أيضاً: كتاب «الشعر والشعراء»، و«أدب الكاتب»، و«كتاب المعارف»، و«كتاب المعاني الكبير»، و«كتاب تأويل مشكل القرآن»، و«كتاب تأويل مختلف الحديث»...

إبن القِفْطِيّ (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : وُلد في مدينة قِفْط من صعيد مصر. ثمّ قصد القاهرة طلباً للعلم. ورحل إلى القدس. ثمّ استقرّ بحلب. تولّى فيها القضاء. ثمّ وزر للملك العزيز. له كتاب «إخبار العلماء بأخبار الحكماء». يحتوي على ترجمة للأطباء والمنجّمين والحكماء من أقدم العصور إلى أيّامه، و«أخبار مصر»، و«تاريخ اليمن»، و«تاريخ المغرب»، و«أخبار النحويّين».. وغيرها. أوصى بكتبه للملك الناصر صاحب حلب.

إبن قَيِّم الجَوزِيَّة (محمّد) (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) : فقيه حنبلي، أصولي، محدِّث، نحوي، أديب، واعظ، خطيب. ولد ونشأ بدمشق. ثمّ توفّي بها ودفن بمقبرة الباب الصغير. تلميذ إبن تيميّة. كان، كأستاذه، يحارب الفلاسفة النصارى واليهود. له كتب عديدة منها: «هداية الحيارى من اليهود والنصارى»؛ و«كتاب الروح»؛ و«كتاب أخبار النساء»؛ و«شفاء العليل في القضاء والقدر»؛ و«زاد المعاد في هدى خير العباد»؛ و«هادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»؛ و«مدارج السالكين في منازل السائرين»... يرى خلود الثواب وعدم أبديّة العذاب في جهنّم.

إبن كَثِير (أبو معبد، عبدالله) (ت ١٢٠هـ/٧٣٨م) : أحد أئمّة القراءات العشر. وُلد بمكّة، وتولّى قضاءَها.

إبن كَثِير (أبو الفداء، إسماعيل) (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) : خطيب قرشي شافعي. حافظ، محدّث، فقيه، مفسّر، مؤرّخ. يُنسب إلى بُصْرى الشام لولادته فيها. وحين توفّي والده، رحل مع أخيه إلى دمشق. صحب الإمامَ ابنَ تيميّة فتأثّر بفقهه. وتوفّي بدمشق. ودُفن إلى جانب ابن تيميّة في مقبرة الصوفيّة.

أهم تصانيفه تاريخه العام: «البداية والنهاية في التاريخ» من بدء الخليقة إلى عصره؛ و«تفسير القرآن العظيم»، وهو أشهر ما دُوِّن في التفسير المأثور بعد تفسير الطبري. قدّم له بمقدّمة طويلة هامّة. وله أيضاً: «الفصول في سيرة الرسول» ؛ و«الاجتهاد في طلب الجهاد»؛ وغير ذلك.

إبن مَاجَه (أبو عبدالله محمّد) (ت ٢٧٣هـ/٨٨٧م) : مؤلّف أحد الصحاح الستة في الحديث. من أهل قزوين. سافر إلى العراق وبلاد العرب والشام ومصر ليجمع الأحاديث. وقرأ خلال تجواله موطأ مالك وصحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند أحمد. اشتهر بكتابه «السنن» الذي رتّبه على أبواب الفقه، مقتفياً آثار أبي داود والترمذي والنسائي في سننهم.

إبن مَاسَوَيْه (يوحنّا) (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) : طبيب نصراني سرياني. رائد المترجمين العرب في عصر النهضة. وعميد الترجمة المسؤول عنها على مدى عهود الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والمتوكّل. من آثاره «النوادر الطبّيّة»، و«كتاب الحميّات»، و«كتاب الأزمنة». تفوّق في علاج أمراض العيون والتأليف فيها، وله أيضاً: «خواص الأغذية والبقول والفواكه واللحوم والألبان وأعضاء الحيوان والأباريز والأفاويه»، وكتب أخرى عديدة في الطبّ.

إبن مَالِك (أبو عبدالله محمّد) (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) : لغوي أندلسي مشهور. توفّي بدمشق. له «الكافية الشافية» وهي أرجوزة في النحو، لخّصها بـ «الألفيّة»؛ و«لاميّة الأفعال»؛ و«شواهد التوضيح». تعلّم عليه ولدُه بدر الدين محمّد (ت ١٢٨٧) وصنّف: «شرح الألفيّة»، و«شرح لاميّة الأفعال».

إبن مُجَاهِد (أبو بكر أحمد) (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) : كبير علماء القراءات في زمنه. هو أوّل من حصر القراءات في سبع، وجمع أسانيدها، وأحصى طرقها. كان واحد عصره. أحصى له ابن النديم عدداً من المصنّفات، لم يصلنا منها شيء.

إبن مَسْعُود (عبدالله) (ت ٣٢هـ/٦٥٢م) : صحابي إبن صحابيّة. محدِّث. من السابقين إلى الإسلام. ينتسب إلى أوضع طبقات أهل مكّة، شأن الكثيرين ممّن

ناصروا النّبيّ في أوّل الأمر. يقال إنّه اعتنق الإسلام بعد معجزة: أي عندما كان محمّد وأبو بكر يفرّان أمام الكفّار، مرّا بابن مسعود، وكان يرعى غنماً، فطلبا منه بعض اللّبن، فأبى. وعندئذ تناول محمّد شاةً حائلاً من تلك الغنم، وضرب ضرعها الذي انتفخ، ودرّ لبناً غزيراً، ثمّ أعاده إلى حجمه السابق.

وهو الذي قطع رأسَ أبي جهل في غزوة بدْر. فعنه قال: أتيتُ النبيَّ يومَ بدْر، فقلت: يا رسولَ اللّه! إنّي قد قتلتُ أبا جهْل. قال صلّى اللّه عليه وسلّم: اللّه الذي لا إله غيره! لأنتَ قتلتَه؟! قلتُ: نعم. فاستخفَّه الفرح. ثمّ قال: إنْطلِقْ فَأَرِنيه. فانطلقتُ معه حتّى قمتُ به على رأسه، فقال: الحمد للّه الذي أخزاكَ. هذا فرعون هذه الأمّة. جُرُّوهُ إلى القُلَيب. قال: وكنتُ ضربتُه بسيفي فلم يعمل فيه. فأخذتُ سيفَه فضربتُه به حتّى قتلتُه. ففضّلني رسول اللّه، أي أعطاني، سلبَ أبي جهْل، زيادة عن سهم الغنيمة.

عن عبداللّه بن عمر قال: سمعتُ رسولَ اللّه يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد (أي إبن مسعود)، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة». وقال أيضاً: «مَن أحبَّ أن يسمع القرآن غضّاً كما أُنزِل فليسمعه من ابن أم عبد، أو فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

وهو أحد العشرة الذين وعدهم الرسول بالجنّة. أسند إليه ٨٤٨ حديثاً، جمعت في مسند أحمد. توفي بالمدينة. وصلّى عليه عثمان. ودُفن بالبقيع.

إبن مِسْكَوَيْه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) : فيلسوف ومؤرّخ. انصرف بادئ الأمر إلى الفلسفة والطبّ والكيمياء. ألّف كتاباً في التاريخ عنوانه: «تجارب الأمم»، وصل به إلى حوادث عام ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م مع أنّه عاش بعد ذلك حوالي ٥٠ سنة. وله أيضاً: «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق».

إبن المُعْتَزّ (أبو العبّاس عبداللّه) (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) : شاعر وأمير وهو ابن الخليفة المعتز العباسي من جارية. وُلّي الخلافة يوماً وبعض يوم بعد خلْع المقتدر. ولُقِّب بالمرتضي باللّه. أكبّ على دراسة الأدب واللّغة منذ حداثته. وكان

يلازم كبار العلماء والشعراء وأعلام الأدب في بغداد. وكانت له مكانة رفيعة في بلاط ابن عمّه الخليفة المعتضد. إنّه شاعر كبير. لم يقلّد شعراء العرب. يمتاز أسلوبه بالبساطة والسلاسة. وتناول جميع الفنون. وجلّ شعره في وصف حياة الترف. عني بوصف الخمر وذكرِ مجالس الشراب. له «ديوان» جمعه أبو بكر الصولي؛ و«طبقات الشعراء»؛ و«كتاب البديع». مات خنقاً.

إبن المُقَفَّع (أبو محمّد، عبدالله) (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م) : من أصلٍ فارسيّ. إسمه رَوْزَبَه بن دَادَوَيْه. كان أبوه وكيل الحجّاج في جباية الخراج في العراق وفارس.. سُئل مرّة «مَن أدَّبك؟ فقال: نفسي. إذا رأيتُ من غيري حُسناً أتيتُه، وإن رأيتُ قبيحاً أبيتُه». عُرف أسلوبه بالسهل الممتنع. وقد عرّف البلاغة بقوله: «هي التي إذا سمعها الجاهل ظنّ أنّه يُحسن مثلَها». اتُّهم بأنّه كان يبطن المزدكيّة. وكان هذا الاتّهام من أسباب هلاكه، إذ أوعز الخليفة المنصور لأميره على البصرة بقتْله، فقتله وهو في السادسة والثلاثين من العمر.

نَقل من الفهلويّة إلى العربيّة كتاب «كليلة ودمنة» الذي حمله من الهند الطبيب برزويه إبّان حكم الملك خسرو الأوّل أنوشروان. وصنّف بالعربيّة «كتاب الدرّة اليتيمة في طاعة الملوك»، وكتاب «الأدب الكبير» وهو في الأخلاق، وكتاب «الأدب الصغير»..

إبن المُقَفَّع (ساويرس) : كاتب قبطي عاش في أواخر القرن العاشر. أسقف الأشمونين. من مؤلّفاته «تاريخ بطاركة الإسكندريّة».

إبن مُقْلَة (محمّد) (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) : وُلد ببغداد. استوزره المقتدر والقاهر والراضي. اشتهر بالدسائس. قُبض عليه واعتُقل ومُثّل به أشنع تمثيل، وتُوفِّي في السجن. اشتهر بالعلم، كما اشتهر بأنّه أحد مبتدعي الخطّ العربي. وكان مضرب المثل في حسن الخط وجودته. لم يكن يحول بينه وبين مهنته هذه حائل، إذ لمّا قطع الراضي بالله يدَه لتآمره شدَّ القلمَ على ساعده وكتب به.

إبن مُلْجَم (عبد الرحمن) (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م) : خارجيّ. اغتال علي بن أبي

طالب في مسجد الكوفة. قُتل.

إبن مَنْظُور (محمّد بن مُكرَّم) (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) : خزرجي أفريقي. وُلد بطرابلس الغرب. عالم من علماء اللّغة. اشتغل بدار الإنشاء بالقاهرة؛ وولّي القضاء في طرابلس، ثمّ جاء مصر حيث وافاه الأجل. هو مصنِّف القاموس المشهور، المعروف باسم «لسان العرب». وهو أضخم المعاجم الذي اعتمد في شواهده على القرآن والسنّة والشعر الجاهلي. يقع في ٢٠ جزءًا. مرتّب بحسب نهاية اللفظة. وإذا كان كتاب «الصحاح» للجوهري شرح فيه مؤلِّفُه ٤٠ ألف مادّة، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي شرح فيه مؤلِّفه ٦٠ ألف مادّة، فإنّ معجم «لسان العرب» شرح فيه مؤلِّفُه ٨٠ ألف مادّة. يُعدّ لسان العرب أعظم موسوعة عربيّة جامعة في اللّغة والتفسير والحديث والشعر والحِكَم والأمثال وأخبار العرب ووصاياهم وبعض خطبهم. إنّه المرجع الأوّل لكلّ ناثر وشاعر.

إبن مَيْمُون (أبو عِمران موسى) (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) : فيلسوف يهوديّ. وُلد في قُرطبة. كانت سنّه ثلاثة عشر عاماً عندما سقطت قرطبة في أيدي الموحّدين الذين لم يقبلوا اليهود والنصارى بين ظهرانيهم، بل خيّروهم بين التحوّل إلى الإسلام أو الهجرة من المدينة، فنزح ابن ميمون عنها مع والده، وتشرّدت أسرته. ثمّ أبحرت إلى فلسطين عام ١١٦٥م، ونزلت بمدينة عكّا، ثمّ ببيت المقدس، واستقرّت أخيراً بالفسطاط. وكان طبيباً لصلاح الدين الأيّوبي. ولمّا مات، نُقل جثمانه، كما أوصى، إلى طبريّة بفلسطين. ولا يزال قبره بها إلى الآن يحجّه الناس. أهم تصانيفه الفلسفيّة «دلالة الحائرين» Guide des Egarés. وهو الكتاب الذي تستطيع به النفوس الحائرة بين العقل والوحي أن تصل إلى حالة من الطمأنينة الروحيّة.

إبن النَّدِيْم (محمّد بن إسحق) (ت ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) : وُلد ببغداد. عمل مع أبيه ورّاقاً وناسخَ كتب، فأُتيحت له معرفة جيّدة بالتصانيف والمصنِّفين. اشتهر بكتابه «الفهرست»، الذي يُعتبر أوّل مصنّف يتحدّث عن تاريخ العلوم والتأليف.

إبن النَّفِيْس (علي القَرْشي) (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) : وُلد بدمشق. رحل إلى القاهرة فدرّس فيها وصنّف. وصار رئيساً للأطبّاء فيها، حتّى قيل: «لم يكن في الطبّ على وجه الأرض مثله في زمانه، ولا جاء بعد ابن سينا مثله». وبرزت أهمّيّته العلميّة بعد اكتشافه للدورة الدمويّة الصغرى، ودقّة وصفه للأوعية الشعريّة. خلّف وراءه مصنَّفات عظيمة. من أبرزها: «شرح تشريح القانون»، و«شرح فصول أبقراط»، و«الشامل في الطبّ»، و«طريق الفصاحة»، و«الرسالة الكامليّة في السيرة النبويّة»، ولها طابع فلسفي شبيه برسالة حيّ بن يقظان.

إبن هَانِي (ت ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) : شاعر أندلسي. وُلد بإشبيلية. كان يُلقَّب بـ «متنبّي الغرب». نُفي من إشبيلية لأخذه بمذهب الفلاسفة وإمامة الفاطميّين. قُتل ببرقة. له «ديوان شعر».

إبن هِشَام (أبو محمّد، عبد الملك) (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م) : وُلد بالبصرة. وتلقّى علومَه فيها. رحل إلى مصر. وأقام بها. واجتمع بالإمام الشافعي. له كتاب «التيجان في ملوك حِمْيَر» يستند به إلى وهب بن منبّه. و«السيرة النبويّة» التي اعتمد في تصنيفها على محمّد بن إسحق، وهذّبها، ولخّصها. وشرح غريب أشعارها. وبها اشتهر. توفّي في الفسطاط بمصر.

ابتدأ سيرتَه بسرد نسب النبيّ محمد، وقد رجع به إلى آدم، مروراً بذكر أنساب عرب الجاهليّة، ثمّ إسماعيل بن إبراهيم وأجداده الأعلَين. كما عالج حياة رسول اللّه، بالتفصيل، سنةً فسنة، منذ نبوّات المتنبّئين عليه، قبل مولده، من أحبار اليهود، وأساقفة النّصارى ورهبانهم، وملوك العرب والعجم، والعرّافين.

ثمّ تكلّم على بدء دعوته، وما قاساه من عداء أهل قريش، وعلى هجرتَيه إلى الحبشة فراراً من المضطهِدين، وعلى قصده الطائف لدعوتها، ولكن من دون جدوى، وأخيراً إلى هجرته إلى يثرب، وعلى ذكر ما وقع له فيها مع اليهود وقوافل قريش، والغزوات والسرايا التي كانت تخضع له فيها قبائل العرب. ثمّ دخل ابن هشام في حياة النّبي الخاصّة، مع أزواجه، وحياته معهنّ، وفي أخلاقه وصفاته

الإنسانيّة. ووصف خلقـته وصفاً دقيـقاً، وفي مرضه وتمريضـه في بيت عائشة، وموته، وعلى أمرِ ثقيفة بني ساعدة واختيار أبي بكر الصدّيق أوّل خليفة له.

أهمّ مَن قام بشرح سيـرة ابن هشام عبد الرحمن بن عبـدالله السُّهَيلِي (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) في كـتـابه "الرّوض الأنِف في شـرح السـيـرة النبـويّة لابن هشام" حيث أراد في مقدّمته: «إيضاح مـا وقع في سيرة ابن إسحق التي لخّصها عبـد الملك بن هشام من لفظ غريب، أو إعـراب غامض، أو كلام مسـتغلَق، أو نسَبٍ عويص، أو موضعٍ فقهٍ ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمّتِه».

إلاّ أنّ ابن هشام، كما يقول عنه الشاعر العراقي، معروف الرصافي، «أساء إلى العلم وإلى الحـقيقـة معاً، باخـتصاره سـيرة ابن إسحـق، وحذفِه منهـا أموراً كثـيرة، لو ذُكرتْ لكنّا من سـيرة محـمّد على بصـيرة أكثـر ممّا نحن عليه الآن، لا سيّما حذفه كلّ ما جاء فيهـا من كلام لخصوم محمّد. ولا يمكننا الرجوع اليوم إلى سيرة ابن إسحـق لأنّها مفقودة غير مـوجودة. فابن هشام لم يعتصـرها بل قتلها وأماتها»[1]. وقال أيضـاً : «إنّ ابن هشام صاحب السـيرة المشهـورة قد جنى على العلم والأدب جناية كبرى باختصاره سيرة ابن إسحق، فإنّه لم يختصرها بل قتلها قتلاً وحـشيًا، فلم يبق منها إلاّ الإسم. ففقـدت سيرة ابن اسحق التي كتـبها مطوّلة والتي اختصرها هو بأمـر المنصور. فلا يوجد اليوم لها أثر. فأسـفاً على ما أصيب به العلم من فقدها»[2].

أبُو الأسْوَد الدُّؤَلِيّ (ت ٦٩هـ/ ٦٨٩م) : وُلد بمكّة قبل الهجرة بعام، ورحل إلى المدينة، وكان من التابعين. فقيـه، خطيب، شاعر، فارس. من أنصار عليّ بن أبي طالب، أرسله عـاملُ عليّ على البصـرة ليفـاوض عائشـة وطلحة والزُّبَيـر. وكذلك حضـر مع عليّ وقـعةَ صـفّين.. وكان على رأس الجـيش الذي أرسله ابنُ العـبّاس لقتـال الخوارج. توفّي في البـصرة. إليـه يُنسب «أصول النحو الـعربي». من أهم

(١) معروف الرصافي،**كتاب الشخصيّة المحمّديّة**، منشورات الجمل، ٢٠٠٢، ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٠٦.

إنجازاته : تنقيط المصحف وضبطه بالحركات. من تلاميذه الذين أكملوا عملَه: نَصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ/٧٠٧م)، ويحيى بن يعمر (ت ١٢٩هـ/٧٤٦م).

أبُو الأعْوَر (عمرو بن سفيان السُّلمي) : منْ قبيلة سُلَيم. كانت أمّه نصرانيّة. قاتَلَ أبوه في غزوة أُحُد في صفّ قريش. أمّا الابن فصحب يزيد بن أبي سفيان، وكان قائد وقعة اليرموك، ولعب دوراً هامّا في وقعة صفِّين، وقد ساعد عَمرو بن العاص على غزو مصر. وكان على رأس عدّة حملات بحريّة.. عدّه مؤرّخو العرب في صفّ أكابر قوّاد معاوية.

أبُو أيُّوب الأنْصَارِيّ (خالد بن زيد) (ت ٥٢هـ/٦٧٢م) : من بني النّجّار أخوال والد النبيّ. صحابيّ خزرجيّ. أسلم قبل الهجرة. شهد العقبة الثانية. نزل النبيُّ في بيته بعد هجرته. وآخى بينه وبين مصعب بن عمير المقرئ الذي نشر الإسلام في المدينة. شهد فتح مصر. وصحب عليًا في معركتَي حروراء والنهروان ضدّ الخوارج. خرج سنة ٥٢هـ مجاهداً في الجيش الذي أرسله معاوية لفتح القسطنطينيّة، بقيادة ابنه يزيد، فمات في الطريق.

أبُو بكْر الصِّدِّيق (عبدالله بن أبي قحافة) (ت ١٣هـ/ ٦٣٤) : لقبه عَتيق. يصغر النبيّ بثلاث سنوات. كان صديقَه قبل البعثة. وكان تاجراً ثريًا ذا ثروة كبيرة تقدّر بأربعين ألف درهم. اشتهر بالصدق والأمانة.. كان مِن أوائل مَن أجابوا دعوته. هو والد عائشة زوجة النبيّ. أوّل الخلفاء الراشدين (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م). حارب أهلَ الرِّدَة الذين انصرفوا عن أداء الزّكاة، وهزم مُسَيلِمة الكذّاب. وهمَّ بقتال الروم، غير أن عمر بن الخطّاب طالبه بالتأنّي وعدم المبادرة بالقتال، فصاح به أبو بكر: «لقد رجوتُ نصرَتَكَ يا عمر! أجَبّارٌ في الجاهليّة، وخَوّارٌ في الإسلام؟! واللهِ لو منعوني عقالَ بعيرٍ كان يُؤَدّى لرسول الله لقاتلتُهم عليه».

ذكره القرآن بأنّه «ثاني إثنين» (٩/ ٤٠). ولمّا اشتدّ بالرسول المرض عهد إليه أن يصلِّي بالمسلمين. ولمّا تمّتْ له «المبايعة» قام فألقى كلمة جامعة لا تزال دستوراً لكلّ خليفةٍ إسلاميّ، قال: «أيّها الناس! إنّي وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم.

فـإنْ أحسنتُ فـأعينوني، وإنْ أسـأتُ فقـوِّمـوني. الصدقُ أمـانة والكذبُ خيـانة، والضعـيف فيكم قويّ حتّى آخـذ له حقَّه، والقويُّ فـيكم ضعيف حتّى أسـتردَّ منه الحقَّ. أطيعوني ما أطعتُ اللّهَ ورسولَه. فإن عصيتُهما فلا طاعةَ لي عليكم».

وحين قربـتْ ساعاته الأخـيرة خـاف على المسلمين من أن يتـفرّقـوا بعده، فاستشـار الصحابة، فأجمعوا على عمر بن الخطّاب. وكتب العهد بذلك. وحين توفّي بايع المسلمون عـمر من دون أن يتخلّف أحد. وكانت وفـاتُه بالمدينة، حيث دُفن في الحجرة إلى جانب النبيّ.

أَبُو تُرَاب : كنية عليّ بن أبي طالب (أطلب مادّة : **عليّ**).

أَبُو تَمَّام (حبيب بن أوس الطائي) (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) : شاعر عـبّاسي. وُلد بالقـرب من دمشق.. كان أبوه نصـرانياً يُدعى تادروس. ثمّ أسلـم. قضى أبو تَمّام فترةً من شبابه بدمشق، حيث كان أبوه خمّاراً، وكان هو يخدم حائكاً. وانتقل من دمشق إلى حمص، وبدأ فـيها حياته الشـعريّة. ثمّ رحل إلى مصر وعاش فـيها من السقـاية بالجامع الكـبير، ودرس الأدب العـربي.. ثمّ انتقل إلى الموصـل حيث أمضى شطراً كـبيراً مـن حياته. اصطحب المعـتصم في حملـته على عمـوريّة عام (٢٢٣هـ/٨٣٨م). له ديوان «الحـماسـة»... توفّي بالموصل.. كتب الآمـدي كتـاب «الموازنة» بين أبي تمّام و البحتري، فأنصفه. امتاز بخياله الواسع.

أَبُو جَهْل (عَمرو بن هشام بن المغيرة) (ت ٢هـ/٦٢٣م) : أحد سادات مكّة، من بني مخزوم، إحدى عشائر قريش. عادى محمَّداً عداءً شديداً. واشترك بحماسٍ زائدٍ في كلّ المؤامرات التي دُبّرت ضدّه. أساء معـاملة الضعفاء من المسلمين. وكان يتعقّب النبيّ للإساءة إليه. نزلت فيه آية ٦ من سورة العلَق لّما قال: «لو رأيتُ محمّداً ساجداً لوطئتُ عنقَـه. فجاءه. ثمّ نكص على عقـبَيه. فقيل له: مـا لك؟ فقال: إنّ بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة». وفيه أيضاً نزلت آية ٦٢ من سورة الإسراء، وآية ٤٣ من سورة الدخـان، وذلك عندما سخر أبو جـهل من وصف النّبي لجهنّم. كان يكنّى بـ«أبـي الحِكَم»، فكنّاه حمزة بـ «أبي جَـهل». قُتل في وقـعة بدر على يد

عبداللّه بن مسعود، فاحتزّ رأسَه، وحمله إلى الرسول.. ولمّا رآه النّبيّ قال: «إنّه كان فرعونَ قومِه».

أبُو حَنِيْفَة النُّعْمَان (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) : ولد بالكوفة. فقيه، عالم، ورع، زاهد، تقيّ. فارسيّ الأصل، قال السيوطي: ذكر العلماء أنّ النبيّ بشّر بالإمام أبي حنيفة في قوله: «لو كان العلْم معلّقاً عند الثريّا لتناوله رجالٌ من أبناء فارس».

هو صاحب المذهب الحنفي المعتدل، وأحد الأئمّة الأربعة المجتهدين عند السنّة. يُروى أنّ يزيد عاملَ الأمويِّين على الكوفة، والخليفة المنصور العبّاسي، ضرباه بالسياط على أن يقبل منصب القضاء؛ ولكنّه لم يقبل؛ فحبسه المنصور حتّى تُوفّي في السجن متأثّراً بالمعاملة السيّئة التي عومل بها. تغلّبت الحنفيّة على سائر المذاهب الفقهيّة في الأمبراطوريّة العثمانيّة. معظمُ أهل السنّة في آسية الوسطى وفي الهند هم من أتباعها.

لم يؤلّف أبو حنيفة كتباً إلاّ ما يُنسب إليه ممّا أملاه على تلاميذه، وأهمّهم إثنان: أبو يوسف (ت١٨٢هـ/٧٩٨م) في كتاب الخراج؛ والشَّيباني (ت١٨٩هـ/٨٠٥م) في كتاب الجامع المختصر، اللّذان توسّعا في فقه أستاذهم، وأقاما المذهب الحنفي على قواعد راسخة، التي هي، بحسب إبي حنيفة، سبعة أصول، هي: ١– الكتاب؛ ٢– السنّة؛ ٣– أقوال الصحابة؛ ٤– القياس؛ ٥– الاستحسان؛ ٦– الإجماع؛ ٧– العرف.

أبُو حَيَّان التَّوحِيْدِيّ (علي) (ت بعد ٤٠٠هـ/١٠١٠م) : فقيه. فيلسوف. متصوّف. صاحب مصنّفات مختلفة وعديدة. توفّي بالغاً من العمر ثمانين عاماً. اختلفت الروايات في موطنه، كما سنة مولده. إلاّ أنّه كان على قيد الحياة في عام ١٠١٠م. صرف الجزء الأكبر من حياته في بغداد حيث درس النحو والفقه الشافعي والفلسفة على يحيى بن عدي. نُفي من بغداد لزندقته. وعاش في بلاط ابن عبَّاد بمدينة الريّ. وصرف الجزء الأخير من حياته في بغداد حيث كان يعيش في فقر مدقع. وفي أواخر أيّامه أُحرقت مكتبته. من مؤلّفاته : «الصداقة والصديق»؛ «الإمتاع والمؤانسة»؛ «رياض العارفين»؛ «المقابسات»؛ «مثالب

الوزيرين»؛ «الإشارات الإلهيّة»؛ «الحجّ العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحجّ الشرعي»؛ «رسالة في أخبار الصوفيّة»؛ «رسالة في الحنين إلى الأوطان». وهو، كابن الرّاوندي وأبي بكر الرّازي، وأبي العلاء المعرّي، أحد زنادقة الإسلام المشهورين.

أبُو دَاوُد السِّجِسْتَانِيّ (سليمان بن الأشعث) (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م) : إمام، فقيه، زاهد. طوّف في البلاد، والتقى بعلماء خراسان وأصفهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكّة ودمشق ومصر والجزيرة والثغور، فأخذ عنهم، وبخاصّة عن ابن حنبل، وكان شبيهاً به. تُوفيّ بالبصرة. أهمّ تصانيفه: مجموعة الأحاديث التي عرفت باسم «كتاب السنن»، وهو أحد الكتب الستّة التي يعتمد عليها أهل السنّة. لم يتعرّض فيه للمسائل التاريخيّة والخلقية والاعتقاديّة؛ إذ هو لا يتضمّن إلاّ الأحاديث المتعلّقة بالمسائل الفقهيّة. يحتوي على ٤٨٠٠ حديث.

أبُو الدَّرْدَاء (عُوَيمر بن مالك) (ت ٣٢هـ/ ٦٥٢م) : صحابيّ خزرجيّ. كان له صنم في الجاهليّة يعبده، وكان عبداللّه بن رَواحة الشاعر صديقَه يدعوه إلى الإسلام دون جدوى، حتّى دخل عبدُاللّه دارَ أبي الدرداء في غيابه، وحطّم صنمه. فلمّا عاد أبو الدرداء، ورأى حالة الصنم، قال: لو كان عند هذا خيرٌ لدافع عن نفسه. ثمّ انطلق إلى النبيّ فأسلم. وأصبح من الصحابة، وهو أحد الخمسة الذين جَمَعوا القرآن على عهد النبيّ. شهد المشاهد مع رسول اللّه. وهو من أكبر العلماء بالقرآن. كان في عهد عثمان إماماً وقاضياً في دمشق. وبها تُوفّي. وروى عنه أصحاب الحديث ١٧٩ حديثاً.

أبُو ذَرّ الغِفَارِي (جُنْدَب بن جُنادة) (ت ٣٢هـ/ ٦٥٢م) : صحابيّ اشتهر بورعه وتقشّفه. امتاز بفصاحة لسانه. يعتبره الشيعة مثالاً للمسلم التقيّ. لمّا أسلم قال له رسولُ اللّه: «إرجعْ إلى قومك فأخبرْهم حتّى يأتيكَ أمري». فقال أبو ذرّ: «والذي نفسي بيده، لأصرُخَنَّ بها بين ظهرانيهم». فخرج حتّى وقف أمام الكعبة، فنادى بأعلى صوته: «أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأشهد أنّ محمّداً رسول اللّه». فقام إليه المشرِكون فضربوه، حتّى جاء العبّاسُ، فقال: «ويلكم! ألستم تعلمون أنّه مِن

غَفـار، وأنّهم في طريقكم إلى الشام؟». فخـافوا أن يقطع بنو غفـار عليهم الطريق. فتركوه.

وبعد وفـاة النبيّ، ذهب إلى بادية الشام، فـأقام فـيها حـتّى وفاة عـمر بن الخطّاب، فـسكن دمشق، وراح يحـرّض الفقـراء على الأغنياء، فـأمره مـعاوية أن يتحوّل إلى الرَّبذَة. ففعل. وبقي فيها حتّى وفاته. يُنسب إليه ٢٨١ حديثاً.

أبُو رَائِطَة (حبـيب) (بداية القرن الـتاسـع) : فيلسوف ولاهـوتي ومجادل سريانيّ. ذُكـر أنّه كان أسقف تكريت. له رسالـتان في «التوحيـد والتثليث»، وفي «التجسّد»، و«دفاع عن النصرانيّة».

أبُو رِغَال (ت نحو٥٧٠م) : شـخـصيّـة أسطوريّة. يرجمه المسـلمون إبّان موسم الحجّ. قـبرُه بالمُغَـمِّس بين مكّة والطائف. يقال إنّه هو الرجـل المشؤوم الذي قاد أبْرَهةَ إلى مكّة. ويقال أيضاً إنّه كـان ملكاً على الطائف وجَدًّا لبني ثقيف. أهلكه اللّه لقسوته وجبروته.

أبُو زَيْد الهِلاَلِيّ : بطل قصص قـبائل بني هلال العربيّـة غزاة إفريقـية في القرن الحادي عشر.

أبُو السُّعُود (محمّد) (ت ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) : مفسّر شاعر من علماء الترك المستـعربين. وُلد بالقـرب من القسطنـطينيّة وتُوفّي فـيها ودُفن بجـوار أبي أيّوب الأنصاري.. تولّى القضاء في مدن عـدّة. ثمّ تولّى الفتوى نحواً من ٣٠ سنة. له في التفسير: «*إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*» ، في مجلَّدَين ضخمَين. يُعدّ غايةً في بابه، ونهـايةً في حسن الصوغ وجمـال التعبيـر. كشف فيه صـاحبُه عن أسرار البـلاغة القرآنيّـة بما لم يسبقـه إليه أحد. ومن أجل ذلك، ذاعت شـهرةُ هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنّه خير ما كُتب في التفسير.

أبُو سَعِيْد الخُدَرِيّ (ت ٧٤هـ/٦٩٣م) : صـحابيّ خزرجيّ. عالم فقيه. ردّه النبيّ يومَ أُحُد لصـغره. ثمّ حضـر معه بعـد أُحُد اثنتي عشـرة غزوة. كان عـفيف النفس بالرغم من فقره. وحدَّث عن ذلك فقـال: «أصبحتُ وليس عندنا طعام، فقالت

امَرأتي: ائتِ رسولَ اللّه فاسألْه. فأتيتُ النبيَّ وهو يخطب، فأدركتُ من قوله «مَن يستغنِ يُغنِه اللّه ، ومَن يستعففْ يَعفُّه اللّه». فما سألتُ أحداً. وما زال اللّه يرزقنا حتّى ما أعلم أهلَ بيتٍ من الأنصارِ أكثرَ أموالاً منّا».

أبُو سَعِيْد الخَرّاز (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) : من مشاهير الصوفيّة وأحد أعلام القرن الثالث الهجري. له «كتاب الصدق»، وهو الوحيد الذي بقي من آثاره. كان من الكتب التي يتوارثها الصوفيّة، ويحيطونها بالكتمان. لم تخدعه زخارف الحياة، فاختطّ لنفسه طريق الصدّيقين. لقد ابتدأ باحثاً عن اللّه فوجده ظاهراً في آثاره.

من أقواله: «كلّ ما فاتكَ من اللّه سوى اللّه يسير، وكلّ حظٍّ لك سوى اللّه قليل». إنّه أوّل من تكلّم في علم الفناء، أو سيّد من تكلّم في علم الفناء والبقاء. سُئل عن أوائل الطريق إلى اللّه، فقال إنّه التوبة. ومن مقام التوبة يترقّى حتّى يصل إلى مقام الأولياء. ويقول في المعرفة: كلّ باطن يخالف ظاهراً، فهو باطل.

أبُو سُفْيَان (صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف) (ت ٣١هـ/ ٦٥٢م) : من أشراف مكّة، وزعيم الحزب الذي عادى النّبيَّ. كان تاجراً ثريّاً. قاد قوافل مكّة الكبيرة عدّة مرّات. وقد وقف موقفاً عدائيًا حيال ما جاء به النبيُّ، شأن الكثيرين من كبار تجّار تلك المدينة. تزوّج النبيُّ ابنتَه **أمّ حَبِيبَة**، وهي لا تزال في الحبشة مع المهاجرين. قُتل ابن أبي سفيان حنظلةُ في وقعة بدْر، التي كانتْ وخيمة العاقبة عليه وعلى أمواله. وأُسر عَمرو ابنه الآخر، ولكنّه افتُدي فيما بعد بأسير من أنصار النبيّ.

وبعد فتْح مكّة جاءَه العبّاس يقول له: «ويلك! إشهد. فأسلم أبو سفيان. وكرّمه النبيّ. فأمَّن كلَّ مَن يدخل داره.. وولاّه النبيُّ على نَجران في حياته. واستمرّ في ولايته بعد موت النبيّ. شهد حصار الطائف، وغزوة اليرموك. ثمّ كانت وفاته بالمدينة. صلّى عليه عثمان. ودفن بالبقيع. وهو والد معاوية مؤسّس الأمويّة.

أبُو سُلَيمَان المَنْطِقِيّ (محمّد) (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م): فيلسوف عربي. تلميذ يحيى بن عدي. عاش في بغداد. قرّبه عَضُد الدولة. نقل أبو حيّان التوحيدي كثيراً

من أقواله في «المقابسات» و«الإمتاع والمؤانسة». له «صوان الحكمة»، وهو تاريخ الفلسفة اليونانيّة والإسلاميّة. وعنه أخذ الشهرستاني في كتاب «المِلَل والنِّحَل».

أبُو طَالِب (عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم) (ت ٦٢٠م) : عمّ النّبيّ. وهو الذي كفله عند وفاة جدّه عبد المطلب. كان رؤوفاً به، شفوقاً عليه، شديدَ الحبّ له. كان النبيُّ يصحبه في رحلاته التجاريّة. وشهد زواجه من السيّدة خديجة، ومنع عنه أذى قريش. واعترافاً بجميل عمّه، الذي كان فقيراً كثير العيال، قام النبيُّ بتربية ابنه عليّ. وكان له من الأولاد: طالب، وعَقيل، وجعفر، وعليّ، وأمّ هانئ، وجمانة، وريطة. ولمّا مات أبو طالب خسر النبيُّ خسارة عظيمة بموته وحزن عليه حزناً شديداً. وسمّي العام الذي مات فيه عام الحزن، لأنّ خديجة لحقت به بعد قليل. مات قبل الهجرة بثلاث سنوات وبعد بعثته بعشر. وكثرت الروايات في أبي طالب، هل أسلم، أم توفّي مشركاً؟ ونحن نجد أثراً لأهواء الفرق في هذه المسألة.

أبُو طَالِب المَكّيّ (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) : ١ . وُلد بالعراق. ونشأ بين بغداد وواسط. ثمّ هاجر إلى مكّة، وعاش فيها، ونُسب إليها. وتوفّي ببغداد. كان يعظ الناس في تطهير القلوب، وضرورة إخلاص النيّة والعبادة للّه، ومخالفة أهواء النفوس، ومجاهدة نوازعها، وضبط مشاعرها وخواطرها. وكان يحدّثهم عن مقامات الصالحين، وأحوال الموقنين، ومعارف أهل الولاية، وثمرات الطاعة.

٢ . نهج نهج الحسن البصري في التصوّف؛ وأحبَّ إبراهيم بن أدهم محبّة قويّة؛ وكان لسهل التستري مكانة رفيعة؛ ولأحمد بن سالم مقام كبير، إذ كان يصف ما كان يحدث له من مشاهدات ومطالعات وسياحات في الغيوب وجريان في الأخريات. فانقلبت له الأعيان، وظهر له العيان، وطوى له المكان، واجتمع حوله المريدون، الذين كانوا نواةً لفرقة «السالميّة» الصوفيّة بالبصرة.

٣ . كتابه «*قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد*» من أهم كتب التصوّف التي ظهرت في القرن الرابع الهجري. وهو يعطي صورة دقيقة للتصوّف في عصره، وقبل عصره. وفيه عن طريق التصوّف قوله:

«وهذا طريق رأس ماله الصدق، وزاده الصبر، وقوته التقوى. فمن عدم الصدق لم يربح، ومن لم يتزوّد الصبر انقطع، ومن لم يَقتَتِ التقوى هلك».

٤ . يقول ابن عباد الرندي في كتاب القـوت بأنّه «فتَحَ مغلَقَ علمِ التصوّف، وجمعَ فيه بين المعاني الصحيحة والألفاظ الحسنة، وذكرَ فروعَ علومهم وأصولَها، ورسم مسائلها وفصولها، فكان لذلك كـالمدونة في علم الفقه، يقوم مقام غيره، ولا يقوم غيـره مقامه». ووصـفه عبد الرحـمن الجامي بأنّه «مجمع أسـرار الطريقة». وأوصى الشيخ الشـاذلي بتدريسه وقـراءته: «عليكم بالقوت فإنّه قـوت»، ويقارن بينه وبين كتـاب «إحياء علوم الدين» للغزالي فـيقول: «كتاب الإحـياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور».

أبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّيّ (أطلب مادّة : **المتنبّي**).

أبُو العَاص (القاسم بن الربيع) (ت ١٢هـ/ ٦٣٤م) : صحابيّ. زَوج زينب كبرى بنات النبيّ التي أسلمتْ عقب نزولِ الوحي علـى أبيها، بيد أنّ أبا العاص أبى ذلك، وبقي، بعد هجرتها إلى المدينة، في مكّة علـى دين قومه. وأُسر يوم بدر، حتّى إذا بعثتْ قريش في فداء أسراها، دسّتْ زينب في الفداء قلادةً كانت خديجة أمّها قد أهدتْها إليـها يوم زواجها بأبي العـاص. فلمّا رآها رسول اللّه رقّ لها رقّـة شديدة، وقال لأصحـابه: «إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيـرَها، وتردّوا عليها مالَهـا، فافعلوا». فقالوا: نعم يا رسول اللّه. فأطلقوه.. وبعـد تجارة لأبي العاص في الشام، اعترضه مـسلمـون وأخـذوا مـاله. وتمكّن من الفـرار. وأتـى المدينة. واسـتـجـار بزينب. واستجارت هي بأبيها. ولمّا ردّوا له ماله، أعلن إسلامَه. فردَّ عليه النبيُّ زينب.

أبُو العَـبَّاس السَّـفَّاح (عبـداللّه) (ت ١٣٦هـ/ ٧٥٤م) : أوّل خلفاء الدولة العباسـيّة (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م). كان أبوه محمّد بن علي الحـفيدَ الأدنى لعمّ النبيّ. وبعد وفاة أخـيه إبراهيم، بويع له بالخلافة في مسـجد الكوفة. هزم أبو العبّـاس مَروانَ الثـاني آخرَ خلفاء بني أمـيّة هزيمةً منكَرة على نـهر الزّاب الأعلى (١٣٢هـ/ ٧٥٠م). وكان شـغله الشاغل حمـايةَ العرش من أي خطر، فاتّخـذ أشدّ التدابير. ونـعت نفسه بـ «السفّاح» لـكثرة ما سَفَك من دماء. طـارد الأمويّين وفتك

بكثيـر منهم، ونبش قبـورهم بدمشق. رفض دعـوة أخيه أبي جـعفـر المنصور له بالقضاء على أبي مسلم الخراساني. اتّخذ الأنبار مقرًا له. وفيها توفّي. وكان عمره حوالي الثلاثين عاماً. وكان قد أوصى بولاية العهد لأخيه المنصور.

أبو عبدالله الشيعي المحتسب (رَ:**المحتسب الشيعي**).

أَبُو عُبَيـدَة بن الجَرَّاح (عامر بن عـبدالله) (ت ١٨هـ/ ٦٣٩م) : صحابيّ. أحـد المسلمين العـشرة الذين وعـدهم النّبيّ بالجنّة. كـان في طليـعـة من اعتنقـوا الإسلام. اشتهر بشجاعته. شـهد بدْراً، وسارع إلى نصرة الرسول في وقعة أُحُد، كما صـحبه في جميع غـزواته. تولّى قيادة الجند في عدّة حمـلات. وكان له شأن كبير في انتـخاب أوّل الخلفاء الرّاشدين. ولاّه أبو بكر قيادة الجـيوش العديدة التي أرسلها إلى الشام. ثمّ ولاّه عـمر القيادةَ العليا للجـيوش الشاميّة، فـأخضع دمشق وحمص وأنطاكية وحلب وغيرها. توفّي بالطاعون. ودُفن في غور بيسان.

أَبُو العَتَـاهِيَة (إسمـاعيل بن القـاسم) (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م) : أحد فـحول الشعـراء في العصـر العبـاسي. وُلد في عين التمـر، بالقرب من الأنبـار. رحل إلى بغداد، صحبة المغنّي إبراهيم الموصلي. كنّي بأبي العتـاهية لميله إلى المجون والتعته في شعره. وصف جارية للمـهدي تُدعى عتبة، فأغضب الخليـفة الذي أمر بسجنه. ثمّ انصرف في عهد الرشيـد عن المجون إلى الزهد والتقشف، وترك الملذّات، ولبس الصوف، فكثـر في شعـره الحديث عن الزهد، وامتـلأ بالمواعظ والحكم والتذكـير بالموت. تميّز شـعره بالسهـولة والرشاقة والبـعد عن التكلّف. وتميّز بالزهد، كـما تميّز بالتشاؤم.

أَبُو العَلاَء المَعَرِّيّ (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٨م) : وُلد في معـرّة النعمان. شـاعر مفكّر، فيلسوف متشائم. لم يكد يبلغ الرابعة من عمره حتّى أصابه الجدري فأفقده عينَيه. درس في حلب وطرابلس وأنطاكـية. عاش في المعرّة معتـزلاً العالم متزهِّداً. كان رقـيق العاطفة، ثاقب العقل، لاذع الانـتقاد، دقيق الإحـساس، متبـرِّماً بالناس والدنيا، كثير التشاؤم. له: « سقط الزند»، و«اللزوميّات»، و«رسالة الغفران».

أَبُو عَمْرُو بنُ العَلاء (زَبّان) (ت ١٥٤هـ/ ٧٧١م) : ولد بمكّة وتوفّي بالكوفة وقد قارب التسعين عاماً. نشأ بالبصرة. لغويّ نَحويّ. من أقدم نحاة البصرة. جمع أشعار الجاهليّة، وهو واحد من القرّاء السبعة. علّم يونس بن حبيب والخليل بن أحمد، وعنه أخذ الأصمعي وأبو عُبَيدة.

أَبُو عِيسَى الوَرّاق (محمّد) (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) : فيلسوف معتزليّ. اتُّهم بالزندقة. له «كتاب المقالات» الذي اعتمد عليه البيروني والشهرستاني في دراساتهما عن الملل والنحل في الإسلام.

أَبُو الفِدَاء (إسماعيل عماد الدين الأيّوبي) (ت ٧٣٢هـ/ت١٣٣١م) : أمير عربيّ. مؤرّخ وجغرافيّ. وُلد بدمشق. وهو سليل أحد فروع الدولة الأيّوبيّة بمصر، وأمير حماة. توفّي بها. له «مختصر تاريخ البشر». يتناول فيه تاريخ ما قبل الإسلام، ثمّ تاريخ الإسلام إلى قبيل وفاته، أي عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م. وله أيضاً: «تقويم البلدان».

أَبُو فِرَاس الحَمَدَانِيّ (ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م) : شاعر عربي. وُلد في الموصل. وهو ابن عمّ سيف الدولة الذي كفله وربّاه بعد مقتل والده. ولمّا نشأ قلّده إمارة الجيش في الحرب، وأسند إليه ولايتَي منبج وحرّان، وهو في السادسة عشرة. أمضى حياته، شأن سيف الدولة، في المنازعات التي قامت على الحدود مع الروم. وفي عام ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م، سقط أسيراً في أيديهم. ثمّ نجح في الفرار. وقبض عليه ثانية عام ٣٥١هـ/٩٦٢م، وسيق إلى القسطنطينيّة، وسجن فيها ستّ سنوات. فداه سيف الدولة بمالٍ كثير. وولاّه على حمص. وبعد وفاة سيف الدولة، دبّ الخلاف بينه وبين سعد الدولة ابن سيف الدولة. وانتهت الأزمة بقتله قرب حمص. ترك ديوان شعرٍ في «الروميّات»، نظمه في السجن، وقد أودعه معاناته وحنينه وتبرّمه وعتبه على سيف الدولة لتأخّره في فدائه.

أَبُو الفَرَج الأَصْبَهَانِيّ (أطلب مادّة: **الأصبهاني**).

أَبُو قُبَيْس : جبل مقدّس يشرف على مكّة من شرقيِّها. فيه يوجد **غار حِراء**

حيث كان النبيّ محمّد و«الحمس» من أهل قريش يتحنّثون ويتعبّدون قبل دعوة محمّد. وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام.

أبُو قُرَّة (تيودورس) (ت ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م) : أسقف حَرّان الملكيّ. فيلسوف. له مؤلّفات جَدَليّة في الدفاع عن العقائد الدينيّة، مع اليعاقبة والنساطرة.

أبُو لُؤلُؤة (فيروز) :غلام فارسيّ. كان للمُغيرة بن شُعبة في المدينة. قَتَل الخليفةَ عمر بن الخطّاب في المسجد ٢٣هـ/ ٦٤٤م.

أبُو لَهَب : كنية أطلقها القرآن والمسلمون على عمّ من أعمام النّبيّ وخصم من ألدّ خصومه. واسمه الحقيقي عبد العُزَّى بن عبد المطلب. جمع ثروة طائلة ليدفع بها عاديةَ الأيام (رَ: ١١١/١– ٥). كان له ولدان: عُتبة وعُتيبة تزوّجا ابنتَي رسول اللّه: رُقَيّة وأمّ كلثوم.

أبُو نَعيم الأَصْبَهَانِيّ (أطلب مادّة: **الأصبهاني**).

أبُو نُوَّاس (الحسن بن هاني) (ت ١٩٩هـ/ ٨١٤م) : أحد فحول شعراء العرب. وُلد بالأهواز. وكان يرى في نفسه أنّه أقرب إلى الفارسيّة منه إلى العربيّة. وأمضى سني شبابه بالبصرة والكوفة. وأمضى سني رجولته في بغداد. قرّبه هارون الرشيد والأمين. أمّا المأمون فقد غضب عليه، وحرّم عليه أن يقول الشعر في الخمريّات. وكان للغلمان، إلى جانب الخمر، شأن كبير في حياة أبي نوّاس. على أنّه عزف في شيخوخته عن ملاذ الدنيا، وقصّر فنّه على الزهد.

أبُو مُسلِم الخَرَاسَانِي (ت ١٣٧هـ/ ٧٥٥م) : قائد فذّ، فارسيّ الأصل. رسول بني العَبَّاس في خراسان حيث استمال أهلها. وخضعت له نيسابور، وانتصر على «مروان بن محمّد» الأمويّ الذي فرّ إلى مصر، وانطوت به صفحة الأمويّين سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م... قتله الخليفة المنصور بعد خلافته لأخيه السفّاح مخافة مطامحه عن عمرٍ لا يتعدّى الأربعين سنة.

أبُو مَعشَر السِنْدِيّ (نَجيح) (ت ١٧١هـ/٧٨٧م) : مؤرّخ ومحدِّث. عاش في بغداد. له «كتاب المغازي». نقل عنه الواقدي والطبري.

أَبُو الهُذَيْل العَلاَّف (محمّد) (ت ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م) : متكلّم ومفكّر معتزلي. من أهمّ شيوخ المعتزلة. وُلد بالبصرة، ودرس فيها، ثمّ في بغداد على أحد تلاميذ واصل بن عطاء. ينفي الصفات عن الله، فكان يقول: إنّ الله يعلم وإنّ علمه ذاته.

أَبُو هُرَيرَة (عبد الرحمن بن صخر الأزدي) (ت ٥٩هـ/٦٧٨م) : أحد صحابة الرسول. لازم النّبيّ، وروى عنه من الأحاديث أكثر ممّا رواه غيره من الصحابة. وتقدَّر بـ ٣,٥٠٠ حديث. كنّاه الرسول بأبي هُريرة لهرّة صغيرة كان يحملها. استعمله عمر على البحرين، ثمّ عزله لانشغاله الكثير بالعبادة. ثمّ عرض عليه العمل ثانية فأبى. ذكر إبن قتيبة ما حدّث به أبو هُريرة عن نفسه، قال: «نشأتُ يتيماً. وهاجرتُ مسكيناً. وكنتُ أجيراً لبسرة بنت غزوان، بطعامِ بطني. فكنتُ أخدم، إذا نزلوا، وأَحْدو إذا ركبوا. فزوّجنيها الله. فالحمد لله الذي جعل الدينَ قواماً، وجعل أبا هُريرة إماماً». توفّي في المدينة.

أَبُو الهَوْل : تمثال فرعوني بالجيزة. طوله ١٧ م، وعلوّه ٣٩ م. عرفه اليونان باسم سِفِنْكْسْ، إحدى عجائب الفنّ وروائعه العالميّة. بناه خفرع نحو ٢٤٨٠ ق.م. رأسه رأس إنسان وجسمه جسم أسد. كان مطموراً في الرمال، والعرب الذين كانوا يجهلون الحضارة المصريّة القديمة نظروا إليه نظرة خوف تشوبها الخرافة. في عام ٧١١هـ/١٣١٢م وقع هذا التمثال في أيدي المنقّبين عن الكنوز، واستعملت أحجاره في بناء أحد المساجد. فشوّه تشويهاً كبيراً.

أَبُو وَهْب (صَفوان بن أميّة) (ت ٤٣هـ/٦٦٣م) : من أشراف قريش. أسلم بعد فتح مكّة.

أَبُو يَزِيْد البِسْطَامِيّ (أطلب مادّة: **البِسطامي**).

أَبُو يَعْقُوب السِّجِسْتَانِيّ (إسحق) (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م) : متكلّم من أشهر دعاة الإسماعيليّة في العهد الفاطمي. قُتل في سبيل عقيدته. أشهر آثاره: «كتاب الينابيع»، و«تحفة المستجيبين»، و«البرهان»، و«إثبات النبوّات».

أَبُو يَعْلَى (إبن الفَرَّاء محمّد) (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) : عالم بغداديّ. شيخ

الحنابلة في عصره. قرّبه القائم العبّاسيّ وولاّه القضاء. له تآليف كثيرة، منها: «الأحكام السلطانيّة»، و«الكفاية»، و«المُعتَمَد» في أصول الدين.

أبو يُوسُف القَاضِيّ (يعقوب بن إبراهيم) (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) : وُلد بالكوفة. درس على أبي حنيفة وكان أكبر أصحابه. وُلّي قضاء بغداد للمهدي والهادي والرشيد. وكان أوّل مَن لُقِّب بـ «قاضي القضاة». كما كان أوّل من اقترح زيًّا للعلماء يميّزهم عمّن سواهم. نبغ في حفظ الحديث. وكان لا يستعمل على القضاء إلاّ مَن كان حنفيًّ المذهب.. وافته المنيّة وهو في قضائه ببغداد. ومشى الرشيد في جنازته، وصلّى عليه، ودفنه بكرخ بغداد. ضاعت أكثر مصنّفاته عدا كتاب «الخراج» الذي صنّفه للرشيد، و«الموارد والنفقات»؛ وقد أبدى فيهما خبرة عظيمة.

الأبْوَاء : إسم مكان على طريق الحجّاج بين مكّة والمدينة، قريبة من الجُحْفَة. يبعد عن المدينة حوالي ١٥٠ كلم. يُقال إنّ آمنة أمّ النّبيّ توفّيت ودفنت فيه عند عودتها من المدينة، حيث كانت تزور قبرَ أبيه المدفون فيها. وكان النبيّ يرافقها، وعمره يومئذٍ ستّ سنوات. والأبواء إسم لأوّل غزوات محمّد، وقد تمّت في السنة الثانية من الهجرة. وهي اليوم مستورة.

أُبَيّ بن كَعْب (ت ٢١هـ/٦٤٢م) : من أحبار اليهود قبل إسلامه. وبعد إسلامه أصبح أحد القرّاء الأربعة، بل سيّد القرّاء، وكاتب الوحي. جمع القرآن في عهد رسول الله. ثمّ شارك في جمْعه أيضاً في خلافة عثمان بن عفّان. توفّي بالمدينة، فقال الناس فيه: مات سيّد المسلمين.

الإبْيُونِيَّة (Ebionisme) : ١ . فئة من اليهود-المتنصّرين، تبعوا المسيح، ورأوا فيه نبيّاً عظيماً من الأنبياء. لا يعترفون بألوهيّته؛ بل يقولون بأنّه رجل كسائر الرجال، جاءه الوحي بعد معموديّته على يد يوحنا المعمدان؛ أو بالحري إنّ المسيحَ المبدأ الأزلي دخل يسوعَ الإنسانَ يومَ عماده، وفارقه يومَ استشهاده. تقوم رسالته على التعليم والتبشير دون الفداء والخلاص.

٢ . يقبل الإبيونيّون إنجيلَ متّى وحده، ويسمّونه «الإنجيل بحسب العبرانيّين»، وهو نفسه إنجيل متّى الآرامي. ولكنّه ناقص ومزيّف، كما يشهد إبيفانوس، أسقف قبرص، أحد أكبر مَن عرّف بالإبيونيّة وبالإنجيل العبرانيّ.

٣ . أمّا فروضهم الدينيّة فتتركّز على الوضوء والاغتسال الدائم بالماء للتطهير، وعلى تحريم الذبائح المقرَّبة للأصنام. ويشدّدون جدًّا على أعمال البرّ والاهتمام باليتامى والعناية بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل. ويوصون بإعالة المحتاجين وإطعام الجائعين وإقراء الضيوف والغرباء... واسمهم يدلّ على ذلك، فهو من قول المسيح: «طوبى للفقراء»، وبلغتهم العبرانيّة: «طوبى للإبيونيّين».

٤ . ذكرهم إيرينِهْ في كتابه «ضدّ البدع»، وأوريجان في كتابه «ضدّ سِلْس»، وإبيفان في «الشامل في الهرطقات». دخل في شيعتهم معظمُ رهبان قُمران بعد خراب هيكل أورشليم، سنة ٧٠ م.، فهاجروا إلى الحجاز، وانتمى إليهم بعضُ القبائل العربية.

٥ . تتّفق تعاليمُ الإبيونيّة مع تعاليم القرآن، مثل: إنكار ألوهيّة المسيح، واعتباره نبياً عظيماً، والشبه الواقع على صَلْبه؛ وأيضاًمثل إقامة أحكام التوراة والإنجيل، والعناية بالمساكين، ووصف الجنّة بالملذّات الحسّيّة[1]...

الاتّحَاد : هو، عند الصوفيّة، «حال فناء» بين الخالق والمخلوق، أو هو امتزاج، أو حلول بينهما، بحيث تفنى إرادة المخلوق في إرادة الله، وصفاته في صفاته. وهذا، في الإسلام، من الآراء الضالّة، لأنّه يناقض عقيدة «التوحيد» الحقيقي.. أمّا في المفهوم المسيحي فالاتّحاد ممكن بين الله والبشر، إذ به يُصبح البشر مستحقّين الخلود؛ ولولاه لما كان لهم خلود.

الإتْيَان : هو أن يجامع الرجلُ امرأتَه أقلَّه مرّة في كلّ طهر، وإلاّ فهو عاصٍ لله، كما في قوله: «فإذَا تَطَهَّرْنَ فأتُوهُنَّ مِن حَيثُ أمَرَكمُ اللَّهُ» (٢/٢٢٢). ويقول الغزالي: «ينبغي أن يأتيها مرّة في كلّ أربع ليالٍ». وإتيان الرجل امرأتَه من

---

(١) رَ: كتاب «قسّ ونبيّ»، أبو موسى الحريري، سلسلة الحقيقة الصعبة، رقم ١.

الصدقات التي يُثيب اللهُ عليها. قال النبي: «ولكَ في جماع زوجتك أجرٌ. فقالوا: يا رسولَ الله! أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟! فكذلك إذا وضعها في حلال، كان له أجر».

الأثَر الشَّرِيف : جمْعها: الآثار الشريفة، وهي بعض مخلّفات يقال إنّها للنبيّ، مثل شعره، وأسنانه، وقطع من ملابسه، ونماذج من خطّه، وبعض أدواته، وطابع أقدامه بنوع خاصّ. وهذه الآثار محفوظة في المساجد وبعض الأماكن العامّة.. ويسمّي المسلمون، وكذلك المسيحيّون، الأثر «ذَخيرة».

الإثْنَا عَشْرِيَّة : إسم يُطلق على قِسمٍ من الشيعة، يقولون بوجود سلسلة من اثنَي عشر إماماً، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم محمّد المهدي. كلّهم من ذرّيّة عليّ وفاطمة، وهم: ١- عليّ، ٢- وابنه الحَسن، ٣- وأخوه الحُسين، ٤- وابن الحسين عليّ زين العابدين، ٥- وابن علي محمّد الباقر، ٦- وجعفر الصادق بن محمّد، ٧- وموسى الكاظم بن جعفر، ٨- وعلي الرضا بن موسى، ٩- ومحمّد التقيّ بن عليّ، ١٠- وعليّ النقي بن محمّد، ١١- والحسن العسكري بن محمّد، ١٢- وأخيراً محمّد المهدي بن الحسن الذي اختفى في سامرّاء سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، والذي سوف يظهر في آخر الزمان معلناً قيام الساعة، فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

وابتدأ كيان «الإثناعشريّة» يتثبّت مع إعلان الشاه إسماعيل الصَّفَوي، بعد اعتلائه العرش (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، أن يكون مذهب الإثنَي عشريّة هو المذهب الرسمي في إيران؛ فأمر الخطباء في آذربيجان أن تكون الخطبة باسم الأئمّة الإثني عشرة، كما أمر المؤذّنين أن يُضيفوا إلى الأذان صيغة الشيعة وهي: «أشهد أنّ عليًا وليّ الله». وقَتَلَ مَن لا ينصاع إلى هذه الأوامر الإلهيّة.

و«الإمامة»، عند الشيعة «الإثناعشريّة»، ركنٌ وأساسٌ لعقيدتهم. بها يختلفون عن أهل السنّة إختلافاً جوهريًا؛ وكذلك يتميّزون عنهم بمفهومهم الباطنيّ للقرآن، وبعصمة الأئمّة من الصغائر والكبائر من أوّل العمر حتّى آخره، وعلمهم لما

يحتاج إليه النـاس حتّى قيام السـاعة، وغيبة الإمام الثاني عشر ورجعته في آخر الدهر. وكذلك يتميّزون عنهم بقولهم بزواج المتعة، والبَداء، والعَول، والخُمُس، والأخذ بمحرّمات تتعدّى محرّمات أهل السنّة[1].

الاجْتِهَاد : ١ . هو الجهد الذي يقوم به الفقيه للحصول على رأيٍ ما، أو «ظنّ»، للوصول إلى قناعةٍ ما في قضيّةٍ ما. وبهذا يكون «المجتهد»، على نقيض «المقلِّد» الذي «يأخذ بمذهب غيره دون دليل». وهو أصل من أصول الشريعة الإسلاميّة؛ إنّما ليس هو تشريعاً، لأنّ التشريع لا يكون إلاّ من اللّه بواسطة رسله. وهو ضروريّ في الوقت الحاضر لكثرة الحوادث وانحصار النصوص. وضرورته تأتي من ناحيتَين: الأولى: ظنّيّة النصوص إذ نجد كثيراً منها تحتمل أكثر من وجه؛ والثانية: كون النصوص محصورة والحوادث كثيرة متعدّدة.

٢ . لا يجوز الاجتهاد في ما ثبت بدليل قطعي، كوجوب الصلوات الخمس والزكوات وباقي أركان الإسلام، وما اتّفقت عليه جليّاتُ الشرعِ التي تثبت بالأدلّة الشرعيّة. أمّا كلّ حكم شرعيّ ليس فيه دليلٌ قطعي فهو محل الاجتهاد. وهكذا، فإنّ الاجتهاد إنّما يكون في أمرٍ ليس فيه نصّ.

٣ . جاء في حديث نبويّ: إنّ للمجتهد أجراً إذا أخطأ، وأجرَين إذا أصاب. فوقوع المجتهد في الخطأ، إذاً، وارد. ولهذا، لا يصبح الاجتهاد عامّا ومعصوماً إلاّ إذا صار «إجماعاً». وهذا يعني أنّ بعضَ الأحكام لا يوجد فيها «إجماع». لهذا ظهرت في القرن الثاني الهجري المدارس الفقهيّة، التي اتّخذ كلٌّ منها منهجاً معيَّناً في الاجتهاد، وهي: الحنفيّة، والشافعيّة، والمالكيّة، والحنبليّة، والجعفريّة، والزيديّة، والإباضيّة. وكان لكلّ مدرسة رأي واجتهاد.

الأَجَل : لغةً: أجَلُ الشيء مدّتُه ووقتُه الذي يحلّ فيه. والآجل خلاف العاجل. كثيراً ما يُتبع القرآنُ الأجلَ بلفظ «مُسَمًّى»[1] توكيداً بأنّه غاية الحياة التي

---

(١) رَ: كتاب: الشيعة الإثناعشريّة، لـ جـ. قزّي، سلسلة الحقيقة الصعبة، رقم ٢٠، ط ٢٠٠٦.

(١) كما في الآيات التالية: ٢/ /٢٨٢؛ ٦/ ٢ و٦٠؛ ١١/ ٣؛ ١٣/ ٢؛ ١٤/ ١٠؛ ١٦/ ٦١؛ ٢٠/

كتبها الله على وجه لا يقبل التغيير (٣٩/٤٢) مثل قوله: «ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجلٍ مُسمًّى لقضى بينهم» (٤٢/١٤). ويُطلق الأجل المسمّى كذلك على المدّة الجارية على منوالٍ ثابت: «ألم ترَ أنّ اللَّهَ يولجُ الليلَ في النهارِ ويولجُ النهارَ في الليل، وسخّرَ الشمسَ والقمرَ. كلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسمًّى» (ر: ٣٥/١٣؛ ٣٩/٥). وكثيراً ما يُطلق الأجل المسمّى على المدّة المكتوبة لبقاء الدنيا (٦/٢ و٦١؛ ٣٥/٤٥). وبعد انقضاء الأجل المسمّى للدنيا يبدأ البعث، لا يستقدم ساعة ولا يستأخر.

الإجْمَاع : أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة والشريعة في الإسلام. وهو يعني اتّفاق المجتهدين على أمرٍ ما من أمور العقيدة والشريعة. وأساس الإجماع ما جاء في القرآن: «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ» (١٠/٧١)، وما جاء في حديث نبويّ: «إنَّ أمَّتي لا تَجتمع على ضلالة». ويُصبح الإجماع حجّةً في زمانه وفي الأزمان التالية. وعليه المعوّل اليوم في كلّ إصلاح وتطوّر. والإجماع لا يَنسخ ولا يُنسخ به، لأنّه لا يكون إلاّ بعد وفاة النبيّ. والنسخ لا يكون بعد موته. ولا ينسخ الإجماعُ الإجماعَ.

الإجْمَال : مِن أجمل، أي جمع الشيء من غير تفصيل. والمجُمَل هو ما لم تتّضح دلالته، فيكون بالتالي عامًا. أمّا ما لحقه البيان والوضوح فيخرج من الإجمال. ومعنى ذلك أنّ خفاءَه لا يُعرف بمجرّد التأمّل.

الإجْهَاض : اتّفق الفقهاء على تحريم الإجهاض بعد نفخ الروح –وهذا يكون، بحسبهم، بعد مائة وعشرين يوماً، كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه ابن مسعود مرفوعاً: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً نطفةً، ثمّ يكون علقةً مثل ذلك، ثمّ يكون مضغةً مثل ذلك، ثمّ يرسل المَلَك فينفخ فيه الروح» (البخاري ومسلم). أمّا حكم الإجهاض قبل نفخ الروح ففيه اختلاف.

الاحْتِجَام : الحجم لغةً: المصّ. وفعل المصّ يسمّى الحجامة. لهذا فهو غير

١٢٩؛ ٢٢/٥ و٣٣؛ ٢٩/٥٣؛ ٣٠/٨؛ ٣١/٢٩؛ ٣٥/١٣ و٤٥؛ ٣٩/٥ و٤٢؛ ٤٠/٦٧؛ ٤٢/١٤؛ ٤٦/٣؛ ٧١/٤.

الفصد الذي هو شقّ العرق لإخراج الدم منه.. وذهب الحنابلة إلى القول بأنّ الصوم يُفسَد بالحجامة، لأنّ دم الحجامة نجس.. وكذلك يجب أن ينزّه المسجد عن الحجامة فيه.

الاحْتِضَار: يقال: المحتضر هو مَن حضره الموتُ وملائكتُه. وهو مَن قَرُب موتُه. والاحتضار هو الإشراف على الموت بظهور علاماته، وهي كثيرة يعرفها المختصّون. ذكر منها الفقهاء: إسترخاء القدمَين، واعوجاج الأنف، وانخساف الصدغين، وامتداد جلدة الوجه.

يُسنّ للحاضِرين أن يفعلوه عند الاحتضار:

١ . بعد الموت مباشرة: اتّفق الفقهاء على أنّه إذا مات الميت شُدَّ لحِياه، وغمضت عيناه. ويقول مغمضه: بسم اللّه، وعلى ملّة رسول اللّه. اللّهمّ يسّر عليه أمرَه، وسهّل عليه ما بعده. وأسعدْه بلقائك، واجعل ما خرج إليه خيراً ممّا خرج منه. ويليّن مفاصله، ويردّ ذراعيه إلى عضديه، ويرد أصابع كفّيه. ثمّ يمدّها، ويرد فخذيه إلى بطنه، وساقيه إلى فخذيه. ثمّ يمدّها..

٢ . الإعلام بالموت: يُستحبّ أن يُعلَم جيرانُ الميت وأصدقاؤه حتّى يؤدّوا حقّه بالصلاة عليه والدعاء له. كما يُستحبّ أن يُسارَع إلى قضاء دَينه، أو إبرائه منه. عن أبي هُريرة مرفوعاً: «نفسُ المؤمن معلّقة بدَينِه حتّى يُقضَى عنه»[1]. واتّفق الفقهاء على أنّه إن تيقّن الموت يُبادر إلى التجهيز، ولا يؤخَّر، لقول النبي: «لا ينبغي لجيفة مسلم أن تُحبس بين ظهري أهله»[2].

٣ . التلقين، أي تلقين المحتضر: «لا إله إلاّ اللّه»..

٤ . قراءة القرآن، يندب قراءة سورة يس. قال رسول اللّه: «ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلاّ هوّن اللّه عليه». وزادت الحنابلة قراءة الفاتحة.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٤٠، ط. المكتب الإسلامي؛ والترمذي ٣/ ٣٨٠، ط. مصطفى الحبي؛ والحاكم، ٢/ ٢٧، ط. دار الكتاب العربي، من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣/ ٥١٠، ط. الدعاس؛ والبيهقي، ٣/ ٣٨٦، ط. دار المعرفة...

٥ . التوجيه : يوجَّه المحتضر للقبلة عند شخوص بصره إلى السماء، لا قبل ذلك، لئلاّ يفزعه، ويوجَّه إليها مضطجعاً على شقّه الأيمن اعتباراً بحال الوضع في القبر، لأنّه أشرف عليه.

٦ . بلُّ حلْقِ المحتضر بالماء، أو تندية شفتيه بقطنة، لأنّه ربّما ينشف حَلقُه من شدّة ما نزل به فيعجز عن الكلام، فيسهل عليه النطق بالشهادة.

٧ . يكره النوح والصياح وشقّ الجيوب في منزل الميت.. ولا بأس بالبكاء بدمع. والصبر أفضل. عن ابن مسعود عن الرسول: «ليس منّا مَن ضرَبَ الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليّة»(٣).

٨ . ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ تغسيل الميت واجب كفاية بحيث إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

الاحْتِكَار : لغةً: حبْس الطعام إرادة الغلاء. أمّا في الشرع فقد عرّفه الشافعيّة بأنّه: إشتراء القوت وقت الغلاء، وإمساكه، وبيعه بأكثر من ثمنه، للتضييق. والاحتكار محظور لقول النبيّ: «المحتكر ملعون» (رواه ابن ماجه والحاكم)، وقوله: «مَن احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد برئ من اللّه وبرئ اللّه منه».

الاحْتِلَام : هو لما يراه النائم من المباشرة، فيحدث معه إنزال المني غالباً. وهو ما يسمّى أيضاً: الإمناء، لكن لا يُقال لمن أمنى في اليقظة محتلم؛ والجنابة، إلاّ أنّ الجنابة قد تكون من الاحتلام، وقد تكون من غيره كالتقاء الختانين؛ كما أنّ الاحتلام قد يكون بلا إنزال فلا تحصل الجنابة. والاحتلام عادةً هو علامة البلوغ.

الأَحَد : لغةً: من الواحد، أوّل الأعداد. والأحَد من أسماء اللّه الحسنى، الخاصّ بالذات الإلهيّة. لا يُنعت به غير اللّه، الذي لا ثاني له في ربوبيّته، ولا في ذاته، ولا في صفاته. ورد في القرآن مرّة واحدة فقط في قوله: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (١١٢/ ١).

---

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري، ٣/ ١٦٦، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/ ٩٩، ط. الحلبي.

أُحُد : ١ . جبل يقع شمال شرق المدينة بـ٤ كلم. عنده أجمعت قريش أمرَها على الثأر لقتلاها في بَدر، فجهّزتْ مع حلفائها جيشاً من ٣ آلاف مقاتل، ونزلوا عنده. وعندما حميت المعركة بينهم وبين المسلمين، قُتل **حمزة** بن عبد المطّلب، واستُشهد **مصعب** بن عمير وكان يحمل لواء المسلمين، فأوعز النبيّ إلى **عليّ** بن أبي طالب أن يحمل اللواء، فرجحت كفّة المسلمين.. وبادروا إلى الغنائم مسرعين..

٢ . وكُسرتْ رباعيّة رسول اللّه، وشُجّ وجهه، وجُرحت شفته، وسال الدم على وجهه.. وشاع في الناس أنّ النبيّ قد قُتل، فاختلّتْ صفوف المسلمين، وتفرّقوا.. فاطمأنّت قريش لما قامت به من ثأرٍ لقتلاها في بدْر، فعادت إلى مكّة. وجُرح من المسلمين يومئذٍ مائة وخمسون، واستشهد سبعون. وعاد الباقون إلى المدينة. وكانت معركة أُحُد في ١٥ شوّال من السنة الثالثة للهجرة/مارس ٦٢٥م.

٣ . «ولقد كانت غزوة أحُد منعطفاً مهمّا جدًا في مسيرة الإسلام، ودرساً بليغاً وعاه المسلمون على امتداد تاريخهم. ولقد سجّل القرآن، في نحو ستّين آية من سورة آل عمران، وقائعَ هذه الغزوة، وما ارتبط بها من عظات وعِبَر استوعبها المسلمون جدًا، فكانت نبراساً لهم في مستقبل حياتهم ودعوتهم».

الإحْدَاد : هو امتناع المرأة من الزينة مدّةً مخصوصة في أحوال مخصوصة. وامتناعها من البيتوتة في غير منزلها. والإحداد واجب عليها في عدّة الوفاة.. لا إحداد على الرجل، ولا على المطلّقة رجعيًا.. أمّا إحداد المرأة على قريبٍ غير زوج فهو لمدّة ثلاثة أيّام فقط، ويحرّم الزيادة عليها. لقول النبيّ: « لا يحلّ لامرأة تؤمن باللّه واليوم الآخِر أن تحدّ فوق ثلاثٍ إلاّ على زوج فإنّها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً» (أخرجه البخاري ومسلم). وللزوج منعُها من الإحداد على القريب. وهذا ممّا جاء في القرآن: «والذينَ يُتَوَفَّونَ منكم ويَذَرُونَ (يتركون) أزْواجاً يَتربَّصْنَ بأنفسِهِنَّ أربعةَ أشهرٍ وعشراً» (٢/ ٢٣٤).

الأحَديّة : هي عدم قبول الذات الإلهيّة للإنقسام. وهذا يدلّ على أعلى مرتبة للذاتِ الإلهيّة. وهي أكثر دلالةً على ذات اللّه من لفظ «الوحدانيّة». لهذا كان خلاف واسع بين الذين يقولون بـ «وحدانيّة» اللّه والذين يقولون بـ «أحديّته»:

فالوحدانيّة تعني أنّ اللّهَ واحد في طبيعته؛ أي طبيعة إلهيّة واحدة قد يُحتمل أن يكون فيها عدّة ذوات، أو أشخاص، أو أقانيم، كما يقول المسيحيّون؛ أمّا الأحديّة فتعني أنّ اللّهَ واحد في طبيعته وفي ذاتيّته أيضاً؛ أي أنّ الطبيعة الإلهيّة الواحدة ليس فيها سوى ذات واحد. من هنا قوله: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» (١١٢/ ١).

الإِحْرَاق : منه: ١ . إحراق أشجار الكفّار في الحرب : إذا كان في ذلك نكاية بالعدوّ، ولم يُرجَ حصولها للمسلمين، فالإحراق جائزٌ اتّفاقاً.. أمّا إذا رجي حصولها للمسلمين، ولم يكن في إحراقها نكاية، فإنّه محظور. وأمّا إذا كان في إحراقها نكاية، ويرجى حصولها للمسلمين، فذهب الحنفيّة والشافعيّة إلى كراهة ذلك، بل صرّح الشافعيّة بندب الإبقاء حفظاً لحقّ الفاتحين. وذهب المالكيّة إلى وجوب الإبقاء. وإذا كان لا نكاية في إحراقها، ولا يُرجى حصولها للمسلمين، فذهب الحنفيّة والمالكيّة إلى جوازه. أمّا الحنابلة فالأصل عندهم مراعاة مصلحة المسلمين في القتال.

٢ . وإحراق المواشي والبنيان : المواشي تُذبح وتُحرق، ولا تُترك للعدوّ، لأنّ الذبح يجوز لغرض صحيح، ولا غرض أصحّ من كسر شوكة الأعداء وتعريضهم للهلكة والموت.. وكذلك تخريب البنيان لهذا الغرض المشروع.

الإِحْرَام :لغةً: من أحرَمَ، ومعناه الامتناع؛ وضده «الإحلال»، ومعناه الإباحة. واصطلاحاً: يدلّ الإحرام على حالة مقدّسة، أو على الإمساك عن أمرٍ ما بدافع ديني.

١ . يُستعمل لفظ الإحرام في حالتَين: حالة الحجّ أو العمرة، وحالة الإمساك أو الاستغراق في أثناء الصلاة. ويُستعمل أيضاً في حالة ثالثة للدلالة على اللّباس الأبيض، أو الإزار الذي يُرتدَى عند أداء الحجّ أو العمرة. ويكون الإحرام في هذه الحالة ثوباً أبيضَ غير مخيط، يتكوّن من قطعتَين: الإزار، وهو ثوب يستر الجسم من السرّة إلى الركبتَين؛ والرداء، وهو ثوب يُرسل على الكتف الأيسر والظهر والصدر، ويُعقد طرفاه عند الجانب الأيمن.

٢ . ويُقال أيضاً: أحرم الرجل إذا دخل في الشهر الحرام؛ وأذا دخل في الحَرَم، أي حرم مكّة وحرم المدينة؛ وأيضاً إذا دخل في حرمة عهدٍ أو ميثاق. وقد يطلق على الدخول في الصلاة، مقروناً بالتكبيرة الأولى فيقولون: «تكبيرة الإحرام».

٣ . ينقسم الإحرام، بحسب ما يقصد المحرم أداءه به من النسك، إلى ثلاثة أقسام: «الإفراد»، وهو أن ينوي الحاجّ في إحرامه الحجَّ أو العمرة فقط؛ و«القران»، وهو الجمع بين النسكين، فيؤدّي العمرة في أشهر الحج؛ و«التمتّع»، وهو الترفّق بأداء النسكين في أشهر الحجّ في سنة واحدة (يعود التمتّع إلى ٢/١٩٦).

٤ . يبدأ الحاجُّ أو المعتمرُ عادةً لبْسَ الإحرام عند اقترابه من مكّة. وعندئذ يمنع الشرع المُحْرِمَ من النكاح، والتطيّب، وإراقة الدم، والصيد، واقتلاع النبات.

٥ . يبدأ الإحرام في **المَوَاقِيت** التي هي أزمنة وأمكنة معيّنة لعبادة. ومنه يُعلم أنّ للإحرام نوعين من الميقات: الميقات الزماني والميقات المكاني:

الميقات الزماني للإحرام بالحجّ يكون في شوّال وذو القعدة وعشر من ذي الحجّة، من قوله: «الحَجُّ أشْهُرٌ مَعلومَاتٌ. فمَن فرَضَ فيهنَّ الحَجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدالَ في الحجِّ» (٢/١٩٧). أمّا ميقات العمرة فهو في كلّ أيّام السنة.

والميقات المكاني للإحرام بالحجّ يختلف باختلاف مواقع الناس: فميقات أهل المدينة: **ذو الحليفة**؛ وميقات أهل الشام: **الجحفة**؛ وميقات أهل نجد: **قَرْن المنازل**، وهو جبل مطلّ على عرفات، ويسمّى الآن: السيل؛ وميقات أهل اليمن وتهامة والهند: **يلملم**، وهو جبل من جبال تهامة جنوب مكّة؛ وميقات أهل العراق وسائر أهل المشرق: **ذات عِرْق**. ومَن سلك طريقاً ليس فيه ميقات معيّن، برّاً أو بحراً أو جوّاً، اجتهد وأحرم إذا حاذى ميقاتاً من هذه المواقيت المذكورة. وينبغي أن يأخذ بالاحتياط لئلاّ يجاوز الميقات غيرَ محرم، وخصوصاً راكب الطائرة.

٦ . ومن **محظورات الإحرام** أنّه لا يحلّ للرجل المحرم أن يستر جسمَه كلَّه، أو بعضه، بشيء من اللباس المَخيط.. ويستر جسمه فيلبس رداء يلفّه على نصفه

العلوي، وإزاراً يلفّه على باقي جسمه.. وأجاز الحنفيّة والشافعيّة تقلّد السيف مطلقاً، أمّا المالكيّة والحنابلة فقيّدوه بالحاجة؛ لأنّه ليس من اللبس المعتاد المحظور على المحرم... أمّا عند النساء فينحصر محظور الإحرام في أمرين فقط: الوجه واليدين؛ أي يحرم على المرأة في الإحرام ستْر وجهها.. ولكن، إذا أرادت أن تحتجب بستْر وجهها عن الرجال، جاز لها ذلك؛ وإذا خشيت الفتنة، أو ظنّت، فإنّه يكون واجباً... ومن المحظورات أيضاً: حلْق الرأس، وإزالة الشعر من أيّ موضع من الجسم، وقصّ الأظافر، والادّهان، والتطيّب.

٧. ويحرم **الصيد** أيضاً بالكتاب: «يا أيُّها الذين آمنوا لا تَقتُلوا الصَّيدَ وأنتُمْ حُرُم» (٥/ ٩٥)؛ وقال أيضاً: «وحُرِّمَ عليكم صيدُ البَرِّ ما دُمتم حُرُماً» (٥/ ٩٦).. أمّا صيد البحر فحلال: «أُحِلَّ لكمْ صَيدُ البَحْرِ وطَعامُهُ مَتاعاً لكم وللسَّيَّارَة» (٥/ ٩٦). ويحرّم على المحرم أكلُ لحم الصيد، وحلبه، وأكل بيضه، وشَيُّه..

٨. ويحرم على المحرم بإجماع الأمّة **الجماع** ودواعيه الفعليّة، أو القوليّة، وقضاء الشهوة بأي طريق. والجماع أشدّ المحظورات حظراً، لأنّه يؤدّي إلى فساد النسك. ودليل ذلك قوله: «فمَنْ فَرَضَ فيهِنَّ الحَجَّ فلا رَفَثَ (أي إتيان النساء)، ولا فُسُوقَ (أي خروج عن الطاعة)، ولا جِدالَ (أي مخاصمة) في الحجّ» (٢/ ١٩٧).

الأحْرُفُ السبْعَة (أطلب مادّة: **القرآن/ الأحرُف السبْعة**).

الأحْزَاب: السورة رقم **٣٣** من سور القرآن. آياتها: **٧٣**. وهي أيضاً إسم الغزوة التي وقعت حوادثها في شهر شوال سنة **٥** هجريّة/ مارس ٦٢٧م. بين المسلمين وقريش ومَن تحالف معهم من يهود بني النضير، وقبيلة غطفان، وبني سليم، وأسد، وفزارة، وأشجع، وبني مرّة. فتجمّعوا في نحو عشرة آلاف مقاتل، وزحفوا لغزو المدينة والقضاء على محمّد والمسلمين.

وكادت تدور الدوائر على محمّد والمسلمين لولا إشارة سلمان الفارسي إلى النبيّ بحفْر خندق. وكان طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع وعمقه نحو ذلك. وبذلك سمّيت غزوة الأحزاب بغزوة الخندق.. وشدّد الحلفاء الحصار

أكثر من عشرين يوماً. وعبثاً حاول الأحزاب إكمال القتال. وفي ذلك يقول القرآن: «وردَّ اللّهُ الذينَ كَفَروا بغَيظِهِم لم ينالوا خيراً. وكفى اللّهُ المؤمنينَ القتالَ (بإرساله الريحَ والملائكة). وكان اللّهُ قويًا عزيزاً» (٣٣/ ٢٥).

الإحْسَان : لغةً : هو «فعْل ما هو حسن، مع الإجادة في الصنع»؛ وشرعاً: هو «أن تعبد اللّه كأنّك تراه. فإنْ لم تكنْ تراه فإنّه يراك» (البخاري). والإحسان أمر اللّهُ به: «إنَّ اللّهَ يَأمُرُ بالعَدلِ وَالإحْسانِ» (١٦/ ٩٠). وهو كالروح يسري في كلّ أمور المسلم؛ قال النبيّ: «إنّ اللّهَ كتبَ الإحسانَ على كلّ شيء» (مسلم).

ويتنوّع الإحسان تبعاً لما جاء في القرآن: «واعْبُدوا اللّهَ، ولا تُشْرِكوا به شيئاً، وبالوالِدَينِ إحْسَاناً، وبِذي القُرْبَى، واليتَامَى، والمَساكِينِ، والجارِ ذي القُربَى، والجارِ الجُنُبِ، والصَّاحبِ بالجَنْبِ، وابنِ السَّبيلِ، وما مَلَكتْ أيمانُكم» (٤/ ٣٦)، أي أن يقوم المسلم ببرّ الوالدين، وطاعتهما، وكفّ الأذى عنهما، وإيصال الخير إليهما، والدعاء لهما؛ وكذلك أيضاً يكون للأقارب، بالرحمةِ بهم، والعطفِ عليهم؛ ولليتامى، بصيانة حقوقهم، وعدم قهرهم؛ وللمساكين، بسدّ جوعتهم، والحثّ على إطعامهم؛ ولأبناء السبيل، بإرشادهم، وهدايتهم؛ ولعامّة النّاس، بالتلطّف في القول، والمجاملة في المعاملة، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وردّ حقوقهم..

الإحْصَار : ١ . لغةً: المنع من بلوغ المناسك بمرضٍ أو نحوه. وعند الفقهاء، «المحصور فاقد الماء والتراب الطهورَين، بأن حُبس في مكان نجس».. إلاّ أنّهم استعملوا الـ«حصر» ومشتقاته في باب الحجّ والعمرة للدلالة على منْع المحرم من أركان النسك.. وموجب الإحصار قوله: «وَأتِمُّوا الحجَّ والعُمرةَ للّه. فَإنْ أُحْصِرْتُمْ (أي مُنعتم عن إتمامهما بعدوٍّ)، فما استَيسَرَ مِنَ الهَدْيِ (وهو شاة). ولا تَحْلِقوا رؤوسكم حتّى يَبلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّه (أي حيث يُحلُّ ذبحُه)» (٢/ ١٩٦).

٢ . ويكون الإحصارُ لأسبابٍ عدَّة: أو فتنة بين المسلمين، أو منع السلطان، أو الحبس، أو منع الدائن مدينه عن المتابعة، أو العدّة الطارئة، أو منع الوليّ الصبيّ عن المتابعة، أو موت مَحْرَم المرأة، أو زوجها في الطريق، أو مَرض، أو كسر أو عرج، أو هلاك النفقة، أو هلاك الراحلة، أو عجز عن المشي، أو ضلالة عن الطريق.

٣ . ويجب على المحصر ذبح الهَدْي لكي يتحلّل من إحرامه.. ما يُهدى إلى الحرم من الإبل والبقر والغنم والماعز خاصّة.

الإحْصَان : لغةً: المنع. ومن معانيه: العفّة والتزوّج والحرّيّة. وفي الاصطلاح: الإحصان في الزنى، والإحصان في القذف.

١ . حَدُّ قاذف المحصن «ثمانون جلدة» لقوله: «والذينَ يَرمُونَ المُحْصَنات، ثمّ لمْ يأتُوا بأربعةِ شُهَداء، فاجلِدوهم ثمانينَ جَلدةً. ولا تَقبَلوا لهم شَهادةً أبَداً. وأولئكَ همُ الفاسقونَ إلاّ الذينَ تابوا» (٢٤/ ٤-٥).

٢ . المسلم المتزوّج من كتابيّة، إذا زنى، يُرجم عند أكثر الفقهاء؛ ولا يُرجم عند أبي حنيفة، لأنّه لا يُعتبر محصناً، لأنّ الكتابيّة، عنده، لا تحصن المسلم؛ وعند الجمهور: إنّ الذمّيّة تحصن المسلم، ويستحقّ الرجم إذا زنى. وإذا كان أحدهما محصناً والثاني غير محصن رُجم المحصن وجُلد غير المحصن.

٢ . يثبت الإحصان في الرجم بالإقرار الصحيح؛ أو بشهادة شاهدين، لا بأربعة كما هو الحال في الزنى.. واتّفق الفقهاء على وجوب رجم المحصن إذا زنى حتّى الموت، رجلاً كان أو امرأة. وأهمّ شروط إحصان القذف: العفّة.. أمّا الإسلام فليس شرطاً في الإحصان..

الأحْقَاف : سورة **٤٦**. آياتها: **٣٥**، وهو إسم يُطلق على المعوّج من الرمل. ويُطلق بصفة خاصّة على الصحراء الرمليّة الشاسعة، وهي وادٍ باليمن فيها منازل قوم عاد. جاء في القرآن: «واذْكُرْ أخَا عادٍ إذ أنْذَرَ قومَه بالأحْقَاف» (٤٦/ ٢١).

الإحْلاَل : لغةً: من أحلَّ ضدّ حرّم. يُقال: أحللتُ له الشيء، أي جعلته له حلالاً. ويأتي بمعنى آخر وهو أحلَّ، أي دخل في أشهر الحِلّ، أو جاوزَ الحَرَمَ، أو حلّ له ما حرّم عليه من محظورات الحجّ. واستعمل الفقهاء «التحلّل» في مسألة الخروج من الإحرام؛ واستعملوا «الاستحلال» في مسألة جعل المحرَّم حلالاً؛ واستعملوا «التحليل» في مسألة المطلَّقَة ثلاثاً؛ واستعملوا «الحلول» في مسألة الدَّين المؤجَّل؛ واستعملوا «الإحلال» بمعنى الإبراء من الدَّين أو المظلمة.

أحْمَد : إسم من أسماء النّبي. ورد في القرآن مرّة واحدة على لسان عيسى بن مريم، إذ قال: «ومُبَشِّراً برسولٍ يأتي مِن بعدي اسمُهُ أحْمَدُ» (٦١/٦). هذا القول لا شبيه له في العهد الجديد. إنّما هو ترجمة خاطئة لما جاء في يوحنّا عن «الفارقليط» (يو ١٤/١٦؛ ١٥/٢٣-٢٧).

الأحْمَدِيّة : أتباع ميرزا غلام أحمد قادياني (ت ١٩٠٨م)، من قاديان من أعمال البنجاب؛ ويُطلق عليها أيضاً إسم «القاديانيّة». توجد اليوم في الهند وأفغانستان وفارس وبلاد العرب ومصر.. وتتّفق عقائدها، في الجملة، مع الإسلام، ولكنّها تخالفه في ثلاث: طبيعة المسيح، ودعوة المهدي، والجهاد: المسيح، في معتقدهم، لم يُصلب، ولكنّه مات في الظاهر فقط، ودُفن في قبر خرج منه بعد ذلك، وهاجر إلى كشمير ليعلّم الإنجيل، وتوفّي هناك بالغاً من العمر ١٢٠ عاماً. أمّا في ما يتعلّق بدعوة المهدي فتعني أنّها الدعوة إلى السلام. أمّا الجهاد فيجب أن يُلغى لأنّه قد استنفد أغراضه، فلا داعي إليه بعد أن زالت الفتنة في الدِّين.

ومن آرائها المخالفة للإسلام أيضاً: عدم جواز صلاة الأحمدي خلف إمام غير أحمديّ؛ والحكم على مَن لم يؤمن بدعوة الأحمديّ بالكفر؛ وعدم جواز زواج الأحمديّة بغير أحمدي. وعندما توفّي ميرزا عام ١٩٠٨م.، قام بزعامة الفرقة صدر أنجمن، وتولّى شؤونَها.

الأحْنَفُ بن قَيْس (ت ٧٢هـ/ ٦٩١م) :سيّد بني تميم في البصرة. من دهاة العرب وقادتهم في صدر الإسلام.

الأحْوَال : لغةً: جمع حال، وهو ما يختصّ بالإنسان من أموره المتغيّرة؛ واصطلاحاً: عرّفه الصوفيّة بأنّه «معنىً يَرِدُ على القلب من غير تعمّد منهم، ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم، من طرب أو حزن، أو بسط أو قبض، أو شوق أو انزعاج، أو هيبة أو اهتياج».

والأحوال من مواهب اللّه للمقبلين عليه، المنشغلين بذكره، الراغبين في مرضاته وقربه.. وإذا حلّت الأحوال بالقلب فإنّه لا يستطيع لها دفعاً ولا منعاً؛ وإذا

حُجبت عنه فإنّه لا يستطيع لها طلباً ولا كسباً؛ ولذلك قالوا: إنّ الأحوال مواهب، وهي تأتي من عين الجود لا ببذل المجهود.

الاخْتِضَاب : إستعمال الخضاب. والخضاب هو ما يغيّر به لون الشيء من حناء ونحوه. مثلها: **الصبغ والصّبَاغ**، وهو ما يصطبغ به من الإدام؛ **والتطريف** أي خضب أطراف الأصابع، يقال: طرفتِ الجاريةُ بنانَها، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء، وهي مطرّفة؛ **والنقش**، وهو النمنمة، يقال: نقشه ينقشه نقشاً وانتقشه، نمنمه، فهو منقوش.

الاخْتِلاَس : خطْف الشيء بسرعة على غفلة من صاحبه، مع الهرب.

الاخْتِلاَف : اختلف الأمران لم يتّفقا. وهو يُستعمل في قولٍ بُني على دليل؛ أمّا **الخلاف** فهو في ما لا دليل عليه.. الخلاف أعم مطلقاً من الاختلاف. وينفرد الخلاف في مخالفة الإجماع ونحوه. هذا، ويستعمل الفقهاء «التنازع» أحياناً بمعنى الاختلاف. والمشهور أنّ اختلاف مجتهديّ الأمّة في الفروع رحمة لها وسعة. عن ابن عبّاس قال: «اختلاف أصحابي لكم رحمة». وعن عمر بن عبد العزيز: ما أحبّ أنّ أصحاب رسول اللّه لم يختلفوا، لأنّه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق، وأنّهم أئمّة يُقتدَى بهم..». وعن يحيى بن سعيد قال: «إختلاف أهل العلم توسعة. وما برح المفتون يختلفون». وقال ابن عابدين: الاختلاف بين المجتهدين في الفروع –لا مطلق الاختلاف– من آثار الرحمة. فإنّ اختلافهم توسعة للناس. قال: «فمهما كان الاختلافُ أكثر كانت الرحمة أوفر».

الإخْشِيدِيُّون : أسرة تولّت حكم مصر ما بين (٣٢١–٣٥٨هـ/٩٣٣–٩٦٩م). أسّسها محمّد بن طُغْج الإخشيديّ الذي خلفه في الحكم إبناه: أبو القاسم أونوجور، ثمّ أبو الحسن عليّ. والإخشيد لقب يعني «ملك الملوك» منحه الخليفة العبّاسيّ الراضي باللّه لمحمّد بن طُغْج.. وعند حكم الحمدانيّين في حلب تمكّن الإخشيد من احتلال دمشق، ثمّ الحجاز.. وعند وفاته وتسلّم ابنه أبي القاسم كانت السلطة الحقيقيّة في يد قائد جيوشه الخَصيّ الأسود كافور. وفي سنة ٣٥٥هـ/

٩٦٦م أعلن كافـور نفسَه صـاحب الأمر والنهي في مـصر. وبموت كافـور انتهى حكم الإخـشيديّين وانتـقل إلى الفاطمـيّين بقيـادة جوهر الصَّـقلّيّ سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م.

الأخْطَل (غِيـاث التَّغلبي) (ت٩٢هـ/ ٧١٠م) : شاعـر عربيّ نصـرانيّ من كبار شعراء الأمويّين. اشتهر بمدحهم وهجاء أعدائهم. له نقائض هجائيّة مع جَرِير، وديوان جمَعَ قصائدَه السكّري.

الأخْفَش : لقب ثلاثة من مـشاهيـر النحاة : الأكـبر (ت ١٧٧هـ/٧٩٣م)؛ الأوسَط (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م)؛ والأصغر (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢٠م).

الإخْلاص : السورة **١١٢** من القرآن. آياتها: **٤**. تؤكّد أَحَدِيَّةَ اللّه ووحدانيّتَه وصَـمـدانيّـتَه، والتي تـنزّهه عن الشـريك. وتسـمّى أيضـاً سورة «الـتوحـيـد»، و«الصمد»، و«التجريد»...

أخْنُوخ : إسم عـبـري، معـناه «مكرّس»، أو «مـحنّك». وهو ابن يارد ووالد متوشـالح (تك ٥/ ١٨ و٢١)، وهو السابع من آدم، من نسل شيث. يخـبرنا الكتاب المقـدّس أنّ أخنوخ سار مع اللّه، أي أنّه عـاش ٣٦٥ سنة في طاعـة اللّه (تك ٥/ ٢٢ و٢٤)؛ نُقل من الأرض، لأنّ اللّه أخـذه (تك ٥/ ٢٤؛ سي ٤٤/ ١٦؛ ٤٩/ ١٤؛ لو ٣/ ٣٧). وقد فـسّر كاتب الرسـالة إلى العبرانيّين هذا القـول بأنّ اللّهَ نقله لكي لا يَرى الموت (عب ١١/ ٥). ويذكـر يهـوذا في رسـالتـه عـد ١٤-١٥ أنّ أخنوخ تنبّـأ عن القضاء الذي يحلّ بالأشرار (أطلب مادّة: **إدريس**).

إخْوَانُ الصَّفَاء : جماعـة سياسيّـة دينيّة شيعيّـة إسماعيليّـة. ظهروا عام (٣٧٣هـ/٩٨٣م). اتّخـذوا البصـرة مـقرًا لهم. كـان همّـهم السـعي إلى سعـادة نفوسـهم بالوفاء بـعضـهم إلى بـعض، وبالتبـحّر بالعلوم التي تطهّـر النفس. لهم رسائل فـي شتّى العلوم، تبلغ ٥١ رسـالة، يُضاف إليـها الرسـالة الجامـعة، وهي خلاصتـها. تنقسم هذه الرسائل إلى ٤ أقسـام، وهي: ١- قسم الرسائل التعليـميّة والرياضيّة والمنطقيّة (١٤ رسالة)؛ ٢- قسم الرسائل الطبيعيّة بما فيها علم النفس

(١٧ رسالة)؛ ٣- قسم الرسائل الماورائيّة (١٠ رسائل)؛ ٤- قسم الرسائل الناموسيّة الإلهيّة والفلكيّة (١١ رسالة).

يذكر أبو حيّان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» من مؤلّفي هذه الرسائل: أبا سليمان محمّد بن مشير البستي المشهور بالمقدسي، وأبا الحسن علي بن هارون الزنجاني، ومحمّد بن أحمد النهرجوري، والعوفي، وزيد بن رفاعة. يأخذون من كلّ مذهب بطرف. جعلوا للحساب دوراً كبيراً في مذهبهم. وخلاصة مذهبهم أنّ العالَم صادر عن اللّه، وقد فاض عنه، وأنّ اللّه علّة كلّ فيض. وأوّلوا القرآن تأويلاً رمزيًا.

الإِخْوَانُ المُسْلِمُون : جمعيّة أسّسها حسَن البنّا في الإسماعيليّة بمصر عام ١٩٢٨. دعت إلى نهضة إجتماعيّة ثقافيّة دينيّة، وإعادة الحكم الإسلامي بموجب الشريعة الإسلاميّة القائمة على القرآن والسنّة.

إدْرِيْس : إسم نبيّ ورد ذكره مرّتَين في القرآن : «واذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صدِّيقاً نبيًا. ورَفَعناه مكاناً عليًا» (١٩/٥٧-٥٨)؛ «إسماعيل وإدريس وذا الكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرين» (٢١/ ٨٥). وهو نفسه أخنوخ المذكور في التوراة في صفاته الثلاث: ورعه، وعمره ٣٦٥ سنة على الأرض، ورفعه إلى السماء. وفي القصص الإسلاميّة، يبدو إدريس أوّل من حاك الثياب وارتداها، وكان الإنسان قبله يرتدي الجلود، فهو إذاً «راعي الخيّاطين»، وشفيعهم. وكان أيضاً أوّل من عرف الطب ونظر في علم النجوم وحساب السنين والأيّام؛ وأوّل من امتطى الفرسَ للجهاد في سبيل اللّه؛ وأوّل من نزل عليه جبريل بالوحي. وسمّي إدريس لغزارة علمه بما نزل من الوحي قبله، وهو عِلْم توصّل إليه بالدَّرْسِ الكثير. ومن هنا إسمه.

سأل مَلَكُ الموتِ اللّهَ يوماً أن يزور إدريس، فأذِنَ له. فجاءه على صورة إنسان، ودعاه في اللّيل إلى مائدته، ولكنّ إدريس أبى. فكرّر ملك الموت دعوتَه تلك مرّتَين متتاليتَين. وفي المرّة الثالثة سأله إدريس عن شخصه. فلمّا أجابه طلب إليه إدريس أن يقبض روحَه. فقُبض ساعة من الزمن. ثمّ استردّها مرّة أخرى. ثمّ طلب إليه كذلك أن يرفعه إلى السماء ليراها ويرى الجنّة. فلمّا بلغ الجنّة أبى أن يخرج

منها. وتعلّق بنخلة. واعتصم بآيتَين من القرآن، أوّلهما: «كلّ نفسٍ ذائقةُ الموتَ» (٣/ ١٨٥)؛ وقد ذاقه هو من قبل؛ والثانية: «وما هم منها بِمُخْرَجِين» (١٥/٤٨). ولذلك فقد تشبّث هو بالبقاء في الجنّة. فأبقاه اللّه فيها. وسيعود منها إلى الأرض ثانية. وكما يعيش هو وعيسى في السماء خالدَين، يعيش الخضر والياس خالدَين في الأرض. ويُقال إنّ اليونان عرفوه باسم «هرمس»، أو «هرمس تريسميجيت» Hermes Trismegistes

إدْرِيْس بن عَبْدالله (ت١٧٧هـ/٧٩٣م) : إمام شيعيّ. هو ابن عبدالله الكامل بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب. مؤسّس دولة الأدارسة في المَغرِب. ثار على العبّاسيّين. ثمّ فرّ إلى فَخّ ٧٨٦م، وهو مكان قريب من مكّة. ومن فَخّ هرب إدريس إلى مصر، ومنها إلى المغرب الأقصى ونزل بمدينة وَليلي، فبايعته قبائل البربر وعلى رأسها قبيلة أَوْرَبَة. أعلن الدولة الإدريسيّة ٧٨٨، وفتح تادلا ولمسان. قُتل مسموماً. خلفه ابنه إدريس الثاني (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م) الذي أسّس مدينة فاس التي أصبحت عاصمة الدولة، واشتهرت بجامع القرويّين.

الأذان : ١ . لغةً معناه الإعلام، والدعوة، والنداء، وطلب الإقبال، والإقامة من قوله: «وَأَذِّنْ في النَّاسِ بالحَجِّ» (٢٢/٢٧)، أي أعلمهم به؛ وشرعاً: المناداة للصلاة في أوقاتها الخمس وفي يوم الجمعة والعيد. وهو من خصائص الإسلام وشعائره الظاهرة. وهو فرض كفاية كالجهاد. وهو سنّة مؤكّدة. ولو أنّ قوماً صلّوا بغير أذان صحّت صلاتهم، إلاّ أنّهم يأثمون لمخالفتهم السنّة.

٢ . يُقال إنّ النبيّ تشاور مع أصحابه، بعد دخوله المدينة مباشرة في العام الأوّل، في خير الطرق لتنبيه المؤمنين إلى وقت الصلاة، فاقترح بعضهم أن يوقِدوا لذلك ناراً، أو ينفخوا في بوق، أو يدقّوا ناقوساً، أو يرفعوا رايةً.. ولكنّ عبد اللّه بن زيد أخبر أنّه رأى في المنام رجلاً يدعو المسلمين إلى الصلاة من فوق سطح المسجد. وامتدح عمر هذه الطريقة في الدعوة إلى الصلاة. ولمّا اتّفق رأي الجماعة على هذا الأذان أمر النبيّ باتّباعه. ومن ذلك الوقت أخذ بلال ينادي المؤمنين إلى الصلاة بهذا الأذان الذي يستعمله العالم الإسلامي إلى وقتنا هذا.

٣. شُرِّع الأذان للإعـلام بدخول وقت الصلاة، وإعلاء اسم اللّه بالتكـبير، وإظهار شرعـه ورفعة رسوله، ونداء الناس إلى الفـلاح والنجاح. ومن سنن الأذان أيضاً: إستقبال القبلة حال الأذان؛ والترسّل، أي التمهّل والتأنّي والترتيل.

٤. من صفات المؤذّن: ١ – أن يكون مسلماً، فلا يصحّ أذان الكافر، لأنّه لا يعتقد الصلاة؛ ٢ – أن يكون رجلاً، فلا يصحّ أذان المرأة، لأنّ رفْع صوتها قد يوقع في الفـتنة؛ ٣ – أن يكـون عاقـلاً، فـلا يصـحّ الأذان من مـجنون وسكران لعـدم تمييزهما؛ ٤ – أن يكون بالغاً، لأنّ الصبيّ غير المميز لا يعتدّ بما يصدر منه...

٥. ويسنّ لمن سـمع الأذان متـابعـته بمثله، أي: أن يـقول مـثلَ ما يقـول المؤذِّن، لقول النبيّ: «إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول المؤذِّن».

٦. والأذان عند أهل السنّة سبــع عبـارات، السادسة منها تكرار للأولى :
١ . ألله أكبر. ٢. أشهد أن لا إله إلاّ اللّه. ٣. أشهد أنّ محمَّداً رسولُ اللّه. ٤. حيّ على الصلاة. ٥. حيّ على الفلاح. ٦. ألله أكبر. ٧. لا إله إلاّ اللّه.

٧. ويُضاف إلى أذان الصبح، بين الخامسـة والسادسة، عبارة : «الصلاة خـيـر من النوم. ويخـتلف أذان الشـيـعـة عن أذان أهل السنّة فـي أنّه يزيد، بين العبارتَين الخامسة والسادسة، عبارة ثامنة هي «حيّ على خير العمل».

٨. والأذان إنّمـا شُـرِّع للصلوات المفـروضة، ولا يـؤذّن لصلاة غـيـرها، كالجنـازة والوتر والعيـدين وغير ذلـك، لأنّ الأذان للإعلام بدخول وقـت الصلاة. والصلوات المكتوبة هي المخصّصة بأوقـات معيّنة.. وكلّ صلاة لا يؤذَّن لها يُنادى: الصلاة جـامعة.. وقـد يسنّ الأذان لغيـر الصلاة تبرّكـاً واستئـناساً، أو إزالةً لهمٍّ طارئ. قال الشافعيّة: يسنّ الأذان في أُذُن المولود حين يولد، وفي أُذُن المهموم فإنّه يزيل الهمّ، وخلف المسافر، ووقت الإحرام، وعند مزدحم الجيش...

أَذْرُح : إسم مكان في الأردن، بين معـان وبِتْرا. اشتهـر بالتحكيم (٣٨هـ/ ٦٥٨م) الذي عُقد فيه بعد وقعة صِفِّين بين علي ومعاوية. وهو اليوم محلّة رومانيّة فخمة؛ به نبع تفيض مياهه وتنساب في شقّ من الأرض.

الإرَادَة : ١ . هي، في اللّه، صفة وجوديّة أزليّة. وبهذا، يختلف معناها عن إرادة الإنسان. فهذه تعني العزم والتصميم والتوجّه إلى عملٍ ما. وهذا مستحيل بالنسبة إلى اللّه، لأنّ إرادة اللّه قديمة.

٢ . والإرادة الإلهيّة تختلف عن الأمر: فقد يأمر اللّه بشيء ويريده؛ وقد يأمر بشيء آخر ولا يريده؛ وقد يريد شيئاً ولا يأمر به. وكذلك تختلف عن الرضا: فقد يريد اللّه شيئاً ويرضى عنه؛ وقد يريد شيئاً ولا يرضى عنه، ككفر الكافر مثلاً، لقوله: «ولا يرضى لِعباده الكفر» (٣٩/٧)، «إنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لِما يُريدُ» (١١/١٠٧). وقال النبيّ: «ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن».

٣ . أمّا الإرادة في الإنسان فهي مقدّمة كلّ أمر: فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله. وهي، عند أهل التصوّف، إسم لأوّل منزلة القاصدين إلى اللّه؛ أو هي بدء طريق السالكين. غير أنّ «المريد» في عرف الصوفيّة، هو من لا إرادة له؛ لأنّ مَن لم يتجرّد عن إرادته لا يكون مريداً. وإذا كان المريد هو المبتدئ، فـ«المراد» هو المنتهى (أطلب مادّة : **المَشِيئَة**).

الإرْث : ١ . لغة: هو التركة، أي: ما تركه الميت من أموال وحقوق. وأسباب الإرث أربعة، ثلاثة متّفق عليها بين الأئمّة الأربعة، والرابع مختلف فيه. فالثلاثة المتّفق عليها: النِّكاح، والولاء، والقرابة؛ والرابع المختلف فيه هو جهة الإسلام. والذي يرث بهذا السبب هو بيت المال.

٢ . موانع الإرث المتّفق عليها بين الأئمّة الأربعة هي:

١ – الرقّ : ذلك لأنّ جميع ما في يد الرقيق من المال فهو لمولاه. فلو ورّثناه من أقربائه لوقع الملْك لسيّده، فيكون توريثاً للأجنبي بلا سبب.

٢ – القتل : إذا ما قتَل الوارث مورثه عمداً، حرم من الإرث، عملاً بقاعدة: مَن استعجل بشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

٣ – إختلاف الدِّينَين : إنّ الكافر لا يرث المسلم حتّى ولو أسلم قبل قسمة التركة. وذهب الإمام أحمد إلى أنّه إن أسلم الكافرُ قبل قسمة التركة ورث، لقول

الرسـول: «من أسلم على شيء فـهو لـه» (أخرجـه البـيهـقي ٩/١١٣)، ولأنّ في توريثه ترغـيبـاً في الإسلام.. بينما المـسلم يرث الكافر لقولـه: «الإسلام يعلو ولا يُعلى» (أخرجه الدارقطني ٣/٢٥٢؛ والبيهقي ٦/٢٠٥)، ومن العلوّ أن يرث المسلمُ الكافرَ. والكفّـار لا يتوارثون، والدليل قول الرسول: «لا يتـوارث أهل ملّتَين شتّى»؛ لأنّ الكفّار يكفّرون بعضهم بعضاً (ر: ٢/٦٣؛ و٢/١٢٠).

٤ – إرث المرتدّ : لا خـلاف بين الفـقهـاء في أنّ المرتدّ لا يرث أحـداً، لا من المسلمين، ولا من أهل الـدين الذي انتـقل إليـه، لأنّه صار فـي حكم الميت، لأنّ حكم الإسلام في المرتد أن يُقتل إن أصرّ على ردّته.. والمرتدّ لا يرثه أحد من المسلمين، أو غيرهم ممّن انتقل إلى دينهم، بل ماله كلّه يكون فيئاً وحقّا لبيت المال.

٥ – إ ختلاف الدارَين بين غير المسلمين : إنّ المسلمين يتوارثون فيما بينهم مهـما اخـتلفت ديارهم ودولهم وجنسـيّاتهم، لأنّ ديار الإسـلام كلّهـا دار واحدة، لقوله: «إِنَّمَا المؤمِنُونَ إِخْوَةٌ» (٤٩/١٠)، وقول النبيّ: «المسلم أخو المسلم»[1]، ولأنّ ولاية كلّ مسلم هي للإسـلام وتناصرهم يكون به وله... وكذلك لا يمنع اخـتلاف الدارَين من الميراث بالنسبة لغير المسلمين عـند المالكيّة وبعض الحنابلة والشافعيّة، فيـرث غير المسلم قـريبَه غيرَ المـسلم مهما اخـتلفتْ دولهم وجنسيّـاتهم.. أمّا عند الحنفيّة وبعض الشافعيّـة والحنابلة، إنّ اختلاف الدارَين يمنع من التوارث بين غير المسلمين، وذلك لعـدم وجود التناصر والموالاة بـينهما لاخـتلاف دولة كلّ منهـما. والموالاة والتناصر أساس الميراث.

٣ . المستحقّون للتركـة : ١– أصحاب الفروض (وهم٤ من الرجال: الأب، والجدّ، والأخ لأمّ، والـزوج؛ و٨ من النساء: الزوجـة، والبنت، وبنت الإبن، والأخت الشقـيقة، والأخت لأب، والأخت لأم، والأم، والجـدّة)؛ ٢– العصـبات النسبـيّة ثمّ العصبـات السببيّـة؛ ٣– المستحقّون بالـرد؛ ٤– ذوو الأرحام؛ ٥– مولى الموالاة؛ ٦– المقرّ له بالنسب على الغير؛ ٧– الموصي له بما زاد عن الثلث؛ ٨– بيت المال.

---

(١) أخرجه البخاري ٥/٩٧، ومسلم ٤/١٩٩٦.

٤ . الفروض المقدّرة في القرآن ستّة: النصف (٤/١١ و١٢ و١٧)؛ الربع (٤/١٢)؛ الثُمُن (٤/١٢)؛ الثلثان (٤/١١)؛ الثلث (٤/١١ و١٢)؛ السدس (٤/١١ و١٢).

أرِسْطُو أو أرِسطاطاليس (ت ٣٢٢ ق.م) : فيلسوف يوناني، من كبار مفكّري البشريّة. هو الحكيم الذي علّم ذا القرنَين، والصديق الذي أدّبه، والناصح الذي أرشده. صاحب المنطق. تأثّر المسلمون العرب بفكره الذي نقله السريان إلى العربيّة، وأهمّهم إسحق بن حنين وابنه حنين. هو مؤسّس «فلسفة المشّائين». أهمّ مؤلّفاته: «المقولات»، «الجدل»، «الخطابة»، «كتاب ما بعد الطبيعة»، «السياسة»، «النفس». غير أنّ المسلمين كرهوه لقوله بقدم العالم.

الأرْش : هو المال الواجب في الجناية على ما دون النفس.. وهو ما يجب في جناية ليس فيها مقدار معيّن من المال.. هي بدل النفس لسقوط القصاص بأسبابه.. جعل الشارع لكلّ نقص جبراً، حتّى لا تذهب الجناية هدراً...

الإرْصَاد : لغةً: الإعداد. يقال: أرصد له الأمر: أعدّه. وهو عند الفقهاء: تخصيص الإمام غلّة بعض أراضي بيت المال لبعض مصارفه. ويعني أيضاً: تخصيص ريع الوقف لسداد ديونه..

الأرْض : هي التي عليها الناس. لا خلاف بين المسلمين في أنّ الأصل طهارة الأرض، فتصحّ الصلاة على أيّ جزء منها، ما لم يتنجّس. وثمّة اعتبارات عدّة لبعض أنواع الأرض. فهناك : أرض الحوز، وهي الأرض التي مات عنها أربابها بلا وارث، وآلت إلى بيت المال؛ أو فتحت عنوة؛ أو صلحاً، ولم تعد لأهلها، بل أصبحت ملكاً للمسلمين إلى يوم القيامة. سمّيت أرض الحوز، لأنّ الإمام حازها لبيت المال ولم يقسمها. ودرج تسميتها: الأراضي الأميريّة، أو الأرض الميريّة. وأرض العرب : حدودها الغربيّة والجنوبيّة والشرقيّة معروفة؛ أمّا من جهة الشمال فاختلفوا في حدِّها، وفي أصلها، كما في أحكامها الخاصّة بكونها أرض إسلام (أطلب مادّة: **جزيرة العرب**).

الأرْقَم بن أبِي الأرْقَم (ت ٥٤هـ/ ٦٧٤م) : أسلم وهو يافع. من عشيرة مخزوم، وهي من أغنى عشائر مكّة، ومن أشدّها عداوة للنبيّ، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع الأرقم من أن يكون من أخلص أنصاره، حتّى إنّه قدّم بيتَه له أيّام محنة المسلمين ليجتمعوا فيه، وينتشروا منه. ثمّ هاجر الأرقم مع المهاجرين. وتوفّي بعد أن نيّف على الثمانين. وكانت دارُه موضعَ تقديس المؤمنين المتأخّرين. اشتراها الخليفة المنصور وحوّلها إلى أسرته. وأقامت بها الخيزرانُ أمُّ الرشيد فترةً. ومن هنا سُمِّيت «دار الخيزران». ولا يزال الحجّاج إلى الآن، يزورون بيت الأرقم في مكّة.

إرَمٌ ذَاتُ العِمَاد : وردت مرّة واحدة في القرآن، في قوله: «ألم ترَ كيف فعل ربّك بعَاد، إرَمٍ ذاتِ العِمَاد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد» (٨٩/٦). يقول مفسّرون في معناها إنّها موقع جغرافيّ يدلّ على مكان الاستيطان. ويقول الطبري إنّها قبيلة من بني عاد. وقيل إنّها قبيلة ضربها اللّه لتجاهل أهلها تحذير نبيّهم **هُود**، فأهلكهم بعاصفة هوجاء، دفنتهم كلَّهم في الرمال.

الإرْهَاب : لغةً: من رَهِب الشيءَ، أي : خافه؛ وأرهبه: أخافه. جاء في القرآن «وأَعِدُّوا لهم ما استطعتُمْ من قُوَّةٍ ومن رِباطِ الخيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ من دونِهِمْ لا تَعلَمُونَهُم. اللَّهُ يَعلَمُهُمْ» (٨/ ٦٠). ويقول: «واستَرهَبُوهُم وجاءوا بِسِحْرٍ عظيمٍ» (٧/ ١١٦).

واصطلاحاً: إستعمال العنف، أو التهديد باستعماله، بغيةَ تحقيق هدف غير مشروع.. وترتبط جرائم الإرهاب، بصفة عامّة، بظاهرة التطرّف. وتعدّ **الحرابة** أحد صور الإرهاب في المجتمع الإسلاميّ، إذ تقوم على استعمال القوّة والغلبة بقصد أخذِ مال المسلمين، أو قتلهم، أو إرهابِ الآمنين منهم..

لهذا روي عن النبيّ أنّه قال: «مَن حمل علينا السلاح فليس منّا»[١]؛ وقال: «سبابُ المسلمِ فُسوقٌ وقتالُه كفر»[٢].. ولذلك فإنّ «حدّ الحرابة قد شُرِّع في

(١) صحيح البخاري، ١٣/ ٢٦؛ حديث رقم ٧٠٧٠.

(٢) صحيح البخاري ١٣/ ٢٩؛ حديث رقم ٧٠٧٦.

الإسلام لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلاميّ.. يقول تعالى: «إنّما جَزاءُ الذينَ يُحارِبونَ اللَّهَ ورسولَه، ويَسعَونَ في الأرضِ فساداً، أن يُقَتَّلُوا، أو يُصلَّبوا، أو تُقَطَّعَ أيدِيهِمْ وأرجلَهم مِن خِلافٍ، أو يُنفَوا مِن الأرضِ. ذلكَ لهمْ خِزيٌ في الدنيا، ولهم في الآخِرةِ عَذابٌ عظيم» (٥/ ٣٣).

أرْوَى بنت الحَارث (ت ٥٠هـ/ ٦٧٠م) : صحابيّة. ابنة عمّ الرسول. اشتهرتْ بفصاحتها.

أرْوَى بنت عَبدِ المُطَّلب (ت ١٥هـ/٦٣٦م) : صحابيّة. عمّة الرسول.

الأزَارِقَة : فرقة من الخوارج. تُنسب إلى مؤسّسهم نافع بن الأزرق (ت٦٥هـ/ ٦٨٥م)، الذي ثار على عثمان بن عفّان. وقد عبّر عن رأيه فيه بقوله: إنّ عثمان «آثر القربى، ورفع الدرّة، ووضع السوط، ومزّق الكتاب، وضرب مُنكِرَ الجَور، وآوى طريدَ رسولِ اللّه، وضرب السابقين بالفضل وحرمهم، وأخذ الفيء فقسمه في فُسّاق قريش ومُجّان العرب». كان من أنصار عليّ بن أبي طالب، إلاّ أنّه خرج عليه بعد التحكيم، ورفع شعار «لا حكْم إلاّ للّه». وسمّوا الأزارقة أيضاً بـ «المُحكِّمة». استولوا على الأهواز. كانوا يقولون إنّ مخالفيهم من أمّة الإسلام مشركون، وإنّ مَن لا يعتنق مذهبهم يُستحلّ دمه هو ونساؤه وأطفاله. لم يجوّزوا التقيّة، وأسقطوا الحدود التي لم ترد في القرآن، مثل رجم الزّاني. اختفت الأزارقة من التاريخ بعد مقتل زعيمهم قَطَري بن الفُجاءة عام ٧٧هـ/ ٦٩٦م.

الأزْد : قبيلة عربيّة كبيرة وذات شأن. تنتسب إلى كهلان بن سَبأ، من القحطانيّة. هجروا اليمن بعد خراب سدّ مأرب. انقسموا إلى أزْد شَنوءة وأزْد السَّراة وأزْد عُمان. وتفرّعوا قبائل كثيرة، أشهرها **الأوْس والخَزْرَج**، ومنهما الأنصار، وخُزاعة وغَسَّان ولخْم.

الأزْرَقِيّ (أحمد) (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) : مؤرّخ جمع أخبار مكّة. وقام حفيده محمّد بن عبد اللّه (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) بتدوين تلك الأخبار في كتابه «أخبار مكّة».

الأزَل : هو القدم، وهو ما لا أوّل لوجوده، أي ما كـان مسبوقاً بالعدم. وهي صفة اللّه الذي لا بداية له. إنّه موجود غيـر مخلوق. وصفاته أيضـاً أزليّة، أي هي قديمة بقدمـه، لأنّها لصيقة بذاته الإلهـيّة. من صفاته أنّه خـالق. وصفة الخلْق هذه قديمة، لأنّه هـو خالق قبل أن يخلـق مخلوقاته؛ إذ لـو لم تكن هذه الصفـة أزليّة لما استطاع أن يخلق الخلق. وهكذا نقول في سائر الصفات.

الأزْلام : لغـةً: جمع زَلَم، أو زُلَم، وهو القَـدَح والسهم الذي لا ريش علـيه. وتدلّ كلُّها على قطعة من غصن مسوّاة مشذّبة. قال الأزهري: الأزلام كانت لقريش في الجـاهليّة، مـكتوب عليـهـا: «أمر» و«نهي»، و«إفـعل» و«لا تفـعل». توضع في الكعبة، يقـوم بها سدنة البيت. فـإذا أراد الرجل سفراً أو نكاحاً أتى السـادن فقال: أخرج لي زلَماً، فـيخـرجه وينظر إليه. فـإذا خرج قدح «الأمـر» مضى على مـا عزم عليه، وإن خرج قدح «النهي» قعد عمّا أراده.

ومن الأزلام ما هو مخصّص للقمار، وتسـمّى قداح الميسر. وهي من أعمال الجاهليّة التي حرّمها القرآن بقوله: «إنّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأنْصابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ فاجْتَنِبُوهُ» (٥/ ٩٠)، وقـوله: «.. وأنْ تَسْتَقْسِموا بالأزْلامِ. ذَلِكُم فِسْقٌ» (٥/ ٣).

الأزْهَر : هو مسجـد في القاهرة، بناه جوهر (إلياس) الصـقلّي، بأمر المعزّ، الذي أرسى حجـر الأساس في ٢٤ من جـمادى الأولى، سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م، أي بعد عام من فتـح الفاطميّين لمصر، وإنشائهم قاعـدة ملكهم الجديد في القاهرة. ولمّا جاء الخليفـة الحاكم بأمر اللّه (ت٤١١هـ/ ١٠٢٠م)، زاد في بناء المسـجد، وحبس الأوقاف عليه.. ثم زاد المستنصر والحافظ شيـئاً قليلاً. وتغيّر الحال عهد الأيّوبيّين (٥٦٧هـ/ ١١٧١م)، إذ كـانوا من أهل السنّة، فـحـاولوا محـو كلّ أثر للفـاطمـيّين الإسماعيليّين.

وكانت العلوم الدينيّة واللّغويّة، في أكثر العـهود، هي أسـاس الدراسة فيه. غير أنّه ما لبثت أن أضيفت إليـه دراسات الطبّ والرياضيّات والفلسفة والتاريخ... وبموجب القـانون ١٠٣ لعام ١٩٦١، أصـبح الأزهر الهـيئـة الإسـلاميّـة العالميّـة

المعتبرة. ويضمّ : ١- المجلس الأعلى للأزهر؛ ٢- ومجمع البحوث الإسلاميّة؛ ٣- وإدارة الثقافة والبحوث الإسلاميّة؛ ٤- وجامعة الأزهر؛ ٥- والمعاهد الأزهريّة.

الأسَاس : لهذه الكلمة دلالة خاصّة عند الإسماعيليّة، فلكلّ نبيّ أساس، والنبيّ هو «الناطق»، والأساس هو «الصامت». وفي كلّ دورٍ من أدوار الزمان يكون ناطق وأساس. والأساس هو تجسيد للنفس الكلّيّة. والناطق يفضي على الأساس بأسرار العقيدة الحقّة. يقولون إنّ آدم أفضى إلى شيث، وموسى إلى هارون، وعيسى إلى بطرس، ومحمّد إلى عليّ، ومحمّد بن إسمعيل إلى عبد الله بن ميمون القدّاح جَدّ عبيد الله المهدي مؤسّس أسرة الفاطميّين.

أمّا عند الدروز فالناطق هو كلّ نبيّ من أنبياء الكذب، والناطق الأكبر هو النبيّ محمّد؛ وكان لكلّ ناطق أساس، وأساسُ النبيّ محمّد هو عليّ بن أبي طالب. وكلاهما، أي محمّد وعليّ، شخصان اعتبرهما الدروز ضدّين عدوّين هم، وقد جاءا بشريعتَين فاسدتَين، تولّى حمزة نسْخَهما، لكونه «ناسخ الشرائع والأديان الإبليسيّة» برمّتها.

إسَاف : صنم من أصنام مكّة يُذكر في الغالب مقروناً بـ «نائلة». تقول الروايات الجاهليّة: إنّ رجلاً وامرأة من جرهم كانا يُعرفان بهذين الإسمين فَجَرَا في الكعبة، فمُسِخا حَجَرَين، ووُضعا على **الصفا والمروة**، تلّتَين متقابلتَين، عبرةً للناس. ثمّ عبدتْهما قريش فيما بعد بإرشاد عَمرو بن لحيّ، زعيم مكّة آنذاك.

أُسَامَة بن زَيْد بن حَارِثَة (ت ٥٤هـ/ ٦٧٤م) : من موالي رسول الله. أمّه أَمَةٌ حبشيّة تُدعى «بركة»، وتكنّى بـ «أمّ أيمن»، حاضنة النبيّ. وُلد بمكة في العام الرابع من بعثة الرسول. وكان النبيّ يُحبّه، وهو طفل، إذ كان النبيّ يأخذ **الحَسَن** وأُسامة ويقول: «اللّهمَّ أَحِبَّهما. فإنّي أُحِبُّهما». انضمّ أسامة إلى المقاتلين في طريقهم إلى أُحُد؛ ولكنّه أعيد قبل الوقعة لصغر سنّه. وفي العام الثامن للهجرة أردف النبيّ وراءه أسامة عند فتح مكّة، ودخل معه الكعبة. وقاتل أسامة بشجاعة في وقعة حُنَين. وفي العام ١١ للهجرة، بعث النبيّ أسامةَ على رأس جيش ليثأر لأبيه زيد الذي قُتل في غزوة **مؤتة**. وكان أسامة من بين الذين اشتركوا في تجهيز

الرسول.. وبعد وفاة عثمان أبى أسامة مبايعة عليّ، فهاجمه أنصار عليّ في المسجد بالمدينة، وأساءوا إليه. وعاش بعد ذلك في عزلة **وادي القرى** ثمّ في **المدينة**. وتوفّي في الجرف. ودفن بالمدينة. ولأسامة مقام بين رواة الحديث.

الإسْتِئْنَاف : معناها، في الفقه الإسلامي، إعادة الصلاة من جديد، عند ما يقطعها قاطع. أمّا إذا أكمل الجزء الباقي فقط الذي حصل عنده القطع فهذا يُسمَّى «بناء».. وكذلك يعني إستعادة الحكم البدائي من جديد، وقد يُلغيه أو يثبّته.

الإسْتِبْرَاء : الطهارة، أو إزالة ما بالمخرجَين من البول، والغائط، والمذي، والودي، والمني. وهو أيضاً: الإستنقاء، أي طلب النقاوة؛ والاستنجاء، وهو استعمال الأحجار أو الماء؛ والاستنزاه، وهو التحفّظ من البول والتوقّي منه؛ والاستنتار، من استنتر الرجل من بوله اجتذبه واستخرج بقيّتَه من الذكَر..

بالاستبراء ينتهي خروج الحدث المنافي للوضوء. عن النبيّ قال: «تنزّهوا من البول فإنّ عامّة عذاب القبر منه»[1]. والحكمة من تشريع الاستبراء هي تعرّف براءة الرحم احتياطاً لمنع اختلاط الأنساب. وحفْظ النسب من أهمّ مقاصد الشريعة الإسلاميّة. ومدّة الاستبراء تنتهي بالحيضة الأولى؛ وفي حال الحمل تنتهي بالوضع. أمّا الأمة التي لا تحيض فاستبراؤها بشهر واحد. وإذا أُعتقتْ فلا يطؤها إلاّ بعد وفاء الاستبراء.

الإسْتِبْضَاع : لغةً: القطع والشقّ. والبُضع: الجماع، والفرج نفسه. وعلى هذا فهو: طلب الجماع. ومنه نكاح الاستبضاع الذي عرّفه ابن حجر بقوله: «وهو قول الرجل لزوجته في الجاهليّة: أرسلي إلى فلان، فاستبضعي منه»، أي أطلبي منه المباضعة، وهو الجماع[1]. ونكاح الاستبضاع هذا قد أبطله الإسلام، لأنّه زنى محض. والآثار المترتبة عليه هي نفس الآثار المترتبة على الزنى، من حيث العقوبة، وعدم إلحاق نسب المولود بالزاني.

---

(١) أخرجه الدار قطني، ١/ ١٢٧؛ نيل الأوطار ١/ ١١٤.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ١٥١، ط المطبعة البهيّة المصريّة، سنة ١٣٤٨هـ.

الإِسْتِحَاضَة : لغةً: هي استمرار خروج الدم بالمرأة بعد أيّام حيضها المعتاد. وشرعاً: سيلان الدم في غير أوقاته المعتادة من مرض، وفساد من عرق يسمّى "العاذل" ... ويسمّون دم الاستحاضة دماً فاسداً، ودم الحيض دماً صحيحاً. وللحيض وقت، وذلك حين تبلغ المرأة تسع سنين فصاعداً.. أمّا الاستحاضة فليس لها وقت معلوم. الحيض دم يعتاد المرأةَ في أوقات معلومة من كلّ شهر؛ أمّا الاستحاضة فهي دم شاذ يخرج من فرج المرأة في أوقات غير معتادة. دم الاستحاضة لا رائحة له؛ بينما دم الحيض منتن الرائحة. الحيض دم طبيعي لا علاقة له بأيِّ سبب مرضي؛ ودم الاستحاضة دم ناتج عن فسادٍ أو مرضٍ أو اختلالِ الأجهزة، أو نزف عرْق. أمّا دم النفاس فلا يكون إلاّ مع ولادة.

الاسْتِحْدَاد : لغةً: مأخوذ من الحديدة. يقال: استحدّ إذا حلق عانته. استُعمل على طريق الكناية والتورية. واصطلاحاً، عرّفه الفقهاء بقولهم: الاستحداد حلْق العانة. وسُمِّي استحداداً، لاستعمال الحديدة، وهي: الموسى. من الألفاظ ذات الصلة: التنوُّر، وهو الطلاء بالنورة. يُقال : تنوّر، تطلّى بالنورة ليزيل الشعر. والنورة من الحجر الذي يحرق، ويسوّى من الكلس، ويزال به الشعر.

اتّفق الفقهاء على أنّ الاستحداد سنّة للرجال والنساء على السواء. وصرّح الشافعيّة والمالكيّة بالوجوب للمرأة إذا طلب منها زوجُها ذلك. ويستدلّ على مشروعيّة الاستحداد بالسنّة. عن أبي هُريرة عن النبيّ قال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتْف الإبط، وتقليم الأظافر، وقصّ الشارب» (رواه البخاري والترمذي). وعن عائشة روت عن النبيّ، قال: «عشرٌ من الفطرة: قصّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق، وقصّ الأظافر، وغسل البراجم، ونتْف الإبْط، وحلْق العانة، وانتقاص الماء، والمضمضة»[1].

يكره ترْك الاستحداد بعد أربعين يوماً، كما أخرجه مسلم من حديث أنس.

الاسْتِحْسَان : عرّفه بعض الحنفيّة بأنّه: طريقة معيّنة لاستنباط الأحكام

---

(١) أخرجه مسلم ، ١/ ٢٢٣؛ وأحمد والنسائي ٨/ ١٠٩؛ والترمذي.

الشرعيّة. وهو يعني العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى منه. وهو أنواع، منه: استحسان بالكتاب، واستحسان بالإجماع، واستحسان بالعادة والعرف، واستحسان بالضرورة، واستحسان بالسنّة، واستحسان بالمصلحة.. وهو، في كلّ أحواله، دليل باطل، عند أكثر الفقهاء، لا يُعتمد عليه، إلاّ عند أبي حنيفة الذي اقتبسه من القرآن (رَ: ٣٩/١٨ و٥٥)، ومن الحديث: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن». أمّا الشافعي فقد رفض الاستحسان في قوله: «لو جاز الأخذ بالاستحسان في الدِّين لجاز أن يُخرِج كلُّ واحد لنفسه شرعاً». وكذلك هو مرفوض عند الظاهريّة والمعتزلة والشيعة.

الاسْتِحْيَاء : لغةً، بمعنى الحياء، وهو الانزواء والانقباض. وقد ورد بهذا المعنى في عدد من آيات القرآن، منها قوله: «فجاءَتْهُ إحداهُما تَمشي على استِحْياءٍ» (٢٨/٢٥)، وقوله: «إنّ اللّهَ لا يَستَحيي أن يَضرِبَ مَثَلاً ما بَعوضةً فما فَوقَها» (٢/٢٦)، وقوله: «واللّه لا يستحيي من الحَقِّ» (٣٣/٥٣) (أطلب مادّة : **حَيَاء**).

ويعني أيضاً: الإبقاء على الحياة، فيقال: استحييتُ فلاناً إذا تركته حيًا ولم أقتله، ومن ذلك ما جاء في القرآن: «يُذَبِّحُ أبناءَهم ويستَحيِي نساءَهم (أي يبقيهنّ أحياء)» (٢٨/٤؛ رَ: ٢/٤٩؛ ١٤/٦). وكلمة استحياء تُستعمل في إدامة الحياة الموجودة وعدم إعدامها؛ أمّا كلمة «إحياء» فتستعمل في إيجاد الحياة في ما لا حياة فيه، كقوله: «كيف تَكفُرونَ باللّهِ وكنتم أمواتاً فأحياكم» (٢/٢٨). فالفرق بينهم أنّ الإحياء مسبوق بالعدم، بخلاف الاستحياء.

الاسْتِخَارَة : ١ . لغةً: من خار اللّهُ لك أي أعطاك ما هو خير لك. وهي دعاء الرّجل الذي يجهل عاقبة أمرٍ يريد عمله، يستشير اللّه في الإقدام عليه أو الإحجام عنه؛ وذلك قبل الشروع في هذا الأمر. جاء في الحديث: «كان رسول اللّه يعلّمنا الاستخارة في الأمور كلّها»، وقال: «مِن سعادة ابن آدم إستخارة اللّه عزّ وجلّ»[1].

٢ . والاستخارة في الإسلام عبارة عن صلاة طويلة تسبقها ركعتان: يُقرأ

---

(١) أخرجه البخاري والنسائي، وأخرجه أحمد ١/١٦٨.

بعد الفاتحة في الركعة الأولى: «وربُّكَ يَخلُقُ ما يشاءُ ويَختارُ ما كان لهمُ الخِيَرَةُ. سبحانَ اللّه وتعالى عمّا يُشركونَ. وربُّك يعلمُ ما تُكنُّ صدورُهمْ وما يُعلِنون» (٢٨/٦٨-٦٩)؛ وفي الركعة الثانية يُقرأ بعد الفاتحة: «وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ، إذا قضى اللّهُ ورسولُهُ أمراً، أن يكونَ لهمُ الخِيَرَةُ من أمرِهم. ومَن يعصِ اللّهَ ورسولَه فقد ضلَّ ضلالاً مُبيناً» (٣٣/٣٦).

٣ . بعد ذلك يقول: «أللّهمّ! إنّي أستخيركَ بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم. فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب. أللّهمّ! إن كان هذا الأمر (ويسمّي حاجتَه) خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فأقدره لي، ويسّره لي، ثمّ بارك لي فيه. وإن كنتَ تعلم أنّ هذا الأمر شرٌّ لي في دِيني ومعاشي وعاقبةِ أمريّ، فاصرفه عنّي، واصرفني عنه، وأقدر لي الخير حيث كان. ثمّ أرضني به» (أخرجه البخاري ومسلم عن جابر).

٤ . واتّفق الفقهاء على أنّ الاستخارة لا تكون إلاّ في الأمور المهمّة؛ أمّا الأمور التافهة والحقيرة فلا. ثمّ إنّها تكون أيضاً في الأمور التي لا يَدري العبدُ وجهَ الصواب فيها؛ أمّا ما هو معروف خيره أو شرّه، كالعبادات وصنائع المعروف والمعاصي والمنكرات، فلا حاجة إلى الاستخارة فيها. وأيضاً لا تكون الاستخارة في أمرٍ واجب، ولا في أمرٍ محرّم، ولا في أمرٍ مكروه، ولا في فعل مندوب، وإنّما تكون في أمرٍ جائزٍ، أو في تقديم بعض المندوبات على بعض.

وثمّة مثل يقول: «ما خاب مَن استخار ولا ندم مَن استشار».

الاستِخْفَاف : ١ . لغةً وشرعاً: الاستهانة، والاحتقار، والازدراء، والانتقاص. هناك استخفاف مطلوب، كاستخفاف بالكافر لكفره، والمبتدع لبدعته، والفاسق لفسقه؛ وكذلك الاستخفاف بالأديان الباطلة والملل المنحرفة، وعدم احترامها.. وهذا من الدِّين.

٢ . والاستخفاف باللّه محظور، إن كان بالقول، كاللّعن والتقبيح، ووصفه بما لا يليق؛ أو بالفعل، كتشبيه اللّه بالمخلوقات، مثل رسمه، أو تصويره في مجسّم

كتمثال وغيره؛ أو بالاعتقاد، مثل اعتقاد حاجة اللّه تعالى إلى الشريك.. وفاعل هذه مرتدّ عن الإسلام تجري عليه أحكام المرتدّين، سواء أكان مازحاً أم جادًا. قال تعالى: «ولئنْ سألتَهم لَيَقولُنَّ: إنّما كُنّا نَخوضُ ونَلْعَبُ. قل: أبِاللّهِ وآياتِهِ ورسولِه، كنتمْ تَستَهزِئونَ! لا تَعتَذِروا. قد كَفرتمْ بعدَ إيمانِكم» (٩/ ٦٥).

٣ . وثمّة أيضاً استخاف بالأنبياء وانتقاصهم والاستهانة بهم، كسبِّهم، أو تسميتهم بأسماء شائنة، أو وصفهم بصفات مهينة، مثل وصف النبيّ بأنّه ساحر، أو خادع، أو محتال، ونحو ذلك. فإن نظم ذلك شعراً كان أبلغ في الشتم، لأنّ الشعر يُحفظ ويُروى، وكذلك إذا استعمل في الغناء أو الإنشاد.

وحكم المستخفّ بالأنبياء كحكم المرتدّ لقوله: «إنّ الذين يُؤذونَ اللّه ورسولَه لعنَهم اللّهُ في الدنيا والآخِرة، وأَعَدَّ لهم عذاباً مُهيناً» (٣٣/ ٥٧؛ رَ: ٩/ ٦١). وسواء أكان المستخفُ هازلاً أم كان جادًا، لما جاء في قوله المذكور آنفاً (٩/ ٦٥). إنّ المستخفّ بالرسول والأنبياء **لا** تُقبَل توبتُه لقوله: «إنّ الذين يُؤذونَ اللّهَ ورسولَه لعنَهم اللّهُ في الدنيا والآخِرة، وأَعَدَّ لهم عذاباً مُهيناً» (٣٣/ ٥٧).

٤ . ومَن استخفّ بالقرآن، أو بالمصحف، أو بشيء منه، أو جحد حرفاً منه، أو كذّب بشيء ممّا صرّح به من حكم أو خبر، أو شكّ في شيء من ذلك، أو حاول إهانته بفعلٍ معيّن، مثل إلقائه في القاذورات، كفر بهذا الفعل.

٥ . وهناك استخفاف بالصحابة والسلف ونساء النبيّ، وبخاصة السيّدة عائشة، لقوله تعالى: «إنّ الذين يَرمُونَ المُحصَنات الغافِلاتِ المُؤمنات لُعِنوا في الدنيا والآخِرة. ولهم عذابٌ عظيم» (٢٤/ ٢٣). قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبيّ خاصّة. وليس فيها توبة[1].

إسْتِرَاقُ السَّمْع : يعني التسمّع مستخفياً. وقد تعني: التجسّس، وهو التنقيب عن أمور معيّنة، يبغي المتجسِّس الحصولَ عليها. وهو أكثر ما يُقال في الشرّ. والأصل تحريم استراق السمع، لقول النبيّ: «مَن استمع إلى حديث قوم

(١) الصارم المسلول، ص ٣٣٧-٣٣٨، وابن عابدين، ٣/ ٢٩٠.

وهم له كارهون، أو يَفِرّون منه، صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة»، ولقوله أيضاً: «إيّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تَحسَّسوا ولا تَجسَّسوا»(١)، ولأنّ الأسرار الشخصيّة للناس محترمة لا يجوز انتهاكها إلاّ بحقّ مشروع.

الاستِسْقَاء : لغةً: طلب السقيا، أي طلب إنزال الغيث على البلاد والعباد، عند طول انقطاعه. والمعنى الاصطلاحي: طلب إنزال المطر من الله بكيفيّة مخصوصة عند الحاجة إليه. والطقوس التي يُستنزل بها المطر قديمة كقدم الإنسان ذاته. وهي تختلف باختلاف المعتقدات والجماعات الدينيّة؛ كما تختلف أيضاً في البلاد الإسلاميّة نفسها، من بلد إلى بلد.. ويجب على الإمام، إذا أراد أن يصلّي صلاةَ الاستسقاء، أن يأمر المستسقين بالتوبة، والإكثار من الصدقات، والخروج من المظالم، والتصالح فيما بينهم، والصيام ثلاثة أيّام(١).

يستحبّ الدعاء بما أثر عن النبيّ. ومن ذلك ما روي عنه أنّه كان يدعو في الاستسقاء فيقول: «اللّهمّ! أسقنا غياثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً غدقاً، مجلّلاً سحاً عامّا طبقاً دائماً. أللّهمّ! أسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين. أللّهمّ! إنّ بالبلاد والعباد والخلق من الضنك ما لا نشكو إلاّ إليك. أللّهمّ! أنبتْ لنا الزرع، وأدِرَّ لنا الضرع، واسقنا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض. أللّهمّ! إنّا نستغفرك، إنّك كنت غفّاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً. فإذا مطروا، قالوا: أللّهمّ! صيِّباً نافعاً. ويقولون: مُطرنا بفضل اللّه وبرحمته»(٢).

الاستِشْهَاد : لغة: طلب الشهادة من الشهود، فيقال استشهده: إذا سأله أداءَ الشهادة، قال تعالى: «واستَشْهِدوا شَهِيدَينِ من رجالِكُمْ» (٢/٢٨٢)؛ واستعمل أيضاً في القتل في سبيل اللّه، فيقال استُشهد، أي: قُتل في سبيل اللّه. وفي اصطلاح الفقهاء: لا يخرج استعمالهم عن هذين المعنيين.

---

(١) عون المعبود ٤/٣٢؛ وشرح النووي بصحيح مسلم ١٦/١١٩؛ وفتح الباري ١٠/٣٩٦؛ وعمدة القاري ٢٢/١٣٦.

(١) رَ مادّة: الاستسقاء،د. علي جمعة محمّد، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١١٨.

(٢) حديث رواه ابن ماجّه؛ فتح القدير ١/٤٤٠؛ والكافي ١/٣٢٢-٣٢٣؛ نيل الأوطار ٤/١١.

الاسْتِعَاذَة : لغةً: الالتجاء، مِن عاذ به يعوذ: لاذ به، ولجأ إليه، واعتصم به. وعـذتُ بفلان أي: لجـأتُ إليـه. وتنصرف الاسـتعاذة إلى قـول: «أعـوذ باللَّهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجيم». وهي سنّة عند أغلب الفقهاء. وقـال بعضُهم بوجوبها عند قراءة القرآن، وعند الخـوف. والاستعاذة لـيست من القرآن، ولكنّهـا تُطلب لقراءته، وهي واجبة لقوله: «فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعِذْ باللَّهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجيم» (١٦/٩٨).

الاسْتِـعَارَة : من «العارية»، أي نقل منفـعة شيءٍ ما من شـخصٍ إلى آخَر. وهي أيضاً: تشبيه حُـذِفَ أحدُ طرفَيه؛ يُشترط لتحقـيقها ثلاثة شروط: ١- النقل: أي نقل اللفظ من مـعناه الوضـعي إلى المعنى المجـازي المراد من الاسـتعـارة؛ ٢- العلاقة المسوِّغـة للنقل، وهي تشبيه المستعار له بالمسـتعار؛ ٣- القرينة التي تمنع إرادة المعنى اللغوي (الوضعي) مع إرادة المعنى المجازي.

الاسْتِعَانَة : هي طلب العون. أجاز الحنفيّة والحنابلة اسـتعانة المسلم بغيره في القتال عند الضرورة؛ أمّـا الشافعيّة فبشروط، والمالكيّـة بشرط رضاه. وتجوز الاستعانة بغـير المسلم، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيـرهم في غير القربات، كتعليم الخطّ والحسـاب والشعر المباح، وبناء القناطر والمساكن والمسـاجد وغيرها في ما لا يمنع من مـزاولته شرعـاً. ولا تجوز الاستـعانة به في القـربات، كالأذان والحجّ وتعليم القرآن.. قال النبيّ: «إنَّ اللّهَ يؤيّد هذا الدِّينَ بالرجل الفاجر»[٣].

الاسْتِـغَاثَة : هي طلب الغـوث والنصر. وتكـون للعون وتفـريج الكروب. وتُسـتحبّ الاستـغاثة باللّه، سواء أكان ذلـك من قتالِ عـدوٍّ، أم من اتّقاءِ سَـبُعٍ أم نحوه؛ وذلك لاستغاثة الرسول باللّه في موقـعة بدْر، وقد أخبرنا القرآن بذلك. قال اللّه: «إذْ تَسْتَـغيثُـونَ ربَّكم فاسـتجابَ لكم. إنِّي ممدُّكم بألفٍ مـن الملائكةِ مردَفين» (٩/٨).. أمّـا الاستـغاثـة بغيـر اللّه، سـواء كانت بالملائكـة أم بالأنبيـاء والرسل، فممنوعـة، وذلك لحديث رسول اللّه: «إنّه لا يُستغاث بي، ولكن يُسـتغاث باللّه»[١].

---

(٣) عن أبي هُريرة؛ رواه البخاري، وأخرجه النسائي وابن حبان من حديث أنس بن مالك..

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير بإسناده، وأخرجه ابن حنبل ٥/٣١٧..

ولكن، يجوز الاستغاثة بغير اللّه توسّلاً به إليه تعالى، وليس استغاثةً به. فهذا غير جائز، بل عدّه العلماء من الشرك، لقوله: «ولا تَدْعُ مِن دونِ اللّهِ ما لا يَنفعُكَ ولا يضرُّكَ. فإنْ فعلتَ فإنّكَ إذاً من الظالمين. وإنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بضرٍّ فلا كاشفَ (رافع) له إلاّ هو. وإن يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لفضلِه. يُصيب به مَن يَشاءُ من عِبادِه وهو الغفور الرحيم» (١٠/١٠٦-١٠٧). وكذلك: «إذا استغاث الظالمُ وطلبَ شربةَ ماءٍ فأعطيتَه إيّاها كان ذلك إعانةً له على ظلمه»[٢].

الاسْتِغْفَار: طلب المغفرة بالقول والفعل. والمغفرة، في الأصل، الستر، ويراد بها التجاوز عن الذنب وعدم المؤاخذة به. وهو ذو صلة بالتوبة، إلاّ أنّ الاستغفار طلب من اللّه لإزالة ما لا ينبغي؛ والتوبة سعي من الإنسان في إزالته[١]. الاستغفار طلب وقايةِ شرٍّ ما مضى؛ والتوبة الرجوع وطلب وقاية شرّ ما يخافه في المستقبل من سيّئات أعماله.

في التوبة أمران لا بدّ منهما: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره؛ فخصّتِ التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة. وعند إفراد أحدهما يتناول كلٌّ منهما الآخر. والاستغفار المقرون بالتوبة عبارة عن طلب المغفرة باللسان؛ والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنب بالقلب والجوارح[٢].

روي: «التائبُ من الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ له؛ والمستغفرُ من الذنب وهو مقيمٌ عليه كالمستهزئ بربِّه»[٣]. وقد قيل: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[٤]. والمراد بالاستغفار هنا التوبة. وقيل: «الاستغفار مَمْحاةٌ للذنوب»[٥].

---

(٢) راجع: إحياء علوم الدين ٢/١٤٣، عن سفيان الثوري.

(١) الفخر الرازي ٧/١٨.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/٤٦٠؛ ومدارج السالكين ١/٨-٣، ط. السنّة المحمّديّة؛ شرح ثلاثيّات مسند أحمد ٢/٩٠٢، المكتب الإسلامي.

(٣) أخرجه البيهقي وابن عساكر، كما في الفتوحات الربّانيّة ٧/٢٦٨، نشر المكتبة الإسلاميّة.

(٤) مرقاة المفاتيح ٣/٦٦، ٧٧؛ إبن عابدين ٥/٣٥٢؛ الفتوحات الربّانيّة ٧/٢٨٢؛ مدارج السالكين ١/٢٩٠، ٣٠٨؛ الزواجر لابن حجر ١/٩؛ فتح الباري ١١/٨١؛ فتاوى ابن تيميّة

الاسْتِفَاضَة : يُقال: استفاض الحديثُ والخبر وفاض، بمعنى: ذاع وانتشر. وهي، عند الفقهاء، مستند للشهادة، أي يَستند إليها الشاهد في شهادته، فتقوم مقام المعاينة. ولذلك يُطلِق عليها الفقهاء الشهادة بالاستفاضة، والشهادة بالسماع، وبالشهرة. وشهادة الاستفاضة إنّما تكون في الأمور التي مبناها على الاشتهار، كالموت والنكاح والنسب، لأنّه يتعذّر العلم غالباً بدون الاستفاضة، ولأنّه يختصّ بمعاينةِ أسبابِها خواصٌ من الناس.

ويُقال أيضاً: «الحديث المستفيض»، وهو، عند الحنفيّة، ما رواه عن النبيّ واحدٌ أو اثنان من الصحابة، أو عن الصحابيّ، ثمّ ينتشر بعد ذلك، فيرويه قومٌ يؤمن تواطؤهم على الكذب، ويفيد اليقين. ولكنّه أضعف ممّا لا يفيده الخبر المتواتر.. وعند غير الحنفيّة: كلّ حديث لا يقلّ عدد رواته عن ثلاثة في أيّ طبقة من طبقات السند، ولم يبلغ مبلغ التواتر (أطلب مادّة: **الحديث**).

الاسْتِفْتَاح : طلب الفتح. ومنه استفتاح الصلاة، لأنّه أوّل ما يقوله المصلّي بعد التكبير. فهو يفتتح به صلاته، أي يبدؤها به.. والاستفتاح سنّة، لما ورد في الأحاديث، في صيغ مختلفة، أشهرها ثلاث:

الأولى : عن عائشة قالت: «كان رسول اللّه، إذا افتتح الصلاة، قال: سبحانك اللّهمّ وبحمدك. وتبارك اسمك. وتعالى جدّك. ولا إله غيرك».

الثانية : عن علي «أنّ رسول اللّه كان، إذا قام إلى الصلاة، قال: وجّهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً. وما أنا من المشركين. إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه ربّ العالمين. لا شريك له. وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين. أللّهمّ! أنتَ الملك لا إله إلاّ أنت. أنت ربّي. وأنا عبدك. ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي. فاغفر لي ذنوبي جميعاً. إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت. واهدني لأحسن الأخلاق. لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت. واصرف عنّي سيّئَها. لا يصرف عنّي

١٠/ ٦٥٥؛ ١٥/ ٤١؛ المغني مع الشرح ٢/ ٨٠، ط. المنار الأولى.

(٥) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس .

سـيِّئَـها إلاّ أنت. لبّـيك وسعـديك. والخيـر كلّه في يديك. والشـرّ ليس إليك. أنا بك وإليك. تباركتَ وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك».

الثالثـة: عن أبي هُريرة قال: «كان رسـول اللّه، إذا كبّـر في الصلاة، سكت هنيهة قبل القراءة. فقلت: يا رسول اللّه! بأبي أنتَ وأمّي يا رسول اللّه! في إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول: قال: أقول: اللّهمّ! باعدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب. اللّهمّ! نقّني من خطاياي كـما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس. اللّهمّ! اغسلني من خطاياي بالثلج وبالماء والبرد»[١].

الاستِقْرَاء : هو الاستدلال على حكم كلّيّ من خـلال تتبّع بعض الجزئيّات الواقعة تحت هذا الكلّيّ. ومـثاله: الانتقال من الحكم بأنّ كـلاً من الحديد والنحاس والرصاص والذهب يتـمدّد بالحرارة، إلى الحكم بأنّ كلّ مـعدن يتمـدّد بالحرارة.. وهو، اليوم، منهج العلوم الـتجريبيّـة بامتياز، والـطريق الأوحد لصياغـة القوانين العلميّة في شتّى مجالات المعرفة[١].

الاستِقْسَام : من قوله: «وأن تَستَقْسِموا بالأزْلام» (٥/٣)، أي: طلب معرفة الخير والشـرّ بواسطة ضرب القِداح. وكان الرجل في الجاهليّـة، إذا أراد سفراً، أو غزواً، أو تجـارةً، أو نكاحـاً، أو أمراً آخر، ضـرب بالقِداح. وكـانوا قد كـتبـوا على بعضــها «أمـرني ربّي»، وعلى بعضــها «نهاني ربّي»، وتـركوا بعضــها خـالياً عن الكتابة. فإن خـرج الأمر أقدم على الفعل؛ وإن خرج النهي أمـسك؛ وإن خرج الغُفْل أعـاد العـمل مـرّة أخـرى. فــهم يطلبـون من الأزلام أن تدلّهم عـلى قَـسـمــهم.. والاستـقسام بالأزلام، سـواء كان لطلب القسم في أمـور الحياة الغـيبيّـة، أو كان للمقامـرة، فهو خروج عن طاعة اللّه، لأنّه تعرّض لعلم الغـيب، أو نوع من المقامرة. وكلاهما منهيّ عنه.

---

(١) أخرجه البـخاري ومسلم وأحمد والنسـائي وأبو داود وابن ماجّة، نيل الأوطار ٢/١٩١، ط. المطبعة العثمانيّة المصريّة، ١٣٥٧هـ.

(١) رَ مادّة: الاستقراء، د. أحمد الطيّب، في الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ١٢٣.

الاسْتِلَام : لغةً: اللّمس باليد أو الفم. والاستـلام مأخوذ إمّا من السَّلام أي التحيّـة، وإمّا من السِّلام أي الحجـارة، لما فيه من لمس الحجـر. ويستعمله الفـقهاء بهذه المعـاني عند الكلام عن الطواف.. يتّفق الفقـهاء على أنّه يُسنّ استلام الحـجر الأسود والركن اليماني باليد في أوّل الطواف؛ لأنّ الركن اليـماني مبنيّ على قواعد إبراهيم، فـسنّ استـلامه، كـاستـلام الركن الذي فيـه الحجـر. والاستـلام بالفم كالاستـلام باليد بالنسبة للحجـر. وعند العجز عن الاستلام باليـد يَستلم الإنسان بشيء في يده. فإن لم يمكنه استلامُه أصلاً أشار إليه وكبّر (أطلب مادّة: **الطواف**).

الاسْتِلْحَاق : الإقرار بالنسب. جـاء في حديث عمرو بن شـعيب: «إنّ النبيّ قضى أنّ كلَّ مستَلْحَق استُلحِقَ بعد أبيه الذي يُدعَى له فقد لحِقَ بمن استلحقه»[١].. وقد اتّفق الفقهاء على أنّ حكم الاستلحاق عند الصدق واجب، ومع الكذب في ثبوته ونفيـه حرام، ويُعـدّ من الكبائر، لأنّه كـفران النعـمة.. ويشتـرط الفقـهاء لصـحّة الاستلحاق شروطاً معيّنة، منها: أن يولد مثله لمثله، وأن يكون مجهول النسب، وألاّ يكذّبه المقرُّ له إن كان من أهل الإقرار.

الاسْتِنْبَاط : هو الانتقـال من قضيّة إلى قـضيّة أخرى تُسـتنتَج منها وفق قواعد منطقيّة.. والفرق بين الاستنباط والاستقراء هو أنّ الاستنباط يُعمَّم من مثالٍ واحد؛ فيـما الاستقـراء لا يُعمَّم إلاّ بعد أمثلة عـدّة؛ أي إنّ الاستقراء هو انتـقال من جزئيّ إلى كلّيّ؛ فيما الاستنباط هو انتقال من بسيط إلى مركّب.

الاسْتِنْتَاج (راجع مادّة: **الاستنباط**).

الاسْتِنْـجَاء : هو إزالة مـا يخرج من السـبيـلين، سواء بالغـسل أو المسح بالحجـارة ونحوها عن مـوضـع الخروج. وليس غـسل النجاسة عـن البدن أو عن الثوب استنجاء. وهو واجب لقول النبيّ: «إذا ذهب أحـدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحـجار، يسـتطيب بهنّ. فإنّهـا تجزي عنه»[١]، ولقوله أيضـاً: «لا يستنجي

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجّه ٢/٩١٧-٩١٨، ط. عيسى الحلبي ١٣٧٣هـ.

(١) رواه أبو داود ، السنن ١/٤١؛ والنسائي، السنن ١/٣٨، عن عائشة.

أحدكم بدون ثلاثة أحجار»[٢]. والاستنجاء فرض على كلّ مسلم بعد قضاء الحاجة. ويجوز له إرجاء الإستنجاء إلى أن يستعدّ لأداء الصلاة.

الاسْتِنْشَاق : هو إدخال الماء في الأنف. وهو سنّة من سنن الغسل والوضوء، عند جمهور الفقهاء، وعند الحنابلة فرض.

الاسْتِنْفَار : هو الخروج إلى قتال العدوّ ونحوه، بدعوة من الإمام أو غيره، أو للحاجة إلى ذلك. وكان النفير في عهد النبيّ فرض عين، فلم يكن لأحد من غير المعذورين أن يتخلّف عنه، لقوله تعالى: «إلاّ تنفروا يعذّبكم عذاباً أليماً.. إلى قوله: أنفروا خفافاً وثقالاً» (٩/ ٣٩-٤١).

الاسْتِهْلَال : من استهلّ الهلال، أي: ظهر، واستهلّ الطفل: رفع صوتَه بالبكاء عند ولادته. والإهلال هو رفْع الصوت بقول: لا إله إلاّ اللّه. وأهلّ المحرَم بالحجّ: رفع صوتَه بالتلبية.

الاسْتِيَاك : من استاك، أي: نظّف فمَه وأسنانَه بالسواك، ومثله: تسوّك. ويقال: ساك فمَه بالعود يسوكه سوكاً، إذا دلكه به. ولفظ السواك يُطلق ويراد به الفعل، أو العُود الذي يُستاك به، ويسمّى أيضاً: المِسْواك. عن عائشة عن النبيّ أنّه قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»؛ وعن أبي هُريرة عن النبيّ أنّه قال: «لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتُهم بالسواك عند كلّ صلاة». والسواك من خصال الفطرة.

روى مسلم عن عائشة حينما سئلت: بأي شيء يبدأ الرسول إذا دخل بيته؟ قالت: «كان إذا دخل بيتَه بدأ بالسواك». ويُستحبّ عند النوم، والجماع، وأكلِ ما له رائحة كريهة، وتغيّرِ الفم بعطش أو جوع، أو قيام من نوم، أو اصفرار سنّ، وكذلك لإرادة أكلٍ، أو فراغٍ منه..

إِسْحَق : يرد اسمه في القرآن ١٧ مرّة. تعتمد قصّته على ما جاء في التوراة. ومختصرها في الروايات الإسلاميّة كما يلي: لمّا بلغ إسحق السابعة من

---

(٢) رواه مسلم عن سلمان الفارسي، صحيح مسلم ١/ ٢٢٤.

عمره ذهب إلى **السّعي**. وأُمر إبراهيم في منامه بأن يقدّم قرباناً إلى اللّه. فلمّا أصبح ذَبَح عِجلاً، وفرّق لحمه على الفقراء. وسمع في الليل صوتاً يقول إنّ اللّه يريد أن تذبح ابنَك. فانتبَهَ من نومه مذعوراً، وقال: «يا بُنَيَّ! إنِّي أرى في المنام أنّي أذبَحُكَ. قال: يا أبتِ! إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء اللّه من الصابرين» (٣٧/ ١٠١-١٠٢).

فأخذ إبراهيم حَبْلاً وسكِّيناً، وانطلق به إلى الجبل. وقال إسحق: يا أبتِ! أشدد رباطي حتّى لا أضطرب، واكفف عنّي ثيابَك حتّى لا ينتضح عليها دمي، وتراها أمّي فتحزن، ولا تنظر إلى وجهي وأنتَ تذبحني حتّى لا تدركك رقّة. يا أبتِ! عوّضك اللّه عنّي خيراً. ولا تنظر إلى أولادٍ مِن سنّي حتّى لا تحزن.

ووضع إبراهيم السكّين على رقبة إسحق؛ ولكنّها انفلتت من يده ثلاث مرّات. ونودي إبراهيم «قَد صَدَّقْتَ الرؤيا» (٣٧/ ١٠٥) بما أتيتَ به. ورأى إبراهيم كبشاً خارجاً من الجنّة. وقيل إنّه الكبش الذي قرّبه هابيل وذبحه قرباناً إلى اللّه.

ولمّا كان القرآن لا يصرّح باسم الذبيح في الآيات التي ذكرناها فقد نَسب كثير من علماء المسلمين قصّة الذبح هذه إلى **إسماعيل**. ولكن يمكن أن يُقال إنّ أقدم الروايات لم تختلف عن رواية التوراة في هذا الموضوع.

أمّا في التوراة، فإسحق، ومعناه بالعبريّة «يضحك»، هو إبن إبراهيم وسارة، ووالد يعقوب وعيسو. من آباء العهد القديم. ولد في بئر سبع (تك ٢١/ ١٤ و٣١)، عندما كان أبوه قد بلغ السنة المائة من العمر، وحين كانت أمُّه قد بلغت تسعين عاماً تقريباً (تك ١٧/ ١٧؛ ٢١/ ٥). ولمّا وعد اللّهُ سارة بأنّها تلد ابناً ضحك إبراهيم لأنّ أمراً مثل هذا يبعد تصديقه (تك ١٧/ ١٧-١٩). ولمّا سمعت سارة الوعد نفسه ينطق به أحد الضيفَين السماويّين ضحكت هي أيضاً لأنّها لم تصدّق شيئاً من مثل هذا (تك ١٨/ ٩-١٥).

ولمّا ولد الطفل قالت سارة: إنّ الربّ صنع إليَّ ضحكاً، وأنّ جيرانها سيضحكون معها (تك ٢١/ ٦). فقد لازم الضحك هذا الصبي من وقت الوعد به

إلى ما بعد ولادته. ولذا فقد دعا إبراهيم ابنَه «إسحق»، أي «يضحك».

ولقد ختن إبراهيمُ إسحق في اليوم الثامن، كما أمره الربّ (تك ٢١/٤). وفي مناسبة الاحتفال بفطام إسحق، وبناء على رغبة سارة، طرد إبراهيم الأمة هاجر وابنَها إسماعيل (تك ٢١/٨-٢١). وعلى جبل المربا كاد إبراهيم يقدّم ابنَه ذبيحة، ولكنّ اللّه منعه من تقديم هذه الذبيحة. فقدّم إبراهيم كبشاً عوض إسحق ابنه (تك ٢٢/١-١٣). وبهذا أظهر اللّه لإبراهيم أنّه لا يطلب تقديم الأولاد ذبائح كما كان يفعل الكنعانيّون في ذلك الحين. وهذا هو كلّ مغزى ذَبْح إسحق.

الإسْرَاءُ والمِعْرَاج : الإسراء من «أسرى»، وهو السير ليلاً. والمعراج هو السُّلَّم. والإسراء والمعراج هما تلك المعجزة الكبرى التي وقعت قبل الهجرة، وتعني أنّ اللّهَ أسرى بنبيّه محمّد من المسجد الحرام بمكّة إلى المسجد الأقصى بالقدس؛ ثمّ عُرِّجَ به إلى السموات العلى، ثمّ إلى سدرة المنتهى، حيث صعد إلى ما لم يصعد إليه قبلُ نبيٌّ مرسَل، ولا مَلَكٌ مقرَّب. وفي هذه الليلة فرض اللّه على أمّة الإسلام خمس صلوات في كلّ يوم وليلة.

ومعجزة الإسراء ثابتة بالقرآن، في قوله: «سُبْحَانَ الّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إلى المَسجِدِ الأقصَى الّذي بارَكْنَا حَولَه لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» (١٧/١). وكذلك معجزة المعراج ثابتة في قوله: «ولقدْ رآهُ نَزْلَةً أخرى، عند سِدْرَةِ المُنتَهَى. عندَها جَنَّةُ المأوى. إذ يَغشى السِّدرَةَ ما يَغشَى. ما زاغَ البصَرُ وما طَغَى. لقدْ رأى مِن آيات ربِّهِ الكُبرى» (٥٣/١٣-١٨).

ولهذه المعجزة الكبيرة قصّة طويلة، وهي على النحو التالي: ذات ليلة، وبينما محمّد نائم في الحجر بمكّة، أيقظه جبريل الذي سار به على دابّة بيضاء في فخذيها جناحان، تُدعى **البُرَاق**. ولمّا ركب محمّد هذه الدابّة مَضيا سويًا حتّى انتهيا إلى بيت المقدس. وفي طريقهما، زارا حبرون وبيت لحم. وفي بيت المقدس قابلا إبراهيم وموسى وعيسى، فأمّهم محمّد للصلاة. وبذلك كانت له الأسبقيّة عليهم، وعلى جميع الأنبياء الذين تجمّعوا هناك.

يُقال إنّ النبي أجرى ٧٠,٠٠٠ محادثة مع اللّه، مع أنّ الرحلة كلّها مرّت بسرعة بحيث أنّه، لمّا عاد، كان فراشه ما يزال دافئاً، والإناء الذي كان قد قلبه النبيّ بقدَمِه وهو يسرع بالخروج، لم يكن قد فرغ ماؤه بعد.

ويذهب أهل السنّة إلى أنّ الإسراء كان بالجسد إبّان يقظته، أي ليس بالروح والمنام. ويقدّمون البراهين الآتية: ١- إن لم يكن النبي قد أسري بجسده، فإنّ الإسراء لا يعطينا دليلاً على نبوّته. ٢- جاء في القرآن إنّ اللّه أسرى بعبده؛ ولم يقل إنّه أسرى بروح عبده. ٣- إذا كان النبي أُسري بروحه فقط لم تكن هناك حاجة إلى البُرَاق، لأنّ الحيوان يحمل الأجسام لا الأرواح. أمّا المتصوّفة والفلاسفة فيفضّلون التفسير الرمزي.

إسْرَائِيْل: ذُكر مرّتَين في القرآن، في قوله: «كلّ الطّعام كان حِلاً لبني إسرائيل إلاّ مَا حَرَّم إسرائيلُ على نفسِه مِن قبلِ أن تُنزَّلَ التوراة» (٣/٩٣)، وفي قوله: «ومِن ذرّيّة إبراهيمَ وإسرائيلَ، وممَّن هدَينا واجتَبَينا» (١٩/٥٨)؛ على خلاف تعبير «بني إسرائيل» الذي ذكر ٤١ مرّة.

أمّا إسرائيل في التوراة، فهو لقب جَدّ بني إسرائيل، أطلق على يعقوب بعد عراكه مع الملاك. ومعناه «يجاهد مع اللّه»، أو «اللّه يصارع» (تك ٣٢/٢٨).

الإسْرَاف: هو مجاوزة الحدّ في كلّ فعل. وقد أشار القرآن إلى الإسراف والمسرفين في ٢١ موضعاً. ويقصد بها معانٍ عدّة: إسراف العباد على أنفسهم في المعاصي والآثام (٣٩/٥٣؛ ٣/١٤٧)؛ والإسراف في الضلال والانهماك في الشهوات وعدم تصديق كلام اللّه وآياته البيّنات (٢٠/١٢٧؛ ٤٠/٣٤)؛ والإسراف في العصيان والإجرام وتجاوز الحدود وقتل الأنبياء والرسل (٢١/٩؛ ٥/٣٢؛ ١٠/١٢؛ ٢٦/١٥١؛ ٤٣/٥؛ ٥١/٣٤؛ ٤٠/٤٣)؛ والإسراف في الطغيان وادّعاء الربوبيّة (١٠/٨٣)؛ وكذلك يكون الإسراف في حقّ القصاص (١٧/٣٣)؛ وفي حقّ اليتامى (٤/٦)؛ وفي حقّ الأكل والشرب (٧/٣١)؛ والإسراف في كلّ شيء (٧/٨١). واللّه يأمر: «لا تُسرِفوا. إنّه لا يُحبُّ المسرِفين» (٧/٣١).

إسْرَافيل : هو أحد الملائكة الأربعة المشهورين: جبريل، مبلّغ القرآن؛ وميكائيل الموكّل بالنبات؛ وعزرائيل ملَك الموت. وأمّا إسرافيل فهو صاحب القرن الذي سينفخ فيه عندما تقوم الساعة. ورد إسمه في الحديث دون القرآن. وهو، بحسب التقليد الإسلامي، ذو حجم هائل؛ له أربعة أجنحة؛ يقرأ قضاء اللّه من اللّوح المحفوظ، ويبلّغها إلى الموكّل بها من رؤساء الملائكة. وهو ينظر إلى جهنّم ثلاث مرّات في النّهار، ومثلها في اللّيل... ويوم القيامة، يقف إسرافيل على الصخرة المقدّسة في بيت المقدس، ويُعطي الإشارة التي تعيد الموتى إلى الحياة..

الأسْرَى : ١ . جمْع أسير، ويُجمع أيضاً على أُسارى وأَسارى. والأسير لغةً: مأخوذ من الإسار، وهو القيد. وكلّ محبوس في قَيد أو سجن أسير. والأسير هو المسجون في قوله تعالى: «ويُطعِمُون الطعامَ على حبِّه مِسْكيناً ويَتِيماً وأسيراً» (٨/٧٦). وفي الاصطلاح: عرّف الماوردي الأسرى بأنّهم: الرجال المقاتِلون من الكفّار، إذا ظفر المسلمون بهم أحياء[1].

٢ . الأسر مشروع. ويدلّ على مشروعيّته النصوص الواردة في ذلك، ومنها قوله: «فإذا لَقِيتمُ الذينَ كَفروا فضرْبُ الرِقاب. حتّى إذا أثخنتموهم فشدُّوا الوثاق..» (٤٧/ ٤). ولا يتنافى ذلك مع قوله: «ماكان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حتّى يُثخنَ في الأرض» (٨/٦٧)، لأنّها لم ترد في منع الأسر مطلقاً، وإمّا جاءت في الحثّ على القتال، وأنّه ما كان ينبغي أن يكون للمسلمين أسرى قبل الإثخان في الأرض، أي المبالغة في قتل الكفّار. وهذا يعني أنّ الأسْر لا يكون إلاّ بعد القتال.

٣ . والحكمة في مشروعيّة الأسر: كسْر شوكة العدوّ، ودفع شرّه، وإبعاده عن ساحة القتال، لمنع فاعليّته وأذاه، وليمكن افتكاك أسرى المسلمين به.

٤ . ويجوز أسر كلٍّ مَن وقع في المسلمين من الحربيّين، صبيًا كان أو شابًا أو شيخاً أو امرأة، الأصحّاء منهم والمرضى، إلاّ مَن لا يُخشى مِن تركه ضررٌ وتعذّرَ نقلُه، فإنّه لا يجوز أسره.. وذهب الشافعيّة إلى أنّه يجوز أسر الجميع.

---

(١) الأحكام السلطانيّة، ص ١٣١، ط. أولى سنة ١٣٨٠هـ.

٥ . وذهب مالك إلى أنّ الإمام يخيَّر في الأسرى بين خمسة أشياء: فإمّا أن يَقتل؛ وإمّا أن يسترق؛ وإمّا أن يعتق؛ وإمّا أن يأخذ فيه الفداء؛ وإمّا أن يعقد عليه الذمّة ويضرب عليه الجزية. والإمام مقيّد في اختياره بما يحقّق مصلحة الجماعة.

أسْعَد بن زَرَارَة (أبو أمامة) : صحابي، أحد نقباء الأنصار الستة الذين لقيهم رسول اللّه في العقبة الأولى، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوه. ثمّ كان أيضاً أحد الإثني عشر الذين تمّ اختيارهم في بيعة العقبة الثانية ليكونوا كفلاء على قومهم. ونزل محمّد، بعد مقدمه المدينة، بيت أسعد الذي أصبح مشرق شمس الإسلام.

الإسْلاَم : ١ . هو الإسم الذي يطلقه المسلمون على دينهم. ومعناه: الخضوع والإستسلام والانقياد للّه. وفي معتقدهم: «إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإسْلامُ» (٣/ ١٩)؛ و«مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه» (٣/ ٨٥)؛ و«مَنْ يُرِدِ اللّهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ» (٦/ ١٢٥)؛ و«هُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» (٣٩/ ٢٢). والإسلام هو الدِّين التّام الكامل الذي ارتضاه اللّه لعباده المؤمنين برسالة محمّد: «وأتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا» (٥/ ٣). وهو نعمة من اللّه يمنّ بها على المؤمنين، الذين يشكرونه عليها: «لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلامَكُمْ؛ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيكُم» (٤٩/ ١٧).

٢ . غير أنّ سؤالاً لا بدّ من طرحه، وهو هلِ الإسلام، حقّاً، دينٌ جديد؟ وهل كان محمّد أوّل مَن دعا إليه؟ وبتعبير آخر: هل وُجِدَ الإسلامُ مع محمّد أم أنّه كان قبله؟ فيكون بالتالي دين الأنبياء جميعهم؟ هذا هو المرجح، إذا ما استعرضنا كلمة "إسلام" ومشتّقاتها في القرآن : فـ"ألإسلام" ، في القرآن، يعني دينَ النّبيّين السابقين، ودينَ الذين وحّدوا اللّه، ورفضوا الشرك والأوثان، وآمنوا باليوم الآخِر. والمسلمون الحقيقيّون هم الذين لا يزالون على إيمان مَن أسماهم القرآن "أهل كتاب" ، قبل أن يتفرّقوا شيَعاً وفِرَقاً وأحزاباً. قال: «قلْ: يَا أهلَ الكتَاب! لَستُمْ عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ وَالإنْجِيلَ ومَا أُنْزِلَ إلَيكُمْ مِنْ رَبِّكُم» (٥/ ٦٨).

٣ . وأنبيـاء التّوراة، جـميـعُهم، منذ نوح حـتّى عيـسى وتلاميـذه، كانوا مُسلمِين، قبل محمّد والقرآن وأتباعهما، وذلك بشهادة القرآن نفسه :

فنوح، أوّلُ رسـولٍ إلى أهل الأرض، دعـاه اللّهُ إلى أنْ يكـون من المسلمين. قال: «أُمِرْتُ أنْ أكُونَ **مِنَ المُسْلِمِينَ**» (١٠/ ٧١).

و**إبراهيم**، لم يكن يهـوديًا ولا نَصـرانيًا، بل كـان مُسـلماً. قـال: «مَا كـانَ إبراهيمُ يهوديّاً، –ولا نَصرانيّاً–. ولَكِنْ كَانَ **حَنِيفاً مُسْلِماً**. ومَا كَانَ من المُشرِكِين» (٣/ ٦٧). و «إذ قَالَ لهُ رَبُّه: **أسْلِمْ**. قَالَ: **أسْلَمْتُ** لِربِّ العَالِمينَ» (٢/ ١٣١).

وإبراهيم وابنُه **إسماعيل** يصلِّيان إلى اللّه أن يجعلهمـا وذرِّيَّتَهما مسلمين: «رَبَّنا! تَقَـبَّلْ منَّا. إنّكَ السَّمـيعُ العَليم. رَبَّنا! وَاجْـعَلْنا **مُسْلِمَينِ** لَكَ. ومن ذرِّيَّتنا أُمَّـةً **مُسْلِمَةً** لَكَ» (٢/ ١٢٧–١٢٨). وعنهما قال الـقرآنُ أيضاً: «فلمّا **أسْلَمَا** وَتَلَّهُ للْجَبِينِ (أي صرعه عليه)» (٣٧/ ١٠٣).

وعن قرى **قوم لوط** قال: «مَا وَجَدْنا فِيـها غَيرَ بَيتٍ **مِنَ المُسْلِمِينَ**» (هو بيت لوط وابنتَيه) (٥١/ ٣٦).

ويعقوب أيضاً يُوصي بنيـه قُبَيل موته قـائلاً: «يَا بَنيَّ! إنَّ اللّهَ اصْطَفَى لكُمُ الدِّينَ. فلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأنتُمْ **مُسْلِمُونَ**» (٢/ ١٣٢).

و**بنو يعقوب** كانوا لأبيهم أوفيـاءَ فاستجابوا لوصيّتـه، وقالوا: «نَعْبُدُ إلهَكَ وإلهَ آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ، إلَهاً وَاحِداً. **وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**» (٢/ ١٣٣).

و**يوسف الصـدِّيق** يصلِّي إلـى ربِّه قـائلاً: «ربِّ!.. أنـتَ وليِّي في الدنيـا والآخرة. تَوَفَّني **مُسْلِماً**، وألحِقْني بالصَّالحِين» (١٢/ ١٠١).

و**موسى** أيضاً يقـول لشعبـه: «إنْ كنتُمْ آمَنتُم باللّه فَعَليـه تَوكّلوا إنْ كنتُم **مُسْلِمِينَ**» (١٠/ ٨٤).

وحتّى **فرعون**، الذي حـاول أن يتوب إلى اللّه قَـبْلَ أن يُدركَه الغَـرَق، أعلَن إسلامَه. قال: «لا إلهَ إلاَّ الَّذي آمَنَتْ بِهِ بَنو إسْرَائيل. **وَأنَا مِنَ المُسْلِمِينَ**» (١٠/ ٩٠).

والسَّحَرَةُ أيضاً اعترفوا أمام فرعـون، وطلبوا من اللّه أن يُميتَهم مُسلِمِين. قالوا: «رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَينا صَبْراً. وَتَوَفَّنَا **مُسْلِمِينَ**» (٧/١٢٦).

وكذلك **الجِنّ**، منهم مـسلمون ومنهم ظالمون، قـالوا: «وَأَنَّا **مِنَّا المُسْلِمُونَ**، ومِنَّا القاسطونَ (أي الجائرون). **فَمَنْ أسْلَمَ** فأولئكَ تَحرَّوا رَشَداً (أي قصدوا طريقَ الحقّ). وأمَّا القَاسِطُونَ فكانوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» (٢/ ٢٤).

واعترف **سليمان** أنّه كان مـسلماً، من قـبلُ أن يلتقي ببلقيس مـلكة اليمن. قال: «وَأُوتِينا العِلْمَ مِنْ قَبْلِها. **وكُنَّا مُسْلِمِينَ**» (٢٧/ ٤٢). وقال القرآنُ عنه: «إنَّه مِن سُلَيـمانَ، وإنَّه بسمِ اللَّهِ الرَّحـمنِ الرَّحـيمِ، ألاَّ تَعْلُوا عليَّ وَأْتُونِي **مُسْلِمِينَ**» (٢٧/ ٣٠–٣١؛ ر:٢٧/ ٣٨).

و**بَلقِيس** نفسُها أعلنت إسلامَها مع سليمان، فقالت: «ربِّ! إنِّي... **أسْلَمْتُ** مَعَ سُلَيمانَ للَّهِ ربِّ العَالَمِين» (٢٧/ ٤٤).

و**أنبياء بني إسرائيل**، جميعُهم، يحكمون على ما في التَّوراة من هدى ونور. قال: «إنَّا أنـزَلْنا التَّوراةَ فيـها هدًى ونورٌ. يَحْكُـمُ بِهَا النَّبِيُّـونَ الَّذِينَ **أسْلَمُوا** لِلَّذِين هَادُوا» (٥/ ٤٤).

وقال عن **الحَوارِيِّين** الذين شـهَّدوا عيسـى على إسلامهم: «فلمَّا أحَسَّ عيسـى منهم الكُفرَ، قال: مَن أَنْصَاري إلى اللَّهِ؟ قال الحَوَارِيُّون: نَحنُ أنصَارُ اللَّهِ. آمَنَّا باللَّه. وَاشْهَدْ (يا عـيسى) **بأنَّا مُسْلِمُونَ**» (٣/ ٥٢). وفي المعنى نفسـه، قال أيضاً : «وَإذْ أَوْحَيتُ إلَـى الحَوَارِيِّينَ أنْ آمِنُوا بي وبرَسُـولي (عيسـى). قَالُوا: آمَنَّا. وَاشْـهَدْ (يا عيسى) **بأنَّنَا مُسْلِمُونَ**» (٥/ ١١١).

٤ . أمَّا **الأنبيـاء العرب** الذين يتكلّم عليهم القـرآن، مثل: **هُود**، نبيّ عاد: ٧ مرّات (٧/ ٦٥؛ **١١**/ ٥٠ و٥٣ و٥٨ و٦٠ و٨٩؛ **٢٦**/ ١٢٤)، و**صَالِح**، نبيّ ثمـود: ١١ مـرّة (٧/ ٧٣ و٧٥ و٧٧ و١٨٩ و١٩٠؛ **١١**/ ٦١ و٦٢ و٦٦ و٨٩؛ **٢٦**/ ١٤٢؛ **٢٧**/ ٤٥)، و**شُعَيب**، نبيّ مِدْين: ١١ مـرّة أيضاً (٧/ ٨٥ و٨٨ و٩٠ و٩٢ (مرّتين)؛ **١١**/ ٨٤ و٨٧ و٩١ و٩٤؛ **٢٦**/ ١٧٧؛ **٢٩**/ ٣٦)، فلم يشـر القـرآن إليهم مـرّةً إلى

أنَّهم مسلمون. وهذا أيضاً دليلٌ آخر على أنّ "الإسلام" هو دين أنبياء التوراة والإنجيل.

٥ . و "**أهلُ الكتاب" جميعُهم**، بحسب ما جاء في القرآن، يَهوداً كانوا أم نَصارى، كانوا مُسلمين : قال : «قُلْ يَا أهلَ الكتاب! تعالَوا إلى كلمةٍ سَواءٍ بَينَنا وبَينَكم: ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ. وَلا نُشْرِكَ به شَيئاً. وَلا يَتَّخِذَ بعضُنا بعْضاً أرْباباً مِن دُونِ اللَّه. فَإنْ تَوَلَّوا فقُولوا: إشْهَدُوا **بِأنَّا مُسْلِمُونَ**» (٣/ ٦٤).

وقال أيضاً عن أهل الكتاب الذين «قالوا: لن يَدخُلَ الجنّةَ إلاّ مَن كان هوداً – أو نصارى–. تلك أمَانِيُّهُمْ... بلى **مَنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ** للّهِ وهو مُحْسِنٌ فلَهُ أجْرُهُ عند رَبِّه» (٢/ ١١١–١١٢)؛ وأيضاً : «ومَن أحسنَ ديناً **مِمَّنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ** للّه وهو مُحْسِنٌ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً، واتَّخذَ اللّهُ إبراهيمَ خَليلاً» (٤/ ١٢٥)؛ وأيضاً : «**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ** إلى اللَّهِ وهو مُحْسِنٌ فقد استَمسَكَ بالعروة الوُثقى. وإلى اللَّه عاقِبةُ الأمُور» (٢١/ ٢٢)؛ وأيضاً : «وَمَن أحسنُ قولاً ممّنْ دَعَا إلى اللّه وعَمِلَ صالحاً، وقال: **إنَّني مِنَ المُسْلِمِينَ**» (٤١/ ٣٣)؛ وأيضاً : «ولا يَأمُرُكُمْ أنْ تَتَّخِذُوا الملائِكَةَ وَالنّبيِّينَ أرْبَاباً. أيَأمُرُكُم بِالكفرِ بعدَ إذْ **أنْتُمْ مُسْلِمُونَ**؟!» (٣/ ٨٠).

٦ . والمسلمون الحقيقيّون، في تعريف القرآن، كالنّصارى من أهلِ الكتاب، هم الذين "يوحِّدون" و "لا يفرِّقون"، و "يُقيمون الكتابَ كلَّه" ولا يُميِّزون، ويؤالفون بين الشيع والأحزاب المختلفة ولا يتحزَّبون. إنّهم «أمّة وسط» بين اليهود "الظالمين»، والمسيحيّين "المغالين"، أمّة «مقتصدة» في عقيدتها. قال النَّصارى : «إنَّا كنَّا مِن قَبْلِه (أي القرآن) **مُسْلِمِينَ**» (٢٨/ ٥٢).

وقال محمّد عنهم : «هُوَ سَمّاكُمُ **المُسْلِمِينَ** مِنْ قَبْلُ وَفي هذا (القرآن)» (٢٢/ ٧٨). وقال اللّهُ عنهم لمحمَّد : «وَمَا أرْسَلنَاكَ إلاّ رَحمَةً للعالمِين. قلْ: إنَّما يُوحَى إليَّ إنَّما إلهُكُم إلَهٌ واحدٌ. فهلْ أنتُمْ **مُسْلِمُونَ**؟» (٢١/ ١٠٧–١٠٨؛ ٢٧/ ٩١–٩٢). وقال محمّد لأتباعه: «وَلا تُجادلوا أهلَ الكتاب إلاّ بالتي هي أحسنُ إلاّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ. وَقُولُوا: آمَنَّا بالذي أُنْزِلَ إلينَا وَأُنْزِلَ إليكُمْ. وَإلهُنا وَإلهُكم واحدٌ. وَنَحْنُ لَهُ **مُسْلِمُونَ**» (٢٩/ ٤٦).

٧. فعلى مــثال نوح، وإبراهيم، وإسماعـيل ابنه، ويعقوب، وبنيـه الأسباط الإثنَي عشـر، ويوسف الصدّيق، والنَّبيَّين مـوسـى وسليمان، وملكة اليـمن بلقيس، وفرعون والسحرة، والجِنّ، والحوارِيِّين رسلِ عـيسى الإثنَي عشر، والأنبياءِ وأهلِ الكتاب كافّةً، يهودٍ ونصارى، في مختلف شيعهم وأحزابهم... يكون أتباعُ محمّد،

ويقولون: «آمـنّا باللّه، ومَا أُنزلَ إلينَا، ومَـا أُنزلَ إلَى إبْرَاهيمَ، وإسْمَـاعيلَ، وإسْحَقَ، ويَعْـقوبَ، والأسْباطِ، ومَا أُوتيَ مُـوسَى، وعِيسَى، ومَا أُوتِيَ النَّـبيُّونَ مِنْ ربِّهم. **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُمْ. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**» (٢/ ١٣٦).

ويدعوهم القـرآنُ أيضاً إلى أن يؤمنوا باللّهِ وبكتـبه، وبألاَّ يُفَرِّقـوا بين أحدٍ من النّبيّين. وبذلك يكونون مسلمين حقيـقيّين. قال: «قلْ: آمَنَّا باللّه، ومَا أُنْزِلَ علَينا، ومَا أُنْزِلَ علَى إبْراهيمَ وإسْـماعيلَ وإسْحقَ ويعْـقوبَ والأسْباط، ومَـا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبيُّون مِن ربِّهم. **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُمْ. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**» (٣/ ٨٤).

ويدعو محـمّدٌ أتباعَه بألاَّ يـتفرّقوا كمـا تفرّق بنو إسرائيل. ولا يتـبعوا أيَّ فريق منهم. بل ليـتّقوا اللّه. ولا يموتُنّ إلاّ على الإسلام: «يَا أيُّهـا الّذينَ آمَنُوا! إتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ. وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ **وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**» (٣/ ١٠٠-١٠٤).

٨. وثمّة آيات أخرى أيضاً تدلّ على أسبقيّة الإسلام الحقيقي، أي الإسلام البيبلي على الإسلام العـربي. وهي آياتٌ تشير إلى أنَّ محمّداً نفسَـه أعلنَ انضمامَه إلى الإســلام البـيبلي السـابق على الإســلام العـربي، ودعـا إلى إقامـةِ أحكامـه، والالتحاقِ به. وهو، على ما يبدو، أمـــرٌ إلهيّ(؟).

قال: «وَأُمِـرْتُ (؟) أنْ أكُونَ منَ **المُسْلِمِينَ** (أي من نصــارى مكّة)، وأنْ أتْلُوَ القرآنَ» (٢٧/ ٩١-٩٢). فأيّ أمرٍ هو؟ وأمْـرُ مَن؟ ومَن هم المسلمون الذين سيكون محمّد منهم؟ وأيّ قرآن موجود مدعوٌّ إلى تلاوته؟ وقال أيضاً: «أُمِرْتُ (؟) أنْ **أُسْلِمَ** لرَبِّ العالَمِينَ» (٤٠/ ٦٦).

ثمّ اشتـدّ عليه الأمر (؟)، ودعا (؟)هُ إلى أن يكونَ رأسَ المسلمين، وإمـامَهم، والمسؤولَ عنهم، وسـيّدَهم، وقائدَهم، ووليَّ أمرِهم، وبكلمـة: أوّلَهم. قال: «وأُمِرْتُ

(؟) لأَنْ أَكُونَ **أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**» (١٧/٣٩). وقال أيضاً وبالمعنى نفسه: «وَإِنِّي أُمِرْتُ (؟) أنْ أكُونَ **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ**» (١٤/٦). وكذلك قال مردِّداً: «وبِذَلكَ **أُمِرْتُ** (؟) **وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**» (١٦٣/٦).

٩ . هذه الأولويّة، Priorité ، ليست **أوّليّة** زمنيّة، Primauté ، بل هي أولويّة في المقام والمسؤوليّة. ويُستبعد جدّاً أن تكون أوّليّة زمنيّة بعدما أثبت القرآنُ نفسُه أسبقيّةَ الإسلام البيبلي على الإسلام العربي؛ وأسبقيّة إسلام النبيّين والنصارى من أهلِ الكتاب على إسلام محمّد وأتباعه.

هذا **الأمر**، المتواتر على محمّد، هل هو من اللّه مباشرة، كما يقول المسلمون اليوم؟ أم هو من شخصٍ آخر يتكلّم باسم اللّه، كما هو واضح في دور ورقة بن نوفل، ابن عمّ السيّدة خديجة، زوج النبيّ، وأقرب المقرّبين إلى محمّد، وخبير بمعرفة ناموس موسى وعيسى؟ قسُّ مكّة هذا هو الذي قام بـ **الأمر الإلهي**، أمرِ التبليغ والإنذار.

لهذا، ليس للمسلمين اليوم حجّةٌ في أن يضيّعوا على الإسلام الحقيقي زمناً سابقاً على الزمن الذي حدّدوا هم فيه نشأتَه. وليس لهم أن يدّعوا الإسلام كأنّه أعطي لهم من دون سواهم. وليس لهم أخيراً أن يكونوا على غير ما كان عليه محمَّد وصحبُه في مكّة.

١٠ . هذا الإسلام السابق، **إسلامُ مكّة**، أي دين هو؟

إذا تفحّصنا جيّداً تعاليمَ القرآنِ المكّي وتعاليمَ النَّصرانيّة التي كانت تعيش في مكّة والجزيرة العربيّة آنذاك، نجدها تعاليم واحدة مشتركة :

ألإسلام المكّي لا يختلف عن النّصرانيّة المكّيّة في شيء، بل هو هذه النّصرانيّة عينها : يعتقد معتقدَها، يُقيم كتبَها، يدعو دعوتَها، يتّبع أنبياءَها، يؤمن بإيمانِها، يرفع شعارَها، يسير بموجب شريعتها، يمارس فرائضَها، فريضةً فريضة.

والأجدر القول: إنَّ النصرانيّة والإسلام المكّيَّين دين واحد باختلاف الإسم. أو قل: إنّ الإسلامَ المكّي هو الاسمُ العربيّ للنصرانيّة المكّيّة.

هذا الإسلام–النَّصراني هو الدِّين الذي ارتضاه اللّه لعباده : «أليومَ أكْمَلْتُ لكُم دِينَكُم، وَأتمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لكُمُ **الإسْلاَمَ** دِيناً» (٥/٣). ولا دين عند اللّه مقبول سواه: «مَن يبْتَغِ غيرَ **الإسْلاَمِ** دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ منه» (٣/٨٥)، و«إنَّ الدِّينَ عند اللَّهِ **الإسْلاَمُ**» (٣/١٩)، و«مَن يُرِدِ اللَّهُ أنْ يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدرَه **للإسْلاَمِ**» (٦/١٢٥) ، وهو نعمةٌ من اللّه يُمَنّ عليها، ولا يُمَنُّ عليها سواه : «لا تَمُنُّوا عليَّ **إسْلاَمَكُمْ**، بلِ اللَّهُ يَمَنُّ علَيكُم» (٤٩/١٧)؛ لأنَّه جعلَ محمّداً وأتباعَه على الصراط المستقيم، أي على إسلام النّبيّين السابقين، كالنصارى أنفسهم.

هذه الآيات وغيرها، حيث ترد لفظة «**إسلام**» ومشتقّاتها، تدلّ، مرّة أخرى، على أنّ الإسلام، في نظر القرآن، ليس ديناً مستقلاً عن دين النّصارى من أهل الكتاب؛ وأنّ الإسلام الحقيقي كان قبل الإسلام الذي يقول به المسلمون؛ وأنّ الوحي فيه ليس خاصّاً به، بل استمرارٌ للوحي السابق؛ وأنّ تعاليمه وعقيدَته وطقوسه هي نفسها تعاليم النّصرانيّة وعقيدتها وطقوسها.

١١ . أمّا **الإسلام اللاّحق** فقد أصبح ديناً مستقلاً، إلى جانب اليهوديّة والمسيحيّة، ديناً له من اليهوديّة موقفاً معادياً؛ ومن النَّصرانيّة، حين نشأته، موقفَ قَبول، ومن المسيحيّة موقف تكفير.

هذه الإستقلاليّة فرضتْ، في التاريخ الإسلامي اللاّحق، حالتَين غريبتَين: حالة صراع رقّم تاريخ العلاقات بين المسيحيّين والمسلمين إلى الأبد؛ وحالة «حوار ديني» كاذب، حاول فيه الطرفان تقريب وجهات النّظر المختلفة، من دون جدوى.

والحالتان ليستا من إسلام مكّة في شيء. فإسلام مكّة ليس ديناً مستقلاً عن «النصرانيّة» حتّى يتصارعا؛ ولا هو يهادن «المسيحيّة» حتّى يتحاورا.

لهذا يتحتّم على المسلمين اليوم أن ينظروا إلى الإسلام الأصل، إسلام مكّة، نظرتهم إلى حركةٍ روحيّةٍ إجتماعيّةٍ تصحيحيّةٍ ثوريّةٍ في مجتمع مكّة. ويتحتّم

أيضاً على المسيحيّين اليومَ أن يتعاملوا مع هذه الحركة المكّيّة التصحيحيّة على أنّها جزء من تاريخهم وتراثهم الديني والاجتماعي.

بهذا الاعتبار يُصبح **الصراع** بين المسيحيّة والإسلام اليوم صراعاً سياسيًا لا أكثر ولا أقلّ. وبالاعتبار أيّاه يصبح **الحوار** بين المسيحيّة والإسلام كحوار مَن يكلّم نفسَه. وبالتالي، لا مكان بين النصرانيّة والإسلام، لا للصراع ولا للحوار، لأنّ النصرانيّة **تحتوي** الإسلام؛ والإسلامَ ثورةٌ إجتماعيّة في قلب النصرانيّة.

١٢ . ونردّد، فنقول : إنّ كلّ ما في الإسلام اليوم ممّا لا يقبل به المسيحيّون، وكلّ ما في المسيحيّة اليوم ممّا لا يقبل به المسلمون، يعود إلى تلك النّصرانيّة العربيّة التي كانت في مكّة ؛ كما يعود إلى المجتمع الجديد الذي أسّسه محمّد بموجب معطيات ذاك الزمان.

وإذا شاء أحدُنا أن يفهم حقيقة الأمور، عليه أن يعود إلى تلك البدايات، ويتخطّى " تنزيلات جبريل "، وأن يعود إلى تلك الأسباب التاريخيّة والاجتماعيّة والدّينيّة التي نشأ الإسلام في ظلّها. عند ذاك تبدأ مسيرةٌ جدّيّة، جديدةٌ، جديرةٌ بالبقاء. والعودة إلى البدايات تعني، في ما تعني، الوقوف على ما في القرآن من تعاليم التوراة والإنجيل، وتعاليم آباء الكنيسة، ومجامعها، وشيعها المختلفة.

١٣ . والإسلام أيضاً إسلامان : إسلام مكّة وإسلام المدينة :

إسلام مكّة، وهو دين الذين اتَّبعوا محمّداً من النّصارى. وهو الاسم العربي للنّصرانيّة. هؤلاء يقولون: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَينَا (أي القرآن)، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ (أي التوراة والإنجيل)» (٥/ ٩٥). «والمؤْمِنُون يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيكَ (أي القرآن)، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ (أي التوراة والإنجيل)» (٤/ ١٦٢ و٦٠؛ ٢/ ٤). «وَالرَّاسِخُونَ في العِلْمِ مِنْهُمْ (أي النصارى)، وَالمُؤْمِنُونَ (الذين اتّبعوا محمّداً) يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيكَ، وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ (أي التوراة والإنجيل)» (٤/ ١٦٢).

إليهم توجّه القرآن في قوله : «يا أهلَ الكِتَابِ ! لَسْتُمْ عَلَى شَيءٍ حتّى تُقِيمُوا التَّوراةَ والإنجيلَ ومَا أُنْزِلَ إِلَيكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ (أي القرآن)» (٥/ ٦٨).

هؤلاء إذاً نصارى مكّة الذين اتّبعوا محمّداً تحت إسم الإسلام. والإسلام هو الإسم العربي للنصرانيّة؛ كما القرآن المكّي هو الترجمة العربيّة «للإنجيل العبراني» الذي كان بين يدي القسّ ورقة بن نوفل، يعمل على نقله من الأراميّة إلى العربيّة بلسانٍ عربيٍّ مُبين (أطلب مادّة : **وَرَقَة**).

١٤ . أمّا **إسلام المدينة** فهو الذي نشأ مع هجرة النّبيّ محمّد من مكّة إلى المدينة، سنة ٦٢٢ م. إنّه مستقلٌّ تمام الاستقلال عن اليهوديّة والنّصرانيّة. بل هو ضدّهما، وقد «نسخهما»، أي ألغاهما، ودعا إلى تعاليم جديدة مغايرة «نَسَخَتْ» تعاليمه المكّيّة نسخاً مبرماً.

١٥ . الإسلام المكّي هو إسلام بيبليّ، روحانيّ، سلميّ؛ فيما الإسلام المدني هو إسلام عربيّ، تشريعيّ، جهاديّ.

إسلام مكّة دعوةٌ نصرانيّة؛ وإسلامُ المدينة تكفيرٌ لليهوديّة وللنّصرانيّة والمسيحيّة سواء.

إسلام مكّة يكرّم النّبيّين السابقين، ويجلّ النّصارى من أهل الكتاب؛ أمّا إسلام المدينة فلا تكريم فيه إلاّ لنبيٍّ واحد هو محمّد، ولا إجلال إلاّ لدين واحد هو إسلام المدينة والجهاد والفتوحات، ولا اعتبار إلاّ لكتاب واحد هو القرآن الكريم.

إسلام مكّة حركة روحيّة، إنسانيّة، إجتماعيّة، ثوريّة، إنقلابيّة في مجتمعٍ منقسمٍ على نفسه، بين أغنياء وفقراء؛ وإسلام المدينة كان تأسيساً لدولة سياسيّة، شرّع لها محمّد تشريعاً كاملاً. فوضع لها أسساً دينيّة، ونظماً إجتماعيّة، وخططاً عسكريّة.

إسلام مكّة صديق الكلّ؛ وإسلام المدينة عدوّ الكلّ.

إسلام مكّة يهمّهُ الإنسان أيّ إنسان؛ وإسلام المدينة لا يهمّه إلاّ الإنسان المسلم. وهو يعمل من أجل أُمّةٍ إسلاميّة، ويُقاتل كلّ أمّةٍ سواها.

إسلام مكّة هو الأصل؛ وإسلام المدينة هو الفرع.

١٦ . ومآخذ الباحثين المسلمين المعاصرين على تعاليم الإسلام المدني كثيرة جدًا؛ فهم، كعلي دُشتي مثلاً، « ينتقدون كثيراً من أحكامه، على أنّها لا تصلح للمجتمعات الراقية.

«ومن بين الأمثلة التي يوردونها على ذلك:

«فريضة الصلاة والوضوء خمس مرّات في اليوم الواحد، ويُفضّل ذلك في المسجد؛

«وقياس الزمن بسنوات تتألّف كلٌّ منها من اثني عشر شهراً قمريًا؛

«والصيام والامتناع عن النشاط الحيوي من شروق الشمس إلى مغربها خلال شهرٍ كامل من تلك الأشهر، دون مراعاة الواقعة الجغرافيّة المتمثّلة في أنّ الشمس في بعض المناطق البعيدة عن خطّ الاستواء لا تغيب في بعض الفصول فيستمرّ النهار في وقت الليل. ويرى هؤلاء الباحثون أنّ من شرّع صيام رمضان لم يكن مطّلعاً إلاّ على ظروف الحجاز في القرن السابع الميلادي، فأخذها معياراً لجهله بظروف سواها من البقاع.

«أمّا النهي عن الربا فيُنتَقَد على أنّه يضرّ باستثمار رأس المال والتطوّر الاقتصادي؛

«كما يُرى إلى إباحة الرقّ على أنّها تشريع لمعاملة البشر معاملة البهائم.

«ويرَى إلى عدم مساواة النساء في الإرث مع الرجال، في الوقت الذي تكون فيه النساء بحاجة أكبر نظراً لعدم قيامهنّ بأعمال منتجة للثروة في العادة، على أنّه أمرٌ منافٍ للمنطق؛

«كما يُرَى إلى افتراض أنّ لشهادة المرأة نصف قيمة شهادة الرجل على أنّه مخالف لحقوق الإنسان.

«أمّا الحدّ بقطع يد السارق، ثمّ قطع رجله إذا ما عاد لمثلها فيُنْظَر إليه على أنّه فعلٌ مخالف لمصالح المجتمع إذ يجعل المدانين مُقعَدين وعاجزين عن العمل.

«كما يُنظر إلى تعدّد الزوجات الشرعيّات حتّى أربع زوجات، وإلى التسرّي غير المحدود بالإماء ولو كنّ متزوّجات من أسرى، وإلى تبنّي أحكام الشريعة اليهوديّة برجم الزاني والزانية على أنّها أفعال مخالفة للمبادئ الإنسانيّة.

«كما يُنظر إلى تقييد حرّيّة الأشخاص في أن يوصوا بتوزيع ثرواتهم كما يشاؤون على أنّه يخالف المبدأ الشرعي الإسلامي القائل: «الناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم».

«وفحوى هذه الانتقادات جميعاً أنّ مثل هذا الدين لا يمكن أن تكون له قيمة شاملة ودائمة.

«ومن الصحيح بالطبع أنّ كثيراً من هذه الأحكام، كالرجم وقطع اليد والثأر على «مبدأ العين بالعين، والسنّ بالسنّ»، لم تَعُدْ ساريةً في معظم البلاد الإسلاميّة، وأنّ المصارف التي تتعامل بالربا والفائدة قد تواجدت في معظم هذه البلدان. فإذا ما ذُكرتْ هذه الحقيقة للنقّاد، عمد هؤلاء إلى تعليقات لاذعة تتعرّض للحجّ. فهم يقولون إنّ تسمية موضع للأصنام بيتاً للّه، وتحويل الشعيرة الوثنيّة المتمثّلة بلثم الحجر الأسود إلى شعيرة إسلاميّة، بل ومناسك الحجّ الأخرى جميعاً تتنافى مع ادّعاء الإسلام أنّه أنقذ القوم من الوثنيّة والخرافة، وينبغي تفسيرها على أنّها تعبير عن شعور عرقيّ. وهم يرون أنّ ما من دين يمكن أن يكون كونيّا ودائماً ما لم يَهْدِ البشريّة كلّها إلى الخير والصلاح ويتعالى على كلّ تعصّب ملّي أو قوميّ.

«لكن هؤلاء النقّاد غالباً ما ينسون أنّ أفضل الشرائع هي تلك التي تسدّ الثغرات وتقارع الشرّ والفساد القائمين في المجتمع المعنيّ. ففي أرضٍ كان فيها القتل، والنهب، وانتهاك حقوق الآخرين وكرامتهم أموراً شائعة، الصرامة وحدها يمكن أن تكون ناجعة. فقطع يد السارق والرجم ومبدأ المعاملة بالمثل قد تكون الأدوية الوحيدة في مثل هذه الأوضاع. ولقد مارست الرقَّ الشعوبُ المتمدّنة التي سبقت الإسلام، أو عاصرته، كالرومان والأشوريّين والكلدانيّين؛ وفي الإسلام كان فكُّ الرقاب أو إعتاق الرقيق كفّارةً عن كثيرٍ من الآثام.

«و.. إنّ النساء العربيّات، قبل الإسلام، لم يكن لهنّ أيّة حقوق؛ حتّى إنّ زوجة المتوفّي كان يمكن أن تؤول إلى وريثه بوصفها جزءًا من التركة. وأحكام القرآن الخاصّة بالنساء تَسِمُ ترقياً ثوريًا بهذا الشأن. ومن السخف أن تُقَوَّم أعمالُ وأحكامُ قائدٍ من القرن السابع تبعاً للمعايير التي سادت في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ ومن ذلك أن يُقال، مثلاً، إنّ محمّداً كان ينبغي أن يتعامل مع الرقّ كما تعامل معه أبراهام لنكولن»[1].

واتّفق أئمّة السلف على أنّ اللّه لم يذكر أمّةً بالإسلام غير هذه الأمّة، ولم يُسمع بأمّة ذكرتْ به غيرها. وقال ابن تيميّة: «فالإسلام الحاضر الذي بعث اللّه به محمّداً، المتضمّن لشريعة القرآن، ليس عليه إلاّ أمّة محمّد. والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا»[2].

الإسْمُ الأعْظَم : (أطلب أيضاً مادّة : **البسملة**)، ويُقصد به إسم اللّه تعالى:

١ . إسم اللّه، في القرآن، موضوع ذكْرٍ دائم. فمنذ السّورة الأولى من النزول، توجّه الوحيُ إلى النّبيّ بقوله: «إقرأ باسمِ ربِّكَ» (٩٦/١)؛ «واذكر اسمَ ربِّكَ» (٧٣/٨؛ ٧٦/٢٥)؛ و«سبّح اسمَ ربّك الأعلى» (٨٧/١)؛ «وسبّح باسم ربّك العظيم» (٥٧/ ٧٤ و٩٦؛ ٦٩/٥٢)؛ و«تبارك اسمُ ربّك» (٥٥/٧٨).

٢ . فاسم اللّه، في القرآن، يُذكَر على الطعام: "فكُلوا ممّا ذُكر اسمُ اللّهِ عليه" (٦/١١٨؛ ٥/٤)؛ أو: "وما لكم إلاّ أن تأكلوا ممّا ذُكِرَ اسمُ اللّهِ عليه" (٦/ ١١٩)؛ أو: "ولا تأكلوا ممّا لم يُذكَر اسمُ اللّه عليه" (٦/١٢١)؛ ويُذكر على الذبائح (رَ: ٦/١٣٨؛ ٢٢/٢٨ و٣٤ و٣٦)؛ ويُذكر في المساجد والصوامع والبِيَع (رَ: ٢٢/ ٤٠؛ ٢/ ١١٤). ويُذكر في بيوت يُرفع فيها اسمه (٢٤/٣٦)، وفي مجرى السّفن ومرساها (١١/ ٤١)، وفي كلّ وقت، منها: "بكرةً وأصيلاً" (٧٦/٢٥)

---

(١) علي الدّشتي، ٢٣ عاماً. دراسة في السيرة النبويّة المحمّديّة، ترجمة ثائر ديب، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ودار الفرات بيروت ط١ : ٢٠٠٤؛ ٢٨٨ ص. رَ: ص ٢٣٨–٢٤٠.

(٢) مجموعة فتاوى ابن تيميّة ٢/ ٩٤، طبع المملكة السعوديّة.

٣. وكذلك هو الشأن في البيبليا حيث أنّ ذات اللّه هو عديل اسمه. واسمه تعبير عن ماهيّته وحقيقته. هكذا، مثلاً، اختار اللّهُ مكاناً "ليسكن فيه اسمه"[١]. "ولقد كان في قلب داود أن يبني بيتاً لاسمِ الرّبّ إلهِ إسرائيل" (١ مل ٨/١٧). وصاحبُ المزامير يُنشد ويُسبّح لاسم الرّبّ: "يا عبيد الرّبّ! سبّحوا لاسم الرّبّ. سبّحوا. ليكن اسمُ الرّبّ مباركاً.. إسم الربّ مسبّح" (مز ١١٣/١-٣). إسمُه قدّوس[٢]. "ومَن يشتم اسمَ الرّبّ فليُقتَل قتلاً.. إذا جُدِّفَ على الاسم يُقتل" (أح ٢٤/١٥-١٦). "لا تدنّسوا اسمي القدّوس"[٣]. و"لا تحلف باسمي كذباً فتُدنّسَ اسمَ إلهكَ"[٤]. و"لا تلفظ باسم الرّبّ إلهك باطلاً" (خر ٢٠/٧..).

٤. وكذلك الأمر في العهد الجديد، حيث "اسم اللّه" تعبير عن حقيقته وماهيّته: فيسوع يعرّف عن اللّه أبيه بذكر اسمه فقط: "أظهرتُ اسمَكَ للنّاس.. وعرّفتهم اسمَك" (يو ١٧/٦ و٢٦). وعلى المسيحيّين أن يسبّحوا اسم اللّه (عب ١٣/١٥). وألاّ يكونوا سبباً لأنْ يُجدَّفَ على اسمه[٥]. والتلاميذ كانوا يشفون المرضى باسم يسوع[٦]. وباسمه كانوا يُخرجون الشياطين[٧]. ويحقّقون المعجزات على أنواعها[٨]. ولا يتردّدون عن قبول كلّ اضطهاد في سبيل اسمه، بل وجدوا فرحاً في ذلك، "لأنّهم وُجدوا أهلاً لأنْ يَلقوا الهوانَ من أجل الاسم" (رسل ٥/٤١). كما "أنّ رسلاً خرجوا للرّسالة من أجل الاسم" (٣ يو ٧). بل إنّ الكرازة المسيحيّة الأولى كانت تهدف نشرَ اسم يسوع[٩]. وسيتعذّب المبشّرون من أجل هذا

---

(١) أنظر: تثنية الاشتراع ١٢/٥ و١١ و٢١؛ ١٤/٢٣ و٢٤؛ ١٦/٢ و٦ و١١...

(٢) أشعيا ٢٩/٢٣؛ حزقيال ٣٦//٢٣.

(٣) أحبار ٢٢/٣٢؛ ٢١/٦؛ ٢٠/٣.

(٤) أحبار ١٩/١٢؛ ١٨/٢١.

(٥) راجع: روما ٢/٢٤؛ ٢ طيموتاوس ٦/١.

(٦) رسل ٣/٦؛ ٩/٣٤.

(٧) راجع: مرقس ٩/٣٨؛ ١٦/١٧؛ لوقا ١٠/١٧؛ رسل ١٦/١٨؛ ١٩/١٣...

(٨) متّى ٧/٢٢؛ رسل ٤/٣٠.

(٩) لوقا ٢٤/٤٦-٤٧؛ رسل ٤/١٧-١٨؛ ٥/٢٨ و٤٠؛ ٨/١٢؛ ١٠/٤٣.

الاسم[١٠]، كما سيكون لهم هذا الاسم مصدرَ فرح عظيم[١١].

٥ . وبالنتيجة، يبقى القرآن، في ذكره "إسمَ اللّه" والتركيز عليه، في خطّ البيبليا، والعقليّة السّاميّة الشرقيّة، والتقليد اليهودي-النّصراني. واستعمالُه الكثير والمتنوّع لهذا التعبير ليس خاصّاً به. ومن هنا شدّد على دعوة اللّه بأسمائه، فقال: "للّه الأسماء الحُسنَى. فادعوه بها. فَذَرَوا الّذينَ يُلْحِدونَ في أسمائه"[١٢]. وكذلك شدّد على دعوة اللّه باسمه الأعظم: قال رسول اللّه: «هل أدلّكم على اسم اللّه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى؟!.».

الأَسْمَاءُ الحُسْنَى : ١ . جاء في القرآن: «ولِلّهِ الأسماءُ الحُسنى فَادْعُوهُ بها» (٧/ ١٨٠)؛ وقال: «أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» (١٧/ ١١٠)؛ وقال أيضاً: «اللّه لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى» (٢٠/٨)؛ وقال كذلك: «هو اللّه الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى» (٥٩/ ٢٤).

٢ . وقد جُمعت هذه الأسماء في الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي هُريرة عن رسول اللّه، قال: «قال رسول اللّه: إنّ للّه تسعة وتسعين إسماً، مَن أحصاها دخلَ الجنّة : هو اللّه الذي لا إله إلاّ هو. الرحمن. الرحيم. المَلِك. القدّوس. السلام.. المؤمن. المهيمِن. العزيز. الجبّار. المتكبّر. الخالق. البارئ. المصوِّر. الغفّار. القهّار. الوهّاب. الرزّاق. الفتّاح. العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعزّ. المذلّ. السميع. البصير. الحَكَم. العدل. اللّطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العليّ. الكبير. الحفيظ. المُقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحقّ. الوكيل. القويّ. المتين. الوليّ. الحميد. المحصي. المبدئ. المعيد. المحيي. المميت. الحيّ. القيّوم. الواجد. الماجد. الواحد. الصمد. القادر. المقتدر. المقدّم. المؤخّر. الأوّل. الآخِر. الظاهر. الباطن.

---

(١٠) مرقس ١٣/١٣ وما يقابله في الإزائيّين.

(١١) متى ٥/١١؛ يوحنا ١٥/٢١؛ ١ بطرس ٤/١٣-١٦.

(١٢) ٧/ ١٨٠؛ راجع: ١٧/ ١١٠؛ ٢٠/٨؛ ٥٩/ ٢٤.

الوالي. المتعالي. البَرّ. التوّاب. المنتقم. الغفوّ. الرؤوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. المقسط. الجامع. الغني. المغني. المانع. الضارّ. النافع. النور. الهادي. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور».

٣ . يقول بعض المفسِّرين، كابن عبّاس والرازي، وابن كثير، والغزالي، والقرطبيّ، والبيهقي، أنّ عدد هذه الأسماء غير محدّد بـ ٩٩؛ لأنّ بعضها لم يرد في القرآن (مثل: الجليل، الخافض، الرشيد، الصبور، العدل)، وبعضها ورد في القرآن لم يرد في قائمة الترمذي (مثل: المولى، النصير، الناصر، الحَفِيّ، الخلاّق، المدبّر، ربّ المشرقَين، ربّ المغربين، الأعلى، الغالب).

أسْمَاء بنت أبِي بكْر (ت ٧٣هـ/٦٩٢م) : إسم أمّها قُتَيله بنت عبد العزّى. وهي الأخت الكبرى لعائشة. ولدتْ قبل الهجرة بـ ٢٧ سنة. وهي من السابقات إلى الإسلام. تزوّجت الزُّبَير بن العوام، وهو أيضاً من أوائل مَن اعتنقوا هذا الدين.. قسا زوجُها في معاملتها. ولم تصحبه في هجرته إلى الحبشة. ولمّا هاجر النّبيّ وأبو بكر، واختفيا في الغار ثلاثة أيّام، كانت أسماء تُزوّدهما بالطعام والشراب كلّ مساء. وسمّيتْ «ذات النطاقَين»، لأنّها لمّا لم تجد ما تشدّ به زاد النّبيّ وأبيها، شقّتْ ثيابَها وشدّته بها.

وقد عاشت، بعد الهجرة، مع أكبر أبنائها عبدالله ابن الزُّبير؛ وأصبحتْ أمّاً لأوّل مؤمن وُلد بعد الهجرة. وكان لها خمسة أبناء وثلاث بنات. وبعد ذلك طلّقها الزُّبير، فعاشت مع ابنها عبدالله. وعلمت بمقتله على يد الحجّاج بن يوسف الذي احتزّ رأسه وبعث به إلى عبد الملك بن مروان (٧٣هـ/٦٩٢م)، فدخلت على الحجّاج، وهي في المائة من عمرها، وقالت له: «إنّ رأسَ يحيى بن زكريّا قد أُهديتْ إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل». وماتت بعد ذلك بأيّام قليلة.

أسْمَاء بنت عميس (ت ٤٠هـ/٦٦١م) : كانت من المسلمين الأوائل، وُصفتْ بمهاجرة الهجرتَين، ومصلّية القِبلتَين. وكانت مع زوجها جعفر بن أبي طالب في طليعة المهاجرين إلى الحبشة.. استُشهد جعفر يوم مؤتة.. ثمّ خلفه عليها أبو بكر الصدّيق، وحضرتْ معه حجّة الوداع، وأنجبتْ منه محمّد. وشهدت حنيناً. فلمّا

مات أبو بكر نكحت عليّ بن أبي طالب.. روي عنها قرابة ٦٠ حديثاً. وكانت وفاتها بعد استشهاد زوجها عليّ.

إسْمَاعِيل بن إبْراهيم الخليل: ذُكر اسمُه في القرآن ١٢ مرّة[1]: وُلد وكان لأبيه ٩٩ سنة (رَ: ١٤/ ٣٩)؛ ثمّ أُوحي إليه كما أوحي إلى إبراهيمَ وإسحق ويعقوب والأسباط موسى وعيسى وأيّوب ويونس وهرون وسليمان وداود (رَ: ٢/ ١٣٦؛ ٣/ ٨٤؛ ٤/ ١٦٣)، وأنّه «كان رسولاً نبيًّا، وكان يأمر أهلَه بالصلاة والزّكاة» (١٩/ ٥٤–٥٥). وذُكر في (٢/ ١٣٣) على أنّه هو وإسحق من آباء يعقوب، فيما هو بحسب التوراة، أخو إسحق، وإسحق أبو يعقوب. وأنّ اللّه عهد إليه وإلى إبراهيم تطهيرَ البيت الحرام (٢/ ١٢٥)، ورفْعَ قواعده (٢/ ١٢٧).

وفي الأخبار الإسلاميّة أنّ إبراهيم وإسماعيل لمّا أتمّا بناء البيت الحرام ترك إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل في ذلك المكان القحل يقاسيان آلام العطش. وأخذت هاجر تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن الماء، مرّات عدّة. وكان ذلك أصلاً **للسّعْي**. ثمّ جاء جبريل، وضرب الأرض بقدمه، ففارت عينُ زمزم. وكانت قبيلةُ جرهم تقطن حينذاك بالقرب من البيت الحرام. وبعد أن ماتت هاجر، تزوّج إسماعيل امرأةً من جرهم.

وفي التقليد الإسلامي أيضاً أنّ الذبيح كان إسماعيل وليس إسحق، لأنّ إسماعيل أكبر من إسحق، وقد أُمر إبراهيم بذبح «وحيده»، أو «بكره»، أي إسماعيل. والقرآن لا يشير إلى أنّه إسماعيل سوى بالتلميح، لأنّ اللّه قال عن سارة امرأة إبراهيم: «فبشّرناها بإسحق، ومِن وَراءِ إسحقَ يعقوبَ» (١١/ ٧١)، أي يكون من ذرّية إسحق عقب ونسل. ولا يجوز أن يُؤمر إبراهيم بذبح إسحق وهو صغير، لأنّ اللّه قد وعده بأنّه سيعقب ويكون له نسل؟! غير أنّ إسحق، بكونه افتدي بكبشٍ، بحسب التوراة، كان له، بهذا الفداء، عقب ونسل.

---

(١) ٢/ ١٢٥ و١٢٧ و١٣٣ و١٣٦ و١٤٠؛ ٣/ ٨٤؛ ٤/ ١٦٣؛ ٦/ ٨٦؛ ١٤/ ٣٩؛ ١٩/ ٥٤؛ ٢١/ ٨٥؛ ٣٨/ ٤٨.

إسْمَاعِيل بن جَعْفَر الصَّادِق (ت ١٣٣هـ/ ٧٥٠م): إمام الإسماعيليّة. إليه ينتسب الإسماعيليّون القائلون بإمامته بعد أبيه. توفّي بالمدينة.

الإسْمَاعِيلِيَّة : ١ . فرقة من الشيعة سمّيت بهذا الإسم لانتسابها إلى **إسماعيل** بْن جعفر الصادق (ت ١٣٣هـ/ ٧٥٠م). لقد عيّن جعفر ابنَه إسماعيل خلفاً له؛ ولكنّه عاد فعيّن موسى ابنَه الثاني، لأنّه وجد إسماعيل ثملاً. غير أنّ الإسماعيليّة لم يسلّموا بنزع الإمامة من إسماعيل، لأنّهم يرون أنّ الإمام معصوم، وأنّ شرب الخمر لا يفسد عصمته. ثمّ إنّ إسماعيل توفّي قبل أبيه. لهذا قال بعض الشيعة بأنّ الإمامة يجب أن تعود إلى الأب ليسلّمها إلى ابن آخر هو موسى.

٢ . ويشكّ الباحثون بأسماء أبناء إسماعيل وأحفاده الذين تقدّموا عُبيد الله المهدي، مؤسّس الأسرة الفاطميّة. إلاّ أنّه من أشهر دعاتهم ميمون الملقّب بـ**القدّاح** الذي أصبح ولدُه **عبدالله** رأسَ فرقة **القرامطة**.. وفي أواخر القرن الثالث للهجرة أقام **عبيد الله** بن محمّد المهدي الدوّلةَ الفاطمية أو العبيديّة في بلاد المغرب، وذلك بعد أن بايعه بربر قبيلة كتامة بالإمامة. ثم انتقلت بعد ذلك إلى مصر.

٣ . من معتقدات الإسماعيليّة أنّهم ينكرون صفات الله، ويقولون إنّ العقل عاجز عن إدراك كنه الله. ويقولون أيضاً إنّ الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً؛ وإنّما أبدع أوّلاً العقل الكلّيّ، الذي يتّصف بالصفات الإلهيّة كلّها؛ وهو الذي تؤدّى إليه الصلاة. والإنسان لا يعرف ذاتَ الله، وإنّما يعرف «العقلَ» فقط. لهذا يُسمّي الإسماعيليّة العقلَ «الحجابَ». ثمّ يقولون إنّ العقل أبدع «النفس الكلّيّة»، التي تختصّ بالحياة، كما أنّ العلم يختصّ بالعقل.

٤ . ولمّا كان العقل غيرَ كامل في علمه، لأنّه ليس واجباً بذاته، فهو يحاول بالضرورة بلوغَ الكمال، فتطاول على مقام الذات الإلهيّة، دون جدوى؛ فحدث عن ذلك حركة مضادّة لحركة فيض العقل عن الله، ألا وهي حركة عصيانٍ على مشيئة الله. ومن هنا حدث الشرّ في العالم.

٥ . ولهذا، ولبلوغ السعادة، يجب على الإنسان تحصيل العلم. ولا يمكن

أن يتأتّى له ذلك إلاّ بحلول العقلِ في إنسانٍ يختاره اللّه ناطقاً باسمه، هو النّبيّ، وفي الأئمّة الذين يخلفونه. والنبيّ يُسمّى عندهم «ناطقاً»؛ وتسمّى النفسُ «أساساً». والنبيّ محمّد هو الناطق، وعلي بن أبي طالب هو الأساس.

٦. والجنّة رمز إلى حالة النفس التي حصلت العلم الكامل. والجحيم رمز إلى حالة الجهالة. وتعود النفس ثانية إلى الأرض بالتناسخ إلى أن تعرف الإمام الموجود في العصر الذي عادت فيه إلى الأرض، وتأخذ عنه المعارف الدينيّة. وليس وجود الشرّ بواجب؛ ولكنّه سوف يختفي يوماً ما عندما تتشبّه الكائنات كلّها بالعقل الكلّي.

٧. وبعد اضطهادات كثيرة على الإسماعيليّين، استقرّ رحالهم، منذ سنة ١٨٤٣ في بومباي. وحين توفّي سلطان محمّد شاه سنة ١٩٥٧، خلفه ابنه الأغاخان الحالي كريم خان. وهم ينتشرون في مناطق عديدة: في سوريا وعمان وإيران وآسيا الوسطى وباكستان. ويكثرون في الهند وشرق أفريقيا.

الإسْناد: هو رفْع الحديث إلى النبيّ. ومقابل الحديث المسنَد الحديث الموقوف: وهو ما لم يُرفع إلى النبيّ، بل هو من قول الصحابي، والمقطوع: وهو ما انتهى إلى التابعيّ. والعلاقة بين السند والإسناد هو أن السند هو الطريق الموصل إلى متن الحديث، والمراد بالطريق سلسلة رواة الحديث، والمراد بمتن الحديث ألفاظ الحديث المروية؛ وأمّا الإسناد فهو ذكر ذلك الطريق وحكايته والإخبار به.. السند هو الإخبار عن طريق المتن؛ وأمّا الإسناد فهو رفْع الحديث إلى قائله..

الأسْوَدُ العَنْسِيّ (ت ١١هـ/٦٣٢م) : لقب عيهلة؛ ويعرف أيضاً بذي الخمار؛ وهو الذي قام، قُبيل وفاة النّبيّ، بالفتنة في بلاد اليمن.. لقّب نفسه برحمن اليمن، كما كان مسيلمة رحمن اليمامة.. وروى البلاذري أنّه كان كاهناً أو متنبِّئاً. وتقول روايات أخرى إنّه كان مشعبذاً يصطنع فنوناً من الحيل ويستهوي الجماهير بعباراته... قتله عاملُ كسرى على اليمن في بيته، وذلك قبل التحاق النبيّ بالرفيق الأعلى بخمسة أيّام.

.**أسِين بَالاسْيُوس** (ميغال) Asin Palacios (ت ١٩٤٤) : كاهن إسباني مستشرق. وُلد في سرقسطة. اشتهر بدرسه حركة التفاعل الثقافي بين المسيحيّة والإسلام. له دراسات عن الغزالي وابن حزم وابن طفيل وابن باجه ودانته.

الأشْتَر النَّخَعِيّ (مالك بن الحارث) (ت ٣٧هـ/٦٥٧م) : من أنصار عليّ بن أبي طالب وقوّاد جيوشه المخلصين. من أبطال معركة صفّين. رفَض التحكيم، ولكنّه لم يرفض عليّاً. ولاّه عليّ على مصر حيث سقاه معاوية السمّ مع العسل، وقال عنه استهزاءً: «إنّ للّه جنوداً من عسل»، إذ كان يعتبره يد عليّ اليمنى. وكان يلقّب بالأفعى. قُتل مع مصعب بن الزُّبير.

أشْرَاطُ السَّاعَة : هي العلامات التي تشير إلى دنوّ يوم القيامة. من هذه الأشراط : ١- ظهور الدجّال؛ ٢- نزول عيسى؛ ٣- ظهور يأجوج ومأجوج؛ ٤- ظهور دابّة الأرض؛ ٥- ظهور المهدي؛ ٦- طلوع الشمس من مغربها.

الأشْرَاف : هم جماعة ينتسبون إلى النبيّ عن طريق الحسن بن عليّ بن أبي طالب. حكموا مراكش منذ ٥٩١هـ/ ١٥٠٩م. وتوسّعوا في المغرب الأقصى وبلاد إفريقيا. وفي العصر الحديث ظهرت في مصر نقابة الأشراف لتجميع كلّ المنتسبين إلى ذرّيّة آل البيت.

الإشْرَاقِيُّون : أتباع مذهب الحكمة المشرقيّة. ويُطلق هذا الإسم، بنوع خاصّ، على تلاميذ **السَّهْرَوَرْدِيّ** (ت ٥٨٧هـ/ ١١٩١م). وهو مذهب توفيقيّ روحانيّ صوفيّ. يعبّر عن اللّه وعالم العقول بالنّور.. يقول في المعرفة الإنسانيّة بأنّها عبارة عن إلهام من العالَم الأعلى يصلنا بواسطة عقول الأفلاك..وقد تأثّرت الفلسفة الإسلاميّة بهذا المذهب منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر تأثراً كبيراً.

الإشْرَاك : ١ . مِن أشرك. يقال: أشرك باللّه، أي: جعل له شريكاً في ملكه. والإسم الشرْك. قال تعالى حكاية عن لقمان: «يا بُنَيَّ! لا تُشركْ باللّه. إنّ الشِّرْكَ لَظلمٌ عظيم» (٣١/١٣)، وهو الشرك الأكبر؛ أمّا الشرك الأصغر فهو مراعاة غير اللّه في العبادة، لقوله: «ولا يشرك بعبادة ربِّه أحداً» (١٨/ ١١٠).

٢ . والفرق بين الشرك والكفر هو أنّ الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، منها الشرك بالله، ومنها الجحد للنبوّة، ومنها استحلال ما حرّم الله، ومنها إنكار ما علم من الدين بالضرورة. أمّا الشرك فهو خصلة واحدة، هو اتّخاذ إله مع الله. وقد يطلق الشرك على كلّ كفر، بينما لا يكون كلّ كفر شركاً.

الأشْرِبَة : ١ . إصطلاحاً: تطلق الأشربة على ما كان مسْكراً من الشراب؛ سواء كان متّخَذاً من الثمار، كالعنب والرطب والتين؛ أو من الحبوب، كالحنطة والشعير؛ أو الحلويات، كالعسل؛ وسواء كان مطبوخاً أو نيئاً؛ وسواء كان معروفاً باسم قديم كالخمر، أو مستحدث، كالعرق والشمبانيا.. إلخ. لحديث النبيّ: «ليشربنّ الناسُ من أمّتي الخمر، ويسمّونها بغير اسمها»[1].

٢ . ثبتت حرمة الخمر بكتاب الله وسنّة رسوله وإجماع الأمّة: أمّا الكتاب فقوله: «يا أيّها الذين آمنوا! إنّما الخمر والمَيسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ من عمَل الشيطان فاجتنبوه. لعلّكم تفلحون. إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة. فهل أنتم منتهون» (٥/ ٩٠-٩١).

٣ . وتحريم الخمر كان بتدريج، وبمناسبة حوادث متعدّدة: وأوّل ما نزل صريحاً في التنفير منها قوله: «يسألونك عن الخمر والميسر. قل: فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس» (٢/ ٢١٩). فلمّا نزلت هذه الآية تركها بعضُ الناس، وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثمٌ كبير؛ ولم يتركْها بعضُهم، وقالوا: نأخذ منفعتَها، ونترك إثمَها. ثمّ نزلت: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى» (٤/ ٤٣)، فتركها بعض الناس، وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشَرِبها بعضُهم في غير أوقات الصلاة؛ حتّى نزلت: «يا أيّها الذين آمنوا! إنّما الخمر والميسر..» الآية، فصارت حراماً عليهم، حتّى صار يقول بعضهم: ما حرّم اللهُ شيئاً أشدّ من الخمر.

---

(١) أخرجه أحمد، السنن ٥/ ٣٤٢؛ وأبو داود وابن ماجة، السنن ٢/ ١٣٣٣؛ من حديث مالك الأشعري مرفوعاً؛ وفتح الباري ١٠/ ٥١، ط. السلفيّة.

٤ . وأمّا السنّة فقد وردتْ فيها أحاديث كثيرة في تحريم الخمر قليلها وكثيرها. وقد قال العلماء: كلّ شرابٍ أسكر كثيرُه، حُرِّم قليله. عن عائشة عن النبيّ أنّه قال: «كلّ شراب أسكر فهو حرام»[٢]. وقال النبيّ: «كل مسكر خمر، وكلّ خمر حرام»[٣]. وعن ابن أبي وقّاص أنّ النبيّ قال: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره»[٤].

٥ . ثبت حدّ شارب الخمر بالسنّة، فقد وردت أحاديث كثيرة في حدّ شارب الخمر، منها ما روي عن أنَس «أنّ النبيّ أُتي برجلٍ قد شرب الخمر، فجلده بجريدتَين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر. فلمّا كان عمر استشار الناس، فقال عبدالرحمن: أخفُّ الحدود ثمانون. فأمر به عمر»[٥].. وقد أجمع الصحابة ومَن بعدهم على جلد شارب الخمر، ثمّ اختلفوا في مقداره ما بين أربعين أو ثمانين.

٦ . والسكر هو الذي يزيل العقل بحيث لا يفهم السكران شيئاً، ولا يعقل منطقاً، ولا يفرّق بين الرجل والمرأة، والأرض والسماء، لأنّ الحدود يؤخذ في أسبابها بأقصاها، درءًا للحدّ، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أدرأوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم»[٦].

٧ . يحرم على المسلم تملّك أو تمليك الخمر بأي سبب من أسباب الملك الاختياريّة أو الإراديّة، كالبيع والشراء والهبة ونحو ذلك، لقول النبيّ: «إنّ الذي حرَّمَ شربَها حرَّمَ بيعَها»[٧]. ويحرّم الانتفاع بالخمر للمداواة، وغيرها من أوجه الانتفاع، كاستخدامها في دهن، أو طعام، أو بلّ طين، واحتجّوا بقول النبيّ: «إنّ اللّه لم يجعل شفاءَكم فيما حرّم عليكم»[٨]. وأخرج مسلم أنّ طارق بن سويد سأل

(٢) أخرجه البخاري، ١٠/ ٤١؛ ومسلم ٣/ ١٥٨٥.
(٣) أخرجه مسلم ٣/ ١٥٨٧؛ وأبو داود ٤/ ٨٥.
(٤) أخرجه الدارقصنذ ٤/ ٢٥١؛ والنسائي ٨/ ٣٠١.
(٥) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٣٠، ط. الحلبي.
(٦) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٣، ط. الحلبي؛ والحاكم ٤/ ٣٨٤، ط. دائرة المعارف الإسلاميّة..
(٧) أخرجه مسلم ٣/ ١٢٠٦، ط. الحلبي.
(٨) أخرجه ابن حبان، موارد الظمآن، ص ٣٩، ط. السلفيّة؛ وأبو يعلى، مجمع الزوائد ٥/ ٨٦.

النبيّ عن الخمر، فنهاه، فقال: إنّما أصنعها للدواء، فقال: إنّه ليس بدواء ولكنّه داء».

٨ . ويحرّم على المسلم أن يسقي الخمر الصبيّ، أو المجنون. فإن أسقاهم فالإثم عليه لا على الشارب، وقد قال النبيّ: «لعن اللّه الخمرَ وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها»[٩]. ويحرّم أيضاً على المسلم أن يسقي الخمر للدواب. صرّح بذلك المالكيّة والحنابلة.

٩ . ويحرّم على المسلم مجالسة شرّاب الخمر وهم يشربونها، أو الأكل على مائدة يُشرب عليها شيء من المسكرات، خمراً كان أو غيره، لقول النبيّ: «من كان يؤمن باللّه واليوم الآخِر فلا يقعد على مائدة يُشرب عليها الخمر»[١٠].

١٠ . إذا تخلّلتِ الخمر بنفسها بغير قصد التخليل يحلّ ذلك الخلّ بلا خلاف بين الفقهاء، لقول النبيّ: «نِعم الأدم الخلّ»[١١]. ويُعرف التخلّل بالتغيّر من المرارة إلى الحموضة، بحيث لا يبقى فيها مرارة أصلاً عند أبي حنيفة. ولو بقي فيها بعض المرارة لا يحلّ شربها، لأنّ الخمر عنده لا تصير خلاً إلاّ بعد تكامل معنى الخلّيّة فيه، كما لا يصير العصير خمراً إلاّ بعد تكامل معنى الخمريّة..

الأشْعَث (إبن قيس بن معد يكرب) (ت ٤١هـ/٦٦٢م) : أمير من أمراء كندة في حضرمَوت. لقّب بالأشعث لتلبّد شعره. وفد على النّبي عام (١٠هـ) على رأس جمْع من قومه ليعلن إسلامهم. تزوّج من أم فروة، أخت أبي بكر على ألاّ يأخذها معه إلى حضرموت. شهد الأشعث عدداً من المعارك والمشاهد، ففقد إحدى عينيه في معركة اليرموك، وحضر القادسيّة والمدائن ونهاوند. وكان من أصحاب عليّ، خرج معه إلى صفّين حاملاً راية كندة. ثمّ خرج معه إلى النهروان. وكان النّبيّ قد تزوّج من قَتيلة، إحدى أخوات الأشعث، ولكنّه توفّي قبل أن يبني بها.

---

(٩) أخرجه أبو داود، وابن ماجّة، والترمذي..

(١٠) أخرجه الدارمي من حديث جابر مرفوعاً.

(١١) رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة عن جابر بن عبد اللّه. وأخرجه مسلم عن عائشة؛ ورواه الحاكم والبيهقي..

الأشْعَرِيّ (أبو الحسن علي) (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) : ١ . والده أبو موسى صاحب رسول الله، والحَكَم الذي اختاره عليّ ممثّلاً له في التحكيم يومَ صفّين. وُلد أبو الحسن بالبصرة. وظلّ حتّى الأربعين من عمره تلميذاً متحمّساً للجبائي الفقيه المعتزلي. ثمّ اختلف معه في مسألة «الصلاح والأصلح». ومنذ ذلك الوقت أصبح الأشعري نصيراً لرأي أهل السنّة، وناهض المعتزلة. توفيّ في بغداد.

٢ . صنّف كتباً كثيرة؛ منها «الإبانة عن أصول الديانة»، و «مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين»، من ثلاثة أجزاء. وهو أوّل عمل من نوعه في الأدب الإسلامي، يتناول أفكار الفرق. وهو يعلن في مقدّمته أنّ الذي دفعه إلى تأليفه عدم وجود عرض موضوعي للزندقة في الإسلام؛ و«اللمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع»؛ و«رسالة أهل الثغر المسمّاة بأصول أهل السنّة والجماعة»؛ و«رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام»..

٣ . والأشعريّ شافعيُّ المذهب. من تلاميذه : الباقلاني، والإسفراييني، والقُشيري، والجُوَيني، ثمّ الغزالي. أمّا الحنفيّة فكانوا يؤثرون رأي الماتريدي الذي عاصر الأشعري. والحنابلة استمسكوا بآراء السلف، وظلّوا خصوماً لمذهب الأشعري. وعارض إبن حَزْم هذا المذهب.

٤ . يتّسم المذهب الأشعري بالاعتدال بين المعتزلة والحنابلة، والتوسّط بين العقل والنقل في المعرفة، والتوفيق بين التنزيه والتشبيه في الإلهيّات، والحدّ من التطرّف بين الجبر والتفويض في الإنسانيّات. وذلك بعدما عانى المسلمون ما عانوا من محنٍ مثل «محنة خلق القرآن».

٥ . من معالم مذهبه: ١- القول بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق؛ ٢- القول بأنّ أفعال الإنسان مخلوقة لله مكسوبة للعبد؛ ٣- القول بأنّ أفعال الله لا تُعلَّل، لأنّه تعالى لا يُسْأل عمّا يفعل؛ ٤- القول بإثبات الصفات الإلهيّة كما وردت في القرآن دون تأويل؛ ٥- لا يجب على الله فعل الصلاح والأصلح؛ ٦- حسنُ الأفعال وقبحها مصدره الشرع لا العقل؛ ٧- إثبات الشفاعة العظمى للرسول

محمّد؛ ٨- الإمامة تكون بالوصف وليست بـالنصّ كما تزعم الشيعة؛ ٩- مرتكب الكبيـرة ليس بكافر، كـما تزعم الخـوارج؛ وإنّما هو مؤمن عـاصٍ، إن تاب تاب اللّهُ عليه؛ ١٠- الإمامة والخلافة ثبتت لأبي بكر بعد الرسول، ثمّ لعمر وعثمان وعلي.

الأشْـعَـرِيّ (أبو مـوسى) (ت ٤٤هـ/ ٦٦٥م) : والد أبي الحـسن علي الأشعري. اعتنق الإسلام في تاريخ مبكر. هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأوائل، ولم يرجع منهـا إلاّ عند فـتْح خيـبر. ذَكـر النبيُّ حـسنَ صوته في تلاوة القـرآن، وامتدح شجاعتَه حين قال فيه إنّه «سـيّد الفوارس».. أنعم عليه عمر بعمالة البصرة عند عزل المغـيرة بن شعبـة. ثمّ نقله إلى الكوفة. ثمّ عـزله. ثمّ ولاّه عثمان عليـها.. وعند حـرب صفّين، عـام ٣٧هـ/ ٦٥٧، كان أحـد الحكمَين فـيهـا: هو وعمـرو بن العاص. إلاّ أنّه خُدع. وفرّ إلى مكّة، ثمّ إلى الكوفة حيث توفّي. ذُكر له في صحيحَي البخاري ومسلم ٣٥٥ حديثاً.

الإشْمَام : وهو الإشارة إلى ضمّة النون بضمّ الشفتَين من غير صوت.

الإشْهَاد : من أشـهد على كذا فـشـهد عليه، أي صار شاهداً. وأشـهدَني عقدَ زواجه، أي أحضرني.. وتعـتري الإشـهادَ الأحكامُ الخمسة: فيكون واجـباً، كما في النكاح؛ ويكون مندوباً، كمـا في البيع عند أكثر الفـقهاء؛ وجائزاً، كمـا في البيع عند بعضهم؛ ومكروهاً، كالإشـهاد على العطيّة أو الهبة للأولاد إن حصل فـيها تفاوت؛ وحراماً، كالإشهاد على الجور.

أشْهُرُ الحَجّ : هي: شوّال، وذو القـعدة، وعشـر من ذي الحجّـة، لأنّ قوله تعالى: «الحَجُّ أشْهُرٌ معلوماتٌ» (٢/ ١٩٧) مـقصودٌ به وقتُ الإحرام بالحجّ. أشهر الحجّ تتمّ فيها مناسكه، من إحرام، وطواف، وسعي، ووقوف. وغير ذلك.

الأشْهُرُ الحُرُم : ١ . ذكر القرآن عدد الأشهر الحُـرُم ولم يسمِّها في قوله: «إنّ عِـدَّةَ الشهـور عند اللّه اثْنا عـشَـرَ شهـراً في كِـتابِ اللّهِ يـومَ خَلَق السمـواتِ والأرضَ منها أربعـةٌ حُرُمٌ. ذلك الدِّينُ القَيِّم» (٩/ ٣٦). وهي: «رجب، وذو القـعدة، وذو الحجّة، والمحرّم». يمتنع فيها القتـال لقوله: «فإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا

المُشْرِكينَ حيثُ وَجَدتُموهُمْ..» (٩/٥). لقد عظَّم أهلُ الجاهليّة هذه الأشهر إلى حدٍّ كبير، وجعلوها هدنة فيما بينهم يمتنعون فيها عن إلحاق الأذى بعضهم ببعض.. فكان الأمن والاستقرار يعمّان الناس فيها.

٢ . فضّل اللّه الأشهر الحرم على سائر شهور العام. قال ابن عبّاس: خصّ اللّه من شهور العام أربعة أشهر، فجعلهنّ حرماً؛ وعظّم حرماتهنّ؛ وجعل الذنبَ فيهنَّ والعملَ الصالحَ والأجرَ أعظم. وعن قتادة قال: اللّهُ يعظّم من أمره ما شاء: فإنّه اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيّام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلةَ القدر. قال قتادة: فعظِّموا ما عظَّم اللّه، فإنّما تُعظَّم الأمور بما عظّمها اللّه عند أهل الفهم وأهل العقل[١٢].

٣ . كان القتال في الأشهر الحرم محرَّماً في الجاهليّة.. ثمّ جاء الإسلام يؤيّد ذلك بقوله: «يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه. قل: قتالٌ فيه كبير، وصدٌّ عن سبيل اللّه، وكفرٌ به والمسجدِ الحرام، وإخراجُ أهلِه منه أكبرُ عند اللّه والفتنةُ أكبرُ من القتل» (٢/٢١٧).. إلاّ أنّ مسلمين قالوا بأنّ القتال نُسخ في الأشهر الحرم، وذلك في قوله: «وقاتِلوا المشركينَ كافَّةً كما يُقاتِلونكم كافّة» (٩/٣٦).

أَصْحَابُ الأُخْدُود : ذكرهم القرآن مرّة واحدة بقوله: «والسَّماءِ ذاتِ البُروجِ، واليومِ الموعودِ، وشاهدٍ ومشهودٍ، قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ، النَّارِ ذاتِ الوقود» (٨٥/١-٥). روى المؤرّخون المسلمون عن أصحاب الأخدود أنّ ذا نوّاس ملك اليمن كان متعصِّباً لليهوديّة غير متسامح مع النّصارى. فدعاهم إلى اليهوديّة وخيّرهم بين ذلك والقتل. فاختاروا القتل. فحاصر نجران، وخدَّ لهم الأخدود، وأحرقهم فيه أحياء. وكان ذلك في شتاء ٥٢٤م. ولا تزال الكنائس السريانيّة تذكرهم كشهداء نجران.

---

(١٢) الطبري، ١٠/٨٩.

أَصْحَابُ الأَعْرَاف (أطلب مادّة : **الأعْراف**).

أَصْحَابُ الأَيْكَة : ذكرهم القرآن في أربعة مواضع (١٥/٧٨؛ ٢٦/١٧٦؛ ٣٨/١٣؛٥٠/١٤). والأيكة: الشجرة الملتفّة. وجمْعها: الأيْك. ويُقصد بها الغيضة المليئة بالأشجار الملتفّة بعضها ببعض. وكانت تلك الغيضة تمتدّ من ساحل البحر إلى مدين.

بعث اللّه إليهم **شُعَيباً** نبيًا بعد أن استشرى فسادُهم، وزاد غيُّهم وضلالُهم. لقد وسّع اللّه عليهم أرزاقهم، وقيَّض لهم أسباب العيش الرغيد. وبدلاً من أن يقابِلوا ذلك بالشكر والامتنان، عمدوا إلى الغشّ والاحتيال، وراحوا يُخسرون الميزان، ويُنقصون المكيال، ويُبخسون حقوق الناس. ولمّا حضّهم شُعيب على خشية اللّه، وخوَّفهم عقابه، استهانوا به، وسخروا من وعيده، واتّهموه بالسحر والكذب. ولم يقفوا عند هذا الحدّ، بل تحدَّوه أن ينفِّذ تهديدَه (رَ: ٢٦/ ١٨٥-١٨٧).

وردّ اللّهُ على تحدّيهم بـ «عذاب يومِ الظُّلَّة. إنّه كان عذابَ يومٍ عظيم» (٢٦/ ١٨٩)، أي بأن بعث عليهم حرًّا شديداً، فأخذ بأنفاسهم. فدخلوا أجوافَ البيوت، فدخل عليهم، فخرجوا منها هرباً إلى البرّيّة، فبعث اللّه عليهم سحابةً فأظلَّتْهم من الشمس، وهي «الظُّلَّة»، فوجدوا لها برداً ولذّة، فنادى بعضهم بعضاً، حتّى إذا اجتمعوا تحتها، أسقطها اللّه عليهم ناراً، فأكلتْهم جميعاً. وامتدّ الحرّ عليهم سبعة أيّام وسبعَ ليالٍ.

أَصْحَابُ الجَنَّة : الجنّة هنا هي البستان الوارد ذكره في سورة القلم (٦٨/ ١٧-٣٢)، والذي يقع بالقرب من صنعاء باليمن. كان لرجلٍ يأخذ حاجتَه من ثماره، ويضع الباقي في أيدي المعوزين والمحتاجين. وكان بنوه يعدّون فعلَه هذا حماقة. ولمّا مات أقسمَ بنوه على منع المساكين ممّا كان أبوهم يصنعه، وقرّروا جني الثمار في وقت مبكر دون أن يقولوا: إنْ شاء اللّه، أو يُخرجوا حصّة المساكين التي كان أبوهم يُخرجها.

فلمّا استيقظوا ذات يومٍ، وجدوا البستانَ حصيداً أسود. فبدا لهم أنّهم ضلّوا الطريق إلى بستانهم. فلمّا تأكّد لهم أنّه هو، قال بعضهم لبعض: لسنا ضالّين؛ بل محرومين. فقال أوسطُهم، وهو أرجحهم عقلاً: ألمْ أخبرْكم أن تتوبوا إلى اللّه من سوء نيّتكم، وتستغفروه ممّا اجترحتم من الإثم؟ فاعترفوا بذنبهم، وأقرّوا أنّ ما جرى لهم عذابٌ من اللّه وعقاب، وأنّ عذابَ الآخرة أعظم وأشدّ لمن أصرّ على فساده وشرّه وعناده.

أصْحَابُ الحِجْر : الحِجْر وادٍ بين الحجاز والشام. وأصحاب الحِجْر هم **ثمود** قوم النبيّ **صالح**. لقد كذّبوا برسالته، ولم يؤمنوا بنبوّته.. وتحدّوه بأن يأتيهم بمعجزة.. فقال لهم: «وهل أنتم مصدقيَّ إذا جئتكم بما تطلبون؟». فقالوا له: إنّ صخرةً عظيمة اعترضتهم وهم ينحتون الجبال، وعليه أن يشقَّها لهم، ويُخرج من جوفها ناقةً عشراء توشك أن تنتج.

وانطلق صالح معهم إلى مكان الصخرة، ووقف الجميع ينظرون . ودعا صالحٌ ربَّه، فانشقّت الصخرةُ عن ناقة عظيمة معها سَقْبُها. ولكنّهم ظلّوا على كفرهم مصرّين، واتّهموه بالكذب والسحر. واشترط عليهم صالح أن يتركوا الناقةَ تسرح، وألاّ يمسّها أحد منهم بسوء.. لكنّهم اختاروا تسعةً منهم ليقتلوا الناقةَ وفَصِيلَها.. وتركهم اللّهُ يتمتّعون بما صنعوا ثلاثة أيّام (١١/ ٦٥).. وسخروا من صالح وتهديدِه. حتّى إذا انتهت الأيّام الثلاثة، قُطع دابِرُ الكافرين جميعهم.

أصْحَابُ الرَّسّ : أي أصحاب البئر. ورد ذكرهم مرّتَين في القرآن (٢٥/ ٤٠؛ ٥٠/ ١٢) مع عاد وثمود وغيرهم من المشركين. اختلف المفسّرون اختلافاً عظيماً في ما يذكرونه عنهم: يرى البعض أنّ الرسّ إسم مكان؛ ويزعم آخرون أنّهم بقايا ثمود الذين أهلكهم اللّه لأنّهم ألقوا نبيَّهم حنظلة في رسّ، أي في بئر. أمّا الطبري فيذهب إلى أنّهم هم أصحاب الأخدود. وهو لا يعرف شيئاً عن تاريخهم.

وقال عكرمة ووهب بن منبّه : «هم قومٌ أصحابُ مواشٍ. لهم بئر يقعدون عليها. فكانوا يعبدون الأصنام. فأرسل اللّهُ إليهم **شُعيباً** ، فكذّبوه وآذوه. وتمادوا

في كفرهم. فانهارت بهم البئر، وانخسفت. فبادوا جميعاً». وعن السدي ومقاتل وسعيد بن جُبير: «أصحاب الرسّ هم أهل أنطاكية. جاءهم **حبيب النجّار**، وقال لهم: «يا قَومِ! اتَّبِعُوا المُرْسَلين»، فكذّبوه، وألقوه في بئرٍ يقال لها الرسّ».

أَصْحَابُ السَّبْت : ذكر الألوسي في تفسير سورة البقرة (٢/ ٦٥ و ٧/ ١٦٣) : «أراد موسى أن يجعل يوماً لله، وهو يوم الجمعة، فخالفه قوم من اليهود، وقالوا: نجعله يومَ السبت، لأنّ اللّهَ لم يخلق فيه شيئاً. فأوحى الله إليه أن دَعْهُمْ وما اختاروا. ثمّ امتحنهم فيه، فأمرهم بترك العمل. وحرّم عليهم فيه صيدَ الحيتان.

فلمّا كان زمن داود اعْتَدَوا، وذلك بأنّهم كانوا يسكنون قريةً على الساحل يُقال لها أيلة. وإذ كان يومُ السبت لم يبقَ حوتٌ في البحر إلاّ حضر وأخرجَ خرطومَه. وإذا مضى تفرّقت. فحفروا حياضاً، وأشرعوا إليها الجداول. وكانت الحيتان تدخلها يومَ السبت بالموج، فلا تقدر على الخروج لبعد العمق وقلّة الماء. فيصطادونها يومَ الأحَد. وروي أنّهم فعلوا ذلك زماناً فلم يُنزل عليهم عقوبة. فاستبشروا وقالوا: لقد أحلَّ لنا العملَ في السبت. فاصطادوا علانيةً، وباعوا في الأسواق».

وظاهر القرآن أنّهم مُسِخوا قردة. وكذلك المفسّرون. وقيل: إنّهم بعد المسخ عاشوا سبعة أيّام بلا طعام ولا شراب ولا نكاح. وماتوا في اليوم الثامن.

أَصْحَابُ القَرْيَة : القرية هي أنطاكيا. لقد أرسل الله إلى أصحاب القرية رسلاً ثلاثة من الحواريّين حين رَفع عيسى إلى السماء.. فكذّبوهم. فقال الثلاثة حينئذ: «إنّا إليكم مُرسَلون» (٣٦/ ١٤)، فردّ أصحاب القرية بقولهم: «ما أنتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا» (آ ١٥). وهدّدوهم بالقتل والعذاب (آ ١٨). وسمع رجلٌ مجذوم أنّ قومَه سيقتلون الرسل. جاء وطلب من الرسل شفاءً، فكان له. فجاء قومَه مدلِّلاً على صدق الرسل. ولكنّهم أعرضوا وأصرّوا على كفرهم، فنفّذ الله فيهم أمره، ونالوا جزاء تكذيب المرسَلين «إنْ كانتْ إلاّ صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون» (آ ٢٩).

أصْحَابُ الكَهْف : يشيـر القرآن بذلك إلى الفـتية الذين سـمّاهم الغـربيّون «نوّام أفسس السـبعة». ويقصّ القـرآن قصّتـهم في سورة الكهف (١٨/ ٩-١٣). مخـتصـرها : إنّ أهلَ أفسس كانوا يعـبدون الأوثان، وبقي سـبعة فـتيـة وحدَهم يعبدون اللّه مخلصين، وهربوا إلى كهف يطلّ بابُه على ناحية الشمال، حيث ضرب اللّه على آذانهم، فنامـوا ومعهم كلبـهم. ولبثوا في كـهفهم ثلثـمائة سنين وازدادوا تسعـاً. ثمّ بعثهم اللّه. فـبَعثـوا بأحدهم إلى المدينة ليشـتري لهم طعامـاً. ولا يذكر القرآن عنهم أكثر من هذا. إنّ الغرض من هذه القـصّة هو تمكين الاعتقاد في البعث. إلاّ أنّ المؤرّخين والمفسّرين قد ذكروا عن أهل الكهف شيئاً كثيراً.

الأصْـفَهَـانِيّ (أبو الفرج) (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) : مؤرّخ عـربي. من نسل الأمـويّين. ولد بأصفـهان. درس في بغـداد. من أئمّـة الأدب الأعلام في مـعرفـة التاريخ واللّغة. التـحق بالوزير المهلبي وتمتّع بحمايته. انصـرف إلى جمع التاريخ وتدوينه في كتـاب «الأغاني» بأسلوب علمي دقيق ولغـة أنيقة سهلة. له مـصنّفات كثيرة، منها «مقاتل الطالبيين».

الأصْفَهَانِيّ (أبو نعـيم) (ت ٤٣٠هـ/١٣٠٨م) : محدّث فـقيه، متـصوّف، كثـير التصـانيف. ولد بأصفهـان. خرج إلى الشام والعـراق والحجاز وخـراسان فاكـتسب علماً واسـعاً، فلقّب بـ «الحـافظ». أهمّ مؤلّفاته «حـلية الأولياء وطبـقات الأصــفـيـاء»، و«دلائل النبـوّة»، و«الطبّ النبـوي»، و«ذكـر أخـبار أصـفـهـان»، و«المستخرج على الصحيحين». وافاه الأجل في أصفهان.

الأصْـفَـهَـانِيّ (حـمـزة) (ت بين ٣٥٠ و٣٦٠هـ/ ٩٧١ و٩٨١م) : لغـوي شـهير. توفّي في مسقط رأسه في أصفهان. معظم مؤلّفاته تتناول اللّغة ومفرداتها. له : كتاب التـواريخ؛ وكتاب «الأمثـال على الأفعال»، وتحقيـقه لديوان أبي نوّاس.. اهتمّ بنوع خاصّ بالمسائل الفارسيّة.

الأصْل : ١ . لغةً: هو كلّ مـا يَستند إليـه غيـرُه ويَبتني عليـه من حيث أنّه يبتني عليـه ويتفرّع عنه، فـالأب أصل للولد، والأسـاس أصل للجـدار، والنهر أصل

للجدول. والجمع: أصول. واصطلاحـاً، يُطلق الأصل بمعانٍ ترجع كلُّها إلى استناد الفرع إلى أصله وابتنائه عليه..

٢ . كثـيراً ما يُضـاف لفظ «الأصول» إلى أسـماء العلوم، ويُراد به حـينئذ القواعد العامّة التي يتبعها أصحابُ ذلك العلم في دراسته، والتي تحكم طرق البحث والاستـنبـاط في ذلك العلم.. فـمن ذلك: أصول الحـديث (وهو مـصطلح الحـديث وطرائقه)؛ وأصول الفـقه (ويسمّى عادة علم الأصـول فقط)؛ وأصول الدين (وهو علم الكلام).

٣ . ويُعرّف علم أصول الفقه بأنّه العلم بقواعد الفقه الإسلامي باعتبار أنّه العلم بالأدلّة التي تؤدّي إلى تقرير الأحكام الشرعـيّة. والذي يبرّر وجود هذا العلم هو أنّ الإنسان لم يُـخلق عبثـاً (٢٣/ ١١٥)، وأنّه لا يُترك سُـدًى (٧٥/٣٦)؛ وإنّما تنظّم الأحكام الشرعيّة أعماله جميعاً. ولـهذا يُعتمد على أربعة أدلّة : ألقرآن، ويعتبر أوّل مصدر للقانون في الإسلام، والسنّة، والإجماع، والقياس.

الإصْلاح : نقيض الإفساد. هو التغيير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة. ويتمّ الإصلاح بوسائل عديدة، منها :

١ – إكمال النقص؛

٢ – التعويض عن الضرر، كما في وجوب الدية على الجنايات؛

٣ – الزكوات، كزكاة المال، وزكاة الفطر؛

٤ – العقوبات، من حدود وقـصاص وتعزيرات وتأديب، لقوله: «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب» (٢/ ١٧٩)؛

٥ – الكفّارات، فإنّهـا شرعت لإصلاح خلل في تصرّفات خـاصّة، ككفّارة اليمين، والظهار، والقتل الخطأ، ونحو ذلك؛

٦ – منع التـصـرّف بنزع اليد لإيقـاف الضـرر، كعـزل القـاضـي الذي لا يحسن القضاء، وإنهاء حضانة الأمّ إذا تزوّجت، والحجر على السفيه، ونحو ذلك؛

٧ - الولاية والوصاية والحضانة، وهي ما شرعتْ إلاّ لإصلاح المولّى عليه، أو إصلاح ماله؛

٨ - الوعظ، كوعظ الزوجة التي يخاف نشوزها، لقوله: «واللآتي تخافون نشوزهنّ فعِظُوهنّ» (٤ / ٣٤)، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛

٩ - التوبة، وهي تُصلح شأن الإنسان وتمحو الذنب الذي ارتكبه؛

١٠ - إحياء الموات، ويتمّ إصلاح الأرض بإحياء الموات فيها..

وفي الجملة، كلّ ما يؤدّي إلى الكفّ عن المعاصي، أو إلى فعل الخير، فهو إصلاح.

الأَصْمَعِيّ (أبو سعيد عبد الملك) (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م) : من مشاهير علماء اللّغة. ولد في البصرة. استدعاه هارون الرشيد إلى بلاطه ببغداد وجعله مؤدّباً للأمين، وسمّاه «شيطان الشعر». وتزعّم الحياة العقليّة الناشطة. ثمّ ترك بغداد وعاد إلى مسقط رأسه، حيث توفي. إليه يرجع الفضل في جمْع دواوين الشعراء التي وصلت إلينا إلى جانب مجموعته المعروفة بالأصمعيّات، والتي جمعها المستشرق الألماني وليم أهلورد..

له : «كتاب خلق الإنسان»، و«كتاب الخيل»، و«كتاب الإبل»، و«كتاب الشاء»، و«كتاب النبات والشجر»، و«كتاب الوحوش وصفاتها»، و«كتاب الأضداد»، و«كتاب المرادف»، و«كتاب الفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان»، و«كتاب الدارات»، و«كتاب شرح ديوان ذي الرمّة»..

الأَضْحَى : ١ . ويُقال له يوم النحر. ويكون في اليوم العاشر من ذي الحجّة. في ضُحاه تُنحر الإبل والغنم وذوات القرن، وتعتبر لحومها صدقة توزّع على الفقراء. بعد شروق شمسِ اليوم الأوّل بساعة، تُقام صلاة العيد، وهي ركعتان بغير أذان ولا إقامة. ويستغرق العيد أربعة أيّام: أوّلها: يوم النحر؛ والأيّام الثلاثة الأخر هي أيّام **التشريق**.

٢ . والأضحيّة مشروعــة بالكتاب لقوله: «فَصَلِّ لربِّكَ وانحر» (١٠٨/٢)، أي : صلِّ صلاة العيد وانحر البُـدْن، أي الإبل ذكورها وإناثها؛ وبالسنّة لقوله: «من كان له سعة ولم يُضَحِّ فلا يقربنَّ مصلانا»[1].

٣ . أمّا حكمة مـشروعيّتهـا فهي شكر اللّه على نعمة الحيـاة، وإحياء سنّة إبراهيم الخليل حين أمره اللّه بذبح الفداء عن ولده في يوم النحر.

٤ . ويُشترط بالأضـحـية سلامتها من الأمراض والـعيوب، وأن تُذبح بنيّة الأضحيّة والتـقرّب إلى اللّه.. وعلى المضحّي شهودها وذبحهـا بنفسه إذا استطاع، ويأكل لقوله: «إذا ضحّى أحدكم فليأكل من أُضحيّته»[2]، ويتصدّق، ويدّخر منها ما شاء حـسب حاجتـه. والأفضل أن يتصـدّق بالثلث، ويتّخـذ الثلث ضيافـةً لأقاربه وأصدقـائه، ويدَّخِر الثلث. وله أن يهب الفقـير والغني. وقال الحنفيّـة: ولو تصدّق بالكل جاز، ولو حبس الكلَّ لنفسه جاز، لأنّ القربة في إراقة الدم.

٥ . ولا تُدفع أجرة الجزّار من أيّ شيء منها، بل تُدفع الأجرة نقداً. ويصحّ أن يُهدى الجزّار شيئاً منها بـعد قبْض الأجر. ولا يحلّ بيع شيء منـها، لقول النبيّ: «مَن باع جلد أضحـيّتـه فلا أضحـيّة له»[3].. وأمّا الذي أُهدي إليـه شيء منها، أو تصدّق عليه به، فيجوز له البيع والإبدال. فإذا بيع فليتصدّق بالثمن. وتُسمّى أنواع الأضحية بحسب القرآن «الهَدْي»[1]. و«مَن لمْ يجِدْ (من الهدي) فصيامُ ثلاثةِ أيّامٍ في الحجّ، وسبعةٍ» بعده (١٩٦/٢).

الأَضْدَاد : الألفاظ الدالّة على معنيَين مـتضادَّين. أشهر من ألّف كـتاباً جمع فيه الأضــداد، وسمّاه «كتاب الأضــداد»: قُطرُب (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢٠م)، والأصمعي

---

(١) أخـرجـه ابن مـاجـة ١٠٤٤/٢، ط. الحلبـي؛ والحـاكم ٣٨٩/٢-٣٩٠، ط. دائرة المعـارف العثمانيّة. والحدث صحّحه الحاكم، وأقرّه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد، ٣٩١/٢، ط. الميمنيّة.

(٣) أخرجه الحاكم ٣٨٩/٢-٣٩٠، والبيهقي ٢٩٤/٩، ط. دائر المعارف العثمانيّة.

(١) رَاجع : ١٩٦/٢؛ ٥/٢ و٩٧؛ ٢٥/٤٨.

(تت ٢١٦هـ/ ٨٣١م)، وأبو عبيد (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م)، وأبو حاتم السِجستاني (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، وابن السكّيت (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، وأبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م)، وأبو الطيّب الحلبي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩٠م)، والصغاني (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)..

والأضداد، في المعتقد الدرزي، هم النطقاء والأسس وأتباعهم الذين وقفوا من الدروز موقف الخصومة والعداء، إلى درجة أنّ كلّ نبيّ هو ضدّ، وأتباعه أضداد. والضدّ الأكبر هو النبيّ محمّد، لأنّ شريعته كانت ظلماً على أهل التوحيد.

الإضْطِبَاع : لغةً: من الضبع، وهو وسط العضد. وقيل: الإبط (للمجاورة). وشرعاً: أن يُدخل الرجلُ رداءَه الذي يَلبسُه تحت منكبه الأيمن فيلقيه على عاتقه الأيسر، وتبقى كتفه اليمنى مكشوفة. ويُطلق عليه التأبّط والتوشّح.. والإضطباع في طواف القدوم مستحبٌ لما روي أنّ النبيّ «طاف مضطبعاً وعليه برد»[٢]. وعن ابن عبّاس: «أنّ النبيّ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة، فرملوا بالبيت، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم، ثمّ قذفوها على عواتقهم اليسرى»[٣].

الإضْطِجَاع : لغة: النوم، وقيل: وضع الجنب بالأرض. والاضطجاع في النوم ينقض الوضوء، لأنّه سببٌ لاسترخاء المفاصل، فلا يخلو من خروج ريح عادةً، لقول النبيّ: «لا وضوء على مَن نام قائماً أو قاعداً أو راكعاً أو ساجداً، إنّما الوضوء على مَن نام مضطجعاً فاسترختْ مفاصله»[١].

الإطْعَام : ويسمّى بحسب المناسبات كما يلي : **الوليمة:** الإطعام في العرس؛ **الإعذار، والعذيرة، والعذير:** الإطعام في الختان؛ **الخرس**، أو **الخرسة:** وهو الإطعام

---

(٢) أخرجه الترمذي، ٣/ ٥٩٦؛ وأبو داود، ٢/ ٤٤٣-٤٤٤؛ وابن ماجة، ٢/ ٩٨٤، من حديث يعلى بن أميّة.

(٣) أخرجه أبو داود، والطبراني. وقال الشوكاني: رجاله رجال الصحيح، عون المعبود ٢/ ١١٦-١١٧، ط. الهند.، ونيل الأوطار، ٥/ ١١١، ط.دار الجيل.

(١) فتح القدير ١/ ٣٢-٣٣؛ والمغني ١/ ١٧٣-١٧٤؛ والمهذب ١/ ٣٠؛ ر: إبن حجر ١/ ١٢٠؛ أبو داود ١/ ١٣٩.

في الولادة؛ **الوكيرة:** الإطعام في بناء الدار؛ **النقيعة:** الإطعام في قدوم الغائب من الحجّ وغيره؛ **العقيقة:** الإطعام لأجل الولد.

الإطْنَاب : لغةً: المبالغة والإطالة والإكثار. واصطلاحاً: أن تكون الألفاظ أكثر من المعاني. وقد قسم العلماء الكلامَ إلى ثلاثة: ١- الإيجاز، وهي أن تكون الألفاظ أقلّ من المعاني؛ ٢- المساواة، وهي أن تكون الألفاظ مساوية للمعاني؛ ٣- الإطناب، وهي أن تكون الألفاظ زائدة على المعاني. بيد أنّ الزيادة، إذا خلتْ من الفائدة، فلا يُسمّى الكلامُ معها إطناباً، بل تطويلاً أو حشواً، وهو مذموم.

الأظَافِر (تقليم) : سنّة للرجل والمرأة، لليدَين والرجلَين، لما روى أبو هريرة عن النبيّ قال: «خمسٌ من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقصّ الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»[1]. إلاّ أنّه ينبغي للمجاهدين أن يوفّروا أظافرهم في أرض العدوّ، فإنّه سلاح. قال أحمد: يحتاج إليها في أرض العدوّ. ألا ترى أنّه إذا أراد أن يحلّ الحبلَ أو الشيء، فإذا لم يكن له أظفار لم يستطع. وقال عن الحكم بن عمرو: «أمرنا رسولُ اللّه ألاّ نحفي الأظافر في الجهاد. فإنّ القوّة في الأظافر»[2].

أمّا طلاء الأظافر فهو غير جائز، لأنّ الطهارة من الحدَث تقتضي تعميم الماء على أعضاء الوضوء الأصغر، وعلى الجسم في الحدَث الأكبر، وإزالة كلّ ما يمنع وصول الماء إلى تلك الأعضاء، ومنها الأظافر. فإذا منع مانع من وصول الماء إليها، لم يصحّ الوضوء، وكذلك الغسل، لما روى علي عن النبيّ: «من ترك موضع شعرة من جنابة لم يصبها الماء، فعل به من النار كذا وكذا»[3].

الاعْتِكَاف : ١ . إسم يطلق على عادة دينيّة. أهم خصائصها أن يلبث المؤمن في مسجدٍ بعيداً عن النّاس. ويعتبر الاعتكاف سنّة، ويُورد بين الأعمال الصالحة

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٣٣٤، ط. السلفيّة؛ ومسلم، ١/ ٢٢٢، ط. الحلبي.

(٢) أورده ابن قدامة في المغني ٨/ ٣٥٣، ط. السعوديّة؛ رَ: ابن عابدين ٥/ ٢٦٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه، ١/ ١٩٦؛ وأبو داود، عون المعبود ١/ ١٠٣؛ رَ: ابن عابدين ١/ ١٠٤، ط. بولاق؛ والمغنى ١/ ٢٢٢-٢٢٧؛ وحاشية الدسوقي ١/ ٩٠، ط. دار الفكر.

التي توصي كتبُ الفقه بعملها في العشرة الأيّام الأخيرة من شهر رمضان حتّى يكون للمؤمن حظٌّ في خيرات ليلة القدْر. ويُسمّى الاعتكاف «جواراً» لقول السيّدة عائشة عن النبيّ «وهو مُجاوِرٌ في المسجد».

٢. وشروط الاعتكاف: ١- عدم الخروج من المعتكَف إلاّ لحاجة؛ ٢- الامتناع عن المعاشرة الجنسيّة ودواعيها، لقوله تعالى: «ولا تُباشِروهنَّ وأنتم عاكِفون في المساجد» (٢/١٨٧)؛ ٣- عدم الاشتغال بأمور الدنيا؛ ٤- الصوم إن أمكن؛ ٥- لا يصحّ الاعتكاف بغير نيّة؛ ٦- الطهارة من الحدث الأكبر، ويتوقّف الاعتكاف حتّى زوال الحدث.

٣. والهدف من الاعتكاف: تحقيق صفاء القلب بعبادة الله في أوقات الفراغ. وهو من أشرف الأعمال وأحبّها إذا كان عن إخلاص مع الصوم.

الإعْجَاز: إنّ القول بإعجاز القرآن يعني أنّ الإنس والجنّ جميعَهم قد أعجزهم القرآن عن أن يأتوا بمثله، مع تحدّيهم بأن يأتوا بكلام يماثل كلام القرآن في بلاغته وفصاحته وعلوّ شأنه: «قُلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجِنُّ على أنْ يَأتُوا بمِثْلِ هذا القُرآنِ لا يَأتُونَ بمِثلِه ولو كانَ بَعضُهم لبعضٍ ظَهيراً» (١٧/٨٨).

ويدور الإعجاز القرآني حول الوجوه التالية: ١- الأخبار والوعود الصادقة؛ ٢- الإخبار عن الغيوب التي وقعت كما أخبر عنها القرآن؛ ٣- فصاحة ألفاظه وسلامة معانيه وشرفها؛ ٤- نَظْمُه المُحكم، وتأليفه البديع، وسلامته من الطعون؛ ٥- الإعجاز العلميّ في جميع حقوله الطبيّة والنفسيّة والفلكيّة وما سواها (أطلب مادّة: **القرآن**).

الأعْجَمِيّ: هو من لا يفصح، سواء أكان من العجم أم من العرب. أمّا **العَجَمِيّ** فهو من كان من غير جنس العرب، سواء أكان فصيحاً أم غير فصيح. وردت في المعنى الأوّل آيتان: «لسانُ الذي يُلحدونَ إليه أعجميٌّ. وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبين» (١٦/١٠٣)، وقوله: «أأعجَميٌّ وعَرَبيٌّ؟! قلْ هو للذينَ آمنوا هدى وشفاء» (٤١/٤٤)؛ كما وردت في المعنى الثاني آيتان هما: «ولو جعلناهُ قرآناً أعجميًا

لقالوا: لولا فُصِّلَتْ آياته» (٤١/ ٤٤)، وقوله أيضاً: «ولو نزّلناه على بعض الأعجميّين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين» (٢٦/ ١٩٨).

الإعْذَار : المبالغة، منه قولهم: أُعذِر مَن أنذر، أي قد بالغ في الإعذار مَن تقدّم إليك فأنذرك. ويجتمع الإعذار مع التخويف، إلاّ أنّه ينفرد عنه بأنّه لقطع العذر. وأعذر أيضاً: صار ذا عذر، ومنه قولهم: عذرْتُ الغلامَ والجارية عذراً: ختنته فهو معذور. والإعذار أيضاً: طعام الختان.

من مشروعيّة الإعذار أنّ الله لا يهلك أمّة بعذابٍ إلاّ بعد الرسالة إليهم والإنذار، لقوله: «وما كنّا مُعذِّبين حتّى نَبعَثَ رسولاً» (١٧/ ١٥). وقد عفا سليمان الهدهدَ من العقوبة حين اعتذر إليه: «لأُعَذِّبَنّه عذاباً شديداً، أو لَأَذْبَحَنَّه، أو لَيَأتِيَنِّي بسلطانٍ مُبين» (٢٧/ ٢١).

الأعْرَاب : هم سكّان البادية من العرب؛ أمّا **البَدو** فهم سكّان البادية من العرب أم من غيرهم. ولم يكن الأعراب مع النبيّ على خير وسلامة، فالقرآن يصفهم بألذع الصفات. فهم: «أشدُّ كفراً ونِفاقاً» (٩/ ٩٧)، و«منافقون» (٩/ ١٠١)، يتخلّفون عن الجهاد (رَ: ٩/ ١٢٠)، وقد شغلتهم كثرةُ أموالهم وعيالهم (٤٨/ ١١). ومَن يؤمن منهم فهو لم يؤمن إيماناً حقيقيّاً، بل قد يسلم (رَ: ٤٩/ ١٤). والأعراب عادة موصوفون بالجفاء، مثلهم مثل البدو، لقول رسول الله عنهم: «مَن بَدا جَفا»[1]، أي: مَن نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب.

الأعْرَاف : سورة **٧** من القرآن. آياتها: **٢٠٦**.

١ . ورد ذكر الأعراف في القرآن في قوله: «وعلى الأعرافِ رجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بسيماهُم. ونادَوا أصحابَ الجنّةِ أنْ سلامٌ عليكم. لم يَدخُلوها وهم يَطمَعون. وإذا صُرِفَتْ أبصارُهم تِلقاءَ أصحابِ النارِ قالوا: ربَّنا! لا تجعلْنا مع القومِ الظالمين. ونادى أصحابُ الأعرافِ رجالاً يَعرِفونَهم بسيماهم، قالوا: ما أغنى عنكم جَمْعُكمْ

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٢٧٨، ط. عزّ عبيد دعّاس؛ والترمذي ٤/ ٥٢٣، ط. الحلبي.

وما كنتم تَستَكْبِرون. أَهَؤلاءِ الذينَ أَقْسَمْتُم لا يَنالُهُمُ اللّـهُ برحمةٍ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ. لا خوفٌ عليكمْ ولا أنتم تَحزَنون» (٧/٤٦–٤٩).

٢ . وقال الطبري في تفسير «الحجاب» الوارد في (٧/٤٦): «إنّه السُّور الذي قال عنه اللّه: «فضُرِبَ بينَهم بسُورٍ. له بابٌ. باطنُه فيه الرَّحمَةُ. وَظاهِرُه مِن قِبَلِهِ العذابُ» (٥٧/١٣). وقال أيضاً: الأعراف جمع عُرف، وهو كلّ ما ارتفع من الأرض، وإنّما قيل لعرف الديك عرف لارتفاعه». وقال مجاهد: «الأعراف حجاب بين الجنّة والنار، سورٌ له باب»

٣ . الأعراف سورٌ عالٍ مُشرفٌ قائمٌ بين الجنّة والنار. والرجال طائفة من الموحِّدين، قصّرتْ بهم سيّئاتُهم عن الجنَّة؛ وتجاوزتْ بهم حسناتُهم عن النار. جُعلوا هناك حتّى يَجمع اللّه الناس، ويقضي بينهم؛ ثمّ يقول لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر أمرَكَ. فيُقال : إنّ حسناتِكم تجاوزتْ بكم النارَ أن تدخلوها، وحالتْ بينكم وبين الجنّة خطاياكم فادخلوها بمغفرتي ورحمتي».

٤ . وسئل رسول اللّه يوماً عن أصحاب الأعراف فقال: «هم أناسٌ قُتلوا في سبيل اللّه بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخولِ الجنّة معصيةُ آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلُهم في سبيل اللّه». وقيل أيضاً: «هم أناس رضي عنهم أحدُ أبويهم دون الآخر».

٥ . « لمّا تبلورت فكرة الجنّة والنار لجزاء الذين يعملون الخيرات والسيّئات على التوالي، ظهرت لأهل الدين مشكلةٌ صعبة، وهي ماذا يفعلون بالأشخاص الذين تستوي حسناتهم مع سيّئاتهم؟

«علماء اليهوديّة حلّوا هذه المشكلة بأن جعلوا مكاناً بين الجنّة والنار ليستوعب هذا النوع من النّاس (سمّوه: اليَنْبُوس، أي هو مكان لا سعادة فيه ولا عذاب). وقال بعض الربّانيّين: إنّ هذا الفاصل بين الجنّة والنار هو حائط؛ بينما قال آخرون: تفصلهما مسافة شبر واحد فقط. ويمكن لهؤلاء الناس الذين على البرزخ أن يروا أهل الجنّة وأهل النار.

والنصارى يقولون بـ «المطهر» حيث يقيم بعض ذوي الخطايا الصغيرة من أجل أن يتطهّروا، فيستحقّوا السعادة الإلهيّة[1].

الأعْشَى (ت ٨هـ/ ٦٢٩م) : شاعر من قبيلة قيس بن ثعلبة. وهو شاعر مشهور من المخضرمين، مدح محمّداً ولكنّه لم يعتنق الإسلام. شهير بقصائد الخمرة التي جاءت نموذجاً للشعراء الذين أنشأوا قصائد في الخمر. ويجيء بعد امرئ القيس باعتباره الشاعر العربي القديم. يُلقّب بصنّاجة العرب. له ديوان أشهر قصائده فيه «اللاّميّة».

أعْلاَم الحَرَم : هي الأشياء التي نصبت في أماكن محدّدة شرعاً لبيان حدود الحَرَم المكّي.. روي عن ابن عبّاس أن جبريل أرى إبراهيم موضع أنصاب الحرم، فنصبها. ثمّ جدّدها إسماعيل. ثمّ جدّدها قُصَيّ بن كلاب. ثمّ جدّدها رسول الله. وروى البزار عن محمّد بن الأسود بن خلف عن أبيه «أنّ النبيّ أمره أن يجدّد أعلام الحرم عام الفتح». ثمّ جدّدها عمر بن الخطّاب، ثم عثمان بن عفّان، ثمّ معاوية. وهكذا إلى وقتنا الحاضر. وهي: علَم **عَرَفة**، ويبعد عن المسجد الحرام ١٨,٣٣٣م. وعلم **نخلة**، يبعد ١٣,٣٥٣,٥م. وعلم **التنعيم**، يبعد ٦,١٤٨م. وعلم **إضاءة**، يبعد ١٢,٠٠٩,٧٥م.

أغَاخَان : لقب زعيم الهنود الإسماعيليّة، أو الخواجات... يزعم الأغاخانيّة أنّهم من نسل حسن بن الصبّاح. وأغاخان اليوم هو كريم بن علي. وُلد ١٩٣٦. تولّى الإمامة ١٩٥٨.

الافْتِدَاء : لغةً: الاستنقاذ بعوض، كالفداء، وهو عوض الأسير. ومفاداة الأسرى أن تدفع رجلاً وتأخذ رجلاً. والفداء: فكاك الأسير. وأجاز الإسلام مفاداة الأسير بالأسير، لقوله: «فإذا لَقِيتمُ الذين كفروا فضَرْبَ الرِّقابِ حتّى إذا أثْخَنْتُموهم فَشُدُّوا الوَثَاقَ، فإمّا مَنّا بَعْدُ وإمّا فِداء» (٤٧/ ٤).

---

(١) رَاجع : د.كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ٢٣٦.

الإفْرَاد : (أطلب مادّة : **الحجّ**) : أفردتُ الحجَّ عن العـمرة، فـعلتُ كلَّ واحدٍ على حدة. أمّا **القران** فهو أن يحرم بالعمرة والحجّ معاً فـيجمع بينهما في إحرامه. وأمّا **التمتّع** فهو أن يهلّ بعـمرةٍ مفردة من الميـقات في أشهر الحجّ، فـإذا فرغ منها أحرم بالحجّ من عامه.

الإفْضَاء : مِن أفضى الرجل إلى امرأته: باشرها وجامـعها. والملامسة هي أن يُفضي الرجل بشيء من جسده إلى جسـد المرأة، أو تفضي إليه بشيء منها بلا حائل. والجمـاع، ومن ذلك قوله: «وكيف تأخذونَه (أي المهر) وقـد أفضى بعضُكم إلى بعض (أي وصل بالجماع)» (٤/٢١). وخلط السـبيلَين، مثل أن يجامع الرجل امرأتَه الصغيرة التي لا تحتمل الجماع، فيصيِّر مسلكَيها مسلكاً واحداً..

الأفْـغَـانِيّ (جـمـال الدين) (ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) : من أشـهـر أعـلام الإسلام في القرن التاسع عشر. كان فيلسوفاً وكـاتباً وخطيباً وصحفيّاً معاً. وكان سياسـيّاً يرمي إلى تحرير الدول الإسلاميّـة من النفوذ الأوروبي. وكان يرمي إلى إقامة أمبراطوريّة إسلاميّة قويّة، وإلى تأسيس الجامعة الإسلاميّة.

ولد في أسعد آباد في أفـغانستان. تنتسب أسرته إلى الحـسين، ممّا خوّلها الحقَّ في حمْل لقب «سـيّد». رحل مع والده إلى إيران؛ ثمّ سافـر إلى النجف وتعلّم فيها علوم القرآن والحديث والكلام والفلسـفة والمنطق وأصول الفقه والرياضيّات والفلك والطبّ والتشـريح.. وبعد رحلات عـديدة عاد إلى بلاده، وشارك في قـتال الإنجليز وأصبح رئيس الوزراء في حكم الأمير الوطني محمّد أعظم خان. ولمّا هزم هذا الأمير، عاد جمال الدين إلى الترحال حتّى وفاته بالأستانة.

في أثناء رحلاته، تعرّف على الإمام الشيخ محـمّد عبده. وذهبا إلى فرنسا حيث أسّسا مجلّـة «العُروة الوِثقى» في باريس عام ١٨٨٤. من آثاره: «رسالة الردّ على الدهريّين»، و«تاريخ الأفغان»، وغيرهما من كتب ومقالات.

الإفْك : لغةً: الكذب والافتراء. وحادثة الإفك: تلـك التي تعرّضت لها عائشة بسبب تأخّـرها عن الركب مع صفوان بن المعطَّل السُّلَمِـيّ.. وبعد شهر من قطيـعة

النبيّ لها، أظهر اللّه براءتها، فتشهّد ثمّ قال: «أمّا بعد يا عائشة، فإنّه قد بلغني عنك كذا وكذا. فإن كنتِ بريئةً فسيبرئك اللّه. وإن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري اللّهَ وتوبي إليه. فإنّ العبد، إذا اعترف بذنبه، ثمّ تاب إلى اللّه تاب اللّه عليه».. ثمّ قال: «يا عائشة، أمّا اللّه فقد برّأكِ». فقالتْ أمّ عائشة: قومي إليه. فقلتُ: واللّهِ لا أقوم إليه ولا أحمد إلاّ اللّه. وأنزل اللّه: «إنَّ الذينَ جاءوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منكمْ. لا تَحسَبُوهُ شرًّا لكم» (٢٤/١١). وقال المفسّرون: إنّ المراد بـ «الـ» ما افتُري على عائشة.. وكأنّه لا إفك إلاّ ذلك الإفك.

أفلاطون Platôn : (ت ٣٤٧ ق.م.) : من مشاهير فلاسفة اليونان. تلميذ سقراط ومعلّم أرسطو. وُلد في أثينا. قرأ هوميروس، ونظّم الشعر التمثيلي، وأقبل على العلوم، وأظهر ميلاً خاصًا للرياضيّات، واطّلع على كتب الفلاسفة. وفي سنّ العشرين تعرّف إلى سقراط. قضى حياته يفكّر في السياسة ويمهّد لها بالفلسفة.

غادر أثينا بعد موت سقراط. ثمّ سافر إلى مصر. ثمّ عاد إلى بلده سنة ٣٨٨ ق.م. ثمّ رحل إلى جنوبي إيطاليا، قاصداً التعرّف إلى المذهب الفيتاغوري في منبته. وقصد صقلّية حيث أنكر الفساد المتفشّي في البلاط، فاعتُقل ووُضع في سفينة أقلعت به إلى جزيرة أجينا، حليفة إسبرطة ضدّ أثينا، فعُرض في سوق الرقيق. فافتداه رجل كان قد عرفه. ورجع إلى أثينا وأنشأ مدرسة على أبوابها تطلّ على بستان أكاديموس، فسمّيت بالأكاديميّة. وظلّ فيها يعلّم ويكتب أربعين سنة.. وتوفّي بالغاً من العمر ثمانين، وذلك أثناء حرب فيلبوس المقدوني على أثينا.

لأفلاطون أثر كبير على مفكّري الإسلام بطريقة غير مباشرة. ومعرفتهم به أقلّ من معرفتهم بأرسطو. من مؤلّفاته: «الجمهوريّة»، «السياسي»، «المحاورات»، «كريتون»، «فيدون»، «تيمه»، «الوليمة»، «الشرائع». تأثّرت الفلسفة الإسلاميّة بأفكاره إلى حدّ كبير.

أفلوطين Plôtinos (ت ٢٧٠م) : فيلسوف صوفي زاهد. وُلد في مصر، وتعلّم في الإسكندريّة. تأثّر بأفلاطون. فأسّس الأفلاطونيّة الحديثة. فيها حاول

التوفيق بين الفلسفة والدين. جُمعت تعاليمه في «التاسوعات» التي اعتمد عليها المفكّرون العرب ليوفّقوا بين الدين الإسلامي والفلسفة اليونانيّة.

الإقامَة : هي النداء الثاني الذي ينادي به المؤذّن المسلمين في المسجد إلى الصلاة في أوقاتها الخمسة، وقبل صلاة الجمعة؛ وذلك في الأذان، بعد «حيٍّ على الفلاح» التي تكرَّر مرّتين، فينطق بعبارة «قد قامت الصلاة» مرَّتَين. وتُعتبر الإقامة سنّة. وتُسَنّ الإقامة عند كلّ صلاة. وهي تفسَّر أيضاً بالنداء الذي يقصد به دعوة المسلمين إلى النهوض للصلاة. وهذا النداء يبيّن اللّحظة التي تبدأ فيها الصلاة.

الأَقْلَف : هو الذي لم يُختن. والمرأة قلفاء. والفقهاء يخصّون أحكام الأقلف بالرجل دون المرأة. ويقابل الأقلف: المختون. وإزالة القلفة من الأقلف تسمّى ختاناً في الرجل، وخَفْضاً في المرأة.. اتّفق الفقهاء على أنّ إزالة القلفة من سنن الفطرة.. لا شهادة للأقلف، عند الفقهاء، لأنّهم يقولون بوجوب الاختتان. وترك الواجب فسق. وشهادة الفاسق مردودة. أمّا ذبيحة الأقلف وصيده فجائزان، ويؤكلان، لأنّه لا أثر للفسق فيهما، ولأنّ ذبيحة النصراني تؤكل فهذا أولى.

الأُقَيصِر : لقبُ صنمٍ من أصنام العرب في الجاهليّة. وهو تصغير الأقصر، ومعناه ذو العنق الغليظ والقصير؛ ممّا يعني أنّه صنم على هيئة إنسان. ذكره ابن الكلبي في «كتاب الأصنام»، وياقوت في «معجم البلدان»، والجاحظ في «كتاب حياة الحيوان»، و«كتاب البخلاء»، و«خزانة الأدب»، ومحمود الألوسي في «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب». عبدته قبائل قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان في هضبة حمراء الشام.

أكْثَم بن صَيْفِي (ت ٩هـ/ ٦٣٠م) : من مشاهير الحكماء في الجاهليّة. عاش طويلاً، وأدرك الإسلام.. خرج إلى المدينة، في مائة من أصحابه، ليعلنوا إسلامَهم بين يدي الرسول. بيد أنّ أكثم مات في الطريق قبل بلوغ المدينة. وأمّا أصحابه فقد بلغوها وأسلموا. وقد سجّل القرآن قصّتَهم، فقال: «ومَن يَخرُجْ مِن بيتِهِ مُهاجِراً إلى اللّهِ ورسولِهِ، ثمَّ يُدرِكْهُ الموتُ فقد وقعَ أجرُهُ على اللّهِ» (٤/ ١٠٠).

الإكْسَال : من أكسل المُجامع، أي: خالط المرأة ولم ينزل، أو عزل ولم يرد ولداً. يجامع الرجل ثمّ يفتر ذكره بعد الإيلاج فلا يُنزِل. منه: **الاعتراض**، وهو عدم انتشار الذكر للجماع. وقد يكون الاعتراض قبل الإيلاج أو بعده. ومنه: **العنّة**، وهي عجز الرجل عن إتيان النساء، وقد يكون عنيناً عن امرأة دون أخرى.

الإكْسِيْر : أو إكسير الفلاسفة: هو الوسيلة السحريّة التي يعتقد رجالُ الكيمياء أنّهم بها يحوّلون المعادن إلى فضّة وذهب. وهو مرادف لحجر الفلاسفة. وكثيراً ما ورد ذكره في مصنّفات جابر بن حيّان. ويُقال عنه: بأنّه «مشهور الإسم معدوم الجسم». وورد في مصنّفات ابن سينا، واعتبر أنّه يطيل العمر.

الأكْل : إنّ معرفة ما يحلّ ويحرّم من الأطعمة من مهمّات الدين. وقد حرّم اللّه في القرآن أشياء، كما في قوله: «حُرِّمَتْ عليكمُ الميتةُ والدَّمُ ولحمُ الخنزير وما أُهِلَّ لغيرِ اللّهِ به، والمنخَنِقَة (الميتة خنقاً)، والموقوذة (المقتولة ضرباً)، والمتَرَدِّية (الساقطة من علو إلى أسفل فماتت)، والنَّطيحة (المقتولة بنطْح أخرى لها)، وما أكَلَ السَّبُعُ إلاّ ما ذَكَّيتم (أي أدركتم فيه الروح فذبحتموه)، وما ذُبحَ على (اسم) النُّصُبِ، وأن تستَقْسِموا بالأزْلام» (٥/٣)، ونحوها من الآيات. وحرّمت أشياء بالسنّة النبويّة، كما في قول النبي: «كلّ ذي ناب من السباع فأكله حرام»[1]. وقد توعّد النبيّ مَن يأكل الحرام، لقوله: «كلّ لحم نَبَتَ من حرام فالنار أولى به»[2].

آلآر (ميشال) (ت ١٩٧٦) : مستشرق فرنسي. راهب يسوعيّ. مدير معهد الآداب الشرقيّة في بيروت ١٩٦٢ حتّى وفاته. من ضحايا الحرب في لبنان. من مؤلّفاته: «الصفات الإلهيّة في مفهوم الأشعريّ ومذهبه».

الألْبِسَة : وهي ما يستر البدن، ويواري العورة، ويدفع الحرَّ والبرد. قال: «يا بني آدمَ! قد أنْزَلنا عليكم لباساً يوارِي سَوْآتِكم وريشاً» (٧/٢٦). من المستحبّ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ٣/١٥٣٤، ط. عيسى الحلبي.

(٢) أخرجه الترمذي بلفظ: «إنّه لا يربو لحم نبت من سحت إلاّ كانت النار أولى به»، سنن الترمذي ٢/٥١٢-٥١٣، ط. إستنبول.

أن يتزيّن الإنسـان بلباسه ويُظهر نعـمة ربّه: عن ابن عمـرو أنّ النبيّ قال: «إنّ اللّهَ يُحبّ أن يَرى أثرَ نعمته على عبدِه». أمّا أهل الذمّة فـعليهم أن يلبسوا ما يتميّزون به عن المسلمين، فلا يتشبّهون بهم، لأنّـهم، لمّا كانوا مخالِطين لأهل الإسلام، كان لا بدّ من تمييـزهم عنهم، كي تكون معـاملتهم مخـتلفة عن معـاملة المسلمين. وإذا وجب التمييز وجب أن يكون بما فيه صغارهم لا إعزازهم (أطلب مادّة: **أهل الذمّة**).

الإلْـحَـاد : من لحَد، أي: مال عن الشيء، ومنه لحَد القبرَ أي جعلَ الشقَّ في جانبه لا في وسطه. والإلحاد في الدِّين، هو الميل عن الشـرع القويم إلى جهة الكفر. والملحد لا يشترط فيه الاعتراف بنبوّة مـحمّد، ولا بوجود الصانع؛ وبهذا يتميّز عن الدهريّ. ولا يعتبر فيه إضمار الكفر؛ وبه يتمـيّز عن المنافق. كما لا يعتبر فيه سبق الإسلام. وبه يتمـيّز عن المرتدّ. فالملحد أوسع فِرَق الكفـر حدًا، وأعمّ في الجملة من الكلّ. أي هو بمعنى الكافر مطلقاً، تقدّمه إسلامُه أم لا. أظهر كفرَه أم أبطنه.

أ ل ر (أطلب مادّة : **فواتح السور**).

ألف ليلة وَلَيلة : مجـموعة حـكايات خياليّـة مأخوذة عن الـفرس والهنود. تقوم على قصّة الملك «شهريار» الذي خانتْه زوجـتُه، فانتقم من النساء جميعاً بأن تزوّج فتـاةً كلَّ يوم. ثمّ بعد البناء بهـا يقتلهـا، حتّى عَرَضتْ ابنـةُ وزيره، وتُسمّى «شـهرزاد»، نفـسَها عليه، وحكتْ له هذه الحكايات، فأجّل قـتْلَها إلى أن مضت ألف ليلة وليلة، فأحبَّها، وتحوّل عن شرِّه إلى شخصيّةٍ خيِّرة. أشهر هذه القصص قصّة السندباد وقـمـر الـزمـان وعلي بابا. لم يبـدأ البـحـث الجـدّي في أصلهـا إلاّ مع المستـشرق سِلفستـر دي ساسي Silvestre de Sacy، واضـع فقه اللّغـة العربيّة الحديث؛ وذلك في أوائل القرن التاسع عشر.

إلْكِيَا الـهَرَّاسِي (عـماد الدين أبو الحـسن) (ت ٥٠٤هـ/ ١١١٠م) : شيخ الشـافعيّـة ببغداد، تفقّه على إمام الحرمَين. وكان ثاني الغـزالي. كان محدِّثاً . تولّى التـدريس في المدرسة النظامـيّة ببـغداد. ويعـتبـر كتـابه «*أحكام القرآن*» من أهمّ المؤلّفات في التفسير الفقهي عند الشافعيّة. متمسّك بمذهبه إلى حدّ التعصّب.

الله : ١ . لم يدْعُ محمّد إلى إلهٍ لا يعـرفه أهلُ مكّة. وأهل مكّة لم يَضطهدوا محـمّداً بسـبب دعوته إلى إلهٍ لم يعـرفوه، ولا إلى دينٍ جـديد عليهم. إنّـما، والحقّ يُقال، اضطهدوه بسببِ ثورةٍ إجتماعيّة قام بها على أغنياء مكّـــة ومترفيها الّذين كانوا يأكلون أمـوالَ اليتامى، ويقهـرون الأرامل والمساكين، ولا يهتمّـون بحاجات الفقراء والمعوزين. فالّذين عاندوا مـحمّداً من أهل مكّة ليسوا ملحدين؛ بل هم الّذين لم يُحسنوا إلى المساكين، ولم يرحـموا اليتامى، ولم يُطعموا الجـائعين، ولم يهتمّوا بشؤون الآخرة، ولم يمارسوا العبادة والصلاة، ولم يؤتوا الزّكاة...

٢ . ولم يكنْ على محمّد أن يبرهن لأهل مكّة عن وجود اللّه. فهم يعرفونه؛ ويعرفون اسـمَه؛ ويعترفـون به خالقَ السموات والأرض؛ ويعبـدونه بأنواعٍ شتّى من العـبادات؛ ويجأرون إليـه عند كلّ صـعوبة[1]؛ ويُقسـمون به[2]؛ ويجعلون له نصيباً من الحرث والأنعام (٦/١٣٧)، ويقدّمون إليه القرابين والصلوات والذبائح.

٣ . جـاء في القـرآن عن إيمان أهل مكّة باللّه : «وَلئنْ سـألتَـهُم: مَن خَلَقَ السّموات والأرضَ، وسَخَّرَ الشمس والقمر؟ لَيَقُولُنَّ: اللّه... ولئنْ سألتَهم : مَن نَزَّلَ من السّماء ماءً، فأحيا به الأرضَ من بعدِ موتِها؟ لَيَقُولُنَّ: اللّه» (٢٩/٦١-٦٢)[3].

فوجودُ اللّه إذاً، بالنسبة إلى أهل مكّة وإلى القرآن، ليس موضوعَ بحثٍ.

٤ . يرد لفظ «اللّـه» في القـرآن: ٩٨٠ مـرّة، و«أللّـهمّ»: ٥ مـرّات. و«الإله» ومشتـقاته: ١٥٧ مرّة. والمجمـوع: ١١٤٢ مرّة. لهذا، فكلّ ما في الـقرآن والإسلام يدور حول اللّه، وحول اللّه وحدَه.

٥ . اللّه في القرآن هو نفسه في البيبليا، في اسمه، وطـبيعته، وشخصيّته، وصفـاته، ودوره.. هو، في البيبليـا، "الأوّل والآخِر"[4]، وفي القرآن أيضاً، "هو

(١) رَ: يونس ١٠/٢٢؛ النحل ١٦/٥٣؛ العنكبوت٢٩/٦٥؛ لقمان٣١/٣٢.

(٢) رَ: سورة الأنعام ٦/١٠٩؛ سورة النحل ١٦/٣٨؛ سورة فاطر ٣٥/٤٢.

(٣) رَ: سورة لقمان٣١/٢٥؛ سورة الزمر ٣٩/٣٨؛ سورة الزخرف ٤٣/٨٧.

(٤) أنظر أشعيا ٤١/٤؛ ٤٤/٦؛ ٤٨/١٢.

الأوّل والآخِر، والظاهر والباطن" (٥٧/٣). إله الإسلام هو نفسه إله بني إسرائيل. وقد توجّه القرآن إلى المسلمين قائلاً: "ولا تجادلوا أهلَ الكتاب... وقولوا: ... إلهنا وإلهكم واحد. ونحن له مسلمون" (٢٩/٤٦). ويتردّد هذا القول مراراً وتكراراً[٥]. كما يتردّد قوله بأنّ اللّه هو ربّ المسلمين وربّ آبائهم الأوّلين[٦].

٦. إله القرآن إلهٌ واحدٌ، أحدٌ، فردٌ، صمَدٌ؛ لا يشاركه أحدٌ في وَحدانيّته، ولا في ماهيّته وطبيعته، ولا في عبادته. وقد عبّر عن ذلك في تكرارٍ كبير في مثل قوله: "لا إله إلاّ اللّه"؛ "أللّه إله واحد"؛ "وما من إله إلاّ إله واحد"؛ "وإلهكم إله واحد"؛ "إنّما إلهكم اللّه الذي لا إله إلاّ هو"؛ "أللّه. ما لكم من إله غيرُه؛ "مَن إلهٌ غيرُ اللّه!"؛ "لا إله إلاّ أنا"؛ "أإلهٌ مع اللّه! تعالى اللّه عمّا يُشرِكون"... إلخ.

٧. ودعماً لهذه الوحدانيّة، شدّد محمّد على تنزيه اللّه عن الشريك والصاحبة والولد: فلا المسيح ابنه، ولا الملائكة بناته، ولا مريم صاحبته، ولا روح القدس أمّه، ولا هو شريكٌ لثلاثة آلهة: «قالوا: اتّخذَ الرّحمَنُ ولداً. ودعوا للرّحمن ولداً. وما ينبغي للرّحمن أن يتّخذَ ولداً»[٧]؛ وقال: «أنّى يكون له ولدٌ. ولم تكن له صاحبة»[٨]؛ وقال أيضاً: اللّه "لم يلد ولم يولد» (١١٢/٤). ولم يكن له بنات ولا بنين[٩]. وكذلك قال: «كفر الّذينَ قالوا: إنّ اللّهَ هو المسيح ابنُ مريم» (٥/١٧ و٧٢)؛ و«كفر الّذين قالوا: إنّ اللّهَ ثالثَ ثلاثة»[١٠].

---

(٥) أنظر أيضاً: ٢/١٣٦؛ ٣/٥١؛ ١٩/٣٦؛ ٤٣/٦٤...

(٦) أنظر: ٢٦/٢٦؛ ٣٧/١٢٦؛ ٤٤/٨.

(٧) رَ: ١٩/٨٨ و٩٢ و٩٣؛ ٢/١١٦؛ ١٠/٦٨؛ ١٨/٤؛ ٢١/٢٦.

(٨) الأنعام ٦/١٠١؛ ألجنّ ٧٢/٣. "لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك" (١٧/١١١؛ ٢٥/٢)؛ "ما اتّخذ اللّهُ من ولد. وما كان معه من إله" (٢٣/٩١)؛ "ليقولون: وَلَدَ اللّهُ. وإنّهم لَكاذبون" (٣٧/١٥١)؛ "لو أراد اللّهُ أن يتّخذَ ولداً لاصطفى ممّا يَخلُقُ ما يشاء" (٣٩/٤)؛ "قلْ: إنْ كان للرّحمن ولدٌ. فأنا أوّل العابدين" (٤٣/٨١).

(٩) "واتّخذَ من الملائكة إناثاً" (١٧/٤٠)؛ "ويجعلون للّه البنات" (١٦/٥٧)؛ "وجعلوا له من عباده جُزْءاً" (٤٣/١٥).

(١٠) المائدة ٥/٧٣. "أأنتَ قلتَ للناس: اتّخذوني وأمّي إلهَين من دون اللّه" (٥/١١٥).

٨ . ثمّ تكلّم على أنّ اللّه هو الّذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام[١١]؛ وهو الذي زيّنَ السموات بالكواكب؛ وجعل الليلَ لِباساً والنّومَ سُباتاً والنّهارَ نُشُوراً (٢٥/٤٧)؛ وهو الذي أرسل الرّياحَ وصرّفها ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها (٣٥/٩)، وأخرجَ به من الثمَرَاتِ رزقاً[١٢]؛ وهو الّذي سخّر الرّياحَ لتسيير السفن في البحار (١٤/٣٢؛ ٤٥/١٢)؛ وتلقيح الأشجار (١٥/٢٢)؛ وهو الذي خلق جنّاتٍ وأشجار مختلفة الأنواع. وخلق الطيرَ أسراباً في السموات لتسبّحه، والأنعامَ فيها منافع. وأخيراً خلق الإنسانَ من طينٍ[١٣].

ثمّ تكلّم على صفات اللّه الرّحيمة المحبّة. فقال بأنّه الرحمن الرحيم، وهما أكثر الصفات شيوعاً وتردداً. وتردان في بداية كلّ السّور إلاّ سورة التوبة.

٩ . ثمّ تكلّم على مشيئة اللّه التي تتحكّم بكلِّ شيء. فهي علّة كلّ ما في الوجود: «إنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يشاء ويَهدي مَن يشاء» (٢/٢٤٧). و«يختصُّ برحمته مَن يشاء» (٢/١٠٥؛ ٣/٧٣)؛ و«يُؤتي ملكَه مَن يشاء» (٢/٢٤٧)؛ و«يبسط الرّزق لمن يشاء»[١٤]؛ و«يمنّ على مَن يشاء» (١٤/١١)؛ و«يؤتي الحكمةَ من يشاء» (٢/٢٦٩)؛ و«يغفرُ لمن يشاء ويعذّبُ مَن يشاء»[١٥]؛ و«يزكّي مَن يشاء»(٤/٤٩؛ ٢٤/٢١)؛ «ويتوب على مَن يشاء» (٩/١٥ و٢٧)؛ و«يؤيّدُ بنصره من يشاء» (٣/ ١٣)؛ و«يفعلُ ما يشاء»[١٦]؛ «ويخلق ما يشاء» (٣/٤٧)[١٧]؛ و«يزيد في الخلق ما يشاء» (٣٥/١).

---

(١١) ٧/٥٤؛ ١٠/٣؛ ١١/٧؛ ٢٥/٥٩؛ ٣٢/٥؛ ٥٠/٣٨؛ ٥٧/٤؛ ٦٥/١٢.

(١٢) سورة البقرة ٢/٢٢؛ ٧/٥٧؛ ١٤/٣٢؛ ٣٥/٢٧.

(١٣) «جعلناه نطفة في قرار مكين. ثمّ خلقنا النطفة علقةً. فخلقنا العلقة مُضغةً. فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً. ثمّ أنشأناه خلقاً آخرَ فتبارك اللّهُ أحسنُ الخالقين» (سورة ٢٣/ ١٢-١٤؛ ٨٦/٥-٧؛٣٢/٧-٩؛ ٥٣/٤٥؛ ٧٥/٣٦-٣٩).

(١٤) ١٧/٣٠؛ ٢٤/٣٨؛ ٢٨/٨٢؛ ٣٠/٣٧؛ ٣٤/٣٦ و٣٩؛ ٣٩/٥٢؛ ٤٢/١٢؛ ٤٢/١٩

(١٥) رَ: ٢٩/٢١؛٢/٢٨٤؛ ٣/١٢٩؛ ٥/١٨ و٤٠؛ ٤٨/١٤.

(١٦) س.البقرة ٢/٢٥٣؛ س. آل عمران ٣/٤٠؛ إبراهيم١٤/٢٧؛ الحج٢٢/١٨.

(١٧) رَ: سورة المائدة ٥/١٧؛ سورة النور ٢٤/٤٥...

أ ل م (أطلب مادّة : **فواتح السور**).

ألَـمُوت : معنـى ألَـمُوت: عشّ النسـر، أو مَرْبَى النسـر. قلعة شُـيِّدت في الجبـال شمـالي شرقي قزوين. اشـتهـرت بكونها مقـرّ زعيم الحـشّاشين **حسن الصبّاح** وقاعـدة الإسمـاعيليّين، من عام ٤٨٣-٦٥٤هـ/ ١٠٩٠-١٢٥٦م. عندما أخضعها هولاكو.

الإلْهَام : لغةً: من ألهَمَ، أي: ألقى في الرَّوع بطريق خـفيّ لم ترد في القرآن إلاّ مرّة واحدة، في قوله: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا» (٨/٨١). وتعني أنّ اللّه جعل في النفس فجورَها وتقواها، أي الشرّ والخير.

واصطلاحـاً: إنّ الإلهـام هو مـا يقع في القلب من علومٍ بـطريقِ الفـيض الإلهيّ. وهو أصل يُعتـمد عليه في معرفـة الحقائق من غير دلـيلٍ شرعيّ أو عقليّ. وهكذا يخـتلف الإلهام عن العلم العـقلي؛ كـما يخـتلف عن الوحـي في أنّ المَلَك الذي يأتي بالوحي قـد يراه النّبيّ؛ وأنّ الوحي يأتي برسـالة يجب أن تُبلّغ للناس كـافّة، في حين أنّ الإلهام يكون لإرشاد الملهم فقط.

إلْيَاس : ١ . هو النّبي إيليّا المذكور في التوراة، في سفر الملوك الأوّل (١٧/ ١-١٩و٢١). ورد اسمُـه في القرآن مرّتَين: في سـورة الأنعام: «وَزَكَـرِيَّا ويَحْيَى وَعِيسَى والْيَاس. كلٌّ مِنَ الصَّـالحِين» (٦/ ٨٥)، وسورة الصّافّات: «وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرسَلِين* إذ قالَ لقـومِه: أَلاَ تَتَّقـون!* أَتدعُونَ بَعْلاً! وَتَذَرُونَ أَحْـسَنَ الخَـالقين!* اَللَّهَ ربَّكُم وربَّ آبـائِكُمُ الأوَّلين!* فَكَذَّبُوهُ. فَـإِنَّهم لَـمُـحْـضَـرُونَ* إلاَّ عِـبـادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ* وَتَرَكْنـا عَلَيه فِي الآخِـرِين* سَـلاَمٌ على إلْ يَاسِينَ* إِنَّا كَـذلكَ نَجـزِي الْمُحْسنِينَ* إنَّه من عِبادِنا المؤمنِينَ»(٣٧/ ١٢٣-١٣٢).

٢ . وورد ذكـر الخضـر مرّةً واحـدة في سـورة الكهف (١٨/ ٦٠-٨٢)، ولكن دون تسميّته، إنّما عرفتِ السنّةُ النبويّة والتفاسير القرآنيّة فيه إلياس. غير أنّ هذه التفاسير لم تر في الخضر شخـصيّةَ الياس وحدَه، بل رأت فيه، تارة القديسَ جرجس، وطورا نبياً من أنبياء العهد القديم.

٣. تقول التفاسير: إنّ «الياس»، الوارد اسمه في آية الأنعام، هو إبن هارون أخي موسى. وتشير أيضاً إلى أنّ الياس يأتي في درجة عيسى وزكرّيا وابنه يحيى. وهو ما يظهر في هذه الآية، حيث يُذكَر مع زكريّا ويحيَى وعيسى.

٤. وتختصرُ سورةُ الصافّات قصّةَ النبيّ إيليا الواردة في سفر الملوك الأوّل (١٧/١-١٩/٢١).

٥. وجاء في سورة الكهف (١٨/٦٠-٨٢) ما معناه: لمّا بلغ موسى وخادمُه يشوعُ بن نون ملتقَى بَحرَي الروم والفرس، وكانا على ظَهرِ حوتٍ، جَلسا إلى صخرةٍ يأكلان، فنسيا الحوتَ الذي تركهما وغاصَ في البحر. وفيما هما يهمّانِ في طلبِه، وَجَدَا عبدًا من عباد الله (هو الخضر)، آتاه اللّه رحمةً وعِلمًا.

٦. هذه هي سيرة الخضر في سورة الكهف القرآنيّة. في بعض ألفاظها تَقاربٌ بينها وبين ما جاء في سورة الصّافّات عن الياس. فلهذا اعتبرتِ السنّةُ وكتبُ التفاسير أنَّ ما جاء عن الخضر ينطبق على ما جاء عن الياس. فجرت المقاربة بينهما. وسيتّضح لنا ذلك أيضاً في ما يأتي:

٧. في كتب التفاسير: «الخضر» في الأصل لقب، معناه: الرجل الأخضر. ثم نُسي هذا اللقب مع الأيام وبقيت الصفة. والخضر، على ما يقال، هو كائن نباتيّ، يجلس عادة على أرض يابسة فيجعلها تحته خضراء. وفي السنّة أيضًا أنّ الياس والخضر توأمان، لا من حيث النَسبَ، ولكن من حيث جهودهما ورسالتهما بين الناس، فقد ذهبَا معًا إلى عينِ الحياةِ وشرِبا. وهذا ما يؤكّد خلود الياس. وقد فُسِّرَ اسمُه بأنّه «الآس» وهو رمز الخلود.

٨. وعاش الياس والخضر، في رأي المفسّرين المسلمين، حتى شهدَا أوّلَ ما نزل من الوحي على محمّد. وعند ذلك سألا اللّه أن يقبضَهما إليه، لأن أحدًا، كما جاء في القرآن، لا يستطيع أن يعصَى على الموت. وقبل موتِهما قال لهما محمّد: «يا خضر! عليك أن تُعين أمّتي في البرّ، وأنتَ يا الياس! عليك أن تُعين أمّتي في البحر».

٩. ورغم موتهما، يعودان إلى الأرض ليتولّى كلّ منهما بما كُلِّف به. وهما

لا يزالان، في عودتِهما، يصومان رمضان من كلّ سنة في بيت المقدس، ثم يحجّان إلى مكّة، ويشربان كل يوم جمعة من زمزم، ويغتسلان في عين سلوان، ويستطيعان أن يجدا الماء تحت الأرض، وأن يتكلّما لغاتِ الناس قاطبة، وأن يُقرّا عبادةَ اللّه على الأرض، ويحافظا عليها. ويعيشا عادةً في بيتِ المقدس، ويصلّيا الجمعة في مساجد مكة والمدينة والقدس وقباء وجبل الزيتون.

١٠ . ويقال إنّ الخضر هو الياس نفسه. والياس هو إدريس أي أخنوخ. وهو أيضا القديس جرجس. ويختلف الناس اليوم في الخضر عمّا اذا كان الياس أم جرجس، وذلك بسبب ما نجد من تشابه بين الياس والقديس جرجس من جهة البطولات والمعجزات وخدمة الملوك.

أَلِيْسَع : هو أليشع التوراة. ذكره القرآن مرّتَين: (٦/ ٨٦؛ ٣٨/ ٤٨)، بعد ذكر إسماعيل. وتروى مقابلته الأولى لإلياس على الوجه التالي: إنّ إلياس ذهب إلى بيت امرأة فقيرة من بني إسرائيل توفّي عنها زوجُها أخطوب. وكان لها ابنٌ صغير به ضرّ، إسمه أليسع. فدعا له إلياس فعُوفي. ولزمه أليسع في أسفاره منذ ذلك الحين. وكان أليسع وصيَّ إلياس في نبوءته. وكان في حوزته تابوت العهد الذي كان ينتقل من واحد إلى آخر. وبعد أن دعا أليسع بني إسرائيل إلى الإيمان باللّه سأل اللّه أن يقبضه إليه ليكون في جوار إلياس. واستجاب اللّه له. فتوفّاه إليه وخلفه ذو الكِفل. ومنهم من يقول إنّه هو نفسه ذو الكفل.

أَمَارِي (ميخائيل) Amari (ت ١٨٩٩) : مستشرق إيطالي. له «تاريخ المسلمين في صقلّية».

الإمَام : ١ . مِن أَمَّ. ومعناه: الرئيس والدليل الذي يتقدّم الناس ويقودهم. وترد في القرآن بمعنى المثل والدليل والقدوة والمشابه، في مثل قوله: «.. واجْعَلْنا للمُتَّقين إماماً» (٢٥/ ٧٤)؛ وقوله: «إنِّي جاعلك للناسِ إماماً» (٢/ ١٢٤)[1]. ويُطلق

---

(١) ترد لفظ «إمام» ومشتقاتها ١٢ مرّة: ١٥/ ٧٩؛ ٣٦/ ١٢؛ ٢/ ١٢٤؛ ١١/ ١٧؛ ٢٥/ ٧٤؛ ٤٦/ ١٢؛ ١٧/ ٧١؛ ٩/ ١٢؛ ٢١/ ٧٣؛ ٢٨/ ٥ و ٤١؛ ٣٢/ ٢٤.

على الأنبياء أنّهم «أئمّة» يجب على الخلق اتّباعهم: «وجَعَلْناهم أئمَّةً يَهدونَ بأمرنا » (٢١/٧٣)؛ كما يُطلق على الخلفاء لأنّهم يجب على الناس اتّباعهم وقبول أقوالهم وأحكامهم. قال: «إنّما جُعل الإمام ليؤتمَّ به. فإذا ركع فاركعوا. وإذا سجد فاسجدوا. ولا تختلفوا على إمامكم».

٢ . ومنذ ظهور الإسلام تُطلق هذه الكلمة على الرجل الذي يصلّي بالنّاس. وكان الإمام أوّل الأمر هو النّبيُّ نفسه، أو مَن يُنيبه عنه في غيبته. وبعد وفاته حلّ محلّه في الإمامة الخلفاء أو عمّالهم. وأصبحتِ الإمامة في الصلاة إحدى المهام الأساسيّة للحاكم...

٣ . والإمام هو رأس الأمّة الإسلاميّة، وزعيمها في الدين والدنيا؛ ويسمّى عادة «خليفة» لأنّه يخلف النّبيّ. والإمام تختاره الأمّة، عند أهل السنّة والخوارج. ويُطلَق لفظ إمام على كلّ واحد من واضعي المذاهب الأربعة في الإسلام.. ثمّ أصبح يُخلع على كلّ العلماء الذين وضعوا المذاهب المختلفة.

٤ . أمّا عند الشيعة فالإمام يجب أن يكون من بيت النّبي. وعلى هذا فهو من ذرّيّة عليّ وفاطمة. وهو يعني صاحب الحقّ الشرعي المنصوص على إمامته. ويذهب الشيعة إلى أنّ عليّاً قد نُصِّب إماماً بنصٍّ أُعلن عند غدير خمّ. والإمامة وراثيّة في ذرّيته... أمّا الغلاة من الشيعة فيذهبون إلى تأليه الإمام، كما هو الحال عند العلويّين النصيريّين والموحّدين الدروز وغيرهم.

٥ . من واجبات الإمام: ١- حفظ الدين على أصوله الثابتة؛ ٢- رعاية مصالح المسلمين بأنواعها.. ويذكرون أموراً لا بدّ للأمّة ممّن يقوم بها، وهي: ٣- تنفيذ الأحكام؛ ٤- إقامة الحدود؛ ٥- سد الثغور؛ ٦- تجهيز الجيوش؛ ٧- أخذ الصدقات؛ ٨- قبول الشهادات؛ ٩- تزويج الصغار الذين لا أولياء لهم؛ ١٠- قسمة الغنائم.. على أنّ ذلك يزيد وينقص بحسب تجدّد الحاجات الزمنيّة، وما تقضي المصالح.

إمَامُ الحَرَمَين : (أطلب مادّة : **الجُوَينِيّ**).

الإمَامَة : ١ . لغةً: مصدر أمّ يؤمّ، ومعناها: القصد، وتأتي بمعنى: التقدّم. يقال: أمّهم وأمّ بهم: إذا تقدّمهم. وفي اصطلاح الفقهاء، تطلق الإمامة على معنيّين: الإمامة الصغرى والإمامة الكبرى:

٢ . أمّا الإمامة الصغرى، أي إمامة الصلاة، فهي ارتباط صلاة المصلّي بمصلٍّ آخر. وإمامة الصلاة تعتبر من خير الأعمال التي يتولاّها خير الناس ذوو الصفات الفاضلة من العلم والقراءة والعدالة وغيرها. ولا تتصوّر صلاة الجماعة إلاّ بها. وصلاة الجماعة من شعائر الإسلام، ومن السنن المؤكّدة، لقول النبيّ: «إذا كانوا ثلاثةً فليؤمّهم أحدُهم، وأحقُّهم بالإمامة أقرؤهم»[1].

٣ . أمّا الإمامة الكبرى فهي رئاسة عامّة في الدِّين والدنيا خلافةً عن النبيّ.. وأجمعت الأمّة على وجوب الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام اللّه، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول اللّه. واستدلّوا لذلك بإجماع الصحابة والتابعين. وقد ثبت أنّ الصحابة، بمجرّد أن بلغهم نبأ وفاة رسول اللّه، بادروا إلى عقد اجتماعٍ في سقيفة بني ساعدة، واشترك في الاجتماع كبارُ الصحابة، وتركوا أهمَّ الأمور لديهم في تجهيز رسول اللّه وتشييع جثمانه، وتداولوا في أمر خلافته، إلى أن بايعوا أبا بكر. وبقيت هذه السنّة في كلّ العصور.

الأمَان : إذا عاش غير المسلم في أرض إسلاميّة فعلى أُولي الأمر من المسلمين حمايتَه. والشريعة الإسلاميّة تفرض على كلّ مسلم أنْ يؤمّن غير المسلم. وقد جاء في الحديث: «ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم». هذا إذا كان المؤمَّن مسالماً خاضعاً للشريعة التي ترعى غير المسلمين في دار الإسلام. وبالأمان يثبت للكفّار الأمن من القتل والسبي واغتنام أموالهم؛ فيحرّم على المسلم قتْل رجالهم، وسبي نسائهم وذراريهم واغتنام أموالهم..

الأمَانَة : لغةً: ضد الخيانة. تطلق على كلّ ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعيّة وغيرها، كالعبادة والوديعة. ومن الأمانة: الأهل والمال.. ويأتي

---

(١) حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً. أخرجه مسلم ١/ ٤٦٤؛ ورواه أيضاً أحمد والنسائي.

ذكر الأمانة في باب الحضانة باعتبارها شرطاً من شروط الحاضن والحاضنة، وفي باب الحجّ في الرفقة المأمونة بالنسبة لسفر المرأة، وفي باب الصيام بالنسبة لمن يُخبر برؤية الهلال.

الامْتِشَاط : هو ترجيل الشعر. و**الترجيل** هو تسريح الشعر، وتنظيفه، وتحسينه. يُستحبّ ترجيل شعر الرأس واللحية من الرجل، وكذا الرأس من المرأة، لما ورد: «أنّ رسول اللّه كان جالساً في المسجد فدخل رجلٌ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول اللّه بيده أن اخرج. كأنّه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته. ففعل الرجل. ثمّ رجع. فقال رسول اللّه: أليسَ هذا خيراً من أن يأتي أحدُكم ثائرَ الرأسِ، كأنّه شيطان»[1].

أمْرُؤُ القَيْس (حندج بن حجر الكندي) (ت ٥٤٥) : ملك بني أسد. وُلد في نجد. قُتل أبوه فطلب الثأر له. هرب من المنذر ملك العراق، ولجأ إلى السموأل، واستنجد بقيصر الروم. لكنّه أصيب وهو في أنقره، وتوفّي فيها. شاعر جاهلي عاشق يميل إلى العبث.. له معلّقة شهيرة هي الأولى بين المعلّقات، ومطلعها : «قِفَا نَبكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومنزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فَحَومَلِ».

الأمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَر : ١ . الأمر بالمعروف أي بالخير والإحسان. والمعروف إسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة اللّه والتقرّب إليه، والإحسان إلى الناس. وهو أيضاً: الأمر باتّباع محمّد ودينه، والكفّ عن فعل ما ليس فيه رضا اللّه من قول أو فعل. وأصل المعروف: كلّ ما كان معروفاً فعله جميلاً غير مستقبح عند أهل الإيمان، ولا يستنكرون فعله. أمّا المنكر فهو الأمر القبيح. والنهي عن المنكر هو طلب الكفّ عن فعلِ ما ليس فيه رضا اللّه.

٢ . وقد ورد صيغة ذلك في القرآن: «وَلْتَكُن منكمْ أمَّةٌ يَدعونَ إلى الخَيرِ، ويأمرونَ بالمعروفِ، ويَنهَونَ عن المُنكَر» (٣/ ١٠٤). قال الغزالي: الأمر بالمعروف

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار، وعن جابر وغيره، الموطأ ٢/ ٩٤٩، ط. عيسى الحلبي؛ وجامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٧٥١.

والنهي عن المنكر أصل الدين، وأساس رسالة المرسلين. ولو طُوي بساطُه، وأُهمل علمه وعمله، لتعطّلتِ النبوّةُ، واضمحلّتِ الديانةُ، وعمّتِ الفوضى، وهلكَ العباد[1].

٣ . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر له درجات وآداب هي: التعريف، ثمّ النهي، ثمّ الوعظ والنصح، ثمّ التعنيف، ثمّ التغيير باليد، ثمّ التهديد بالضرب، ثمّ إيقاع الضرب بالأعوان والجنود المحتسبين. قال أبو سعيد: سمعتُ رسولَ اللّه يقول: «مَن رأى منكم منكراً فليغيّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان»[2] .

الإمْسَاك : لغةً: القبض، والكفّ. وعند الفقهاء: ١- هناك إمساك الصيد على الاصطياد. وقد اتّفقوا على أنّ إمساكَ صيدِ البَرِّ حرام إذا كان في حالة الإحرام، أو كان في داخل حدود الحرم. ٢- والإمساك في الصيام، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع. ٣- والإمساك في الطلاق، لقوله: «فأمسكوهنّ بمعروف» (٢/ ٢٣١)، يعني الرجعة. وإذا راجع الرجل مطلَّقَتَه وجب إمساكها، إذا كانت في حال الحيض، حتّى تطهر من الحيض.

الأمْشَاج : من المشيج، وهو «النُّطفَة»، أي ماء الرجل يختلط بماء المرأة، من قوله: «إنَّا خَلَقْنا الإنسانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ» (٧٦/٢).

الأمّ : من الواجب على المسلم برّ الوالدين وإن كانا فاسقَين أو كافرَين. وتجب طاعتهما في غير معصية اللّه. فإن كانا كافرَين فليصاحبهما في الدنيا معروفاً، ولا يُطعهما في كفر ولا في معصية اللّه. قال: «وقضى ربُّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدَين إحساناً» (١٧/ ٢٣)؛ وقال: «وإنْ جاهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تُطعهما. وصاحبهما في الدنيا معروفاً» (٣١/ ١٥).

وهي أولى من الأب بالبرِّ لقوله: «ووصّينا الإنسانَ بوالدَيه إحساناً. حملتْه أمُّه وَهْناً على وهْنٍ وفِصَالُه في عامَين» (٣١/ ١٤)؛ ولأنّ النبيّ جاءَه رجل فقال:

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٩١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان.

«يا رسول اللّه! مَن أحقّ بحسن صحابتي؟ قال: أمّك. قال: ثمّ مَن؟ قال: أمّك. قال: ثمّ مَن؟ قال: أمّك. قال: ثمّ مَن؟ قال: أبوك»(١). وعن ابن مسعود قال: «سألتُ رسولَ اللّه: أيّ العمل أفضل؟ قال: الصلاة لأوّل وقتها، وبِرّ الوالدَين»(٢).

لا ولاية للأمّ في النكاح، لأنّ المرأة لا تملك تزويجَ نفسها ولا غيرها، لقول النبيّ: «لا تزوِّجُ المرأةُ المرأةَ، ولا تزوِّجُ المرأةُ نفسَها»(٣).

أمُّ جَميل : هي أروى بنت حرب، أخت أبي سفيان بن حرب. زوجها أبو لهب عمّ النبيّ. كانا عدوَّي رسول اللّه. وكانت تَطرح الشوكَ ليلاً في طريقه حتّى تؤذيَه.. نزلت فيها وفي زوجها «سورة المَسَد» تبشّرهما بالنار، وقد خصّت أمّ جميل بحبلٍ من ليفٍ يلتفّ على رقبتها في جهنّم مكان قلادة فاخرة كانت تتقلّدها. وكان لها ابنان: عتبة وعتيبة اللذان تزوّجا ابنتَي محمّد رُقَيَّة وأمّ كلثوم، وقد طلّقهما الرسول منهما قبل الدخول بهما، فتزوّجهما عثمان بن عفّان على التوالي.

أمُّ حَبيبَة : ١ . إسمُها رَمْلَة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة. أخوها معاوية. خالُها عثمان بن عفّان. وُلدت قبل البعثة بـ ١٧ سنة. تزوّجها عُبيد اللّه بن جحش، إبنُ أُميمة عمّة الرسول، وشقيقُ زَينب أمّ المؤمنين. ولدتْ له حَبِيْبَة. فكُنِّيَتْ بها. هاجر عُبيد اللّه بن جحش بأمّ حبيبة إلى الحبشة الهجرة الثانية. فتنصّر هناك. وارتدّ عن الإسلام. وتوفّي بأرض الحبشة.

٢ . وثبتتْ أمُّ حبيبة على الإسلام. ورأتْ أنّ رسولَ اللّه يتزوّجُها. قالت: "فما هو إلاّ أنِ انقضتْ عدّتي. فما شعرتُ إلاّ برسول النجاشي على بابي يستأذن. فإذا هي جاريةٌ لهُ، يقال لها أبْرَهَة. فدخلتْ عليَّ. فقالت: إنّ المِلكَ يقولُ لك: إنّ رسولَ اللّه كتبَ إليّ أنْ أُزوِّجَكِه. فقالت: بشَّرَكِ اللّهُ بخير. قالت: يقول لكِ الملك: وَكِّلي مَن يزوِّجُكِ" . فأرسلتْ إلى سعيد بن العاص فوكّلَتْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هُريرة، فتح الباري ١٠/٤٠١، ط. السلفيّة.

(٢) أخرجه البخاري عن ابن مسعود، فتح الباري ٢/٩، ط. السلفيّة.

(٣) أخرجه ابن ماجة، السنن ١/٦٠٦، ط. عيسى الحلبي؛ والدارقطني، السنن ٣/١٢٧.

٣ . فلمّـا كان العشيُّ، أمـر النجاشي جـعفـر بنَ أبي طالب ومَن هناك من المسلمين، فحضروا. وخطب النجاشي. فقال: "أمّا بعد. فإنّ رسولَ اللّه كتبَ إليّ أن أزوِّجَه أمَّ حـبيبة. فـأجبتُ إلى ما دعـا إليه". وأولمَ لهم النجاشي وليـمةَ الزواج، قائلا: "إجلسوا. فـإنّ سُنَّةَ الأنبياء، إذا تزوّجوا، أن يُؤكَلَ طعـامٌ على التزويج". ثمّ أتوا أمَّ حبيبة مهنّئين مبارِكين[1].

٤ . ومرّتِ الأيّام، بل السنون، وأمُّ حبيبة تنتظرُ لقاءَها بزوجها رسولِ اللّه. هي في الحبـشة تنتظرُ. وهو في المدينة يتـصبّر... حـتى كانت السنة السـابعة من الهجرة، قدمتْ فيها أمُّ حبيبة إلى المدينة، "فاحتفلتِ المدينةُ بدخول بنتِ أبي سفيان بيتَ رسولِ اللّه. وأولمَ خالُها عثمان بن عفّان وليـمةً حافلة. واستقبلتْها نساءُ النبيّ بشيء من المجاملة، طبعًا. أمّا عائشة فلم ترَ فيـها ما يُثيرُ غَيرَتها، إذْ كانتْ تدنو من عامِها الأربعين.

٥ . بيد أنّ عـذابَ أمِّ حبيـبة كان من وضـعها الصـعب بين أبيها وزوجـها العدوَّين اللّدودَين. "فمـا من قتيلٍ إلاّ وهو من شيـعةِ أبيها. وما من شـهيدٍ إلاّ وهو من صحـابة زوجها".. إلى أن أوفدتْ مـكّةُ رسولاً منها إلى النبيّ تطلبُ منه عـهداً جديداً لعـشر سنين أخـر. وكان الرسولُ أبا سـفيان، الذي جـاء المدينةَ، ودخلَ إلى ابنته، وأرادَ توسّطَها. فلم يُفلح... فعاد إلى مكّة ينتظرُ شرّاً. حتى كان الفتحُ. وجيء بأبي سفيان إلى الرسول حيث أسلمَ، وحسُن إسـلامُه.. "وأحسّتْ أمُّ حبيبة أن قد أزيحَ عن كاهلهـا عبء كبـير... وتوفّيتْ سنة ٤٤ هـ/ ٦٦٤م. فـي خلافة مـعاوية. ودفنتْ بالبقيع. ولها في الكتب الستة ٦٥ حديثاً[2].

أمّ رُومَان : هي زينب بنت عَـمرو بن عامـر الكنانيّة. تزوّجت في الجـاهليّة الحارث بن سَـخْبَرة، فـولدت له الطُفَيل. ثمّ خلفـه عليهـا حليفُه أبو بـكر الصدّيق، فأنجبتْ له عبد الرحمن وعائشة أمّ المؤمنين. منذ أن عرف رسولُ اللّه عائشة، وهي

---

(١) طبقات إبن سعد ٨/ ٩٦-٩٨.

(٢) ابن سعد، ٨/ ١١٠. أنظر: الإصابة، رقم ٤٣٤؛ أسد الغابة، رقم ٦٩٢٤، و٧٤٠١...

طفلة صغيرة في حضن والدَيها، أخذتْ لبَّه، وامتلكتْ مشاعرَه، ورغبَ فيها، وأوصى أمَّها بها قائلاً لها: "يا أمَّ رومانَ! استوصي بعائشة خيراً. واحفظيني فيها"[1].

وأمُّ رومان، كانتْ، قبْل ابنتِها، تنزلُ في نفس رسول الله منزلةً أخّاذة. وقد كان النبيّ يستريح عادة عندها، ويتردّد عليها، ويزورها يوميًّا وبتواتر. عن ذلك قال عروة: "كان رسول الله يختلف إلى بيت أبي بكر.. ولا يُخطئُ يوماً واحداً أن يأتي إلى بيت أبي بكر"[2]. وروتْ أمّ رومان أحاديث كثيرة عن النبيّ.

ولمّا ماتت في المدينة نزل النبيّ في حفرتها، واستغفر لها، وقال: «أللّهمّ! إنّك تعلم ما لقيتْ أمُّ رومان فيكَ وفي رسولك». ثمّ التفتَ إلى أصحابه وقال: «مَن سُرَّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العِين فلينظر إلى أمّ رومان»[3].

أمُّ سَلَمَة : ١ . هي هند أو رَملة، بنت أبي أميّة بن المُغيرة المخزوميّة. عُرف أبوها بزاد الركب، وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم. كانت، قبل أن يتزوّجها النبيّ، تحت أبي سَلَمة، عبدالله بن عبد الأسد، إبن عمّة الرسول، برّة، وأخيه من الرضاعة. أرضعتْهما ثُويبّة. وكانت أمّ سَلمة وزوجُها أوّل مَن هاجر إلى الحبشة. وَلدتْ له هناك: سَلَمَة، وعمر، ودرّة، وزينب. يقول ابنها عمر: "مات أبي لثمانٍ خَلونَ من جمادى الآخرة، سنة أربع من الهجرة، فاعتدّتْ أمّي، وحلّتْ لعشرٍ بقين من شوال، فتزوّجها رسولُ الله"[1].

٢ . كانت أمّ سَلمة وزوجُها عبدالله تعاهدا بأن لا يتزوّج أحدٌ منهما بعد

---

(١) طبقات ابن سعد، ٨/٧٨.

(٢) طبقات ابن سعد، ٨/٧٨.

(٣) ألمرجع نفسه، ٨/٧٧، إبن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/٤٦٧.

(١) طبقات ابن سعد، ٨/٨٦-٨٧؛ أسد الغابة، ٦/٢٨٦... مراجع عن أمّ سلمة: الإصابة، رقم ١٠٩٢، و١٣٠٩، أسد الغابة، رقم ٧٣٣٥، و٧٤٦٤، ألسيرة الهاشمية، ١/٣٤٥، و٤/٢٩٤؛ الاستيعاب، ٤/١٩٣٩؛ تاريخ الطبري، ٢/١٧٧؛ السمط الثمين، ٨٦؛ نسب قريش، ٢١٦؛ عيون الاثر، ٢/٨٦؛ ألمحبر، ٨٣...

موت الآخر. قالت له يوماً: "تعـالَ أعاهدك ألاّ تتزوّج بعدي، ولا أتزوّج بعدك".. إلاّ أنّ رسولَ اللّه دخلَ، "فنقض على أمّ سَلمة المعاهدة، وخطبَـها إلى ابنها عمر، ثمّ لم يلبثْ أنْ ضمَّها إلى نسائه"[٢].

وأخبـرنا "أنّ رسولَ الـلّه دخل على أمّ سَلمة يعـزّيها بأبي سـلمة، فـقال: "أللهمّ! عزِّ حزنَها. واجبرْ مصيبتَها. وأبدلْها به خيرًا منه". قال: فعزّى اللّهُ حزنَها. وجبر مصيبتَها. وأبدلها خيرًا منه. وتزوّجها رسولُ اللّه"[٣].

٣ . ولكن، قـبل أن يتمّ نِكاحُ رسـولِ اللّه لهـا، كـان قد "خطبَـهـا أبو بكر، فردّتْهُ. ثمّ خطبَـها عمـر، فردّتْهُ. فبـعثَ إليها رسـولُ اللّه رسولاً من قِبَلِه. فـقالت: مرحباً برسول اللّه وبرسوله. أخبرْ رسولَ اللّه: إنّي امرأة غَيرى. وإنّي مُصْبِيَةٌ (أي ذات صبيـان كثر). وإنّه ليس أحدٌ من أوليائـي شاهد. فبعثَ إليهـا رسولُ اللّه: أمّا قولُكِ: إنّي مُصبيّة، فانّ اللّهَ سيكفيكِ صـبيانَكِ. وأمّا قولك: إنّي غيرَى، فسأدعو اللّهَ أن يُذهبَ غيرتَكِ. وأمّا الأولياء فليس أحدٌ منهم شـاهد أو غائب إلاّ سيرضاني. قال: قلتُ: يا عمر (إبنها): قم. فزوّجْ رسولَ اللّه"[٤].

٤ . وتمّ الزواج. وروى ابن سـعـد أنّهـا قالت: "فـتـزوّجني رسـولُ اللّه، فنقلني إلى بيت زينب بـنت خزيمة أمّ المسـاكين. وأحدث دخـولُها ضجّـة في دُور النبيّ. وأشاع قلقًا في الزوجتين الشابّتين، عائشة وحفصة. إنّها ضرّة جديدة.

وكان رسولُ اللّه يأتيها. فإذا أتاها، أخذتْ ابنتَها زينب، تضعُها في حجرها لترضعَها. وكان رسولُ اللّه حَيِيًا كـريمًا، يستحي، فيرجع، إذ كانتْ تمنعُه حاجتَه. لقد فـعل ذلك مراراً. ففطن عـمّار بنُ ياسر لِمَـا تَصنع -وهو أخوها لأمّهـا-. فدخلَ عليهـا فانتشَطَها من حـجرها، وقال: دَعِي هذه المقبـوحةَ المشقوحـةَ التي آذَيْتِ بها

---

(٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ٨/ ٨٩.

(٤) المرجع نفسه، ٨/ ٨٩-٩٠؛ رَ: السـمط الثـمين، ٨٩؛ المحبـر، ٨٥؛ الاستيعـاب، ٤/ ١٩٣٩؛ الإصابة، رقم ١٠٩٢؛ عيون الاثر، ٢/ ٣٠٤.

رسولَ اللّه.. وجاء رسولُ اللّه، صلّى اللّهُ عليـهِ وسلّم، فبنى بأهلِه، وقال: إنْ شِئْتِ (يا أمَّ سَلَمَة) أنْ أُسَبِّعَ لكِ سَبَّعْتُ للنساء. قـالت: يا رسولَ اللّهِ! إفعلْ ما أحْبَبْتَ"[٥].
وفي حـديث يقول: "لمّا تـزوّج رسولُ اللّه أمَّ سَلمـة، أقـام عندَها ثلاثاً. ثمّ أراد أن يدورَ (على نسائه)، فـأخذتْ بثوبه. فـقال: ما شِـئْتِ. إنْ شئتِ أنْ أزيدَكِ زدْتُكِ. ثمّ قاصصتُكِ به بعد اليوم. ثم قال: ثلاثٌ للثيّب، وسبعٌ للبكر"[٦].

٥ . عن عائشة قالت: "لمّا تزوّج رسولُ اللّه أمَّ سَلمة، حزنتُ حزناً شديداً لِمَا ذكروا لنا من جمَالها. فتلطّفتُ لها حتى رأيتُـها، فرأيتُها، واللّهِ، أضعافَ ما وُصِفَتْ لي في الحسْنِ والجَمال. فذكرتُ ذلك لحفصة، وكانتا يداً واحدة"[٧].

وأدّتِ الغيرةُ بـين عائشة وأمّ سلمة، على قـول بنت الشاطئ، إلى الذي دفع بأمّ سلمة إلى التـخلّي عن كلّ شيء، حتى عن طفلتها، لـكي تتفرّغ لمنافسـة عائشة على قلب النبيّ[٨].

ومن شدائد الأمـور أنّ أمّ سَلمة أخـذتْ على عمر بن الخطّاب تـدخّلَه في ما بين النبيّ ونسـائه. فقـالت له منكرةً: "عجـبًا لكَ يا ابنَ الخطّاب! قـد دخلتَ في كلّ شيء حتى تبتـغي أن تدخلَ بين رسول اللّه (ص) وأزواجه؟!. قال عمـر: فأخذتْني أخْذاً كسرتْني به عن بعض ما كنتُ أجد"[٩].

٦ . كـان الوحي لا ينزل على رسـول اللّه إلاّ في بيت عائـشة، كـما كـانت تقول. فتـباهي بذلك ضرائرها. إلى إن جاءت أمّ سلمة، فـأوحي عليه عندها، بقوله في سورة التوبة: "وآخـرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عـملاً صالحاً وآخر سـيّئاً. عسى اللّه أن يتوب عليهم. إنّ اللّه غفور رحيم" (٩/ ١٠٢).

---

(٥) طبقات ابن سعد، ٨/ ٩٠.
(٦) المرجع نفسه، ٨/ ٩٣.
(٧) المرجع نفسه، ٨/ ٩٤.
(٨) بنت الشاطئ عن ابن هشام، ٢/ ١٧١؛ وعن السمط الثمين، ٩٠؛ أنظر الإصابة وغيرها.
(٩) اللؤلؤ والمرجان، ٢/ ٨٣٠، حديث ٩٤٤.

٧ . وفي العـام السادس من الهـجرة، صـحـبتْ أمّ سلمة رسـولَ اللّه في رحلته إلى مكّة معتمراً. وهي الرحلة التي صدّتْ فـيها قريش محمّداً والمسلمين عن دخول البلد الحرام. وتمّ عهد الحدَيْبيّة، وكان بنصيحة أمِّ سلمة. وكذلك كان حظّ أمّ سلمة بأن تصحبَ رسولَ اللّه في غزوة خَيبر، وفي فتح مكّة، وفي حصار الطائف، وغزو هوازن، وثَقِيف، ثم في حجّة الوداع، سنة عشر من الهجرة.

٨ . أخبرنا ابن سـعد: "كان رسولُ اللّه في بعض أسفـاره، ومعه في ذلك السفر صفـيّة بنت حييّ وأم سَلمة. فأقبل رسولُ اللّـه إلى هودج صفيّة، وهو يظنّ أنّه هودج أمّ سلمة. وكـان ذلك اليوم يوم أم سلمة. فـجعل رسولُ اللّه يتـحدّث مع صفـيّة، فغـارتْ أمّ سلمة. وعلم رسـولُ اللّه بعدُ أنّهـا صفيّـة. فجـاء إلى أمّ سلمة. فقالت: تتحدّثُ مع ابنة اليهودي في يومي! وأنتَ رسولُ اللّه؟! قالت: ثم ندمتُ على تلك المقالة. وتقول: يا رسولَ اللّه! استغفرْ لي. فإنّما حملَني على هذا الغيرة".

٩ . وبعد انتقال النبيّ إلـى الرفيق الأعلى، وعند اندلاع الفتنة بين المسلمين، راحت أمّ سلمة تؤازر الإمام عليّا، ضد عائشة وحلفِها مع معاوية وطلحة والزبير... وقدّمت ابنَها عمر لعلي ليخرج معه فـي الفتنة وينصره. وقد شـهد عمر يومَ الجمل، وكان إماماً على بلاد فارس والبحرين من قِبَلِ عليّ[١٠].

وبسبب سيـرة عائشة العدائيّـة لعليّ، جاءتها أمّ سلمة تقـول لها في عنف: "أيّ خـروج هذا الذي تخـرجين؟ لو سـرتُ مـسـيـرَكِ هذا، ثم قـيل لي: أدخلي الفردوسَ؛ لاستحييتُ أن ألقى محمدًا هاتكةً حجاباً قد ضربَه عليّ".

١٠ . توفّيتْ أمّ سلمـة سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م، بعدما جـاءها نعيُ الحسين بن علي؛ وصلّى عليها أبو هُرَيرة؛ وشيّعَها المـسلمون إلى البقيع. وكان لها يومَ توفّيتْ أربعٌ وثمانون سنة[١١]. وهي آخر من مات من أمّـهات المؤمنين... يُروى عنها ٣٨٧ حديثاً. ولها اعتبارٌ كبيرٌ عند الشيعة.

---

(١٠) راجع الإصابة والاستيعاب في الموضع المذكور.

(١١) طبقات ابن سعد، ٨/ ٩٦.

أمُّ الكِتَاب : وردت في القرآن في قوله: «فيه آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب» (٣/٧)، أي: أصله الذي يُرجع إليه عند الاشتباه. وقوله: «يمحو اللّهُ ما يشاء ويُثبتُ. وعندَه أمُّ الكتاب» (١٣/٣٩)، أي اللوح المحفوظ الذي فيه علم اللّه. وورد التعبير على سورة الفاتحة. ومن ذلك قول النبيّ: «مَن قرأ بأمّ الكتاب فقد أجزأتُ عنه»[(١)]، وقوله: «مَن صلّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمّ القرآن فهي خِداج»[(٢)].

أمُّ كلثوم : إحدى بنات النّبي من خديجة. يقال إنّها تزوّجت عَتبة بن أبي لهب؛ ولكنّه طلّقها قبل أن يدخل بها نزولاً على إرادة أبيها.. ومنهم مَن يؤكّد أنّه كان له منها بنون. ومن الطبيعي أن يستبعد المتأخّرون ما قيل عن وجود حفيد للنّبي منها. هذا ولا نجد ذكراً لزواجها إلاّ من عثمان. فقد تزوّجها عثمان بعد وفاة زوجته رُقَيَّة، وهي أختها، في أثناء غزوة بدْر. توفّيت في العام التاسع للهجرة دون أن تعقب ولداً.

أمُّ الوَلَد : هي الأمَة التي تلد ولداً من مولاها: أقرّ النبيّ حقّ الرجل في التسرّي.. وكان الأولاد في الجاهليّة يُلحَقون في التسمية بأمّهاتهم لا بآبائهم. ولا يتحرّرون إلاّ إذا اعترَفَ بهم آباؤهم. إلاّ أنّهم لم يتساووا بالأبناء الشرعيّين في الحقوق.. وكانت مكانة أم الولد منحطّة حتّى أنّهم كانوا يطلقون عليها اسم «أمّ الولد»، بينما يطلقون على الحرّة لقب «أمّ البنين».

الأمْن : ضدّ الخوف، وهو عدم توقّع مكروه في الزمان الآتي. والأمن للفرد والمجتمع والدولة من أهمّ مقوّمات الحياة، إذ به يطمئنّ الناسُ على دينهم وأموالهم وأنفسهم وأعراضهم، ويتفرّغون لما يُصلح أمرهم ويرفع شأنهم وشأن مجتمعهم... وإذا كان من المقرّر أنّ حكْمَ الإسلام بالنسبة للمسلمين هو عصمة أنفسهم ومالهم وعرضهم وعقلهم ودينهم والتكفّل بتحقيق الأمن لهم، فإنّ غيرَ المسلم يتحقّق له الأمنُ بتأمين المسلمين له بإعطائه الأمان[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم، ١/٢٩٧، ٣٩٦، ط. الحلبي.

(٢) أخرجه مسلم، ١/٢٩٦، ٣٩٥، ط. الحلبي.

(١) رَ مادّة: الأمن، د. عبد الصبور مرزوق، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٢١٩–٢٢٠.

الأَمَة : هي التي ولدت من سـيّدها في ملكه. فـهي أمّ الولد، وهو نوع من أنواع الرقـيق. وتنفـرد عن سائر الرقـيق بأحكام خـاصّـة.. ولا خلاف في إباحـة التـسـرّي ووطء الإماء، لقـوله تعـالى: «والذين هم لفـروجِـهم حـافِظون إلاّ على أزواجِـهم، أو ما ملـكَتْ أيمانُهم. فإنّــهم غيـرُ مَلومِين» (٢٣/ ٥-٦)... وقـد يرغب الشخص في الأولاد ولا يتـيسّر له ذلك من الحرائر، وأباح اللّه له أن يتـسرّى بمَن تلد له. ومَن تحمـل مِن سيّدها تُعـتَق عليه بموته من كلّ مـا له تبعاً لولـدها، لقوله: «أيّما أمة ولدت من سيّدها فهي حرّةٌ عن دبر منه (أي بعد موته)»[١].

الأُمّة : ١ . وردت في القرآن للدلالة على شعب أو جـماعة، أو ملّة، أو دين، أو طريقة.. ووردت أيضـاً بمعنى الوقت، أو «الحين» (١١/ ٨؛ ١٢/ ٤٥)؛ و«الجيل» (٤٣/ ٢٢). وأطلقتْ شـذوذاً فـي آية واحـدة للدلالة على فـرْد هو إبراهيم (١٦/ ١٢٠). ومعنى لـفظة "الأُمّة" هنا أيضاً الإمـام، أو أنّ إبراهيم سمّي أمّـة بصفـته رئيس الجماعة التي أنشأها؛ وذلك بإطلاق لفظ الكلّ على الجزء.

٢ . إلاّ أنّ أكـثر المعـاني اسـتعـمـالاً في القـرآن هو المقصـود فـيه الأمّـة الإسلاميّة الـواحدة الممتدّة من آدم إلى آخر مسلم: «إنّ هذه أمّـتكم أمّة واحدة. وأنا ربّكم فـاعبـدونِ» (٢١/ ٩٢)؛ وهي «خيـر أمّـة أُخرِجتْ للناس» (٣/ ١١٠)، لأنّـهـا تؤمن بالـلّه، وتأمـر بالمـعـروف، وتنهـي عن المنكر (٣/ ١١٠)، وتدين بـدين اللّه: «ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً» (٥/ ٣).

٣ . فالأمّـة الإسلامـيّة أمّة دِين لأنّهـا رضيت باللّه ربّاً، وبـالإسلام ديناً، وبمحمّـد رسولاً خاتماً لـرسالات اللّه. هذه الأمّة مـيّزها اللّه من غـيرها من الأمم، فجعلها أمّةً وسطاً مقتصدة في عـقيدتها، بعيدة عن الإفراط والتفريط، لا هي ظالمة كاليهود، ولا مغالية كالمسيـحيّين: «وكذلكَ جعلناكم أمَّةً وَسَطاً لتَكونوا شُهداءَ على الناس» (٢/ ١٤٣).

٤ . وبعد أن كـانت الأمّة التي أنشـأها محـمّد أوّل الأمـر من العرب، فـقد

---

(١) أخرجه الحاكم من حديث ابن عبّاس. وأخرجه ابن ماجّة بلفظ مقارب، ٢/ ٨٤١.

صارت بالإسلام أمّةً من المسلمين تشمل أجناساً وأمماً مختلفة: «إنّ هذهِ أمَّتُكمْ أمّةً واحدةً وأنا رَبُّكُمْ باعْبُدونِ» (٢١/٩٢)، أو «وإنَّ هذهِ أمّتُكمْ أمّةً واحدةً وأنا ربُّكُمْ فاتَّقونِ» (٢٣/٥٢). «فالقرآن يتعامل مع المصطلح بشكل أشمل وأوسع؛ حيث ينتمي للأمّة الإسلاميّة كلّ مسلم يأمر بالمعروف وينهي عن المنكَر، بغضّ النظر عن جنسه أو لونه أو لغته أو تاريخه».

٥ . لقد كان الناس في الأصل، بحسب القرآن، أمّةً واحدة، ثمّ اختلفوا. يقول: «كان الناسُ أمّةً واحدةً» (٢/٢١٣). وكان اللّه، لو شاء، يستطيع أن يجعل الناسَ جميعاً أمّة واحدة، ولكنّه لم يفعل: «ولو شاءَ اللّهُ لجَعَلَكمْ أمّةً واحدةً. ولكن لِيَبْلُوَكُمْ في ما آتاكم فاستَبِقوا الخيراتِ» (٥/٤٨)، وأيضاً: «ولو شاء اللّهُ لجعلَكم أمّةً واحدةً، ولكن يُضِلُّ مَن يشاء ويَهدي مَن يشاء. وَلَتُسْأَلُنَّ عمَّا كنتمْ تَعمَلونَ» (١٦/٩٣).

٦ . وظلّت الأمّة الإسلاميّة قائمة ومستمرّة حتّى بعد اختفاء «الخلافة»، مظهرِها السياسي؛ وذلك يعود إلى عدّة أسباب : ١- إنّ رسول اللّه قد سعى لإنشاء أمّة قبل قيام الدولة، أو السلطة، أو «الخلافة» التي تُجسِّد، نظاميًّا ومؤسّسياً، هذه الأمّة. ٢- إنّ رسول اللّه قد خلّف وراءَه، عند وفاته، «أمّة» قبل أن يخلِّف «إماماً». وإنّه، لو لم تكن الأمّة لما وُجد مَن يؤمُّها.. فالأمّة هي الأصل. ٣- إنّ «الأمّة»، بهذا المعنى، تصير هي المستودَع للرسالة المحمّديّة، أي إنّ الأمّة هي وعاء القرآن الكريم.

٧ . يترتّب على هذا أنّ أمّة القرآن هي باقية ببقاء القرآن. واختفاء الإمام، أو الخلافة، فهو أمر لا ينفي وجودها. فالأمّة في الإسلام هي التي تفرز النظم السياسيّة[٢]. فالأمّة في الإسلام هي الإسلام، فيما سائر الشعوب هم من الملّة. والأمّة، بهذا المعنى، هي جماعة المسلمين يجمعها الإسلام ويميّزها عمّا سواها.

---

(٢) د. نادية مصطفى، ود.سيف عبد الفتّاح، الأمّة، في موسوعة الحضارة الإسلاميّة، ٢٠٠٥؛ ص ٤٢٤-٤٢٩.

أمَّهَاتُ المُؤْمِنِين : كنيةٌ كـرّم بها القرآن أزواج النبيّ فـي قوله: «النَّبيُّ أَوْلَى بالمؤمنينَ مِن أنفسِهِـمْ، وأَزْواجُهُ أمَّهَاتُهُمْ، وأُولُو الأرحامِ بعـضُهُمْ أَوْلَى ببعضٍ في كِتَابِ اللّه» (٣٣/٦). قال الألوسي في تفسـيرها: «أي منزلات منزلة أمّـهاتهم في تحريم النكاح واستحقاق التعظيم. وأمّـا فيما عدا ذلك من النظر إليهنّ والخلوة بهنّ وإرثهنّ، ونحو ذلك، فهنّ كالأجنبيّات». وعلى هذا، لا يُقال لبناتهنّ أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهنّ أخوال المؤمنين.. وجاء أيضـاً: «ومَا كانَ لكمْ أن تُؤْذوا رسولَ اللّهِ ولا أن تَنكِحـوا أزْوَاجَهُ مِن بَعـدِهِ أبداً. إنَّ ذلكمْ كـانَ عندَ اللّهِ عظيمـاً» (٣٣/٥٣). وفي ذلك تعظيم من اللّه لشأن رسوله، وإيجاب حرمته حيًا وميتاً.

وقـد أُطلقتْ هذه الـكنيـة على **١٢** امـرأة تزوّج بهنّ رسـول اللّه. ولكن لم يجتمع في عصمته من الزوجات في وقـت واحد أكثر من تسع نساء. وكان اقترانه بهنّ على الترتيب التـالي: ١. خديجة بنت خُـويلد؛ ٢. سودة بنت زَمعة؛ ٣. عـائشة بنت أبي بكر الصـدّيق؛ ٤. حفصـة بنت عمر بن الخطّاب؛ ٥. زينـب بنت خزيمة بن الحارث الهـلاليّة؛ ٦. أمّ سَلَمة هند بنت سـهيل؛ ٧. زينب بنت جـحش؛ ٨. جويريّة بنت الحارث؛ ٩. أمّ حبيـبة بنت أبي سفيان؛ ١٠. صفـيّة بنت حُيَيّ بن أخطب؛ ١١. ميمونة بنت الحارث أخت جويريّة؛ ١٢. رَيحانة بنت زيد.

أمّا مارية القبطيّة، التي أهداها عظيم القبط بمصر للرسول، فبقيت في بيت النبوّة مِلْك يمين حتّى حملتْ بإبراهيم فصارتْ أمَّ ولد محرَّرة. وهي، بحكم موقعها من النبيّ، يعتبرها بعض المسلمين من أمّهات المؤمنين.

الأمَوِيّ (الجامع) : مسـجد في دمـشق. شيّـده الوليد بن عبـد الملك مكان كنيسـة يوحنّا المعمـدان التي بُنيت على أنقـاض هيكل وثنيّ ٣٧٩. يعتـبر من آيات الفن المعماري العربي. فسيفساء رائعة.

الأمَوِيُّون : سلالة الخلـفاء المسلمين من بني أمـيّة بن عبـد شمس بن عـبد مناف بن قُـصَيّ. لقـد كـان التنافس على أشـدّه بين الـهـاشـمـيّين والأمـويّين في الجاهليّة. وكان على أشدّه. كذلك في الإسلام. حكموا في الشرق إثر تنازل الحسن بن علي عن الخلافة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م). وعدد خلفائهم ١٤:

١. معاوية الأوّل ابن أبي سفيان ٤١/٦٦١؛ ٢. يزيد الأوّل ابن معاوية ٦٠/٦٨٠؛ ٣. معاوية الثاني ابن يزيد ٦٤/٦٨٣؛ ٤. مروان الأوّل ابن الحكم ٦٤/٦٨٣؛ ٥. عبد الملك بن مروان ٦٥/٦٨٥؛ ٦. الوليد الأوّل ابن عبد الملك ٨٦/٧٠٥؛ ٧. سليمان بن عبد الملك ٩٦/٧١٥؛ ٨. عمر بن عبد العزيز ٩٩/٧١٧؛ ٩. يزيد الثاني ابن عبد الملك ١٠١/٧٢٠؛ ١٠. هشام بن عبد الملك ١٠٥/٧٢٤؛ ١١. الوليد الثاني ابن يزيد ١٢٥/٧٤٣؛ ١٢. يزيد الثالث ابن الوليد ١٢٦/٧٤٤؛ ١٣. إبراهيم بن الوليد ١٢٦/٧٤٤؛ ١٤. مروان الثاني ابن محمّد ١٢٧/٧٤٥. كانت عاصمتهم دمشق.

تغلّب عليهم العبّاسيون فانتقلوا إلى الأندلس، وحكموا في قرطبة (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م.)، وعدد خلفائهم ١٠، أوّلهم عبد الرحمن الملقّب بـ «الداخل». قضى عليهم ملوكُ الطوائف.

أمين (أحمد) (ت ١٩٥٤) : أديب وعالم مصريّ. أشهر آثاره: «فجر الإسلام»، و«ضحى الإسلام»، و«ظهر الإسلام»، و«يوم الإسلام».

أمين (قاسم) (ت ١٩٠٨) :أديب مصري. اشتهر بالدعوة إلى تحرير المرأة.

الأمين (السيّد محسن) (ت ١٩٥٢م) : عالم شيعي لبناني وُلد في شقرا بجبل عامل. أشهر آثاره «أعيان الشيعة»، وهو دائرة معارف شيعيّة في ٣٥ جزءاً. أكملها بعده ولده السيّد حسن الأمين.

الأُمّيّ: لقب محمّد في القرآن؛ أي إنّ محمّداً لم يكن يقرأ ولا يكتب. ومعظم المسلمين تمسّكوا بهذه الأمّيّة، بمعنى الجهل، قصدَ الدلالة على مصدر القرآن الإلهي، وبالتالي، فإنّ تعبير «النّبيّ الأُمّيّ»، الوارد في القرآن مرّتين في سورة واحدة في آيتَين متتاليتَين: «الّذينَ يَتَّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيَّ الأُمّيَّ الّذي يَجِدُونَهُ مكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التّورَاة والإنْجيلِ... فآمِنُوا باللّهِ ورسُولِه النَّبِيِّ الأُمّيِّ الّذي يُؤْمِنُ باللّهِ وكَلِمَتِه، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلّكُمْ تَهتَدُونَ» (٧/١٥٧ و١٥٨)، يعني جهْلَ محمّد القراءة والكتابة.

والحقيقة أنّ كلمة «الأمّي» لا علاقة لها بهذه المسألة، لأنّ الآية ٧٨ من سورة البقرة التي تدعو إلى هذا الافتراض، لا ترمي الأمّيّين بالجهل بالقراءة والكتابة، بل ترميهم بعدم معرفتهم بالكتب المنزلة. تقول الآية: «ومنهم أُمِّيُّونَ لا يَعلمونَ الكتابَ إلاّ أمانِيَّ، وإنْ همْ إلاّ يَظُنُّونَ». وعلم القراءة والكتابة تعلّمه محمّد منذ صباه، وهو في كفالة جدّه عبد المطّلب وعمّه أبي طالب. وعلى هذا العلم، من القرآن، أدلّة:

١. إنّ «الأُمِّيّ» (٧/ ١٥٧ و١٥٨) و«الأُمِّيِّينَ» (٢/ ٧٨؛ ٣/ ٢٠ و٧٥؛ ٦٢/ ٢)، بحسب القرآن، مَن ليس لهم كتاب منزل. فاليهود، أبناء إسحق بن إبراهيم، هم «كتابيّون»، في حين أنّ العرب، أبناء إسمعيل بن إبراهيم، هم «أمّيّون». ودلّ القرآن على هذا التمييز دلالة واضحة وصريحة: فأهل الكتاب ليسوا كالأمّيّين، ولا إيمانَ مشترك بينهم. قال: «وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ.. قَالُوا: لَيسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ»، أي، بحسب تفسير ابن كثير: «ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأمّيّين وهم العرب. فإنّ اللّهَ قد أحلّها لنا»[٣]. و«هُوَ، (أي اللّه)، بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ (أي العرب) رَسُولاً مِنْهُمْ، يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِه، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ» (٦٢/ ٢).

وهو أيضاً يدعو الكتابيّين والأمّيّين معاً إلى اتّباع الإسلام: «وقُلْ للّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ: أَأَسْلَمْتُمْ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا. وإنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيكَ البَلاَغُ. وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ» (٣/ ٢٠)؛ أي، بحسب ابن كثير أيضاً: «قال تعالى آمراً لعبدِه ورسوله محمّد أنْ يَدعو إلى طريقته ودينه، والدّخول في شرعه وما بعثه اللّهُ به، الكتابيّينَ من الملّتَين (اليهود والنّصارى) والأمّيين من المشركين»[٤].

وهو يشير إلى تمنّي الأمّيّين معرفة الكتاب: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلاّ أَمَانِيَ» (٢/ ٧٨)، أي كما نُقل عن قتادة: إنّ الأمّيّين «يتمنّون على اللّه ما

(٣) تفسير ابن كثير على آل عمران ٣/ ٧٥؛ ج ١، ص ٤٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير على آل عمران ٣/ ٢٠؛ ج ١، ص ٤٠٠–٤٠٢.

ليس لهم»[٥]؛ أي: إنّهم «لا يعلمـون ولا يدرون ما فـيه»[٦]، أي ما في الـتّوراة من تعليم وتشريع..

فـالأُمّـيّـون، إذاً، وبحـسب القـرآن العـربي، هم العـرب أبناء إسـمـعـيل، والكتابيّون هم اليهود أبناء إسحق.

وبالتـالي، فإنّ تعبـير «النّبيّ الأُمّيّ»، الـوارد في القرآن مرّتَـين في سورة واحـدةٍ في آيتَين متـتاليـتَين: «ألّذينَ يَتَّـبِعُـونَ الرّسُولَ النَّبيَّ الأُمّيَّ الّذي يَجِـدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التّورَاةِ والإنْجِيلِ... فآمِنُوا باللّهِ ورسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الّذي يُؤْمِنُ باللّهِ وكَلِمَـتِهِ، وَاتَّبِـعُوهُ لَعَلَّـكُمْ تَهتَـدُونَ» (٧/ ١٥٧ و١٥٨)، لا يعني إطلاقاً جـهْلَ محمّـد القراءةَ والكتابة، بقـدر ما يعني انتماءه إلى «الأمم»، أي «الغـوئيم»، بحسب التعبيرَ العبراني الذي يُطلقه اليهود على غيرهـم من الشعوب.

وقد عبّر الشهرستاني عن ذلك خيـر تعبير عندما قال: «وأهل الكتاب كانوا يُنصرون دينَ الأسبـاط، ويَذهبون مذهبَ بني إسرائيل؛ والأمّيّـون كانوا يُنصرون دينَ القبائل، ويَذهبون مذهبَ بني إسماعيل»[٧].

وبهذا المعنى أيضاً كان يقول ابنُ عبّـاس: «الأمّيّون قومٌ لم يصدِّقوا رسولاً أرسله اللّه، ولا كتـاباً أنزله اللّه، فكتبوا كتـاباً بأيديهم، ثمّ قالوا لقومٍ سَفَـلةٍ جهّالٍ: «هَذَا مِنْ عِنْدِ اللّهِ» (٢/ ٧٩). وقـال: «قـد أخـبـر (اللّه) أنّهم يكتـبـون بأيديهم، ثمّ سمّـاهم "أمّيّين" لجحـودهم كتب اللّه ورسله»[٨]. وقال أيضـاً: «إنّ الأمّيّين الذين وصفـهم اللّه بما وصفهم به، في هـذه الآية (٢/ ٧٨)، أنّهم لا يفقهـون من الكتاب الذي أنزله اللّه على موسى شـيئاً؛ ولكنّهم يتخرّصـون الكذب، ويتقوّلون الأباطيل كذباً وزوراً»[٩].

---

(٥) عن تفسير الطبري لسورة البقرة ٢/ ٧٨؛ مجلّد ١، ص ٥٣٠.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٥٣٣.

(٧) الشهرستاني، الملل والنحل ١/ ٢٠٨.

(٨) عن تفسير الطبري لسورة البقرة ٢/ ٧٨، مجلّد ١، ص ٥٢٨.

(٩) المرجع السابق نفسه، ص ٥٣٠.

بهذا المعنى القرآني الصحيح يجب أن نفهم معنى تعبير «النَّبِيّ الأُمِّيّ» في آيتَي الأعراف المذكورتَين.

٢. والدليل الثاني على معرفة محمّد بالقراءة والكتابة بيّن في أوّل سورة نزلتْ. فيها يدعو جبريل محمَّداً: «إقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (٩٦/١–٥). وأجمعت كتب «تفسير القرآن»، وكتب «أسباب النزول»، وكتب السِّير والأخبار، والأحاديث النبويّة، وأجمع الباحثون، مسلمون ومستشرقون، على أنّ هذه السّورة هي الأولى في تاريخ الوحي. واتّفق الجميع على أنّ جبريل جاء محمّداً يحمل كتاباً دفعه إليه ليقرأه.

فلولا معرفة محمّد بالقراءة، ولولا صحّة تاريخ هذه الآية، وصحّة ما جاء فيها، لما اتّفق الجميع على أمرٍ واحدٍ من دون اختلاف أو جدال. ولئن كان اللّه، في القرآن العربي، «يمكر» بالناس، «وَهُوَ خَيرُ المَاكِرِينَ» (٣/ ٥٤؛ ١٤/ ٤٦)، أفيمكر أيضاً بنبيّه، فيكلّفه قراءةً لا يعرفها ولا يستطيعها!؟

٣. مهما تعدّدت تأويلات لفظة «قَرَأَ» ومشتقّاتها الواردة في القرآن، فإنّ المقصود منها تلاوة نصٍّ من كتاب. والآيات التي تدلّ على معرفة محمّد بالقراءة كثيرة. منها: «فَإذا قَرَأْتَ القُرْآنَ فاستعذْ باللّهِ منَ الشيطان» (١٦/ ٩٨)؛ و«إذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حِجَاباً مستورًا» (١٧/ ٤٥)، أي: «يحجبُ قلوبَهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، وذلك عقوبة منّا لهم على كفرهم»[١٠]؛ ويقول أيضاً: «وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ (أي: أحكمناه وفصّلناه وبيّنّاه) لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ (أي: على تُؤَدة، فترتّله وتبيّنه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يُفهم عنك)» (١٧/ ١٠٦)؛ ويقول أيضاً: «سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى إلاّ مَا شَاءَ اللّهُ» (٨٧/ ٦–٧)، أي: «سنقرئكَ يا محمّد هذا القرآن فلا تنساه إلاّ ما شاء اللّه»[١١]...

---

(١٠) تفسير الطبري على الإسراء ١٧/ ٤٥؛ مجلّد ٩، ص ١١٧–١١٨.

(١١) تفسير الطبري على سورة الأعلى ٨٧/ ٦–٧، مجلّد ١٥، ص ١٩٢.

هذه الآيات وغيرها[١٢] تفيدنا أنّ محمّداً كان يعرف القراءة ويُجيدها، وكان يقرأ الكتاب الذي بين يديه، فكانت قراءته له «قرآناً».

٤ . وأخيراً، إنّ العلم الطبيعي الذي تعلّمه محمّد، لا بدّ أنّه تعلّمه وهو في بيت عمّه أبي طالب وتحت حمايته ووصايته. لقد قيل عن أبي طالب في حبّه لابن أخيه: لقد «اختصّه بفضلٍ واحترامٍ وتقدير. وظلّ فوقَ أربعين سنة يعزّ جانبه ويبسط عليه حمايته»[١٣]. وقيل فيه أيضاً: «كان يُحبّه حبّاً شديداً لا يحبّه لأحدٍ من وُلْدِه. وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه، ويَخرج فيَخرج معه. وصبّ به أبو طالب صبابة لم يصبّ مثلَها بشيء قط. وكان يخصّه بأحسن الطعام»[١٤]. وقيل أيضاً: «كان أبو طالب يحفظه ويحوطه ويعضده وينصره إلى أن مات»[١٥].

هذه العناية الفائقة اقتضتْ من أبي طالب اهتماماً بالغاً بابن أخيه اليتيم الذي حظي في بيته ما حظي به ابنُ عمّه عليّ صاحب البلاغة المأثورة ومنتهج نهجها في أوّل كتابٍ في بابه باللغة العربيّة، وقد سمّي «نهج البلاغة». ولا يعقل أن يَمنع أبو طالب عن أبن أخيه ما وفّره لابنه من بلاغة برع فيها وأبدع.

ولئن فرّق بعضُ المسلمين بين ربيبَي أبي طالب فلغايةٍ في نفسِ يعقوب، ألا وهي إظهار تدخّل اللّه المباشر في الوحي، وامتناع محمّد عن أن يكون له أيّ تدخّل، أو عملٍ شخصيٍّ فيه. فـ «الأمّيّة، بحسب ما جاء في تفسير المنار، آيةٌ من أكبر آيات نبوّته»[١٦]. وفي كلّ حال، إنّ أبا طالب لم يكفل محمّداً ليوفّر له حاجاته المادّيّة وحسب، بل ليوفّر له أيضاً، وقبل كلّ شيء، ما وفّره لابنه من علمٍ وتربيةٍ... هذا وإنّ محمّداً نفسه اعتبر «كلام عليّ دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق». فكيف، والحال هذه، بمن «أُعْطِيَ جَوَامِعُ الكَلِمِ»!؟

---

(١٢) ترد لفظة «قرأ» ومشتقاتها في القرآن ١٧ مرّة؛ ولفظة «القرآن» ٧٠ مرة.

(١٣) محمد الغزالي، في فقه السيرة ص. ٦٧.

(١٤) ابن سعد ١/١١٩، الحلبية ١٢٥.

(١٥) ابن سعد ١/١٢١.

(١٦) تفسير المنار على ٧/١٥٧؛ جزء ٩، ص ٢٢٥؛ أنظر أيضاً تفسير المراغي، ج ٩، ص ٨١.

٥ . أمّا العلم الذي كان محمّد يجهله، وقد تكفّل القسّ ورقة بن نوفل بتوفيره له، فهو عِلم الكتاب المنزل الذي كان القسّ ينقله في حضور محمّد طوال أربع وأربعين سنة. هذا العلم «دَرَسَه» النبيُّ على القسّ في الإنجيل العبراني. و«لفظة "دَرَسَ" في القرآن مقصورة على دراسة الكتب المقدّسة»[١٧]. بهذا الدرس تحدّى محمّد المجرمين الذين لا يستطيعون الحكم، لأن ليس لهم كتاب منزل يحكمون بموجبه. قال: «أَفَنَجْعَلُ (مصير) المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (في الآخِرة)؟ مَا لَكُمْ كَيفَ تَحْكُمُونَ؟ أمْ لَكُمْ كِتَابٌ (خاصٌّ بكم نزل عليكم من عند اللّه)، فِيهِ تَدْرِسُونَ (أي فيه تساوون بين المسلمين والمجرمين)؟ إنّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ» (٦٨/ ٣٥-٣٨).

ولئن اتّهم الدارسون في الكتاب محمّداً بأنّه لا يأتيهم شيئاً جديداً، فإنّ تهمتهم تُرَدّ عليهم، لأنّه لا يعمل إلاّ في تصريف الآيات وتبيينها وتيسيرها فقط. قال: «وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ. وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ (أي: قرأتَ وتعلّمتَ من أهل الكتاب[١٨]). وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعْلَمُونَ (أي: يعلمون الحقّ إذا تبيّن لهم، فيتبعوه ويقبلوه)» (٦/ ١٠٥).

وعلى الذين درسوا في الكتاب الذي درس فيه محمّد ميثاقٌ ألاّ يقولوا إلاّ الحقّ: «ألم يُؤخذ عليهم ميثاقُ الكتابِ أنْ لا يقولوا على اللّه إلاّ الحقّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ!» (٧/ ١٦٩). لذلك عليهم أن يعلنوا ما درسوا كما هو يعلن، وهم يعلمون ما يعلنه خير علم. وهو ينصحهم بأن يعملوا بما يعلّمون ويعلنون: «كونوا ربّانيين بما كُنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تَدْرُسُونَ» (٣/ ٧٩)، تماماً، كالفرّيسيين الذين اتّهمهم المسيح بأنهم «يقولون ما لا يعملون» (متى ٢٣/ ٣). فعلمُ محمّد للكتاب ودرسُ ما فيه وقراءةُ أخباره، وتفصيلُ آياته، كلّها كانت له زاداً ليحاجج الناس الذين يجادلون «في اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (٣١/ ٢٠؛ ٢٢/ ٨).

---

(١٧) Le Coran, trad. par D. Masson, Sor. VI, 105; p.831.

(١٨) إشارةً إلى قوله: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنّهم يَقولونَ إنّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ..» النحل ١٦/ ١٠٣.

٦ . على ضوء هذه الأدلّة يمكن الجزم بإلمام محمّد بالعلم الطبيعي والعلم الإلهي، وقد حصّلهما بطريقة الدّرس والاكتساب، لا بالحدس والإلهام. ومعرفته بهما لا تقلّل من دوره الرّسولي. فاللّه، في ما نعلمه من التوراة والإنجيل، إذا ما شاء اختيارَ إنسانٍ لرسالةٍ ما يوفّر له إمكاناتٍ مناسبةً لأداء هذه الرسالة.

وما ردُّ محمّد التّهمةَ عنه بأنّه يتعلّم من «الّذينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ» (١٠/ ٩٤) إلاّ دليل على ما تعلّمه. قال: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» (١٦/١٠٣)، فردّ بقوله: «لِسَانُ الّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيهِ أَعْجَمِيٌّ. وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» (١٦/١٠٣). وقد اعترف محمّد نفسه، مراراً، بأنّ علومَه كلّها مكتسبة، وذلك عندما قال بأنّه لا يعلم الغيب ولا عنده خزائن اللّه [١٩].

٧ . ويشهد على علم محمّد بالكتاب جملة شهود: اللّه، والملائكة، وأهل الكتاب، والرّاسخون في العلم.. وردّد القرآن العربي هذه الشهادات فيه مراراً وتكراراً. قال: «قل كفى باللّه شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب» (١٣/ ٤٣)؛ وقال: «شهد اللّه والملائكة... وأولو العلم» (٣/١٨)؛ وقال أيضاً: «شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله»، (أي على مثل القرآن) (٤٦/ ١٠)؛ وقال: «يا أهل الكتاب! لِمَ تكفرون بآياتِ اللّه وأنتم تشهدون!» (٣/ ٧٠)؛ وقال: «إنّا أنزلنا التّوراة فيها هدًى ونورٌ يحكم بها النّبيّون الّذين أسلموا للذين هادوا والربّانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللّه وكانوا عليه شهداء» (٥/ ٤٤)...

وحين كان محمّدٌ يشكّ من علمه هذا ومن وحي اللّه عليه، كان اللّه يوجّهه إلى أهل الكتاب، ويطلب منه أن يسألهم ويستشيرهم في ما أنزل إليه. قال: «إنْ كُنْتَ (يا محمّد) فِي شَكٍّ ممّا أَنْزَلْنَا إِلَيكَ، فَاسأَلِ الّذينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ (فهم يشهدون:) لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ. فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ (أي المشكّكين). وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الّذينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ» (١٠/ ٩٤–٩٥).

وعندما يشكّ أتباعُ محمّدٍ في صحّة علْمه ووحيه ينصحهم بأن يذهبوا هم

---

(١٩) س. الأنعام ٦/ ٥٠؛ الأعراف ٧/١٨٨؛ هود ١١/ ٣١؛ النمل ٢٧/ ٦٥؛ ٧٢/ ٢٦.

أيضاً إلى أهل الكتاب ويسألوهم: «إسْألُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» (١٦/ ٤٣؛ ٢١/ ٧). وعندما يختلف المسلمون في تفسير ما جاء به محمّد في القرآن، يقول لهم: «وَلْيَحْكُمْ أَهلُ الإنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فِيهِ» (٥/ ٤٧).

٨. وما القرآن أخيراً إلاّ تبيان لما أُنزل من قبل: «وَأَنْزَلْنَا إلَيكَ الذِّكْرَ (أي القرآن) لِتُبَيِّنَ للنّاسِ مَا نُزِّلَ إليهِمْ (من قَبْلُ)» (١٦/ ٤٤). ومن البارزين في «علم الكتاب»، والذين شهدوا شهادة حقّ في القرآن ونبيّه، كان القسّ ورقة بن نوفل، أقرب المقرّبين إلى محمّد. وقد شهدت عائشة، ناقلة الحديث الصحيح عن محمّد، بدور ورقة في الوحي والعلوم الإلهيّة في قولها: «وَلَمْ يَنْشَبْ (أي: يلبث) وَرَقَةٌ أنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ».

أُمَيَّة بن أبي الصلْت : شاعر عربي من ثقيف. أمّه رقيّة بنت عبد شمس بن عبد مناف. حفيد أبي سفيان. الأخبار مختلفة في موقفه من النبيّ والإسلام. ولعلّ الأرجح أنّه لم يلق النّبيّ، وأبى أن يصدّق دعوته. كان حنيفاً يؤمن بإله واحد هو «ربّ العباد». وفي قصيدته الشهيرة في مدح قريش نرى صوراً شبيهة بالوحي عن مقام اللّه وملائكته، وحكايات عن الخلق، وآراء تتعلّق بيوم القيامة والجنّة والنّار. وفيها دعوة إلى عمل الخير، وإشارات إلى عِبَر أخذ بعضها من أخبار العرب عن عاد وثمود، وبعضها من قصص التوراة عن الطوفان وإبراهيم ولوط وفرعون... والآراء الدينيّة في كلام أميّة مطابقة لما جاء في القرآن إلى حدّ كبير. ويكاد الاتّفاق يقع كلمة كلمة في كثير من الأقوال.

أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ، وجدّ بني أميّة، أكبر عشائر قريش في مكّة.

الأَنْبَاط : قبائل بدويّة عربيّة استوطنت جنوبي فلسطين القرن الرابع ق.م. اتّخذوا البَتْراء عاصمةً لهم. صدُّوا هجمات أنتيغونُس السلوقي ٣١٢ ق.م. اشتهر عددٌ من ملوكهم باسم الحارث. وكان أشهرهم الحارث الأوّل الذي لجأ إليه ياسون رئيس الكهنة سنة ١٦٩ ق.م. (٢ مك ٥/ ٨)؛ والحارث الثالث (٨٧-٦٢) الذي

احتلّ دمشق؛ والحارث الرابع (٩ ق.م.-٤٠ ب.م.) الذي كان بعدُ حاكم دمشق لمّا هرب بولس من المدينة المذكورة (٢ قور ١١/٣٢). قضى عليهم الأمبراطور ترايانس سنة ١٠٦م. تدلّ آثارهم في البتراء على حضارة هلّنستيّة رفيعة. لغتهم هي لهجة أراميّة متأثّرة بالعربيّة ومكتوبة في أبجديّة خاصّة.

الأنبِيَاء : إسم السورة رقم **٢١** من القرآن. آياتها: **١١٢** (أطلب مادّة: **النبيّ**).

الإنتِحَار : قاتلُ نفسه ارتكب كبيرة من أكبر الكبائر. يستحقّ بهذا الذنب العظيم عقوبةً من اللّه، لقوله تعالى: «لا تَقتُلوا أنفُسَكم. إنّ اللّهَ كان بكم رحيماً. ومَن يفعل ذلك عُدْواناً وظلماً فسوفَ نُصْليه ناراً. وكان ذلك على اللّه يسيراً» (٤/ ٢٩-٣٠)؛ ولقول النبي: «مَن قتل نفسَه بحديدةٍ فحديدتُه في يده يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومَن شرب سمّاً فقتَلَ نفسَه فهو يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومن تردّى من جبلٍ فقتلَ نفسَه فهو يتردّى في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً»[1].

الانتِقَام : يعني العقاب من أجل انتهاك حرمات اللّه. وردت في القرآن صفةً للّه تدلّ على عقابه للكافرين بآياته: «فانْتَقَمْنا منهمْ فأَغْرَقْناهم في اليَمِّ بأنَّهمْ كَذَّبوا بآياتِنا وكانوا عنها غافلِينَ» (٧/ ١٣٦). ووصف اللّه نفسَه بأنّه عزيز ذو انتقام: «إنَّ الذينَ كَفَروا بآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شديدٌ. واللَّهُ عَزيزٌ ذو انتِقامٍ» (٣/ ٤). وفي الحديث: «ما انتقمَ رسولُ اللَّهِ لنفسِهِ إلاّ أن تُنتَهكَ حرمةُ اللّهِ فينتقم للّه بها»[2].

والانتقام المحمود هو الذي يحدث من الإنسان غَيرةً على دينِه وحرمات ربِّه. أمّا الانتقام المذموم فهو التشفّي وتجاوزُ حدِّ العدل في العقوبة.. وهو مذموم لأنّه يَنتج عن الغضب الهائج من أجل الذات. وهيجان الغضب يوقف العقل عن التفكير السليم. وأجلّ الناس شجاعة، وأفضلهم مجاهدة، وأعظمهم قوّةً، مَن يكظم

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/٢٤٧؛ مسلم ١/١٠٣، من حديث أبي هُريرة.
(٢) صحيح البخاري ٦/٥٦٦.

الغيظَ. وعلى ذلك قوله تعالى: «والكاظِمينَ الغَيظَ والعَافِينَ عنِ النّاسِ واللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين» (٣/ ١٣٤). وفي الحديث: «ليس الشديدُ بالصرعةِ إنّما الشديدُ الذي يملك نفسَه عند الغضب»[٣].

الإنْجِيل : ورد لفظ «إنجيل» في القرآن **١٢** مرّة[١]، معرّفة دائماً بالألف واللاّم، وبصيغة المفرد على أنّه إنجيل واحد برواية واحدة، هو، بحسب المسلمين، إنجيل عيسى الحقيقي، الذي أُنزل عليه من السماء. ولذلك، لا يعترف المسلمون بروايات الأناجيل الأربعة التي تعترف بها الكنيسة؛ بل يعتبرونها كتباً محرَّفة، لا علاقة لها بإنجيل عيسى الحقيقي إلاّ علاقة بعيدة، وتعاليمها تختلف عن تعاليمه. وقد يكون إنجيل برنابا، بنظرهم، أقرب شيء إلى إنجيل عيسى.

إنْجِيل بَرْنَابَا : ١ . قصّة إنجيل برنابا هي التالية: كان أوّل من اكتشف مخطوط إنجيل برنابا في اللّغة الإيطاليّة ألكُونْت "غرامير" J.Gramer أحد مستشاري ملك بروسيا. ثم أقرضه لصديقه "جون تولاند، John Toland الذي أهداه، بعد أربع سنوات، إلى الأمير "أوجين دو سَافْوَا غارينيان Le Prince Eugène de Savoie-Garignan النمساوي الذي كان يعشق الأدب والفنّ عُشْقَه للسياسة والفروسيّة.

سنة ١٧٣٨ انتقل المخطوط مع مكتبة "الأمير أوجين" إلى مكتبة البلاط الملكي في "فيينّا" حيث لا يزال إلى اليوم. وقد ظلّ طيَّ الكتمان في "فيينّا" حتى ظهرت له، في أوكسفورد، أوّل ترجمة بالإنكليزيّة، سنة ١٩٠٧. وبعد سنة فقط، نَقَلَ النّصَّ الإنكليزي إلى العربيّة، في القاهرة، الدكتورُ خليل سعاده، على رغبة محمّد رشيد رضا، منشئ مجلّة "المنار" المصريّة.. ثمّ أعيدت الطبعة العربيّة في القاهرة أيضاً سنة ١٩٥٤، و١٩٥٨. وراج الكتاب، وطُبع في بلدان عربيّة كثيرة، أخصّها في بيروت، بسبب ما أثير حوله من ضجّة وتساؤلات.

---

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٥١٨؛ رَ مادّة: الانتقام، د. أبو اليزيد العجمي، في الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ٢٣١.

(١) رَ : ٣/ ٣و٤٨و٦٥؛ ٥/ ٤٦ و٤٧ و٦٦ و٦٨ و١١٠؛ ٧/ ١٥٧؛ ٩/ ١١١؛ ٤٨/ ٢٩؛ ٥٧/ ٢٧.

٢ . يدور موضوع "إنجيل برنابا" الأساسي على أنّ عيسى ليس إلاّ نبيّاً. جاء يعدّ الطريق لظهور المسيح الحقيقي الذي هو محمّد نبيٍّ المسلمين.

٣ . إنّ "إنجيل برنابا"، بالرغم من أنّه حامل إسم برنابا، المحكي عنه في سفر أعمال الرسل، والذي انفصل عن القديس بولس (رسل ١٥/ ٣٩)، هو إنجيل حديث العهد. مؤلّفه يجهل جغرافية فلسطين وتاريخها. وعلى ذلك أدلّة:

٤ . لا ذكر لهذا الإنجيل، المعتبر "الإنجيل الصحيح"، أو "الإنجيل الحقيقي"، أو أيضا "إنجيل عيسى"، لا في القرآن، ولا قبله، ولا بعده. لا في كتب التفاسير القرآنية، ولا في السِيَر، أو الأحاديث النبويّة، ولا في كتب التاريخ الأسلامي والعربي، ولا في القصص أو الأخبار، ولا في الدواوين الشعريّة، ولا المطّولات الأدبيّة... وذلك إلى حين اكتشافه. ولو كان موجوداً من قبل لما تأخّر مرجعٌ إسلامي عن ذكره، لأنّه يحسم الخلافَ بين ما جاء به القرآن وما في الأناجيل المسيحيّة المتداولة آنذاك، والتي "حرّفها" النّصارى، على ما يقول القرآن.

٥ . ثمّ إنّ موضوعات كثيرة يتكلّم عليها "إنجيل برنابا" هي من عصور ما بعد الإسلام، كأن يقول بأنّ اليهودَ كانوا يسمّون يسوع "نبيّ النّاصريّين" (٢١٧/ ٢)؛ وهو تعبير إسلامي محض. وكأنْ يقول بأنّ اليوبيل هو مائة سنة، فيما كان اليوبيل، حتّى سنة ١٣٠٠، خمسين سنة فقط (٩٧). وكأنْ يتكلّم على الخطايا الرئيسيّة السبع، فيما هي تعود إلى القرن الخامس عشر فقط (١٣٥). وإنّ كلّ مرتكبٍ لإحداها له في جهنّم منزلة معيّنة. وهذه أيضا من القرون الوسطى.

٦ . ويتكلّم "الإنجيل الصحيح لعيسى المسمّى المسيح" –وهو إسمه بالضبط– على مباحث فلسفيّة إرسطيّة كانت شائعة في القرون الوسطى، مثل كلامه على مقولات الجسد والنفس والحسّ، وتقسيم النفس إلى نباتيّة وحسيّة وعقليّة، والوحدة بينها (١٠٦ و١٢٣). وكأنْ يتكلّم على الجدل بين الحرّيّة والجبريّة، وعلى الخطيئة الأصليّة (١٠٣/ ١٦–٢١). وهي من مآثر القرون المسيحيّة المتأخرة.

٧ . ولنا أيضاً على تاريخ المخطوط الإيطالي الوحيد في العالم، حتّى الآن، وقد يكون هو الأصلي، أدلّة من نوع الحبر، ونوع الخطّ، اللّذين لم يُعرفا قبل النصف الثاني من القرن السادس عشر. يؤيّد ذلك إسلوبه الإنشائي. فلغته لغة أهل توسكانا. مع تعابير من لغة البندقيّة. وهو أسلوب شاع بعد الشاعر الملحمي الكبير دانتي.

٨ . وهناك أيضاً أخطاء جغرافيّة فاضحة بالنسبة إلى جغرافية فلسطين. ممّا يدلّ على جهل مؤلّف "إنجيل برنابا" بها. كأنْ يضع النّاصرة على شاطئ بحيرة طبريّا (٢٠/١-٩)، ويقول بأنّ بحراً بين كفرناحوم والنّاصرة (١٤٧-١٥١)، وبأنّ نينوى على شطّ البحر المتوسّط (٦٣/٥-٨). ويصف كفرناحوم بأنّها مدينة مبنيّة على جبل (فصل ٢١)، ويقول إنّ مدينة صور تقع على ضفاف الأردنّ، ويجعل أورشليم مرفأ.. إلخ.

٩ . وهناك أخطاء تاريخيّة جسيمة، كأنْ يقول بأنّ عيسى وُلد في زمن بيلاطوس البنطي، فيما بيلاطوس هذا كان والياً بين ٢٦ و٣٦. ويقول بأنّ حنّان وقَيافا كانا رئيسَي الكهنة عند مولد عيسى، فيما الواقع أنّ حنّان كان بين ٦ و١٥، وقيافا بين ١٨ و٣٦ (فصل ٣). ثمّ يعتبر عدد الفرّيسيّين، أيّام عيسى، مائة ألف؛ فيما هو لم يتجاوز الستّة آلاف. ويقول بأنّهم كانوا رهباناً متوّحدين، فيما هم كانوا متزوّجين يعيشون حياةً عاديّة. ويقول بأنّهم كانوا في أيّام إيليّا النّبيّ، أي منذ القرن التاسع قبل الميلاد، فيما هم لم يُعرفوا إلاّ في القرن الثاني ق.م.

١٠ . فاستناداً إلى هذا الجهل الكبير، راح الباحثون يتلمّسون هوّيّة مؤلّف "إنجيل برنابا" . فبعضهم قال بأنّه أندلسيّ مسلم أرغم على اعتناق المسيحيّة بعد سقوط غرناطة في أيدي المسيحيّين الأسبان، سنة ١٤٩١م، فأراد الثأرَ لنفسه وللإسلام، فوضع هذا الكتاب. يستندُ أصحابُ هذا الرأي إلى ما في الكتاب من دفاع عن الإسلام والقرآن، بالاستشهاد بآيات من التوراة والإنجيل تتنبّأ عن مجيء النبيّ محمّد.

١١ . وبعضُ الباحثين من قال بأنّ المؤلف يهوديّ، سعى إلى ضرب الديانتين بعضهما ببعض، منتقماً بذلك ممّا نزل باليهود من ذلّ وقهر. يستندُ أصحاب هذا الرأي إلى ما في الكتاب من إلمام واسع بالعهد القديم، ومن تشديد على أهمّيّة الختان، واصفاً الذين لا يمارسونه "بأنّهم دون الكلاب" (فصل ٢٢)، ومن معرفة بالتقاليد اليهوديّة، ودفاع عن التوراة.

١٢ . ومن الباحثين أخيراً من قال بأنّ المؤلّف هو راهب إيطالي يُدعى "مارينو"، اعتنق الإسلامَ، وحاول تبرير فعلتِه بما يظنّهُ توفيقاً بين المسيحيّة والإسلام واليهوديّة، وبما يظنّه أيضاً يضع حدّاً للصراع الديني المتفاقم في أوروبا بين الأديان المذكورة، على أثر إخراج المسلمين من الأندلس. يستندُ أصحابُ هذا الرأي إلى ما جاء في الترجمة الإسبانيّة، التي قام بها مسلمٌ أندلسي، يدعى "مصطفى العرندي"، الذي يذكر اسمَ "مارينو"، حيث قال: "إنّ الأخ مارينو عثر على رسائل لإيريناوس، وفي عدادها رسالة يندّد فيها بالقديس بولس. وإنّ إيريناوس أسند تنديده إلى إنجيل القديس برنابا.. فلمّا خلا مارينو بنفسه، طالعه بشوق عظيم، فاعتنق على أثر ذلك الدين الإسلامي".

١٣ . نختصر. "إنجيل برنابا" وضع في اللّغة الإيطاليّة في النّصف الثاني من القرن السادس عشر، على يد راهب اعتنق الإسلام. واسم الراهب مارينو. ترجمه إلى الإسبانيّة صديقٌ له إسمه مصطفى العرندي. ونقلَه، أوّل من نقله إلى العربيّة، الدكتور خليل سعادة. هذا الإنجيل لا يمتُّ، لا إلى الإسلام ولا إلى المسيحيّة، بصلة.

الإنْجِيل العَبْرَاني : ورد ذكره في المصادر الإسلاميّة، وكان، بنوع خاصّ بين يدَي ورَقة بن نوفل، إبن عمّ السيّدة خديجة (أطلب مادّة: **وَرَقَة بن نوفل**).

الأَنْدَلُس : هو الاسم الذي يطلق على ما كان بأيدي المسلمين من شبه جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتغال اليوم)، الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من القارّة الأوروبّيّة. واسم الأندلس تعريب للفظ الوندال Vandalos إحدى القبائل القوطيّة التي حكمت البلاد منذ أوائل القرن الخامس الميلادي. وقد فتح المسلمون

هذه البلاد بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير سنة ٩٢هـ/ ٧١١م في عهد الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك.

وينقسم تاريخ الأندلس إلى سبعة مراحل :

١. فترة الولاة التابعين للخلافة الأمويّة (٩٢-١٣٨هـ/ ٧١١-٧٥٦م).
٢. فترة الإمارة المستقلّة (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٩م).
٣. عصر الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٩-١٠٣١م).
٤. فترة ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/ ١٠٣١-١٠٩١م).
٥. دولة المرابطين (٤٨٤-٥٤١هـ/ ١٠٩١-١١٤٧م).
٦. دولة الموحّدين (٥٤١-٦٤٥هـ/ ١١٤٦-١٢٤٧م).
٧. دولة بني الأحمر (٦٤٥-٨٩٧هـ/ ١٢٤٧-١٤٩٢م).

وانتهى الأمر بطرد مئات الآلاف من مسلمي الأندلس إلى خارج إسبانيا بين ١٠١٨-١٠٢٣هـ/ ١٦٠٩-١٦١٤م[١].

الأندَلُسِيّ (أبو حيّان) (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) : نحويّ، لغويّ، مفسّر، محدِّث، مؤرّخ، أديب. سلفيّ. مال إلى مذهب أهل الظاهر، وإلى محبّة الإمام عليّ، كما كان كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن. أخذ عن محدّثين كثر. قال: «وعدّة مَن أخذتُ عنهم أربعمائة وخمسون شخصاً». قال فيه الصفدي: «لم أرَه قط إلاّ يسمع، أو يشتغل، أو يكتب، أو ينظر في كتاب. ولم أره على غير ذلك».

عرف بتفسيره العلمي الكبير والقيّم «البحر المحيط»، الذي يقع في ٨ مجلّدات كبار، مطبوع ومتداول بين أهل العلم. عني في تفسيره بالمأثور، واللّغة، والقراءات، والإعراب، ومعاني المفردات، وأسباب النزول، والنسخ وارتباط الآية بما قبلها. وقد أكثر من مسائل النحو، مع توسّعه في مسائل الخلاف بين النحويّين، حتى أصبح الكتاب أقربَ ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير.

---

(١) رَ مادّة: الأندلس، د. محمود علي مكّي، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٢٣٢-٢٣٣.

أَنَس بن مَالِك (ت ٩٣هـ/ ٧١١م) :أحد كبار المحدِّثين. قدّمته أمّه لخدمة النبيّ بعد الهجرة، وكان في العاشرة من عمره. حضر غزوة بدر، ولكنّه لم يشترك فيها. ولذلك فهو لا يعدّ من المجاهدين. وظلّ يخدم النبي إلى أن قبض. واشترك بعد ذلك في الفتوح، كما كان له ضلع في الفتن. وتوفّي في البصرة، بعد أن عمّر طويلاً. كان ثالث الصحابة المكثرين في روايتهم الحديث عن رسول اللّه، بعد أبي هُريرة وعبداللّه بن عمر، فقد روى ٢,٢٨٦ حديثاً.

الإنْسَان : ١ . تعريف : روى ابن عبّاس أنّه قال: إنّما سمّي الإنسان إنساناً، لأنّه عُهِدَ إليه فنسي، وذلك إشارة إلى قوله: «وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لهُ عَزماً» (٢٠/ ١١٥). وقد ورد لفظ «إنسان» في القرآن ٩٠ مرّة. ويراد به آدم، كقوله: «خَلَقَ الإنسانَ من صلْصالٍ كالفَخَّارِ» (٥٥/ ١٤)؛ كما يراد به سلالة آدم، كقوله: «ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ ونَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بهِ نَفْسُهُ» (٥٠/ ١٦). ويعتبر القرآنُ، في آيات كثيرة، الإنسانَ خليفةَ اللّه على الأرض[1]. ويعلي منزلته بين الكائنات جميعها، ويفضلّه على ما عداه من مخلوقات. فاللّه يأمر الملائكة بالسجود لآدم، سجود تحيّة وتعظيم. يقول: «وَلَقَد كرَّمْنا بني آدمَ، وحملْناهمْ في البَرِّ والبحرِ، ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، وفَضَّلْناهم على كثيرٍ ممَّن خَلَقْنا تفضيلاً» (١٧/ ٧٠).. ولم يخلق اللّهُ الإنسان هملاً ولا عبثاً: «أَفَحَسِبْتُمْ أنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً» (٢٣/ ١١٥). والهدف الأعظم هو عبادة اللّه، لقوله: «ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ» (٥١/ ٥٦).

٢ . **حرّيّة الإنسان** : يصرّح القرآن بها في قوله: «لا إكْرَاهَ في الدِّينِ» (٢/ ٢٥٦). ولكن، إذا اعتنق إنسانٌ الإسلامَ، واختاره عقيدةً، فليس له، بعد ذلك، أن يعدل عنه إلى غيره، وإلاّ اعتُبر مرتدًا. فإذا ارتدّ الإنسانُ في ديار المسلمين بعد أن أسلم مختاراً، فإنّ الفقه الإسلامي يرى مجازاته بالقَتْل باعتبار ذلك الارتداد قادحاً في النظام العام، ومهدِّداً لكيان المجتمع بما يُعرف في التشريعات الحديثة باسم

---

(١) رَ: ٢/ ٣٠-٣٤؛ ٦/ ٦٥؛ ٧/ ٦٩ و٧٤؛ ١٠/ ١٤؛ ٢٧/ ٦٢؛ ٣٥/ ٣٩؛ ٣٨/ ٢٦.

الخيانة العظمى، أو العمل على هدم الكيان الاجتماعي. هذه الحرّيّة هي التي تحدّد مسؤوليّته عمّا يفعل أو يترك. وهذا ما يقوله القرآن: «كلُّ امرئٍ بما كَسَبَ رَهينٌ» (٥٢/٢١).

٣ . **العدل والمساواة بين الذكر والأنثى**: إنّ القرآن يساوي بين المرأة والرجل، ويعدل بينهما، في هذه الدنيا وفي الآخرة: يعد اللّه المؤمنين والمؤمنات بجنّات تجري من تحتها الأنهار، دون تفرقة (٩/٧٢)؛ ولا تفاضل بينهما إلاّ بميزان التقوى (٤٩/١٣). ومن حيث المسؤوليّة الجنائيّة هما متساويان: «السارقُ والسارقة فاقطعوا أيديَهُما جزاءً بما كسبا نَكالاً من اللّه» (٥/٣٨)؛ و«الزانيةُ والزاني فاجْلِدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدة. ولا تأخُذْكُم بهما رأفةٌ في دين اللّه» (٢٤/٢).

٤ . **نهاية الإنسان**: نهاية الإنسان في الدنيا هي **الموت**، الذي وصفه القرآن بـ «المصيبة» في قوله: «فَأَصابَتْكُمْ مُصيبَةُ المَوتِ» (٥/١٠٦). والمنهمك في شهوات الدنيا، يغفل عن ذكره. وإنْ ذُكِّرَ به كرهَه ونفرَ منه، أولئك هم الذين قال اللّهُ فيهم: «قلْ إنَّ الموتَ الذي تَفِرّونَ منهُ فإنَّهُ مُلاقيكُمْ. ثمَّ تُرَدُّونَ إلى عالَمِ الغيبِ والشَّهادة فيُنَبِّئُكُم بما كُنتُم تَعمَلُونَ» (٦٢/٨)..

أمّا حقيقة نهاية الإنسان فهي انتقال من دار الدنيا هذه إلى دار البرزخ، تمهيداً للوصول إلى الدار الآخرة؛ إنتقال من دار الفناء إلى دار البقاء؛ إنتقال من دار التكليف والعمل الدنيوي إلى دار الثواب والعقاب الأخروي: «فمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ، ومَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَهُ» (٩٩/٧-٨).. والناس في الحياة الأبديّة إمّا شقيٌّ أو سعيد (رَ: ١١/١٠٧-١٠٨)[٢].

الأَنْصاب: جمع نصب. وهي الأصنام، أو كلّ ما عُبِد من دون اللّه. وهي حجارة كانت حول الكعبة تُنصب فيهلّ ويذبح عليها لغير اللّه. أو هي أحجار

---

(٢) رَ: أ.د.عبد الحيّ الفرماوي، الإنسان في القرآن الكريم، في «الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة»، ص ٧٧٠-٨٠٧.

منصوبة كانوا يعبدونها ويقرّبون الذبائح عليها.. والنصب كالوثن هو إسم يقع على ما ليس مصوّراً ولا منقوشاً. والذبح على النصب كان عادة جاهليّة. وقد حرّمها القرآن: «حرّمتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير اللّه به، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبُع إلاّ ما ذكّيتم، وما ذُبح على النصب» (٥/٣). والأنصاب، كالخمر والميسر والأزلام «رجسٌ من عمل الشيطان» (٥/٩٠).

الأنصَار : لقبُ الذين آمنوا بالنّبيّ من أهل المدينة، وآووه، وأيّدوه بعد هجرته من مكّة... لقد نجح محمّد في تحبيب الإسلام إلى فريق من رجال المدينة الذين كانوا يتوجّهون إلى مكّة حاجّين، أو متاجرين.. وآزروه في نشر دعوته، وكان غالب أتباعه في أوّل الأمر من قبيلة الخزرج بالمدينة.

لقد جاهد محمّد، من أوّل الأمر، في أن يصل ما بين المهاجرين والأنصار قدر طاقته، وذلك بمؤاخاته بين أفرادهما. وقد جمع القرآنُ بينهما بقوله: «والسابِقونَ الأوَّلونَ مِن المُهاجرينَ والأنْصار والذينَ اتَّبَعوهم بإحسانٍ، رضيَ اللّهُ عنهم ورَضُوا عنه» (٩/١٠٠)، وبقوله أيضاً: «لقد تاب اللّهُ على النّبيّ والمُهاجرين والأنصارِ الذينَ اتَّبَعوه في ساعةِ العُسْرَةِ» (٩/١١٧). وكذلك قال في لأنفال: «إنّ الذينَ آمنوا وهاجروا وجاهَدوا بأموالِهم وأنفسِهم في سبيلِ اللّهِ والذينَ آوَوا وَنَصَروا أولئك بعضُهُم أولياءُ بعضٍ.. والذينَ آمنوا وهاجروا وجاهَدوا في سبيلِ اللّهِ والذينَ آوَوا وَنَصَروا أولئك همُ المؤمنون» (٨/٧٢-٧٤).

غير أنّ هذين الفريقين ظلاّ منفصلَين إنفصالاً واضحاً؛ وأخصّ صحابة النبيّ كانوا دائماً من المهاجرين. والأنصار لم يُسهموا في الحروب التي شنّت في سبيل الدعوة إلاّ كارهين؛ بل لم يشترك واحد منهم قط في الحروب الأولى التي وجّهت إلى مكّة. وكانت قلّة حماسهم في المبادرة إلى الجهاد كثيراً ما تقلق بال النبيّ؛ فكان يلومهم بقوله: «أوَ لا ترضون أن يرجع الناسُ بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعوا برسول اللّه إلى بيوتكم. لو سَلَكَتِ الأنصارُ وادياً أو شعباً لَسلَكْتُ وادي الأنصارِ أو شعبهم» (صحيح البخاري).

الأنْطَاكِيّ (يحيى بن سعيد بن البطريق) (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) : مؤلّف عربي أكمل تاريخ يوتيخيوس، من عام ٣٢٦ حتّى٤١٧هـ/٩٣٨-١٠٢٦م) في أنطاكية بعد ذهابه إليها عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م. خشية نقمة الحاكم بأمر الله وقتْله. وكان قد وُلد بمصر وأمضى فيها الأربعين الأولى من حياته.

الأنْعَام : إسم السورة ٦ من القرآن. آياتها: ١٦٥. والأنعام : جمع نعم، وهي ذوات الخفّ والظلف، وهي: الإبل، والبقر، والغنم. وأكثر ما يقع على الإبل.. سمّيت نعماً لكثرة نعم الله فيها على خلقه بالنموّ، والولادة، واللبن، والصوف، والوبر، والشعر، وعموم الانتفاع.

الأنْفَال : سورة **٨** من القرآن. آياتها: **٧٥**. من النَفَل: الغنيمة، أو النَفْل: الزيادة. والنافلة في العبادة: التطوّع، ومنه قوله: «ومِنَ اللّيلِ فتَهَجَّد بهِ نافِلَةً لكَ» (١٧/ ٧٩). والنافلة في الذرّيّة: ولد الولد. وفي ذلك قوله: «ووَهَبْنا له (لإبراهيم) إسحاقَ (ولداً) ويعقوبَ نافِلةً (أي ولد الولد)» (٢١/ ٧٢). والنافلة في الغنائم: ما يُعطى لبعض المقاتلين زيادة على نصيبه بعد قسمها على مستحقّيها. وفي القرآن: «يسألونَكَ عَنِ الأنْفَال» (٢/ ١٨٩)، سألوا عنها لأنّها كانت حراماً على مَن كان قبلهم، فأحلّها اللّهُ لهم. والأنفال تُطلق على أموال الحربيّين التي آلت إلى المسلمين، بقتالٍ أو غير قتال، ويدخل فيها الغنيمة (أي ما أخذ من أموال الكفّار بقتال) والفيء (أي ما أخذ بغير قتالّ

الأُنُوثَة : خلاف الذكورة. جاء في القرآن: «يا أيُّها الناسُ! إنَّا خَلَقْناكم مِن ذَكَرٍ وأُنْثَى» (٤٩/ ١٣). هذا، ويذكر الفقهاء للأنوثة علامات وأمارات تميّزها عن الذكورة فضلاً عن أعضاء الأنوثة. وتلك الأمارات إمّا حسّيّة كالحيض، وإمّا معنويّة كالطباع..

يتمثّل تكريم الإسلام للأنثى في أنّه يتلقّى ولادة البنات بالرضى والحمد. قال صالح ابن الإمام أحمد: كان أحمد، إذا وُلد له ابنة، يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات.. ومن السنّة تسمية المولود باسم حسن.. وكما كان النبيّ يغيّر أسماء الذكور من القبيح إلى الحسن، هكذا كان يفعل بأسماء البنات. وللأنثى نصيب في الميراث،

فيما لم يكن لها ذلك في الجاهليّة. قال: «للرجال نصيبٌ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربون ممّا قلّ منه أو كَثُر نصيباً مفروضاً» (٤/٧).. وكذلك يعتني الإسلام بالأنثى فيرعاها وهي طفلة.. ويكرمها حين تكون زوجة (٤/١٩)

أَهْلُ الأَمَان : (المستأمنون): مَن دخل دار الإسلام على أمان موقّت من قِبل الإمام، أو أحد المسلمين؛ أو المسلم إذا دخل دار الكفر بأمان. وعلى ذلك فالفرق بينه وبين أهل الذمّة: أنّ الأمان لأهل الذمّة مؤبّد، وللمستأمنين موقّت.

أَهْلُ البَغْيِ : أو البُغاة، هم فرقة خرجت على إمام المسلمين لمنع حقٍّ، أو لخلعه (أطلب مادّة : **البغاة**).

أَهْلُ البَيْت : هم أهل بيت النبيّ وذرّيّته. يستند الشيعة إلى سورة الأحزاب (٣٣/٣٣) للقول بأنّ أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من بعدهم. أمّا عند السنّة فكلّ أزواج النبيّ وأبنائه، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العبّاس، وكلّ مَن يعود بالنسب إلى هاشم. والمتعارف عليه أنّ «أهل البيت» أعمّ من «آل البيت». فهذا للشيعة، وذاك للسنّة والشيعة معاً. وأهل بيت النبيّ يجب حبّهم. أخرج ابن سعيد : قال رسول اللّه: «استوصوا بأهل بيتي خيراً. فإنّي أخاصمكم عنهم غداً. ومَن أكن خصمَه خصمُه اللّه». ويُحرَّم بغضُهم: قال رسول اللّه: «ما بال قوم يؤذونني في نسبي وذوي رحمي! ومَن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني. ومَن آذاني فقد آذى اللّه» (أخرجه الطبراني والبيهقي وغيرهما).

أَهْلُ الحَرْب : أو الحربيّون: هم الكفّار من أهل الكتاب والمشركين الذين امتنعوا عن قبول دعوة الإسلام، ولم يُعقد لهم عقد ذمّة ولا أمان ولا عهد، ويقطنون في دار الحرب التي لا تُطبّق فيهم أحكام الإسلام. فهم أعداء المسلمين الذين يُعلن عليهم الجهاد مرّة أو مرّتَين كلّ عام.

ولا خلاف في محاربة الحربيّ إذا حارب المسلمين أو أعان أهلَ الحرب. وللإمام أن يبتدئه بالحرب. قال تعالى: «وإنْ نَكَثوا أيمانَهم مِن بعدِ عهدِهم، وطَعَنوا في دِينِكم، فقاتِلوا أئمّةَ الكفرِ. إنّهم لا أيمانَ لهم. لعلّهم ينتهون» (٩/١٢).

أهْلُ الذِّمّة : ١ . الذمّة في اللغة: الأمان والعهد. فأهل الذمّة أهل العهد. والذمّي: هو المعاهد. والمراد بأهل الذمّة في اصطلاح الفقهاء: الذمّيّون، أي: اليهود والنصارى والمجوس الذين تربطهم بالمسلمين روابط شرعيّة حسب الشريعة الإسلاميّة. والكلمة، بهذا المعنى الشرعي، لا وجود لها، في القرآن؛ إنّما توجد معطوفة على «إلاّ» مرّتَين (٩/٨ و١٠).

٢ . يصير غيرُ المسلم ذميًا بالعقد، أو بقرائن معيّنة تدلّ على رضاه بالذمّة، أو بالتبعيّة لغيره، أو بالغلبة والفتح.

٣ . عقد الذمّة يعني: إقرارَ بعضِ الكفّار على كفره، بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الإسلام الدنيويّة. والغرض منه: أن يترك الذمّيُّ القتال، مع احتمال دخوله الإسلام عن طريق مخالطته بالمسلمين، ووقوفه على محاسن الدين. فكان عقد الذمّة للدعوة إلى الإسلام، أكثر من الطمع في الجزية.. واتّفق الفقهاء على جواز عقد الذمّة لأهل الكتاب والمجوس، كما اتّفقوا على عدم جوازه للمرتدّ.

٤ . على كلّ ذمّيّ بالغ، ذكر، حرّ، عاقل، أن يؤدّي **الجزية** التي تُحدّد في العهد. أمّا أملاكه فتوقف على المسلمين، ويباح له استغلالها. وهو ملزم، في الحالين، بأن يؤدّي عنها وعن غلّتها **الخراج**.. ويسقط الخراج عنه إذا أصبح مسلماً. وتُفرض على الذمّي إلتزامات أخرى لتموين الجيوش الإسلاميّة. ويجب عليه أن يلبس لباساً خاصًا يميّزه عن المسلمين؛ وألاّ يمتطي الخيل، أو يَحمل السلاح؛ وأن يُظهر الاحترام الواجب للمسلمين بصفة عامّة. وثمّة بعض قيود تُفرض عليه شرعاً في ما يختصّ بالشهادة في المحاكم، والحماية في القانون الجنائي، وفي الزواج..

٥ . شروط عقد الذمّة: أن يكون مؤبّداً، كعقد الإسلام. ويشترط فيه قبول والتزام أحكام الإسلام في غير العبادات، وما يعتقدون تحريمه، كالزنى والسرقة، وإعطاء الجزية كلّ عام. ويشترط الماوردي، وهو من الشافعيّة، ستّة أشياء أخر: ١- ألاّ يذكروا كتابَ الله بطعنٍ ولا تحريف له؛ ٢- وألاّ يذكروا رسول الله بتكذيبٍ له ولا ازدراء؛ ٣- وألاّ يذكروا دينَ الإسلام بذمٍّ له ولا قدح فيه؛ ٤- وألاّ

يُصيبوا مسلمةً بزنى ولا باسم نكاح؛ ٥- وألاّ يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرّضوا لماله؛ ٦- وألاّ يُعينوا أهلَ الحرب ولا يؤوا للحربيّين عَيناً (جاسوساً). وزاد بعضهم شروطاً أخرى: كاستضافة المسلمين، وعدم إظهار منْكرٍ في دار الإسلام وغيرها. ومنها ما زاده عمر في **الشروط العمريّة** (أطلب هذه المادّة).

٦ . والذمّيُّ لا يستحقُّ المواطنةَ الكاملة، لأنّه لا يعترف بمحمّد رسولاً؛ ولا بالإسلام ديناً. ولذلك، فهو ناقص الإيمان، لا يستحقّ أن يكون عضواً خالصاً في الأخوّة الإسلاميّة، ولا منتسباً إنتساباً حقيقيًا إلى الأمّة الإسلاميّة، ولا استيطان مكّة والمدينة.

«أشير على الخليفة بمنع الذمّيين من العمل في الزراعة -وهي سياسة أقرّها الخليفة عمر- لأنّهم، إذا ما اتّخذوا الزراعة مهنةً استقرّوا. وإذا ما استقرّوا تعلّقوا بأرضهم ، ممّا يجعل تعبئتهم للقتال في الميدان أمراً تحيط به الصعاب».

٧ . حقوق أهل الذمّة : القاعدة العامّة: أنّ لهم ما لنا وعليهم ما علينا. فقد روي عن علي أنّه قال: «إنّما قبلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا». لكن هذه القاعدة غير مطلقة، فالذمّيّون ليسوا كالمسلمين في جميع الحقوق والواجبات، ذلك بسبب كفرهم وعدم التزامهم أحكام الإسلام. لهذا فهم يتمتّعون بالحقوق التالية : ١- حماية الدولة لهم؛ ٢- حقّ الإقامة والتنقّل في ما عدا «أرض العرب» لقول النبيّ: «لا يجتمع في أرض العرب دينان»، وقوله: «لئن عشتُ -إن شاء الله- لأخرجنَّ اليهودَ والنصارى من جزيرة العرب». ويحقّ لهم التنقل فيما عدا مكّة والمدينة؛ ٣- عدم التعرّض لهم في عقيدتهم وعبادتهم. فعقد الذمّة إقرار الكفّار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملّة.

٨ . الأصل في أهل الذمّة تركهم وما يدينون، فيُقَرُّون على ما يعتبرونه من أمور دينهم، كضرب الناقوس خفيفاً في داخل معابدهم، وقراءة التوراة والإنجيل فيما بينهم. ولا يُمنعون من ارتكاب المعاصي التي يعتقدون بجوازها، كشرب الخمر، واتّخاذ الخنازير وبيعها، أو الأكل والشرب في نهار رمضان، وغير

ذلك فيما بينهم. ويُشترط في جميع هذا ألاّ يُظهروها ولا يجهروا بها بين المسلمين، وإلاّ مُنعوا وعُزروا.

٩. أحكام أهل الذمّة، منها:

١ - لا تجوز المعاملة بالخمر والخنزير بين المسلمين إطلاقاً؛

٢ - لا يجوز استئجار المسلم لخدمة الذمّيّ الشخصيّة؛

٣ - لا يصحّ أن يوكلَ مسلمٌ كافراً في عقد النكاح له من مسلمة؛

٤ - لا يجوز تمكين الذمّي من شراء المصحف أو دفتر فيه أحاديث، لأنّ ذلك قد يؤدّي إلى ابتذاله؛

٥ - لا تُقبل شهادة أهل الذمّة على المسلمين، لأنّ الشهادة فيها معنى الولاية، لا ولاية للكافر على المسلم؛

٦ - لا يجوز زواج المسلمة من غير المسلم، ولو كان ذمّيًا أو كتابيًا، وذلك لقوله: «ولا تُنْكِحوا المشركينَ حتّى يُؤْمِنوا» (٢/ ٢٢١)، ولقوله: «فلا تَرْجِعوهنَّ (أي المؤمنات) إلى الكفّار. لا هُنَّ حِلٌّ لهم ولا هم يَحِلُّونَ لهنّ» (٦٠/ ١٠)؛

٧ - ولا يجوز زواج مسلم من ذمّيّة غير كتابيّة، لقوله: «ولا تَنْكِحوا المشركات حتّى يُؤْمِنَّ» (٢/ ٢٢١). ويجوز للمسلم أن يتزوّج ذمّيّةً إذا كانت كتابيّة، أي يهوديّة ونصرانيّة، لقوله: «اليوم أُحِلَّ لكم الطَّيِّباتُ.. إلى قوله: والمُحْصناتُ من الذين أُوتوا الكتابَ من قَبْلِكم» (٥/ ٥)؛

٨ - صرّح أبو حنيفة ومالك بأنّ الزاني من أهل الذمّة، إذا كان متزوِّجاً، لا يُرجم، لاشتراط الإسلام في تطبيق الرجم عندهما. وكذلك المسلم المتزوّج بالكتابيّة لا يُرجم عند أبي حنيفة، لأنّه يُشترط في الإحصان الإسلامُ والزواجُ من مسلمة، مستدلاً بما قال النبيّ لحُذَيفة حين أراد أن يتزوّج يهوديّة: «دعْها فإنّها لا تحصنك»[٣]؛

---

(٣)أخرجه الدارقطني عن كعب بن مالك، ٣/ ١٤٨، نشر دار المحاسن، ١٣٨٦هـ.

٩ - لا حدّ على مَن قذف أحداً من أهل الذمّة، بل يُعزر، سواء أكان القاذف مسلماً أم من أهل الذمّة، لأنّه يُشترط في القذف أن يكون المقذوف مسلماً. وهذا باتّفاق الفقهاء؛

١٠ - إذا قتلَ مسلمٌ ذمّيًا، أو ذمّيّةً، عمداً، فقد قال الشافعيّة والحنابلة: لا قصاص على المسلم، لقول النبيّ: «لا يُقتل مسلمٌ بكافر»[٤].. وعند الحنفيّة والمالكيّة يُقتصّ من المسلم للذمّيّ؛

١١ - لا تجب الكفّارة على الذمّي عند الحنفيّة والمالكيّة، لما فيها من معنى القربة (للّه)، والكافر ليس من أهلها. وتجب عند الشافعيّة والحنابلة، لأنّها حقٌّ ماليّ يستوي فيه المسلم والذمّيّ، لا إن كانت صياماً؛

١٢ - لا يُقتصّ، عند الشافعيّة والحنابلة، من المسلم للذمّيّ في جرائم الاعتداء فيما دون النفس، من الجرح وقطع الأعضاء، إذا وقعتْ بين المسلمين وأهل الذمّة، ويُقتصّ من الذمّيّ للمسلم. ومنع المالكيّة القصاص فيما دون النفس بين المسلمين وبين أهل الذمّة مطلقاً، بحجّة عدم المماثلة.

١٣ - إذا حكم القاضي المسلم بين غير المسلمين لا يحكم إلاّ بالشريعة الإسلاميّة، لقوله: «وإن احْكُمْ بينهم بما أنزل اللّهُ. ولا تَتَّبِعْ أهواءهم. واحذَرْهم أن يَفْتِنُوكَ عن بعض ما أنزَلَ اللّهُ إليك» (٥/ ٤٩).

١٠ . ينتهي عهد الذمّة بإسلام الذمّيّ، لأنّ عقد الذمّة عقد وسيلة للإسلام. وقد حصل المقصود. وينتقض أيضاً بلحوق الذمّيّين دارَ الحرب، أو بغلبتهم على موضعٍ يحاربون منه المسلمين. وينتقض عهد الذمّة أيضاً بالامتناع عن الجزية، لمخالفته مقتضى العقد.

أَهْلُ السُنَّة وَالجَمَاعَة : أطلق على مَن يتمسّك بالقرآن والسنّة .

أَهْلُ العَهْد : هم الذين صالحهم إمام المسلمين على إنهاء الحرب مدّةً معلومةً لمصلحةٍ يراها. والعهد هو الصلح الموقّت. ويسمّى الهدنة والمعاهدة.

---

(٤) أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب، فتح الباري ١/ ٢٠٤، حديث ١١١١، ط. السلفيّة.

أَهْلُ الكِتَاب : ١ . أهل الكتاب في القرآن إثنان: **يهود ونصارى**. واختلف المفسِّرون فيما إذا كان **الصَّابِئُونَ وَالمَجُوسُ** هم أيضاً من أهل الكتاب؛ باعتبار أنّ القرآن يذكرهم مع اليهود والنصارى، ثلاث مرّات، ويعترف بإيمانهم باللّه وباليوم الآخِر، ويقرّ بعملهم الصالح، ويبشّرهم بالجنّة[٥]. واليهود طائفتان، والنصارى أيضاً (أطلب مادّتَي : **اليهود** و **النصارى**).

٢ . فـ "أهلُ الكتاب" في القرآن، إذاً، تعبير مضطرب. لا يصحّ تطبيقه، اليومَ، على أحدٍ، لا على "اليهود"، ولا على "النّصارى"، ولا على "المسيحيّين". وإذا كان القرآن هو «الكتاب»، وهو، بالتالي، مرجع المسلمين كافّة، فالمسلمون، وحدهم، يكونون «أهل كتاب». وأمّا إطلاق هذا التعبير على المسيحيّين فهو غلط، ولا يقبلون به، إذ هو تعريف لا يعنيهم، ولا يدلّ على حقيقتهم، ولا يوضح إيمانَهم، ولا يعبّر عن معتقدهم.

٣ . ذاك لأنّ المسيحيّين ينتسبون إلى «المسيح»، لا إلى كتابٍ. وهم مسيحيّون لا «كتابيّون» ولا «إنجيليّون»، إذ هم يتبعون المسيح لا الإنجيل، ولا أيّ كتاب آخر، ولا أيضاً أيّ دين، أو مذهب، أو عقيدة، أو نبيّ، أو ملاك. وهم، بذلك، عكس المسلمين الذين يرفضون أن يُسمَّوا «محمَّديّين»، لأنّهم لا ينتسبون إلى محمّد، بل إلى القرآن.

٤ . عبّر النبيّ عن موقفه من أهل الكتاب بما روي عنه أنّه قال لأم خلاّد: «إنّ ابنَكِ له أجرُ شهيدَين. قالت: ولِمَ ذلك يا رسولَ اللّه؟ قال: لأنّه قتله أهلُ الكتاب»[٦].

٥ . لا ولاية لأهل الكتاب على المسلمين، إذ لا ولاية لكافر على مسلم، لا ولاية عامّة ولا خاصّة. فلايكون الكافر إماماً على المسلمين، ولا قاضياً عليهم، ولا شاهداً، ولا ولاية له في زواج مسلمة، ولا حضانة له لمسلم، ولا يكون وليّا عليه

---

(٥) رَ : سورة المائدة ٥/٦٩؛ سورة البقرة ٢/٦٢؛ سورة الحجّ ٢٢/١٧.

(٦) أخرجه أبو داود في الجهاد ٣/١٣، حديث ٢٤٨٨.

ولا وصيًا. والأصل في ذلك قوله تعالى: «لا تَتَّخِذوا عدُوِّي وعدوَّكم أولياءَ تُلْقُون إليهم بالمودَّة» (٦٠/١).

أَهْلُ الكسَاء : إسم يُطلق على آل بيت النبي: محمّد نفسه، وعلي وفاطمة زوجته، والحسن والحسين إبنَيهما.

أُوْبِنْهَايْم (ماكس فون) Oppenheim (ت ١٩٤٦) : مستشرق وأثريّ ألمانيّ. نقّب في تلّ حلَف. له وصف رحلته «من المتوسّط إلى خليج العجم»، و«البدو» عن تاريخ البدو وحضارتهم.

أُوْرَشَلِيْم (أطلب مادّة: **القدس**) : شهيرة بالهيكل الذي بناه سليمان الحكيم بعد ٩٧٥ ق.م. هدمه نبوخذنصر ٥٨٦ ق.م. وأُعيد بناؤه بعد الجلاء ٥٢٠ ق.م. جدّد بناءَه هيرودس. علّم فيه المسيح. خرّبه تيطس الروماني سنة ٧٠ ب.م.، فلم يبقَ منه إلاّ حائط المبكى.

الأوزَاعِي (عبد الرحمن) (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٤م) : فقيه، ولد في بعلبك. ثمّ انتقل بعد ذلك إلى دمشق، وبيروت، وعاش فيهما. مات في حمامه. ودفن في قبلة المسجد ببيروت، في المحلّة المعروفة باسمه. له كتابا «السُّنَن» و«المسائل».احتجّ على ظلم الولاة، لا سيّما بعد ثورة المنيطرة ٧٥٩. ترك مذهباً فقهيًا معروفاً باسمه.

الأوْس : قبيلة عربيّة من الأزد اليمنيّة، استوطنت المدينة. بينهم وبين الخزرج صلة نسب. موطنهم الأصلي بلاد اليمن. وبعد أن عاشوا مع الخزرج في سلام، تحوّلوا إلى أعداء متقاتلين، بعضهم مع بعض، ومع القبائل اليهوديّة المجاورة.

إِيَاد : قبيلة عربيّة كبيرة. تتفرّع منها ربيعة وأنمار ومضر. اعتنق كثيرٌ منهم النصرانيّة. ومنهم كان القسّ بن ساعدة، الذي كان النبيّ يتسمّع إلى خطبه الدينيّة في سوق عكاظ، وذكرَه مرّة، بعد أربعين سنة، لوفدٍ من إياد. لقد كانت إياد تسكن تهامة إلى حدود نجران. وفي منتصف القرن الثالث الميلادي هاجروا إلى شرق العراق، ومنها إلى الجزيرة. من مواطنهم: الأنبار، وأجزاء متفرّقة في جنوب

الحيرة، ومواطن متفرّقة في الشام، مثل أنطاكية وحمص وحلب وأنقره... ويُقال إنّ الإياديّين كانوا أوّل مَن أدخل الحروف العربيّة إلى الحيرة والأنبار..

وفي أوائل القرن الثالث أيضاً، اتّحدتْ إياد ومضر على إخراج قبيلة جرهم من مكّة؛ ولكن، ما لبثتا أن اختلفتا على امتلاك الكعبة والسيادة على مكّة. فقام بينهما نزاع، فهُزمت إياد وهاجرت إلى العراق. وكان أكبر موطن لها عين أباغ، حيث استوطنت.

أيّامُ التَّشْرِيْق : هي ثلاثة أيّام بعد يوم النحر. قيل: سمّيتْ بذلك لأنّ لحومَ الأضاحي تُشرق فيها، أي تُقدَّد في الشمس. روى جبير بن مطعم: قال رسول الله: كلُّ أيّام التشريق ذَبْحٌ»[٧]. وهي نفسها «الأيّام المعدودات» الواردة في قوله: «واذْكروا اللَّهَ في أيّامٍ مَعْدودات» (٢/٢٠٣)، و«الأيّام المعلومات» الواردة في قوله: «ويذكروا اسمَ اللَّهِ في أيّامٍ مَعْلومات» (٢٢/٢٨)، وهو رأي المالكيّة، و«أيّام النحر الثلاثة»، أي العاشر والحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجّة، بحسب الحنفيّة والمالكيّة والحنابلة. أمّا الشافعيّة فقالوا: إنّ أيّام النحر أربعة: يوم النحر وأيّام التشريق. وتسمّى أيضاً: «أيّام مِنى»، و«أيّام رمي الجمار».

يتعلّق بأيّام التشريق: ١- رمي الجمار؛ ٢- وذبح الهدي والأضحية، في أربعة أيّام: ١٠ و١١ و١٢ و١٣ من ذي الحجّة، أي من يوم النحر إلى آخر أيّام التشريق؛ ٣- والإحرام بالعمرة، ولكن على اختلاف فيها بين المذاهب؛ ٤- وصلاة عيد الأضحى؛ ٥- والصوم في أيّام التشريق مختلف فيه بين المذاهب؛ ٦- والخطبة في الحجّ في أيّام التشريق؛ ٧- المبيت بمنى ليالي أيّام التشريق واجب عند جمهور الفقهاء؛ ٨- التكبير مشروع باتّفاق الفقهاء عدا أبا حنيفة.

أيّامُ العَرَب : هي تلك الحروب والمعارك التي نشبت بين العرب في الجاهليّة. وهي كثيرة ومختلفة الأهمّيّة. وأيّام العرب تسمّى بشيء بارز اتّصل

---

(٧) أخرجه أحمد بن حنبل وابن حبان في صحيحه والبيهقي . ورواه ابن عدي من حديث أبي هُريرة، مسند ابن حنبل ٤/٨٢، ط. الميمنيّة.

بهذه الحروب. وأشـهرها: **حرب البسوس** بين بكر وتغلب، وقد اسـتمرّت أربعين سنة؛ **وحرب داحس والغـبراء**، وهما فَـرَسان؛ **ويوم ذي قار**، وهو موضع بين **واسط والكوفة**

أيّامُ مِنًى : أربعة، هي: يوم النحـر وثلاثة أيّام بعده، وهي: ١١ و١٢ و١٣. وقد أطلق عليهـا هذا الاسم لعودة الحجّاج إلى منى بعد طواف الإفـاضة في اليوم العاشر، والمبيت بها ليالي هذه الأيّام الثلاثة.

الإِيْجَاز : هو أداء المقصود من الكلام بأقل العـبارات. ولكن لا يجوز حذف شيء في الكلام إلاّ مع بقاء دليل يدلّ عليه، وإلاّ كان الحـذف إخلالاً مفسِداً للكلام. والإيجاز معـتمد في القرآن، فـي مثل قوله: «أنا أُنَبِّئُكُم بتـأويلِهِ فَأَرْسِلُونِ. يُوسُفُ أيُّها الصِّدِّيقُ» (١٢/ ٤٥-٤٦)؛ أي: «فأذنوا له، فـأرسلوه، فذهب إلى السجن الذي فيه يوسف، فدخل عليه وقال: «يُوسُفُ أيُّهـا الصِّدِّيقُ»؛ وفي مثل قوله أيضاً: «خُذِ العَفْـوَ، وَأْمُرْ بالعُرْفِ، وأعـرِضْ عنِ الجاهلِين» (٧/ ١٩٩)، فـفي الآية ستّ كلمات أصول دلّت على معانٍ مستفيضة تحتاج إلى صفحات وصفحات[1].

الإِيْلاء : هو أن يحلف الرجل أن لا يجـامع امـرأته طوال أربعـة أشهـر. لا خلاف بين الفـقهاء فـي أنّ المولي يمهل أربعة أشهـر، ويطالب بالوطء فيـهنّ. قال تعالى: «للَّذِيـنَ يُؤْلُونَ مِن نسائِهم تَرَبُّصُ (انتظار) أربعـةِ أشهرٍ. فـإن فاءوا (أي: رجعـوا فيهـا أو بعدها عن اليـمين إلى الوطء)، فإنّ اللّهَ غـفورٌ رحيم، وإن عَـزَموا الطّلاقَ، فإنّ اللّهَ سميعٌ عليم» (٢/ ٢٢٦-٢٢٧). قال القرطبي: إنّ سبب نزول هذه الآية أنّ الجاهليّين كانوا يُؤْلون من نسائهم السنة والسنتَين وأكثر، فأنزل اللّه هذه الآية، فوقّتَ لهم أربعة أشهر[2].

ويتـرتّب علىَ ذلك أنّ المُولي إمّـا أن يصـرّ على عـدم الوطء، حـتّى مـضي الأربعة الأشـهر، أو يرجع إليها قـبل مضي المدّة. فإن أصرّ على عـدم الوطء كان

---

(١) رَ مادّة: الإيجاز، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، في م.إ.ع.، ٢٠٠٢؛ ص ٢٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٠٣.

إصراره هذا داعياً إلى الفرقة بينه وبينها، لأنّ في ذلك الامتناع إضراراً بها.. أمّا إذا وطئها قبل مضي المدّة، فإنّه يكون حانثاً في يمينه، وعليه أن يكفّر، وينحلّ الإيلاء.

الأَيْمَان : مِن يمن يَمْناً، أي أخذ ذات اليمين. واليمين أيضاً: القوّة والبركة. وتعني شرعاً: توكيد حكْم بذكرِ معظَّم على وجه مخصوص. والأيمان من أساليب التأكيد. والغاية منه قصد توكيد الخبر ثبوتاً أو نفياً. ومن مرادفات الأيمان: الحلف والقسَم والعهد والميثاق والإيلاء. ويشترط في انعقاد اليمين: ١. البلوغ والعقل؛ ٢. الإسلام؛ ٣. التلفّظ.. وقد أمر اللّهُ الناسَ في حفظ الأيمان بقوله: «واحْفَظوا أيمانَكُم» (٥/ ٨٩). ومن معاني اليمين أيضاً: القوّة، والبركة، واليد اليمنى، والجهة اليمنى، ويقابلها الجهة اليُسرى.

الإِيْمَان : **١** . مِن «أمن»، وهو في الأصل راحة العقل والطمأنينة من الخوف. أمّا المعنى الديني فهو: التصديق والثقة والإيقان والاعتقاد في اللّه وفي النّبيّ ورسالته؛ وما اشتملت عليه هذه الرسالة. ترد لفظة «إيمان» ومشتقّاتها في القرآن ١٦١١ مرّة.

٢ . بين الإيمان والإسلام : يفرّق القرآن بين الإيمان والإسلام: فالإسلام هو الاستسلام ظاهراً، يشترك فيه المؤمن والمنافق؛ فيما الإيمان هو تصديق باطني. قال : «قالتِ الأَعْرابُ: آمَنَّا. قُلْ: لمْ تُؤْمِنُوا. ولكِنْ قولُوا: أسْلَمنَا» (٤٩/ ١٣). «وعلى هذا شملَ لفظ المسلمين: النّاجي والهالك»[1].

وفي حديثٍ لجبريل مع النبيّ يقول : «جاء جبريل على صورة أعرابيّ، وجلس حتّى ألصق ركبتَه بركبة النّبيّ، وقال: «يا رَسولَ اللّه! **مَا الإسلامُ؟** فقال (رسول اللّه) : أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه، وأنّي رسولُ اللّه. وأن تُقيم الصلاةَ، وتُؤتيَ الزَّكاة، وتَصومَ شهرَ رمضان، وتحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سَبيلاً. قال: صدَقتَ.

(١) ألشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ)، **الملل والنّحَل** مطبعة البابي الحلبي، ص ٤٠-٤١.

ثمّ قال: **مَا الإيمانُ؟** قـال: قالَ عليـه السلام: أنْ تُـؤمِن باللّه، وملائكتـه، وكتبه، ورسله، واليومِ الآخِر. وأنْ تُومنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه. قال: صدَقتَ».

٣ . **معتقدات الإيمان** : الإيمان، بحسب القرآن، يقوم على المعتقدات التالية:

١ – معرفة اللّه بأسمائه الحسنى، وصفاته، ودلائل وجوده؛

٢ – ومعرفة الملائكة والشياطين والجنّ والأرواح عامّة؛

٣ – ومعرفـة كتب اللّه التي أنزلها لتـحديد معالم الحقّ والبـاطل، والخير والشرّ، والحلال والحرام، والحسَن والقبيح؛

٤ – ومعرفة أنبياء اللّه ورسله؛

٥ – ومعرفة اليوم الآخِر، وما فيه من ثواب وعقاب، وجنّة ونار؛

٦ – ومعرفة القدَر الذي يسير عليه نظام الكون.

وقد شمل القرآن موضوعات الإيمان هذه في آيات عديدة ومتفرّقة (رَ : ٢/ ٦٢ و ١٧٧ و٢٨٥؛٥/ ٦٩؛ ٩/ ١٨).

٤ . **الوثنيّون أيـضاً يؤمنون** : ولكنَّ القـرآن نفســه يعتـرف بأنّ الوثنيّين أنفسَهم كانوا يقولون بمعظم هذه المعتقـدات. فقد كانوا يقولون بإلهٍ واحدٍ «أكبر»، خـالق السمـوات والأرض، إلهٍ سـخّر الشـمسَ والقمـر لخـدمة الإنسـان، وخلق الإنسانَ من لا شيء. ويقول عنهم أيضاً إنّهم كانوا يقولون بإنّ اللّهَ نفسه نزّل الماء من السماء فأحيـا به الأرض؛ وبإنّ هذه الحياة الدنيا حياة لهوٍ ولعب، فـيما الحياة الأبديّة هي الحياة الكاملـة. ويقولون باليوم الآخِر؛ وبالثواب والعـقاب لكلِّ إنسانٍ بحسب أعماله؛ وبأنّ اللّهَ نفسه شاءَ لـلإنسان الكفر، كما شاء له الإيمان، وشاء له العذابَ كما شاء له السعادة(٢)

فمحمّد، إذاً، لم يأتِ بجديدٍ في ما يـخصّ وجود اللّه، ووحدانيّته، وصفاته، وبنوع خاصّ بخلقـه السموات والأرض. وإذا ما كان بعضُ أهلِ قـريش اضطهدوا

---

(٢) رَ: ٢٩/ ٦١ و٦٣–٦٤؛ ٣١/ ٢٥؛ ٣٩/ ٣٨؛ ٤٣/ ٨٧.

محمّداً، فليس، إذاً، لأنّه جاء بإلهٍ جديد، أو بدينٍ جديد، بل لأنّه قامت قيامتُه على أعزّة مكّة الذين دعاهم إلى الاهتمام بالفقراء والمساكين واليتامى وأبناء السبيل.

٥ . **الإيمان بين المسيحيّة والإسلام** : كلّ ما في المسيحيّة من معتقدات ماورائيّة يحتاج إلى وحيٍ من الله وإيمان من الإنسان؛ والمسيحي لا يكون مسيحيًا من دون نعمةٍ إلهيّة، لأنّ عقلَ الإنسان الطبيعي لا يسعه أن يعرفَ مَن هو الله، وأن يعرف بأنّ اللّهَ واحد وثالوث في آن واحد؛ أو أنّه عليٌّ ومتجسِّدٌ في الوقت نفسه؛ أو أنّه يتألّم ويموت، وهو في طبعه فوق الألم والموت. هذه وغيرها حقائق روحيّة لا يقبلها إنسانٌ من دون إيمان.

وكذلك لا أحد يسعه أن يكون مسيحيًا حقيقيًا من دون مشاركته الفعليّة في حياة اللّهِ، من خلال اشتراكه بسرّ المسيح المعبّر عنه في أسرار الكنيسة؛ وأيضاً، لا يستطيع أن يكون مسيحيًا حقًا إنْ لمْ يتعمّدْ بالماء والروح، ويصبح مع المسيح كياناً روحيًا واحداً. وكذلك لا تُغفَر خطيئةٌ إنْ لمْ يُعْتَرَفْ بها للكنيسة المتمثّلة بكاهنٍ مأذون. وكذلك المسيحي الذي لا يقبل الرّوحَ القدس ولا يعيش في مواهبه لا يبرح خارجَ الملكوت والخلاص...

وبالنتيجة إنّ المسيحيّة تقوم على الإيمان وعمل الروح ، وإنّ مضامينَ الإيمانِ وعملِ الروح لا تخضع للعقل، بل للنعمة. ومهما تكن المعطيات العقليّة والمساعي الشخصيّة، فإنّ معرفتنا للّه تخضع لمبادرة مجّانيّة من اللّه نفسه: «ما مِن أحدٍ رأى الآبَ إلاّ الذي مِن لدُنِ الآبِ. فهذا قد رأى الآب» (يو ٦/٤٦)[٣].

إستناداً إلى هذه الحقيقة الساطعة، نستنتج بأن أحداً لا يستطيع أن يكونَ مسيحيًا إن عرف اللّهَ من غير طريق يسوع. هذا واضح بأنّ المسيحيّين هم مسيحيّون، لا لأنّهم اتّبعوا المسيح فحسب، بل لأنّهم لا يعرفون اللّهَ من غير طريق المسيح.

---

(٣) رَ: يو ١/١٨؛ خر ٣٣/٢٠؛ يو ٥/٣٧؛ ١٤/٩؛ ١طيم ١/١٧؛ ٦/١٦؛ ١يو ٤/١٢؛ متى ١١/٢٧؛ لو ١٠/٢٢؛ يو ٣/١١؛ ١٧/٦؛ قول ١/١٥.

فالمسيحيّ، إذاً، عكس المسلم، يحتاج إلى ما يفوق قدرات العقل والفطرة، لكي يكون مسيحيًا حقيقيًا؛ أمّا المسلم فبمعطيات العقل والفطرة يكون مسلماً. هذا يعني أنّ المسلم لا يحتاج إلى وحيٍ وإيمان لكي يكون مسلماً؛ فيما المسيحيّ لا يكون مسيحيًا من دون وحيٍ وإيمان. لهذا يختلف إيمان المسلم عن إيمان المسيحيّ في أنّ إيمان المسيحي عطيّة من الله مجّانيّة. موضوعاته حقائق إلهيّة تسمو عقل الإنسان. ولا شيء فيها يخضع للعقل الطبيعي. قد يستطيع الإنسان الوصولَ إلى الله، ولكن من خلال الإيمان، لا العقل. والإيمانُ يكون بما أعطى اللّهُ الإنسانَ من وحيٍ، لا بما يصل إليه العقل في طبيعته؛ أمّا المسلم فقد يكون مسلماً من غير إيمان؛ بل هو لا يحتاج إلى إيمان، ولا إلى وحي، ولا إلى نبوّة، لكي يكون مسلماً :

٦ . **المسلم مسلم من دون إيمان** : نقول : لا يحتاج المسلم، على معتقداته الماورائيّة، إلى أيِّ فعلِ إيمان حتّى يكون مسلماً حقيقيًا. يكفيه العقلُ والفطرة ليقول بأيّة عقيدة ماورائيّة، أو حقيقة علميّة؛ طالما أنّ الوثنيّين أنفسهم يؤمنون بها.

إلى هذا يُشير القرآنُ في قوله: إنّ الإسلام «فطرة اللّه التي فطرَ النّاسَ عليها» (٣٠/٣٠)، وقوله: «صِبغةُ اللّهِ. وَمَن أحسن من اللّه صبغة» (٢/١٣٨)؛ وقول النبيّ: «الإسلام دين الفطرة»، وقوله:«كلّ مولود يولد على الفطرة». وردّد القرآن مراراً بأنّ اللّهَ لا يُكلِّفُ نفساً إلاّ وُسْعَها[٤]؛ و«لا يُكلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاّ مَا آتَاهَا» (٦٥//٧). ويقول المسلمون أيضاً، كما جاء عند الدّومي: «لن تجد الإسلام مُصادِراً لفطرة الإنسان في أيِّ زمان ولا مكان»[٥]. ويقول الشيخ محمّد عبده: «إنّ الإسلام أكثر ملاءمة لمقتضى الفطرة السليمة، فأباح الطّيّبات من الرزق، ولم يكلّفْ نفساً إلاّ وسعها. فكان الدين الإسلامي أكثر ملاءمة للطباع والعادات والقوى البشريّة على اختلافها»[٦].

---

(٤) رَ: البقرة ٢/٢٣٣ و٢٨٦؛ الأنعام ٦/١٥٢؛ لأعراف ٧/٤٢؛ المؤمنون ٢٣/٦٢.

(٥) أحمد عبد الجواد الدّومي، مبعوث الأزهر إلى لبنان، **الإسلام منهاج وسلوك**، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا-بيروت، ١٩٧٣؛ ص ١٣.

(٦) نقلا عن المرجع المذكور آنفاً، ص ١٣.

فالإنسان فُطِر على الإسلام؛ أي هو لا يحتاج إلى «نعمةٍ إلهيّةٍ»، «فائقة الطبيعة»، كما يقول المسيحيّون، حتّى يعتقد بما يعتقد، ولا يحتاج إلى وحيٍ سماويٍّ حتّى يعرف اللّهَ وأسماءَه، ولا إلى أيِّ إيمانٍ بأيٍّ حقيقة إلهيّة حتّى يكون مسلماً حقيقيًا.

لقد ورث الإسلامُ مقولةَ الإيمانِ عن التقليد اليهوديّ-النّصراني؛ كما ورث موضوعات الإيمان عن الوثنيّة واليهوديّة والنّصرانيّة سواء بسواء. هذه الوراثة صيّرَها القرآن على مستوى العقل والفطرة؛ فلكأنّه، بذلك، يحذو حذو الوثنيّة أكثر ممّا هو يحذو حذوَ اليهوديّة والنّصرانيّة.

٧. **شروط الإيمان** : إنّ التمييز بين «الإيمان الحي» و «الإيمان الميت» غير واردٍ في الإسلام، كما هو في المسيحيّة؛ لأنَّ المقصود في إيمان المسلمين، لا السلوك بحسب موجبات الإيمان، بل معرفة شروطه معرفةً عقلانيّة وحسب:

الإيمان في الإسلام ليس «نعمة» يهبها اللّهُ المسلمين، بل «شهادة» من المسلمين بأنّ اللّه واحد، ولا إله غيره. ولكن، أيُّ إلهٍ هو ؟ وكيف هو ؟ وما علاقته بالإنسان ؟ وما يتطلّب من موجبات ؟.. هذه كلّها مسائل غير مطروحة في موضوع الإيمان في الإسلام.

فما يُطرح في موضوع الإيمان في الإسلام، ليس، إذاً، مضمونه؛ بل مسألة معرفة الشروط التي بها يصبح المسلم مسلماً. لا يطرح الإسلامُ ماهيّةَ الإيمان في ذاته ولا مضمونَه؛ بل شروط فعل الإيمان. لهذا تختلف مدارس علم الكلام في الإسلام حول شروط الإيمان، لا حول مضمونه. وهي ثلاثة مواقف : ١- موقف القائلين بأنّ الإيمان هو تصديق بالقلب فقط؛ ٢- وموقف من يقول بأنّ الإيمان هو جهر باللّسان فقط؛ ٣- وموقف من يقول بأنّ الإيمان تصديق بالقلب وجهر باللّسان معاً. نجد في القرآن مبرِّراً لكلٍّ من هذه المواقف الثلاثة. إلاّ أنّ الإيمان والعمل ظاهر فيه أكثر. لقد قال وردّد : «من آمن.. وعمل صالحاً»[7]؛ وقال بأنّ

(٧) ٢/٦٢؛ ٥/٦٩؛ ١٨/٨٨؛ ١٩/٦٠؛ ٢٠/٨٢؛ ٢٥/٧٠؛ ٢٨/٦٧ و٨٠؛ ٣٤/٣٧.

الذين يدخلون الجنّة هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات: «وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار»[8]. ويلوم القرآن مَن يقول ولا يفعل بما يقول: «يا أيّها الذين آمنوا! لمَ تقولون ما لا تفعلون؟» (٦١/٢).

وفي أيٍّ حال، إنّ الإيمان، في المواقف الثلاثة، «شهادة». والاختلاف هو في الشروط المطلوبة حتى تكون هذه «الشهادة» صادقة وصريحة، لا في فهْم مضمون موضوعاتِ الإيمان الذي هو، في نتيجة الأمر، خاضع لإدراك العقل. لذلك، فـ «الشهادتان» هما ، في عرْفِ المسلمين، من أركان الإسلام، لا من أركان الإيمان. ويكفي لمن يعتنق الإسلام أن يعلن هاتَين الشهادتَين أمام شهودٍ، أو أمام قاضٍ مسلم، وأن يُقال بهذه الصيغة: «أشهد أن لا إله إلاّ اللّه. وأشهد أن محمّداً رسول اللّه». والأفضل أن يكون في اللغة العربيّة.

ولكن، بالرّغم من أنّ القرآن لا يبرح يعلّم الناس ضرورةَ الإيمان، ويعلن لهم ما يتوجّب عليهم، فلا شيء، في الحقيقة، يكوّن موضوعاً حقيقيًا للإيمان، ولا أيضاً موضوعاً حقيقيًا للوحي. فلكأنّ المسلم لا يحتاج إلى إيمانٍ، ولا إلى وحيٍ، ولا إلى نبوّة، حتّى يكونَ مسلماً، وحتّى يعرفَ اللّهَ معرفةً حقيقيّة. فالإسلام ليس دين إيمان، بل «دين فطرة». هكذا قال القرآن. وهكذا قال النبيّ أيضاً.

أيُّوب : ورد اسمه في القرآن ٤ مرّات[1]، وقال عنه إنّه من الصالحين. وأوجز قصّته فقال: إنّ اللّهَ ابتلى أيّوبَ؛ فنادى أيّوبُ ربَّه، فاستجاب اللّه له، وكشف ما مسّه من ضرّ، وردّ عليه أهلَه ومالَه (رَ: ٢١/٨٣-٩٤؛ ٣٨/٤١..). وروى التقليد الإسلاميّ أنّ اللّه أمر أيّوب أن يضرب برجله الأرض، فنبعت عين ماء اغتسل منها وشرب، فلم يبق من دائه شيء.. وبعد أن اغتسل أيّوب عادت إليه القوّة والشباب، وتحوّلت الديدان التي كانت تأكل جسده إلى النحل ودود القزّ.

---

(٨) ٢/٢٥ و ٨٢ و٢٧٧؛ ٣/٥٧؛ ٤/٥٧ و ١٢٢ و ١٢٤ و١٧٣؛ ٥/٩ و٩٣؛ ٧/٤٢؛ ١٠/٤ و٩؛ ١١/١١ و٢٣؛ ١٣/٢٩؛ ١٤/٢٣؛ ١٧/٩؛ ١٨/٢ و٣٠ و١٠٧ إلخ....

(١) رَ: ٤/١٦٣؛ ٦/٨٤؛ ٢١/٨٣؛ ٣٨/٤١.

ورد ذكره في البيبليا على أنّه بطل شعبيّ عرفه التقليد اليهودي؛ وسكن في أرض عوص الواقعة بين أدوم والجزيرة العربيّة. فهو من بين أبناء المشرق، أي ليس من بني إسرائيل ولا تُعطي التوراة نسبَه. ولا أحد يعلم عمّا إذا كان أيّوب رجلاً تاريخيًا أم أسطوريًا. وإذا كان هو بطل سفر أيّوب، فلا يعني أنّه هو كاتب هذا السفر. ظلّ ذكر أيّوب حيًا في الشعوب الشرقيّة بسبب صبره وتحمّله للمصائب (رَ: حز ١٤/١٤ و٢٠). وتذكره البيبليا كمثال للإنسان البار (رَ: سي ٤٩/٩؛ حز ١٤/١٤ و ٢٠)، وكرجل الصبر في الملمّات (طو ٢/١٢ و١٥؛ يع ٥/ ١١).

الأيُّوبِيُّون : أسرة حاكمة أسّسها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على أنقاض الدولة الفاطميّة. حكمت مصر وبلاد الشام وشمالي الجزيرة واليمن، إعتباراً من عام ٥٦٧هـ/١١٧١م حتّى عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ليبدأ عهد جديد هو عهد المماليك.

ب

البَاءَة : كُنّي بها عن الجماع، إمّا لأنّها لا تكون إلاّ في البيت، أو لأنّ الرجل يتبوّأ من امرأته، أي يستمكن منها، كما يتبوّأ من بيته. وفي الحديث: «يا معشرَ الشباب! مَن استطاعَ منكم الباءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ. فإنّه أغَضُّ للبصر وأحصَنُ للفَرْج»(٢). قيل: الباءَة هي مُؤَنُ النكاح من مهر وغيره. أو هي بمعنى الوطء.

البَاب : أطلقت هذه الكلمة عند **الإسماعيليّة** للدلالة على "الشيخ"، أو "الأساس" الذي يعلّم النّاس أسرار الدين. ويُطلقها **الصوفيّة** على المدخل المؤدّي إلى طريق الوصول إلى الخالق؛ وكانوا يُطلقونها على المشايخ البارزين. ويطلقها **النُّصَيريّة** على سلمان الفارسي، لأنّه كان معهوداً إليه أمر الدّعوة، وعلى وكلاء الأئمّة الإثنَي عشر. ويُطلقها **الدروز** على العقل الكلّي، الذي لا يُدخل إلى الباري تعالى إلاّ بواسطته. وأكثر ما اشتهر بهذا اللقب السيّد علي محمّد **الشيرازيّ** (١٨١٩-١٨٥٠) ، مؤسّس **البابيّة** في إيران، على أنّه باب الإمام الغائب الذي تنتظره طوائف الشيعة، وأنّه باب العلم بالحقيقة الإلهيّة، أي مُظهر الحقيقة الإلهيّة.

بَابَك (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م) : زعيم فرقة **الخُرَّميَّة**. يقال إنّه ابن تاجر زيت متجوّل. عصى المأمون في آذربيجان. وقام بفتنة دامت عشرين عاماً، تقوم على المشاركة بين الناس في المال والنساء. قضى عليه المعتصم، وصلبَه في سامرَّاء.

البَابِيَّة : نسبة إلى الباب علي محمّد **الشيرازيّ**، الذي ادّعى، أوّلاً، أنّه الباب إلى اللّه، ثمّ اعتبر نفسه أنّه هو صاحب الزمان وإمام العصر والمهديّ المنتظر، لا بابه ونائبه فحسب. وللبابيّة تعاليم خرجوا فيها على الإسلام، وخالفوا ما جاء في الكتاب والسنّة:

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٩/١١٣، ط. السلفيّة؛ مسلم، ٢/١٠١٨، ط. الحلبي.

فهم يرون أنّ الله يحلّ في البشر، وأنّ حلوله هذا يعتبر مظهراً إلهيًا يتعدّد بتعدّد الأنبياء والرسل، وأنّ الظهور الأخير أتمّ من الظهورات السابقة.. وهم لا يؤمنون ببعثٍ ولا بجنّة ولا نار ولا حساب. والقيامة عندهم هي قيام الروح الإلهيّ في مظهر بشريّ جديد.

وألغَوا الصلوات الخمس. والقِبلة هي الأمكنة التي عاش فيها الباب. والصوم تسعة عشر يوماً، ويسمّونه شهر العلاء، لأنّ الشهر تسعة عشر يوماً، والسنة تسعة عشر شهراً. والزكاة خُمس العشار، تسلّم إلى المجلس القائم على شؤون الجماعة. والحجّ يكون إلى الأماكن التي جعلها الباب قِبلة لهم. والطلاق تسع عشرة طلقة، وعدّتها تسعة عشر يوماً. وإذا كانت أرملة تكون عدّتها خمسة وتسعين يوماً (١٩×٥)؛ والذين لهم حقّ الميراث سبعة: الذرّيّة من بنين وبنات بدون تفريق، والزوج والزوجة، والوالد والوالدة، والأخ والأخت (أطلب : **بهاء الله**).

بَابِل : ورد ذكرها مرّة واحدة في القرآن على أنّها مدينة الملَكين هاروت وماروت (٢/ ١٠٢). ازدهرت فيها الدولة البابليّة الأولى نحو الألف الثاني ق.م. حلّت محلّ سومر وأكّد. وبلغت عصرَها الذهبي مع المشترع الكبير حمورابي (١٧١١-١٦٦٩ ق.م.). ثمّ تغلّب عليها الحِثّيّون والأشُوريّون. ظهرت فيها الدولة البابليّة الثانية (٦٢٦-٥٣٩ ق.م.). أشهر ملوكها نبوخذنصّر الثاني. دمّرها سنحاريب الأشوريّ ٦٨٩ ق.م. أعاد بناءَها أسرحدّون. احتلّها قورش ملك الفرس ٥٣٩ ق.م. والإسكندر ٣٣١ ق.م. وفيها توفّي.

البَاطِنِيَّة : **١** . الباطنيّة هم أولئك الذين يأخذون بالمعنى الباطن للقرآن، أي بمنهج التفسير الرمزي، أو المجازي، أي التأويل. ويجعلون لكلّ تنزيلٍ تأويلاً، ولكلّ ظاهرٍ باطناً. وقد أطلق مؤلّفو العرب إسم الباطنيّة على فرق عديدة متباينة، كان لها شأن سياسيّ هامّ، أهمّها: القرامطة، والإسماعيليّة، والمباركيّة، والسبعيّة، والتعليميّة، والرافضة، والإباحيّة، والملاحدة، والزنادقة، والمزدكيّة، والبابكيّة، والخرّميّة، والمحمّرة، والخرمندينيّة، وفي زماننا نجد البابيّة والبهائيّة، والنُّصَيريّة، والدرزيّة.

٢ . من تعاليم الباطنيّة في اللّه، أنّه لا يحقّ لنا أن نصف اللّه بصفاتٍ ممّا نصف بها البشر. فلا يُقال إنّه عالم ولا جاهل، أو إنّه موجود أو لا موجود. فإنّ ذلك يجعلنا نقع في خطأ تشبيهه بالمخلوقات (رَاجع مادّة: **الإسماعيليّة**)..

٣ . إنّ إدخالَ الناسِ في الباطنيّة يتمّ، كما ذكر البغدادي في كتابه «الفَرْق بين الفِرَق»، على مراحل، هي :

١ – «**التفرّس**». أي التحقيق الدقيق، يقوم على معرفة نفسيّة مَن يدعونه معرفة حقيقة ومسايرته في أسلوب حياته وطريقة تفكيره؛

٢ – وبعد ذلك «**تأنيس**» المدعوّ، وذلك بتزيين مذهبه في عينه، وإظهار أنّه أعظم ممّا كان يظنّ حتّى الآن؛

٣ – يأتي بعد ذلك «**التشكيك**»، وذلك بسؤال المدعوّ عن معنى مذهبه وتشكيكه في أصول دينه؛

٤ – ثمّ «**الربط**»، أو الإلتزام، وهو: إذا سئل المدعوّ عن الحقيقة قيل له : إنّ العلم الحقّ لا يوجد إلاّ عند الإمام وأصحابه؛

٥ – «**التعليق**» أي أن لا يطلب المدعوّ تأويلاً إلاّ ويجده عند الإمام؛

٦ – وفي مرحلة «**التدليس**» يبدأون بتأويل القرآن تأويلاً يُخرجه عن ظاهره، ويفسد كلّ ما جاء من قبلُ من نبوّات وشرائع سابقة؛

٧ – وعند ذلك يمكن أن يبدأ «**التأسيس**»، وهو مرحلة طويلة قائمة بذاتها. في نهايتها، يهب التلميذ نفسه جسداً وروحاً؛ وذلك عن طريق (رقم: ٨–)

٨ – «**المواثيق بالإيمان والعهود**». فيها يقسم المدعوّ بالولاء للجماعة؛

٩ – وتنتهي الدعوة بـ «**الخلع والسلخ**»، أي الخروج التامّ عن كلّ دِينٍ وشريعة كانت له من قبل.

البَاقِر (محمّد بن علي زين العابدين) (ت ١١٥هـ/٧٣٣م) :الإمام الخامس للشيعة. وُلد وتوفّي بالمدينة مسموماً في خلافة هشام بن عبد الملك،

وعمره يومئذ ٥٧ سنة مثل عمر أبيه وجدِّه. دُفن بالبقيع إلى جانب أبيه.

البَاقِلاني (القاضي أبو بكر محمّد) (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م) : من علماء الكلام. إمام أهل السنّة. فقيه مالكي، أصولي. وُلد بالبصرة، ونشأ فيها. ثمّ استقرّ ببغداد. رأس المذهب الأشعري. وتصدّى للردّ على الخوارج والمعتزلة. قال فيه ابن تيميّة: «إنّه خير متكلّميّ الأشاعرة، لا يدانيه سابقٌ ولا لاحق». وقال فيه الخطيب البغدادي: «كان ثقة، أعرف الناس بالكلام، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً».. توفّي ببغداد. واشتهر بما كتبه في الجدل والمناظرة.. ولم يبق من مصنّفاته الخمسين إلاّ «كتاب في إعجاز القرآن»، وهو، بحسب السيوطي، أحسن ما كُتب في موضوعه، و«كتاب التمهيد في الردّ على الملحدة والمعطّلة والرافضة والمعتزلة».

البَتّانِي (أبو عبدالله محمّد) (ت ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) : من علماء الفلك. أصله من حرّان. كان من الصابئة، ولذلك عرف بالصابئ. وقف نفسه على رصد الأفلاك. وذهب إلى بغداد في عمل له، ومات في عودته منها على مقربة من سامرّاء. له: «الزيج»، وهو أهم تصانيفه، ولم يصل إلينا غيره. وبه نتائج رصوده. وقد كان له أثر كبير في الشرق وفي الغرب حتّى منتصف القرن الثامن عشر ميلادي.

بُثَيْنَة : امرأة من بني عُذرة، عشقها الشاعر جميل بن مَعمر، فاشتهر بها.

بَجِيلَة : من قبائل العرب الجنوبيّة. فرع من مذحج من كهلان.

البُحتُرِيّ (أبو عبادة) (ت ٢٨٤هـ/٨٩٨م) : شاعر عربي طائي. وُلد في منبج.. اختصّ بالمتوكّل ووزيره الفتح بن خاقان. ثالث الفحول الثلاثة في العهد العباسي: هو وأبو تمام والمتنبّي. وَصَفوا شعرَه بسلاسل الذهب، لعذوبة لفظه، وسلاسة أسلوبه، وسهولة تراكيبه، ووضوح معانيه، وبُعده عن حوشي القول وغريبه. كان شعره السهل الممتنع، يُطلقه من غير كلفة ولا عناء. له ديوان، و«كتاب الحماسة»، على مثال حماسة أبي تَمّام أستاذه.

البُحتُرِيُّون : أمراء دروز من عرب تنّوخ. استولوا على بيروت بعد نزوح الصليبيّين منها سنة ١٢٩٤م. عُرفوا بأمراء الغرب.

بَحِيرًا الرَّاهِب (القرن ٦) : راهبٌ أقام في بُصرى على طريق القوافل. وكان يدعو الناسَ إلى التوحيد. وكان إليه علم النصرانيّة. وكان محمّد، بعمر ١٣، خرج مع عمّه أبي طالب ، فرآه بَحِيرا، وكلّم الناسَ ودعاهم إلى صومعته، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك، فلا يكلّمهم. وصنع لهم طعاماً كثيراً. وذلك أنّه رأى رسول اللّه، وهو في صومعته، في الرّكب حين أقبلوا، وغمامة تظلّه من بين القوم. ثمّ أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حيث أظلّت الشجرة، وتهصّرتْ أغصان الشجرة على رسول اللّه، حتّى استظلّ تحتها. فلما رأى ذلك بَحِيرا نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام، فصُنع.

ثمّ أرسل إليهم. فقال: قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أُحبُّ أن تحضروا كلّكم، صغيركم وكبيركم، عبدكم وحرّكم. فقال له رجل منهم: واللّهِ، يا بَحِيرا، إنّ لك لشأناً اليوم! ما كنتَ تصنع هذا بنا، وقد كنّا نمرّ بك كثيراً. فما شأنك اليوم؟! قال له بَحِيرا: صدقتَ. قد كان ما تقول. ولكنّكم ضيف. وقد أحببتُ أن أكرمكم، وأصنع لكم طعاماً، فتأكلوا منه كلّكم.

فاجتمعوا إليه، وتخلّف رسول اللّه من بين القوم، لحداثة سنّه، تحت الشجرة. فلمّا نظر بَحِيرا في القوم لم يرَ الصفة التي يعرفها عنده. فقال: يا معشر قريش! لا يتخلّفَنّ أحدٌ منكم عن طعامي. قالوا له: يا بَحِيرا! ما تخلّف عنك أحد ينبغي له أن يأتي إلاّ غلام، وهو أحدثُ القوم سنّا. فقال: لا تفعلوا. أدعوه. فليحضر هذا الطعام معكم. فجاء محمّد. فقام إليه بَحِيرا، فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

فلمّا رآه بَحِيرا، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها في كتبه؛ حتّى إذا فرغ القوم من طعامهم، وتفرّقوا، قام إليه بَحِيرا، فقال: يا غلام! أسألكَ، بحقِّ اللاّت والعزّى، ألا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه. فقال محمّد : لا تسألْني باللاّت والعزّى شيئاً. فواللّهِ ما أبغضتُ شيئاً قط بغضَهما. فقال بَحِيرا: فباللّهِ، ألا ما أخبرتني عمّا أسألُكَ عنه؟ فقال له: سلْني عمّا بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه، وهيئته، وأموره. فجعل محمّد يخبره. فيوافق ذلك ما عند بَحِيرا من صفته. ثمّ نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوّة بين كتفَيه.

قال ابن اسحق: فلمّا فرغ، أقبل على عـمّه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: إبني. قـال له بَحيرا: مـا هو بابنكَ. وما ينبغي لهـذا الغلام أن يكون أبوه حـيّاً. قـال: فإنّه ابن أخي. قـال: فمـا فعَلَ أبوه؟ قـال: مات، وأمّـه حبلى به. قـال: صدقتَ. فارجع بابن أخـيك إلى بلده. واحذرْ عليه يهود. فـوالله، لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّه شراً. فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم.

فخـرج به عمُّـه أبو طالب سريعـاً، حتّى أقـدمَه مكّةَ حين فـرغ من تجارته بالشـام، فزعـمـوا فيـمـا روى الناس، أنّ زُرَيراً وتَمّامـاً ودَرْيا، وهم نفـر من أهل الكتاب، قد كانوا رأوا من رسول الله مثلَ ما رآه بَحِيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عـمِّه إبي طالب، فـأرادوه. فـردّهم عنه بَحِيـرا، وذكّـرهم الله وما يجـدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنّهم أجمعوا لما أرادوا به لم يُخلصوا إليه. ولم يزل بهم، حتّى عرفوا ما قال لهم. وصدّقوه بما قال. فتركوه وانصرفوا عنه.

البُخَارِيّ (محـمّد بن إسمـاعيل) (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) : أشهـر مَن جمع الحديثَ النـبويّ. ولد بمدينة بُخارى. بـدأ دراسة الحديث في سنّ مـبكّرة. ولمّا بلغ السادسـة عشرة حجّ إلى مكّة، ثمّ رحل إلى مـصر، فالبـصرة. ثمّ عاد إلى مـسقط رأسه، حيث وافته المنيّة. ودُفن في سمرقند.

تعود شـهرته إلى «الجـامع الصحـيح» في الحديث، وقد رتّبـه على أبواب الفقه. وأظهر في اخـتياره للأحاديث براعة فائقة ومـحّصها تمحيصاً دقـيقاً. قال: «كتـبتُ عن ألف وثمانين نفساً ليـس فيهم إلاّ صاحب حـديث»؛ وروي عنه أنّه قال: «أخرجتُ هذا الكتـاب من نحو ستـمائة ألف حديـث، صنّفته في ست عـشرة سنة، وجعلته حجّة فيما بيني وبين الله».

قيل في البخـاري: «فضل محمّد بن إسـماعيل على العلماء كـفضل الرجال على النسـاء». وقيل أيضـاً: «هو آية من آيات الله تمشي على الأرض». والجامع هو، في رأي أهل السنّة، أجلّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله.

بَخْتَـيَشُوع : أسرة أطبّـاء من السريان. خدمت الخلفـاء العبّاسـيّين. منها:

جبريل (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م): طبيب الرشيد والأمين. سجنه المأمون ثمّ أعاده إلى خدمته. له مؤلّفات في الطب والمنطق. **بختيشوع بن جبريل** (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م): طبيب المتوكّل. **يُوحنّا بن بختيشوع** (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م): خدم الموفّق. سيم أسقفاً على المَوصِل. **أبو سعيد عُبيد الله** (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) : عاش في مَيافارقين. له رسائل في الطبّ والفلسفة. منها: «رسالة في الطبّ والأحداث النفسانيّة»، و«مناقب الأطبّاء»، و«الروضة»، و«طبائع الحيوان وخواصّها ومنافع أعضائها».

البُخْل : منع السائل شيئاً ممّا في يد المسؤول من المال. وقد جاء في العديد من الآيات القرآنيّة ذمّ للبخل والبخلاء، مثل قوله: «الذينَ يَبْخَلون ويأمُرونَ الناسَ بالبُخلِ» (٤/٣٧؛ ٥٧/ ٢٤)؛ وقوله: «ولا يَحسَبَنَّ الذينَ يَبخَلونَ بما آتاهمُ اللّهُ من فضْله، هو خيراً لهم، بل هو شرٌّ لهم. سَيُطَوَّقونَ ما بَخلوا به يومَ القيامةِ» (٣/ ١٨٠)؛ وقوله: «فلمّا آتاهُمْ مِن فَضْلِهِ بَخلُوا به» (٩/٧٦). كما تذكر الأحاديث النبويّة ذمّ البخل والتعوّذ منه، وأنّه من الصفات المذمومة. واشتهر الأدب العربي بنوادر البخلاء، وبمديح الكرم والكرماء. وكان كتاب الجاحظ «البخلاء» أوّل محاولة لتحليل شخصيّة البخيل وتصويرها في صورة قصصيّة[1].

البَدَاء : هو، في علم الكلام، حدوث أحوال جديدة ينشأ عنها تعديل في الإرادة الإلهيّة السابقة. وهو عقيدة يقول بها الشيعة بما يخالف أهلَ السنّة. وأهمّ الحجج التي يسوقها الشيعة لتأييد البداء هي:

١ . قوله: «يمحو اللّهُ ما يشاء ويُثبت» (١٣/ ٣٩)؛ وقوله: «كلّ يوم هو في شأن» (٥٥/ ٢٩)؛ وقوله: «والذين عملوا السيّئات، ثمّ تابوا من بعدها، وآمنوا أنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم» (٧/ ١٥٣)[1].

٢ . ومن حججهم أيضاً أحاديث تقرّر أنّ العمل الصالح ومزاولة بعض الفضائل، كتكريم الوالدين مثلاً، قد يطيل فسحة الأجل المكتوب، ويغيّر القضاء

---

(١) رَ مادّة: البخل، د. منى أبو زيد، في الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ٢٦٢.

(١) رَاجع أيضاً : ١٠/٩٨؛ ٣٧/١٠١-١٠٧؛ ٧/١٤٢..

المبرم. وكذلك دعاء عمر: «أللّهمّ! إنْ كنتَ كتبتني عندك في أمّ الكتاب شقيًا، فامحُ، اللّهمّ، شقاوتي، وأثبتني عندك في أمّ الكتاب سعيداً»[٢].

٣ . ومن حججهم كذلك طائفة من قصص الصالحين يظهر منها أنّ إرضاء اللّه بالعمل قد يغيّر ما كُتب على الإنسان من شقاء.

٤ . ويسوقون أخيراً في تأييد ذلك القولَ بالنسخ، وهو من عقائد أهل السنّة أيضاً. فالبداء هو نسخ تكويني، فيما النسخ هو بداء تشريعي؛ أي إنّ البداء هو إلغاء واقع موجود وإبداله بواقع آخر؛ والنسخ هو إلغاء حكم تشريعي موجود وإبداله بحكم تشريعيّ آخر.

٥ . وقد عمد الشيعة إلى طريقة شيّقة جدًا للتوفيق بين القول بالبداء وبين فكرة «اللّوح المحفوظ» الذي ورد ذكره في القرآن، وذلك بافتراضهم وجود لوحَين: «اللّوح المحفوظ» الذي كتب فيه القضاء المحتوم الذي لا تعديل فيه ولا تبديل، و«لوح المحو والإثبات» من قوله: «يمحو اللّهُ ما يشاء ويُثبت» (١٣/ ٣٩)، وهو يشتمل على القضاء الذي يجوز فيه التعديل، إذا حدثت أمور جديدة. ووفقاً لهذا الرأي قالوا بوجود نوعين من العلم الإلهي: علم محتوم يشمل الأمور المحتومة التي يوحي بها اللّه إلى أنبيائه، وعلم مخزون وهو يشمل الأمور الموقوفة عند اللّه.

٦ . ومن أقوال الشيعة أيضاً: لا يستطيع إنسانٌ أن يرضي اللّه بشيء هو خير من إقراره بالبداء. وذلك لأنّ توبة العبد وعبادته وخضوعه للّه التماساً لعفوه عن الذنوب، أو لتعديل ما كتبه عليه، لا يكون له معنى إلاّ إذا سلّمنا بالبداء.

بَدْر : قرية جنوب غربي المدينة بنحو ١٥٥ كلم، وتبعد عن ساحل البحر الأحمر نحو ٤٥ كلم، بينها وبين مكّة ٣١٠ كلم. هي عند ملتقى طريق المدينة بطريق القوافل الذاهبة من الشام إلى مكّة.

ولهذه القرية أهميّة تاريخيّة بفضل الموقعة التي نشبت فيها بين المسلمين

---

(٢) إبن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، القاهرة ١٣٢٦هـ، ص ٧.

وأهل مكّة في ١٧-١٩ من رمضان للعام الثاني من الهجرة، شباط ٦٢٤م. وقد أدّى إلى قيام هذه الموقعة، خروج المسلمين لاعتراض قافلة تجاريّة ضخمة لقريش، مقبلة من الشام في طريقها إلى مكّة. وفي ذلك قال النبيّ لأصحابه: «هذه عِير قريش فاخرجوا إليها، لعلّ اللّه ينفلكموها (أي يجعلها غنيمة لكم)». فخرج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.

وعلى قريش كان أبو سفيان بن حرب الأموي. وقد جاء مِن مكّة مَن يعاونه، كأبي جهل الذي احتزّ عبدُاللّه بن مسعود رأسَه، وانطلق به إلى رسول اللّه. وألقاه بين يديه. فحمد رسولُ اللّهِ اللّهَ.. ونزل قوله: «ولقد نَصَرَكمُ اللّهُ ببَدْرٍ وأنتُمْ أذِلَّة» (١٢٣/٣). وهكذا كانت غزوة بدر ذات أثر بالغ في مسيرة الدعوة الإسلاميّة، حيث أعطت المسلمين دفعاً كبيراً.

البِدْعَة : لغةً: من بدع الشيء وابتدعه إذا أنشأه وبدأه. والبِدْع: الشيء الذي يكون أوّلاً، ومنه قوله: «قُلْ: ما كنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُل» (٩/٤٦)، أي: لستُ بأوّل رسولٍ بُعث إلى الناس، بل قد جاءت الرسلُ من قبل. والبدعة: الحدث، وما ابتُدِع في الدِّين بعد الإكمال. والمبتدع: الذي يأتي أمراً على شبه لم يكن، بل ابتدأه هو. وأبدع وابتدع وتبدّع: أتى ببدعة، ومنه قوله: «ورَهبانيّةً ابْتَدَعوها ما كَتَبْناها عليهم إلاّ ابتِغاءَ رِضْوانِ اللّه» (٢٧/٥٧). وبدّعه: نسبه إلى البدعة. والبديع: المحدث. وابتدعت الشيء: اخترعته لا على مثال. والبديع: من أسماء اللّه، ومعناه: المبدع.

والبدعة اصطلاحاً: كلّ حادث لم يوجد في الكتاب والسنّة، سواء أكان في العبادات أم العادات. وعلى ذلك، أصبحت الكلمة توحي بالانشقاق والاستقلال الذي يصل إلى درجة الزندقة. وهي، كما قيل عنها: أصغر من الكفر وأكبر من الفسق. واتّجه فريقٌ من العلماء إلى ذمّ البدعة، وقرّروا أنّ البدعة كلّها ضلالة؛ إذ هي: طريقة في الدِّين مخترعة. وقد جاءت أحاديث كثيرة في ذمّها، من ذلك قول النبيّ: «إيّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور. فإنّ كلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، ١/١٦، ط. الحلبي، أبو داود، ٥/١٦، ط. عزّت عبيد دعّاس؛ والحاكم،

البَدَل : غالباً ما تستعمل بصيغة الجمع: أبدال. وهو مصطلح صوفيّ معناه أنّ النظام الكوني يحفظه عددٌ ثابتٌ من الأوليـاء الصالحين بحيث أنّه، إذا مات وليٌّ، جاء مكانَه «بدل» علـى الفور. والأبدال لا يعرفــهم الناس. ويقصر ابن عـربي عدد الأبدال على سبـعة، يجعلهم دون مرتبـة الأوتاد، وفوق درجة النقبـاء، ويربط كلاًّ منهم بنبيّ معـيّن، ولكلّ بدلٍ السيطرة على أحد الأجواء السـبعة التي ينقسـم إليها العالم.

البَدَنَة : لغـة: الناقـة أو البقـرة المسـمَّنة، والجـمْع البُدْن. وسـمّـيتْ بَدَنَة لضخامتـها. ولهذا فهي لا تُطلق على الشاة. وردتْ في القـرآن مرّة واحدة بصورة الجمع: «وَالبُدْنُ جَعَلْناها لكم مِن شعائر اللَّهِ. لكم فيها خير» (٢٢/٣٦).

البَدْو : هم سكّان البادية، سـواء أكانوا من العرب أمْ من غيـرهم. والبادية خلاف الحـاضرة. والبادي هو المقيم في الـبادية، ومسكنه المضارب والخـيام، ولا يستقـرّ في موضع معيّن. أمّـا الأعراب فهم سكّان البادية من العـرب خاصّة. وفي الحديث: «مَن بَدا جَفا»[1]، أي: مَن نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب.

بَديع الزّمَان (أطلب مادّة: **الهمذاني**).

البَديع (عِلْم) :لغـةً: الحديث والجـديد والمختـرع على غـير مـثال سـابق؛ واصطلاحـاً: علم يُعـرف به وجـوه تحـسين الكلام، وإيـراد المعنى الواحـد بطرق مخـتلفـة. والبديع، عـامّة، هو أحـد علوم البلاغـة الثلاثة، وهي: المعـاني، البـيان، والبديع.

البَرَاءَة : لغـةً: الخـروج من الشيء والمفـارقـة له. والأصل البَـرْء بمعنى: القطع. فـالبراءة قطْع العـلاقة. وأبرأ بـراءةً: إذا أزلتَه عن نفـسك وقطعتَ أسبـابَه. وبَرِئتُ من الدَّين: انقـطع عنّي، ولم يبقَ بيننا علقـة.. والبـراءة اصطلاحـاً ترد في ألفاظ الطلاق بمعنى: المفارقة، وفي الديون والمـعاملات والجنايات بمعنى: التخلّص

١/٩٦، ط. دائرة المعارف العثمانيّة.

(١) أخرجه أبو داود ٣/٢٧٨، ط. عزّ عبيد دعّاس؛ والترمذي ٤/٥٢٣، ط. الحلبي.

والتنزّه. وكثيراً ما يتردّد على ألسنة الفقهاء قولهم: الأصل براءة الذمّة، أي تخلّصها وعدم انشغالها بحقٍّ آخَر. وسورة البراءة هي السورة التاسعة من القرآن؛ واسمها أيضاً: **التوبة**. وآياتها: ١٢٩.

البَرَامِكَة : أسرة فارسيّة من بلْخ. تولّى أبناؤها الوزارة في عهد العبّاسيّين. عظم شأنهم وقرّبوا الشعراء. واشتهروا بالكرم. نقم عليهم هارون الرشيد ونكبهم. منهم: **خالد** بن برمك (ت ١٦٦هـ/٧٨٢م)، خدم السفّاح؛ و **يحيى** بن خالد (ت ١٩٠هـ/٨٠٥م)، مؤدّب هارون الرشيد ووزيره؛ **الفضل** بن يحيى (ت ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، أخو الرشيد بالرضاعة ومؤدّب الأمين. توفّي سجينا بالرقّة؛ **جعفر** بن يحيى (ت ١٨٨هـ/٨٠٣م)، قرّبه الرشيد ثمّ انقلب عليه وقتله في نكبة مشهورة عرفت بنكبة البرامكة.

البِرُّ : يعرّف القرآن البرّ بأنّه التخلّق بالأخلاق الحسنة مع الناس، بالإحسان إليهم، وصلتهم، والصدق معهم، والتزام أمر الخالق واجتناب نهيه. قال: «لَيسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ (في الصلاة)، قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ. وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ والملائكةِ والكتابِ والنَّبيّينَ، وآتى المالَ على حُبِّهِ (أي مع حبه له) ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمساكِينَ وَابْنَ السَّبيلِ وَالسَّائلِينَ، وفي (فكِّ) الرِّقَابِ، وأقَامَ الصَّلاةَ، وَآتى الزَّكَاةَ، وَالمُوفُونَ بعَهْدِهِمْ إذا عَاهَدوا (اللّهَ والناس)، وَالصَّابرينَ في البَأْسَاءِ (الفقر) وَالضَّرَّاءِ (المرض) وحِينَ البَأْسِ (شدّة القتال)، أولئكَ الّذينَ صَدَقُوا، وَأولئكَ هُمُ المُتَّقُونَ» (٢/١٧٧).

من البِرّ: بِرُّ الوالدين، وبرّ الأيتام والمساكين والضعفاء، لقوله: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل اللّه» (رواه مسلم)، ولقوله: «أنا وكافل اليتيم في الجنّة» (رواه البخاري)، وبرّ الأرحام، وذلك بصلتهم، والإحسان إليهم، وتفقّد أحوالهم، والقيام على حاجاتهم، ومواساتهم. فقد جعل اللّه قطع الأرحام من الفساد في الأرض، ولعن من يقطع رحمه في قوله: «فَهَلْ عَسيتُمْ إن تولّيتم أن تُفسِدوا في الأرضِ وتُقَطِّعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم اللّهُ فأَصَمَّهُم وأعمَى أبصارَهم» (٤٧/٢٢-٢٣).

بِرُّ الوَالِدَيْن : طاعتهما، وصلتهما، وعدم عقوقهما، والإحسان إليهما، مع إرضائهما بفعل ما يريدانه ما لم يكن إثماً. لقد اهتمّ الإسلام بالوالدين اهتماماً بالغاً، وجعل طاعتهما والبرَّ بهما من أفضل القربات، ونهى عن عقوقهما، وشدّد في ذلك غاية التشديد، كما جاء في القرآن: «وقَضَى ربُّكَ ألاَّ تَعبُدوا إلاَّ إيَّاه وبالوالدَيْنِ إحساناً. إمَّا يَبْلُغَنَّ عندكَ الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهما فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ. ولا تَنْهَرْهُما. وقُلْ لهما قولاً كريماً. واخْفِضْ لهما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرحمةِ. وقلْ ربِّ ارحَمْهُما كما ربَّيانِي صَغيراً» (١٧/٢٣-٢٤). فقد أمر سبحانه بعبادته وتوحيده، وجعل برَّ الوالدين مقروناً بذلك.

كما قرن شكرَهما بشكره في قوله سبحانه: «أنِ اشْكُرْ لي ولوَالِدَيكَ إليَّ المصير» (٣١/١٤)

وقال ابن مسعود: سألت رسولَ اللّه: أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللّه؟ قال: الصلاةُ على وقتها. قلت: ثمّ أيّ؟ قال: بِرُّ الوالِدَين. قلت: ثمّ أيّ؟ قال: الجهادُ في سبيل اللّه»[٢]. فأخبر النبيّ أنّ برَّ الوالدَين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام. وقدّم برَّ الوالدين على الجهاد، لأنّ برَّهما فرْضُ عَينٍ يتعيّن عليه القيام به، ولا ينوب عنه فيه غيره. فقد قال رجل لابن عبّاس: إنّي نذرتُ أن أغزوَ الرومَ، وإنَّ أبويَّ مَنَعَاني. فقال: أطِعْ أبوَيكَ. فإنّ الرومَ ستجدُ مَن يغزوها غيرك»[٣]

البرّ بالوالدين فرْض عين، ولا يختصّ بكونهما مسلمَين؛ بل حتّى لو كانا كافرَين يجب برّهما والإحسان إليهما ما لم يأمرا ابنَهما بشركٍ أو ارتكابِ معصية. قال تعالى: «وَوَصَّينا الإنسانَ بوالدَيهِ حُسْناً. وإنْ جاهداكَ لِتُشْرِكَ بي ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما. إليَّ مرجِعُكم فَأُنَبِّئُكم بما كنتم تعْمَلون» (٢٩/٨).

أمّا الاستغفار للوالدين المشركين فممنوع، إستناداً إلى قوله تعالى: «ما كانَ للنبيِّ والذينَ آمَنوا أن يَستَغفِروا للمشْرِكينَ، ولو كانوا أُولِي قُرْبى» (٩/١١٣).

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٢/٩، ط. السلفيّة؛ ومسلم، ١/٩٠، ط. الحلبي.
(٣) المهذب في فقه الإمام الشافعي ٢/٢٣٠.

فإنّها نزلت في استغفاره لعمّه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين. وانعقد الإجماع على عدم الاستغفار لهما بعد وفاتهما وعلى عدم التصدّق على روحهما[٤].

وقال النبيّ: «كلُّ الذُّنوب يؤخِّرُ اللّهُ منها ما شاءَ إلى يوم القيامةِ إلاّ عقوقَ الوالدين. فإنّ اللّه يعجِّله لصاحبه في الحياة قبل الممات»[٥].

البُرَاق : حيوان خرافي امتطاه النّبي ليلة الإسراء والمعراج. أشار القرآن (١٧/ ١ و٥٩؛ ٥٣/ ١–١٨) إلى رؤيا للنبي رأى فيها أنّه حُمل من مكّة إلى بيت المقدس، وصعد من هناك إلى السماء. والحيوان الذي امتطاه النبي لا يصفه القرآن ولا يذكر اسمه، ولكنّ المفسّرين يقولون إنّ محمّداً كان في تلك الليلة في الحجر بالبيت الحرام، وجاءه جبريل بالبراق. وقد امتطى البراق أيضاً إبراهيم عندما ذهب لزيارة ابنه إسماعيل في منفاه بمكّة. وجاء في وصف البراق: أنّها دابّة «دون البغل وفوق الحمار، أبيض، يضع خطوه عند أقصى طرْفِه».

البَربَر :إسم يُطلق على سكّان إفريقية الشماليّة من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. وهذه المنطقة أطلق عليها لفظة «المغرب» بمدلولها العام. اشتهروا منذ عهد الرومان بتمرّدهم وثوراتهم. من ممالكهم القديمة نوميديا وموريتانيا. سهّلوا غزو الفاندال لإفريقية. دخل معظمهم الإسلام على يد عُقبة بن نافع. وشاركوا في فتح إسبانيا بقيادة طارق بن زياد. أعلنوا العصيان على العبّاسيّين. اشتهرت منهم سلالات ودول: الأغالبة، الرستميّون، المرابطون، الموحِّدون. هم اليوم سكّان جبال أوراس والأطلس والريف وبلاد القبائل والصحراء.

بَرْتِلِمي (أدريان) Barthélemy (ت ١٩٤٩) : مستشرق فرنسي. له قاموس عربي فرنسي.

---

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/ ٢٤٥؛ وشرح إحياء علوم الدين ٦/ ٣١٦؛ والشرح الصغير وحاشية الصاوي عليه ٤/ ٧٤١؛ والفواكه الدواني ٢/ ٣٨٤.

(٥) أخرجه الحاكم ٤/ ١٥٦، ط. دائرة المعارف العثمانيّة.

البُرْدَة : لغةً: كساء يُلتحف به؛ واصطلاحاً: بُردة رسول اللّه التيّ خلّفها لخلفائه، وقد أعطاها لكعب بن زهير حين جاءه تائباً، وأنشده قصيدة يُظهر بها إسلامه، ويمدحه فيها، وهي قصيدة مشهورة مطلعها: «بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ / مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ». فعفا عنه الرسول وأعطاه بردته. ولذلك سُمّيت هذه القصيدة بالبُردة. ويُحدِّد بعضهم أنّ رسول اللّه ألقاها إليه عند قوله: «إنّ الرسولَ لَسيفٌ يُستضاءُ به / مُهنّدٌ من سيوفِ اللّهِ مَسلولُ».

ولمّا كانت خلافة معاوية بعث إلى كعب بن زهير: بِعْنا بُردةَ رسول اللّه بعشرة آلاف. فوجّه إليه: ما كنتُ لأوثر بثوب رسول اللّه أحداً. فلمّا مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفاً وأخذ البردة. وهي لباس الخلفاء في العيدَين.

ونسج الشعراء على منوال قصيدة كعب، تقرّباً إلى اللّه ورسوله. ومن أشهر القصائد في ذلك قصيدة «بردة المديح» للبوصيري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٦م)؛ وقصيدة أحمد شوقي.

بَرْدَيْصَان (ت٢٢٢م) : من أقدم الكتّاب السريان. عاش في الرها. إليه يُنسب «كتاب القدر» أقدم كتاب بالسريانيّة بعد التوراة.

البَرْزَخ : كلمة فارسيّة وعربيّة معناها: حائل، أو حاجز، أو فاصل، أو عائق، أو عقبة. وردت في القرآن ٣ مرّات (٢٣/ ١٠٠؛ ٢٥/ ٥٣؛ ٥٥/ ٢٠). وقيل: هو الحاجز بين الجنّة والنار، أو هو القبر الفاصل بين الدنيا والآخرة. وفي (٢٧/ ٦١) ذكرت كلمة «حاجز» بدلاً من «برزخ»: «وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً». وعذاب البرزخ ونعيمه أوّل عذاب الآخرة ونعيمها.

وتستعمل الفلسفة، المعروفة بالحكمة المشرقيّة، هذه الكلمة للدلالة على الأجسام المظلمة.. ولا تصبح منيرةً إلاّ بعد أن تتّصل بنور الروح. وتُستعمل الكلمة أيضاً عند الصوفيّة بمعنى الخلاء لتصف الحدّ الذي يفصل بين عالم البشر، العالم السفلي، وعالم الأرواح الطاهرة واللّه. وأحياناً يستخدم اصطلاح «برزخ» للدلالة على «الأعراف»، وأيضاً بمعنى السجن أو الحبس.

بَرْصَومَا (ت نحو ٤٩٥م) : كاتب سريانيّ. أسقف نصيبين نحو ٤٥٠. نقل إليها مدرسة الرها. له مؤلّفات دينيّة.

بَرْصِيْصَا : قصّته مرتبطة بما نقرأ في سورة الحشر (٥٩/١٦): «كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر. فلمّا كفر قال: إنّي بريء منك. إنّي أخاف اللّهَ ربَّ العالمين». ويفسّر المفسِّرون هذه الآية على ثلاثة أوجه: الوجه الأوّل: أنّ المراد الإنسان بوجه عامّ؛ الوجه الثاني: أنّ المراد هو قصّة كيف أضلّ الشيطان أبا جهل إبّان غزوة بدر (٨/ ٥٠)؛ الوجه الثالث: أنّ المقصود هو راهب، أو متعبّد، إسمه برصيصا. وقصّته هي أنّه كان يعيش في صومعته، وظلّ يتعبّد فيها ستّين سنة. ثمّ إنّ الشيطان أراده فأعياه. لكنّه وقع آخر الأمر على امرأة قدمتْ عليه، أو أُحضرتْ إليه[1]. فلمّا وقع عليها حملتْ منه. فقتلها ليُخفي خطيئتَه. ودفنها تحت شجرة. ثمّ إنّ الشيطان أتى شخصاً في المنام، وكشف له الستر عن هذه الخطيئة. وتحقّقت الرؤيا بالعثور على الجثّة. فأُخِذ الراهب وحُكم عليه بالموت. وعندئذ ظهر الشيطان وقال: إنّي أنا الذي زيّنتُ لكَ هذه الفعلة، وإنّي لمنجّيك منها إذا سجدتَ لي. فسجد له الراهب. ثمّ توارى الشيطان مردّداً الآية الذي ذكرناها من سورة الحشر.

بُرَيْدَة بن الحُصَيْب (ت ٦٣هـ/ ٦٨٣م) : من أكابر الصحابة. اشترك في فتح خراسان.

بُرُوكِلْمَان (كارل) Brockelmann (ت ١٩٥٦) : مستشرق ألماني. له «تاريخ الآداب العربيّة»، و«تاريخ الشعوب الإسلاميّة».

بُزَاخَة : موقعة في نَجد بحروب الرِّدَّة ١١هـ/ ٦٣٢م. قضى فيها خالد بن الوليد على المرتدّين بقيادة طُلَيحة الأسدي.

البُسْتِيّ (أبو حاتم محمّد بن حِبّان) (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) : مؤرّخ

---

(١) اختلفت الروايات في شأن هذه المرأة: فقيل إنّها كانت ترعى الغنم. وقيل إنّها كانت ابنة جارٍ له. وقيل إنّها كانت أميرة، وإنّه كان لها ثلاثة أو أربعة إخوة. وتزعم رواية أنّها كانت مريضة. وفي رواية أخرى إنّه أخذها الجنون، فعهد بها إخوتُها إلى هذا الراهب.

وجغـرافيّ ومحـدّث من أهل بُست بسجسـتان. ولّي قـضاء سمـرقند. من كتـبه: «المُسنَد الصحيح»، و«علل أوهام أصحاب التواريخ»، و«غرائب الأخبار»، و«روضة العقلاء» في الأدب.

بُسْر بن أبي أَرْطَاة (ت ٨٦هـ/ ٧٠٥م): قائد من أنصار معاوية. قتل الكثير من شيعة علي وآل البيت.

البِسْطَامِيّ (أبو يزيـد) (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م) : نسبـة إلى بسطام بلدة في خراسان. مـتصوّف مشهـور. يوصف بأنّه «سلطان العارفين». عاش عـيشة زهد وتقشّف. «نادرة زمانه حالاً وأنفاساً وورعاً وزهداً واتّقاءً وإيناساً». ويُعد أبو يزيد أوّل من توسّع في اللجـوء إلى الشطحـات. من مأثـوراته ما عُـرف عنه: «كفُ أهل الهمّة أسلمُ من إيمان أهلِ المنّة»، وقوله: «سبـحاني ما أعظم شاني»، وقوله بوحدة الوجود، و بمذهب الفناء، واتّخاذه صفات الذات الإلهيّة..

أسّس أتباعه، بعد قرنٍ على وفاته، الطيفوريّة، وهي مدرسة كانت تعارض مدرسة الجُنيد بتفضيل «السُكْر» الصوفي على «الصحو» الصوفي.

البَسْمَلَة : (راجع مادّة : **الإسم**). عن أبي هُريرة أنّ النبيّ قال : «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يَبدأ فيـه بسم اللّه الرحمن الرحيم فهـو أبتر». بعضُ المفسّرين لا يعتـبرونها آيةً. لقد وُضعت في موضعها للفصل بين السور فقط. ولكنّ المسلمين جميعاً اتّفقوا على أنّ البسـملة جزء من آية في سورة الـنمل. ويعتقـدون أنّ البسملة كُـتبت على جنب آدم، وعلى جناح جبريل، وعلى خاتم سليمـان، وعلى لسان عيسى. ويكثرون استعمالها في المخطوطات والزخارف المعماريّة واللوحات والرسوم الفنّيّة.

البَسُوس : المرأة التي كـانت السبب في نـشوب الحـرب بين قَبـيلتَي بكْر وتَغْلب في الجـاهليّـة، وبينهـما صـلة رحم. وَجد كُلَـيب بن ربيعـة الـثعلبي ناقـةَ البسوس في مرعاه؛ فقتلها. فدفع ذلك جسّاساً بن مرّة البَكْري قريبَ البسوس إلى الثأر، وقَتل كُليباً. فقـام المهلهل يطلب بثأر كُليب أخيه. ودامت الحـرب أربعين سنة. اشتهرت بشعر المهلهل في رثاء أخيه.

بَشَّار بن بُرْد (ت ١٦٧هـ/٧٨٣م) : شاعر هجّاء من شعراء العصر العباسي الأوّل. عاش في البصرة وبغداد. وهو من أصل فارسي، وقد دفعتْه نزعته الفارسيّة إلى مهاجمة العصبيّة العربيّة، مع أنّه كان ينظّم الشعر بلغة الضاد. كان ميّالاً للمعتزلة وللزرادشتيّة، وجانحاً إلى المجون والتشبيب بالنساء. هجا المهدي فسخط عليه، ورآه مرّة سكران يؤذّن فرماه بالزندقة وضربه سبعين سوطاً حتّى مات. كان أعمى، غليظ المنظر، متبرِّماً بالناس.

بُشْر بن البَرَاء (ت ٦هـ/٦٢٨م): صحابيّ من المدينة. اشترك في بَيعة العقبة.

بُشْر بن مَرْوَان بن الحَكَم (ت ٧٥هـ/ ٦٩٤م): أمير أمويّ. حاكم الكوفة والبصرة. كان محبًا للشعر واللّهو. مدحه الأخطل وجرير والفرزدق.

بُشْر بن المُعْتَمِر (أبو سهل البغدادي) (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م): معتزلي من الكبار. عاش في بغداد أيّام الرشيد. إليه تنسب «البُشْريّة».

بُشْر الحَافِي (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م): صوفي من أهل مَرو. عاش في بغداد.

البَشِير : هو الذي يزفّ البشارة أو البشرى. وهو الإنجيلي عند النصارى. أمّا في القرآن فهو محمّد الذي كان يتّصف، بادئ ذي بدء، بكونه «بشيراً ونذيراً»[1]، أو «مبشِّراً ونذيراً»[2]. وما القرآن، في حقيقته، إلاّ حامل «بشرى»، أو هو «هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين»[3]. وكان اللّه يأمر محمّداً بتبشير الناس الذين يعملون الصالحات بأنّ لهم أجراً حسناً[4]..

بَشِير بن سَعْد (ت ١٢هـ/٦٣٣م): أنصاريّ. استُشهد في عين التمر.

---

(١) ٢/١١٩؛ ٣٤/٢٨؛ ٣٥/٢٤؛ ٤١/٤؛ رَاجع أيضاً : ٥/١٩؛ ٧/١٨٨؛ ١١/٢.

(٢) رَ : ١٧/١٠٥؛ ٢٥/٥٦؛ ٣٣/٤٥؛ ٤٨/٨.

(٣) رَ : ٢/٩٧؛ ٣/١٢٦؛ ٨/١٠؛ ١٦/٨٩ و١٠٢؛ ٢٧/٢؛ ٣٩/١٧.

(٤) رَ : ٢/٢٥ و١٥٥ و٢٢٣؛ ٩/٢١ و١١٢؛ ١٠/٢ و٨٧؛ ١٧/٩؛ ١٨/٢؛ ٢٢/٣٤ و٣٧؛ ٣٣/٤٧؛ ٣٩/١٧؛ ٤٢/٢٣؛ ٦١/١٣

بُصْرَى إسْكِي شَام : مدينة سورية قديمة في محافظة حوران. عاصمة الإقليم العربي في عهد ترايانُس ١٠٦. فيها آثار كنيسة من القرن السادس. كما عُرفت ببحيرا الراهب الذي مرّ به محمّد في تجاراته بين مكّة وبلاد الشام.

البَصْرَة : مدينة في العراق على شطّ العرب. تأسّست سنة ٦٣٦هـ في عهد عُمَر بن الخطّاب. وازدهرت مع العبّاسيّين. وأصبحت والكوفة مهداً للدروس اللغويّة ومركزاً ثقافيًا كبيراً.

بُعَاث : موضع بالقرب من المدينة، اشتهر بالحرب التي نشبت بين الأوس والخزرج قبل هجرة النبي وأصحابه نحو ٦١٧م. وهو موطن قبيلة بني قريظة اليهوديّة. ودارت الدائرة أوّل الأمر على الأوس بعد مناوشات بين الفريقَين، وانتهت بهزيمة الخزرج هزيمةً منكرة. وقد أوحتْ هذه الوقعة بعدّة قصائد تناقلها الناس.

البَعْث : هو إحياءُ اللّه الموتى، وإخراجُهم من قبورهم. إلاّ أنّ الخلاف بين الفلاسفة ورجال الدين يقوم حول كيفيّة البعث: فالفلاسفة يقولون إنّ المَعادَ روحانيّ فقط. وينكرون المعاد الجسماني. والقائلون بالمعاد الجسماني اختلفوا في كيفيّته: فمنهم مَن قال: تُعدم الأجزاء ثمّ تُعاد؛ ومنهم مَن قال: تُفرَّق الأجزاء ثمّ تعاد؛ ومنهم مَن قال: البعث يكون بإنشاء جديد مراعىً فيه النشأة الأولى، والمعاد هو الأوّل بعينه. والنشأة الأولى معرّضة للموت والفساد؛ فيما النشأة الثانية فهي للخلود والبقاء.

البُغَاة : لغةً: من بغى على الناس بغياً، أي ظلم واعتدى، فهو باغٍ، والجمع: بغاة. وبغى: سعى بالفساد، ومنه: الفئة الباغية. واصطلاحاً: البغاة هم الخارجون من المسلمين عن طاعة الإمام الحقّ بتأويل. أو هم الممتنع من أداء الحقّ الواجب الذي يطلبه الإمام، كالزّكاة. ولهم شوكة. وعكسهم: أهل العدل، الثابتون على موالاة الإمام. والخوارج من البُغاة، لأنّهم خرجوا على عليّ لمّا قَبِلَ التحكيم.

البغيّ حرام، والبغاة آثمون. ولكن ليس البغي خروجاً عن الإيمان، لأنّ اللّه سمّى البغاة مؤمنين في قوله: «وإنْ طائفتانِ مِن المؤمنينَ اقْتَتَلوا فأَصْلِحوا بَينَهما.

فإنْ بَغَتْ إحداهُما على الأُخرى فقَاتِلوا التي تَبْغِي حتّى تَفِيْءَ إلى أمْرِ اللَّهِ.. إلى قوله: إنّما المؤمنونَ إخْوَةٌ، فَأصْلِحوا بينَ أَخَوَيْكُم» (٤٩/ ٩-١٠). ويحلّ قتالُهم. وعلى الناس معونة الإمام في قتالهم. ومَن قُتل من أهل العدل أثناء قتالهم فهو شهيد. ويسقط قتالُهم إذا فاءوا إلى أمْر اللّه. فالبغي إنمّا «يكون بالخروج على تأويل، غير قطعي الفساد؛ والمحاربون خرجوا فسقاً وخلوعاً على غير تأويل».

وفي حديث رواه الحاكم وغيره، قال النبيّ لابن مسعود: «يا ابنَ مسعود! أتدري ما حكمُ اللّهِ في مَن بَغَى من هذه الأمّة؟ قال ابن مسعود: اللّهُ ورسولُه أعلم. قال: حكمُ اللّه فيهم ألاّ يُتبَعَ مُدْبِرُهم، ولا يُقتَلَ أسيرُهم، ولا يُذَفَّفَ على جريحِهم»[1].

إنّ قتال البغاة يفترق عن قتال الكفّار بأحد عشر وجهاً: ١- أن يُقصد بالقتال ردعُهم لا قتْلهم؛ ٢- أن يُكَفَّ عن مُدبِرِهم؛ ٣- لا يجهز على جريحهم؛ ٤- لا تُقتل أسراهم؛ ٥- لا تُغنم أموالهم؛ ٦- لا تُسبى ذراريهم؛ ٧- لا يُستعان عليهم بمشرك؛ ٨- لا يوادعهم على مال؛ ٩- لا تنصب عليهم العرادات (المجانيق ونحوها)؛ ١٠- لا تُحرق مساكنهم؛ ١١- ولا يُقطع شجرهم.

بَغْدَاد: عاصمة العراق على دِجلة. عاصمة الخلافة العبّاسيّة ومن عواصم الإسلام التاريخيّة. أسّسها المنصور ١٤٤هـ/٧٦٢م. ودعاها مدينة السلام. فازدهرت مع خلفائه، لا سيّما المهديّ والهادي وهارون الرشيد. نُقلت العاصمة إلى سامَرَّاء (٨٣٦-٨٩٢م). ثمّ استعادت بغداد مركزها وبلغت أوج عزِّها في القرن التالي.

كانت مقرَّ العلماء والشعراء، ومركزاً للآداب والفنون. اشتهرت بالعمران وبكثرة المساجد والمدارس والمستشفيات والحمّامات.. اجتاحها هولاكو ١٢٥٨م وتيمورلنك ١٣٩٢م و١٤٠١م. تنازعها الصَّفَويّون والعُثمانيّون في القرن السادس عشر. واستولى عليها مراد الرابع ١٦٣٨م.

---

(١) أخرجه الحاكم، ٢/ ١٥٥، ط. دائرة المعارف العثمانيّة؛ والبيهقي ٨/ ١٨٢، ط. دائرة المعارف

البَغْدَادِي (أبو منصور عبد القادر بن طاهر) (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) : فقيه أصولي. تفقّه على إبي إسحق الإسفرائيني، فقام مقامه في التدريس. توفّي في إسفرائين. له: «كتاب الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم». فيه يستعرض أصل وتعاليم ثلاث وسبعين فرقة إسلاميّة؛ ويبيّن الفرقة الناجيّة منها، التي هي، في رأيه، أهل السنّة.

البَغَوِيّ (الحسين) (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م) : فقيه شافعي، حجّة في الحديث، ومن أصحاب التفاسير. لقبه: محيي السنّة وركن الدِّين. وُلد في خراسان. درس على الحسين المروذي. له: «معالم التنزيل»، وهو كتاب متوسّط. وصفه الخازن في مقدّمة تفسيره بأنّه "من أجمل المصنّفات في علم التفسير، وأعلاها، وأنبلها، وأسناها". وقال فيه إبن تيميّة: "والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي". وترجع شهرة البَغوي أيضاً إلى مصنّفه في الحديث المعروف بـ «مصابيح السنّة»، وقد جمعه من كتب السنّة السبعة الصحيحة، وبوّبه على أبواب، وقسم الأحاديث في كلّ باب إلى صحيحة وحسنة وغريبة.

البَقَرَة : سورة ٢ من القرآن. وهي أطول السور: **٢٨٦** آية. فيها آية الكرسي (٢/ ٢٥٥)، سيّدة آيِ القرآن؛ وفيها أطول آية، هي آية الدَّين» (٢/ ٢٨٢). تسمّى مع سورة آل عمران : «الزهراوان»، نسبة إلى القصّة التي ذكرت في (٢/ ٦٧-٧٣) عن الفداء الذي قدّمه بنو إسرائيل[1]. ضمّت هذه السورة أحكاماً تشريعيّة تتعلّق بترسيخ العقيدة، وتنظيم المجتمع المسلم، وشؤون الأسرة المسلمة، وأحكام العبادات والمعاملات، ووصفت المؤمنين والكافرين والمنافقين، وبيّنت أركان الإيمان، وتحدّثتْ عن مكر اليهود وعذابهم، ودعت المؤمنين في ختامها إلى الإنابة إلى اللّه.

بَقِيْعُ الغَرْقَد : هي مقبرة أهل المدينة، في الطرف الجنوبي الغربي. وهي أقدم مقبرة للمسلمين. تقع قريباً من المسجد النبويّ. أوّل مَن دُفن فيها من

---

(١) رَ: سفر العدد ١٩؛ وسفر تثنية الاشتراع ٢١/ ١-٩.

المهاجـرين: عثمان بن مظـعون، وفيهـا أيضاً قبور بـنات رسول اللّه وابنه إبراهيم وأكثر أزواجه، وعـثمان بن عفّان، والعبّاس.. والبـقيع من أماكن الزيارة في المدينة حيث اعتاد الحجّاج أن يصلّوا لربّهم ويستغفروه.

عن عائشة قالت: «كلّما كانت ليلتي من رسول اللّه يخرج في آخر اللّيل إلى البقـيع، فيقـول: «السلام عليكم دارَ قومٍ مـؤمنين، وإنّا وإيّاكم متواعـدون غداً، أو مواكلون. وإنّا إن شاء اللّه بكم لاحقون. اللّهمَّ اغـفر لأهل بقيع الغرقد»[1]. وعن ابن عمر قـال: قال رسول اللّه: «أنا أوّل مَن تنْشقّ عنه الأرض، ثمّ أبو بكر، ثـمّ عمر، ثمّ يأتي أهل البقيع، فيُحشَرون معي، ثمّ أنتظر أهلَ مكّة حتّى أُحشَر بين الحرمَين»[2].

البَكَارَة : عذرة المرأة، وهي الجلدة التي على القُبُل. والبِكْر هي المرأة التي لم تفتضّ. وعرّفهـا الفقهاء بأنّها التي لم توطأ. أمّا الثـيوبة فهي زوال البكارة بالوطء ولو حرامـاً. والثّيِّب ضـدّ البكر.. واتّفق الفقـهاء على أنّ سكوت البكر البـالغة عند اسـتئـذانهـا في النكاح إذنٌ منهـا، لحديث رواه ابن عـبّـاس عن النبيّ: «الأيِّمُ أحقُّ بنفسِها من وليِّها، والبِكرُ تُستأذَن في نفسها، وإذنُها صماتُها»[3].

بَكْر بن وَائِل : قبيلـة عربيّة من ربيعة. مـن حروبها حرب البَسـوس بينها وبين تَغلِب أختها. هزمت الفرس في يوم ذي قار.

بِكِرْ (كارل) Beeker (ت ١٩٣٣) : مـسـتـشـرق ألماني. له دراسـات في الإسلام.

بِلّ (جرترود) (ت ١٩٢٦) : مستشرقة بريطانيّـة. اشتهرت برحلاتها في شبه الجزيرة العربيّة ١٩١٣.

البَلاذُرِيّ (أحـمد أبو الحـسن) (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) : من أعظم مؤرّخي العـرب، وعلمائهم فـي الأنساب. نشـأ ببـغداد. كـان صديقـاً للمـأمون والمتـوكّل

---

(١) رواه النسائي، في سننه، كتاب الجنائز، باب ١٠٣؛ حديث رقم ٢٠٣٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب ١٨؛ حديث ٤٠٥٦.

(٣) أخرجه مسلم، ٢/١٣٠٧، ط. الحلبي.

والمستعين والمعتز.. اشتهر من تلاميذه ابن النديم صاحب كتاب الفهرست، وجعفر بن قدامة صاحب كتاب الخراج، ووكيع القاضي الفقيه المعروف.

بقي من مصنّفاته العديدة في التاريخ والأدب والشعر إثنان: «*فتوح البلدان*»، وهو من أهم المصادر في تاريخ الفتوح العربيّة. يبدأ بغزوات النبي لليهود ومكّة والطائف إلى جانب غزواته الأخرى، ثمّ يتحدّث عن الردّة وفتح الشام والجزيرة وأرمينية ومصر والمغرب، ثمّ يختمه بفتح العراق وفارس. ويقدّم فيه عدداً كبيراً من نصوص المعاهدات وعقود الصلح التي أبرمها المسلمون مع غيرهم.. ويتحدّث عن نشأة النقود الإسلاميّة، وعن أرض الخراج، وعن الأحوال الاجتماعيّة لأهل الثغور، وغير ذلك.

والكتاب الثاني: «*أنساب الأشراف*»، وهو مصنّف شامل، من عدّة أجزاء، ولكنّه لم يتمّه. رتّبه تبعاً للأنساب. ويكاد الجزء الأوّل يقتصر على السيرة النبويّة، وينتهي ببيعة أبي بكر. ثم يكمّل في الأجزاء التالية، بسِيَر الصحابة، وقبائل قيس وثقيف التي يترجم لبعض رجالها، ثمّ يأتي على ذكر أنساب العلويّين، والعبّاسيين، وبني هاشم، وبني عبد شمس، والأمويّين، ثمّ بقية قريش، وبطون من مُضَر.

بْلاَشِيْر (رجيس) Blachère (ت١٩٧٣) : مستشرق فرنسي. أستاذ الفلسفة العربيّة في السوربون، ومدير معهد الدراسات الإسلاميّة في باريس. من آثاره «تاريخ الآداب العربيّة»، وترجمة القرآن إلى الفرنسيّة.

البَلاَغَة : ١ . إسم من بَلَغَ، ومعناه، لغةً: الوصول والانتهاء ومشارفة الغاية؛ واصطلاحاً: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. وعلم البلاغة ثلاثة فروع : ١- علم المعاني يبحث في أنواع الجمل المختلفة واستعمالها، وتُعرف به أحوال اللّفظ العربي من حيث مطابقته لمقتضى الحال؛ ٢- وعلم البيان يعلّم الإنسانَ صناعةَ الكلام الفصيح من غير إبهام، ويُعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة، ومباحثه التشبيه والمجاز والاستعارة والتعريض والكناية؛ ٣- وعلم البديع يبحث في تحسين الكلام ويتناول عدداً كبيراً من صور القول، كالإطناب والقلب والاستخدام.

٢ . جاء القرآن بمعجزة بلاغية تحدّى الأنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً (ر: ١٧/٨٨). ويظلّ إعجاز القرآن البلاغيّ، أو البياني، أهمّ جانب من جوانب إعجازه؛ لأنّه هو الذي شدّ العرب منذ أوّل نزوله وحيّرهم. وذهب بعيداً في تأثيره في النفوس وفعله في القلوب وروعته في السمع. وقد أشار إلى هذا في قوله: «لو أنزَلْنا هذا القرآنَ علَى جبلٍ لَرَأيتَه خَاشِعاً مُتصَدِّعاً مِن خَشْيةِ اللّه» (٥٩/٢١)، وفي قوله: «تقشَعِرُّ منه جلودُ الذينَ يَخْشَونَ ربَّهم ثمّ تَلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكرِ اللّه» (٣٩/٢٣)، وقوله: «إذا تُتلى عليهم آياتُ الرحمنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكِيًا» (١٩/٥٨)..

٣ . أمّا أوجه الإعجاز البلاغي في القرآن فكثيرة، منها :

١ – تلاؤم نسيجه الصوتي، وما يَحْويه من إيقاع يُقَرِّبه من الشِّعر؛

٢ – والتئام كلماته، والتحام أجزائه بعضِها ببعض؛

٣ – ودقّةُ تعبيره وسلامة ألفاظه، واختيار كلماته؛

٤ – والترابط التامّ بين وحدات السورة؛

٥ – وتنوّعُ موضوعاته رغم ما قد يبدو في بعضها من تكرار؛

٦ – وتصويرُه الفنّي، مع الإبداع في العرْض، والجمال في التنسيق؛

٧ – واشتمالُه على صورٍ من البديع لا تجتمع في عملٍ أدبيٍّ واحد؛

٨ – ودلالةُ الألفاظ من حيث هي أداة لتصوير المعاني؛

٩ – وتطويرُه ألفاظ اللّغة من التعبير عن الحياة البدويّة البسيطة إلى التعبير عن ثقافة وحضارةٍ جديدتَين. «وبهذا أوجد القرآن ظاهرة فريدة في تاريخ اللغات، إذ لم يحدث للغة العربيّة تطوّر تدريجي، بل شيء يشبه الانفجار الثوري المباغت»[1].

---

(١) قاموس القرآن الكريم، لغة القرآن، دراسة توثيقيّة فنّيّة، الدكتور أحمد مختار عمر،

٤ . من **أوجه البلاغة** في القرآن :

١ – **الإطناب** : لغةً: الإكثار والتطويل والمبالغة فيما أخذ فيه المرء. ومثله الإسهاب. وهو المبالغة في النطق والوصف، مدحاً كان أو ذمّا. وأطنب في الكلام بالغَ فيه، وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد.. والإطناب يقتضي الزيادة في المعنى أو في اللّفظ: ففي قوله: «إهدِنا الصِّراط المستقيم» ما يغني عن زيادة «صراط الذين أنعمتَ عليهم ولا الضالّين»، إذ هي كافية في بيان المراد[٢]؛ وفي قوله: «الذينَ يَحملون العرشَ ومَن حولَه يُسبِّحونَ بحمدِ ربِّهم، ويؤْمِنون به» (٤٠/٧)، «يؤمنون به» إطناب، لأنّ إيمان حملة العرش معلوم؛ وقوله: «وويلٌ للمشركين الذينَ لا يُؤتُونَ الزّكاة» (٤١/٦–٧)، ليس من المشركين مزكٍّ، ونُكتته حثّ المؤمنين على أدائها وتحذيرهم من منعها.

٢ – **التّتْميم** : فنّ بديعي، وصورة من صور الإطناب، ومعناه لغةً: زيادة الناقص ليكون تامّا؛ واصطلاحاً: أن توفي المعنى حقّه وتعطيه نصيبه من الصحّة، ثمّ لا تغادر معنى فيه تمامه إلاّ تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلاّ تذكره». أو هو «الإتيان في النظم والنثر بكلمة، إذا طُرحتْ من الكلام نقص حسنه ومعناه».. ومن أمثلته في القرآن قوله: «مَن عَمِلَ صالحاً، مِن ذَكَرٍ أو أُنْثى، وهو مؤمنٌ فلنُحْيِيَنَّه حياةً طَيِّبةً» (١٦/٩٧). فقوله: «مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى» تتميم؛ وقوله «وهو مؤمنٌ» تتميم ثانٍ.. ومنه قوله: «وَيُطعمونَ الطّعامَ على حُبِّه مِسْكيناً ويتيماً وأسيراً» (الإنسان ٨)؛ فقوله: «على حُبِّه» هو تتميم للمبالغة.. ومنه قوله: «ولم تكنْ له فئةٌ يَنصُرونه من دون اللّهِ وما كانَ مُنتَصراً» (١٨/٤٣)؛ فقوله: «وما كان منتَصراً» تتميم.. ومنه قوله: «أَلَهمْ أرجُلٌ يَمشونَ بها، أم لهم أيدٍ يَبطشون بها، أم لهم أعينٌ يُبصرون بها، أم لهم آذانٌ يَسمعون بها...» (٧/١٩٥)، فكلٌّ من : يمشون بها، و يبطشون بها، و يبصرون بها، و يسمعون بها.. من صور التتميم.

مؤسّسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط ٢؛ ١٩٩٧؛ ص ٢٠٦.

(٢) أ.د.عبد العظيم إبراهيم المطعني، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص ٤٥٤–٤٥٥.

٣ – **التشـبيه:** يَكثُرُ التـشبيـه في القرآن كثـرته في لغة العرب حـتّى قال المبرد: «لو قال قائل هو أكثـر كلام العرب لم يَبْعُدْ». يستمدّ القرآن عناصـر تشبيهه من الطبيـعة، لتقريب الصـورة، وشدّة إيضاحها، وتـيسير إدراك جمـالها على كلّ شخص، من ذلك: التـشبيـه بالعُرجـون (٣٦/٣٩)؛ وبأعجاز نخل منقـعِر» (٥٤/ ٢٠)؛ وبالعَـصْف المأكـول (١٠٥/٥)؛ وبالحـبّـة أنبـتت سـبع سنابل (٢/٢٦١)؛ وبالعنكبـوت (٢٩/٤١)؛ وبالحمار يحـمل أسفـاراً (٦٢/٥)؛ وبالكلب الذي يلهث (٧/١٧٦)؛ وبالفـراش المبثـوث (١٠١/٤)؛ والجراد المنتـشر (٥٤/٧)؛ والجِـمال (٧٧/٣٣)؛ والأنعام (٧/١٧٩)؛ والبنيان المرصوص (٦١/٤)؛ وغير ذلك...

٤ – **الإيجاز** : من أدقّ الأسالـيب، وأكثرها حكـمة، وأغزرها مـعنى. وهو شطر البـلاغـة. أو هو كلّ البـلاغـة. والإيجـاز، في اللـغـة، يدور حـول الإقـلال والاختصار. أمّا الإيجاز، في الاصطلاح، فيدور حول قلّة الألفاظ مع كثرة المعاني.. وسمّاه الرماني: «الإيجاز هو العـبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف»[٣].. وعرّفه ابن سنان الخفاجي بقوله: «هو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ»[٤].. وعرّفه الخطيب القزويني بقوله: الإيجـاز «تأدية المعنى الكثير في لفظ قليل»[٥].. والإيجاز، لما يحمل من دقائق وأسرار، كثر ورودُه في القرآن كثرةً مستفيضة.

من أمثلة الإيجاز في القرآن قوله: «أخـرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها» (٧٩/ ٣١) حيث دلّ بكلمتَين على جميع ما أخـرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والشجر والحَبّ والثـمر والعصف والحطب واللباس...؛ وقوله: «فـقال لهم رسولُ اللّه: ناقةَ اللّـهِ وسُقيـاها» (٩١/١٣)، وتقديره: ذَروا ناقةَ اللّـه، والزَموا سُقـياها؛ وقوله: «ولو تَرى إذْ وُقِفُوا على النار» (٦/٢٧)، وتقديره: لرأيت أمراً فظيعاً لا تكاد تحيط به العبارة. إلخ..

---

(٣) النكت في إعجاز القرآن، ص ٧٠.
(٤) سرّ الفصاحة، ص ٢٤٣.
(٥) التلخيص، ص ١٠٦.

٥ – **الاستعارة** : قال الجاحظ: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»[٦]؛ أو هي «اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة، من إرادة المعنى الوضعي»[٧]. تلجأ اللغة إلى الاستعارة للتقليل من وضع ألفاظ جديدة للمعاني الجديدة، وذلك بنقل اللفظ من معناه الذي وُضع له إلى معنى آخر وثيق الصلة بالمعنى الأوّل، كقوله: «كتابٌ أنزلناه إليكَ لتُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النّور» (١٤/١)، أي من الكفر إلى الإيمان؛ وقوله: «وتركنا بعضَهم يومئذٍ يَمُوجُ في بعضٍ» (١٨/٩٩)؛ وقوله: «ربِّ إنِّي وَهَنَ العظمُ منّي واشتعلَ الرأسُ شَيْباً» (١٩/٤)؛ وقوله: «ولمّا سكتَ عن موسى الغضَبُ» (٧/١٥٤)؛ وقوله: «والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ» (٨١/١٨)؛ وقوله: «بل نَقْذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فيَدْمَغُهُ» (٢١/١٨).

٦ – **الكناية** : لفظ أريد به لازم معناه. وليس هناك ما يَمنع أن يُراد به، إلى جانب ذلك، معناه الحقيقي.. ممّا جاء من الكنايات قوله: «ولا تَجعلْ يدكَ مَغلولةً إلى عُنُقكَ. ولا تَبسُطْها كلَّ البَسْط» (١٧/٢٩)، وهي كناية عن البخل. وقوله: «أيُحِبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحمَ أخيهِ مَيتاً فكَرِهتُمُوهُ» (٤٩/١٢)، وهي الغيبة، أي أنتَ حين تغتاب تأكل لحم أخيك، وإنّه ليس أي لحم، إنّه لحم ميت متفسّخ منتن. فمن يستطيع أن يأكل لحم أخٍ ميتٍ متفسّخ؟ وقوله: «ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ من قَبلِه الرسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ كانا يأكلان الطّعامَ» (٥/٧٥)، إنّ الكناية في قوله: «كانا يأكلان الطعام». لقد وصف اللّه المسيح بصفات البشر، وفي ذلك أدب رفيع، وذوق عالٍ، ورقّة ما بعدها مزيد.

وقوله حين أراد التعبير عن الغاية من المعاشرة الزوجيّة، وهي التناسل، بأن رمز إلى ذلك بالحرْث: «نساؤكم حَرْثٌ لكم» (٢/٢٢٣)، وباللباس: «هنّ لِباسٌ لكمْ وأنتم لِباسٌ لهنَّ» (٢/١٨٧)؛ وبالتلامس (أوْ لامَسْتُمُ النساء» (٤/٤٣)؛

---

(٦) البيان والتبيين، ١/١٥٣ و٢٨٤.

(٧) البلاغة الواضحة، ٤. مبحث الاستعارة، حامد عوني.

وبالتغشّي: «فلمّا تغشّاها حملَتْ حَمْلاً خَفِيفاً» (٧/ ١٨٩)؛ وبالرّفَث: «أُحِلَّ لكم ليلةَ الصِيامِ الرَّفَثُ إلى نسائكم» (٢/ ١٨٧).. إلخ.

٧ – **التعريض** : هو لفظ استُعمل في معناه للتلويح بغيره. وقد جاء أكثر ما جاء في القرآن بقصد الذمّ أو التهكّم، كقوله: «قال: بل فَعَلَه كبيرُهم هذا. فاسألوهم إنْ كانوا يَنطِقون» (٢١/ ٦٣)...

٨ – **البديع** : البديع في اللّغة هو الجديد والطريف والمخترع، واصطلاحاً هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام. وهو العلم الثالث من علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع... والبديع في القرآن فطري جرى مع طبيعة الأسلوب، ولم يَصِرْ إليه حلية لفظ أوتزويق عبارة. وهو فيه سمة من سمات إعجازه وحسنه سواء أكان راجعاً إلى المعنى أو راجعاً إلى اللفظ وحسنه.

(أطلب مادّة: **القرآن/ مآخذ وملاحظات على بلاغة القرآن**).

بَلال بن رَبَاح الحَبَشِيّ (ت ٢٠هـ/ ٦٤١م) : أوّل من أذَّنَ لرسول اللّه. وهو عبد من أصل حبشي. اعتنق الإسلام وانضمّ إلى جماعة النبيّ الصغيرة. واضطهده أعداء الرسول، ولكنّه ظلّ صادقَ الإسلام، الأمر الذي حبّب إلى أبي بكر شراءه وإعتاقه. تُوفّي بدمشق، وقد أشرف على الستّين. ودُفن فيها، أو في داريًّا المجاورة لها.

بَلْقِيْس : الإسم الذي يُطلقه المسلمون على مَلَكة سبأ. وقد نشأت منذ القدم عدّة أساطير من القصّة الواردة في التوراة (١ مل ١٠/ ١–١٠ و١٣) عن قدوم ملكة سبأ على سليمان لامتحانه في مسائل عويصة. وذكر القرآن (٢٧/ ٢٠–٤٥) خبر ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس من دون اللّه، فحمل إليها هدهدٌ كتاباً من سليمان يدعوها إلى عبادة اللّه الحقّ، ففزعتْ وأرسلتْ إليه هديّة. ولكنّه ردّها. وعندئذٍ ذهبت إليه بنفسها، فأمر سليمانُ عفريتاً أن يُحضر إليه عرشَها لينظر هل تستطيع أن تهتدي إليه. ثمّ قادها إلى قصرٍ من الزجاج الشفّاف. ولمّا أرادت عبور الباب إلى داخل القصر، ظنّته ماءً.. فكشفت عن ساقَيها كي تدخل. ولمّا أخبرها أنّه

من الزجاج أيقنت بعظمة ما أعطاه الله. وانتهى الأمر بها إلى أن آمنت بسليمان وأعلنتْ إسلامَها.

بِلُو (يوحنا) Belot (ت ١٩٠٤) : مستشرق فرنسي وراهب يسوعي. له «الفرائد الدريّة» في العربيّة والفرنسيّة.

البُلُوغ : هو عند الفقهاء قوّة تحدث للشخص، تنقله من حال الطفولة إلى حال الرجولة. وهو يحصل بظهور علامة من علاماته الطبيعيّة، كالاحتلام، وكالحبل والحيض في الأنثى. وقد اختلف الفقهاء في تقدير البلوغ، فقدّره أبو حنيفة بثماني عشرة سنة للفتى، وسبع عشرة سنة للفتاة. وقدّره الصاحبان والشافعي وأحمد بخمس عشرة سنة. والمشهور عند المالكيّة تقديره بثماني عشرة سنة لكلّ من الذكر والأنثى.

البِنَاءُ بالزَّوجَة (أطلب مادّة: **الدخول**).

البَنَّا (الشيخ حسن) (ت ١٩٤٩م) : مؤسّس جمعيّة الإخوان المسلمين في مصر. مات اغتيالاً. من أقواله: «إنّ الإسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسيّة ودين ودولة وروحانيّة ومصحف وسيف».

بَهَاءُ الدِّين زَكَرِيّا (ت ٦٦١هـ/١٢٦٢م) : من أعظم مريدي الشيخ شهاب الدين السُّهرَوَردي في بغداد. ثمّ أصبح خليفته. وُلد بملتان، وعاش ما يقارب المائة سنة. أسّس السهرورديّة في البنجاب والسند.

بَهَاءُ الله (ت ١٨٩٢م) : لقب ميرزا حسين علي نوري. مؤسّس البهائيّة. خليفة الباب. وُلد في طهران، وهو أخ غير شقيق لميرزا يحيى الملقّب «صبح أزل». سُجن في طهران ثمّ نُفي إلى بغداد عام ١٨٥٢م. واستقرّ فيها. وضع أسس دعوته التي تجعل من البابيّة ديناً من الأديان العالميّة. مات في عكّا. خلفه ابنه الأكبر عبّاس أفندي الملقّب بـ«عبد البهاء» (ت ١٩٢٠م).

ادّعى البهاء أنّه خليفة القائم (الباب). ثمّ ادّعى أنّه القائم نفسه. ثمّ تقدّم خطوة أخرى فادّعى أنّ القائم كان ممهِّداً له. فلهذا، فهو القيّوم. ثمّ انتحل مقام

النبوّة. وأخيراً ادّعى الألوهيّة والربوبيّة، وأنّه مظهرُ الحقيقة الإلهيّة التي لم تصل إلى كمالها الأعظم إلاّ حينما تجسّدتْ فيه، وأنّ كلّ الظهورات الإلهيّة، التي سبقت منذ آدم مروراً بالأنبياء جميعاً، كانت درجات أدنى حتّى وصلت إلى كمالها في تجسّدها في شخصه..

وترك بهاء اللّه بعضَ الكتب والرسائل، منها: «الإيقان»؛ ورسائل «الألواح»، و«الإشراقات»، و«الهيكل»، و«الكلمات الفردوسيّة»، و«العهد». وأشهر كتبه «الأقدس»، وقد كتبه في السنوات الأخيرة من حياته.

مذهب بهاء اللّه : الحياة المستقيمة عنده هي أن لا يُؤذي أحدنا الآخر، وأن يُحبّ بعضنا بعضاً، وألاّ نقابل الظلم بالعصيان، ونراعي الخير وحده، ونكرّس أنفسَنا لإبراء المرضى... ولا يعرف هذا الدين الشدّة أو القسوة، بل هو يرى أنّ الإنسان قد خُلق ليكون سعيداً.

ومن عقائد البهائيّة أنّهم يعبدون البهاء، ويتوجّهون إلى قبره بالعبادة، ويحجّون إليه. ومن كلامه في ذلك: «مَن توجّه إليّ فقد توجّه إلى المعبود. أمّا الذين يتوجّهون بعبادتهم إلى اللّه، فإنّما يتوجّهون بها إلى وهْم أفكته الظنون».. والقِبلة كانت في حياة البهاء إلى قصره، وبعد موته إلى قبره. والحجّ إلى قصره في حياته، وإلى قبره بعد موته. والزواج للرجل أن يتزوّج بامرأتين. ولم يحرّم من النساء إلاّ الأمّ فقط. والربا مباح. والجهاد محرّم. ويكفرون بالآخرة. ويحرّفون الكلام عن معانيه[١].

البَهَرَة : إسم الإسماعيليّة الهنود، أحد فروع الإسماعيليّة المستعلية. وكانوا أصلاً هندوكيّين اعتنقوا الإسلام. ولا يزالون حتّى اليوم في غرب الهند. معظمهم تجّار، (هذا معنى اسم البَهَرة في لغتهم)، ويقيمون في المدن. يقدّسون داعيهم المطلق تقديساً تامّاً، ويطيعون أوامره. وله عليهم سلطة مطلقة: فله أن يستولي على تركة الموتى، وأن يأخذ من الأحياء ما يريد من أموالهم.

---

(١) رَ مادّة «البهائيّة»، د. محمّد إبراهيم الجيوشي، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٢٩٦-٢٩٧.

ويتّخذ البَهَرة أماكن خاصّة بهم للصلاة، إسمها «جامع خانة»، ولا يسمحون بإقامة الصلوات في المساجد العامّة. يتظاهرون بالإسلام ويصلّون كما يصلّي المسلمون، ولكنّهم، في الباطن، يصلّون للإمام المستور. كما أنّهم يذهبون إلى مكّة للحجّ، ولكنّهم يعتقدون أنّ الكعبة رمز على الإمام المستور. وعقيدتهم، بالإجمال، هي عقيدة الإسماعيليّة.

بُوسْتْ (جورج) Post (ت ١٩٠٩) : طبيب أميركي. أستاذ في الجامعة الأميركيّة في بيروت. له مؤلّفات في النبات والطبّ، و«معجم الكتاب المقدّس».

بوستِل (غِليوم) Postel (ت ١٥٨١) : مستشرق ورحّالة فرنسي. دعا إلى مصالحة الإسلام فخُذل ومات سجيناً.

البُوصِيْرِيّ (أبو عبدالله شرف الدين) (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٦م) : نسبته إلى بوصير إحدى قرى محافظة بني سويف حيث نشأ. ثمّ انتقل إلى القاهرة لطلب العلم. فأتقن الأدب والشعر، وتقلّد عدّة وظائف. ثمّ تنسّك وتصوّف. إلى أن توفّي ودفن في القاهرة، وقبره يُزار حتّى الآن، وبه مسجد تُقام فيه الشعائر والصلوات.

من شعْره قصيدة «البردة» التي هي من أفضل مدائح الرسول بعد «بانَتْ سُعادُ». قيل إنّه فُلِجَ فنظمها في مرضه، وتوسّل بها إلى رسول الله، فشُفي من مرضه.. وقد اتّخذ شعراء المدائح النبويّة هذه القصيدة نموذجاً ينسجون على منواله.. وكذلك قصيدة «الهمزيّة» في مدح النبيّ لا تقلّ عن البردة.. وقصيدة أخرى على وزن «بانتْ سُعادُ»، إلى غير ذلك من قصائد في المدائح النبويّة.

البُوَيْطيّ (أبو يعقوب يوسف) (ت ٢٣١هـ/٨٤٦م) : فقيه مصريّ. صاحب الإمام الشافعيّ. قام مقامه في الدرس والإفتاء بعد وفاته. ولمّا كانت المحنة في خلق القرآن حُمل مقيّداً إلى بغداد، في أيّام الواثق. ومات في السجن. له «المختصر» في الفقه، اقتبسه من كلام الشافعيّ.

البُوَيْهِيُّون : أسرة فارسيّة حكمت في أصفهان وشيراز وكِرمان وبغداد (٣٢٠-٤٤٧هـ/٩٣٢-١٠٥٥م). أسّسها أبو شجاع بُويه وأولاده الثلاثة: عماد

الدولة وركن الدولة ومعزّ الدولة الذي دخل بغداد سنة ٩٤٥م. من سلاطينها عَضُد الدولة. أضعفت سلطةَ الخلفاء العبّاسيّين. قضى عليها طُغرُل بِك السلجوقي. أشهر وزرائها: إبن العميد، الصاحب بن عَبَّاد.

البَيْت : إنّ صلاة الرجل في المسجد جماعةً أفضل من صلاته منفرداً في البيت، لحديث أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاة أحدِكم وحدَه بخمسٍ وعشرين درجة»[1].. أمّا في حقّ النساء فإنّ صلاتهنّ في البيت أفضل، لحديث أم سَلَمة مرفوعاً: «خيرُ مساجدِ النساءِ قَعْرُ بيوتهنّ»[2]، ولحديث ابن مسعود قال: قال رسول اللّه: «صلاة المرأة في بيتها أفضلُ من صلاتها في حُجْرتها، وصلاتُها في مَخدعِها أفضلُ من صلاتها في بيتها»[3].

البَيْتُ الحَرَام : يُطلق على الكعبة. جاء في القرآن: «جَعَلَ اللّهُ الكعبةَ البيتَ الحَرامَ قِياماً للنّاس» (٥/٩٧). وهي بيت اللّه، لقوله: «وَطَهِّرْ بيتي للطائفينَ والقائمينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٢٢/٢٦). والبيت الحرام أوّل مسجد وُضع للعبادة في الأرض، لقوله: «إنَّ أوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناس للذي بِبَكَّةَ مُباركاً وهُدى للعالَمِين» (٣/٩٦). وهو البيت العتيق، والمسجد الحرام، والكعبة.

فرض اللّه الحجَّ لمن استطاع إليه سبيلاً. وأمر المسلمين أن يتّخذوه قِبلتَهم في صلاتهم. وهو أوّل المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرِّحال إلاّ إليه، وهي: **المسجد الحرام** في مكّة، و**المسجد النبويّ** في المدينة، و**المسجد الأقصى** في القدس.

بَيْتُ الحِكْمَة : مكتبة شهيرة في بغداد. وضَع نواتها الرشيد، ونمّاها المأمون الذي أقام عليها سهل بن هارون. فجمع فيها النقلة يعرّبون الكتب اليونانيّة، من فلسفيّة وطبّيّة. من أبرز العاملين فيها: يوحنّا بن ماسَويه، ويوحنّا بن البطريق، وحُنين بن إسحق الذي كان يمنحه المأمون زنة ما يترجم من الكتب ذهباً.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٢/ ١٣١، ط. السلفيّة؛ مسلم، ١/ ٤٤٩، ط. عيسى البابي الحلبي.

(٢) أخرجه أحمد، ٦/٢٩٧، ط. الميمنيّة.

(٣) أخرجه أبو داود، ١/ ٣٨٣، ط. عبيد الدعاس.

البَيْت المَعْمُور : بناء في الجنّة هو مثال الكعبة على الأرض. على مثالها بنى آدم الكعبةَ في مكّة؛ وذلك بعد أن أوحوا إليه شكلَها الهندسي؛ تماماً كما هو هيكل سليمان على مثال هيكلٍ للّه في السماء.

بَيْتُ المَقْدِس : إسم لمكان العبادة المعروف في أرض فلسطين. وللمسجد الأقصى ببيت المقدس أحكام يختصّ بها عن سائر المساجد (رَ: **المسجد الأقصى**).

بَيدَبَا : حكيم هنديّ. ألّف بالسانسكريتيّة مقدّمة كتاب «كليلة ودمنة»، وأهداها لدبشليم ملك الهند نحو القرن الثالث.

البِيْرُونِيّ (أبو الريحان) (ت ٤٤٨هـ/١٠٤٨م) : عربي من أصل فارسي. مؤرّخ ورياضي من علماء الإسلام المشهورين. ولد بضواحي خوارزم. ودرس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ. صديق ابن سينا. من مؤلّفاته: «الآثار الباقية عن القرون الخالية»؛ و«تاريخ الهند»، و«القانون المسعودي» في الهيئة والنجوم، وكتب أخرى في الفلك والرياضيّات والطب والصيدلة..

البَيْضَاوِيّ (ناصر الدين عبدالله) (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) : إمام، قاضي القضاة، شافعي. ولد في مدينة البيضاء بفارس. اشتهر بتفسيره للقرآن المسمّى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». اعتمد فيه على تفسير الزَّمَخشري، واستمدّ من التفسير الكبير للفخر الرازي، ومن تفسير الراغب الأصفهاني. يعتبره أهل السنّة أحسن تفسير، بل يكاد أن يكون كتاباً مقدَّساً.. وكان يُستعمل ككتاب مدرسي في المدارس الإسلاميّة. إنّه تفسير جامع بين التفسير والتأويل؛ يمتاز بالنكات البلاغيّة؛ يخلو من النزاعات الاعتزاليّة، صِيغ بإيجاز وبصياغة دقيقة.

وللبيضاوي أيضاً: «منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«طوالع الأنوار» في التوحيد، و«مختصر الكشّاف»، وغيرها.

البَيْع : هو مبادلة مال بمال، أو: مقابلة شيء بشيء، أو: دفع عوض وأخذ ما عوض عنه. والبيع من الأضداد، كالشراء، قد يُطلق أحدهما ويراد به الآخر.. والبيع مشروع، دلّ عليه الكتاب بقوله: «وأَحلَّ اللّهُ البيعَ» (٢/ ٢٧٥)، وبقوله: «لا

تأكلوا أموالَكم بينكم بالباطل، إلاّ أن تكونَ تجارةً عن تَراضٍ منكم» (٤/ ٢٩)؛ ودلّت عليه السنّة: سُئل النبيّ: أيّ الكسب أطيب؟ فقال: عمل الرجل بيده، وكلُّ بيعٍ مَبرور»[1]؛ ودلّ عليه الإجماع قد استقرّ على جواز البيع؛ والمعقول فلأنّ الحكمة تقتضيه، لتعلّق حاجة الإنسان بما في يد صاحبه، ولا سبيل إلى المبادلة إلاّ بعوض.

البَيْعَة : لغةً: تُطلق على المبايعة على الطاعة، وتُطلق على الصفقة من صفقات البيع. قال: «إنّ الذينَ يُبَايِعونكَ إنّما يُبَايِعونَ اللّهَ» (٤٨/ ١٠). وفي الحديث أنّ النبيّ قال لمجاشع حينما سأله: علامَ تُبايعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد»[1].. وردت اللفظة مع مشتقّاتها في القرآن حوالي ١٥ مرّة. فهي: «بيعة النفس والمال للّه»، كما في قوله: «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به» (٩/ ١١١)؛ و«مبايعة الرسول» التي هي مبايعة للّه، كما في قوله: «إنّ الذينَ يبايعونك إنّما يبايعون اللّه» (٤٨/ ١٠).

بَيْعَةُ الرِّضْوَان (٦هـ/٦٢٨م) : خرج رسول اللّه يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، ومعه ٧٠٠ رجل، و٧٠ بَدَنَةً. ولمّا علمت قريش بمسيره أقسمتْ لا يدخلنّ مكّةَ. فبعث رسول اللّه إليهم عثمان بن عفّان ليخبرهم بأنّه لا يريد قتالهم. فلمّا أدّى مهمّته، قالوا له: إنْ شئتَ أن تطوف بالبيت فطفْ به. قال عثمان: ما كنت لأفعل حتّى يطوفَ به رسولُ اللّه. فاحتبسته قريش عندها. ثمّ شاع في المسلمين أنّ عثمان قُتِل. وعند ذلك دعا رسولُ اللّه إلى بيعته.. وبايعناه على ألاّ نَفِرّ، ولم نبايعه على الموت». ثمّ بلغ رسول اللّه أنّ عثمان لم يُقتل، فنزل قولُه تعالى: «لقد رَضِيَ اللّهُ عَنِ المؤمنينَ إذ يُبَايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرَةِ. فعَلِمَ ما في قُلوبِهم، فأنزَلَ السَّكينةَ عليهمْ وأثابَهم فتْحاً قَريباً» (٤٨/١٨).

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأولى : كان النبيّ يعرض نفسَه على القبائل في المواسم والأسواق باحثاً عن قبيلة تقف إلى جانبه. فكان رهطٌ من الخزرج، عند العقبة،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٤١، ط. الميمنيّة..

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ١١٧، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٣/ ١٤٨٧، ط. الحلبي.

قرب مكّة، دعاهم محمّد إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. وروى «عُبادة بن الصامت» ما جرى في ذلك اليوم، قال: «كنتُ في مَن حضر العقبة الأولى. وكنّا اثنَي عشر رجلاً. فبايَعَنا رسولُ الله علىٰ ألاّ نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا أو أرجلنا، ولا نعصيه في معروف». ثمّ إنّ رسول الله أرسل معهم إلى المدينة «مصعب بن عمير» وواعده أن يلقاه مع مَن يسلم في موسم الحجّ التالي في العقبة.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَة : في أوسط أيّام التشريق، بعد انتهاء موسم الحجّ، كان «مصعب بن عمير» مع أكثر من سبعين من الأنصار المسلمين قد تسلّلوا إلى العقبة، مستخفين عن أعين قريش، لميعاد رسول الله في العقبة. ولمّا جاء كان بصحبة عمّه «العبّاس» الذي حضر ليستوثق لابن أخيه... ثمّ سألوا النبيّ أن يتكلّم، فتكلّم رسولُ الله، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام، ثمّ قال: «أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».. ثمّ أمرهم رسول الله أن يختاروا منهم اثنَي عشر نقيباً: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. ولمّا تمّ ذلك قال رسول الله للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم. وأنا كفيل على قومي». قالوا: «نعم يا رسول الله. ثمّ بسط يده فبايعوه».

بَيْعَةُ النِّسَاء : جاء في القرآن: «يا أيُّها النبيُّ! إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايعْنَك على أن لا يُشْرِكْنَ باللهِ شيئاً، ولا يَسْرِقْنَ، ولا يَزنينَ، ولا يَقتلنَ أولادَهنَّ، ولا يأتينَ ببُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بين أيديهِنَّ وأرجلهِنَّ، ولا يَعْصينَكَ في مَعروفٍ، فبايِعْهنَّ واستغفرْ لهنَّ اللّهَ. إنّ اللّهَ غفورٌ رحيم» (٦٠/١٢).. وكان رسول الله، إذا أقررن بذلك من قولهنّ، قال لهنّ: «إنطلقنَ فقد بايعتكنّ». ولا والله، قالت عائشة: ما مسّتْ يدُ رسولِ الله يدَ امرأةٍ قط، غير أنّه بايعهنّ بالكلام[٢].

البِيْعَة : (أطلب مادّة: **المعابد**).

البَيْهَقِيّ (أبو بكر أحمد) (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) : فقيه شافعي من كبار

---

(٢) أخرجه مسلم ٣/١٤٨٩، ط. الحلبي.

أئمّة الحديث وحفّاظه. ولد في «بيهق» قرب نيسابور، وتوفّي بنيسابور. طوّف في البلاد، ولقي شيوخاً كباراً. قال عنه إمام الحرَمين: «ما من شافعيّ إلاّ وللشافعي عليه منّة إلاّ البيهقي، فإنّ له المنّة والفضل على الشافعي، لأنّه نَشر مذهبه». ترك مصنّفات هامّة منها: «أحكام القرآن»، و«السنن الكبرى»، وهو موسوعة حديثيّة شاملة في ٧١ كتاباً، على مئات الأبواب، لأحاديث بلغت ٢٦,٤٩٠ حديثاً، و«السنن الصغرى»، و«الآثار»، و«الأسماء والصفات»، و«المبسوط»، و«البعث والنشور»، و«الاعتقاد والهداية». وله في الأدب : «كتاب المحاسن والمساوئ».

ت

تَأَبَّطَ شَرّاً (ثابت بن جابر) (ت نحو ٥٣٠م) : من الشعراء الصعاليك. جاء في المصنّفات تفسيرات مختلفة لهذا اللّقب. ففي ديوان الحماسة أنّه «تأبّط شرًا»، أي سكّيناً؛ وأورد صاحب الأغاني أنّه تأبّط كبشاً تبيّن أنّه غول؛ أو تأبّط جراباً مليئاً بالأفاعي. كان كثير الغارات على الأحياء، وسريع العدو. امتاز شعره بدقّة الوصف وقوّة الملاحظة. أحسن قصائده وأطولها القصيدة التي رثى بها أحد أقربائه. قُتل في إحدى غاراته.

التّابِع : هذه الكلمة، تُطلق على مَن جاء بعد صحابة النبيّ، الذين رأوا النبيّ ولقوه وعاشوا معه. أمّا التابع فهو مِن الرعيل الثاني، أو معاصر النبي الذي لم يلقَه، وإنّما عَرف أحدَ صحابته. وتابعُ التّابع هو الذي لقي أحدَ التابعين. وهكذا. ولقد أثنى القرآن على التابعين بقوله: «والسَّابِقونَ الأوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ والأنْصارِ، والذينَ اتَّبَعُوهُم بإحْسانٍ، رضِيَ اللّهُ عنهم، ورَضُوا عنه، وأعَدَّ لهمْ جنّاتٍ تَجري تحتَها الأنهارُ، خالِدِينَ فيها أبَداً. ذلكَ الفَوزُ العَظيم» (٩/ ١٠٠). وكذلك أثنى الرسول على التابعين بقوله: «خير الناس قرني، ثمّ الذين يلونَهم، ثمّ الذين يلونهم»[1]. وأفضل التابعين مَن سمع مِنَ العشرة المبشَّرين بالجنّة..

التّأريْخ : التقويم في الإسلام يعتمد، بتحريم محمّد للنَّسِيْء، على السنة القمريّة، أي السنة تساوي ١٢ شهراً؛ كلّ شهر ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثواني=٣٥٤ يوماً و٨ وساعات و٤٧ دقيقة و٣٦ ثانية.. وعلى ذلك تتأخّر السنة الهجريّة عن الشمسيّة بحوالي ١١ يوماً. وتعود إلى نفس الزمن الشمسي كلّ ٣٣ سنة تقريباً. وعلى ذلك كانت كلُّ ٣٣ سنة قمريّة تعادل ٣٢ سنة شمسيّة.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل ٧/ ٥٧٠؛ حديث رقم ٢١٢، عن ابن مسعود.

والأشهر القمريّة هي : المحرّم (٣٠ يوماً)، صفر (٢٩)، ربيع أوّل (٣٠)، ربيع ثاني (٢٩)، جمادى الأوّل (٣٠)، جمادى الآخر (٢٩)، رجب (٣٠)، شعبان (٢٩)، رمضان (٣٠)، شوّال (٢٩)، ذو القعدة (٣٠)، ذو الحجّة (٢٩). ويُضاف يومٌ على ذي الحجّة في السنة الكبيس. وتبدأ السنة في التاريخ الإسلامي في أوّل المحرّم من العام الذي هاجر فيه النبي من مكّة إلى يثرب، أي: الجمعة ١٦ تمّوز سنة ٦٢٢ م. ويعود الفضل إلى عمر بن الخطّاب الذي أمر الناس أن يؤرّخوا من عام الهجرة النبويّة هذا.

تَاج مَحَلّ : ضريح عجيب الصنع، أنيق الهندسة. أقامه في مدينة «آكره» الملك شاه جهان ليضمّ رُفات زوجته أرجمند بانوبيكم التي كان متدلّهاً في عشقها. وكان زواج الملك شاه منها في ١٠/٥/١٦١٢م. إذ كانت تبلغ التاسعة عشرة من عمرها. وقد رُزقت منه أربعة عشر ولداً. ثم توفّيت في حزيران ١٦٣١م. بمدينة برهانبور على أثر الوضع.. وتخليداً لذكرها عقد النيّة على أن ينشئ لها ضريحاً جديراً بتخليد حبّه لها. فنقل جثمانها إلى آكره حيث دفنها مرّة أخرى في بقعة استغرق بناؤها ٢٢ سنة، كان يزاول العمل فيها من غير انقطاع عشرون ألف عامل. وهو أشهر أثر معماريّ مُغوليّ ومن روائع الفنّ العالميّ.

تَاسِّيْ (غرسين دي) Tassi (ت ١٨٧٨) : مستشرق فرنسي. تلميذ دي ساسي. محرّر المجلّة الآسيويّة.

التّأوِيْل : ١ . يعني لغةً: الرجوع إلى الأوّل.. ترد في القرآن ١٧ مرّة في أشكال مختلفة. إلاّ أنّها تكاد تكون معانيها واحدة، في مثل قوله: «تأويل الأحاديث» (١٢/٦ و٢١ و١٠١)، و«تأويل الأحلام» (١٢/ ٤٤)، وتأويل الرؤى (١٢/ ١٠٠)، و«تأويل الأعمال (١٨/ ٧٨ و٨٢). أمّا التأويل عند الفقهاء والمتكلّمين والصوفيّين وغيرهم فهو صرف اللّفظ عن المعنى الرّاجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

والفرق بين التفسير والتأويل، على ما يقول الراغب الأصفهاني، هو أنّ «التفسير أعمّ من التأويل. وأكثر ما يُستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في

المعاني؛ كقوله تعالى: «يُخرجُ الحيَّ من الميت» (٣/ ٢٧): إن أراد به إخراج الطير من البيضة كـان تفسيراً؛ وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العـالم من الجاهل كان تأويلاً. والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهيّة، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يُستعمل في الجمل»[1].

التَّبَابِعَة : دولة عربيّة نشأت في اليمن بعد الدولة الحِمْيَريَّة. أوّل ملوكها الحارث الرّائش، وهو أيضاً آخر ملوك سبأ الحِميَريِّين الذين ضعفت أحوالهم، وآل الملك إلى الحارث، فأعاد إلى الدولة قوّتها. وسمّيتْ من ثمّ دولة التبابعة. آخر ملوكها ذو نؤاس صاحب نجران، الذي اضطهد المسيحيّين، فغزا الأحباشُ بلادَه القرن السادس، وأقاموا فيها حتّى الإسلام.

التَّبَتُّل : الانقطاع إلى اللّه بإخلاص العبادة. ويُطلق على الانقطاع عن النساء. وهو، بهذا المعنى، منهيٌّ عنه في الإسلام، وقد ردَّه النبيّ، ولم يأذن فيه، لأنّه من باب تحريم طيّبات ما أحلّ اللّه.

التَّبَرُّك : هو طلب ثبوت الخير الإلهي في الشيء. والتبرّك مشروع، منه التبرّك بآثار النبيّ، إذ اتّفق العلماء على مشروعيّة التبرّك بآثار النبيّ. وأوردوا أخباراً كثيرة تمثّل تبرّكَ الصحابة بأنواع متعدّدة من آثاره. نجملها فيما يأتي:

١ - في وضوئه : كان النبيّ، «إذا توضّأ، كادوا يقتتلون على وضوئه»[1]، لفرط حرصهم على التبرّك بما مسّه ﷺ ببدنه الشريف، وكان مَن لم يُصب من وضوئه يأخذ من بلل يَد صاحبه[2].

٢ - في ريقه ونخامته : كان ﷺ لا يبصق بصاقاً، ولا يتنخّم نخامةً إلاّ

---

(١) مقدّمة التفسير للراغب، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(١) أخرجه البخاري، الفتح، ٥/ ٣٣٠، ط. السلفيّة.

(٢) أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/ ٣٣٠؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٢/ ١٢٤؛ ونسيم الرياض في شرح القاضي عياض، وشرح الشفا ٣/ ٣٩٢.

تلقّوها، وأخذوها من الهواء، ووقعت في كفٍّ رجلٍ منهم، فدَلَكوا بها وجوههم وأجسادهم، ومسحوا بها جلودَهم وأعضاءَهم تبرّكاً بها. وكان يتفل في أفواه الأطفال، ويمجّ ريقه في الأيادي، وكان يمضغ الطعام، فيمجّه في فم الشخص، وكان الصحابة يأتون بأطفالهم ليحنّكهم النبيّ ﷺ رجاء البركة(٣).

٣ – في دمه: ثبت أنّ بعض الصحابة شربوا دمَه ﷺ على سبيل التبرّك. فعن عبدالله بن الزبير أنّه أتى النبيّ وهو يحتجم. فلمّا فرغ قال: يا عبدالله! إذهبْ بهذا الدم فأهرقْه حيث لا يراك أحد. فشربه. فلمّا رجع، قال: يا عبدالله! ما صنعتَ؟ قال: جعلتُه في أخفَى مكان علمتُ أنّه مخفيٌّ عن الناس. قال: لعلّك شربتَه؟ قلت: نعم. قال: ويل للناس منك. وويل لك من الناس. فكانوا يرون أنّ القوّة التي به من ذلك الدم. وفي رواية أنّ النبيّ قال له: مَن خالط دمُه دمي لم تمسّه النار(٤).

٤ – في شَعره: كان النبيّ يوزّع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسَه. وكان الصحابة يحرصون على أن يحصلوا شيئاً من شعره ﷺ، ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرّك به.. وكان يوزّع الشعرةَ والشعرتَين بين الناس(٥).

٥ – في سؤره وطعامه: ثبت أنّ الصحابة كانوا يتنافسون في سؤره ﷺ ليحوز كلٌّ واحدٍ منهم البركة التي حلّت في الطعام أو الشراب من قبل الرسول.. عن عميرة بنت مسعود أنّها دخلتْ على النبيّ هي وأخواتها يبايعْنَه، وهنّ خمس، فوجدتْه يأكل قديدة، فمضغ لهنّ قديدة، ثمّ ناولني القديدة، فمضغتْها كلٌّ واحدة قطعة قطعة، فلقين الله، وما وجُد لأفواههن خلوف(٦). وفي حديث خنس بن عقيل:

---

(٣) نسيم الرياض في شرح القاضي عياض ٣/٣٩٣؛ والخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٥٣؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ٢/١٢٤؛ ومغني المحتاج ٤/٢٩٦؛ وجواهر الإكليل ١/٢٢٤؛ وصحيح مسلم مع النووي ١٤/١٢٢. والحديث أخرجه مسلم ١/٢٣٧.

(٤) راجع: الخصائص الكبرى ١/١٧١؛ وحاشية البيجوري ١/١٠٤؛ ودليل الفالحين ٢/٢٢٢؛ الحاكم ٣/٥٥٤، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٨/٢٧١؛ ورواه البزار باختصار.

(٥) مسلم ٢/٩٤٧، ط. الحلبي؛ زاد المعاد لابن القيّم ١/٢٣٢؛ ونسيم الرياض ٣/١٣٣...

(٦) أخرجه الطبراني ٢٤/٣٤١، ط. وزارة الأوقاف العراقيّة.

سقاني رسول اللّه شربةً من سويق، شرب أوّلَها وشربتُ آخرَها. فما برحتُ أجد شبعها إذا جعت، وريَّها إذا عطشت، وبردَها إذا ظمئت[٧].

٦ – في أظافره: ثبت أنّه ﷺ قلّم أظافرَه، وقسمها بين الناس للتبرّك بها[٨].

٧ – في لباسه وأوانيه: ثبت أنّ الصحابة كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه للتبرّك بها والاستشفاء. فعن أسماء بنت أبي بكر أنّها أخرجتْ جبّة طيالسة، وقالت: إنّ رسولَ اللّه كان يلبسها، فنحن نغسلها نستشفي بها. وروي عن أبي محمّد الباجي قال: كانت عندنا قصعة من قصاع النبيّ فكنّا نجعل فيها الماء للمرضى، يستشفون بها، فيُشفون بها[٩].

٨ – في ما لمسه ومصلاه: كان الصحابة يتبرّكون فيما تلمس يده الشريفة ﷺ... وكان يؤتى إليه ﷺ بالمرضى وأصحاب العاهات والمجانين فيمسح عليهم بيده الشريفة فيزول ما بهم من مرض وجنون وعاهة[١٠].

التِّبْريْزِيّ الخَطِيب (أبو زكريّا يحيى) (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): من أئمّة اللّغة والأدب. وُلد في تبريز وتوفّي ببغداد. أخذ عن أبي العلاء المَعرّيّ والجرجانيّ. له «شرح ديوان الحماسة» لأبي تَمّام، و«تهذيب إصلاح المنطق»، و«تهذيب الألفاظ» لابن السّكّيت، و«شرح سقط الزند» لأبي العلاء المعرّيّ.

التَّبْلِيْغ: الإعلام والإخبار. ويكون شفاهاً وبالرسالة والكتابة. وأغلب تبليغ الرسل كان مشافهة. وقد أوجب اللّهُ على رسله تبليغ رسالاته إلى مَن أرسلوا إليهم، لئلاّ يكون لهم على اللّه حجّة. قال: «رُسُلاً مبشّرِينَ ومنذِرينَ لئلاّ يكون للناس على اللّه حُجَّةٌ بعد الرسُل» (٤/ ١٦٥). وقال: «يا أيّها الرسول! بلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِن ربِّكَ.

---

(٧) راجع ابن حجر الإصابة ١/٣٥٨، ط. السعادة.

(٨) أخرجه أحمد ٤/٤٢، ط. الميمنيّة، وانظر زاد المعاد ١/٢٣٢.

(٩) حديث أسماء أخرجه مسلم ٣/١٦٤١، ط. الحلبي؛ نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٣/١٣٤؛ حديث الباجي في صحيح مسلم ١٤/١٢٣.

(١٠) نسيم الرياض ٣/١٤٧.

وإنْ لمْ تفعلْ فما بلّغتَ رسالتَه. واللّهُ يَعْصِمُكَ من الناس» (٥/ ٦٧). وتبليغ الدعوة الإسلاميّة لغير المسلمين واجب على الكفاية. فقد أُرسل الرسول إلى الملوك غير المسلمين يدعوهم إلى المسلمين. وجرى على ذلك أصحابه..

التَّبَنِّي : اتّخاذ الشخص ولدَ غيرِه ابناً له. وكان الرجل في الجاهليّة يتبنّى الرجل، فيجعله كالابن المولود له، ويدعوه الناسُ إليه، ويرث ميراث الأولاد. و«الدّعيّ» والمتبنَّى سواء، لقوله: «وما جَعَلَ أَدْعِيَاءَكم أبناءَكم» (٣٣/ ٤).. لقد حرّم الإسلامُ التبنّي، وأبطل كلَّ آثاره، لما جاء في قوله المذكور، وقوله: «ادْعوهم لآبائِهم» (٣٣/ ٥). وذكر الألوسي في تفسير ذلك بعض الأحاديث. منها: عن سعد بن أبي وقّاص أنّ النبيّ قال: «مَن ادُّعِيَ إلى غير أبيه، وهو يعلم أنّه غير أبيه، فالجنّة عليه حرام». وأخرج الشيخان أيضاً: «ليس من رجل ادُّعي لغير أبيه وهو يعلم إلاّ كفر».. هذا وقد تبنّى الرسول «زيد بن حارثة»، وأصبح الناس ينادونه «زيد بن محمّد» حتّى نزل تحريم التبنّي (٣٣/ ٤-٥)، فقال النبي: «أنتَ زيد بن حارثة».

تَبُوك : واحة في الحجاز على طريق الحجّ، من دمشق إلى المدينة، على الحدود الشماليّة لبلاد العرب. وتبدأ بعدها حدود الدولة البيزنطيّة. وأصبحت من الأمكنة المشهورة في التاريخ لحدوث الغزوة العظيمة التي قام بها النبيّ لإخضاع عرب الشمال المتنصّرة (لخْم وجُذام وعاملة وغسّان) في السنة التاسعة الهجريّة (٦٣٠م). وقد هربوا، هم والروم، عند وصوله إليها. إلاّ أنّ النبيّ انصرف عن عزمه، لأنّ شدّة الحرّ أضعفت من عزيمة جنده. وبهذا نزل قوله: «وقالوا: لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ. قُلْ: نارُ جَهَنَّمَ أشدُّ حرًا لو كانوا يَفْقَهونَ» (٩/ ٨١). ولم يمكث بها سوى عشرة أيّام قبل أن يعودَ أدراجَه. ولكنّه استثمر هذا الوقت في مفاوضة أهل إيله وأذرح وجرباء ممّا أدّى إلى إخضاعهم ودفع الجزية. وكانت تبوك آخر غزوة لرسول اللّه.

التَّبْيِيْت :لغةً: من بيّتَ الأمر إذا دبّره ليلاً؛ وبيّت النيّةَ على الأمر إذا عزم عليه ليلاً؛ وبيّت العدوَّ أي داهمه ليلاً. وفي القرآن: «إذ يُبَيِّتُونَ مَا لا يرضى من القول» (٤/ ١٠٨؛ ر: ٢٧/ ٤٩)؛ «أفَأَمِنَ أهلُ القرى أن يأتيَهم بأسُنا بَيَاتاً وهم نائمون» (٧/ ٩٧)؛

وفي السيرة: «هذا أمرٌ بُيِّتَ بليل». ويُطلق العرب البيات والتبييت على الإغارة على العدوّ ليلاً. إلاّ أنّ الإغارة مطلقة، إذ تكون ليلاً أو نهاراً، أمّا التبييت فهو في الليل..

ويرى بعضُ الفقهاء: أنّ أهلَ الكتاب والمجوس لا تجب دعوتهم قبل القتال، لأنّ الدعوة قد بلغتهم، ولأنّ كتبَهم قد بشّرتْ بالرسالة المحمّديّة. ويُدعى عبدةُ الأوثان قبل أن يُحارَبوا[١]. أمّا مَن بلغتهم الدعوة فتُستحبّ الدعوة قبل التبييت، مبالغةً في الإنذار، وليعلموا أنّنا نقاتلهم على الدِّين، لا على سلب الأموال وسبي الذراري.. ويجوز بياتهم بغير دعاء، لأنّه صحّ عن النبيّ «أنّه أغار على بني المصطلق ليلاً وهم غافلون»[٢]، وعهد إلى أسامة أن يغير على أَبْنَى صباحاً»[٣]. وسُئل عن المشركين يبيتون، فيُصاب من نسائهم وذراريهم، فقال: «هم منهم». وكانوا جميعاً ممن بلغتهم الدعوة، وإلاّ لم يبيتوا.

التَّتَر: قبائل سكنت أواسط آسيا. أصلهم من المُغول. اشتهروا بغزواتهم. وكانت غارتُهم الأولى على البلاد الإسلاميّة بقيادة جنكيزخان سنة ٦١٦هـ.. ثمّ زحفت جيوش التتر بقيادة هولاكو، وقصدت قصرَ بغداد سنة ٦٥٦هـ، فلم تقوَ الحاضرة العربيّة الكبرى على الثبات أمام ذلك السيل الجارف. وسقطت في يد التتر، بعد ما كان من حوادث فظيعة، وأفعال شنيعة، لم ينج منها صغير ولا كبير، ولا سوقة ولا أمير. ومَن نجا من القتل لم ينج من الحرق أو الغرق، حتّى الكتب فقد ذُكر أنّ مكتبة بغداد قد أُلقيت في دجلة حتّى قيل: إنّ الخيول قد عبرت عليها.

التَّتْرِيْب: من التراب. يُقال: أتربتُ الشيء: جعلتُ عليه التراب. والتراب الطاهر قد يستعمل في التطهير، كما إذا وَلَغَ الكلبُ في إناء، فإنّه كي يطهر يجب غسله سبعاً إحداهنّ بالتراب، لما روى أبو هريرة أن رسول اللّه قال: «إذا وَلَغَ الكلبُ في إناءِ أحدِكم فلْيغسله سبعاً، وزاد مسلم: «أُولاهنّ بالتراب»[١].

---

(١) المغني لابن قدامة ١٠/ ٣٨٦.
(٢) حديث أخرجه البخاري، الفتح ٥/ ١٧٠، ط. السلفيّة.
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤/ ٦٦، ط. دار صادر.
(١) أخرجه البخاري، الفتح، ١/ ٢٧٤؛ مسلم، ١/ ٢٣٤.

التَّثَاؤُب : صرّح العلماء بكراهة التثاؤب. فمن اعتراه ذلك فليكظمه، وليردّه قدر الطاقة، لقول النبيّ: «فليردّه ما استطاع»[١]، فإذا لم يستطع وضَعَ يدَه على فمه، لقوله: «إذا تثاءب أحدُكم فليُمْسك بيده على فمه. فإنّ الشيطانَ يَدْخُل»[٢].. ثمّ يخفض صوتَه، ولا يعوي، لقول النبيّ: «إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه، ولا يعوي. فإنّ الشيطان يضحك منه»[٣]، ثمّ يمسك عن التمطّي والتلوّي لأنّه من الشيطان.

التَّثَبُّت : منه التثبّت من استقبال القبلة في الصلاة، والتثبّت في شهادة الشهود، والتثبّت من رؤية هلال شهر رمضان. وفي هذا يُستحبّ التثبّت من رؤيته ليلةَ الثلاثين من شعبان لتحديد بدئه. ويكون ذلك بأحد أمرَين: الأوّل: رؤية هلاله، إذا كانت السماء خالية ممّا يمنع الرؤية من غيمٍ أو غبارٍ ونحوهما؛ الثاني: إكمال شعبان ثلاثين يوماً، إذا كانت السماء غير خالية ممّا ذُكر، لقول النبيّ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته. فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدّةَ شعبان ثلاثين»[١]. وبهذا أخذ الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة. وخالف الحنابلة في حال الغيم، فأوجبوا اعتبار شعبان تسعة وعشرين، وأوجبوا صيام يوم الثلاثين على أنّه من أوّل رمضان، عملاً بلفظٍ آخر ورد في حديثٍ آخر، وهو: «لا تصوموا حتّى تروا الهلال، ولا تفطروا حتّى تروه. فإن غمّ عليكم فاقدروا له»، أي احتاطوا له بالصوم[٢].

التَّثْلِيث : (أطلب مادّة: **الثالوث**).

التَّثْوِيب : مِن ثاب يثوب بمعنى: رجع. ومنه قوله: «وإذْ جعلْنا البيتَ مَثابةً وأمنًا» (٢ / ١٢٥)، أي مكاناً يرجعون إليه. ومنه قولهم: ثاب إلى فلان عقلُه، أي رجع. ومنه أيضاً: الثواب، لأنّه منفعة عملِ الشخص تعود إليه. والتثويب هو ترجيع الصوت وترديده، ومنه التثويب في الأذان. والتثويب في الاصطلاح: العَود

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٦١١، ط. السلفيّة.

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٣٩٣، ط. الحلبي.

(٣) أخرجه ابن ماجة ١/٣١٠، ط. الحبي.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤/١١٩، ط. السلفيّة.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٤/١١٩؛ ومسلم ٢/٧٥٩. المغني لابن قدامة ٣/٩٠، ط. الرياض.

إلى الإعلام بالصلاة بعد الإعلام الأوّل، بعبارة: «الصلاة خير من النوم» مرّتَين بعد الحيعلتَين (أي: حيٍّ على الصلاة، حيّ على الفلاح) في أذان الفجر.. وخصّ التثويب بالصبح لما يعرض للنائم من التكاسل بسبب النوم.

التِّجَارَة : هي تقليب المال بالبيع والشراء لغرض الربح. والأصل في التجارة قوله تعالى: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! لا تأكلوا أموالَكم بينَكم بالباطل إلاّ أن تكونَ تجارةً عن تراضٍ منكم» (٤/ ٢٩)، وقوله: «فإذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرض وابتَغُوا من فضلِ اللّه» (٦٢/ ١٠). لقد مارس محمّد التجارةَ منذ صغره، وهو أمر طبيعي في مدينة كمكّة، يقوم ازدهارُها كلّه على التجارة. وهو ما ورد في سورة قريش، أقدم سور العهد المكّي الأوّل (١٠٦/ ١-٤). وكان يدرك إدراكاً تامّاً ما للتجارة من آثار سيّئة في الحياة الدينيّة: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار» (٢٤/ ٣٧)[١].

و«التاجر الأمين الصدوق المسلم يكون مع الشهداء والنبيّين والصدّيقين يوم القيامة» (ابن ماجة)[٢]؛ وهو يدخل الجنّة. أمّا التاجر الفاجر فينتظر العقاب: «يا معشر التجّار! إنّ التجّار يُبعثون يوم القيامة فجّاراً إلاّ مَن اتّقى اللّه وبرّ وصدق»[٣]. وثمّة أيضاً حديث يقول: «لَدرهمٌ حلالٌ من تجارةٍ أفضلُ من عشرة حلال من غيرها». وعلى التاجر، في كلام رسول اللّه، أن يبيّن للمشتري عيوبَ بضاعته، فقال: «من باع عيباً لم يبيّنه لم يزل في مقت اللّه ولم تزل الملائكة تلعنه». والتجارة من أفضل طرق الكسب، وأشرفها. سئل النبيّ: أيّ الكسب أطيب؟ فقال: عمل الرجل بيده. وكلّ بيع مبرور»[٤].

التَّجَسُّس : تتبّع الأخبار، وهو التحسّس، أي طلب الخبر. والتجسس إنّما

---

(١) ر: ٦٢/ ٩-١١؛ ٢/ ٢٩٧؛ ٩/ ٣٤؛ ٢/ ١٨١

(٢) أخرجه الترمذي، ٣/ ٥٠٦، ط. الحلبي.

(٣) أخرجه الترمذي ٣/ ٥٠٦، ط. الحلبي؛ ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٢٣٨، ط. الحلبي.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٤١، ط. الميمنيّة.

يُطلق على الشرّ، فيما التحسّس فيكون غالباً في الخير. والتجسّس على المسلمين، في الأصل، حرام منهيٌّ عنه، لقوله تعالى: «ولا تَجَسَّسُوا» (٤٩/١٢)، لأنّ فيه تتبّع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عمّا ستروه. وقد قال النبيّ: «يا معشرَ مَن آمَنَ بلسانه ولم يدخلِ الإيمانُ إلى قلبه! لا تتّبعوا عوراتِ المسلمين. فإنّ مَن تتبّعَ عوراتِ المسلمين تتبَّعَ اللّهُ عورتَه حتّى يفضحَه ولو في جوف بيته»[٥]. قال ابن وهب: الستر واجب إلاّ عن الإمام والوالي وأحد الشهود الأربعة في الزنى..

ويباح التجسّس إذا رُفع إلى الحاكم أنّ في بيت فلان خمراً. فإن شهد على ذلك شهودٌ كُشف عن حال صاحب البيت. فإن كان مشهوراً بما شهد عليه أُخذ. وإن كان مستوراً فلا يُكشف عنه... أمّا ما كان دون ذلك في الريبة فلا يجوز التجسّس عليه ولا كشف الأستار عنه. وقد حكي أنّ عمر دخلَ على قومٍ يتعاقرون على شراب ويوقدون في أخصاص، فقال: نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم، ونهيتكم عن الإيقاد في الأخصاص فأوقدتم. فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! قد نهى اللّهُ عن التجسّس فتجسّستَ، وعن الدخول بغير إذنٍ فدخلتَ. فقال: هاتان بهاتين. وانصرف ولم يعرض لهم.

التَّجْسِيم: هو تصوّر اللّه في صورة جسم محدود، وذي نهاية. ومع هذا، قال أهل السنّة: إنّ اللّه تعالى ليس بجسم، ولكنّه يشبه الأشياء: فإنّ له عرشاً، كما قال: «الرَّحْمَنُ على العَرْشِ استوَى» (٢٠/٥)؛ وإنّه نور، كما قال: «اللّهُ نورُ السَّموات والأرضِ» (٢٤/٣٥)؛ وإنّ له وجهاً، كما قال: «ويبقَى وجهُ ربِّكَ» (٥٥/٢٧)؛ وإنّ له يداً، كما قال: «خَلَقتُ بيَدَيَّ» (٣٨/٧٥)؛ وإنّ له عينين، كما قال: «تَجري بأعْيُنِنا» (٥٤/١٤)؛ وإنّه يجيء يوم القيامة هو والملائكة، كما قال: «وجاءَ ربُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» (٨٩/٢٢)؛ وإنّه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَن يدْعُني فأستجبْ له؟» (رواه البخاري ومسلم).

---

(٥) تفسير الكشّاف ٣/٥٦٨.

أمّا كيف يكون لله جسم ولا يكون محدوداً ومتحيِّزاً، فالجواب عند الإمام مالك عن آية «الرحمن على العرش استوى»، قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب»؛ أو قول الصحابة: «العجز عن الإدراك إدراك، والتفكّر في ذات الله إشراك».

التَّجلِّي : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، كما يعرّفه الغزالي[1]. ويفرّق الهجويري (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٣م) بين التجلّي بمعنى «الكشف القلبي» في الدنيا، والتجلّي بمعنى «الكشف العياني» في الآخرة، بأنّ التجلّي في الدنيا يحصل في وقت ولا يحصل في وقت آخر، والستر يعقب هذا التجلّي ويحجبه، بخلاف أهل العِيان في الجنّة، فإنّهم في تجلٍّ دائم لا ينقطع، ولأنّ تجلّي العِيان رؤية حقيقيّة، فإنّه لا يجوز عليه الستر ولا الحجاب.

وثمّة تجلّي لله في العالم، قال به بعض الأديان، مثل الدرزيّة والنصيريّة. فالدروز يقولون بتجلّي الله في شخص الحاكم بأمر الله؛ فيما النصيريّة يقولون بتجلّي الله في شخص عليّ بن أبي طالب. وبناء على هذا التجلّي يقولون بأنّهم يعرفون اللهَ معرفةً حقيقيّة، إذ لولا التجلّي لما عُرف الله، ولبَقي الناس ملحدين.

التَّجْوِيْد : ١ . لغةً: تصيير الشيء جيّداً. والجيّد ضد الرديء. يقال: جوّد فلانٌ كذا: فعله جيّداً. وجوّد القراءة: أتى بها بريئة من الرداءة في النطق. واصطلاحاً: إعطاء كلّ حرفٍ حقَّه، لينطق بها في غير عسر، أو إفراط، أو قوّة، أو ضعف، أو لين، أو إمالة، أو تفخيم، أو ترقيق.

٢ . وكيفيّات التجويد ثلاث: "الترتيل" وهو القراءة في تؤدة، و"التدوير" وهو سرعة القراءة، و"الترويز» وهو التوسط بين المقامين. والتجويد حلية القراءة. وهو يتطلّب، إلى جانب دراسة مخارج الحروف، معرفة قواعد الوقف والإمالة والإدغام. قال الشيخ حسنين مخلوف: «وقد أجمعوا على أنّ النقص في كيفيّة القرآن وهيئته كالنقص في ذاته ومادّته. فتركُ المدِّ والغِنَّة والتفخيم والترقيق

---

(١) الإملاء عن إشكالات الإحياء الغزالي، بهامش إحياء علوم الدين ١/٧٢، ط.الحلبي ١٩٥٧.

كترْكِ حروفِهِ وكلماته. ومن هنا وجب تجويد القرآن».

٣ . والفرق بين التجويد و **التَّرْتِيْل**، هو أن الترتيل هو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف. روي عن علي قوله: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. والترتيل وسيلة من وسائل التجويد، والتجويد يشمل ما يتّصل بالصفات الذاتيّة للحروف، وما يلزم عن تلك الصفات.

٤ . ويشتمل علم التجويد على أبحاث أهمّها: ١ – مخارج الحروف للتوصّل إلى إخراج كلّ حرف من مخرجه الصحيح؛ ٢ – صفات الحروف من جهر وهمْس مع معرفة الحروف المشتركة في الصفة؛ ٣ – التفخيم والترقيق وما يتّصل بذلك من أحكام لبعض الحروف كالراء واللام؛ ٤ – أحوال النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة؛ ٥ – المدّ والقصر وأنواع المدّ؛ ٦ – الوقف والابتداء والقطع وما يتّصل بذلك من أحكام؛ ٧ – أحكام الابتداء بالقراءة من تعوّذ وبسملة وأحكام ختم القرآن وآداب التلاوة؛ ٨ – ويقع الإخلال بالتجويد إمّا في أداء الحروف، وإمّا في ما يلابس القراءة من التغييرات الصوتيّة المخالفة لكيفيّة النطق المأثورة.

التَّحْرِيْف : ١ . مِن حرّف أي أخذ من جانبه شيئاً. منه تحريف الكلام عن مواضعه، أي تغييره والعدول به عن جهته. ومنه قوله تعالى في اليهود: «يُحرِّفونَ الكَلِمَ عن مَوَاضِعِهِ» (٤/٤٦)، أي يغيّرونه.

٢ . آيات تحريف التوراة في القرآن تعني أنّ اليهود «يُحَرِّفُونَ (يغيّرون) الكَلِمَ (الذي أنزلَ اللّهُ في التوراة) عَنْ مَوَاضِعِهِ (أي التي وُضع عليها)» (٤/ ٤٦)[1]؛ وقد خاطبهم القرآن بقوله: «يَا أَهْلَ الكِتَابِ! قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ (التوراة)، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (من ذلك، فلا يبيّنه لكم)» (٥/١٥).

---

(١) ر: ٥/١٣ و٤١؛ ٢/٥٧٥/٤١.

٣ . بعض اليهود يختلقون كثيراً من عندهم، فيزيدون ويحذفون بحسب أهوائهم طمعاً بكسبٍ وأرباح. يقول: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ. ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً (من الدنيا). فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيدِيهِمْ. وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (من الرّشا)» (٢/ ٧٩)؛ «وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ (أي المحرَّف) مِنَ الكِتَابِ (الذي أنزله الله). وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ. وَيَقُولُونَ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (أنّه كذب)» (٢/ ٧٨).

٤ . ويقول أيضاً: إنّ اليهود كتبوا التوراة في دفاتر فأخفَوا فيها ما أخفَوا: «.. تَجْعَلُونَه (أي كتاب التوراة) قَرَاطِيسَ (أي في دفاتر)، تُبْدُونَهَا (أي تُظهرون منها) وَتُخْفُونَ كَثِيرًا (ممّا فيها كنعت محمّد)، وَعُلِّمْتُمْ (أيّها اليهود في القرآن) مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ (من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه). قُلِ اللَّهُ (أنزله. إنْ لم يقولوه لا جواب غيره). ثُمَّ ذَرْهُمْ (أي: دَعْهم) فِي خَوْضِهِمْ (باطلهم) يَلْعَبُونَ» (٦/ ٩١).

٥ . ويقول أخيراً: إنّ اليهود وضعوا في التّوراة أشياء من صنع أيديهم غير الذي كان فيها في الأصل: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً (ابتدعوه من عند أنفسهم) غَيرَ الذي قِيلَ لَهُمْ (في التوراة). فَأَرْسَلْنَا عَلَيهِمْ رِجْزًا (عذابًا) مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ» (٧/ ١٦٢).

٦ . هذا كلّ ما في القرآن من إشارات إلى تحريف التوراة؛ في حين أنّنا لا نجد أيّ تلميحٍ إلى أنّ النصارى، أو المسيحيّين، فعلوا فعلةَ اليهود هذه.

التَّحْرِيْم : خلاف التحليل وضدّه.. والأصل فيه المنع، فكأنّ المحرم ممتنع من أشياء كثيرة.. والحديث عن الصلاة «تحريمها التكبير»[1]، فقيل للتكبير: تحريم لمنعه المصلّي من الكلام ومن الأفعال الخارجة عن كلام الصلاة وأفعالها.

---

(١) أخرجه الترمذي، ١/ ٩، ط. الحلبي؛ والحاكم، ١/ ١٣٢، ط. دائرة المعارف العثمانيّة.

التَّحْسِيْن : لغةً: التزيين والتجميل.

١ ـ التحسين مطلوب في الجملة إذا خلصتْ فيه النيّة وأُريد به الخير، ومكروه أو محرّم إذا لم تخلص فيه النيّة، أو كان سبباً للوقوع في الحرام، ولم يرد به الخير.. وقد كان رسول الله يأمر بذلك: «أصلحوا رحالَكم، وأصلحوا لباسكم حتّى تكونوا كأنّكم شامةٌ في الناس. فإنّ الله لا يُحبّ الفُحْشَ ولا التفحّش»[١].

٢ ـ منه تحسين هيئة الميت: فإذا مات شدّ لحياه، وغمضت عيناه، إذ لو ترك على حاله لبقي فظيعَ المنظر. ثمّ يغسل. وتحسين كفن الميت، لأنّ الكفن للميت بمثابة اللباس للحيّ، ولقول رسول الله: «إذا كفن أحدُكم أخاه فلْيحسنْ كفَنَه»[٢]. وتحسين القبر: أي أن يحفر لحداً، وأن يكون عمقه بقدر قامة، وأن تفرش أرضه بالرمل، وأن يعلو عن الأرض مقدار شبر، وأن يعلم عند رأس الميت بحجر.

٣ ـ ومنه التحسين والتقبيح: يقول الأشاعرة إلى أنّ مصدر التحسين والتقبيح هو الشرع، والعقل لا يحسّن ولا يقبّح، لا يوجب ولا يحرّم. أمّا الماتريديّة فقالوا: إنّ العقل يحسّن ويقبّح. وقال المعتزلة:العقل يحسّن ويقبّح، يوجب ويحرّم.

التَّحْكِيْم : هو تولية الخصْمَين حاكِماً يَحكم بينهما. جاء في القرآن: «فلا وربِّكَ لا يُؤمِنونَ حتّى يُحكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم. ثمّ لا يَجِدوا في أنفسِهم حرَجاً ممّا قَضَيتَ ويُسلِّموا تَسْليماً» (٤/ ٦٥).

أشهر حادثة تحكيم في التاريخ الإسلامي تلك التي جرت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، عام (٣٨هـ/٦٥٨م)، إثر وقعة صفِّين. وكان ذلك في أذرح، إذ سار كلٌّ من الحكَمَين، أبو موسى الأشعري من قِبل علي، وعمرو بن العاص من قِبل معاوية، في أربعمائة رجل. وأعلنا للناس أنّ رائدَهما ومرجعهما القرآن. وكان أكبر ما وقع فيه الأشعري أنّه سمح لابن العاص أن يضع معاوية، وهو عامل لا أكثر ولا أقلّ، في مرتبة علي الذي بايعته أغلبيّةُ المسلمين بالخلافة.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٣٤٩، ط. عزّت عبيد دعاس؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٣٩٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢/ ٦٥١، ط. الحلبي.

وهكذا فقد عليٌّ مركزه الرفيع، في حين أنّ معاوية لم يفقدْ شيئاً.

التَّحْلِيق : إزالة الشعر. ومنه قوله: «محلِّقينَ رؤوسكم» (٤٨/ ٢٧)؛ وفي الحديث: «اللّهمَّ اغفر للمحلِّقين»[٣]. والتحليق خلاف التقصير، وهو الأخذ من الشعر بالمقص؛ وخلاف النتْف، وهو نزع الشعر من أصوله... واتّفق الفقهاء على أنّ الحلق من المحظورات المتعلّقة ببدن المحرم، لقوله تعالى: «ولا تَحْلِقوا رؤوسكم حتّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّه. فمَن كان منكم مريضاً، أو به أذًى من رأسه ففِدْيَةٌ من صيامٍ أو صدَقَةٍ أو نُسُكٍ» (٢/ ١٩٦)، فيحظّر على المحرم حلْق رأسه، وإن حلق المحرم شعره أثناء إحرامه فعليه الفدية.. وأجمع أهل العلم على أنّ التقصير يجزئ عن الرجال، وأنّ النساء سُنَّتهنَّ التقصير (أطلب: **إحرام**، و**حلق**).

التَّحْلِيل : لغةً: ضدّ التحريم، ومنه «أحلَّ اللّهُ البيعَ» (٢/ ٢٧٥)، أي أباحه.. وفي الشرع هو: حُكْمُ اللّه بأنّ فعلاً ما هو حلال. ولم يكن من فتيا الناس أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام. ولكن يقولون: إيّاكم كذا وكذا. قال القرطبي: إنّ التحليل والتحريم إنّما هو للّه، وليس لأحد أي يقول بهذا غيره.

وثمّة تحليل بمقابل: كالزوجة تريد أن تختلع من زوجها، فتعطيه مالا ليخلعها. والأصل في ذلك قوله تعالى: «ولا يَحِلُّ لكم أن تأخذوا ممّا آتَيتُموهنَّ شيئاً إلاّ أن يخافا ألاّ يُقيما حدودَ اللّه. فإنْ خِفتم ألاّ يُقيما حدودَ اللّهِ فلا جُناحَ عليهما فيما افتَدَتْ به» (٢/ ٢٢٩). وقد يكون التحليل بلا مقابل، وأصل ذلك في قوله تعالى: «وآتوا النساءَ صَدُقاتِهنَّ نِحْلَةً. فإنْ طِبْنَ لكم عن شيءٍ منه نفْساً فكُلُوهُ هنيئاً مَريئاً» (٤/ ٤).

التَّدْلِيس : معناها لغةً: كتمان عيب السلعة عن المشتري؛ وفي مصطلح الحديث: كتمان عيب الحديث، إمّا في المتن، أو الإسناد. وأوّل من صنّف كتاباً في التدليس هو أبو علي الحسن الكرابيسي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، وتبعه النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، والدارقطني (ت ٣٨٥هـ ٩٩٥م)، والخطيب البغدادي (ت

---

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٣/ ٥٦١، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٢/ ٩٤٥، ط. الحلبي.

٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧١م)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، والعلائي (ت ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، وزين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م)، وأبو زرعه (ت ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، وغيرهم. وقد ضاعت مصنّفات المتقدّمين. ويبلغ مجموع أسماء المدلِّسين ١٥٢ إسماً في مصنّف ابن حجر «كتاب طبقات المدلِّسين».

تَدْمُر أو **بَلْمِيرَا** : مدينة في قلب الصحراء السوريّة شرقيّ حمص. اشتهرت بعروس الصحراء. كانت على طريق القوافل التجاريّة. عاصمة دولة عربيّة ازدهرت قديماً. بلغت أوج عزّها مع أُذَينة وزوجتِه زنوبيا التي أسرها أورليانس أمبراطور روما، ودمّر المدينة عام ٢٧٢. فتحها خالد بن الوليد عام ٦٣٣. أهمّ آثارها هيكل البعل، وبعلشمين، والرواق الكبير، والقبور الملكيّة.

التَّرَاوِيْح : جمع "ترويحة"، وهي الصلوات التي تقام في ليالي رمضان. وجاء في الحديث أنّ النبيّ أشاد بها، وإنْ كان في الوقت نفسه قد بيّن أنّها ليست من الفرائض.. ويوصي الشرع بالقيام بالتراويح بُعيد صلاة العشاء، وهي عشر تسليمات في كلّ منها ركعتان، وبعد كلّ أربع ركعات ترويحة...

التَّرْجَمَة : ١ . ذهب بعض الحنفيّة إلى جواز كتابة آية أو آيتين بحروف غير عربيّة، لا كتابته كلّه.. ويرى المالكيّة والشافعيّة والحنابلة أنّه لا يجوز القراءة بغير العربيّة، لقوله: «إنّا أنْزَلْناهُ قرآناً عَرَبِيًا» (١٢/ ٢)، وقال أيضاً: «بلسان عربيٍّ مُبين» (٢٦/ ١٩٥)، ولأنّ ترجمة القرآن هي من قبيل التفسير، وليست قرآناً، لأنّ القرآن هو اللفظ العربي المنزَل على محمّد. فالقرآن دليل النبوّة وعلامة الرسالة، وهو المعجِز بلفظه ومعناه، والإعجاز من حيث اللفظ يزول بزوال النظم العربي، فلا تكون الترجمة قرآناً لانعدام الإعجاز، ولذا لم تحرم قراءة الترجمة على الجنب والحائض. والقرآن هو إسم للمنزَل باللفظ العربي، المنظوم هذا النظم الخاصّ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً.

التَّرَحُّم : ١ . من الرحمة.. لا خلاف بين الفقهاء في استحباب الترحّم على الوالدَين، أحياء وأمواتاً، وعلى التابعين من العلماء والعباد الصالحين، وعلى سائر

الأخيار، أحياءً وأمواتاً. وأمّا الترحّم على النبيّ، في الصلاة وخارجها، ففيه خلاف.. والمتّفق عليه أنّه لا يجوز القول: «ارحم محمّداً» بدون الصلاة، لأنّها وردت على سبيل التبعيّة للصلاة والبركة، ولم يرد ما يدلّ على وقوعها مفردة. وربّ شيء يجوز تبعاً، لا استقلالاً.

٢ . وذهب الفقهاء إلى أنّ الأفضل أن يقول المسلم للمسلم في التحيّة: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. ويقول المجيب أيضاً: وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.. أمّا بالنسبة لغير المسلمين، فلا ترحّم على كافر لحديث: «لا تبدءوا اليهودَ ولا النصارى بالسلام»[1]. ولو سلّم اليهودي والنصراني فلا بأس بالردّ، ولكن لا يزيد على قوله: «وعليك».. والذين جوّزوا ابتداءهم بالسلام، صرّحوا بالاقتصار على: «السلام عليك» دون الجمع، ودون أن يقول: «ورحمة اللّه».

٣ . ولا يجوز أن يُدعى للذمّي ولا للكافر بالمغفرة في حال حياته، ولكن يجوز أن يدعى له بالهداية وصحّة البدن والعافية.. وأمّا بعد وفاته فيُحرّم الدعاء للكافر بالمغفرة، لقوله تعالى: «ما كان للنبيّ والذينَ آمَنوا أن يَستغفِروا للمشرِكين ولو كانوا أُولِي قُربَى مِن بعدِ ما تَبيّنَ لهم أنّهم أصحابُ الجحيم» (٩/١١٣).

الترَف : التنعّم في إشباع رغبات النفس فوق ضروراتها وحاجيّاتها العاديّة. وقد بيّن القرآن أنّ كثرةَ المترفين، أو تحكّمهم في مجتمع، مدعاة لهلاكه: «وإذا أرادْنا أن نُهْلِكَ قريةً أمَرْنا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فيها. فَحَقَّ عَلَيها القَولُ فدَمَّرناها تَدميراً» (١٧/١٦).

وحثّ القرآنُ المسلمَ على الاعتدال: «ولا تَجعَلْ يدَكَ مَغلولَةً إلى عُنُقِكَ، ولا تَبسُطها كلَّ البَسْطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً» (١٧/٢٩). ونهاه عن التبذير: «وآتِ ذا القُربَى حقَّهُ والمسْكينَ وابنَ السبيلِ، ولا تُبَذِّرْ تَبذيراً. إنّ المُبَذِّرينَ كانوا إخوانَ الشياطينِ. وكانَ الشيطانُ لربِّهِ كَفُوراً» (١٧/٢٦-٢٧)، وفرضَ الزّكاة، وحثّ على الصدقات والقرض الحسن.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هُريرة مرفوعا، صحيح مسلم ٤/١٧٠٧، ط. الحلبي.

ونهى محمّد عن الأكل في صحافٍ من الذهب والفضّة، والشبع من الطعام، ولباسَ الشهرة، والفخرَ والمباهاة، ولبْسَ الرجالِ للحرير، والتحلّي بالذهب، والبناء فوق الحاجة تفاخراً. وكلّها مظاهر للترف»[1]..

التَّرْكَة : ما يتركه المتوفّى لوارثه. وهي كما يلي : ١- الديون العينيّة؛ ٢- تجهيز الميت وتكفينه؛ ٣- الديون الشخصيّة؛ ٤- الوصايا الصحيحة في حدود ثلث الباقي بعد الديون والتجهيز والتكفين؛ ٥- التوزيع على الوَرَثَة. فإنْ لم يوجد وُضعت في بيت المال، ويتمّ صرفُها في مصالح المسلمين.

التِّرْمِذِيّ الحكيم (أبو عبدالله محمّد) (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) : فقيه ومتصوّف ومحدِّث خراسانيّ. اتّهم بالزندقة ونُفي من ترمِذ بعد تأليفه كتاب «ختم الأولياء»، فجاء إلى بلخ. من كتبه «نوادر الأصول في أحاديث الرسول»، و«الرياضة وأدب النفس»، و«الحجّ وأسراره»، و«الصلاة ومقاصدها»، و«الأمثال من الكتاب والسنّة»، و«العقل والهوى»، و«أنواع العلوم»، وغيرها..

التِّرْمِذِيّ (أبو عيسى محمّد) (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) : يُنسب إلى تِرمِذ الواقعة على مسيرة ستة فراسخ من بلْخ. كانت له رحلات واسعة في طلب الأحاديث. من شيوخه البخاري والسجستاني. له : كتاب «الجامع»، وهو من أجلّ كتبه وأنفعها، ويُعتبر أحد الكتب الستّة، ويقال له أيضاً: «سنن الترمذي». لمّا ألّفه عرضه على علماء عصره، فحاز رضاهم. روي عنه أنّه قال: «صنّفتُ هذا الكتاب، فعرضتُه على علماء الحجاز والعراق وخراسان، فرضوا به. ومَن كان في بيتِه فكأنّما في بيته نبيٌّ يتكلّم». في الكتاب بابان كبيران هما: باب المناقب وباب تفسير القرآن، لا نجدهما في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه، كما فيه الأحاديث المشايعة لعلي، منها قول الرسول لعلي: «لا يحلّ لأحدٍ يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»، وأحاديث أخرى تشيد بمدح أبي بكر وعمر وعثمان.

وله أيضاً: «الشمائل النبويّة»، وهو أحسن الكتب في هذا الباب وأشملها؛

---

(١) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، الحافظ المنذري، دار الفكر بيروت ١٣٩٣هـ.

وكتاب «العِلل» في الحديث، وهو قيّم في الجرح والتعديل؛ وكتاب «التاريخ»؛ وكتاب «الزهد»؛ وكتاب «الأسماء والكنى».

التَرْوِيَة : يوم التَرْوِيَة، ثامن أيّام شهر ذي الحجّة. وهو أوّل أيّام الحجّ. وفيه يذهب الحجّاج من مكّة إلى مِنى. سمّي يوم التروية لأنّ الحجّاج يتزوّدون ريّهم من الماء، أي يسقون ويستقون لما بعد، إستعداداً للوقوف بعرفة في اليوم التالي حيث يسألون الله من فضله أن يمنّ عليهم بالغفران.

التُسْتَرِيّ (سهل بن عبدالله) (ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م) : أحد أئمّة الصوفيّة وعلمائهم، ومن المتكلّمين في علوم الرياضيّات والأخلاق وعيوب الأفعال. من أصوله سبعة أشياء: «التمسّك بكتاب الله، والاقتداء بسنّة رسوله، وأكل الحلال، وكفّ الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق».

كان يرى أنّ ذكر الله هو قوت الأبدان وغذاء الأرواح، وأنّ الانشغال به يقلّل من حاجة الجسم إلى الطعام حتّى يكفيه أقلّ القليل. وقد جاء إليه أحد مريديه ليسأله عن القوت فقال: «هو الحيّ الذي لا يموت.. فقيل له: سألناك عن الغذاء، فقال: الغذاء هو الذّكر. قيل: سألناك عن طعمة الجسد، فقال: ما لك وللجسد، دع مَن تولاّه أوّلاً يَتولاّه آخِراً. وإذا دخل عليه علّة فردُّه إلى صانعه. أما رأيتَ الصنعةَ إذا عابت ردُّوها إلى صانعها حتّى يصلحها؟».

من أهمّ مؤلّفاته: «تفسير القرآن العظيم»، و«المعارضة»، و«الردّ على أهل الفرق وأهل الدعاوى في الأحوال».

التُسْتَرِيّ (نور الله) (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) : مجتهد من علماء الإماميّة. رحل إلى الهند حيث تولّى القضاء. اتّهم بالتشيّع وقتل. من كتبه: «مجالس المؤمنين»، و«إحقاق الحقّ».

التَسَرِّي : ١ . هو أن يتّخذ الرجلُ السريّة، أي الأمَة المملوكة، للجماع. وهي من السرّ بمعنى الإخفاء، لأنّ الرجال كثيراً ما كانوا يتّخذون السراري سرًّا، ويخفونهنّ عن زوجاتهم الحرائر..

٢ . والتسرّي جائز بالكتاب لقوله: «.. فانكحوا ما طابَ لكم من النساء مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ. فإنْ خِفتم ألاّ تَعْدِلوا فواحدةً، أو ما مَلَكَتْ أيمانُكم. ذلك أدنى ألاّ تَعولوا» (٤/٣)؛ وقوله: «حرّمتْ عليكم أمّهاتكم.. إلى قوله: والمحصناتُ من النساء إلاّ ما مَلَكَتْ أيمانُكم» (٤/ ٢٤)؛ وقوله: «والذين هم لِفُروجِهم حافِظونَ إلاّ على أزواجِهم، أو ما مَلَكَتْ أيمانُهم. فإنّهم غيرُ مَلُومِينَ» (٢٣/٦).

٣ . وجائز بالسنّة، فقد قال النبي في سبايا أوطاس: «لا تُوطَأ حامِلٌ حتّى تضعَ، ولا غيرَ ذاتِ حَمْلٍ حتّى تحيضَ حَيْضَةً»[1]؛ وأعطى النبيُّ حسّانَ بن ثابت إحدى الجواري التي أهداها له المقوقس، وقال له: «دونَكَ هذه. بَيِّضْ بها ولدك»[2]. ثمّ إنّ النبيّ كان له سراري. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «يا أيّها النبيّ! إنّا أحْلَلنا لك أزواجَكَ اللاّتي آتيتَ أجورَهنّ ومَا مَلَكَتْ يمينُكَ ممّا أفاءَ اللّهُ عليكَ» (٣٣/ ٥٠)، قال: وأباح لك التسرّي ممّا أخذت من الغنائم. وقد ملك صفيّة وجويريّة، فأعتقهما وتزوّجهما، وملك ريحانة بنت شمعون النصرانيّة ومارية القبطيّة، وكانتا من السراري، أي فكان يطؤهما بملك اليمين[3]. وكذلك الصحابة اتّخذوا السراري، فكان لعمر، ولعلي، وعلي بن الحسين، وغيرهم أمّهات أولاد..

٤ . وأجمعتِ الأمّة على ذلك. واستمرّ ذلك عند المسلمين دون نكير من أحد إلى حين انتهاء الرقّ في العصر الحديث. وقد كثر التسرّي في العصر الأموي والعصر العبّاسي لكثرة السبي في الفتوح، حتّى إنّ كثيراً من نساء الخلفاء العبّاسيّين كُنَّ من السراري. وكثيراً منهنّ ولدن الخلفاء.

٥ . لا يحتاج وطء السيّد لأمته إلى إنشاء عقد زواج. ولو عقد النكاح لنفسه على مملوكته لم يصحّ النكاح، ولم تكن بذلك زوجة؛ لأنّ ملك الرقبة يفيد ملك المنفعة وإباحة البضع. فلا يجتمع معه عقدٌ أضعف منه.

---

(١) رواه أبو داود ٢/ ٦١٤، ط. عزّت عبيد دعاس.

(٢) أخرجها ابن سعد ١/ ١٣٥، ط. دار صادر؛ وأوردها ابن هشام في السيرة ٢/ ٣٠٦، ط. الحلبي، وابن حجر في الإصابة ٤/ ٣٣٩، ط. السعادة.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٩، دار الفكر، بيروت.

٦ . والحكمة في التسرّي أنّ فيه تحصين الإماء لكيلا يَمِلْنَ إلى الفجور، وثبوت نسب أولادهنّ إلى السيّد، وكون الأولاد أحراراً. وإذا ولدت الأمة من سيّدها تكون «أمّ ولد»، فتصير حرّة عند موته.

٧ . يشترط لجواز التسرّي :

١ - الملك، فلا يحلّ لرجلٍ أن يطأ امرأةً في غير زواج إلاّ بأن يكون مالكاً لها، لقوله: «والذين هم لِفُروجِهم حافِظونَ إلاّ على أزواجِهم، أو ما مَلَكَتْ أيمانُهم. فإنّهم غيرُ مَلُومِينَ. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» (٢٣/ ٥-٧)؛

٢ - أن تكون الجارية مسلمة أو كتابيّة إذا كان المتسرّي مسلماً. فإن كانت مجوسيّة أو وثنيّة لم تحلّ لسيّدها المسلم بملك اليمين، كما لا تحلّ له بالزواج لو كانت حرّةً. وذلك لقوله تعالى: «ولا تَنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ» (٢/ ٢٢١)؛

٣ - أن لا تكون ممّن يحرمن مؤبّداً أو موقتاً، وألاّ تكون زوجة غيره، أو معتدته، أو مستبرأته، ما عدا التحريم من حيث العدد..

٨ . لا يتحدّد ما يحلّ للرجل من السراري بأربع، ولا بعدد معيّن... وإذا كان عنده أكثر من سريّة لم يلزمه القسم بينهنّ في المبيت.

التَّسْنِيْم : لها معانٍ عديدة : ١ - عين في الجنّة ذكرها القرآن في سورة المطفِّفين: «وَمزاجُه مِن تَسْنِيم، عيناً يشرب بها المقرَّبون» (٨٣/ ٢٧)، قد جاء فيها أنّ ماءَها يشربه المقرَّبون، ويُمزَج لسائر أهل الجنّة. ٢ - ويذكر الطبري أنّ قوله: «مزاجه من تسنيم» معناه خفايا أخفاها اللّه لأهل الجنّة. ٣ - وفي الحديث، تسنيم القبور أي رفعها فوق الأرض. وقد حكي أنّ قبر النبي كان مسنّماً. ويُقال من وجهة أخرى إنّ النبي أمر بتسوية القبور. وفي رأي الشافعي أنّ القبور يجب ألاّ تُرفع إلاّ بقدر ما يُعرف به أنّها قبور لكيلا يطؤها الناس أو يجلسوا عليها.

التَّشْبِيْه : ١ . ضدّه التعطيل ونفي الصفات عن اللّه. والتشبيه والتعطيل اصطلاحان على مذهبين متقابلين متناقضين في عقيدة المسلمين في ذات اللّه. وقد

أثارا جدلاً عنيفاً بين أتـباعهما، منشأه أنّ القرآن يؤكّـد وحدانيّة اللّه، وعلوّه، وبأنّه «ليس كمثله شيء» (٤٢/١١)، من جـهة؛ ولكنّه يصفه مع ذلك في بســاطة وصفاً تشبـيهيّـاً، فيجـعل له وجهاً وعـيناً ويداً، ويتحـدّث عن كلامه واسـتوائه وسمْـعِه وبصَرِه: «وهو السَّميعُ البَصيرُ» (٤٢/١١)..

٢ . التشـبيه مـرفوض لأنّه باب إلى الوثنيّـة وعبادة الأصنـام، والتعطيل أيضاً مرفوض لأنّه مدخل إلى الإلحاد والشـرك.. وعلى المسلمين المعتدلين أن يقفوا بين هذين المذهبين ليكونوا على الصـراط المستقيم. فـمَن جعل صفات الخـالق مثل صفـات المخلوق، فهو المشبِّـه؛ ومن جعل صفات المخلوق مـثل صفات الخالق، فـهو نظير النصارى في كفرهم.

التَّشْرِيْق : هو الإسم الذي تُعـرف به الأيّام الثلاثة الأخيـرة من الحجّ، من ١١ إلى ١٣ من ذي الحجّـة. فيهـا يُقيم الحجـيج في مِنى بعد فـراغهم من مناسك الحجّ ليرموا الجمرات الثلاث كلّ يوم سبع حصيات. وكانت كلمة تشريق تطلق في صدر الإسـلام علـى الصلاة التي تقام في صبـيحة العاشر من ذي الحـجّة، وعلى «تشريق اللّحم، أي: تقـطيعه وتقديده وبـسطه. ومنه سمّيت أيّام التـشريق. وأيّام التشريق ثلاثة، بعد يوم النّحر؛ لأنّ لحم الأضاحي يشرّق فيها للشمس».

التَّشْمِيْت : الدعاء بالخير والبركـة. منه تشميت العاطس، وهو أي يقول له متـى كان مـسلماً: يرحـمك اللّه.. عن النبيّ قـال: «حقّ المسلم على المسلم ستّ: إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه؛ وإذا دعاك فأَجِـبْه؛ وإذا استنصحك فانصحْ له؛ وإذا عطس فحمدَ اللّهَ تعالى فشَـمِّتْهُ؛ وإذا مرض فعدْهُ؛ وإذا مـات فاتبعْه»[1]. ولو عطس كافرٌ وحمد اللّه عقيب عطاسه وسَمِعَه مسلمٌ كان عليه أن يشمّتَه بقوله: هداك اللّه.

التَّشَهُّد : التكلّم بالشـهادتَين. وقيل: هو إسـم لمجموع الكلمات المرويّة عن ابن مسعود وغيره. وسمّي به لاشتـماله على الشـهادتَين، من باب تسمية الشيء باسم جزئـه.. والتشـهّد الذي علّمـه النبيّ لابن مسـعود هو: «التـحيّـات للّه، والصلوات

---

(١) أخرجه البخاري ٣/١١٢؛ الفتح؛ ومسلم، ٤/١٧٠٥، ط. الحلبي من حديث أبي هُريرة.

والطّيّبات، السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة اللّه وبركاته، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين. أشهد أن لا إله إلاّ اللّه. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله»[١].

التّشْهِيْر : من شهّره، أي أعلنه، وأذاعه. وشهّر به، أي أذاع عنه السوء. والشهرة وضوح الأمر.. والأصل: إنّ تشهير الناس بعضهم ببعض بذكر عيوبهم، إذا كان المشهَّر به بريئاً ممّا يشاع عنه ويُقال فيه فيكون التشهير حراماً لقوله تعالى: «إنّ الذين يُحبّونَ أن تَشيعَ الفاحشةُ في الذين آمَنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخِرة. واللّهُ يعلم وأنتم لا تعلمون» (٢٤/١٩)؛ ولقول النبيّ: «أيّما رجلٍ أشاع على رجلٍ مسلمٍ كلمةً وهو منها بريءٌ، يرى أن يشينه بها في الدنيا، كان حقًّا على اللّه تعالى أن يَرْميه بها في النار»[١].؛ ولقوله أيضاً: «أربى الربا عند اللّه استحلالُ عِرض امرئ مسلم»[٢]؛ ولقوله: «مَن سَمَّع سَمَّعَ اللّهُ به»، أي: من سمّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللّهُ عيوبَه[٣].

التّصَوُّف : ١ . نزعة إنسانيّة ظهرت في كلّ الحضارات. وهو يعبّر عن شوق الروح إلى التطهّر، ورغبتها في الاستعلاء على قيود المادّة، وسعيها الدائم إلى تحقيق صفائها الروحي وكمالها الأخلاقي.

٢ . يعود إسم التصوّف إلى تفسيرات مختلفة، منها : أنّه مأخوذ من صفاء الأسرار ونقاء الآثار؛ أو أنّه نسبة إلى الصفّ الأوّل في الصلاة؛ أو نسبة إلى عمل أهل الصُّفَّة من صحابة الرسول؛ أو نسبة إلى صوفة القفا؛ أو نسبةً إلى رجل كان يجاور بمكّة قبل الإسلام يسمّى صوفة بن بشر؛ أو نسبة إلى الصوف الذي هو زيّ الأنبياء، وشعار الصالحين والأولياء، ولباس أهل الزهد والتقشّف والتواضع والإقبال على اللّه؛ أو نسبة إلى «صوفيّا»، أي الحكمة والفلسفة بلفظها اليوناني.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح، ٢/٣١١، ط. السلفيّة؛ مسلم، ١/٣٠١-٣٠٢، ط. عيسى الحلبي.

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) أخرجه أبو يعلى ؛ رواه أبو داود ٥/١٩٣؛ وأحمد ١/١٩٠..

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٣/١١٤؛ فتح الباري ١١/٣٣٧؛ أخرجه البخاري، فتح الباري ١٣/١٢٨؛ ومسلم ٤/٢٢٨٩.

أمّا نسبتها إلى لبس الصوف فهو الأقرب إلى القبول.

٣ . وتعريفات التصوّف كثيرة جدًا، وقد ذكر السهروردي أنّ له أكثر من ألف تعريف؛ وذكر الشيخ زرّوق أنّها تبلغ الألفين. وترجع الكثرة إلى أنّ كلّ واحد ممّن عرّفوا التصوّف كان يعبّر عن ذوقه ووجده وحاله. ولهذا اختلفت العبارات، لأنّ الطرق إلى اللّه بعدد النجوم، أو بعدد أنفس السالكين... غير أنّ ما قال العطّار يجمع بين تعريفات مختلفة، فقال: إنّ التصوّف هو «ثمرة للعمل والحال، وليس نتيجة للحفظ والقال، وإنّه من العيان لا من البيان، ومن الأسرار لا من التكرار، ومن العلم اللدني لا من العلم الكسبي».

٤ . وأصل التصوّف، كما يقول ابن خلدون: «العكوف على العبادة، والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذّة ومالٍ وجاه.. وكان ذلك عامًا في الصحابة والسلف. فلمّا فشا الإقبال على الدنيا، في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختُصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفيّة والمتصوّفة».

٥ . أوّل ما أطلق إسم التصوّف على جابر بن حَيَّان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة.

٦ . وأسباب التصوّف متعدّدة، منها مِن داخل البيئة الإسلاميّة، كالزهد والبساطة والقناعة والبُعد عن التفنّن في المطاعم والمشارب والترف والغنى والسرف.. ومنها مِن خارج الإسلام، كالهند وفارس، والحياة الرهبانيّة المسيحيّة.

٧ . وتتفاوت نظرة المسلمين إلى التصوّف. وقد انقسموا حوله إلى أنصار يرون فيه طريقَ الولاية، وسبيلَ الصفاء، ونيلَ الكرامات، وخرق العادات.. وإلى خصوم يرون فيه بدعةً وضلالة، واستعلاءَ الحقيقة على الشريعة، وإعلاء الباطن على حساب الظاهر، وترويجاً لبعض الأفكار مثل الفناء، والحلول، ووحدة الوجود، وإسقاط التكاليف، والتواكل، والإعراض عن العلم.

التَّصْوِيْر : لقد مدح اللّه نفسه بقوله: «وصوَّركم فأحسنَ صورَكم» (٣٩/

٥)، وبقوله: «الـذي أحسنَ كلَّ شيء خلقـه» (٣٢/٧).. غير أنّ ذلك لا يعـني جواز صناعـة شيء منها إذا عُلِم أنّ الشـخصَ المصنوعة له يَعـبُد تلك الصـورة من دون الله: عن أمّ حبيبة وأم سلَمة ذكرتا للنبيّ كنيسـةً رأينَها بأرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاويرَ فيها. فقال النبيّ: «أولئك قوم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بَنَوا على قبره مسجداً، وصـوّروا فيه تلك الصور. أولئك شرار الخلق عند الله»[١]. لهـذا قـال في حقّ المصـوّرين: «إنّ أشـدَّ الناس عـذاباً عـند الله يوم القـيـامـة المصوِّرون»[٢]. وفسّر المفسّرون ذلك بأنّه ليس تحريماً مطلقاً، بل المقصود به صنع التماثيل لـتُعبد. وثمّة أحـاديث أيضاً تدلّ على منع اقتناء الصور، مـنها: «إنّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»..

التَّطَيُّب: التـعطّر. عرف عـن النبيّ قوله: «أربـع من سنن المرسلين: الحناء، والتعطّر، والسواك، والنكاح»[١]، وقوله: «حـبّب إليّ من دنياكم: النسـاء والطيب، وجُعلتْ قرّةُ عيني في الصلاة»[٢]. والطيب يُستحبّ للرجال داخل بيته وخارجه بما يظهر ريحه ويخفي لونه؛ ويسنّ للمرأة في غير بيتها بما يظهر لونه ويخفي ريحه، لحديث نبـويّ: «طيب الرجال مـا ظهر ريحه وخـفي لونه؛ وطيب النساء مـا خفي ريحه وظهر لونه»[٣]؛ لحديث: «أيّما امرأة استعطرتْ، فـمرّت بقوم ليجدوا ريحها، فهي زانية»[٤].

يندب للمسلم والمسلمة التطيّب لصلاة الجمعة والعيد. إلاّ أن النساء لا بأس بخروجهنّ غـير متطيّبـات ولا لابسات ثياب زينة لقول النبيّ: «لا تمنـعوا إماءَ الله

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٥٢٤، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/ ٣٧٦، ط. الحلبي.
(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٣٨٢، ط. السلفيّة، من حديث ابن مسعود.
(١) أخـرجه التـرمذي ٣/ ٣٨٢، ط. مـصطفى الحلبي؛ وأحـمد ٥/ ٤٢١، ط. المكتب الإسـلامي؛ والبغوي في شرح السنّة ٩/ ٥، عن أبي أيّوب.
(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٨؛ والحاكم والبيهقي.
(٣) عن أبي هُريرة، أخرجه أحمد ٢/ ٥٤١؛ وأبو داود ٢/ ٦٢٥؛ والترمذي ٤/ ١٠٧.
(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٤١٤، ٤١٨؛ والترمذي ٥/ ١٠٦.

مساجدَ اللّه. وليخرجن تَفِلات»، أي غير متطيّبات[٥]. واستدلّ القائلون بجواز التطيّب بقوله تعالى: «يا بَني آدم! خذوا زينَتكم عند كلّ مسجد» (٧/ ٣١).

التَّطَيُّر: التشاؤم. أصله: إنّ العرب كانوا في الجاهليّة، إذا خرج أحدهم لأمرٍ قصد إلى عشٍّ طائر، فيهيّجه. فإذا طار الطيرُ يمنةً تيمّن به، ومضى في الأمر. ويسمّونه «السانح». أمّا إذا طار يسرةً تشاءم به، ورجع عمّا عزم عليه. ويسمّونه «البارح». فأبطل الإسلام ذلك، ونهى عنه، وأرجع الأمر إلى سنن اللّه الثابتة، وإلى قدَرِه المحيط، ومشيئته المطلقة. جاء في الأثر الصحيح: «مَن ردّتْه الطيرة من حاجة فقد أشرك»[١]. أمّا الفأل الحسن فهو جائز، وجاء في الأثر: «كان النبيّ يتفاءل ولا يتطيّر. وكان يحبّ أن يسمع يا راشد يا رجيح»[٢]. وروي عنه: «لا عدوى ولا طيرة»[٣] (أطلب مادّة: **الشؤم**).

التَّعْزِيْر : في قوله «وَتُعَزِّرُوهُ» (٤٨/ ٩) هو من الأضداد، وهو الردّ والمنع. وسُمِّيت العقوبة تعزيراً، لأنّ من شأنها أن تدفع الجاني وتردّه عن ارتكاب الجرائم، أو العودة إليها. والتعزير هو ضرب من العقوبة دخل في الفقه الإسلامي، ولا يوجد في القرآن. والتعزير هو تأديب على ذنب لا حدّ فيه ولا كفّارة، سواء كانت على حقّ اللّه، كترك الصلاة والصوم، أو على حقّ الناس، كالغش في الأسواق، والعمل بالربا، وشهادة الزور، وسرقة ما تّفه، وتقبيل الأجنبيّة، والخلوة بها.

التَّعْزِيَة : هي مواساة أهل الميت، والأمر بالصبر والحمل عليه بوعد الأجر، والتحذير من الوزر، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة. ومشروعيّتها حديث : «مَن عزّى مصاباً فله مثل أجره»[١]، وخبر: «ما من مؤمن

---

(٥) أخرجه أبو داود / ٣٨١، ط. دعاس؛ وأحمد ٢/ ٤٣٨،ط . الكتاب الإسلامي.

(١) أخرجه أحمد، وصحّح إسنادَه أحمد شاكر، مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٢/ ١٠.

(٢) أخرجه أحمد وصحّحه أحمد شاكر ٤/ ٩٤، ط. المعارف؛ والترمذي، ٤/ ١٦١.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٢١٤، ط. السلفيّة.

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٧٦، ط. الحلبي من حديث ابن مسعود.

يعزّي أخاه بمصيبةٍ إلاّ كساه اللّهُ مِن حلل الكرامة يوم القيامة»[٢]. يُعزّى أهل المصيبة، كبارهم وصغارهم، ذكورهم وإناثهم، إلاّ الصبيّ الذي لا يعقل، والشابة من النساء فلا يعزّيها إلاّ النساء ومحارمها، خوفاً من الفتنة.

والتعزية عند الشيعة هي تمثيل مشاهد النواح والبكاء. والكلمة غير واردة في القرآن؛ بل وردت في كتب الفقه في نهاية كتاب العبادات، باب الجنائز. وفيها حضّ على تعزية أقارب الميت ومؤاساتهم. وأوّل معاني التعزية عند الشيعة النواح على مَن استُشهد من الأئمّة عند قبورهم، وهم يندبون الحسين خاصّة... يقومون بذلك في مسرح في الأماكن العامّة والخانات وفي المساجد. وأهمّ ما يجهّز به المسرح تابوت كبير وشمعدانات للشموع توضع في مقدّم المسرح، ثمّ قوس الحسين ورمحه وحربته ورايته.. ولا يجوز أن نطلق على المشهد إسم المسرحيّة.

التَّعْطِيْل : هو تنزيه اللّه عن جميع الصفات (رَاجع مادّة : **التَّشْبيه**).

التَّعَلُّم : قد يكون التعلّم فرض عين، وهو تعلّم ما لا بدّ منه للمسلم لإقامة دينه وإخلاص عمله للّه أو معاشرة عباده. فقد فرض على كلّ مكلّف ومكلّفة تعلّمَ ما تصحّ به العبادات والمعاملات من الوضوء والغسل والصلاة والصوم، وأحكام الزكاة، والحجّ لمن وجب عليه، وإخلاص النيّة في العبادات للّه. ويجب تعلّم أحكام البيوع على التجّار ليحترزوا عن الشبهات والمكروهات في سائر المعاملات، وكذا أهل الحرف، وكلّ مَن اشتغل بشيء يفرض عليه تعلّم حكمه ليمتنع عن الحرام فيه.

وقد يكون التعلّم فرض كفاية، وهو تعلّم كلّ علم لا يُستغنَى عنه في قيام أمور الدنيا، كالطب والحساب والنحو واللغة والكلام والقراءات وأسانيد الحديث ونحو ذلك.

ومن التعلّم ما هو مندوب، ومنه التبحّر في الفقه وغيره من العلوم الشرعيّة؛ وقد يكون حراماً، ومنه تعلّم الشعوذة وضرب الرمل والسحر والكهانة

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه ٧/ ٣٩٧، ط. السعادة.

والعرافة؛ وقد يكون مكروهاً، ومنه تعلّم أشعار الغزل؛ وقد يكون مباحاً، ومنه الأشعار التي ليس فيها ما ينكر..

التَّعلّي : أي الارتفاع. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ أهل الذمّة ممنوعون من أن تعلو أبنيتهم على أبنية جيرانهم المسلمين، لما روي عن النّبيّ أنّه قال: «الإسلام يَعلو ولا يُعلى عليه»[1].. أمّا لو اشترى الذمّي داراً عالية مجاورة لدار مسلم دونها في العلوّ، فللذمّيّ سكنى داره، ولا يُمنع من ذلك؛ إلاّ أنّه ليس له الإشراف منها على دار المسلم. وعليه أن يمنع صبيانه من طلوع سطحها إلاّ بعد بناء ما يمنع من الرؤية. فإن انهدمت دارُ الذمّيّ العالية ثمّ جدّد بناءَها، لم يجز له أن يعلي بناءَها على بناء المسلم[2].

تَغْلِب بن وَائِل : تغلب أخت بكر، من أعظم قبائل ربيعة شأناً.. لمّا تشعّبت القبائل، نزل بنو تغلب هضابَ نجد والحجاز وتخوم تهامة، واستقرّوا في المنازل التي عُرفت فيما بعد بديار ربيعة. وفي مستهلّ القرن الخامس الميلادي نشبت **حرب البسوس** عندما كانت تغلب وبكر تعيشان في نجد.. وكانوا مسيحيّين. حالفوا الأمويّين، ودخل بعضهم الإسلام، منهم بنو حَمدان أصحاب حلب. من شعراء تغلب: المُهلهِل وعَمرو بن كُلثوم، والأخطل. قال التبريزي في شرحه لمعلّقة عمرو بن كلثوم: «لو أبطأ الإسلام لأكلتْ بنو تغلب العرب».

التَّفْتَازَانِي (سعد الدين) (ت ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م) : لغويّ ومتكلّم كبير. أقام بسرخس وأبعده تيمور إلى سمرقند. له مصنّفات عدّة. منها: «تهذيب المنطق»، و«المطوّل» في البلاغة، و«مقاصد الطالبين» في الكلام، و«شرح العقائد النسفيّة».

التَّفسِير : لغة، هو الإيضاح، والتبيين، والتفصيل، والكشف.. واصطلاحاً،

---

(١) أخرجه الدارقطني ٣/ ٢٥٢، ط. دار المحاسن.

(٢) إبن عابدين ٣/ ٢٧٦؛ ونهاية المحتاج للرملي ٨/ ٩٤؛ والمهذب في فقه الشافعي ٢/ ٢٥٦؛ والمغني لابن قدامة ٨/ ٥٢٨، ط. الرياض؛ وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٣/ ٣٧٠؛ وحاشية العدوي بهامش الخرشي على مختصر خليل ٦/ ٦١، دار صادر.

هو بيان كلام الله.

١ . عرّف أبو حيّان التفسيرَ: «إنّه علم (يشمل سائر العلوم)، يبحث عن كيفيّة النطق بألفاظ القرآن (أي القراءات)، ومدلولاتها (أي مدلولات تلك الألفاظ. وهذا هو علم اللّغة)، وأحكامها الإفراديّة والتركيبيّة (وهذا يشمل علم التصريف، والإعراب، والبيان، والبديع)، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب (وهذا يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة وما دلالته عليه بالمجاز)، وتتمّات لذلك (وهو معرفة النسخ وسبب النزول، ونحو ذلك)»(١).

٢ . وعرّفه آخرون: بأنّه «علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها»(٢).

٣ . لم ترد لفظة «تفسير» في القرآن إلاّ مرّة واحدة : «وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاّ جِئْنَاكَ بالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً» (٢٥/٣٣)، أي: بياناً وتفصيلاً (راجع مادّة : **التأويل**، حيث الفرق بين التأويل والتفسير).

٤ . من شروط التفسير ألاّ يقطع المفسِّر ولا يجزم.. ثمّ إنّ القرآنَ يفسّر بعضه بعضاً، لقوله: «وأنْزَلْنا إليكَ الذِّكْرَ لِتُبيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهِم» (١٦/٤٤).

٥ . ينقسم التفسير إلى ثلاثة أقسام: ١- تفسير بالرواية، ويسمّى التفسير بالمأثور؛ ٢- وتفسير بالدراية، ويسمّى التفسير بالرأي؛ ٣- وتفسير بالفيض والإشارة، ويسمّى التفسير الإشاري.

٦ . قال السيوطي: أجلّ العلوم الثلاثة الشرعيّة: التفسير والحديث والفقه. ونقل عن الأصفهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن.

---

(١) أبو حيّان، البحر المحيط، ١/١٣-١٤.
(٢) الإتقان ٢/١٧٤.

التَّفْسِيْق : من فسق. والفسق، في الأصل، الخروج عن الاستقامة والطاعة. وهو الفجور، والخروج عن طريق الحقّ، والترك لأمر الله، والعصيان. قال العسكري: الفسق الخروج من طاعة الله بكبيرة، والفجور الانبعاث في المعاصي والتوسّع فيها[1].

ولا خلاف بين الفقهاء في تفسيق مرتكب الكبائر، كالزاني، واللائط، والقاتل، ونحوهم؛ لأنّ تفسيق القاذف وردّ شهادته ثبت بنصّ القرآن: «والذينَ يَرمُونَ المُحْصَنَاتِ، ثمّ لم يأتوا بأربعةِ شهداءَ، فاجْلدوهُم ثمانينَ جلدةً، ولا تَقبلوا لهم شهادةً أبداً. وأولئكَ همُ الفاسِقُونَ» (٢٤/ ٤)، فيقاس عليه كلّ مرتكب كبيرة. أمّا الصغائر فلا يُفسَّق بها، لقوله: «الذينَ يَجتنبونَ كبائرَ الإثم والفواحشَ إلاّ اللّمم (أي الصغائر)» (٥٣/ ٣٢).

التَّقْبِيْل : من قبّل، ومنه القُبلة وهي اللثمة، والجمع: القُبَل.. ذكر بعض الفقهاء أنّ التقبيل على خمسة أوجه: ١- قُبلة المودّة للولد على الخدّ؛ ٢- وقُبلة الرحمة لوالديه على الرأس؛ ٣- وقُبلة الشفقة لأخيه على الجبهة؛ ٤- وقُبلة الشهوة لامرأته أو أمته على الفم؛ ٥- وقُبلة التحيّة للمؤمنين على اليد. وزاد بعضهم: ٦- قُبلة الديانة للحجر الأسود.

التَّقْلِيْد : ١ . يرد التقليد في الاصطلاح الشرعي بأربعة معانٍ: ١- تقليد الوالي، أو القاضي، ونحوهما، أي توليتهما العمل (التولية)؛ ٢- تقليد الهَدْي بجعل شيء في رقبته ليُعلَم أنّه هَدْي (ر: ٥/ ٢، و٩٧)؛ ٣- تقليد التمائم والتعويذات، أي جعلها في عنق الصبي أو الصبيّة أو الدابّة ونحوها؛ ٤- التقليد في الدين، وهو الأخذ فيه بقولِ الغير مع عدم معرفة دليله؛ أو هو العمل بقول الغير من غير حجّة. فالمقلِّد يفعل مثلَ فعْلِ المقلَّد دون أن يدري وجهه.

٢ . والأمر التقليدي ما يُفعل اتّباعاً لما كان قبل، لا بناءً على فكرِ الفاعلِ نفسِه. وخلافه: الأمر المبتدع. أمّا الرجوع إلى قول النبيّ فليس تقليداً؛ وكذلك

---

(١) الفروق للعسكري، ص ٢٢٥.

الرجوع إلى الإجماع ليس تقليداً؛ لأنّ ذلك رجوعٌ إلى ما هو الحجّة في نفسه.

٣ . ثمّ إنّ المقلِّد ليس فقيهاً: الفقه ممدوح في كلام النبيّ، أمّا التقليد فمذموم. وهو في الحقيقة نوعٌ من التقصير.. والتقليد لا يجوز، أيضاً، عند جمهور الأصوليّين في العقائد، كوجود الله، ووحدانيّته، ووجوب إفراده بالعبادة، ومعرفة صدْق رسوله.. فلا بدّ في ذلك عندهم من النظر الصحيح والتفكّر والتدبّر المؤدّي إلى العلم وإلى طمأنينة القلب ومعرفة أدلّة ذلك. وذمّ القرآنُ التقليدَ في ما يعود إلى العقيدة في قوله: «بلْ قالوا: إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أمّةٍ وإنّا على آثارِهِمْ مُهْتدون» (٣٣/٢٢).

٤ . أمّا التقليد في الفروع، أي في الأحكام الشرعيّة العمليّة فعلى رأيين: الأوّل: جواز التقليد فيها، لأنّ المجتهد فيها إمّا مصيب وإمّا مخطئ مثاب غير آثم؛ وقد أمر الله بسؤال العلماء في قوله: «فاسألوا أهلَ الذكرِ إنْ كنتمْ لا تعلمون» (١٦/٤٣)؛ والثاني: إنّ التقليد محرّم لا يجوز، لذمّ التقليد في قوله تعالى: «اتّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دون الله» (٩/٣١)، وقوله: «وقالوا: ربّنا! إنّا أطَعْنا سادتَنا وكبراءَنا فأضلّونا السَّبيلا» (٣٣/٦٧)؛ وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: لا يحلّ لأحدٍ أن يقول بقولنا حتّى يعلم مِن أين قلناه.

٥ . أمّا الذي يجوز له التقليد فهو العامّي ومَن على شاكلته من غير القادرين على الاجتهاد.. فأمّا المجتهد، لو أراد التقليد، فقد قال الشافعي وغيره: ليس له أن يقلِّد، بل عليه أن يجتهد.

٦ . والتقليدُ ضدّ **الاجتهاد**. وقد أنكر الشيعةُ مذهبَ التقليد السنّي. ويقولون بوجود مجتهدين في غيبة الإمام المستتر، يقومون بهداية المؤمنين.

التَّقَمُّص : ١ . يقولُ الدروز بحَيَوات وميتات متعدّدة، أي بتقمصِ الأرواح ونُقْلَتِها بالموت، من جسد بشري إلى جسدٍ بشري آخر، وبأدوار للخليقة مُتلاحِقة. أمّا القول بـ**التناسخ**، أي بانتقال النفس من جسدٍ بشريّ إلى أيّ جسدٍ كان، فهو، عند الدروز، باطل، مخالفٌ للحكمة. هكذا جاء على لسان **حمْزة**، **قائم الزمان**، ردًا

على أحد النّصَيريّين: «لا يدخلُ في المعقـول، ولا يجبُ في عدل مولانا سبحانَه، بأن يَعصـيه رجلٌ عاقلٌ لبيـبٌ، فيعاقـبُه في صورةِ كَلْبٍ أو خنزير، وهم لا يعـقلونَ ما كانوا عليـه في الصورة البـشريّة، ولا يعـرفون ما جَنوه؛ أو يصـيرُ حـديدًا يُحَمَى ويُضْرَبُ بالمِطـرقة. فأينَ الحكمـة في ذلك والعدلُ فـيهم؟ وإنّما تكـونُ الحكمةُ في عَذابِ رجلٍ يَفهَمُ ويعرفُ العذابَ، فيكونُ مأدبَةً له وسببًا لتوبته»[1].

٢ . والنفس تحتاج إلى الجسـد. ولا يمكن أن تكون من دونه. وهي تحتاج إليه لتعـرف. هكذا جاء في **كتـاب النقط والدوائر**: «فما تقـدر النفس الناطقة على الذكر إلاّ بالقـوّة المذكِّرة التي في الجسم، ولا تقـدر على تخييل الأشيـاء إلاّ بالقوّة المخيِّلة التـي في الجسم، ولا تقدر على التـفكّر إلاّ بالقوّة المفكّرة الـتي في الجسم... فالجسم حـجابها ومنه تظهر أفعـالُها، ولا تُدرِك إلاّ منه، ولا تَعرِف إلاّ به. ولا غنى لها عنه، ولا تنتقل منه إلاّ به... وانتقالهـا بتدبيرِ العلّة الأولى التي هي العقل الكلّي، لأنّه علّة وجودها، ومرقى صعودها... فما لَطُفَ فإلى عالَمِ العقلِ يَرْقَى»[2].

٣ . ويوجز شـيخ العقل **محـمّد أبو شـقرا** ما يَفـهَم بالتقـمّص، فيـقول: «الموحّـدون الدروز لا يـؤمنون بالحلول ولا بالتـناسخ، بل يؤمنون بالتـقـمّص. فبـالتقمّـص يثبتُ عدلُ الله في مـخلوقاته، وتتكافـأ الفرص ، وتُتَاح لـكلِّ مخلوق. النفوسُ البـشريّة اللّطيفـةُ خالدةٌ باقيةٌ، والأجـسامُ الكثيـفةُ أقمصـةٌ للنفوس، ولا لطيفٌ دونَ كثيف. والنفوسُ لا تفارِق الأجسـامَ لحظةً واحدة، بل تنتقل بسرعةٍ من جسـدٍ بشري إلى جسـدٍ بشـري جديد. وتَسري فـيه كَـسَرَيانِ تيّارِ الكـهرباء في السِلك. والنفوسُ جواهرُ، والأجـسامُ آلاتُها كالعينِ آلةُ البـصر، واللّسان آلة الكلام، والأذن آلةُ السمعِ، والجـسمِ بمجموعِ أعضـائِه آلةُ النفس. إنّ خلودَ النفس لا يكون ولا يمكن أن يكون بالنسبة إلى عدل الخالق تعـالى، وبالنسبة إلى الثواب والعقاب، إلاّ بواسطة التقمّصِ، وهذا الأمر أشارت إليه كتب الأديان جميعها»[3].

---

(١) رسالة الردّ على النصيري الفاسق ١٥/ ١٧١.

(٢) كتاب النقط والدوائر، ص ٣٠ – ٣١.

(٣) مجلّة الضحى، يصدرها المجلس المذهبي للطائفة الدرزيّة، عدد ١٠ سنة ١٩٧١.

التَّقْوَى : ١ . هي جعل النفس في وقاية ممّا يُخاف منه، وحفظها عمّا يؤذيها ويضرّها. أو أيضاً: هي التحرُّز من عقوبة الله وعذابه، بطاعته واتّباع أوامره واجتناب نواهيه.. وتقوم التقوى، في جوهرها، على استحضار القلب لعظمة الله، واستشعار هيبته وجلاله وكبريائه، والخشية لمقامه، والخوف من حسابه وعقابه.

٢ . لقد وردت التقوى ومشتقاتها ٢٥٨ مرّة في القرآن، بصيغة الأمر بها من الله لعباده، كما في قوله: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! اتَّقُوا اللَّهَ وكونوا مع الصَّادِقين» (٩/ ١١٩)، كما أمر بها جميعُ الرسل أقوامَهم: هكذا قال نوح:«فَاتَّقوا اللَّهَ وأطيعونِ» (٢٦/ ١٠٨)، وهود (٢٦/ ١٢٦)، وصالح (٢٦/ ١٤٤)، ولوط (٢٦/ ١٦٣)، وشُعَيب (٢٦/ ١٨٠). كما حثّ القرآن على التحلّي بها في ميدان الجهاد: «اصْبِروا وصابِروا ورابِطوا واتَّقُوا اللّهَ لعلّكم تُفْلِحون» (٣/ ٢٠٠)، وفي قتال الأعداء: «.. وقَاتِلوا المشركين كافَّةً، كما يُقاتِلونكم كافَّةً. واعْلَموا أنَّ اللّهَ مع المُتَّقين» (٩/ ٣٦)، وفي العدل مع الخصوم: «.. اعْدِلوا هُوَ أقرَبُ للتَّقوى. واتَّقُوا اللّهَ..» (٥/ ٨)، وفي المعاملات: «..لا تأكُلوا الرِّبا أضعافاً مُضاعَفَةً. واتَّقوا اللّهَ لعلّكم تُفْلِحون» (٣/ ١٣٠)، وفي الحلال والحرام: «قلْ لا يَستوي الخبيثُ والطَّيِّب ولو أعجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبيثِ. فاتَّقوا اللّهَ يا أُولي الألبابِ. لعلّكم تُفْلِحون» (٥/ ١٠٠)، وفي الأحوال الشخصيّة، كالطلاق والعِدَّة وإتيان الفاحشة والإمساك والشهادة وغير ذلك: «واتَّقُوا اللّهَ رَبَّكم» (٦٥/ ١)..

٣ . وثمرات التقوى وآثارها كثيرة، منها : نوال صحبة الله: «إنَّ اللّهَ مَعَ الذين اتَّقَوا والذينَ هُمْ مُحْسِنون» (١٦/ ١٢٨)، ونوال حبّه: «مَن أوفَى بعهده، واتَّقى، فإنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَّقِين» (٣/ ٧٦)، والحصول على نصره: «.. إنَّ الأرضَ للّهِ يُورِثُها مَن يشاءُ مِن عباده. والعاقِبةُ للمُتَّقِين» (٧/ ١٢٨)، و رحمته وهدايته (٥٧/ ٢٨)، والخروج من الأزمات وسعة الرزق وتيسير الأمر (٦٥/ ٢-٤)، والنجاة من مسّ الشيطان (٧/ ٢٠١)، والنجاة من السوء والأحزان (٣٩/ ٦١)، والنجاة من الخوف والحزن (٧/ ٣٥)، وتكفير السيّئات وغفران الذنوب (٨/ ٢٩)، والفلاح في

الدنيا والآخرة (٥/ ٣٥)، ودخول جنّات النعيم ونوال رضوان الله (٣/ ١٥)[٤].

٤ . هذا، وقد كانت الوصيّة بالتقوى أولى وصايا الله لبني آدم: «يا بَني آدمَ! قد أنْزَلْنا عليكم لِباساً يُواري سَوءاتِكُمْ وريشاً ولِباسُ التَّقْوَى. ذلك خيرٌ» (٧/ ٢٦)؛ وهي وصيّة الله للمسلمين وللأمم من قبلهم: «ولَقَد وصَّينا الذين أوتُوا الكتابَ من قَبلِكم وإيّاكم أن اتَّقُوا اللّهَ» (٤/ ١٣١). وهم أهل الكرامة عنده في الدنيا وفي الآخرة: «إنَّ أكرَمَكم عند اللّهِ أتْقَاكم» (٤٩/ ١٣). وقد وُصفت الجنّة بأنّها دار المتَّقين (١٦/ ٣٠؛ ١٩/ ٦٣). ثمّ إنَّ اللّهَ يوصف بأنّه «يُحِبُّ المُتَّقِينَ» (٣/ ٧٦).

التَّقِيَّة : ١ . التقيّة، لغةً، تعني الحذَر؛ وشرعاً، إظهار خلاف الواقع في الأمور الدينيّة، بقولٍ أو فعل، خوفاً وحذراً على النّفس، أو المال، أو العرض. وقيل: هي مداراة وتظاهر بما ليس هو الحقيقة..قال الباقر: "إنّما حُلَّتِ التقيّة ليُحقَنَ بها الدم. فإذا بلغ الدمَ فليس تقيّة».

٢ . وقد ارتبطتِ التّقيّة بالشيعة، وفسّروا كثيراً من أعمال الأئمّة على أنّهم فعلوها تقيّةً: فسكوتُ عليّ على أبي بكر وعمر وعثمان كان تقيّة؛ ومصالحة الحسن لمعاوية كان تقيّة؛ وقولهم بالتقيّة كان سبباً لقولهم: إنّ للكلام ظاهراً يفهمه كلُّ الناس، وباطناً يفهمه الخاصّة؛ وتأوّلوا تفاسير بعض القرآن بمعانٍ باطنيّة..

٣ . وقد أخذ بالتقيّة بعضُ الفِرَق الباطنيّة، أمثال القرامطة، والفاطميّة، والإسماعيليّة، والدروز، والبابيّة، والنُّصَيريّة، وغيرها من الدعوات الباطنيّة التي كانت تحافظ على تقاليدها بالتستر إلى أن تقوى وتُعلن وجودَها بعد أن تكون قد حقّقت لنفسها المقوِّمات الكفيلة باستمراريّة وجودها.

٤ . من التقيّة ما جاء في القرآن عن عيسى أنّه لم يُقتل ولم يصلب وإنّما شبِّه لمن زعموا قتله.. وما جاء عن محمّد الذي تخلّص من عذاب الكفّار بالهجرة،

---

(٤) راجع أيضاً : ٣/ ١٣٣ و١٣٦ و١٩٨، ١٥/ ٤٥-٤٨، ١٦/ ٣٠-٣٥، ١٩/ ٦٣، ٣٨/ ٤٩-٥٣؛ ٣٩/ ٢٠ و٧٣، ٤٣/ ٦٧-٧٣، ٤٤/ ٥١-٥٧، ٤٧/ ١٥، ٥٠/ ٣١-٣٥، ٥١/ ١٥-١٦، ٥٢/ ١٧-٢٠، ٥٤/ ٥٤-٥٥، ٦٨/ ٣٤، ٧٧/ ٤١-٤٤، ٧٨/ ٣١-٣٦.

وبإباحة إنكار العقيدة عند الضرورة (ر:١٦/٢٠٨)، واتّخاذ الكافرين أولياء (ر:٣/٢٧)، وأكل ما حرِّم (ر:٦/١١٩؛ ٥/٥)..

٥. ومن أدلّة التقيّة ما جاء في القرآن، مثل قوله: لا يتَّخذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنين. ومَن يَفعلْ ذلك فليس من اللّهِ في شَيء، إلاَّ أنْ تَتَّقُوا منْهُمْ تُقَاةً. ويُحذِّرُكُمُ اللّهُ نفسَهُ. وإلى اللّهِ المَصير» (٣/٢٨)؛ فالآية صريحة في النهي عن اتّخاذ الكافرين أولياء إلاّ في حال الخوف واتّقاء الضرر والأذى.

٦. وقوله: «مَن كَفَر باللّهِ بعد إيمانه، إلاَّ مَن أُكْرِهَ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئنٌّ بالإيمَان. ولكن مَن شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من اللّهِ ولهم عذاب عظيم» (١٦/١٠٦)؛ قال المفسّرون: إنّ المشركين آذوا عمّار بن ياسر، وأكرهوه على قول السوء في رسول اللّه، فأعطاهم ما أرادوا. فقال بعض الأصحاب: كفر عمّار؛ فقال النبيّ: كلاّ. إنّ عماراً يغمره الإيمان من قرنه إلى قدمه. وجاء عمّار، وهو يبكي نادماً آسفاً. فمسح النبيّ عينيه وقال له: لا تبكِ. إنْ عادوا لك، فعدْ لهم بما قلتَ».

٧. وقوله: «وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعونَ يَكْتُمُ إيْمَانَهُ» (٤٠/٢٨)؛ فكتْم الإيمان، وإظهار خلافه ليس نفاقاً ورياءً. وقوله: «فَاتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (٦٤/١٦)؛ إلاّ أنّ أهل السنّة يقولون: إنّ هذه الآية ناسخة لقوله: «واتَّقُوا اللّهَ حقَّ تُقَاته»(٥). وقوله: «وقد فصّلَ لكمْ ما حرّم عليكمْ إلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إليه» (٦/١١٩)؛ أي: لا مانع لكم، عند الضرورة، من أكل ما لم يُذكَر عليه اسم اللّه. وقوله: «ولا تُلْقُوا بأيْديكُمْ إلَى التَّهْلكَة» (٢/١٩٥)؛ أي لا تلقوا أنفسكم بأنفسكم إلى الهلاك. فهذا ليس جهاداً، بل انتحاراً. وقوله: «يُريدُ اللّهُ بِكُمِ اليُسْرَ، وَلا يُريدُ بكم العُسْرَ» (٢/١٨٥)؛ أي: يبيح اللّه لكم الفطر في المرض والسفر. وقوله: «مَا جعلَ عليكم في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (٢٢/٧٨)؛ أي: ضيقٍ بأن سهّله عند الضرورات، كالقصر، والتيمّم، وأكل الميتة، والفطر للمرض والسفر. وقوله: «لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاَّ مَا آتَاهَا» (٦٥/٧)؛ أي: إذا لم يُؤتِها اللّهُ مِن رزقه فلا تكليف عليها.

---

(٥) راجع تفسير الجلالين لـ ٦٤/١٦.

٨ . جاءتْ أحاديث كثيرة على لسان الرسول تـقول بالتقيّة وتفرضـها على المؤمنين عند الاضطرار. فالـنبيّ نفسه مارســها في حيـاته، وكذلك قال بهـا الأئمّة والعلماء ومارسوها. قال رسول اللّه: «بئسَ القــوم قومٌ يمشي المؤمن فيهم بالتقيّة والكتمان». وقــال: «رُفعَ عن أمّتي تسعة أشـياء: الخطأ، والنسيان، ومـا استُكرِهوا عليـه، وما لا يعلمـون، ومـا لا يُطيقـون، وما اضطـرُّوا إليه، والطَيَـرَة، والحسـد، والوسوسة في الخلق».

٩ . وفي السيـرة النبويّة: «لمّا فَـتَحَ رسولُ اللّه خـيبـر، قال له حـجّاج بن علاط: يا رسولَ اللّه! إنّ لي بمكّة مالاً، وإنَّ لي بها أهلاً، وأنا أريد أن آتيهم، فأنا في حلٍّ إنْ أنا نلتُ منك وقلتُ شيئاً؟ فأذِنَ له رسول اللّه أن يقول ما يشاء»[٦].

١٠ . وتعاليم الأئمّـة مليئة بالدعوة إلى التـقيّة، منها قـول الصادق: «لولا التقيّة لبطل دِينُ اللّه، وانقرض أهلـه»؛ وقوله:«التقيّة دِيني ودِين آبائي. ولا دِين لمن لا تقيّة له»؛

١١ . ويقول الشـيعة: «العقل السليم يحكم بلزومهـا عند الاضطرار إليها، بل النفوس البـشريّة مجبـولة عليها، إذا أحـسّتْ بالخوف. عَيبُ التقـيّة، في رأيهم، ليس عليـهم وقد حـفظوا بها دمـاءهم وأموالهم وأعـراضهم، بل عـارها وشنارها ووبالها على مَن اضطرَّ الشيـعةَ إليها»[٧]. ويعتبر الأمين بأنّ التـقيّة موجودة عند المسلمين جمـيعهم، سنّة وشيعـة. يقول: «التقيّـة لا تختصّ بالشيعـة، بل هي عامّة عندهم وعند غـيرهم من المسلمين، بل عند جمـيع العقـلاء، لأنّها عبـارة عن إظهار خلاف المعـتقد بقـولٍ، أو عملٍ، عند الخوف على الـنفس، أو العرض، أو المال. وهذا ممّا قضى به العقل، وحكم بجوازه الشرع، حتّى جوّز إظهار الكفر[٨]. وإنّما اشتهر

---

(٦) السيرة الحلبيّة، مطبعة مصطفى محمّد، ج٣، ص ٦١.

(٧) مـحسن الأمين، نقض الوشـيعـة، ص ١٨١؛ رَاجع أيضـاً : مغنيّـة، الجوامع والفـوارق، ص ٢٢٣؛ مغنيّة، الشيعة في الميزان، ص ٤٨-٤٩.

(٨) راجع مـا جاء في القـرآن: «إلاّ مَن أُكره وقلبـه مطمئنٌ بالإيمان»؛ «إلاّ أن تتّـقوا منهم تـقاة»؛ «وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه»؛ «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»...

الشيعة بالتـقيّة دون غيرهم لكثرة ما جرى علـيهم من الظلم والاضطهاد، وحصل لهم من الخوف. فكثر عندهم استعمال التقيّة، واشتهروا بها دون غيرهـم»[٩].

التَّكْبِيْر : تعني اصطلاحاً: تلاوة صيـغة «اللّه أكبر». وقد استعـمل التكبير بهذا المعنى في القرآن (ر: ٣/٧٤؛ ١٧/١١١). والتكبيـر أوجز العبارات في تعظيم اللّه الواحد. ويردّده المسلمـون في المناسبات التي تتـجلّى لهم فيها عظمـته وبديعُ أفعـاله. ويُقال إنّ النبي كـان يكبّر كـثيـراً في الحجّ، في بداية الطواف، وفي أثنائه، وفي نهايتـه، وعند رؤية الكعبة، وعند الحـجر الأسود، وبين مِنى وعـرفات، وعلى الصفا والمروة.. ونصّ الشرع على التكبير في بداية الصلاة، وهي المسمّاة: «تكبيرة الإحرام». ويُكرِّر التكبير في الصلاة خمساً.

التَّكْفِيْر : لغةً: التغطية والستر. تقول العرب للزرّاع: كافر، ومنه ما جاء في القرآن: «كَـمَثَلِ غَيْـثٍ أَعْجَبَ الكفّارَ نَبـاتُه» (٥٧/٢٠).. والكفر في الشـرع: نقيض الإيمان، وهو الجـحـود، ومنه قـوله تـعـالى: «إنَّا بكلٍّ كـافِـرُونَ» (٢٨/٤٩)، أي جاحدون. والكافـر ذو كفر، أي: ذو تغطية لقلـبه بكفره.. وتكفير الـذنوب: محوها بفعل الحسنات ونحوه، لقوله تعالى: «إنّ الحسَنات يذهبْنَ السيِّئات» (١١/١١٤)..

اتّفق الفقهـاء على تكفير مَن اعتقد الكفـر باطناً، إلاّ أنّه لا تجري عليه أحكام المرتدّ إلاّ إذا صرّح به.. واتّفـقوا أيضاً على تكفـير مَن صدر منه قولٌ مكفـر، سواء أقاله استـهزاء، أم عناداً، أم اعتقاداً، لقوله تعـالى: «قل: أبِاللّهِ وآياتِهِ ورسولِهِ كنتم تَستهزئونَ؟ لا تَعْتذِروا. قد كفرتُمْ بعد إيمانكم» (٩/٦٦).

وذهبوا أيضـاً إلى تكفير مَن سبّ نبـيّا من الأنبيـاء، أو استخفّ بحـقّه، أو نسب إليه مـا لا يجوز عليه. وحكم السـابّ كحكم المرتدّ.. واتّفقوا على أنّ مَن كـفّر جـميع الصـحابة فـإنّه يكفر، لأنّه أنكـر معلومـاً من الدين بالضرورة وكـذّب اللّه ورسـولَه. واتّفقـوا على أنّ مَن قـذف السيّـدة عـائشة بما بـرّأها اللّه منه، أو أنكر صحبة الصدّيق كفر، لأنّه مكذّب لنصّ الكتاب.

---

(٩) محسن الأمين، الوشيعة، ص ١٠.

التَّكْفِيْن : من كفن، وهو: التـغطية والستر. ومنه: كفَنُ المـيت، لأنّه يستره، أي: لفّـه بالكفن. واتّفق الفـقـهاء على أنّ الميت يكـفّن بعد طهـره. ولا يجـوز تكفين الرجل بالحرير. أمّا المرأة فيجوز، لأنّه يجـوز لها لبسه في الحياة، لكن مع الكراهة، لأنّ فيه سرفاً. وروى مسلم أنّ النبيّ قال: «إذا كفن أحدُكم أخاه فليحسن كفنه»(١)..

والأفضل أن يكون التكفين بالثـياب البيض، لما روى ابن عبّـاس عن رسول اللّه أنّه قـال: «إلبسوا من ثـيابكم البيـاض، فإنّهـا من خيـر ثيابكم. وكـفّنوا فيـها موتاكم»(٢). ويشترط في الكفن ألاّ يصفَ البشرة، لأنّ ما يصفها غير ساتر. ويُكره إذا كـان يحكي هيئـة البـدن.. وتكره المغالاة في الكـفن، لما روى عليّ عن النبيّ: «لا تغالوا في الكفن فإنّه يُسلب سلـباً سريعاً»(٣).. ويحرّم التكفين بالجلود لأمر النبيّ بنزع الجلود عن الشهداء، وأن يدفنوا في ثيابهم(٤).

التَّكْلِيْف : لغةً: إلزام فعل فيه مشقّة وكلفة. وورد الفعل بصيغ مختلفة سبع مرّات في القرآن(١). وكلّها تشير إلى أنّ اللّه لا يكلّف نفسـاً إلاّ وسعها؛ واصطلاحاً: إيجاب الإيمان والعمل بما أمر اللّه. ويقتـضي التكليف طلب فعل من المكلَّف، أو كفّه عن فعل، أو تخييره بين الفعل والكفّ عنه. وهو على خمسة أنواع:

١ – الإيجـاب: وهو خطاب اللّه الدالّ على طلب الفـعل طلباً جـازماً، مـثل: «وآتُوا الزَّكاة» (٢/ ٤٣)؛

٢ – الندب: وهو خطاب اللّه الدالّ على طلب الـفعل طلباً غـير جـازم، مثل: «فَكاتِبُوهُمْ إنْ عَلِمتُمْ فيهِمْ خَيراً» (٢٤/ ٣٣)؛

٣ – التحـريم: هو خطاب اللّه الدالّ على طلب الكفّ عن الفعل طلباً جـازماً،

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٥١، ط. الحلبي، من حديث جابر بن عبداللّه.

(٢) أخرجه ابن داود ٤/ ٢٠٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٠٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٣/ ٤٩٨.

(١) ٢/ ٢٣٣ و٢٨٦، ٤/ ٨٦؛ ٦/ ١٥٣؛ ٧/ ٤٠؛ ٢٣/ ٦٤؛ ٦٥/ ٧.

مثل: «ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى» (١٧/ ٣٢)؛

٤ - الكراهة: هي خطاب اللّه الدالّ على طلب الكفّ عن الفعل طلباً غير جازم، مثل قول النبيّ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتّى يركع ركعتَين»؛

٥ - الإباحة: هي خطاب اللّه الدال على تخيير المكلّف بين الفعل والترك، مثل: «ليس عليكم جُناحٌ أن تَدْخُلوا بيوتاً غيرَ مسكونةٍ فيها مَتاعٌ لكُمْ» (٢٤/ ٢٩).

التِّلاوَة : لغةً: من تلا، بمعنى قرأ. ويأتي بمعنى: تبع. وفي الاصطلاح: التلاوة القراءة. قال تعالى: «يَتْلُو عليهمْ آياتِه» (٣/ ١٦٤)، وقال: «يتلونَهُ حقَّ تلاوته» (٢/ ١٢١).. والفقهاء متّفقون على أنّ قراءة القرآن في الصلاة ركن، لقوله تعالى: «فاقرأوا ما تيسَّرَ منه» (٧٣/ ٣٠).. يُستحبّ الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته خارج الصلاة، لقوله: «يتلونَ آياتِ اللّه آناءَ الليلِ» (٣/ ٩٠). وفي الحديث: «مَن قرأ حرفاً من كتابِ اللّه فله به حسنة. والحسنة بعشر أمثالها»[1].

يُستحبّ الوضوء لقراءة القرآن، وقد قال النبيّ: «إنّي كرهت أن أذكر اللّه عزّ وجلّ إلاّ على طهر»[2].. ويُسنّ التعوّذ قبل القراءة، لقوله تعالى: «فإذا قرأتَ القرآنَ فاستعِذْ باللّهِ منَ الشيطانِ الرجيم» (١٦/ ٩٨).. ويحافظ على قراءة البسملة أوّل كلّ سورة غير براءة.. ويسنّ الترتيل في قراءة القرآن، لقوله: «ورَتِّلِ القرآنَ تَرتيلاً» (٧٣/ ٤).

ويُكره الإسراع، وقالوا: وقراءة جزءٍ بترتيلٍ أفضل من قراءة جزأين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل. وكمال الترتيل: تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، وألاّ يُدغم حرفٌ في حرف ممّا ليس حقّه الإدغام. وأكمله أن يقرأه على منازله: إنْ تهديداً لَفَظَ به لَفْظَ التهديد، أو تعظيماً لَفَظَ به على التعظيم..

ويُستحبّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها، لحديث: «وزيّنوا القرآن

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ١٧٥، ط. الحلبي، من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه ابو داود ١/ ٢٣، وصححه ابن حبان ٢/ ٨٨.

بأصواتكم»[٣]... وتُستحب قراءة القرآن بالتفخيم، لحديث: «أنزل القرآن بالتفخيم»[٤].. ويُستحبّ الجهر بالقراءة، لقول النبيّ: «ما أذِنَ اللّهُ لشيء ما أذن لنبيّ حَسَنِ الصوت يتغنّى بالقرآن، يجهر به»[٥]..

ويُستحبّ البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه، والحزن، والخشوع، لقوله تعالى: «ويخِرُّونَ للأذْقانِ يَبكونَ ويزيدُهم خشوعاً» (١٧/ ١٠٩). وفي الصحيحين عن ابن مسعود: «فإذا عيناه تذرفان»[٦]، وعن سعد بن مالك مرفوعاً: «إنّ هذا القرآن نزل بحزن. فإذا قرأتموه فابكوا. فإن لم تبكوا فتباكوا»[٧].

لا يجوز قراءة القرآن بالعجميّة، سواء أحسن العربيّة أم لا، في الصلاة أم خارجها..

التَّلْبِيَة : من لبّى، ومعناها النطق بعبارة «لبّيك»، أي: «أنا مقيم على طاعتك وتلبية مشيئتك». والمراد بها: قول المحرم: «لبّيكَ اللّهمّ لبّيك. لبّيك لا شريك لك لبّيك. إنّ الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك»[١]. وهي الصيغة التي لزمها رسول اللّه في حجّة الوداع، ولم يزد عليها. وهي شرط في الإحرام عند أبي حنيفة والمالكيّة. ولا يصحّ الإحرام بمجرّد النيّة حتّى يقرنها بالتلبية.. ومعنى التلبية، كما في الفواكه الدواني: أجبتك يا أللّه إجابةً بعد إجابة. أو لازمتُ الإقامةَ في طاعتك.

وتلبية المحرم مستحبّة، عند الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة، لما روى سهل بن سعد قال: «قال رسول اللّه: ما من مسلم يلبّي إلاّ لبّى عن يمينه وعن شماله من

---

(٣) أخرجه ابو داود ٢/ ١٥٥، من حديث البراء بن عازب؛ والدارقطني من حديث ابن عبّاس؛ والفتح لابن حجر ١٣/ ٥١٩١، ط. السلفيّة.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٣١، من حديث زيد بن ثابت.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ١٣/ ٥١٨؛ ومسلم ١/ ٥٤٥، ط. الحلبي من حديث أبي هُريرة.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ٩، ٩٤، ط. السلفيّة.

(٧) أخرجه ابن ماجه ١/ ٤٢٤، ط. الحلبي.

(١) البخاري، كتاب الحج، باب ٢٦.

حجـر أو شجـر أو مدر حتّـى تنقطع الأرض من هـهنا وهـهنا»[٢]. وهي واجبـة عند المالكيّة.

التَّلْقِين : من لقن الكلام: فهمه؛ وتلقّنه: أخذه وتمكّن منه. وهذا يصدق على الأخذ مشـافهة، وعلى الأخذ من الكتب. ويُقـال: لقّنه الكلام: ألقاه إليه ليـعيده.. إذا احتضـر الإنسان، وأصبح في حالة النزع قـبْل الغرغرة، فالسنّة أن يلـقّن الشـهادة بحيث يسـمعها لقـول النبي: «لقِّنوا موتاكم لا إله إلاّ اللّه»[١]، وقوله: «مَن كان آخر كلامه لا إله إلاّ اللّه دخل الجنّة»[٢]. ولا يلحّ عليه في قولها مخـافة أن يضجر. فإذا قالها المحتضر مرّة لا يعيدها الملقِّن، إلاّ أن يتكلّم المحتضر بكلام غيرها.

التَّمَتُّع : ١ . الانتفاع. والمتاع: كلّ شيء ينتفـع به. والمتعة إسم من التمتّع، ومنه متعة الحجّ، ومتعة الطلاق، ونكاح المتعة (أطلب مادّة: **المتعة**).. وسمّي متمتِّعاً لتمتّعه بعد تمام عمرته بالنساء والطيب وغيرهما ممّا لا يجوز للمحرم. وهو يقابل: **القِران** و**الإفراد**. والتـمتّع: جـمْعٌ بين نسكَي العمـرة والحجّ بإحرامَين: إحـرام من الميقـات للعمرة، وإحـرام من مكّة للحجّ. ولذلك فأركان التـمتّع هي أركان العـمرة والحجّ معاً، فيجب عليه بعد الإحرام الطواف والسعي للعمرة، ثمّ بعد الإحرام للحجّ يجب عليه الإتيان بأركان وأعمال الحجّ كالمفرد.

٢ . وهناك شروط خاصّـة بالتمتّع: ١- تقديم العـمرة على الحجّ؛ ٢- أن تكون العمرة في أشـهر الحجّ؛ ٣- أن يكون الحجّ والعمرة في عام واحد؛ ٤- أن لا يكون سفرٌ بين العمرة والحجّ، كما روي عن عمر قوله: إذا اعتمر في أشـهر الحجّ ثمّ أقام فـهو مـتمتّع، فـإن خرج ورجع فليس بمتـمتّع؛ ٥- التـحلّل من العمـرة قبل الإحرام بالحجّ؛ ٦- وأن لا يكون من حاضري المسجـد الحرام (وحاضرو المسجد الحرام هم أهل الحرم ومَن بينه وبين مكّة)؛ ٧- عدم إفساد العمرة أو الحجّ.

---

(٢) أخرجه الترمذي ٣/ ١٨٠؛ وابن ماجة ٢/ ٩٧٤؛ والحاكم ١/ ٤٥١.

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٦٣١، ط. الحلبي.

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ٤٨٦، ط. دعاس؛ والحاكم ١/ ٣٥١٠، ط. دائرة المعارف العثمانيّة.

٣ . واتّفق الفقهاء على أنّه يجب الهَدْي على المتمتّع، وذلك بنصّ القرآن: «فمَن تمَتَّعَ بالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ فما استَيْسَرَ مِنَ الهَدْي» (٢/١٩٦).. وإن لم يجد المتمتّع الهَديَ يصوم ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعة إذا رجع، وذلك لقوله: «فمَن لم يجدْ فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ وسبعة إذا رجعتم. تلك عشرة كاملة» (٢/١٩٦).

التَّمَتُّعُ في الحَجّ : وهو أن ينوي الحاجُّ، في أشهر الحجِّ، الدخولَ إلى مكّة، فيؤدّي أفعالَ العمرة والطوافَ والسعيَ، ويحلق رأسَه، أو يقصِّر شعرَه، فيتحلّل من إحرامه، قبل يوم التروية. ثمّ ينوي الحجَّ وحدَه، محرماً من مكانه بمكّة ويقول: «أللّهمّ! إنّي أريد الحجّ فيَسِّرْه لي، وتقبَّلْه منّي». ثمّ يلبّي فوراً. ويخرج إلى مِنى صبيحة يوم التروية (الثامن من ذي الحجّة) بعد صلاة الفجر. ويبيت فيها حتّى صباح يوم عرفة (التاسع من ذي الحجّة). فيخرج إلى عرفة بعد صلاة الفجر. ويبقى فيها إلى ما بعد الغروب. ثمّ ينزل إلى مزْدَلفة، ويبقى حتّى طلوع فجر عيد الأضحى (العاشر من ذي الحجّة). فيتوجّه إلى مِنى لرمي جمرة العقبة. ثمّ ينحر هدْيَه. ويحلق رأسَه، أو يقصّر شعره، فيتحلّل التحلّل الأوّل. ثمّ يتوجّه إلى الكعبة، فيطوف طواف الإفاضة (سبعة أشواط)، ووقته الأيّام الثلاثة من عيد الأضحى، فيتحلّل التحلّل الأكبر. ويعود إلى مِنى، فيبيت فيها إلى اليوم الثاني، فيرمي الجمرات الثلاث. ويكرّر ذلك في اليوم الثالث. وآخر ما يفعله طواف الوداع. ثمّ يغادر مكّة إلى وطنه وأهله.

تَمِيْمُ الدَّارِيّ (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م) : أحد الصحابة. قد تكون نسبته، بحسب النووي في كتابه تهذيب الأسماء، تميم الديري، نسبة إلى الدير الذي كان راهباً فيه قبل أن يدخل في الإسلام.. كان يعيش في فلسطين بين قبيلته، وَفد منها على النبيّ على رأس عشرة من أهله، بعد غزوة تبوك عام ٩ هـ... وأسلم تميم وسكن المدينة. وأخبر النّبي بتفاصيل العبادات التي استعارها من النصارى، ومنها استعمال السراج في المسجد.. ويقال إنّ تميماً كان أوّل من روى القصص الديني، وقصص قيام الساعة، وظهور الدجّال.. ولم تذكر الروايات شيئاً عن حياة تميم الداري بعد وفاة النبيّ، سوى أنّ النبيّ اقطعه قرية الخليل. وكل ما ذكرته أنّه غادر المدينة بعد

مقتل عثمان عام ٣٥هـ، وأنّه عاد إلى وطنه، وتوفّي فيه في نهاية خلافة علي.

التّناسُخ : هو عقيدةُ تَعاقُبِ الحياةِ وعَودتِها إلى الدنيا. إنّه من المعتقدات الشائعة بين الهنود وعند بعض الفرق الإسلاميّة. وهو على أربع درجات : نسْخ ومسْخ وفسْخ ورسْخ. وهو، بمعناه الشائع: إنتقال النفس من بدنٍ إلى آخر. ولا يرى الإسماعيليّة انتقال النفس إلى أجسام الحيوانات.. ويعتقد النصيريّة أنّ مَن يقترف ذنباً في حقّ دينهم يعود إلى الدنيا على صورة يهودي أو سنّي مسلم، أو نصرانيّ. والكفّار الذين لم يعرفوا عليّا يمسخون جمالاً وبغالاً وحميراً وكلاباً وما شابه ذلك من حيوان.. أمّا الدروز فقالوا بـ **التقمّص**، أي بانتقال النفس من جسد بشريّ إلى جسد بشريّ آخر. ويرفضون كلّ قول آخر.

التّناقُض : هو اختلاف جملتَين بالنفي والإثبات. يُقال: تناقض الكلامان أي تدافعا كأنّ كلّ واحد نقض الآخر. وفي كلامه تناقض إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض.. أمّا المتضادّان فهما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه، كالسواد والبياض. والفرق بين التضاد والتناقض: أنّ التناقض يكون في الأقوال، والتضادّ يكون في الأفعال. يُقال: الفعلان متضادّان، ولا يُقال: متناقضان.. أمّا المحال فهو ما لا يجوز كونه ولا تصوّره، مثل قولك: الجسم أبيض وأسود في حال واحدة.

التّناقُضُ في القُرْآن : (أطلب مادّة: **بلاغة القرآن / التناقض في القرآن**).

التّنْجِيْم : يعني التفريق. والمنجّم، المفرّق، وقد أُنزل القرآن على رسول الله منَجّماً، أي مُفَرَّقاً على مدى ٢٣ عاماً. والحكمة من تنزيله منجّماً، لا دفعةً واحدة، من أجل تسهيل فهمه، وتيسير حفظه، وتثبيت قلب الرسول وقلوب المؤمنين. قال: «وقَالَ الذينَ كَفَرُوا: لولا نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُمْلَةً واحدَةً، كذلكَ لِنُثَبِّتَ بهِ فؤادَكَ. ورَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» (٢٥/ ٣٢).

التّنْزِيْل : (أطلب مادّة: **الوحي**).

التّنْزِيْه : ١ . أجمع المسلمون على تنزيه الله عن الشريك، وعن الولد، والوالد، والزوج (ر: ٢٣/ ١١٧؛ ١١٢/ ١-٤؛ ٧٢/ ٣)؛ كما جاء في القرآن على أنّ

الله «ليس كمثله شيء» (٤٢/١١)، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ موصوف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص. وأجمعوا أيضاً على أنّ المسلم إذا سبّ الله يُقتل.

٢ ـ وكذلك أجمعوا على أن الرسل والأنبياء منزّهون معصومون عن الخطأ والكذب والخيانة في الرسالة. وهم منزّهون عن **السبّ** والاستهزاء. وكلّ مَن سبّ نبيًّا من الأنبياء، أو عابه، أو عرّض به، أو شبّهه بشيء على طريق السبّ له، أو الإزدراء به، أو التصغير لشأنه، أو الغضّ منه، أو العيب له، فهو كافر.. والسابّ، إن كان مسلماً، فإنّه يكفَّر ويُقتل بغير خلاف؛ وإن كان ذمّيًّا فإنّه يُقتَل عند الجمهور.

٣ ـ وكذلك القرآن فهو منزّه عن التحريف والتبديل، محفوظ من الله (١٥/٩)، لا يأتيه الباطل (٤١/٤٢). مَن جحد منه حرفاً، أو آية، أو كذّب به، أو بشيء منه، أوكذّب بشيء ممّا صرّح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شكّ في شيء من ذلك، فهوكافر.. ومَن استخفّ به، أو سبّ شيئاً منه، أو ألقاه في القاذورات، أو ألقى ورقة فيها شيء من القرآن، أو لطّخ المصحف بنجس ما، فهو كافر. ولا تجوز كتابته بشيء نجس. كما يحرّم على المحدث مسُّ المصحف وحمله. وينزّه أيضاً عن الوقوع في أيدي الكفّار، وأن يُسافر به إلى أرض العدوّ[1]. ويحرّم بيع المصحف من الكافر.. وكذلك يجب تنزيه كتب التفسير والحديث والعلوم الشرعيّة عن الامتهان..

٤ ـ وكذلك يجب تنزيه الصحابة، إذ هم، جميعهم، «عدول»، لقول النبيّ: «خير الناس قرني»[2].. وروي عن مالك أنّه قال: مَن سبّ أبا بكر جُلِد، ومَن سبّ عائشة قُتل؛ وكذلك سائر زوجات الرسول، لأنّ هذا فيه عارٌ وغضاضة على رسول الله، وأذًى له أعظم من أذاه بنكاحهنّ بعده (رَ: ٣٣/٥٧).

---

(١) «إنّ رسول الله نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدوّ»، حديث أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ١٣٣؛ ومسلم ٣/ ١٤٩٠، من حديث عبدالله بن عمر.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٥/٢٩٥؛ ومسلم ٤/١٩٦٣، من حديث عبدالله بن مسعود.

٥ . وكذلك يجب تنزيه مكّة المكرّمة وترْك المعاصي فيها وفي حرمها، لأنّ المعصية أشدّ فيها من غيرها لقوله تعالى: «ومَن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذِقْهُ مِن عذابٍ أليم» (٢٢/ ٢٥). وقال مجاهد: «تُضاعَف السيّئات بمكّة كما تُضاعَف الحسنات». ويجب تنزيهها عن القتال فيها، قال رسول الله: «إنّ مكّة حرّمها الله، ولم يحرّمها الناس. فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرةً. فإن أحد ترخّص لقتال رسول الله فيه، فقولوا: إنّ الله عزّ وجلّ أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنّما أذن لي فيها ساعةً من نهار. ثمّ عادت حرمتُها اليوم كحرمتها بالأمس»[٣]. ويجب تنزيهها عن حمل السلاح، وعن دخول الكفار، لقوله تعالى: «إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (٩/ ٢٨). فقد ذهب المالكيّة والشافعيّة والحنابلة إلى أنّ الكافر لا يمكن من دخول حرم مكّة، لا مقيماً ولا مارًا به. ومذهب الحنفيّة أنّه يمنع الكافر من استيطان مكّة، ولكن لو دخل بتجارة جاز ولا يطيل... وكذلك هو شأن المدينة المنوّرة والمساجد.

التَّنْعِيْم : موضع في شمال مكّة، وهو أقرب مناطق الحلّ إلى الحرم، وهو حدّ الحرم من جهة المدينة المنوّرة. سمّي بذلك لأنّه عن يمينه جبل يقال له: نعيم، وعن يساره جبل يقال له: ناعم، ومحلّه في واد يقال له: نعمان. وهو أقرب أطراف الحلّ إلى مكّة، بينه وبين مكّة: ٦,١٤٨ متراً.. فيه مسجد كبير يسمّى «مسجد عائشة». أجمع الفقهاء على أنّ المعتمر المكّي لا بدّ له من الخروج إلى الحلّ، ثمّ يحرم من الحلّ ليجمع في النسك بين الحلّ والحرم.

التَّنفِيْل : من النفل، وهو : الغنيمة. والنفل والنافلة ما كان زيادة على الأصل. وهو في الاصطلاح: زيادة مال على سهم الغنيمة يشترطه الإمام لمن يقوم بما فيه نكايةً زائدة على العدوّ.. ذهب جمهور الفقهاء إلى مشروعيّة التنفيل.. وقال بعضهم أنّه «لا نفل بعد رسول الله». وقال الحنفيّة: هو مستحبّ لأنّه نوع من التحريض على الجهاد.

---

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٤١، ط. السلفيّة، من حديث أبي شريح العدوي.

التَّنَمُّص : هو نتف الشعر. والنامصة: التي تنتف الشعر من وجهها أو من وجه غيرها.. إلاّ أنّ بعض الفقهاء قيّد النمص بترقيق الحواجب.. وقد نهى النبيّ نمص الوجه بقوله: «لعن اللّهُ النامصات والمتنمّصات»[1]. إلاّ أنّ بكرة بنت عقبة سألت عائشة عن الحفاف (أي إزالة الشعر)، فقالت عائشة: «إنْ كان لكِ زوجٌ فاستطعتِ أن تنتزعي مقلَتَيكِ فتصنعيهما أحسن ممّا هما فافعلي»[2].

التَّنَوُّر : الطلاء بالنُّورَة، وهو من الحجر يُحرق ويسوّى منه الكلس ويحلق به شعر العانة. يقال: تنوَّر: تطلّى بالنُّورة ليزيل الشعر.. واصطلاحاً: هو إزالة شعر العانة والإبط؛ وهو من الفطرة لقول النبيّ: «عشرة من الفطرة: قصّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقصّ الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة»[3].. وهو **الاستحداد** (أطلب هذه المادّة).

تِهَامَة : غور ضيّق يساير غربي جزيرة العرب، محصور بين البحر الأحمر وجبال السراة. تتخلّله تضاريس بركانيّة. وأوسع موضع فيها هو ساحل جدّة، ثغر مكّة. يقول ابن الوردي: إنّ تهامة بلاد جبليّة.. ويختلف اتّساعها إختلافاً كبيراً... ويتراوح عرضها بين ٣٠ و٤٠ ميلاً. مناخها صحراويّ حارّ جافّ. من مرافئها جدّة ويَنبُع.

التَّهَجُّد : مِن هجد، وهو من أسماء الأضداد، إذ يعني «النوم»، كما يعني «السهر». ولا ترد اللّفظة سوى مرّة واحدة في القرآن، في سورة الإسراء (١٧/ ٨١): «ومن اللّيل فتهجّد به نافلةً لك». وفي الاصطلاح: هو صلاة التطوّع في الليل بعد النوم.. ولا يكون إلاّ بعد نوم.. روى أبو هُريرة أنّ رسول اللّه قال: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الأخير فيقول: مَن

---

(١) أخرجه مسلم ٣/١٦٧٨، ط. الحلبي، من حديث ابن مسعود.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/٤٢٦؛ والآداب الشرعيّة ٣/٣٥٥؛ والثمر الداني ٥٠٤؛ والعدوي على الرسالة ٢/٤٢٣؛ وابن عابدين ٥/٢٣٩؛ والأبي والسنوسي ٥/٤٠٨؛ ونهاية المحتاج ٢/٢٣؛ وأحكام النساء، ٩٤.

(٣) أخرجه مسلم ١/٢٢٣، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

يدعوني فأستجيب له. مَن يسألني فأعطيه. مَن يستغفرني فأغفر له»[١].

التَّوْبَة : ١ . ترد هذه اللفظة ومشتقّاتها حوالي ٨٧ مرّة في القرآن: أمّا فعلُ «تاب» فيرد وحدَه إمّا مع حرف الجرّ «إلى»، ومعناه أنّ العبد عاد إلى اللّه بالندم، كقوله: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جميعاً أيُّها المؤمنون» (٢٤/٣١)، وإمّا مع حرف الجرّ «على»، ومعناه أنّ اللّه عاد على العبد بالمغفرة، كقوله: «لقد تابَ اللَّهُ عَلَى النبيّ والمهاجِرين والأنصار» (٩/١١٧)، لأنّه تعالى «توّاب رحيم» (٢/٣١؛ ٤٩/١٢).

٢ . وعرّفها بعضهم بأنّها الرجوع عن الطريق المعوّج إلى الطريق المستقيم. وعرّفها الغزالي بأنّها: العلم بعظمة الذنوب، والندم، والعزم على الترك في الحال والاستقبال، والتلافي للماضي.. وقال ابن قيّم الجوزيّة: التوبة في كلام اللّه ورسوله كما تتضمّن الإقلاع عن الذنب في الحال، والندم عليه في الماضي، والعزم على عدم العود في المستقبل..

٣ . ذكر الفقهاء والمفسّرون أنّ للتوبة أربعة شروط: ١- الإقلاع عن المعصية حالاً؛ ٢- والندم على فعلها في الماضي؛ ٣- والعزم عزماً جازماً أن لا يعود إلى مثلها أبداً؛ ٤- وإن كانت المعصية تتعلّق بحقٍّ آدميٍّ، فيُشترط فيها ردّ المظالم إلى أهلها، أو تحصيل البراءة منهم. ويُضاف أيضاً إلى ذلك كلّه كثرة الاستغفار لقول النبيّ: «يا أيُّها الناس! توبوا إلى اللّه واستغفروه. فإنّي أتوب في اليوم مائة مرّة». فإذا تحقّقت هذه الشروط فهي مقبولة لا محالة. ولا تصحّ توبة المشرف على الموت (٤/٢٢)..

٤ . والتوبة، عند الصوفيّة، هي انتباه القلب عن رقدة الغفلة، وهي طريقة السالكين، وحال من أحوال الرضا[١].

التَّوْحِيْد : ١ . لم يُذكر هذا المصدر في القرآن، ولم يرد فيه فعل. إنّما ورد بصيغة «الواحِد» وَصفاً للّه ٢٢ مرّة؛ كما وردت فيه صيغة «أَحَد» وصفاً للّه في

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٣/٢٩، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/٥٢١، ط. الحلبي.

(١) راجع الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٤.

قوله: «قُلْ هو اللّهُ أحَد» (١١٢/ ١). والتوحيد أساسُ قواعدِ عقائدِ الإسلام، وجوهرُ كلِّ الأديان. وهو دعوة الرسل والأنبياء جميعهم.

٢ . من معانيه: ١- أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له. ٢- وأنّه واحد في ذاته. ٣- وأنّه هو الموجود الحقيقي، وكلّ ما سواه وجوده ظلّ. والقول بالتشبيه والتجسيم ينافي التوحيد؛ وكذلك التوسّل إلى غير اللّه.

٣ . ومعنى التوحيد عند علماء الكلام هو : إثبات وحدانيّة اللّه في ذاته، وصفاته، وأفعاله: فوحدانيّة الذات تعني تنزيه ذاته عن الجسميّة ولواحقها من تركّب وتبعّض وتحيّز في الجهة؛ وتعني وحدانيّة الصفات، أي استحالة التعدّد في الصفة الواحدة، كأن تكون له قدرتان أو علمان.. أمّا وحدانيّة الأفعال فمعناها نفْي مشاركة الغير للّه في إيجاد شيء في هذا الكون أو تدبيره.

٤ . والتوحيد عند الصوفيّة ثلاث مراتب: ١- توحيد العامّة، أي التوحيد الذي يقف عند المعنى العام لشهادة «لا إله إلاّ اللّه»؛ ٢- وتوحيد الخاصّة، وهو حالة لا يَرى العبدُ فيها غيرَ الحقِّ، وتسقط عنده الأسباب الظاهرة؛ ٣- ثمّ توحيد خاصّة الخاصّة، وهو التوحيد الذي اختَصَّ الحقُّ تعالى نفسَه به، غير أنّه أظهر لبعض صفوته من هذا التوحيد لوائحَ وأسراراً.

٥ . وطريق التوحيد في المرتبة الأولى: ملاحظة الشواهد والآيات والآثار؛ وفي المرتبة الثانية: المكاشفات والمعاينات والأحوال من قبض وبسط وسكر وصحو ومحو؛ وتوحيد المرتبة الثالثة: لا يقبل وصفاً، ولا تأخذه العبارة، ولا النعت.. غير أنّ ما يقوله الصوفيّة ليس مُسَلَّماً به لدى كثير من علماء الإسلام وفقهائه[1].

التَّوْرَاة : ترد اللّفظة بهذه الصيغة الفريدة ١٨ مرّة في القرآن. إنّها كتاب أُنزل بعد إبراهيم (٣/ ٦٥) وإسرائيل (٣/ ٩٣). ثمّ أيّدها عيسى وصدّقها بالإنجيل

---

(١) راجع مادّة: التوحيد، د. أحمد الطيّب، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٤٣٢-٤٣٣.

وبتعاليمه (٣/ ٥٠؛ ٥/ ٤٦؛ ٦١/ ٦). وفيها حكم الله (٥/ ٤٣)، كما فيها هدى ونور (٥/ ٤٤). والذين يقيمون التوراة من أهل الكتاب يُثابون بالجنّة (٥/ ٦٦). وتَعِدُ الذين يقاتلون في سبيل الله بالجنّة (٩/ ١١١). وتبشّر أيضاً بمجيء محمّد النبيّ الأميّ (٧/ ١٥٧). وأخيراً إنّ الذين حُمِّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها فمَثَلُهم «كمثلِ الحمار يَحمل أسفاراً» (٦٢/ ٥).

هذه التوراة التي يملكها «أهلُ الكتاب» اليوم، هي، بحسب القرآن، «محرّفة»، قد حرّفها اليهود، وزوّروها، فأضافوا إليها وأنقصوا منها لغاية في نفسِ يعقوب، ألا وهي لإخفاء إسم النبيّ محمّد منها، لأنّ اليهود لا يريدون أن يكون نبيٌّ من غير ملّتهم (راجع مادّة: **التحريف**).

تورنبِرغ (كارل) Tornberg (ت ١٨٧٧) : مستشرق أسوجيّ. وصف المخطوطات الشرقيّة في مكتبة أُبسالا. نشر «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لابن الورديّ، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير.

تُورْبِكه (هاينريش) Thorbecke (ت ١٨٩٠) : مستشرق ألمانيّ. علّم الآداب العربيّة في هيدلبرغ. نشر «تاريخ الطبريّ»، و«دُرّة الغوّاص» للحريريّ.

التّوسُّل : ١ . التقرّب. يقال: توسّلتُ إلى الله بالعمل، أي: تقرّبت إليه. قال: «يا أيّها الذين آمَنوا! إتّقوا اللّهَ وابتغوا إليه الوسيلة» (٥/ ٣٥). وقد مدح الله المتوسّلين إليه بما يرضيه بقوله: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة أيّهم أقرب، ويرجون رحمتَه، ويخافون عذابَه. إنّ عذابَ ربِّكَ كان محذوراً» (١٧/ ٥٧). ويُطلق التوسّل أيضاً على التقرّب إلى اللّه بطلب الدعاء من الغير.

٢ . والتوسّل إلى الله بأسمائه وصفاته مستحبٌّ لأي أمرٍ من أمور الدنيا والآخرة، لقوله: «ولِلّهِ الأسماءُ الحُسنَى فادْعُوهُ بها. وذَرُوا الذينَ يُلْحِدون في أسمائِهِ سَيُجْزَونَ مَا كانوا يَعْمَلون» (٧/ ١٨٠). وقد ورد في السنّة أحاديث كثيرة يتوسّل فيها النبيّ بأسمائه تعالى وصفاته.. وأجمع المسلمون أيضاً على جواز التوسّل إلى الله بالأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان متقرِّباً بها إلى اللّه..

٣ . ولا خلاف أيضاً بين العلماء على جواز التوسّل بالنبيّ، بمعنى طلب الدعاء منه في حياته في هذه الدنيا، والشفاعة في الآخرة، أي التوسّل به يوم القيامة بسؤال الناس له أن يشفع لهم عند ربّهم في المحشر. واستدلّوا على شفاعة النبيّ وتوسّله:

١ – بقوله تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة» (٥/ ٣٥)؛

٢ – وبحديث الأعمى: «اللّهمَّ! إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة. يا محمّد! إنّي توجّهتُ بكَ إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقضى.. إلى قوله: اللّهمّ! فشفّعْه فيّ». فقام وقد أبصر[1]؛

٣ – وبقول النبيّ في الدعاء لفاطمة بنت أسد: «إغفر لأمّي فاطمة بنت أسد. ووسّع عليها مدخلَها، بحقّ نبيِّكَ والأنبياء الذين من قبلي. فإنّك أرحم الراحمين»[2].

٤ – وبتوسّل آدم بمحمّد. قال رسول اللّه: «لمّا اقترف آدم الخطيئة، قال: يا ربِّ! أسألك بحقّ محمّد لما غفرتَ لي؟ فقال اللّه: يا آدم! كيف عرفتَ محمّداً ولم أخلقه؟ قال: ربِّ! إنّكَ لمّا خلقتني رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه. فعلمتُ أنّك لم تُضفْ إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلقِ إليك. فقال اللّه: صدقتَ يا آدم. إنّه لأحبّ الخلق إليّ. وإذ سألتني بحقّه، فقد غفرتُ لكَ. ولولا محمّد ما خلقتك»[3].

٥ . إلاّ أنّ مِن الحنفيّة مَن يكره التوسل؛ لأنّه لا حقّ للخلق على اللّه، وإنّما يخصّ برحمته مَن يشاء من غير وجوب عليه.. كما ذهب ابن تيميّة إلى القول بأنّ التوسّل بذات النبيّ لا يجوز. وأمّا التوسّل بغير الذات، أي بالإيمان به وبطاعته، ودعائه في حال حياته فيجوز..

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٩، ط. الحلبي.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٢٥٧، ط. القدسي.
(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٦١٥، وعنه البيهقي في دلائل النبوّة ٥/ ٤٨٩، ط. دار الكتب العلميّة..

التَّوْقَاتِيّ (لطف الله) (ت ٩٠٤هـ/١٤٩٨م) : أديب تركيّ عالِم بالعربيّة. مُشارك في علم الكلام. اتُّهم بالزندقة فأُعدم. من مؤلّفاته: «السبع الشداد»، و«المطالِب الإلهيّة».

التَّوْفِيْق و **التَّوْقِيْف** : التوقيف كالنصّ، أي نصّ الشارع في بعض الأمور، منها: إنّ أسماء الله، مثلاً، توقيفيّة، وهي تسعة وتسعون اسماً؛ وأنّ ترتيب الآيات في كلِّ سورة توقيفي، أي بأمر الله ورسوله؛ أمّا ترتيب السور فيما بينها، فهو توفيقيّ، أي باجتهادٍ من الصحابة. واستدلّ عليه ابن فارس باختلاف المصاحف في ترتيب السور. ويستعمل التّوقيف أيضاً بمعنى منْع التصرّف في الشيء.

التَّوَكُّل : هو أن يُظهر الإنسانُ عجزَه ويعتمد على الله، ويرضى بقضائه مع الأخذ بالأسباب. ومَن اعتمد على الله ولم يأخذ بالأسباب كان متواكلاً غيرَ متوكّل. ولهذا قال النبيّ للأعرابي: «أعقلْها وتوكّلْ»، أي: أربط ناقتَك، وهَذا أخذٌ بالأسباب، ثمّ توكّلْ على الله بعد أخذك بها. وقال الترمذي: قال رسول الله: «لو أنّكم تتوكّلون على الله حقَّ توكّلِه، لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدو خِماصاً، وتروح بِطاناً».

والتوكّل بهذا المعنى مأمور به في القرآن وفي السنّة. قال تعالى لنبيّه: «وشاورْهم في الأمر. فإذا عزمتَ فتوكّلْ على الله. إنّ اللّهَ يُحبُّ المتوكّلِين» (٣/ ١٥٩). وقال الرازي في تفسيرها: «دلّت الآية على أنّه ليس التوكّل أن يهمل الإنسان نفسه، كما يقول بعض الجهّال، وإلاّ كان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكّل. بل التوكّل على الله: أن يُراعي الإنسانُ الأسبابَ الظاهرة، ولكن لا يعوّل بقلبه عليها، بل يعوّل على الله تعالى»[1].

وأمر المؤمنين كذلك بالتوكّل على الله، وقال: «وعلى اللهِ فليتوكّلِ المؤمنون» (٣/١٢٢). وقال: «وقال موسى: يا قوم! إنْ كنتم آمنتم بالله، فعليهِ توكّلوا إنْ كنتم مسلمين» (١٠/ ٨٤). وجاء في تفسير القرطبي على (٣/١٢٢): قال سهل: «مَن قال: التوكّل يكون بترْك العمل، فقد طعن في سنّة رسول الله».

---

(١) تفسير الرازي على ٣/ ١٥٩.

التَّيسِير : ١ . من اليسر، أي: اللِّين والانقياد. واليسر والميسرة: الغنى. والتيسير التخفيف، ضدّ التثقيل. والترخيص هو أيضاً التيسير والتسهيل. ومنه الرخص أي: إنخفاض السعر، ضدّ الغلاء. وهو أيضاً: التوسعة، أي صيّر الشيء واسعاً، والسعة هي الغنى والرفاهيّة. وهو رفع الحرج، الذي لا يكون إلاّ بعد الشدّة، خلافاً للتيسير. وهو أيضاً: التوسّط، والتوسّط في الشريعة هو أن لا يكون فيها لا غلوّ ولا تقصير.

٢ . والتيسير هدف أساسي من أهداف الإسلام، جاء في القرآن: «وهو اجْتباكمْ ومَا جعلَ عليكم في الدِّينِ مِن حرَج. ملّة أبيكم إبراهيم» (٢٢/٧٨)؛ وقال: «يريد اللّهُ بكمُ اليسرَ ولا يريد بكمُ العسرَ» (٢/ ١٨٥)؛ وقال: «يريد اللّهُ أن يخفِّفَ عنكم. وخلَقَ الإنسانَ ضعيفاً» (٤/ ٢٨). وكذلك جاء في السنّة قول النبيّ: «بُعثتُ بالحنفيّة السمحة»[١]؛ وقوله: «إنّ خير دينكم أيسره. إنّ خير دينكم أيسره»[٢]؛ وقوله: «إنّ اللّه شرع هذا الدين فجعله سمحاً سهلاً واسعاً ولم يجعله ضيّقاً». وفي قول إبراهيم النخعي: «إذا تخالجك أمران فظنّ أنّ أحبَّهما إلى اللّه أيسرهما».

٣ . جعل اللّه القرآنَ ميسّرَ التلاوة والفهم، قال: «فإنّما يسّرناه بلسانكَ لتبشّر به المتّقين» (١٩/٩٧)؛ وقال: «ولقد يسّرنا القرآنَ للذكر» (٥٤/ ٥٤). ويرجع تيسير القرآن إلى أربعة أوجه: ١- أنّه ميسّر للتلاوة لسلامته وخلوّه من التعقيد اللفظي؛ ٢- أنّه ميسّر للحفظ، فيمكن حفظه بسهولة؛ ٣- سهولة الاتّعاظ به لشدّة تأثيره في القلوب، ولاشتماله على القصص والحكم والأمثال؛ ٤- أنّه جعله بحيث يعلق بالقلوب، ويُستلذّ سماعه، ولا يُسأم من سماعه وفهمه..

٤ . أمّا اليسر في الشريعة فعلى ثلاثة أوجه : ١- تيسير معرفة الشريعة والعلم بها وسهولة إدراك أحكامها ومراميها؛ ٢- تيسير التكاليف الشرعيّة من

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٦٦، من حديث عائشة؛ والطبراني في الكبير ٥/ ٧٧، ط. الوطن العربي، من حديث أبي أمامة؛ السخاوي في المقاصد، ص ١٨٥، ط. دار الكتاب العربي.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٣٨؛مجمع الزوائد ٣/ ٣٠٨، ط. دار الكتاب العربي.

حيث سهولة تنفيذها والعمل بها؛ ٣- أمر الشريعة للمكلّفين بالتيسير على أنفسهم وعلى غيرهم..

٥. كلّ ذلك تبيّنها النصوص صراحة، كقوله تعالى: «لا يكلِّفُ اللّهُ نفساً إلاّ وسعها»[٣]، وكقول رسول اللّه: «لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك عند كلّ صلاة»[٤]. وفي حديث آخر أنّه «كان يحبّ اليسر على الناس»..

٦. التيسير في الشريعة الإسلاميّة إنّما هو للمؤمنين المتّقين. أمّا الكافر فله التشديد والتضييق والتغليظ بسبب كفره باللّه وجحده لنعمته وحقّه، ولرفضه الدخول تحت أحكام اللّه. قال تعالى: «محمّدٌ رسولُ اللّه والذين معه أشدّاءُ على الكفّار، رحماءُ بينهم» (٤٨/ ٢٩)؛ وقال: «يا أيّها النبيّ! جاهد الكفّارَ والمنافقين، واغلظْ عليهم. ومأواهم جهنّم وبئس المصير» (٩/ ٧٣). ولذلك شرع قتالَ الكفّار وإدخالهم تحت الجزية والصغار..

٧. وأمّا الفاسق والمعتدي والظالم من أهل الإسلام فله من التشديد بحسب فسقه وعدوانه وظلمه بقدر الذنب الذي جناه. وله من التيسير بحسب إسلامه وإيمانه. فمن التشديد على الفاسق إقامة الحدّ على الزاني برجمه حتّى الموت إن كان محصناً، وبجلده مائة جلدة إن لم يكن محصناً. ومنها قطع يد السارق، وقتل قاطع الطريق، أو صلبه، أو تقطيع يده ورجله من خلاف، أو نفيه .

تَيْمَاء : واحة كثيرة الماء في شمال الجزيرة العربيّة، جنوبي صحراء النُّفود الكبرى، على مسيرة أربعة أيّام إلى الجنوب من دومة الجندل. وتيماء، كما جاء عنها في العهد القديم، محطّة هامّة للقوافل[١]. وكانت منزل المهاجرين من اليهود أو المتهوّدين كالسموأل. ولم يكن يهود تيماء مؤمنين بدعوة محمّد. ولمّا تولّى عمر بن الخطّاب الخلافة أخرجهم من ديارهم كبقيّة يهود بلاد العرب.

---

(٣) رَاجع : البقرة ٢/ ٢٣٣ و٢٨٦؛ الأعراف ٧/ ٤٢؛ الأنعام ٦/ ١٥٢.. إلخ.

(٤) أخرجه البخاري ٢/ ٣٧٤، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/ ٢٢٠، ط. عيسى الحلبي.

(١) أشعيا ٢١/ ١٤؛ أرميا ٢٥/ ٢٣؛ أيّوب ٦/ ١٩.

تَيْم بن مُرَّة : إسم عدّة قبائل عربيّة. ومعناه «خادم». وتيم بن مُرّة من قريش من سادات بطون مكّة، ومع ذلك فالظاهر أنّه لم يكن لها أي نفوذ سياسي.. وتاريخ مكّة في الجاهليّة يكاد يكون خلوًا من أيّة إشارة إليهم. وعبدالله بن جدعان هو الوحيد الذي برز بينهم في فجر الإسلام. وقد اشتهر بجوده. وقد تحالفتْ في بيته بطونُ قريش (أنظر: **حلف الفضول**)، وظلّت دارُه معروفةً في أيّام الإسلام. وتعود شهرة تيم بن مرّة إلى أنّها أخرجتْ رجلَين من أعظم رجالات المسلمين، هما : أبو بكر الصدّيق وطلحة بن عبيد الله.

تَيْمُ اللّه بن ثَعْلَبَة : قبيلة عربيّة من قبائل ربيعة بن نزار من عدنان، وهي فرع من قبيلة بكر بن وائل. وهم نصارى كغالب بني بكر بن وائل. ولكنّهم دخلوا في الإسلام في عهد متقدّم، واشتركوا في الفتوح الإسلاميّة والفتن. وأشهر رجال هذه القبيلة أَوْس بن ثعلبة الذي عُرف بالشعر، وكان عاملاً على خراسان.. وإليه تنسب وادي التِّيم الواقعة غربيّ جبل الشيخ في لبنان.

التَّيَمُّم : لغةً: القصد، ومنه قوله: «ولا تَيَمَّمُوا (تقصدوا) الخَبيثَ مِنهُ تُنفِقُون» (٢/٢٦٧)؛ وشرعاً: طهارة ترابيّة عوضاً عن الماء في بعض الحالات. وهي تشتمل على مسح الوجه واليدين، سواء كان عن حدَثٍ أصغر أو أكبر، وسواء تيمّم عن الأعضاء كلّها أو بعضها. ويكون ذلك عند فقدان الماء، أو عند تعذّر استعماله لمرضٍ أو لسدّ عطشٍ.

والتيمّم رخصة مشروعة بالكتاب والسنّة والإجماع: أمّا الكتاب ففيه آيتان: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! إذا قُمتم إلى الصلاةِ فاغْسِلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكم إلى الكعبَين، وإن كنتُم جُنُباً فَاطَّهَّروا، وإن كنتُم مرضَى، أو على سفرٍ، أو جاء أحدُكم من الغائطِ، أو لامَستُمُ النساءَ فلم تَجدوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً، فامسَحوا بوجوهِكم وأيدِيكم منه. ما يريدُ اللّهُ ليجعل عليكم من حَرَجٍ. ولكن يريدُ ليُطَهِّركم ولِيُتِمَّ نعمتَه عليكم لعلَّكم تَشكرون» (٥/٦؛ ر: ٤/ ٤٣). ويقال إنّه قد نزل الوحي بالتيمّم عندما خرج جماعة من المسلمين طلباً لعقْد

عائشة. وطال بحثهم حتّى نفد مـا كان معهم من ماء. وقد جوّز التلمود[1] استعمال الرمل، إذا أعوز الماء، كما هي الحال في القرآن.

وأمّا السنّة فـما رواه مسلم عن حذيفـة قال: قال رسـول الله «فُضِّلنا على الناس بثلاث: جُعلتْ صُـفوفُنا كصفوف الملائكة؛ وجُعلت لنا الأرض كلّهـا مسجداً؛ وجُعلتْ تربتُها لنا طهوراً، إذا لم نجد الماء»[2].

تَيْمُـوْرْلَنْك أو **تَيمُـور الأعْرَج** (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) : ملك المُغـول. حفـيد جَنكيزخان وفـاتح شـهير. ولد بالقرب من كش من أعمـال ما وراء النهر. عاش أوّل حـياته على السلب. ولقّب بـ «لنك»، أي الأعرج لجـرح أصابه وهو يسـرق الغنم. أخضع إيران وآسـيا. اجتاح العراق وسـورية. وفتح دمشق وحلب. وغـزا روسيا والهند. خرّب بغداد (١٣٩٢ و١٤٠١). انتصر على بايزيد الأوّل في أنقرة ١٤٠٢.

اتّخذ سَمـرقند عاصمة له. وجـمع فيها العمّـال الماهرين والفنّانين والعلماء من كلّ بلاد فتحها. فازدهرت فيـها الفنون والعلوم. توفّي بالغاً من العمر ٧١ سنة بعد أن حكم ستّاً وثلاثين سنة. وضـع جثمانه في تابوت من الأبنوس حمل بعد ذلك بشـهرين إلى سـمرقند حيث احتفل بجنازته. وقد دفن في ضـريح فخم يُعدّ آية من آيات العمارة. وهو يعرف باسم كورمير، ولا يزال قائماً إلى يومنا هذا.

---

(١) بركوت Berakot ورقة رقم ١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم ٥٢٣.

ث

ثابِت بن قُـرَّه (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠١م) : ولد في حـرّان، وهي بلدة بالجـزيرة بين دجلة والفـرات. التقى بالخـوارزمي الذي أعجب بذكـائه فاصطحـبه مـعه إلى بغداد. كان ملمّـا بالسريانيّة واليونانيّـة والعبريّة، فترجم كـتباً للمشاهيـر، أمثال جالينوس وأبقراط وأرشميدس وبطليموس وغيـرهم، وصحّح كتباً مترجمة. عالم بالرياضة والطبيعة، طبيب وفيلسوف صابئيّ. خدم المعتضد.

من أهم مـؤلفاتـه: الذخيـرة في علم الطبّ، كـتاب فـي الأنواء، ومقـالة في حسـاب خسوف القـمر والشمس، وكتـاب مختـصر في علم النجوم، وكـتاب في طبائع الكواكب وتأثيـراتها، وكتاب فـي إبطاء الحركة في فلك البروج، وكـتاب في تركيب الأفـلاك، وكتـاب في حركة الـفلك، وكتاب فـيمـا يظهر من القـمر من آثار الكسوف وعلاماته، وغيرها... توفي في بغداد، بعد أن بذل مجهوداً علميّا عظيماً.

الثّأر : ١ . طلب الدم. والفرقُ بين القصاص والثأر هو أنّ القصاص يُقتصر فيه على الجاني، فلا يؤخذ غـيرُه بجريرته؛ في حين أنّ الثأر لا يبالي وليُّ الدم في الانتقـام من الجاني أو أسرته أو قبـيلته. وبذلك يتعـرّض الأبرياء للقتل دون ذنب جنَوه. والقصاص يردع القاتل عن القتل؛ بينما الثّار يؤدّي إلى الفتن والعداوات.

٢ . الثأر عادة مـتأصّلة عند العرب قـبل الإسلام، وكان شائعاً ذائـعاً حيث كلّ قبيلة كانت تفاخر بنسبها وحـسبها وقوّتها. والقوّة هي القانون. والحقّ للقويّ ولو كان مـعتـدياً. والاعتـداء على أحد أفـراد القبـيلة يُعتـبر اعتـداءً على القبـيلة بأجمعـها. ويتضامن أفـرادُها في الانتقام، ويسرفـون في الثأر، فلا تكتفي قـبيلة المقتول بقـتل الجاني، لأنّها تراه غيـرَ كفء لمن فقدوه. وكان ذلك سبـباً في نشوب الحروب المدمّرة التي استغرقتِ الأعوام الطوال.

٣ . وكان العرب في الجاهليّة يزعمون أنّ روح القتيل الذي لم يؤخذ بثأره تصير هامةً فترقو عند قبره، وتقول: اسقوني، اسقوني من دم قاتلي. فإذا أُخذ بثأره طارت. من هنا قول النبي: «لا صفر ولا هامة»[1]. وكان العرب، من حرصهم على الثأر وإسرافهم فيه، وخوفهم من العار، إذا تركوه يُحرِّمون على أنفسهم النساءَ والطيبَ والخمر حتّى ينالوا ثأرهم. ولا يغيّرون ثيابهم، ولا يغسلون رؤوسهم، ولا يأكلون لحماً حتّى يشفوا أنفسَهم بهذا الثأر.

٤ . ولمّا جاء الإسلامُ حرّمَ قتلَ النفس ابتداءً بغير حقّ، فقال تعالى: «ولا تَقتُلوا النفسَ التي حرّمَ اللّهُ إلاّ بالحقّ» (٦/ ١٥١). وبيّن النبي الحقَّ الذيَ يُقتل به المسلم فقال: «لا يحلّ دمُ امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[2].

٥ . إلاّ أنّ الإسلام أباح الأخذَ بالثأر على سبيل القصاص، وشرط ألاّ يعتدى على غير القاتل، لما في ذلك من ظلمٍ وبغيٍ وعدوان. قال تعالى: «ومَن قَتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً. فلا يسرف في القتل» (١٧/ ٣٣)، قال المفسّرون: أي فلا يُسرف الوليّ في قتل القاتل بأن يمثّلَ به، أو يقتصّ من غير القاتل. وقال النبيّ: «إنّ مِن أعتى الناس على اللّه يومَ القيامة ثلاثة: رجلٌ قُتِلَ غيرُ قاتله»؛ وقوله: «أبغض الناس إلى اللّه ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنّةَ الجاهليّة، ومَطلب دم امرئ بغير حقّ ليهريق دمَه»[3].

التّالُوث : ١ . جاء في سورة النساء في شأن الثالوث : **١٧١**. «يا أهلَ الكتابِ (أي المسيحيّين أهل الإنجيل، وفدَ نجران النسطوري)! لا تَغْلُوا (أي تتجاوزوا الحدّ) فِي دِينِكُمْ. وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاّ (القولَ) الحقَّ (من تنزيهه عن الشريك والولد): إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا (أوصلها

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٢١٥؛ ومسلم ٤/ ١٧٤٣، من حديث أبي هُريرة.
(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٢/ ٢٠١؛ ومسلم ٣/ ١٣٠٢، من حديث ابن مسعود.
(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٢/ ٢١٠، ط. السلفيّة، من حديث ابن عبّاس.

اللّه) إلَى مَـرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ. فَـآمِنُوا باللّهِ وَرُسُلِه. وَلا تَقُـولُوا (الآلهـة) ثَلاثَةٌ (ألله وعيسى وأمّه). انْـتَهُوا (عن ذلك وأتوا) خَيراً لَكُمْ (منه وهو التوحـيد). إنّمَا اللّهُ إلهٌ وَاحدٌ. سُبْحانَه (تنزيهـاً له عن) أنْ يكونَ له وَلَدٌ. لَهُ مَا في السّمَوات ومَا في الأرضِ (خَلْقاً ومُلْكاً وعبيداً. والملكيّة تنافي البنوّة). وَكَـفَى بِاللّهِ وَكِيلاً (شهيداً). **١٧٢**. لَنْ يَسْتَنْكِفَ (يتـكبّر ويأنف) المَسِيحُ (الذي زعـمتم أنّه إله عن) أنْ يَكُونَ عَـبْداً للّه، وَلا الملائكَةُ المقَرَّبُونَ (عـند اللّه لا يستنكفون أن يكونوا عـبيداً للّه). وَمَـنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إلَيهِ جَميعاً (في الآخرة)».

٢ . وجاء أيضاً في سورة المائدة (٥/ ٧٢-٧٣) : «لَقَد كَفَرَ الذِينَ قَالُوا (أي فدُ نجـران النسطوري): إنّ اللّهَ هُوَ المَسِيحُ ابنُ مَـرْيَمَ. لَقَدْ كَفَـرَ الذِينَ قَالُوا إنّ اللّهَ ثَالِثُ (آلهة) ثَلاثَةٍ (أي أحدها، والآخَران عيـسى وأمّه. وهم فرقة من النصارى)[1]. وَمَا مِنْ إلَهٍ إلاّ إلهٌ واحِدٌ. وإنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمّـا يَقُولُونَ (من التثليث ويوحّدوا) لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا (أي ثبتوا على الكفر) مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٍ (مؤلم وهو النار)».

٣ . وكذلك أيضاً جاء في سورة المائدة (٥/ ١١٦): «وَإِذْ قَالَ اللّهُ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ! أَأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّه!».

٤ . فهناك، إذاً، بـحسب القرآن، ثالوثُ آلهـةٍ : الأب، والأمّ، والابن؛ أي: اللّه الأب، والمسيح، ومريم أمّه. في قوله هذا، يركّز القرآن على النقاط التالية:

١ - القـول بالثالوث "غلوّ" في الدّين؛ ٢- ومـا المسيح إلاّ «رسـول اللّه وكلمـته ألقـاها إلى مـريم»؛ ٣- وهو أيضاً «روح منـه»؛ ٤- بل هو «عبـدٌ للّه»، لا شـريك مـعه ولا إبنٌ له؛ ٥- لـم يكن للّه صـاحبـة حـتّى يكون له منهـا ولد؛ ٦- ويسـتطيع اللّه أن يهلكه وأمّـه ومَن في الأرض جمـيعـاً؛ ٧- واللّهُ، بالتـالي، ليس "أبَ" أحدٍ، لا من الملائكة ولا من البـشر؛ ٨- قائل هذا الكلام كافـر ومشرك، وله في الآخرة عذاب أليم.

---

(١) ليس في تاريخ الكنيسة مَن قال بأنّ مريم هي من جـملة الثالوث الإلهيّ. إلاّ أنّ القرآن يعتبر، كبعض النصارى، أنّ الرّوح القدس هو نفسه أمّ المسيح عيسى. رَ: بحثنا في «روح القدس»

٥ . هكذا، يردّد القـرآن ويكرّر إيمانَه بوحدانيّـة اللّه بتعابيـر، تكاد لا تخلو منها صفحـة من صفحاته، وقد أحصيتُ بـ ٢٨٤٠ مـرّة. وكذلك يدعو القرآن إلى محاربة الشرك، وإلى قتال المشركين. ثمّ يتوعّدهم بعذاب أليم، وبهلاك أبديّ.

٦ . ولا يجب أن نفـهم من تكفـير القـرآن للمشـركين، ومن تشـديده على وحدانيّة اللّه، بأنّه يقصـد المسيحيّين دائماً. إنّ القول بالتوحيـد كانت دعوة التوراة والأنبياء، ضد آلهة الأوثان[٢] التي حاربها، قبل محمّد، الأنبياءُ جميعهم.

٧ . لقد اعتبرَ مـحمّد الوحدانيّة والثالوثيّة متناقـضتَين، فاختار له الأبسطَ والأسـهل، وهو القول بالتوحيد فقط. هذه العقيدة البسيطة والسـهلة، قال بها محمّد من أجل غاية إجتـماعيّة سـياسيّة كبـيرة، ألا وهي التوحيد بين الشـيع؛ لأنّه، كلّما سـهلت العقيدة الدينيّة سـهلت الوحدةُ بين الناس.

٨ . ولا يظنّن أحدٌ أنّ التـوحيدَ، الذي دعا إلـيه الإسلام بشدّة، يقـتضـي له وحيٌ من السمـاء. فالبشر كلّهم، حـتّى القائلين بالشِّرْك، كانوا يضـعون على رأس آلهتهم إلهاً «أكبر». وهو هذا الذي دعا إليـه القرآن، إلهاً يدركه العقل. وقد لا يحتاج إلى إيمان، أو وحيٍ، أو نبوّة. إنّها الفطرة التي فطر اللّه الناسَ عليها.

الثّعَـالِبِيّ (أبو منصـور) (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م) : أديب ولغـويّ ومؤرّخ عبّاسي. ولد في نيـسابور. من مؤلّفاته : «يتـيمة الدهر في محـاسن أهل العصر». وقد تناول فيـه شعراء عصـره ومَن سبقهم، ورتّبهم بحـسب أوطانهم؛ وله أيضاً: «فقه اللّغة»، و«لطائف المعارف»، و«ثمار القلوب»، و«كتاب الأمثال».

الثّعَالِبِيّ (أبو زيد عبـد الرحمن) (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) : مفسّـر صوفيّ جزائريّ وفقيه مالكيّ. زار المشرق. من كتبه «الجواهر الحسان في تفسير القرآن».

ثَعْلَب (أبو العـبّاس) (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) : نحويّ تعلّم عـلى الفرّاء وابن

---

(٢) «ليس من إله غـير يهـوى» رَ: أش ٤٠/ ٢٥؛ ٤٣/ ١٠-١٢؛ ٤٤/٦-٨؛ ٤٥/ ٣ و٥-٦ و١٤-١٥ و١٨ و٢٠-٢٢؛ ٤٦/ ٥-٧ و٩؛ ٤٨/ ١١؛ «لا يترك مجدَه لآخر» أش ٤٢/ ٨؛ ٤٨/ ١١.

الأعرابيّ. اشتهر بالحفظ ورواية الشعر القديم. كان إمام الكوفيّين في بغداد. له كتاب «الفصيح» وكتاب «قواعد الشعر» و«كتاب اختلاف النحويّين».

الثَّعْلَبِيّ (أبو إسحق أحمد) (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) : إمام من أئمّة الدين ومفسّر مشهور من نيسابور. أعظم تواليفه تفسير القرآن وعنوانه: «الكشف والبيان في تفسير القرآن». من أنفع التفاسير، لأنّ صاحبه رجع إلى نحو مائة مصدر؛ قال فيه ابن خلّكان: «كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنّف التفسير الكبير الذي فاق غيرَه من التفاسير». وله أيضاً : «عرائس المجالس» في قصص الأنبياء، وهو أشهر من التفسير.

الثُّغُور : يُقصد بها منطقة الحصون التي بنيت على تخوم الشام والجزيرة لصدّ غزوات الروم. ولهذا أطلق عليها مصطلح «الثغور الروميّة». وثمّة مَن توسّع في مفهوم «الثغر» للدلالة على كلِّ موضعٍ قريبٍ من أرضِ العدوّ. وتبدأ منطقة الثغور هذه من طرسوس في قليقلة، وتمتدّ في طول البلاد حتّى ملطية، ثمّ الفرات. وكانت مهمّتها حماية إقليم العواصم الممتد على طول الحدود من غارات الأعداء.

الثَّقْلان : قالها الرسول في **غدير خمّ**، بين مكّة والمدينة، وهو يعني بها: كتاب اللّه وعترتَه، أي: القرآن وآل بيته. جاء في خطبته الشهيرة قوله: «أمّا بعد أيُّها الناس، إنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسولُ ربّي فأُجيب. وأنا تاركٌ فيكم الثَّقْلَين: أوّلَهما كتابَ اللّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه واستمسكوا به؛ وأهلَ بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي».

ثَقِيف : قبيلة عربيّة عدنانيّة نزلت الطائف. تذهب رواية إلى أنّ قسي، الملقّب بثقيف، هو عين أبي رغال الغادر الذي أرشد جيشَ أبرهة الحبشي إلى مكّة. وقبره على الطريق بين الطائف ومكّة. وقد اعتاد الناس رجمه بالحجارة.. أسلمتْ هذه القبيلة وقت إسلام الطائف. واشتركت في الفتوح، وخاصّة في العراق حيث أسّست مدينة البصرة. وسرعان ما انحازت ثقيف إلى الأمويّين شأنها في ذلك شأن قبائل الطائف الأخرى، فجرّوا عليهم عداوة بني العبّاس.

ثمود : ١ . قوم من العرب الأقدمين، بادوا قبل ظهور النبيّ، مثلهم في ذلك مثل عاد وإرَم ووبار وغيرهم. وقد تكون منازلهم في دومة الجندل في الجوف وهجر شمالي العلاء.. ورَد ذكرُهم في القرآن مراراً[1]. وخبر هلاكهم هو أنّه كان لثمود نبيّ يُدعى **صالحاً**، وقد سألوه أن يريهم آية تكون مصداقاً لنبوّته، فأخرج لهم من الصخرة ناقةً عشراء. ولكنّ المستهزئين بنبوّته عقروا الناقة وفصيلَها، فانتهكوا بذلك حرمة ناقة اللّه، فأهلكهم اللّه بما اقترفت أيديهم.

٢ . وذكر القرآن أنّ ثمود قد أخذتهم الرجفة (٧/ ٧٤). و أنّهم هلكوا بالصاعقة (٦١/١٣ و١٧)، ممّا يجيز لنا القول بأنّ الرواية تقرن هلاك ثمود بانفجار بركان كوَّنَ حقولاً من الحمم مختلفة السعة، تعرف في بلاد العرب بالحرّة. وإلى الغرب من الحِجر حرّة من أكبر هذه الحرار.

٣ . ويذهب جِلْيْزِر E. Glaser أنّ ثمود وثيقو الصلة بـ **لحيان**، وعرفوا بلحيان فيما بعد. وأنّ هلاك ثمود يتّفق ونهاية مملكة لحيان، وذلك فيما بين عامَي ٤٠٠ و٦٠٠ بعد الميلاد. وينسب علماء الكتابات القديمة النقش المحفور على الصخرة التي عثر عليها في العلاء والحجر إلى لحيان أو ثمود.

الثَّمَن : هو ما يبذله المشتري من عوض للحصول على المبيع.. والثمن والمثمّن هما من مقوّمات عقد البيع.. والثمن غير **القيمة**، لأنّ القيمة هي ما يساويه الشيء في تقويم المقوِّمين، أهلِ الخبرة؛ أمّا الثمن فهو كلّ ما يتراضى عليه المتعاقدان، سواء أكان أكثر من القيمة، أم أقلّ منها، أم مثلها. فالقيمة هي الثمن الحقيقي للشيء.. **والسعر** هو الثمن المقدّر للسلعة. **والتسعير** هو تحديد أسعار بيع السلع.

الثَّنَوِيَّة : هم الذين يقولون بأصلَين للوجود: إله للخير وإله للشرّ؛ إذ لا يمكن أن يكون إله واحد هو الذي خلق الخير والشرّ على السواء. بدون هذين الإلهين، لا يمكن فهم طبيعة الكون الذي تتصارع فيه قوى الخير وقوى الشرّ. لقد

---

(١) رَ: ٧/٧٣-٧٩؛ ١١/٦١-٦٨؛ ١٥/ ٨٠-٨٦؛ ٥٤/٢٣-٣١.

ظهـر هذا المذهب منذ القـديم؛ وعرفـه المسلمون من ثلاثـة غيـر المسلمين، هم : ابن ديصـان، وماني، ومزدك. ثمّ اعتنقه بعض المسلمين عندما دخل الفرس في الإسلام. ومن أشـهرهم أبو عيسـى الورّاق وهو عريق في الزندقة، وكان أوّل أمره مزدكيًا.

الثَّوَاب : ١ . الأجْر: واللّه يأجر عبدَه أي: يثـيبه. والثواب: الجزاء، لأنّه نفْع يعود إلى المجـزي. ويُقال: أعطاه ثوابَه ومثـوبَتَه أي: جزاءَ مـا عمله. واللّه وعد مَن أطاعـه بالثـواب، وتوعّد مَن عـصـاه بالعـقاب.. والمـكلّف من المسلمين يُثـاب على الطاعات، ويُعاقب على المعاصي إلاّ أن يشملَه اللّهُ بعفوِه.

٢ . إنّ الأعمال التي يستحقّ الإنسانُ عليها الثواب، تفتقر إلى نيّة. وقيل: لا تشترط للثواب صحّة العبادة؛ بل يثاب على نيّته، وإن كانت فاسدة بغير تعمّد، كما لو صلّى محدثاً على ظنّ طهارته.. بل إنّ الإنسـان قد يُثاب على ما لم يعمل، ويكون الثـواب على النيّة لقـول النبيّ: «مَن همَّ بحـسنةٍ فلم يعـملْها كـتبتْ له حـسنة»[1]، وقوله: «مَن أتى فـراشَه وهو ينوي أن يقـوم يصلّي في الليل، فغلبـتْه عـيناه حتّى أصبح، كُتب له ما نوى. وكان نومه صدقة عليه من ربّه عزّ وجلّ»[2].

٣ . ويتفاوت الثواب: ١- من حيث المشقّة، إذا لحقت في أثناء التكليف؛ ٢- ومن حيث الـزمان، إذا كان في شـهر رمـضان أو في غيـره، في صوم عـاشوراء وعرفة وليلة القـدر على غيرها؛ ٣- ومن حيث المكان، إذا كان في المسـجد الحرام، أم مسجد المدينـة، أم المسجد الأقصى، أم في غيره، وإذا كان فـي عرفة، أو المسعى، ومزدلة، ومنى، ومرمى الجمار، ونحو ذلك، لـقول النبي: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيـما سواه إلاّ المسجد الحرام»[3]؛ ٤- ومن حيث المصلحة في الفعل، من ذلك الإيمان فإنّه أفضل من جميع الأعمال بكثرة ثوابه، وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ (أي الفرد).

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١١/٣٢٣؛ ومسلم ١/١١٨، ط. الحلبي، من حديث ابن عبّاس.
(٢) أخرجه النسائي، ٣/١٥٨؛ والحاكم، ١/٣١١، من حديث أبي الدرداء.
(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٣/٦٣، ط. السلفيّة من حديث أبي هُريرة.

ثَوْر : جبل يقع على مسافة خمسة أميال جنوب مكّة. في قمّته يقع «غار ثور» الذي أوى إليه محمّد وأبو بكر لمدّة ثلاثة أيّام في طريق هجرتهما إلى المدينة، واستخفيا عن عيون قريش. وقد أشار إلى ذلك القرآن: «إِذْ أَخْرَجَهُ الذينَ كَفَروا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما في الغَارِ إِذ يَقولُ لصاحِبِهِ: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا» (٩/ ٤٠). وقد وقعتْ على فم الغار معجزتان دعتا إلى اقتناع قريش بخلوّ الغار: الأولى نسْج العنكبوت على مدخله؛ والثانية الحمامة التي تحتضن بيوضها.

الثُّوم : «مَن أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا –أو ليعتزل مسجدنا– وليقعد في بيته»[١].

الثَّيِّب : ١ . من ثيَّبَ وتَثَيَّبتِ المرأةُ زوجَها: فارقتْه بموتٍ أو طلاق. فهي ثَيِّب. وهي نقيض البكْر. والذكر والأنثى فيه سواء. والجمع من النساء: ثَيِّبات. والثَّيِّب أيضاً من: ثاب يثوب، أي رجع. ويقال على المرأة لأنّها ترجع إلى أهلها بوجهٍ غير الأوّل. ورد في الخبر: «البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة؛ والثيّب بالثيّب جلد مائة والرجم»[١].. ويراد بالثيوبة: زوال العذرة مطلقاً بجماع أو غيره.

٢ . الثيّب الكبيرة لا يجوز تزويجها إلاّ بإذنها، لقول النبيّ: لا تُنكح الأيّم حتّى تُستأمر»[٢]، وقوله: «ليس للوليّ من الثيّب أمر»[٣]، وقوله: «الأيّم أحقّ بنفسها من وليّها، والبكْر تستأذن من نفسها، وإذنها صماتها»[٤].. وأمّا الثيّب الصغيرة فللأب أن يزوّجها ولا يستأمرها، لأنّها صغيرة، فجاز إجبارها كالبكر والصبيّ.

٣ . ورأى بعض الفقهاء أنّه إذا شرط الزوج بكارةَ الزوجة فتبيّنتْ ثيّباً فله الفسخ[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٧/ ٥٧٥، ط. السلفيّة؛ ومسلم، ١/ ٣٩٤، ط. الحلبي.

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٣١٦، ط. الحلبي، من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ٩/ ٩١؛ ومسلم ٢/ ١٠٣٧، من حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه أبو داود ٢/ ٥٧٩، تحقيق دعاس؛ والدارقطني ٣/ ٢٣٩، ط. دار المحاسن.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٧، ط. الحلبي، من حديث ابن عبّاس.

(٥) فتح القدير، ٤/ ١٢٢؛ جواهر الإكليل، ١/ ٣٠٠؛ روضة الطالبين، ٧/ ٣٥٥؛ نهاية المحتاج..

ج

الجَائِحَة : لغةً: الشدّة، وهي من الجوح بمعنى الاستئصال والهلاك. يقال: جاحتهم الجائحة واجتاحتهم، وجاح اللّه مالَه، وأجاحه، بمعنى: أهلكه بالجائحة. واصطلاحاً: كلّ شيء لا يُستطاع دفعه، بسبب برد، أو ثلج، أو مطر، أو غبار، أو ريح حارّ، أو جراد، أو فئران، أو نار، أو عطش، أو جيش، وفعل السارق إذا لم يُعلم، أمّا إذا عُلم فإنّه لا يكون جائحة، لأنّه يُستطاع دفعه.

جَابِر بن حَيَّان الحَرَّانِيّ (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) : من علماء الكيمياء. كان من الصابئة. ثمّ اعتنق الإسلام. عاش في الكوفة، واتّصل بالبرامكة. المعدنُ عنده كائنٌ حيّ. ينمو في بطن الأرض أمداً طويلاً، وينقلب من معدن خسيس كالرصاص إلى معدن نفيس كالذهب. وغاية علم الكيمياء الإسراع بهذا الإنقلاب. ويقول إنّ لكلّ جسم كيميائي نفساً وجسماً، وعملُ صاحبِ الكيمياء أن يفصل بينهما.

له عدّة كتب، منها: «أسرار الكيمياء»، و«أصول الكيمياء»، و«علم الهيئة»، و«الرحمة»، و«المكتسب»، و«مجموع رسائل». ترجمت مؤلّفاته إلى اللاّتينيّة واعتمد عليها علماء الغرب.

جَابِر بن عَبْداللّه (ت ٧٨هـ/ ٦٩٧م) : صحابيّ خزرجيّ. من المكثرين في الرواية عن النبيّ.

الجَاحِظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) : لقّب بالجاحظ لجحوظ عينَيه. من شيوخ المعتزلة، ومن أئمّة الأدب العبّاسي. وُلد في البصرة.. قرأ المأمونُ بعضَ كتب الجاحظ عن الإمامة وقدّرها حقّ قدرها، فاستدعاه إلى بلاطه. وقدّره ابنُ الزيّات، وزيرُ المعتصم والواثق، وكفاه مؤونة كلّ شيء. أقام في بغداد وسامراء. ولكنّه تردّد أيضاً على دمشق وأنطاكية.. ثمّ عاد إلى البصرة وتوفّي بها.

له مصنّفات كثيرة في ميادين عديدة: كتب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والحيوان والنبات. له : كتاب الحجج في النبوّة؛ وكتاب المعرفة؛ وكتاب خَلْق القرآن؛ وكتاب الردّ على المشبِّهة؛ وكتاب الردّ على النصارى؛ ورسالة في فضائل الأتراك؛ وكتاب البلدان؛ وكتاب الزرع والنخل؛ وكتاب الصرحاء والهجناء؛ وكتاب السودان والبيضان؛ وكتاب النّعل؛ وكتاب المعادن؛ وكتاب النساء؛ وكتاب المسائل.

وليس من شكّ في أنّ كتاب الحيوان هو أهم ما بقي من كتبه. وله أيضاً: كتاب الجواري والغلمان، وكتاب القيان، وكتاب البخلاء، وكتاب أخلاق الملوك؛ ورسالة في المعاد والمعاش، ورسالة في العداوة والحسد، ورسالة في التربيع والتدوير، وكتاب البيان والتبيين، وهو من أواخر تآليفه، وهو في الأدب، ردّ فيه على الشعوبيّين، ودافع عن بلاغة العرب وثقافتهم وعاداتهم، وحشد فيه أشعاراً وأخباراً وخطباً.

وعيوب مصنّفات الجاحظ كلّها تقريباً افتقارُها إلى حسن النظام في التحرير والتبويب، وكثرةُ استطرادها، وولعُه بذكر النوادر والحقائق القائمة بذاتها. إلاّ أنّ الجاحظ كان صاحب ملاحظة دقيقة، وروحٍ مرِحة فَكِهة، وقلمٍ رشيق. صوّر أحوال عصره وحياة أهل زمانه وأخلاقهم وعاداتهم تصويراً يمتزج فيه الجدّ بالدعابة. لقد كان أديباً أكثر منه فيلسوفاً.

الجَارُودِيَّة : فرقةٌ تُنسب إلى أبي الجارود (ت بعد ١٥٠هـ/٧٦٧ م). كان من الغلاة من أهل الكوفة. افترق أصحابه فِرقاً متعدّدة.

جَارِيَة بن قُدَامَة السَّعْدِيّ (ت بعد ٤٢هـ/٦٦٣م) : صحابيّ نزل البصرة. كان من أخلص أنصار عليّ بن أبي طالب.

جَالُوت : أو جُليات التوراة (رَ: ١ صم ١٧/١)، وهو جبّار فلسطينيّ، بارزه داود النبيّ، وقتله بحجَر من مقلاعه. يذكره القرآن تحت إسم جالوت، ويروي كيف هاجم طالوت (أي شاول)، وكيف قتله داود (٢/٢٤٩-٢٥١).

الجَالِيَة : جمعـها: جوالي. هي **جزية** الرؤوس تحسب لخراج سنـة بعينها. وهي مأخوذة من الجلاء. وتُطلق على الجماعة، ومنه قيل لأهل الذمّة الذين أجلاهم عمر بن الخطّاب عن جـزيرة العرب: الجالية. وقد لزمـهم هذا الاسم أينما حلّوا. ثمّ لزم كلَّ مَن لزمـتْه الجـزية من أهل الكتاب بكلّ بـلد، وإن لم يجلوا عن أوطانهم. ثمّ أطلقت على الجزية التي تؤخذ من أهل الذمّة.

الجَّامِع : الجامع غير **المَسجد**. المسجد مكانٌ للصلاة، والأرض كلّهـا مسجدٌ للّه ومكانٌ للصـلاة. «في المسجـد، أو خارجـه، يسـتطيع المسلم أن يؤدّي فريضـة الصلاة. فالإسلام يعتـبر الكرةَ الأرضيّة بأسرها مسجداً مـفتوحاً للخلوة مع اللّه. لكن، ثمّة فرائض أخرى، لا يسـتطيع المسلم أن يؤدّيها إلاّ في مؤتمر إداري خاصّ.. له سلطة أعلى من سلـطة الدولة، ينعقـد دوريّاً، في مـواعيـد مـحدّدة، غـير قـابلة للإلغاء، أو التأجيل. وهو المؤتمر الذي عرفه تاريخ الإسلام تحت إسم الجامع»[1].

«هذا الاجتـماع (في الجامع) له موعـدٌ محدّد في الإسلام، مـا يزال يحمل اسمَـه حتى الآن، هو **يوم الجمـعة**.. وإذا كان يوم الجـمعـة قد أصـبح الآن يوماً مخـصّصـاً للصلاة وحدَهـا، فإنّ ذلك أمرٌ مـردّه إلى تغيـيب وظيفـة الجامع وراء وظيفة المسـجد، بموجب تفسيرات سيـاسيّة خاطئة.. فغاب الجـامع وراء المسجد، وغـاب المؤتمر الإداري وراء خطبة الإمـام، وأصبـح يومُ الجمـعة مـوعداً لصـلاة المسلمين السـاكتين.. وتمّ تحويله من يومِ عملٍ عاديّ وقرارات شـعبيّة مشتركة إلى يومٍ مقدّس، ويوم راحةٍ وعطلةٍ عن كلِّ عملٍ ونشاط »[2].

الجَّاهِلِيَّة : ١ . هي حقـبة تاريخ العـرب قبل الإسـلام. أو هو الإسم الذي يُطلق على الفتـرة التي خلتْ من الرسل بين عيسى ومحمّـد.. وقد وردت اللّفظة في

---

(١) الصادق النيهـوم، صوت النّاس، محنة ثقافـة مزوّرة؛ منشورات رياض الريّس، ١٩٨٧؛ ص ٤١؛ وذلك في فصل بعنوان: «ألجامع ليس هو المسجد».

(٢) المرجع السـابق نفسـه، ص ٤٢-٤٣ و٧؛ أنظر أيضـاً فصلين بعنوان: «أين ذهب الجـامع؟» (ص ٥٥-٧١)، و«أين ذهب يوم الجمـعة؟» (ص ٧٣-٨٢). رَاجع أيضاً : الصادق النيـهوم، إسلام ضد الإسلام، شريعة من ورق، رياض الريس، لندن، ١٩٩٤، ص ١٨.

القرآن ٤ مرّات[1]؛ كما وردت في أحاديث لرسول الله: «الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضّة، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». وقال في خطبة حجّة الوداع: «ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليّة تحتَ قَدَمَيَّ موضوعٌ». وفي صحيح مسلم، إنّ النبي قال: «أربع في أمّتي من أمر الجاهليّة لا يتركونهنّ: الفخرُ بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[2].

٢ . كانت حضارة أهل الجاهليّة بدويّة، وعيشتهم بسيطة، ونفسيّتهم تتّصف بعواطف حبّ القبيلة، والمفاخرة بالأنساب، والكبر، والتجبّر، والأنَفة، والحميّة، والصبر، والحزم، وحبّ الحرّيّة، والكرم، وحسن الضيافة، والشجاعة، والثأر، والسفه، والغضب السريع.

٣ . وكانوا إجمالاً مشرِكين. يُكرمون الحجارة المؤلّهة. ولهم الكهّان والكاهنات والسدنة خَدَمة الهيكل والعرّافون، ويعتقدون بالجنّ. وقد دان بعضهم باليهوديّة في الحجاز خاصّة.

٤ . وكان للنصرانيّة انتشار واسع بينهم، لا سيّما في اليمن وجهات العراق وحدود الشام. وينتمي هؤلاء النصارى إلى الكنيسة السريانيّة المونوفيزيّة (في الشمال) وإلى النسطوريّة (في الشرق الشماليّ) وإلى نصرانيّة الحبشة المتأثّرة باليهوديّة في الجنوب والغرب. وكانوا قبائل مستقلّة متحالفة. وقد تكوّن في الشمال دولتان حضريّتان: «المناذرة» حلفاء الفرس، و«الغساسنة» حلفاء البيزنطيّين..

الجُبّائِيّ (أبو علي محمّد) (ت ٣٠٣هـ/٩١٦م) : من شيوخ المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. ولد في جُبًّا من أعمال خوزستان، واشتهر في البصرة. وقد صنّف كتاباً في الأصول، وكتب في الردّ على الراوندي والنظّام وغيرهما. وكثيراً ما اختلف مع تلميذه الأشعري، وقد صنّف الأشعري، بعد

---

(١) سورة آل عمران ٣/ ١٥٤؛ سورة المائدة ٥/ ٥٠؛ سورة الأحزاب ٣٣/٣٣؛ الفتح ٤٨/٢٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، ٢/ ٦٤٤.

انصرافه عن الاعتـزال، رسائل في الردّ على شيخه.. وحسـبنا أن نعلم أنّ الجبائي يذهب إلى أنّ صفات اللّه هي عين ذاته، فأنكر في الواقع وجودها.

الجِبْت : النَّذْل الذي لا مروءة له ولا خـير فيـه. وتُقال على كلّ ما عُـبد من دون اللّه. وقـد وردت اللفظة في القـرآن مرّة واحـدة في قـوله: « أَلَمْ ترَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصـيباً مـن الكتاب (اليـهود) يؤمِنونَ بالجِـبْتِ والطَّاغوتِ، ويَقـولونَ للذينَ كَفَروا: هؤلاء أهدى مِنَ الذينَ آمَنوا سَبيلاً» (٤/ ٥١).

جِبْـرِيْل : ذكره القـرآن بالاسم ٣ مرّات (٢/ ٩٧؛ و٩٨؛ ٦٦/ ٤)؛ وذكـره، بحسب المفسّـرين، تحت إسم «روح القـدس» و«الروح الأمين». وهو، في التقليـد اليهودي-المسـيحي، ملاك بشارة زكريّا ومـريم؛ وفي رأي المسلمين، ملاك الوحي الذي أنزل القرآن على محمّد من «اللّوح المحفـوظ»، ورافقه طوال حياته، ملهماً إيّاه، وظاهراً له عـشرات الألوف من المرّات. ونحـن لا نجد، في المرّات الثـلاث التي يرد فيها إسم جبريل، في القرآن، أيّة علاقة له مع الوحي أو مع تنزيل القرآن :

١ . قال في الآية الأولى: «قُلْ مَنْ كـانَ عَدُوًا لجبـريلَ (فليمتْ غـيظاً)، فإنّه نزَّلَه (أي القرآن) عـلَى قلبِكَ بإذْنِ (بأمر) اللّهِ، مُـصَدِّقاً لِما بينَ يَدَيهِ (أي لمـا قبله من الكتب)، وهُدًى (من الضلالة)، وبُشْرَى (بالجنّة) للمؤمنِينَ» (**٢**/ ٩٧).

يُجمع المفسِّرون على أنّ اليهود هم أعداء جبريل. وبالتالي، هم أعداءُ محمّد، وأعداء اللّه أيضاً، وأعداء الوحي، والقرآن، وكلّ ما في الإسـلام. ولكنّنا نقول :

أوّلاً – لم يرد، لا في التوراة ولا في التلمود، أنّ اليهود كانوا أعداء اللّه، أو أيٍّ من الملائكة. فهل بسبب العداوة المتبادلة بين محمّد واليهود، أصبح اليهودُ أعداءَ اللّه وجبريل؟

ثانياً – ما الرّابط بين الجملتَين: الشرط وجوابه: «مَنْ كَانَ عَدُوًا لِجِبْرِيلَ/ فَـإِنَّهُ نَزَّلَهُ»؟! مَن نزّلَ مَن: أهـو اللّه الذي نزّل جـبـريل؟ أم جـبـريل هو الذي نزّل القرآن؟! الصيغة اللّغوية تشيـر إلى أنّ اللّه هو الذي نزّل جبريل على محمّد؛ وليس جبريل هو الذي نزّل القرآن على محمّد.

ثالثاً - يكون معنى الآية، إذاً، أنّ جبريل هو ملاك البشارات، لا ملاك الوحي والتنزيل. وهذا هو دوره في التقليد النّصراني. ولا دور له سواه. وبالتالي، لا علاقة لجبريل بتنزيل القرآن، ولا بأيٍّ تنزيلٍ، أو وحيٍ، سابقٍ أو لاحق. وأخطأ المفسِّرون في قولهم بأنّ جبريل هو «**الروح**» الوارد في القرآن.

٢ . وقال في الآية الثانية: "مَنْ كانَ عَدُوًا للَّهِ ومَلائِكَتِه ورُسلِه وَجبريلَ ومِيكَالَ، فإنَّ اللَّهَ عدوٌّ للكَافِرين " (**٢ / ٩٨**).

هذه الآية تكمّل الآية السابقة، وتعتبر جبريل وميكال، من جملة الملائكة والرسل الذين يُرسلهم اللّه إلى البشر كافّة. ولكنّنا نقول :

أوّلاً - هذا صحيح. لم يكن اليهود يوماً أعداءَ اللّه حتّى يكونوا بالتالي أعداءَ الملائكة والرُّسل وجبريل وميكال. بل، هم، في سورة البقرة نفسِها، يعتبرون أنفسهم أبناء اللّه؛ فكيف بهم الآن يُعادُونَه؟!

ثانياً - إنّ مقصودَ الآية هو التذكير بمبادئ الإيمان؛ أي: الإيمان باللّه وملائكته ورسله، وبنوع خاصّ جبريل وميكال، لأنّ اليهود والنصارى لا يعرفون غيرَهما في تقاليدهما؛ لهذا ذكرَ اسمَهما. ولم يذكرْهما بسبب مهمّتهما.

ثالثاً - لا علاقة لجبريل هنا بالوحي، ولا بالتنزيل، ولا بالقرآن. كما لا شأنَ له بـ «الرّوح» ولا علاقة له به، لا من بعيدٍ ولا من قريب؛ فلماذا يعتبره المفسّرون المسلمون وكأنّه هو «الرّوح» الذي هو أساس الوحي والتنزيل؟

٣ . وقال في الآية الثالثة: "وإنْ تَتُوبا (أي حفصة وعائشة زوجا النّبيّ) إلى اللّهِ، فقد صَغَتْ قُلُوبُكُما (أي مالتْ إلى تحريم ماريّة القبطيّة، أي سرَّكُما ذلك مع كراهة النّبيّ له)، وإنْ تَظاهَرَا (أي تتعاون حفصة وعائشة) عَليهِ (أي على النّبي فيما يكرهه)، فإنَّ اللَّهَ هُو مَولاهُ (ناصره)، وَجبريلُ، وصَالِحُ المؤْمِنين (أي أبو بكر وعمر) وَالملائكَةُ بَعْدَ ذلِكَ (أي بعد نصر اللّه والمذكورين) ظَهِيرٌ (أي أعوان له في نصره على حفصة وعائشة اللّتَين كرهتا محمّداً بسبب تفضيله ماريّة القبطيّة عليهما)» (٦٦ / ٤).

نقول : وهنا أيضاً لا شأنَ لجبريل في الوحي، ولا في تنزيل القرآن؛ ولا ذكر له بأنّه هو «الروح»؛ ولا دور له، هنا، سوى أنّه ستَر ضعف النّبيّ في ميلِ قلبه إلى القبطيّة على حساب حفصة : «يَا أَيُّها النَّبِيُّ! لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ (مِن أَمَتِكَ ماريّة القبطيّة، لمّا واقَعَها في بيتِ حفصَة امرأته، وكانتْ غائبةً. فجاءتْ وشقَّ عليها كونُ ذلكَ في بيتِها وعلى فراشِها، حيثُ قلتَ: هي حرامٌ عليَّ). تَبْتَغِي (بتحريم ماريّة عليكَ) مَرضَاةَ أَزْوَاجِكَ. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (أي غفر لكَ هذا التحريم).

" جبريل "، إذاً، ليس هو " الرّوح " الذي ساوى المفسِّرون المسلمون بينهما؛ وليس له أيّة علاقة بالوحي أو بالتنزيل.

ثمّ، طالما أنّ اسم جبريل معروفٌ في القرآن وفي الأحاديث النبويّة والتقاليد الإسلاميّة واليهوديّة والنّصرانيّة، فلِمَ لَمْ يُذكَرْ في آيات «الروح»، بدل الرّوح، كما يذكره هنا باسمه؟! ولِمَ استعملَ اللّهُ كلمة «الرّوح» فاستعجم ذلك على المفسِّرين المسلمين حتّى اكتشفوا له، في كلِّ مرّة، أكثر من ثمانية معانٍ؟! (**الروح**).

الجَبْرِيَّة أو **الجَهمِيَّة** : فرقة تُنسب إلى جهْم بن صفوان (ت ١٢٨هـ). تنكر الاختيار، وتخالف بذلك القدريّة. تقول «إنّ العبد لا يُوصَف بالاستطاعة؛ وإنّما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار؛ وإنّما يَخلقُ اللّهُ الأفعالَ فيه على حسب ما يَخلقُ في سائر الجمادات، وأنّ الأفعالَ تُنسَبُ إلى الإنسان مجازاً».

ومن الآيات التي يحتجّ بها القائلون بالجبر قوله: «فعَّالٌ لما يُريد» (٨٥/ ١٦)؛ و«اللّهُ خالِقُ كلِّ شيء» (٣٩/ ٦٢)؛ و«ولو شِئنا لآتَينا كلَّ نفسٍ هُداها، ولكنْ حَقَّ القولُ منِّي» (٣٢/ ١٣)..

أمّا الآيات التي يحتجّ بها القائلون بالاختيار قوله: «فَمن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ. ومَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شرًا يَرَهُ» (٩٩/ ٧-٨)؛ «فمن شاءَ فَلْيُؤمِنْ ومَن شاءَ فَلْيَكفُرْ» (١٨/ ٢٩).

ويحاول كلُّ فريقٍ أن يؤوّل هذه الآيات على طريقته الخاصّة ليؤيّد بها رأيَه ويفنِّدَ رأيَ الفريقِ الآخَر (أطلب أيضاً مادّة : **القَدَرِيَّة**).

جَبَلَة بن الأَيْهَم (ت ٢٠هـ/ ٦٤١م) : آخر ملوك الغساسنة في بلاد الشام. شارك الروم في معركتَي دومة الجندل واليرموك. وانهزم معهم. توفّي بالقسطنطينيّة.

جَبَلَة (يوم) : يوم من أيّام العرب في الجاهليّة. فيه عزمتْ أسد وغَطَفان على غزو عامر وعبْس الذين أُنذروا بالغزو، فأدخلوا الإبل في شِعَب جَبَلَة وأظمأوها. ثمّ أطلقوها يوم المعركة على الغزاة. فاندحروا. وانتصرت عامر.

الجُحْفَة : موضع على الطريق بين المدينة ومكّة، وكان اسمها مَهيَعَة، أو مَهِيعَة، فأجحف السيلُ بأهلها فسمّيتْ جحفة.. وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب. وهي أحد المواقيت الخمسة التي لا يجوز تجاوزها لقاصد الحجّ والعمرة إلاّ محرماً (أطلب مادّة: **المواقيت**).

جُدَّة : مرفأ سعودي على البحر الأحمر غربيّ مكّة. مركز تجاريّ وصناعي. مصفاة نفط. مقرّ السفراء والهيئات الدبلوماسيّة في المملكة العربيّة السعوديّة.

جَدِيْسٌ وطَسْم : من أوائل القبائل العربيّة. كانا ابنَي إرم بن نوح. وفي رواية أخرى أنّ جديساً كان أخاً لثمود، وطسم أخاً لعمليق. كانت بينهما حرب مشهورة انتهت بفناء القبيلتَين. ويقال أيضاً إنّ حسّان بن تبّع غزا أرضهما وأبادهما جميعاً.

جُذَام بن عَدِيّ : قبيلة عربيّة. بطن من كهلان. منهم عاملة ولخَم وكِندة. كانوا متفرّقين في وادي القرى وحول تبّوك وأيلة. وكانت منازلهم ما بين عمان ومعان وأذرح ومدين وغزّة. وكان معاشهم من طرق التجارة المتّصلة بجزيرة العرب والشام ومصر. يرشدون القوافل ويقودونها، ويتقاضون بدل ذلك مكوساً ورسوماً.. ويُقال إنّ القبيلة المدنيّة بني النضير انسلخت عنهم ودخلت في اليهوديّة. وأدّى اتّصالهم المستمرّ بالشام ومصر إلى تفشّي الأفكار النصرانيّة فيهم. ونجدهم في السنين الأولى للهجرة على رأس المستعربة أحلاف الروم.

الجَذْب : مصطلح صوفي يُقصَد به « ملاحظة العناية الإلهيّة للعبد باجتذابه إلى حضرة القرب »؛ وذلك بأن يهيّء اللّهُ للمجذوب كلَّ ما يحتاجه في طريقه لاجتياز المنازل والمقامات، دون كلفة ولا مشقة. وهو يقابل «السالك» الذي يقطع الطريق بالمجاهدة والرياضة.. والفرق بينهما أنّ المجذوب لا يعاني مشقات الطريق، لأنّه مختطف بالجذب، بخلاف السالك السائر فإنّ عليه أن يقطع كلّ عقبات الطريق.. وقد يستقرّ المجذوب في هذا المقام، ولا يرجع إلى ما كان عليه، فيُسمّى، عندئذٍ، «عاشقاً»، وقد يعود إلى حالته الأولى[1].

جَذِيْمَةُ الأَبْرَش (ت نحو ٢٦٨م) : من ملوك العرب في الجاهليّة. أسّس الحيرة والأنبار. عاصر زينب. خلفه ابنُ أخته عَمرو بن عَدِيّ.

الجَرَاجِمَة : من جُرجومة، مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج بين بيّاس وبوقة. ذكرها ياقوت في معجم البلدان. وكان لهم شأن في أثناء الفتح العربي، وفي عهد الأيّوبيّين. ويزعم لامنس أنّهم عين المارديّة.

الجُرْجَانيّ (عبد القاهِر) (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م) : لُغويّ من الأئمّة. من كتبه: «العوامل المئة»، و«أسرار البلاغة»، و«دلائل الإعجاز».

الجُرْجَانِيّ (علي بن محمّد) (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م): متكلّم أشعري وفيلسوف. ولد في تاجو قرب أستراباذ. علّم في شيراز وسَمَرقَند. توفّي في شيراز. كتب بالفارسيّة والعربيّة. له: «*كتاب التعريفات*»، وهو معجم لتعريف مصطلحات العلوم، عرّف فيه المصطلحات الأصوليّة، والفقهيّة، والنحويّة، والصرفيّة، والعقديّة، والصوفيّة، والكلاميّة، والفلسفيّة، والمنطقيّة، والتجويديّة، والحديثيّة، واللّغويّة، والفلكيّة، والحسابيّة، والهندسيّة، والبلاغيّة، والعروضيّة؛ وقام بترتيبه حسب أحرف الهجاء، وذكر فيه ١٦٤٧ مصطلحاً. وله أيضاً: «*شروح على الكشّاف للزمخشري*»؛ و«*شروح على الجزء الثالث من مفاتيح العلوم للسكاكي*»، أي الجزء الخاص بعلم المعاني والبيان؛ و«*شروح على شرح البخاري*».

---

(١) راجع مادّة: الجذب، د. أحمد الطيّب، في م.إ.ع. ٢٠٠٢؛ ص ٤٥٨.

جِرْجِس : قديس استشهد على أيّام ديوقليـتيانس عام ٣٠٣م. عُرف بقاتل التنّين. يبـجّله الإسـلام، ويجعله شـاهداً على البـعث والنشـور. وهو مرتبط أشـد الارتباط بالنَّبيَّين الخضر والياس (رَاجع مادّة: **الياس**).

الجَرْحُ وَالتَّعْدِيل : من أهمّ علوم الحديث، إذ به يتميّـز الصحيح من السقيم، والمقبـول من المردود من الروايات(١): الجرح هو وصف الراوي بصـفات تقـتضي عدم قبول روايته؛ والتعديل هو وصف الراوي بصفات تقتضي قبول روايته، فهي شهادة بالتزكية تسهم في تصحيح الحديث الذي يرويه.

جُرْهُم : قبيلة عربيّـة يمانيّة قديمة كانت تعيش في مكّة. نزلت بهـا غاشية فـبادتْ... تقـول الروايات العـربيّة إنّ إسـماعـيل بن إبراهيم تزوّج منهم. وكـانوا يتولّون شؤونَ الكعبة، إلى أن طردهم الخزاعيّون.

جَرِيْر (ت ١١٠هـ/ ٧٢٩م) : من بني كلَيب، فرع مـن تميم المضريّة. وهو أعظم الشـعـراء الأمويّين في الهـجـاء. بدأ في عـهد مـعـاوية. ولمّا دبّ النزاع بين عشيـرته وبين بني مجاشع، وهم من تميم أيضاً، بدأ الخـصام بينه وبين الفرزدق. ولمّا قدّمـه الحجّـاج إلى الخليفـة عبد الملك، جـرّه التنافس على حظوة الخليـفة إلى التخاصـم مع الأخطل التغلبي، وعدي بن الرقاع الدمـشقي. توفّي في اليمـامة بعد وفاة الفـرزدق. ويبدو جريـر في قصائده بدويًا قـحًا. له «ديوان» يتـضمّن الفنون التقليديّة من مدح وهجاء وفخر وغزل ورثاء، جمعه أبو جعفر بن حبيب.

الجَزيرة العربيّة :شِبه جزيرة في جنوب غـربي آسيا على المحيط الهنديّ بين البحر الأحمـر والخليج، نحو ٣ ملايين كم٢. تشمل: السعـوديّة واليمن وعُمان واتّحـاد الإمارات العـربيّة وقطر والكويـت. هي هضبـة تمتدّ بين سـهول العـراق وسورية تتخلّلها الأودية. في الشمـال صحراء النَّفود، وفي الجنوب الربع الخالي، في الغرب سلسلتا جبال الحجاز واليمـن. أعلى قممها جبل النبيّ شُعَيب ٣٫٧٦٠م. وسهل تِهامة الساحليّ. مناخ شديد الحرارة قليل الأمطار.

---

(١) راجع : الجرح والتعديل، د. رفعت فوزي عبد المطلب، في م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٤٥٩–٤٦٠.

الجِزْيَة : ١ . هي الأموال التي تُفرض، بحسب الشريعة الإسلاميّة، على **أهل الذمّة**. ومعناها : ضريبة رؤوس. وهي فعلة من الجزاء كأنّها جزت عن قتله. وقيل: هي مشتقّة من الجزاء كأنّها جزاء إسكان المسلمين إيّاه في دارهم، وعصمتهم دمَه ومالَه وعيالَه.. قال ابن القيّم: «الجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفّار إذلالاً وصغاراً»[1].

٢ . تُبحث الجزية في كتب الفقه عند الكلام على **الجهاد**. إذا كان الكفّار يُخيَّرون بين الإسلام والسيف؛ فأهل الكتاب، لكي يؤمَّنوا على أنفسهم وأُسَرِهم وأموالهم، يؤدّون الجزية. هذه القاعدة مبنيّة على ما جاء في القرآن: «قَاتِلوا الذينَ لا يُؤمِنونَ باللَّهِ ولا باليومِ الآخِر، ولا يُحرِّمونَ ما حرّمَ اللَّهُ ورسولُه، ولا يَدينون دِينَ الحقِّ مِن الذينَ أُوتوا الكتابَ حتّى يُعطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون» (٩/ ٢٩)، أي على نحوٍ فيه إذلال.

٣ . والجزية فرضها الإسلام على بعضٍ «مِنْ أهلِ الكتاب»، وبالتحديد، على وفد نجران المسيحي، وهي، في حقيقتها، إجراء موقّت إلى أن يصبحوا مسلمين. لهذا، عندما تولّى عمر بن الخطاب، طالبهم بما عاهدهم به الرسول. ثمّ قضى عليهم قضاءً كاملاً، إذ جلا بعضهم عن ديار المسلمين إلى ديار الحربيّين، وقتل بعضَهم الآخر، واعتنق الإسلامَ مَن اعتنق.

٤ . ويؤدّى ما يُجبى من الجزية إلى بيت المال. وهي، في حقيقتها، ليست مجرّد زيادة دخْل المسلمين، إنّما هي دعوة الكَفَرة إلى اعتناق الإسلام بطريقة لطيفةٍ لبقة[2]. وهي ليستْ واجبةً عليه إلى الأبد؛ بل إلى حين يقتنع بالإسلام ويعتنقه. ولذلك فهي تتّصف بكونها مرحلةً موقّتة.

٥ . شُرّعت الجزية بعد فتح مكّة، في أواخر السنة الثامنة للهجرة، ودخل الناس في الإسلام، واستقرّت الجزيرة العربيّة على دين اللّه، وذلك لمّا أمر اللّهُ

---

(١) أحكام أهل الذمّة ١ / ٢٢، دار العلم للملايين بيروت.

(٢) رَ: خدوري، السلم والحرب، ص ٢٣٧.

النبيَّ بمجاهدة أهلِ الكتاب، من اليهـود والنصارى في قوله المذكور آنفاً (٩/ ٢٩).. بهذه الآية تمّ تشريع الجزية. وأخذها، أوّل ما أخذها، من نصارى نَجْران، ومجوس هجر، ثمّ أخذها من أهل تبّوك، وكانت تبّوك آخر غزوة غزاها رسول اللّه، ومن أهل أَيْلة، وأَذْرُح، وأهل الجرباء، وأهل تبالة، وجرش، وأهل أَذْرِعـات، وأهل مَقنا اليهود، وغيرها من القبائل النصرانيّة التي تعيش في أطراف الجزيرة العربيّة.

وفي كتاب رسول اللّه إلى أهل اليمن: «مـن محمّد إلى أهل اليمن.. وأنّه مَن أسلم من يهودي أو نصراني فإنّه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم. ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته، فإنّه لا يفتن عنها، وعليه الجزية»[٣].

٧. وثبتت مشروعـيّة الجزية بما ورد في الكتاب (ر: ٩/ ٢٩)، وفي السنّة مـا روى مسلم عن بريدة: كـان رسـول اللّه، إذا أمّر أمـيـراً على جيشٍ أو سـريّةٍ، أوصاه في خاصّـة نفسه بتقـوى اللّه ومَن معه من المسلمين خيـراً. ثمّ قال: «أغزوا باسم اللّه، في سـبيل اللّه. قاتلوا من كـفر بـاللّه. أغزوا ولا تغلوا ولا تغـدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليـداً. وإذا لقيتَ عدوّكَ من المشركين فادعـهم إلى ثلاث خصال. فأيّتـهنّ ما أجابوك فاقـبل منهم، وكفّ عنهم. ثمّ ادعُهم الى الإسلام. فـإن أجابوكَ فـاقبل مـنهم وكفّ عنهم. ثمّ ادعـهم إلى التـحوّل عن دارهم إلى دار المـهاجـرين. وأخبرهم أنّهم إن فـعلوا ذلك فلهم ما للمهـاجرين. وعليهم ما على المهـاجرين. فإن أبوا أن يتحوّلوا منها فأخبـرهم أنّهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم اللّه الذي يجـري على المؤمنين، ولا يكـون لهم في الغنيـمـة والفيء شيء، إلاّ أن يجاهدوا مـع المسلمين، فإن هم أبَوا فـسَلْهم الجزية. فـإن هم أجابوك فاقـبلْ منهم وكفّ عنهم. فإنْ هم أبَوا فاستعن باللّه وقاتِلْهم»[٤].

٨. والحكمـة من مشروعـيّة الجـزية أنّها عـلامة خـضوع وانقيـاد لحكم المسلمين. ومعنى «عن يـدٍ» عن قهرٍ وذلٍّ واستـسلام، وعن اعتـراف للمسلمين بأنّ

---

(٣) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال، ٣٥، ط. دار الفكر، مرسلاً عن عروة بن الزبير.

(٤) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٥٦-١٣٥٨، ط. مصطفى الحلبي، من حديث بريدة.

أيديهم فوق أيديهم. وقيل: عن يدٍ أي عن إنعام عليهم، إذ إنّ قبول الجزية منهم بدلاً عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم.

٩ . ثمّ إنّ الجزية هي وسيلة لهداية أهل الذمّة، إذ إنّ الكافر إذا قُتل، انسدّ عليه باب الإيمان، وتحتّم عليه الخلود في النار، فشرع اللّه له الجزية رجاء أن يُسلم في مستقبل الأزمان، لا سيّما باطّلاعه على محاسن الإسلام.

١٠ . ثمّ إنّ الجزية وسيلة للتخلّص من الاضطهاد، إذ إنّها نعمة عظمى تُسدى لأهل الذمّة، فهي تعصم أرواحَهم، وتمنع عنهم الاضطهاد.. وإذا قارنّا بين الجزية بما انطوتْ عليه من صغار، وبين تلك الأعمال الوحشيّة التي يمارسها أهل العقائد مع المخالفين لهم في المعتقد، تكون الجزية نعمة مسداة إلى أهل الذمّة، ورحمة مهداة إليهم، وهي تستلزم شكر اللّه، والاعتراف بالجميل للمسلمين(٥).

١١ . ثمّ إنّ الجزية مورد مالي تستعين به الدولة الإسلاميّة في الإنفاق على المصالح العامّة والحاجات الأساسيّة للمجتمع. إلاّ أنّ الحكومة الإسلاميّة لا تقدم على فرض الجزية على الأفراد إلاّ بعد تخييرهم بين الإسلام والجزية، وهي تفضل دخول أهل البلاد المفتوحة في الإسلام وإعفاءَهم من الجزية على البقاء في الكفر ودفع الجزية، لأنّها دولة هداية لا جباية...

١٢ . ولما فاتت النصرة من أهل الذمّة بأنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر، تعيّنت عليهم النصرة بالمال، وهي الجزية. فقال الفقهاء: الجزية تجب بدلاً عن العصمة أو حقن الدم، فتكون بدل الصلح عن دم العمد؛ كما تجب عوضاً عن سكنى دار الإسلام والإقامة فيها، فتكون في معنى بدل الإجارة.. وهكذا «فقد أباح اللّه تعالى دماء الكفّار، ثمّ حقنها بالجزية، فكانت الجزية عوضاً عن حقن الدم.. وعلى كون الجزية عوضاً عن سكنى الدار بأنّ الكفّار أصرّوا على الكفر وعدم الخضوع لأحكام الإسلام، فهم لا يصيرون من أهل دار الإسلام إلاّ بعقد الذمّة وأداء الجزية. فتكون الجزية بذلك بدلاً عن سكنى دار الإسلام.

---

(٥) الموسوعة الفقهية، الكويت، مادّة: جزية، ج ١٥، ص ١٥٩.

١٣ . غيـر أنّ بعض الفقهاء رفـضوا هذه المعادلة، وقـالوا: إنّ الجزية صلة ماليّة تجب على أهل الذمّة، وليـست بدلاً عن شيء. فهي ليست بدلاً عن حقن الدم، لأنّ قتْلَ الكافـر جزاءٌ مـستحقٌّ لحقِّ اللّه تعـالى، فلا يجوز إسـقاطه بعـوضٍ ماليّ أصلاً.. وهي ليست بدلاً عن سكنى الدار، لأنّ الذمّيّ يسكن ملك نفسه.

١٤ . عقد الذمّة هو التزام حـماية المسلمين لكفّار، والذبّ عنهم بشرط بذل الجزية.. وعقد الذمّة مؤبّد، لأنّه بالنسبة لـعصمة الإنسان في ماله ونفسه بديل عن الإسلام، والإسـلام مؤبّد. فكذا بديله. عـقد مؤبّد لا يملك المسـلمون نقضـه ما دام الطرف الآخر ملتزماً به (رَ: **الغنيمة**، و**الفيء**، و**الخراج**، و**العشور**، و**الجالية**).

جَسّاس بن مُرَّة (ت نحو ٥٣٥م) : أحد أبطال حرب البَسوس، وقاتِل كُلَيب بن ربيعة (راجع مادّة: **البسوس**).

الجَصّـاص (أبو بكر أحـمد) (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م) : إمام أصـحاب الرأي، مفتي مجتهد، زاهد ورع. سكن بغداد، ودرّس فيها. صاحب التصانيف الكثيرة. له «أحكام القرآن»، وهو من أهم كتب التفسيـر الفقهي عند الحنفيّة.. إذ هو لا يتكلّم إلاّ عن الآيات التي لها تعلّـقٌ بالأحكام. وله أيضاً: كتاب فـي أصول الفقه، وكـتاب في أدب القضاء، وشرح مختصر الطحاوي، إلى غير ذلك.

الجَشَع : الحرص الشـديد، والطمع في حقّ الغيـر، والرغبة في الحـصول على أكثر ممّا قُدِّر له. والباعث عليه شـيئان: الشَّرَه، وقلّة الأنفة، فلا يقنع بما أوتي، وإن كان كثـيراً، لأجل شرهه؛ ولا يستنكف ممّـا مُنع، وإن كان حقيراً، لقـلّة أنفته.. والجـشع، الذي هو أسوأ الطمـع والحرص، مـرضٌ نفسيّ يسـبّب لصـاحبـه الهمَّ والذلَّ، لأنّه لا يستـريح، ولا يَقنع حتّى ولو تحـقّق ما يسـعى إليه، فـيظلّ في كدر دائم، وذلٍّ للحاجة مستمرّ.

وعلاج الجـشع في النزاهة، وهي التـرفّع عن المطامع الدنيّة؛ وفي القـناعة، وهي رضا تسكن النفس به وتستريح؛ وفي الزهد، وهو استعلاءٌ على ما يُذِلّ، ففيه عزّة؛ لأنّه قيل: «أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال».

الجِعْرَانَة : موضع بين مكّة والطائف، سمّيت باسم امرأة كانت تسكنها، وكانت تلقّب بالجعرانة. تبعد عن مكّة ١٨ ميلاً، وعن حدود الحرم ٩ أميال، وهي خارجة من حدود الحرم. وهي ميقات من مواقيت العمرة بالنسبة لمن بالحرم (أطلب مادّة: **إحرام**).

جَعْفَر بن أبي طالب (ت ٨هـ/ ٦٢٩م) : لقبه الطّيار، وذو الجناحَين، الذي يطير بهما إلى الجنّة، وهو ابن عمّ النبيّ. وكان من السابقين إلى الإسلام. هاجر مع المسلمين في هجرتهم الثانية إلى الحبشة. وكان زعيم المهاجرين والمتحدِّث بلسانهم في حضرة النجاشي. ولم يعد إلاّ في عام ٧ هـ/٦٢٨م. بعد وقعة خَيبر مباشرة. وكان له نصيب في الغنائم التي غنمها المسلمون. قُتل في غزوة مؤتة ضد الروم، وهو حاملِ اللواء، ولم يترك اللواء حتّى بترت يداه. ولا يزال قبره قائماً عند مؤتة. ويُقال إنّ النصارى أيضاً يبجّلون قبره كما يبجّله المسلمون.

جَعْفَر الصّادِق (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) : هو الإمام السادس عند الشيعة. ولد بالمدينة. لُقِّب بالصادق، لصدق حديثه. اشتهر بغزارة علمه، ولا سيّما في الطبّ والكيمياء، وكان تلميذُه جابر بن حيّان الصوفي، صاحبَ علوم الكيمياء. بالإضافة إلى علم الفقه والكلام والحديث والتصوّف. قال فيه مالك بن أنَس، فقيهُ أهلِ السنّة: «ما رأتْ عينٌ ولا سمعتْ أذنٌ ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلْماً وعبادة وورعاً»..

من أقواله: «ألّلهمّ! إنّكَ بما أنتَ له أهلٌ من العفو، أولى بما أنا له من العقوبة»؛ و«لا يتمّ المعروف إلاّ بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره». توفّي بالمدينة مسموماً في عنب، في أيّام المنصور. ودُفن بالبقيع مع أبيه وجدّه وعمّه الحسن. وكان مجمل عمره ٦٥ سنة، وهو أكبر الأئمّة سنّاً.

الجَفْر : كتاب سرِّيّ نُسب إلى علي بن أبي طالب، في فترة مبكرة جدًا من تاريخ الحركة الشيعيّة. فيه، كما يعتقدون، علوم الباطن، الدينيّة والسياسيّة، تحيط بكل شيء حتّى نهاية العالم.. يقول فيه ابن قتيبة : إنّ الجفر كتاب كتبه جعفر

الصادق على جلد جفر[1]، وفيه كلّ ما يحتاجون إلى علمه، وكلّ ما يكون إلى يوم القيامة. والشيعة جميعاً يؤكّدون وجود هذا الكتاب الخفي المنزّه عن الخطأ.. ويقولون بأنّ، في علم الجفر، حروفاً منفصلة تشير إلى معانٍ لا يدركها إلاّ هم. وهكذا أصبح علم الجفر يُعرف بعلم الحروف، عن طريق حساب الجمّل، ذلك لأنّ حروف اللّغة العربيّة مقدّسة لأنّها تحمل كلام اللّه ورسالة الإسلام. وثمّة كتاب يُذكر دائماً مع الجفر اسمه «الجامعة»، وهو مماثل للجفر، وقد يرتبط برسائل إخوان الصفا.. وكتاب آخر مماثل له أيضاً هو «مصحف فاطمة».

جَلَالُ الدِّين الرُّومِيّ (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) : من فحول شعراء الصوفيّة في الإسلام. ولد في بلخ. استقرّ في قونية، وأنشأ فيها الطريقة المولويّة، وجعل للموسيقى فيها محلاً ممتازاً، مخالفاً في ذلك ما جرى عليه الإسلام. وتوفي فيها. وغالباً ما يُذكر بلقب «مَولاَنَا». وله مؤلّف اسمه «المثنوي» وهو عبارة عن قصيدة ضخمة كتبها بالفارسيّة، تقع في ستّة أجزاء، تضمّ ٢٥,٧٠٠ بيت من الشعر. وهي مزيج من الخرافات والقصص والرموز والتأمّلات.. وكتب أيضاً ديوان شعر، ورسالة بالنثر عنوانها «فيه ما فيه».

الجَلْد : الضرب بالسوط.. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ الجلد حَدٌّ يجب على مَن ارتكب إحدى جرائم ثلاث: الزنى، والقذف، وشرب المسكر. وقد ثبت الجلد في الأولَيَين بالكتاب والسنة، لقوله: «الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة» (٢/٢٤). وقوله: «والذين يرمون المحصَنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة» (٢٤/ ٤).. أمّا حدّ شرب المسكر فقد ثبت بالسنّة: فعن أنَس أنّ النبيّ أُتِي برجل قد شرب الخمر، فجلده بجريدتَين نحو أربعين. وفعله أبو بكر. فلمّا كان عمر استشار الناس، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخفّ الحدود ثمانون. فأمر به عمر[1].

---

(١) والجفرة ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز وفُصلت عن أمّها.

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٣١؛ والبيهقي في الخلافيّات كما في فتح الباري ١٢/ ٦٤.

الجَلْوَة : أحد كتابَي اليزيديّة المقدّسين. والثاني إسمه: «مصحف رَش». ينسبان إلى الشيخ عدي بن مسافر. ألّفهما عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م.

الجِمَار : ١ . جمْع جمرات. وهي الحصاة. وفي الاصطلاح: جمرات المناسك الثلاث: الأولى والوسطى وجمرة العقبة؛ وهي تطلق على ثلاثة أكوام حجارة في وادي مِنى، يرميها الحجّاج لدى عودتهم من عرفات. وثمّة ثلاث جمرات، كلّ منها على رمية سهم من الأخرى : الجمرة الأولى، أو الدنيا، وهي إلى الشرق؛ والجمرة الوسطى في الوسط؛ وجمرة العقبة، وهي الجمرة الكبرى، عند المخرج الغربي للوادي.

٢ . قيل: المسافة من جمرة العقبة –وهي أوّل الجمار ممّا يلي مكّة– إلى الجمرة الوسطى ٤٨٧ ذراعاً و١٢ أصبعاً؛ ومن الجمرة الوسطى إلى الجمرة الثالثة –وهي التي تلي مسجد مِنى– إلى أوسط باب مسجد الخيف ١٣٢١ ذراعاً[١]. وقيل: جمرة العقبة هي حائط من الحجر، إرتفاعه نحو ثلاثة أمتار، في عرض نحو مترين، أقيم على قطعة من صخرة مرتفعة عن الأرض بنحو متر ونصف، ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط إليه حجار الرجم[٢].

٣ . ورمي الجمرات شعيرة أخذها الإسلام عن الوثنيّة. لم ينصّ عليها القرآن. ولكنّها ذُكرت في سيرة النّبي وفي الحديث. والغرض الذي رمى إليه المسلمون من ممارستها هو طرد الشيطان ورجمه وحماية أنفسهم منه..

٤ . روى ابن إسحاق أنّه : لمّا فرغ إبراهيم من بناء البيت الحرام، جاءه جبريل، فقال له: طفْ به سبعاً. ولمّا دخل مِنى، وهبط من العقبة، تمثّل له إبليس عند جمرة العقبة، فقال له جبريل: كبّر، وارمِهِ سبعَ حصيّات. فرماه. فغاب عنه. ثمّ برز له عند الجمرة الوسطى. فقال له جبريل: كبّر، وارمِه. فرماه إبراهيم سبع حصيّات. ثمّ برز له عند الجمرة السفلى. فقال له جبريل: كبّر، وارمِهِ. فرماه سبع

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ١/ ٢٩٤.
(٢) مرآة الحرمَين ١/ ٣٢٨.

حصيّات مثل حصى الخذف. فغاب عنه إبليس[٣]. فلمّا همّ إبراهيم بالذبح سمع نداء من خلفه: «يا إبراهيمُ، قد صَدَّقْتَ الرؤيا» (٣٧/ ١٠٤-٥). وصار رمي الجمار منسكاً من مناسك الحجّ.

٥ . رمي الجمار واجب في الحجّ باتّفاق الفقهاء. ويجب في تركه دم. وعدد الجمار سبعون: سبعة لرمي جمرة العقبة يوم النحر؛ والباقي لثلاثة أيّام منى، كلّ يوم ثلاث جمرات بإحدى وعشرين، وذلك لمن لم يتعجّل. أمّا للمتعجّل فتسعة وأربعون.

الجِمَاع : (أطلب مادّة: **الوطء**).

الجُمْعَة : ١ . **الجمعة في القرآن** : جاء ذكرُ «يوم الجمعة» في القرآن مرّةً واحدة: « يَا أيُّها الّذينَ آمَنُوا! إذَا نُودِيَ للصَّلاة مِنْ يومِ الجُمْعَةِ فَاسْعَوا إلَى ذِكْرِ اللّه، وَذَرُوا البَيْعَ. ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإذَا قُضيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّه، وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً. لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ. وَإذَا رَأوا تِجَارَةً، أوْ لَهْواً، انْفَضُّوا إلَيها، وَتَرَكُوكَ قَائماً. قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيرٌ مِنَ اللّهوِ وَمِنَ التِّجَارةِ. واللّهُ خَيرُ الرّازِقِينَ» (سورة الجمعة ٩٢/ ٩-١١).

يشرح المفسِّرون كلمات هذه الآيات بالتفصيل:

– «إذَا نُودِيَ للصَّلاَة»، يقول الطبري: «ذلك هو النداء، يُنادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة». ويقول القرطبي: «يختصّ بوجوب الجمعة على القريب الذي يسمع النداء. فأمّا البعيد الدار، الذي لا يسمع النداء، فلا يدخل تحت الخطاب. وفي حديث لرسول اللّه: «إنّما الجمعة على مَن سمع النداء».

– «مِنْ يومِ الجُمْعَة» : يقول ابن كَثِير: «إنّما سُمّيت الجمعة جمعة، لأنّها مشتقّة من الجَمْع. فإنّ أهلَ الإسلام يجتمعون في كلّ أسبوع مرّةً بالمعابد الكبار..

---

(٣) مرآة الحرمَين، ١/ ١٣٧.

إنّه اليوم السادس من السنة الذي خَلق اللّهُ فيه السموات والأرض. فيه خُلق آدم. وفيه أُدخل الجنّة. وفيه أُخرج منها. وفيه تقوم الساعة. وفيه ساعة لا يسأل اللّهَ مؤمنٌ خيراً إلاّ أعطاه إيّاه». ويقول أيضاً: «وقد كان يقال له في اللّغة القديمة، يوم العَرُوبة. وثبت بذلك أنّ الأمم قبْلَنا أُمِروا به، فَضلّوا عنه. واختار اليهود يوم السبت. واختار النصارى يوم الأحد. واختار اللّه لهذه الأمّة يومَ الجمعة الذي أكمل اللّهُ فيه الخليقة».

– «فَاسْعَوا إلَى»، أي: فامضوا إلى ذكر اللّه، واعملوا له. وأصل "السعي" هنا: العمل.. لا المشي. واختُلف في ذلك. فمِن قائلٍ إنّ المعنى هو: إذا سمعتم الدّاعي الأوّل للصلاة، فأجيبوا إلى ذلك، وأسرعوا، ولا تُبطئوا.. ومن قائلٍ بأنّ ثمّة حديثاً نبويّاً يمنع المشي السريع إلى الصلاة، جاء فيه: «إذا سمعتُمُ الإقامةَ فامشُوا إلى الصلاة، وعليكمُ السّكينةُ والوَقارُ، ولا تُسْرِعُوا».

– «ذِكْرِ اللّهِ». إنّه موعظة الإمام في خطبته. يقول الطبرسي: المراد بذكر اللّه الخطبة التي تتضمّن ذكر اللّه والمواعظ. ولا يعني، هنا، الصلاة، التي جاء الكلام عليها في بدء الآية. «والخطبة، على ما قال القرطبي، شرط في انعقاد الجمعة، لا تصحّ إلاّ بها. وهو قول جمهور العلماء».

– «وَذَرُوا البَيْعَ»، وهو كناية عن التجارة: وإذا ما سَمِع المؤمنون النداءَ، لا يحلّ لهم البيع ولا الشراء؛ بل هو محرَّم عليهم. و"البيع" يدلّ على أنّ الخطابَ موجَّهٌ للأحرار، لأنّ العبد لا يملك ليبيع.

– «ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون»، أي إنْ كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارَّها. أي إنّ صلاةَ الجمعة، وذكْرَ اللّه فيها، والسعي إليها، والامتناع عن التجارة.. كلّها خيرٌ ولمصلحة المؤمنين.

– «فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ»، أي: إذا قُضيت صلاة الجمعة يومَ الجمعة،

– «فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ»، إنْ شئتم، ذلك؛ إي إنّ هذا إذْنٌ من اللّه. فمن شاء خرج، ومَن شاء جلس. وقيل: «ألصلاةِ يوم الجمعة والانتشار يوم السبت».

- «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ». ذُكر عن النّبي في تأويل ذلك ما جاء عن أنَس بن مالِك، قال: قال رسول اللّه: «فإذا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا.. ليسَ لِطلبِ دنيا، ولكن عِيادةُ مريضٍ، وحضورُ جَنازةٍ، وزيارةُ أخٍ في اللّه»[١]. وقال الفخر الرازي في تفسير «فَضْلِ اللّهِ»:الرزق. ونظيره في القرآن: «ليس عليكمُ جناح أن تبتغوا فضلاً من ربِّكم»[٢].

- «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً. لَعَلَّكُم تُفْلِحُون»، أي: واذكروا اللّهَ بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا، فتدركوا طلباتكم عند ربّكم، وتصلوا إلى الخلد في جنّاته. وقال الرازي في تفسير ذلك: إذا رجعتم إلى التجارة وانصرفتم إلى البيع والشراء مرّةً أخرى فاذكروا اللّه كثيراً. وذلك نظير قوله : «رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر اللّه» (٢٤/٣٧).

- «وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً»، أي: وإذا رأى المؤمنونَ عِيرَ تجارةٍ، «انْفَضُّوا إِلَيها»، أي أسرعوا إليها،

- «وَتَرَكُوكَ قَائِماً»، على المنبر وحدَك؛ وهذا ما حدث عندما تركَ المؤمنونَ النّبيَّ في المسجد، وسَعَوا وراء عيرِ دِحيَة بن خليفة الكلبي القادمة من الشام، محمّلة زيتاً وبضائع أخرى؛ ولم يبق مع النّبيِّ، في المسجد، إلاّ اثنا عشر رجلاً. قال الحسن: «أصاب أهلَ المدينة جوعٌ وغلاء سعر، فقَدِمَتْ عيرٌ والنّبيّ يخطب يومَ الجمعة، فسمعوا بها، وخرجوا إليها. فقال النّبي: لو اتبَعَ آخرُهُم أوَّلَهم لالتهب الوادي عليهم ناراً». ويقول ابن كثير في قوله: «وتركوكَ قَائِماً»، دليل على أنّ الإمام يخطب يومَ الجمعة قائماً.

- «أَوْ لَهْواً»، اختُلف من أيّ أجناس اللّهو كان، فقال بعضهم: كان كَبَراً، أي طبلاً، ومزامير. وكانوا، إذا أنكحوا الجواري يضربون المزامير. فمرّوا يضربون، فتركوا النّبي.

---

(١) برواية السيوطي أن الطبري انفرد بإخراجه عن أنَس.

(٢) ٢/١٩٨. أنظر أيضاً: ١٦/١٤؛ ١٧/١٢ و٦٦؛ ٢٨/٧٣؛ ٣٠/٤٦؛ ٣٥/١٢؛ ٤٥/١٢..

– «قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ»، أي: قلْ لهم يا محمّد: الذي عند اللّه من الثواب لمن جلس مستمعاً خطبة رسول اللّه، وموعظة يوم الجمعة، إلى أن يفرغ رسولُ اللّه منها، خيرٌ له من اللّهو والتجارة التي ينفضون إليها ويسرعون.

– «وَاللّهُ خَيرُ الرَّازِقِين»، أي: إليه ارغبوا في طلب أرزاقكم، وإيّاه فاسألوا أن يُوسع عليكم من فضله دون غيره.

٢ . **إسم يوم الجمعة** : كان إسم يوم الجمعة في الجاهليّة، قبل الإسلام، "يوم العُروبة"، وهو مشتقّ من السريانيّة: "يَوْمًا دَعْرُوبْتًا"، أي: يوم الغروب؛ أي غروب الإسبوع عند اليهود، حيث كانوا "يجتمعون" فيه للتبضّع وإنهاء أعمالهم، وتتميم كلّ متوجِّبٍ عليهم يتطلّب منهم حركةً، أو عملاً. وذلك ليخلدوا إلى راحة "السبت"، تتميماً لمشيئة اللّه الذي، بعد أن فرغ من أعماله، خلد إلى الراحة. فيوم العروبة كان يوم عملٍ وحركة، ويوم السبت يوم راحة وسكينة. في يوم العروبة كانت أعمال واجتماعات متتالية، وفي يوم الراحة يقف المرءُ عن كلّ عمل.

في يوم العروبة، كان يجتمع اليهود، واليهود–المتنصّرون (أي: النصارى، بلفظ القرآن)، في فترة ما قبل الإسلام، ليشتروا ويبيعوا، ويشهدوا احتفالات اللّهو والقصف؛ لأنّ اليوم التالي يوم لا لهْوَ فيه ولا تجارة، ولا عمل ولا حركة.

وعندما انفصل الإسلامُ، في المدينة، عن اليهوديّة والنّصرانيّة، تحوّلتِ القِبلةُ من بيت المقدس باتّجاه مكّة؛ وكذلك أيضاً استُبدل إسم يوم العروبة باسم يوم الجمعة، المأخوذ من "الجمْع"، أو "التجمّع"، الذي كان يقوم فيه[٣].

ويتأكّد لنا ما نقول من أسماء أيّام الأسبوع (أي: سبعة) المتتالية بلفظ الأعداد: مثل الأحد (١)، الإثنين (٢)، الثلاثاء (٣)، الأربعاء (٤)، ألخميس (٥)،

---

(٣) هذا ولا معنى لما جاء على لسان رسول اللّه بأنّ الجمعة تأتي من "جمْع" آدم الأشياء. قال: «سمّيت الجمعة جمعة لأنّ آدم جمَع فيها خلقَه». وقال أيضاً: «لمّا فرغ اللّه فيها من خلق الأشياء، اجتمعت فيها المخلوقات».

والسبت (٧)؛ فيما الجمعة كان يجب أن يكون، كسائر الأيام، من لفظ العدد (٦)... غير أنّ ما في يوم العروبة، عند اليهود، من أعمال وحركة وانتهاء الأسبوع كلّه، طغى على ما يجب أن يكون له من تسمية. وما في يوم الجمعة، عند المسلمين، من تجمّع، طغى على ما يجب أن يكون له من تسمية.

ولهذا السبب أيضاً، لا يزال "الأسبوع" يحمل إسم أهمّ يومٍ فيه، وهو الجمعة. وهو ما يوجد على ألسنة العامّة إذ يُسمّون الأسبوع: الجمعة.

٣. **أحكام يوم الجمعة** : عن ابن كَثير: «يُستحبّ لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها. وذلك من قول رسول اللّه: «غُسْلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ على كلِّ مُحتَلِم»... ويُستحبّ له أن يلبس أحسن ثيابه، ويتطيّب، ويتسوّك، ويتنظّف، ويتطهّر.. قال النبيّ: «مَن اغتسل، ثمّ أتى الجمعة، فصلّى ما قُدِّر له، ثمّ أنصت حتّى يفرغ الإمام من خطبته، ثمّ يصلّي معه، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[٤].

وعند الطباطبائي أيضاً، في تفسيره للفظة "السعي"، ما يتوجّب على المسلم القيام به يوم الجمعة، فيقول: «إسعوا، أي: أعملوا لها، وهو قصّ الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، والغسل، ولبس أنظف الثياب، والتطيّب للجمعة. فهو السعي. يقول اللّه: «وَمَن أرادَ الآخِرةَ وسعَى لها سعيَها، وهو مؤمن فأولئك كان سعيُهم مشكوراً» (١٧/ ١٩).

وللنساء في صلاة الجمعة مكان خاصّ في المسجد. وقد يُعفَين من الصلاة إذا ما كان بدّ من اختلاطهنّ بالرجال. قال رسول اللّه: «خيرُ صفوف الرجال أوّلها، وشرّها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها، وشرّها أوّلها».

وصلاة الجمعة فرْض عين، أي هي واجبة على كلِّ مسلم، حرّ، عاقل، بالغ، مقيم، قادر على السعي إليها، خالٍ من الأعذار.. ولكنّها غير واجبة على عبد مملوك، أو صبيّ، أو امرأة، أو مريض، أو مسافر، أو مدين معسر، أو مختفٍ من الحاكم الظالم. وكلّ معذور مرخّص له.

---

(٤) عن أبي هريرة، رواه مسلم في الصحيح، كتاب الجمعة، حديث رقم ٢٠١٣.

وعـادة مـا يكون الاجـتمـاع وقتَ الظـهر، لكـي يكون كلّ شيءٍ في وضح النّهار، وعـلانيةً، ولمشاركة الجـميع. ويصلّي المسلم ركعـةَ "تحيّة المسجـد" قبل الخطبة، وبعد الخطبة يصلّي "ركعتَي الجمعة".

ولا تصحّ الجمعة، في رأي الشافعي، إلاّ إذا اجتمع لها ما لا يقلّ عن أربعين مسلماً؛ على أنّ المالكيّة والحنفيّة لا يتمسّكون بهذا العدد. فيما الإسماعيليّة يكتفون بسبعة، تـيمّنا بعدد الأئمّة السبعـة، والإثناعشريّة بإثنَي عشر بعدد أئمّـتهم أيضاً.. ومنهم من قال ما زاد على الإثنين، لقول النبي: «إثنان فما فـوقهما جماعة»؛ ولقوله أيضاً: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ (أي: الفرد) بسبعٍ وعشرين درجة».

وإذا كـان ترْكُ البيع والشـراء عند صـلاة الجمـعة، واجـباً، فـإنّ «مَن باع واشـترى في يوم الجمعـة بعد الصلاة بارك اللّه له سـبعين مرّة».. ولهـذا جاء في الحديث: «مَـن دخلَ سُوقاً مـن الأسواقِ فقـال: لا إلهَ إلاّ اللّه وحدَه لا شـريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير، كتب اللهُ له ألفَ ألفِ حسنةٍ»[٥].

هذا يعني أنّ يوم الجمعة، في الإسلام، ليس يوماً للراحة، ولا يوماً مقدّساً، كما هو حال السبت عند اليهود، والأحد عند المسيحيّين. بهذا المعنى قال أحمد محمّد شاكر، أحد مـترجمي الأنسكلوبيديا الإسلامـيّة، منتقداً صاحبَ مقـال "الجمعة": «هذا اليوم لم يسمِّه المسلمون يوماً مقدَّساً، بل هو يوم كسائر الأيّام»[٦].

ثمّ إنّ إقامة صلاة الجـمعة في أكثر من مسـجدٍ واحد في مكانٍ واحد، هي، في رأي معظم الفقهاء، باطلة شرعـاً.. ذلك لأنّ الأصل، في صلاة الجمعة، الخطبة. والخطبة يخطبها الإمام الأعظم، وهو الخليفة.. ويخطبها نوّابه الحكّام في الأمصار والعواصم وكبار القرى. يجتمع النّاسُ لها في البلد الواحد في مكان واحد.

٤ . **دور الإمام**: يتقدّم أحدُ المصلّين، يكون أعلمَهم بالدين وأحسنهم تلاوة للقرآن، ويسـمَّى "الإمام". ويصطفّ البـاقون خلفه بشكلٍ مـنظَّم، متسـاوٍ، لقول

---

(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ٣٨٩.

(٦) أنظر حاشية على مقال "الجمعة"، ج ٧، ص ١٠٥.

النّبي: «سَوُّوا صفوفَكم. فإنّ تسويةَ الصفِّ من تمامِ الصلاة»، وقوله: «ما منْ خطوةٍ أعظم أجراً من خطوةٍ مشاها رجلٌ إلى فرجةٍ في الصفِّ فسَدَّها».

على الإمام أن يخفِّف الصلاة عن المصلِّين، لقول النّبي: «إذا صلّى أحدُكم بالناس فليخفِّفْ. فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير. فإذا صلّى لنفسه فليطوّل ما شاء». وعلى المصلِّين أن يتابعوا الإمام ولا يسابقونه، لقول النّبي: «أمَا يَخشَى أحدُكم إذا رفَعَ رأسَه قبْلَ الإمام أن يُحوِّلَ اللّهُ رأسَه رأسَ حمار»!

٥ . **وأخيراً**، وكما يقول الصادق النيهوم :«يوم الجمعة الذي تنعقد فيه مؤتمرات جماعيّة داخل العاصمة وخارجها، يحضرها المسؤولون عن الإدارة - ومنهم الخليفة شخصيّاً-، وتخصّص لنقاش شؤون الحكم، من قرارات الحرب والسلام، إلى قوانين التجارة، وتوزيع السلع، والمخالفات الإداريّة... وإذا كان يوم الجمعة قد أصبح الآن يوماً مخصّصاً للصلاة وحدَها، فإنّ ذلك أمرٌ مردّه إلى إبطال تغييب وظيفة الجامع وراء وظيفة المسجد.. وغاب المؤتمر الإداري وراء خطبة الإمام، وأصبح يومُ الجمعة موعداً لصلاة المسلمين الساكتين»[٧].

لقد نجح الفقه الإسلامي في تغييب وظيفة الجامع وراء وظيفة المسجد، وفي تحويل يوم الجمعة من يومِ عملٍ عادي وقرارات شعبيّة مشتركة إلى يومٍ مقدّس، ويوم راحةٍ وعطلة عن كلّ عمل ونشاط...

«لا يملك الإسلامُ وسيلةً إداريّة ناجحةً، لأداء أهم فرائضه، ولكسب معركته ضد الإقطاع والأصوليّة، ولاستعادة الديموقراطيّة المباشرة على مستوى القاعدة، وللعمل على تحكيم الأمّة بدل تحكيم الفرد، ولاستعادة الإسلام كدين لا كفقه وشرائع مستبدّة، «سوى لقاء يوم الجمعة»[٨].

---

(٧) ألصادق النيهوم، صوت النّاس، محنة ثقافة مزوّرة؛ أنظر: فصل بعنوان: «أين ذهب الجامع؟» (ص ٥٥-٧١)، و«أين ذهب يوم الجمعة؟» (ص ٧٣-٨٢).

(٨) ألصادق النيهوم، إسلام ضد الإسلام، شريعة من ورق، رياض الريس،١٩٩٤، ص ١٨.

جَمْعُ القُرْآن : وقع جمْع القرآن، بمعـنى كتابته، ثلاث مرّات مـشهورة في عهد النبيّ وصحابته:

المرّة الأولى: كانت بإمـلاء النبيّ، إذ كان يأمر الكاتب أن يقرأ مـا كتب حتّى يُقوِّم ما قد يكون من زلل في حرف..

المرّة الثانيـة: كانت في عهد أبي بكر؛ وذلك كـان لّما كثر الشهـداء من القرّاء في موقعة اليـمامة، فخشي ضياع شيء من القرآن بمـوتهم، فتألّفت لجنةٌ برئاسة زيد بن ثابت، واسـتـحـضـروا ما في بيـوت زوجـات النبيّ ومـا مع الصـحـابة، واستشهدوا على ما جاء به كلّ واحد أنّه كتب بحضرة النبيّ.

المرّة الثالثة: في عهد عثمـان بن عفّان لّما اختلف المسلمون في القراءة، وكاد يُكَفِّر بـعضـهم بعـضاً. فكان لا بدّ من جـمْع ما أجـمعـوا عليه من القـرآن وترك ما اختلفـوا فيـه، فتألّفت لجنة برئاسـة زيد بن ثابت أيضاً، وكـتبوا سـتّة مـصاحف مشتملة على قراءات موزّعة فيها (أطلب مادّة: **القرآن/جمْع القرآن**).

الجَمَل (معـركة) : معـركة جرتْ بـين عليّ بن أبي طالب من جهـة وطَلْحة والزُّبَير وعائشة من جـهة ثانية، وذلك عام ٣٦هـ/٦٥٦م. فيها عقـر جملُ عائشة، وأُعيدت مكرَّمةً، وندمتْ بعدها على خروجها.

جَمِيْل بُثَيْنَة (ت نحو ٨٢هـ/٧٠١م) : شاعر أمويّ من بني عُـذرة. اشتهر بحبّه بُثَينَة حتّى عُرف بها. توفّي في مصر.

الجَنَّابِيّ (أبو سعيد) (ت ٣٠١هـ/٩١٣م) : داعٍ قرمطيّ. أخضع البحرين سنة ٢٨٥هـ/٨٩٩م، احتلّ القطيف واليمامة وعُمان. اغتيل في الأحساء.

الجَنَّابِيّ (أبو طاهر) (ت ٣٢٢هـ/٩٤٤م) : أشـهـر ملوك الـقـرامطة في البَحرَين. هزم المقتدر. ودخل مكّة واقتلع الحجر الأسود عام ٣١٧هـ/٩٣٠م.

الجَنَابَة : ١ . لغةً: ضدّ القرب والقـرابة. وتجنّب الشيء، وجانبه: بَعُدَ عنه. والجَنابة، في الأصل: البُعد. وقيل للرجل: جُنُب، لأنّه نُهي أن يقرب مواضع الصلاة

ما لم يتطهّـر، فتجنّبهـا وأجنب عنها، أي تنحّى عنهـا. وقيل: لمجانبتـه الناس ما لم يغتسل. والجُنُب يستوي فيه الذكر والأنثى، والواحد، والتثنية، والجمع.

٢ . وتطلق الجَنابة في الشرع على مَن أنزل المنيّ، ولـو بدون جِماع، وعلى مَن جامع ولو من غير إنزال. وسمّي جُنُبـاً، لأنّه يجتنب الصلاة والمسجد والقراءة، ويتباعد عنها. والجنابة هي ما يقال لها الحدَث الأكبر. هي حالة الدنس التي وصفت في قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهرُوا» (٥/٦).

٣ . ترتفع الجَنابة بالغسل. والدليل على وجوب الغسل من الجماع ولو من غير إنزال قول النبيّ: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسّ الختانُ الختانَ، فقد وجب الغسل»[١]. وزاد مسلم: «وإنْ لمْ ينزل». والمراد بالتقاء الختانين تغييب الحَشَفة في الفرج.. والدليل على وجـوب الغسل بنزول المني من غيـر جماع مـا روته أم سَلمة قالت: جـاءت أمُّ سليم امرأةُ أبي طلحـة إلى النبيّ، فقالت: يـا رسول الله! إنّ الله لا يستحي من الحقّ! هل على المرأة من غسلٍ إذا هي احتلمتْ؟ قال: نعم»[٢].

٤ . يُحَرّم على الجُنب الصـلاة، سواء أكانت فرْضاً أم نفـلاً. ويحرّم كذلك الطواف فرضاً كان أو نفلاً، لأنّ الطواف في مـعنى الصلاة.. ويحرّم مسّ المصحف بيده أو بشيء من جسده، سواء أكان مصحـفاً جامعاً للقرآن، أم كان جزءاً أم ورقاً مكتـوباً فـيه بـعض السور، لـقوله تعـالى: «لا يمسّـه إلاّ المطهّـرون» (٥٦/٧٩).. ويحرّم، عند الحنفيّة، مسّ كتب التفسيـر، لأنّه يصير بمسِّها ماسًا للقرآن.. ويحرّم عليه أن يكتب القرآن.. وقـراءة القرآن .. ودخول المسجد واللبث فـيه.. والاعتكاف، لقوله تعالى: «ولا جُنُباً إلاّ عَابِرِي سَبيل» (٤/٤٣).

٥ . يُباح للجُنُب الذِّكْرُ والتسبيـحُ والدعاء، لما روى مسلم عن عائشة قالت: «كان النبيّ يذكر اللّـهَ على كلّ أحيانه»[٣].. ويُستحبّ له، إذا أراد أن ينام أو يأكل أو

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/٣٩٥، ط. السلفيّة؛ مسلم، ١/٢٢٧١، ط. الحلبي.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١/٣٨٨، ط.السلفيّة؛ ومسلم ١/٢٥١، ط. الحلبي.

(٣) أخرجه مسلم ١١/٢٨٢، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

يشرب أو يطأ ثانياً أن يغسل فرْجه ويتوضأ وضوءَه للصلاة، لما روى مسلم: «كان رسول الله، إذا كان جُنُباً فأراد أن يأكل أو ينام، توضّأ وضوءَه»[٤]. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله: «إذا أتى أحدُكم أهلَه، ثمّ أراد أن يعود، فليتوضّأ بينهما وضوءاً»[٥].. ويصحّ من الجُنُبِ أداء الصوم بأن يُصبح صائماً قبل أن يغتسل، فإنَّ عائشة وأمّ سلمة قالتا: نشهد على رسول الله أن كان ليصبح جُنُباً من غير احتلام، ثمّ يغتسل، ثمّ يصوم[٦]. ويصحّ أذان الجُنُب مع الكراهة.. وتجوز خطبة الجمعة ممّن كان جُنُباً مع الكراهة..

٦ . اتّفق الفقهاء على أنّ الجنابة، إذا كانت بالجِماع عمداً، في نهار رمضان، فإنّها تُفسد الصومَ، وتجب الكفّارة، وكذلك القضاء.. أمّا الجنابة التي تكون بالإنزال عن نظرٍ، أو فكرٍ، فلا تفسد الصوم. أمّا إن كرّر النظر فأنزل فسد صومه. واتّفق الفقهاء على أنّ الحجَّ لا يُفسد بالجنابة بغير الجماع، كأن كان بمباشرة، أو قبلة، أو لمس، وسواء أكانت الجنابة قبل الوقوف بعرفة أم بعده.

الجِنَازَة : ١ . جمْعُها: الجنائز. والجَنازة: الميت، أو السرير الذي يوضع عليه الميت. ليس في القرآن شيء عن الجنائز؛ ولكنّ كتبَ الفقه تتناولها بالتفصيل. وتفرض للإنسان الذي قضى نحبه حقوقاً أهمّها خمسة: الغسْل، والتكفين، والصلاة عليه، ودفْنه، وقضاء ما عليه من ديون.

٢ . عندما يموت مسلم يُسجّى فوق خشبة، ورأسه مستقبل القِبلة. ثمّ يبدأ الغسل، إبتداء باللحية.. ثمّ يُلفّ الجسد بكَفَنٍ أبيض.. وعندئذ تُقام صلاة الجنازة، في بيت الميت، أو في المسجد. وتحرّم الصلاة على الكافر (ر: ٩/٨٣). ولا يجوز غسله، ولكن يجب دفنه. ولا يُغسل مَن مات شهيداً حتّى لا تُمحى آثار الدم التي تشهد باستشهاده، كما أنّه ليس من اللازم الصلاة عليه..

---

(٤) أخرجه مسلم ١/٢٤٨، ط. الحلبي.

(٥) أخرجه مسلم ١/٢٤٩، ط. الحلبي.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ٤/١٥٣، ط. السلفيّة.

٣ . ثمّ يبدأ سير الجنازة، فيُحمل النعش على أكتاف الرجال، وإنْ كانت الميتة امرأة. ويتمّ هذا العمل بعناية. ويجب ستر جثمان الميت عن الأعين. وعلى مَن تمرّ بهم جنازة أن يقفوا إحتراماً لملائكة الموت الذين يمشون أمام الموكب، واحتراماً للميت نفسه. ومن المستحبّ جدًا اتّباع الجنائز. ويُحرّم على المشيِّع أن يركب لأنّ ملائكة الموت تتقدّمه سيراً على الأقدام.

٤ . ويتمّ الدفن نفسه على أيدي عدد فردي من الرجال. فتوضع الجثّة في القبر، ورأسها يستقبل القبلة. ثمّ يحثو كلٌّ واحد من الواقفين ثلاث حفنات من التراب على القبر. وفي هذه المناسبة يُلقّن الميت عبارات الإيمان حتّى يعطي الجواب الصحيح عندما يسأله في قبره الملَكان: منكَر ونكير.. وأحياناً تتلى فاتحة الكتاب والمعوذتان. ويُغطّى قبر المرأة بثوب.

٥ . والتلقين هو: «يا فلان بن فلانة (إن كان يعرف اسم أمِّه وإلاّ نسبه إلى حوّاء. ثمّ يقول بعد ذلك:) أذكر العهد الذي خرجتَ عليه من الدنيا، شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ محمّداً رسول اللّه، وأنّ الجنّةَ حقّ، والنارَ حقّ، وأنّ البعثَ حقّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ اللّهَ يَبعث مَن في القبور، وأنّك رضيتَ باللّه ربًا، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد نبيًا، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قِبلةً، وبالمؤمنين إخواناً»[١].

٦ . لا يُستحَبّ تزيين القبور. ولكن يمكن وضع علامة على هيئة حجر، أو قطعة من الخشب، على المكان الذي يرقد فيه الرأس. وقبل الدفن وبعده، يتوجّه الناس لتقديم العزاء (رَاجع مادّة: **تعزية**).. ويُستحسن أيضاً إقامة وليمة بعد الدفن، إلاّ في يوم الدفن نفسه. وتتلى آيات من القرآن توهب بركتها للميت.

٧ . أجمع الفقهاء على أنّ حمْل الجنازة فرض على الكفاية. ويجوز الاستئجار عليها.. ويُسرع بالميت وقت المشي بلا خبب، لقول النبيّ: «أسرعوا بالجنازة ما دون الخبب»[٢]. وذهبوا إلى أنّ تشييع الجنازة سنّة. وقال الحنفيّة:

---

(١) رَ: شرح البهجة ٢/١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ٣/١٨٢-١٨٣؛ ومسلم ٢/٦٥١-٦٥٢، من أبي هُريرة.

اتّبــاع الجنائز أفضل من النوافل.. والأفــضل لمشــيّع الجنازة المشي خلفهــا.. إلاّ أن يكون خلفها نساء فالمشـي أمامها أحسـن.. ليس على النساءأن يخرجن في الجنازة..

٨ . اتّفق الفقــهاء على أنّ الجنازة لا تُتّــبع بنار في مجمـرة، ولا شمـع، ولا بصوت. ويكره تجمير القبر. وينبغي لمن تبع الجنازة أن يطيل الصمت. ويكره رفع الصوت بالذكـر وقراءة القرآن وغيـرهما. وتقوم صلاة الجنازة على أربعـة: النيّة، وأربع تكبيرات، ودعاء بينهنّ، وتسليمة واحدة. ويشترط لصحّة صلاة الجنازة ما يُشترط لبقيّة الصلوات من: الطهارة الحقـيقيّة بدناً وثوباً ومكاناً، والحكميّة، وستر العورة، واستقبال القبلة، والنيّة، سوى الوقت...

٩ . أقلّ الدعاء أن يَقـول: اللّهمَّ اغفر له، أو كمــا جاء عن أبي هُريرة: «اللّهمّ إنّه عبدك وابن عــبدك وابن أمتك. كان يشهـد أن لا إله إلاّ أنت وحدك، لا شريك لك، وأنّ محمّداً عــبدك ورسولك، وأنت أعلم به. اللّهمّ إن كان محسنــاً فزدْ في إحسانه، وإن كان مسيئــاً فتجاوز عن سيّئاته. اللّهمّ لا تحـرمنا أجره ولا تفتنا بعده». تكره الصــلاة على الجنازة عند طلوع الشــمس وعند غروبهــا، وعند انتــصاف النهــار.. والتأخير مكروه لقول النبي لعلي: «ثلاث لا تؤخّرها: الصلاة إذا آنت، والجنازة إذا حضرت، والأيّم إذا وجدت لها كفئاً»[٣].

١٠ . إذا فرغوا من دفن الميت يُستحبّ المكث عند قبره بقدر ما يُنحر جزورٌ ويُقسَّم لحمُه: عن عمِر بن العــاص أنّه قال: «إذا دفنتموني فشنّوا عليّ الترابَ شنّا. ثمّ أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويُقسَّم لحمُها حتّى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربّي»[٤]، يتلون القرآن، ويدعون للمـيت. وروي عن عثمان أنّه قال: كان رسول اللّه، إذا فـرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال: استــغفروا لأخيكم وسَلوا له التثبيت، فإنّه الآن يُسأل»[٥].

---

(٣) أخرجه الترمذي، ٣/٣٧٨، ط. مصطفى الحلبي؛ وابن ماجة، ١/٤٧٦، ط. عيسى الحلبي.

(٤) أخرجه مسلم ١/١١٢، ط. الحلبي.

(٥) أخــرجــه أبو داود ٣/ ٥٥٠، ط. عــزّت عبــيد الدعّــاس؛ والحــاكم ١/ ٣٧٠، ط. دار الكتــاب العربي، من حديث عثمان بن عفّان.

١١ . مَن صام، أو صلّى، أو تصدّق، وجعل ثوابَه لغيره من الأموات والأحياء، جاز، ويصل ثوابُها إليهم، وقد قال تعالى: «والذينَ جاءوا مِن بعدِهم يقولون: ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذينَ سبقونا بالإيمان» (٥٩/ ١٠)، وقال: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (٤٧/ ١٩). وسأل رجلٌ النبيّ فقال: يا رسول الله! إنّ أمّي ماتت فينفعها إنْ تصدّقتُ عنها؟ قال: نعم»[٦]. وروى عمر بن العاص ما قاله النبيّ له: «لو كان أبوك مسلماً فأعتقتم عنه، أو تصدّقتم عنه، أو حججتم عنه، بلَغَه ذلك»[٧].

غير أنّ الواجب والصدقة والدعاء والاستغفار لا يصل ثوابه إلى الميت، لقوله تعالى: «وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى» (٥٣/ ٣٩)، وقول النبيّ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاثة: إلاّ من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٨]، ولأنّ نفعَه لا يتعدّى فاعلَه، فلا يتعدّى ثوابه. وقال بعضهم: إذا قرئ القرآن عند الميت، أو أهدي إليه ثوابه، كان الثواب لقارئه، ويكون الميت كأنّه حاضرها وترجى له الرحمة[٩].

الجِنَايَة : ١ . في اللغة: الذنب والجرم، وكلّ فعل محظور يتضمّن ضرراً على النفس أو غيرها؛ وشرعاً: كلّ فعل محرّم حلّ بمال أو نفس، كالغصب، والسرقة، والإتلاف.. وقريب منها: **الجريمة**، إلاّ أنّ الجريمة أعمّ منها.

٢ . تقسم الجناية إلى ثلاثة أقسام: ١- الجناية على النفس وهي القتل؛ ٢- الجناية على ما دون النفس؛ ٣- والجناية على ما هو نفس من وجهٍ دون وجه، كالجناية على الجنين.

---

(٦) رواه أبو داود؛ أخرجه البخاري، فتح الباري، ٥/ ٣٨٥، ط. السلفيّة، من حديث ابن عبّاس.

(٧) أخرجه أبو داود، ٣/ ٣٠٢، ط. الدعّاس؛ والبيهقي، ٦/ ٢٧٩، ط. دار المعرفة؛ وأحمد ١٠/ ٢٣٠، ٦٧٠٤، ط. دار المعارف، من حديث ابن عمرو.

(٨) أخرجه مسلم ٣/ ١٢٥٥، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

(٩) المغني ٢/ ٥٦٧-٥٦٨.

الجِنّ : ١ . خلاف الإنس. والجانّ: الواحد من الجِنّ. ويقال : جنّه الليل وجُنّ عليه وأجنّه: إذا ستره. وكلّ شيء سُتر عنك فقد جنّ عنك. وبه سمّي الجِنّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار. ومنه سمّي الجنين لاستتاره في بطن أمّه. وكان أهل الجاهليّة يسمّون الملائكة جنًا لاستتارهم عن العيون..

٢ . الجنّ أجسام هوائيّة، شفّافة، ناريّة، عاقلة، خفيّة، لا تحجبها مادّة: «وخَلَقَ الجَانَّ من مارِجٍ مِن نار» (رَ: ٥٥/ ١٤). تتشكّل بأشكال مختلفة. قال تعالى: «والجانُّ خلقناه من قبل من نارِ السموم» (١٥/ ٢٧). قال البيضاوي: الجِنّ أجسام عاقلة، خفيّة، تغلب عليهم الناريّة أو الهوائيّة. وقال ابن سينا: الجِنّ حيوان هوائيّ يتشكّل بأشكال مختلفة..ولها قدرة على الأعمال الشاقّة.

٣ . وجعل المكّيون بين الجنّ واللّه نسباً (٣٧/ ١٥٨)؛ وجعلوا للّه شركاء الجنّ (٦/ ١٠٠). واعترف القرآن بوجود الجنّ اعترافاً كاملاً.. فرأى لهم مع الإنس علائق كالزواج والملكيّة؛ وكان بينهم غرام، وقصص...

٤ . للجنّ القدرة على التطوّر والتشكّل في صور الإنس والبهائم، فيتصوّرون في صور الحيّات، والعقارب، وفي صور الإبل، والبقر، والغنم، والخيل، والبغال، والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم.. هذا، ومن خصائص الجِنّ أنّهم يرون الإنس ولا يراهم الإنس إلاّ نادراً. قال تعالى: «إنّه يراكم هو وقبيلُه من حيث لا ترونهم» (٧/ ٢٧).

٥ . والجنّ على مراتب: فإذا ذكرهم أهل الكلام خالصاً قالوا: **جِنّيّ**؛ فإن أرادوا أنّه يسكن مع الناس قالوا: **عامر**، والجمع: عمار؛ فإن كان ممّن يعرض للصبيان قالوا: **أرواح**؛ فإن خبث وتعزم فهو: **شيطان**؛ فإن زاد على ذلك فهو: **مارد**؛ فإن زاد على ذلك وقوي أمره قالوا: **عفريت**؛ وكبير الجنّ: **إبليس**. قال تعالى: «فسَجَدوا إلاّ إبليس كان من الجِنّ. ففسق عن أمر ربّه» (١٨/ ٥٠).

٦ . صلة الجنّ بإبليس غامضة ومتناقضة. منها قوله: إنّ «إبليس كان من الجنّ، ففسَقَ عن أمْرِ ربِّه» (١٨/ ٥٠)؛ ومنها قوله إنّ إبليس كان من الملائكة: «وإذْ

قُلْنا للملائكةِ اسْجُدوا لآدَمَ. فَسَجَـدوا إلاّ إبْليسَ أبَى واستكبَرَ. وكانَ منَ الكافِرِين» (٢/ ٣٤). ومن هنا كثر الخلط، ونشأت الأساطير.

٧ . غالبـاً ما يسكن الجنّ في مواضع المعاصي والنـجاسات، كالحـمّامات، والمزابل، والقـمـامين.. وقـد جـاءت الآثار بالنـهي عن الصـلاة في هذه الأمـاكن.. وزادهم العَظم والروث، لقول النبيّ: «إنّه زاد إخوانكم من الجنّ»[1].

٨ . ثبت وجود الجنّ بالقرآن والسنّة. ومنكر وجودهم كافر لإنكاره ما عُلم من الدين بالضــرورة. بعث اللهُ مـحـمّـداً إلى الجنّ كمـا بعـثـه إلى الإنس. والجنّ مكلَّفون مـخاطبـون، لقوله تعالى: «ومـا خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليَعـبُدونِ» (٥١/ ٥٦)، وقوله: «قل أوحي إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ فقـالوا: إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد، فآمنّا به. ولن نشرك بربّنا أحداً» (٧٢/ ١-٢)، وقوله: «يا معشرَ الجنّ والإنس إنِ استطعـتم.. إلى قوله: فبـأيّ آلاء ربّكما تكذّبان» (٥٥/ ٣٣-٣٤)، إلى غـير ذلك من الآيات الدالّة على تكليـفهم، وأنّهـم مأمورون مـنهيّون.. ولـقول النبيّ: «كان النبيّ يُبعث إلى خاصّة قومه، وبُعثتُ أنا إلى الجِنّ والإنس»[2]..

٨ . وذهب العلماء إلى أنّ الجنّ سيحاسبـون: بعضـهم إلى الجنّة، وبعضـهم إلى النار؛ وسيُثـابون على الطاعة ويُعاقَبـون على المعصية، لقـوله تعالى: «وأنّا منّا المسلمون، ومنّا القاسطون، فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً، وأمّا القاسطون فكانوا لجـهنّم حطبـا» (٧٢/ ١٤-١٥)، وقـولـه: «ولكلٍّ درجـات ممّا عـملوا» (٦/ ١٣٢)، وقوله: «لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانّ» (٥٥/ ٥٦)..

٩ . تجوز روايـة الجنّ للقرآن وللحـديث، وروايةُ ما سـمعـوه من الإنس، سواء علم الإنس بحضورهم أم لا، لقوله تعالى: «قل: أوحي إلي أنّه استمع نفرٌ من الجنّ» (٧٢/ ١؛ ر: ٤٦/ ٢٩..).

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٢٤، ط. الحلبي، من حديث سلمان الفارسي.

(٢) أخرجه البيهقي، ٢/ ٤٣٣، ط. دائرة المعارف العثمانيّة.

الجَنّة : ١ . ذُكرت الجنّة في القرآن ٦٦ مرّة؛ وذُكرتْ مرّة واحدة بالاسم الفارسي «فردوس» (٢٣/١١)، ومرّة أخرى بصيغة جمَعت بين لفظتَي «جنّات الفردوس» (١٨/١٠٧)، و١١ مرّة باسم «جنّات عدْن»[1].. ووردت أيضاً في القرآن تحت إسم «جنّة الخلد» (٢٥/١٥)، و«جنّة المأوى» (٥٣/١٥)، و«جنّة النعيم»[2]، أو «جنّات النعيم»[3]، و«دار الخلد» (٤١/٢٨).

٢ . إنّ فكرة محمّد عن الجنّة مادّيّة حسّيّة، تعود إلى العهد الأوّل من الدعوة. مثال ذلك: «مثل الجنّة التي وعد المتّقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفّى. ولهم فيها من كلّ الثمرات، ومغفرة من ربّهم» (٤٧/١٥)[4].. وعلى الجملة فإنّ أوّل ما يقف الباحثُ عنده في جنّة المسلمين تلك المادّيّة المفرطة في الشهوات الحسيّة المتطرفة، من مآكل متنوّعة، وغرف عالية، وملذّات جسديّة صاخبة.

ويسترعي الانتباه، بنوعٍ خاصّ، تلك القرابة بين جَنّة القرآن وفردوس مار افرام السرياني (+٣٧٩م) :

٣ . الجنّةُ، في القرآن العربي، **مرتفعةٌ عن الأرض**. هي في مكانٍ عالٍ: يتّكئ الصدّيقون «في جَنّةٍ عَاليةٍ» (٦٩/٢٢؛ ٨٨/١٠)، ويرى الأبرارُ الهالكين تحتَهم وهم فوقٌ على قِمم الجبال (٧/٤٤–٥٠) * ويحدّد مار أفرام مكان فردوسه في قوله: «إنَّ قِمم الجبال كلَّها تحت شرفة قِمّته...يقبِّل قَدَمَي الفردوس، ويطأ الرؤوسَ كافَّة»[1].

٤ . ومساحة **الجنّة** القرآنية لا تُحدّ: «عَرضُها كعرضِ السَّماء والأرْض»

---

(١) رَ: ٩/٧٢؛ ١٣/٢٣؛ ١٦/٣١؛ ١٨/٣١؛ ١٩/٦١؛ ٢٠/٧٦؛ ٣٥/٣٣؛ ٣٨/٥٠؛ ٤٠/٨؛ ٦١/١٢؛ ٩٨/٨.

(٢) ٢٦/٨٥؛ ٥٦/٨٩؛ ٧٠/٣٨.

(٣) ٥/٦٥؛ ١٠/٩؛ ٢٢/٥٦؛ ٣١/٨؛ ٣٧/٤٣؛ ٥٢/١٧؛ ٥٦/١٢؛ ٦٨/٣٤.

(٤) رَ: ٥٥/٤٦–٥٧ و٧٢؛ ٥٦/١٦–٣٩.

(١) منظومة الفردوس لمار افرام السرياني النشيد الأول، ٤.

(٥٧/ ٢١؛ ٣/ ١٣٣). لها طبقاتٌ ودرجاتٌ بحسب منازل الأبرار ودرجاتهم: «المُؤمنُون حقّاً لهم دَرَجَاتٌ عند ربّهم» (٨/ ٤)؛ وقد تكون هذه الدرجات، إبتداءًا بـ «النبيّين والصدِّيقين والشُّهَداء والصَّالحين» (٤/ ٦٩) * غير أنّ التلمود يحدِّد درجات الجنّة فإذا هي سبع[٢]؛ وعند مار أفرام درجات الفردوس ثلاث. يقول: «أرضُه للتَّائبين، ووسطُه للصدِّيقين، وقِمّتُه للمنتصرين (الشهداء)، وقبّتُه سكنى الله»[٣]؛ وعند القديس بولس ثلاث سماوات أيضاً (رَ: ١ قور ١٢/ ٢).

٥. وفي كلِّ درجة **غُرَفٌ ومنازل** كثيرة لكلِّ أصناف المختارين. يقول القرآن: «الّذينَ اتَّقوا ربَّهم لهُم غُرَفٌ مِن فَوقِها، وغُرَفٌ مبنيَّةٌ تجري مِن تَحتها الأنهار» (٣٩/ ٢٠) * وفي الانجيل، كلامٌ على منازل كثيرة، كما جاء في إنجيل يوحنّا على لسان يسوع: «في بيت أبي منازل كثيرة» (يو ١٤/ ٢).

٦. وللجنّة **أبواب** يدخلها المتّقون المؤمنون: فهي «جنّات مفتّحة لهم الأبواب» (٣٨/ ٥٠). والدّاخلون فيها يُساقون إليها «زمراً. حتّى إذا جَاؤوها فتِّحَتْ أبْوَابُها» (٣٩/ ٧٣). وكذلك «الملائكة يَدخلون عليهم مِن كلِّ باب» (١٣/ ٢٣) * ولأورشليم السماويّة في سفر الرؤيا «سُورٌ شامخٌ له اثنا عشر باباً، عليها أثنا عشر ملاكاً»[٤]. وفي التلمود للفردوس بابان فقط[٥]. أمَّا عهد لاوي فلا يحدِّد العدد[٦]. ومار أفرام يؤكِّد وجودَ باب في قوله: «لأنَّ الباب قد فُتح، فيا طوبى لمن يَقدم»[٧]، وفي قوله أيضاً: «منذ الآن صغْ لكَ، خذ مفتاح الفردوس لأنَّ الباب لمُبادرٌ إليكَ. يتألّقُ ويَضحكُ لكَ البابُ الفهَّامةُ يَقيس الدّاخلين»[٨].

---

(٢) A. Cohen, Le Talmud, Chap. Jardin D'Eden...

(٣) منظومة الفردوس، النشيد الثاني ١١.

(٤) رؤيا ٢١/ ١٢، حز ٤٨/ ٣٠.

(٥) Le Talmud, p. 456-457.

(٦) Test. de Lévi, 18/10.

(٧) منظومة الفردوس ١٣/ ١٣؛ أنظر ١٥/ ٢؛ ٨/ ١١.

(٨) الفردوس ٢/ ١؛ انظر ٣/ ١٣.

٧ . والسعادة القصوى في جنّة القرآن تقوم على **رؤية الله** ومعرفته ورضوانه. ذلك هو الفوز العظيم. يقول القرآن: «لهم جَنَّاتٌ رَضِيَ اللَّهُ عنهُم ورضوا عنه. ذلك الفوزُ العظيم»[٩]. وسعادة الدنيا، بمقابل سعادة الآخرة، ليست سوى بهجة عابرة ومتعة خادعة: «ومَا الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور» (٥٧/٢٠) * وفي المصادر النّصرانيّة، إنَّ كنوز الأرض، حيث يَرعى السوسُ والعثّ، وينقب اللّصوصُ، لا تقابَلُ بكنوزِ السماء، حيث لا يرعى السوس والعثّ، ولا ينقب السارقون (متّى٦/١٩-٢١).

٨ . هذه السعادة تقوم على **الفرح والسّلام**. جنّة القرآن هي «دار السَّلام» (٦/١٢٧؛ ١٠/٢٥)، يدخلها الأبرار بأمان: «أدخلوها بسلامٍ آمِنين» (١٥/٤٦)، حيث «لا خوفٌ عليكُم ولا أنْتم تَحزنون» (٧/٤٩) * وكذلك السماء، كما تقول الرسالة الى العبرانيِّين، هي «دار راحة اللَّه»[١٠]. وفردوس مار أفرام «لا عناء فيه» (١/٥)، «يسكنه الجَمَال لا عيب فيه، والأمان لا قلق» (٥/١٢).

٩ . لا يسمع الأبرارُ في الجنّة القرآنيّة أيَّةَ كلمة باطلة، بل سلاماً وأماناً: «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً، إلاّ قِيلاً: سلاماً سلاماً» (٥٦/٢٥). ويفسّر ابن عبّاس آيةَ «كلّ صغيرٍ وكبيرٍ مستطر» (٥٤/٥٣) بـ «كلّ ضحكة صغيرة أو كبيرة تجرُّ الويل والتعاسة». لهذا، فالضحك والثرثرة، لا وجود لهما في الجنَّة * وكذلك يصف مار أفرام فردوسَه فيقول: «الويل لمن يضيع في الضحك والثرثرة هذا اليوم الصالح للتَّوبة» (٥/٢)، «لأنَّ التعاسة ستكون مجازاة الضاحكين» (٥/٣).

١٠ . لا شمس حارقة ولا برد قارس. في جنّة القرآن : «وجوه يومئذ ناعمة» (٨٨/٨)، «وجوه ناضرة» (٧٥/٢٣)، «مُسْفِرة ضاحكة مستبشرة» (٨٠/٣٨)، «تَعرِفُ في وجوهِهم نضرةَ النَّعيم» (٨٣/٢٤). وسبب ذلك أنَّهم «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً» (٧٦/١٣) * وهو حالُ فردوس مار أفرام، حيث

---

(٩) القرآن ٣/١٥؛ ٩/٢١ و ٧٢؛ و ١٠٠؛ ٥٨/٢٢؛ ٩٨/٨؛ ٥/١١٩.

(١٠) عبرانيين ٣/١١ و ١٨؛ ٤/١ و ٣ و ٥ و ٨ و ١١.

«قوارس البـرد ولواهب الحرّ لا وجود لها في ذلك الموضـع المبـارك الشهيّ» (١١/ ٢). وكذلك جاء في أشـعيا: «لا يقرعهم الحرُّ ولا الشـمسُ» (٤٩/ ١٠)، وفي سفر الرؤيا: «لن تلفحَـهم الشمسُ ولا السُّموم» (٧/١٦)، وفي زكريّـا: إنّ القرّ والجليد من مميّزات الجحيم، حيث لا يكون «في ذلك اليوم نورٌ، بل قَرٌّ وجليد» (١٤/٦).

١١ . إنّ الأبرار في جنّة القرآن يصرخون ليل نهار بحمد اللّه: فـ «دعواهم فيها: سُبحَانَكَ ٱللَّهمَّ. وتحيّتُهم فيها سلام. وآخر دعواهم أنِ الحمدُ للّه ربِّ العالمين» (١٠/ ١٠؛ ٣٥/ ٣٤) * وكذلك أصـحاب الفـردوس « يصيـحون بصـوتٍ جهـير: ألنَّصـرُ لإلهِنا.. ألـحـمـد والمجد والحكـمة والشكـر والإكرام والقـوّة والقـدرة أبدَ الدهور» (رَ: رؤ ٧/ ٩-١٢).

١٢ . يصفُ القرآنُ الجنّة بما فيها من **خيراتٍ وشهواتٍ دنيويّة**، كما يلي: إنّ للأبرار «جنّات تجري من تحتها الأنهار»[11]، و«عيون ماء»[12]. والأنهار أربعة : ألأوّل من ماء، والثاني من لبن، والثالث من خمـر، والرابع من عسل مصفّى. يقول: «فيها أنهارٌ من مـاءٍ غيرِ آسِن. وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيَّرْ طعمُـه، وأنهارٌ من خمرٍ لذّة للشـاربين، وأنهارٌ من عـسلٍ مصـفّى» (٤٧/ ١٥). وهي تعطي أحسن مـا تنتـجه الأرض (١٦/ ٦٥-٦٩) * هذه الأنهار القرآنيّة الأربعة شبيهة بأنهار سفر التكوين الأربعة (تك ٢/ ١٠-١٤)، وبما تنتجه أرض الميعاد للـعبرانيين، حيث يغزر العسل واللّبن والمياه والزيت والحنطة والشعير والكرم والتين والرمّان[13].

---

(١١) ترد أوصاف الجنّة بهذا الشكل حـوالي خمسين مرّة : ٢/ ٢٥؛ ٣/ ١٥؛ ١٣٦ ؛ ١٩٥ ؛ ١٩٨؛ ٤/ ٣ ؛ ٥٧ ؛ ١٢٢ ؛ ٥/ ١٢ ؛ ٨٥؛ ١١٩ ؛ ٧/ ٤٣ ؛ ٩/ ٧٢ ؛ ٨٩ ؛ ١٠٠؛ ١٠/ ٩؛ ١٣/ ٣٥ ؛ ١٤/ ٢٣ ؛ ١٦/ ٣١ ؛ ١٨/ ٣١؛ ٢٠/ ٧٦؛ ٢٢/ ١٤ ؛ ٢٣ ؛ ٢٥/ ١٠ ؛ ٢٩/ ٥٨ ؛ ٤٧/ ١٢ ؛ ٤٨/ ٥ ؛ ١٧ ؛ ٥٧/ ٢٣ ؛ ٥٨/ ٢٢ ؛ ٦١/ ١٢ ؛ ٦٤/ ٩ ؛ ٦٥/ ١١ ؛ ٦٦/ ٨ ؛ ٨٥/ ١١ ٩٨/ ٧.

(١٢) ترد هذه العيون حوالي عشر مرات : ١٥/ ٤٥؛ ٤٤/ ٥٢ ؛ ٥١/ ١٥...

(١٣) تثنيـة ٨/ ٧-١١ ؛ ٦/ ٣ ؛ ١١/ ٩ ؛ خروج ٣/ ٨ ؛ ٢٧؛ ١٣/ ٥... وتخـتلف خيـراتُ الأنهار هذه بحسب المصادر. ففي التلمود: لبن وعطر وعسل وخمر (Le Talmud, p. 420) ؛ وفي رؤيا بولس: الزيت بـدل الماء. وفي إسـراء مـوسى: العطر بدل المـاء. وفي رؤيا يشـوع بن لاوي: الزيت والعطور بدل الماء واللبن. وفي فردوس أفرام (١٠/٦): الخمر واللّبن والعسل والزُّبَد.

١٣ . وتقوم سعادة الجنّة القرآنيّة أيضاً على ما فيها من **مآكل كثيرة، دائمة وشهيّة**: فـ «أكْلُها دائم» (١٣/ ٣٥)، من «فواكه كثيرة» يشتهونها[١٤]. يتخيّرون منها ما يطيب لهم (٥٦/ ٢٠). فيها من كلّ الثمرات (٤٧/ ١٥)، يُدْنِيها اللّهُ من أيدي الأبرار ليسهل عليهم قطافُها وأكلُها: «قُطُوفُهَا دَانِية» (٦٩/ ٢٣)، «ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً» (٧٦/ ١٤)، أي «ينالها القائم والقاعد والمضطجع»[١٥]. وقال ابن عبّاس: «إذا (أحدٌ من الأبرار) همَّ أن يتناول من ثمارها، تدلّتْ له أغصانُها حتّى يتناول منها ما يريد». وأخصّ فواكه الجنّة القرآنيّة: الأعناب (٧٨/ ٣٢)، والنّخل والرمّان (٥٥/ ٦٨)، ولحم الطير (٥٦/ ٢١؛ ٥٢/ ٢٢)؛ والجنّة وليمةٌ مبسوطة أمام الأبرار، حيث الأكل دائم (١٣/ ٣٥). * هكذا حال فردوس مار افرام حيث «الثمار من كلِّ طعم في مطالِ اليد» (٩/ ٤). وهو مائدة مبسوطة ودائمة. يقول: إنّ «الأبرار.. وَجَدوا الفردوسَ مائدةَ الملكوت مبسوطةً أمامهم» (٢/ ٥)، أو هو «وليمة الملكوت طوبى لمن استحقّها»[١٦].

١٤ . مشروب الجنّة القرآنيّة المفضّل هو **الخمرة**. تُشرب في «أكواب» و«كؤوس» و«أباريق» و«صحاف من ذهب» و«آنية من فضّة»[١٧]. يشربها الأبرارُ كأساً من معين بيضاء لذّة للشاربين، لا تغتال عقلاً، ولا تُنتج إثماً، كما هي خمرة الدنيا. يقول: «يُطافُ عليهم بكأسٍ مِن مَعينٍ بيضاءَ لذَّةً للشَّارِبين. لا فيها غَولٌ ولا هُمْ عنها يَنْزِفُون»[١٨]. ويقول أيضاً: «يتنازَعون فيها كأساً لا لَغوٌ فيها ولا تأثيم» (٥٢/ ٢٣). إنّها خمرةٌ طيّبة مِن «رحيق مختوم» (٨٣/ ٢٥)، أي من قدم الدنيا. إنّها شرابٌ طهور (٧٦/ ٢١)، مزاجُه الزنجبيل والكافور (٧٦/ ١٧). إنّها طيّبةٌ حلال، بعدما كانت على الأرض محرّمةً وسببَ كلِّ إثمٍ * وخمرة الفردوس الأفرامي لا

---

(١٤) ٤٣/ ٧٣؛ ٣٨/ ٥١؛ ٧٧/ ٤٢؛ ٥٢/ ٢٢.
(١٥) تفسير الجلالين على ٧٦/ ١٤.
(١٦) منظومة الفردوس٧/ ٢٤؛ انظر: ٧/ ٢٦؛ ٩/ ٧ و٨؛ ١١/ ١٥.
(١٧) سورة ٤٣/ ٧١؛ ٧٦/ ١٥؛ ٧٨/ ٣٤؛ ٧٦/ ١٧...
(١٨) ٣٧/ ٤٥-٤٧؛ ٥٦/ ١٨.

تقلُّ جودة عن خـمرة الجنّة القرآنيـة. ومَن يمتنع عن شربها هنا ينلْهـا هناك بكثرة وسخـاء: «مَن صام عن الخـمر زَاهداً، هَفّتْ إليه دوالي الـفردوس واحدةً فـواحدة تنيله عنقودَها»[١٩]. وهـي كخمرة التلمود التي «احـتفظ بها الله منذ اليوم السادس للخليقة»[٢٠].

١٥ . يستريح الأبرار في جنّة القرآن على «**سرر مرفوعة**» و«مصفوفة» (٨٨/ ١٣؛ ٥٢/ ٢٠)، متـقابلين بعـضهم تجـاه بعض (٣٧/ ٤٤). لكلٍّ منهم غـرفةٌ يَلقَون فيها تحيّةً وسلاماً (٢٥/ ٧٥)، وغرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار (٣٩/ ٢٠). هم فيـها آمنون (٣٤/ ٧٤)، يجلسـون على الأرائك (١٨/ ٣١)، مع أزواجهم (٣٦/ ٥٦). وهم ينظرون منهـا نضرةَ النعـيم (٨٣/ ٢٣). ينبسطون علـى «فرشٍ مـرفوعـة» (٥٦/ ٣٤) بطانتهـا من استـبـرق (٥٥/ ٥٤). يَلبسـون ثياباً نَضِـرةً خـضراء مـن سندسٍ واستـبـرق وحـرير. ويُحلَّون بأسـاور من ذهبٍ ولؤلؤ[٢١]، ويتّكِئون على «رَفْـرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْـقَرِيٍّ حِسَانٍ» (٥٥/ ٧٦)، أي «أوسـدة خضراء وطنافس جميلة»[٢٢].

وهو أيضاً حـال الأبرار في فردوس مـار أفرام. يتنعّـمون بمآكل وألبـسة ولذّات لا حدود لهـا ولا نهاية. وهم، مثـل آدم وحواء «اللّذَين أضاعـا ثيابهمـا، قد استـردّاها جديدةً بيضـاء» (٦/ ٩)، يَـستحقّـون الطوبي والحللَ الزاهية البيـضاء: «طوبى لمن استـحقّ أن يرى حلّتَهم» (٦/ ١٨)، «ذكور وأناث يشتـملون بلباسٍ من نور، يحـجب ألَقُه ملامـحَ السوءة». وكلّ واحد منـهم «التَحَفَ الضـياء» (٦/ ٢٣)، «ولبسَ النور». هؤلاء «يولمون في الأشـجار خـللَ الهواء الطلق. تحـتَهم الأزاهيـر، وفوقَهم الأثـمار. فسماؤهم ثمَـرٌ، وأرضُـهم زَهَرٌ... غمامـةٌ فوقَ الرؤوس مَظَلّةٌ مِن ثَمَـر، وبساطٌ تحـت الأقدام منبـسطٌ من زَهَر» (٩/ ٥). ويوجـز مـار أفرام نعـيم

---

(١٩) منظومة الفردوس ٧/ ١٨.

(٢٠) Cohen, Le Talmud, p. 455; Ber.

(٢١) ١٨/ ٣١؛ ٤٤/ ٥٣؛ ٧٦/ ٢١؛ ٢٢/ ٢٣؛ ٣٥/ ٣٣.

(٢٢) تفسير الجلالين لـ ٥٥/ ٧٦.

الفردوس قائلاً: «أثـمارٌ قدسيّة، حلَلٌ نوريّة، أكـاليلُ مشعّة، مـراقٍ عليّة، مناعم ولا عناء، لذّاتٌ ولا رعب، عرسٌ أبدي، ولا نهاية» (٨/١٤).

١٦ . وما يزيد في بهجة الجنّة الـقرآنية وجمالها الفتّـان وملذّاتها العارمة **حوريّات** (أطلب هذه المادّة) خلقـهنّ اللّهُ خـصـيصـاً للأبرار: «أَنْشَـأْنَاهُنَّ إِنْشَـاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً، عُـرُبًا»، أي متودّدات عاشقاتٍ أزواجَهنّ، «أَتْـرَاباً»، أي مستويات على سـنٍّ واحـدة، ثـلاث وثلاثين سنة، لا يكـبـرن عـن ذلك أبداً (٥٦/ ٣٥-٣٧)، «كَوَاعِب»، أي جـواري تكعّبتْ أثداؤهنّ (٧٨/ ٣٣) * إلى هـذا العمر يشـير كـتاب رؤيا يوحنا المنحول حيث يقـول: «لهنّ من العمر ثلاثون. وكلُّ البشر سـيقوم يومَ القيامة العامّة بهذا العمر»[٢٣].

١٧ . «يَطُوفُ عَلَيـهِمْ (أي على أبرار الجنّة) **وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ** (أي على سنٍّ واحدة، لا يتغيّـرون)، إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (أي تحـسـبهم في حسنهم وكثرتهم وبياض وجوههم كـاللؤلؤ المبدَّد، المنتثر هنا وهناك)» (٧٦/ ١٩). ويقول أيضاً: «وَيَطُوفُ عَلَـيهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَـأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (أي مصـون في الصَّدَف)» (٥٢/ ٢٤)[٢٤].

غير أنّ الخـدمة، في فردوس مار أفرام، لا تُناط بالغلمان، كـما في القرآن، بل بـ «نُسَيـمَاتٍ طَيِّـبَات». يقول: «تهبُّ النُّـسيمـات الطّيّبات، من كلِّ لـون. يحملن الأطبـاق.. والمدعوّون المولمون لا يبـرحون.. حـيث الخدّام يخـدمون لا يتـعبـون.. ألنُّسـيمـاتُ في الفردوس يتنقّلْـنَ أمام الأبرار، تَخفُّ الواحـدة بالطعام، والأخـرى تصبُّ الشـراب. هبـوبُ تلك سمن، ومـهبُّ هذه رَواء: مَن رأى قط نـسمـاتٍ يأتينَ بنفحاتٍ تؤكل، وأخرى بنفحاتٍ تُشـرب. واحدة تنفح بندى، وأخرى بطيب... نفحة ترويه، ونفحة تُشـبعه... نسيم يرفّهك، ونفْح يلذّذك. واحد يسـمّنك، وآخر ينعّمك» (ر: ٩/ ٦ و٧ و٨ و٩ و١١).

---

(٢٣) Apocalypse de S. Jean (apocr.), 10

(٢٤) أنظر كتابنا: «رغبات النّفس والجسد»، رقم ١٣ من السلسلة؛ ص ٢٧٠-٢٧٦.

١٨ . وتُحفظ في الجنّة **الكتب** التي تسجّل فيها أعمال العباد، مع نموذج من القرآن، وهو «كتاب مبين» (١٠/ ٦١)، أو «لوح محفوظ» (٨٥/ ٢٢)، أو «أمّ الكتاب» (١٣/ ٣٩)، وإلى جانبه «القلم» الذي يُكتب به في اللّوح * وكذلك في التقليد النصراني، ثمّة سجلاّت تدوّن فيها أعمال البشر، ويُحاسبون بموجبها يوم الحساب.

١٩ . وفي الجنّة أيضاً نموذج أصلي للكعبة التي تُدعى «**البيت المعمور**» * مثله مثل الهيكل الذي بناه سليمان على شكل هندسة أوحيت إليه.

٢٠ . وكذلك الأشياء التي سوف تُستخدم ليوم الحساب، مثل **الميزان** لوزن أعمال الناس، **ومنازل للأنبياء، والوية، ولواء النبيّ محمّد**، أو بالأحرى أصله السماوي، مرفوع فوق جبل إسمه جبل المجد، ويقوم على جانب هرم الجنّة * وليست الموازين العدل بغائبة عن التقليد النصراني حيث يسهر الملائكة على دقّة الميزان.

الجُنُون : لغةً: من جُنّ الرجل فهو مجنون، أي: زال عقله، أو فسد، أو دخلتْه الجِنّ. وجُنَّ الشيء عليه: ستره. وفي الاصطلاح: إنّه اختلال القوّة التي بها إدراك الكلّيّات. وقيل: إنّه اختلال القوّة المميِّزة بين الأشياء الحسنة والقبيحة، المدركة للعواقب بأن لا تظهر آثارها، وأن تتعطّل أفعالها. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ المجنون غير مكلّف بأداء الصلاة، أو الصوم، أو الحجّ، أو الزّكاة؛ لحديث عائشة مرفوعاً: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتّى يستيقظ، وعن الصبي حتّى يحتلم، وعن المجنون حتّى يعقل»[1].

الجُنَيد (أبو القاسم) (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م) : ولد ببغداد وشبّ بها.. إبن أخت السَّرِي السَّقَطي وتلميذه. اتّصل بالحارث المحاسبي. حجّ إلى مكّة ثلاثين حجّة. وتُوفّي في بغداد. عرف بـ «سيّد الطائفة» و«طاووس الفقراء»، و«شيخ المشايخ». وهو صاحب الطريقة الجُنيديّة المشهورة. صوفي من أعلام التصوّف

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٥٦٠، ط. الدعّاس؛ والحاكم ٢/ ٥٩، ط. دار الكتاب العربي.

السنّيّ. كان كلّ همّه أن يردّ التصوّف إلى العقيدة الإسلاميّة الصحيحة، لأنّ الانحراف في التصوّف يؤدّي إلى الانحراف في العقيدة. ولذا كان يقول: «مذهبنا هذا مقيّد بأصول الكتاب والسنّة»؛ ويقول: «الطرق كلّها مسدودة على الخلق إلاّ على مَن اقتفى أثر الرسول»؛ ويقول: «ما أخذنا التصوّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترْك الدنيا، وقطْع المألوفات والمستحسنات».

من مؤلّفاته: دواء الأرواح؛ رسالة إلى يحيى بن معاذ الرازي؛ رسالة إلى عمر بن عثمان المكّي؛ كتاب الفناء؛ كتاب الميثاق؛ كتاب في الألوهيّة؛ كتاب في الفرْق بين الإخلاص والصدق؛ مسائل في التوحيد؛ أدب المفتقر إلى اللّه؛ وغيرها..

الجِهَاد : ١ . هو قتالُ المسلمين للكفّار بعد دعوتهم إلى نشر الدعوة الإسلاميّة والدفاع عنها، لتكون كلمةُ اللّهِ هي العليا. ولذلك فإنّه غالباً ما ارتبط لفظ «الجهاد» بالقول: «في سبيل اللّه»[٢]. و«الحقّ يُقال، كما ذكر كثير من العلماء المسلمين. إنّ آيات القتال متعدّدة. تكاد تبلغ نصف القرآن المدني»[٣].

٢ . والجهاد، عند المسلمين كافّة، هو **فرْض كِفَاية**؛ إلاّ أنّه، عند الخوارج و«الأصوليّين» والجماعات الإسلاميّة، هو **فرْض عَين**، إذ لا بطلان للجهاد، في رأيهم، إلاّ إذا انحلّ الإسلام انحلالاً. فالقرآن يأمر المسلمين بقتال الكفّار والمارقين والمشركين كافّةً، وأينما وُجدوا.

٣ . والجهاد **مشروعٌ بالكتاب**، لقوله: «كُتبَ عليكُمُ القتَال» (٢/٢١٦)، وقوله: «جاهِدوا بأموالِكمْ وأنفُسِكم في سبيل اللّه» (٩/٤١)، وقوله: «وقَاتِلوا المشرِكين كافّةً» (٩/٣٦)، وقوله: «فَاقْتُلوا المشرِكينَ حيثُ وَجَدتُمُوهُم (في حلّ أو في حَرَم). وخُذُوهُمْ (بالأسْر)، وَاحْصُرُوهُمْ (في القلاع)، وَاقْعُدُوا لهمْ كلَّ مَرْصَدٍ

---

(٢) د. عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلاميّة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦؛ ص ٤٧.

(٣) ظافر القاسمي، الجهاد، ص ١٥؛ محمّد دروزة، الدستور القرآني، ص ٢٢٦؛ وكتاب الجهاد في سبيل اللّه، ص ٨؛ نقله عنه كامل الدقس، كتاب آيات الجهاد في القرآن.

(طريقٍ يسلكونه). فـإنْ تابُوا وأقامُوا الصـلاةَ وآتَوا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَـبيلَهم. إنّ اللّهَ غَفورٌ رحيم» (٩/ ٥).

٤ . و**مشروعٌ بالسنَّة**، لقول النبيّ: «أُمِرتُ أن أقـاتلَ الناسَ حتّى يقولوا: لا إله إلاّ اللّه. فمَن قالهـا فقد عَصم منِّي مـالَه ونفسَه»[٤]؛ وقوله: «الجهـادُ ماضٍ إلى يوم القيامة»[٥].

٥ . يقول الفـقهاء: ينبـغي الجهادُ كلَّ سنـة مرّة على الأقلّ.. ليدعـو الكفّار للإسلام، ويرغّبهم فيه. ثمّ يقـاتلهم إذا أبَوا، لأنّ في تعطيله أكثر من سنة ما يُطمِع العدوَّ في المسلمين.. فإن دعت الحاجةُ إلى تأخـيره لضعف المسلمين، جاز تأخيرُه.. وإذا لم يوجد ما يدعـو إلى تأخيره فإنّه يُستحبّ الإكـثارُ منه، لقول النبيّ: «والذي نفسي بيده لوددتُ أن أُقتَلَ في سبيل اللّه، ثمّ أحيا، ثمّ أُقتل، ثمّ أحيا، ثمّ أقتل»[٦].

٦ . **فضل الجهاد** عظيم لقوله: «فـضّل اللّهُ المجاهِدِينَ بأموالِهم وأنفـسِهم على القاعِدِين أجراً عظيماً»(٤/ ٩٥)[٧]. وقد جاء أنّ النبيّ جعله أفضل الأعمال بعد الإيمان. عن أبي هُريرة: «سـئل رسـول اللّـه: أيّ العـمل أفـضل؟ قـال: إيمان باللّه ورسولـه. وقيل: ثمّ مـاذا؟ قال: الجهـاد في سبـيل اللّه»[٨]. وأفضل مـا يُتطوّع به الجهاد. وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد.

٧ . **القصد من الجهاد** دعوةُ غيرِ المسلمين إلى الإسلام، أو الدخول في ذمّة المسلمين ودفع الجـزية، وجريان أحكام الإســلام عليهم. وبذلك ينـتهي تعـرّضهم للمسلمين، واعـتداؤهم على بلادهم، ووقوفـهم في طريق نشر الدعوة الإسلامـيّة، وينقطع دابرُ الفـساد. قـال: «وقاتِلوهم حـتّى لا تكون فتنةٌ ويكون الدِّينُ لـلّه. فإنِ

---

(٤) أخرجه البخـاري، الفتح ٣/ ٢٦٢،من حديث عمر بن الخطّاب؛ رَ: المبسـوط للسرخسي ١٠/ ٢؛ وروضة الطالبين ١٠/ ٢٠٤؛ وشرح روض الطالب من أسنى المطالب ٤/ ١٧٥.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ١٦، ط. السلفيّة، من حديث أبي هُريرة.

(٧) رَ: سورة العنكبوت ٢٩/ ٦٩؛ سورة التوبة ٩/ ١١١؛ سورة آل عمران ٣/ ١٦٩.

(٨) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٧٧، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/ ٨٨، ط. الحلبي.

انتهضوا فلا عدوان إلاّ على الظالمين» (٢/١٩٣)، وقال: «هو الذي أرسل رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهرَه على الدِّينِ كلِّه ولو كره المشركون» (٩/٣٣).

٨ . مضتْ سنّة رسول اللّه وسيرتُه وسيرةُ الخلفاء من بعده على جهاد الكفّار وتخييرهم بين ثلاثة أمور مرتّبة، وهي: قبول الدخول في الإسلام؛ أو البقاء على دينهم مع أداء الجزية وعقد الذمّة؛ فإنْ لم يقبلوا فالقتال.

٩ . من **شروط الجهاد**: ١- الإسلام: اتّفق الفقهاء على ذلك، لأن الكافر غير مأمون في الجهاد، ولا يأذن له الإمام بالخروج مع جيش المسلمين، لما روت عائشة أنّ رسول اللّه خرج إلى بدْر، فتبعه رجلٌ من المشركين. فقال له: «تؤمن باللّه ورسوله؟. قال: لا. قال: فارجعْ. فلن أستعين بمشرك»[9]؛ ولكن يجوّز بعض الفقهاء الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة. ٢- العقل. ٣- البلوغ. ٤- الذكورة: عن عائشة قالت: «يا رسول اللّه! هل على النساء جهاد؟ فقال: جهادٌ لا قتال فيه: الحجّ والعمرة»[10]. وعلى ذلك فلا يجب عليهنّ الجهاد.

١٠ . اتّفق الفقهاء على أنّه لا يجوز في الجهاد قتلُ النساء، والصبيان، والمجانين، والخنثى المشكل، وقتل الشيوخ.. ولا يُقتل راهبٌ في صومعته، ولا أهل الكنائس الذين لا يخالطون الناس، ولا سائح في الجبال.. ولكن يجوز قتل مَن قاتل من هؤلاء..

١١ . يقول الفقهاء بأنّه لا بأس بحمل رأس المشرك ولو فيه غيظهم وفيه فراغ قلوبنا باندفاع شرّه.. ويجوز حصار الكفّار في البلاد والقلاع، وإرسال الماء عليهم، وقطعه عنهم، ورميهم بنارٍ ومنجنيقٍ وغيرهما، لقوله تعالى: «وخُذُوهُم وَاحْصُرُوهُم» (٩/٥). ويجوز إتلاف ما تدعو الحاجة إلى إتلافه، كقطع شجر الكافرين وزرْعهم، وبخاصّة إذا كان في غيظ الكفّار والإضرار بهم، لقوله تعالى: «ما قَطَعْتم مِن لِينةٍ (نخلة) أو تركتُموها قائمةً على أصولها فبإذن اللّه (خيّركم في

---

(٩) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٥٠، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

(١٠) أخرجه ابن ماجه ٢/٩٦٨، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

ذلك)، وَلِيُـخْـزِيَ (بالإذن في القطع) الفَـاسِـقِينَ» (٥٩/٥).. ولا خـلاف في قـتل الحيوانات، لأنّ قتل بهائمهم يُتوصّل به إلى قتلهم وهزيمتهم.

١٢ . مرّ تشريع الجـهاد في القرآن في **مراحل عدّة**، من الإقناع بالحسنى حتّى القـتال أينما كـان وفي أيّ وقتٍ كان؛ من جـهاد بشروط إلى جـهاد من دون شروط. والمرحلة اللاحـقة كانت «تنسخ»، أي تُلغي المرحلة السـابقة، حتّى استـقرّ الجهادُ أخيراً على وجوبه فرضاً عامّاً ومطلقاً، من أجل إعلاء كلمة الإسلام.

١٣ . في **المرحلة الأولى**، كان الجهاد يعتمد على الإقناع. وكان الرسول قد مكث بضع عـشرة سنة يُنذر بالدّعـوة بغيـر قتال، صـابراً على شدّة أذيّـة قريشٍ واليهودِ له ولأصحابه، لأمرِ اللّه بذلك: «وَاعْرِضْ لَهمْ وَانْتَظِرْ» (٣٢/ ٣٠)، «أعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» (٤/ ٨١)، «إصْبِـرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَـمِيلاً» (٧٣/ ١٠). و«اسْـتَعِـينُوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلاةِ» (٢/ ٤٥ و١٥٣). و«اصْبِـرْ صَبْـراً جَمِيلاً» (٧٠/ ٥).

١٤ . ثمّ في **المرحلة الثانية**، لمّا استقرّ أمرُ محمّد، بعد الهجرة، وكثر أتباعه، وأصرّ المشركون على الكفر والتكذيب، أذِنَ اللّهُ لنبيِّـه وصحابته بالقتال؛ وذلك في شهر صَفَر من السنة الثانية للهجرة؛ ولكن، لَمن قاتلهم واعتدى عليهم وابتدأهم به، بقـوله: «فَـإنْ قَـاتَلُوكُم فَـاقْـتُلُوهُمْ» (٢/ ١٩١)، و«قَـاتِلُـوا فِي سَـبِـيلِ اللَّهِ الذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ. وَلا تَعْتَدُوا» (٢/ ١٩٠)، «فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيكُمْ» (٢/ ١٩٤). ولم يوجب اللّهُ القـتالَ لمحـمّد ولأتباعـه إلاّ بسبب ظلمٍ لحـقهم: «أَذِنَ لِلّذينَ يُقَاتِلُونَ (المؤمنين) أنْ يُقَاتِلُوا بأَنَّهُمْ ظُلِمُوا (أي بسبب أنّهم ظُلموا). وَإنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (٢٢/ ٣٩).

١٥ . وفي **المرحلة الثـالثـة**، لمّا رأى أصحـابُ النبيِّ أنّهم لا يُمـسُـون ولا يُصبِـحون إلاّ في السـلاح، وأنّهم بحال «خوف» مـستمـرٍّ، على ما جـاء في قوله: «وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَـضَى لَهُمْ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَـوفِهِمْ أَمْناً» (٢٤/ ٥٥). بعد ذلك، أذِنَ لهم بالقـتال حتّى لمن لم يقـاتِل، ولكن في غير الأشهـر الحرم، بدليل قـوله: «فَإِذَا انْسَلَخَ الأشْـهُرُ الحُـرُمُ فَاقْـتُلُوا المُشْرِكِينَ» (٩/ ٥)، وخـارج المسجـد

الحرام: «وَلا تُـقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْـجِدِ الحَـرَامِ حَتَّى يُقَـاتِلُوكُمْ فِيـهِ» (٢/ ١٩١)، بل وخارج أيِّ مسجـدٍ كان : «وَلا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُـونَ فِي المَسَاجِدِ» (٢/ ١٨٧). أمّا في غير هذه الشروط فالقتال واجب حتّى يعلنَ الكفّارُ والمشركون إيمانَهم.

١٦ . ثمّ بعد ذلك، **وفي المرحلة الرابعة** والأخـيرة، أُمـر محـمّـد بالقتـال وجوباً، وذلك بعـد فتْح مكّة في السنة الثـامنة للهجـرة، من غير تـقييـد بشرط، لا بزمانٍ ولا بمكان. أكان ذلك في الأشهر الحـرم أم في غيرها، في المسجد الحرام أم خـارجه، أكـان المشـركـون هم المبتـدئون بالقـتـال أم لا. قال: «وَاقْـتُلُوهُمْ حَـيثُ ثَقَفْتُمُـوهُمْ. وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيثُ أَخْرَجُوكُمْ. وَالفِتْـنَةُ (أي الكفر والشرك) أَشَدُّ مِنَ القَـتْلِ» (٢/ ١٩٢ و٢١٨؛ ٨/ ٣٩). وقـــال أيضـاً: «فَـخُـذُوهُمْ وَاقْـتُلُـوهُمْ حَـيثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ. وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًا وَلا نَصِيرًا» (٤/ ٨٩)[١١].

وقال أيضاً: «قَـاتِلُوا الّذينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّهِ ولا بِاليَومِ الآخِرِ، ولا يُـحَرِّمُونَ مـا حَرَّمَ اللّهُ ورَسُولُه، ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الّذينَ أُوتُوا الـكِتَابَ حـتّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِـرُونَ» (٩/ ٢٩). لقد كانتْ هذه الآية آخر مـا قرّره القرآن بالنسبة إلى المسيحـيّين واليهود، كما «كانت مستند الّذين يُحَبِّذونَ اسـتعمالَ القوّة لحلِّ مشكلِ تواجد النّصارى (أي المسيحيّين)، خاصّة في البلاد الإسلاميّة»[١٢].

١٧ . هذا وقد **نسختِ** المرحلةُ الأخيرة من الجهاد المراحلَ السابقة جميعها.

وكان رسول اللّه أوّل مَن يضرب. وقد قاتل بنفسه قتالاً شديداً.

ومَن يتولَّ عن الجـهاد، يرتكب كبـيرةً، ويُحسبُ في عـداد الكافرين. وعلى المسلمين قتلُه: «وَمَنْ يَتَرَدَّدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ» (٢/ ٢١٧).

والذين يقعدون عن القتال منافقـون: «وَلْيَعْلَمِ الّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوا

---

(١١) رَ: ٤/ ٩١؛ ٤٧/ ٤؛ ٩/ ١٢–١٤؛ ٩/ ٣٦؛ ٩/ ١٢٣؛ ٢/ ١٩١ و٢١٦ و٢٤٤؛ ٤/ ٧٦ و٧٧ و٨٤ و٨٩ و٩١؛ ٨/ ١٢–١٧ و٣٩ و٦٥؛ ٩/ ١٢٣؛ ٣٣/ ٢٦–٢٧؛ ٤٧/ ٤ و٣٥؛ ٦١/ ٤؛ ٦٦/ ٦..

(١٢) عبد المجيد الشرفي، **الفكر الإسلامي**...، ص ١٢١.

قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أو دَافِعُوا، قَالُوا: لَو نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ. هُمْ لِلْكُفْرِ يَومَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ» (٣٠/١٦٧-١٦٩).

والذين يدفعون غيرَهم إلى القتال وهم عنه متخلِّفون، مصيرهم النّار والهلاك: «الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا (عن القتال)، لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا. قُلْ: فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (٣٠/ ١٧٠).

المسلمون جميعاً مدعوّون إلى القتال، صغاراً وكباراً، أقوياء وضعفاء، أغنياء وفقراء. وعليهم أن يستنفروا بعضهم بعضاً للزحف والقتال: «إِنْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً. وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» (٩/ ٤١). ولا يُعفى إلاّ مَن كان به عرج، أو عمى، أو مرض: «لَيسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ، وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ، وَلا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ... وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً (٤٨/ ١٧).

١٨ . وليس **النساء** في الجهاد بغير فائدة. باستطاعتهنّ الاهتمام بالجرحى، وتشجيع المقاتلين، وترهيب الأعداء، ولمّ النصال الصالحة للاستعمال، وتوفير الرّاحة والمتعة للمجاهدين.

١٩ . ليس على المسلم أن يخافَ كثرة الأعداء، أو أن يتراجع عن القتال، أو أن يتولّى عن الزحف، لأنّ الاتّكال لا يكون على قدرته الذاتيّة، بل على اللّه.

وإذا ما تولّى أحدٌ عن القتال فلخدعةٍ في الهجوم، أو لانحيازه إلى فئة مقاتلة أخرى، لا لهربٍ أو إدبار : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً، فَلا تُوَلُّوهُمُ الإِدْبَارَ. وَمَن يُوَلِّهِمْ يومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ. وَبِئْسَ المَصِيرِ» (٨/ ١٥).

٢٠ . والقتال واجب لانتشار الإسلام وتثبيته. إنّه قتال ضدّ المشركين والكفّار واليهود والمسيحيّين إلى أن يتوبوا ويؤمنوا بالإسلام ديناً ويُقيموا الصلاة ويأتوا الزّكاة: «فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيثُ وَجَدْتُمُوهُمْ. وَخُذُوهُمْ. وَاحْصُرُوهُمْ. وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ» (٩/ ٥)، وإنْ طلبوا الأمان فيجب تأمينهم وإبلاغهم إليه شرط أن يسمعوا كلامَ

اللّه؛ وإلاّ يجب قتالهم مجدَّداً: «إنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللّهِ. ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» (٩/٦).

٢١. وجاء في **الحديث النبويّ** من حثٍّ على القتال ودعـوة إلى الجهاد في سبيل اللّه أحاديث كثيرة: قال الرسول: "إنّ سياحة أمّتي الجهاد في سبيل اللّه"[١٣]؛ وقال: "ورهبانيّة هذه الأمّة الجهاد"[١٤]؛ وقال: "ألحجّ جهاد كلّ ضعيف"[١٥]؛ أمّا الجهاد فهو حجّ المؤمنين المناضلين؛ وقال: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد"[١٦]؛ وقال: "إنّ الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد"[١٧]؛ وقال: "والجهادُ ماضٍ منذ بعثني اللّه"[١٨]؛ وقال: "جاهدوا مع كلِّ أمير"[١٩]؛ وقال: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة"[٢٠]؛ وقال: "تكفَّلَ اللّهُ بمَن جاهدَ في سبيله.. بأنْ يُدخلَه الجنّ؛ أو أيضاً: .. ويرجعه سالماً مع أجرٍ أو غنيمة"[٢١]؛ وقال: "إنّ المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه"[٢٢]؛ وقال: "ألجهاد أفضل

---

(١٣) سنن ابن داود، باب الجهاد، ٦.

(١٤) مسند ابن حنبل، ٣/٢٦٦.

(١٥) سنن ابن ماجه، باب المناسك، ٢٨؛ سنن النسائي، باب الحج، ٤؛ مسند ابن حنبل، ٢/٤٢١؛ ٦/٢٩٤ و٣٠٣ و٣١٤.

(١٦) سنن الترمذي، باب الإيمان، ٨؛ باب فضائل الجهاد، ٢٢؛ سنن ابن ماجة، ١٢؛ مسند ابن حنبل، ٥/٢٣١ و٢٤٦ و٢٨٤ و٣٨٥ و٢٨٧.

(١٧) مسند ابن حنبل، ٤/٦٢؛ ٥/٣٧٥.

(١٨) سنن ابن داود، باب الجهاد، ٣٣.

(١٩) سنن ابن ماجة، باب الجنائز، ٣١؛ سنن ابن داود، باب الجهاد، ٢٣.

(٢٠) صحيح البخاري، باب الجهاد، ١/٢٧؛ مسند ابن حنبل، ١/٢٢٦ و٣١٦ و٣٥٥؛ ٣/٢٢ و٤٠١؛ ٥/١٨٧؛ ٦/٤٦٦؛ باب الإيمان، ٤١؛ باب الصيد، ١٠؛ باب المغازي، ٥٣؛ صحيح مسلم، باب الإمارة، ٨٥ و٨٦؛ سنن ابن داود، باب الجهاد، ١٢؛ سنن الترمذي، باب السِّيَر، ٣٢؛ سنن النسائي، باب البَيعة، ١٥؛ سنن الدارمي، السِّيَر، ٦٨.

(٢١) صحيح البخاري، باب التوحيد، ٢٨ و٣٠؛ باب الجهاد، ٢؛ باب الخمس، ٨؛ صحيح مسلم، باب الإمارة، ١٠٤؛ سنن النسائي، باب الجهاد، ١٤؛ سنن ابن ماجه، باب الجهاد، ١؛ الموطّأ لابن مالك، باب الجهاد، ٢.

(٢٢) مسند ابن حنبل، ٣/٤٥٦ و٤٦٠؛ ٦/٣٨٧.

العمل "[٢٣]؛ وقال: "دُلَّني على عملٍ يَعدِل الجهاد. قال: لا أجده "[٢٤]؛ وقال: "إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها اللّهُ للمجاهدين "[٢٥]. سُئل النّبيّ: "أيّ النّاس أفضل؟ فقال رسول اللّه: مؤمن مجاهد "[٢٦]؛ وقال: "لقد جعل اللّهُ الجهاد مقياساً لصدق إيمان المسلم "[٢٧]؛ وقال: "ولرباط يوم في سبيل اللّه صابراً، محتسباً، من وراء عورة المسلمين في شهر رمضان، أفضل عند اللّه من عبادة ألف سنة صيام نهارها وقيام ليلها"؛ وقال: "مَن قُتل مجاهداً ومات مرابطاً فحرام على الأرض أن تأكل لحمه وتشرب دمه".

٢٢ . **الجهاد في السيرة** : إنّ حياةَ النبيّ محمّد وصحابته، جهادٌ متواصل، وغزواتٌ مستمرّة، وحروب على الوثنيّين والمشركين والمنافقين والمارقين والكافرين واليهود والمسيحيّين. ويتذكّر المسلمون أنّ النبيّ قام، هو وأصحابه، بـ ٢٧ غزوة، وبعث ٤٠ سريّة، و٢٤ بعثة عسكريّة :

أمّا غزواته الـ ٢٧ فهي : ١. الأبواء ٢. بواط ٣. العشيرة ٤. بدر الأولى ٥. بدر الكبرى ٦. قرقرة الكدر ٧. بني قينقاع ٨. السويق ٩. غطفان ١٠. بحران ١١. أحد ١٢. حمراء الأسد ١٣. بني النضير ١٤. ذات الرقاع ١٥. بدر الصغرى ١٦. دومة الجندل ١٧. المريسيع ١٨. ألخندق ١٩. بني قريظة ٢٠. بني لحيان ٢١. الغابة (ذو قرد) ٢٢. الحديبة ٢٣. خيبر ٢٤. فتح مكّة ٢٥. حنين ٢٦. ألطائف ٢٧. تبّوك.

---

(٢٣) بخاري، جهاد، ١؛ إمارة ١١٠؛ حجّ ٤؛ صيد ٢٦؛ ترمذي، فضائل الجهاد ١: ٢؛ نسائي، جهاد ١٧؛ حجّ ٤؛ حنبل ٢/ ٣٤٤ و٤٢٤ و٤٣٨ و٤٥٩ و٤٦٥.

(٢٤) بخاري، جهاد ١؛ مسلم، إمارة ١١٠؛ ترمذي، فضائل الجهاد ١: ٢؛ نسائي، جهاد ١٧؛ حنبل ٢/ ٣٤٤ و٤٢٤ و٤٣٨ و٤٥٩ و٤٦٥.

(٢٥) ألبخاري، ألجهاد ٤؛ ألنسائي، ألجهاد ١٨؛ حنبل ٢/ ٣٣٥ و٣٣٩.

(٢٦) ألبخاري، ألجهاد ٢.

(٢٧) أنظر سورة الحُجُرات ٤٩/ ١٥: «إنّما المؤمنون الذينَ آمنوا باللّهِ ورسولِه، ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيل اللّه، أولئك همُ الصادقون».

و سراياه الـ ٤٠ فهي : ١. عبـيدة بن الحـارث إلى بطن رابغ. ٢. عمـر بن عدي لقتل العصماء اليهوديّة. ٣. سالم بن عمير لقتل أبي عفك. ٤. محمّد بن مسلمة لقتل كعب الأشرف. ٥. زيد بن حارثة إلى قردة. ٦. أبي سلمة إلى قطن. ٧. عبدالله بن أنَس لقتل سـفيان بن خـالد. ٨. المنذر بن عمـرو إلى بئر معـونة. ٩. عاصم بن ثابت إلى الرجيع. ١٠. محمّد بن مسلمـة إلى القرطا. ١١. عكاشة إلى غمر مرزوق. ١٢. محمّد بن مسلمـة إلى ذي القصّة. ١٣. زيد بن حارثة إلى بني سليم. ١٤. زيد بن حـارثة إلى العـيص. ١٥. زيد بن حـارثة إلـى الطرف. ١٦. زيد بن حـارثة إلى حسـمى. ١٧. كرز إلى العـرينين. ١٨. زيد بن حـارثة إلى وادي القرى. ١٩. عـبد الرحـمن بن عوف إلى دومـة الجندل. ٢٠. عبـدالله بن عـتيك لقـتل أبي رافع. ٢١. عبدالله بن رواحة إلى أسيـر بن رزام اليهودي. ٢٢. زيد بن حارثة إلى مدين. ٢٣. أبان بن سعيد قبل نجد. ٢٤. عمر بن الخطاب إلى تربة. ٢٥. بشر بن سعد إلى بني مرّة. ٢٦. بشر بن سعد إلى يمن وجبار. ٢٧. إبن عمر إلى قبل نجد. ٢٨. شجاع بن وهب إلى بني عامر. ٢٩. كعب بن عمـير إلى ذات أطلاح. ٣٠. مؤتة. ٣١. عمرو بن العـاص إلى ذات السلاسـل. ٣٢. أبي عبـيـدة إلى سيف البحـر. ٣٣. أبي قتـادة الأنصاري إلى خضـرة. ٣٤. أبي قتادة إلى بطن إضم. ٣٥. عبـدالله بن أبي حدرج إلى الغـابة. ٣٦. خـالد بن الوليـد إلى العـترس. ٣٧. أبـي موسى الأشـعـري إلى أوطاس. ٣٨. ألطفيل بن عامر إلى ذي الكفين. ٣٩. خـالد بن الوليد إلى أكيدر. ٤٠. أسامة بن زيد إلى أهنى أُبنَى.

وبعوثه العسكريّة الـ ٢٤ فهي: ١. حمزه بن عبـد المطلب إلى سيف البحر. ٢. سعد بن أبي وقّاص إلى الخرار. ٣. عـبدالله بن جحش إلى بطن نخلة. ٤. عمرو بن أميّة إلى أبي سـفيان بن حرب. ٥. علي بن أبي طالب إلى بـني سعد. ٦. زيد إلى أم قرفـة. ٧. غالب الليثي إلى الميـفعة. ٨. غالب بن عـبدالله إلى فدك. ٩. عـمرو بن العاص إلى سواع. ١٠. سعد بن زيد إلى مناة. ١١. خالد بن الوليد إلى بني جذيمة. ١٢. عمرو بن العـاص إلى حيفر وعـبد. ١٣. العلاء الحضرمي إلى مـلك البحرين. ١٤. عيـينه بن حصـن إلى بني تميم. ١٥. الوليد بن عـقبـة إلى بني المصطلق. ١٦.

قطبة بن عامر خثعم. ١٧. الضحّاك بن سفيان الكلامي إلى بني كلاب. ١٨. علقمة بن مجزّز إلى الحبشة. ١٩. علي بن أبي طالب إلى الفلس. ٢٠. أبي موسى الأشعري إلى اليمن. ٢١. خالد بن الوليد إلى عبد المدان. ٢٢. علي بن أبي طالب إلى اليمن. ٢٣. جرير بن عبدالله إلى ذي الكلاع. ٢٤. أبي عبيدة بن الجرّاح إلى أهل نجران.

٢٣ . ولهذا السبب اعتبر الخوارجُ **الجهادَ فرضاً واجباً** يتحتّم على كلّ مسلمٍ أن يؤدّيه؛ لأنّ النبيَّ قضى حياتَه كلّها تقريباً في الجهاد، جهادٍ في التبشير والتبليغ والإنذار في سبيل الدعوة في مكّة؛ وجهادٍ في القتال والغزوات والحروب في المدينة في سبيل اللّه ونشر الإسلام حتّى لا يبقى في الأرض إلاّ الإسلام.

والجهاد، عند المسلمين، هو، في النتيجة، «أفضل من تطوّع الحجّ والعمرة، وأفضل من تطوّع الصلاة والصيام... فيه ينتظم كلّ لون من ألوان العبادات... فيه من عبادات الباطن: الزهد في الدنيا، ومفارقة الوطن، وهجرة الرّغبات، حتّى سمّاه الإسلام: "الرهبنة"، في حديث: "رهبانيّة أمّتي الجهاد"... وفيه من عبادات الظاهر: التضحية بالنفس والمال وبيعهما للّه. وهو ثمرة من ثمار الحب والإيمان واليقين والتوكّل، في قوله: «إنّ اللّهَ اشترَى من المؤمنينَ أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنّةَ يقاتلونَ في سبيلِ اللّه فيَقتلون ويُقتلون» (٩/ ١١١)»[٢٨].

٢٤ . وجوب الجهاد في الفقه : إذا كان هدف الإسلام هداية البشريّة لاعتناق دين اللّه، ودينُ اللّه هو الإسلام، فلا بدّ إذاً «للدولة الإسلاميّة من التوسّع والسّعي باستمرار إلى ضمّ شعوبٍ أخرى. ومنذ البدء كان الشاغل الأوّل الذي استأثر باهتمام الفقهاء هو قانون الحرب، أي الجهاد»[٢٩].

لهذا السبب تأبى العقيدة الإسلاميّة «قبول تعايش الطوائف غير الإسلاميّة معها إلاّ ككيانات ثانويّة، وذلك لأنّها بطبيعتها، كدولة عالميّة، لا تتحمّل وجود دولة

---

(٢٨) السيّد سابق، فقه السنّة، ٢/ ٦٢٨.

(٢٩) خدوري، القانون الدولي، ص ١٤.

أخرى غيرها. وكان خلفاء الرسول الأوائل، بعد أنْ أصبحت الكلمة العليا للإسلام في الجزيرة العربيّة، قد عقدوا العزم على المضيّ في فتوحات لا نهاية لها باسم الإسلام، فأقبلوا على الجهاد كوسيلة لنشر راية الدين في العالم»[٣٠].

وإذا كان «هدف الإسلام الأقصى هو شمول العالم، فإنّ دار الإسلام كانت من النّاحية النّظريّة في حرب على الدّوام مع دار الحرب... وعلى المسلمين أن يظلّوا مجاهدين حتّى نهاية العالم، و«حتّى ذلك الحين فإنّ الجهاد سيبقى، بشكلٍ أو بآخَر، فرضاً قائماً ملزِماً للأمّة الإسلاميّة بأسرها. وهذا يعني أنّ بقاء دار الحرب تحرّمه الشريعة الإسلاميّة، وأنّ دار الإسلام ملزمة بالجهاد على الدوام، حتّى تزول دار الحرب من الوجود...

٢٥ . ولكن يمكننا «القول إنّ **الجهاد هو مبدأ لحالة دائمة من الحرب**، وليس لقتال دائم»:

يقول **الخوارج**: إنّ النّبيّ قضى حياته كلّها تقريباً في الحرب. وينبغي على المؤمنين الصادقين أن يحذوا حذوَه. الجهاد فرضٌ واجب يتحتّم على كلّ مؤمن أن يؤدِّيَه، وإلاّ يكون ارتكب معصيةً. الخوارج لا يتورّعون عن قتل النساء والأطفال وإعدام الأسرى.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيميّة** تحت عنوان جهاد الكفّار–القتال الفاصل: «هذا هو جهاد الكفّار، أعداء اللّه ورسوله. فكلّ مَن بلغتْه دعوة رسول اللّه (ص) إلى دين اللّه الذي بعثه به فلم يستجبْ له، فإنّه يجب قتاله "حتّى لا تَكونَ فِتنةٌ. ويكونَ الدِّينُ كلُّه للّه "»[٣١].

ويقول عبد الرحمن **عزّام** «ممّا يشرّف الدّعوة المحمّديّة أنّها أباحت القتال، بل جعلتْه من الفضائل لردّ المظالم ودفع العدوان عن الضعيف»[٣٢].

---

(٣٠) خدوري، السلم والحرب، ص ٧٥.

(٣١) إبن تيميّة، السياسة الشرعيّة، ص ١١٧.

(٣٢) عبد الرحمن عزام، الرسالة الخالدة، ص ٧٩ وما بعدها.

ويقول محمّد عزّة دروزة: «من المؤسف أنّ المسلمين، في دور انحطاطهم المديد، أهملوا هذا الرّكن الإسلامي مع شدّة حاجتهم إليه فيه»[٣٣].

ويقول خدوري: «إنّ الإسلامَ والشرك بالله لا يمكن أن يتعايشا في هذا العالم، حسب العقيدة الإسلاميّة، وإذن فواجب الإمام، بل واجب كلّ مؤمن، أن لا يقتصر على جعل كلمة الله هي العليا وحسب، بل جعل الكفرة يعترفون بالله ولا ينكرون نعمه: «فاقْتلوا المشركينَ حيثُ وَجدتمُوهم»؛ «أمرتُ بقتال المشركين حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله». ومآل هذه الدنيا في النّهاية للمؤمنين، أي إنّ فكرة حلول الإسلام في النّهاية محلّ الديانات الأخرى لم ترد في القرآن، ولكنّها تستخلص من غاية الجهاد، وقد عبّر عنها في الحديث الشريف»[٣٤]، كما رأينا سابقاً.

ويقول القاسمي: «المجاهدون هم مادّة الإسلام، وهم روح الأمّة، ولحمها ودمها وعظمها، وكل حجيرة فيها. ولولاهم لما قامت للإسلام وللمسلمين قائمة، ولمَا سمع للناس في مشارق الأرض ومغاربها رسالةَ الله إلى خاتم أنبيائه، ولا دَروا بها. والمجاهدون هم أعزّ طبقة في الأمّة، وأعلاها، وأرقاها، وأقربها إلى الله.. إنّ صورة البطولة بأشكالها المختلفة، وإنّ صور التضحية المثلى، تتجلّى في الجهاد»[٣٥].

وأخيراً، «صحيح أنّ المؤمن الذي يحافظ على الأركان الخمسة يوعَد بالجنّة، غير أنّ أيّاً من هذه الأركان لا يضمن له الجنّة كما يضمنها اشتراكه في الجهاد»[٣٦].

٢٦ . **أنواع الجهاد** : ثمّة أنواع كثيرة للجهاد، إنّما خيرها، كما جاء في أقوال الرسول هو الجهاد بالسيف. قال : «واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال

---

(٣٣) دروزة، الجهاد في سبيل الله، ص ٩.

(٣٤) خدوري، الحرب والسلم، ص ٨٩.

(٣٥) القاسمي، الجهاد، ص ٣٣٩.

(٣٦) خدوري، المرجع نفسه، ص ٨٩.

السيوف»[٣٧]؛ و«كفى بالسيف شاهداً»[٣٨]؛ و«لكلّ شيء خطأ إلاّ السيف»[٣٩]؛ و«واجتمِعوا في السيف»[٤٠]؛ «إنّ السيف محّاء للخطايا»[٤١].

فإذا كانت الجنّة لا تُنال إلاّ بالسيف، فالإسلام أيضاً، على هذه الأرض، لا ينتشر إلاّ بالسيف. والعقيدة الإسلاميّة لا تُصان إلاّ بالسيف، والدولة في الإسلام لا تقوم إلاّ على حدّ السيف... ولهذا قيل: إنّ اللّهَ وهبَ الإسلامَ **أربعةَ سيوف** : **الأوّل** ضد المشركين، وقد قاتل به محمّدٌ نفسُه؛ **الثاني** ضد المرتدِّين، وقد قاتل به الخليفة أبو بكر؛ **الثالث** ضد أهل الكتاب، وقد قاتل به الخليفة عمر؛ **الرابع** ضد أصحاب الفتن وقد قاتل به الخليفة علي[٤٢].

أمّا **الماوردي** فتكلّم على ستّة أنواع من الجهاد ضد ستّة أنواع من أعداء الإسلام:

١ - جهاد ضد الكفّار والمشركين؛ وقد نُفِّذ هذا المبدأ بحذافيره في الحجاز.

٢ - جهاد ضد المسلمين المرتدّين؛ قال رسول اللّه: «مَن بدَّلَ دينَه فاقتلوه»[٤٣]؛

٣ - جهاد ضد الباغين ومثيري الفتن والشقاق؛ إذا ما أقرّوا يجب قتالهم؛

صحيح البخاري، باب الجهاد ٢، ١٥٦؛ صحيح مسلم، باب الجهاد ٢٠، باب الإمارة ١٤٦؛ سنن ابن داود، باب الجهاد، ٨٩، ٦٥؛ سنن الترمذي، باب فضائل الجهاد، ٢٣، ٢٢؛ مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٣٥٤ و٣٩٦ و٤١٠.

(٣٨) سنن ابن ماجه، باب الجدود، ٣٤.

(٣٩) مسند ابن حنبل، ٤/ ٢٧٢ و٢٧٥.

(٤٠) سنن الدارمي، مقدّمة ١٦.

(٤١) حديث عن ابن المبارك، ص ٣١ عدد ٧؛ كتاب الجهاد لابن المبارك (+١٨١ هـ)؛ وهو أوّل مؤلّف صنّف في بابه.

(٤٢) الشيباني، كتاب السير الكبير، ١/ ١٤-١٥ عن خدوري، ص ١٠٥.

(٤٣) البخاري بشرح العيني ٢٤/ ٧٩؛ السيوطي، الجامع الصغير، ٢/ رقم ٨٥٥٩؛ البخاري، جهاد، ١٤٩؛ إعتصام ٢٨؛ استتابة ٣؛ داود، حدود ١؛ ترمذي، حدود ١؛ النسائي، تحريم ١٤؛ ماجه، حدود ٢؛ حنبل ١/ ٢ و٧ و٢٨٢ و٢٨٣ و٣٢٣؛ ٥/ ٢٣١.

٤ – جهاد ضد المحاربين دعاة الانفصال؛ أو ضد الخارجين عن الجماعة؛ وقطّاع الطرق. عقابهم كما ورد في آية قرآنيّة: «إِنَّمَا جزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ ورَسُولَه وَيَسعَونَ فِي الأرْضِ فَسَاداً، أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبوا أو تُقطَّعَ أيْدِيهُمْ وَأرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ، أو يُنْفَوا مِنَ الأرْضِ. ذلكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم» (٥ / ٣٤)؛

٥ – جهاد ضد أهل الكتاب أو الذِّمِّيين؛ هؤلاء، شأنهم شأن المشركين، يستحقّون العقاب. ولكن، بما أنّهم يؤمنون بالله فإنّ عقابَهم ينبغي أن يكون جزئيًا. لذلك، إذا كان أمام المشركين واحدة من اثنتين: إمّا الإسلام، أو الجهاد ضدّهم؛ فإنّ أمام أهل الكتاب واحدة من ثلاثة: إمّا الإسلام، أو الجزية، أو الجهاد. ولا يجوز لأهل الكتاب أن يسكنوا في الحجاز، وخاصّة في مكّة والمدينة.

٦ – جهاد الرباط لحماية الحدود. إذا كان الجهاد هو محاربة الكفرة، فإنّ الرباط هو لحماية المؤمنين. وفي الأندلس، أصبح الرباط أكثر أهمّيّة من الجهاد، ذلك لأنّ حدودَهم كانت على الدوام عرضة لهجوم القوّات المسيحيّة. جاء في الحديث: «إنّ الرباط من الجهاد، وإنّ قضاء ليلة في الرباط خير من عبادة ألف ليلة». وفي القرآن: «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيلِ، تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ» (٨ / ٦١).

٢٧ . **دار الإسلام ودار الحرب** : قسم الفقهاء والكتّاب المسلمون العالمَ إلى إقليمَين كبيرين: إقليم أصلي، هو دار الإسلام، أو السلام؛ وإقليم استثنائي هو دارالحرب. أمّا **دار الهدنة** فتكون حيث يكون المسلمون قلّة وضعفاء؛ أمّا إذا أصبحوا كثراً وأقوياء فعليهم أن ينقضوا الهدنة لتصبح دارَ سلام. وفي كلّ حال يجب ألاّ تطول الهدنة إلى أكثر من عشرة أعوام.

١ – دار الإسلام : هو إقليم السلام الذي يشمل جميع البلاد التي تدين بالخضوع لسيادة الدولة أو الدول الإسلاميّة، والتي تجري عليها أحكام الشرع الإسلامي. وتقسم دار الإسلام إلى ثلاثة أقسام: الحرَم، أو الأراضي المقدّسة؛ والحجاز؛ وسائر الأراضي الإسلاميّة...

(١) الأراضي الحَرَم : تشمل المدينتَين المقدَّستَين، أو الحرَمَين الشريفَين: مكّة المكرّمة قبلة المسلمين ومحجّتهم؛ والمدينة المنوّرة دار الهجرة النبويّة.

حرمة مكّة ثبّتها القرآن في أكثر من آية صريحة ذكرت بركة البيت الحرام مقام إبراهيم، ونوّهت بهداه وأمنه[٤٤]. وكذلك تأيّدت حرمة مكّة بالحديث: «إنّها لم تحلّ لأحدٍ قبلي ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي، ولم تحلّ في ساعة من نهار. ثمّ هي حرام إلى يوم القيامة»[٤٥].

أمّا المدينة فحرمتها ثابتة بالسنّة النبويّة، إذ جاء عنها في الحديث: «المدينة حرَمٌ آمِن»، «أمن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه، وإنّي حرمت المدينة ما بين لابتيها: لا يقلع عضاها، ولا يُصاد صيدها»[٤٦].

هذه الأماكن تخضع لأحكام دينيّة واجتماعيّة خاصّة. فعليه، لا يسمح لغير المسلمين بالإقامة فيها، ولا بالمرور بها. وكذلك يُحرّم فيها كلّ أنواع القتال، حتى قتل الأعداء ما لم يكن دخولهم إليها بقصد قتال المسلمين (رَ: ٢/ ١٩١). ويُحرّم فيها الصيد، وذبح الحيوانات غير الأنيسة، وقطع الشجر الذي أنبته الله.

ويؤيّد الحديث هذه الأحكام. فجاء فيه بشأن مكّة المكرّمة: «إنّ مكّة حرّمها اللهُ ولم يحرّمْها النّاس. فلا يحلّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخِر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة»[٤٧]. وجاء بشأن المدينة المنوّرة: «لا يحلّ بها سيف لقتال، ولا يقطع بها شجر إلاّ لعلف بعير»[٤٨].

وعلاوة على حرمة مكّة والمدينة، فإنّ لمدينة القدس حرمة خاصّة، ففيها المسجد الأقصى المبارك، أولَى القبلتَين وثالث الحرَمَين. وفيها مكان إسراء النّبيّ

---

(٤٤) سورة آل عمران ٣/ ٩٦-٩٧؛ سورة البقرة ٢/ ١٢٥-١٢٦؛ سورة القصص ٢٨/ ٥٧؛ سورة إبراهيم ١٤/ ٣٥؛ س، العنكبوت ٢٩/ ٦٧.

(٤٥) الشيباني، كتاب السير الكبير، ١/ ٣٦٦.

(٤٦) اللأبة: أرض ذات حجارة سوداء؛ العضاه: شجر عظيم ذو شوك.

(٤٧) البخاري، ٥/ ١٣٩.

(٤٨) عن الماوردي، الأحكام السلطانيّة، ص ١٦٠.

ومعراجه إلى السموات العلى، كما جاء في الآية: «سُبْحَانَ الذي أسْرَى بعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلَى المَسْجِدِ الأقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَولَهُ» (١٧/١).

وفي الحديث أيضاً: «لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى المسجد الحرام في مكّة، ومسجد الرسول في المدينة، والمسجد الأقصى في القدس»[٤٩].

(٢) الحجاز : يخضع بدوره لأحكام استثنائيّة، أهمّها تحريم استيطانه على غير المسلمين. ولكن يجوز، عند أبي حنيفة، دخولها للتجارة والإقامة فيها بقدر الحاجة المفيدة للمسلمين، ولأداء رسالة.

(٣) الأراضي الإسلاميّة الأخرى: يحلّ دخولها والإقامة فيها لغير المسلمين، إذا كانوا مسالِين، اكتسبوا صفة المواطن الذمّي، أو المقيم المستأمَن.

٢ - دار الحرب : ما خرج عن دار الإسلام هو دار حرب، أو بلاد العدوّ. هذه تشمل البلاد التي تقع خارج دائرة اختصاص الشرع الإسلامي. وتتحوّل هذه الدار إلى دار إسلام عندما يتأمّن فيها إجراء أحكام الإسلام، أي ممارسة الدِّين الإسلامي وتنفيذ شريعته.

ويتحصّل هذا التحوّل بأحد أمورٍ ثلاثة: إمّا الفتح، وإمّا الاستسلام، وإمّا الصلح : الفتح يعني الاستيلاء على أرض العدوّ عنوةً وقهراً. الاستسلام يعني الاستيلاء على أرضٍ تركها العدوّ عفواً، وانجلى عنها خوفاً. والصلح الاستيلاء بالتسوية السلميّة.

٢٨ . يتحصّل ممّا تقدّم : «إنّ الجهاد يعتبر وسيلة الإسلام لتحويل دار الحرب إلى دار السلام. فإذا تحقّقت هذه الغاية كان معنى ذلك زوالُ دار الحرب من الوجود، وبالتالي زوال سبب الجهاد... وقد يكون هذا سبباً آخر حال دون اعتبار الجهاد ركناً سادساً من أركان الإيمان كما اعتبره الخوارج؛ ذلك أنّ الجهاد، من

---

(٤٩) الجامع الصغير، رقم ٩٨٠٢؛ العيني على البخاري ٧/٢٦٣؛ إبن الجوزي، فضائل القدس بتحقيق جبرائيل جبّور، بيروت ١٩٧٩.

الناحية النظريّة، ليست سوى وسيلة عابرة لترسيخ السلام، ولم يكن شرطا قائماً من شروط الإيمان».

٢٩ . أساليب القتال : إذا استعرت نار الحرب المقدّسة لا بدّ من أن يكون المسلمون على بيّنة من أساليب القتال وكيفيّته وأنواع الخطط العسكريّة. وقد ذكر القرآن بعضها، وحثّ المقاتلين عليها، وأمرهم بها. إنّها عديدة ومتنوّعة. منها:

١ – الصبر والمصابرة: بالصبر يغلب المسلمون أعداءَهم. عشرون من الصابرين يغلبون مائتَين، والمائة يغلبون ألفاً. ومعنى الصبر والمصابرة هنا حيلة التربّص بالعدوّ وتحيّن فرص ظهوره. قال: «يَا أَيُّها النَّبِيُّ! حَرِّضِ المؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ. إنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَينِ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا... وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَينِ، وَإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَينِ بِإذْنِ اللَّهِ. وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» (٨/ ٦٥–٦٦).

٢ – الرباط والمرابطة: قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! أُصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٢/ ٢٠٠). وذكر الحديث معنى المرابطة وأهمّيّتها بقوله: "رباط يوم في سبيل الله خير عند الله من الدنيا وما فيها". وقال أيضاً: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه". والمرابطة تعنى المداومة في الجهاد، وتحيّن فرص ظهور العدوّ، والتكاتف بين المسلمين، وشدّ أزر بعضهم بعضاً كأنّهم «رباط خيل»، كما وردت في سورة الأنفال : «أَعِدُّوا لَهُمْ (لأعدائكم) مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ» (٨/ ٦٠). هذا وقد اتّخذ المقاتلون السنّيُّون في لبنان، أثناء الحرب، إسم «المرابطون»، ومهمّتهم من سورة الأنفال هذه!

٣ – الإلفة بين القلوب: لقددعا اللّهُ نبيّه إلى أن يؤلّف بين قلوب المجاهدين مهما أنفق في سبيل ذلك. يقول: «أَلَّفَ بَينَ قُلُوبِهِمْ، لَو أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً» (٨/ ٦٥). وتآلفُ القلوبِ يومَ الزّحفِ يغفر ذنوب المسلمين مهما بلغت. يقول الرّسول في غزوة حنين: "إنّ المسلم، إذا لقي أخاه المسلم فأخذه بيده، تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة في يومِ ريحٍ عاصف".

٤ - رصّ الصفوف: وهو ممّا يقوّي العزيمة، ويشدّد الهمم، وينال من الأعداء بسهولة وسرعة. على المسلمين، إذا ما دخلوا في ساحة القتال، أن يتلاصقوا ويتكاتفوا ويتراصّوا، ثمّ يهجموا كأنّهم صفّ واحد. قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ» (٦١/ ٤).

٥ - تشتّت الأعداء: ولم ينسَ النبيُّ أنّ من أساليب القتال الفعّالة أن يدرك المسلمون بأنّ أعداءَهم، مهما بلغتْ قوّتُهم، ضعفاء ومشتّتون، ولا يمكنهم أن يساعدَ بعضهم بعضاً. فهم يَعِدون بعضهم بالعون والنّصر، ولكنّهم يولّون الهرب والإدبار. قال: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا، يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ. وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَكَذَّابُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُ. وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ. وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلَّنَّ الإِدْبَارَ. ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ» (٦١/ ٤).

٦ - ضعف الأعداء: يطمئن اللّهُ المسلمين بأنّ أعداءَهم لا يمكنهم أن يجتمعوا عليهم. ولئن اجتمعوا فمن وراء جدار، دون استطاعتهم المواجهة أو الهجوم، ودون قدرتهم على الاجتماع أو التضامن. قال: «لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً (مجتمعين) إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ وَمِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ... تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً (مجتمعين) وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى (متفرّقة)» (٥٩/ ١٤).

وإذا ما تحصّنوا فإنّ اللّهَ يُخرجهم من حصونهم ليُقتَلوا شرَّ قتل. قال: «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ (حصونهم)، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمِ الرُّعْبَ» (٣٣/ ٢٦).

بهذه الأساليب حارب النبيُّ وأصحابُه أعداءَهم. والمسلمون، إلى اليوم، يتّبعون هذه الخطّة التي نصر اللّهُ بها رسولَه في غزواته جميعها، وفتح البلاد على أيدي المسلمين فتْحاً عظيماً. فعلى المسلم ألاّ يحيد عنها، ولا عن استراتيجيّة النبيّ.

٣٠ . أنواع القتل: هذه أيضاً كثيرة ومتنوّعة. وهي صالحة لكلِّ زمان. إذا ما احتدمت الحرب، واقتحم المسلمون مواقع الأعداء، فلا بدّ من القتل والتعذيب.

وقد مارسها النبيُّ بنفسه، ودعا أصحابَه إلى ممارستها. وقد أقرّ القرآن بعضها. وعليها يسير المسلمون اليوم. منها:

١- الصلب والقتل والتقطيع والنّفي: قال: «إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... أَنْ يُقَتَّلُوا، أو يُصَلَّبُوا، أو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ (أي اليد اليسرى والرجل اليمنى والعكس)، أو يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ» (٥/٣٣).

٢- التهجير واحتلال الأرض والقرى والمنازل: هذه حلال للمسلمين بعد أن يَقتلوا منها الكفّار، أو يَطردوهم . قال : «وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً» (٣٣/٢٧).

٣- ضربُ الأعناق وقطع الرؤوس وتقطيع الأطراف، وشدّ الحبال على الرِّقاب: قال : «سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ. فَاضْرِبُوا فَوقَ الأَعْنَاقِ. وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (٨/١٢)؛ وقال أيضاً : «إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوِثَاقَ» (٤٧/٤).

وليس على المسلم أن يكون شفوقاً في قتاله، ولا يدع الرّحمةَ تمسُّ قلبَه. بل عليه أن يغلظ على الأعداء، وأن يجاهدهم. إنّه أمرٌ إلهيّ لا مناص منه ولا مهرب. قال اللّهُ لرسوله : «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ» (٩/٧٣ و٦٦/٩).

وليس على المسلم أيضاً، إذا ما دارت رحى الحرب أن يدعو إلى الصلح، أو أن يقبل بالسلم، أو أن يتراجع عن مواقعه، أو أن يقبل هدنةً، طالما هو المنتصر في النهاية. قال : «فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السِّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَون. وَاللَّهُ مَعَكُمْ» (٤٧/٣٥).

لقد ترك اللّهُ المسلمين يعذِّبون الكفّار بأيديهم في هذه الدنيا؛ وترك لنفسه عذابَ الآخرة. قال : «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ» (٩/١٤). وقصد اللّه من ذلك تشجيع مقاتليه على القتال بضراوة، وإشباع صدورهم من رائحة دم الكفّار، وشفاء غليلهم من رؤية الدماء تسيل من تحت أقدامهم. لهذا فهم أشدّ رهبةً من اللّه وأكثر تعذيباً لهم. قال:

«لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» (٥٩/١٣).

لقد جوّز الرّسولُ في غزواته كلَّ ذلك. لقد أمر يوماً أصحابَه عند إغارتهم أن يحملوا إليه رأسَ كافر، ودعاهم إلى أن يقتلوا شيخاً مسنًا قد بلغ مائة وعشرين سنة، وبعث أحدَهم إلى قتل امرأةٍ كانت تسبّ الإسلام، «فجاءها في جوف اللّيل حتّى دخل عليها بيتَها، وحولَها نفرٌ من ولدها ينام، وعلى صدرها صبيٌّ تُرضعه، فمسَّها بيده، ونحَّى الصَّبيَّ عن صدرِها، ووضع سيفَه على صدرها، وتحامل عليه حتَّى أنفذَه من ظهرها. ثمّ صلّى الصبحَ مع النبيّ»[٥٠].

٣١ . **الغنائم** : للمجاهدين في هذه الدنيا أجرٌ عظيم، غنائم كثيرة، هي من خصائص الإسلام ومميّزاته : "إحلالها لهذه الأمّة دون غيرها" . قال : «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً» (٨/٦٩). وفي حديث قال: "أُحلَّتْ لي الغنائم. ولمْ تحلّ لأحدٍ قبلي"[٥١]. والغنيمة تعني الشيء المكتسَب من غير المسلمين بالقوّة. وهي تشمل الممتلكات المنقولة وغير المنقولة، والأشخاص، سواء الأسرى من الرجال، أو السبي من النساء والأطفال.

وتتميّز الغنيمة عن الفَيء الذي فيه تؤخذ الأشياء من غير قوّة؛ وعن السرقة التي تؤخذ فيه من غير إذْن الإمام. وملكيّة الغنائم تنتقل من الأعداء إلى المسلمين مباشرة من دون معاملات. والنهب مشروع في الجهاد، إنّما ليس هو غاية القتال؛ «ولكنّه خطّة فيه لإضعاف العدوّ والإضرار به»[٥٢]. و«لقد كان من أحكام الحرب يومَ بدْر: أنّ مَن قتلَ قتيلاً فله سَلَبُه. ومَن أسرَ أسيراً فهو له»[٥٣].

والمغانم وقف على المجاهدين الذين خاضوا غمار المعارك. عن عمر عن

---

(٥٠) المرجع نفسه، ٣/ ١٧٠ و١٧٩ و٢١٩.

(٥١) البخاري ومسلم؛ رَ: توفيق علي وهبة، الجهاد في الإسلام، ص ٨٩.

(٥٢) د. عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلاميّة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦؛ ص ٦٧.

(٥٣) السيرة الحلبيّة، ٢/ ٥٥١؛ أنظر أيضاً: د. عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلاميّة؛ ص ١٣٩.

رسول الله قــال : "المغانم لمن شهد المعــركة" [٥٤]. والمنازعات بين المجــاهدين على اقتــسام المغانم لم يحســمْها ولم يحســن توزيعها إلاّ ربُّ العالمين: «وَاعْلَمُــوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَــإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُــولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وابْنِ الــسَّبِيل» (٨/٤٢). والخمس هنا كان سبـباً لاختلاف الفقهاء. إلاّ أنّ ابن عـبّاس قال: "سهمٌ لله (يُنفق على الكعبــة)، وسهمٌ للنبيّ، وسهمٌ لأقرب قريبٍ للنبيّ، وســهمٌ لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسـهمٌ لأبناء السبيل" [٥٥].

والمجاهدون لا يتساوون مع القاعدين : «لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ (عن الجهاد) وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٤/ ٩٥). «لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ» (٥/ ٩٥)..

ثمّ وعـد اللّهُ المجاهديـن بمغانم لا تُحـصى: «وَعَـدَكُمُ اللَّهُ مَغَـانِمَ كَـثِيـرَةً تَأْخُذُونَهَا (من غزوة خيبر)، وَأُخْرَى لَمْ تَقْـدِرُوا عَلَيهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا (من الفرس والروم)» (٤٨/ ٢٠-٢١). كلّ ما غنمــه المجاهدون حلال طيّب: «فَكُـلُوا ممَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّـباً» (٨/ ٦٩). هذه المغــانم كثيــرة ومتنوّعــة. وكلّها جـائزة وحلال : من أرضين يستولون عليها، إلى أرزاق يستمتعون بها، إلى أموال يسرقونها، إلى أمتعة يستعملونها، إلى زرع ونخيل يستغلّون مواسمها، وغير ذلك...

أتى رجلٌ مجاهدٌ رسولَ اللّه يقول له : "فإذا أنا بـ (قبيلة) هوازن عن بكرة أبيهم، بظعْنهم ونعمهم وشبابهم، اجتمعوا إلى حُنين. فتبسّم رسولُ اللّه وقال: تلك غنيمة المسلمين غـداً إنْ شاء اللّه. فأجمع السيرَ إلى هوازن، وخـرج أهلُ مكّة ركباناً ومشاةً حتّى النساء يمشين على غير وهن يرجون المغانم" [٥٦].

عند أبي حنيـفة: "إنّ كلّ ما لا يسـتطيع المجاهدون إخـضاعه لسـيطرتهم يجب تدميره، بما في ذلك البيوت والأشجار والغنم والأبقار". وعند الشافعي: "إنّ

---

(٥٤) الشيباني، ٢/ ٢٥٠.

(٥٥) عن الماوردي، الأحكام السلطانيّة، ٢٤٠.

(٥٦) المرجع نفسه، ٣/ ١٢٣.

كلّ ما لا حياة له يجب تدميره بما ذلك الأشجار. أمّا الحيوان فلا يحلّ ذبحها إلاّ إذا أيقن المجاهدون أنّها تعزّز جانبَ العدوّ" (٥٦). وعند الخوارج: "إنّ النساء والأطفال ذنْبُهم في الشرك كذنب الكبار من الرّجال. فلا يجوز الإبقاء عليهم أحياء" (٥٧).

" ويُسمح للمجاهدين بمحاصرة مدن الأعداء، واستعمال آلة الحصار والمجانيق، لهدم أسوار المدن ومساكنها. كما يُسمح لهم بحرق أرض العدوّ، أو إغراقها بالماء، وبقطع مجاري المياه، وتخريب مواردها لمنع المحاربين من استعمالها أو الإفادة منها. ويجوز كذلك تلويث مياه الشرب بالسمٍّ، أو الدم، أو أيّة مادّة أخرى، بغية حمْل العدوِّ على الاستسلام. كما يجوز استعمال سهام مسمومة، وسهام تحمل شعلاً ملتهبة".

عند أبي حنيفة، يُمكن للمسلم أن يأخذ الربا في دار الحرب، لأنّ «أخْذ الربا في معنى الاتلاف. وإتلاف مال الحربي مباح "(٥٨).

٣٢ . وأهمّ مغانم الجهاد **السبايا**؛ بل «إنّ الأسرى والسبايا من أنْفس ما يغنمه المسلمون في حروبهم»(٥٩). في الجهاد كلّ امرأةٍ من نساء العدوّ مباحة. وعندنا من سلوك النبيّ ﷺ في هذا الموضوع ما يؤكّد ذلك. وقد أجاز ﷺ لأصحابه ما أُوحِي به إليه: عن أبي سعيد الخدري قال: "غزونا مع رسول اللّه ﷺ غزوةَ المصطلق، فسَبَينا كرائمَ العرب، واقتسمْناها، وملكْناها. فطالتْ علينا العزوبة، ورغبنا في الفداء، فأردنا أن نستمتع، ونعزل. فقلنا نفعل ذلك. فأصَبْنا سبايا. وبنا شهوةٌ للنساء. واشتدّتْ علينا العزوبة، وأحببنا الفداء، وأردنا أن نستمتع ونعزل. وقلنا: نَعزل ورسول اللّه بين أظهرنا؟! فسألناه عن ذلك. فقال : لا عَلَيكُمْ أن لا تفعلوا":

---

(٥٦) عن الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٤/١٠٦.

(٥٧) رَ: البغدادي، كتاب الفرْق بين الفرَق.

(٥٨) الشيباني، السير الكبير، شرح السرخسي؛ ٣/٢١٢-٢١٣ و٢١٧، عن خدوري ص ١٤٦.

(٥٩) د. عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلاميّة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦؛ ص ٦٩.

وتوسّع الفقهاء في تفسير ذلك، واستدلّوا "على أنّه يجوز الخلوة بالمرأة الأجنبيّة إذا وجدها منقطعة ببرّيّة". وحجّة المسلمين في ذلك إنّما هو «احترام لآدميّتها وتكريم لمشاعرها»، لذلك «كان لا بدّ أن يوزّع النساء على البيوت، وأن يُقسَمْنَ كما تُقسم سائر الغنائم على المجاهدين، ولعلّ ذلك كان حماية لهنّ.. ويبدو أنّه من هنا جاء احتمالُ وطء هؤلاء المسبيّات بعد أن انفصلْنَ عن بيوتهنَّ، ودخلن بيوتَ رجالٍ غير أزواجهنّ»(٦٠).

أمّا الأجر الأعظم ففي الآخرة حيث جنّات رحاب «تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار»، معدّةٌ للمجاهدين، «جنّاتٌ لَهم فِيها نعيمٌ مُقيم» دائم، ومساكن طيّبة في جنّات عدْنٍ، «يَدخُلونها يحلّون فيها من أساور من ذَهَب ولؤلؤ، ولباسُهم فيها حرير»، «مفتَّحة لهم الأبواب»، «لهم فيها ما يشاءون». متعتهم الكبرى ما ترغب شهوتهم من نساءٍ حورٍ عينٍ جميلات لم يمسسهنّ أنسٌ ولا جانّ.

٣٣ . الأسرى : لا أسرى في الجهاد، ذلك إشباعاً للذّة القتل، وخوفاً من أن يطمع المجاهدون بالفدية. قال: «لا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ» (٩/ ٥٥). ويأمر اللّهُ نبيَّه أن لا يكون له أسرى، وذلك حتّى يبالغ في القتل، ولا يطمع بخيرات الدنيا، ولا يهتمّ بهم على حساب الاهتمام بالفتْح وبالمسلمين. قال: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى، حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ (أي يبالغ في القتل). تُرِيدُونَ عَرضَ الدُّنْيَا (بأخذ الفدية عن الأسرى)، وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ» (٩/ ٥٥).

وثمّة أيضاً أمرٌ إلهيّ في قتل الكفّار وإبادتهم. قال: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ. فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ، وَإِمَّا فِدَاءً، حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا» (٤٧/ ٤).

وللفقهاء طرق عديدة في معاملة الأسرى :

---

(٦٠) د. عبد اللطيف عامر، أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلاميّة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦؛ ص ٢٩١، و٣٢٣.

١ – يجوز للإمام أن يأمر بإعْدَامِ بعضِ الأسْرى، أو جـميعِهم فَوراً. يقول محمصاني: " في قول الجمهور، يجوز للإمام قتل الأسرى الرّجال البالغين، لا سيّما إذا خِيف منهم، أو عندما يؤدّي هذا العمل إلى إضعاف العدوّ "(٦١).

٢ – يجوز للإمام أن يطلق سراح الأسرى لقاء فدية يدفعونها، أو دون أي لقاء. وكان أبو بكر ضدّ الإفراج عن الأسرى لقاء فدية(٦٢).

٣ – يجوز للإمام أن يبادل الأسرى الأعداء بأسرى مسلمين.

٤ – يحقّ للإمام أن يتّخذ الأسرى عبيداً.

و " الثابت من فعل الرّسول (ص) أنّه كان يمنّ على بعض الأسارى، ويقتل بعضهم، ويفادي بعضهم بالمال، أو بالأسرى. وذلك على حسب ما تقتضيه المصلحة العامّة، ويراه ملائماً لحال المسلمين "(٦٣).

ويتّفق الفقهاء على أنّ السبي، من النساء والأطفال من الأسرى، لا يحقّ عليهم القتال؛ بل يؤخذون رقيقاً، ويوزّعون كسائر المتاع(٦٤).

" وللمجاهد الحقّ في أن يعتبر العبد ملْك يديه... وإذا كان الرّقيق أنثى جاز لسيّدها أن يضاجعها بوصفها خليلته "(٦٥).

٣٤ . **الشهادة**: عن الترمذي: «للشهيد عند الله سبع خصال:

١ – يغفر له في أوّل دفعة؛

٢ – ويرى مقعده من الجنّة؛

٣ – ويجار من عذاب القبر؛

٤ – ويأمن من الفزع الأكبر؛

---

(٦١) محمصاني، ص ٢٥٤.

(٦٢) رَ: الطبري، كتاب الجهاد، ص ١٤١–١٤٢.

(٦٣) القاسمي، ص ٥٢٧.

(٦٤) المرجع السابق نفسه، ١٤٥–١٤٦.

(٦٥) خدوري، ص ١٨٠–١٨١.

٥ – ويوضع على رأسه تاج الوقار. الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها؛
٦ – ويزوَّج اثنتَين وسبعين زوجة من الحور؛
٧ – ويَشفع في سبعين من أقاربه».

والشهـيد في الجنّة يدخل من دون كشف عن ذنوبه؛ بل من دون حـساب؛ لأنّ "ما مِن جرحٍ يُجرح في الله إلاّ واللهُ يبعثُه يومَ القيامة". وعندما يكون الشهيد في نشوة السـعادة، يتمنّى العودةَ إلى الدنيـا ليُقْتَل من جديد فـيكسب أجراً أعظم. قال جابر، وهو صحـابيّ استُشهد في أُحُد: "أسألك اللّـهمّ أن أُرَدَّ إلى الدنيا فأُقتَلَ فيها ثانيةً. فقـال الربُّ: «إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لاَ يُرْجَعُونَ إِلَى الدُّنْيَا». قال: "إي ربِّ! فأبلِغْ مَن وَرائي"[٦٦].

والشهيـد لا يُغسَل جسدُه بعدَ مـوته، لأنّه يكون قد اغتسل بدمـائه الزكيّة؛ وجثّته طاهرة بقدسيّة الجهاد. ولكن، يحسن بالمجاهدين، قبل أن يذهبوا إلى ساحة الوغى، أن يكونوا معطّرين بالطيـوب لتعرفَهم الملائكةُ بسـهولة إذا ما استُـشهدوا، وتسـتقـبلَهم بسرعـة، وتقـدّمَهم على سـواهم، وتُدخلَهم الجنّات بموكب مـلائكيّ حافل، تتقدّمُه آلات العزف، وتسـتنظرهم حُور العِين بأجمل زينتهنّ، وتُدخلهم إلى المساكن الطيّبة.

في الختام نقول: إنّ طريقَ الحـقّ لا يتعلّق بقناعـات الإنسـان وإرادته، بل بمشيئة الله وحده وبما رسمه اللهُ نفسُه في سبيل تحقيق أهدافه في جعلِ الإسلامَ الدينَ الوحيد الذي به «نسخ» الأديانَ كلَّها.

جَهْم بن صَـفْوَان (ت ١٢٨هـ/ ٧٤٥م): من علماء الكلام المـسلمين. يتّفق مع المرجـئة في الـقول بأنّ الاعـتـقاد يكون بالقلـب. ويتّفق مع المعـتـزلة في نفي الصفات. ولكنّه من أشد القـائلين بالجبر، أي بأنّ الإنسـان مسيَّر، لا مـخيَّر. ويقول بأنّ الجنّة والنار يفنيان. ثار على الأمويّين مع الحارث بن سُرَيج فقُتل.

---

(٦٦) السيرة الحلبيّة، ٢/ ٢٦٥.

الجَهْمِيّة : نسبة إلى مؤسّسها مَعْبَد الجهمِيّ (ت ٨٠هـ/ ٦٩٩م)، الذي وُلد في البصرة، وانتقل إلى المدينة. وهو أوّل من اشتهر عنه القول بأنّ العبد مُخَيَّر. نشأت حوله جماعة عُرفت بـ **القَدَرِيّة**، تقول بحرّيّة الإرادة وقدرة الإنسان على أعماله. وهي ضدّ **الجَبْرِيّة**.

جَهَنَّم : ١ . ترد لفظ «جهنّم» في القرآن ٧٧ مرّة. وكذلك ألفاظ أخرى تعنيها، أو تشير إليها، مثل «الجحيم»: ٢٦ مرّة، و«سعير»: ١٦ مرّة، و«نار»: ما يقارب ١٢٠ مرّة، و«سَقَر»: ٤ مرّات... وكذلك يشبّه القرآنُ جهنّمَ بـ «الحطمة» (١٠٤/ ٤-٥)، و«اللَّظى» (٧٠/ ١٥)، و«عذاب الحريق» (٨٥/ ١٠)، و«الهاوية» (١٠١/ ٩)، و«الحفرة» (٣/ ١٠٣)...

٢ . إنّ الذنوب، التي يعدّدها القرآن، والتي تؤدّي بالهالكين الى جهنم النّار، كثيرة. منها: كتمان ما أنزل اللّه مِن البيّنات والهدى (٢/ ١٥٩)؛ ونقض عهد اللّهِ بَعْدَ ميثاقِه» (٢/ ٢٧؛ ١٣/ ٢٥)؛ وتحريف كلام اللّه وتبديله (٢/ ٧٩؛ ٤/ ٤٦؛ ٥/ ١٣)، أذى اللّه والرسول (٣٣/ ٥٧)، الصدّ عن سبيل اللّه (١١/ ١٨)، والقتل عمداً (٤/ ٩٣)، وغير ذلك من ذنوب، مثل: الشرك، والكفر، والقتل، والزِّنى، والتخلّف عن الجهاد، وقذف المحْصَنات...

٣ . يشير القرآن إلى كثرة الهالكين في جهنّم، وإلى دخول الناس إليها أفواجاً أفواجاً: «ونسوق المجرمين إلى جهنم وِرْداً (أي مشاة عطشى)» (١٩/ ٨٦)، أو «وَسِيقَ الّذين كَفَروا إلى جَهَنّمَ زُمَراً (أي جماعات متفرّقة)» (٣٩/ ٧١). وجهنم مليئة بالنّاس والجنّ سواء بسواء: «لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٣٢/ ١٣؛ ر: ١١/ ١١٩؛ ٧/ ١٨). وجهنّمٌ لا تشبع، على رحابتها، من كثرة الواردين إليها: «يَومَ نَقُولُ لِجَهَنَّم: هَلِ امْتَلأْتِ؟ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟» (٥٠/ ٣٠).

إلى مثل هذا أشار أشعيا: «وَسَّعَتِ الجحيمُ نفسَها وفغرَتْ فاها بلا حدٍّ. فينحدر فيها وجهاءُ الأرض وعامّتُها وجمهورُها وكلُّ مرحٍ فيها» (إش ٥/ ١٤). ويقول سفر الأمثال: «ثلاث لا يشبعن: الجحيم، والرَّحِم العقيمة، والأرض» (أم ٣٠/ ١٥-١٦). ويشير الإنجيل إلى رحابة طريق جهنّم وسهولة الانحدار فيه: «إنّ

الطريق المؤدّي إلى الهلاك رَحْبٌ واسع. وما أكثر الذين يسلكونه. في حين أنّ الباب ضيّق، والطريق المؤدّي إلى الحياة حرِج. وما أقلّ الذين يهتدون إليه»[١].

٤ . ويُخشَى، لكثرة الهالكين في جهنّم القرآن، أن يكونَ كلُّ البشرِ يَرِدُها، ولو لِلَحْظَةٍ وجيزة. يقول: «.. وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا. كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَقْضِيًّا. ثُمّ نُنَجِّي الّذين اتَّقَوا، وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا» (١٩/٦٨-٧٢).

٥ . ولكنّنا نجد في القرآن رأيَين مختلفَين في عذابات جهنّم: هل هي أبديّة أم لها نهاية؟

يؤيّد أبديَّتَها قولُه : «مَن يَعصَى اللَّهَ ورسُولَه فإنَّ له نارَ جهنَّم خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً» (٢٣/٧٢)، وقولُه : «إنَّ اللَّه لَعنَ الكافِرِينَ، وَأعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً» (٦٥/٣٣)، و«أصحابُ النّار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»[٢] * وهو أيضاً رأي اليهوديّة والنّصرانيّة والمسيحيّة حيث جهنّم «نارٌ لا تطفأ»[٣]، و«نار أبدية»[٤]، و«عذاب أبدي» (متى ٢٥/٤٦)...

أمّا نهايتُها فتؤيّدها أقوالٌ أخرى كثيرة، تُنيطُ الهلاكَ بمشيئةِ اللّه. قال : «فَأمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ، لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيق، خَالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأرضُ، إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ. إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ» (١١/١٠٦-١٠٧)؛ وقال أيضاً : «النَّارُ مَثْواكُم خَالِدِين فِيها، إلاَّ مَا شَاءَ اللّه. إنَّ ربَّكَ حَكِيمٌ» (٦/١٢٨). كلّ شيء إذاً، حتّى أبديَّة جهنَّم أو نهايتها، متعلّقٌ بحكم اللّه ومشيئته الحرّة، وتصرُّفه المطلق، لأنَّ اللّه «يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» (٢٢/١٤)، و«يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ» (٥/١)، و«فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ» (٨٥/١٦؛ ١١/١٠٧).

---

(١) متى ٧/١٣-١٤. أنظر أيضاً: ١٩/٢٤؛ لوقا ١٣/٢٤؛ يوحنا ١٠/٩-١٠.

(٢) سورة البقرة ٢/٣٩؛ أنظر: ٢/٨١ و٢١٧؛ آل عمران ٣/١٦٦؛ الأعراف ٧/٣٦؛ يونس ١٠/٢٧؛ الرعد١٣/٥؛ المجادلة ٥٨/١٧...

(٣) متى ٣/١٢، مرقس ٩/٤٤ و٤٨...

(٤) متى ١٨/٨؛ ٢٥/٤١...

فكرة نهاية جهنّم غيرُ بعيدةٍ عن المسيحيّة أيضاً، حيث بعض آباء الكنيسة قال بالخلاص الشامل، أو بـ «التجديد الشامل» على ما قال أوريجينوس، وذلك استناداً إلى تفسيرٍ خاصٍّ لبعض نصوص الأناجيل وأعمال الرّسل[٥]، وبعض اللاهوتيِّين الّذين يرفضون مثلَ هذا الظلم الأبديّ الناتج عن أبوّة اللّه. وإذا كان من حالةٍ يعيشها غيرُ مستحقِّي مشاهدةَ وجه اللّه، فهي حالة بُعدٍ عنه أكثر ممّا هي حالة عذابٍ بالشكل الذي تتصوَّرُه تقاليد قديمة.

٦. ويبدو أنَّ المتأخِّرين من المسلمين فهموا نهاية جهنّم فهماً صريحاً، وأسند بعضُ المحدِّثين إلى النبيِّ حديثاً جاء فيه قوله : «يَدْخُلُ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهْلُ النَّارِ النَّارَ. ثمَّ يقول: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ في قلبِه مِثقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمان. فَيَخْرُجُونَ مِنها، وقد اسْوَدُّوا، فَيُلْقَونَ في نهرِ الحياة»[٦]. وعن أَنَس بن مالك عن النبيّ قال : «يَخرُجُ مِن النَّارِ مَن قَال لا إلَهَ إلاَّ اللَّه، وفي قلبِه وَزنُ شُعَيرةٍ مِن خيرٍ. ويَخرُجُ من النَّارِ مَن قال لا إلَهَ إلاَّ اللَّه، وفي قلبه وزنُ بُرَّةٍ مِن خَير. ويَخرُجُ من النَّار مَن قال لا إلَهَ إلاَّ اللَّه، وفي قلبه وزنُ ذَرَّةٍ من خَيرٍ»[٧].

٧. ويؤكّد نظريّةَ نهاية عذابات جهنّم كلامُ القرآن في «حجاب الأعراف»، الذي يختلف المفسِّرون في معناه. يقول القرآن: «وَبَينَهُمَا (أي بين أصحاب الجنَّة وأصحاب النّار) حِجَابٌ. وَعَلَى الأعْرَافِ رِجَالٌ يَعرَفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُم. وَنَادَوا أصحابَ الجَنَّةِ: أنْ سَلامٌ عَليكُمْ. لَمْ يَدْخُلُوهَا (أي لم يدخل أصحابُ الأعراف الجنّة) وَهُمْ يَطْمَعُونَ (في دخولها). وَإذَا صُرِفَتْ أبْصَارُهُم (أي أصحابِ الجنّة) تِلْقَاءَ (أي جهة) أصْحَابِ النَّارِ، قَالُوا: رَبَّنَا! لا تَجْعَلْنَا (في النّار) مَعَ القَومِ الظَّالِمِين. وَنَادَى أصْحَابُ الأعْرَافِ رِجَالاً (من أصحاب النّار) يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ. قَالُوا: مَا أغْنَى عَنْكُمْ (من النار) جَمْعُكُم (المال)، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ » (٧/٤٦-٤٨).

---

(٥) هناك إشارات إلى تجديد السماوات والأرض في سفر الرؤيا ٢١/١-٥ ؛ ٢ بطرس ١٣/٣؛ أعمال الرسل ٢١/١٣؛ متى ٢٨/١٩؛ ٢ قور ١٧/٥.

(٦) صحيح البخاري في الإيمان ص ١٢.

(٧) المرجع نفسه، في الإيمان ص ١٧-١٨.

«حـجـاب الأعـراف» هـذا هو سُـورٌ يفـصلُ بين الجنّـة والنار؛ و«رجـال الأعراف» يسـيرون على هذا السُّـور الذي يُسمَّى أيضـاً «صِرَاطُ الجَـحِيمِ» (٣٧/ ٢٣)، أي «جسر العبور» الذي عليه يعبـر هؤلاء الرجال بعد الموت. وهو جسر فوقَ جهنَّم. وقد أشارت إليه بعض التقاليد اليهوديّة والنصرانيّة بقولها: إنَّه طريقٌ ضيِّقٌ فوق هوّة : نارٌ على يمينه، ومياهٌ على شماله. ومَن سـار عليه مُثَقَّلاً بأعباء الخطايا، خاف الوقوع، ويقع لا محالة(٣٨).

«رجال الأعراف» هؤلاء، لا نعـرف علامتَهم، فلا نعـرف، بالتّالي، إذا كانوا من «أصحاب الجنّة» أم من «أصحاب النّار». يبدو أنَّهم بَين بَين، وأنّهم ما زالوا على الجسر يعبرون، لم يَصلوا بعدُ، ولم تتحدَّدْ هويَّتُهم، لكنّهم يَعرفون بعضَهم بعضاً، ويحـذّرون بعضَـهم بعـضاً بألاَّ يعـبرَ أحـدٌ من دون نور: «يَومَ يَقُـولُ المُنَافِقُـونَ وَالمُنَافِقَاتُ للَّذِينَ آمَنُوا: أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسُ مِن نُورِكُم. قِيل: ارْجِعُوا وَرَاءَكم، فَالتمِسُوا نُوراً. فَضُرِبَ بَينَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ» (٥٧/١٣).

٨. نيرانُ جهنَّم شديدة ومتنوّعة: فـهي تحيط بالكافرين من كلِّ جهّة: «إنّ جَهنَّم لَمـحِيطَةٌ بِالكَافِـرِينَ... يَغْشَاهُمُ الـعَذَابُ مِن فَوقِـهِم ومِن تحتِ أَرْجُلِهِم» (٢/ ٥٤–٥٥)؛ وتطلع النّار على أفئدتهم وتطبق عليهم: «نار اللّهِ الموقدة الّتي تَطّلع على الأفئدة. إنّها عليهم مؤصَدَة (مطبـقة) في عَمَدٍ مُمَدَّدة» (١٠٤/٦–٩)؛ ينامون على النّار ويلتحفون النّار: «لَهم مِن جَهنَّمَ مِهَادٌ، ومِن فوقِهم غَواشٍ (أغطية)» (٧/ ٤١). إنَّهم «فِي سَمُـومٍ (ريح حارّة)، وَحَـمِيمٍ، وَظِلٍّ مِن يَحْمُـومٍ (دخان شـديد أسود)» (٥٦/ ٤٢–٤٣). و«النّارُ الّتِي وُقُودُهَا النّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ للكَافِرِين» (٢/ ٢٤).

«وأمّا الّذينَ فَسَقُوا فَمَأوَاهُمُ النَّارُ. كُلَّمَا أَرادوا أنْ يَخرُجُوا مِنها أُعيدُوا فِيها. وقيلَ لهم: ذُوقُوا عَذابَ النّار» (٣٢/ ٢٠)، «ثُمّ صُبُّـوا فَوقَ رَأسِه مِن عذابِ الحَميم» (٤٤/ ٤٨)؛ «وَتَغشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ» (١٤/ ٥٠)، وتـصبح سوداءَ فـ «تَرَى الّذِين كذَّبُوا على اللّهِ وجوهَهمْ مُسوَدَّة» (٣٩/ ٦٠)، كأنّها قطعاً من اللّيل: «كَأنّما أُغْشِيَتْ

---

(٣٨) IV Esdras, VII, 6-8.

وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيلِ مُظْلِماً. أولئكَ أصحابُ النّارِ فيها خالِدون» (١٠/ ٢٧)، «وُجُوهٌ يَومَئذٍ عَلَيها غَبَرَةٌ (أي غبار)، تَرْهَقُهَا (أي تغشاها) قَتَرَةٌ (أي ظلمة حالكة)» (٨٠/ ٤٠-٤١)، «وُجُوهٌ يَومَئذٍ بَاسِرَة (كالحة شديدة العبوس)» (٧٥/ ٢٤).

٩. أمّا حالات الهالكين النفسيّة فلا توصف لكثرة ما فيها من «الذلّ»، و«الخزي»، و«التأسّف». يُسمع منهم «زفير»، و«شهيق»، و«عويل»: «ذلك الخِزْيُ العظيم»[٣٩]، وترى الهالكين «خَاشِعة أبصارُهم ترهقهم ذلّةٌ»[٤٠]، و«تراهم... خاشعين من الذلّ» (٤٢/ ٤٥). و«لهم فيها (جهنم) زفيرٌ، وهم فيها لا يُسمَعون» (٢١/ ١٠٠)، و«لهم فيها زفير وشهيق» (١١/ ١٠٦).

١٠. وتتصف عذابات جهنم بما يكون على أعناق الهالكين من أغلال. يقول القرآن: «إنَّا جَعلْنا في أعناقِهِم أغْلالاً فهي إلى الأذقَان. فَهُم مُقحَمُون» (٣٦/ ٨)، و«إذِ الأغلالُ في أعنَاقِهم وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُون في الحَميمِ. ثمّ في النّار يُسْجَرُونَ (يوقدون)» (٤٠/ ٧١-٧٢)، و«إنَّا اعْتَدْنا للكافرينَ سَلاسلَ وأغْلالاً وسَعِيراً» (٧٦/ ٤)، و«إنَّ لدينا أنْكالاً (قيوداً ثِقالا) وجحيماً» (٧٣/ ١٢). ويُكلِّفُ اللّهُ الملائكةَ بتعذيب الهالكين قائلاً لهم: «خُذُوهُ فغلُّوهُ، ثمَّ الجَحِيمَ صلُّوهُ (أي أدخلوه). ثمَّ في سلسلةٍ ذَرْعُها سبعونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ» (٦٩/ ٣٠-٣٢).

١١. ولهالكي القرآن مأكلٌ خاصّ بهم، مرُّ المذاق، لا ينفع، وهو من شجرةٍ خاصّة بجهنّم، إسمها «**شجرة الزّقّوم**»، وهي من أخبث الشجر المرّ بمنطقة تهامة. يقول: «إنَّ شَجرةَ الزَّقُّومِ طعامُ الأثيمِ، كَالمُهْلِ يَغْلي في البُطُونِ كَغَلْيِ الحَميم» (٤٤/ ٤٣-٤٦)؛ «إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم. طَلْعُهَا كأنّهُ رؤوس الشّياطين»[٤١]؛ إنّها «الشجرة الملعونة» (١٧/ ٦٠) التي تذكّرنا بشجرة الفردوس التي نهى اللّهُ عن أكلها، فلعن الأرضَ بسببها.

---

(٣٩) سورة التوبة ٩/ ٦٣؛ سورة فصّلت ٤١/ ١٦؛ سورة الزّمر ٣٩/ ٤٠...
(٤٠) سورة القلم ٦٨/ ٤٣؛ سورة المعارج ٧٠/ ٤٤؛ سورة يونس ١٠/ ٢٧...
(٤١) سورة الصافّات ٣٧/ ٦٤-٦٥؛ سورة الواقعة ٥٦/ ٥٢-٥٥.

ومن مآكل الجحيم أيضاً الشوك الذي لا ينفع في سَدّ حاجة: «ليسَ لهم طعامٌ إلاّ من ضَريع (نوع من الشوك) لا يُسْمِنُ ولا يُغني مِن جُوع» (٨٨/٦-٧)، «طعَاماً ذا غُصّة» (٧٣/١٣). ومن أشدّ العذابات أنّ النّار التي تأكلُ الهالكين يأكلُها الهالكون بدورهم: إنّهم «لا يأكلُونَ في بطونِهم إلاّ النّار» (٢/١٧٤).

أمّا الشراب فهو من «حَميم»، أي من ماء يحرق الأمعاء ويقطّعها تقطيعاً: «الّذِين كَفَرُوا لهم (في جهنّم) شَرابٌ من حميم» (١٠/٤؛ ٦/٧٠)، ولقد «سُقوا ماءً حميماً فتقطّع أمعاءَهم» (٤٧/١٥؛ ٥٦/٥٤). ويشربون أيضاً **غَسّاقاً**، وهو القَيح والدم: «لا يذوقون فيها بَرداً ولا شَراباً، إلاّ حَميماً وَغَسّاقاً» (٧٨/٢٤؛ ٣٨/٥٧)؛ ويشربون «**الصديد**» أيضاً جرعةً جرعة، فيضرّ حتّى الموت، ولكنّه لا يميت: «مِن وَرائِه جهنّم، وَيُسْقَى مِن مَاء صَدِيدٍ، يَتَجَرَّعُهُ وَلا يكادُ يُسيغُهُ (يزدرده)، ويَأتيهِ الموتُ من كلِّ مكان، وَمَا هو بمَيِّتٍ. ومِنْ وَرائه عذابٌ غليظٌ» (١٤/١٦-١٧).

وتختصر "سورة الغاشية" (رقم ٨٨)، مأكلَ الهالكين ومشربَهم بقولها: «وجوهٌ يومئذ خاشعةٌ (ذليلة) عاملةٌ ناصِبَة (ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال)، تَصْلَى ناراً حَامِيةً، تُسْقَى مِن عَينٍ آنِيَةٍ (شديدة الحرارة)، ليسَ لَهَا طعَامٌ إلاّ من ضَرِيعٍ (نوع من الشوك)، لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي مِن جُوع» (٨٨/٢-٧).

١٢. أمّا **الملائكة** الذين يَلعبون دوراً في موت الإنسان وهلاكه فللقرآن فيهم أقوال. يقول بـ «**ملاك الموت**»: «يتوفّاكم مَلاكُ المَوتِ الذي وُكِّل بكم. ثمّ إلى ربّكم ترجعون» (٣٢/١١). واسمُه «**مَالِك**» (٤٣/٧٧)، خازن النّار وحارسها. وهو ينزع أرواحَ الكفّار بشدّة، في قوله: «النّازِعاتُ نَزْعاً، والنّاشِطاتُ نَشْطاً» (٧٩/١-٢)، أي بحسب الجلالَين: «الملائكة تنزِع أرواحَ الكفّار نَزعاً بشدّة. والملائكةُ تنشط أرواحَ المؤمنين، أي تسلُّها برفق».

وعندما تنتهي مهمّة «ملاك الموت»، يحضر إلى جانب الميت ملاكان آخران هما: «**هاروت وماروت**» (٢/١٠٢). ويسير كلُّ واحدٍ منهما بالميت في الطريق الذي يستحقّ: «إذ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيَانِ عنِ اليَمينِ وعن الشِّمَال قَعيدٌ» (٥٠/١٧).

وإذا ما تقـرّر مصيـره وكان من الهالكين، يحـضر لديه بأمرِ اللّهِ مَـلاكان آخران: «سَائِقٌ وَشَـهِيدٌ» (٥٠/ ٢١) ليُلقيانِـه في جهنَّم: «أَلْقِيَا في جهـنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ... أَلْقِيَاهُ فِي العَذَابِ الشَّدِيدِ» (٥٠/ ٢٤و٢٦).

وعندمـا يوصِلاه إلى أبوابِ الجـحيم تتكفّلُ به مـلائكةٌ أشرار «يَضـرِبُون وُجـوهَهُم وأَدْبَارَهم» (٤٧/ ٢٧). هؤلاء يبلغ عـددهم، في القرآن، تـسعـةَ عَشَـر، يُسمّون «زَبانِية» (٩٦/ ١٨)، وهم «ملائكة غلاظٌ شداد» (٦٦/ ٦)، «أصحاب النّار» (٧٤/ ٣١)، و«خَزَنَة» الجـحيم: «كلَّمَـا أُلْقِيَ فيهـا فَوجٌ سَـأَلَهم خَزَنتُهـا: أَلَمْ يأتِكُمْ نذير؟» (٦٧/ ٨).

١٣ . ثمّ لجهنّم القرآن « **سبع درجات**» بدليل قوله بـ «سبعة أبواب» (١٥/ ٤٤)، ويفسّرها «الجلالان» بـ «طبقـات سبع»، كما تعني أيضاً «الأبواب». والملائكة يحرسون هذه الأبواب ويُدخِلون فيها الهالكين قائلين: «ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيـهَا» (١٦/ ٢٩)، «حتّى إذا جَـاؤُوها فُتِّحَتْ أَبْوَابُـهَـا. وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُـهَا... أُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنّمَ خَالِدِينَ» (٣٩/ ٧١–٧٢).

١٤ . وقيل في **أبواب جهنّم** : «لجهنّـم سَبْعَـةُ أبْوَابٍ. لكلِّ بابٍ منْهَـا جُزْءٌ مَقْـسُومٌ» (١٥/ ٤٤). وقــال: «حتَّى إذَا جَـاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْـوَابُها» (٣٩/ ٧١ و٧٣). وقال أيضـاً: «وَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فيـهَا»[٤٢]. وعن عمر قـال: قال رسول اللّه: «لجهنّم سبعة أبواب، باب منها لمن سلّ السيفَ على أمّة محمّد».

١٥ . أمّا النساءُ فهنّ أكثر أهل جهنّم : عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه: «ورأيتُ أكثـرَ أهلِها النـساءَ. قالوا: بم يا رسـول اللّه؟ قال: بكـفرهنّ. قيل: أيـكفرنَ باللّه؟ قال: يكفّرن العشيرَ ويكفّـرنَ الإحسان. لو أحسنتَ إلى إحداهنّ الدهرَ كلَّه ثمّ رأتْ منكَ ما تكره قالت: ما رأيتُ منكَ خيـراً قط». وعن عمران بن حصين أنّ رسول اللّه قال: «إنّ أقلَّ ساكني الجنّة النسـاءُ». وعن علي بن أبي طالب قال: «أيّها الناس! لا تُطيـعوا للنسـاء أمراً. ولا تَأمّنوهُنَّ على مـال. ولا تدعوهنّ يدبِّرْنَ أمـرَ عشـيرٍ،

---

(٤٢) سورة الزمر ٣٩/ ٧٢؛ سورة غافر ٤٠/ ٧٦.

فإنَّهنّ إنْ تُـركنَ وما يُرِدْنَ أَفْسَـدنَ المَلِكَ وعَصِينَ المالِك، وجـدناهنّ لا دِينَ لهنَّ في خلواتهنَّ، ولا وَرَع لهنّ عند شهواتهنّ. اللّذة بهنَّ يسيرة، والحَيرة بهنَّ كثيرة. فأمّا صوالحهنَّ ففاجـرات. وأمّا طوالحهنَّ فعاهرات. وأمّا المعصومـات فهنَّ المعدومات. فـيـهنّ ثلاث خـصال من اليـهـود: يتظلّمنَ وهـنَّ ظالمات. ويحلفنَ وهنَّ كـاذبات. ويتـمنَّعنَ وهنَّ راغبـات. فـاستـعيـذوا باللّه من شـرارهنَّ. وكونوا على حـذَرٍ من خيارِهنّ. والسلام».

الجِوَار : ١ . لغـةً: مِن جاور جِواراً ومـجاورةً، أي المسـاكنة والملاصـقة؛ وأيضاً: الاعتكاف في المسـجد. وحدُّ الجوار، بحسب الشافعـيّة والحنابلة، أربعون داراً من كلّ جانب، مسـتدلّين بحديث أبي هُريرة أنّ النبيّ قـال: «حقّ الجار أربعون داراً هكذا وهكذا وهكذا»[1].

٢ . وجاءت النصـوص الشرعيّـة تحضّ على احترام الجـوار، ورعاية حقّ الجار. قال تعالى: «واعـبُدوا اللّهَ، ولا تُشركوا به شيئـاً، وبالوالدَين إحساناً، وبذي القـربى، واليتـامى، والمسـاكين، والجـار ذي القربى، والجـار الجُنُب، والصـاحب بالجنُب، وابن السبيل، ومـا ملكت أيمانكم. إنّ اللّهَ لا يحبُّ مَن كان مختـالاً فخوراً» (٤/ ٣٦). فـالجار «ذو القـربى» هو الذي بينك وبينه قـرابة؛ والجـار «الجنُب» هو الذي لا قرابة بينك وبينه.

٣ . قـال أحمـد: الجيـران ثلاثة: جار له حـقّ، وهو الذمّيّ الأجنبي له حقّ الجوار؛ وجار له حقّان، وهو المسلم الأجنبي له حقّ الجوار وحقّ الإسلام؛ وجار له ثلاثة حـقوق، وهو المسلم القـريب له حقّ الجـوار وحقّ الإسلام وحقّ القـرابة[2].. وأولى الجـوار بالرعاية مَن كـان أقربَهم بابـاً. ومنه حديث عن عـائشة قـالت: «يا رسولَ اللّه! إنّ لي جارَين، فإلى أيّهما أهدي؟ قال: إلى أقربِهما منك باباً»[3].

---

(١) أخرجه أبو يعلى عن شيخه العطّار؛ كذا في مجمع الزوائد، ٨/ ١٦٨، ط. المقدسي.
(٢) فتح الباري ١٢/ ٤٨-٤٩؛ وأعلام الموقّعين لابن قيّم الجوزيّة ٢/ ١٢٤..
(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٥/ ٢٢٠، ط. السلفيّة.

٤ . ومن حقوق الجوار ما قال الغزالي في قوله: ليس حقُّ الجوار كفّ الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإنّ الجار أيضاً قد كفّ أذاه، فليس في ذلك قضاء حقّ، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لا بدّ من الرفق، وإسداء الخير، والمعروف.. ومنها: أن يبدأ جارَه بالسلام، ويعوده في المرض، ويعزّيه عند المصيبة، ويهنّئه عند الفرح، ويشاركه السرور بالنعمة، ويتجاوز عن زلاّته، ويغضّ بصرَه عن محارمه، ويحفظ عليه داره إن غاب، ويتلطّف بولده، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.. هذا إلى جملة الحقوق الثابتة لعامّة المسلمين[٤].

٥ . ومنه مجاورة الذمّيّ للمسلم: لا يمنع الذمّيّ من مجاورة المسلم لما فيه من تمكينه من التعرّف على محاسن الإسلام، وهو أدعى لإسلامه طواعيّة. ويمنع من التعلّي بالبناء على بناء المسلم، وهو ليس من حقوق الجوار، وإنّما من حقّ الإسلام. ولذا يُمنع منه، وإن رضي المسلم به لقول النبي: «الإسلام يَعلو ولا يُعلَى»[٥]، ولما في التعلّي من الإشراف على عورات المسلمين.. وقيّد الحلواني من الحنفيّة جوازَ المجاورة بأن يقلّ عددُهم بحيث لا تتعطّل جماعات المسلمين.

جَوَامِعُ الكَلِم : لغة: تعني الكلمات الجامعة؛ واصطلاحاً: هي الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثُرتْ معانيه، مع البعد عن الصنعة والبداءة من التكلّف. وهو نوع من الإيجاز اختصّ به البيان النبويّ، كما صرّح بذلك النبيّ مرّاتٍ عديدة. قال: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم»؛ وقال: «فضِّلْتُ على الأنبياء بستّ: أُعطيتُ جوامع الكلم...»؛ وقال: «أنا محمّد النبيّ الأمّي -قالها ثلاثاً- ولا نبيّ بعدي. أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه».

الجَوْف : مدينة سعوديّة في مقاطعة الجوف شمالي نجد. هي دُومة الجَندَل قديماً. واحةٍ غنيّة في وادي السِّرحان.

---

(٤) إحياء علوم الدين ٢/ ٢١٣..

(٥) أخرجه الدارقطني، ٣/ ٢٥٢، ط. دار المحاسن، من حديث عائذ بن عمرو المزني، وحسّنه ابن حجر في الفتح ٣/ ٢٢٠، ط. السلفيّة.

جُوْنِس (وليَم) Jones (ت ١٧٩٤) : مستشـرق إنكليزيّ. اهتمّ بالدراسات الهنديّة. ترجم المعلّقات.

جِيْرَارْدُو دِي كْـرِمُوْنَا Gherardo de Cremona (ت ١١٨٧) : مستـشرق إيطاليّ. أقام في طُليطلة. نقل إلى اللاّتينيّة فلسفة الكنديّ، و«المجسطي» لبطليمُس.

ح

حَاتِم الأَصَمّ (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م) : صوفيّ زاهد، تقيّ ورع متقشّف. ولد ببلْخ. تتلمذ على يد شقيقه شقيق البلخي. يلقّب بالأصمّ، ويذكر القشيري في هذا اللّقب: أنّه لم يكن أصمّ، وإنّما ادّعى الصمم حين جاءت امرأةٌ تسأله عن مسألة، فخرج منها صوتٌ فخجلتْ، فادّعى حاتم الصمم، وطلب منها أن تعيد عليه السؤال، ففرحت المرأة، وأيقنت أنّه لم يسمع شيئاً. فغلب عليه اسم الأصمّ. ويقول فريد الدين العطّار: إنّه ظلّ يتظاهر بالصمم ١٨ عاماً، خشيةَ أن يعلم أحد فيُعلِم المرأة بذلك. وظلّ كذلك حتّى توفّيتْ، فأعلن أنّه لم يكن به صمم.

حَاتِمُ الطَّائِي (ت أواخر القرن ٦م) : فارس وشاعر جاهلي. عاصر الشعراء: النابغة وبشر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص. وأظهر أعظم صفات المروءة، وخاصّة الكرم والسماحة.. وغدا جوده مضرب المثل.. قبر في وادي حائل.. ولا يزال قبره معروفاً فيها.. ومعظم أشعاره في التغنّي بالجود ومساعدة الناس وإنكار الذات.

حَاجِّي خَلِيْفَة (ت ١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) : تركي من أكابر أصحاب الموسوعات. وُلد بالقسطنطينيّة. وتُوفّي فيها. ولم يبلغ الخمسين من عمره. له عدّة كتب. أهمّها: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون». وهي دائرة معارف عظيمة في الكتب والعلوم، وتحتوي على نحو ١٥,٠٠٠ كتاب عربي. وقد قضى أكثر من عشرين عاماً في جمْع موادّها. وكتبها بالعربيّة.

الحَارِث : إسم حمله عدد من ملوك الأنباط. حاربوا اليهود ومدّوا سيطرتهم على سوريا. أشهرهم الحارث الثالث (نحو ٨٥–٦٠ ق.م.)؛ والرابع (٩ ق.م.–٤٠م) الذي زوّج ابنتَه من هيرودس أنتيباس، ثمّ حاربه وهزمه بعد طلاقها.

الحَارِث : إسم عـدّة ملوك غسـاسنة. منهم الحارث بن جَـبلة (ت ٥٦٩م)، وهو أشهرهم، جعله الأمـبراطور يوستينيانس (٥٢٩م) بطريقاً عـلى جميع العرب في شمالـي سوريا. قتَلَ المنذر اللّخمي وأسَـر أصحابَه، وبينهم علقمـة الفحل، في يوم حليمة.

الحَارِث بن حِلِّزَة (القرن ٦م) : شاعر جاهليّ من أهل العـراق. أحد أصـحاب المعلَّقات. اشتهر بدفاعه عن قبيلته بكـر أمام عَمرو بن هند ملكِ الحيرة. تعدّ معلّقتُه قطعة رائعة من الفنّ الخطابيّ.

الحَارِثُ بن كَلَدَة (ت ٥٠هـ/ ٦٧٠م) : ثقفي من الطائف. طبـيب عربيّ من الحكماء المشهورين.

الحَارِثُ بن كَـعْب : قبـيلة عـربيّة، من مَـذحِج من كَهـلان من القحطانـيّة. أصحاب «كعـبة نجران» النصرانيّة. اضطهدهم ذو نوّاس من ملـوك اليمن اليهود، وأحرقهم بأخدود النار سنة ٥٢٣م. ذكرهم القـرآن ووصفهم بالمؤمنين، وخصّـهم بقوله عنهم فـي سورة البروج: «قُـتِلَ أصـحابُ الأُخـدُودِ، النَّارِ ذاتِ الوَقُودِ، إذْ هُم عليها قُعُودٌ. وهُمْ على ما يَفعَلونَ بالمؤمِنينَ شُهُودٌ...» (٨٥/ ٤-٧).

الحَارِثُ المُحَاسِبِيّ (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) : من كبار الصوفيّين. متكلّم وفقيه ومحدِّث. ولد ونشـأ في البصرة وتوفّي ببغـداد. له تصانيف في الزهد والردّ على المعتـزلة. من كتـبه: «التفكّر والاعـتبـار»، و«الرعاية لحقـوق اللّه والقيـام بها» في الأخلاق والزهد، و«شرح المعرفة»؛ و«كتاب بدء مَن أناب إلى اللّه تعالى».

حَافِظ إبْرَاهِيم (ت ١٩٣٢م) : مصريّ من كـبار الشعراء المعـاصرين. لُقّب بشاعر النيل. وهو أحد روّاد النهضة الشعريّة الحديثة. تعلّم في القاهرة. وعمل في المحاماة. ثـمّ التحق بالمدرسة الحربيّـة.. عمل في السودان ضدّ الإنكليـز. ثمّ التحق بجـريدة الأهرام.. كتـب الشعـر صادقـاً مـهذّباً مـيّـالاً للدعابة والـفكاهة. امتـاز بالسلاسة وصدق العاطفة. إذا كان أحمد شوقي شاعر القصر، فحافظ إبراهيم هو شاعر الشعب. له «ديوان شعر»، و«ليالي سطيح»، وترجمة للبؤساء.

الحَاقَة : إسم من أسماء يوم القيامة. اختلفوا في سبب هذه التسمية: قال ابن كثير: لأنّ فيها يتحقّق الوعد والوعيد. وقال أبو مسلم: لأنّها واجبة الوقوع، ولا ريب في مجيئها. وقيل: لأنّ الأمور تُعرف فيها على حقيقتها. وقيل: لأنّ فيها تكون حواقُّ الأمور الواجبة الحصول، من الثواب والعقاب وغيرهما من أحوال القيامة. وقيل: غير ذلك. ذكر هذا الإسم ليوم القيامة في القرآن ثلاث مرّات في قول واحد: «الحَاقَّةُ. مَا الحَاقَّةُ. وَمَا أدراكَ مَا الحَاقَّةُ» (٦٩/ ١-٣).

الحَاكِم (أبو عبدالله محمّد) (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٤م) : من نيسابور. له كتاب «المستدرَك على الصحيحَين في الحديث»، وهو في أربعة أجزاء. اعتني فيه الحاكم بضبط الزائد على الصحيحَين.

الحَاكِم بأمْرِ الله (المنصور) (ت ٤١٢هـ/ ١٠٢١م) : سادس الخلفاء الفاطميّين. خلف أباه العزيز (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م). اشتهر بالظلم والاستبداد. تُقسم حياته إلى ثلاثة أدوار:

١. دور الوصاية (٣٨٦-٣٩٠هـ/ ٩٩٦-١٠٠٠م): يبدأ من تولّيه الخلافة في الحادية عشرة من عمره، وينتهي بمقتل **برجوان**. ولد المنصور في ٢٣ ربيع الأوّل سنة ٣٧٥هـ/ ١٣ آب ٩٨٥م. من أمٍّ نصرانيّة، وأُقيم العبد الخصيّ «برجوان» وصيًا عليه امتثالاً لرغبة أبيه. غير أنّ برجوان لم يستطع أن يخضع لسلطانه قائدَ الجيش، ابن عمّار المغربي.

٢. دور القتل (٣٩٠-٤٠٨هـ/ ١٠٠٠-١٠١٧م): يبدأ من مقتل برجوان. اتّصف بقسوة بالغة، وسفك دماء، وأحكام جائرة: كمنع شرب الخمر، ومنع أكل أصناف من الطعام، وفرض قيود على النساء، واضطهاد أهل الكتاب إضطهاداً شديداً لا رحمة فيه، كإصداره المراسيم التي تحتّم عليهم ارتداء زيّ خاصّ، وهدم معابدهم وكنائسهم، واضطهاد أهل السنّة، وبناء عدّة عمائر للشيعة.

٣. دور التألّه (٤٠٨-٤١١هـ/ ١٠١٧-١٠٢١م): لقد كان الحاكم إسماعيليًا، فوافق على إعلان تألّهه متأثّراً بتعاليم **الأخرم** و**حمزة بن عليّ**

ونشتكين الدرزي الذين أعلنوا ألوهيَّتَه، وتجلّي اللّه فيه للمرّة الثانية والسبعين عبر التاريخ.. لكنّ الناس ثاروا عليه، فغاب. وكانت غيبتُه ليلة ٢٧ شوال سنة ٤١٢هـ/ ٢٣ شباط ١٠٢١م.

الحَامِل : اتّفق الفقـهاء على أنّه لا يُقـام الحدّ على حاملٍ حـتّى تضع: سواء أكان الحمل من زنى أم غيـره، فلا تُقتل إذا ارتدّت، ولا تُرجم إذا زنت، ولا تُقطع إذا سرقت، ولا تُجلد إذا قذفت أو شربت حتّى تضـع حملها..

الحُبُّ الإلَهِيّ : كانت رابعـة العدويّة (ت ١٨٥هـ) أوّل مَن أخرج التـصوّف من الخضـوع لعامل الخوف إلى الخضـوع لعامل «الحبّ». وهي أوّل من استـخدم لفظ الحبّ استـخداماً صـريحاً في مناجاتهـا وأقوالها. وعلى يديهـا ظهرت نظريّة العبـادة من أجل محـبّة اللّه، لا من أجل الخـوف من النار أو الطمع في الجنّة. ومع رابعة بدأ مصطلح «الحبّ الإلهيّ» يأخذ مكانه في أقوال الزهّاد والصوفيّة.

حَبِيْبُ النَّجَّار : وليٌّ مسلم ليس هو غير أغـابوس المذكور في أعمال الرسل (١١/٢٧-٣٠؛ ٢١/ ١٠). جـاء في قصـتـه المروية في سورة يس (٣٦/١٣ ومـا بعدها): أنّ اثنين من الرسل، همـا يحيى ويونس، عززّهمـا اللّهُ بثالث هو شمـعون، دعوا أناساً إلى الإيمان. فتوعّدهم آخـرون بالقتل إنْ لم يكفّوا عن دعوتهم. وعندما جـاء رجل من أقصى المدينة، وحثّ قـومَه علـى اتّباع الرسل، وأظهـر إيمانه باللّه، غضب قومه ووثبوا عليه فقتلوه. وكانوا، وهم يقتلونه، يستهزئون به، ويصيحون: الآن ادخلْ أنتَ الجنّة.

على أنّ هذا الرجلَ كانت تغمره السعادة لنواله شرف الاستشهاد في سبيل اللّه. وأهلك اللّه هؤلاء الكفّار جميعاً من غـير أن يُنزل جنوداً لقتالهم؛ وإنّما أخذتْهم صيـحةٌ واحدةٌ من السّـماء، فإذا هم خـامدون. يقول المفـسّرون إنّ هذا الرجل هو حـبيب النجّـار، ويروى أنّه كـان يصنع الأصنام. ثمّ آمن عندمـا شاهد مـعجـزات الرسل.

الحَجّ: ١ . لغةً: القصد؛ واصطلاحاً: هو قصد موضع مخصوص، هو البيت الحرام وعرَفَة، في وقتٍ مخصوص، للقيام بأعمالٍ مخصوصة، هي الوقوف بعرفة، والطواف، والسعي، بشرائط مخصوصة.

٢ . الحجّ فرْض عين على كلّ مكلّف مستطيع في العمر مرّة. وهو ركن من أركان الإسلام، ثبتت فرضيّته بالكتاب والسنّة والإجماع: ١- أمّا الكتاب فقد قال: «وَللّهِ على النَّاسِ حَجُّ البَيتِ مَنِ استَطاعَ إليهِ سَبيلاً. ومَن كَفَرَ فإنَّ اللّهَ غنيٌّ عنِ العَالَمِينَ» (٣/٩٧).. ٢- وأمّا السنّة فمنها حديث ابن عمر عن النبيّ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصيام رمضان، والحجّ»[1]. ٣- وأمّا الإجماع فقد أجمعت الأمّة على وجوب الحجِ في العمر مرّةً على المستطيع.

٣ . أشادت نصوصٌ كثيرة بفضل الحجّ، وعظمة ثوابه، وجزيل أجره عند اللّه. قال تعالى: «وأذِّنْ في الناس بالحجّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق، ليشهدوا منافعَ لهم، ويذكروا اسمَ اللّه في أيّام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام..» (٢٢/٢٧-٢٨)؛ وعن أبي هُريرة أنّ رسول اللّه قال: «مَن حجّ للّه فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدتْه أمّه»[2].

٤ . أمّا مراحل فريضة الحجّ فهي كما يلي :

١ - الوصول إلى مكّة: يحضّ الشرع الحاجَّ على **الإحرام** عند اقترابه من الأرض المقدّسة، إذ يجب أن يدخل الحاجُّ مكّةَ وهو محرم، ويصحبه دليلٌ (أي شيخ مطوِّف)، ينطق في كلّ مناسبة بالأدعية المقرَّرة لها، فيردّدها الحاجّ الذي، لجهله اللّغة وعادات أهل البلاد، لا يستطيع أن يفعل شيئاً من دون دليل يُرشده.

٢ - فإذا أتمّ الحاجُّ **الطوافَ** سبعاً حول الكعبة، و**السَّعْيَ** سبعاً بين الصّفا والمروة، قصّ شعره، وتحلّل من إحرامه إلى أن يبدأ الحجَّ نفسَه.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/٤٩، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/٤٥١، ط. الحلبي.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٣/٣٨٣، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٢/٩٨٣، ٩٨٤، ط. الحلبي.

٣ - تُلقى في مسجد الكعبة، بادئ ذي بدأ، وفي اليوم السابع من ذي الحجّة، والأوّل من أيّام الحجّ، **خطبة تهيّء** الحجّاج لتأدية مناسك الحجّ. ويبرحون مكّة في مساء اليوم نفسه، أو صباح اليوم التالي، ويطلق على اليوم الثامن من ذي الحجّة **يوم التَّرْوِيَة**، ذلك أنّ الحجّاج يتزوّدون في هذا اليوم بالماء للأيّام المقبلة. ويجتمع الحجّاج خارج المدينة، يتدافعون، ثمّ يصلون إلى **سهل عَرَفات** عن طريق **وادي مِنَى** (وتسمّى أيضاً **الجمع والمشعر الحرام**) و**المُزْدَلِفَة**.

٤ - ويرتقي كثير من الحجّاج **جبل عرفات** (أي الجبل المقدّس وجبل الرحمة)، ويردّدون وراء شيخهم الأدعية المقرّرة. وترتفع الصيحات **بالتلبية** في كلّ مكان. وينقضي النهار على ذلك. ولا يصحّ حجّ من دون الوقوف بعرفة، لقول الرسول: «الحجّ عرفة».

٥ - ويحلّ **الوقوف** نفسه في اليوم التاسع. ويبدأ في المغيب. ويلقي قاضي مكّة خطبتَين. وترتفع الأصوات بالتلبية، وهم يبكون ويلوّحون بملابس الإحرام في الهواء.

٦ - وإذا ما غابت الشمس وراء التلال الغربيّة بدأت **الإفاضة**، أو **الدفع** أو **النفر**، وهي **السعي إلى المزدلفة**. ثمّ لا يلبث المساء أن يحلّ فتؤدّى في المزدلفة صلاة المغرب والعشاء معاً. ويقضي الجميع فيها ليلته.

٧ - وفي صبيحة اليوم العاشر، أي **يوم النَّحر**، يقف الحجّاج مرّة أخرى عند الجامع قبل شروق الشمس، ويقوم قاضي مكّة بإلقاء خطبة أخرى.

٨ - وبعد صلاة الصبح **يسعى** الحشد إلى **وادي مِنَى**، حيث يؤدّون مناسك تختلف عمّا سبقها. فعلى كلّ حاجّ في هذا اليوم أن **يرمي جمرةَ العقبة**، وهي إحدى الجمرات الثلاث، بسبع حصيات يجمعها من قبلُ من المزدلفة لهذا الغرض. ويندفع الحجّاج نحو هذه الجمرة، وهي في الطرف الغربي من وادي منى.. وأمّا الجمرتان الأخريان فيأتي دورهما في اليومين التاليين.. ورمي الجمار هو في الواقع رجم للشيطان. ثمّ يقطع الحاجّ التلبية. وينتهي به الحجّ ذاته.

٩ - على أنّ ثمّة مناسك شتّى يؤدّيها الحاج بعدئذ، أوّلها **النحر**. ومنه جاء إسم هذا اليوم. ويحتفظ البدو والتجّار في مِنَى بآلاف من الأضاحي، معظمها من الغنم والماعز، يبيعونها بأغلى الأثمان. وإنّما يَنحر الإبلَ عليّةُ الحجّاج. ومَن لا يذبح من الحجّاج الضحيّة بنفسه جاز له أن ينيب عنه جزّاراً في ذبحها. ويتصدّق على المساكين بلحوم الأضاحي، وبترك ما لا يأكلونه منها. والضحيّة التي ينحرها المسلمون في هذا اليوم، من مشارق الأرض ومغاربها، هي سنّة من السنن.

١٠ - وجرت الحال على **حلق الرأس** بعد الضحيّة. ومن ثمّ يقوم في منى عدد كبير من الحلاّقين. ويمكن، بعد ذلك، التحلّل من الإحرام، والعودة إلى **الإحلال**، من لبسِ الثياب العادية، وقصٍّ أظافره، وحلقِ شعره، والتطيّبِ، إلاّ إتيان النساء حتّى يطوف طواف الإفاضة يوم النحر، أو بعده في أيّام **التشريق**.

١١ - ومن المألوف أن يعود الحجّاج إلى مكّة في اليوم نفسه **للطواف** حيث يشاهدون الكعبة للمرّة الأولى مكسوّة بالكسوة الجديدة. ويرتدي الحجّاج ملابسهم العادية إنْ لم يكونوا قد ارتدوها في منى. ويستحمّ الحّاج، ويغتسل.

١٢ - ومن المعتاد أيضاً أن يشرب الحاج **ماء زمزم** المقدّس، أو يرشّ به. ولكنّه يستطيع أن يؤدّي هذا أيضاً في أيّ يوم آخر.

١٣ - ويقال للأيّام التالية، أي ١١ و١٢ و١٣ من ذي الحجّة **أيّام التشريق**. وسمّاها النّبي «أيّام أكْلٍ وشرْبٍ وبَعال». ويقضيها الحجّاج في مِنى. ويجب رمي الجمار الثلاث كلّ جمرة بسبع حصيّات كلّ يوم بعد الظهر..

١٤ - وقد جرى الحجّاج أيضاً على رمي قبر أبي لهب بالحصى، وهو في جوار مكّة.

١٥ - ثمّ يؤدّي الحجّاج، آخر الأمر، **العُمْرة**، ثمّ يعودون إلى الإحرام.

٥ . وبأداء الطواف والسعي ينتهي الحجّ، فتغادر القوافل، بعد بضعة أيّام، مكّة، متّجهة إلى **المدينة**، لتتبرّك بزيارة قبر النّبيّ: «مَن زَارَني بعدَ وفاتي فكأنّما زَارَني في حياتي».

٦ . يجوز التـوكيل في الحجّ. ويشتـرط في الوكيل ما يشتـرط في الحاجّ. يُضاف إلى ذلك أن يكون الوكيل قد أدّى فريضةَ الحجّ عن نفسه أوّلاً.

حَجَّـةُ الوَدَاع : هي الحـجّة التي أدّاها رسـول اللّه في السنة العاشـرة من الهجـرة، ومعه عدد كـبير من المسلمين. ودّع فـيها الناس، وأشـهدهم على أنّه بلّغ الرسالة، وأشهـد اللّهَ عليهم بأنّهم شهدوا بذلك. وهي الحـجّة الوحيدة التي حـجّها النبيّ بعد الهجرة.

الحِجَاب : ١ . هو ما يَحجب بين شيئَين. وهو الحاجز. وفي القرآن له معنى «الستر». فقد جاء: «وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب» (٣٣/ ٥٤). ويوم القـيامـة سيـفصل حـجـاب بين أصحاب الجنّة وأصحـاب النار (٧/ ٤٤). والظاهر أنّ اللفظ في هذا المقام مرادف لكلمة «الأعـراف». ولذلك فُسِّر بأنّه «سور» (الطبري، الـبيضـاوي)، إشارة إلى مـا ورد في (٥٧/ ١٣). وجاء في(٤١/ ٥): إنّ الكافرين قـالوا للنبيّ «ومن بيننا وبينك حـجاب». وجاء في (٤٢/ ٥١): «ومـا كان لبشر أن يكلّمه اللّه إلاّ وحياً أو من وراء حجاب»، كما كانت الحال مع موسى.

٢ . والحجاب، بالنسـبة إلى المرأة المسلمة المؤمنة الملتـزمة، هو حقّ لها في الحياء، والاحتشام، وسرّيّة شخصيّتـها، وخفرها. الحجاب لباس شرعي فضفاض يغطّي الجسمَ كلّه من دون الوجه والكفّين. إنّه حقّ المرأة، تستـعمله حرّةً. فهو إذاً لا يقيّدها في حـرّيتها، ولا يزعجـها في تصرّفها؛ إنّمـا يجب عليها أن تحمي نفـسها، حتّى تتحاشى كلّ ظنّ، أو مسٍّ بكرامتها.

جاء في القـرآن: «قُلْ للمؤمِنينَ يَغُضّـوا مِنْ أبْصارِهِمْ وَيَحفَظوا فُـروجَهُمْ. ذَلكَ أزْكى لهُمْ» (٢٤/ ٣٠). ثمّ يـتـوجّه إلـى النسـاء، فـيـقـول: «وَقُلْ للمـؤْمِناتِ يَغْضُضْـنَ من أبصارِهِنَّ، وَيحفَظْنَ فُرُوجَـهنَّ، ولا يُبْدِينَ زِينَتَهنَّ إلاَّ مَا ظَهَـرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبنَ بخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ (أي يسـترْنَ الرؤوسَ والأعناقَ والصدر)، ولا يُبـدِينَ زَينَتَـهنَّ إلاَّ لِبُـعُـولَتِـهِنَّ، أو آبائهِنَّ، أوآباءِ بُـعُولَـتهنَّ، أو أبـنَائِهِنَّ، أو أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِـنَّ، أو إخْوانِهِنَّ، أو بَنِي إخوانِهِنَّ، أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ، أو نسـائهِنَّ، أو مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهنَّ، أو التَّابِعِين (أي العـبيد الذكور العاجزين)، غـير أُولي الإرْبَةِ (أي أصحاب

الحـاجـة إلى النسـاء) مِنَ الرِّجـالِ، أو الطِّفْلِ (بمعنى الأطفـال) الذِينَ لمْ يَظْهَـروا (يطّلعوا) على عَـورَاتِ النساءِ (أي ما بين الـسرّة والركبة). وَلا يَـضْرِبنَ بأرجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ مـا يُخفِينَ من زينتَهنَّ (من خلخـال). وَتُوبُوا إلى اللّهِ جميعـاً، أيُّها المؤمنونَ، لَعَلَّكمْ تُفْلِحونَ (أي تنجون من ذلك لقبول التوبة منه)» (٢٤/٣١).

٣ . واختلف المفـسّرون في قوله: «إلاَّ مَـا ظَهَرَ مَنْهَا»: هل المقـصود فيـها: الثـيـاب، أم الوجـه والكـفَّين، أم الكحل في العـينين، أم الحِـنَّة، أم حَلَق الأذنَين، أم الخلاخل؟ إلاّ أنّ حـديث أبي داود عن عائشـة يؤكّد مـا يلي: «عندما دخلتْ أسـماء، أختُ عائشة، على النبيِّ، في ثوب شفّاف، قال لها النبيّ: يا أسماء! عندما تبلغ الفتاة سنَّ المراهقة، لا يحـسن أن يُرى منها سوى هذا وهذا. وأشـار إلى وجهه وكفَّـيه». وهذا هو رأي أكثـر المفسّرين. إنّ الحجـاب، إذاً، مفروض على المرأة أمـام الأجانب. ويشمل الشـعر والكفَّين والعنق والصـدر؛ كما تشـير إلى التطيّب بالعطور. فـهذه أيضاً مدعاة للغواية والتجربة.

٤ . ويكمّل قصّة الحـجاب ما ورد أيضاً في سورة الأحـزاب. قال: «يا أيّها النَّبيّ! قل لأزْوَاجِكَ، وبَناتِكَ، ونِسَـاءِ المؤمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيـهِنَّ مِن جَلابِيـبِهِنَّ (جـمْع جلبـاب. وهي الملاءة التي تشـتـمل بهـا المرأة). ذَلكَ أدْنَى (أقـرب إلى) أنْ يُعْـرَفْنَ (بأنّهنّ حرائر)، فَـلا يُؤذَيْنَ (بالتعـرّض لهنّ بخلاف الإماء يغطّـينَ وجوههنَّ فكان المنافقون يتعرّضون لهنّ). وكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (بهنّ إذا سترهنّ)» (٣٣/٥٩).

وفي النتـيجـة، على الحـجاب أن يُخـفي جسـد المرأة كلَّه، مـا عدا الوجـه والكفَّين، أن يكون فضفـاضاً، غير شفّـاف، وغير مضمّخ بـالطيب. كما لا يجب أن يشبه زيَّ الرجال.

٥ . ولكنَّ **فرْض الحجاب**، أو الخمـار، على المسلمـات، مخـتلَف فيـه جدًا. وأسـاس الخلاف يقوم على ما يلي:

٦ . إنَّ رافضي الحجاب يقولون إنّ النّبيّ فـرضه على نسائه فقط، حتّى لا ينظر إليـهنّ أحـد، فلا يتـزوّجن من بعـده أحداً؛ لأنّهنّ أمّـهـات المؤمنين؛ ولا يحقّ

للمؤمنين أن يتزوّجوا أمّهاتهم. جاء في القرآن: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم» (٣٣/٦). وأمّا سائر النساء المسلمات فلا يخضعن للحجاب لأنّهنّ لسن أمّهات المؤمنين.

ثمّ إنّ فرْض الحجاب كان بسبب حادثة واحدة، معروفة، معيّنة ومحدّدة، ذكرها القرآن في سورة الأحزاب. وكان النّبيّ، في هذه السورة يتوجّه إلى نسائه فقط، لا إلى غيرهنّ: «يا نِساءَ النَّبيِّ! لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النساء إنِ اتَّقَيْتُنَّ (اللّه). فَلا تَخْضَعْنَ بالقَول (للرجال)، فَيَطْمَعَ الذي في قلبِهِ مَرَضٌ (نفاق). وَقُلْنَ قَولاً مَعروفاً (من غير خضوع)* وَقَرْنَ (من القرار، أي امكثْنَ) في بُيُوتِكُنَّ. وَلا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولَى... إنَّما يُريدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ (الإثم)، أهْلَ البيتِ (أي نساء النبيّ)، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٣٣/ ٣١و٣٣).

وأكمل قوله: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لكمْ إلى طَعامٍ (فتدخلوا) غيرَ ناظِرينَ (منتظرين) إنَاهُ (نضجه). وَلكنْ إذا دُعِيتُم فَادْخُلُوا. فَإذا طَعِمْتُم فانتَشِروا ولا (تمكثوا) مُسْتَأْنِسِينَ لِحَديثٍ (من بعضكم لبعض). إنَّ ذلكمْ (المكث) كان يُؤذي النَّبيَّ فيَستَحْيي مِنكمْ (أن يُخرجكم). واللّهُ لا يستَحْيي مِنَ الحقِّ. وإذا سَألتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجَابٍ. ذلكمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبكم وقلُوبِهِنَّ (من الخواطر المريبة). وما كان لكمْ أن تُؤْذُوا رسولَ اللّه، وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَه مِنْ بَعْدِهِ أبداً. إنَّ ذلكمْ كان عند اللّهِ (ذنباً) عظيماً» (٣٣/٥٣).

٧ . أمّا الذين يقولون بفرض الحجاب على المسلمات فيستندون أيضاً إلى سورة الأحزاب، حيث قال: «يا أيّها النّبيّ! قُلْ لأزْواجِكَ، وبَناتك، **وَنِساءِ المؤْمِنِينَ** يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ من جَلابِيبِهِنَّ. ذَلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ، فَلا يُؤْذَيْنَ (بالتعرّض لهنّ بخلاف الإماء يغطّينَ وجوههنّ). وكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحيماً (٣٣/٥٩).

وكذلك ورد في سورة النور، إذ يدعو القرآن محمّداً إلى التوجّه إلى المؤمنات جميعهنّ، ويفرض عليهنّ الخمار، أي ما تتقنّع به، فيقول: «قُلْ للمؤْمِناتِ يَغضُضْنَ مِن أبصارِهِنَّ (عمّا لا يحلّ لهنّ نظره)، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (عمّا لا يحلّ لهنّ فعله بها)، وَلا يُبْدِينَ (يظهرن) زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها (وهو الوجه والكفّان

فيجوز نظره لأجنبي)، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ (أي يسترون الرؤوس والأعناق والصدر بالمقانع). وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ...» (٢٤/ ٣١).

٨. من الألفاظ ذات الصلة: **الخمار** من الخمر وأصله الستر، ومنه قول النبيّ: «خمِّروا آنيتكم»[1] وكلّ ما يَستر شيئاً فهو خماره. لكنّ الخمار صار في التعارف اسماً لما تُغطّي به المرأةُ رأسَها.. ويعرّفه بعض الفقهاء بأنّه ما يستر الرأسَ والصدغَين أو العنق. والفرق بين الحجاب والخمار أن الحجاب ساتر عام لجسم المرأة، أمّا الخمار فهو في الجملة ما تستتر به رأسَها. و **النِّقَاب** ما تنتقب به المرأة. يُقال: انتقبت المرأة غطّت وجهَها بالنقاب. والفرق بين الحجاب والنقاب أنّ الحجاب ساتر عام، أمّا النقاب فساتر لوجه المرأة فقط.

الحَجَّاجُ بن يُوسُفُ الثَّقَفيّ (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م): وهو من ساسة بني أميّة، وُلد في الطائف، وهو حفيد الصحابي الثقفي عروة بن مسعود. ولاّه عبد الملك بن مروان إمرةَ جيشِه، فقضى على عبدالله بن الزُّبَير في الحجاز. وتولّى مكّة والمدينة والطائف والعراق. وقمع ثورة ابن الأشْعَث في معركة وادي الجماجم. أسّس مدينة واسط الواقعة في منتصف الطريق بين الكوفة والبصرة. عُني بشؤون الريّ والإصلاح النقدي. اشتهر بالبلاغة في الخطابة، كما اشتهر بالشدّة في الحُكم وببطشه والفتك بأخصامه الدينيّين والسياسيّين حتّى نعته البعض بالسفّاح والسفّاك. توفّي ودفن في واسط.

الحِجَاز: الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالحجاز ترجع أساساً إلى أربعة أحكام: ١ - أنّها لا يسكنها غير المسلمين؛ ٢ - أنّها لا يدفن بها أحدٌ من غير المسلمين؛ ٣ - أنّها لا يبقى بها دار عبادة لغير المسلمين؛ ٤ - أنّها زكويّة كلّها لا يؤخذ من أرضها خراج (راجع مادّة: **أرض العرب**).

قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب: «الحجاز إثنتا عشرة داراً: المدينة، وخيبر، وفدَك، وذو المروءة، ودار بليّ، ودار أشجع، ودار مزينة، ودار جهينة،

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٨٨، ط. السلفيّة، من حديث جابر بن عبدالله.

ونفر من هوازن، وجلّ سليم، وجلّ هلال، وظهر حرّة ليلى.. وسمّي حجازاً لأنّه حجز بين تهامة ونجد». ويمتدّ الحجاز من العقبة شمالاً حتّى تهامة جنوباً، ويشمل على الجزء المتوسّط من المنطقة الواقعة على ساحل البحر الأحمر، ويتضمّن على المدينتَين المقدّستين: مكّة ويثرب؛ كما يتضمّن الطائف أيضاً. تبلغ مساحته ٤٠٠,٠٠٠ كلم٢.

الحِجْر : مدينة في بلاد العرب على مسيرة يوم من وادي القرى جنوب غربي تيماء.. هي اليوم مدائن صالح. أطلال مدينة قديمة. تتميّز بأعمدة محفورة، ونقوش، وقبور، وفخّاريّات، وكتابات عربيّة ونبطيّة وآراميّة ويونانيّة ورومانيّة. يتحدث القرآن في سورة الحِجر (١٥/ ٨٠-٨٤) عن قومٍ من سكّان الكهوف أقاموا في هذا المكان، وكانوا يكذّبون المرسَلين، يُعرفون باسم **ثمود**. ويُروى عنهم أنّهم كانوا ينحتون بيوتهم من الجبال. ولكي يدعوهم اللّه إلى الإيمان بعث إليهم أخاهم **صالحاً** الذي أخرج من الصخرة ناقةً وفصيلَها، دليلاً على أنّه رسول من عند اللّه. ولكن، لمّا واصلوا عبادة الأصنام، وعقروا الناقة التي رجاهم صالح أن لا يمسّوها بسوء، أرسل اللّه عليهم زلزلةً قضتْ عليهم..

والحِجْر أيضاً إسم السورة **١٥** من القرآن. آياتها: **٩٩**.

وهو أيضاً القسم الخارج عن جدار الكعبة، وهو مدوّر على صورة نصف دائرة، ويسمّى «حجر إسماعيل»، ويُسمّى أيضاً الحَطيم. وقيل: الحطيم هو جدار الحِجر. وقيل: هو ما بين الركن وزمزم والمقام.. واختلفوا في كون جميعه من البيت. والقائلون إنّه من البيت استدلّوا بحديث عائشة التي قالت: سألتُ النبيَّ عن الحِجر فقال: هو من البيت.

الحُجُرَات : اسم السورة **٤٩** من القرآن. آياتها: **١٨**.

الحَجَرُ الأسْوَد : ١ . كتلة من الحجر ضارب إلى السواد، شبه بيضاوي في شكله. لونه أسود ضارب للحمرة، وبه نقط حمراء وتعاريج صفراء. وقطره حوالي ٣٠ سم، ويحيط به إطار من الفضّة. عرضه ١٠ سنتم. يقع في أصل بناء

الكعبة في الركن الجنوبي الشـرقي منها؛ على ارتفاع ١٦٠ سم من سطح الأرض. وله كساء وأحزمة من فضّة تحيط به حماية له من التشقّق.

٢ . يستلمه أي يقبّله الطائف عند طوافه.. وإن لم يتـمكّن من تقبيله استلمه بيده وقبّل يدَه.. أمّا النساء فلا يُستحبّ لهنّ استلامه ولا تقبيله، إلاّ عند خلوّ المطاف في الليل أو غيره.. إذا كان في الطواف زحـام وخشـي الطائف إيذاء الناس، فالأولى أن يَترك تقـبيل الحجـر الأسود واستلامَـه، لأنّ استلامَ الحـجر سنّة، وترْكَ إيذاء الناس واجب. فلا يُهمَل الواجب لأجل السنّة.

٣ . وهو، في معتقد المسلمين، الحجـر الذي وضعه إبراهيم وابنُه إسماعيل في الركن الشرقي من الكعبة، حين رفعا قواعدها. وقـبل بعثة محمّد، أعادت قريش بناء الكعـبة، حتّى إذا بـلغت مكان الحجـر الأسود اختلفت الـقبائل في مَن سـينال شرف إعادته إلى موضعه في الـركن. ثمّ اتّفقوا على تحكيم أوّل وافدٍ عليهم، فكان رسول اللّه. فقالوا: هذا الأمين، ارتضيناه حكَماً. فطلـب محمّد رداءً، ثمّ حمل الحجر ووضعه فـيه، ثمّ طلب إلى سيّد كلّ قـبيلة أن يأخذ بطرفٍ منه. فلمّا رفـعوه، حمله بيديه، وثبّته في مكانه. ولمّا حجّ عمـر بن الخطّاب قال: «إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع. ولولا أنّي رأيتُ رسولَ اللّه يقبّلك ما قبّلتُك».

في سنة ١٤٠هـ كُسِي الحجر الأسـود بصحـافٍ من الفضّـة. وقام بذلك زياد بن عبد اللّه. وفي سنة ٣١٧ هـ دخل القـرامطة مكّة، وأوقع زعيمهم أبو طاهر سليمان بـأهلها، وهاجم الحجّاجَ فقـتَل منهم وأسر، وسلب الأموال واقـتلع الحجر الأسود، كما اقتلع أبواب الكعبة، واسـتولى على ما كان بالكعبة من تحف وذخائر، وعاد بكلّ ذلك إلى هجر عاصمة دولته..

ولم يردّ القـرامطة الحجـر إلى مكانه إلاّ سنة ٣٣٩هـ عندمـا هدّد الخليفـة الفاطمي أبا طاهر، وألزمه بإعادة الحجر.

٤ . لقـد كثـرت حول الحـجر الأسـود الأساطيـر بين المسلمين، فاعـتبـره بعضــهم حجـراً سماوياً، من بعـض النجوم، أو من بقايا الجـنّة على الأرض. كان

ناصع البياض «لكنّ اللّهَ غيّره بمعصية العاصين»[١]. وقيل: «مَن قام عنده فدعا، استُجِيبَ له، وخرج مِن ذنوبه كيومِ ولدتْه أمُّه»[٢].. أو أيضاً: «مَن لمسه جعل اللّهُ فيه شفاء»[٣]. وجاء في الأزرقي: «إنّ اللّهَ تعالى جعل الركن عيدَ أهلِ هذه القبلة، كما كانتِ المَائِدَةُ عيداً لبني إسرائيل. وإنّكم لن تزالوا بخيرٍ ما دام بين ظهرانيكم»[٤].

٥ . وفي الآثارات النصرانيّة ثمّة حجَرٌ يُسمَّى «الحجر الأسود»؛ وهو كناية عن «حجر» كان أبيض، يُوضع في «جرن العماد» ويمثّل المسيح، بحسب ما جاء: «هذه الصخرة هي المسيح»[٥]، ويوصف أيضاً بـ «الحجر المنير». منه تنبع الماء لإرواء العطاش، وشفاء المرضى، والتطهير من الذنوب[٦]

ثم بعد التبرّك «بالماء» واستلام «الحجر»، كان المعمَّدون الأطهار «يدوسون بأرجلهم الشيطان، ويرجمونه بالحصى». ومن بعد ذلك كانت تجري مراسم الطواف سبعَ مرّاتٍ حول بيت الكعبة، كما حول بيت العماد[٧].

٦ . فهل يكون «الحجر الأسود» في مكة هو «المسيح الصخرة»، الموجود في جرن العماد عند النّصارى؟ إنّ الآثار تدلّ على تقاربٍ في الحجم والشكل بين الإثنين. ثمّ ليس مَن يعجب مِن اسوداد الحجر في ماءٍ آسنة، استُعملتْ مراراً للتطهير والوضوء، جرياً على عادةٍ نصرانيّة، عبّر عنها كتاب راعي هرماس بقوله: «إنّ حياتَك خلصت بالماء»[٨].

حُجْر بن عَدِيّ (ت ٥١هـ/ ٦٧١م) : صحابيّ من أنصار عليّ. قتله معاوية.

---

(١) الأزرقي، أخبارمكّة، ١/ ٣٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ١/ ٣١٨

(٣) المرجع نفسه، ١/ ٣٢٦-٣٢٧، ٣٢٨.

(٤) المرجع نفسه، ١/ ٣٤٣.

(٥) ١ قور ١٠/ ٤؛ انظر مز ١٧/ ٣ «الرب صخرتي»؛ خر ١٧/ ٦: مز ٧٧/ ١٦.

(٦) Justin, PG. 6,739-740. Bagatti, L' Eglise de la Circoncision, p. 201.

(٧) أنظر: Bagatti, L'Eglise de la Circoncision, p. 202.

(٨) Pasteur d'Hermas, Vision III, 3, 5...

حُجْر بن عَمْرو (القرن ٥م) : ملك كِندة. لُقِّب بآكل المرار، لتشوّه في وجهه. من نسله امرؤ القَيس الشاعر الجاهلي المعروف.

الحَدّ و الحُدُود : ١ . الحدّ لغةً: المنع. والحدّ من كلّ شيء: طرفه ومنتهاه. وحدود اللّه: ما حدَّه بأوامره ونواهيه. وحدود اللّه: محارمه، من قوله: تلكَ حُدودُ اللَّهِ فلا تَعتَدُوها» (٢/ ٢٢٩)، وقوله: «تلكَ حُدودُ اللّهِ فلا تَقْرَبُوهَا» (٢/ ١٨٧)، وقوله: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ. وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» (٦٥/ ١). وتوجد اللّفظة في القرآن في صيغة الجمع. ومعناها: القيود التي فرضها اللّه؛ أي أحكام الشريعة من الأوامر والنواهي. وقد شُرّعت الحدود في المعاصي، لأنّها تمنع أصحابَها من العود إليها.

٢ . ومن معاني الحدّ أيضاً: التعريف المبيِّن للماهيّة؛ لأنّ فيه معنى المنع من مشاركة غيره معه في ماهيّته، كما قيل في بيان حدّ الإنسان بأنّه حيوان ناطق. ومن هنا أيضاً يُطلق الحدّ على الفاصل بين شيئين، أو على أحد طرفَي القضيّة المنطقيّة، أو على أجزاء القياس، فيقال الحدّ الأكبر، والحدّ الأصغر، والحدّ الأوسط.

٣ . أمّا معنى الحدّ في القانون الجنائي الإسلامي فهو عقوبة مقدّرة على ذنبٍ واجبة حقًّا للّه، كما في الزنى؛ أو اجتمع فيها حقُّ اللّه وحقّ العبد، كالقذف. والمراد بالعقوبة المقدّرة: أنّها معيّنة ومحدّدة لا تقبل الزيادة والنقصان؛ ومعنى أنّها حقّ اللّه: أنّها لا تقبل العفو والإسقاط بعد ثبوتها، ولا يمكن استبدال عقوبة أخرى بها، لأنّها ثبتت بالأدلّة القطعيّة، فلا يجوز فيها التعدّي والإسراف.

٤ . والحدود هي:

١ – الرجم في حالة الزنا، وهو من الحدود التي نُسخت تلاوةً لا حكماً؛

٢ – الجلد، لقوله: «الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة» (٢٤/ ٢).. ويشترط في إقامة الجلد أن لا يكون خوفُ الهلاك، لأنّ هذا النوع من الحدود شرّع زاجراً لا مُهلكاً..

٣ – قطع يد السارق، لقوله: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء

بما كسبا نكالاً من الله» (٥/٣٨)، ولقول النبيّ: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً»[1].

٤ – الجلد في القذف بالزنا في حقّ امرأة مُحصنة، « لقوله: «والذين يرمون المُحصَنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة. ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً» (٢٤/٤)؛

٥ – قتل وصلب قطّاع الطرق، لقوله: «إنّما جزاء الذين يحاربون اللّهَ ورسولَه، ويسعون في الأرض فساداً، أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا» (٥/٣٣)؛

٦ – جلد شارب الخمرة؛

٧ – وزاد المالكيّة: حدّ الرِّدّة، لقول النبيّ: «مَن بدَّلَ دِينَه فاقتلوه»[2]..

٨ – وأيضاً: التغريب، أي النفي، فقد اتّفق الفقهاء على أنّه يجتمع مع الجلد تغريبُ الزاني البكر، لقوله: «البكرُ بالبكرِ جلدُ مائة ونفي سنة».

٩ – الكافر، إذا اغتصب امرأةً مسلمة، فإنّه يُقتل، لا بحدّ الزنى، بل لنقضه العهد. وكذلك لو ارتكب جريمة اللواط فإنّه يُرجم. ولا حدّ عليه في شرب الخمر، وذلك لقوّة أدلّة حلّه في عقيدتهم.. ولكنّه يحدّ حدَّ القذف، ذمّيًا كان أو معاهداً.

١٠ – كما زاد المالكيّة والشافعيّة: تارك الصلاة عمداً.

٥ . قال الراغب: جميع حدود اللّه على أربعة أوجه :

١ – إمّا شيء لا يجوز أن يُتَعدَّى بالزيادة عليه ولا القصور عنه، كأعداد ركعات صلاة الفرض؛

٢ – وإمّا شيء تجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان عنه، وذلك كمقدار الزّكاة؛

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/٩٦، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٣/١٣١٢، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/٢٦٧، ط. السلفيّة، من حديث عبدالله بن عبّاس.

٣ – وإمّا شيء لا تجوز الزيادة عليه، ويجوز النقصان عنه، مثل التزوّج بأربع فما دونها؛

٤ – وإمّا شيء يجوز عليه الزيادة والنقصان، مثل صلاة الضحى، فإنّها ثمان، وتجوز الزيادة عليها والنقصان منها[٣].

٦. ولا خلاف بين جمهور الفقهاء في أنّه لا تجوز الشفاعة في الحدود بعد وصولها للحاكم وثبوتها عنده. جاء في حديث نبويّ: أيّها الناس! إنّما أهْلَكَ الذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وأيّم الله! لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقتْ لقطعت يدها».

٧. إذا ثبتت الحدودُ بالقرار، فإنّها تسقط بالرجوع عنه: روي أنّ **ماعزاً** لمّا أقرّ بين يدي رسول الله بالزنى، لقّنه الرجوع[٤]. فلو لم يكن محتملاً للسقوط بالرجوع ما كان للتلقين فائدة. والرجوع عن الإقرار قد يكون نصّاً، وقد يكون دلالة بأن يأخذ الناسُ في رجمه فيهرب ولا يرجع، أو يأخذ الجلّاد في الجلد فيهرب ولا يرجع، فلا يُتعرَّض له، لأنّ الهرب في هذه الحالة دلالة الرجوع. واستثنوا حدَّ القذْف، فإنّه لا يَسقط بالرجوع، لأنّه حقٌّ العبد. وكذلك إذا ثبت الحدّ بالبيّنة أو الحمْل في الزنى لم يسقط بالرجوع.

٨. لا تُقبل شهادةُ النساء في الحدود.. ولا تُقبل الشهادة على الشاهد. واتّفق الفقهاء على أنّه يشترط في حدّ الزنى أن لا يقلّ عدد الشهود عن أربعة لقوله تعالى: «واللاّتي يأتين الفاحشةَ من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعةً منكم» (٤/١٥). وقال سعد بن عبادة لرسول الله: يا رسولَ الله! إنْ وجدتُ مع امرأتي رجلاً، أأمهله حتّى آتي بأربعة شهداء؟ قال: نعم»[٥].

٩. والشاهد، إذا عاين الجريمة، مخيّرٌ بين أداء الشهادة وبين الستر على

---

(٣) الراغب، كتاب المفردات، مادّة «حدّ».

(٤) حديث ماعز أخرجه مسلم ٣/١٣١٩–١٣٢٢، من حديث جابر بن سمرة.

(٥) أخرجه مسلم ٢/١١٣٥، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

أخيه المسلم لقول النبيّ: «مَن ستر مسلماً ستره اللّهُ يومَ القيامة»(٦). فلمّا لم يشهد على فور المعاينة دلّ ذلك على اختيار جهة الستر. فإذا شهد بعد ذلك دلّ على أنّ الضغينة حملتْه على ذلك، فلا تُقبل منه شهادته، لما رويَ عن عمر أنّه قال: «أيّما قوم شهدوا على حدٍّ لم يشهدوا عند حضرته، فإنّما شهدوا عن ضغن. ولا شهادة لهم. ولم يُنقل أنّه أنكر عليه أحد، فيكون إجماعاً. ولأنّ التأخير والحالة هذه يورث تهمة، ولا شهادة للمتَّهِم»(٧).

الحُدُود : في الدرزيّة هم خمسة أشخاص روحانيّين كانوا في بداية الكون. أوجدهم الباري ليكونوا في أساس خلقه؛ وهم : العقل الأوّل، النفس الكلّيّة، الكلمة، السابق، والتالي. هؤلاء ظهروا، في أيّام الحاكم بأمر اللّه، في أشخاص بشريّة هم على التوالي: حمزة بن علي، إسماعيل التميمي، محمّد بن وهب القرشي، أبو الخير سلامة السامري، وبهاء الدين المقتنى.

الحِدَاد : يقال: امرأة محتدة إذا لبستِ الحداد على زوجها، أي منعت عن نفسها مشاركةَ الغير في الفرح والزينة والطيب والكحل والدهن والحناء والخضاب، ولبس الحلى والثيابِ الزاهية. ومدّة الحِداد ثلاثة أيّام على الأقارب (أب. أمّ. أخ)، وعلى الزوج أربعة أشهر وعشراً لقول الرسول: «لا يحلّ لامرأة مسلمة تؤمن باللّه واليوم الآخِر أن تُحِدَّ فوق ثلاثة أيّام، إلاّ على زوجها أربعة أشهر وعشراً»: جاء في القرآن: «والذينَ يُتَوَفَّونَ منكم ويَذَرُونَ أزواجاً يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهِنَّ أربعةَ أشهرٍ وعشْراً» (٢/ ٢٣٤).. وينقضي حِداد الحامل بوضْع حملها.

الحَدَث : ١ . هو النّجاسة، يحلّ في الأعضاء، ويزيل الطهارة، ويمنع من صحّة الصلاة ونحوها. وهو نوعان: حدَث أكبر وحدَث أصغر. أمّا الأكبر فهو : الجنابة، والحيض، والنفاس. وأمّا الأصغر فمنه البول، والغائط، والريح، والمذي، والودي، وخروج المني بغير لذّة، والهادي وهو الماء الذي يخرج عند الولادة.

---

(٦) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٩٦، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

(٧) البدائع ٧/ ٤٦؛ والمغني ٨/ ٢٠٧.

٢ . ومَسُّ الفرْج حدَثٌ على ما روي عن النبيِّ، إذ قال: «مَن مسَّ ذَكَرَه فلا يُصَلِّ حتّى يتوضّأ»[١]؛ وقال أيضاً: «مَن أفضى بيده إلى ذَكَره ليس دونه سترٌ وجبَ عليه الوضوء»[٢]؛ وقوله: «أيّما امرأة مسّتْ فرْجَها فلتتوضّأ»[٣].. غير أنّه للنبيِّ حديثاً آخر يناقض ذلك: سُئل النبيّ عن الرجل يمسُّ ذَكَره في الصلاة، فقال: «هل هو إلاّ بضعة منك»[٤].

٣ . يُحرّم بالمُحدِث الصلاة بأنواعها لحديث الصحيحين: «لا يَقبل اللَّهُ صلاةَ أحدكم إذا أحدثَ حتّى يتوضّأ»[٥]؛ وقوله: «لا صلاة لمن لا وضوء له»[٦]؛ وقوله: «لا تُقبل صلاة بغير طهور»[٧].. وإذا طرأ على المصلّي الحدَث وهو في الصلاة، فجمهور الفقهاء يرون بطلان الصلاة، لقول النبي: «إذا فَسَا أحدُكم في الصلاة فلينصرفْ فليتوضّأ وليُعِدِ الصلاة»[٨]..

٤ . وكذلك يُحرَّم به الطواف، سواء أكان الطواف فرضاً أم واجباً أم نفلاً، في نسُكٍ أم في غيره، ويعتبر الفقهاء الطهارةَ شرطاً لصحّة الطواف لقول النبيّ: «الطوافُ حول البيت مثل الصلاة، إلاّ أنّكم تتكلّمون فيه»[٩].

٥ . وكذلك يُحرَّم به مسّ المصحف، لقوله تعالى: «لا يمسُّهُ إلاَّ المطهَّرُون» (٥٦ / ٧٩)؛ ولقول النبي: «لا تمسّ القرآن إلاّ وأنت طاهر»[١٠].

---

(١) أخرجه الإمام مالك ١ / ٤٢، ط. الحلبي؛ الترمذي ١ / ١٢٦، ط. الحلبي. وصحّحه البخاري وأحمد كما في التلخيص لابن حجر ١ / ١٢٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢ / ٣٣٣، ط. الميمنيّة، من حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه أحمد ٢ / ٢٢٣، ط. الميمنيّة، من حديث ابن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه أبو داود ١ / ١٢٧، تحقيق عزّت عبيد دعّاس..

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ١٢ / ٣٢٩، ط.السلفيّة؛ ومسلم ١ / ٢٠٤، من حديث أبي هُريرة.

(٦) أخرجه أبو داود، ١ / ٧٥، تحقيق دعاس، من حديث أبي هُريرة.

(٧) أخرجه مسلم ١١ / ٢٠٤، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

(٨) أخرجه أبو داود ١ / ١٤١، تحقيق دعّاس.

(٩) أخرجه الترمذي ٣ / ٢٨٤، ط. الحلبي، من حديث ابن عبّاس.

(١٠) أخرجه الحاكم ٣ / ٤٨٥، ط. دائرة المعارف العثمانيّة، من حديث حكيم بن حزام.

٦ . يرتفع الحدَثُ الأكبر بالغسل، والحدَثُ الأصغر بالوضوء.

الحُدَيبِيَّة : وادٍ على بعد تسعة أميال من مكّة، على طريق جدّة. وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت، أبعد من **التنعيم** ومن **الجعرانة** .. وهي من **مواقيت** العمرة.

اشتهرتْ بالصلح الذي عقده النبيّ مع كفّار قريش في آخر السنة السادسة، عندما خرج معتمراً لا يريد حرباً.. وأرسل رسولُ اللّه عثمان بن عفّان إلى قريش ليبلّغها بنيّة المسلمين. فلمّا أدّى مهمّتَه قالوا له: إنْ شئتَ أن تطوف بالبيت فطف به. قال عثمان: ما كنتُ لأفعلَ حتّى يطوف به رسول اللّه. فاحتبستْه قريش عندها. ثمّ شاع في المسلمين أنّ عثمان قد قُتِل. ودعا رسول اللّه إلى بيعته. فبايعه الناس على عدم الفرار، وأنّه إمّا الفتح وإما الشهادة..

ولمّا علمتْ قريش بأمر البَيعة أرسلت سهيل بن عمرو في وفدٍ من أجلِ الصلح شرط أن يرجع رسول اللّه ومَن معه خلال هذا العام.. وطلب من النبيّ إطلاق أسرى قريش، وأرسل إلى قريش لتطلق عثمان وصحبه. ثمّ دعا رسول اللّه عليًا ليكتب بنود الصلح.. واصطلحا على وقف الحرب عشر سنين.. ودام مقام النبيّ في الحديبيّة بضعة عشر يوماً. ثمّ رجعوا إلى المدينة، فنزلت سورة الفتح.

الحَدِيْث : ١ . هو ما ورد عن النبيّ من قول أو فعل أو تقرير. والصحابة هم أصدق مرجع لمعرفة الحديث، لأنّهم عاشوا مع النبيّ، وسمعوا أقوالَه، وشاهدوا أفعالَه. أمّا عند الشيعة فيؤخذ الحديث عن الأئمّة وآل البيت، لا عن الصحابة ولا عن نساء النبيّ.

٢ . ينقسم الحديث إلى :

١- صحيح، أي خالٍ من الخطأ، ولا توجد في إسناده علّة، ولا يعارض عقيدةً في الدين؛ ويعدّ الحديث صحيحاً إذا تتابعت سلسلة الإسناد من الصحابة إلى النبيّ من غير انقطاع، وكانت السلسلة تتألّف من أفراد يوثق بهم؛

٢- وحَسَن، أي الذي فيه بعض الشوائب، كأن يكون غير متّصل السند تماماً، أو كأن لا يقع الإجماع على راويه؛

٣- وضَعيف، كأن يكون واحد أو أكثر من سلسلة إسناده ممّن لا يوثق برواياتهم؛

٤- وموضوع، وهو كلام يُنسب إلى الرسول افتراءً وزوراً، ولم يثبت أنّ الرسول قاله، أو فعله.

٣. ومن الأحاديث ما يسمّى: «الحديث القدسي»، وهو كلام مضافٌ إلى اللّه، منقولٌ إلينا عنه، وهو وحي غيرُ متلوٍّ، فيما القرآن وحيٌ متلوٌّ. ويذكر العلماء روايةَ الحديث القدسي في صيغٍ متعدّدة: مَن يقول: «قال رسول اللّه فيما يرويه عن ربّه»؛ أو «قال اللّه عزّ وجلّ فيما يرويه عنه رسول اللّه»؛ أو «قال رسول اللّه فيما يحكيه عن ربّه»؛ أو يُقال: «جاء في الحديث القدسي»، بدون لفظ رواية ولا حكاية.

من العلماء مَن يرى أنّ عدد الأحاديث القدسيّة محدودة، في حدود المائة، أو تزيد قليلاً.. والحديث القدسي نوعان: ١- ما كان لفظه ومعناه من عند اللّه وبلّغنا إيّاه الرسول دون تصرّف منه؛ ٢- وما كان لفظه من عند رسول اللّه ومنسوب إلى اللّه باعتبار أنّه المتكلّم به أوّلاً والمنشئ له.

٤. وينقسم الحديث أيضاً باعتبار طرق الإسناد إلى :

١ - متواتر ، وهو ما رواه جماعة بلغوا في الكثرة مبلغاً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب فيه؛

٢ - ومشهور، وهو ما رواه ثلاثة فأكثر من العدول؛

٣ - وآحاد، وهو ما يُطلق على الأحاديث التي رواها واحد فقط؛

٤ - وغريب أو نادر، إذا اشتمل على عبارات نادرة أو غريبة.

٥. أمّا مجموعات الحديث فمنها أُلّف بحسب الرجال، وأحسنها: مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٨٥م)؛ وصحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٦م)، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م)،

وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وسنن النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م). وتسمّى: الكتب الستّة، أو الستّة الصحاح. ولها مقام من التقديس، تلي القرآنَ مرتبةً.

وهناك مجموعات أخرى مشهورة للحديث صُنّفت في القرن الثالث أيضاً، مثل سنن عبد اللّه الدارمي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، وسنن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، و«مصابيح السنّة» للبغوي (ت ٥١٠هـ/ ١١١٦م). وهي أيضاً مرجع هامّ من مراجع الحديث.

٦ . أمّا الشيعة فلم يعتبروا أحاديث صحيحة إلاّ ما رُفع إلى عليّ وشيعته. ولهذا كانت لهم مؤلّفاتهم الخاصّة. أهمّها الكتب الأربعة الآتية :

١ – الكافي لمحمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)؛

٢ – «مَن لا يحضره الفقيه» لمحمّد بن علي بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)؛

٣ – تهذيب الأحكام؛

٤ – و«الاستبصار فيما اختلف فيه الأخيار»، وهو مختار مِن سابقه. وكلاهما لمحمّد الطوسي (ت ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م).

حَذَامِ : إسم امرأة في الجاهليّة، ضُرب بها المثل في حدّة البصر وصدق الخبر. فقيل شعراً : «إذا قالت حَذام فصدِّقوها فإنّ القولَ ما قالت حذام». تختلط أخبارها بأخبار زَرقاء اليمامة.

حُذَيْفَةُ بنِ اليَمَان (ت ٣٦هـ/ ٦٥٦م) : صحابيّ من الفاتحين. ولاّه عُمر على المدائن فتغلّب على الفرس في نهاوند عام ٦٤٢م.

حِرَاء: جبل يبعد عن المسجد الحرام ٥ كلم، شمال شرقي مكّة، وهو يقابل **ثَبِير**. ارتقى ذروتَه النبيّ، ومعه نفر من أصحابه. واعتاد أن يتحنّث، أي يتعبّد، في غارٍ فيه طوال شهر رمضان من كلّ عام. وذلك قبل بعثته. في هذا الغار نزل الوحي

على محمّد. ومن ثمّ عُرف بجبل النور. ويبدو أنّ بعض أهل الجاهليّة كانوا من الحنفاء الموحِّدين يعبدون اللّه في حِراء. منهم في زمن النبيّ: جدُّه عبد المطّلب، ورقة بن نوفل، زيد بن نَفيل، وغيرهم...

الحِرَابَة : ١ . هي قَطْع الطريق بالقوّة، لأخذ مال، أو لقتل، أو لإرعاب، أو لاعتداء على العرض. وهي من الكبائر. ويجري عليها الحدّ، باتّفاق الفقهاء.

٢ . وسمّى القرآن مرتكبيها: محارِبين للّه ورسوله، وساعين في الأرض بالفساد، وغلظ عقوبتها أشدّ التغليظ. فقال: «إنّما جَزاءُ الذينَ يُحارِبون اللّهَ ورسولَه، ويَسعَون في الأرضَ فساداً، أن يُقتَّلوا، أو يُصلَّبوا، أو تُقطَّع أيدِيهم وأرجُلُهم مِن خِلافٍ، أو يُنفَوا منَ الأرضِ» (٥/ ٣٣). ونفى الرسولُ انتسابَهم إلى الإسلام، فقال: «مَن حمل علينا السلاح فليس منّا»[1].

٣ . يشترط الحنفيّة والحنابلة في الحرابة البُعد عن العمران. فإن حصل أخذ المال في القرى والأمصار فليس ذلك محاربة؛ لأنّ قطْع الطريق إنّما هو في الصحراء. ويشترط أيضاً أن يأخذ قطّاع الطريق المالَ جهراً، فإن أخذوه مختفين فهم سرّاق، وإن اختطفوا وهربوا فهم منتهبون، ولا قطْع عليهم. وكذلك إن خرج الواحد، والإثنان على آخِر قافلة، فاستلبوا منها شيئاً، فليسوا بمحاربين، لأنّهم لا يعتمدون على قوّةٍ ومنعة. أمّا إن تعرّضوا لعدد يسير فقهروهم، فهم قطّاع طرق.

٤ . عقوبة المحاربين حدٌّ من حدود اللّه، لا تَقبل الإسقاط، ولا العفو، ما لم يتوبوا قبْل القدرة عليهم، لقوله تعالى في آية القطع المذكورة آنفاً: «ذلكَ لهم خِزْيٌ في الدنيا. ولهم في الآخِرةِ عذابٌ عظيم، إلاّ الذين تابوا مِنْ قَبْلِ أن تَقْدُرُوا علَيهم. فاعلموا أنّ اللّهَ غفورٌ رحيم» (٥/ ٣٣-٣٤).

حَرّان : مدينة قديمة في تركيّا ما بين النهرَين. موطن إبراهيم الخليل بعد هجرته من أُور. اشتهرتْ بمدرستها التي عُنيت بالفلك والرياضيّات. لمع فيها علماء

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ٢٣، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/ ٩٨، من حديث ابن عمر.

الصابئة من فلاسفة وأطبّاء ومترجمين وكتَبة، كثابت بن قُرّة، وابنه سَنان، والبَتّاني، وإبراهيم بن هِلال، وهِلال بن المُحَسِّن.

الحرّانيّون : ١ . هم أبناء شعبة الحرّانيّون الخمسة: ١- أبو محمّد الحسن بن شعبة الحرّاني، له أربعة كتب، هي: حقائق أسرار الدين، ورسالة موضحة حقائق الأسرار لمن تيقّظ من الأبرار، وتحف العقول عن آل الرسول، والتمحيص، ٢- أبو عبد الله محمّد بن شعبة الحرّاني، وله كتابان، هما : الأصيفر، ورسالة اختلاف العالمين، ٣- أبو القاسم بن شعبة الحرّاني، ٤- أبو عمّار بن شعبة الحرّاني، لم نجد لهما مؤلّفات. ٥- وعلي بن حمزة بن علي بن شعبة الحرّاني، له كتاب: حجّة العارف في إثبات الحقّ على المباين والمخالف.

٢ . لم نجد مثل أبناء شعبة الحرّانيّين مَن يشبههم في تاريخ العلويّين في محبّة بعضهم بعضاً، ووقوفهم بجانب بعضهم بعضاً في الملمّات، وفي استفادتهم من شيخهم الخَصِيبي، الذي علّمهم مبادئ دينهم؛ ولم يجد خيراً منهم ليكونوا بجانبه، فقد مدحهم غيرَ مرّة، وذكرهم الطبراني مراراً، فخلّد ذكرهم.

٣ . وما كتبه الشيخ الخصيبي عن أبناء شعبة يدلّنا على ما لهم من أثر مبكّر في تكوين العقيدة العلويّة، وعلى ما لهم من أثر على صياغة المعتقد، سيّما وإنّهم كانوا الرعيل الأوّل الذي ناصر الشيخ. وهذا ما حدا بأبي سعيد الطبراني إلى ذكرهم في «الدستور»، الذي يشير إلى أفكارهم واعتقاداتهم بصراحة، ويعتبرهم بحراً واسعاً من العلوم[1] .

الحَرَم : ١ . لغةً، المنوع، أو المقدَّس. وفي الاصطلاح يُطلق الحرَم على:

١ - مكّة وما حولها، لقوله: «أوَلم يروا أنّا جَعَلْنا حرَماً آمناً ويتخطّف الناس من حولهم» (٢٩/ ٦٧)، هي مكّة، وهم قريش. ولقول النبيّ: «إنّ اللّه حرّم مكّة فلا تحلّ لأحدٍ قبلي ولا تحلّ لأحد بعدي. وإنّما أحلّت لي ساعة من نهار»[1]؛

---

(١) راجع كتاب «مجموعة الحرّانيّين»، رقم ٤ في سلسلة التراث العلوي.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٤٦، ط. السلفيّة، من حديث ابن عبّاس.

وقوله: «إنّ هذا البلد حرّمه اللّه تعالى يوم خلق السموات والأرض. فهو حرام إلى يوم القيامة»[٢]. ووجه تسمية الحرم هو أنّ اللّه حرّم فيه كثيراً ممّا ليس بمحرّم في غيره، كالسبي والغارة والقتل، والصيد، وقطع النبات.

٢ - المدينة وما حولها، لقول النبيّ: «المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يُقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث. مَن أحدث حدَثاً فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين»[٣].

٢ . تحديد حرم مكّة : من جهة المدينة عند **التّنعيم**، وهو على ثلاثة أميال.. ومن جهة اليمن سبعة أميال عند أضاة لِبْن. ومن جهة جدّة عشرة أميال عند منقطع الأعشاش لآخر الحديبيّة. ومن جهة الجعرانة تسعة أميال في شعب عبداللّه بن خالد. ومن جهة العراق سبعة أميال على ثنية بطْرف جبل المقطع. ومن جهة الطائف على عرفات من بطن نمرة سبعة أميال عند طرف عرنة.. وابتداء الأميال من الحجر الأسود.. وقد حدّد الحرم المكّي من مختلف الجهات بأعلام بيّنة مبيّنة على أطرافه مثل المنار، مكتوب عليها إسم العلم باللّغات العربيّة والأعجميّة.

٣ . اتّفق الفقهاء على أنّه لا يجوز لغير المسلم السكنى والإقامة في الحرَم، لقوله تعالى: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! إنّما المشركون نَجَس. فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (٩/ ٦٨). وكذلك يحرم اجتياز الكافر ولو بصفة موقّتة، لعموم الآية.. حتّى إذا أراد مشركٌ دخولَ الحرم ليُسلم فيه مُنع منه حتّى يُسلم قبلَه.

٤ . ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه يُسنّ الغسل لدخول الحرم، وذلك تعظيماً لحرمته. ولا فرق بين أن يكون الداخل محرماً أو حلالاً. ومن مميّزات الحرم أنّ الإنسان إذا همّ بسيّئة فيه يؤاخَذ به وإنْ لم يفعلْها، بخلاف سائر البلدان فإنّه إذا همّ الإنسانُ فيها بسيّئةٍ لا يؤاخذ بهمّه ما لم يفعلها، لقوله تعالى: «ومَن يُردْ فيه بإلحادٍ بظلمٍ نُذقْهُ مِن عذابٍ أليمٍ» (٢٢/ ٢٥).

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٤٧، ط. السلفيّة؛ مسلم ٢/ ٩٨٦، من حديث ابن عبّاس.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٨١، ط. السلفيّة، حديث أنس بن مالك.

٥ . واتّفق الفقهاء على أنّ صلاةً في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، لقول النبي: «صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام». وورد عن النبي قوله أيضاً: «مَن حجّ مِن مكّة ماشياً حتّى يرجع إلى مكّة كتب اللّهُ له بكلّ خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم»[٤].. كما ذهب جماعة من العلماء إلى أنّ السيّئات تُضاعَف بمكة كما تُضاعَف الحسنات.

٦ . أمّا حرم المدينة فله، كحرم مكّة، حدود وأحكام، وذلك لما ورد في الحديث أنّ النبيّ قال: «إنّي حرّمتُ المدينةَ كما حرّم إبراهيم مكّة»[٥].. ويرى الجمهور، كما في الحديث: «ما بين لابتَيها حرام»[٦].

٧ . ولكن يختلف الحرم المدني عن الحرم المكي بما يلي:

١ – يجوز أخذ ما تدعو إليه الحاجة من شجر المدينة وحشيشها للعلف؛

٢ – من أدخل إليها صيداً فله إمساكه وذبحه؛

٣ – يجوز دخول المدينة بغير إحرام؛

٤ – لا يمنع الكافر من دخول المدينة موقّتاً؛

٥ – لا يختصّ حرم المدينة بالنسك وذبح الهدايا..

حُرُوبُ الرِّدَّة : هي الحروب التي جهّزها أبو بكر الصدّيق للقاء المرتدّين في أرجاء الجزيرة العربيّة، وكانت أشهر المعارك «معركة اليمامة» وأعظمها ثماراً، يوم قضى فيها خالد بن الوليد على كذّاب بني حنيفة مُسيلمة بعد أن قُتِل منهم يومئذٍ خلقٌ كثير، وتمكّنت جيوش الصدّيق من إعادة كامل جزيرة العرب إلى حظيرة الإسلام (أطلب مادّة : **الرِّدَّة**).

---

(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٤٦١، ط. دائرة المعارف العثمانيّة، من حديث ابن عبّاس.

(٥) أخرجه مسلم ٢/ ٩٩١، ط. الحلبي، من حديث عبدالله بن زيد بن عاصم.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٨٩، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٢/ ١٠٠٠، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة. واللأبة الحرّة، وهي أرض تركبها حجارة سود.

حَرُوْرَاء : موضع في العراق قرب الكوفة، بايع فيه الخوارج عبدالله الراسبيّ بالخلافة.

الحَرِيْم : حريم الرجل ما يُقاتِل عنه ويَحميه. سُمّي بذلك لأنّه يُحَرَّم على غير مالكه أن ينتفع به. وكلّ محرّم له حريم يحيط به. والحَريم هو المحيط بالحرام، كالفخذَين فإنّهما حريمٌ للعورة الكبرى. والإباحة لا حريم لها لسعتها. وأصل ذلك قول الرسول: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس. فمن اتّقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضِه؛ ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»[١].

الحُرِّيَّة : ١ . ليست حرّيّة الإنسان، في الإسلام، مطلقة، لأنّها محدّدة بإرادة الله. فإرادة الله ذاتها هي التي جعلت إرادةَ الإنسانِ حرّة، بدءًا من الإيمان بالله: «فَمَن شاءَ فَلْيُؤْمِن. ومَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ» (١٨/ ٢٩)؛ «ولَو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَن في الأرضِ كُلُّهُمْ جَميعاً. أفَأنْتَ تُكْرِهُ الناسَ حتّى يكونوا مُؤمِنينَ؟» (١٠/ ٩٩).

٢ . يُحِدّ الحريّةَ الاعتقادُ بالقضاء والقدر. كما يُحدّها أيضاً تلك الشرائع الإلهيّة الأزليّة الأبديّة المنزلة على الإنسان من فوق. بذلك فإنّ حرّيّة الإنسان إنّما هي رهينة إرادة الله. أمّا المسيحيّون في مفهومهم للحرّيّة لا يخضعون لأيَّةِ شريعةٍ نازلةٍ عليهم من فوق؛ ولا لأيّ قانون وضعيٍّ يحكمهم حكماً مؤبّداً.

٣ . نريد أن نشيرَ إلى فارقٍ أساسيٍّ آخَر في موضوع الحريّة فيما بين المسيحيّة والإسلام : في ممارسة الحرّيّة يصطدم المسيحي بحرّيّاتِ الآخَرين، لا بالله. أمّا في الإسلامَ فيصطدم المسلم بالله. لهذا نقول مرّة أخرى : إنّ الكنيسة، في المفهوم المسيحي للحرّيّة، هي التي تحدّ من إمكانيّة حصول هذا الإصطدام بين البشر. أمّا في الإسلام فالحَكَم هو «الكتاب المنزل»، أي الشريعة السماويّة الأزليّة، يعني: الله نفسه. الإنسان الحرّ، في المسيحيّة، حفاظًا على حرّيّته، يترك غيره يمارس حرّيّته بأوسع نطاق ممكن. بهذا تنمو الحريّة الإنسانيّة الحقّة، ويتنعّم

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ١٢٦؛ ومسلم ٣/ ١٢١٩؛ من حديث النعمان بن بشير.

الجميع بـ «حريّة أبناء اللّه» (رو ٨/ ١٥)، وذلك في العمل على خلاصهم من الناموس وأحكامه، من الخطيئة وتقاطعها مع إرادة اللّه، ومن الموت وسلطانه المبيد.

٤ . وأخيراً نقول: إنّ اللّهَ، في المفهوم المسيحي، تجسّد. ثمّ تألّم. وصُلب. ومات من أجل فداء الإنسان في حريّته، لا من خطيئة أبوينا الأوّلَين المزعومة، بل من الناموس الذي قيّد الإنسانَ به رجالُ النّاموس. فالفداء والخلاص كانا لنا، لا من خطيئة آدم، بل من الناموس المنزَل علينا من فوق. وليس إلاّ اللّه هو الذي يسعه القيام بعمل الفداء هذا. فبموت المسيح استعيدت حرّيتنا من سلبها الإلهيّ. ولا يزال المسلمون ينتظرون مَن يخلّصهم من تلك الشريعة المنزلة عليهم من فوق، في كتابٍ سلبَ حرّيتنا من دون أن يكون بإمكانه أن يُصلب.

الأحْزَاب : السورة ٣٣ من القرآن. آياتها: **٧٣**. وهي أيضاً تلك القبائل التي تألّبت وتظاهرت على حرب النبيّ، وهم: قريش برئاسة أبي سفيان، وكان عددهم ٤ آلاف مقاتل، وغطفان برئاسة عيينة بن حصن، وكان معه ألف فارس، وبنو مرّة برئاسة الحارث بن عَوف، وهم ٤ آلاف؛ وبنو أشجع، وبنو سليم، وبنو أسد. وعدّة الجميع عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة أبي سفيان، فيما عرف بغزوة الأحزاب.

الحِسَاب : في اليوم الأخير، سوف يقف كلُّ إنسانٍ، أمام اللّه، ليُحاسَب على ما عمل من خيرٍ أو من شرّ؛ ثمّ ينال جزاءه. واللّه في ذلك سريع الحساب: «اليومَ تُجْزَى كلُّ نَفسٍ بما كَسَبَتْ. لا ظُلْمَ اليومَ. إنَّ اللّهَ سريعُ الحسابِ»[1]. أمّا في هذه الدنيا فإنّه «يرزق مَن يشاء بغيرِ حساب»[2]؛ وكذلك يرزق مَن في الجنّة بغير حساب: «فأولئكَ يَدخُلون الجنّةَ يُرزَقون بغير حساب» (٤٠/ ٤٠). ويقول الرسول: «لا تزول قَدَما عبدٍ يومَ القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه» (أخرجه الترمذي).

---

(١) ٤٠/١٧؛ رَ: ٢/٢٠٢؛ ٣/١٩٩؛ ٥/٤؛ ١٣/٤١؛ ١٤/٥١؛ ٢٤/٣٩.
(٢) ٢/٢١٢؛ ٣/٢٧ و٣٧؛ ٢٤/٣٨.

حَسَّانُ بن ثَابِت (ت ٥٤هـ/ ٦٧٤م) : وُلد بيثرب. يكبر النبي بسبعة أو ثمانية أعوام. وكان أشعر أهلها في زمانه. مدح ملوك الغساسنة. ولقي النابغة وعلقمة. وقام بزيارة النعمان أبي قابوس بالحِيرة. وأثارت هذه الزيارة حسدَ الملك الغساني الحارث بن الأعرج. وهو أوّل من نظم الشعر الديني في الإسلام. لُقِّب بشاعر النبيّ الذي كافأه بأن أهداه سيرين أختَ ماريّا القبطيّة. تنحصر براعته الشعريّة في الهجاء والتقريع؛ إلاّ أنّه أعرض في إسلامه عن الغزل والخمر والهجاء. وقيمة شعره هو أنّه مصدر من مصادر التاريخ الإسلامي. قيل لحسّان: لاَنَ شعرُكَ في الإسلام، يا أبا الحسام! فقال للقائل: يا ابنَ أخي! إنّ الإسلام يمنع الكذب، وإنَّ الشعر يزيّنُه الكذب».

الحِسْبَة و **المُحْتَسِب** : وظيفة دينيّة أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كان المحتسب ينادي الناس للاجتماع لصلاة الجمعة، ويراقبهم عند أوقات الأذان في الأسواق، وكان يشرف على الجوامع والمساجد، ويأمر بكنسها وتنظيفها، وكان يختار إمامَ المسجد والمؤذّن، ويراعي التزامهما بشروطهما، وكان يشرف على أهل الذمّة وضرورة إلزامهم بتنفيذ الشروط التي يُنسب إلى عمر بن الخطاب أنّه ألزم أهلَ الذمّة باتّباعها. كما كان يُشرف على الحمّامات، وعلى أصحاب الحرف والمهن، ويوقف مضايقة الجمهور، ويزيل كلَّ ما يعوق المرور، ويحكم فيما يظهر من نزاع بين أهل الصناعة الواحدة.

كما كان يراقب المرأة وما ينبغي لها أن تكون، وما يُحرَّم عليها فعله، كأن يمنعها من الجلوس على أبواب بيتها في طرقات الرجال، أو العوائد القبيحة التي تتبعها في الجنائز والمآتم، وسلوكها وسيرها في الطرقات. إضافة إلى تعهّد النواحي الصحّيّة عند أصحاب المهن والحرف والصيادلة والعطّارين... إلخ.

وتتميّز الحسبة بسرعة الفصل في الأمر حال وقوعه وإثباته.

الحَسَن البَصْرِيّ (أبو سعيد) (ت ١١٠هـ/٧٢٨م) : **تابعيّ ومتكلّم**. من كبار الزهّاد. وُلد بالمدينة. وسكن البصرة. كان إمام أهلها وحبر الأمّة في زمانه. كان فريداً في معرفة الأحكام الشرعيّة والتدريس والوعظ والحديث. أثّر في جيله

تأثيراً عظيماً. تخرّج عليه عَمرو بن عُبَيد وواصل بن عَطاء رأس المعتزلة. له مكانة رفيعة في التصوّف. يقوم مذهبه على النسك والإعراض عن الدنيا.

يقول في مرتكب الكبائر الذي لا يتوب توبة نصوحاً لا يوجد عنده إيمانٌ أصلاً؛ وهو بهذا القول يخالف الخوارج بأنّه كافر؛ ويخالف المعتزلة بأنّه لا مؤمن ولا كافر؛ ويخالف المرجئة بأنّه مؤمن مقصّر، أي غير مؤاخذ، ورحمة اللّه وسعت كلّ شيء. ويقول أيضاً في مسألة الجبر والاختيار بأنّ الحسنات بتوفيق اللّه والمعاصي بعمل العبد، لا كما يقول الجهم بن صفوان بأنّه مجبر غير مخيّر ولا إرادة له فيما يفعل؛ أو المعتزلة بأنّ العبد يخلق أفعال نفسه وهو محاسب بها.

الحَسَنُ بن الصَّبَّاح (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م) : مؤسّس فرقة الحشّاشين. ناصر الخليفة الفاطمي نزار على حساب أخيه المستعلي. وعاد إلى المشرق، وانتهى به الأمر عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩١م إلى الظفر بالحصن الجبلي المنيع **ألَمُوت**.. وانصرف الحسن أيضاً إلى التأليف، وصنّف كتباً عدّة بالفارسيّة أُتلِفت جميعاً عند احتلال المغول لقلعة ألموت. يلقّبه تلاميذه بـ «سيّدنا».

الحَسَنُ بن عَلِيّ (ت ٥٠هـ/ ٦٧٠م) : أكبر أبناء علي من فاطمة بنت رسول اللّه. وُلد بالمدينة سنة ٣ للهجرة. بويع له بالخلافة بعد مقتل أبيه، فآثر عدم القتال وترْك الخلافة. ويلوح أنّ الصفات الجوهريّة التي كان يتّصف بها الحسن هي الميل إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء.. وقد أنفق سنيّ شبابه في الزواج والطلاق. فأُحصِي له حوالي المائة زيجة عدًا؛ حتّى لُقِّب بالمِطلاق. وكان مبذِّراً مُسرِفاً. فقد اختصّ كلاً من زوجاته بمسكن ذي خدم وحشم. وكان يبعثر المال أيّام خلافة أبيه. وشهد يوم صفّين دون أن يكون له فيها دورٌ فعّال. ثمّ هو إلى ذلك لم يهتمّ أيّ اهتمام بالشئون العامّة.

بعد اغتيال علي، بويع الحسن بالخلافة في العراق، وحاول أنصاره أن يقنعوه بالعودة إلى قتال أهل الشام. ولكنّه لم يعد يفكّر إلاّ في التفاهم مع معاوية، كما أدّى إلى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق. وترك له معاوية أن يحدّد ما يطلبه جزاء تنازله عن الخلافة. ولم يكتف الحسن بالمليوني درهم التي طلبها معاشاً

لأخيه الحسين، بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهم أخرى.. أجيب إلى ما سأله، حتّى أنّه جاهر بالندم على أنّه لم يضاعِف طلبه. وترك العراق مشيَّعاً بسخط الناس عليه ليقبع في المدينة. وهناك عاد إلى حياة اللّهو. وتُوفّي في المدينة بذات الرئة. ولعلّ إفراطه في الملذّات هو الذي عجّل بمنيّته بالغاً من العمر ٤٥ سنة.

الحُسَيْنُ بن عَلِيّ (ت ٦١هـ/ ٦٨٠م) : الابن الثاني لعلي وفاطمة. وُلد بالمدينة في السنة ٤ أو ٥ للهجرة.. كان أقلّ من أخيه الحسن إقبالاً على اللّذات.. قال الشيخ المفيد : «والإمام بعد الحسن أخوه الحسين بنصّ جدّه رسول اللّه، وأبيه علي، ووصيّة أخيه الحسن إليه»..

عن سلمان الفارسي قال: «سمعتُ رسولَ اللّه يقول في الحسن والحسين: أللّهمّ! إنّي أُحبّهما وأُحبّ مَن أحبّهما. وقال: مَن أحبَّ الحسن والحسين أحببتُه. ومَن أحببتُه أحبّه اللّه، ومَن أحبّه اللّه أدخلَه الجنّة. ومَن أبغضهما أبغضتُه، ومَن أبغضتُه أبغضه اللّه. ومَن أبغضه اللّه أدخله النار». وقال رسول اللّه أيضاً: «حسين منّي وأنا من حسين. أَحَبَّ اللّهَ مَن أَحَبَّ حسيناً. حسين سبط من الأسباط».

لمّا مات معاوية سنة ٦٠هـ، كتب يزيد بن معاوية إلى عامله بالمدينة، وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، يأمره أن يأخذ البيعة له من الحسين خاصّة، ومن أهل المدينة عامّة. ويقول في الكتاب: «وإذا امتنع الحسين عن البيعة فاضربْ عنقه وابعث إليّ برأسه».

ولمّا بلغ أهلَ الكوفة امتناعُ الحسين عن البيعة ليزيد، كاتبوا الحسين بالطاعة له والثورة ضد الأمويّين، فأرسل إليهم ابنَ عمّه مسلم بن عقيل، الذي دخل الكوفة في ٥ من شوّال، وبايعوه حتّى أحصى ديوانه ١٨ ألفاً في ذلك اليوم... فلمّا علم الحسين بذلك، توجّه يوم التروية في ٨ من ذي الحجّة.

وفي أثناء الطريق، علم بمقتل رسولِه مسلم، وخضوع الكوفة لبني أميّة، وجاءتْه فصيلة من الجيش، يطلبون منه الوصول إلى الكوفة والنزول عند أمر عبيد اللّه بن زياد عامل يزيد على الكوفة. فامتنع الحسين، وأخذ طريقاً لا يردّه إلى

المدينة، ولا يُدخله الكوفة، لأنّه أراد الرجوع إلى المدينة، والقومُ أرادوا منه القدوم إلى الكوفة. فوصل إلى **كربلاء**، يوم الخميس، ٢ من محرّم. وفي ١٠ منه، سنة ٦١هـ، أي: ١٠/١٠/٦٨٠ م. وذلك بعد صلاة الظهر. وكان عمره يومذاك ٥٧ سنة، كانت الواقعة التي، كما يقول فيها الشيعة، هزّت الإنسانيّةَ هزّاً، والتي أقامت الدنيا وأقعدتها. وقاتِلُه واحدٌ من هؤلاء: شمر بن ذي الجوشن، أو سنان بن أنَس، أو خولى بن يزيد الأصبحي... ولمّا جيء برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية جمع أهلَ الشام، وجعل ينكت الرأسَ بالخيزران.

له من الأولاد: ٦ ذكور و٣ بنات. منهم: علي الأكبر، شهيد كربلاء؛ و**علي السجّاد**، المعروف **بزين العابدين**، وأمّه شاهزنان (ومعناها: ملكة النساء) بنت كسرى ملك الفرس؛ وجعفر مات في حياة أبيه ولا عقب له؛ وعبد اللّه، المشهور بعلي الأصغر، قُتل مع أبيه صغيراً.

قال رسول اللّه: «إنّ موسى بن عمران سأل ربّه فقال: يا ربّ! إنّ أخي هارون مات فاغفرْ له. فأوحى اللّه إليه: يا موسى! لو سألتَني في الأوّلين والآخِرين لأجبتُك ما خلا قاتِل الحسين بن علي. فإنّي أنتقم له مِن قاتله». وقال أيضاً: «إنّ في النار منزلةً لم يكن يستحقّها أحدٌ من الناس إلاّ قاتِل الحسين ويحيى بن زكريّا».

وكان عدد مَن قُتل مع الحُسَين من أهل بيته وعشيرته ١٨ نفساً. وهم: من أولاد علي ٦، ومن أولاد الحسن ٣، ومن أولاد الحسين ٢، ومن أولاد عبداللّه بن جعفر الطيّار ٢، ومن أولاد عقيل ٢، ومن أولاد مسلم بن عقيل ٢.

يقول الشيعةُ في استشهاد الحسين: «أيّ رجلٍ في الكون قام بما قام به الحسين؟ يقول النصارى: إنّ السيّد المسيح قدّم نفسَه للصلب ليخلّص الشعب من الخطيئة! وأين ما فعله ممّا فعله الحسين؟ عيسى قدّم نفسَه فقط على قول النصارى. أمّا الحسين فقدّم نفسَه وأبناءَه، حتّى وَلَدَه الرضيع، وقدّم إخوته وأبناءَ أخيه وأبناء عمّه. قدّمهم جميعاً للقتل. وقدّم أموالَه للنهب، وعيالَه للأسر»[1].

---

(١) الشيخ محمّد جواد مغنيّة، **الشيعة في الميزان**، ص ٢٢١.

ويقول السنّة في مقـتل الحسين بلسان ابن كثِيـر : «كلّ مسلم ينبغي له أن يُحزنه قتلُ الحسين. فإنّه من ســادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول اللّه، أفضل بنـاته. ولكن لا يحسن ما يفـعله الناسُ من إظهار الجـزع والحزن الذي لعلَّ أكثرَه تَصنُّعٌ ورياء :

«وقد كان أبوه أفـضلَ منه فقُتل، وهم لا يتّخـذون مقتلَه مأتماً كيـوم مقتل الحسين. وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنّة، وقد قُتل وهو في داره، وذُبح من الوريد إلى الوريد، ولـم يتّخـذ الناسُ يومَ قـتله مـأتماً. وكذلـك عمـر بن الخطّاب، وهو أفضل من عـثمان وعلي، وقُـتل وهو قائم يصلّي في المحـراب، ويَقرأ القرآن، ولم يتّخذ الناسُ يومَ قتْله مأتماً. وكذلك الصدِّيق كان أفضل منه، ولم يتّخذ الناسُ يوم وفاته مأتماً. ورســولُ اللّه سيّدُ ولدِ آدم في الدنيا والآخرة، وقـد قبضه اللّه إليه، كمـا مات الأنبياء قبله، ولـم يتّخذ أحدٌ يومَ موتهم مـأتماً، ولا ذَكَرَ أحدٌ أنّه ظهر يومَ موتهم شيءٌ ممّا ادّعاه هؤلاء يوم مقـتل الحسين من الأمور، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك.

«لا يجوز لمن يخاف اللّه، إذا تذكّر قـتْلَ الحسين ومَن معه، رضي اللّه عنهم، أن يقومَ بلطم الخدود وشقّ الجيوب والنوح ومـا شابه ذلك. فقد ثبت عن النبيّ أنّه قال: «ليس منّا مَن لطم الخدود وشقّ الجيـوب». إنّ ضرب القامات وشقّ الصدور والنحيب إحدى الخرافات التي يدّعي القومُ أنّهـا إحدى وسائل التقرّب للّه بها. وهم ينســبون إلى الأئمّــة قولهم: "مَن بكى، أو تبـاكى على الحسين وجـبت له الجنّة". والكلّ يريد الجنّة، ويسعى لها. ولذلك كلٌّ يسعى لزيادة البكاء وإظهار الحزن...

«هذه عقيـدة القَوم، وهذه عقولهم. فهم يبـكون على الحسين. ولا ندري ما يبكيـهم. والحقـيقـة أنّهم لا يبكون الحـسين أبداً، بل يبكون مصـيرهم ومـصيـرَ أجدادهم الخونة الذين خانوا اللّهَ ورسولَه والصحابةَ وعلي والحسين. إنّهم يبكون مصيـرهم القادم في جهنّم. وبئس المصـير. يبكون عقابهم في الدنيـا، فزادهم اللّه عقاباً. فاحمدوا اللّهَ أيُّها المسلمون على أنْ جعلكم على الهدى لا على الضلال»[٢]..

---

(٢) أحمد جواده، من هم الشيعة؟ دار الأمير للنشر، القاهرة، ص ١٢٤–١٣٨.

الحُسَيْنُ بـن الضَّحَّاك (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) : من كبار الشعـراء في العهد العبّـاسيّ. من أهل البصــرة. لُقِّب بالخليع. نادم الخلفاء وصــاحبَ أبا نوّاس. عُرف بالمجون. له خمريّات وغزليّات مشهورة.

الحُصَيْن بـن نُمَيْر (ت ٦٧هـ/ ٦٨٦م) : قائد أمويّ. خلف مُسـلِم بن عُقبة في الحملة على ابن الزُّبَير في مكّة. قتله وعُـبيد اللّه بن زياد إبراهيمُ بن الأشتر، في معركة الخازر قرب المدائن.

الحَشّاشُون : إسمٌ أُطلق على فريقٍ من الإسـماعيليّة الذين كـانوا يحتلّون، أيّام الحروب الصليـبيّة، الحصـونَ الجبليّة في بلاد الشام وجـبلَ أَلَـمُوت، والذين صمّمـوا على التخلّص من أعدائهم بالاغـتيال. هم جمـاعة سرّيّة يطيعون أئـمّتهم طاعةً عـمياء، وينفِّذون مـشيئَتــهم من دون اعتراض. ومن أهمّ ضــحاياهم الوزير السلجوقي المشهور نِظام الملك.

مؤسّسهم **الحسن بن الصبّاح** (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩١م)، الذي ناصر الخليفة نزار بن المسـتنصر الفـاطمي، ضدّ أخـيه المسـتعلي. ومنه سُـمِّيـت هذه الجمــاعة بالنزاريّة. وقد استمرّ حكمهم فـي أَلَـمُوت وبلاد الشام حتّى عام ١٢٥٥م، مع آخر إمام لهم هو ركن الدين بن مـحمّد الذي استـسلم لهجمات هولاكو. ثـمّ وجّه إليهم سلطان المماليك بيبرس الضربة القاضية عام ١٢٧٢م. فقضى عليهم قضاءً ماحقاً، بعد أن روّعوا المجتمعَ الإسلامي بأعمال الإرهاب والنهب والقتل والاغتيال.

الحَشْر : إسم السورة **٥٩** من القرآن. آياتها: **٢٤**.

١ . الحشــرُ، لغةً، هو الجمع؛ ويوم الحـشر: يوم القـيامة. وهو عـبارة عن سَوق الخلائق، بعد بعثهم ونشرهم أحيـاء من قبورهم، وجمعهم في أرض المحشر. قال: «وَحَشَـرْناهُمْ فلمْ نُغادِرْ منهُمْ أحَداً» (١٨/ ٤٧)؛ وقال أيضاً: «لَيَـجْمَعَنَّكُمْ إلى يومِ القِيـامَةِ لا رَيبَ فيه» (٦/ ١٢)؛ وقـال: «يومَ يُنفَخُ في الصُّورِ فتَأتُونَ أفـواجاً» (٧٨/ ١٨)؛ وقال: «فسيـحشرهم إليه جميعـاً» (٤/ ١٧٢)؛ وقال: «ويوم نحشرهم جميعاً» (٦/ ٢٢)

٢ . ليوم الحشر أهوال وشدائد تُذيب الأكباد، وتُذهل المراضع، «وترى الناسَ سُكارَى وما هُم بسُكارَى. ولكنَّ عذابَ اللّهِ شديد» (٢٢/ ١-٢).. في هذا اليوم العظيم تدنو الشمس من الرؤوس، لقول مسلم في صحيحه: «تدنو الشمسُ يومَ القيامة من الخلق حتّى تكون كمقدار ميل». وقد أخبر اللّه تعالى بأنّ هذا اليوم كألفِ سنة، وفي آية أخرى كخمسين ألف سنة.

الحَشَفَة : هي ما تحت الجلدة المقطوعة من الذَكَر في الختان.. أجمع الفقهاء على أنّه يجب الغسل بغيبوبة الحشفة في فرج آدميّ حيّ، لقول النبيّ: «إذا التقى الختانان وتوارت الحشفة، فقد وجب الغسل»[٣]. ولا خلاف بينهم في أنّ من شروط وجوب الحدّ في الزنى تغييب الحشفة في فرج ولو لم ينزل. فإن لم يغيب، أو غيب بعضها، فلا حدّ..

الحَشْوِيّة : فرقة إسلاميّة، من بدايات الإسلام، أخذوا بالأحاديث المسرفة في التجسيم والتشبيه من غير نقد، وعلى ظاهر لفظها. وقد رفضهم المعتزلة وازدروهم وحسبوهم من المجسِّمة الذين اعتبروا اللّهَ ذا جسم في مكان وزمان، وقدرةٍ وعلمٍ كسائرِ البشر.

الحِصَار :من حاصر. ومنه المحاصرة، أي التضييق على الشخص والإحاطة به.. لا خلاف بين الفقهاء في أنّه يجوز للإمام محاصرة الكفّار في بلادهم، والحصون والقلاع، تشديد الأمر عليهم بالمنع من الدخول والخروج، والمنع من الماء والطعام حتّى يستسلموا وإن كان فيها نساء وصبيان، لقوله تعالى: «فإذا انسلخَ الأشهرُ الحُرُمُ فاقتلُوا المشركينَ حيثُ وجدتموهم. وخذوهم. وَاحْصُرُوهُم واقعُدوا لهم كلَّ مَرصَد» (٩/ ٥). وقد حاصر الرسول أهلَ الطائف[٤]، وحاصر المسلمون بعده القدس في خلافة عمر.

---

(٣) أخرجه إبن ماجه، ١/ ٢٠٠، ط. الحلبي؛ وأخرجه مسلم من وجوه أخر.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ٨/ ٤٤، ط. السلفيّة، من حديث عبداللّه بن عمر.

الحَضَارَة : «يعاني العالم الإسلامي في العصر الحاضر أزمةً طاحنة متعدّدة الجوانب. ففي الوقت الذي تتلاحق فيه التطوّرات العلميّة والفكريّة والحضاريّة في مناطق العالم المتقدّم، إذا بنا نرى التخلّف بكلّ أبعاده المادّيّة والمعنويّة، العلميّة والدينيّة، الفكريّة والحضاريّة، يخيّم على العالم الإسلامي. وقد حدا ذلك ببعض خصوم الإسلام في الغرب إلى إلصاق هذا التخلّف بالإسلام نفسه»... إنّنا، كمسلمين، لا نستطيع أن ننكر أنّ واقع الأمّة الإسلاميّة واقعٌ متخلّفٌ ومحزنٌ يُدمي النفس الإنسانيّة»[1].

الحَضَانَة :الحضانة واجبة شرعاً، لأنّ المحضون قد يهلك، أو يتضرّر بترْك الحفظ، فيجب حفظُه عن الهلاك. إذا كان الطفل بين أبويه فإنّ حضانته تكون لهما، وتنقضي ببلوغ الطفلِ الذكر، ودخولِ الزوج بالأنثى. أمّا إذا افترق الأبوان فإنّ الحضانة تكون للأمّ أوّلاً، عند جميع الفقهاء.

حَضْرَمَوت : منطقة في اليمن على خليج عدن والبحر العربيّ. مشهورة بوادي حَضْرَمَوت. تفصلها عن الرُّبع الخالي في الشمال هضبة عالية. تسيل من المرتفعات أودية عديدة.

الحَضْرَمِيّ (أبو محمّد يعقوب) (ت ٢٠٥هـ/ ٨٢١م) : أحد القرّاء العشرة. كان أعلم الناس في زمانه بالقراءات، والرواية، وكلام العرب، والفقه. وانتهت إليه رئاسة الإقراء في البصرة. وكان إمام جامعتها لسنين. كان زاهداً ورعاً، بلغ من زهده أنّه سُرِق رداؤه من كتفه وهو في الصلاة ولم يشعر، ورُدَّ إليه ولم يشعر.

الحُطَيْئَة (ت نحو ٦٧٨م) : شاعر مخضرم من بني عبس. إسمه جرول بن أوس، لُقِّب بالحُطَيئة تحقيراً. أسلم، ثمّ ارتدَّ فشارك في حروب الرِّدَّة أيّام أبي بكر. اشتهر بشدّة بخله، وباع شعرَه تكسّباً. لكنّه برع في فنَّي المديح والهجاء.

حِطِّين : قرية في فلسطين غربيّ بحيرة طبريّة. اشتهرت بحدَثين: بقبر النبي شُعَيب الذي يزوره الدروز كلَّ عام؛ وبمعركة صلاح الدِّين الأيوبي ضدَّ

---

(١) أ.د. محمود حمدي زقزوق، موسوعة الحضارة الإسلاميّة، ٢٠٠٥؛ ص ٣٣-٣٤.

الصليبيّين، وذلك في ٥/٧/١١٨٧م. وكانت هذه المعركة مفصلاً حاسماً لتحرير بلاد المسلمين من الصليبيّين، ومن ثمّ تحرير القدس في التاريخ نفسه.

حَفْصُ الفَرْد (أبو عَمرو) (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) : متكلّم تعلّم على أبي الهُذَيل العَلاّف في البصرة. لقّبه الشافعيّ بالمنفرد برأيه، أو الفَرْد، تَهَكُّماً. له مؤلّفات ضدّ المعتزلة وضدّ المسيحيّين.

حَفْصَة بنت عُمَر بن الخَطّاب (ت ٤٥هـ/٦٦٥م) : زوج النبيّ. أمّها زينب أخت عثمان بن مظعون، بنت عمّ خديجة، وابنة عمّ القسّ ورقة. عن أبيها قال: "وُلدتْ حفصة، وقريشٌ تَبني البيتَ، قبلَ مبعثِ النبيِّ بخمس سنين"، أي سنة ٦٠٥م. وكان لمحمّد ٣٥ سنة..

كانت، قبل النبيّ، تحت خُنَيس بن حُذافة. هاجرتْ معه إلى المدينة، ومات عنها في غزوة بدْر، وهي بعمر ثماني عشرة سنة، أرملة شابّة. عن عبدالله، أخيها، قال: "لمّا تأيَّمَتْ حَفصة، لقي عمرُ أبوها عثمانَ بن عفّان، فعرضَها عليه. فقال عثمان: ما لي في النساء حاجة. فلقي أبا بكر، فعرضَها عليه. فسكتَ. فغضبَ عمرُ على أبي بكر. فإذا رسولُ الله قد خطبَها فتزوَّجَها"[٢].

ولمّا تزوّجها رسولُ الله قال: "يتزوَّجُ حفصةَ مَن هو خيرٌ من عثمان، ويتزوَّجُ عثمانُ مَن هي خيرٌ من حَفصة"[٣].

فرجع أبو بكر إلى عمر بن الخطّاب يقول له: "إنّي قد كنتُ علمتُ أنّ رسولَ الله قد ذكرَها، فلم أكنْ لأفشي سرَّ رسولِ الله. ولو تركَها رسولُ الله قَبِلتُها"[٤]. قد يعني ذلك أنّ رسولَ الله كان، في أحاديثه الحميمة مع أبي بكر، يذكرُ له جمالَ حفصة وموقعَها في قلبه.

---

(٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ٨١-٨٢.

(٣) خيرٌ من عثمان هو النبيّ. وخيرٌ من حفصة إبنة النبيّ. طبقات ابن سعد، ٨/ ٨٣.

(٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ٨٢، الاستيعاب، ٤/ ١٨١١، الإصابة، ٤/ ٥١؛ ألسمط الثمين، ٨٣؛ عيون الأثر، ٢/ ٣٠٢.

دخلتْ حفصةُ بيتَ النبيّ، وفيه امرأتان، سَودة وعائشة. ولئن نافستِ الأولى بتقرّبها من قلب النبيّ، فإنّها سوف تبقى دون الثانية. وقد عرف ذلك أبوها عمر، عندما حاولت أن تكون بمستوى عائشة، فقال لها: "أين أنتِ من عائشة؟! وأين أبوكِ من أبيها؟! واللّهِ! لقد علمتُ أنّ رسولَ اللّه لا يُحبُّكِ. ولولاي لطلّقَكِ".

ومع هذا، لم تكن بدون غيرة من عائشة. وقد دبّرت مكيدةً لتختبر موقعها من قلب النبيّ. عن عائشة قالت: "إنّ النبيّ (ص) كان، إذا خرج، أقرع بين نسائه. فطارت القرعة لعائشة وحفصة. وكان النبيّ، إذا كان الليل، سار مع عائشة يتحدّث. فقالت حفصة: ألا تركبينَ الليلة بعيري، وأركبُ بعيرَكِ، تنظرينَ وأنظر؟ فقالت: بلى. فركبتْ. فجاء النبيّ (ص) إلى جَمَلِ عائشة، وعليه حفصة. فسلّم عليها. ثم سار حتى نزلوا. وافتقدتْه عائشة. فلمّا نزلوا، جعلتْ رجلَيها بين الإذخر (نبات عطري). وتقول: يا ربُّ! سلِّطْ عليَّ عقرباً أو حيّةً تلدغني. ولا أستطيع أن أقولَ لهُ شيئًا"[٥].

ثمّة رواية عن تجسّس حفصة على رسول اللّه، تخبرنا إيّاها لُهَيَّة جارية حفصة، تقول: "إنّ حفصة، زوجَ النبيّ، أرسلت لهيّة، خادمتَها، وأم ولد أبيها، في يومها الذي يدور إليها فيه رسولُ اللّه. فقالت: إنّه خرجَ من عندي، فاحتَبَسَ عنّي. فانظري عند أيٍّ نسائه؟ فانطلقتْ لُهيّة، فوجدتْه عند صفيّة اليهوديّة. فرجعتْ إلى حفصة. فأخبرتْها. فطفقتْ حفصة تقول: خلا بيهوديّة. ثم أَمَرتْ لُهيّةَ أن ترجعَ إلى صفيّة حتى يخرجَ النبيُّ من عندها فتُخبرُها بالذي قالت حفصة. فقالت صفيّة: واللّهِ! إنّي لابنةُ هارون، وإنّ عمّي موسى، وإنّ زوجي لَرسولُ اللّه. ما أعرف لأحدٍ أن يكون أفضل منّي. فدخلَ وصفيّة تبكي. فقال لها ذلك. فأخبرتْه بالذي بلّغتْها لهيّة عن حفصة وبالذي قالت لها. فصدّقها رسولُ اللّه. فلمّا رأتْ حفصة ذلك، قالت: واللّهِ، لا أؤذي صفيّةَ أبداً"[٦].

---

(٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفراً، ٧/٤٣.
(٦) الإصابة، ٤/٤٠٠، رقم ٩٥١.

"ولمّا كان الصبحُ، غدتْ حفصة مسرعةً إلى عائشة تخبرها عمّا حدث معها. فتظاهرت حفصة وعائشة، بسبب ذلك، على النبيّ. وبسببهما نزلتْ سورةُ التحريم... وبسبب إفشاء هذا السرّ، همّ النبيّ بتطليق حفصة. وطلّقها فعلاً. لكنّه راجعها رحمةً بصديقه عمر، الذي حثا التراب على رأسه. فنزل جبريلُ على النبيّ، يقول له: "إنّ اللّهَ يأمرُكَ أن تُراجعَ حفصة رحمةً بعمر".

في الإصابة، "دخل عمر على ابنته وهي تبكي. فقال: لعلّ رسول اللّه قد طلّقك؟ إنّه كان طلّقكِ مرّةً ثم راجعكِ من أجلي. فإنْ كان طلّقكِ مرّةً أخرى لا أكلّمُكِ أبداً"[7]. وفي الصحيحين، "خرج عمر إلى المسجد، فألفى المسلمين هناك ينكتون الحصا مطرقين، ويقولون: طلّقَ رسولُ اللّه نساءه. ولكن عمر –وابنتُه هي السبب– لم يطق على ذلك صبراً. فجاء رسولَ اللّه باكياً. ويقول: واللّه! لئن أمرَني رسولُ اللّه بضربِ عُنُقِها لأضربَنَّ عُنُقَها. ثمّ قال: يا رسولَ اللّه! ما يشقُّ عليكَ من أمر النساء. إن كنتَ طلّقتَهنَّ فإنّ اللّهَ معكَ وملائكتَه وجبريلَ وميكائيلَ وأنا وأبا بكر والمؤمنين معك.. فابتسم رسولُ اللّه، وارتاحَ عمر، ونزل إلى المسجد، وبشّرَ المسلمين: لم يطلّقْ رسولُ اللّه نساءه. وخرج رسول اللّه يتلو آيات التحريم"[8].

وفي كتب السير، "إنّ رسولَ اللّه طلّق حفصة. فأتاها خالاها عثمان وقدامة، إبنا مظعون، عمّا المرحومة خديجة، فبكتْ. وقالتْ: واللّه! ما طلّقني رسولُ اللّه عن شِبَع. فجاء رسولُ اللّه، فدخل عليها. فتجلببتْ. فقال رسولُ اللّه: إنّ جبريلَ أتاني فقال لي: أرْجِعْ حفصة. فإنّها صوّامة قوّامة. وهي زوجتك في الجنّة"[9].

وتوفّيتْ حَفْصَة. فصلّى عليها مروان بن الحكم، وهو يومئذ عامل المدينة. وتبعها إلى البقيع. وجلس حتى فرغ من دفنها. وكان ذلك في شعبان سنة ٤٥ للهجرة، في خلافة معاوية. وكان لها من العمر ستّون.

---

(٧) الإصابة، ٤/٥٨.

(٨) أنظر صحيح البخاري، وصحيح مسلم، في تطليق حفصة واسترجاعها.

(٩) أنظر: الإصابة، ٤/٢٧٣، رقم ٢٩٦؛ أسد الغابة، ٦/٦٥-٦٦، رقم ٦٨٤٥؛ الاستيعاب، ٤/١٨١٢؛ طبقات ابن سعد،٨/٨١-٨٦.

الحفْظ : من حفظ الشيء حفظاً إذا منعه من الضياع والتلف. ويُقال: حفظ القرآن إذا وعاه عن ظهر قلب..

الحِقْد : هو الضغن والانطواء على البغضاء، وإمساك العداوة في القلب، والتربّص لفرصتها، أو سوء الظنّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة، أو طلب الانتقام. وهو من البواعث العظيمة على الغِيبة. وتحقيق معناه: إنّ الغضب، إذا لزم كظمُه لعجزٍ عن التشفّي في الحال، رجع إلى الباطن، واحتقن فيه، فصار حقداً.

وقد ورد ذمّ الحقد في قوله: «وإذا لَقوكم قالوا: آمنَّا. وإذا خَلَوا عَضُّوا عليكم الأناملَ من الغَيظ» (٣/ ١١٩)، أي: إنّ هؤلاء المنافقين يُظهرون الإيمان عند ملاقاتهم للمؤمنين. وإذا خلا بعضهم إلى بعض فإنّهم يعضّون أطرافَ أصابعهم لأجل الغضب والحنق، لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة اللّه تعالى إيّاهم، بحيث عجز أعداؤهم عن أن يجدوا سبيلاً إلى التشفّي، واضطرّوا إلى مداراتهم وعَضِّ الأنامل، عادةِ النادم الأسيف العاجز[1]. وذمّ النبيّ الحقد ونفاه عن المؤمن في قوله: «المؤمن ليس بحقود»[2]؛ وفي قوله: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهنّ فإنّ اللّه يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء: من مات لا يشرك باللّه شيئاً، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه»[3]..

الحَقّ : ١ . الحقّ في اللّغة خلاف الباطل، وفي الاصطلاح يأتي بمعنَيَين: الحكم المطابق للواقع؛ والواجب الثابت، وهو قسمان: حقّ اللّه وحقّ العبد. حقّ اللّه لا يشاركه فيه أحدٌ غيره، ولا يملك أحدٌ إسقاطَه؛ وحقّ العبد ثلاثة أقسام: ١- حقّه على اللّه بأن يُدخله الجنّة إذا لزم عبادته له؛ ٢- وحقّه في الجملة وهو الأمر الذي يستقيم به، مثل تحريم الخمر؛ ٣- وحقّه على غيره من العباد.

---

(١) راجع: القوانين الفقهيّة، ص ٢٨٦؛ وإتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء الدين ٨/ ٣٧-٣٨، ط. الفكر؛ وروح المعاني ٤/ ٣٩، ط. المنيريّة؛ وتفسير القرطبي ٤/ ١٨٢، ط. المصريّة.

(٢) راجع الإحياء بشرح الزبيدي ٨/ ٥٨، ط. الميمنيّة.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ١٢/ ٢٤٤، ط. وزارة الأوقاف العراقيّة، من حديث ابن عبّاس؛ وأورده الهيثمي في المجمع، ١/ ١٠٤، ط. القدسي.

٢ . مصدر الحقّ هو اللّه تعالى لتنظيم حياة الخلق، حتّى يكونوا سعداء في الدنيا والآخرة.. وكلّ الحقوق، حتّى حقّ العبد، هو حقّ للّه وحده بادئ ذي بدء: كلّ تكليف حقّ اللّه، فإنّ ما هو للّه فهو للّه، وما كـان للعبد فراجع إلى اللّه من جهة حقّ اللّه فيه، ومن جهة كون حقّ العبد من حقوق اللّه.

٣ . ترد لفظة «الحقّ» في القـرآن ٢٨٣ مـرّة؛ وكـذلك تعابيـر مـثل: «يَحِقُّ الحَقَّ»، و«حَقَّ القولُ»[١]، «ويَحِقُّ القَـولُ» (٣٦/ ٧٠)؛ و«حَقَّتْ كلمـةُ ربِّك»[٢]؛ «وَلا تُلبِسُوا الحَقَّ بالباطل» (٢/ ٤٢)؛ «وَتَكتُمُوا الحَقَّ» (٢/ ٤٢). و«إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حقٌّ»[٣]؛ و«إنّ اللّهَ هو الحَقّ»[٤]؛ و«يهـدي للحقّ» (١٠/ ٣٥)؛ وقد «أنزل الكتـاب بالحقّ»[٥]؛ والإســلام هـو «دين الحقّ» (٩/ ٢٩ و٣٣)؛ واللّـه «خلق الســمــوات والأرض بالحقّ»[٦]. و«الحقّ» هنا هو صفة لا إسم؛ صفة للّه، ولوعده، ودينه، ورسله..

٤ . يفسِّر االبيـضاوي قوله: ««إنّه الملِكُ الحَقُّ» (٢٠/ ١١٣) أي: الثابت في ذاته وصـفاته. ويفـسّر أيضـاً: «ذلكَ بأنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقّ» (٢٢/ ٦)، أي: الثـابت في نفسه الذي به تتـحقّق الأشياء. ويفسّـره الرازي: «إنّه الموجود الثابت»... و«الحقّ» إسم مناسب جدًا لإطلاقه على اللّه الحقيقي، الموجود المطلق، الواجب الوجود بذاته، بينما كلّ الكائنات الأخرى تابعة له في وجودها.

٥ . والحقّ أيضاً هو ضدّ البـاطل في قوله: «ذلكَ بأنَّ اللَّهَ هو الحقُّ، وأنَّ ما يَدْعُونَ مِن دونِهِ هوَ البـاطِلُ» (٢٢/ ٦٢). والإسـلام، الذي يعتبر اللّـهَ حقًا، والكتبَ المنزلة حقًا، لا يهادن في ذلك، أي لا يترك مجالاً لحرّيّة الآخرين. لذلك، فهو يصنّف الناسَ بالنسبـة إلى ما عنده من «حقّ»؛ بل يقاتلهـم من أجل ما يملك من «حقّ»، من دون أي اعتبارٍ للاختلاف الطبيعي بين طبائع البشر وحضاراتهم ومجتمعاتهم.

---

(١) ٨/ ٧ و٨؛ ١٠/ ٨٢؛ ٤٢/ ٢٤..

(٢) ١٠/ ٣٣؛ رَ: ١٠/ ٩٦؛ ٤٠/ ٦.

(٣) ١٠/ ٥٥؛ ٢٨/ ١٣؛ ٣١/ ٣٣؛ ٣٥/ ٥؛ ٤٠/ ٥٥؛ ٤٥/ ٣٢؛ ٤٦/ ١٧.

(٤) ١٠/ ٣٢؛ ٢٢/ ٦ و٦٢؛ ٢٤/ ٢٥؛ ٣١/ ٣٠.

(٥) ٢/ ١٧٦ و٢١٣؛ ٣/ ٣؛ ٤/ ١٠٥؛ ٥/ ٤٨؛ ٣٥/ ٣١؛ ٣٩/ ٢؛ ٤٢/ ١٧.

حُقُوقُ الإنْسَان في الإسلام : ١ . يُقصد بها حفظ الضروريّات الخمس للإنسان. وهي: الدِّين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل. و«حقوق الإنسان في الإسلام، كما يقول المسلمون، أشمل وأعمق من حقوق الإنسان في الوثائق الوضعيّة، لأنّ مصدرها كتاب الله وسنّة رسوله. فالإسلام تناول الحقَّ وقرّرَه، وساوى فيه بين الناس، ممّا أعلى من قيمهم الإنسانيّة»..

٢ . ويردّد المسلمون قولهم: «وبهذا فقد قرّر الإسلام للإنسان قوانين لم تبلغ إليها القوانين الحديثة لصون كرامة الإنسان وحقوقه». ويقولون أيضاً: «إذا نظرنا إلى إعلان حقوق الإنسان بعد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨، ومبادئ القانون الدولي العام، والأعراف الدوليّة، نجدها جميعاً تتباهى بما تنطوي عليه من ذكرٍ لحقوق الإنسان، على الرغم من أنّ التمييز ما زال قائماً بين الأفراد في البلد الواحد، وبين الدول بعضها البعض.

٣ . وحسبنا في ذلك أنّ هذه المصادر والقوانين من صنع البشر، حيث تختلف لديهم معايير المساواة في الحقوق والواجبات، كما تختلف معايير الحرّيّة التي يتمتّع بها الإنسان، رغم كون الإعلان ترديداً عاديًا لبعض الوصايا النبيلة التي تلقّاها المسلمون عن الرسول الكريم».

حُقُوقُ المَرْأة في الإسلام (أطلب مادّة: **المرأة في الإسلام**).

حَقِّي (الشيخ إسماعيل) (ت ١٧٢٥م) : عالم وشاعر عثمانيّ من المتصوّفين الكبار. جال في الشرق، واستقرّ في بروسه، وأصبح شيخ الطريقة الجَلْوتِيّة. له مؤلّفات كثيرة، منها: «روح البيان» في تفسير القرآن، و«روح المثنوي» شرح كتاب جلال الدين الرومي، و«فرح الروح»، و«سلسلة طريقتِ جِلواتيّة».

الحَقِيقَة : ١ . من الحقّ. من معانيها، لغةً، الثبوت. قال تعالى: «لقد حقّ القول على أكثرهم» (٣٦/٧)، أي ثبت ووجب. وحقيقة الشيء منتهاه وأصله المشتمل عليه. وفي الاصطلاح: الحقيقة هي لفظ أُريد به ما وُضع له ابتداءً.

٢ . من القواعد العامّة أنّ الأصل في الكلام الحقيقة.. ولا يُصرف اللفظُ عن معناه الحقيقي إلى المجازي إلاّ عند عدم إمكان المعنى الحقيقي، بأن يكون متعذِّراً، أو متعسِّراً، أو مهجوراً عادة..

٣ . أمّا الحقيقة، بمعنى مطابقة الفكر على الواقع، فلا توجد في القرآن، ولا توجد كقيمة روحيّة أو خلقيّة؛ إنّما هي، في القرآن، ضدّ «المجاز»؛ أي إنّ المعنى الحقيقي غير المعنى المجازي. المعنى الحقيقي هو المعنى الأساسي، الباطني، الواضح؛ فيما المعنى المجازي هو المعنى الظاهر، المتشابه، الذي يجب أن «يُأَوَّل»، أي يُعاد إلى معناه الأوّل والأساسي، ليُعرَف معناه الحقيقي.

٤ . الحقيقة المطلقة والكاملة هي اللّهُ نفسُه. أللّه هو الحقّ والحقيقة. وكلّ حقّ يستمدّ حقيقتَه منه. ولا يسع إنساناً أن يعرفَ عمق هذه الحقيقة، إلاّ بإحدى طريقتَين: إمّا بوحيٍ من اللّه مباشر؛ وإمّا بصراع الفكر البشريّ الذي يَخرج من تناقضٍ إلى تناقضٍ حتّى يصل إلى شبه-حقيقة. وهذا لا يكون إلاّ في نهاية الدهر. الأُولى نعمة من اللّه مجّانيّة؛ والثانية من كون الإنسان حرًّا.

٥ . والإسلام، الذي يعتبر اللّهَ حقًّا، والكتبَ المنزلة حقًّا، لا يترك مجالاً لحرّيّة الإنسان، ولا يهادن في ذلك. لذلك، فهو يصنّف الناسَ بالنسبة إلى ما يظنّ أنّه يملك من «حقّ»؛ بل يقاتلهم من دون أي اعتبارٍ للاختلافات الطبيعيّة بين طبائع البشر وحضاراتهم وثقافاتهم وتربيتهم ومجتمعاتهم.

٦ . إنّ الاختلاف الكبير بين المسيحيّة والإسلام يقوم على أنّ المسيحيّة تناضل من أجل حقيقة المحبّة، ومن أجل حرّيّة الإنسان التي هي أولَى من كلّ حقيقة، علميّةً كانت أم دينيّة؛ فيما الإسلام يقاتل من أجل الحقِّ الذي يجده في كتاب اللّه، ودينه؛ لا من أجل محبّة الإنسان وحرّيّته. والمسيح، في النتيجة، مات، لا من أجل اللّه والحقيقة العلميّة أو الدِّينيّة؛ بل «من أجلنا نحن البشر».

الحَقِيْقَةُ المُحَمَّدِيَّة :إصطلاح ظهر متأخِّراً في أدبيّات التصوّف الإسلامي. وهو يعني أنّ النبي محمّد مخلوقٌ من نور، وأنّ حقيقته النوريّة هي أوّل الموجودات

في الخلق الروحاني، ومن نورها خُلقت الدنيا والآخرة. فـهي أصل الحياة، وسرّها الساري في كلّ الكائنات.. والقائلون بهذه النظريّة يؤكّدون على أنّ الأنبياء والرسل السابقين على محـمّد هم، في حقيقة الأمـر، نوّابه وورثته، وأنّ دورهم في التاريخ إنّما هو تجسيد للحقيقة المحمّديّة، أو الروح المحمّدي، قبل ظهور جسده الشريف.

ومن الحقيقـة المحمّديّة يستمدّ الأنبياء والأوليـاء علومَهم وأنوارَهم الإلـهيّة. وبهذا الاعتبار، سُمّي محمد بنور الأنوار، وأبي الأرواح، وسيّد العالم بأسره، وأوّل ظاهر في الوجود.. والنبيّ محمّد، في مفـهوم هذه النظريّة، هو الجدّ الأعلى للأنبياء والنبيّ الخاتم في آن واحد.. وفي الحديث: سُئل النبيّ: «متى جُعلتَ نبيًا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد»؛ وفي قول الإمام مالك، وهو يناظر أبا جعفر المنصور، ويأمره باستقبال القبر الشريف في دعائه: «.. إنّه وسيلتك ووسيلة أبيك آدم».

الحِكْمَة : فسَّر الطبري الحكمة في آية لقـمان (٣١/١٢): «ولقد آتينا لقمانَ الحكمةَ»، بالفقه في الدين والعقل والإصابة في القـول؛ وفسّرها البيضاوي بقوله: «الحكمة هي اسـتكمال النفس الإنسانيّة باقـتباس العلوم النظريّة واكتـساب الملكة التامّة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها». أمّا علماء اللّغة فقالوا: إنّ الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ثمّ أصبحت الحكمة مرادفة لكلمة فلسفة..

أمّا «**حكمـة الإشراق**» فـهي نوع من التصـوّف الأفلاطونيّ الحـديث. هي الفلسـفة المشرقـيّة التي ظهـرت في أيّام ابن سينا، وصنّف فـيهـا رسالةً سـمّاها «الحكمة المشرقيّة». وهناك أيضاً «حكمة الإشراق» كما علّمها السهروردي المقتول.

أمّا «**الحكمة الدرزيّة**» فتـقوم على حفظ «رسـائل الحكمة»؛ أي إنّ الدرزيّ الحكيم، الذي بلغ مرتبة العـقل، هو الذي حفظ «رسائل الحكمة» بتمامهـا وكمالها. وعليـه، والحال هذه، أن ينـعزل عن المجـتمـع البشـري العـادي، عن أهله وعيـاله ومجتمـعه وبيئته الذين باتوا لا يسـتحقّونه لفيض حكمةِ اللّه عليـه، ولامتلائه من مواهب «العقل الكلّي».

---

(٦) ٦/٧٣؛ ١٤/١٩؛ ١٥/٨٥؛ ٢٩/٤٤؛ ٣٠/٨؛ ٣٩/٥.

الحَلاَّج (الحُسَين بن منصور) (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م) : متصوّف ومتكلّم فارسي. كتب باللّغة العربيّة. عاش في خلوات مع شيوخ الصوفيّة (التستري، عمرو المكي، الجُنيد)، ثمّ افترق عنهم، وخرج إلى العالَم يدعو إلى الزهد والتقشّف. فجال في فارس والهند وما وراء النهر ومكّة، واستقرّ في بغداد. رماه المعتزلة بالشعبذة والدجل، وكفّره الشيعة الإماميّة، وكذلك الظاهريّة. فقُبض عليه، وسجن ببغداد، طوال ثماني سنوات. ثمّ جُلد وقطعت أوصاله وشُوّه وصُلب، ثمّ حزّ رأسه وأحرق، بعد محاكمة دامت سبعة أشهر.

من تعاليم مذهب الحلاّجيّة : في الفقه: إسقاط الوسائط، أي يمكن أن تحلّ أعمال أخرى محلّ الفرائض الخمس. في علم الكلام: تنزيه اللّه فوق حدود الخلق، إتّحاد روح الزاهد المخلوقة مع الروح الإلهيّة غير المخلوقة، وهو ما يُعرف باسم «حلول اللاّهوت في الناسوت». ومن هنا قوله: «أنا الحقّ». في التصوّف: الاتّحاد التام مع المشيئة الإلهيّة عن طريق الرغبة والاستسلام لها.

له كتب كثيرة، لم يبق منها إلاّ «كتاب الطواسين» في شرح مذهبه. اهتمّ بدراسة آثاره المستشرق لويس **ماسّينيون**.

الحَلاَل : ما يجيزه الشرع. وضدّه **الحرام**. والحلال يشمل: المندوب والمباح والمكروه مطلقاً.. والحلال متضمّن في الواجب.. واختلف عمّا إذا كان الأصل في الأشياء -التي لا نصّ فيها- الحلّ أو الحرمة. أكثر الحنفيّة والشافعيّة أنّ الأصل الحلّ، لقوله تعالى: «خلق لكم ما في الأرض جميعاً» (٢/ ٢٩)، وقول النبي: «ما أحلّ اللّهُ في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية. فاقبلوا من اللّه عافيتَه. فإنّ اللّه لم يكن نسيّا»[١]؛ وقوله: «إنّ اللّهَ فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحرّم حرمات فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٣٧٥، من حديث أبي الدرداء؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧١.

(٢)أخرجه الدارقطني ٤/ ١٨٤، ط. دار المحاسن، من حديث أبي ثعلبة الخشني..

الحَلَبيّ (نور الدين) (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) : وُلد وتُوفّي بالقاهرة؛ إنّما هو حلبيّ الأصل. اشتهر بكتابه سيرة النبيّ المعروفة بالحلبيّة، وعنوانها: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، استقاها من «السيرة الشاميّة» لشمس الدين الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٦م). وانتقدها انتقاداً لاذعاً وبالتفصيل الشاعر الأديب معروف الرصافي في كتابه: «الشخصيّة المحمّديّة، أو حلّ اللّغز المقدّس». وللحَلَبي أيضاً «زَهر المُزهر» اختصر به «المُزهر» للسيوطيّ.

الحِلْف : ١ . لغةً: العهد. وفي حديث أنس: «حالف رسول اللّه بين قريش والأنصار في دارِي، أي: آخى بينهم»(١). وقال ابن الأثير: «أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التساعد والتعاضد والاتّفاق. فما كان منه في الجاهليّة على الفتن والقتال والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام؛ وما كان منه في الجاهليّة على نصر المظلوم وصلة الأرحام، كحلف المطيّبين، وما جرى مجراه، فذلك الذي قال فيه النبيّ: وأيّما حلف كان في الجاهليّة لم يزدْ الإسلام إلاّ شدّة، يريد: من المعاقدة على الخير ونصرة الحقّ». وقال ابن سيّده: سُمِّي الحلْف حلفاً لأنّه لا يُعقد إلاّ بالحَلف، أي: يؤكَّد بالأيمان... وكانت الأحلاف تُعقد في الجاهليّة بين فرد وقبيلة، أو بين فرد وفرد، أو بين قبيلة وقبيلة. فممّا كان بين القبائل:

٢ . **حِلفُ المُطيِّبين** من قريش، وهم: عبد مناف، وأسد، وزهرة، وتيم (رهط أبي بكر). سُمّوا بذلك لمّا أرادت بنو عبد مناف أخْذَ ما في يدي عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية، وأبتْ بنو عبد الدار. فأخرجتْ بنو عبد مناف جفنةً مملوءَة طيباً، فوضعوها لأحلافهم المذكورين في المسجد الحرام عند الكعبة، ثمّ غمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً لليمين. فسمّوا المطيّبين. وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها، وهم: جمح، وسهم، ومخزوم، وعدي بن كعب (رهط عمر بن الخطّاب) على ما أرادوا من ذلك الأمر. فسمّوا **الأحلاف**. فكان يقال لأبي بكر "مطيّبي"، ولعمر "أحلافي".

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤/٤٧٢؛ ومسلم ٤/١٩٦٠.

٣ . **حِلْفُ الفُضُول** : إسم حلف عقده بعضُ عشائر قريش للأخذ بناصر المظلومين. وقد شرب المتحالفون، عند عقده، من ماء زمزم. ويُقال إنّ محمّداً شهد إبرام هذا الحلف وامتدحه، وكان سنّه إذ ذاك قريباً من عشرين عاماً. وقد قال فيه بعد ذلك: «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحبّ أنّ لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت»[1]. فيه تعاقد المتحالفون وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه على مَن ظلمه حتّى تُردّ عليه مظلمته.

وسبب تسميتها بهذا الإسم أنّ ثلاثة من قبيلة جرهم، هم: الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث قد عقدوا قديماً نظيراً لهذه المعاهدة. فلمّا أشبه فعل القرشيّين فعل هؤلاء الجرهميّين الأوَل المسمَّون جميعاً بالفضل، سمّي الحلف حلف الفضول.

والبطون التي تحالفتْ هذا الحلفَ من قريش هم: بنو هاشم، وبنو المطّلب، وبنو أسد بن عبد العزّى، وبنو زهرة، وبنو تيم بن مرّة؛ ومن بني تيم: عبدالله بن جدعان الذي عُقد الحلف في داره. تعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلاّ قاموا معه على مَن ظَلَمَه حتّى تُرَدَّ عليه مظلمته»[2].

٤ . واحتجّ الأكثرون من المسلمين بأنّ الإسلام ألغى كلّ حلف سابق بالحديث القائل: «لا حلف في الإسلام»، لأنّ الإسلام، في نظرهم، جعل المسلمين يداً واحدة، وأوجب على كلّ مسلم نصرةَ أخيه المسلم، والقيامَ على الباغي حتّى يرجع إلى الحقّ، كما قال تعالى: «إنّما المؤمنون إخوة» (٤٩/ ١٠)، وقوله: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» (٩/ ٧١)؛ وقول النبي: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»[3]، وقوله: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه

---

(١) سنن البيهقي، ٦/ ٣٧٦.

(٢) الروض الأنف ١/ ١٥٥.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٤٥٠، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٤/ ١٩٩٩، من حديث أبي موسى.

ما يُحبّ لنفسه»[٤]، وقوله: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»[٥]، وقوله: «المسلمون تتكافأ دماؤهم. يسعى بذمّتهم أدناهم. ويجير عليهم أقصاهم. وهم يد على مَن سواهم»[٦]. فمن كان قائماً بواجب الإيمان كان أخاً لكلّ مؤمن، ووجب على كلّ مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهما عقد خاصّ، فإنّ اللّه ورسوله قد عقدا الأخوّة بينهما، بقوله تعالى: «إنّما المؤمنون إخوة».

الحَلْق: في اللّغة: إزالة الشعر. ومن الألفاظ ذات الصلة: **الاستحداد**، أي: حلق العانة؛ و**النتف**، أي: نزع الشعر والريش ونحوه من الجذور؛ فيما الحلق بالموسى ونحوه.. قال ابن العربي من المالكيّة بأنّ الشعر على الرأس زينة، وحلقه بدعة.. واتّفق الفقهاء على أنّه يكره **القَزَع**، وهو أن يحلق بعض الرأس دون بعض.. أمّا المرأة فلا يجوز لها حلق رأسها لقول أبي موسى: «برئ رسول اللّه من الصَّالِقة والحَالَقة»[١]، ولقوله: «ليس على النساء حلق وإنّما عليهنّ التقصير»[٢].. وذهب الحنفيّة إلى أنّ حلْق الشارب سنّة، لقول النبي: «أحفوا الشوارب، وأعفُوا اللّحى»[٣]. وأمّا حلق اللحية فمنهي عنه.. لا خلاف بين الفقهاء في أنّه يستحبّ حلْق العانة بالنسبة للرجل، لأنّه من الفطرة.: وأمّا المرأة فيستحبّ لها النتف.. وأمّا حلق شعر الإبط فجائز لمن شقّ عليه النتف..

الحِلّيّ (الحسَن بن يوسف) (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) : فقيه الشيعة في عصره. يُعرف بالعلاّمة. له تصانيف كثيرة في الفقه والأصول والكلام والتفسير والحديث. منها : «تبصرة المتعلّمين في أحكام الدين»، و«منتهى المطلب في تحقيق المذهب»، و«مبادئ الوصول إلى علم الأصول»، و«القواعد والمقاصد» في المنطق

---

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ١/٥٧؛ ومسلم ١/٦٧، من حديث أنس.
(٥) أخرجه مسلم ٤/١٩٨٦، من حديث أبي هُريرة.
(٦) أخرجه أبو داود ٣/١٨٣، تحقيق عزّت عبيد دعّاس، من حديث عبداللّه بن عمرو.
(١) أخرجه البخاري، الفتح ٣/١٦٥؛ الصالقة: من صلقت المرأة إذا صاحت مولولة.
(٢) أخرجه أبو داود، ٢/٥٠٢، وحسّنه ابن حجر في التلخيص، ٢/٢٦١.
(٣) أخرجه مسلم ١/٢٢٢، من حديث ابن مالك.الإحفاء: الاستئصال. الحفّ المبالغة في القصّ.

والطبيعيّات والإلهيّات، و«منهاج الهداية» في علم الكلام.

الحِلّيّ (نجم الدين جعفر) (ت ٧٦٤هـ/ ١٢٧٥م) : نسبة إلى الحِلّة، مدينة في ولاية بغداد. لُقّب بالمحقِّق. هو فقيه الشيعة في عصره. وصاحب كتاب «شرائع الإسلام»، وهو عمدة كتب الشيعة في الفقه.

حَلِيْمَة بنت أبي ذُؤَيْب : من نساء بني سعد بن بكر. مرضع النّبيّ.. وقد خرجت في سنة شهباء في نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء. وأخذت آخر الأمر محمّداً وكان يتيماً. وسرعان ما غمر بيتها فيضٌ من الخير والبركة. وقد جاء النبيّ، إبّان إقامته عندها، ملكان فشقّا صدرَه واستخرجا منه علقة سوداء..

حَلِيْمَة بنت الحَارِث بن جَبَلَة، مَلك غسّان : اشتهرتْ بحسنها. أُطلق اسمُها على «يوم حليمة»، وهو يوم من أيّام العرب في الجاهليّة، تواقع فيه غسّان مع لخَم، فانتصر الغساسنة، وقُتل المنذِر الثالث سنة ٥٥٤م. وضُرب به المثل في كلّ أمر مشهور. فقيل: «ما يوم حليمة بسرّ».

حَمّادُ الرّاوِيَة (ت ١٥٨هـ/ ٧٧٤م) : هو راوية أشعار العرب. وُلد بالكوفة. ذاع صيته لعلمه الواسع بأشعار العرب وبأيّام العرب ولغاتهم.. وكان لحكمه على الشعر والشعراء قيمة كبرى. وكان في مقدوره أن يكشف عن السرقات والاستعارات الشعريّة. وقال نولدكه إنّ مأثرة حمّاد الكبرى هي جمْعه المعلّقات. وكان أحد ثلاثة يُقال لهم «الحَمّادون»، وهم: حمّاد الراوية، وحمّاد عجرد وحمّاد بن الزبرقان. كانوا يتنادمون. ويُرمَون بالزندقة.

الحَمَاسَة : إسم ديوانَين من الشعر. جمع الأوّل أبو تَمّام (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٦م) ممّا وصل إليه من الشعر العربيّ في الجاهليّة حتّى عصره. وأوّل الأبواب العشرة لهذا الكتاب مخصّص لأشعار في الحماسة، ومن ثمّ أصبح عنوان هذا الباب دالاً أيضاً على العمل كلّه. وقلّده تلميذه البحتري في كتاب آخر بالاسم نفسه.

حَمْدَان قِرمِط : داعية إسماعيليّ، ومؤسّس القرمطيّة. كان فلاّحاً بسواد الكوفة. وكانت مقابلته لحسين الأهوازي سبباً في انضمامه إلى الإسماعيليّة. وكان

للأهوازي رسولَ عبد الله بن ميمون، وقد خلفه بعد وفاته.. وبنى حمدان لنفسه قرب الكوفة، عام ٢٥٨هـ/٨٧١م، مقاماً رسمياً دعاه «دار الهجرة». وغدت هذه الدار مركزاً يلوذ به أتباعه ويشنّون منه الغارات على غيرهم. وكان حمدان مفرطَ الذكاء، طموحاً، واسعَ الحيلة. طالب بجعل الزوجات والمال مشاعاً بين القرامطة.

الحَمْدَانِيُّون (٣١٧-٣٩٤هـ/٩٣٠-١٠٠٣م): أسرة عربيّة عملتْ في خدمة العبّاسيّين. تولّوا المَوصِل والجزيرة. ثمّ استقلّوا وبسطوا سيادتهم على شمال سورية. أسّسها حمدان بن حمدون شيخ قبيلة تغلب في ماردين (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م). وسّع حدود الإمارة ابنُه عبدالله وحفيدُه سيف الدولة أميرُ حلب. قضى عليها الفاطميّون. وانقرضت بموت سعيد الدولة. كان بلاط سيف الدولة مَلاذاً للشعراء، فمدحه كثيرون، منهم: المتنبّي وأبو فِراس الحَمدانيّ.

الحَمْد: ١ ـ لغةً: نقيض الذمّ. وهو الشكر، والرضا، والجزاء، وقضاء الحقّ، أو الثناء الكامل، أو الثناء بالكلام أو باللسان على جميل اختياري.. الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبْق إحسان؛ أمّا **الشكر** فثناء على المشكور بما أولَى من الإحسان. وعلى هذا فإنّ الحمد أعمُّ من الشكر.. قال الراغب: «والحمد أخصّ من **المدح**، وأعمّ من الشكر؛ فإنّ المدح يُقال فيما يكون من الإنسان باختياره، وممّا يقال منه وفيه بالتسخير. فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه. والحمد فيكون في الثاني دون الأوّل. والشكر لا يقال إلاّ في مقابلة نعمة. فكلّ شكر حمْد، وليس كلّ حمد شكراً؛ وكلّ حمد مدح، وليس كلّ مدح حمداً»[١].

٢ ـ الحمد يكون لله، لأنّه المستحقّ للحمد ذاتاً وصفات.. وهو مطلوب شرعاً، لقوله للنبيّ: «قل الحمدُ للّه» (٢٧/ ٥٠)، ولقول النبيّ: «كلّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أقطع»[٢]. وقد حمد اللّهُ نفسه، وافتتح كتابَه بحمده، فقال:

---

(١) المفردات للراغب، ص ١٣٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١/ ٦١٠؛ والدارقطني ١/ ٢٢٩، من حديث أبي هُريرة. أقطع، أي: ناقص.

«الحمدُ للّهِ ربِّ العالَمِين» (١/١).. وحمد اللّه مستحبٌ في كلّ أمر.. ومطلوب على كلّ حال وفي كلّ موطن.. وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الحمد، منها قول النبي: «مَن قال سبحانَ اللّهِ وبحمده غُرِسَتْ له نخلَةٌ في الجنّة»[٣]، وقوله: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم»[٤].

٣ . ونهى اللّهُ أن يحمد الإنسانُ نفسَه في قوله تعالى: «فلا تُزكُّوا أنفسكم. وهو أعلمُ بمَن اتَّقى» (٥٣/٣٢)، وقوله: «ألم تر إلى الذين يُزكّون أنفسَهم؟! بل اللّه يزكّي مَن يشاء. ولا يُظلَمون فتيلاً» (٤/٤٩). وقال النبيّ: «لا تزكّوا أنفسكم. اللّه أعلم بأهل البِرِّ منكم»[٥]. ولكن إن احتاج الإنسانُ إلى بيان فضله والتعريف بما عنده من القدرات فلا بأس بذلك، كما قال يوسف: «إجْعلني على خزائن الأرض. إنّي حفيظ عليم» (١٢/٥٥).. وحمْدُ الإنسان غيرَه وثناؤه عليه ومدحه إيّاه منهيٌّ عنه شرعاً، وبخاصّة إذا كان بما ليس فيه.

٤ . ترد لفظة "الحمد" ومشتقّاتها في القرآن: ٦٠ مرّة. وهي مرادفة للتسبيح. الخليقة كلّها تُسهم في حمد اللّه وتسبيحه: "له الحمد في السموات والأرض وعشيّاً وحين تُظهرون" (٣٠/١٧). "تسبّحُ له السموات السبع والأرض ومَن فيهنّ. وإنْ مِن شيء إلاّ يُسبّح بحمده. ولكن لا تَفقهون تسبيحَهم". وتنتهي سورة الجاثية (٤٥/٣٦-٣٧) هكذا: "فللّه الحمد. ربِّ السموات والأرض، ربِّ العالمين". وهي صدى لمزمور (١٩/٢): "السموات تحدّثُ بمجد اللّه والجَلَد يُخبرُ بما صنعت يداه".

٥ . ويقوم الحمد على الاعتراف بعظائم اللّه، وهو تسبيح دائم: «فسبحان اللّه حين تُمسون وحين تُصبحون» (٣٠/١٧). وفي المزمور: "في كلّ يومٍ أباركك،

---

(٣) أخرجه الترمذي ٥/٥١١، ط. الحلبي.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ١٣/٥٣٧، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٤/٢٠٧٢، من حديث أبي هُريرة.

(٥) أخرجه مسلم ٣/١٦٦٨، ط. الحلبي، من حديث زينب بنت أبي سلمة.

وأبد الدهور أسبّح اسمك" (مز ١٤٥/ ٢-٣). وهو شكرٌ لا ينقطع: في القرآن: "فاذكروني أذكركم. واشكروا لي ولا تكفرون" (٢/ ١٥٢)، و"اشكروا اللّه" (٢/ ١٧٢)، "واشكروا نعمةَ اللّه" (١٦/ ١١٤).

٦. فحمد اللّه، وتسبيحه، وشكره، والثناء على ما صنعه ويصنعه، هو موقفُ كلّ إنسان: إنّه موقف إنسان البيبليا وموقف إنسان القرآن سواء؛ ذاك لأنّ البيبليا أيضاً تشدّد على واجب المؤمن في "حمد اللّه". وهو الـ "هلّلويا" العبرانيّة، أي "احمدوا اللّه" المتردّدة دائماً في البيبليا، وبنوع خاصّ في المزامير التي هي أنشودة "حمد" دائمة للّه: "إحمدوا الرّبَّ وادعوا باسمه. عَرِّفوا في الشعوب مآثرَه. أنشدوا له واعزِفوا... إفتخروا باسمه القدّوس. ولتفرح قلوبُ مُلتمسي الرّبّ" (مز ١٠٥/ ١).

حَمْزَة بن حَبِيب الزَيَّات (ت ١٥٦هـ/ ٧٧٣م) : أحد أئمّة القراءات العشر. لُقّب بالزَيَّات لأنّه كان ينقل الزيت من الكوفة إلى حلوان بالعراق حيث توفّي.

حَمْزَة بن عَبْدِ المُطَّلِب (ت ٣هـ/ ٦٢٥م) : عمّ النبيّ، وأخوه في الرضاعة. اشترك في **حرب الفجار**. اعتنق الإسلام بعد أن ابتدأ بسنتَين. سمع أنّ أبا جهل يسبّ محمّداً، فجاءه، وأهوى بالقوس عليه فشجّه، وقال: «أتشتمه وأنا على دينه؟». وكان ذلك قبل إسلام عمر بثلاثة أيّام، فقوي ساعد الإسلام بهما.. ثمّ هاجر مع الرسول إلى المدينة. حارب في **بدْر**، ببسالة، فلُقّب بأسد اللّه وأسد رسوله. اشترك في حصار عشيرة **بني قينقاع** من يهود المدينة. واستشهد في **أُحد**.

حَمْزَة بن عَلِيّ بن أَحْمَد الزَوْزَنِيّ (ت ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) : ١. هو رأس طريقة الدروز الدينيّة. وُلد في زَوزن في إيران. اتّصل بالحاكم بأمر اللّه وعمل في سناه. «وُجِدَ» حمزة، كما يقول الدروز، عَصْرَ الخميس في ٢٣ ربيع الأوّل سنة ٣٧٥ هـ الموافق ١٣ آب سنة ٩٨٥م، في التاريخ عينِه الذي «وُجِد» فيه الحاكم. جاء مصر سنة ٤٠٥ هـ. واتّفق مع بعض الأصحاب على العمل في إعلان دعوة التوحيد في بدء السنة الثامنة بعد الأربعمائة للهجرة.

٢ . وهو، عند الدروز : **العقل الكلّي** الذي تشخّص في أدوار الكشف بأشخاصٍ عديدة، مختلفة الصور والأسماء. ظهر، في دور الحاكم، باسم حمزة. وهو القائل عن نفسه: «ثمّ رجعنا، في وقتنا هذا، على يد آدم زمانكم، حمزة بن علي بن أحمد الصفا: «كما بَدَأنا أوّلَ خلقٍ نُعيدُه» (٢١/١١٧). إنّ مولانا جلّ ذكره (هو) الفاعل ذلك، وهو القادر القهّار»[١].

ويعترف حمزة بأنّه كان منذ الدهور ، وأنّه هو العقل الكلّي، وهو آدم الصفا، وأنّه هو الذي دعا الناس إلى التوحيد «في سبعين عصر، ما منها عصر إلاّ ويُظهرني مولانا جلّ ذكره فيكم، بصورةٍ أخرى، وإسمٍ آخر، ولغةٍ أخرى . أعرِفُكم ولا تعرفوني، ولا تعرفوا أنفسكم»[٢].

ويقول أيضاً: «إصطفاني (المولى) وأبدَعَني من نوره الشعشعاني مِن قَبل أن يكونَ مكان، ولا إمكان، ولا أنس، ولا جانّ وهو (المولى)، مِن قَبلِ أن يَخلقَ آدمَ العاصي وآدمَ الناسي بسبعين دوراً، بين كلّ دور ودور سبعون أسبوعاً، وبين كلّ أسبوع وأسبوع سبعون عاماً؛ والعام ألف سنة ممّا تعدّون. وما منها عصر إلاّ وقد دعوتُ العالمين إلى توحيد مولانا بصوَرٍ مختلفة ولغاتٍ مختلفة»[٣].

ويبدو أنّ حمزة كان آخر ظهورات العقل في العالم: لقد «قام بالتوحيد آخرُ قائمٍ... إليه انتهتْ أدوارُ الإمامة... والقائم، عليه السلام، لا يقومُ بعدَه غيرُه، لأنّه تمامُ الأدوار ونهايتُها... وَعَرَفَ العالَمُ أنْ لا خَلَفَ له»[٤].

٣ . ويصف حمزة نفسَه **بصفاتٍ تاليهيّة** أزليّة أبديّة؛ فيقول: «الحمدُ لمن أبدعني من نوره، وأيّدني بروح قدسه، وخصّني بعلمه، وفوّضَ إليّ أمرَهُ، وأطلَعَني على مكنون سرّه. فأنا أصلُ مبدعاته، وصاحبُ سرّه وأمانته، المخصوصُ

---

(١) السيرة المستقيمة ١٢/١١٧.

(٢) الغاية والنصيحة ١٠/٩٤.

(٣) رسالة سبب الأسباب ١٤/١٥١، انظر ١٣/١٣٤.

(٤) الموسومة بإيضاح التوحيد ٧٤/٦٧٠-٦٧١.

بعلمـه وبركاته. أنا صـراطُه المستـقيم، وبأمـرِه حكيمٌ عليم. أنا الطور، والكـتاب المسطور، والبـيت المعـمور. أنا صـاحب البـعث والنشـور. أنا النّافخ بإِذن المولى سبحانَه في الصُّوْر. أنا إمـام المتقّين والعِلمُ المبين ولسانُ المؤمنين وسندُ الموحّدين. أنا صاحبُ الراجفة، وعلى يدي تكون النِعَم المترادفة.

«أنا ناسِخُ الشرائع، ومُهلِكُ أهلِ الشركِ والبدائع. أنا مُـهدِمُ القِبْلَتَين، وَمُبيدُ الشريعَتَين، ومُدحِضُ الشَهـادَتَين. أنا مسيحُ الأمم، ومنّي إفاضة النِعَم، وعلى يدي يَحلّ بأهلِ الشِرك النِقَم. أنا النارُ الموقَدة، التي تطّلعُ على الأفئدَة.

«أنا مُمدُّ الحدود، والدّالُ على توحيد المعبود، ومُفني أهل الشِرك والجحود. أنا مُجرِّد سيفِ التوحيد، ومهلِكُ كلِّ جبّارٍ عنيد. أنا قائمُ الزمان، وصاحبُ البرهان، والهادي إلى طاعة الرحمن»[٥].

ثمّ إنّ «جـميع مـا في القـرآن والصـحف وما نزّله (المـولى) على قلبي من البيان ومن الأسماء الرفيعة فهو يقع على عبده الإمام»[٦].

وباختصار، إنّ «الأسماء الواقـعة على مولاي قائم الزمان: الأوّل منها: علّةُ العلل[٧]، والثـاني: السـابق الحـقـيـقي[٨]، والثـالث: الأمـر، والرّابع: ذو مَـعَـة[٩]. والخامس: الإرادة. الـعقل الكلي روحـاني؛ واسمــه جسمـاني: حمـزة بن علي بن

---

(٥) رسالة التحـذير والتنبيه ٣٣/ ٢٤٢-٢٤٣. أنظر الرسائل التـالية: ١٧/ ١٩١ وما يلي، ٢٢/ ٢١٤، ٣٢/ ٢٤٠، ٣٤/ ٢٤٧- ٢٤٨، ٣٦/ ٢٥٩، ٥٣/ ٣٨٣؛ ٧/ ٦٨، ٩/ ٧٦، ١١/ ٩٧، ١٣/ ١٣٢، ١٤/ ١٥٧، رسـالة ١٤ بكاملهـا، ١٠/ ٨٥، ١٢/ ١٢١، ١١/ ١٠٧، ٢٥/ ٢٢١، ٢٢/ ٢١٦، ١٣/ ١٣٣، ٥٨/ ٤٥٧، ١٨,١٩٦، ١٠/ ٩١، ١١/ ١٠٠، الخ. أنظر أيضـاً كـتـاب النقط والدوائر، وكتاب مختصر البيان في مجرى الزمان، وغيرهما...

(٦) رسالة سبب الأسباب ١٤/ ١٥٩، وأيضا ٢٢/ ٢١٤.

(٧) على أنّ الله هو «معلّ علّة العلل»، و«مسبّب سبب الأسباب».

(٨) على أنّ السابق يُطلق على الحدّ الرابع من الحدود.

(٩) «سمّي ذو معة لأنه وعا توحيد مولانا بلا واسطة» (١٠/ ٩٢)، ولأنّه «هو الذي وحّد المولى بالحقيقة لأنه ذو معة وقلبه معالمولى لا يفارقه، وهو الدالّ على التوحيد المحض، ومنه القصد وإليه» (٣٨/ ٢٧٨).

أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدّة سلطانه»[١٠].

٤ . ويخصّ حمزة نفسَه بكتابة «الحكمة» وحده، وانْ كَتَبَ سِوَاهُ بعضًا منها فبتكليفٍ منه. وَمَن كَتَبَ رسالةً ما، عليه أن يقفَ على إرادته ومعرفته كما أنّ كلَ مَن يقرأ شيئًا منها عليه أن يكون قد انتدبه لذلك. ومن خالف هذه الشريعة يُعتبر هو ومن يَسمعه من العصاة. يقول: «وليس لأحدٍ من الحدود أن يؤلّفَ كتاباً، ولا يقرأ على مَن استجاب، إلاّ بأمرِ منَ نُدبَ لهدايتهم، ونُصِبَ لإمامتهم. فإنْ قرأ عليهم كتابًا بغير أمرٍ فقد عصى القارئُ والمستمعون جميعًا، لأنّ الإمام ينطق بتأييدِ مولانا جلّ ذكره روحانيّاً بلا واسطة. والدعاة يتكلّمون من علمه تعليماً مشافهة، فاذا عملوا شيئاً بغير أمرٍ كان بالرأي والقياس»[١١].

ويعترف إسمعيل التميمي بأنّه لم يستطع كتابة شيء لولا أمر صريح من قائم الزمان حمزة: «أمرَني مولاي قائمُ الزمان، والنورُ التمام، عليه من معبوده أفضل التحيّة والسلام، بتصنيفِ هذا الكتاب، فرجعتُ إلى روحي لأنظرَ مبلغَ فهمِها ومجهود طاقتها، فوجدتُها عن ذلك عاجزةً، فلم يمكنّي مخالفته، فعلمتُ علمًا يقينًا أنّه لم يأمرْني بتصنيفِ هذا الكتاب إلاّ وموادّه تَطرقُني، وبعلمِه يَهديني، إذ كانتْ من المولى جلّ ذكره الموادُّ إليه متصلةٌ، وهي عن سائر الناس أجمعينَ منعَزِلةٌ. فتيقّنتُ أنّ القوّة منه إليّ واصلة اذ كنتُ منه أمتّص[١٢]، والذكر لي منه مختصّ. فحسستُ عند حلول أمره بقوّةٍ لم أعهدْها قديمًا من عمري كلّه. فألّفتُ هذا الكتابَ بما أيّدني به تلقيناً، وفي الصحف روحانياً. فما كان فيه من صوابٍ وجزالةِ خطابٍ فهو منه وراجع إليهِ، وما كان فيه من خطأ وزلل فهو منّي وإليّ منسوب»[١٣].

وكذلك ما كتبه بهاء الدين المقتنى من رسائل في مجموعة الحكمة، ويوازي

---

(١٠) ذكر معرفة الإمام... ٣٢/ ٢٤٠.

(١١) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٩٢.

(١٢) لهذا يلقّب اسمعيل بـ «ذي مصّة» لأنّه امتصّ العلم من الإمام.

(١٣) تقسيم العلوم ٣٦/ ٢٥٩ - ٢٦٠، انظر: رسالة الشمعة ٣٨/ ٢٨١.

ثلثي الرسائل، هو من «بركات قائم الزمان ووليّ الفضل والإحسان»[١٤]. فكتابة «رسائل الحكمة»، إذاً، هي من خصائص حمزة وحدَه.

٥ . أمّا **الرسائل** التي وضعها حمزة في مجموعة «رسائل الحكمة» فهي من رقم ٥ حتى ٣٥ من الجزء الأوّل والثاني. وهناك رسائل لا توجد في هذه المجموعة، منها ما يشير إليها بذاته مثل «كتاب المنفرد بذاته» الذي تذكره الرسالة ١٧ مرّتين[١٥]، وكتابٍ في الزواج بعنوان: «الشريعة الروحانيّة في علم اللّطيف والبسيط والكثيف» المذكور في الرسالة ١٥.

ومنها ما نراه مذكوراً في مخطوط مكتبة فيينّا رقم ١٥٧٧ فهرست فلوجيل تحت عنوان «الرسالة الموسومة بالدّرّ المكنون في حقائق الهزل عن المَلِكِ المَصون مولانا الحاكم»، ورقة ٨ب، و«الرسالة الموسومة بالدامغة الزهرية في الردّ على النصيري وآله النصيرية»، ورقة ٤٢ب.

٦ . ومن مهمّات حمزة الرئيسيّة ومميّزات دعوته: **نَسْخُ جميع الشرائع والنواميس والأديان**. وربّما جاء حمزة وظهر في هذا الدور من الكشف لأجل هذه الغاية فحسب، وذلك لكي يُرجع التوحيدَ إلى أصوله وصفائه، ذلك التوحيد الذي كان منذ البدء، قبل مجيء النّبيّين والنواميس والأديان. وهكذا عَرَّفتِ الحكمةُ بحمزة بأنّه «مسيحُ الأزمان، محلِّلُ معاقدَ المِلَلِ، وناسخُ الأديان، وقاتلُ الإبليس والشيطان، ومهلِكُ العجلِ والشَّيصَبان[١٦]، المنتقمُ من أهل الكفر والطغيان، وماحقٌ لأهل الخلاف والعصيان»[١٧]. وقد «جعله المولى بفيضِ حكمتِه لِشرعِ نواميس الأبالسة (الأنبياء) قاطعًا محلِّلاً، ولزخرفِهم الملبوسِ على الإمم ناقِضًا مفلِّلا»[١٨].

---

(١٤) رسائل: ٦٤/٤٩٧، ٦٧/٥٢٦، ٤١/٣١٠ وغيرها.

(١٥) وهو مخطوط بعنوان «مصحف المنفرد بذاته» ٢٧٠ص.

(١٦) ألشيصبان من أسماء الشيطان (لسان العرب /شصب) وهو، عند الدروز، لقب «الأساس» علي بن أبي طالب (الدرر ص ٣٣/شصب)؛ راجع كتابنا «العجل والشيصبان».

(١٧) رسالة التعقب والإفتقاد ٥٥/٤١٧، انظر ٤٨/٣٥٨ الخ...

(١٨) رسالة اليمن ٦٠/٤٦٩، انظر ٦١/٤٧٧ الخ...

ولم تغب عن خاطر حمزة مهمّتُه هذه، فهو يعرّف عن نفسه باستمرار: «أنا مُهدِم القِبلَتَين[١٩]، ومُبيدُ الشريعتَين[٢٠] ومُدحِضُ الشهادَتين»[٢١].

٧. **حمزة والدّعاة**: من هؤلاء الدّعاة: أبو الخَير سلامة بن عبد الوّهاب السامري، وأبو عبد الله محمّد بن وهب القرشي، وأبو إبرهيم إسمعيل بن محمّد التميمي. هؤلاء، كما يقول الدروز، هيّأوا أجواء الدعوة، كلّ منهم استمرّ في دعوته سبع سنين، حتى «نودي بحمزة بن علي إماماً للموحّدين. وكان عمره آنذاك نحو ثلاث وثلاثين سنة»[٢٢]. «واتّخذ الدعاة مسجدَ رَيْدَان، خارجَ أسوار القاهرة، مركزًا لهم يجتمعون فيه»[٢٣]، «وسُمّي هذا المسجد بدار الهجرة الجامعة»[٢٤]، لأنّ جميعَ الدعاة هاجروا إليه بانتظار إعلان الدّعوة.

وأقام حمزة دُورًا للقضاء خاصّةً بالموحّدين. وحظي بتأييد الحاكم المطلق، وفي ذلك يقول الأنطاكي: «وكان أصحابُ الهادي (حمزة) يَلقون الحاكم في كلّ يوم في القرافة (موضع في القاهرة) للسلام عليه، وهو مع ذلك يعتني بالهادي ويسأله عن عدد ما حصل في بيته من أهل دعوته ويظهر منه المشورة بالكثرة»[٢٥]. وكثر عدد المستجيبين للدّعوة حتى بلغ «ستة عشر ألفا»[٢٦]. ومن الذين استجابوا دعوة التوحيد عدد من كبراء الدولة والأعيان، وأمراء آل تنّوخ، أمراء بيروت والغرب في جبل لبنان[٢٧].

---

(١٩) «القبلتين» يعني: مكة وبيت المقدس.

(٢٠) «الشريعتين «هما شريعة محمّد والتنزيل، وشريعة عليّ والتأويل.

(٢١) «الشهادتين» أي: "أشهد أن لا إله إلاّ الله"، ثم "محمّد رسول الله". أنظر رسالة ٣٣/ ٢٤٣، ٢٤٨/٣٤ الخ...

(٢٢) تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ص ٦٠.

(٢٣) المرجع نفسه.

(٢٤) المرجع نفسه.

(٢٥) تاريخ الإنطاكي، ص ٢٢٤.

(٢٦) تاريخ الموحدين الدروز، ص ٦١ مستشهدا بتاريخ الإنطاكي ص ٢٢٤.

(٢٧) المرجع نفسه، ص٤٣.

٨ . وكان من الدعـاة أيضاً **الدَّرَزِي** الملقّب بنَشْـتَكين، وحسن بن حـيدرة الفرغـاني المسمّى بالأخْرَم، وعليّ بن أحمـد الحبّال، والعجـمي، والأحول، وخطلخ ماجـان، ومُعَانِد، وأبو منصـور البرذعي[٢٨]، وغيـرهم... هؤلاء أصحـاب التـعاليم الفاسدة وأصحاب «الطوارق والبوائق»[٢٩]، خاطبهم حمـزة بقوله: «وما منكم أحد إلاّ وقد نصـحتُه بحسب الهـداية إلى دعوته. فمنكم مـن استجاب ونكث... وكـتبنا عليهم الميثاق، وأباعوا الديانة في الأسواق، ومالوا إلى الشهوات والأعواق»[٣٠].

هؤلاء جميعهم عملوا، بالاتّفاق مع حمزة، على إعداد الدعاة، وتهيئة الأجواء لإعلان الدعوة، وكتابة الحكمة بخطوطها العريضـة، وتنظيم الإجتماعات، وتسيير أمـور المبـشّـريـن، وتوزيع الأدوار، والحـصـول على تأييـد الحـاكم... وتوالت اجـتمـاعاتهم فـي جامع رَيدان المحـصّن منذ سنة ٤٠٥ هـ، وأقـرّوا الوقت الملائم لإعـلان الدّعـوة. إلاّ أنّ الدّرزي، الذي كُلِّفَ بمـلازمـة البَـلاط ونشْـرِ الدعـوة بين الموظّفين، حازَ برضـى الحـاكم الذي قرّبه منه «وفوّض الأمـورَ إليه. وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أنّ الوزراء والقوّاد والعلماء كـانوا يقفون على بابه، ولا ينقضي لهم شغل إلاّ على يده، وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه»[٣١].

٩ . غيبة التاسعة: محنة عسيرة أصابت الدعوة في مهدها ومن كل صوب، من الداخل ومن الخـارج. لقـد انقـسم الدعـاة بعـضـهـم عن بعض، فكان الدّرزي والبرذعي والأخرم وأبو جـعفر الضرير ومُعـانِد وغيرهم، من جهة؛ وكـان حمزة والحدودُ الأربعة وسواهم من جهة ثانية. وكان أهل جميع الأديان من سنّة وشيعة ونصارى ويهود على الدعوة عواناً. وكاد الجميع يقضي عليها... ولكنّ حمزة تدبّر الأمر وتفادى الكارثة، فأعلن التستر سنة كاملة.

في هذه السنة ٤٠٩هـ، هدأ نشـاط الدّعـاة، وغابوا عن مـسرح الأحـداث.

---

(٢٨) رسالة الصبحة الكائنة ١٩/٢٠٣.

(٢٩) المرجع نفسه، ١٩/٢٠٢.

(٣٠) المرجع نفسه ١٩/٢٠٣.

(٣١) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٨٤.

وراحوا يعيدون النظر في تنظيم صفوفهم، ويعدّون الدعاة والمعاونين، ويكتبون رسائل جديدة، ويختلون بالحاكم ليتداركوا الأمور الصعبة والأحوال المستعصية.

١٠. وهكذا «لمّا انقضت التاسعة **تجلّى الباري** سبحانه بالوحدانيّة، وكشف توحيده في أوّل السنة العاشرة، واستمرّ الكشف إلى قرب آخر السنة الحادية عشر، وعادت الدعوة التوحيدية كما بدأت في السنة الثامنة (بعد الأربع مائة هجريّة) من تجلّي المعبود، وظهور الحدود، وكشف التوحيد، ودحض التلحيد، ونشر الدعوة، وفيض الحكمة، وتصنيف الرسائل، وكتابة المواثيق، ونسخ الشرائع، ورفع التكاليف»[٣٢].

١١. **الغيبة الأخيرة**: في نهاية ٤١١ هـ غاب حمزة بن علي غيبته الأخيرة. وسلّم مقاليدَ الدعوة إلى المقتنى بهاء الدين علي بن أحمد الطائي. وكانت غيبة حمزة هذه إثر غيبة الحاكم في ٢٧ شوال سنة ٤١١/١٣ شباط ١٠٢١. ثم غاب معهما جميعُ الحدود، ما عدا بهاء الدين المقتنى الذي وقع عبء الدعوة عليه. وفي ذلك قالت الحكمة: «لمّا ثبتت حجّة الحق على كل الأمم، وتجلّى (الحق) للبشر من حيث تخييل النظر، احتجب بنوره عن خلقه، فلم يقتف له أثر، واستتر لغيبته وليّه الهادي النذير (حمزة)، وغاب لغيبته صفيّه البشير (إسمعيل)»[٣٣].

ولكن، أين كان موضع الغيبة هذه؟ إنّه أمر مجهول لدينا. ولكنّ حمزة ما زال موجوداً، يراسل الدعاة سرّاً، ويوجّه نشاطهم من مكان اختفائه. «وفي اعتقاد الموحدين أنّ غيبة حمزة هذه كانت امتحاناً لهم ولإخلاصهم لدعوة التوحيد»[٣٤]. وعنها قالت الحكمة: «إنّ غيبتي عنكم غيبة امتحان لكم ولجميع أهل الأديان. فمن وفى منكم بما وثق عليه ولم ينكص على عقبيه فسأوتيه أجراً عظيماً، وأنيله مقاماً كريماً»[٣٥].

---

(٣٢) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ٧٢ب وما يلي.

(٣٣) الموسومة بأحد وسبعين سؤالا ٧٣/٦٣٦ - ٦٣٧.

(٣٤) تاريخ الموحدين الدروز في المشرق العربي، ص ٦٥.

(٣٥) الإعذار والإنذار ٣٤/٢٤٨، أنظر: ٦/٦٩٠، ٦٤/٤٩٨؛ ٦٨/٥٤٦-٥٤٧؛ ٧٤/١٦.

وبعد غـيبـة الحاكم بشـهرَين أرسل حـمزة «رسـالة الغيبـة» رقم ٣٥ من رسائل الحكمة، على يد أبي يعلا الى الموحِّـدين في بلاد الشام. وكانت الأخيرةَ من يده. غير أنّ الدكتورة أبو عزّ الدين تقول عن نهاية الحاكم: «إنّ المخطوطات المكتشفة حديثاً تظـهر أنّ الحاكم توجّه إلى الشـرق، إلى سجستان شـرقي بلاد فارس على حدود الهند. وهناك التحق به حمزة فيما بعـد. من سجستان أرسل حمزة إلى بهاء الدين، في سنة ٤٣٩/١٠٤٧ تأمّلات صـوفيّة أمـلاها الحاكم، جُمـعت في "سجلّ سرائر الأول والآخر"[٣٦].

الحُمْس : هو الاسم الذي جرى العرف بإطلاقـه على أهل الحرم بمكّة أيّام ظهـور النّبي من حيث أنّه كـانت لهم مناسك خـاصّة، يتـمـيّزون بهـا عن القبـائل الأخرى التي كانت تُعرف باسم **الحِلّة**. ويُقال إنّ الحمس كانوا لا يأكلون سمناً، ولا يدّخرون لبناً، ولا يحـولون بين مرضعة ورضـاعها حتّى تعـافه، ولا يأكلون اللّبن الخثر، أو اللّحم، ولا يدهنون، ولا يمسّون الطيب ولا النساء، ولا يجزّون شعراً، ولا يقلّمون ظفراً. وكانت قريش كلّها من الحمس؛ فيما سواهم كان من الحلّة.

حِمْيَر :شعب قـديم حكموا بلاد اليمن، من سـاحل البحر الأحمـر والمحيط الهندي إلى حضرمَوت. كان لهم دولة قويّة عاصـمتها ظفار، التي ظلّتْ حتّى الفتح الفارسي. وفي مـنتصف القرن الرابع الميـلادي نجد الأحـباش، أو بعبـارة أخرى حكّام أكسـوم، وطّدوا أقدامهم في بلاد اليـمن. وكان أباطرة الرومـان على اتّصال منظّم بهم، تحقـيقاً للمـصالح التجاريّة حـيناً، وتأييداً لنفوذهم ضـدّ الفرس الذين كانوا يحـاولون التسلّل إلى بلاد اليـمن عن طريق عُمَان. وفي عـام ٥٢١م، قام ذو نوّاس على اضطهـاد المسـيحـيّين في نجـران، ممّا دعا قـيـصر الروم إلى نصـرة المضطهَدين بإيعازه إلى النجاشي ملك الحبشة بالدخول إلى اليمن...

الحَنَابِلَة : هم أتباع مذهب الإمام أحمد **بن حنبل** (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، أحد الأئمّة الأربعـة عند أهل السنّة. وُلد ونشأ في بغـداد. وسافر إلى مـختلف الأقطار

---

(٣٦) الدكتورة نجلاء أبو عزّ الدين، الدروز في التاريخ، ص ١٣٤.

الإسلاميّة. كان يقول: «مع المحبرة إلى المقبرة». اشتهر بكتابه «المسند»، وهو كتاب جامع في الأحاديث. سجن وعذّب أيّام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق لرفضه موافقة المعتزلة في مسألة «خلق القرآن»، إلى أن أمر المتوكّل بإطلاق سراحه بعد ٢٨ شهراً. قال فيه علي بن المديني: «إنّ اللّهَ أعزَّ الدِّينَ بأبي بكر يومَ الرِّدّة، وبأحمد بن حنبل يومَ المحنة». وتوفّي ببغداد. وقبره فيها معروف.

يتميّز الحنابلة بالتمسّك بالقرآن والسنّة، لا يقدّمون عليهما رأياً أو قياساً أو إجماعاً أو قولاً لصاحبيّ. ويشدّدون في أمور الطهارة. ويقولون إنّ الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، وإنّ الإسلام وسطٌ بين الإيمان والكفر.

وبالنسبة إلى مرتكب الكبيرة فإنّهم يرونه مؤمناً غيرَ كافر، وأمرُه إلى اللّه، إن شاء عذّبَه وإن شاء عفا عنه. ويؤمنون بالقضاء والقدر ويسلّمون الأمور كلّها إلى اللّه. وبالنسبة إلى الصفات فإنّهم يثبتونها كلّها للّه، ولا يبحثون عن كنهها ولا عن حقيقتها، ويعتبرون التأويل خروجاً عن السنّة إن لم يكن مستمدًا منها. ويؤمنون برؤية اللّه يوم القيامة إيماناً كاملاً، ولكنّهم لا يحدّدون كنهها[1].

من ممثّلي الحنبليّة: إبن تيميّة وابن القيّم الجوزيّة. وكلاهما معروف بعنفه ضدّ مَن يخالفه الاعتقاد والرأي.. وظهرت الحنبليّة، في القرن الثامن عشر، في حركة جديدة وقويّة، هي حركةُ الوهّابيّين؛ كما تظهر اليوم في حركات أصوليّة، مثل حركة الجهاد، والتكفير والهجرة، والإخوان المسلمين..

الحَنَفِيّة : هم أتباع **أبي حنيفة** النُّعمان (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، أحد الأئمّة الأربعة عند أهل السنّة. وُلد بالكوفة. فقيه، عالم، ورع، زاهد، تقيّ. فارسيّ الأصل، قال السيوطي: ذكر العلماء أنّ النبيّ بشّر بالإمام أبي حنيفة في قوله: «لو كان العلْم معلّقاً عند الثريّا لتناوله رجالٌ من أبناء فارس» (البخاري).

هو صاحب المذهب الحنفي المعتدل، وأحد الأئمّة الأربعة المجتهدين عند السنّة. يُروى أنّ يزيد عاملَ الأمويّين على الكوفة، والخليفة المنصور العبّاسي،

---

(١) راجع مادّة: الحنابلة، د. علي جمعة محمّد، م.إ.ع. ٢٠٠٢؛ ص ٥٧٥-٥٧٦.

ضرباه بالسياط على أن يقبل منصب القضاء؛ ولكنّه لم يقبل؛ فحبسه المنصور حتّى توفّي في السجن متأثّراً بالمعاملة السيّئة التي عومل بها. تغلّبت الحنفيّة على سائر المذاهب الفقهيّة في الأمبراطوريّة العثمانيّة. معظم أهل السنّة في آسية الوسطى وفي الهند هم من أتباعها.

لم يؤلّف أبو حنيفة كتباً إلاّ ما يُنسب إليه ممّا أملاه على تلاميذه، وأهمّهم إثنان: أبو يوسف (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) في كتاب الخراج؛ والشّيباني (ت ١٨٩هـ/٨٠٥م) في كتاب الجامع المختصر، اللّذان توسّعا في فقه أستاذهم، وأقاما المذهب الحنفي على قواعد راسخة، يقوم، بحسب إبي حنيفة على سبعة أصول، هي: ١. الكتاب؛ ٢. السنّة؛ ٣. أقوال الصحابة؛ ٤. القياس؛ ٥. الاستحسان؛ ٦. الإجماع؛ ٧. العرف.

الحَنِيْف و الحَنِيْفِيّة : ١ . لغةً: جمع حُنفاء؛ وهو المائل من خيرٍ إلى شرّ، أو من شرٍّ إلى خير؛ وفي الاصطلاح المسيحي السرياني: الحنيف هو المؤمن الذي مال إلى الوثنيّة؛ أمّا في الاصطلاح الإسلامي: فالحنيف هو المسلم الذي مال عن الوثنيّة إلى الإيمان . والحنيفيّة صفة لِمَن «حَنَفَ»، أي مَالَ عن دين آبائه. فإذا كان آباؤه مُؤمنين موحِّدين، ثمّ حنف عنهم، يكون «الحنيف»، بهذا المعنى، وثنيًا مشرِكاً. وإذا كان آباؤه وثنيِّين مشركين، ثمّ حنف عنهم، يكون «الحنيف»، بهذا المعنى، مؤمناً موحِّداً. لهذا تعني لفظة «حنيف» الشيءَ وضدّه. فهي، في العربيّة، تعني المؤمن الموحِّد، وهي صفة إبراهيم خليل اللّه؛ وتعني، في السريانيّة، الوثنيَّ المشرك، وهي صفة عابدي الأوثان.

٢ . ثمّ إنّ جمْع القرآن بين «حنيف» و«مسلم» في (٣/٦٧) يكفي للدلالة على أنّ «حنيف» لم تكن عَلَماً على جماعة دينيّة معيّنة. وما قوله: «فأقمْ وجهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً (أي) فطرة اللّه التي فطر الناس عليها. لا تبديل لخلق اللّه» (٣٠/٣٠)[1]، إلاّ بمعنى: الدين الأوّل الفطري القديم، أي دين إبراهيم.

---

(١) رَ: ٦/٧٩؛ ١٠/١٠٥.

٣ . ترد لفظة «حنيف» ومشتقّاتها، في القرآن، ١٢ مرّة[٢]. منها ما هو مكّي، ومنها ما هو مدني. منها ما جاء مع ذكر إبراهيم وملّته، ومنها ما جاء في وصف الدّين الذي دعا إليه محمّد. منها ما جاء مطلَقاً على كلّ دين أو مذهب يدعو إلى التّوحيد ويرفض الشرك والأصنام، ومنها ما جاء وصفاً للدّين القيّم والصراط المستقيم. إلاّ أنّها جميعها تحمل، في القرآن، معنى التوحيد والإيمان القويم.

٤ . نستنتج من هذه الآيات :

١ – إنّ الحنيفيّة ليست ديناً مستقلاً موجوداً في أيّام محمّد، كما هي اليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة والصابئة، التي يذكرها القرآن؛ بل هي صفة لدين. فالحنيف فيه صفة لا إسم.

٢ – إنّ الحنيف، بنوعٍ خاصّ، صفة لدين إبراهيم وملّته وأتباعه الّذين لم يُشركوا باللّه أحداً، ولم يُظهروا أيَّ خلاف فيما بينهم؛ بل هم على «دين القيّمة» أو «الدِّين القيّم»[٣]، أي هم على التوحيد المطلق؛ وليسوا أحزاباً متفرِّقين، بل هم قبل الأديان والأحزاب والمذاهب..

٣ – إنّ الحنيف صفة لمن ترك الشرك وعبادة الأصنام، واجتنب الرِّجس والأوثان، وامتنع عن قول الزور والبهتان (٢٢/ ٣٠–٣١).

٤ – إنّ الحنيف صفة لمن عبد اللّـهَ بإخلاص، وأقام الصلاة، وأتى الزَّكاة (٩٨/ ٥)، وأَسْلَمَ وجهَه للّه، وعمل الإحسان (٤/ ١٢٥)، واتّخذ اللّه واحداً أحداً .

٥ – إنّ الحنيف صفة لمن فُطر على الصدق والأمانة. إنّه «فطرة اللّه التي فطر النّاسَ عليها» (٣٠/ ٣٠)، لا تبديل فيه. إنّه إيمان بسيط، لا غشّ فيه ولا مواربة؛ بل إخلاصٌ وإسلامٌ وطاعةٌ.

---

(٢) سورة البقرة ٢/ ١٣٥؛ آل عمران ٣/ ٦٧ و٩٥؛ النساء ٤/ ١٢٥؛ الأنعام ٦/ ٧٩ و١٦١؛ يونس ١٠/ ١٠٥؛ النحل ١٦/ ١٢٠ و١٢٣؛ الرّوم ٣٠/ ٣٠؛ الحج ٢٢/ ٣١؛ البيّنة ٩٨/ ٥.

(٣) سورة البيّنة ٩٨/ ٥؛ التوبة ٩/ ٣٦؛ يوسف ١٢/ ٤٠؛ الرّوم ٣٠/ ٣٠ و٤٣.

٦ - إنّ الحنفاء هم الذين اتّبعوا ملّة إبراهيم (٤/١٢٥؛ ٣/٩٥)، وأُمِر محمّد أن يكون مثلهم وبينهم (١٦/١٢٣؛ ٣/٦٧-٦٨)، وقد هداه اللّه إلى ذلك هدياً صادقاً (٣/٩٥؛ ٦/١٦١).

٧ - إنّ الحنيفيّة صفة لملّة إبراهيم وملّة محمّد على السواء: «مِلَّةَ أبيكُمْ إبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ مُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا (القرآن)» (٢٢/٧٨). وكما كان إبراهيم أوّلَ الحنفاء، أي المؤمنين الموحّدين؛ هكذا هو محمّد أوّل المسلمين، أي المؤمنين الموحِّدين. بل إنّ إبراهيم، كمحمّد، «كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً» (٣/٦٧).

٥ . هذا في القرآن عن الحنيفيّة. أمّا ما في كتب السِّير والأحاديث فيدلّ، أيضاً وأيضاً، على أنّ الحنفاء هم جماعة من العرب لم يعبدوا الأصنام، ولم يُشركوا باللّه، بل سفّهوا عبادة الأصنام والقائلين بها، وكانوا على دين إبراهيم قبل أن يقع خلاف فيما بينهم[١٣].

٦ . ثمّ ذكرت كتب الحديث إنتماء محمّد إلى الدِّين الحنيف، وإلى اعتباره إيّاه ديناً «سَمحاً»، بخلاف ما هي عليه اليهوديّة «الظالمة». من ذلك قوله: «بُعِثْتُ بالحنيفيّة السَّمِحَة السَّهلة»؛ و«أحبّ الأديان إلى اللّه تعالى الحنيفيّة السّمحة»[١٤]، و«لم أُبعَثْ باليهوديّة -ولا بالنّصرانيّة[١٥]- ولكنّي بُعِثْتُ بالحَنيفيّة السَّمِحَة»[١٦].

٧ . وتضيف كتب السِّيرة أنّ الحنيف هو مَن اختتن، وحجّ البيت[١٧]، واستقبل القِبلة، واستقام على ملّة إبراهيم واتّبعه عليها، واعتزل الأصنام، واغتسل

---

(١٣) راجع في ذلك: تاريخ الطبري ١/٤٠٤؛ روح المعاني للألوسي ١/٣٥٢؛ بلوغ الأرب ٢/١٩٦؛ لسان العرب ٩/٥٦؛ ١٠/٤٠٢؛ مجمع البيان للطبرسي ١/٤٦٧ و٢١٥؛ الجامع للقرطبي ٣/١٢٨؛ ١٠/١٩٨؛ تفسير البيضاوي ١/١٥٩؛ الكامل لابن الأثير ١/٢٤٤...

(١٤) مجمع البيان للطبرسي ١/٥١٥؛ الإصابة ١/٥١ رقم ١١٤.

(١٥) لفظة مقحمة. فالنّصرانيّة توصف، بعكس اليهوديّة، بالسماحة أيضاً.

(١٦) مسند إبن حنبل ٤/١١٦؛ ٦/٣٣؛ لسان العرب ٩/٥١.

(١٧) لسان العرب ١٠/٤٠٢؛ الزمخشري ١/١٧٨ و٢٣٦ و٤٠٧؛ مجمع البيان للطبرسي ١/٤٦٧؛ ٣/١٠٩؛ تفسير الرازي ١٣/٥٧؛ ١٤/١٠؛ ١٧/٢٧١.

من الجنابة[١٨]، وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان وكلّ ما أُهلَّ إلى غير اللّه، وحرّم الخمر[١٩]. قال الطبري: «وكان النّاس مِن مضر يحجّون البيتَ في الجاهليّة يُسمّون حنفاء»[٢٠].

٨ . هذه المآثر مارسها النّصارى في مكّة. وممّا يثبت ذلك خَلط أهل الأخبار في ما بين الحنفاء والنّصارى. فالقسّ ورقة بن نوفل، تارةً هو نصرانيّ، وطوراً حنيف؛ وكذلك القسّ ابن ساعدة؛ وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهم.. وفي مروج الذهب للمسعودي ذكرٌ لحنفاء نصارى، منهم: حنظلة بن صفوان، وخالد بن سنان العبسي، ورئاب الشفي، وورقة بن نوفل، وعدّاس النينوي، وأبي قبيس، وصرمة أبي أنس الأنصاري، وأبي عامر الأوسي، وعبد اللّه بن جحش، وبحيرا الرّاهب... هؤلاء وغيرهم هم من الحنفاء كما هم من النصارى[٢١]. وثمّة حديث للنّبيّ عن القس ابن ساعدة يقول فيه: «هذا رجلٌ من أياد تحنّف في الجاهليّة»[٢٢]؛ ممّا يدلّ على أنّ القسّ النصراني هو نفسه الذي تحنّف.

٩ . ثمّ إنّ الحنيفيّة تطلق على النّصرانيّة كما تطلق على الإسلام؛ وتعني النّصرانيّة كما تعني الإسلام؛ وتوصف بها النّصرانيّة كما يوصف بها الإسلام. فإبراهيم مثلاً كان «حنيفاً مسلماً»؛ و«مَنْ أَسلَمَ للّه كان حنيفاً» (٤/ ١٢٥)؛ ومَن هداه اللّه إلى الصراط المستقيم جعله حنيفاً (٦/ ١٦١)؛ ومَن أقام الصلاة وآتى الزّكاة وحجّ إلى بيت اللّه الحرام، واختتن كان حنيفاً ومسلماً ٩٨/ ٥).

١٠ . ينتج من كلّ ذلك أن الحنيف هو المسلم والنّصراني على السواء. ولكأنّ الحنيفيّة والنّصرانيّة والإسلام ثلاث صفات لموصوف واحد.

---

(١٨) تفسير الطبري ٣/ ١٠٥؛ ٣٠٦؛ ٥/ ٢٩٧؛ الجامع للقرطبي ٢/ ١٢٨؛ تاج العروس ٦/ ٧٧ مادّة «حنف»؛ ألقاموس ٣/ ١٣٠؛ لسان العرب ٩/ ٥٦.

(١٩) ألقرطبي ٤/ ١٠٩؛ تاريخ ابن خلدون ٢/ ٧٧؛ تفسير الرازي ٨/ ١٥٠.

(٢٠) تفسير الطبري على سورة البقرة ٢/ ١٣٥.

(٢١) مروج الذهب للمسعودي، ١/ ٧٨ وما بعدها.

(٢٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢ و٥٥.

حُنَيْن: ١. وادٍ عميق، على مسـيرة يوم من مكّة، على الطريق إلى الطائف. وقد شهد الوقـعة الشهيرة التي حدثت بُعيد فـتح مكّة، في شوال من السنة الثامنة للهجرة/ شـباط ٦٣٠م، وهي ثاني وقعة تُذكـر بالإسم في القرآن (٩/ ٢٥-٢٦). حدثت هذه الوقعة بين المسلمين وقبائل هوازن وثقيف المتحالفة التي حشدتْ جميعَ ما لديها من الجند، قُـدِّر بعشرين ألف مقاتل؛ وعـسكرتْ في الدروب المشرفة على سـهل حُنين. وعـمد مـالك بن عـوف قـائدُهم إلى جلبِ نسـاءِ المحـاربين وأولادهم وأموالهم وقطـعانهم من الأغنام والإبل إلى هنالك، إعـتقاداً منه بأنّ ذلـك يثبّتْ من أقدام جندِه، فلا يمكن قهرهم.

٢. ويوحي لنا القرآن بجـملة ملاحظات عن سيـر هذه الوقعة. فهـو ينبئنا بأنّ المسلمين هُزمـوا في أوّل المعـركـة هزيمةً تامّـة على الرغم من كـثرة عـددهم: «ويومَ حُنَينٍ إذْ أعجَبَـتْكُمْ كَثْرَتُكم فلم تُغنِ عنكمْ شيـئاً، وضاقتْ عليكمُ الأرضُ بما رَحُـبَتْ. ثمّ وَلَّيتُم مُـدْبِرِين» (٩/ ٢٥)، ولم يسلم جـيش النبيّ إلاّ بعـد أن أنزل اللّهُ جنوداً من عنده لم ترَها عين..

٣. ودارت المعركة، فانهزم الأعداء، وتركوا وراءَهم كلَّ ما جلبوه معهم من أمـوال ونساء وقطعـان؛ فـبلغ عـدد الأسرى نحـواً من سـتّة آلاف امـرأة وطفل. والأموال أربعة آلـف أوقيّة فضّة، ومن الإبل نحـو أربعة وعشرين ألفـاً، وأمّا الغنم فكانت أربعين ألف رأس.

٤. يقول المسلمون: ممّا لا شكّ فيه أنّ انهـزام المشركين وانتصار المسلمين عليهم يومَ حنين على هذه الصورة كان معجزةً أجراها اللّه على يد نبيّه. وفي ضوء ذلك يُفـهم قولُ القـرآن: «ثمّ أنزَلَ اللّهُ سكينَتَـهُ على رسـولِه وعلى المؤمنين، وأنْزَلَ جنوداً لمْ تَروها. وعذَّبَ الذينَ كَفَروا» (٩/ ٢٦).

حُنَيْن بن إسْحَق (ت٢٦٥هـ/ ٨٧٣م) : طبـيب نصرانـيّ من أهل الحيـرة. عيّنه المأمون رئيساً لديوان الترجمـة في بغداد، فنقل إلى السريانيّة والعربيّة بعضَ كتب أفلاطون وأرسطو وديوسقوريدس وجـالينُس. برع في طبّ العيون، وله فيه كتب عـدّة؛ كما له مـوسوعة عن أعـلام الأطباء: «تاريخ الأطباء». وله في الصـيدلة

كـتاب «في أسـماء الأدوية المفـردة على حـروف المعجم».. إلى غـير ذلك من كـتب الفلسـفة والمنطق والجـغرافـيا والفلك والموسـيقى. مـتمكّن من اللّغـات اليونانـيّة والسريانيّة والفارسيّة، إضافة إلى العربيّة.. اشتهر بعدم ابنه **إسحق**.

الحَوَارِيُّون : ١ . هم أصـحاب عـيسى ابن مـريم: «قالَ عـيسى ابنُ مـريمَ للحَـواريّينَ: مَن أنْصاري إلى اللّه؟ قـالَ الحواريّون: نحنُ أنصـارُ اللّه» (٦١/ ١٤). واختُلف في تسميتهم بذلك على أقوال: قـال ابن عبّاس: سمّوا بذلك لبياض ثيابهم؛ وقيل: سـمّوا بذلك لأنّهم كـانوا يطهّرون نفـوس الناس؛ وقال قـتادة والضـحّاك: سمّوا بذلك لأنّهم كانوا خاصّة الأنبياء لصفاء ونقاء قلوبهم.

٢ . واخـتُلف فـي أصلهم كـذلك على أقـوال: فـقـيل: كـانوا صـيّـادين لاصطيادهـم نفوس الناس من الحَيـرة وقودِهم إلى الحقّ. وقـيل: كانوا قـصّـارين للثياب وصبّاغين. وقيل: كـانوا ملوكاً، وذلك أنّ الملك صنع طعاماً، ودعا الناسَ إليه، وكان عيسى على قصعة، فـكانت لا تنقص. فقال الملك له: مَن أنت؟ قال: عيسى ابن مـريم. قـال: إنّي أتركُ مُلكي هذا وأتـبـعك. وانطلق بمن مـعـه مع عـيـسى. فـهـم الحواريّون[1].

٣ . وتُطلق اللفظة أيضاً على اثني عشر شخصـاً، يُقال إنّ محمّداً، في بيعة العقبـة الثانية، أقامهم نقـباء على أهل المدينة قائلاً لهم: «أنتم على قـومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريّين لعيسى ابن مريم. وأنا كفيلٌ على قومي». وقال محمّد: «إنّ لكلّ نبيّ حواريًا، وإنّ حواريّ الزبير بن العوام»[2]. ويُقال إنّ من الحواريّين الإثني عشر تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس..

الحُور : ١ . جمع حوراء، المذكّر أحور. ومعناها لغة «النسـاء البيض»، أي العذارى في الجنّة. وصـفهنّ القرآن، فـي آيات كثيـرة، بأنّهنّ «أزواج مطهّرة» (٢/ ٢٥؛ ٣/ ١٥؛ ٤/ ٥٧)؛ أي مطهّرات من أدران الجسد ونقائص الخلق، «ليس عندهنّ

---

(١) راجع : الراغب، المفردات، مادّة «حور».

(٢) رواه البخاري ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر مناقب الزبير بن العوام.

من الإفرازات ما عند نساء الدنيا، مثل الحيض والنفاس والبول والغائط والبزاق والمخاط والنخامة والعرق والفثاء والضراط»[١]. وجاء في سورة الرحمن: إنّهنّ قاصرات الطرف إلاّ على أزواجهنّ: «لم يطمثْهنَّ إنسٌ قبلَهم ولا جانّ» (٥٥/٥٦)؛ وهنّ أيضاً: مستورات في الخيام، وقد شُبِّهوا بالياقوت والمرجان (٥٥/٥٨).

٢ . ثمّ يركّز القرآن على ذلك الكمّ الهائل من النساء في الجنّة، المستعدّات المتهيّآت لاستقبال الأبرار. إنّهنّ يتّصفن بجمالهنّ وعظم أعينهنّ وسعة البياض فيها. ويتميّزن بالأمانة والوفاء والصدق، إلى درجة أنْ «تكيّفت عيونُهنّ البهيّة الواسعة الرائعة الحسن على أن لا ترى إلاّ أزواجهنّ.. ولكَم هي نعمة أعطاها الرجل أن يمتلك حسَّ ومشاعرَ ووجدان امرأته. لا تصرف منه ذرّة إلى أحد غيره»[٢].

٣ . هنّ منتظرات أزواجهنّ، مستعدّات، متّكآت على أسرَّتهنَّ المصفوفة، بعضها على جنب بعض، وعلى فرشهنّ الحريريّة. وهنّ مقصورات في الخيام، مستورات في القصور. لباسهنَّ من سندس وإستَبْرَق وحرير. حسنُهنّ كالياقوت والمرجان والبَيض المكنون واللؤلؤ المنثور. أنشأهنَّ اللّهُ إنشاء.

٤ . هنّ **أبكار**، عذارى، كلّما أتاهنّ أزواجُهنّ وجدوهنّ كذلك. قالت المهندسة انتصار: «إنّ للبكر من نساء الدنيا عند الأزواج مَذاقاً وطعماً. لكنّ المرأة لا تصمد أكثر من لحظة واحدة عند زوجها لتصير بعد بكارتها ثَيِّباً إلى الأبد. تلك اللحظة التي لا تستغرق أكثر من دقيقة تمنُّ بها على زوجها أبدَ الدهر، وترقى بها متربِّعةً على قمَّة المحبَّة في قلبه. فإذا كانت هذه اللحظةُ هي ميزان المرأة طيلةَ عمرِها عند زوجِها، فما بالكِ إن كانتِ المرأة أبدَ الدهر بِكراً لا تتثيَّب! وهو ما لا يكون إلاّ في حور الجنَّة! كم تكون في ميزان زوجها إذن؟! وكم تفوق بهذا نساءَ الدنيا جميعاً؟!»[٣].

---

(١) المهندسة انتصار أحمد الصرّاف، أختي المسلمة! سبيلك إلى الجنّة، ص ٢٠.

(٢) كتاب : أختي المسلمة...، ص ٢٣-٢٥.

(٣) كتاب : أختي المسلمة...، ص ١٧.

٥ . وهنّ **أتراب**، مستويات في العمر، لا يتعدّين ثلاثاً وثلاثين سنة. عمرهنّ «في سنّ النضرة والشباب على ميلاد واحد. فلا يعرف الشيبُ أو الهرَمُ إليهنّ سبيلاً. وإنّ نضرةَ حورِ الجنّة وربيعَ عمرِهنّ الوارف رقّةً وحياةً وحيويّةً لهو كمالُ نعيم الرجال المؤمنين في الآخرة. لا يقفل ربيعُ عمرهنّ أبدَ الدهر.. يزددن كلَّ جمعةٍ حسناً وبهاءً ووضاءةً وجمالاً»(٤).

٦ . وهنّ **عُرُبٌ** أي متحبّبات إلى أزواجهنّ عشقاً وهياماً. «لا ترى (الواحدة منهنّ) حولَها ، على قول المهندسة انتصار، رجلاً غيرَ زوجها. ولا تحبّ قطُّ سواه. ولا ينبضُ فؤادُها ذرّةً إلاّ بحبِّه. تنظر إليه فلا ترى رجلاً غيرَه. فيصيرُ أمرُه كلُّه إلى قلبها، وشأنُه إلى فؤادها. تُلهبُه بنظراتِ الودِّ والتقرُّب، فيَسمع منها ما لم يسمع مِن قبلُ. فيلتهبُ وجدانُه حبّا وحنيناً، وترميه بأجمل وأحسن ألفاظ الحبّ والتحبّب والعشق والتعشّق»(٥).

٧ . وهنّ **كواعبٌ**، أي كبيرات الثديَين، مستديرات، مليئات لحماً ودهناً. "ناضجات النهود والصدور، كما تقول السيّدة انتصار، لأنّ في نضج النهد عند المرأة متاع بالغ لدى زوجها. وهناك من نساء الدنيا مَن تفتقد إلى نهدٍ ناضجٍ لدى زوجها. فقد أكمل اللّه هذه الصفة في نساء الحور "(٦).

٨ . لهنّ في أجسادهنّ رائحة ولا أطيب، وضياء ولا أعظم. تقول المهندسة انتصار: «لقد هالني الوصفُ حين وقفتُ أمام قول النبيٍّ عن حور الجنّة: " ولو اطّلَعَتِ امرأةٌ من نساء أهل الجنّة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً، ولطاب ما بينهما "(٧). وفي رواية البخاري: " ولو أنّ امرأةً من نساء أهل الجنّة اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا "(٨).

---

(٤) كتاب : أختي المسلمة...، ص ٢٢.

(٥) المرجع السابق نفسه.

(٦) كتاب : اختي المسلمة... ص ١٤.

(٧) أنظر مسند أحمد، كما هو مرويّ عن أنس بن مالك.

(٨) كتاب: أختي المسلمة...، ص ٢٥-٢٦.

٩ . ونقل الأوزاعي تفسيرَ النبيّ لقوله: "في شغل فاكهون" (٣٦/ ٥٥)، أي: شغلهم افتضاض الأبكار[٩]. فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! أيُباضَعُ أهلُ الجنّة؟ قال: يُعطى الرجلُ منهم من القوّة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم"[١٠]. وقال رسولُ الله: "إنّ الرجلَ من أهل الجنّة لَيتزوّج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيّب. يعانق كلَّ واحدة منهنّ مقدار عمره في الدنيا"[١١].

عن أبي هُريرة قال: "قيل: يا رسولَ الله! هل نُفضي إلى نسائنا (في الجنّة)؟ فقال: والذي نفسي بيده! إنّ الرجلَ ليُفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء". وفي قولٍ شبيه: "سئل نبيّ الله: أنَطأ في الجنّة؟ قال: نعم. والذي نفسي بيده! دحْماً دَحْماً[١٢]. فإذا قام عنها رجعتْ مطهّرةً بكراً". وفي حديث أيضاً: "يُعطى المؤمن في الجنّة قوّة كذا وكذا من الجماع. قال أنَس: يا رسولَ الله! ويُطيقُ ذلك؟! قال: يُعطى قوّة مئة". وفي حديث عن أبي أمامة، رضي اللهُ عنه، أنّه سمع رسولَ الله، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، سئل: هل يتناكحُ أهلُ الجنّة؟ فقال: بذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وشهوةٍ لا تنقطع دحماً دحماً".

١٠ . واستفاض المفكّرون المسلمون، إنطلاقاً من القرآن والأحاديث النبويّة، في وصف جمال الحور. فذكروا أنّهنّ خلقن من الزعفران والمسك والعنبر والكافور، وأنّهنّ على ألوان أربعة: بيض وخضر وصفر وحمر، وأنّهنّ من الشفوف بحيث يظهر نخاع عظامهنّ من خلال سبعين رداء من الحرير. وإذا تنخّمن فإنّ نخامتهنّ على الأرض تنعقد مسكاً. ومكتوب على صدورهنّ إسمان: إسم من أسماء الله وإسم زوجهنّ. وهنّ يتقلّدن جواهر وحلياً كثيرة.. وتسكن الحور القصور الجميلة، تحيط بهنّ الجواري، وتحفّ بهنّ مظاهر الترف..

---

(٩) يعلّق صاحب كتاب "تحفة العروس": فبُشرى للشبّان الصالحين التائبين"، ص ٣٨١.

(١٠) أخرجه الترمذي، انظر إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤١.

(١١) عن إحياء علوم الدين، ٤/ ٥٤١.

(١٢) الدحْم: الجماع بدفع جديد، ونصبُه بفعل مضمر، أي يدحمون دحماً. والتكرير للتأكّد، أي دحما بعد دحم". تعليق كتاب تحفة العروس، حاشية ص ٣٨١.

١١ . وعندما يدخل المؤمن الجنّة ترحّب به حـوريّة من هؤلاء الحور. ولكلّ مؤمن عدد كبـير منهنّ رهن مشيئتـه. وهو يواقع كلَّ واحدةٍ منهنّ بعدد الأيّام التي صامها من رمضان، وبعدد الحسنات التي أدّاها. وهنّ، مع ذلك، عذارى كلّما أتاهنّ أزواجهنّ (٥٦/٣٦).

عن هذا عبّر الغزالي، وهو يتكلّم على لذّة الجماع العابرة، كمقدِّمة لتلك اللّذة الدائمة والكاملة في الجنّة. قـال: " وإحدى لذّاتِ الدنيا الرغبـة في دوامها في الجنّة ليكون باعـثاً على عـبادة الله.. فـإنّ هذه اللّذة الناقـصة بسـرعة الانصـرام تحرّك الرغبة في اللّذة الكاملة بلذة الدوام فيسـتحثّ على العبادة الموصلة إليها "[١٣]. وفي المعنى نفـسه يقـول الغزالي أيضـاً: " إعلمْ أنّ شهـوة الوقاع سُلِّطتْ على الإنـسان لفائدتَين: إحداهما أن يدرِكَ لذّتَه فيـقيسَ بها لذّاتِ الآخرة.. فإنّ ما لا يُدرَكُ بالذوق لا يعظم إليه الشوق؛ والفائدة الثانية بقاء النسل "[١٤].

١٢ . ويعلّق السيّد محمود على أوصـاف الجنّة ونسائها، فيقول: "إنّ هذه الأوصاف المتـعلّقة بنساء الجنّة تلعب دوراً إغـرائيّاً لجذْب الإنسـان إلى الإسلام.. وإبعادِه عن متع الدنيا الرخيصة. فما في الآخرة أمتعُ وأبقى وأكثر إثارةً "[١٥].

وتتوسّع المهندسة إنتصار أحمد الصرّاف فـي تعليقاتها وفي مقارنتها بين ما هـنّ عليه نســاء الدنيا ومـا هنّ عليه نســاء الجنّة. كمـا تحثّ بنات جنسهـا إلى احترام أزواجهنّ في الدنـيا ومحبّتهم، لأنّ ما في جنّة الخلد مـا يغري. تقول: " فكم نحن –نساء الدنيـا– فقيـرات الحسن! ولو بلغ ما بلـغ! فعلى أي شـيء تؤذي المرأةُ منّا زوجَـها، وقد أعـدّ اللّهُ تعـالى له هذا الحسنَ كلّه (في حـور الجنّة)! وليس هذا فحسب. بل إليكِ فاسمعي "[١٦]:

---

(١٣) إحياء علوم الدين، ٢/٢٨.
(١٤) ألمرجع نفسه، ٣/٩٩.
(١٥) ألجنس في القرآن، ص ١٥٠.
(١٦) كتاب: أختي المسلمة...، ص ١٦.

" ألا تخجل امرأةٌ تزدري زوجَها؟ أو تُنقِصُ من قدره مقدار أنملة؟ ألا تخجل من نفسها وهي تنظر نفسَها بجانب زوجته من الحور العين ونساء الجنّة؟ كم يساوي حسنُها بجانب حسنِهنّ؟! وكم تساوي رقّتُها بجانب رقتِهنّ؟! وكم يكون قدر بكارتها بجانب بكارتِهنّ التي لا تنقطع؟!.. فما أقلّ حياء مَن لا تتقرّبُ لزوجها بالتقدير والطاعة!.. وأهمسُ من طرفٍ خفيٍّ لبنات جنسِنا، والحياء يجتاح كيانَنا.. هل تستطيع إحداكنّ أن تعيش لزوجها مقصورة الطرف عليه "(17).

١٣ . ونختم بكلمة السيّد ابراهيم محمود، الذي وضع كتابَ " الجنس في القرآن "، وكأنّه يؤكّد لنا ما ورد في القرآن والأحاديث النبويّة وتفاسير الصحابة والمسلمين، فقال: " إنّ القرآن غنيٌّ بالحضور الجنسي... ويصعبُ استيعابُ الإسلام دون تصوّرٍ جسديٍّ له "(18). وقد يكون عبد الكريم الخطيبي أكثر صراحة من السيد محمود عندما قال: " إنّ القرآن، إذاً، هو الكلامُ الشعائري الفاتحُ للشهيّة. إِنَّهُ وَسِيلَةُ الجمَاع ". والسيّد محمود هو الذي دلّنا على قول الخطيبي هذا(19).

الحَوْض : ١ . لغةً: مجتمع الماء، والجمع: أحواض. وحوض الرسول هو الموضع الذي يَلقى عنده محمّدٌ أمّته يومَ القيامة، ويسقيهم منه. لا وجود له في القرآن؛ ولكنّه وارد في السنّة كما يلي: أوّل مَن يلقاه محمّد من أمّته يوم القيامة عند الحوض الفقراء الذين لم يعرفوا نعيمَ الدنيا. فإنّ محمّداً يشفع لأصحابه. فيقال له: إنّك لا علم لكَ بما أحدثوا بعدك. إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى(1).

٢ . في الحوض من الأباريق كعدد نجوم السماء. إنّه حوض عظيم، ومورد كريم، يصله الماء من نهر الكوثر، الذي هو أحد أنهار الجنّة، وماؤه أشدّ بياضاً من

---

(١٧) المرجع نفسه، ص ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٥..

(١٨) الجنس في القرآن، ص ١٩.

(١٩) عبد الكريم الخطيبي، الإسم العربي الجريح، بيروت، دار العودة، ١٩٨٠، ص ١٠١، عن كتاب " الجنس في القرآن "، حاشية ٨١، ص ١٢٦.

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب ٧٣؛ كتاب المساقاة، باب ١٠؛ كتاب الرقاق، باب ٥٢؛ أحمد بن حنبل، ٢/١٣٢؛ الطيالسي، رقم ٦٩٥.

اللَّبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك؛ ويملؤه صنبوران من الجنّة، أحدُهما من الذهب، والآخر من الفضّة. ومَن شرب من مائه لا يظمأ أبداً. وهو، عند جمهور العلماء، يقع قبل الصراط، لأنّ الناس يخرجون من القبور عطاشاً، فيَرِدون الحوضَ للشرب منه. فقد ورد في حديث صحيح(٢) أنّ محمّداً قال إنّه إذا لم يكن بالقرب من الصراط، فإنّه يكون إلى جانب الميزان أو الحوض.

٣ . و«الإيمان بمسألة الحوض واجب على سبيل الإجمال؛ أمّا التفاصيل فمن الخير إرجاؤها لعلاّم الغيوب. ومنكر هذه المسألة فاسق ليس بكافر، لأنّها ليست من أصول الدين»(٣).

الحَيَاء : ١ . لغة: من حَيي، وهو: تغيّر وانكسار يعتري الإنسانَ من خوف ما يُعاب به ويُذمّ. هو انقباض النفس عن القبائح.. وفي الشرع: خلقٌ يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع من التقصير في حقّ ذي الحقّ.. وهو خلق يردع الإنسانَ عن مواقعة السوء.

٢ . ومثله **الخَجَل** وهو الاسترخاء من الحياء. والفرق بينهما أنّ الخجل يظهر في الوجه لغمٍّ يلحق القلب؛ والحياء هو الارتداع بقوّة الحياء. ولهذا يُقال: فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا. ولا يُقال: يخجل أن يفعله في هذه الحال، لأنّ هيئته لا تتغيّر منه قبل أن يفعله. فالخجل ممّا كان والحياء ممّا يكون. وقال الأنباري: أصل الخجل في اللّغة: الكسل والتواني وقلّة الحركة في طلب الرزق، وأيضاً: الانقطاع في الكلام.

٣ . يقابل الحياء أيضاً **البَذَاءَة**، أي: السفاهة و الفحش. وقد جاء في الحديث قوله: «ما كان الفحش في شيء إلاّ شانَه. وما كان الحياء في شيء إلاّ زانه»(١). ويقابله كذلك أيضاً: **الوَقَاحَة**، وهي أن يجترئ الرجل على اقتراف القبائح.

---

(٢) الترمذي، كتاب القيامة، باب ٩؛ أحمد بن حنبل، ٢/ ١٧٨.

(٣) راجع مادّة: الحوض، د. محمّد سيّد أحمد المسير، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٥٨٠.

(١) أخرجه الترمذي، ٤/ ٣٤٩، ط. الحلبي، من حديث أنس.

٤ . الحيـاء من خصائص الإنسان، وغـريزة فيه. وُصف اللّه بالحـياء، في قوله: «إنّ اللّهَ لا يَستَحْيِيءَ أن يَضرِبَ مثلاً ما بَعوضَةً فمَا فَوقَها» (٢/٢٦). غير أنّ اللّه لا يستحـيي كما يستحيي النبيُّ نفـسه: «... إنَّ ذلكم (أي المكثْ في بيت النّبيّ) كان يُؤذِي النّبيَّ فَـيستحْـيي منكمْ (أن يُخرجَكم). واللّهُ لا يستـحْيي مِنَ الحقِّ (أن يُخرجكم)» (٣٣/٥٣). وكذلـك أيضاً «لا يَسْتَحِيي أنْ يَضرِبَ مَـثَلاً مَا بَعوضَـةً فما فَوقَها» (٢/٢٦)؛ إنّه جريء في قوله وحرٌّ في ما يشاء.

٥ . ووردتْ في كتب الحـديث أقوالٌ كثـيرة للنبيّ عن الحيـاء. قال: «إذا لم تسْتحِ فاصـنَعْ ما شئتَ»[٢]. ومرّ النّـبي على رجل يعظ أخاه في الحـياء، فـقال له النبيّ: «دعه فإنّ الحياء من الإيمان»[٣]. وقال أيضاً : «الحياء شعبة من الإيمان»[٤]. وقال: «الحياء والإيمان قُرِنا معاً. فإذا رُفع أحدُهما رُفع الآخر»[٥]. وقال: «الحياء لا يأتي إلاّ بخير»[٦]. وقال: «إنّ لكلّ دِين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء»[٧]. وعن عائشة قالت: «نعم النساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعـهنَّ الحياء أن يتفقّهنَ في الدِّين»[٨]. وعن أمّ سلَمة قالت: جاءتْ أمُّ سليم إلى رسـول اللّه فقالت: يا رسولَ اللّه! إنّ اللّهَ لا يستحيي من الحقّ. هل على المرأة غسْـلٌ إذا هي احتلمت؟ فقال رسول اللّه: نعم. إذا رأتِ الماء»[٩]. وفي الصحيـحَين: «كان النبيّ أشدّ حياء من العـذراء في خدرها. فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه»[١٠].

---

(٢) أخرجـه البخاري، الفـتح ١٠/٥٢٣، من حديث ابن مـسعود. أنظر أيضـاً : البخاري، أنبـياء ٥٤، أدب ٧٨؛ دارمي، أدب ٦؛ إبن ماجه، زهد ١٧؛ مالك بن أنس، موطّأ، سفر ٤٦...

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ١/٧٤، ط. السلفية؛ ومسلم، ١/٦٣،من حديث عبد اللّه بن عمر.

(٤) أخرجه مسلم، ١/٦٣، ط. الحلبي. من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه الحاكم، ١/٢٢، من حديث عبداللّه بن عمر. وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٥٢١، ومسلم، ١/٦٤،من حديث عمرانبن حصين.

(٧) أخرجـه ابن ماجه، ٢/١٣٩٩، ط. الحـلبي. من حديث أنس، وضعـفه البـوصيري، كـما في مصباح الزجاجة، ٤/٢٣٠، ط. دار العربيّة.

(٨) أخرجه مسلم، ١/٢٦١، ط. الحلبي.

(٩) أخرجه البخاري، الفتح ١/٣٨٨، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/٢٥١، ط. الحلبي.

(١٠) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٥١٣؛ ومسلم، ٤/١٨٠٩، من حديث أبي سعيد الخدري.

٦. الحياء خلق محمود، وقد حثّ النبيُّ عليه ورغّب فيه، لأنّه باعث على أفعال الخير ومانع من المعاصي، ويحول بين المرء والقبائح، ويمنعه ممّا يُعاب به ويُذَمّ. فإذا كان هذا أثره فلا شكّ أنّه خلْق محمود، لا ينتج إلاّ خيراً. فالذي يهمّ بفعل فاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها، أو يعتدي عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيّئة بالسيّئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمّه مجلسٌ فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام، والخوض في ما لا يعنيه، فالذي يكون للحياء في نفسه هذه الآثار الحسنة، فهو ذو خلق محمود[11].

٧. الحياء فضيلة إسلاميّة. تَظهر في احترام الإسلام للجسد، وفي ممارسة الحشمة، عند الرجال والنساء معاً. وقد يكون الزواج من عدّة نساء من أجل أن يكتفي الرجل بأهل بيته، ويكفّ عن الفعل المنكر. كما قد يكون عقاب الزنى، وهو القتل رجماً، من أجل ردع المسلم والمسلمة عن أيّ فعلٍ يؤذي الحياء.

٨. وفي الآداب الإسلاميّة، إنّ مظاهر العشق، لئن كانت شرعيّة في الخفاء بين الزوجين، فإنّها غير لائقة في العلن. وإلاّ لا شيء يميّز بين الإنسان والحيوان.. وإلاّ لا يُفهم معنى الحجاب على النساء في غير هذا الإطار. وكذلك، في بعض المجتمعات الإسلاميّة، يُمنع على الرجل الكشف عن رأسه، وعن صدره؛ وفي بعضها الآخر، يمنع الكشف على ما بين السرّة والركبة.

٩. عند المرأة، هناك درجات للعري: هناك ما تظهره المرأة لبعلها، وهو، في المبدأ، كلّ جسدها، ما عدا العورة؛ وما تظهره لأقربائها الذين لا يحقّ لها الزواج منهم؛ وما تظهره للأجانب، وهي أن لا تُظهر إلاّ وجهها والكفّين فقط. وبالرغم من أنّ للرجل الحقّ في التمتّع بجسد امرأته، فإنّه لا يحقّ له النظر إلى أعضائها التناسليّة. وعليها هي ألاّ تكون عريانة في بيتها، ولو كانت وحدَها، وذلك حياءً من الملائكة المكلّفة بحراسة المؤمنين: فالعري مهين بحقّ اللّه. والموت نفسه لا يحلّ من

---

(١١) راجع **الموسوعة الفقهيّة**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميّة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.، الجزء ١٨، مادّة : الحياء، ص ٢٥٩-٢٦٣.

هذه القاعدة، حتّى إنّ جثمان المرأة لا يغسله إلاّ نساء أخريات، أو زوجها؛ وجثمان الرجل لا يغسله إلاّ رجال آخرون، أو امرأته.. وقد ورد، تطبيقاً للحياء، هذا « الخبر الخام والتام. عنوان الخبر: التجرّد من الملابس أثناء المعاشرة الزوجيّة يُبطل عقْد الزواج. مكان الخبر: مصر. توقيع الخبر: الأزهر »[١٢].

١٠ . والحجاب نفسُه لم يُفرض على المسلمات إلاّ من أجل الحياء، وحفظ عفّة الرجال والنساء معاً. ومن هذا القبيل أيضاً يُفرَض غضٌّ البصر، وحفظُ الفروج، وإخفاء الزينة، وستر الرؤوس والأعناق والصدر بالمقانع (رَ: ٢٤/ ٣١).

١١ . والحياء، في الإسلام، لا يعني الجنس فحسب؛ بل يعني أيضاً الأكل في العلن، والأكل بنهم وشراهة وجشع، ويعني أيضاً التجشُّؤ، أي التدشّي؛ وكذلك أيضاً يعني الخروج بحاجات الجسد أمام الآخرين، مثل البول والغائط. والامتناع عن البصاق والعطس وإزالة وسخ المنخارَين، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، وغير ذلك. وكذلك يُمنع على المسلم قذف الشتائم والتفوّه بكلام بذيء... فهذه كلّها لا تليق بالمسلمين.

الحَيَاة : ١ . نقيض الموت. وهي، بحسب الأصفهاني، تُستعمل على أوجه:

١ – للقوّة النامية الموجودة في النبات والحيوان؛ ٢ – للقوّة الحسّاسة، وبه سمّي الحيوان حيواناً؛ ٣ – للقوّة العاقلة، كقوله تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ» (٦/ ١٢٢)؛ ٤ – عبارة عن ارتفاع الغمّ، وعلى ذلك قوله تعالى: «ولا تَحسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا في سبيلِ اللّهِ أمْوَاتاً، بل أحْياءٌ عندَ ربِّهم» (٣/ ١٦٩)، أي هم متلذّذون لما روي في الأخبار الكثيرة عن أرواح الشهداء؛ ٥ – الحياة الأخرويّة الأبديّة، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: «يا لَيتَني قَدَّمْتُ لحِياتِي» (٨٩/ ٢٤)، يعني بها الحياة الأخرويّة الدائمة؛ ٦ – الحياة التي يوصف بها الباري تعالى، فإنّه إذا قيل فيه سبحانه، هو حيّ، فمعناه لا يصحّ عليه الموت، وليس ذلك إلاّ للّه عزّ وجلّ.

---

(١٢) ورد الخبر في ملحق جريدة النهار البيروتيّة، الأحد ١٥/ ١/ ٢٠٠٦؛ ص ٣.

٢ . بدأت الحياة الآدميّة الأولى، بحسب الإسلام، بنفخة من روح اللّه في الصورة التي سوّاها اللّه من طينٍ لآدم، كما قال: «إذ قال ربُّكَ للملائكة إنّي خالقٌ بشراً من طين. فإذا سوّيتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكةُ كلُّهم أجمعون، إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين» (٣٨/ ٧١-٧٤)..

٣ . والمراحل التي تمرّ بها الحياة في بطن الأمّ فهي بحسب قوله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طين. ثمّ جعلناه نطفة في قرارٍ مكين. ثمّ خلقنا النطفةَ علقةً. فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاماً. فكسونا العظام لحماً. ثمّ أنشأناه خلقاً آخر. فتبارك اللّه أحسن الخالقين» (٢٣/ ١٢)؛ وقوله: «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر»، أي بنفخ الروح حيث يبدأ في الجنين الإحساس بعد أن كان جماداً..

٤ . واستدلّوا بحديث ابن مسعود الذي يدلّ على أنّ تعلّق الروح بالجنين إنّما يكون بعد الأربعين الثالثة. قال: «حدّثنا رسولُ اللّه، وهو الصادق الصدوق، قال: «إنّ أحدَكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً. ثمّ يكون في ذلك علقةً مثل ذلك. ثمّ يكون في ذلك مضغة مثل ذلك. ثمّ يرسل المَلَك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أو سعيد»[١].. إلاّ أنّ بعض الفقهاء ذهبوا إلى أنّ حياة الجنين تبدأ من حين تلقيح ماء المرأة بماء الرجل.

٥ . وتنتهي حياة الإنسان بنزع الروح، أي بالموت. وإمارات انتهاء الحياة، عند الفقهاء: شخوص البصر، وانقطاع النفَس، وانفراج الشفتَين، وسقوط القدمَين، وانفصال الزندَين، وميل الأنف، وامتداد جلدة الوجه، وانخساف الصدغَين، وتقلّص الخصيتَين مع تدلّي جلدتهما[٢].

٦ . يُؤمر المكلّف بإحياء نفسه وعدم إلقائها إلى التهلكة، لقوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (٢/ ١٩٥).. والحفاظ على الحياة يكون بتناول

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ٣٠٣، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٤/ ٢٠٣٦، ط. الحلبي.

(٢) راجع: ردّ المحتار ٢/ ٥٧٠؛ الخرشي ٢/ ١٢٢؛ المجموع ٥/ ١٢٥-١٢٦؛ المنثور ٢/ ١٠٧؛ والمغني ٢/ ٤٥٢.

المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات ممّا يتوقّف عليه بقاء الحياة. ومجموع الضروريّات خمسة: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال[٣]، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: «وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا...» (٧/ ٣١).. والمضطرّ في المخمصة الذي لا يجد إلاّ محرّماً كالميتة، أو مال الغير، ويغلب على ظنّه الهلاك إن لم يأكل من هذا المحرّم، يلزمه منه بقدر ما يدفع عن نفسه الهلاك، لقوله تعالى: «فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه» (٢/ ١٧٣).

٧ . حرَّم الشرع تحريماً قاطعاً أن يجني الشخصُ على حياته، قال تعالى: «ولا تقتلوا أنفسكم» (٤/ ٢٩)؛ وقال رسول اللّه: «كان في مَن قبلك رجل به جرح فجزع، فأخذ سكّيناً فجزّ بها يدَه. فما رقأ عنه الدم حتّى مات. قال اللّه تعالى: بادرَني عبدي بنفسِه، حرّمتُ عليه الجنّة»[٤]؛ وقال: «مَن قتل نفسَه بحديدة فحديدتُه في يده يتوجّأ بها في بطنه في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومَن شرب سمّاً فقتل نفسَه فهو يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً. ومَن تردّى من جبلٍ فقتل نفسَه فهو يتردّى في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً»[٥].

٨ . وأجمع المسلمون على تحريم القتل بغير حقّ، لقول الكتاب: «ولا تقتلوا النفسَ التي حرّم اللّهُ إلاّ بالحقّ» (١٧/ ٣٣)، وقوله: «وما كان لمؤمنٍ أن يقتلَ مؤمناً إلاّ خطأً» (٤/ ٩٢)، وقوله: «ومَن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها، وغضب اللّه عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً» (٤/ ٩٣). ولقول رسول اللّه: «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلاّ اللّه وإنّي رسول اللّه إلاّ بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٦]، وقوله: «قتْل المؤمن أعظم عند اللّه من زوال الدنيا»[٧].

---

(٣) الموافقات ٢/ ٨-١٠.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ٤٩٦، من حديث جندب.

(٥) أخرجه مسلم ١/ ١٠٣-١٠٤، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ٢٠١، ط. السلفيّة؛ ومسلم ٣/ ١٣٠٢، من حديث ابن مسعود.

(٧) أخرجه النسائي ٧/ ٨٢، ط. المكتبة التجاريّة، من حديث ابن عمرو.

الحِيْرَة : قاعدة الملوك اللّخميّين. كانت على ثلاثة أميال جنوبي الكوفة، وعلى مسيرة ساعة إلى الجنوب الشرقي من النَجف، وعلى بحيرة النجف التي جفّت، عند تخوم الصحراء. الإسم آرامي: حِرْتَا، ومعناه لغةً: المخيَّم. ثمّ أصبحتْ عَلَماً على المخيَّم الثابت لأمراء اللّخميّين تحت سيادة الفرس..

عُرف من أهل الحيرة الشاعر عَديّ بن زيد النسطوري. في الحيرة أقامت هند أمُّ الملك عَمرو (بعد عام ٥٥٠م) ديراً.. وبلغت الحيرة مرحلة من الحضارة، وتزاحم الشعراء على بلاط ملوكها. وراجت فيها صناعة الكتابة. ومنها انتشرت في ربوع جزيرة العرب.

ولمّا مات الملك النعمان الثالث (٦٠٢م)، لم يتورّع الأكاسرة عن القضاء على الأقيال اللّخميّين، وأحلّوا محلَّهم على المدينة عمّالاً من الفرس، يدين لهم أمراء العرب بالولاء. وظلّ الحال على هذا المنوال إلى عام ٦٣٣م، عندما هاجم خالد بن الوليد الحيرة على رأس جيش المسلمين، فاستسلمت المدينةُ بلا قتال، وقبلتْ أن تدفع ضريبةَ الجزية. ومِن ثمّ زالتْ أهمّيتُها. وزاد ظهورُ الكوفة في اضمحلالها. وذلك بعد منتصف القرن العاشر الميلادي.. وفي موضعها الآن مراع ليس فيها ما يذكّر بماضيها إلاّ تلال وأكوام من الأنقاض.

الحَيْض : ١ . لغةً: مصدر حاض. يقال: حاض السيل إذا فاض. وحاضت الشجرة إذا سال صمغها. وحاضت المرأة إذا سال دمها. والمرّة: حَيضة؛ والجمع: حِيض. والحياض: دم الحيضة. والمرأة: حائض، وجمعها: حُيّض وحوائض. وتحيّضت المرأة: قعدت عن الصلاة أيّام حيضها.. وللحيض أسماء، منها: الطمث، والعراك، والنفاس.

في الاصطلاح: الحيض دم يلقيه رحم معتاد حملها دون ولادة، أو دم جبلة، يخرج من أقصى رحم المرأة، بعد بلوغها، على سبيل الصحّة، من غير سبب، في أوقات معلومة.. ومن الألفاظ ذات الصلة: الطهر، والقُرْء، والاستحاضة، والنفاس، مع فارقٍ في المعنى اللغوي والشرعي.

٢ . يجب على المرأة تعلُّمُ ما تحتاج إليه من أحكام الحيض. وعلى زوجها أو وليّها أن يعلّمها ما تحتاج إليه منها إن علم، وإلاّ أذنَ لها بالخروج لسؤال العلماء. ويحرّم عليه منعها إلاّ أن يسأل هو ويخبرَها فتستغني بذلك. ولها أن تخرج بغير إذنه إن لم يأذن لها.. قال ابن نجيم : ومعرفة مسائله من أعظم المهمّات، لما يترتّب عليها ممّا لا يحصى من الأحكام: كالطهارة، والصلاة، وقراءة القرآن، والصوم، والاعتكاف، والحجّ، والبلوغ، والوطء، والطلاق، والعدّة، والاستبراء، وغير ذلك من الأحكام.

وكان من أعظم الواجبات، لأنّ عظم منزلة العلم بالشيء بحسب منزلة ضرر الجهل به، وضرر الجهل بمسائل الحيض أشدّ من ضرر الجهل بغيرها، فيجب الاعتناء بمعرفتها[1].

٣ . اتّفق معظم الفقهاء بأنّه لا تصحّ طهارة الحائض. وليس على الحائض أن تغتسل للجنابة حتّى ينقطع حيضها لعدم الفائدة.

٤ . لا خلاف بين الفقهاء في طهارة جسد الحائض، وعَرَقِها، وسؤرها، وجواز أكل طبخها، وعجنها، وما مسّته من المائعات، والأكل معها، ومساكنتها.. وذلك لما روي أنّ النبيّ قال لعائشة: «ناوليني الخمرةَ من المسجد»، فقالت: إنّي حائض. قال: «إنّ حيضتك ليست في يدك». وكان رسول الله يشرب من سؤر عائشة وهي حائض، ويضع فاه على موضع فيها، وكانت تغسل رأسَه وهي حائض[2].

٥ . اتّفق الفقهاء على حرمة وطء الحائض في الفرج لقوله تعالى: «فاعتزِلوا النساءَ في المحيض. ولا تقربوهنَّ حتّى يطهرن» (٢/٢٢٢)، ولقول النبيّ: «إصنعوا كلَّ شيء إلاّ النكاح»[3].. واختلفوا في الاستمتاع بما بين السرّة

---

(١) البحر الرائق ١/١٩٩؛ مجموعة رسائل ابن عابدين ١/٧٠؛ مغني المحتاج ١/١٢٠.

(٢) أخرجه مسلم، ١/٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٤، ط. الحلبي، عن عائشة.

(٣) أخرجه مسلم ١/٢٤٦، ط. الحلبي، من حديث أنس بن مالك.

والركبة: فذهب معظمهم إلى حرمتـه، لحديث عائشة، قالت: «كانت إحدانا، إذا كانت حائضـاً، فأراد رسولُ اللّه أن يباشـرها، أمرها أن تتّزر. ثمّ يباشـرها. قالت: وأيّكم يملك إربه كما كان رسول اللّه يمـلك إربه». وعن ميمونة نحوه[٤]. وفي رواية «كان يبـاشر المرأة من نسـائه وهي حائض إذا كـان عليهـا إزار»[٥]، ولأنّ ما بين الـسرّة والركبة حريمٌ للفرْج. ومَن يرعى حول الحمى يوشك أن يخالط الحمى.

---

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ١/٤٠٣ و٤٠٥، ط. السلفيّة.

(٥) أخرجه النسائي، ١/١٥٢، ط. المكتبة التجاريّة.

خ

خَادِمُ الحَرَمَين الشَرِيفَين : لقب استحدثه، في العصر الحديث، الملك فهد بن عبد العزيز، وأطلقه على نفسه. والحَرَمان هما: المسجد الحرام بمكّة، والمسجد النبويّ بالمدينة.

خَارِجَة بن حُذَافَة (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م) : صحابيّ من الشجعان. اغتاله خطأً خارجيّ من المتآمرين على قتل عليّ ومعاوية وعَمرو.

خَارِجَة بن زَيْد (ت ٩٩هـ/ ٧١٧م) : من كبار التابعين. أحد الفقهاء السبعة.

الخَازِن (علاء الدين عليّ) (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤١م) : فقيه شافعيّ صوفيّ عالم بالتفسير والحديث. وُلد ببغداد وسكن دمشق وتوفّي بحلب. اشتهر بكتابه *«لباب التأويل في معاني التنزيل»* في التفسير. اختصره من معالم التنزيل للبغوي، ومن تفاسير مَن تقدّم عليه. وليس له فيه، كما يقول، «سوى النّقل والانتخاب، مع حذف الأسانيد، وتجنّب التطويل والإسهاب».

قال في مقدّمة تفسيره، مبيّناً طريقته ومنهجه: «ولمّا كان كتاب معالم التنزيل، الذي صنّفه الشيخ الجليل.... **البَغَوِيّ**... مِن أجلّ المصنّفات في علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامعاً للصحيح من الأقاويل، عارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل، محلّى بالأحاديث النبويّة، مطرّزاً بالأحكام الشرعيّة، موشّى بالقصص الغريبة، وأخبار الماضين العجيبة، مرصّعاً بأحسن الإشارات، مُخرجاً بأوضح العبارات، مفرغاً في قالب الجمال بأفصح مقال، فرحم اللّه تعالى مصنّفه وأجزل ثوابه، وجعل الجنّة متقلّبه ومآبه. وسقتُه بأبلغ ما قدرتُ عليه من الإيجاز وحسن الترتيب، مع التسهيل والتقريب.

«وينبغي لكلّ مؤلّفٍ كتاباً في فنّ قد سبق إليه، أن لا يخلو كتابُه من خمس

فوائد: إستنباط شيء إنْ كان معضلاً؛ أو جمعُه إنْ كان متفرِّقاً؛ أو شرحُه إنْ كان غامضاً؛ أو حسن نظم وتأليف؛ أو إسقاط حشوٍ وتطويل. وأرجو أنْ لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت».

خَالِد بن سَعِيْد بن العَاص (ت ١٤هـ/ ٦٣٥م) : صحابيّ كان يكتب للنبيّ. استشهد في وقعة مَرج الصفر قرب دمشق.

خَالِد بن الوَلِيْد (بن المغيرة) (ت ٢١هـ/ ٦٤٢م) : صحابيّ مخزوميّ وقائد إسلامي. أظهر في **وقعة أُحُد** كفاية ممتازة في القيادة الحربيّة لصالح أعداء محمّد. ولمّا دخل في الإسلام، هو وعمرو بن العاص، في سنة ٨هـ/ ٦٢٩م اشترك في الوقعة التي شُنّت على الروم في **مؤتة**، ونجح بصعوبة في العودة بالجيش المنهزم إلى المدينة، فكافأه النبيّ بأن خلع عليه لقب «سيف الله». واشترك في العام نفسه مع المسلمين في **فتح مكّة**. حمل في رجب من العام ٦٣٠م على أكيدر النصراني صاحب **دومة الجندل**. وأنفذه النبيّ صيفَ عام ٦٣١م إلى **نَجران** ليدعو بني الحارث بن كعب إلى الإسلام. فتمّ له ذلك دون قتال.

وفي العام الذي يليه أرسله أبو بكر لقتال طلحة بن خويلد، فهزمه. ثمّ وجّه همّه إلى بني تميم، وكان مالك بن نويرة يتزعّم بطناً من بطونها. استسلم مالك، فأُسر وقُتل، وبنى خالد بأرملته، فشكا الناس إلى الخليفة فعْلَ خالد.. ثمّ خرج خالد بعد ذلك لقتال **مُسَيلَمة** الكذّاب، فأوقع به الهزيمة وقتلَه وأتباعَه. وكان ذلك في مستهلّ ١٢هـ/ ٦٣٣م. ثمّ أُنفذ لقتال الفرس، ففتح **الحِيرة** في ربيع الأوّل من عام ١٢هـ ثمّ احتلّ الفرات بأسره.. ولم يخرج خالد لفتح الشام إلاّ في المحرّم من العام التالي، وقد هزم الروم شرَّ هزيمة في أجنادين، فارتدّوا إلى دمشق. ثمّ دحرهم مرّة أخرى حتّى سقطت دمشق في يده في رجب عام ١٤هـ.

وعُزل خالد عن قيادة الجيش، وأُقيم مكانه **أبو عبيدة بن الجرّاح**؛ ولكنّه ثابر على فتح الشام. فكان على رأس الفرسان في وقعة اليرموك (١٢ رجب ١٥هـ/ ٢٠ أغسطس ٦٣٦م). وإليه يرجع معظم الفضل في انتصار المسلمين. وبعد ذلك بقليل استعاد حمص، ثمّ توجّه إلى **قِنّسرين**، وهزم جيشاً من الروم يقوده ميناس.

فما لبثْ هذه المدينة أن سقطت في يده، وجعلها مقرَّه حينذاك. ووليّ خالد على جزء من الشام فترة من الزمن، ثمّ صُرف عن ولايته بعد ذلك. وتوفّي خالد في حمص.

الخِتَان و الخِتَانَة : ١ . من الختن، وهو قطْع القلفة من الذَكَر، والنواة من الأنثى. يُطلق الختان عادة على الذَكر، والخفض على الأنثى، والإعذار مشترك.

٢ . قال بعض الفقهاء: الختان سنّة في حقّ الرجال. إنّه من الفطرة ومن شعائر الإسلام. أمّا في حقّ المرأة فهو مكرمة لها ومندوب وليس بسنّة، لقول النبي: «الختان سنّة للرجال مكرمة للنساء»[١]، ولقوله أيضاً: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقصّ الشارب»[٢].

٣ . قد قُرن الختانُ في الحديث بقصّ الشارب وغيره. هذا يعني أنّه ليس ذلك واجباً.. إلاّ أنّ بعضهم قال: إنّ الختان واجب على الرجال والنساء. واستدلّوا للوجوب بقوله تعالى: «ثمّ أوحينا إليكَ أنِ اتّبعْ ملَّةَ إبراهيمَ حنيفاً» (١٦/ ١٢٣)؛ وبقول النبي: «اختتن إبراهيم النبيّ وهو ابن ثمانين سنة بالقدّوم»[٣]، وأمرنا باتّباع إبراهيم وبفعل تلك الأمور التي كان يفعلها، فكانت من شرعنا. وورد في الحديث كذلك: «ألقِ عنكَ شعرَ الكفر واختتن»[٤]، قالوا: ولأنّ الختان، لو لم يكن واجباً، لما جاز كشْفُ العورة من أجله، ولما جاز نظرُ الخاتن إليها. وكلاهما حرام.. وفي قول النبيّ: «إذا التقى الختانان وجب الغسل»[٥] دليل على أنّ النساء كنّ يَختتنّ، ولأنّ هناك فضلة فوجب أزالتُها كالرجل.. وقال فريق ثالث: إنّ الختان واجبٌ على الرجال، ومكرمة في حقّ النساء، وليس بواجب عليهنّ[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٨٥؛ والبيهقي في سننه، ٨/ ٣٢٥، من حديث ابن عبّاس مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٢٠/ ٣٣٤، ط. السلفيّة؛ ومسلم ١/ ٢٢١، حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٣٨٨؛ ومسلم ٤/ ١٨٩٣، من حديث أبي هُريرة.

(٤) أخرجه أبو داود ١/ ٢٥٣، تحقيق عزّت عبيد دعّاس، وابن حجر في التلخيص ٤/ ٨٢.

(٥) أخرجه الشافعي في الأمّ ١/ ٣٧، من حديث عائشة؛ وأصله في مسلم ١/ ٢٧٢، ط. الحلبي.

(٦) إبن قدامة في المغني ١/ ٨٥.

٤ . يكون ختان الذكور بقطع الجلدة التي تغطّي الحَشَفة، وتسمّى القلفة، والغرلة. ويكون ختان الأنثى بقطع ما ينطلق عليه الاسم من الجلدة التي كعرف الديك فوق مخرج البول. والسنّة فيه أن لا تُقطع كلُّها، بل جزء منها، وذلك لحديث أمّ عطيّة: أنّ امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبيّ: «لا تنهكي. فإنّ ذلك أحظى للمرأة وأحبّ إلى البعل»(٧).

٥ . ذهب الشافعيّة والحنابلة إلى أنّ الوقت الذي يصير فيه الختان واجباً هو ما بعد البلوغ، لأنّ الختان من أجل الطهارة، وهي لا تجب عليه قبْلَه. ويُستحبّ ختانه في الصغر إلى سنّ التمييز لأنّه أرفق به، ولأنّه أسرع برءاً.. وفي قول للحنابلة والمالكيّة: إنّ المستحبّ ما بين العام السابع إلى العاشر من عمره، لأنّها السنّ التي يؤمر فيها بالصلاة.. وعند الحنفيّة: إنّ العبرة في وقت الختان طاقة الصبي، إذ لا تقدير فيه.. وكره بعضهم الختان يوم السابع لأنّ فيه تشبّهاً باليهود.

٦ . الختان هو «العلامة» التي تُذكّر بعهد الله مع البشر، وتذكّر الانسان بانتمائه العضوي إلى شعب الله المختار، يُعتَبر سُنَّةً إلهيّةً شَرَّعتْ لها التوراةُ والأنبياء(٨). وقد يكون الختان سنّة شائعة بين الأمم، مارسها السوريّون والمصريّون والإسرائيليّون، وأهل أدوم، وموآب، وبنو عمّون، والعرب، وكهّان الأصنام(٩). ولشيوعها لم يذكرها القرآن العربي ولم يشرّع لها. وهذا معنى الحديث النبويّ القائل: «الختان من خصال الفطرة»(١٠).

٧ . ومارس النّصارى على مختلف فرقهم هذه السنّة، واعتبروها شرطاً أساسيّاً للإيمان بالمسيح وللخلاص(١١). إلاّ أنّ المسيحيّين، المؤمنين بيسوع المسيح

---

(٧) أخرجه أبو داود ٥/ ٤٢١.

(٨) أنظر: تك ١٧/ ١٠؛ ٣٤/ ١٧؛ خر ٤/ ٢٦؛ ١٢/ ٤٤؛ أح ١٢/ ٣؛ يش ٥/ ٢-٨؛ ١ مك ١/ ٦١؛ يو ٧/ ٢٢؛ رسل ٧/ ٨.

(٩) رَاجع: سفر إرميا، ٩/ ٢٥؛ .J.. Chaine, Le livre de genèse, 1945, p. 229

(١٠) صحيح البخاري، ٧٧/ ١٣؛ ٧٩/ ٥١؛ صحيح مسلم ٢/ ٤١ و٥٠.

(١١) رسل ١٥/ ١-٣٥؛ رَاجع: غل ٢/ ١١-٢١؛ رو ٣/ ١.

على أنّه آدم الجديد، ورأس البشريّة الجديدة المخلّصة بفدائه، لم يخضعوا لهذه الشريعة، بل رفضوها رفضاً قاطعاً؛ وعلى رأسهم القديس بولس[١٢].

٨. هذا وقد عُرِف النّبيّ محمّد، كما جاء في صحيح البخاري، على لسان هرقل، يقول لأحد منجّميه، عندما سأله: «إنّي رأيتُ الليلةَ، حين نظرتُ في النجوم، **مَلِكَ الختانِ قد ظهر**»[١٣]، وهو يقصد النبيّ محمداً لحظة مولده. فمحمدٌ، إذاً، بنظر هرقل، هو «مَلِكُ الختِان»... تماماً كأساقفة النصارى الذين كان يُطلق عليهم هذا اللقب. لقد سمّاهم أوسابيوس المؤرِّخ، «**أساقفة الختِان**»، وعدّد أسماءهم منذ زمن المسيح حتى زمن تراجان (ت ١٨٧م)، وهم خمسة عشر أسقفاً. ثم قال عنهم: «هؤلاء هم أساقفة أورشليم الذين عاشوا بين عصر الرّسل والعصر المشار إليه. وكلّهم كانوا من أهل الختان»[١٤]. وكنيسة النّصارى، أيضاً، عُرِفت بـ «**كنيسة الختان**»[١٥]. ليُنظر إلى هذا التقارب بين «**أسقف الختان**» أسقف أورشليم النّصرانيّ، و«**ملك الختان**» محمّد، سيّد مكّة.

الخَتْم أو **الخَتْمَة** : معناها اصطلاحاً: قراءة القرآن من أوّله إلى آخره.. وختْم القرآن عملٌ له ثوابه إذا تمّ في وقت قصير.. والختمة في مصر حفلٌ يُستقبل الضيفان فيه. ويُحتفل في مكّة الحديثة بختم الصبي للقرآن.. أمّا في اليمن فيُقدّم خاتم لكلّ مَن يختم القرآن للمرّة الأولى.

أمّا شيوخ الختاميّة عند الدروز فهم الذين خَتَموا «رسائل الحكمة»، أي حفظوها على ظهر قلبهم. وعندما يبلغ الشيخ هذه الدرجة، أي حافظاً للحكمة، مملوءًا بها، لن يعود المجتمع البشري العادي مستحقًّا له. فعليه، والحال هذه، الإنزواء في إحدى الخلوات الدرزيّة، وأهمّها خلوات البيّاضة.

---

(١٢) ١ قور ٧/١٩؛ قو ٢/١١؛ رو ٢/٢٥-٢٩؛ غل ٥/٦؛ ٦/١٥.

(١٣) صحيح البخاري ١/٧.

(١٤) Eusèbe de Césarée, Hist. Eccl., IV, 5, 3-4

(١٥) أنظر عنواناً لكتاب شهيرٍ إسمه: L'Eglise de la circoncision، لـ Bagatti، طبع في أورشليم سنة ١٩٦٥، ونُقل إلى لغات عديدة، وأعيدت طباعته مراراً.

خَتْمُ النُّبُوَّة : عقيدة إسلاميّة بأنّ محمّداً هو آخر الأنبياء وخاتمتهم، وأنّ الدين به قد اكتمل، وأنّ رسالة الإسلام هي الرسالة الأخيرة الخاتمة. وأشار القرآن إلى ذلك في قوله: «ما كان محمَّدٌ أبا أحدٍ من رجالِكمْ. ولكن رسولَ اللّهِ وخَاتَمَ النّبيِّين» (٣٣/ ٤٠).

وكذلك جاء في السنّة ما رُوي عن أبي هُريرة عن النبيّ أنّه قال: «إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله، إلاّ موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعتَ هذه اللبنة. قال: فأنا اللّبنة، وأنا خاتم النبيّين» (رواه البخاري). وهكذا انعقد إجماع الأمّة على هذه الحقيقة، بأن لا نبيّ بعد محمّد.

خَدِيْجَة (ت٦٢٠م) : ١ . أُولى أزواج النبيّ. وهي ابنة خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ. كانت أرملةَ تاجرٍ ميسورِ الحال، تقوم بنفسها على شئون تجارتها. وقد تزوّجت قبل النبيّ مرَّتَين، وأعقبت فيهما ذرّيّة. فأمّا زوجها الأوّل فهو «عتيق بن عابد»، أنجبت له بنتاً اسمها «هند»؛ والثاني «أبو هالة التميمي، مالك بن نباش»، أنجبت منه ذكَرَين هما: «هند وهالة».. وقد كانت في الجاهليّة تدعى «الطاهرة»، و«سيّدة قريش»..

٢ . وعندما أصبح الشاب محمّد في تجارتها، واكتشفت ما يتّصف به من محامد ، عرضت عليه الزواج.. وكان وقتذاك في الخامسة والعشرين، أمّا هي فكانت في الأربعين. وأنجبت له من الذكور «القاسم، والطاهر، والطيّب، وقيل عبداللّه»، وماتوا في الجاهليّة جميعاً؛ ومن الإناث: «زَينب، ورُقَيَّة، وأمّ كُلثوم، وفاطمة الزهراء»، وُلِدْنَ جميعُهنّ قبل نزول الوحي، وعشنَ، وأسلمن، ثمّ هاجرن إلى المدينة؛ وأخيراً متْنَ في حياة أبيهنّ ما عدا فاطمة التي ماتت بعده بثلاثة أشهر.

٣ . قد قنع النبيّ بخديجة، أي بزوجة واحدة طوال حياتها، على الرّغم ممّا عُرف عنه، بعد ذلك، من قوّةِ ميله الجنسي. وخير تفسير لذلك هو علوّ مكانة خديجة في المجتمع، ولعلّها استخدمتْ هذه المكانة في الاحتفاظ بالنبيّ وحدَها لا تشاركها فيه زوجةٌ أخرى..

٤ . هذا وقد أسدتْ خديجـة عوناً كبيراً جدًا عندمـا اعترى النبيَّ القلقُ أوّل نزول الوحي. ولا شكّ في أنّ ابنَ عـمِّهـا **ورقة بن نوفل** كانت له اليـد الطولى في استمالةِ خديجة إلى محمّد، فهو الذي دبّر زواجَها منه، وزوّجهما، ورعاهما. فكانت أوّل امرأة تزوّجـها النبيّ، وأوّل مَن أسلم من النساء والرجـال. وقال محمّـد يوماً: «خير نساء الجنّة مريم بنت عمران، وخير نساء الأرض خديجة بنت خويلد "[1].

٥ . لخديجة أن تفتخر على أزواج النبيّ جميعهنّ، لأنّها : ١- كانت أوّل من تزوّجـها رسـول الله؛ ٢- وكانت المرأة الوحـيدة تحـته؛ ولم يتـزوّج عليهـا، في حيـاتها، غيـرَها؛ ٣- وكانت الوحـيدة التي تزوّجهـا في مكّة، وقبل الهـجرة؛ ٤- والوحـيدة التي تزوّجـها قـبل الدعـوة، وقبل إعـلان النبوّة؛ ٥- وحـدها، من بين نسائه، تزوّجت إنسـاناً عادياً؛ فيـما سواها تزوّج نبـيّاً[2]؛ ٦- وساهمت مـعه في إعلان الإسلام، وتوضيح معالم النبوّة.

٦ . أمّا قـصّة الزواج فهي كمـا يلي: جاء أبو طالب يومـاً محمّداً إبنَ أخـيه يشكو إليه ضيقَ الزمان، قائلاً: " يا ابنَ أخي! أنا رجلٌ لا مالَ لي، وقد اشتدّ الزمانُ علينا، وألحّتْ علينا سنون منكَـرة، وليس لنا مالٌ ولا تجارةٌ. وهذه عـيرُ قـومِكَ قد حضرَ خـروجُها إلى الشام، وخديجة تبـعثُ رجالاً يتّجرونَ في مالِها، ويُصـيبون منافعَ. فلو جِئتَها لفَضَّلَتْكَ على غيرك لِما يبلغُها عنك من أمانتك وطهارتك. وإنْ كنتُ أكـرهُ أن تأتيَ الشامَ وأخـافُ عليك من يهـود.. وقد بلَغَني أنّهـا استـأجرتْ فـلاناً ببكرين (أي جمَلَين)، ولسنا نرضى لكَ بمثلِ ما أعطتْهُ. فهل لكَ في أن أكلّمَها؟ "[3]

لم ينتظر أبو طالبٍ جـوابَ ابن أخيـه، حتى ذهب وكلّم خـديجة في شـأنه. فاستجابت خديجة لطلبه، لحاجتـها إلى من يعمل لها في تجارتها الواسعة. وكانتْ قد تحرّت عن محمّد، فسمعتْ عن أمانته الكثير.

---

(١) صحيح مسلم، ٧/١٣٢.

(٢) كإنسان عادي، تزوّج محمّد امرأة واحدة فقط؛ ولما أصبح نبيًا عدّد.

(٣) ابن سـيّـد الناس، عـيـون الأثر، ١/٥٧، إبن هشـام ١/١٩٩، السـمط الثـمين ١٣، تاريخ الطبري ٢/١٩٦.

"ولمّا بلغ خديجةَ عن رسـول اللّه ما بلغَها من صدق حديثـه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثتْ إليهِ، فعـرضتْ عليهِ أن يخرجَ في مالٍ لها إلى الشامِ تاجراً، مع غلامٍ لها يقال له مَيْسَرَة. فقبلَه رسـولُ اللّه منها. وخرجَ في مالها ذلك، وخرج معه غلامُـها مَيـسرة حتى قـدِمَ الشام"[٤]. وكانت قد قـالت له: "أنا أعطيكَ ضعفَ ما أُعطي قومَك".

ففعل رسول اللّه، وخرج إلى سوق بصرى، فـباع سلعته، واشترى غيرَها، وقَـدِمَ بها. فـربحتْ ضـعفَ مـا كانتْ تربـح. فأضـعَـفَتْ لرسول اللّـه ضعفَ مـا سَمَّتْ"[٥].

وكان ميسرة يخبر خديجةَ بكلّ مـا كان يجري لمحمّد من نجاح في التجارة، من أمـور غريبـة، مثل ظهـور ملاكَين يحـرسانـه، وغمـامة تظلّله، وتنبّـوء راهب بصرى.. حـتى جال في بال خديجة، لـكثرة ما سمـعتْ ورأتْ واختبرتْ، أمـرٌ ما... فبعثتْ، يـوماً، صديقَتها نَفـيْسَة بنت منيّة، تطلبُ، بواسطتها، يدَ مـحمّد. وروتْ لنا نَفيـسَة وساطَتَهـا. قالت: "أرسلتْني دَسيسـاً (سرّاً) إلى محمّـد، بعدَ أن رجع في عيرِها من الشـام. فقلتُ: يا محمّد!! مـا يمنعُكَ أن تتزوّج؟ فقال: مـا بيدي ما أتزوّجُ به. فقلتُ: فإنْ كُفيتَ ذلك، ودُعيتَ إلى المـال والجَمال والشرف والكفاية، ألا تُجيب؟ قال: فمَن هي؟ قلتُ: خـديجة. قال: وكيف لي بذلك؟! قلتُ: بلـى. وأنا أفعل. فذهبتُ وأخبرتُها. فأرسلتْ إليه أنِ ائتِ الساعةَ كذا وكذا"[٦].

"وكانت خـديجة يومـئذٍ أوسطَ (أشـرف) نساء قـريش نسباً، وأعظـمهنّ شرَفاً، وأكثرهنّ مالاً. كلُّ قومِهـا كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه"[٧]. لقد كانت "امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد اللّهُ بها من كرامته"[٨].

---

(٤) سيرة ابن هشام، ١/ ١٧١–١٧٢.

(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ١٦.

(٦) طبقات ابن سعد ١١/ ١٣١، السيرة الحلبيّة ١/ ١٥٢–١٥٣...

(٧) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٥.

(٨) سيرة ابن هشام، ١/ ١٧٢–١٧٣.

وعندما بلغتِ الساعة التي حدّدتْ خديجةُ توقيتَـها، سارع محمّدٌ ملبّياً حلماً لم يتوقّعْه، حلماً يعوّض عن حرمان عـميق، متجذّرٍ في النفس... حضر رسولُ اللّه، ومعه عمّاه: أبو طالب وحـمزة. وحضرت خديجة، ومعهـا ابنُ عمّها القسّ ورقة بن نوفل، وعمُّها عَمرو بن أسد[٩].

وخطب أبو طالب، وليُّ رسـول اللّه، فقـال: "أمّا بعد، فـإنّ محـمّداً ممّن لا يوازِن به فتى من قريش إلاّ رجح به شرفاً ونبـلاً وفضـلاً وعقلاً. وإنْ كان في المال قلّ، فإنّما المالُ ظلّ زائل، وعارية مسترجعة. وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ، ولها فيهِ مثلُ ذلك..."

وخطب القسُّ ورقة بن نوفل، وليُّ خـديجة. فقال : "الحمـد للّه الذي جعلَنا كمـا ذكرتَ، وفضّلَنـا على ما عدّدتَ. فنحن سـادة العرب وقادتـها، وأنتم أهلُ ذلك كلّه. لا يُنكرُ العربُ فضلَكم. فَاشْهَدُوا علَيّ، يا مَعْشَرَ قُرَيش، إنِّي قَد زَوَّجْتُ خَديجَةَ بنتَ خُويلد مِن محمَّد بن عبداللّه".

وانتهى الأمر. وتعانق الزوجان. والتزم بعضـهما بعضاً حتى الممات. وفرح أبو طالب فرحاً كبـيراً. وعبّر عن فرحه بقـوله: "الحمدُ للّه الذي أذهبَ عنّا الكروبَ ودفعَ عنّا الغمومَ.. وهو، واللّهِ، بعدَ هذا (الزواج)، لـــه نبأٌ عظيمٌ وشأنٌ خطيرٌ"[١٠].

وتعلّقُ بنت الشـاطىء على هذا الزواج، وهي مـتـرعة بالسـعـادة لسعـادة رسول اللّه. تقول : "ولمّا انتهى العقـدُ، نُحرَتِ الذبائح، ودُقّتِ الدفوف، وفُتحتْ دارُ خديجة للأهل والأصدقاء[١١].. واغتبط محمّد بامرأة محنّكة غنيّة. فإذا به يجدُ فيها عِوَضـاً عن الأم والأخت والأب والأخ... واستـمرّتِ الرحلةُ أربـعاً وعشـرين سنة، "ارتوى محمّد خلالها من نبعِ الحنان، معوِّضاً بذلك حرمان ماضٍ يتيم"[١٢].

---

(٩) هناك اختلافٌ في الروايات، عمّا إذا كان عمّها أو أبوها أو أخوها هو الحاضر وقت الزواج.

(١٠) أنظر سيرة ابن هشام، ١/ ١٩٤؛ والحلبيّة، ١/ ١٥٥؛ والمكيّة، ١/ ١٢٣.. وسواها من السير.

(١١) إذ لم يكن لمحمّد بيت يأوي إليه، بعد زواجه، فكان منزلُ خديجة منزلَه الزوجي.

(١٢) بنت الشاطىء، نساء النبيّ، ص ٢٢٢-٢٢٣.

٧. ورُزق محمّد وخديجة بالأولاد، وفرحا بهم. وكانت خديجة أمينةً له، كما كان هو أيضاً، أميناً مدى العمر. إلاّ أنّ السعادة لن تكون كاملة: لقد فَقَدَ محمّد أولادَه الذكور كلَّهم. فذاق حرماناً جديداً، أشدّ من كلّ حرمان. وسيكون له فعله في نفسه وفي مسيرة حياته.

٨. وفي رحلة العمر هذه، كان القسّ ورقة، إبن عم السيّدة خديجة، ونديم عبد المطّلب، ورئيس النصارى في مكّة، لا يزال نشيطاً، فراح يدرّب محمّداً على الخلوة في غار حِراء، يجاوران اللّه معاً، يتعبّدان طوال شهر رمضان من كلّ سنة، ويتفقّهان بالكتب المقدّسة، ويصومان ويصلّيان بحسب عادات النصرانيّة الإبيونيّة والحُمْس من قريش.. واستمرّ الأمر كذلك حتى شارف النبيُّ على الأربعين.

٩. وبقيت خديجة، مع ابن عمّها القسّ ورقة، وبإرشاد منه، ترعى محمّداً، وتوفّر له كلّ ما يحتاج إليه في خلوته، من هدوء، وحياة تأمل وسكينة، وراحة بال وأعصاب... إلى أن "رجع رسول اللّه، ذات مرّة من غار حِراء، يَرجُف فؤادُه. فدخلَ على خديجة، فقال: «زمّلوني. زمّلوني». فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ. فقال لخديجة: «لقد خشيتُ على نفسي». فقالت خديجة: كلاّ. واللّهِ ما يُخزيك اللّهُ أبداً. إنّكَ لَتَصِلُ الرَّحِم. وتحمل الكَلَّ. وتُكسِبُ المعدومَ. وتُقري الضيفَ. وتُعينُ على نوائب الحقّ. فانطلقتْ به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل. فقالت له خديجة: يا ابنَ عمّ! إسمَعْ من ابنِ أخيك "[١٣].

١٠. ويُخبرنا رسولُ اللّه، وهو في بيت خديجة وحمايتها، عن لقائه الأوّل مع جبريل، ويقول إنّها، أي خديجة، استأخرتْه يوماً، فانشغل فكرُها، وخامرتها الظنون، فـ "بعثتْ –والكلام للنبيّ– رُسُلَها في طلبي. فبلغوا أعلى مكّة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك. ثمّ انصرف (جبريل) عنّي".

ويكمّل النبيّ سردَ اختباره الروحي الأوّل مع جبريل، ويقول: "وانصرفتُ راجعاً إلى إهلي، حتى أتيتُ خديجةَ، فجلستُ إلى فَخذِها، مضيفاً إليها. فقالتْ: يا أبا

---

(١٣) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، ١/ ٢-٣.

القاسم! أين كنتَ؟ فواللّهِ! لقد بعثتُ رسُلي في طلبك، حتى بلغوا مكّة، ورجعوا إليّ. ثم حدّثتُها بالذي رأيتُ. فقالت: أبشـرْ يا ابنَ عمّ. واثبتْ. فوالذي نفسُ خديجة بيدِهِ! إنّي لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذه الأمّة.

" ثم قـامتْ. فجـمعتْ عليـهـا ثيابَهـا. ثم انطلقتْ إلى ورقـــة ابنِ عـمِّهـا. فأخـبرتْه بما أخبـرها به رسولُ اللّه. فـقال ورقـــة: قـدّوسٌ قدّوسٌ. والذي نفسُ ورقـــة بيده، لئـنْ كنتِ صدقتِني يا خـديجة، لقد جـاءه الناموسُ الأكبـر الذي كان يأتي موسـى. وإنّه لَنبيُّ هذه الأمّة. فقولي له: فليثبتْ "(١٤).

لم يمرّ هذا الذي حدث لمحمّد مروراً عابراً. لقـد ابتغتِ السيّدةُ خديجة المزيدَ من المعلومات. وأرادت استكشـاف ما حدث لزوجها مع الملاك. ولفرط محـبّتها له، واهتمامِها به، طلبتْ منه أن يُعلمَها حالاً عندما يأتيه الملاك. فهي تريدُ أن تختبرَ ذلك بنفســها. وتتـأكّد من حدثٍ غـريبٍ، قد لا يحدث في تاريخ البـشر مـثيلٌ له.. وهي تعرف –مـتى عجزتْ عن التفـسير– أنّ ابنَ عمّـها القسّ ورقـــة قادرٌ على تفـسير الرؤى وتمييز الأرواح.

واستنفـر الجميع –خـديجة، والقسّ ورقة، وأبو طالب، ومـحمّد نفـسه،– مترقّبين ظهور الملاك من جديد. واستعدّتْ خديجة لتدخلَ في ذلك السرّ العميق بين محمّد والملاك. فهي، أكثر من سواها، معنيّة بزوجها، وبما يحدث له. وهيّأتْ أيضاً، في الوقت نفســه، القسَّ ورقـــة، ليُعينَهـا على تفسير هذه الظاهرة الغـريبة. والكلّ أضحى مترقِّباً منتظراً.

عن هذه الحالات النفـسيّة، يخـبرنا كاتبُ الـسيرة النبـويّة، ابن هشام، عن لسان خديجـة نفسها. فيـقول: «قالت خديجة: "إيْ إبنَ عمّ! أتسـتطيع أن تخبرني بصاحـبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قـال: نعم. قالت: فإذا جـاءك فأخـبرْني به. فجاء جبريلُ عليـه السلام، كما كان يصنـع. فقال رسولُ اللّه لخـديجة: يا خديجة! هذا جبـريل قد جـاءني. قالت: قمْ يا ابنَ عمّ! فـاجلسْ على فخذي اليـسرى. فـقام

(١٤) إبن هشام، السيرة النبويّة، ١/ ٢٢١–٢٢٢.

رسول اللّه فجلس عليها. قالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّلْ فاجلسْ على فخذي اليمنى. فتحوّل رسولُ اللّه فجلس على فخذها اليمنى. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّلْ فاجلسْ في حجري. فتحوّلَ رسولُ اللّه فجلس في حجرها. قالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسّرتْ وألقتْ خمارَها، ورسولُ اللّهِ جالسٌ في حجرِها. ثمّ قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابنَ عمّ! أثبتْ. وأبشرْ. فواللّهِ! إنّه لَمَلَاكٌ. وما هذا بشيطان "[١٥].

لماذا هو ملاكٌ وليس بشيطان! يُجيبُ الإمام الشعراوي: " لأنّ خديجة، رضي اللّه عنها، أزاحت الخمارَ عن وجهها، والشيطان وَقِحٌ.. لا يَختفي لمثل هذا التصرّف. أمّا الملاك جبريل فهو سامع مطيع لا يعصى اللّه "[١٦]. ثمّ يتساءل الشعراوي، مندهشاً من حكمة خديجة: " أيّ امرأة كانت تستطيع أن تستنبط مثل هذا الاستنباط من مثل هذا الموقف!.. أيّ امرأة كانت تستطيع أن تمتلك هذا القدر من الفهم والحكمة!!! "[١٧]. الجواب في السؤال طبعاً.

واطمأنّ النبيّ، على ما يبدو، إلى تفاسير خديجة. فقالت بنتُ الشاطىء: " وأشرقتْ أساريرُه..وأحسّ الراحة والطمأنينة، وهي تقوده في رفق إلى فراشه، فتضعه فيه، كما تفعل أمٌّ بولدِها الغالي، ثمّ تهدهِده بصوتها الحلو... ثمّ قامت فتسلّلتْ من المخدع على حذر.. تحثُّ خطاها نحو ابن عمّها ورقة بن نوفل.. وما كاد ورقة يصغي إلى ما تتحدّث به حتى اهتزّ منفعلاً، وتدفّقت الحيويّة في بدنه الواهن، فانتفض يقول في حماسة "[١٨] الكلامَ نفسَه الذي قاله في السابق، والذي سيردّده دائماً فيما بعد.

ثمّ عادت خديجة إلى رسول اللّه، وأخبرتْه بما قال القسّ ورقة. فطمأنها النبيّ. فآمنتْ. وصدقت بما جاء به من اللّه. ووازرتْه على أمره. وكانت أوّل من آمن

---

(١٥) المرجع نفسه، ١/٢٢٣.

(١٦) حوار مع الشعراوي وقضايا العصر، ٥/٦٦-٦٧.

(١٧) المرجع نفسه.

(١٨) بنت الشاطىء نساء النبيّ، ص٢٢٧-٢٢٨.

باللّه وبرسوله. فخفّف اللّه بذلك عن نبيّه. لا يسمع شيئاً يكرَهُه إلاّ فرَّج اللّهُ عنه بها. إذا رجع إليها، تثبّتُه وتخفّفُ عليه، وتصدقُه، وتهوّنُ عليه أمرَ الناس "[١٩].

١١ . وبسبب حبّ خديجة الكبير لزوجها، واهتمامها البالغ به، حظيت من اللّه بسلام خاصّ. عن هذا يقول ابن هشام: "أتى جبريلُ رسولَ اللّه، فقال: أقرئ خديجةَ السلامَ من ربِّها. فقال رسولُ اللّه: يا خديجة! يُقرئكِ جبريلُ السلامَ من ربِّكِ. فقالتْ خديجة: أللّهُ السلامُ ومنهُ السلامُ. وعلى جبريلَ السلامُ"[٢٠].

١٢ . وأخذ جبريلُ على عاتقه تعليمَ محمد الوضوء والصلاة، وكلّف النبيَّ بأن يعلّمَ بدوره خديجة. قال ابن هشام: "توضّأ جبريلُ، ورسولُ اللّه ينظرُ إليه ليريه كيف الطهور للصلاة. ثمّ توضّأ رسولُ اللّه كما رأى جبريل.. فجاء رسولُ اللّه خديجةَ فتوضّأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة. فتوضّأتْ كما توضّأ لها رسولُ اللّه. ثم صلّى بها رسولُ اللّه كما صلّى به جبريل، فصلّتْ بصلاته "[٢١].

١٣ . واستمرّت خديجة تناصر زوجَها، وتُعينه على احتمال المصائب والاضطهاد، طوال مدّة حياتها معه. وها هي الآن، بعد أربع وعشرين سنة من حياتهما الزوجيّة، "تودّعُ الدنيا، وزوجُها إلى جانبها، يرعاها، ويؤنسُ وحشة احتضارها.. ثمّ أسلمتِ الروحَ بعد ثلاثة أيّام (من موت عمّه أبي طالب).. وكانت له سكَناً وأنساً وملاذاً، إلى أن رجعت نفسُها المطمئنّة إلى ربّها راضيةً مرضيّة "[٢٢]

ودُفنتِ السيّدة خديجة، زوجُ رسول اللّه الأولى، وأمّ المؤمنين، بالحُجون، بالقرب من مكّة، ونزل رسول اللّه في حفرتها[٢٣] ليذرّ عليها التراب.

١٤ . ويخبرنا ابنُ هشام ما جرى لرسول اللّه بعد موت خديجة. فيقول:

---

(١٩) إبن هشام، السيرة النبويّة، ١/ ٢٢٤.

(٢٠) ألمرجع نفسه، ١/ ٢٢٥.

(٢١) ألمرجع نفسه، ١/ ٢٢٧–٢٢٨.

(٢٢) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص٢٣١.

(٢٣) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٨.

"ثمّ إنّ خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد. فتتابعتْ على رسول اللّه المصائب بهَلْكِ خديجة. وكانت له وزيرَ صدقٍ على الإسلام، يشكو إليها"(٢٤).

١٥ . واستمرّ طيفُ خديجة يحوم على محمّد حياتَه كلّها. فكان يتذكّرها في كلّ مناسبة، ويذكرُ حبَّها له، وعنايتَها به، واحتمالَها من أجله. لقد تذكّرها بُعَيد انتصاره ببَدْر، عندما لمح قلادةً بعثتْ بها ابنتُها زينب في فداء زوجها الأسير الكافر أبي العاص بن الربيع. ولمّا رأى رسولُ اللّه القلادة، أمر بأن يردّوها إلى زينب ويفكّوا أسْرَ زوجِها.

وذكرها أيضاً عندما سمع صوتَ هالة أختِها، فهتف قلبُه، وكأنّه يسمعُ صوتَ خديجة، فشهق وقال على مسمع من عائشة: "ألّلهمّ! هالة!" . فما ملكتْ عائشة نفسَها أن قالتْ: ما تذكرُ عن عجوزٍ من عجائز قريش، حمراء الشّدقَين، هلكتْ في الدهر، أبدلَكَ اللّهُ خيراً منها!"(٢٥). غير أنّ رسولَ اللّه زجر عائشة. فقال: "واللّهِ! ما أبدلني خيراً منها. آمنتْ بي حين كفرَ الناس، وصدَقتْني إذ كذّبني الناس، وواسَتْني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها اللّهُ الولدَ دون غيرها من النساء"(٢٦).

وممّا يجدرُ ذكره أنّ كلّ مرّة كان رسولُ اللّه يذكر خديجة، كانت عائشة، لفرط غيرتها، تتدخّل لتضع له حدّاً، "كأنْ لم يكنْ في الدنيا امرأةٌ إلاّ خديجة" — كما قالت له يوماً—. ونقل عنها المخبرون إقرارَها الذي فيه تقول: "ما حسدتُ امرأةً ما حسدتُ خديجة. وما تزوّجني رسولُ اللّه إلاّ بعد ما ماتت"(٢٧). أو تقول أيضاً: "ما غرتُ من امرأةٍ لرسولِ اللّه ما غرتُ من خديجة، لِما كنتُ أسمع من ذكره لها. وما تزوّجني إلاّ بعد موتها بثلاث سنين"(٢٨).

---

(٢٤) ابن هشام، ألسيرة النبويّة، ٢/ ٤٥–٤٦.

(٢٥) صحيح مسلم، باب فضائل خديجة، ٧/ ١٣٢.

(٢٦) رَ: الاستيعاب، ٤/ ١٨٢٤، السمط الثمين ٢٦، أسد الغابة، الإصابة، مادّة "خديجة".

(٢٧) صحيح مسلم، باب فضائل خديجة، ٧/ ١٣٢، ألإصابة، ٤/ ٦٢.

(٢٨) صحيح مسلم، ٧/ ١٢٣، الاستيعاب، ٤/ ١٨٢٣.

الخَرَاج : ١ . ما يَخرج من الأرض. يُطلق على الغلّة الحاصلة من الشيء، وعلى الأجرة، أو الكراء، ومنه قوله تعالى: «فهل نَجعلُ لكَ خَرْجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا» (١٨ / ٩٤)، وقوله: «أم تسألهم خَرْجاً. فخَرَاجُ ربّك خير» (٢٣/ ٧٢). ويُطلَق الخراج أيضاً على الإتاوة أو الضريبة التي تؤخذ من أموال الناس.. والخراج في الاصطلاح هو الأموال التي تتولّى الدولة أمرَ جبايتِها وصرفِها في مصارفها؛ وهو أيضاً الوظيفة أو الضريبة التي يفرضها الإمام على الأرض الخراجيّة النامية.

٢ . والخراج هو **جزية الأرض**، كما يُطلق على الجزية خراج الرأس. وكلا الخراج والجزية مال يؤخذ من الذمّيّ. وهو أجرة الأرض، إذ يترك الإمام الأرضَ المفتوحةَ عنوةً في أيدي أهلها يزرعونها بخراجٍ معلوم.. الجزية تسقط بالإسلام، أمّا الخراج فلا يسقط بالإسلام، ويبقى مع الإسلام والكفر.

وبين الخراج و**الغنيمة** صلة: الغنيمة إسم للمأخوذ من أهل الحرب على سبيل القهر والغلبة، والخراج الوظيفة (أي الضريبة) التي يفرضها الإمام على الأرض الخراجية.

و**الفَيء** هو كلُّ مال صار للمسلمين من الكفّار من غير قتال..

و**الخُمُس** إسم للمأخوذ من الغنيمة و**الركاز** وغيرهما ممّا يخمس.

و**العشر** إسم للمأخوذ من المسلم في زكاة الأرض العشريّة التي يملكها المسلم؛ أمّا الخراج فهو من الأرض الخراجيّة التي يملكها الذمّيّ.

٣ . والقصد من ضرب الخراج :

١- تأمين مورد مالي ثابت للأمّة الإسلاميّة. قال عمر بن الخطّاب: «قد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها، وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدّونها، فتكون فيئاً للمسلمين، المقاتلة والذرّيّة ولمن يأتيهم من بعدهم.

٢- توزيع الثروة وعدم حصرها في فئة معيّنة.

٣- عمارة الأرض بالزراعة وعدم تعطيلها[١].

٤ . أشهر من صنّف في الخراج قديماً هو أبو يوسف القاضي في كتابه سمّاه «الخراج»، ألّفه بأمرٍ من هارون الرشيد، ويحيى بن آدم.

الخِرْقَة : لغةً: القطعة من الثوب المزّق؛ واصطلاحاً: هي ما يلبسه المريد من شيخه الصوفيّ الذي دخل في إرادته. ويرى الصوفيّة أنّ في لبسها معنى المبايعة، وأنّها تمثّل عتبة دخول المريد في صحبة الشيخ الذي يتولّى تربيته وتهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه. وللبس الخرقة مراسم: يتطهّر الشيخ، ويتوضّأ، ثمّ يأمر المريد بأن يتطهّر ويتوضّأ. ثمّ توضع الخرقة بين أيديهما. ثمّ يقرأ الشيخ الفاتحة. ثمّ يقوم بإلباسها للمريد. ثمّ يأخذ عليه عهد الوفاء، ويعرّفه حقوق الخدمة. واللّون المفضّل للخرقة هو اللّون الأزرق[١].

الخُرُوج : المقصود فيه إسلاميًا: خروج المرأة من المنزل. فالأصل أنّ النساء مأمورات بلزوم البيت، منهيّات وممنوعات من الخروج والبروز لقوله تعالى: «أسْكنوهنَّ» (٦٥/٦)، وقوله: «وقَرْنَ (من القرار) في بُيوتِكُنَّ» (٣٣/٣٣)، وقوله: «لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بيوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ» (٦٥/١)؛ ولو لم تكن ممنوعة عن الخروج والبروز، لاختلّ السكن والنسب، لأنّ ذلك ممّا يُريب الزوجَ ويحمله على نفي النسب. وكان النبي يقول: «المرأة عورة. فإذا خرجتْ استشرفها الشيطان. وأقرب ما تكون من ربّها عندما تكون في قعر بيتها»[١]. وفي حديث أنَس قال: «جئن النساء إلى رسول اللّه فقلن: يا رسول اللّه! ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل اللّه تعالى، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل اللّه؟ فقال رسول اللّه: مَن قعدتْ منكنّ في بيتها، فإنّها تُدرك عمل المجاهدين في سبيل اللّه»[٢].. وقد

---

(١) راجع مادّة: الخراج، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ٥٩٣-٥٩٥.

(١) راجع مادّة: الخرقة، د. عبد الحميد مدكور، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٥٩٦.

(١) أخرجه الترمذي ٣/٤٦٧، ط. الحلبي.

(٢) أخرجه البزار، كشف الأستار ٢/١٨٢، الرسالة؛ وأورده الهيثمي في المجمع ٤/٣٠٤، ط. القدسي. أنظر تفسير ابن كثير ٣/٤٨٢، ط. الحلبي.

أخبر النبي: «أنّ المرأة، إذا تطيّبت وخرجت من بيتها، فهي زانية»[٣].

خُزَاعَة : قبيلة عربيّة من الأزد. ارتحلتْ إلى الشمال إثر تصدّع سدّ مأرب. كانت لهم سدانة الكعبة إلى أن انتزعها منهم قُصَيّ، الجَدّ الأعلى لقريش.

الخَزْرَج : قبيلة عربيّة من الأزْد. نزلت وأختها **الأَوْس** في يثرب إثر تصدّع سدّ مأرب. ثمّ اتّسعتْ منازلهما شمالاً في مستهلّ الإسلام حتّى بلغتا **خَيبر وتَيماء**. كان لهما شأن هامّ في قيام الإسلام.. وما إن استولى الخزرج، بعد دحرهم اليهود وبعض القبائل، حتّى شبّ الخصام بينهم وبين الأوس.. وكان الخزرج أكثر عدداً من الأوس. ولم يحدث التوازن، أو التعادل بينهما إلاّ بعد **وقعة بُعاث** التي مُنيت فيها الخزرج بهزيمة ماحقة. وظلّت الحروب المتقطّعة بين هاتين القبيلتَين، متواصلة.

وحدث التغيّر الشامل نتيجةً لهجرة النبي محمّد من مكّة إلى يثرب. فقد بلغ ضاحيةَ قَباء في ١٢ من ربيع الأوّل/ الثلاثاء ٢٩ حزيران سنة ٦٢٢هـ... وكانت الخزرج لعهد النبيّ منقسمة عشائر غير متكافئة في العدد. وكان أكثرها عديداً بني النجّار، الذين منهم كان أخوال النبيّ. وخرج من بين الخزرج شعراء النبيّ، مثل: حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة.

الخُشُوع : من خشع يخشع: السكون والتذلل، من خشع بصرُه، أي: انكسر. ومنه قوله تعالى: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُم» (٧٠/ ٤٤). والخشوع هو الضراعة، أكثر ما يستعمل على الجوارح، فيما الضراعة أكثر ما تستعمل في القلب. ولذلك قيل: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح. والخضوع قريب من الخشوع، إلاّ أنّ الخضوع يكون في الأعناق. وأكثر ما يستعمل الخشوع في الصوت والبصر. وقد يكون الخضوع بتكلّف، أمّا الخشوع فلا يكون تكلّفاً، وإنّما بخوف. والأصل في طلب الخشوع في الصلاة قوله تعالى: «قد أفلحَ المؤمنونَ الذينَ هم في صلاتهم خَاشِعون» (٢٣/ ٢). وروى أبو هُريرة: أنّ النبيّ رأى رجلاً يعبث بلحيته في

---

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ١٠٦، من حديث أبي موسى. وقال: «حديث حسن صحيح».

الصلاة، فقال: «لو خشع قلبُ هذا لخشعتْ جوارحُه»[١]..

الخِشْيَة : هي الخوف العظيم من الله: «ويخشَون ربَّهم» (١٣/ ٢١)[١]، أو من الناس: «فلا تخشَوهم» (٥/ ٣؛ ٢/ ١٥٠)، أو من العذاب الذي أعدَّ للعصاة يوم القيامة: «يسألونك عن الساعة.. إنّما أنت منذر مَن يخشاها» (٧٩/ ٤٢-٤٥)، أو من أمرٍ من أمور الحياة الدنيا. والعلماءُ هم أكثر مَن يخشى الله لمعرفتهم بجوانب القدرة الإلهيّة: «.. إنّما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ..» (٣٥/ ٢٨). والخشية الحقيقيّة هي من الله لا من الناس، وهي وسيلة عظيمة من وسائل التربيّة الإيمانيّة.

الخَصَاء : سَلُّ الخُصيتَين. والخصية البيضة من أعضاء التناسل. مثله: **الجبّ** والمجبوب إذا استؤصلت مذاكيره. **والعنّة** هي العجز عن إتيان النساء. ويجتمع الخصيّ مع العنين في عدم الإنزال. ومثله: **الوِجَاء**، من وجأ، ويُطلق على رضّ عروق البيضَتَين حتّى تنفضخا من غير إخراج، فيكون شبيهاً بالخصاء.

إنّ خصاء الآدمي حرام، صغيراً كان أو كبيراً، لورود النهي عنه على ما روى ابن مسعود قال: كنّا نغزو مع رسول الله وليس لنا شيء. فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك[١]. وعن سعد بن أبي وقّاص: «ردّ رسول اللّه على عثمان بن مظعون التبتل. ولو أذن له لاختصينا»[٢]، وعن عثمان بن مظعون نفسه قال: «يا رسولَ اللّه! إنّي رجل تشقّ عليّ هذه العزوبة في المغازي، فتأذن لي في الخصاء فأختصي؟ قال: لا. ولكن عليك بالصيام»[٣]..

والحكمة في منع الخصاء أنّه خلاف ما أراده الشارع من تكثير النسل ليستمرّ جهاد الكفّار. وإلاّ لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه، فينقطع النسل،

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول كما في الجامع الصغير للسيوطي، بشرحه الفيض ٥/ ٣١٩، ط. المكتبة التجاريّة.

(١) ر: ١٢/٦٧؛ ١٨/٣٥؛ ١١/٣٦؛ ٨/٩٨.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٩/ ١١٧، ط. السلفيّة.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٩/ ١١٧، ط. السلفيّة.

(٣) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٣، ط. القدسي.

فيقلّ المسلمون بانقطاعه، ويكثر الكفّار. فهو خلاف المقصود من بعثة النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم. كما أنّ فيه من المفاسد، تعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك. وفيه إبطال معنى الرجوليّة التي أوجدها اللّه فيه، وتغيير خلق اللّه، وكفر النعمة. وفيه تشبّه بالمرأة واختيار النقص على الكمال(٤).

خُصُوصُ السَّبَب : لقد اشتهر على ألسنة الأصوليّين والفقهاء قولهم: «العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب»، والمراد به: أنّ خصوص الشيء كونه متعيّنًا له وحده، يخصّه، فلا شركة للغير فيه. والغرض هو الإجابة على هذا السؤال: إنّ اللّفظ العام المستقلّ بنفسه، إذا ورد من أجل سببٍ خاصّ، هل يُعمّ، أو يُقتصر به على سببه؟.. يرى الجمهور: أنّ اللّفظ العامّ، مثل قوله: «إنّ الحَسَنات يُذْهِبنَ السَّيِّئاتِ» (١١/ ١١٤)، فهذا حكم عامّ نزل على سبب خاصّ، وهو قصّة الأنصاري الذي قبّل امرأةً أجنبيّة. فاللّفظ خاصٌّ به، أمّا المعنى فعامّ، ويتناول كلّ ما يماثله. وكذلك آية اللعان، وإن نزلتْ بسبب واقعة معيّنة، هي قذف هلال بن أميّة زوجتَه، إلاّ أنّها عامّة في جميع الأزواج إذا قذفوا زوجاتِهم(١).

الخُصُومَة :قال أبو هلال العسكري: الفرق بين المعاداة والمخاصمة أنّ المخاصمة من قبيل القول، والمعاداة من أفعال القلوب. ويجوز أن يخاصم الإنسانُ غيره من غير أن يعاديه؛ ويجوز أن يعاديه ولا يخاصمه.

الخَصِيْبِيّ (حُسين بن حَمدان) (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : ١ . استقدمه **الجُنبلاني** من مصر إلى جُنبلا. ومن جنبلا انتقل الخَصيبي إلى بغداد، حيث تسلّمَ رئاسةَ الدعوة النصيريّة بعدَ وفاةِ معلّمه. وفيها كانت أعظمُ أعماله الدينيّة. ثمّ ساحَ في معظمِ البلاد الإسلاميّة: في خراسان، والدَيْلم، وحَلَب، حيث توطّن عند سيفِ الدولة أميرِ بني حَمدان، يديرُ شؤون النُّصَيريّين.

---

(٤) ر: صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧٧، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ١١٩.

(١) راجع مادّة: خصوص السبب، د. عبد الغفور محمود مصطفى، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٥٩٨؛ ومادّة: عموم اللفظ، هيئة تحرير م.إ.ع.، ص ١٠١٤.

٢ . يُعتَبر الخَصِيبي المؤسِّس الثاني للنصيريّة. وهو الذي انتقلَ بها من بلادِ العراقِ إلى بلادِ الشام حيثُ استقلّتْ عن الإسلام استقلالاً تامّاً، بعدما كانتْ في بَغداد تحافظُ على بعضِ الاعتدال. وربّما سُمّيت النصَيريّةُ منذ ذلك الحين بالخَصِيبيّة، لِما للخَصِيبي من يدٍ طولى في ترسيخِ قواعدِها وتثبيت معتقداتِها ونشرِ تعاليمها في الأقطارِ الإسلاميّة.

٣ . جاء في كتاب «تعليمِ الديانة النّصيريّة» هذا السؤال: «مَن هو شيخُنا الذي شرَّعَ لنا الأديانَ في سائرِ البلدان؟ الجواب: هو سيِّدنا أبو عبد اللّه الحُسين بن حمدان، عليه وعلى تلاميذه من اللّه أفضلُ الصلاة والسلام». وفي سؤالٍ آخر: «لماذا نُدعى الطائفة الخَصِيبيَّة؟ الجواب: لأنّنا تابعين تعليم شيخِنا ابن عبد اللّه الحُسين بن حمدان الخَصيبي، قدّسَ اللّه سرّه»[1]. وجاء في كتاب «الباكورة السليمانيّة»: إنّ النصيريّة تدعى «ديانة الخصيبي»[2].

٤ . يبدو أنَّ دعوةَ الخصيبي لم تلقَ نجاحًا في بلاد الشام. فهو، في إحدى قصائده يذمُّ الشامَ لعدم استجابةِ أهليها له. يقول شعراً : « سَئِمتُ المُقَامَ بأرضِ شام عليهِم لَعَائِنُ ربِّ الأنام». لهذا عادَ إلى بغداد، وبدأ ينشرُ فيها تعاليمَه بين الناس، فسَمع به الوالي، فقبضَ عليه، وألقاه في السجن. ولمّا لاحتْ له فرصةُ الهرب فرّ ليلاً. وذاعَ بين أتباعِه أنّ السيِّدَ المسيح خلّصَه. أمّا قصّة هربِه من السجنِ وتخليصِ المسيح له فهي كما يقصّها علينا ابنُ العبري: «كان للسجّان جاريةٌ أخذتْها الشفقةُ عليه، وسكر السجّانُ يوماً واستغرقَ في النوم، ففتحتِ السجنَ، وردّتِ المفاتيحَ إلى مكانِها. استيقظَ السجّانُ ورأى أنّ الشيخَ هربَ، ولا يوجد علامةٌ على أنّ السجنَ فُتح. فزعم أنّ ملَكًا أطلقه، وأذاعَ هذا الخبر لينجو من غضب الوالي»[3]. سمع الشيخُ بهذه الإذاعةِ الأعجوبةِ فازداد عزماً في نشر تعاليمِه.

---

(١) مخطوط رقم ٦١٨٢ سؤال ٩٩ و ١٠٠.

(٢) الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيريّة، للشيخ النصيريّ المرتد، ص ٩٠.

(٣) ابن العبري، مختصر الدول، بيروت ص ٢٥٠ حيث يخلط المؤرّخ بين النصيرية والقرامطة.

٥ . قال سليمان الأذني عن الخصيبي: إنّ «هذا عندهم أعظمُ مِن كلِّ مَن كان بعده. هو الذي أكملَ صلواتهم، وأذاعَ تعليمَه في البلدان»[٤]. ونفخ في أنصارِه الروحَ والنشاط، ورتّب أنظمتَهم، ودبّر أمورَهم. وهم يذكرونه في صلواتِهم، ويبجّلونه بقولِهم: «شيخُنا وسيِّدُنا وتاجُ رؤوسِنا وقدوةُ ديننا وقرّة أعيننا السيد أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي، قدّسَ العليُّ روحَه، لأنّ مقامَهُ مقامُ الصفا، ومحلَّه محلُ الصدق والوفا. باسمِ اللّهِ وباللّهِ وسرِّ السيّدِ أبي عبداللّه، العارفِ معرفة اللّه، سرّ تذكارِه الصالح سرُّهُ أسعدَه اللّه»[٥]. وأيضاً: «لا رأيَ إلاّ رأيُ شيخِنا وسيِّدِنا الحُسين بن حمدان الخصيبي الذي شرّعَ الأديان في سائر البلدان»[٦].

٦ . كان للخصيبي وكلاء في كلِّ مكان. وكان يكاتب الأمراءَ والملوك من بني بُوَيه وبني حَمدان والدَيلم... وَضَعَ كتبًا عديدة في المذهبِ تُعتَبرُ مرجعًا في العقيدة. أهمّها «كتابُ المجموع»[٧] في ستِ عشرة سورة، ويسمّى أيضاً «كتاب الدستور»؛ ثمّ «كتاب راست باش» أي «كن مستقيماً»، أهداه إلى تلميذه عضد الدولة الدّيلمي، وكتاب «الهداية الكبرى»، أهداه إلى سيف الدولة الحمداني أمير حلب... وغيرها[٨].

٧ . تركَ الخصيبي بغدادَ بعد أن أسَّسَ فيها مركزًا للديانة برئاسة الشيخِ **علي بن الجسري**. وبعد انتقاله الى حلب واستقراره فيها أسّسَ مركزَ حلب وسلّمه إلى **محمّد بن علي الجلّي**. توفّي الخصيبي في حلب، وله قبر في شماليها معروف باسم «مزار الشيخ يَبْراق»، تحجّ إليه الناس من كلِّ حدب وصوب.

الخِضْر : (راجع مادّة: **الياس**).

---

(٤) الباكورة السليمانيّة، ص ١٦ تفسير السورة الرابعة.

(٥) السورة الاولى واسمها الأوّل من كتاب المجموع.

(٦) الباكورة السليمانية، ص ١٦.

(٧) تراه ملحقاً في آخر هذا الكتاب.

(٨) أنظر سلسلة «التراث العلوي»، رسائل الحكمة العلويّة، رقم ٢ و٧.

الخَطَأ : لغـة: نقـيض الصـواب. وفي التنزيل: «وليس عليكـم جناح فيـمـا أخطأتم به» (٣٣/ ٥). الخطأ فعل يصـدر من الإنسان بلا قصـد إليه عند مبـاشرة أمر مقصود سواه، كالرامي إلى صيـد فأصاب آدمياً، فإنّ محل الجناية هو الآدمي ولم يُقصد بالرمي، بل قُصد غيره.. أمّا **الغلط** فهو تصوّر الشيء على خلاف ما هو عليه. والفرق بين الإثنين أنّ متعلّق الخطأ الجـنان، ومتعلّق الغلط اللسان. وقال أبو هلال العـسكري: إنّ الغلط هو وضع الشيء في غـير موضـعه، ويجـوز أن يكون صواباً في نفسـه؛ والخطأ لا يكون صواباً على وجه. وقيل أيضـاً: الغلط أن يسهى ترتيب الشيء وأحكامه؛ والخطأ أن يسـهى عن فعله، أو أن يوقعه من غيـر قصد له ولكن لغيره.

الخَطَابَة : عـرّفهـا أرسطو بأنّها: القـدرة على النظر في كلّ مـا يوصِل إلى الإقناع في أيّ مـسـألة من المسـائل.. وعرّفـها بـعض المحدثين بأنّهـا نوع من فنون الكلام، غايته إقناع السامعين، واستمالتهم، والتأثير فيهم بصواب قضيّة، أو بخطأ أخرى.

وفنّ الخطابة له أصول يتعلّق بعضها بالخطيب، وبعضها بالخُطبة:

فأمّا ما يتعلّق بالخطيب فأهمّـه: الموهبة، ورباطة الجأش، وسلامة الصوت من العيوب، وطول النَّفَس، وحسن الوقفة، وحسن استخدام الإشارة في موضعها المناسب، والسمت الذي يستميل سامعيه.

وأمّا مـا يتعلّق بالخُطبـة فأهمّه: براعـة الاسـتـهلال، ووفرة المحـصول من مختلف أساليب البيان، والتنقّل بين الإنشائيّة والخبريّة، ووضوح المعاني من خلال قصر الجمل، وملاحظة تقسيم الخطبـة، ثمّ موضوع الخطبة، ثمّ الختام الذي يجب أن يشـتمل على جـملٍ يسهل ترداده ا وتـذكّرها بعـد انتهـاء الخطيب من خطبتـه، وخاصّة في النوعَين السياسي والديني من الخطابة[1].

---

(١) راجع مادّة: الخطابة، د. عبد الصبور مرزوق، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٦٠٠-٦٠١.

الخَطَّابِيَّة : فرقة من غلاة الشيعة. يروى أن صاحبها أبا الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع، قال بحلول اللّه في الإمام جعفر الصادق، ثمّ في ذاته. وكان له أتباع في الكوفة. قُتل من أنصاره سبعون رجلاً، وقُبض عليه ، ووضع على الخازوق، وأُحرقت جثّتُه، وحُمل رأسُه إلى بغداد.. ولمّا توفّي أبو الخطّاب نَقَلَ أصحابُه الإمامةَ إلى محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فأصبحوا بذلك من الإسماعيليّة.

الخُطْبَة : الكلام المنثور يخاطِب به متكلِّمٌ فصيحٌ جمْعاً من الناس لإقناعهم. و**الخَطِيْب** المتحدّث عن القوم، ومَن يقوم بالخطابة في المسجد وغيره. والخُطبة في الاصطلاح هي: الكلام المؤلّف الذي يتضمّن وعظاً وإبلاغاً على صفة مخصوصة.. والخُطَب المشروعة هي: خطبة الجمعة، والعيدين، والكسوفَين، والاستسقاء، وخطب الحجّ. وكلّها بعد الصلاة إلاّ خطبة الجمعة وخطبة الحجّ يوم عرفة. ومن الخطب المشروعة أيضاً: الخُطبة في خِطبة النكاح.

خُطْبَةُ الجُمْعَة : شرط لصحّة الجمعة. وذهب الشافعيّة إلى أنّ لها خمسة أركان، هي: ١- حمْد اللّه، ويتعيّن لفظ اللّه ولفظ الحمد؛ ٢- الصلاة على النبيّ، ويتعيّن صيغة صلاة وذكر النبي باسمه أو بصفته؛ ٣- الوصيّة بالتقوى، ولا يتعيّن لفظها؛ ٤- الدعاء للمؤمنين في الخطبة الثانية؛ ٥- قراءة آية مفهمة.. وقال الحنفيّة: يتكئ الخطيبُ على السيف في كلّ بلدة فُتحت عنوةً، ليريهم قوّةَ الإسلام والحزم؛ ويخطب بدونه في كلّ بلدة فُتحت صلحاً[٢] (رَ: **الجمعة** و **يوم الجمعة**).

الخِطْبَة : مصدر خطب. يقال: خطب المرأة واختطبها إذا طلب أن يتزوّجها؛ واختطب القومُ فلاناً إذا دعوه إلى تزويج صاحبتهم.. والخطبة مقدّمة للنكاح، ولا يترتّب عليها ما يترتّب على النكاح. وهي، في الغالب، وسيلة للنكاح، وليست شرطاً

---

(٢) الطحطاوي، ص ٢٨٠؛ الشرح الغير، ١/٥٠٧؛ المجموع، ٤/٥٢٨؛ المغني، ٢/٣٠٩؛ راجع مادّة: خطبة الجمعة، د. عبد الصبور مرزوق، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٦٠٢؛ أنظر أيضاً حاشية على مقال "الجمعة"، ج ٧، ص ١٠٥.

لصحّته؛ إنّما هي، عند الشافعيّة، مستحبّة.. أمّا المنكوحة، أو المعتدة، أو المخطوبة، أو التي قام بها مانع من موانع النكاح، فلا تجوز خطبتها..

ذهب الفقهاء إلى أنّ مَن أراد نكاحَ امرأة فله أن ينظر إليها.. وقد روى جابر قال: قال رسول الله: «إذا خطب أحدكُم المرأة فإنِ استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»[1]. قال: فخطبتُ امرأةً، فكنتُ أتخبّأ لها، حتّى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها، فتزوّجتُها[2]..

إلاّ أنّ النظر إلى ما يُحسب عورة في المخطوبة غير جائز، وكذلك الخلوة بها. وعلى الخاطب أن يكتفي بالكفَّين والوجه والقدَمَين. وإذا أراد المزيد فعليه أن يرسل امرأةً لتنظر المخطوبةَ ثمّ تصفها له، ولو بما لا يحلّ له نظره من غير الوجه والكفَّين. وقد روي أنّ رسول الله أرسل أم سليم تنظر إلى جارية فقال: «شمّي عوارضها وانظري إلى عرقوبها»[3].

الخَطِيئَة : ١ . في القرآن نجد تعابير الخطيئة ومشتقاتها (٢٢ مرّة)، والإثم ومشتقّاته (٤٨ مرّة)، والذنب ومشتقّاته (٤٠ مرّة)، والسَّيِّئة ومشتقّاتها (٥٨ مرّة)، والمعصية ومشتقّاتها (٣٢ مرّة)... معظم هذه الألفاظ يعني الأفعالَ الشرّيرة الموجَّهة نحو الله. وهي تمسُّ ذاتَ الله، وبنوع خاصّ، وحدانيَّته.

٢ . والحقّ يقال إنّه لا مفهوم واضح للخطيئة في الإسلام. بل لسنا نعرف ضدّ مَن تكون الخطيئة؟

أهي ضدّ ذات الله؟! ولكنّ اللهَ كائنٌ متعالٍ، بعيدٌ، صمدٌ، لا تمسُّه خطيئة، ولا تناله إساءة؛ كما لا يتعاطف مع محبّة أحد. فهو لا يُحِبُّ ولا يُحَبّ، لئلاً يكون متفاعلاً ومنفعلاً بمن يُحبّ وبمن يُحبّه.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٥٦٥؛ وحسّنه ابن حجر في الفتح ٩/ ١٨١، ط. السلفيّة.
(٢) المغني ٦/٥٥٢–٥٥٣.
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٢٣١، ط. الميمنيّة، من حديث أنس بن مالك.

أهي ضدّ وحي اللّه؟! ولكنّ المسلم يكفيه من الوحي إيمانُه بوحدانيّة اللّه، والشهادة بـ «أن لا إله إلاّ الله»!.. المسلم الحقيقي هو الذي يعلن الشهادتَين. ولا يحتاج لكي يكون مسلماً إلى أكثر من ذلك. وما سائر أركان الدين، كالصلاة والصوم والزكاة والحجّ إلاّ للتقوى. إنْ أهملها لن يكون كافراً، أو ناقص الإيمان؛ بل يكون ناقصَ الإسلام.

أهي ضد الخلاص؟! ولكنَّ مقولة الخلاص لا وجود لها في الإسلام إطلاقاً. والقرآن لم يأتِ بالخلاص؛ ولا محمّد أيضاً. والإسلام لم يعمل في الإنسان من الباطن، بواسطة النعمة، ولم يساعده على الانتصار على نتائج الخطيئة.

أهي ضد الإنسان؟! ولكنّ الشريعة، بحسب منطق القرآن، أولى من الإنسان، لأنّ شريعة السنّ بالسنّ هي الشريعة؛ ولأنّ الجهاد في سبيل اللّه هو عملٌ مقدّس؛ ولأنّ حقَّ اللّه أبدى من حقِّ الإنسان؛ ولأنّ حرّيّةَ الإنسان وكرامته رهنٌ بالشريعة؛ ولأنّ تدبُّرَ القرآن أعظم من الاهتمام بالإنسان!..

٣ . ثمّة، أيضاً، غائبٌ أكبر في الإسلام هو «الضمير». هذا الضمير، الذي لا خطيئة على إنسانٍ لولاه، لا وجود له، لا في معناه ولا في لفظه، لا تصريحًا ولا تلميحًا. والذي يحكم على أعمال الإنسان، هو الشريعة النابعة من الحدود التي رسمها القرآن، وبتعبير آخر هو حَكَمٌ خارجيٌّ، لا حَكَمٌ داخلي؛ أي هي «عيون الآخرين» التي تربك مسيرة المسلم، لا «عين الضمير» التي تدلّ على براءة الإنسان أو عدم براءته. فالمقولة المسيحيّة بأن «لا خطيئة إلاّ من قِبَل الضمير» ليست من مقولات الإسلام إطلاقاً.

٤ . ينتج من ذلك أنّ خطيئة المسلم هي إثمٌ ضدّ اللّهِ بكونه خالقاً ومشترعاً؛ فيما هي، في المسيحيّة، إثمٌ ضدّ اللّه بكونه مخلِّصاً ومحبًا. خطيئة المسلم ذنب ضدّ شريعة اللّه؛ فيما هي، في المسيحيّة، إثمٌ ضدّ مشيئة اللّه في خلاص الإنسان. خطيئة المسلم لا تنال من قداسة الإنسان؛ فيما هي، في المسيحيّة، لا تُحسَب خطيئة إلاّ لأنّها تنال من قداسة الإنسان. فالقتل والسرقة والكذب، مَثَلاً، لا تُحسَب خطايا

إنْ هي كانت للقضاء على «أعداء اللّه»، أو لإضعاف قـوّتهم؛ فيما هي، في المسيحيّة، شرٌّ كبيرٌ بحدٍّ ذاتها، لأنّها تنال من الإنسان، أيِّ إنسان.

٥. ثمّ إنّ الفرق، في مفهـوم الخطيئة، بين الكبائر والصغائر مـختلف فيه، وفي القرآن ما يشير إلى هذه التفرقـة بين الكبائر والصغائر، مثل، حيث يتكلّم على «الذين يَجتَنِبون كبائرَ الإثْمِ والفواحش» (٤٢/ ٣٧؛ ٥٣/ ٣٢؛ ٤/ ٣١). وكذلك ورد في الحديث ما يُستدَلّ على نظريّة الكبائر السبع؛ فقد قال الرسـول: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشـرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي حـرَّم اللّه إلاّ بالحقّ، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات»[٤]..

أمّـا النووي فيـعدّد غـير هذه: «فـمن شـتم الربَّ، أو رسولَه، أو اسـتهـان بالرسل، أو كـذّب واحـداً منهم، أو ضـمّخ الكعبـة بالعـذرة، أو ألقى المصـحف في القاذورات فهي من أكـبر الكبائر؛ وكذلك لو أمسك امرأةً مـحصنة لمن يزني بها، أو أمسك مسلماً لمن يقتله. فلا شكّ أنّ مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر».

٦. ونجد في كتب التصوّف والأخلاق تصنيفاً للذنوب أدقّ وأحكم[٥]: فقد قسم أبـو طالب المكّي الذنوب إلى أربعة أقـسام نقلهـا الغزالي عنه: الـقسم الأوّل، ويُعرف بالذنوب **الربوبيّة**، مثل: الكبر والفخـر والجبريّة وحبّ المدح والثناء والعزّ والغنى وحبّ دوام البـقاء وطلب الاستـعلاء على الكافّـة؛ والقسم الثـاني، ويعرف بالذنوب **الشيطانيّة** التي منها الحـسد والخداع؛ والقسم الثـالث، ويعرف بالذنوب **البهيميّة**، وهي الشره والكَلَب والحـرص على قضاء شهوة البطـن والفرج؛ والقسم الرابع، ويعرف بالذنوب **السَّبُعيّة**، أي الذنوب التي تذكّرنا بطبيـعة الضواري، مثل الغضب والتهجّم على الناس بالضرب والشتم والقتل[٦].

---

(٤) مسلم، الإيمان،، الحديث رقم ١٤٤؛ البخاري، الوصايا، باب ٢٣.

(٥) راجع : أبو طالب المكّي، قـوت القلوب، ١/ ٨٥ ومـا بعدها؛ الغـزالي، إحيـاء علوم الدين، ج٤، الكتاب الأوّل في التوبة.

(٦) وينقل الغـزالي أيضاً رأي أبي طالب المكّي في عـدد الكبائر، فـيقول: «الكبـائر سبع عـشرة:

الخَفَاض : وهو ختان النساء (راجع مادّة: **الختان**).

الخِلافَة : (رَ: **الإمامة الكبرى**). ١ . ورد ذكْر الخليفة في القرآن مرّتَين: مرّة أُطلقت على آدم في قوله: «وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ إنِّي جاعلٌ في الأرضِ خَلِيفَةً» (٢/ ٣٠)، ومرّة على داود في قوله: «يا داوُدُ! إنّا جَعَلْناكَ خليفةً في الأرضِ، فاحْكُمْ بينَ النّاسِ بالحقِّ» (٣٨/ ٢٦)، أي استخلفناك على الملك في الأرض.

٢ . نشأ منصب الخلافة عقب وفاة النبيّ، في «سـقيفة بني ساعدة»؛ فكان أبو بكر الصدّيق أوّل خليفة لمحمّـد. ولمّا مات أبو بكر آل الأمر إلى عمر ابن الخطّاب، وكان يُقال له فـي صدْر خلافته «خليـفة خليفة رسـول اللّه»، حتّى ناداه رجلٌ: «يا أميرَ المؤمنين»، فاستحسن عمر ذلك. وحلّ هذا اللّقب محلّ لقب «الخليفة». ومع ذلك كان يُطلق على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إسم «الخلفاء الراشدين».

٣ . لقد كـان اختيـار المسلمين لخليفـتهم الأوّل بناء على قاعـدة الشورى، وتحدّدت مـهمّتـه في قيادة المـسلمين، ورعاية مصـالح الناس، وتنفيـذ شرع اللّه. واستمرّ اختيار الخلفاء وفقـاً لهذه الشروط طوال عصر الرّاشدين، ثمّ حدث تحوّل إبتداءً من العصر الأموي، فتُركت الشورى، واعتمِد نظام الغلبة والتوارث، وبعد أن كانت الخلافـة إختياراً أصبـحت قهراً وإجباراً، تـقترب أو تبتعـد عن قيم الإسلام، وتتّفق معه في قليل أو كثير إلى أن تمّ إلغاؤها تماماً. واستمرّ نظام الخلافة، بشكلٍ أو بآخر، في العالم الإسلامي حتّى القرن العشـرين. ولم يغب عن مجتمعنا إلاّ بعد أن قام «كمال أتاتورك» بإلغائه سنة ١٩٢٤م. عقب انهيار الخلافة العثمانيّة.

٤ . وقد منع الفقـهاء أن يُقال: خليفة اللّه، لأنّ الاسـتخلاف لا يكون إلاّ في

أربع في القلب، وهي الشرك باللّه، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره؛ وأربع في اللّسان، وهي شـهادة الزور، وقذْف المحـصن، واليمين الغموس، والسـحر؛ وثلاث في البطن، وهي شـرب الخمر والمـسكر من كلّ شراب وأكل مـال اليتيم ظـلماً، وأكل الربا وهو يعلمـه؛ واثنتان في الفـرج، وهما الـزنا واللواط؛ واثنتان في اليـدين، وهما القـتل والسرقـة؛ وواحدة في الرجلين، وهي الفـرار من الزحف؛ وواحدة في جـميع الجـسد، وهي عقوق الوالدين».

حال الموت والغيبة، والله منزّه عن ذلك؛ فهي خلافة للنبوّة وليس لله تعالى. والخلافة، بحسب ابن خلدون، «هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به».

٥ . واشترط العلماء في مَن يلي هذا المنصب شروطاً، منها: الإسلام، والتكليف (ويشمل العقل والبلوغ، فلا تصحّ إمامة صبيّ أو مجنون)، والكفاية (أي الجرأة والشجاعة والنجدة)، والقرشيّة (لقوله: «الأئمّة من قريش»)، والذكورة (فلا تصحّ إمارة النساء، لخبر: «لن يفلح قوم ولّوا أمرَهم امرأة»)، والعدل، والعقل، والحرّيّة، وصحّة البدن، وسلامة الحواس والأعضاء، والنَّسب.

٦ . الخلافة، في الإسلام، منصبٌ سياسيّ، يجمع صاحبُه بين السلطتَين الزمنيّة والروحيّة.. من حقّه قيادة الدولة الإسلاميّة ورسم سياستها وتنفيذها. وواجبه تبليغ الدعوة الإسلاميّة ونشرها، والتصدّي بالقتال ضدّ مَن يقف عقبةً في سبيل أدائه لمهمّته. وله أن يعاقب الخارجين على أوامر الشرع. ويؤمّ الناسَ في الصلوات. ويساعدهم على أداء الفرائض الأساسيّة، والحكم بينهم بالعدل، وحفظ الأمانات وردّها إلى أهلها، وحفظ الدِّين على أصوله، وردْع الطاعنين فيه، وتأمين الناس على ما أمّنهم الشرع عليه من أرواحهم وأموالهم وأعراضهم[1].

الخَلاّل (أبو بكر أحمد) (ت ٣١١هـ/٩٢٣م) : فقيه حنبلي. جامع علم الإمام أحمد بن حنبل، ومنظّمه، ومرتّبه، وكاتبه. من كبار علماء الحنابلة. قال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: «جمعَ علومَ أحمد بن حنبل، وتطلّبها، وسافر لأجلها، وكتبها، وصنّفها كتباً. ولم يكن في من ينتحل مذهب أحمد بن حنبل أحدٌ أجمع لذلك منه». ومَن يدري؟ فلعلّ المذهب لو لم يقيّض اللّهُ له الخلاّل لما كان له هذا البقاء؛ ولا سيّما وأنّ الإمام ما كان يحبّ تدوين الكتب. له: كتاب «الجامع لعلوم

---

(١) راجع مادّة: الخلافة، د. عبدالله جمال الدين، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٦٠٨-٦٠٩؛ راجع أيضا: د.نادية مصطفى ود.سيف عبد الفتّاح، مادّة: الخلافة، في موسوعة الحضارة الإسلاميّة، ٢٠٠٥؛ ص ٤٦٠-٤٦٢.

الإمام أحمد»، وهو كبير جدًا. قال فيه ابن كثير: «ولم يصنَّف في مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب»[١].

الخُلْع: ١ . إزالة الزوجيّة عند عدم الوفاق ووقوع النزاع والشقاق بين الزوجَين، وذلك بأن تفتدي المرأةُ نفسَها بمبلغٍ متَّفَق عليه من المال تختلع به من زوجها. ويكون المال الذي تدفعه المرأة في هذه الحالة بمثابة تعويض عمّا أنفقه ليتزوَّجَها. فالخلع إذاً هو صورة خاصّة من الطلاق: تشتري المرأة بموجبها حرّيتها، وذلك بمقابل أن تعيد إلى زوجها جزءاً من المهر. جاء في القرآن: «ولا يَحِلُّ لكمْ أن تأخُذوا مِمَّا آتَيتُموهُنَّ شَيئًا إلاّ أن يَخافا ألاّ يُقيما حُدودَ اللّه. فإنْ خِفْتُمْ ألاّ يُقيما حدودَ اللّهِ فلا جُنَاحَ عَلَيهما في ما افْتَدَتْ بِهِ» (٢/ ٢٢٩). ويُسَنّ لدى الحنابلة للرجل أن يُجيب المرأة للخُلْع إنْ هي طلبتْه. ويكون معاوضةً بمالٍ من جانبها لقاء افتدائها نفسَها.. ويقع الخُلْع طلقةً بائنةً، فلا تعود الزوجيّة إلاّ بعقدِ زواجٍ جديد (أطلب: **الطلاق**، و **الفدية**، و **الفسخ**، و **المباراة**).

٢ . والخلع مباح، وهو أن تكره المرأة البقاءَ مع زوجها لبغضها إيّاه، وتخاف ألاّ تؤدّي حقَّه، ولا تقيم حدود اللّه في طاعته، فلها أن تفتدي نفسها منه، لقوله تعالى: «فإنْ خفتمْ ألاّ يُقيما حدودَ اللّه فلا جناح عليهما فيما افتدتْ به» (٢/ ٢٢٩). ويُسنّ للزوج إجابتها، لما رواه البخاري عن ابن عبّاس قال: «جاءت امرأةُ ثابت بن قيس إلى النبيّ، فقالت: يا رسولَ اللّه! ما أنقم على ثابت في دِين ولا خلق، إلاّ أنّي أخاف الكفر. فقال رسول اللّه: فتردّي عليه حديقته. فقالت: نعم. فردّت عليه. وأمره، ففقارقها»[٢]، ولأنّ حاجتها داعية إلى فرقته، ولا تصل إلى الفرقة إلاّ ببذل العوض، فأبيح لها ذلك. ويُستثنى من ذلك ما لو كان الزوج له إليها ميل ومحبّة، فحينئذ يُستحبّ صبرها وعدم افتدائها.

٣ . وذهب الفقهاء إلى أنّ الخلع لا يصحّ إلاّ مع الزوجة التي في عصمة زوجها حقيقة، وهي التي لم تفارقه بطلاق بائن ونحوه، كاللعان مثلاً، أو حكماً،

---

(١) د. علي جمعة محمّد، الخلاّل، في موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، ٢٠٠٤؛ ص ٣٢٧.
(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٩/ ٢٩٥، ط. السلفيّة، حديث ابن عبّاس.

وهي التي طلّقها زوجها طلاقاً رجعياً ولم تنقضِ عدّتُها، فإنّها حينئذ زوجة، والنكاح بينها وبين زوجها قائم، وتسري عليها كافّةُ الأحكام الخاصّة بالزوجات، ولو مات زوجها قبل انقضاء عدّتها فإنّها ترث منه.

الخَلّ: لغةً: يقال: اختلّ الشيء إذا تغيّر واضطرب. وسمّي الخلّ بذلك لأنّه اختلّ منه طعم الحلاوة إلى الحموضة.. والخلّ طاهر يحلّ أكله والمعاملة به والاستفادة منه بطرق مختلفة. وبما أنّ أصله وأصل الخمر وسائر الأشربة المحرّمة واحدٌ غالباً تعرّض الفقهاء للأحكام التالية: إذا تخلّلت الخمر بنفسها بغير علاج، بأن تتغيّر من الخمريّة إلى الخلّيّة حلّ ذلك الخلّ، لقول النبيّ: «نِعم الأدمُ الخلّ»[1].. واختلفوا في تخليلها بالعلاج بإلقاء الخلّ، أو البصل، أو الملح فيها، أو إيقاد نار عندها بقصد التخليل، فقال الشافعيّة والحنابلة: لا يحلّ تخليل الخمر بالعلاج ولا تطهر بالتخليل، لحديث أبي طلحة: «أنّه سأل رسول الله عن أيتام ورثوا خمراً فقال: أهرقْها. قال: أفلا أجعلها خلاً؟ قال: لا»[2].. وقال الحنفيّة والمالكيّة: جاز تخليل الخمر، وحلّ شربه وأكله لقوله: «نعم الأدم الخلّ» مطلقاً من غير تفريق.

الخَلْق: ١ . كلمة تشمل الخلق الأوّل من العدم، وتشمل خلق العالم والإنسان وكل ما هو كائن وكلّ ما سوف يكون. وقد وردت كلمةُ الخلق منسوبة إلى الله بمعنى الإيجاد من العدم ٢٥٤ مرّة. ويحدث الخلق بقوله للشيء: «كُنْ فَيكونُ» (٣٦/٨٢). ولله من الأسماء الحسنى أسماء «الخالق، البارئ، المصوّر» (٥٩/٢٤؛ رَ : ٢/٥٤). إنّه «خالق كلّ شيء»[1]، و«الخلّاق العظيم» (١٥/٨٦؛ ٣٦/٨١). وقد «خلقَ اللّهُ.. بالحَقّ»[2]، و«ما خَلَقْنا.. لاعِبِين» (٢١/١٦؛ ٤٤/٣٨؛)، أو: «مَا خَلَقْنا.. بَاطِلاً» (٣/١٩١؛٣٨/٢٧)؛ أو «ومَا خَلَقْنا.. غافِلِين» (٢١/١٠٤).

---

(١) أخرجه مسلم ٣/١٦٢٣، ط. الحلبي، من حديث جابر بن عبدالله.

(٢) أخرجه أبو داود ٤/٨٢-٨٣، تحقيق عزّت عبيد دعاس، وإسناده صحيح.

(١) رَ : ٦/١٠٢؛ ١٣/١٦؛ ٣٥/٣؛ ٣٩/٦٢؛ ٤٠/٦٢.

(٢) رَ : ٦/٧٣؛ ١٠/٥؛ ١١/١٩؛ ١٥/٨٥؛ ١٦/٣؛ ٢٩/٤٤؛ ٣٠/٨؛ ٣٩/٥؛ ٤٤/٣٩؛ ٤٥/ ٢٢؛ ٤٦/٣؛ ٦٤/٣.

٢ . ويسهب القرآن في وصف خلق الإنسان من تراب[٣]؛ أو من طين[٤]، أو من صلصال[٥]، ومن نطفة ثمّ علقة[٦]؛ وتتّضح أهمّيّة الخلْق في القرآن، منذ بدأ النبيّ يبلّغ رسالتَه باسم ربّه «الذي خلق، خلق الإنسان من علق»، وهو الذي خلق للإنسان كلّ ما في الأرض (٢/ ٢٩)، وبخاصّة الأنعام (١٦/ ٥). وقد خلق العالم في ستّة أيّام : الأرض في يومين، وكلّ ما عليها في يومين آخرين[٧].

٣ . وفي القرآن أنّ خلْقَ السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ولكن ذلك سرٌّ يخفى عليهم (٤٠/ ٥٧)، أي إنّ الأرض والسموات قد خُلقت من العدم، فيما الإنسان خُلق من تراب. وخلْق الإنسان إنّما هو دليل على قدرة اللّه، كما أنّ خلْق ما يفيد الإنسان هو دليل على فضل اللّه.. وكلّ شيء خلقه اللّه بقَدَر (٥٤/ ٤٩)، وما خلقه قد خلقه إلى أجل مسمّى (٣٠/ ٨؛ ٤٦/ ٣)، أي إلى يوم الدين.

٤ . وأوّل ما خلق اللّه القلم، وخلق آدم على صورته.. وثمّة حديث قدسي يقول: «لقد كنت كنزاً مخفيًا فخَلَقتُ الخلقَ ليعرفوني». ولذلك قيل: إنّ القلم والعقل هما أوّل الخلق. ثمّ إنّ بعث الموتى يوم الدين إنّما هو خلقٌ جديد ليس بأعجب من الخلق الأوّل[٨].

خَلْقُ القُرْآن (فتنة–) : ١ . بدأت هذه «الفتنة» في عهد المأمون، وامتدّت إلى أيّام المعتصم ، ثمّ الواثق. وأُخمدت في زمن المتوكّل. استمرّت ثلاثين سنة. عانى خلالها العديد من العلماء والفقهاء من الأذى والسجن والنكال. وكان الإمام أحمد بن حنبل أبرز المُضطهَدِين.

---

(٣) رَ : ٣/ ٥٩؛ ١٨/ ٣٧؛ ٢٢/ ٥؛ ٣٠/ ٢٠؛ ٤٠/ ٦٧.

(٤) رَ : ٦/ ٢؛ ٧/ ١٢؛ ١٧/ ٦١؛ ٢٣/ ١٢؛ ٣٢/ ٧؛ ٣٧/ ١١؛ ٣٨/ ٧١ و٧٦.

(٥) رَ : ١٥/ ٢٦ و٢٨ و٣٣؛ ٥٥/ ١٤.

(٦) رَ : ١٥/ ٢٦؛ ١٦/ ٤؛ ١٨/ ٣٧؛ ٢٢/ ٥؛ ٢٣/ ١٣ و١٤؛ ٣٥/ ١١؛ ٣٦/ ٧٧؛ ٤٠/ ٦٧؛ ٥٣/ ٤٦؛ ٧٥/ ٣٧ و٣٨؛ ٧٦/ ٢؛ ٨٠/ ١٩؛ ٩٦/ ٢.

(٧) رَ : ٧/ ٥٤؛ ١٠/ ٣؛ ١١/ ٧؛ ٢٥/ ٥٩؛ ٣٢/ ٤؛ ٥٠/ ٣٨؛ ٥٧/ ٤.

(٨) رَ : ٢/ ٢٨؛ ١٣/ ٥؛ ٢٣/ ٣٥ و٨٢؛ ٢٧/ ٦٧؛ ٣٧/ ١٦ و٥٣؛ ٥٠/ ٣؛ ٥٦/ ٤٧.

٢ . وكان المعـتزلة هم الذين أشعلوا جذوة هذه الفـتنة، وأجّجوا سعـيرها، حين قالوا: إنّ القرآن مخلوقٌ مُحدَث. واستدلّوا على ذلك بقوله: «ما يأْتِيهِمْ مِن ذكْرٍ مِن رَبِّهِم مُحْدَث» (٢١/٢)، وقـوله: «إنّا نحنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنّا لهُ لحَافِظُونَ» (١٥/ ٩). وقالوا: إنّ المُنَزَّل لا يكون إلاّ مُحْدَثاً، ولو كان قديماً لما احتاج إلى حافظ يحفظه.

٣ . وتصدّى علماء أهل السنّة والجماعة للمـعتزلة، وقالوا: إنّ القرآن كلام اللّه، وصـفة له، فـهـو قديم. ودليلهـم قوله: «يُريدونَ أن يُبَـدِّلُوا كـلامَ اللّه. قل لن تتَّبِعونا. كذلكم قال اللّه مِنْ قَبْلُ..» (٤٨/١٥؛ ر: ٢/٧٥)..

٤ . ولمّا جـاء المتوكّل قلب للمـعتـزلة ظهر المجنّ، وأبدى مـيله لأهل السنّة، وقال بأزليّة القرآن. وأطلق السجناء الذين قالوا بذلك، ولم يعترفوا بخلْق القرآن.

الخَلْوَة : بمعنى الانفراد بالنفس في مكان خالٍ، قد تكون مستحبّة، إذا كانت للذكر والعبادة. ولقد حبَّب اللّهُ الخلاءَ إلى النـبيّ قبل البعثة، «فكان يخلو بغار حراء يتحنّث فيه»[1]. وقال النووي: «الخلوة شأن الصالحين وعبّاد اللّه العارفين»[2].

وتكون الخلوة حراماً كـالخلوة بالأجنبيّة. والأجنبيّـة هي مَن ليست زوجة ولا مـحـرمـاً.. والأصل فـي ذلك قـول النبي: «لا يخلـونّ رجلٌ بامـرأةٍ إلاّ مع ذي محرم»[3]، لأنّ الشيطان يوسوس لهما في الخلوة بفعلِ ما لا يحلّ، لقول النبي: «لا يخلونّ رجل بامـرأة إلاّ كان ثالثـهما الشـيطان»[4].. وتُحرّم الخلوة بأجنبـيّة ولو لضرورة علاج إلاّ مع حضور محرم لها.. وتُـحرّم الخلوة بالأمرد إن كان صبيحاً، وخيفت الفتنة.. وتُحرّم الخلوة بالمخطوبة، إذ تُعتبر أجنبيّةً مِن خاطِبها.

الخَلِيلُ بن أَحْـمَد (ت نحو ١٧٠هـ/٧٨٦م) : ولد وتوفّي بالبـصرة.رجل شديد الورع، فـقير، لغـويّ كبير. من تلامـيذه: سيـبَويه والأصـمـعي والنضر بن

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/٢٣، ط. السلفيّة، من حديث عائشة.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢/١٩٨.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٩/٣٣١، ط. السلفيّة، من حديث ابن عبّاس.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/٤٦٦، ط. الحلبي، من حديث عمر بن الخطّاب. حديث «حسن صحيح».

شميل والليْث بن المظفّر بن نصر وغيرهم. هو واضع علم العروض وقواعده. ولا تزال طريقته هي السائدة اليوم. وكان أيضاً أوّل من صنّف معجماً عربيًا هو «كتاب العين». رتّبه على حروف الهجاء بحسب بدايته من الحلق حتّى تصل إلى حروف الشفة، وهي :

١- الأحرف الحلقيّة، وهي: ع، ح، هـ، غ؛

٢- وحرفا اللّهاة (واللّهاة هي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم)، وهي: ق، ك؛

٣- والأحرف الشجريّة (من الشجر أي مخرج الفم)، وهي: ج، ش، ض؛

٤- وأحرف الصفير (والصفير صوت يخرج من الشفتين)، وهي: ز، س، ص؛

٥- والأحرف النطعيّة (والنطع موقع اللسان من الحنك، وذلك من بين طرف اللسان وبين أصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك)، وهي: ت د، ط؛

٦- والأحرف اللثويّة (الصادرة من اللّثة)، وهي: ظ، ذ، ث؛

٧- والأحرف الذولقيّة (لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه)، وهي: ر، ل، ن؛

٨- والأحرف الشفهيّة، وهي: ف، ب، م؛

٩- وأخيراً أحرف العلّة الثلاثة، مضيفاً إليها الهمزة: أ، و، ي.

ولم يصل إلينا من هذا المعجم سوى المختصر الذي قام به أبو بكر الزبيدي الفقيه اللغوي الأندلسي.

ذكر ابن خلّكان في كتابه «وفيات الأعيان»: أنّ الخليل اجتمع وعبدالله بن المقفّع ليلةً يتحدّثان حتّى الفجر. فلمّا افترقا قيل للخليل: كيف رأيتَ ابنَ المقفّع؟ فقال: رأيتُ رجلاً علمُه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفّع: كيف رأيتَ الخليل؟ قال: رأيتُ رجلاً عقلُه أكثر من علمه.

خَلِيْل بن إسْحَق الجُنْديّ (ضياء الدين) (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) : فقيه مالكيّ مصريّ من الكبار. له «المُختصَر» وهو أشهر كتب الفقه المالكيّ.

الخُمَار: ١ . من الخمر وأصله الستر، ومنه قول النبيّ: «خمّروا آنيتكم»[١]، أي غطّوها واستروها. وكلّ ما يَستر شيئاً فهو خُماره. لكنّ الخمار صار في التعارف اسماً لما تغطّي به المرأةُ رأسَها. ويعرّفه بعض الفقهاء بأنّه ما يستر الرأسَ والصدغَين أو العنق. والفرق بين **الحجاب** والخمار أن الحجاب ساتر عام لجسم المرأة، أمّا الخمار فهو في الجملة ما تستر به رأسَها. أمّا **النقاب** فهو ما تغطّي به المرأةُ وجهَها فقط. وأمّا **القناع** فهو ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطّي رأسها ومحاسنها.. وهو أعمّ وأشمل في الستر من الخمار. **والبرقع**، وهو ما تستر به المرأة وجهها.

٢ . إرتداء المرأة الحرّة الخمار بوجه عام واجب شرعاً، لأنّ شعر رأسها عورة باتّفاق. وقد أمرت المرأة بضرب الخمار على جيبها في قوله تعالى: «وليضربنّ بخُمُرهنّ على جيوبهنّ» (٢٤/ ٣١). قال القرطبي: سبب هذه الآية أنّ النساء كنّ، في ذلك الزمان، إذا غطّين رؤوسَهنّ بالأخمرة، وهي المقانع، سدلنَها من وراء الظهر، فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك، فأمر اللّه تعالى بليّ الخمار على الجيوب. وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها. قالت عائشة: إنّما يُضرب بالخمار الكثيف الذي يستر[٢]..

الخَمْر: ١ . لم يكن تحريم الخمر في برنامج النبيّ منذ البداية. بل نحن نجد في (١٦/ ٦٩) مدحاً في الخمر بوصفها آية من آيات اللّه للناس. وهذا نصّها: «ومِن ثمرَاتِ النَّخيلِ والأعنابِ تتَّخِذُون منه سكَراً ورِزقاً حَسَناً» (١٦/ ٦٧).. إلاّ أنّ عواقب السكر قد ظهرت، فغيّر النبيّ من اتّجاهه، فقال: «يَسألونك عن الخمرِ والمَيسرِ. قل: فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس. وإثمُهما أكبر من نفعهما» (٢/ ٢١٩). على أنّ هذه الآية لم تعدّ تحريماً. ولم يغيّر الناس من عاداتهم. وحدث أن اضطرب نظام الصلاة فنزلت آية أخرى: «يأيّها الذين آمنوا! لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكَارى حتّى تعلموا ما تقولون» (٤/ ٤٣).

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٨٨، ط. السلفيّة، من حديث جابر بن عبداللّه.
(٢) القرطبي، ١٢/ ٢٣٠.

ومع ذلك، فإنّ هذه الآية أيضـاً لم تعدّ تحريماً مطلقاً للخـمر حتّى نزلتْ آية أخرى: «يا أيّها الذين آمنوا! إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِن عملِ الشـيطانِ فاجـتنبـوه لعلّكم تُفلحـون. إنّما يريد الشـيطان أن يوقع بينكُمُ العـداوةَ والبغضاءَ في الخمر والميسر» (٥/ ٩٠–٩١).

٢ . أمّا في الحـديث فنصوص كـثيـرة تحرّم الخمـر: «الخمـر مفـتاح كلّ شرّ»[٣]؛ و«من شرب الخمر في الدنيا ثمّ لم يتب عنهـا حُرِمَها في الآخرة»[٤]؛ و«إنّ اللّه لعن الخمرَ وعـاصرَها ومعتصـرَها وشاربَها ومستقـيها»[٥]؛ و«لا يشرب عبدٌ جرعة خمر مـتعمّداً في الدنيا إلاّ سقيتُه مكانهـا من الصديد يوم القيامة»[٦]؛ «ومن شرب الخمر.. لم تُقبل له صلاة»[٧]؛ «ولا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن»[٨]؛ و«نهى (النبي) عن شربهـا للإستشفاء بهـا للمريض»[٩]؛ و«حرم جعل الخمر خلاً»[١٠]...

٣ . وليس الإسلام وحده أنكر الخمـر : فالناذر، في التوراة، عليه أن يمتنع عن شربها، مثله مثل الكهنة قبل قيامهم بالفرائض (عدد ٦/ ٣؛ أح ١٠/ ٩). وبعض النصارى أيضاً يحـرّمونها، كالإبيـونيّين الذين يحرّمونها حتّـى في القربان. يقول عنهم إيريناوس: «إنّ الإبيـونيّين يحرّمون مـزْج الخمر السـماوي بالماء، ويريدون فقط مـاء هذا الدهر»[١١]. ويقـول عنهم أيضاً كـتـاب «أعمـال توما» المنحـول: «إنّ

---

(٣) أحمد بن حنبل، المسند، ٥/ ٢٣٨؛ إبن ماجّة، كتاب الأشربة، باب ١.

(٤) البخاري، كتاب الأشربة، باب ١؛ مسلم، كتاب الأشربة، الأحاديث ٧٣ و٧٦، ٧٨ إلخ..

(٥) أبو داود، كـتاب الأشـربة، باب ٢؛ إبن ماجّـه، كتـاب الأسـربة، باب ٦؛ أحمـد بن حنبل، ١/ ٣١٦؛ ٢/ ٢٥ و٦٩ و٧١ و٩٧ و١٢٨ إلخ..

(٦) الطيالسي، رقم ١١٣٤.

(٧) النسائي، الأشربة، باب ٤٣؛ الدارمي، الأشربة، باب ٣.

(٨) البخاري، الأشربة، باب ١؛ النسائي، الأشربة، باب ٤٢–٤٤.

(٩) مسلم، الأشربة، حديث ١٢؛ أحمد بن حنبل، ٤/ ٣٢٢ و ٣١٧.

(١٠) الترمذي، البيوع، باب ٥٩؛ أحمد بن حنبل، ٣/ ١١٩ و٢٦٠.

(١١) Irénée, Contre les Hérésies, 5, 1, 3.

القربان عندهم من خـبز وماء، لا خمـر فيه»[١٢]. ويقول كليمنضوس الإسكندري: «إنّ بعض الخوارج يسـتعملون في القربان الخـبز والماء بدل الخبز والخـمر، على خلاف سنّة الكنيسة»[١٣]...

٤ . ولكنْ، هذا الخمر المحرَّم على الأرض سوف يكون في الجنّة حلالاً، على ما ذكر أوريجين[١٤] وأفرام السرياني[١٥]، مستوحِـيَين بذلك ما ورد في أنجيل متى على لسان المسيح: «أقولُ لكم: لا أشربُ بعدَ اليوم من عصير الكرمة هذا حتى يأتي يوم فيه أشربه معكم خمراً جديداً في ملكوت أبي»[١٦].

٥ . هذا هو حال الخـمر في القـرآن حيث هي، في هذه الدنيـا، «رجس من عمل الشيطان» (٥/ ٩٠)، وسببُ «إثمٍ كبير» (٢/ ٢١٩) ؛ تُوقع بين الناس «العداوة والبغضاء» (٥/ ٩١). ولكنّها في الجنّة حلالٌ حـيث «أنهارٌ من خمرٍ لذّة للشاربين» (٤٧/ ١٥)، وحيث الناس فيها «يتنازعون كـأساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيم» (٥٢/ ٢٣). فيها «يطوف عليهم وُلدانٌ مـخَلَّدون بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعين» (٥٦/ ١٧-١٨؛ ٧٨/ ٣٤)، أي من مـعينِ خـمـرةٍ جـاريةٍ لا ينقطع أبداً. هـناك حـيث الأبرار «يُسقَـونَ مِن رَحيقٍ مَخْـتوم» (٨٣/ ٢٥)، أي من خمـرة معتّـقةٍ عمـرُها من اليوم السادس للخليقة.

الخُمْس و الخُمُس : هو الجزء من خـمسـة أجزاء. واصطلاحـاً، هو خمْس الغنيمـة أو الفيء. والتخـميس هو إخراج الخـمس من الغنيمـة. اتّفق الفقـهاء على وجوب تـخميس الـغنيمـة لقوله تعـالى: «واعلَموا أنَّ مـا غَنِمتم من شيءٍ فـإنَّ للّهِ خُـمُسَـه وللرسولِ ولذي القـربى واليـتامى والمسـاكينِ وابنِ السبـيل» (٨/ ٤١). واختلفوا في تخميس الفيء.

---

(١٢) Actes de Thomas, de Pierre, (Apocryphes)

(١٣) Clément d'Alexandreie, Stromates, I, 19.

(١٤) Origène, Comm. sur lév. 7, 2.

(١٥) مار افرام، منظومة الفردوس ٧/ ١٨.

(١٦) إنجيل متى ١٦/ ٢٩ ؛ ٨/ ١١.

الخَنْدَق: وقعة تُسمّى بالأحزاب، قادها أبو سفيان. فيها دعا زعماءُ اليهود قريشاً لحرب رسول الله فاتّحدوا عليه، ثمّ جاءوا غطفان وعرضوا عليهم ذلك، فوافقوهم. فعلم النبيّ بأمرهم، وشاور أصحابه، فقال له سلمان الفارسي: «يا رسولَ الله!.. إنّا كنّا بأرضِ فارس، إذا تخوّفنا الخيلَ وإذا حوصرنا، خَنْدَقْنا حولَنا». فراقت الفكرة، وأمر رسول الله بحفر الخندق.. وانهزمت قريش واليهود وأعوانهما. وكان ذلك سنة ستّ للهجرة. والنبيّ نفسه اشترك في حفْر الخندق.

الخَنْزِير: ١ . هو في اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام محرّم : فاليهود في التوراة يعتبرون الخنزير حيواناً نجساً: «لا تأكلوا شَيئاً من لحمها، وميتتها لا تمسّوها فإنها نجسة لكم»[1]. والنّصارى، منذ البدء وفي مختلف شيعهم، ساروا بموجب شريعة موسى[2]، وقالوا، بسبب خطايا الإنسان، حُرِّمَت بعض الأطعمة. وقال أَفْرَهَات: «إنّه بسبب خطاياك أعطاكَ الله الذبائحَ وحرّم عليك بعضَ الطعام»[3]. في حين أنّ المسيحيّين ألغَوا كلَّ فارقٍ بين الأطعمة، فلا طعام مقدّس ولا طعام نجس بذاته، إنّما الإنسان هو الذي يُضفي عليها قداسةً أو نجاسةً[4].

٢ . أمّا القرآن فعاد إلى الشريعة الموسويّة واتّبع التقاليد اليهوديّة والنّصرانيّة، وجعل بين الأطعمة فوارق، فنجّس بعضَها وقدّس بعضها الآخر. وأعلن: «إنّما حرّم عليكم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهلّ به لغير الله»[5].

٣ . اتّفق الفقهاء على أنّه لا يطهر جلد الخنزير بالدباغ، ولا يجوز الانتفاع به لأنّه نجس العين. وكذلك ذهبوا إلى نجاسة سؤر الخنزير، لكونه نجس العين. وكذا لعابه لأنّه متولّد عنه. ويكون تطهير الإناء، إذا ولغ فيه، بأن يغسل سبعاً، إحداهنّ بالتراب، لحديث النبي: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع

---

(١) أحبار ١١/٧؛ تثنية الاشتراع ١٤/٨.

(٢) أنظر أعمال الرسل ١٥/ ٢٠ و٢٨–٢٩ ؛ ٢١/ ٢٥.

(٣) أفرهات، البيّنات ١٥/ ٧ ؛ أنظر تعاليم الرسل «ديدسكالي».

(٤) متى ١٥/ ١١ و١٧–٢٠ ؛ مرقس ٧/ ١٥–٢٣.

(٥) سورة البقرة ٢/ ١٧٣؛س المائدة ٥/ ٣ ؛ الأنعام ٦/ ١٤٥ ؛ النحل ١٦/ ١١٥.

مرّات»[٦]. قالوا: فإذا ثبت هذا في الكلب فـالخنزير أولى، لأنّه أسوأ حالاً من الكلب، وتحريمه أشـدّ.. وقالوا أيضاً بنجـاسة شعـر الخنزير، فلا يجـوز استعـماله لأنّه استعمالٌ للعين النجسة.. واتّفقو على عدم جواز التداوي بالنجس والمحرّم..

٤ . وأجمع الفقهاء على عـدم صحّة بيع الخنزير وشرائه، لقول النبيّ: «إنّ اللّه تعالى ورسـوله حرّم بيع الخمر والمَـيتة والخنزير والأصنام. فقـيل: يا رسول اللّه! أرأيتَ شحـوم المَيتة؟ فإنّه يُطلى بهـا السفن، ويدهن بها الجلود، ويسـتصبح (من مصـباح) بها الناس. فقـال: لا. هو حرام. ثمّ قال: قاتلَ اللّهُ اليـهودَ. إنّ اللّه، لمّا حرّم شحومَها، جمّلوه، ثمّ باعوه، فأكلوا ثمنه»[٧].

٥ . واتّفق الفقهاء على أنّ أهل الذمّـة يقرّون على ما عندهم من خنازير، إلاّ أنّهم يُمنعون من إظهارها، ويُمنـعون من إطعامها مسلمـاً. فإذا أظهروها أُتلفت ولا ضمان.. وذهـب الشافعيّة إلـى إجبار الزوجة الكتـابيّة على ترْك أكْل الخنزير، لأنّه منفِّرٌ من كمال التمتّع. وخالفهم في هذا المالكيّة، فليس للزوج عندهم منعها منه.

٦ . واتّفق الفـقـهـاء على أنّه لا قطع ولا ضـمـان على مَن سـرق، أو أتلف خنزيراً لمسلم، لكونه غير محترم، ولا متـقوّم، لعدم جواز تملّكه وبيعه واقتنائه. إلاّ أنّ الحنفيّة والمالكيّة ذهبـوا إلى أنّ مَن أتلف خنزيراً لذمّي، فإنّه يضمنه ويلزمه ردّه إذا سرقه، وذلك لقول النبيّ: «أتركوهم وما يَدينون»[٨].

الخَنْسَاء (ت ٢٤هـ/ ٦٤٥م) : قُتـل أخواها مـعاوية وصَـخْر، فـرثتْهـما. وأنجبت أربعـة بنين، أسلموا واستُشهـدوا في معركـة القادسيّـة، فرثتْـهم أيضاً. وأنشدت الشعر في سوق عكاظ حتّى قال فيها النابغة: «إذهبي. فأنتِ أشعر من كلّ ذي ثديين».. وقيل لجـرير: مَن أشعـر الناس؟ قال: «أنا، لولا الخنسـاء». لها ديوان أكثره في الرثاء. شرحه ابن السكّيت وابن الأعرابي والثعالبي.

---

(٦) أخرجه مسلم، ١/ ٢٣٤، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

(٧) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٤٢٤؛ ومسلم ٣/ ١٢٠٧، من حديث جابر بن عبدالله.

(٨) أورده صاحب فتح القدير، ٨/ ٢٨٥، نشر دار إحياء التراث العربي.

الخَنْق: مصــدر خنق إذا عـصر حلقــه حتّى يموت.. اتّفق الفـقهـاء على أنّ الحيوان الذي من شأنه أن يُذبح فإنّـه لا يَحلّ بالخنْق، لقوله تعالى: «حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير اللّه به والمُنْخَنِقة» (٥/٣).

الخَوَارِج: ١ . أقدم الفـرق الإسلاميّة. خـرجوا على عليّ بن أبي طالب إثر وقعة صـفّين (صفر ٣٧هـ/تموز ٦٥٧م)، رافـضين التحكيم. ونادوا: «لا حكَم إلاّ اللّه»، فأجابهم عليّ: «كلمة حقٍّ يُراد بها باطل». وكـانوا في غالبيّتهم من البدو، من قبـيلة تميم. تركوا الجـيش وانسحبـوا إلى قرية **حَرُوراء** قرب الكوفـة.وسُمّوا بـ **الحروريّة**، أو **المحكّمة** من قولهم: «لا حكَم إلاّ اللّه».

٢ . وأخذوا يـتزايدون، فـأوقع بهم عليّ هزيمةً نكراء في **النهروان** قـرب بغداد، عام ٣٨هـ/٦٥٨م.. غير أنّ عـبد الرحمن بن مُلجَم المرادي، وهو زوج امرأة فقـدت معظم أهلها يوم النهروان، دبّر قـتْلَ عليّ.. ولكنّ الحجّاج بن يوسف كـسر الخوارج، والعبّاسيّين قضوا عليـهم قضاء مبرماً؛ ولم يبق منهم إلاّ فرع **الإباضيّة** في شمالي أفريقية وفي الجانب الشرقي من جزيرة العرب (راجع هذه المادّة).

٣ . ترجع أهمّيّة الخـوارج إلى نظريّتهم في **الخلافة**، إذ فيـها يعـارضون الشيعـةَ في قصر الإمامة على أبناء عليّ، كمـا يعارضون **المرجئة** في توقّفهم عن الحكم فيها. ومبدأهم «حقّ الخروج على السلطان إذا غيّر السيرة وعدل عن الحقّ». ويمكن لكلّ مؤمنٍ أن يبلغ الإمامة، ولو كان عبـداً. أقرّوا بالخلافة لأبي بكر، وعمر، وعثمان في السنوات الستّ الأولى من خلافته، وعلي حتّى وقعة صفّين.

٤ . ينكر الخوارج نظريّة الإيمان بلا عمل. ويغالون في تشدّدهم في الدين إلى حدّ تكفير صاحب الكبيرة، ويعـدّونه مرتدًا. وكلّ مرتدّ لا يُقبل إسلامُه من بعد. ويجب قتله هو وأزواجـه وأولاده. وينكر بعضهم كون سـورة يوسف من القرآن، لأنّ ما جاء فيها دنيوي تافه، لا يمكن أن يكون من كلام اللّه.

الخَوَارِزْمِيّ (مـحمّـد بن مـوسى) (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م) : أحـد منجّـمي المأمون. اشتهر بكتابه «الجَبْر والمُقابَلة».

الخَوَرْنَق: موضع على مسيرة ميل من النجف. اشتهر بقصرٍ بناه الأمير النعمان اللَّخمي لمولاه الساساني، بعد عام ٤١٨م. أشاد بذكره شعراء العرب الجاهليّون في كثير من أشعارهم، وعدّوه من عجائب الدنيا. واشتهر الخورنق أيضاً لأنّه مضرب المثل السائر «جزاء سنمّار»، وهو المهندس المعماري الرومي الذي شيّده للنعمان وأتمّه؛ ثمّ رماه النّعمان من أعلاه فاندقّت عنقه حتّى لا يبني مثلَه لأحدٍ غيره.

خَيْبَر : واحة على الطريق ما بين المدينة والشام، على مسيرة مائة ميل من المدينة. إنّها مجموعة من الوديان الفسيحة الكثيرة المياه والنخيل. وهي على ارتفاع ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر.. وكان لغزوة النبيّ محمّد أثر بالغ في تاريخ خيبر وسكّانها من اليهود. فقد خرج النبيّ لغزوها عام ٧هـ/٦٢٨م، على رأس جيش من ١٦٠٠ مقاتل. يقودهم عليّ بن أبي طالب. ولعلّ محمّداً كان يرمي من ورائها إلى محو الأثر السيّء الذي تركه صلح الحديبيّة في نفوس أتباعه، وتعويضهم عن الأسلاب التي فقدوها...

وبعد سقوط خيبر، حكم النبيّ على اليهود بالتخلّي عن جميع أملاكهم، وسمح لهم هم وزوجاتهم وأولادهم بحرث الأرض التي كانوا يملكونها من قبل، وفرض عليهم أن يقدّموا نصف غلّتها للنبيّ. وظلّت هذه الأتاوة مفروضة عليهم ألى أن أخرج الخليفة عمر بن الخطّاب اليهودَ من بلاد العرب. لقد اصطفى رسولُ اللّه لنفسه من سبي خيبر **صَفِيَّة بنت حيي بن أخطب**، ثمّ جعلها أمّاً للمؤمنين..

الخَيْزُرَان (ت ١٧٣هـ/٧٩٨م) : جارية المهدي. ولدت له هارون الرشيد والهادي. تآمرت على الهادي فقُتل.

الخَيْف : لغةً، يُطلق على المكان الواقع في أسفل سفح الجبل؛ ومسجد الخَيْف مشهور في **وادي مِنى**، يؤمّه الحجّاج يومَ الثامن من شهر ذي الحجّة (**يوم التروية**) ليصلّوا فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء من ذلك اليوم؛ ثمّ يصلّوا فيه صلاة الفجر من صباح اليوم التاسع؛ ثمّ ينطلقوا بعد ذلك منه إلى **عرفات**. ويُقال إنّ آدم مدفون في موضع هذا المسجد، وإنّ سبعين نبيّا صلّوا في ذلك المكان.

د

دَابِق : كورة على الطريق بين مَنبِج وأنطاكية، على نهر قُوَيق فوق حلب. كانت مركز القيادة وقاعدة المروانيّين والعبّاسيّين في حملتهم على الروم.. اشتهرت بالوقعة الفاصلة التي نشبت بين السلطان سليم الأوّل العثماني وقانصوه الغوري سلطان المماليك، في ٢٤ آب ١٥١٦ م، في مرج دابق. وفيها خرّ سلطان المماليك صريعاً، وقُضي على المملكة المصريّة قضاء مبرماً.

دَابَّةُ الأَرْض : من أكبر «**أشراط الساعة**». يُروى أنّ طولَها سبعون ذراعاً. رأسها رأس ثور، وأذناها أذنا فيل، وقدماها قدما بعير.. إلخ. تظهر في تهامة، أو بين الصفا والمروة، فتضع على وجه الكافر علامةً سوداء، وعلى وجه المؤمن علامة بيضاء. ويُقال أنّها ستَجلب معها عصا موسى وخاتمَ سليمان، فتضرب المؤمن بالعصا، وتكتب في وجهه مؤمن؛ وتطبع الكافر بالخاتم، وتكتب في وجهه كافر. وقد نشأت هذه القصص من تأويل سورة النمل، التي ورد فيها: «وإذا وَقَع القولُ عليهم أَخْرَجنا لهم دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ» (٢٧/٨٢) . وذكرت سورة سبأ أيضاً دابّة الأرض، وهي الأرضة (٣٤/١٤).

دَاحِس وَالغَبْرَاء : هما إسمان لفرسَين كانا سبباً في إشعالِ حربٍ نشبت في الجاهليّة بين قبيلتَي عَبْس وذُبيان، امتدّت أربعين سنة من ٥٦٨–٦٠٨م. وقصّة ذلك أنّ «حذيفة بن بدر الفزاري» سيّدَ ذبيان كان صاحبَ خيل، وله مَخيَلة تضمّ أجودَ الخيول، فأتاه «ورد بن مالك العبسي»، وقال له: لو اتَّخذتَ لخيلك فحْلاً من خيل «قيس بن زهير العبسي» فتحسّن نسلها! وردَّ الذبياني بقوله: لا حاجة بي إلى ذلك، لأنّ خيلي خيرٌ من خيله. ثمّ احتدّ الخلاف بينهما، وانتهى بهما الأمر إلى رهانٍ مؤدّاه أن يجري سباقٌ بين خيل «حذيفة» وخيل «قيس»، يدفع الخاسر عشرين ناقة إلى الرابح. واتّفقا على أن يشارك «حذيفة» بفرسَيه «الخَطَّار

والحنفاء»، ويشارك «قيس» بفرسيه «داحس والغبراء». وجعلا رجلاً من بني ثعلبة حكَماً لذلك السباق.

وخشي «حذيفة» على نفسه الخسار، فلجأ إلى الغش والغدر، وأمر نفراً من قومه أن يكمنوا لداحس والغبراء على الطريق، حتّى إذا جاءا سابقَين أمسكا بهما. وانكشف الأمر عن فوز فرسَي العبسي. إلاّ أنّ «حذيفة» أبى أن يؤدّي للعبسيّين مقدار الرهان. وحين جاء ابنٌ لقيس إلى حذيفة مطالباً بدفع الرهان، قتله حذيفة. وكانت تلك بداية القتال الذي استمرّ أربعين عاماً بالرغم من تدخّل الحكماء والعقلاء لإصلاحهما.. ولا جدوى. ذكرَ هذه الحرب شعراء من العرب، أشهرهم زهير بن أبي سُلمى في معلّقته. وكان أشهر أيّامها المُريقِب، وبطله عنترة بن شدّاد.

دَارُ الإِسْلَام : ١ . تَقسم الشريعةُ الإسلاميّة العالمَ إلى **دار حرب** ودار إسلام. فدار الإسلام هي كلّ بلد تقام فيه شريعة الإسلام، ويخضع لحكمِ حاكمٍ مسلم. قد يكون أهله مسلمين وغير مسلمين. يخضع غيرُ المسلمين لحكم الإسلام بشروط معيّنة دون أن تكون لهم الحقوق المدنيّة كاملة. وتحافظ الدولة الإسلاميّة على أرواحهم وأموالهم. ويجب أن يكونوا من أهل الكتاب لا من عبدة الأوثان. ويُحظّر عليهم دخول الحرَمَين، في مكّة والمدينة، لقوله: «يا أيّها الذين آمَنوا! إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (٩/٢٨). وكذلك يُحظّر عليهم تعاطي الخمور، وإحداث دُور عبادة.

٢ . لا يمكن أن تتحوّل دار الإسلام إلى دار كُفْر بحالٍ من الأحوال، ولو استولى عليها الكفّار، وأجلَوا المسلمين عنها، وأظهروا فيها أحكامهم، لقول رسول اللّه: «الإسلام يَعلو ولا يُعلَى عليه».

٣ . «إذا استولى الكفّار على بقعةٍ من دار الإسلام، صار الجهاد فرْضَ عَين على جميع أفراد الناحية التي استولى عليها الكفّار، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، أصحّاء ومرضى. فإذا لم يستطع أهلُ الناحية دفعَ العدوّ عن دار الإسلام، صار الجهادُ فرْضَ عين على مَن يليهم من أهل النواحي الأخرى من دار الإسلام. وهكذا حتّى يكون الجهاد فرْضَ عين على جميع المسلمين. ولا يجوز تمكين غير المسلمين

من دار الإسلام. ويأثم جميعُ المسلمين إذا تركوا غيرهم يستولي على شيء من دار الإسلام»[١] (رَ: **جهاد**).

٤ . قسم الفقهاء دارَ الإسلام إلى قسمَين: جزيرة العرب وغيرها. فجزيرة العرب لا يستوطنها غير المسلم، لحديث نبويّ: «لا يُترك بجزيرة العرب دينان»[٢]، وحديث: « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[٣]. واختلفوا في المراد من جزيرة العرب. فقال الشافعيّة والحنابلة: الحجاز، فتجوز إقامتهم في غير الحجاز. وقال غيرهم: المراد بجزيرة العرب كلّها (رَ: **أرض العرب**).

دَارُ البَغْيِ : هي، في الاصطلاح، جزء من دار الإسلام، تفرّد به جماعةٌ من المسلمين خرجوا على طاعة الإمام الحقّ بحجّة تأوّلوها مبرِّرَة لخروجهم، وامتنعوا وتحصّنوا بتلك الأرض التي أصبحتْ في حوزتهم، وأقاموا عليهم حاكماً منهم، وصار لهم جيشٌ ومنعة (رَاجع مادّة: **البغاة**).

دَارُ الحَرْب : ١ . كلّ بقعة تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة. أو هي التي لم تدن للإسلام. ويمكن أن تصير بالفتح **دارَ إسلام**. وجعْلُ دارِ الحربِ دارَ إسلامٍ هو غاية **الجهاد**. والدولة الإسلاميّة، من الناحية النظريّة، في حالة حرب دائمة مع العالم غير الإسلامي. ولكنّ هذا الأمر مستحيل اليوم من حيث الواقع. وليس حكّام المسلمين في حالة تسمح لهم بمحاربة العالم حرباً لا تنقطع.

٢ . وإذا أصبحت دارُ إسلامٍ دارَ حرب فمن واجب المسلمين أن يهجروها. وإنْ أبتْ زوجةُ أحدهم أن تتبعه فإنّها تصبح طالقاً من تلقاء نفسها. وإن استمرّتْ على إسلامها، تجب عليها الهجرة، إذا أَمّنتْ الطريق، وذلك من قوله تعالى: «إنّ الذينَ توفّاهُمُ الملائكةُ ظالمِي أنفسِهِمْ قالوا فيمَ كنتم؟ قالوا: كنّا مُستضعَفِين في الأرضِ. قالوا: ألَمْ تَكُنْ أرضُ اللّهِ واسعةً فتُهاجِروا فيها؟» (٤/٩٧).

---

(١) راجع مادّة: دار الإسلام، د. فرج السيّد عنبر، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٦٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٢٧٥،من حديث عائشة؛ الهيثمي، المجمع ٥/ ٣٢٥، ط. القدسي.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ٢٧١؛ مسلم ٣/ ١٢٥٨،من حديث ابن عبّاس.

٣ . أمّا في رأي الحنفيّة: لا تجب الهجـرة من دار الحرب، لخبر: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة»[٤]. أمّا حديث: «أدعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين»[٥]، فمنسوخ بحديث: «لا هجرة بعد الفتح».

دَارُ الصُّلْحِ أو **دَارُ العَهْد** : وهي الدار التي ليست في حكم الإسلام، وإنّما تدفع **الجزية** للإسلام. تُطلق على البلد الذي صالح إمامُ المسلمين أهلَه على أن تكون تلك الأرض لهم، وللمسلمين الخراج عنها. ويُترك قتالُ أهلها مدّة متّفق عليها... وقد عقد النبي صلحاً مع نصارى نجران أمّنهم فيه على حياتهم، وفرض عليهم إتاوة معيّنة. ولكن، كانت هذه الحماية المضروبة على أهل نجران قليلة الجدوى لوجودهم داخل الجزيرة العربيّة.

وقسم الفقهاء عقدَ الصلح مع أهل الحرب إلى قسمَين: ١- قسم يُشترط في عقد الصلح أن تكون تلك الأراضي للمسلمين، ويقرّوها بخراجٍ يؤدّيها أهل تلك الدار للمسلمين. وهذا الخراج لا يسقط بإسلامهم.. ٢- وقسم يشترط في عقد الصلح معهم أن تكون الأرض لهم، والخراج الذي يؤدّونه في حكم الجزية، متى أسلموا يَسقط عنهم، ولا تصير الدار دار إسلام، وتكون دار عهد، ولهم بيعها ورهنها. ولهم إحداث كنيسة فيها، ولا يمنعون من إظهار شعائرهم فيها، كالخمر والخنزير وضرب الناقوس، ولا يُمنعون إلاّ ممّا يتضرّر به المسلمون، كإيواء جاسوس، ونقل أخبار المسلمين إلى الأعداء، وغير ذلك.

الدَّارقُطْنِيّ (أبو الحسن علي) (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) : إمام من أئمّة الحديث. وُلد في دار القطن، وهو حيٌّ من بغداد. من تلاميذه الحاكم النيسابوري، وأبو حامد الإسفراييني وأبو نعيم الأصفهاني. توفّي ببغداد في سنّ الثمانين. له كتاب السنن، وهو يختلف عن كتب الصحاح في أنّه يقتصر على أبواب الفقه المهمّة، فيه جمَعَ الأحاديثَ التي فاتت الشيخَين، البخاري ومسلم؛ وكتاب «المختلِف والمؤتلِف»؛

---

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ٣، ط. السلفيّة؛ مسلم ٣/ ١٤٨٧،من حديث ابن عبّاس.
(٥) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٥٧، ط. الحلبي، من حديث بريدة بن الحصيب.

و«كتاب العلل»، قال فيه الذهبي: «إذا شئتَ أن تتبيّن براعةَ هذا الإمام فطالِع العلل له. فإنّك تندهش ويطول تعجّبك»؛ و«كتاب التتبّع»، وقد طبع أكثره في ١١ مجلّداً.

الدّارِميّ (عبدالله أبو محمّد التميمي) (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) : إمام محدِّث من أهل سمرقند. من تلاميذه: مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنِسائي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وعيسى بن عمر السمرقندي وغيرهم. أقيم قاضياً على سمرقند. فحكم في قضيّة واحدة ثمّ اعتزل القضاء. وكان تقيًا ورعاً غيوراً على دينه حادّ الذكاء فقيراً. وهو مصنِّف «السنن»، مجموعة من الأحاديث، مرتّبة على الأبواب لا على المسانيد؛ وإنّما أُطلق عليه بعض العلماء اسم «المسند».

دَارُ النَّدْوَة : ١ . بناها قُصَيّ بن كلاب بمكّة في الجاهليّة. كانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في أمورها. وكان لا يشترك في الاجتماع إلاّ مَن كانت سنُّه فوق الأربعين. وكان يُعقَد فيها النكاح. وفيها تلبس الجواري اللاّئي يبلغن الشباب الدرع لأوّل مرّة. وفيها يعقد قُصَيٌّ اللواء لأمير الجند. وفيها اجتمعت قريش لترى رأيها في محمّد.

٢ . أعطى قُصَيٌّ ابنَه عبدَ الدار الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة. فلمّا هلك عبد الدار حاول بنو أخيه عبد مناف أن تكون لهم هذه الأمور لشرفهم في قومهم وسعة مالهم. وانقسموا لذلك فريقَين. وانتهى الأمر بأن أخذ بنو عبد مناف السقاية والرفادة، واحتفظ بنو عبد الدار بالحجابة واللواء والندوة.

٣ . ولمّا جاء الإسلام كانت ولايتها بيد حكيم بن حِزَام الذي باعها إلى معاوية بن أبي سفيان. وجعلها داراً للإمارة.

الدّاعِي : الذي يدعو إلى الدِّين الحقّ. وردت مع مشتقّاتها في آيات كثيرة من القرآن[1]. وسمِّي النبي داعياً (٣٣/ ٤٦). وكذلك جميع الأنبياء المرسلين هم دعاة إلى سبيل الله.

---

(١) رَ: ٣/ ٣٨؛ ٣٩/ ٨؛ ٢/ ١٨٦؛ ١٤/ ٢٢...

ولمّا ظهر التشيّع، قام أفراد يدعون إلى الرضا من أهل البيت، عُرفوا بالدعاة. ولم يصبح هذا اللفظ ذا مدلول خاصّ إلاّ بعد ظهور الإسماعيليّة، عقب وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ. فقد جعل الإسماعيليّة نظاماً خاصّاً لنشر دعوتهم التي كانت سرّيّة..

ودرجات الدعاة عند الإسماعيليّة هي:

١ - الباب، وهذا أعلى درجاتهم، ليس فوقه إلاّ الإمام؛

٢ - الحجّة، وهو داعي الدعاة، يعقد مجالس الحكمة؛

٣ - داعي البلاغ، له رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد؛

٤ - الداعي المطلق، له رتبة تعريف التأويل الباطني؛

٥ - الداعي المحدود، له التعريف بالعبادات الظاهرة؛

٦ - الداعي المأذون، له أخذ العهد والميثاق؛

٧ - الداعي المكالب أو المكاسر، وهو الذي يشكّك الناس في عقائدهم ليستميلهم إلى مذهب الإسماعيليّة[٢].

داوُد (ت ٩٧٠ ق.م.) : ورد ذكره في القرآن ١٦ مرّة. فهو خليفة اللّه (٣٨/ ٢٦)، أحد أنبياء بني إسرائيل، آتاه اللّه النبوّة والحكمة والعلم والمُلك والصوت الطيّب فكانت الجبال والطيور تسبّح معه[١]، وأنزل اللّه عليه «الزبور» (١٧/ ٥٥). وهو الذي قتل جالوت (٢/ ٢٤٦-٢٥١). كما ذُكر بأنّه هو وابنه سليمان حكما في قضيّة واحدة، حكماً مأثوراً؛ إلاّ أنّ سليمان، بالرغم من صغر سنّه، أصلح الحكم الذي حكم به أبوه. ووردت أيضاً قضيّة خصمَين دخلا على داود متظاهرَين بأنّهما يسألانه أن يحكم بينهما بالحقّ، والواقع أنّهما جاءا ليعرّضا بخطيئته (٣٨/ ٢١-٢٦). وألان اللّهُ له الحديد، وعلّمه أن ينسج منه الدروع (٣٤/ ١٠-١١). ويذكر القرآن أيضاً توبة داود (٣٨/ ١٧). ثمّ عاقب داود الخارجين على سنن بني إسرائيل يوم السبت بمسخهم قردة (٥/ ٧٨ و ٢/ ٦٥).

---

(٢) رَ: راحة العقل، للكرماني، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، ط ٢، ١٩٨٣؛ ص ١٣٨.

(١) رَ: ٢٧/ ١٥؛ ٢١/ ٧٩؛ ٣٤/ ١٠؛ ٣٨/ ١٨-١٩.

أمّا أن يكون داود تزوّج امرأة أحد الجنود الذي أرسل إلى الحرب ليُقتل. فهذا، في رأي المسلمين، تحريف في التوراة. وهو افتراء وبهتان عظيم يستحقّ راويه الحدَّ مضاعَفاً.

الدَّجّال : هو المسيح الدَّجّال. لم ترد هذه الكلمة في القرآن. يقول الطبري في تاريخه إنّ الدَّجّالَ رجلٌ جبّار، وملك من ملوك إسرائيل سيحكم العالم كلَّه. يظهر في آخر الزمان، يدّعي الألوهيّة، ويحمل الناس على الإيمان به، يصحبه الكفّار والمنافقون واليهود. وأكثر ما يتبعه النساء. سيظهر ممتطياً حماراً في مثل حجمه.

وظهور الدجّال شرط من **أشراط الساعة**. وهو مثل الطاغية الوارد في التوراة في وصف يوم الدين. إنّه هو المضلّ الأكبر، عدوّ المسيح. عيناه تنامان ولا ينام قلبه. وسيظهر مزوَّداً بطعام وماء ونار. يغزو الأرض ما عدا مكّة والمدينة. ويكون هلاكه في الشام، أو فلسطين على يد عيسى أو المهدي، بعد أن يحكم أربعين يوماً أو أربعين عاماً.

دِحْيَة الكَلْبِيّ (ت ٤٥هـ/ ٦٦٥م) : أحد الصحابة. شديد الجمال. في حديث عبدالله بن عمر: كان جبريل يأتي النبيَّ في صورة دِحيَة الكلبي. وتلك مكرمة لم تكن لغيره من أصحاب رسول الله. حمل دِحيةُ رسالةَ رسول الله إلى قيصر الروم، دعاه فيها إلى الإسلام. كان مجاهداً، فشهد بدراً والخندق. وحضر معركة اليرموك مع خالد بن الوليد. واتّخذ «المزّة»، قرب دمشق، سكناً له حتّى توفّي فيها في خلافة معاوية.

الدُّخَان : السورة رقم ٤٤ من القرآن، آياتها: ٥٩. إسمها من آية: «فَارتقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخَانٍ مبين» (٤٤/ ١٠). والسماء نفسُها، على ما يقول القرآن، دخان: «ثمّ استوى إلى السماءِ وهي دُخان» (٤١/ ١١).

الدَّرَزِيّ (محمّد بن إسمعيل) : ١. لقّب بنَشْتَكين. كلّفه حمزة بملازمة البَلاط ونشْرِ الدعوة بين الموظّفين، حازَ برضى الحاكم الذي قرّبه منه «وفوّض

الأمورَ إليه. وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أنّ الوزراء والقوّاد والعلماء كانوا يقفون على بابه، ولا ينقضي لهم شغل إلاّ على يده، وكان قصد الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور فيطيعونه»[١].

٢ . واستغلّ الدّرزي موقعَه في القصر، وتسلّطَه على بيت المال. و«غرّه ما كان يضربه من زغل الدنانير والدراهم»، كما يقول عنه حمزة[٢]؛ واستقلّ بكتابة الرِّقاع إلى بعض دعاة الإسماعيلين، يدعوهم إلى دعوته[٣]. وظنّ نفسَه، والناس تنقاد إليه، أنّه أولى بالإمامة من حمزة، وأنّه يستطيع إعلان الدعوة قبل أوانها، فباشرها فعلاً، وأعلنها سنة ٤٠٧ هـ، أي سنةً واحدةً قبل الموعد الذي حدّده حمزة والدرزي معاً. فوقع الخلافُ الكبير بينهما. فكتب إليه حمزة يحذّره: «إنْ كنتَ تدّعي الإيمان فأقرّ لي بالإمامة، كما أقررتَ في الأوّل... حتّى تصحّ عبادةُ مولانا... فإذا فعلتَ هذا مالتْ قلوبُ العالَم إلينا، وارتفعتْ ألسنتهم عنّا»[٤].

٣ . إلاّ أنّ الدّرزي مضى في غيِّه وغطرسته ومعاندته، و «أظهر الضدّيّة»، وأصبح، بنظر حمزة والموحِّدين، «الضدّ»؛ بل هو «الضدّ» بالمطلق. لقد كان في الأوّل «طائعاً لباريه، إلاّ أنّه أظهر المنافسة. وطلب اللّعينُ الرئاسة... وأظهر الضدّيّة، وجادل باريه»[٥]. كما أصبح غطريساً متكبِّراً متبختراً متعسّفاً مدّعياً حاسداً عاصياً. يقول فيه حمزة :«وغطريس هو نشتكين الدّرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علْم ولا يقين. وهو الضدّ الذي سمعتم بأنّه يظهر من تحت ثوب الإمام ويدّعي منزلتَه ويكون له خوارٌ جولةٌ بلا دولة، ثمّ تنطفي ناره. وكذلك الدّرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبّر وخرج من تحت ثوب الإمام وادّعى منزلتَه حسداً له وإعجاباً بروحه. وقال قولَ إبليس... وقال: أنا سيّدُ الهاديين، يعني

---

(١) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٨٤.

(٢) رسالة الغاية والنصيحة ١٠/٩٣.

(٣) تاريخ الانطاكي، ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٤) رسالة الرضى والتسليم ١٦/١٨٢.

(٥) الكتاب المعروف بالنقض الخفي٦/ ٥٠–٥١.

أنا خيرٌ من إمامي الهادي (أي حمزة).. وأبى أن يسجدَ لمن نصبَه المولى، جلّ ذكره، وقلّده واختارَه وجعلَه خليفَته في دينه، وأمينَه على سرّه وهاديًا إلى توحيده وعبادته. فتغطرس على الدين... طلباً للرئاسة»[٦].

٤ . والدّرزي، بنظر حمزة والموحِّدين، هو أيضاً «العجل»، والعجل هو «الضدّ». يقول حمزة: «والعجل هو ضدّ وليّ الزمان الذي هو القائم بجميع الحدود.. وسُمّي الضدّ عِجْلاً لأنّه ناقص العقل، عَجول في أمره، له خوار. وهو يتشبّه بقائم الزمان بلا حقيقيّة ولا برهان»[٧].

وبذلك ، أصبح كلُّ ضدٍّ يسمّى «عجلاً» : فجميع الأنبياء «عجول»، والساعون وراءهم هم أيضاً «عجول»، لأنّهم جميعهم أضداد التوحيد. وقد يكون النّبي «محمّد» العجلَ الأكبر لأنّ شريعتَه كانت أظلم الشرائع على الموحِّدين[٨]. والدّرزي هو أيضاً « الضدّ الروحاني المشبِّه روحَه بمولانا جلّ ذكره. وقد دعوتُه ورضي بذلك وأقرّ لي بالعبوديّة ضرورةً لا ديانة»[٩]، أي أجبر على ذلك لمنفعة مادّيّة دون أن يكون مؤمناً.

٥ . والدّرزي لم يحصل على أيّة رسالة من رسائل الدّعوة التي وضعها حمزة. وقد طلب منه ذلك دون جدوى. قال حمزة : «قد سألني مراراً بكثرة أن أدفع إليه شيئاً من كتب التوحيد ممّا ألّفتُه، فلم أفعلْ ذلك، ممّا تفرّستُ فيه من العاقبة الرديّة...فنظرتُ فيه بنور مولانا جلّ ذكره وتأييدِه، ولم أفعلْ أسلّمه شيئاً ممّا طَلَبه، فتردّى بالكبرياء، وقال: "أنا خيرٌ منه وأعلى" . ولم يعلم بأنّ الغالِبَ مَن أعانه المولى جلّ ذكره»[١٠].

---

(٦) رسالة الغاية والنصيحة ١٠/٩٢-٩٣.

(٧) رسالة البلاغ والنهاية ٩/٧٥. انظر رسالة ٤١/٣١١.

(٨) سترى ذلك بتوسّع في فصل «الدرزيّة والإسلام».

(٩) رسالة الرضى والتسليم ١٦/١٧٨.

(١٠) رسالة الرضى والتسليم ١٦/١٨١.

ولعدم حصول الدّرزي على شيءٍ من تعاليم الحكمة، كتب إليه حمزة يحذّره من تعاليمٍ يقوم بها على هواه، وقال له: إن «الذي تطلبه أنت من الكشف ليسَ لك عليه قدرة، ولا بفعله طاقة.. وقد أظهرتُ أنا من العلم الحقيقي المكنونِ ما تعجز أنتَ عنه وجميعُ العالمين»[١١]. ثم يتهّمه بأنّه كان «أوّلَ مَن عمل برأيه، وقاس العلم بهوائه... فأُسقِط من مرتبته وأُخرج من دعوته ومنزلته»[١٢].

٦. ثمّ راح الدّرزي يدعو البرذعي إليه، ويحوّله عن حمزة، فأعطاه دنانيرَ كثيرة، «وأوعده بالمركوب والخُلَع، فمضى إلى عنده، وفتّح له أبوابَ البلايا والكفر»[١٣]، ولذلك يتّهمهُما حمزةُ بأنّهما «نطقا بغير معرفة ولا علم. وعملا لغير وجه مولانا جلّ ذكره. وأعليا البناء بغير أساس. وما أصاب أحدٌ منهما ما أصابه إلاّ باستحقاقٍ وعدلٍ من المولى سبحانه على يدي»[١٤].

و«عمل الدرزي في نقل رئاسة الدعوة إليه»[١٥]، فكتب إليه حمزة تحذيراً آخر يقول له فيه بأنّ الإمامة «لا تنقسم في شخصَين في وقتٍ واحد، إذ كانت الإمامة نوراً كلّياً شعشعانياً، لا يتجزّأ ولا يدنّسه ندّ ولا يغيّره ضدّ»[١٦].

٧. وهكذا، كما «ظهر» العقل الكلّي في حمزة، «ظهر» الضدُّ، الذي هو إبليس، في «الدّرزي». وهي محنة ابتلاه المولى بها. وكما ظهر الضدُّ من إعجاب العقل بنفسه، كذلك ظهر الدّرزي «من تحت ثوب الإمام»[١٧]. وكما كان لإبليس معاونون يعملون في تضليلِ الموحِّدين، كان للدرزي أيضاً دعاة أفسدوا التوحيد وعلّموا بحسب أهوائهم.

---

(١١) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٨٢.
(١٢) رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين ١٧/ ١٩٢.
(١٣) رسالة الرضى والتسليم ١٦/ ١٨١.
(١٤) المرجع نفسه، مستشهدا بسورة ص ٣٨/ ٧٦.
(١٥) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٤.
(١٦) رسالة الصبحة الكائنة ١٩/ ٢٠٣.
(١٧) رسالة الغاية والنصيحة ١٠/ ٩٢.

٨ - وبسبب الاختلاف بين حمزة والدّرزي وجماعتهما، عُلِّقَتْ دعوةُ التوحيد سنةً كاملةً، وهي التاسعة بعد الأربعمائة. فغابَ الحاكم، وغاب الإمام حمزة، وغاب جميعُ الدعاة الحقيقيّين، وانقطع النص[١٨]، وظهرت البدع، وكثر نشاط الأضداد، ونكثَ بعضُ الدعاة، وتراجَع «المرتدّون» الخونة... وكانت سنة الغيبة هذه سنةَ امتحانٍ عسير على الموحّدين. وعُلِّقت الدعوة.

٩ - «غير أنّ تعليق الدّعوة لم يُثْنِ الدّرزي عن نشاطه. بل شجّعه اعتكافُ الحاكم واعتزالُ حمزة على المضي في دعواه واستجلاب مَن يستطيع استجلابَه إليه... وهكذا فلا تكاد سنة ٤٠٩ هـ أن تشرف على الإنتهاء حتى تكون نقمة أهل القاهرة على الدّرزي قد بلغت مبلغاً جعلتهم، في ٢٨ ذي الحجة ٤٠٩هـ، يتصدّون للدّرزي ويُلحِقون به هزيمةً ذهب ضحيتَها نحو أربعين قتيلاً من أتباعه[١٩].

«ويبدو أنّ الدّرزي، في محاولة منه أخيرة لرأب الصدع بينه وبين القاهريين وإنجاء دعوته من فشل نهائي، سعى إلى مفاوضة أهل القاهرة، وأقنعهم بالتصدّي لحمزة بن علي الذي كان معتكفاً مع بعض من الموحِّدين في مسجد رَيدان المحصّن الواقع خارج أسوار القاهرة.

١٠ - «وهكذا نجح الدّرزي بتحويل النقمة على حمزة بن علي. وقد انضمّ الدّرزي اليهم، ليزحف — فيما قال— ما ينيف على العشرين ألفاً لقتال إمام الموحّدين. وتقول مصادر التوحيد[٢٠] إنّه لم يكن مع حمزة بن علي في حصنه ذاك إلاّ نفر قليل لا يتجاوز الإثني عشر، منهم خمسة لا يصلحون للقتال نظراً لكبر السنّ أو صغره. أمّا السبعة الآخرون فهم: إسمعيل بن محمّد التميمي، ومحمد بن وهب القرشي، وسلامة بن عبد الوهّاب السامري، والمقتنى بهاء الدين عليّ بن أحمد الطائي، وأيّوب بن علي، ورفاعه بن عبد الوارث، ومحسن بن علي.

---

(١٨) لذلك لا نرى رسالة واحدة في مجموع الحكمة من سنة ٤٠٩ هـ.

(١٩) في هذا إشارة الى «الصبحة الكائنة» ١٩/ ٢٠٤.

(٢٠) في هذا إشارة الى الرسالة ١٩/ ٢٠٥، ١٠/ ٩٤، ١٦/ ١٧٩.

هذا، «وقد استطاع حمزة بن علي ومَن معه أن يصمدوا أمام المهاجمين خلف تحصينات المسجد. وعند المغرب، وكانوا قد بلغوا أشدّ درجات الضيق، أطلّ الحاكم من شرفة قصره المشرف على المسجد. فلمّا رأتْه الجموع كفّوا عن القتال وتراجعوا ورُفع عن حمزة بن علي الحصار ليعود بعودة الحاكم ونصرته له الى سابق عهده.

١١ . يدلّ شمس الدين أبو المظفر بن قزأوغلي في تاريخه «مرآة الزمان» على هرب الدرزيّ إلى بلاد الشام بعد ثورة الناس عليه. يقول: «فثار الناس عليه، وقصدوا قتلَه، فهرب منهم. وأنكر الحاكم أمرَه خوفاً من الرعيّة. وبعثَ إليه في السرِّ مالاً، وقال: أُخرج إلى الشام، وانشر الدعوة في الجبال، فإنّ أهلَها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة، غربيّ دمشق، من أعمال بانياس. فقرأ الكتاب على أهله (أي على أهل وادي التيم)، واستمالهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال. وقرّر الدّرزي في نفوسهم التناسخ، وأباح لهم شربَ الخمر والزنا، وأخْذَ مالِ مَن خالفهم في عقائدهم وإباحةَ دمِه. وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى»[٢١].

الدُّرُوز : ١ . شعب يعيش في لبنان وسوريا وفلسطين. لهم عقيدتهم الخاصّة التي لا يعلنون عنها لأحد. فهم، في الظاهر، مسلمون بين المسلمين، ونصارى بين النصارى، ويهود بين اليهود. ليس لديهم فروض للعبادة، ولا أماكن لها. وما يُعرف بعقيدة الدروز لا يفقهه جميعُ الشعب. ويُطلَق على من يفقهونه الـ «عقّال» وعلى سواهم الـ «جهّال».. ويُصبح خير العقال «أجاويد».

٢ . يؤمنون بعقيدة التقمّص، وهي شائعة بينهم؛ ويقولون بظهور اللّه في البشر ٧٢ مرّة؛ آخرها كان في الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللّه؛ ومن معتقداتهم أنّ كلمة الشهادة عندهم: «ليس في السماء إلهٌ موجود ولا على الأرض ربٌّ معبود إلاّ الحاكم بأمره»؛ ويقولون بالحدود الخمسة؛ وبمبدإ التقيّة؛ وبرفض الأنبياء

---

(٢١) النجوم الزاهرة، ج ٤ ص١٨٤.

والأوصياء جميعاً؛ ويقولون بإسقاط الفرائض الدينيّة التكليفيّة وعدم إقامة الفرائض الدينيّة الإسلاميّة؛ كما لهم تشريع خاصّ بهم، في الزواج والطلاق والإرث وغير ذلك؛ وهم يعتقدون بالإنجيل والقرآن، ويختارون منهما ما يستطيعون تأويله، ويتركون ما عداه؛ ويقولون إنّ القرآن أوحي إلى سلمان الفارسي، فأخذه محمّد، ونسبه إلى نفسه، ويسمّونه المسطور المبين.

دِعْبِل (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) : شاعر هجّاء كوفيّ الأصل. سكن بغداد. تخرّج على مُسلِم بن الوليد. اتّصل بالرشيد. هجا العبّاسيّين: «أرى أميَّةَ مَعذورينَ إنْ قَتَلوا ولا أرى لبني العبّاسِ مِن عذرِ». كان يتشيّع للعلويّين. له «كتاب الشعراء».

الدَّعْوَة : ١ . الدعوة إلى اللّه فرض لازم، لقوله تعالى: «أدعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة» (١٦/ ١٢٥)، وقوله: «قل هذه سبيلي أدعو إلى اللّه على بصيرة أنا ومَن اتّبَعَني» (١٢/ ١٠٨)؛ وقوله: «ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. وأولئك هم المفلحون» (٣/ ١٠٤).

٢ . من أهداف الدعوة: إرشاد البشريّة إلى أعلى حقّ في هذا الوجود؛ إذ، بدون الدعوة، لا يتمكّن البشر من معرفة ربّهم.. فتتغلب عليهم الضلالات والأوهام، كما قال تعالى: «كتابٌ أنزلناه إليك لتُخرج الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد» (١٤/ ١).

٣ . أوّل ما يُدعى إليه الكافر الذي لم تبلغه الدعوة: الإيمان بوجود اللّه تعالى، وتوحيده، والتصديق بكتابه، والإيمان برسوله، والإيمان بسائر كتب اللّه المنزلة، ورسله، واليوم الآخِر، ومتابعة أوامر اللّه ونواهيه، واتّباع ما جاء به رسوله، وتعظيم اللّه ورسوله، والالتزام بسائر فرائض الإسلام وواجباته، وترْك المحرّمات، والإقبال على الأعمال المستحبّة، وعلى محاسن الأخلاق، وتزكية النفس من شوائب النفاق والرياء، وترْك ما كرهه الشرع، وتعلّم القرآن والأحكام.

الدَّفْن : ١ . مواراة الميت في التراب. دفن المسلم فرْض كفاية. وأوّل مَن قام

بالدفن هو قابيل الذي أرشده اللّه إلى دفن أخيه هابيل، لما جاء في قوله تعالى: «فبعثَ اللّهُ غراباً يبحثُ في الأرض ليريَه كيف يواري سوأة أخيه. قال: يا ويلتي! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين» (٥/ ٣١).

٢. المقبرة أفضل مكان للدفن.. وإنّما دُفن النبيّ في بيته، لأنّ من خواصّ الأنبياء أنّهم يُدفنون حيث يموتون؛ ويكره الدفن في الدار، وكذلك في مدفن خاصّ، وفي المساجد، وفي ملْك غيره.. ولا يجوز نقل الميت من مكان إلى آخر بعد الدفن مطلقاً..

٣. أمّا كيفيّة الدفن:

١ – فيُستحبّ، عند الحنفيّة، أن يُدخل الميت من قِبل القِبلة..

٢ – ثمّ يوضع على شقّه الأيمن متوجّهاً إلى القبلة، ويقول واضعه: «بسم اللّه وعلى ملّة رسول اللّه»[1]. ومعنى ذلك: بسم اللّه وضعناك، وعلى ملّة رسول اللّه سلّمناك..

٣ – ثمّ تُحلّ عقد الكفن للاستغناء عنها..

٤ – ويُستحبّ حثيه من قِبل رأسه ثلاثاً. ويقول في الحثية الأولى: منها خلقناكم؛ وفي الثانية: وفيها نعيدكم؛ وفي الثالثة: ومنها نُخرجكم تارةً أخرى. وقيل: يقول في الأولى: اللّهمّ! جافِ الأرضَ عن جنبَيه؛ وفي الثانية: اللّهمّ! افتح أبواب السماء لروحه؛ وفي الثالثة: اللّهمّ! زوّجه من الحور العِين، وللمرأة: اللّهمّ! أدخلها الجنّةَ برحمتك.

٥ – ثمّ يُهال التراب عليه. وتُكره الزيادة عليه لأنّه بمنزلة البناء.

٦ – ويحرّم أن يوضع تحت الميت عند الدفن مخدّة أو حصير، لأنّه إتلاف مال بلا ضرورة. وعن أبي موسى قال: «لا تجعلوا بيني وبين الأرض شيئاً»..

---

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٥٥، ط. الحلبي؛ إبن ماجة ١/ ٤٩٥.

ويجوز الدفن في الشقّ واللحد: فاللحد أن يُحفر حائط القبر.. والشقّ أن يُحفر وسطه كالنهر ويسقف. فإن كانت الأرض صلبةً فاللحد أفضل، وإلاّ فالشقّ.

٤ . لا خلاف بين الفقهاء في أنّه يكره الدفن في التابوت إلاّ عند الحاجة، لأنّ فيه تشبّهاً بأهل الدنيا، والأرض أنشف لفضلاته، ولأنّ فيه إضاعة المال. وفرّق الحنفيّة بين الرجل والمرأة، فقالوا: لا بأس باتّخاذ التابوت للمرأة مطلقاً، لأنّه أقرب إلى الستر، والتحرّز عن مسّها عند الوضع في القبر.

٥ . ولا خلاف بين الفقهاء في أنّه لا يُدفن أكثر من واحد في قبر واحد إلاّ لضرورة، كضيق مكان، أوتعذّر حافر، أو تربة أخرى.. في هذه الحال، يجعل بين ميت وآخر حاجز من تراب.. ولا يجمع بين النساء والرجال..

٦ . لا خلاف بين الفقهاء في أنّه لا يجوز للمسلم أن يدفن كافراً ولو قريباً إلاّ لضرورة بأن لا يجد مَن يواريه غيره فيواريه وجوباً.. ولا يُستقبل به قِبلتنا لأنّه ليس من أهلها، ولا قبلتهم لعدم اعتبارها.. ويحرّم دفن مسلم في مقبرة الكفّار وعكسه إلاّ لضرورة.. ولا يجوز أن تجعل مقبرة المسلمين المندرسة مقبرة للكفّار، ولا أن تنقل عظام المسلمين لتدفن في موضع آخر لاحترامها. أمّا مَن قُتل حدًا فيُدفن في مقابر المسلمين، وكذلك تارك الصلاة. وأمّا المرتدّ فلا يُدفن لا في مقابر المسلمين لخروجه عنهم، ولا في مقابر المشركين لما تقدّم له من حرمة الإسلام.

٧ . واتّفق الفقهاء على دفن كافرة حاملٍ من مسلم في أن تُدفن على حدة، لأنّها كافرة، فلا تُدفن مع المسلمين فيتأذّوا بعذابها، ولا في مع الكفّار، لأنّ ولدها مسلم فيتأذّى بعذابهم. ويُجعل ظهرها إلى القِبلة، لأنّ وجه الولد لظهرها.

٨ . واتّفق الفقهاء على أنّه يُستحبّ أن يجلس المشيّعون للميت بعد دفنه لدعاءٍ وقراءةٍ من القرآن، لما روي «أنّ النبيّ كان، إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، فقال: استغفروا لأخيكم، وسَلَوا له التثبيت. فإنّه الآن يُسأل»[٢]..

---

(٢) أخرجه أبو داود ٣ / ٥٥٠، تحقيق عزّت عبيد دعاس.

٩ . صرّح الحنفيّة والحنابلة بأنّ المصحف، إذا صار بحالٍ لا يُقرأ فيه، يُدفن كالمسلم، فيُجعل في خرقة طاهرة، ويُدفن في محلّ غير ممتهن لا يوطأ..

دُلْدُل : إسم بغلة النبي التي كان يركبها في غزواته. وقد عاشت بعد وفاته. ويُقال إنّها عاشت إلى عهد معاوية. وإنّها ماتت في ينبع. وكانوا يطعمونها البرّ في فمها عندما هرمت وسقطت أسنانها. ويقول الشيعة إنّها احتفظت بقواها طوال المدّة التي كان فيها علي قادراً على ركوبها في غزواته للخوارج. وكانت دلدل هي والحمار عفير من الهدايا التي أهداها المقوقس إلى النبيّ.

دِمَشْق أو **الشّام** : عاصمة سورية على بَرَدى في طرف بادية الشام. مملكة آراميّة ٩٤٠ ق.م. عاصمة الخلافة الأمويّة، بلغت أوج عزّها معهم، وتقهقرت مع العبّاسيّين، فتوالى عليها الطولونيّون والإخشيديّون والفاطميّون والأيّوبيّون والمماليك. حصّنها نور الدين زنكي وقاومت الصليبيّين. خرّبها هولاكو والمُغول ١٢٦٠ و١٣٠٠، وأحرقها تيمورلنك ١٤٠٠، احتلّها العثمانيّون ١٥١٦، والمصريّون ١٨٣٢–١٨٤٠.

الدَّمِيْرِيّ (كمال الدين، عمّار بن موسى) (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) : عالِم مصري. اشتهر بكتابه «حياة الحيوان الكبرى»، وهو أوّل مؤلّف من نوعه في الأدب العربيّ. يتكلّم فيه عن سلوك الحيوانات وتوالدها وخصالها. وفيه معلومات عن الطبّ النسبيّ وعلم النفس، ومزيج من العلم والأدب والتاريخ والفلسفة والحديث والقصص.. رتّب الحيوانات التي كتب عنها ترتيباً أبجديًا، وتناول بالبحث ١٠٦٩ كائناً أو دابّة.

الدَّهْرِيَّة : فرقة من الكفّار ذهبوا إلى قدم الدهر وإسناد الحوادث إليه، منكرين وجود اللّه، كما أخبر القرآن عنهم بقوله: «إنْ هي إلاّ حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما يهلكنا إلاّ الدَّهْر» (٤٥/ ٢٤).. وفي هذا إنكار منهم للآخرة، وتكذيب للبعث، وإبطال للجزاء. وهي تُطلق على أولئك الذين أنكروا الاعتقاد في اللّه، وأنكروا خلق العالم والعناية الإلهيّة. وقالوا بقدم الدهر، وإنّ المادّة لا تفنى، وإنّ كلّ ما حدث في العالم إنّما يُرَدّ إلى فعل القوانين الطبيعيّة، أي إلى حركة الأفلاك.

وقولهم بقدم الدهر هو أبرز أقوالهم، بل هو المحور الذي يدور عليه مذهبهم، ويميّزهم عن غيرهم.. وكذلك أنكروا البعث والعقاب، ووجود الشياطين والجنّ والملائكة، والرؤيا والرقى والوحي والنبوّة والكتب المنزلة. وبالنتيجة أنكروا جميع ما قالت به الأديان.

الدَّهْنَاء : أي الحمراء. سمّيت بهذا الإسم لحمرة أديمها. عرفها الجغرافيّون بصحراء النُّفود الصغرى. تقع في شرق السعوديّة. تمتدّ بين نَجد والأحساء، من النفود الكبرى إلى الربع الخالي جنوباً. طولها نحو ١,٣٠٠ كلم. وعرضها من ٢٥ إلى ٧٠ كلم. هي كثبان رمليّة متحرّكة وحقول نفط هامّة.

الدَّوْلَة : ١ . إنّ نظام الإسلام القانوني لتأسيس دولةٍ وتنظيمها مستمدّ من نصوص القرآن والسنّة. تلتزم بهذا النظام سلطات الدولة كافّة، ولا تملك تعديلاً أو تبديلاً.. لهذا، قيل: «الإسلام دينٌ ودولة»، وقيل: «الإسلام هو الحلّ»، أي فيه الحلّ لكلّ مشكلة

٢ . غير أنّ هذه المقولة ينقضها القول بشريعة القرآن الأزليّة الثابتة.. مثل هذه الشريعة لا تخضع لمتغيّرات هذا الكون وتطوّراته المتلاحقة.

٣ . تتعدّد الدول الإسلاميّة بحكم تعدّد الأئمّة، حيث إنّ الدولة الإسلاميّة تمثّل شخص الإمام، لأنّه مصدر السلطة فيها، وعنه تصدر جميع سلطات الدولة وصلاحيّاتها. وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه لا يجوز كون إمامين في العالم في وقت واحد، ولا يجوز إلاّ إمام واحد، ودليله قول رسول اللّه: «إذا بُويِعَ لخلِيفَتَين فَاقْتُلوا الآخَر منهما»[1].

دُوْمَةُ الجَنْدَل : (أنظر مادّة: **جَوف السِّرحان**). واحة اجتمع فيها الحكَمان أبو موسى الأشعري وعَمرو بن العاص بعد صِفِّين، ثمّ عقدا التحكيم في أذرُح.

الدّيَار بَكْرِيّ (حسن) (ت ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) :مؤرّخ من أهل مكّة. اشتهر

---

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٨٠، ط. الحلبي، من حديث أبي سعيد الخدري.

بكتابه «تاريخ الخميس» بدأه بالسيرة النبويّة. وأنهاه بجلوس السلطان مراد الثالث سنة ١٥٧٤.

الدّير : (أطلب مادّة : **معابد**).

دَيْرُ الجَاثَلِيْق : دير في العراق شماليّ بغداد على ضفّة دجلة الغربيّة. كان مَقرّ الأسقف «الكاثوليكوس». انتصر عنده عبد المِلك بن مروان على مُصعب بن الزُّبَير ٦٩١م.

دَيْرُ الجَمَاجِم : موضع في العراق قريب من الكوفة. عنده انتصر الحجّاج على عبد الرحمن بن الأشعث ٧٠٢م.

دَيْرُ العَاقُول : موقع في العراق جنوبي شرقيّ بغداد. هزيمة يعقوب الصفّار أمام جيش المُعتمِد العبّاسي ٨٧٦م.

الدَّيْرِيْنِيّ (عبد العزيز بن أحمد) (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) : فقيه شافعيّ مصريّ من الزهّاد. اشتهر بالتفسير والوعظ. من كتبه: «التيسير في علم التفسير» أرجوزة تزيد على ٣٠٠٠ بيت.

الدَّيْلَم : المنطقة الجبليّة في إقليم جيلان الإيراني جنوبيّ بحر قزويم.

الدِّيْن : ١ . ترد لفظة «دِين» في القرآن مع مشتقّاتها: ٩٥ مرّة؛ ٧٨ منها بمعنى ديانة؛ و١٧ مرّة بمعنى القضاء والجزاء والحساب الأخير. الإسلام، بحسب مفهوم القرآن والمسلمين، هو الدِّين الوحيد عند اللّه : «إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّه الإسْلامُ» (٣/١٩)، «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» (٣/٨٥). «اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا» (٥/٣). فالإسلام هو «دين الحقّ»[1]؛ و«الدِّين القيِّم»[2]، أو «دين القيِّمة» (٩٨/٥)، و«ديناً قَيِّماً» (٦/١٦١)، أو «الدين الخالص» (٣٩/٣).

---

(١) رَ: ٩/١١ و٣٣؛ ٤٨/٢٨؛ ٦١/٩؛ ٢٤/٢٥.

(٢) رَ: ٩/٣٦؛ ١٢/٤٠؛ ٣٠/٣٠ و٤٣.

٢ . و«الدِّين» في الإســلام، من تأسيسٍ إلهيّ. يقــوم على التوحــيد. وهو، بحسب تفســير الرازي، لــ (٣/ ١٩)، "الإيمان بالتوحيـد المطلق. والقول بأنّ الدِّين عند اللّه الإســلام يقضــي أن يكون الدِّينُ المقبــولُ عند اللّه ليس إلاّ الإســلام. وفي قــوله: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَـيرَ الإسْـلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْـبَلَ مِنْهُ» يعني: لو كـان الإيمان غيـر الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان دينًا مقبولاً عند اللّه تعالى".

٣ . وكذلك «النصرانيّة»، بحسب القرآن والمسلمين، هي أيضًا «دِين». وهي مـثل اليهـوديّة والإســلام والصابئــة. قال: «إنّ الذيــن آمنوا (أي المسلمين) والذين هَادوا والنَّصــارى والصَّابئين» (٢/ ٦٢؛ ٥/ ٦٩)، هؤلاء، إن عــملوا صالحًــا، فازوا بجنّات النعيم.

٤ . وأغرب ما في الأمر اعتبارُ القــرآن «الوثنيّةَ» و«المجوسيّةَ» و«الصابئةَ» أدياناً بمستوى اليهوديّة والنصرانيّة والإسلام، يجمع اللّهُ بينها، في هذه الدنيا. أمّا في الآخرة فــيفصلُ بينهــا تبعًا لأعــمال كلٍّ منها. جــاء في ســورة الحجّ: «إنّ الّذينَ آمَنوا (المسلمين) والّذينَ هادوا (اليــهود) والصّابئِينَ والنَّصــارى والمجوسَ والّذينَ أشركوا (الوثنيّين). إنّ اللّهَ يفصل بينهم يومَ القيامة» (٢٢/ ١٧).

٥ . يبــدو، ممّا تقــدّم، أنّ كلّ مَن له صلةٌ باللّه، يــكون له «دِين». ولكلِّ دِينٍ نَبِيُّه وكتابُه وعقيدتُه وتعاليــمُه وشريعتُه وعباداتُه ومناسكُه وشعائرُه ونظرتُه إلى الكون والإنسان والتاريخ... بهذه المجموعة مــن القضايا، يُسمِّي الإسلامُ كلَّ علاقةٍ باللّه «دِيناً»، ويعترف به على أنّه دين من بين الأديان.

٦ . غــير أنّ القــول بأنّ «الدِّينَ عندَ اللّهِ الإســلام» هو قول قــد لا يصحّ مع الاعتراف بسائر الأديان. فإمّا الإسلام وحــدَه، وإمّا القبول بالأديان كافّة. والقولان موجودان في القرآن: القبــول بتعدّد الأديان واردٌ في قوله: «لا إكراه في الدين»[٣]؛ والقبول بمبدأ الإسلام وحدَه واردٌ أيضــاً في قوله: «مَن يَبتغِ غيرَ الإسلام دِينًا فلن يُقبَلَ منه» (٣/ ٨٥).

(٣) ٢/ ٢٥٦؛ رَ: ٥/ ٤٨؛ ١٠/ ٩٩ و١٠٨؛ ١٨/ ٢٩؛ ٣٠/ ٢٢..

٧. من البديهي أن يرفضَ المسلمون تعدّدَ الأديان، إستناداً إلى قولهم بمبدإ «الناسخ والمنسوخ»، الذي هو إلغاء الأديان السابقة، واستبدالها بأنسب منها وأكمل. واستناداً أيضًا إلى أنّ أصحاب الأديان قد حرّفوا وبدّلوا في الكتب المنزَلة، كاليهود، أو غالوا وأشركوا وكفروا، كالمسيحيّين.. وكلّهم كافر. يرفضهم الإسلامُ رفضاً صريحاً. ولهذا شَرَّع الجهادَ فريضةً مقدّسةً لا بدَّ منها، لإحقاق الحقِّ، ونشرِ رايةِ الإسلام، وعلى «ألاّ يبقى في الجزيرة العربيّة إلاّ الإسلام».

٨. وأخيراً نقول: إنّ القول بأنّ اللّهَ أنشأ ديناً لهؤلاء أو لأولئك من البشر، هو قولٌ فيه امتهانٌ لسيادة اللّه على العالم، أكثر ممّا فيه تمجيد وتكريم وعبادة. إنّ حصْرَ محبّةِ اللّهِ في جماعةٍ خاصّةٍ لَهُوَ إهانةٌ كبرى في حقِّ اللّه، لأنّ البشر كلّهم هم أبناؤه، ويعنيه خلاصُهم جميعهم. فالقول بالدِّين نفيٌ للّه. وبالتالي، فإنّ نفي الدِّين نعمةٌ من اللّه. لهذا، فالمسيحيّة، في حقيقتها، بريئة من كلِّ دِين.

٩. والسبب هو أنَّ الأديان كلَّها طرقٌ يبحث فيها الإنسانُ عن اللّه. أمّا في المسيحيّة فاللّهُ هو الذي يبحث عن الإنسان. وهذا هو الفرق الحاصل بين المسيحيّة والأديان جميعها. وهو فرْقٌ كبيرٌ جدًا، إلى درجة أنَّ المسيحيّة لا تدخل في سياق الأديان جميعها؛ ومع هذا، فهي تعترف بما فيها من حقّ: «الكنيسة الكاثوليكيّة لا ترفض شيئاً ممّا هو حقّ ومقدّس في هذه الأديان. إنّها تحترم بصدقٍ أساليبَ العمل والحياة، والقواعد والمعتقدات، مهما اختلفت عمّا هو عندها، وتعتبر أنّ فيها نوراً من الحقيقة التي تنير جميع البشر»[٤].

الدِّيْنَوَرِيّ (أبو حنيفة أحمد) (ت ٢٨٢هـ/ ٩٨٥م) : عالم موسوعي من مدينة الدينور القريبة من همذان في إيران. كان نحويًا لغويًا، راوية ثقة، جغرافيًا، مؤرِّخاً، عالماً بالرياضيّات، فلكيًا. يقول عنه ابن حيّان التوحيدي: إنّه أحد ثلاثة من نوادر الرجال، والآخران هما الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) والبلخي (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م). ويتميّز عنهما بأنّه أوسع منهما معرفة بالثقافتَين الهنديّة واليونانيّة.

---

(٤) بيان في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة، عد ٢.

لم يبقَ من مؤلّفاته الكثيرة إلاّ القليل. وفي مقدّمة كتبه كتابه التاريخيّ «الأخبار الطوال»؛ ثمّ كتاب «النبات» الذي يعدّ من أوّل المؤلّفات العربيّة الشاملة في موضوعه؛ ثمّ كتاب «الأنواء» في مجال علم الفلك. وله أيضاً: «تفسير» القرآن في ١٣ مجلّداً، وكتاب «ما تلحن فيه العامّة»، وفي الجغرافية «البلدان»، وفي الرياضيّات «حساب الذرّ»، و«الجبر والمقابلة»، إلخ.

الدية : ١ . عرّفها بعض الحنفيّة بأنّها اسم للمال الذي هو بدل النفس؛ وعرّفها المالكيّة: هي مال يجب بقتلِ آدميٍّ حرٍّ عوضاً عن دمه.. وقلّما يجري فيها العفو لعظم حرمة الآدميّ. أو هي الغرامة، أو التعويض يدفعه مَن قَتل رجلاً. ويُقال إنّ دية القتل كانت في الجاهليّة عشر نوق..

٢ . الأصل في مشروعيّة الديّة قوله تعالى: «ومَن قتلَ مؤمناً خَطأً فتحريرُ رَقَبَةٍ مؤمِنةٍ وَدِيَةٌ مُسلمَةٌ (مؤدّاة) إلى أهله (أي ورثة المقتول)، إلاّ أنْ يَصّدَّقُوا (يتصدّقوا عليه بأن يعفوا عنها)» (٤/ ٩٢).. وقد أجمع أهل العلم على وجوب الدية. والحكمة في وجوبها هي صون بنيان الآدمي عن الهدم، ودمه عن الهدر.

٣ . تختلف الديّة ومقدارها بحسب اختلاف نوع الجناية وصفة المجني عليه.. ويُشترط لوجوب الديّة أن يكون المجني عليه معصومَ الدم، أي مصونَ الدم. فإذا كان مُهدَر الدم، كأن كان حربيًا، أو مستحقَّ القتل حدًا، أو قصاصاً، فلا تجب الدية بقتله لفقد العصمة. والدية واجبة سواء أكان القاتل أو المقتول مسلماً، أم ذمّيًا، أم مستأمناً. وكذلك واجبة بقتل صبيّ أو مجنون.

الدّيّوث : ١ . من دَيَّثَ. وهو الرجل الذي لا غيرة له على أهله. والدِياثة فعْله.. وفي اصطلاح الفقهاء: الدياثة هي عدم الغيرة على الأهل والمحارم.

٢ . الدياثة من الكبائر لقول النبي: «ثلاثة لا يدخلون الجنّة: العاقّ لوالديه، والديّوث، ورجلة النساء»[1].. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «إنّ الحرابة في

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٧٢، ط. دائرة المعارف العثمانيّة، من حديث ابن عمر.

الفـروج أفحش منهـا في الأمـوال، وإنّ الناس كلّهم لَيـرضون أن تذهب أمـوالُهم، وتحرب من بين أيديهم، ولا يحـرب المرء من زوجته أو بنته. ولو كان فـوق ما قال اللّه عقوبة، لكانت لمن يسلب الفروج»[٢].

٣ . ذهب الفقـهاء إلى أنّ الدياثة من مـقتضـيات الطلاق وأسبـابها (راجع مادّة: **طلاق**). وقالـوا: مَن شتم آخـر بأن قال له : يا ديّوث، فـإنّه يعزر ولا يُحـدّ.. وذكر الشـافعـيّة والحنابلة أنّ الدياثـة من الأمور المسقـطة للعدالة، أي لا شـهادة لديّوث[٣].

---

(٢) أحكام القرآن لابن العـربي ٢ / ٥٩٤؛ الشرح الصـغيـر للدردير ٤ / ٤٩١؛ الكبائر للذهبي، ص ١٠٠؛ كبيرة ٢٧.

(٣) راجع: حاشيـة الدرر على الغرر، ص ٤٢٩، ط. العثـمانيّة؛ حاشيـة ابن عابدين ٤ / ٣٧٧، ط. المصريّة؛ فتح الـقدير ٦ /٣٨، ط. الأميريّة؛ مواهب الجليل ٦ / ١٥١، ط. الـنجاح؛ الدسوقي ٤ / ١٦٥، ط. الفكر؛ الخـرشي ٧ /١٧٧، ط. بولاق؛ الـزرقـاني ٧ /١٥٨، ط. الفكر؛ جـواهر الإكليل ٢ /٢٣٣، ط. المعـرفة؛ أسـنى المطالب ٤ / ٣٤١، ط. الميمنـيّة؛ روضـة الطالبين ١١ / ٢٢٣، ط. المكتب الإسلامي؛ كشّاف القناع ٥ / ٤٢١، ط. النصر.

ذ

الذُؤَابَة : الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة.. وهي: العقيصة، والضفيرة، والضميرة، والغديرة، والعذبة. وهي أيضاً: طرف العمامة المرسل على العنق فأسفل.

ذَاتُ الصَّوَارِي : معركة بحريّة وقعت بين العرب والبيزنطيّين على ساحل ليقية. أحرز فيها العرب انتصاراً كبيراً بقيادة ابن أبي سَرح ضدّ قسطنطين الثاني سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م.

ذَاتُ عِرْق : ميقات أهل العراق ومَن يمرّ بها من أهل الآفاق. وهي على مرحلتَين من مكّة. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ الإحرام منها واجب على كلّ مَن مرّ بها من أهلها أو من غيرهم، قاصداً مكّة لأداء أحد النسكَين، الحجّ والعمرة.

الذَّبَائِح : ١ . جمع ذبيحة، وهي الحيوان المذبوح.. ويُطلق الذبْح، في اللغة، على الشَقّ، وهو المعنى الأصلي. ثمّ استعمل في قطع الحلقوم (وهو مجرى النَّفَس) من باطنٍ (أي مقدم العنق) عند النَّصِيل (وهو ما بين العنق والرأس تحت اللحيين). ويعني أيضاً: القطع في الحلق (وهو ما بين اللَّبَّة واللحيين[1]).

٢ . وثمّة ألفاظ ذات صلة بالذبح، مثل : **النَّحر**، و **العَقْر**، و**الجرح**، و**الصيد** و**التذكية** (هي السبب الموصل لحلّ أكل الحيوان البرّيّ إختياراً) (أطلب هذه الموادّ).. والذَّبْح أسهل لخروج الروح من أي نوعٍ من أنواع القتل. النحر للإبل ولكلّ ما طال عنقه من الزراف والفيلة، والذبح للبقر والغنم وكلّ ما قدر عليه من بقر الوحش وحمره وخيله وبغاله، لقوله: «فصلِّ لربِّكَ وانْحرْ» (١٠٨/ ٢)، وقوله: «إنّ اللّهَ

---

(١) **اللَّبَّة** : وهي الثغرة بين الترقوتَين أسفل العنق. ا**للَّحيين**، مثنى اللَّحي، وهما العظمان اللذان يلتقيان في الذقن، وتنبت عليهما الأسنان السفلى.

يأمُـرُكم أن تَذْبَحوا بقـرةً» (٢/ ٦٧)، وقوله: «وفَـدَيناهُ بِذِبْحٍ عَظيم» (٣٧/ ١٠٧)، والذِّبْح بمعنى المذبوح، وهو الكبش الذي فدي به إسماعيل.

٣. والحكمة في اشتراط الذَّبْح أنّ الحرمة في الدم المسفوح، الذي لا يطيب مع قيامه. ولهذا يفسد في أدنى مدّة لا يفسد في مثلها المذبوح. وكذا **المنخنقة** (الميتة خنقاً) و**الموقوذة** (المقتولة ضرباً) و**المتردية** (الساقطة من علو) و**النطيحة** (المقتولة بنطح أخرى لها) **وما أكلَ السَّبُعُ**، إذا لم تُدرَك حيَّةً، فتذبح أو تنحر.

٤. يشترط لصحّة الذبح :

١ – أن يكون المذبوح حيًا وقت الذبح؛

٢ – أن يكون زهوقُ روحه بمحض الذبح؛

٣ – ألاّ يكون صيداً حرَمياً؛

٤ – ألاّ يكون مختصًا بالنحر (المالكيّة فقط)؛

٥ – وأن يكون الذابح عاقلاً، مسلماً أو كـتابيًا (لقوله: «وطعامُ الذين أُوتُوا الكتابَ حلٌّ لكم» (٥/ ٥)؛

٦ – وأن يكون حـلالاً إذا ذبح صيـد البرّ (لقـوله: «يا أيّهـا الذين آمنوا! لا تقـتلوا الصيـد وأنتم حرم» (٥/ ٩٥)، وقـوله: «وحرّم عليكم صـيد البـرّ ما دمـتم حرماً» (٥/ ٩٦)؛

٧ – وأن يُسمّي اللّه على الذبيحة (لقوله: «ولا تأكلوا ممّا لم يُذكر اسمُ اللّه عليه» (٦/ ١٢١)؛

٨ – وألاّ يهلّ بالذبح لغير اللّه (لقوله: «وما أهلّ لغير اللّه به» (١٦/ ١١٥)؛

٩ – وأن يقطع من مقدم العنق، فلا تحلّ الذبيحة إن ضربها من القفا؛

١٠ – وألاّ يرفع يده قبل تمام التذكية؛

١١ – وأن ينوي الذابح التذكية الشرعيّة؛

١٢ – أن تكون آلة الذبح قاطعة؛

١٣ – وأن لا تكون سنًا أو ظفراً قائمَين.

٥ . الحيوان المـأكول، إن كان سمكاً أو جـراداً، فلا حاجة إلى تذكـيته، لأنّ ميتـتهما طاهرة حلال، لقـول رسول اللّه: «أُحلَّتْ لنا ميتـتان ودمان. فأمّا الميـتتان فالحوت والجراد؛ وأمّا الدمـان فالكبد والطحال»[٢]، وقوله في البحر: «هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته»[٣].

٦ . عيوب الذبائح: الذبيحة

الجذماء : مقطوعة اليد أو الرجل؛

الجذاء : التي قطعت رؤوس ضروعها أو يبست؛

العجفاء : وهي المهزولة التي ذهب نقيها، أي المخّ الذي في داخل العظام؛

البخراء : منتنة رائحة الفم؛

الجمّاء، والجلحاء : التي لا قرن لها خلقة، أو مكسورة القرن؛

الحولاء : وهي التي في عينها حوَل لم يمنع البصر؛

الصمعاء : الصغيرة إحدى الأذنين، أو كليهما؛

الشرقاء : وهي مشقوقة الأذن، وإن زاد الشقّ عن الثلث؛

الخرقاء : مثقوبة الأذن؛

المدابرة : وهي التي قطع من مؤخّر أذنها شيء وتُرك معلّقاً؛

الهتماء : وهي التي لا أسنان لها؛

الثولاء : وهي المجنونة التي لا تهتدي لما ينفعها، ولا تجانب ما يضرّها؛

المكويّة : وهي التي كويت أذنها أو غيرها من الأعضاء؛

المجبوب : وهو ما قُطع ذَكَرُه؛

المجزوزة : وهي التي جزّ صوفُها؛

الساعلة : وهي التي تسعُل؛

---

(٢) أخرجه أحمد ٢/٩٧، ط. الميمنيّة؛ البيهقي ١٠/٧، ط. دائرة المعارف العثمانيّة؛ صحّحه الدارقطني في التلخيص ١/٢٦، شركة الطباعة الفنّيّة.

(٣) أخرجه أبو داود ١/٦٤، تحقيق دعاس؛ الترمذي ١/١٠١، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة؛ وصحّحه البخاري كما في التلخيص الحبير ١/٩، ط. شركة الطباعة الفنّيّة.

العشواء : وهي التي تبصر بالنهار دون الليل، وكذا العمشاء؛
الموجوء : هو المدقوق الخصيتين، وقيل: هو الخصيّ.

ذُبْيَان : قبيلة عربيّة من غَطفان من العدنانيّة، أخت عَبس، كانت بينهما حرب داحس والغبراء. منها كان النّابغة الذُّبيانيّ.

الذَّرْق : لغةً: خرء الطائر. من ذرق الطائر إذا رمى بسلحه. وهو من الطائر كالتغوّط من الإنسان.. والألفاظ التي تُطلق على فضلة الحيوان الخارجة من الدبر: **الروث** يكون للفرس والبغل والحمار؛ **والخثى** للبقر والفيل؛ **والبعر** للإبل والغنم؛ **والخرء** للطيور؛ **والنجو** للكلب؛ **والعذرة** للإنسان؛ **والرجيع** يطلق على الروث والعذرة.

الذَّرِيْعَة : لغةً: الوسيلة المفضية إلى الشيء.. وأصلها الجَمَل الذي يستتر به رامي الصيد. يمشي الصيّادُ إلى جنبه، فيستتر، ويرمي الصيد.

الذَّقَن : في اللغة: مُجْتَمَع اللَّحْيَيْن من أسفلهما. ويُطلق أيضاً على الوجه كلّه، تسميةً للكلّ باسم الجزء، كما ورد في القرآن: «يَخِرُّونَ للأذْقانِ سُجَّداً» (١٧/ ١٠٧)، قال ابن عبّاس: أي للوجوه.. اتّفق الفقهاء على أنّ الذقن من الوجه، فيجب غسْله في الوضوء، لقوله: «يا أيّها الذين آمَنوا! إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» (٥/ ٦). من الألفاظ ذات الصلة: **اللحية، الفكّ، الحنك، اللَّحْي**.

الذَّكَاة : لغةً، من ذَكَا وذكّى الذبيحةَ، أي: ذَبَحها؛ والذَكا والذَّكاة: الذَّبْح، وتقع على الحيوان الذي يؤكل لحمه. قال: «حُرِّمَتْ علَيكمُ المَيْتَةُ (أي أكلُها)، والدَّمُ، وَلحمُ الخِنْزِيرِ، وما أُهِلَّ لغيرِ اللَّهِ بهِ، والمُنْخَنِقَةُ، والمَوقُوذَةُ (المقتولة ضرباً)، والمُتَرَدِّيَةُ (الساقطة من علو إلى أسفل فماتت)، والنَّطِيحَةُ (المقتولة بنطح أخرى لها)، وما أكَلَ السَّبُعُ، إلاّ مَا ذَكَّيْتُمْ (أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه)، وما ذُبِحَ على (اسم) النُّصُبِ، وأن تَسْتَقْسِمُوا بالأزلامِ (أي تطلبوا القسم والحكم بالأقداح) (٥/ ٣).

وللذَّكاة شروط :

١ – التسمية عند الذبح (ر: ٦/ ١٢١)؛

٢ – قطع الأوداج الأربعة (المري، الحلقوم، الأبهران)؛

٣ – أن يكون الذابح مسلماً، أو كتابيًا؛

٤ – أن يتمّ الذبح بآلة جارحة.

الذِّكْر : ١ . أُطلق الذِّكر في القرآن على معانٍ كثيرة :

١ – على القرآن نفسه، في مثل قوله: «وهذا ذِكْرٌ مباركٌ أنزلناه» (٢١/ ٥٠)، وقوله: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذِّكْرِ الحكيم» (٣/ ٥٨).

٢ – وعلى التوراة، في قوله: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِّكْرِ أنّ الأرضَ يرثُها عبادي الصالحون» (٢١/ ١٠٥).

٣ – وعلى كتب الأنبياء المتقدِّمين، في قوله: «فاسألوا أهلَ الذِّكْرِ إنْ كُنتم لا تَعلَمون» (٢١/ ٧)، في قوله: «أم اتّخذوا مِن دونه آلهةً. قلْ هاتوا برهانَكم. هذا ذِكْرُ مَن معي، وذِكْرُ مَن قبلي» (٢١/ ٢٤).

٤ – وعلى النبيّ في قوله: «قد أنزل اللّه إليكم ذِكْراً، رسولاً» (٦٥/ ١٠–١١). فقد قيل: إنّ الذِّكْرَ هنا وصْف للرسول، كما أنّ الكلمة وصْف لعيسى.

٥ – وأطلق الذِّكر بمعنى الصيت، والشرف، من حيث أنّ صاحبهما يذكر بهما. وقد فسّر بهما قوله: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذِكْرُكم» (٢١/ ١٠)، وقوله: «وإنّه لذِكْرٌ لك ولقومك» (٤٣/ ٤٤).

٦ – وأطلق الذِّكْرُ بمعنى الاتّعاظ وما يحصل به الوعظ، وقد فسّر بذلك قوله: «ولقد يسّرنا القرآنَ للذكر. فهل مِن مدكّر» (٥٤/ ١٨)، وقوله: «أفنضرب عنكم الذِّكْرَ صفحاً أن كنتم قوماً مسرِفين» (٤٣/ ٥). قال الرازي: المعنى: أنردّ عنكم النصائح والمواعظ.

٧ – وعلى اللوح المحفوظ، وذلك في قول النبيّ: «وكتب اللّهُ في الذِّكْر كلَّ شيء».

٨ – وعلى الوحي كما في قوله: «أَأُلْقِيَ الذِّكرُ عليه من بَيننا» (٥٤/٢٥)، أي لم يوحَ إليه.

٩ – وعلى العلم كما في قوله: «فاسألوا أهلَ الذِّكرِ» (٢١/٧)؛

١٠ – وعلى الصلاة كما في قوله: «فاسْعَوا إلى ذكر الله (٦٢/٩).

٢ . ذكرُ الله تعالى محبوب مطلوب من كلّ أحد، مرغوب فيه في جميع الأحوال، إلاّ في حال ورد الشرع باستثنائها، كحال الجلوس على قضاء الحاجة، وحال الجماع، وحال سماع الخطبة.. ودليل استحبابه أنّ الله أمر به في آيات كثيرة، ونهى عن ضدّه من الغفلة والنسيان، وأثنى على أهله، وأخبر عن خسران مَن لها عن الذكر بغيره، وأخبر أنّه أكبر من كلّ شيء، وجعله قرين الأعمال الصالحة، وجعله مفتتحها ومختتمها..

٣ . منزلة الذكر بين شعائر الدين عظيمة:

١ – إنّ الذكر بمعنى تلاوة كتاب الله هو أفضل الأعمال على الإطلاق.

٢ – إنّ جميع العبادات إنّما شرّعت لإقامة ذكر الله، من ذلك قوله في شأن الصلاة: «وأقم الصلاة لذكري» (٢٠/١٤).

٣– إنّ الله مع الذاكرين، وإنّه يذكر مَن ذكره، ومن نسي الله نسيه وأنساه نفسه، قال: «فاذكروني أذكركم» (٢/١٥٢)، وقال: «نسوا اللهَ فنسيهم» (٩/٦٧).

٤ – إنّ ذكر الله يحصّن الذاكر من وسوسة الشيطان ومن أذاه، قال: «إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون» (٧/٢٠١).

٥ – ما في الذكر من الأجر العظيم، ومن ذلك ما في الحديث: «ألا أحدّثكم شيئاً تُدركون به مَن سبقكم، وتسبقون به مَن بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلاّ مَن صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: تسبّحون وتحمدون وتكبّرون خلف كلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١١/٣٢٥؛ مسلم ١/٤١٦،من حديث أبي هُريرة.

٦ - إنّ في الذكر حياة قلب الذاكر، ولينه، وزوال قسوته، وفي الصحيح: «مثَلُ الذي يَذكر ربّه والذي لا يذكر ربَّه مَثَل الحيّ والميت»[٢].

٧ - إنّ الذكر أيسر العبادات مع كونه أجلّها وأفضلها وأكرمها على اللّه. فإنّ حركة اللسان أخفُّ حركات الجوارح. فبه يحصل الفضل للذاكر، وهو قاعد على فراشه وفي سوقه، وفي حال صحّته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذّته، ومعاشه، وقيامه، وقعوده، واضطجاعه، وسفره، وإقامته. فليس شيء من الأعمال الصالحة يعمّ الأوقات والأحوال مثله.

٤ . أمّا الذِكر في التصوّف فهو ركن من أركانه الأساسيّة. وهو ترديد لبعض العبارات مرّات كثيرة جدًا. مثل : «لا إله إلاّ اللّه. سبحان اللّه. الحمد للّه. اللّه أكبر. أستغفر اللّه». وكذلك أسماء اللّه الحسنى. وربما صحب الذكرَ أغانٍ صوفيّة لا يفرَّق بينها وبين أغاني الحبّ في كثير من الأحيان؛ كما يصحبه الرقص والنقر على شتّى أنواع الدفوف والنفخ في النايات.

الذَّكَر : إسم للعضو التناسلي، جمْعُه: ذِكَرَة، ومَذَاكير. اختلف الفقهاء في انتقاض الوضوء بمسّ الذَكَر بالكفّ. فالمالكيّة والشافعيّة والحنابلة يذهبون إلى انتقاض الوضوء؛ وأمّا الحنفيّة فيذهبون إلى عدم انتقاض الوضوء.

الذُّكُورَة : خلاف الأنوثة؛ والتذكير خلاف التأنيث؛ والذَّكَر أيضاً خلاف الأنثى؛ وجمْع الذَّكَر: ذُكْران وذُكُور وذُكُورة وذِكَار وذِكَارَة، ومنه قوله تعالى: «أو يزوّجهم ذُكراناً وإناثاً» (٤٢/٤٢).

١ . الذكورة شرط لإمامة الصلاة، إذ لا يجوز أن تَؤُمَّ المرأةُ رجلاً، ولا امرأةً مثلها، سواء كانت الصلاة فريضةً أو نافلة، وسواء عدمت الرجال أو وُجدت، لحديث: «لن يفلح قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة»[١]..

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١١/٢٠٨، ط. السلفيّة، من حديث أبي موسى.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٣/٥٣، ط. السلفيّة، من حديث أبي بكرة.

٢ . وكـذلك اتّفق الفقـهاء علـى أنّ من شروط وجـوب الجمـعة الذكـورة المحقّـقة، فـلا تجب على امرأة ولا على خنثى، لقـوله: «الجمعـة حقٌّ واجب على كلّ مسلم في جماعة إلاّ أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبيّ، أو مريض»[٢]..

٣ . واختلف الفـقهاء في مَن يـتولّى عقـد النكاح، فذهب قوم إلى اشـتراط الذكورة في الوليّ، وأنّ المرأة لا تملك تزويج نفسـها ولا غـيرها، بكراً كانت أو ثيّباً، فإن فعلت لم يصحّ النكاح لقول النبي: «لا نكاح إلاّ بوليّ وشاهدَي عدل»[٣]، وقوله: «أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل»[٤].

٤ . واتّفق الفقهاء على أنّ الذكورة المحقّقة شرط من شروط وجوب الجهاد على المسلم، فلا يجب جهاد على امرأة، ولا على خنثى، لما روت عائشة أنّها قالت: يا رسولَ اللّـه! هل على النساء جـهاد؟ فقـال: نعم. عليهنّ جـهادٌ لا قـتال فـيه: الحجّ والعمرة»[٥]..هذا إذا لم يكن النفير عامًّا؛ فـأمّا إذا عمّ النفير بأن هجم العدوّ على بلد فـهو فـرْض عين يفتـرض على كلّ واحـد من آحاد المسلـمين ممّن هو قادر عليـه، فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها، والولد بغير إذن والديه[٦].

٥ . وقال الفقهاء: لا تُضرب الجزية إلاّ على الرجال. فلا جزية على امرأة.

٦ . واختـلف الفقـهاء في اشـتراط الذكـورة في القضـاء، فذهب المالكـيّة والشافـعيّة والحنابلة إلى اشتـراط الذكورة في القاضي.. ويرى الحنفـيّة جواز أن تكون المرأة قاضية في غـير الحدود، لأنّ شهادتها تُقبل في ذلك.. فمـا يُقبل شهادة المرأة فيه يجوز أن تتولّى القضاء فيه. وما لا فلا (راجع مادّة: **أنوثة**).

---

(٢) أخرجه أبو داود ١ / ٦٤٤، تحـقيق دعاس؛ الحاكم ١ /٢٨٨، ط. دائرة المعارف العثـمانيّة، من حديث طارق بن شهاب.

(٣) أخرجه الدارقطني ٣ / ٢٢٧، ط. دار المحاسن، من حديث عائشة.

(٤) أخرجه الترمذي ٣ / ٢٩٩، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

(٥) أخرجه ابن ماجة ٢ /٩٦٨، ط. الحلبي، وإسناده صحيح.

(٦) راجع: البـدائع ٧ /٩٨؛ الفـواكه الدواني ١ /٤٦٣؛ ومـغني المحـتـاج ٤ /٢١٦؛ والمغني لابن قدامة ٨ /٣٤٧.

الذِّمَّة : (راجع مادّة: **أهل الذمّة**). هي في الفقه الإسلامي العهد الذي يُعطَى لأهل الكتاب الذين يعيشون في دار الإسـلام، ولا يدخلون في الإسلام. بهذا العهد يؤمَّنون على حيـاتهم وحرّيتهم، ثمّ على أمـوالهم، ولا يُستَرَقُّون. ويُسـمَّون «أهل الذِّمَّـة»، أو «الذِّمَّة»، أو «الذِّمـيِّين». أمّـا إذا أُسر الذمّـيّون فـي حربٍ فـيُقـتلون، أو يُسبَون، أو يُفتدون، أو يُستبدلون بغيرهم، أو يُطلق سراحهم. على أنّه لا مناص من أن تُسبَى زوجات المحاربين منهم وأطفالهم.

الذَّهَبِيّ (شـمس الدين أبو عـبـدالله) (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) : وُلد وتوفّي بدمشق. أصله من ديار بكر في تركيّا. طاف في كثـير من البلدان. وصفه الصفدي بأنّه «ذهن يتوقّد ذكاؤه ويصحّ إلى الذهب نسبته وانتماؤه». اشتهر بعلمَي التاريخ والحديث. كتب تراجم لبعض معاصريه وهم بعدُ على قيد الحياة.

من مـؤلّفاته: تذكـرة الحفّـاظ في ٤ أجـزاء؛ المشتـبه في أسـماء الرجـال والمشتبـه في الأسماء والأنساب والكنى والألقاب، وهو معـجم للأعلام مرتّب على حروف المعـجم؛ ميزان الاعـتدال في نقـد الرجال؛ تجريد أسـماء الصـحابة؛ الطب النبويّ؛ سيـر أعلام النبلاء، نشر في أكثر من ٢٧ مـجلّداً ببيروت ١٤١٣هـ؛ دول الإسلام؛ تاريخ الإسـلام الكبير، طبع في ٣٦ مجلّداً؛ مـعجم الشيوخ، وهو مـعجم تراجم لشيوخه وفيه ١٣٠٠ ترجمة؛ العِبـر في خبر مَن غبر؛ الكبائر وبيان المحارم؛ إلى غير ذلك من مصنّفات.

ذُو الحُلَيْفَة : هو ميقات أهل المدينة، بينه وبين المدينة ستّة أميال، وبينه وبين مكّة مائتا ميل إلاّ ميلَين.. بها مسجد يُعرف بمسجد الشجرة، خراب، وبها بئر، يقال لها: بئر علي.. أمّا الآن فالمكان والمسجد عامران، وفيها مرافق للمسافرين والحجّاج (راجع مادّة: **الميقات**).

ذُو الرُّمَّة (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) : لقب غَيـلان بن عُقبـة. شاعر أمـويّ كان يتردّد على البصرة والكوفة. أغرم بحبّ ميّة فأكثر من ذكرها في شعره حتّى عُرف بها. عاصر جرير والفرزدق. له «ديوان».

ذُو الفِقَار : إسم سيف كان للمُنَبِّه بن الحجّاج، قتله عليّ بن أبي طالب يوم بدر، وأخذه منه، ثمّ قدّمه هديّةً إلى رسول اللّه.. وأعطاه رسولُ اللّه لعلي يوم الخندق، فبارز به عَمرو بن عبد ودّ أشدَّ فرسان قريش بأساً، فقضى عليه. وانطلقت المقولة الشهيرة: «لا فتًى إلاّ عليّ، ولا سيف إلاّ ذو الفقار». على هذا السيف كتابة تشير إلى دية القتل، تنتهي بعبارة: «لا يُقتل مسلمٌ بكافر».. ثمّ أصبح «ذو الفقار» إسماً يُطلق على الرجال، وخاصّة بين الشيعة.

ذُو قَار : من أيّام العرب المشهورة. انتصر فيه بنو وائل على الفرس بمَوقع ذي قار بين الكوفة وواسط، سنة ٦١٠م.

ذُو القَرْنَين : ١ . الإسكندر الأكبر. ذُكر في القرآن بهذا الاسم، أخذاً بصورته الأصليّة الواردة في الأسطورة السريانيّة التي ظهرت في القرن السادس للميلاد، والتي جاء فيها أنّ الإسكندر خاطب اللّه قائلاً: «إنِّي أعلم أنّك جعلتَ قرنَين ينموان فوق رأسي حتّى أستطيع بهما القضاء على ممالك العالم». وقد بيّن نولدكه أنّ الأسطورة السريانيّة هي أصل عبارة «ذي القرنين» الواردة في القرآن.

جاء في القرآن : «ويَسْألونَكَ (أي اليهود) عَن ذي القرْنَين (أي الإسكندر). قلْ: سَأتلُو عليكُمْ منه (من حاله) ذِكْراً (خبراً) : إنَّا مَكَّنَّا له في الأرضِ، وآتَيناهُ مِن كلِّ شيءٍ سَبَباً (أي طريقاً يوصله إلى ما يريد) .

فَأتْبَعَ سَبَباً (آخر، أي سلك طريقاً نحو الغرب) . حتّى إذا بلغَ مغربَ الشمسِ وجَدَها تغرُبُ في عَينٍ حَمِئَةٍ (كالطين الأسود). ووجَدَ عندَها قَوماً (كافرين) . قلنا: يا ذَا القرْنَين: إمّا أن تُعَذِّبَ (القومَ بالقتل)، وإمّا أن تَتَّخذَ فيهم حُسْناً (بالأسر) . قال: أمَّا مَن ظَلَمَ (بالشرك) فسوفَ نُعَذِّبُه (نقتله). ثُمَّ يُرَدُّ إلى رَبِّهِ فيُعذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً (شديداً في النار) . وأمّا مَن آمَن وعمِلَ صالحاً فلهُ جَزاءً الحُسنى (أي الجنّة). وسَنَقولُ لَهُ مِن أمْرِنا يُسْراً (أي نأمره بما يسهل عليه) .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (نحو المشرق) . حتّى إذا بلغَ مَطْلِعَ الشمْسِ وَجَدها تَطْلُعُ على قومٍ (هم الزنج) لم نَجعَلْ لهمْ مِن دونِها (أي الشمس) سِتْراً (من لباس ولا سقف).

كذلكَ وَقَد أَحَطْنا بما لديهِ (أي عند ذي القرنَين من الجند والعتاد وغيرهما) خُبْراً (علماً).

ثمَّ أَتْبَعَ سَبَباً. حتّى إذا بَلَغَ بينَ السَّدَّينِ (في جبلَين ببلاد الترك) وجَدَ مِنْ دونِهِما (أي أمامهما) قوماً لا يكادونَ يَفقَهونَ قولاً. قالوا: يا ذَا القَرنَين! إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفْسِدونَ في الأرض. فهل نجعَلُ لكَ خَرْجاً (جعلاً من المال) على أن تَجْعَلَ بَيننا وبينَهُمْ سَدًا (حاجزاً فلا يصلوا إلينا). قالَ: ما مكَّنِّي فيهِ رَبِّي (من المال وغيره) خَيْرٌ (من خرجكم). فَأَعينوني بقُوَّةٍ (لما أطلبه منكم) أَجْعَلْ بينَكم وبينَهمْ رَدْماً (حاجزاً حصيناً). آتوني زُبَرَ الحَديدِ (قطعه) حتّى إذا ساوَى بينَ الصَّدَفَينِ (أي جانبي الجبلَين) قال: انْفُخُوا (فنفخوا) حتّى إذا جَعَلَه (أي الحديد) ناراً، قال: آتوني أُفْرِغْ عليهِ قِطْراً (نحاساً مذاباً). فما اسْطاعوا (أي يأجوج ومأجوج) أنْ يَظْهَرُوهُ (أي يعلوا ظهره لارتفاعه). وما استَطاعوا له نَقْباً (لصلابته وسمكه).

قال (ذو القرنَين): هَذا (أي السدّ) رحمَةٌ مِن ربِّي (لأنّه مانع من خروجهم). فإذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي (بخروجهم القريب من البعث) جَعَلَهُ دَكّاءَ (مدكوكاً). وكانَ وَعدُ رَبِّي (بخروجهم) حقًا» (١٨/٨٣-٩٨).

ذُو الكِفْل: شخصٌ ذكَرَه القرآن في كلامه عن طائفة من الأنبياء يحيط بحقيقة أشخاصهم غموض وشكّ (٢١/٨٥؛ ٣٨/٤٨). قيل سمّي بذلك لأنّه كفل مئة نبيّ فرّوا من القتل.

ذُو نُوَاس (ت ٥٢٤م): آخر ملوك حِمْيَر التبابعة. فتح نجران سنة ٥٢٣م، وأحرق أهلَها النصارى بني الحارث بن كَعب في أخدود النار. قضى عليه نجاشي الحبشة.

ذُو النُّون: هو يونس، أو يونان النبيّ. ذُكر في سورة الأنبياء: «وذا النونِ إذ ذَهَبَ مُغاضِباً فظنَّ أنْ لنْ نَقْدرَ عليه. فنادى في الظُّلُماتِ أن لا إلهَ إلاّ أنتَ سُبحانَكَ إنِّي كُنتُ منَ الظّالِمينَ» (٢١/٨٧). غضب على قومه فهاجر من غير أن يأذن اللّهُ له، فالتقمه الحوت، أي النون.

ذُو النُّون المَصْرِيّ (أبو الفَيض ثوبان) (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) : صوفيّ مشهور. ولد في أخميم. عاش في القاهرة، وساح كثيراً في البلاد. أدخلَ حالَ الوجد والحبِّ المطلق في التصوّف. قُبض عليه بسبب تأييده لأزليّة القرآن، فاقتيد إلى بغداد سجيناً ثمّ أَطلق المتوكّلُ سراحه. فعاد ليموت في الجيزة. من أقواله: «إجعلْ نفسَك ميتاً في أيّام حياتك حتّى يمكن أن تحيا بين الأموات عندما تموت».

ر

رَابِعَة العَدَوِيّة (ت ١٨٥هـ/ ٨٠١م) : متصوّفة مشهورة. ولدت، وتوفّيت، ودفنت في البصرة. سمّيت «رابعة» لأنّها رابعة أخوات أكبر منها. حفظت القرآن في سنٍّ صغيرة. أخذها أحد التجّار، وباعها في سوق الرقيق بستّة دراهم لرجلٍ أثقلَ عليها العمل. انقطعتْ لحياة الخلوة والعزوبة في البادية، ثمّ في البصرة حيث التفّ حولها الكثير من التلاميذ والمريدين.. منهم المحدِّث سفيان الثوري، والصوفي شفيق البلخي.

لم تترك رابعة كتباً ولا رسائل؛ بل أقوال وآراء وسيرة دُوّنتْ في بطون الكتب الصوفيّة المشهورة، مثل: الرسالة القشيريّة، والطبقات الكبرى، وكشف المحجوب، وغيرها. وراج عنها بعض أقوالها المأثورة:

سُئلتْ مرّة لماذا لا تطلب المساعدة من أصدقائها فقالت: «إنّي لأستحي أن أسأل الدنيا مَن يملك الدنيا، فكيف أسألها مَن لا يملكها؟».

واشتهر عنها قولها: «إلهي.. إذا كنتُ أعبدك رهبةً من النار فاحرقني بنار جهنّم؛ وإذا كنتُ أعبدك رغبةً في الجنّة فاحرمنيها؛ وأمّا إذا كنتُ أعبدك من أجل محبّتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي»..

وقيل لها: ما تقولين في الجنّة؟ فقالت: الجار ثمّ الدار.

ويروى أنّها كانت تقول في مناجاتها: «إلهي! أتحرق بالنار قلباً يُحبُّكَ!، فهتف بها هاتف: ما كنّا نفعل هذا. فلا تظنّي بنا ظنَّ السَّوء».

الرَّابِغ : وادٍ بين الحرَمَين قرب البحر. تبعد عن مكّة ٢٢٠ كلم، وتقع قبل **الجحفة** بقليل للقادم من المدينة. وبعد اندثار الجحفة، أصبح حجّاج البلاد الشاميّة يحرمون من رابغ إحتياطاً.

الرّازي (أبو بكر محمّد) (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م) : من أشهر أطبّاء الإسلام وفلاسفتهم. وُلد وتوفّي في الرَّيّ. درس الرياضيّات والطبّ والفلك والفلسفة والمنطق والأدب. دبَّر البيمارستان في الرَّيّ ثمّ البيمارستان العضديّ في بغداد. لُقِّب بجالينُس العرب. أحصى له الباحثون حوالي ١٤٨ مؤلَّفاً بين كتاب ورسالة، نذكر منها مصنّفات طبّيّة كثيرة، تُرجم عدد منها إلى اللاّتينيّة، وظلّت حتّى القرن ١٧ من المراجع الهامّة في علوم الطبّ.

أشهرها : «الحاوي»، وهو أكبر موسوعة طبّيّة عربيّة، يقع في ١٠ أجزاء؛ و«كتاب المنصوري»، في تشريح أعضاء الجسم، أهداه إلى المنصور بن إسحق أمير خراسان؛ ورسالة «الجدري والحصبة»، من أفضل كتب الطبّ القديمة، وهو أوّل بحث في تاريخ الأمراض الوبائيّة؛ وكتاب «الأسرار» في معرفة العقاقير بأنواعها الثلاثة: الترابيّة والنباتيّة والحيوانيّة؛ وكتاب «الحصى في الكلى والمثانة»؛ وكتاب «برء ساعة»، أي ذكر الأمراض التي يمكن شفاؤها في ساعة واحدة؛ وله كتب مطوّلة ورسائل في شتّى الأمراض.

وللرازي أيضاً: رسائل ومقالات في الفلسفة، منها «رسائل الرازي الفلسفيّة»، و«مقالة في ما بعد الطبيعة»، و«الطبّ الروحانيّ»، و«مناظرات بين أبي حاتم الرازيّ وأبي بكر الرازيّ».

الرّازيّ (أبو الفتوح) : مفسّر شيعيّ فارسيّ للقرآن. عاش بين ٤٨٠ و٥٢٥ هـ/١٠٨٧ و١١٣١م. كان معاصراً للزمخشري معتمداً عليه، ممّا جعله متأثّراً بالتفسير الاعتزالي. عنوان تفسيره: «*رَوض الجِنان ورَوح الجَنان في تفسير القرآن*»، في مجلّدين بحسب طبعة طهران سنة ١٩٠٥م. وهو أقدم تفسير شيعيّ إن لم يكن الأوّل، وقد ألّفه سنة ٥١٠هـ/١١١٦م. وقد كتبه بالفارسيّة.

الرّازيّ (فخر الدين) (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م) : وُلد في الرَّي. ذهب إلى خوارزم. ومات في هراة مسموماً بتحريض من الكراميّة. متكلّم، شافعي، أشعريّ، إمام مفسّر، فيلسوف من فلاسفة الدين. ناظر المعتزلة. له عشرات الكتب بالعربيّة

والفارسيّة. منها: «مفاتيح الغيب»، المدعوّ أيضاً «التفسير الكبير»، و«معالم أصول الدين»، و«شرح الإشارات»، و«لُباب الإشارات»، و«المباحث المشرقيّة»، و«كتاب الأربعين في أصول الدين»، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»، و«محصل أفكار المتقدّمين والمتأخرين»، و«المسائل الخمسون في أصول الكلام»، و«المناظرات في بلاد ما وراء النهر».

أمّا «التفسير الكبير» فيقع في ١٥ مجلّداً من الحجم الكبير. وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم. يمتاز هذا التفسير عن غيره بالأبحاث الفيّاضة الواسعة. لهذا يقول فيه ابن خلّكان: «إنّه -أي الفخر الرازي- جمعَ فيه كلّ غريب وغريبة»[١]. ويكثر الاستطراد إلى العلوم الرياضيّة والطبيعيّة، وغيرها، كما أنّه يعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة.

وهو سنّي يرى ما يراه أهل السنّة، لهذا، لا يدع فرصةً تمرّ دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والردّ عليها. ثمّ إنّه لا يكاد يمرّ بآية من آيات الأحكام إلاّ ويذكر مذاهبَ الفقهاء فيها، مع ترويجه لمذهب الشافعي. وكذلك يستطرد إلى ذكر المسائل الأصوليّة، والمسائل النحويّة، والبلاغيّة.

وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة، إذ إنّ هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلّل من أهمّيّة الكتاب كتفسير للقرآن. ومن أجل ذلك قال فيه أبو حيان: «جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير. ولذلك قال بعض العلماء: فيه كلّ شيء إلاّ التفسير»[٢].

الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيّ (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م) : إمام من حكماء العلماء. اشتهر بالتفسير واللغة. سكن بغداد. من آثاره : «المُفردات في غريب القرآن»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«جامع التفاسير»، و«محاضرات الأدباء».

---

(١) وفيات الأعيان، ٢/٢٦٧.

(٢) البحر المحيط، ومفاتيح الغيب، ١/٢-٣.

الرَّافِضَة أو **الروافض** : من الأسماء التي كانت تُطلق على **الشيعة**. ويفسّر الأشعري في «مقالات الإسلاميّين» التسمية بأنّهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر.

الرَّافِعِيّ (مصطفى صادق) (ت ١٩٣٧م) : أديب مصريّ. له «تحت راية القرآن»، أو «المعركة بين القديم والجديد»، ردًا على كتاب طه حسين في الشعر الجاهليّ، و«وحي القلم» في ٣ أجزاء، و«تاريخ آداب العرب» في ٣ أجزاء أيضاً. والجزء الثاني منه أفرده الرافعي لإعجاز القرآن والبلاغة النبويّة.

الرَّاهِب و **الرَّهْبَانِيَّة** : من رهب يرهَب رهْباً ورَهَباً ورهبةً، إذا خاف. والراهب هو المنقطع للعبادة من النصارى. ويُجمع على رهبان.

١ . ذكر القرآن «الرهبانيّة» و«الرهبان» أربع مرّات في ثلاث سور، هي: سورة المائدة (٥/ ٨٢)، وسورة التوبة (٩/ ٣١) و (٩/ ٣٤)، وسورة الحديد (٥٧/ ٢٧)، حيث مدحهم ورفعهم مرّةً؛ وذمّهم وأنّبهم مرّةً أخرى: قال في مدحهم: "وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى، ذلكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وأنَّهُمْ لا يَسْتَكبِرُونَ" (٥/ ٨٢). ثمّ قال بأنّ الرّهبانيّة، التي التزمها النصارى ورعوا حقّها آتاهم اللّه عليها أجراً عظيماً (٥٧/ ٢٧).

أمّا الآيات الطاعنة بالرهّبان فتطعن، لا بالحياة الرهبانيّة نفسها، بل بالرهبان الذين يتّخذهم النصارى «أرْبَاباً مِنْ دونِ اللّه» (٩/ ٣١)، وبالرهبان الذين يأكلون أموال الناس، ويصدّونهم عن كلّ عمل صالح، ويكنزون الأموال، ولا يصرفونها في سبيل اللّه واليتامى (٩/ ٣٤).

٢ . فالقرآن، إذاً، لم يحرّم الحياةَ الرّهبانيّة بالمطلق، ولم يقف من الرهبان موقفاً واحداً من دون تمييز بين مَن «لا يَسْتَكْبِرون» وبين الذين «يأكُلُونَ أمْوَالَ النَّاس». وحديث: «لا رهبانيّة في الإسلام» حديث لا سند له.

٣ . هذا وقد ركّز القرآن أيضاً على ما له تأثيرٌ بالغٌ على الحياة الدينيّة في الإسلام إلى درجة أنّ أموراً كثيرة قد لا تُفهم في تعاليمه إن لم نعطِ لهذا الدور الرهباني بعدَه وأهمّيّتَه.

٤ . هذا وإنّ النبيّ محمّد التقى، في حياته، بعدد كبير من الرهبان، وحاورهم في الشؤون الدينيّة، في مناسبات عديدة، وفي أمكنةٍ كثيرة وُجد فيها: في مكّة، وبنوع خاصّ في سوق عكاظ، وفي الطواف حول الكعبة، وفي غار حِراء حيث كان يعتكف الحُمْسُ من قريش، وفي الطائف، والمدينة، وعلى الطريق التجاريّة الرومانيّة بين آسيا الصغرى وبلاد الشام واليمن، وفي صحراء العرب.. لقاءات عديدة أسفرت عن تأثيرٍ واضحٍ ومهمّ في تعاليم محمّد والقرآن.

٥ . وكان هؤلاء الرهبان نشيطين في المجتمع العربي: فبعضُهم كانوا أوصياء على اليتامى وأموالهم، فاستحلّوا لأنفسهم ما ائتُمنوا عليه، وبدّلوا مقتنيات اليتامى بمقتنياتهم، وأخذوا أجرتَهم في حين كان يجب عليهم العمل مجّاناً. ولهذا قال: «إنّ كَثِيراً مِنَ الأحْبَارِ (اليهود) وَالرُّهْبَانِ (النصارى) لَيَأكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ». وكذلك كان رهبان يحبّون الجاه ويؤثرون المراكز العليا، وأن يدعوهم الناسُ عظماء، كما يقول الإنجيل عن رؤساء الكهنة والفرّيسيّين. هؤلاء الرهبان يصفهم القرآن بأنّهم نَصَّبوا أنفسَهم «أرْبَاباً مِن دُونِ اللّه»، وبأنّ النّاس اتّخذوهم لهم سادةً، يطيعونهم في كلّ شيء، حتّى أنّهم يحلّلون لهم ما حرّمه اللّه عليهم؛ ويحرّمون عليهم ما حلّله اللّه لهم. والأغرب من هذا كلّه أنّهم كانوا «يَصُدُّونَ (الناس) عَن سَبِيلِ اللّهِ»، وعن معرفة الحقّ.

٦ . ولكن ثمّة رهبان آخرون، وصفهم القرآن بأحسن الصفات: بسببهم وصف النصارى بما لم يصف به أحداً من العالمَين. واعتبرهم بأنّهم أقرب الناس إلى الذين آمنوا برسالة محمّد، وأكثرهم مودّةً لهم، لا لشيء آخر سوى أنّ فيهم رهباناً؛ وبسبب هؤلاء الرهبان هم «لا يَسْتَكْبِرُونَ»، ولا يتشوّفون على عامّة الناس، ولا يستقوون على الضعفاء منهم. هؤلاء الرهبان، إذا سمعوا آيات القرآن تتلى وتُرنّم تفيض أعينهم من الدمع، بسبب أنّ ما يسمعون يؤكّد ما هم عليه من عبادات، وما يعرفون من حقائق. لهذا فهم يودّون أن تُكتب أسماؤهم مع القوم الصالحين. ولهذا أيضاً يكافئهم اللّه بجنّاتٍ خالدين فيها. ذلك لأنّهم أحسنوا إلى اليتامى والمساكين. فيما الذين لم يعملوا الحسنات، هم من أصحاب الجحيم.

٧. إذا اشترك الرهبان في قتال المسلمين فلا خلاف بين الفقهاء في جواز قتلهم حين الظفر بهم كسائر المقاتلين. وكذلك إذا خالطوا الناس، أو كانوا يمدّون المقاتلين برأيهم، ويحرّضونهم على القتال.

أمّا إذا لم يشتركوا في القتال، ولم يخالطوا الناس، بل كانوا منعزلين في صوامعهم، بلا رأي، فذهب الجمهور (ما عدا بعض الشافعيّة) إلى أنّهم لا يُقتلون، لاعتزالهم أهلَ دينهم عن محاربة المسلمين، ولما روي عن أبي بكر أنّه قال: «وستمرّون على أقوام في الصوامع قد حبسوا أنفسَهم فيها، فدعوهم حتّى يميتهم اللّه على ضلالهم»[٣]، ولأنّهم لا يقاتلون تديّناً، فأشبهوا مَن لا يقدر على القتال[٤].

والأظهر عند الشافعيّة جواز قتلهم، لعموم قوله تعالى: «فاقتلوا المشركين» (٩/ ٥)، ولأنّهم أحرار مكلّفون، فجاز قتلهم كغيرهم[٥].

أمّا وضع الجزية على الرهبان ففيه أيضاً خلاف (راجع مادّة: **الجزية**).

الرَّاوَنْدِيّ (راجع مادّة: **إبن الرَّاوَنْدِيّ**).

الرَّأي: عرّفه الفقهاء بأنّه استنباط الأحكام الشرعيّة بما يترجّح للإنسان بعد فكرٍ وتأمّل ونظر وبحث للتوصّل إلى شيء مجهول. وأهل الرأي هم الذين يتلمّسون الأحكام الشرعيّة للوقائع دون أن يجدوا لها دليلاً من كتاب أو سنّة. وهم يبنون فتاويهم على العرف، ومراعاة المصالح، ودفع المضار. ولا يختلف الرأي عن الاجتهاد إلاّ أنّ الاجتهاد معنى طلَبِ الصواب؛ فيما الرأي معنى إدراكِ الصواب.

رَبُّ العَالَمِين: ١. يرد تعبير "ربّ العالمين" في القرآن حوالي ٤٠ مرّة؛ يفتتحُ في سورة الفاتحة، بإعلان اللّه "ربّ العالمين" (١/ ١)، وينتهي، في سورة النّاس، بإعلانه اللّهَ "ربّ النّاس" (١١٤/ ١).

---

(٣) حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٢٤-٢٢٦؛ جواهر الإكليل ١/ ٢٥٣؛ الدسوقي ٢/ ١٧٧؛ الأحكام السلطانيّة للماوردي، ص ١٣٤؛ المغني ٨/ ٤٧٨.

(٤) الحطاب ٣/ ٣٥١؛ حاشية القليوبي ٤/ ٢١٨.

(٥) مغني المحتاج ٤/ ٢٢٣؛ القليوبي ٤/ ٢١٨.

٢ . "ربّ العالمين"، أي ربّ السموات والأرض وما فيهنّ وما بينهنّ، ممّا نعلم وممّا لا نعلم[٦]، هم: الإنس والجنّ والملائكة والشياطين. وما في البحر والبرّ والجوّ. جاء في الحديث أن النّبيّ قال: "خلقَ اللّه ألفَ أمّة: ستمائة في البحر وأربعمائة في البرّ"؛ وقال أيضاً: "خلق اللّهُ سبعةَ عشر ألف عالَم"، وقيل: "ثمانية عشر"؛ وقيل: "أربعين ألفاً"..

٤ . وتنزيهاً للّه تعالى، نهى محمّد عن استخدام لفظ «ربّ» في حقّ البشر، فقال: «لا يقل العبدُ لسيّده: رَبّي؛ ولكن ليقل: سيّدي». ويُروى: «ليقل: سيّدي ومولاي». ويُروى: «لا يقل العبد لسيّده: مولاي؛ فإنّ مولاكم اللّه» (رواه الشيخان).

الرِّبَا: معناه الحرفي: الزيادة، وهو عموماً أيّة زيادة في رأس المال ليس لها مبرّر وليس ثمّة تعويض مقابلها.

١ . جاء في القرآن: «الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون (من قبورهم) إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه (يصرعه) الشيطان من المسّ (الجنون). ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيعُ مثلُ الرِّبا (في الجواز. فردّ اللّه عليهم): وَأَحَلَّ اللّهُ البيعَ وحرَّم الربا. فمَن جاءه (بلغه) موعظةٌ من ربِّه فانتهى (عن أكله) فلهُ ما سَلَفَ. وأَمْرُهُ (في العفو عنه) إلى اللّه. ومَن عادَ (إلى أكله) فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحقُ اللّهُ الرِّبا (ينقصه) ويُرْبِي الصَّدَقاتِ (يزيدها). واللّهُ لا يُحبُّ كلَّ كفّار (بتحليل الربا) أثيم (فاجر بأكله، أي يعاقبه) * ... يا أيُّها الذينَ آمنوا! اتَّقُوا اللّهَ وَذَرُوا (أتركوا) ما بَقِيَ من الرِّبا إنْ كنتم مؤمنين (صادقين في إيمانكم)»[١]. وجاء في الحديث: «مَن أجبى فقد أربى»[٢]. والإجباء: بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه.

---

(٦) يرد تعبير "ربّ السموات والأرض وما بينهما" مرّات عديدة: ٣٧/٧٨؛ ٣٨/٥٠؛ ٤٦/٣؛ ٤٤/٧ و٣٨؛ ٤٣/٨٥؛ ٣٨/١٠ و٢٧ و٦٦؛ ٣٧/٥؛ ٣٢/٤؛ ٣٠/٨؛ ٢٦/٢٤؛ ٢٥/٥٩؛ ٢١/١٦؛ ٢٠/٦؛ ١٩/٦٥؛ ١٥/٨٥؛ ١٧/٥ و١٨...

(١) ٢/٢٧٥-٢٧٨؛ رَ: ٣/١٣٠؛ ٤/١٦١؛ ٣٠/٣٩.

(٢) أورده أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث ٢١٧/١، بدون إسناد.

٢ . الربا محرّم بالكتاب والسنّة والإجماع. وهو من السبْع الموبقات. ومن استحلّه فقد كفر.. قال الماوردي وغيره: إنّ الربا لم يُحَلّ في شريعة قط لقوله تعالى: «.. وأخذهم الربا وقد نهوا عنه» (٤/ ١٦١) يعني في الكتب السابقة.

٣ . ودليل تحريمه من الكتاب بحسب قوله تعالى: «وأحلَّ اللّهُ البيعَ وحرّم الربا» (٢/ ٢٧٥). قال السرخسي: ذكر اللّه لآكل الربا خمساً من الموبقات: ١ – التخبّط، لقوله: «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ» (٢/ ٢٧٥)؛ ٢ – المحق، لقوله: «يمحق اللّه الربا» (٢٧٦)، يعنى الهلاك والاستئصال، وقيل: ذهاب البركة والاستمتاع حتّى لا ينتفع به، ولا ولدُه بعده؛ ٣ – الحرب، لقوله: «فأذنوا بحربٍ من اللّه ورسوله» (٢/ ٢٧٩)؛ ٤ – الكفر، لقوله: «وذروا ما بقي من الربا إنْ كنتم مؤمنين» (٢/ ٢٧٨)، وقوله: «واللّه لا يحبّ كلّ كفّار أثيم» (٢/ ٢٧٦)، أي كفّار باستحلال الربا، أثيم فاجر بأكل الربا؛ ٥ – الخلود في النار، لقوله: «ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» (٢/ ٢٧٥)، وقوله: «يا أيّها الذين آمنوا! لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً. واتّقوا اللّهَ لعلّكم تفلحون» (٣/ ١٤٠)..

٤ . ودليل التحريم من السنّة ما ورد عن النبيّ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسولَ اللّه! وما هنّ؟ قال: الشرك باللّه، والسحر، وقتْل النفس التي حرّم اللّه إلاّ بالحقّ، وأكْل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغفلات المؤمنات»[٣]؛ وما رواه مسلم عن جابر بن عبداللّه قال: «لعن رسول اللّه آكلَ الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهدَيه. وقال: هم سواء»[٤].

٥ . والحكمة من تحريم الربا: ١ – أنّ الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض.. ٢ – وأنّه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب، لأنّ صاحب الدرهم الزائد خفّ عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمّل مشقّة الكسب والتجارة

---

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٥/ ٣٩٣، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/ ٩٢، ط. الحلبي.
(٤) أخرجه مسلم ٣/ ١٢١٩، عن أبي هُريرة، ط. الحلبي.

والصناعات الشاقّة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق التي لا تنتظم إلاّ بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات.. ٣ - وأنّه يفضي إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان بين الناس من القرض.

الرِّبَاط و **المُرَابَطَة** : ملازمة ثغر العدوّ، وأصله أن يربط كلٌّ من الفريقَين خيلَه، استعداداً للخروج في حملة؛ ومنه قوله تعالى: «وأَعِدّوا لهم ما استَطَعتُم من قوّةٍ ومن رباطِ الخيلِ. تُرهِبونَ به عَدُوَّ اللّهِ وعدُوَّكم وآخَرِينَ مِن دونهمْ لا تَعلَمونَهم. اللّهُ يَعلَمُهم» (٨/ ٦٠)، وقوله: «أصبروا وصابروا ورَابِطوا» (٣/ ٢٠٠)، أي: أقيموا على جهاد عدوّكم..

والرباط سنّة مؤكّدة، لأنّه حفْظ ثغور الإسلام وصيانتها. والرُّبُط هي أصلاً حصون تعسكر فيها القوّات في النقاط المكشوفة على حدود دار الإسلام.. وكان الرباط يتكوّن من سور محصّن يحيط به، ويضمّ حجرات للمعيشة ومستودعات للأسلحة ومخازن للمؤن وبرجاً لإعطاء الإشارات. قال النبي في فضل الرباط: «رباط يوم في سبيل اللّه خيرٌ من الدنيا وما عليها؛ وموضع سوط أحدكم من الجنّة خيرٌ من الدنيا وما عليها»[1]؛ وقال أيضاً: «رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه. وإنْ مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتّان»[2].

رَجَب :إسم الشهر السابع من السنة الهجريّة. وهو أحد الشهور الأربعة الحرُم التي أشير إليها في (٩/ ٣٦). ويقع بين شهرَي جمادى الآخرة وشعبان. ويُطلق عليه إسم «رجب الفرد»، لأنّ الأشهر الحرُم الأخرى متتابعة؛ فيما هو يأتي وحده.. ومن أمثال العرب الشهيرة في رجب قولهم: «عشْ رَجَباً ترَ عَجباً»..

الرُّبْعُ الخَالِي : صحراء واسعة في السعوديّة تمتدّ من جبل طُوَيق جنوبيّ نَجد حتّى عُمان وحَضرَمَوت في اليمن الجنوبي وتتّصل بالدَّهناء شمالاً،

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٦/ ٨٥، ط. السلفيّة، من حديث سهل بن سعد.
(٢) أخرجه مسلم ٣/ ١٥٢٠، ط. الحلبي، من حديث سلمان الفارسي.

مساحتها: ٣٠٠,٠٠٠ كم٢. من أكبر المناطق الرمليّة والمقفرة في العالم، كثبان متحرّكة ورمال خفيفة صعبة الاجتياز يغوص فيها الإنسان والحيوان. يعيش على الأطراف رعاة الإبل. اجتازها فيلبي عام ١٩٣٢.

رَبِيْعَة : إسم شائع جدًا بين العرب، حملته بطون كثيرة من القبائل العربيّة. وأشهرهم ربيعة بن نِزار، من مَعَدّ من عدنان. من نسله أسد، وعنترة، ووائل، وبكر، وتغلب. تفرّقت بكر وتغلب بعد حرب البَسوس.

رِجْعَةُ الأئمّة : ١ . من عقائد الشيعة الأساسيّة. مؤدّاها أنّ الإمام يغيب عن أعين أتباعه بالموت، أو القتل، أو الهروب، أو الانسحاب من المواجهة؛ ويظلّ مختفياً أو غائباً أوقاتاً متطاولة، قد تستغرق قروناً، بل قد تستغرق الزمانَ بأجمعه. وينتظر الشيعة عودةَ هذا الإمام الغائب ليملأ الأرضَ عدلاً بعد أن مُلئتْ جَوراً.

٢ . لا يتّفق المسلمون على عودة إمامٍ بعينه؛ بل تتعدّد الأئمّة بتعدّد الفِرَق: ١ – وأوّل مَن قيل فيه بالرجعة محمّد بن الحنفيّة، أحد أبناء علي بن أبي طالب، من غير فاطمة. ويُقال إنّه في جبل رضوى، بين أسدٍ ونمرٍ يحفظانه، وعنده عينان نضّاحتان تجريان بماء وعسل. ٢ – أمّا فرقة الباقريّة فتقول بغيبة ورجعة محمّد الباقر. ٣ – والجعفريّة برجعة جعفر الصادق. ٤ – والإثنا عشريّة برجعة محمّد، ابن الحسن العسكري، الإمام الثاني عشر، الذي هو الإمام القائم، وقائم الزمان، والحجّة المنتظر.

٣ . يبني الشيعة رجعة الإمام الغائب على آيات من القرآن، منها : «ونريدُ أن نَمُنَّ على الذينَ استُضْعِفوا في الأرضِ، ونَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً، ونَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ» (٢٨/ ٥). سئل الإمام زين العابدين عن تفسير هذه الآية فقال: «والذي أرسلَ محمّداً بالحقّ! الصالحون نحن أهل البيت، وشِيعتنا كمثل موسى وقومه، وأعداؤنا وحزبُهم كفرعون وقومه».

٤ . ويوضح المجلسي عقيدة الرجعة بقوله: «ويرجع للدنيا يوم ظهور حضرة القائم مَن مَحَضَ الإيمان محضاً، أو مَحَضَ الكفر محضاً، فيرجع أعداؤه

لينتقم منهم في هذا العالم ويشاهدون من ظهور كلمة الحقّ وعلوّ كلمة أهل البيت ما أنكروه عليهم. فتكون رجعة الكفّار لينالهم عقاب شديد. أمّا باقي الناس فيبقون في قبورهم إلى يوم القيامة»[1].

٥ . فالرجعة عبارة عن حسابٍ تمهيدي يُثاب فيها الإمام الغائب وشيعتُه، وينال أعداءَهم الذين أنكروا حقّهم في الخلافة عقابٌ شديد. فيرجع مثلاً بين الأوّلين الحسين بن علي ومَن استُشهد معه، ويرجع معه يزيد اللّعين بن معاوية وأنصارُه فينتقم منهم الحسين وجيشُه انتقاماً سريعاً[2].

٦ . وفي مناقشة قضيّة رجعة المؤمنين، فإنّ هناك تمييزاً بين مَن مات منهم في الماضي، أو قُتل. فيروى عن الإمام علي الرضا قوله: «ليس أحدٌ من المؤمنين قُتل إلاّ سيرجع حتّى يموت. ولا أحد من المؤمنين مات إلاّ سيرجع حتّى يُقتل. فلا يبقى لمن قُتل بالسيف فضلٌ على مَن مات في فراشه. فيرجع الأوّل ليموت. ويرجع الثاني ليُقتل».

٧ . ويرجع الأنبياء الذين قُتلوا، حسب قول الإمام الباقر، ويسكنون بيوتهم، ويأكلون الطعام، ويتزوّجون، ويعيشون ما شاء اللّه أن يعيشوا. ثمّ يموتون بين أهلهم[3]...

٨ . ومِن أغرب الشخصيّات التي سترجع "الصائف بن صائد"، إبن الكاهن الشقّ. فيقاتله الرسول، وعمر والصحابة الآخرون، في مكان يُعرف بـ"رهطون"، كما جاء في رواية البخاري وأحمد بن حنبل والترمذي[4]، ويقولون إنّ "صائف بن صائد" هو المسيخ الدجّال الذي يُنتظر رجوعه قبل المهدي[5]...

---

(١) حقّ اليمين للمجلسي، ص ١٦٠؛ وبحار الأنوار له أيضاً، ج ١٢، ص ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي، ج ١٣، ص ٣٤١؛ عن دونلدسون ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣٦.

(٤) صحيح البخاري، ٢٢/ ٨٠؛ ابن حنبل، ج١، ص ٣٨٧، ٤٥٧، الترمذي، ٣١/ ٦٣.

(٥) أنظر : دونلدسون، ص ٢٤٠.

٩ . وباختصـار: الرجعة هي الاعتقاد برجـوع بعض الموتى إلى الدنيا (من أهل الإيمان المحض والكفـر المحض)، وكذلك بعض المظلومين لينتـقموا مـن ظالميهم قبل يوم القيـامة. وهذا يعني أنّهم سيعـودون إلى الدنيا، ويستأنفـون حياتهم من جديد. ويتحقّق هذا بعد ظهور الإمام المهدي.

١٠ . يستـدلّ الشيـعة على الرجـعة بأصحـاب الكهف الذين أحيـاهم اللّه وأرجعهم إلى الدنيا بعد نومٍ استغرق ثلاثمائة سنة[٦] (سورة الكهف ١٨/ ٩-٢٦).

الرَّجْعَة بعد الطلاق، أو الطلاق الرِّجعي : ١ . هي ما يجوز معه للزوج ردُّ زوجته بعد عدّتها من غير استئناف عقد.. إنّ ارتجاع الزوج لزوجته باب من أبواب الإصلاح بين الزوجَين. والحكمـة من ذلك هو أنّ الإنسان قد يـطلّق امرأتَه، ثمّ يندم على ذلك، على ما أشار القرآن بقوله: «لا تدري لعلّ اللّهَ يُحدث بعد ذلك أمراً» (٦٥/ ١)، فيـحتـاج إلى التدارك. فلو لم تثـبت الرجعـة لا يمكنه التدارك، لمـا عسى أنْ لا توافقه المرأة في تجديد النكاح، ولا يمكنه الصبر عنها فيقع في الزنا.

٢ . ثبتت مشروعـيّة الرجعة بالكتاب والسنّة والإجماع: أمّـا الكتاب فقوله تعـالى: «وبعولتـهنّ أحقُّ بردّهنّ في ذلك إن أرادوا إصـلاحاً» (٢/ ٢٢٨)، وقـوله: «وإذا طلّقتُمُ الـنساءَ فَبَلَغْنَ أجَلَهُـنَّ (أي قاربن انقضـاء عدّتهنّ)،فَأَمْـسِكوهُنَّ (بأن تراجعوهنّ) بمعروفٍ (من غير ضرر)، أو سَرِّحوهُنَّ بمعروفٍ (أي أتركوهنّ حتّى تنقضي عـدّتُهنّ). ولا تُمسِكوهُنَّ (بالرجعة) ضِـرَارًا لِتَعْتَدوا (عليـهنّ بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس)» (٢/ ٢٣١). وأمّا السنّة فقد ورد أن النبيّ طلّق حفصة، ثمّ راجعها[١]...وأجمع الفقهاء على جواز الرجعة عند استيفاء شروطها.

٣ . والأصل في الرجـعة أنّهـا مبـاحة، وهي حقّ للزوج، لما ورد في قـوله تعـالى (٢/ ٢٢٨)...وهي مندوبة في حـالة ندم الزوجين بعـد وقـوع الطلاق، ولا

---

(٦) موسـوعة الفرق الإسـلاميّـة، تأليف الدكتور مـحمّد جـواد مشكور، بيـروت ١٩٩٥، مادّة "الإثناعشريّة"، ص ٨٦.

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٧١٢٢، تحقيق دعاس؛ الحاكم ٢/ ٧١٢، ط. دارئرة المعارف العثمانيّة..

سـيّـمـا إذا كان هنـاك أولاد تقتـضـي المـصلحـة نشأتـهم في ظلّ الأبوين ليـدبّرا شؤونَهم.. وتكون الرجعة محرّمة إذا قصد الزوج الإضرار بالمرأة فيراجعها ليلحق بها الأذى والـضرر، وقد نهى القـرآن عن ذلك بقوله: «ولا تُـمسِكوهُنَّ (بالرجـعة) ضِرَارًا لِتَعْتَدوا (عليهنّ بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس). ومَن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه» (٢ / ٢٣١).

٤ . يشترط لصحّة الرجعة أن تكون الرجعة، **أوّلاً**، بعد طلاق رجعي، سواء صـدر من الزوج أو من القـاضي، لأنّها اسـتـئناف للحـياة الزوجـيّـة التي قُطعت بالطلاق. فلولا وقوعه لما كـان للرجعة فائدة. فإذا طلّق الرجل امرأته الطلـقة الثالثة فليس له حقٌّ مراجعتها، إذ بالطلقة الـثالثة تَبِين المرأة من زوجها بَينونةً كبرى، ولا يحلّ له مراجعـتها حتّى تتزوّج آخـر، لقوله: «فإن طلَّقَها فـلا تحلُّ له مِن بعدُ حتّى تنكح زوجاً غـيرَه» (٢/ ٢٣٠). والفـقهاء جـميـعاً متّـفقون علـى هذا الشرط. ولم يخالف فيه أحدٌ منهم.

٥ . ويشترط، **ثانياً**، أن تحصل الرجعة بعد الدخـول بالزوجة المطلّقة، فإن طلّقهـا قبل الدخول وأراد مراجـعتها فليس له الحقّ في ذلك، لقـوله: «يا أيّها الذينَ آمَنوا! إذا نكحتم المؤمنات، ثمّ طلّقـتموهنّ من قبلِ أن تمسّوهنّ، فـما لكم عليهنّ من عدّة تعتـدونها. فمتّعـوهنّ وسرّحوهنّ سراحاً جـميلاً» (٣٣/ ٤٩). إلاّ أنّ الحنابلة اعتبروا الخلوةَ الصحيحةَ في حكم الدخول.

٦ . ويشترط، **ثالثاً**، أن تكون المطلّقـة في العدّة. فـإن انقضتْ عـدّتُها فـلا يصحّ ارتجـاعهـا، لقـوله: «والمطلّقات يتـربّصن بأنفـسـهنّ ثلاثة قروء.. ثمّ قـال: وبعـولتـهـنّ أحقّ بردّهنّ في ذلك» (٢/ ٢٢٨)، أي في القـــروء الثـلاثة. ولأنّ في ارتجاع المطلّقة في فترة العدّة استدامةً واسـتمراراً لعقد النكاح. فإذا انقضت العدّة انقطعت هذه الاستدامة، فلا تصحّ الرجعة بعد انقضاء العدّة..

٧ . ويشترط، **رابعاً**، ألاّ تكون الفرقـة قبل الرجعـة ناشئة عن فسخ عـقد النكاح.

٨ . ويشترط، **خامساً**، ألاّ يكون الطلاق بعوض، لأنّ الطلاق حينئذ بائن لافتداء المرأة نفسها من الزوج بما قدّمته له من عوض مالي ينهي هذه العلاقة، مثل الخلع والطلاق على مال.

٩ . ويشترط، **سادساً**، أن تكون الرجعة منجزة، فلا يصحّ تعليقها على شرطٍ، أو إضافتها إلى زمن مستقبل.. واستدلّوا لذلك بأنّ الرجعة استدامة لعقد النكاح أو إعادة له. والنكاح لا يقبل التعليق والإضافة.

١٠ . ويشترط، **سابعاً**، أن يكون المرتجع أهلاً لإنشاء عقد النكاح.

الرَّجُل : خلاف المرأة، وهو الذَّكَر من نوع الإنسان.. يختصّ الرجل بأحكام يخالف فيها المرأة. وهذه أهمّها :

١ . يُحرّم على الرجل لبْس الحرير، وافتراشه، لما روى عن النبي أنّه قال: «أُحلّ الذهب والحرير لإناث أمّتي، وحرّم على ذكورها»(١)، ولما ورد عن عمر: «قال رسول الله: لا تلبسوا الحرير، فإنّ مَن لبسه في الدنيا لم يلبسْه في الآخرة»(٢).

٢ . ولا خلاف بين الفقهاء في تحريم حلي الذهب والفضّة على الرجال.. إلاّ عند الضرورة..

٣ . عورة الرجل ما بين السرّة والركبة، لقول النبي: «أسفل السرّة وفوق الركبتَين من العورة»(٣)؛ أمّا المرأة فكلّها عورة ما عدا الوجه والكفَّين. وعليها أن تخفي ما سوى ذلك.

٤ . اختصاص الأذان بالرجال دون النساء، إذ لا يصحّ أذان المرأة، لأنّ رفْع صوتها قد يوقع الفتنة. ولا يُعتدّ بأذانها لو أذّنت.

---

(١) أخرجه النسائي، ٨/١٦١، ط. المكتبة التجاريّة؛ حسّنه ابن المديني ، التلخيص لابن حجر ١/٥٣، ط. شركة الطباعة الفنّيّة.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٢٨٤، ط. السلفيّة؛؛ مسلم ٣/١٦٤٢، ط. الحلبي.

(٣) أخرجه أحمد ٢/١٨٧، ط. الميمنيّة، من حديث ابن عمرو.

٥ . وجوب صلاة الجمعة على الرجال دون النساء.

٦ . كون الرجل إماماً في الصلاة دون المرأة.. فلا تصحّ إمامة المرأة للرجال فيها، لقول النبيّ: «أخِّروهنَّ من حيث أخّرهنَّ اللّه»[٤].

٧ . ما يختصّ بالرجل من أعمال الحجّ: يحرّم على الرجل لبس المخيط من الثياب، بخلاف المرأة. وعليه الحلق أو التقصير بخلاف المرأة، فإنّ المشروع في حقّها التقصير دون الحلق. ويسنّ للرجل **الرَّمَل** في طوافه، و**الاضطباع**، والإسراع بين الميلين الأخضرَين في **السعي**، ورفع صوته بـ **التلبية**. وأمّا المرأة فإنّها تخالفه في ذلك كلّه[٥].

٨ . إنّ دية المرأة الحرّة المسلمة نصف دية الرجل الحرّ المسلم.

٩ . وجوب الجهاد على الرجل دون المرأة. هذا إذا كان الجهاد فرضَ كفاية.

١٠ . أخذ الجزية من الرجل دون المرأة.

١١ . إختصاص الشهادة في غير الأموال بالرجال دون النساء.

١٢ . الميراث يختلف عند الرجل عن ميراث المرأة.

١٣ . الرجل والولاية: يقدّم الرجل على المرأة في كلّ ولاية، ما خلا الحضانة فللمرأة أن تتقدّم فيها.

الرِّجْل : ١ . لغة: قَدَم الإنسان وغيره. جمعها: أرجل. ومنه الراجل، أي الماشي، من قوله تعالى: «فإنْ خفتم فرِجالاً أو ركباناً» (٢/ ٢٣٩). ورِجل الإنسان هي العظْم الناتئ عند مفصل الساق والقدم. وهي من فروض الوضوء، لقوله

---

(٤) أورده الزيلعي في نصب الراية ٢/ ٣٦، ط. المجلس العلمي، وعزاه إلى عبدالرزّاق موقوفاً على ابن مسعود، ذكره ابن حجر، الفتح ١/ ٤٠٠، ط. السلفيّة.

(٥) راجع: ابن عابدين ٢/ ١٤٦ و١٩٠؛ بدائع الصناع ٢/ ١٢٣ و١٤١ و١٨٥-١٨٦؛ الدسوقي ٢/ ٩ و٤١ و٤٦ و٥٤-٥٥؛ مغني المحتاج ١/ ٤٦٧ و٥١٩؛ نهاية المحتاج ٣/ ٢٦٤؛ المغني ٣/ ٢٣٦-٢٣٧ و٣٢٨-٣٣٠ و٣٧٢ و٣٩٤.

تعالى: «يا أيّها الذينَ آمنوا! إذا قمتم إلى الصلاة، فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرفق، وامسحوا برؤوسِكم وأرجلِكم (أو أرجلَكم) إلى الكعبَين» (٥/ ٦).

٢ . هذا الخلاف في قراءة «أرجلكم» ذهب ببعض الفقهاء إلى أنّ الفرض في الرجلَين هو المسح لا الغسل. فمن قرأ «أرجلَكم» عليه الغسل؛ ومن قرأ «أرجلِكم» عليه المسح.. وأيّهما فعل يكون آتياً بالمفروض.

٣ . اتّفق الفقهاء في قطع يد السارق، لقوله تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من اللّه. واللّه عزيز حكيم» (٥/ ٣٨). وأوّل ما يُقطع من السارق يده اليمنى.. واتّفقوا على أنّه إن سرق ثانياً قُطعت رِجله اليسرى، لما روى أبو هُريرة عن النبيّ أنّه قال في السارق: «إذا سرق السارق فاقطعوا يدَه. فإن عاد فاقطعوا رِجْلَه»[٦]..

٤ . واختلفوا فيما إذا سرق ثالثاً بعد قطْع يده اليمنى ورجله اليسرى. إلاّ أنّ عليّا قال: «لا أقطعه. إن قطعتُ يدَه فبأيّ شيء يأكل الطعام؟ وبأيّ شيء يتوضّأ للصلاة؟ وبأيّ شيء يغتسل من جنابته؟ وبأيّ شيء يتمسّح؟ وإن قطعتُ رجلَه، بأيّ شيء يمشي؟ بأيّ شيء يقوم على حاجته؟ إنّي لأستحي من اللّه أن لا أدع له يداً يبطش بها، ولا رِجلاً يمشي عليها. ثمّ ضربه بخشبة وحبسه».. لكنّ المالكيّة والشافعيّة قالوا: إنّه إن سرق ثالثاً قُطعتْ يدُه اليسرى، وإن سرق رابعاً قُطعت رِجله اليمنى، لما روى أبو هُريرة عن النبي،قال: «إنْ سرق فاقطعوا يَده. ثمّ إن سرق فاقطعوا رجله. ثمّ إن سرق فاقطعوا يدَه. ثمّ إن سرق فاقطعوا رجله».

٥ . وتُقطع رجْل السارق من المفصل بين الساق والقدم.

٦ . وذهب الفقهاء إلى أنّ قاطع الطريق، إذا أخذ المال ولم يُقتل، وكان المال الذي أخذه بمقدار ما تُقطع به يد السارق، فإنّه تُقطع يدُه اليمنى ورِجلُه اليسرى، لقوله تعالى: «إنّما جزاءُ الذينَ يُحاربونَ اللّهَ ورسولَه، ويَسعَون في الأرض فساداً

---

(٦) أخرجه الدارقطني ٣/ ١٨١، ط. دار المحاسن؛ وأبو داود ٤/ ٥٦٥، تحقيق دعاس.

(بقطع الطرق)، أن يُقتَّلوا، أو يُصلَّبوا، أو تُقطَّعَ أيديْهم وأرجُلُهم من خِلافٍ، أو يُنْفَوا من الأرض. ذلك لهم خِزيٌ في الدنيا. ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم» (٥/ ٣٣). وذهب المالكيّة إلى أنّ الإمام مخيّر، فيحكم بين القتل والصلب والقطع والنفي.

الرَّجْم: لغةً: الرمي بالحجارة. وفي الاصطلاح: هو رجم الزاني المُحْصَن بالحجارة حتّى الموت.. والمُحصن: كلّ مكلّف حرّ مختار ملتزم بأحكام الشرع. أمّا غير المكلّف فلا يُرجم، كما لا يُرجم غير الملتزم كالحربيّ.

١ . لا خلاف بين الفقهاء في وجوب الرجم على الزاني المحصن، رجلاً كان أو امرأة. هذا الرجم لا وجود له في القرآن. إلاّ أنّ محمّداً يتّهم اليهودَ بتزوير التوراة وإخفاء آيات الرجم.. إنّما ثبت الرجم عن رسول اللّه بقوله وفعله، في أخبار تشبه التواتر. وهذا قول عامّة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم. قال ابن قدامة: لا نعلم فيه مخالفاً إلاّ الخوارج، فإنّهم قالوا: الجَلْد للبكر والثيّب، لقوله تعالى: «الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة» (٢٤/ ٢).

٢ . ويُقال إنّ ما يُدعى بـ«آية الرَّجم» كان جزءاً أصليًّا من القرآن، وقد اعترف بهذا الأمر عمر؛ وهي : «الشيخُ والشيخة، إذا زنَيا، فارْجموهما البتَّةَ نكالاً من اللّه. واللّه عزيز حكيم». «قال عمر، وهو جالس على منبر رسول اللّه: إنّ اللّه قد بعث محمّداً (ص) بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب. فكان ممّا أُنزِلَ عليه آيةُ الرَّجم. قرأناها. ووعيناها. وعقلناها. فرجم رسول اللّه، ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمانٌ أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب اللّه. وفي تعليق على الأمر، كتب الدكتور محمّد بن محمّد أبو شبهة يقول: «وفي إعلان سيّدنا عمر بالرجم وهو على المنبر، وسكوت الصحابة وغيرهم من الحاضرين عن مخالفته بالإنكار عليه، دليل على ثبوت الرجم، وأنّه أمر مجمع عليه»[1].

٣ . هذه الشريعة تأتي من الشريعة اليهوديّة (تثنية ٢٢/ ٢٢).

---

(١) الحدود في الإسلام ومقارنتها بالقوانين الوضعيّة، القاهرة ١٩٧٤؛ ص ١٥٧.

٤ . في الفقـه، إذا كان المرجوم رجـلاً أقيم عليه حـدّ الرجم، وهو قائم، ولم يوثق، ولم يُحـفر له، سـواء ثبت زناه ببيّنة أو بإقـرار.. أمّا المرأة فـيُحـفر لهـا عند الرجم إلى صدرها، إن ثبت زناها ببيّنة، لئلاّ تنكشف عورتُها.. ويخرج مَن يستحقّ الرجم إلى أرضٍ فضاء. ويَبـتدئ بالرجم الشهودُ، إذا ثبت زناه بشهـادة. ويحضر الإمام عند الرجم كما يحضر جمْع من الرجال المسلمين. ويُرجم بحجارة معتدلة.

٥ . لا خلاف بين الفـقهاء في أنّ المرجوم يكفّن، ويُصلّى عليـه، لقول النبي في **ماعز**: «إصنعـوا به ما تصنعـون بموتاكم»[٢]، وأنّه صلّى على **الغامديّة**.. إذ لا يُقام حدّ الرجم على الحـامل حتّى تضع ويَستغني عنها وليدهـا، سواء كان الحمْل من زنا أم غيره.

٦ . أمّـا الرَّجْم في وادي مِنًى فـهـو من مـناسك الحجّ. هذه الشـعـيـرة لا يذكرها القـرآن؛ ولكنّه يعرف «رجيم» أي «مرجـوم» كنيةً للشيطان الذي أخـرجته الملائكة وضربتـه بشواظ من نار[٣]. والحجّاج يتـشبّهون بهم فـي رمي الجَمَرات، لرجم الشيطان..

الرَّحَّالَة المُسلِمُون : بعـد نموّ الدولة الإسلامـيّة على متّسـعاتٍ من آسـيا وأفريقيا وأوربّا، ظهرت الحاجة إلى مـعرفة العالم الإسلامي والعوالم المجاورة له. ورسمـوا، على طريقة بطليـموس، الخرائط التـفصيليّـة للأقاليم؛ وكتـبوا في ذلك الكتب، واصفين فيها رحلاتهم ومعارفهم.

وكـان أوّل الجغـرافيّين العـرب الخـوارزمي (ت ٨٥٠م)؛ ثمّ ظهرت كـتب كثيرة تحت مـسمّى «المسالك والممالك»، مثل اليعـقوبي (ت ٨٩٧م)، وابن خرداذبة (ت ٩١٢م)؛ والبلـخي (ت ٩٣٤م)؛ وابن فـضـلان (٩٢١م)؛ والأصطـخـري (٩٣٣م)؛ والمسـعودي (ت ٩٥٧م)؛ والمقـدسي الذي كتـب «أحسن التـقاسـيم في معـرفة الأقـاليم»؛ وابن حـوقل الذي امتـدّت رحلته ٣٢ سنة في مـشارق العـالم

---

(٢) أخرجه إبن أبي شيبة ٣/ ٢٥٤، ط. الدار السلفيّة، من حديث بريدة.

(٣) رَاجع لفظة رجيم في : ٣/٢٦؛ ١٥/١٧ و٣٤؛ ١٦/٩٨؛ ٣٨/٧٧؛ ٨١/٢٥.

الإسلامي ومغاربه، فهو بدون منازع شيخ الرحّالة، وكتب «صورة الأرض» (٩٧٧م)؛ البيروني (ت ١٠٤٨م)؛ وناصر خسرو (ت ١٠٦١م) وكتابه «سفر نامه»؛ والشريف الإدريسي (ت ١١٦٦م) الذي كتب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»؛ وابن جُبير الأندلسي (ت ١٢١٧م)؛ وياقوت الحموي (ت ١٢٢٩م) صاحب «معجم البلدان»؛ وأمير الرحّالة ابن بطوطة (ت ١٣٧٧م).

الرَّحْمَنُ الرَّحِيْم : يقول فخر الدين الرازي: « "أللّه" إشارة إلى القهر والقدرة والعلوّ، ثمّ ذَكَرَ عقيبَه "الرّحمَن الرّحيم"؛ وذلك يدلّ على أنّ رحمتَه أكثر وأكمل من قهره»[1].

١ . ترد كلمة «الرحمن» في القرآن ٥٧ مرّة؛ وكلمة «الرّحيم» ومشتقاتها ٢٦٣ مرّة. ألرحمن من رحم على وزن فعلان، كغضبان وسكران من غضب وسكر. والرّحيم من رحم أيضاً على وزن فعيل، كمريض وسقيم من مرض وسقم. وفي الرّحمن من المبالغة ما ليس في الرّحيم؛ ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا فقط.

٢ . والرّحمن لا تُستعمل في غير اللّه؛ أمّا الرّحيم فتُستعمل في غير اللّه. لكأنّ الرّحمن إسم للّه فقط، فيما الرّحيم صفة للّه ولغيره. من هنا نجد في القرآن: "عبّاد الرحمن" (٢٥/٦٣)، "أسجدوا للرّحمن" (٢٥/٦٠)، "يكفرون بالرحمن" (١٣/٣٠)، و"ادعوا الرّحمن" (١٧/١١٠)، و"أعوذ بالرّحمن" (١٩/١٨)، و"نذرتُ للرّحمن" (١٩/٢٦)، و"إنّ الشيطانَ كان للرّحمن عصيّاً" (١٩/٤٤)، و"عذابٌ مِنَ الرّحمن" (١٩/٤٥)، و"آيات الرّحمن" (١٩/٨٥)، و"وعَدَ الرّحمنُ عبادَه" (١٩/١٦).. إلخ.

٣ . أمّا الرّحيم فهي صفة تتعلّق بغفران اللّه، ورأفته، وعفوه، ومحبّته، وقبول توبة الإنسان الخاطئ. لهذا جاءتْ لفظةُ "الرّحيم" تابعةً، دائماً، لهذه

---

(١) التفسير الكبير، ج١، ص ١٧٤.

المعاني. فاللّهُ، مـثلاً، " رؤوف رحيم "[٢]، و " غفور رحيم "[٣]، و " توّاب رحيم "[٤]، و " عزيز رحيم "[٥]...

٤ . ثمّ إنّ الرّحمة، كـما يقول الرازي، ليست إلاّ للّه؛ لأنّ «كلّ أحـد غير اللّه فهو إنّما يُعطي ليَأخذ عِوَضاً... فيـكون ذلك في الحقيقة معاوضة، ولا يكون جُوداً، ولا هبةً، ولا عطيّة. أمّا اللّه فإنّه كاملٌ لذاته، فيستـحيل أن يُعطي ليستفيدَ به كمالاً. فكان الجَوّادَ المطلق والرّاحمَ المطلق هو اللّه»[٦].

٥ . وكثرة ألفـاظ "الرّحمة" ومشتـقاتها في القرآن تدلّ على حقـيقة هذه الصفـة في اللّه، بل على الأهمّيّـة التي يعلّقهـا القرآن على الرّحـمة الإلهـيّة. ولكن، بالرّغم من كثـرة ورودها في القرآن، وبالرغم من قوله بأنّ اللّهَ "كتبَ عـلى نفسه الرّحمـة" (٦/ ١٢ و٥٤)، ومن قوله في الحديث "إنّ رحـمتي سبقتْ غـضبي"[٧]، فإنّ صفات البُعد والعلوّ والصمدانيّة تغلب. وهي الأساس.

٦ . هذه الرّحمة الإلهيّة هي من مميّزات إله البـيبليا. جاء في سفر الخروج: "مرّ الرّبُّ قـدّامَ موسى (وهو على جبل سـيناء)، فنادى موسـى: "ألرّبّ، الرّبّ! إله رحيم رؤوف (في العـبرية: رحـوم وحنون)، طويل الأناة، كثيـر الرّحمـة والوفاء (حِـسِدْ، أي رحـيم غيـور على مَن يُحبّ)، يحـفظ الرّحمـةَ لألوف، ويحتـمل الإثمَ والمعصية"[٨]. فـتعبير "رحوم حنون" البيبليا هو نفسه "رحمن رحيم" القرآن.

الرَّحْمَة : ذُكرت كلمـة «رحمة» في القرآن ٧٩ مـرّة. وتدور معانيهـا حول

---

(٢) ٢/ ١٤٣؛ ٩/ ١١٧و١٢٨؛ ١٦/ ٧و٤٧؛ ٢٢/ ٦٥؛ ٢٤/ ٢٠؛ ٥٧/ ٩؛ ٥٩/ ١٠

(٣) يرد هذا التعبير في القرآن: ٧٨ مرّة.

(٤) يرد هذا التعبير في القرآن: ١١ مرّة.

(٥) يرد هذا التـعـبـيـر في القـرآن: ١٣ مـرّة: ٢٦/ ٩ و٦٨ و١٠٤ و١٢٢ و١٤٠ و١٥٩ و١٧٥ و١٩١ و٢١٧؛ ٣٠/ ٥؛ ٣٢/ ٦؛ ٣٦/ ٥؛ ٤٤/ ٤٢.

(٦) تفسير الرّازي، ج ١؛ ص ١٧٢.

(٧) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن حنبل.

(٨) خروج ٣٤/ ٦-٧؛ أنظر تثنية الاشتراع ٧/ ١٢-١٣.

رحمة اللّه بعباده، وذلك بإنزال النعم عليهم في الدنيا والآخرة، وفي مقدّمتها بعث اللّه محمّداً لهم بالهدى والرحمة: «فقد جاءكمْ بيِّنَةٌ من ربِّكم وهُدًى ورحمَةٌ» (٦/ ١٥٧)؛ وتنزيل القرآن «شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين» (١٧/ ٨٢). ثمّ إنّ الرحمة واجبة على الوالدَين: «واخْفضْ لهما جَناحَ الذُلِّ مِنَ الرحمَةِ» (١٧/ ٢٤)؛ وواجبة على «الذين أسرَفوا على أنفسِهم، لا تَقنَطوا من رحمةِ اللّه» (٣٩/ ٥٣)؛ وهي أساس العلاقة بين الزوجَين: «ومن آياته أن خَلَق لكم من أنفُسِكم أزواجاً لتَسْكُنوا إليها. وجعلَ بينكم مودَّةً ورحمةً» (٣٠/ ٢١)؛ وسبب مديحٍ لأصحاب محمّد: «محمّدٌ رسولُ اللّه والذين معه أشدّاءُ على الكفّار، رحماءُ بينهم» (٤٨/ ٢٩).

ووردت كلمة «رحمة» ومشتقّاته في أحاديث عديدة، وكلّها تدور حول التواصل بين الناس، ووصف المؤمنين بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، مثل «ترى المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد..» (البخاري)؛ و«الراحمون يرحمهم الرحمن» (الترمذي)؛ و«من لا يرحم الناس لا يرحمه اللّه» (الترمذي). ولهذا نصّ عليها في ردّ السلام: «وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته» ليتذكّرها الناس دائماً فيسود التعاطف والتآلف بينهم[1].

الرِّدّة: ١ . من ارتدّ، أي رجع عن دينه، أي كفر بعد إسلامه. يُطلق اصطلاح الردّة على الذين ارتدّوا بعد وفاة النبيّ عن الإسلام. جاء في القرآن: «ومَن يَرتَدِدْ منكمْ عن دينِه، فيَمُتْ وهُوَ كافرٌ فأولئكَ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ في الدنيا والآخِرة. وأولئكَ أصحابُ النار هم فيها خالِدون» (٢/ ٢١٧). معنى ذلك: مَن ارتدّ فقد أُحبط عملُه كلُّه، وأضاع الدنيا والآخِرة، وباء بسخط اللّه وغضبه. وذلك هو الخسران المبين..

٢ . مَن ثبتَتْ رِدَّتُه باعترافه أو بشهادة شاهدَين، وأصرّ، وأبى التوبة، فقد حكم على نفسه بالقتل، لقول النبيّ: «مَن بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوه»[1]. ومَن ارتدّ عن دينه،

---

(١) راجع مادّة: الرحمة، د. محمّد شامة، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٦٨٣–٦٨٤.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ٢٦٧، ط. السلفيّة، من حديث ابن عبّاس.

يُفرَّق بينه وبين زوجته المؤمنة، لأنّ المسلمة لا تصلح زوجاً لغير المسلم. وإذا ارتدّت جماعةٌ فقتالُهم واجب، تأسّياً بفعل أبي بكر الصدّيق في قتاله للمرتدّين ومانعي الزّكاة.

٣ . لا تقع الردّة من المسلم إلاّ إذا توفّرت شرائط البلوغ والعقل والاختيار.. مَن سبّ اللّه كفر، سواء كان مازحاً أو جادًا أو مستهزئاً.. ومَن سبّ الرسول فهو مرتد بلا خلاف. ويعتبر سابًا للرسول كلُّ مَن ألحق به عيباً، أو نقصاً، في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو ازدراه، أو عرّض به، أو لعنه، أو شتمه، أو عابه، أو قذفه، أو استخفّ به، ونحو ذلك.

وقال الشافعيّة: إنّ سبَّ النبيّ ردّةٌ وزيادة. وحجّتهم أنّ السابّ كفَرَ أوّلاً، فهو مرتدّ؛ وأنّه سبّ النبيّ. فاجتمعت على قتله علّتان، كلّ منهما توجب قتله[٢].. وكذلك من سبّ الأنبياء فكأنّما سبّ محمّداً.. ومن سبّ زوجات النبيّ فهو كافر.. أمّا سابّ الخلفاء فهو لا يكفَّر..

٤ . قال بعض الشافعيّة: لا يُقتل المرتدّ بالذّمّيّ، ولا يُقطع طرفه بطرفه؛ لأنّ أحكام الإسلام في حقّه باقية بدليل وجوب العبادات عليه ومطالبته بالإسلام.. أمّا في «مغني المحتاج»، فالأظهر قتْل المرتدّ بالذمّي لاستوائهما في الكفر. بل المرتد أسوأ حالاً من الذمّي لأنّه مهدر الدم فأولى أن يقتل بالذمّي..

٥ . اتّفق الفقهاء على أنّه إذا ارتدّ مسلمٌ فقد أُهدر دمه.. وإذا قُتل المرتدّ على ردّته، فلا يُغسل، ولا يُصلّى عليه، ولا يُدفن مع المسلمين[٣]. ودليل قتل المرتدّ قول النبيّ: «مَن بدّل دينه فاقتلوه»، وحديث: «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنّي رسول اللّه إلاّ بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٤].

---

(٢) السيف المسلول، ورقة ٢؛ وأيضاً: إبن عابدين ٣/ ٣٩٠؛ الشفاء للقاضي عياض ٢/ ٩٥٢؛ المغني لابن قدامة ٨/ ١٢٣ و١٥٠؛ مغني المحتاج ٤/ ١٣٥؛ جواهر الإكليل ٢/ ٢٨٠.

(٣) كفاية الأخيار ٢/ ٢٠٤.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ٢٠١، ط. السلفيّة، من حديث ابن مسعود.

٦ . اتّفق الفقهاء على أنّه إذا ارتدّ أحد الزوجين حيل بينهما، فلا يقتربا بخلوة ولا جماع.. وقيل: إنّ الردّة فسخ بغير طلاق.. وقال الحنابلة: إذا ارتدّ أحد الزوجين قبل الدخول انفسخ النكاح فوراً، وتَنَصَّفَ مهرُها إن كان الزوج هو المرتدّ، وسقط مهرُها إن كانت هي المرتدّة. ولو كانت الردّة بعد الدخول تنجز الفرقة، أو تتوقّف على انقضاء العدّة.

٧ . واتّفق الفقهاء على أنّ المسلم إذا ارتدّ، ثمّ تزوّج، فلا يصحّ زواجه؛ لأنّه لا ملّة له. فليس له أن يتزوّج مسلمةً، ولا كافرةً، ولا مرتدّة.. ذبائح المرتدّ لا يجوز أكلها، لأنّه لا ملّة له، ولا يقرّ على دين انتقل إليه، حتّى ولو كان دين أهل الكتاب.

الرَّسُول : ١ . الرسول من البشر، ذَكَرٌ حرٌّ، أوحى اللّهُ إليه بشرعٍ، وأمره بتبليغه. فإنْ لم يؤمر بتبليغه فنبيّ فحسب. والفرق بين الرسول والنبيّ هو أنّ النبيّ هو من يبعثه اللّه مبشّراً ونذيراً لقومه؛ ولكنّه ليس «رأس» أمّة، كما هو شأن الرسول، وليس له كتابٌ منزل أو شريعة يعمل بموجبها... والنبي لا يكون بالضرورة رسولاً في الوقت نفسه.

٢ . ويجب على الرسول من قِبل اللّه تبليغُ الدعوة إلى المرسَل إليهم، لقوله تعالى: «يا أيّها الرسول! بلّغْ ما أُنزِل إليكَ من ربّك. وإن لم تفعلْ فما بَلَّغْتَ رسالتَه» (٥/٦٧). ويجب على مَن بلغته دعوةُ الرسل الإيمانُ بهم وتصديقُهم فيما جاءوا به ومتابعتهم وطاعتهم. فالعلاقة وثيقة بين الرسول وأمّته. فاللّه يبعث في كلّ أمّة رسولاً[1].. وقد أرسل محمّداً إلى أمّة لم يَبعث إليهم رسولاً من قبل[2]. وأرسله إلى الناس كافّة: «وما أرْسَلْناكَ إلاّ كافَّةً للناسِ بشيراً ونذيراً»[3].

٣ . أجمع أهل العلم على كفر مَن أنكر نبوّة نبيّ، أو رسالةَ أحدٍ من الرسل، أو كذّبه، أو سبّه، أو استخفّ به، أو سخر منه، أو استهزأ بسنّته، لقوله تعالى: «قل:

---

(١) رَ: ١٠/٤٧؛ ١٦/٣٦؛ رَ: ٢٣/٤٤؛ ٤٠/٥.
(٢) رَ: ٢٨/٤٦؛ ٣٢/٣؛ ٣٤/٤٤.
(٣) ٣٤/٢٨؛ رَ: ٣٣/٤٥-٤٦.

أباللّهِ وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا. قد كفرتم بعد إيمانكم» (٩/ ٦٥-٦٦)، وقوله: «إنّ الذين يؤذون اللّهَ ورسولَه لعنهم اللّه في الدنيا والآخرة، وأعدّ لهم عذاباً مهيناً» (٣٣/٥٧). كما أنّ مَن سبَّ الرسولَ يُقتل(٤).

٤. ويماثل الرسولَ في ذلك بقيّةُ الرسل والأنبياء والملائكة: فمن سبّهم، أو لعنهم، أو عابهم، أو قذفهم، أو استخفّ بحقّهم، أو ألحق بهم نقصاً، أو غضّ مِن مرتبتهم، أو نسب إليهم ما لا يليق بمنصبهم على طريق الذمّ، يُقْتَل(٥).

الرَّشْوَة: ١. لغةً: مِن رَشَا، يَرْشُو، رَشْوًا، أي: بَرْطَلَ. وهي رَشْوَة، ورُشْوَة، ورِشْوَة. قال ابن الأثير: «الرّشوة: الوُصلة إلى الحاجة بالمصانعة»؛ وقال الفيومي: «الرشوة: ما يعطيه الشخص للحاكم ليحكم له، أو يحمله على ما يريد»؛ والرّشوة: «ما يُعطى لقضاء مصلحة».

٢. والرّشوة في الاصطلاح: ما يُعطى لإبطال حقّ، أو لإحقاق باطل. والراشي: مَن يُعطي الذي يُعينه على الباطل؛ والمرتشي: هو الآخذ؛ والرائش: هو الذي يسعى بين الراشي والمرتشي، يَستزيد لهذا ويَستنقص لهذا. وقد تُسمَّى الرشوة: البرطيل، وجمْعه: براطيل. وفي المثل: «البراطيل تنصر الأباطيل».

٣. الرَّشوة، في حكمها الدِّيني، من الكبائر. جاء في القرآن: «سمّاعون للكذب، أكّالون للسُّحْتِ» (٥/٤٢)؛ والسحت هو الرّشوة. وجاء أيضاً: «ولا تأكلوا أموالَكم بينَكم بالباطل (بالحرام)، وَ(لا) تُدلُوا (تلقوا) بها (رشوةً) إلى الحكّام لتَأكلوا (بالتحاكم) فريقاً (طائفة) من أموالِ الناس (متلبسين) بالإثم، وأنتم تَعلمون (أنّكم مبطلون)» (٢/١٨٨). وفي الحديث عن عبد اللّه بن عمر قال: «لعن رسولُ اللّهِ الراشي والمرتشي»، وفي رواية، زيادة: «والرائش» (رَ: الترمذي).

٤. يحرّم طلب الرشوة، وبذلها، وقبولها، كما يحرّم عمل الوسيط بين

---

(٤) إبن عابدين ٣/ ٣٩٠؛ الشفاء للقاضي عياض ٢/ ٩٥٢؛ المغني لابن قدامة ٨/ ١٢٣ و١٥٠؛ مغني المحتاج ٤/ ١٣٥؛ جواهر الإكليل ٢/ ٢٨٠.

(٥) المصادر السابقة نفسها.

الراشي والمرتشي. غير أنّه يجوز للإنسان، عند جمهور الفقهاء، أن يدفع رشوةً للحصول على حقّ، أو لدفع ظلم أو ضرر، ويكون الإثم على المرتشي لا على الراشي[١].. وقد جوّز الشارع الاستعانة بالمفسدة، لا من جهة أنّها مفسدة، على درء مفسدة أعظم منها، كفداء الأسير، فإنّ أخْذ الكفّار لمال المسلمين حرام عليهم، وفيه مفسدة إضاعة المال، إلاّ أنّ افتداء الأسير واجب أولى.. وعن عطاء والحسن: لا بأس بأن يصانع الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم[٢].

٥ . لا ينفَّذ حكم القاضي إذا تولّى القضاء برشوة[٣]. ولا ينفذ حكمه في الدعوى التي ارتشى فيها: فإنّه، لو أخذ رشوة وحكم، فحكمه غير نافذ، ولو كان حكمه بحقّ، لأنّ القاضي، في هذه الصورة، يكون قد استُؤجر للحكم، والاستئجار للحكم باطل، لأنّ القضاء واجب على القاضي.. وقال أبو حنيفة: إذا ارتشى الحاكم انعزل في الوقت، وإنْ لمْ يُعزلْ، بطل كلُّ حكم حكم به بعد ذلك[٤].

الرِّضَا : ١ . سرور القلب، وطيب النفس، وبشاشة الوجه. ضدّ السخط والكراهيّة والانقباض. والتراضي: هو في المشاركة، كما في قوله: «إلاّ أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم» (٤/ ٢٩)، إذ التجارة بين إثنين إنّما تكون عن رضا كلّ منهما، لقول النبيّ: «إنّما البيع عن تراضٍ»[١]، وقوله: «ولا يحلّ لامرئ مِن مالِ أخيه إلاّ ما طابتْ به نفسُه»[٢]، وفي رواية: «لا يحلّ مالُ امرئ مسلم إلاّ بطيب نفس»[٣].

---

(١) المغني ٩/ ٧٨؛ كشاف القناع ٦/ ٣١٦؛ الزواجر ٢/ ١٨٨؛ الكبائر للذهبي، ص ١٤٢؛ نهاية المحتاج ٨/ ٢٤٣؛ نيل الأوطار ٨/ ٢٧٧؛ إبن عابدين ٤/ ٣٠٣؛ مواهب الجليل ٦/ ١٢٠؛ المحلى ٩/ ١٣١ و١٥٧؛ القرطبي ٦/ ١٨٣؛ الحطّاب ٦/ ١٢١؛ مطالب أولي النهى ٦/ ٤٧٩.

(٢) كساف القناع ٦/ ٣١٦.

(٣) البحر الرائق ٦/ ٢٨٤؛ قاضي خان ٢/ ٤٥٠؛ الزرقاني ٧/ ٨٢٦؛ إبن فرحون ١/ ٢٤؛ الزواجر ١/ ١٥٩؛ المغني ٩/ ٤٠.

(٤) القرطبي ٦/ ١٨٣؛ إبن فرحون ١/ ٧٨؛ مغني المحتاج ٤/ ٣٨١؛ مطالب أولي النهى ٦/ ٤٦٨.

(١) أخرجه إبن ماجه ٢/ ٧٣٧، ط. الحلبي، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٣، من حديث عمر بن يثرى؛ أورده الهيثمي في المجمع ٤/ ١٧١

٢ ـ والرضا، عند الفقهاء، أصل، أو أساس، أو شرطٌ للعقود كلّها. وإذا لم يتحقّق الرضا لا ينعقد العقد، سواء أكان ماليًا أم غيرَ مالي.. إلاّ أنّ ثمّة عيوباً تؤثر فيه، منها: الإكراه، والجهل، والغلط، والتدليس، والتغرير، والاستغلال، وكون الرضا مقيّداً برضا شخص آخر. يقول الغزالي والنووي: «ويختلّ القصد بخمسة أسباب: سبق اللسان، والهزل، والجهل، والإكراه، واختلال العقل».

٣ ـ وسائل التعبير عن الرضا: اللفظ، والفعل، والكتابة، والإشارة، والسكوت في معرض البيان، اتّباعاً للقاعدة الفقهيّة: «لا يسند لساكت قول، ولكنّ السكوت في معرض الحاجة بيان»[٤]. وقد اتّفق الفقهاء على أنّ سكوت البكْر دليل على الرضا، لقول النبي: «لا تُنكح البكر حتّى تُستأذن. قالوا: يا رسول اللّه! وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت»[٥]، وفي رواية أخرى: «الثيّب أحقّ بنفسها من وليّها، والبكر يستأذنها أبوها في نفسها، وإذنها صماتها»[٦].

الرِّضَا (عليّ بن موسى الكاظم) (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) : ١ ـ الإمام الثامن عند الشيعة. وُلد بالمدينة. شاء المأمون أن يبايعه على الخلافة، فزوّجه ابنته أمّ حبيبة، وسمَّى لابنه، محمد الجوّاد، ابنتَه أمَّ الفضل. وأمر فضُربتْ له الدراهم والدنانير، وطُبع عليها اسم «الرضا». وأمر أن يُخطب له على المنابر. وكتب إلى الآفاق بذلك. وخطب للرضا في كلّ بلد بولاية العهد. وكتب المأمون العهد ووقّع عليه الإمام الرضا بخطّه.

٢ ـ من حِكَم الرضا: «لم يخنْكَ الأمينُ، ولكن ائتمنتَ الخائنَ». «الصمتُ بابٌ من أبواب الحكمة». «يأتي على الناس زمانٌ تكون العافيةُ فيه عشرةَ أجزاء: تسعة

---

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٧٢؛ ط. الميمنيّة، من حديث أبي حرّة الرقاشي عن عمّه مرفوعاً. أورده الهيثمي في المجمع ٤/ ١٧٢، ط. المقدسي.

(٤) الأشباه والنظائر للسيوسي، ص ٢٥٨؛ المنثور ٢/ ٢٠٥؛ مخطوط الأوقاف، رقم ٣٥٢٩، ورقة ١، للعلاّمة ابراهيم بن عمر.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ٩/ ١٩١، ط. السلفيّة؛ مسلم ٢/ ١٠٣٦، من حديث أبي هُريرة.

(٦) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٣٧، ط. الحلبي.

منهـا في اعتـزال الناس، وواحـدٌ في الصمت». «صـديق كلّ امـرئ عقلُه، وعـدوُّه جهلُه». «إنّ شرَّ الناس مَن منع رفدَه، وأكلَ وحده، وجلد عبدَه».

٣ . روي أنّ له ابناً واحداً وهو الإمـام محـمّد التقي. وقـيل خمسـة ذكور وبنتاً واحدة. وقيل إنّه مات مسموماً بالعنب والرمان اللذين قدّمهما له المأمون.

رِضَا (محمّـد رشيد) (ت ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) : وُلد في القلمون (لبنان). من علماء الدين الإسلاميّ. تأثّر بكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، فمال إلى الزهد والتـصوّف، وانخرط مـريداً في الطريقـة النقشـبنديّة. ثمّ حدث انقـلابٌ في فكره وحيـاته عندما تعـرّف على بعض أعداد من مـجلّة «العروة الوثقى» الـتي أصدرها الأفغاني ومحمّد عبدُه من باريس، وقد تحدّث هو نفسه عن هذا التحوّل، فقال:

«.. لقد كان كلٌّ عـدد منها كسلكٍ من الكهرباء اتّصل بي فـأحدث في نفسي من الهزّة والانفعال والحرارة والاشتـعال ما قذف بي من طور إلى طور ومن حال إلى حـال.. وتعلّمت منهـا أنّ الإسـلام ليس روحـانيّـا أخـرويّا فـقط، بل هو دين روحانيّ جسـماني، أخروي دنيوي، من مـقاصده هداية الإنسان إلى الـسيادة في الأرض بالحقّ ليكون خليفـة الله في تقرير المحبّـة، فتعلّقتْ نفسي بوجـوب إرشاد المسلمين عامّـة إلى المدنيّة والمحافظة على ملكهم، ومبـاراة الأمم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقوّمات الحياة، فطفقت أستعدّ لذلك استعداداً»..

هاجر إلى مصر قاصداً جمال الدين الأفـغاني والإمام محمّد عبدُه، وأصدر مجلّـة «المنار» بالقاهرة، وهي من أشـهر آثاره، التي فـيهـا تناول أموراً سـياسـيّة عديدة، مثـل: علاقة الغرب بالتـرك، والمسألة الشرقيّـة، والاستعمار الغـربي لبلاد المسلمين، وشئون الخـلافة الإسلاميّة، والخطر الصهيـوني على فلسطين، إلى غير ذلك.. . وله أيضاً: تفسير القرآن المعروف بـ «تفسير المنار».

الرَّضَاع : ١ . لا خلاف بين الفقهـاء في أنّه يجب إرضـاع الطفل ما دام في حـاجة إليـه، وفي سنّ الرضاع. واخـتلفـوا في مَن يجب عليـه: فقـال الشافـعيّـة والحنابلـة: يجب على الأب اسـتـرضـاع ولده؛ ولا يجب على الأم، ولـيس للزوج

إجبارها عليه، إلاّ إذا لم يجد الأب مَن ترضع له غيرها، أو لم يقبل الطفل ثدي غيرها، أو لم يكن للأب مال، فيجب عليها حينئذ.. ولكنّ الشافعيّة قالوا: يجب على الأم إرضاع الطفل اللبأ، وإن وجد غيرها، لأنّ الطفل لا يستغني عنه غالباً. وقال الحنفيّة: يجب على الأم ديانة لا قضاء.

٢. للأمّ ، عند الشافعيّة والحنابلة، طلب أجرة المثل بالإرضاع، سواء كانت في عصمة الأب أم خليّة، لقوله تعالى: «فإن أرضعْنَ لكم فآتوهنَّ أجورَهنّ» (٦٥/ ٦). أمّا عند الحنفيّة، فليس للأمّ طلب الأجرة، لقوله تعالى: «وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف» (٢/ ٢٣٣)، وهو، أي الأب، قائم برزقها حالة بقائها في عصمته أو في عدّته، بخلاف مَن لم تكن في عصمته ولا في عدّته..

٣. يترتّب على الرضاع تحريم النكاح، لقوله تعالى: «حرِّمتْ عليكم أمّهاتكم، وأمّهاتُكم اللاّتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة» (٤/ ٢٣)، ولقول النبيّ: «يحرم من الرضاعة ما يحرّم من النسب»[1].. وذهب الجمهور إلى أنّ قليلَ الرضاع وكثيرَه يحرم، وإن كان مصّةً واحدة. فالشرط في التحريم أن يصل اللبن إلى جوف الطفل مهما كان قدره.. أمّا الشافعيّة والحنابلة فذهبوا إلى أنّ ما دون خمس رضعات لا يؤثر في التحريم. واستدلّوا بما ورد عن عائشة، قالت: «وكان فيما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمن)، ثمّ نسخن بخمس معلومات. فتوفّي رسول الله وهنّ فيما يقرأ من القرآن»[2].

٤. إنّ مدّة الرضاع المؤثّر في التحريم حولان، فلا يحرّم بعد حولَين. واستدلّوا بقوله تعالى: «والوالدات يُرضعن أولادهنَّ حولَين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة» (٢/ ٢٣٣).. وليس وراء تمام الرضاعة شيء، وبقوله: «وفصاله في عامَين» (٣١/ ٢)، وقوله: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» (٤٦/ ١٥)، وأقلّ الحمل ستّة أشهر، فتبقى مدّة الفصال حولَين.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٥/ ٢٥٣؛ مسلم ٢/ ١٠٧٢، حديث عبد الله بن عبّاس.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٧٥، ط. الحلبي.

٥ . إنّ إرضاع الكبير يحرّم، لقول أم سَلَمة لعائشة: «إنّه يدخل عليك الغلام الأيفع الذي ما أحبّ أن يدخل عليّ. فقالت عائشة: أما لكِ في رسول الله أسوة حسنة؟ قالت: إنّ امرأة أبي حُذيفة قالت: يا رسولَ الله: إنّ سالماً يدخل عليّ وهو رجل، وفي نفس أبي حُذيفة منه شيء. فقال رسول الله: أرضعيهِ حتّى يدخل عليك»[٣].

٦ . يحرّم على المرضعة أبناء رضيعها وأبناء أبنائه وإن سفلوا. ولا يحرّم عليها أصولُه، كأبيه، وجدّه، وحواشيه، كإخوته وأعمامه، وأخواله. فيجوز لهؤلاء أن يتزوّجوا المرضعة، أو بناتها، أو أخواتها. فالرضاعة لا تنشر الحرمة إلى أصول الرضيع وحواشيه.. ويحرّم على صاحب اللّبن (وهو زوج المرضعة التي نزل لها منه اللبن) مَن أرضعتْها زوجتُه، لأنّها ابنتُه من الرضاع. وتحرّم على أبنائه الذين من غير المرضعة، لأنّهم إخوتها من الرضاعة، وأبناء بناته من غير المرضعة، لأنّهم أبناء إخوتها لأبٍ من الرضاعة.. وتحرّم الرضيعة على آباء زوج المرضعة، لأنّهم أجدادها من قِبل الأب من الرضاعة، وعلى إخوته لأنّهم أعمامها من الرضاعة، وأخواته عمّات الرضيع فيحرمن عليه. ولا حرمة بين صاحب اللبن وأمّهات الرضيع وأخواته من النسب.

رَضْوَى : جبل في الحجاز بالسعوديّة قرب يَنْبُع. علوّه: ١,٨١٤م. اختفى فيه محمّد بن الحنفيّة، وعنده جماعة تنتظر عودته إلى اليوم.

الرِّفَادَة : ١ . من رفد، وهي شيء كانت قريش تترافد به في الجاهليّة، فيُخرج كلُّ إنسان مالاً بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيّام الموسم، فيشترون به للحاجّ الجزر (الإبل)، والطعام، والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يُطعمون الناس حتّى تنقضي أيّام موسم الحجّ. وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم، والسدانة واللواء لبني عبد الدار. وكان أوّل مَن قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف. وسمّي هاشماً لهشمه الثريد.

---

(٣) أخرجه مسلم ٢/١٠٧٧؛ راجع رواية مالك: «أرضعيه خمس رضعات»، الموطأ ٢/٦٠٥.

٢ . الرفادة والسقاية والعمارة والحجابة من الأمور التي كانت تفتخر بها قريش في الجاهليّة، ويعتبرونها من الأعمال التي يمتازون بها عن غيرهم من العرب. فهم حماة البيت يصدّون الأذى عنه، ويُطعمون، ويسقون مَن جاءه حاجّاً أو زائراً. وقد بلغ بهم الأمر أن جعلوا هذه الأعمال كعمل مَن آمن باللّه واليوم الآخِر وجاهد في سبيله. وقد أنكر القرآن عليهم ذلك في قوله: «أجَعَلتم سقاية الحجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن باللّه واليوم الآخِر وجاهد في سبيل اللّه! لا يستوون عند اللّه. واللّه لا يهدي القوم الظالمين» (٩/ ١٩).

الرَّفَث : لغةً: الجماع وغيره ممّا يكون بين الرجل والمرأة من تقبيل ونحوه ممّا يكون في حالة الجماع. ويُطلق على الفحش، والقبح، واللمس، والغمز.. والرّفَث منهيّ عنه في العبادات: فلا خلاف في أنّ مَن جامع في نهار رمضان عمداً يأثم، ويفسد صومه. وعليه القضاء والكفّارة، سواء أنزل أم لم ينزل، لقوله تعالى: «أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَث إلى نسائكم» (٢/ ١٨٧).. ولا خلاف أيضاً بين الفقهاء في أنّ الرَّفَث في الاعتكاف محرّم، لقوله تعالى: «ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد» (٢/ ١٨٧).. واتّفق الفقهاء أيضاً على أنّ الرَّفَثَ في الإحرام محرّم، لقوله تعالى: «فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رَفَثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحجّ» (٢/ ١٩٧)؛ ووجب عليه القضاء والكفّارة إن كان عامداً.

رَفْعُ الحَرَج : ١ . هو إزالة التكليف الشاقّ؛ وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنّة والإجماع : فمن الكتاب قوله: «وما جعلَ عليكم في الدين من حرج» (٢٢/ ٧٨)، وقوله: «لا يكلّف اللّه نفساً إلاّ وسعها» (٢/ ٢٨٦)، وقوله: «ما يريد اللّه ليجعل عليكم من حرج..» (٥/ ٦)، وقوله: «يريد اللّه بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر» (٢/ ١٨٥)، وقوله: «يريد اللّه أن يخفّف عنكم. وخلقَ الإنسانَ ضعيفاً» (٤/ ٢٨).

٢ . وفي السنّة أيضاً قول النبيّ: «بُعثت بالحنيفيّة السمحة»[1]، وحديث

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ١٩٢، من حديث حبيب بن أبي ثابت مرسلاً.

عائشة: «ما خُيِّر رسولُ اللّه بين أمرَين إلاّ اختار أيسرَهما ما لم يكن إثماً»[٢].. وقول النبيّ لعليّ ومعاذ حين وجّههما إلى اليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا. وبشِّرا ولا تنفرا»[٣]..

٣ . من أسباب رفع الحرج: السفر، والمرض، والإكراه، والنسيان، والجهل، والعسر، وعموم البلوى، والنقص.. ولا يتعلّق التكليف بما فيه حرج على الصبيّ العاقل، ولا على المعتوه البالغ.

٤ . والقواعد التي يُراعى فيها رفع الحرج: ١- المصالح المرسلة التي يرجع الأمر فيها إلى حفظ أمرٍ ضروري، ورفْع حرج لازم في الدين؛ ٢- الاستحسان، وهو ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس، أو هو الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة؛ أو هو ترْك العسر لليسر؛ ٣- والمشقّة تجلب التيسير، كقول الشافعي: إذا ضاق الأمر اتّسع، وقول أبي هُريرة: وُضعت الأشياء في الأصول على أنّها إذا ضاقت اتّسعت، وإذا اتّسعت ضاقت؛ ٤- قاعدة الرخص، وهي مشروعة لدفع الحرج ونفيه عن الأمّة؛ ٥- قاعدة: الضرر يُزال، أي: الضرورات تبيح المحظورات، والحاجة تنزل منزلة الضرورة؛ ٦- التوبة والكفّارات، وهي سعة الإسلام ممّا جعل اللّه فيه من التوبة والكفّارات.

الرِّفْق : ١ . لين الجانب، ولطافة الفعل، وإحكام العمل، والقصد في السير. يرادفه: الرحمة، والشفقة، واللّطف، والعطف. ويقابله: الشدّة، والقسوة، والفظاظة.

٢ . الرّفق مستحبّ في كلّ شيء، لقول النبيّ: «إنّ اللّه يحبّ الرفق في الأمر كلّه»[١]، ولقوله: «إنّ اللّهَ رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٢]، ولقوله: «إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه، ولا يُنزع من شيء إلاّ

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/٨٦، ط. السلفيّة؛ مسلم، ٤/١٨١٣، ط. الحلبي.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٥٢٤؛ مسلم، ٣/١٣٥٩، من حديث أبي موسى الأشعري.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٤٤٩، ط. السلفيّة، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٤، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

شانه»[٣]، ولقوله: «مَن أُعطي حظُّه من الرفق فقد أُعطي حظُّه من الخير»[٤]، ولقوله: «مَن يحرّم الرفق يحرّم الخير»[٥].

٣ . رفق اللّه بالمكلّفين: إنّ اللّه لم يكلّف الناس إلاّ بما يدخل تحت قدرتهم وطاقتهم بلا مشقّة: فقد أمرهم بالصلاة وبصوم رمضان، إلاّ أنّه شرع لهم الرخص التي تخفّف عنهم المشقّة الحاصلة من تلك العبادات.. وأباح لهم المحظور عند الضرورة، كإباحة الميتة للمضطر.. وكذلك نهى النبيّ عن التنطّع والتكلّف، فقال: «خذوا من الأعمال ما تطيقون. فإنّ اللّه لن يملّ حتّى تملّوا»[٦]

٤ . الرفق بالوالدين واجب: لقد أمر اللّه بالرفق بالوالدين والإحسان إليهما وبرّهما، فقال: «قلْ: تعالوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم: ألاّ تُشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً» (٦/ ١٥١)، وقال: «وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه، وبالوالدين إحساناً، إمّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقلْ لهما: أُفٍّ. ولا تنهرهما. وقلْ لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة. وقل: ربِّ! ارحمهما كما ربّياني صغيراً» (١٧/ ٢٣-٢٤).

٥ . الرفق بالجار والإحسان إليه، وحفْظه، والقيام بحقّه، أمر بها اللّه في كتابه: «واعبدوا اللّهَ، ولا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحساناً، وبذي القربى، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب» (٤/ ٣٦).

٦ . رفق الإمام بالمأمومين، وذلك بالتخفيف بالقراءة والصلاة والخطبة، مراعاة للمريض والضعيف وصاحب الحاجة، لقول النبي: «إذا صلّى أحدكم بالناس فليخفّفْ فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير»[٧].

---

(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٠٤، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٦٧، ط. الحلبي، من حديث أبي الدرداء، حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٠٣، ط. الحلبي، من حديث جرير بن عبداللّه.

(٦) أخرجه مسلم ٢/ ٨١١، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

(٧) أ»خرجه البخاري، الفتح ٢/ ١٩٩، ط. السلفيّة، من حديث أبي هُريرة.

٧ . الرفق في تغـيير المنكر : ينـبغي لمن يتصـدّى لتغـيير المنكر أن يـتحلّى بمكارم الأخلاق، حتّى يكون عمله مقبولاً، وقوله مسموعاً، قال تعالى: «فبِمَا رحمةٍ مِن اللّهِ لِنْتَ لهم (يـا محـمّد). ولـو كنتَ فظًا غليظَ القلبِ لانْفَـضُّـوا (تفرّقـوا) مِن حـولكَ. فاعْفُ عـنهم، واستـغـفرْ لهم، وشـاورْهم في الأمـر» (٣/ ١٥٩). عن أبي هُريرة أنّ أعرابيًا بالَ في المسـجد، فتناوله الناس، فقال لـهم النبيّ: دعوه. وهريقوا على بَوله سجلاً (دلواً) من ماء، فإنّما بُعثتم ميسّرين ولم تُبعثوا معسّرين»[٨].

٨ . الرفق بالخدم: عن المعرور قـال: لقيتُ أبا ذَرٍّ بالربذة، وعليه حلّة، وعلى غلامه حلّة، فسألتُه عن ذلك. فقال: إنّي ســاببتُ رجلاً فعيّرته بأمّه. فقال لي النبي: يا أبا ذَرّ! أعيّـرتَه بأمّه؟! إنّك امرؤ فيكَ جـاهليّة، إخوانكم خـولكم، جعلهم اللّه تحت أيديكم. فـمن كـان أخوه تحت يده فلـيطعمْـه ممّا يأكل، وليُلبـسْـه ممّا يلبس. ولا تكلّفوهم ما يغلبهم. فإن كلّفتموهم فأعينوهم»[٩].

٩ . الرفق بالحـيوان : لقـد أمر النبيّ بـالرفق بالحيـوان الذي يُذبح لأكله، وذلك بإحداد الشفرة وإراحة الذبيحـة. قال: «إنّ اللّه كتبَ الإحسان على كلّ شيء. فإذا قـتلتم فأحسنوا القـتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنـوا الذبح. وليُحدَّ أحدُكم شـفرتَه وليـرح ذبيحـته»[١٠]. وممّا ورد في فضْـل مَن سقى حيـواناً رِفقـاً به ما أخـرجه البخاري في صحيحه عن أبي هُريرة أنّ رسول اللّه قال: «بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش، فـوجد بئراً، فنزل فيها، فشـرب، ثمّ خرج. فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العـطش. فقال الرجل: لقـد بلغ هذا الكلبُ من العطش مثـلَ الذي كان بلغَ بي. فنزل البئرَ، فـملأ خفَّه. ثمّ أمسكه بفـيه، فسقى الكلب. فشكر اللّهَ له. فـغُفر له. قـالوا: يا رسـولَ اللّه! وإنّ لنا في البـهائم أجـراً؟ فـقـال: في كلّ ذات كبـدٍ رطبـة أجرٌ»[١١].

---

(٨) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٣٢٣، ط. السلفيّة.

(٩) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٨٤، ط. السلفيّة؛ وفتح الباري ٥/ ١٧٣-١٧٤، ط. الرياض.

(١٠) أخرجه مسلم ٣/ ١٥٤٨، ط. الحلبي، من حديث شدّاد بن أوس.

(١١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٤٣٨، ط. السلفيّة.

١٠ . إلاّ أنّ الرفق بالكفّار الحربيّين ممنوع لقوله تعالى: «محمّد رسول اللّه والذين معه أشدّاد على الكفّار، رحماء بينهم» (٤٨/ ٢٩).

الرُّفْقَة : الصحبة. وهي أيضاً إسم جمْع، وهم الجماعة التي ترافق الرجل في السفر.

١ . يُستحبّ لمن يسافر أن يسافر مع رِفقة. ويُكره أن يسافر الرجلُ منفرداً. ولا تُزال الكراهة إلاّ بثلاثة، لحديث ابن عمر قال: قال رسول اللّه: لو يعلم الناس ما في الوَحدة ما أَعْلَمُ، ما سار راكبٌ بليلٍ وحدَه»[1]، ولخبر: «الراكبُ شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»[2]، فينبغي أن يسير مع الناس ولا ينفرد بطريق، ولا يركب إثنان الطريق.. الرفقة في السفر بمنزلة الأهل في الحضر.

٢ . يجب على المسافر، إن لم يجد ماءً للوضوء، أن يسأل رفقته عن الماء، وأن يسألهم: مَن معه ماء؟ فإن تيمّم قبل السؤال لم يصحّ تيمُّمُه.. ويجوز لمن وجبت عليه الجمعة أن يسافر في يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة، إذا كان يلحقه ضرر بتخلّفه عن الرفقة.

الرُّقْبَى : من أرقَبَه الدارَ: جعلَها له رُقْبَى. والرُّقْبَى: أن يقول الرجل لصاحبه: إن متّ قبلي فدارُكَ لي، وإنْ متُّ قبلك فداري لك.. مثلها مثل **العُمْرَى**، من العمر، وهو الحياة، ومعناها: أن يقول الرجل: أعمرتُكَ داري هذه، أي جعلتُها لك تسكنها مدّةَ عمري أو عمرك. أمّا **الهبة** فهي تمليك العين بلا عوض. **والعارية** : تمليك المنفعة بلا عوض. **والمنيحة**: الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً ليشرب لبنَها ثمّ يردّها إذا انقطع اللّبن. والرُّقْبَى نوع من الهبة كانت للعرب في الجاهليّة.

الرِّق : من رقّ العبد: ملِكَه. ضدّ: عتق. والرقيق: المملوك، والجمع: رقيق وأرقّاء. سمّي العبيد رقيقاً، لأنّهم يرقون لمالكهم، ويذلّون ويخضعون.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٦/١٣٨، ط. السلفيّة.
(٢) أخرجه الترمذي ٤/١٩٣، ط. الحلبي، حديث حسن.

١ . عند ظهور الإسلام، كانت الأسر المعروفة في مكّة تملك عبيداً. وأنّ أوّل مَن آمن بمحمّد كانوا خمسة أعبدٍ وخديجة وأبو بكر. والرسول نفسه كان له عدّة عبيد وإماء. ذُكر منهم: أسامة بن زيد بن حارثة، وأمّه وكان اسمها بركة، كانت حاضنة رسول اللّه في صغره، ومنهم سلمان الفارسي، ومنهم شُقران الحبشي، ومنهم مأبور القبطي الخصيّ.. وكان له عدد كبير من الإماء. وبعد الهجرة إلى المدينة وابتداء الغزوات، زاد عدد الإماء والعبيد الذين أُسروا في المعارك[1]..

٢ . يكون الاسترقاق بإحدى الحالات الثلاث: ١ – استرقاق الأسرى والسبي من الأعداء الكفّار، وقد «استرقّ النبيُّ نساءَ بني قريظة وذراريهم»[2]؛ ٢ – ولد الأمَة من غير سيّدها، سواء أكان أبوه حرًا أم عبداً، وهو رقيق لمالك أمّه؛ ٣ – الشراء ممّن يملكه ملكاً صحيحاً معترفاً به شرعاً.. وقد أهدى المقوقس للنبيّ جاريتَين، فتسرّى بإحداهما، ووهب الأخرى لحسّان بن ثابت[3].

٣ . حثَّ الإسلامُ على تحرير الأرقّاء. وكان من أوائل ما نزل من القرآن الدعوة إلى ذلك، من مثل قوله تعالى: «فَلا (فهلاّ) اقْتَحَمَ العَقَبَةَ. ومَا أدراكَ ما العقبةُ: فَكُّ رَقَبَةٍ» (٩٠/١٣).. وجعل تحرير الرقاب كفّارة لكثير من الآثام، كقتل النفس، والظهار، والحنث في اليمين، والفطر في رمضان.

٤ . ورغم أنّ الإسلام حاول تشجيع المسلمين على إعتاق عبيدهم بجعله تحرير رقبة مكان الكفّارة عن عدّة معاصي[4]، إلاّ أنّه في نفس الوقت شجّعهم على امتلاك عدد متزايد من العبيد والإماء بجعل الجهاد في سبيل اللّه فريضة على كلّ

---

(١) وفي أيّام الدولة الأمويّة، عندما امتدّت أطراف الدولة الإسلاميّة إلى أفريقيا والأندلس وأوروبا، رجعت الجيوش العربيّة بكمّيّات هائلة من الجواري والعبيد. ويُقال إنّه بعد فتْح إسبانيا رجع بعض الجنود ومعهم خمسة وعشرون ألف فتاة إسبانيّة هديّةً للخليفة الأموي (د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٧/٤١٢، ط. السلفيّة، من حديث عائشة.

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات ٨/٢١٤، ط. دار صادر، من حديث الزهري مرسلاً.

(٤) رَ : ٤/٩٢؛ ٥/٨٩؛ ٥٨/٣.

مسلم قادر على حمل السلاح.. فإنّ الحروب التي خاضها المسلمون لنشر الإسلام جلبت لهم عدداً من العبيد والإماء يفوق عدد الذين أُعتقوا.

٥ . ومعاملة الإسلام للعبيد في النواحي الشرعيّة لا تساويهم بإخوانهم وأخواتهم المسلمين الأحرار رغم أنّ الأحاديث النبويّة تقول: «لا فرق بين عربي وعجمي إلاّ بالتقوى»؛ وكذلك «المسلمون سواسية كأسنان المشط»، فنجد اختلافاً بيّناً في القصاص. ففي سورة البقرة، الآية ١٧٨ نجد: «يا أيّها الذين آمنوا! كُتب عليكم القصاص في القتلى، الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى». فحياة العبد، إذاً، لا تساوي حياة الحرّ. فلو قَتَلَ حرٌّ عبداً لا يُقتل الحرُّ بالعبد، ولكن يُقتل العبد إذا قتل حرًّا.

٦ . أمّا الإماء فلا تساوي الواحدة منهنّ، حتّى المسلمة، إلاّ نصف الحرّة، حتّى في العقاب. فالمرأة الحرّة كلّها عورة، ولا يجوز أن تكشف أيَّ جزء من جسمها غير وجهها ويديها؛ أمّا الأمة فعورتها من سرَّتها إلى ركبتَيها. ولذا يجوز لها أن تكشف صدرَها إن أرادت. والأَمَة، إذا طُلِّقتْ، أو مات زوجها، فعدّتها نصف عدّة الحرّة. وهي لا تتزوّج إلاّ بإذن سيّدها. والأمة، إذا كانت متزوّجة وباعها سيّدُها، تُعتبر طالقاً من زوجها، وليس له الحقّ في الاعتراض.. وإذا زنت الأمة لا تُرجم حتّى وإن كانت متزوّجة، بل تُجلد خمسين جلدة، ويُقاس عليهنّ العبيد.

٧ . وأمّا نكاح الإماء فمباح للسيّد متى شاء، وأيَّ عدد من الإماء شاء. ومَن لم يستطع من المسلمين نكاح المحصنات المؤمنات لعدم مقدرته ماديًّا، فلينكح أمةً بإذن أهلها. ولكن هذا غير مستحبّ لأنّ أولادَه منها يكونون مُلكاً لسيّدها[٥].

٨ . حرّمت الشريعة الإسلاميّة إسترقاقَ الحرّ بغير حقّ، لقول النبيّ: «قال اللّه تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يومَ القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمّ غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنَه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعطه أجره»[٦].

---

(٥) رَاجع في مادّة الرقّ : د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ٢١٩-٢٢٣.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ٤/٤١٧، ط. السلفيّة، من حديث أبي هُريرة.

٩ . لا يجوز للكافر إستدامة تملّك رقيقٍ مسلم. وهذا الحقّ للّه. لأنّ الإسلام يعلو ولا يُعلى، ولما فيه من إهانة المسلم بملك الكافر له. وقياساً على تحريم نكاح الكافر مسلمةً، بل أولى.. فإذا كان في يدِ كافرٍ عبدٌ كافرٌ فأسلم، يؤمر الكافر ببيعه. ولا يصحّ شراء الكافر مسلماً أصلاً. ويحرّم بيع المسلم عبدَه المسلم لكافر.

رُقَيَّة (ت ٢هـ/ ٦٢٤م) : إسم واحدة من بنات محمّد وخديجة. ولدت في مكّة. وتزوّجت عتبةَ، أحد أبناء أبي لهب. ولمّا نزلت سورة المسد، أمر أبو لهب ابنَه بطلاقها قبل دخوله بها. ثمّ تزوّجها عثمان بن عفّان. وهاجرا إلى الحبشة، وولدت له عبداللّه بن عثمان الذي مات صغيراً. ثمّ هاجرا إلى المدينة، وتوفّيت أثناء غزوة بدْر. وبعد ذلك تزوّج عثمان أختَها أمّ كلثوم. ومن هنا كنية عثمان: «ذو النّورَين».

الرُقْيَة : جمعها: الرُقَى. وهي أن يُستعان للحصول على أمرٍ بقوًى تفوق القوى الطبيعيّة في زعمهم أو وهمهم. أو هي أيضاً ألفاظ خاصّة يحدث عند قولها الشفاء من المرض، وبنوع خاصّ من الإصابة بالعين.. قال ابن القيّم: إنّما يُسترقى من العين إذا لم يُعرف العائن؛ أمّا إذا عُرف العائن الذي أصابَه بعينه فإنّه يؤمَر بالاغتسال. قال القرافي: «الرقية لما يطلب به النفع؛ أمّا ما يطلب به الضرر فلا يسمّى رقية بل هو سحر»[١].

الرِّكَاز : المدفون في الأرض من المعادن من ذهب أو فضّة وغيرهما. وهو من رُكز، أي: أُخفي. يقال: ركَز الرمحَ إذا غرز أسفله في الأرض. ومنه: الرِّكْز، وهو الصوت الخفيّ، من قوله تعالى: «أو تَسْمَعُ لهُمْ رِكْزاً» (١٩/ ٩٨).. والواجب في الركاز الخمس لما روي عن النبيّ: «.. وفي الرِّكاز الخمس»[٢]

وفي الاصطلاح: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الركاز هو ما دفنه أهل الجاهليّة. ويُطلق على كلّ ما كان مالاً على اختلاف أنواعه.. إذا كان الركاز دفينَ الجاهليّة، فالكنز دفين الجاهليّة وأهل الإسلام.

---

(١) الفروق للقرافي ٤/ ١٤٧: الفرق ٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٣/ ٣٦٤، ط. السلفيّة، من حديث أبي هُريرة.

الرُّكْن : في اللغة: الجانب الأقوى.. وأركان كلّ شيء جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها. وركن الشيء في الاصطلاح: ما لا وجود لذلك الشيء إلاّ به..

١ . هناك أركان الإسلام، وهي خمسة: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والزّكاة، والحجّ لمن استطاع. وزاد الشيعة: الولاية؛ وزاد بعض المسلمين: الجهاد.

٢ . وهناك أركان الوضوء: وهي بحسب الحنفيّة أربعة: غسل الوجه، وغسل اليدين، ومسح ربع الرأس، وغسل الرجلين. وزاد الشافعيّة: النيّة والترتيب. وزاد الحنابلة: الموالاة. وزاد المالكيّة: الدلك.

٣ . وأركان التيمّم: عند الحنفيّة، ركنان: الضربتان والمسح. وعند المالكيّة: النيّة، وضربة واحدة، وتعميم الوجه واليدين إلى الكوعين بالمسح، والصعيد الطاهر، والموالاة..

٤ . وأركان الصلاة هي: النيّة، وتكبيرة الإحرام، والقيام، وقراءة الفاتحة في كلّ ركعة، والركوع، والاعتدال بعده، والسجود، والجلوس بين السجدتَين، والجلوس للتشهّد الأخير، والتشهّد الأخير، والسلام، والترتيب، والطمأنينة.. وزاد الشافعيّة والحنابلة الصلاة على النبيّ في التشهّد الأخير.

٥ . وأركان الصيام: للصوم ركن واحد، وهو الإمساك عن المفطرات. وأمّا النيّة فشرط.

٦ . وأركان الاعتكاف: ركن واحد وهو اللبث في المسجد. أمّا الشافعيّة فقالوا: أركانه أربعة: النيّة، والمعتكِف، واللبث، والمسجد.

٧ . وأركان الحجّ والعمرة: قال الشافعيّة: أركان الحجّ ستّة: الإحرام، والوقوف بعرَفَة، والطواف، والسعي، والحلق أو التقصير، والترتيب بين الأركان. واختلفوا في أركان العمرة، فقال الحنفيّة: ركن واحد وهو الطواف، وقال المالكيّة والحنابلة: ثلاثة: الإحرام، والطواف، والسعي. وزاد الشافعيّة: الحلق أو التقصير، والترتيب..

٨ . واستحبّ الفقهاء اسـتلام ركنَين من أركان البيت: الركن الأوّل: الحجر الأسود، ويُسنّ تقـبيله، فإن لم يتـمكّن من تقبيله اسـتلمه بيده وقـبّل يدَه.. فإن لم يتمكّن من استـلامه بيده استلمه بشيء كعـصا، ثمّ يقبّل ما استلمه بـه.. فإن عجز عن كلّ ذلك لشدّة الزحام أشار إليه بيده، أو شيء فيها من بعيد، ولا يزاحم الناس، فيـؤذي المسلمين، لأنّ الاستـلام سنّة، وإيذاء المسلم حرام، وتـرك الحرام أولى من الإتيان بالسنّة.. والركن الثاني: الركن اليماني: يُســنّ استلامه في الطواف من غير تقبيل.. وأمّا استلام الركنين الآخرَين: الشامي والعراقي، فليس بمشروع.

الرُّكُوب : مِن ركب. يقال: ركب الدابّة يركـبها أي علا عليـها.. لا خلاف بين الفقـهاء في إباحة صـلاة التطوّع على الراحلة، في السفـر الطويل، لقوله: «فـأينما تولّوا فثـمّ وجه اللّه» (٢/ ١١٥).. ويجوز أداء صـلاة الفرض راكـباً في السـفينة ونحوها ممّا يمكن معه استقبال القِبلة وإتمام أركانها.. ولا يجوز لمشية الجنازة أن يتبـعها راكبـاً إلاّ لعذر، فقد روي أنّ النـبيّ رأى أناساً ركباناً في جنازة فـقال: «ألا تستـحيون؟ إنّ ملائكـة اللّه يمشون على أقدامــهم، وأنتم على ظهور الدواب؟!»[1].. يُسنّ للراكب أن يكبّـر ثلاثاً، ثمّ يقرأ آية: «سُـبحـانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا. ومَـا كُنَّا لهُ مُقْرِنِينَ (مطيقين). وإنَّا إلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُون (لمنصرفون)» (٤٣/١٣-١٤).

الرُّكُوع : ١ . الانحناء. من ركع يركع ركوعاً إذا طأطأ رأسه، أو حنى ظهره. وقيل: الركوع هو الخضوع. والراكع: المنحني.. وركوع الصلاة في الاصطلاح: هو طأطأة الرأس، أي خفـضه، مع انحناء في الظهـر، بحيث تنال راحتـاه ركبتَـيه مع اعتدالِ خلقته وسلامةِ يديه وركبتَيه. وذلك بعد القومة التي فيها القراءة.

٢ . الركوع كـ **الخُضوع** الذي هو: الذلّ والاستكانة والانقـياد والمطاوعة.. وخضع الإنـسان: أمال رأســه إلى الأرض، أو دنا منها.. وهو قـريب من **الخشوع** الذي يُســتعـمل في الصوت، والخـضوع يسـتعـمل للأعناق. والخضـوع أعمّ من الركوع، إذ الركوع هيئة خاصّة.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٢٤، ط. الحلبي.

٣ . وهو أيضاً كـ **السُّجود** الذي هو: التطامن والخضوع والذلّ. يُقال: سجد البعير إذا خفض رأسَه عند ركوبه؛ وسجد الرجل إذا وضع جبهتَه على الأرض.. في كلٍّ من الركوع والسجود نزولٌ من قيام؛ لكنّ النزولَ في السجود أكثر منه في الركوع.

٤ . أجمعتِ الأمّة على أنّ الركوع ركنٌ من أركان الصلاة، لقوله تعالى: «يا أيّها الذينَ آمَنوا! اركَعوا واسجُدوا واعبُدوا ربّكم» (٢٢/٧٧)، ولحديث «المسيء صلاته» عن أبي هُريرة: «إنّ رسولَ الله دخل المسجد، فدخل رجلٌ فصلّى، فسلّم على النبيّ، فردّ، وقال: إرجعْ فصلِّ، فإنّك لم تصلِّ. فرجع يصلّي كما صلّى. ثمّ جاء فسلّم على النبيّ، فقال: إرجعْ فصلِّ، فإنّكَ لم تصلِّ. -ثلاثاً. فقال: والذي بعثك بالحقّ، ما أُحْسِنُ غيرَه؟ فعلّمني. فقال: إذا قمتَ إلى الصلاة فكبّرْ. ثمّ اقرأ ما تيسّر معك من القرآن. ثمّ اركع حتّى تطمئنّ راكعاً. ثمّ ارفع حتّى تعدل قائماً. ثمّ اسجد حتّى تطمئنّ ساجداً. ثمّ ارفع حتّى تطمئنّ جالساً. وافعل ذلك في صلاتك كلّها»[٢].

٥ . وفي كيفيّة الركوع، روي عن النبيّ «أنّه كان إذا ركع استوى. فلو صُبّ على ظهره الماء لاستقرّ. وذلك لاستواء ظهره ولاطمئنانه فيه»[٣]. وفي رواية «لا تجزئ صلاةٌ لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود»[٤].. والهيئة المجزئة في الركوع أن ينحني انحناء خالصاً قدر بلوغ راحتيه ركبتيه بطمأنينة.. والأكمل أن تحاذي جبهتُه موضعَ سجوده.

٦ . اتّفق الفقهاء على كراهة قراءة القرآن في الركوع، لحديث عليّ قال: «نهاني رسولُ الله عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد»[٥]؛ وعن ابن عبّاس أن رسول الله قال: «ألا وإنّي نُهيتُ أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً. فأمّا الركوع

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٢/٢٣٧، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٢٩٨، ط. الحلبي.

(٣) أورده الهيثمي في المجمع ٢/١٢٣، ط. القدسي. رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى.

(٤) أخرجه أبو داود ١/ ٥٣٤، تحقيق عزّت عبيد دعاس.

(٥) أخرجه مسلم ١/٣٤٩، ط. الحلبي.

فعظّموا فيه الربّ؛ وأمّا السـجود فاجتهدوا في الدعاء»[٦]، ولأنّ الركوع والسجود حال ذلّ وانخفاض، والقرآن أشرف الكلام.

الرَّمَاد : دُقاق الفحم من حراقة النار. ويعني: الهلاك والمَحْق. قال تعالى: «مثَلُ الذين كَفروا بربِّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدّتْ به الريحُ في يومٍ عاصف» (١٤/ ١٨)، ضرب الله مثلاً لأعمال الكفّار في أنّه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف. ويقال: فلان عظيم الرماد، كناية عن الكرم[١].

رَمَضَان : **١ .** إسم للشهر المعروف. قيل في تسميته: إنّهم، لمّا نقلوا أسماء الشهور من اللغة القديمة، سمّوها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيّام رمض الحرّ، فسمّي بذلك.. يثبت شهر رمضان برؤية هلاله، فإن تعذّرت يثبت بإكمال عدّة شعبان ثلاثين يوماً.. وجمهور الفقهاء على عدم اعتبار الحساب في إثبات شهر رمضان، بناءً على أنّنا لم نتعبّد إلاّ بالرؤية..

٢ . رمضان هو الشهر الوحيد الذي ورد ذكره في القرآن: في قوله: «شهرُ رَمَضان الذي أُنزِلَ فيهِ القرآن.. فمَن شَهِدَ منكمُ الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ» (٢/ ١٨٥).

٣ . يختصّ رمضان عن غيره من الشهور بجملة من الأحكام والفضائل :

١ – نزول القرآن فيه جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السماء الدنيا، وذلك في ليلة القدر على التعيين، لقوله: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» (٩٧/ ١).

٢ – وجوب صومه، كما في قوله: «يا أيّها الذين آمنوا! كُتبَ عليكُمُ الصيامُ كما كُتبَ على الذينَ مِن قَبلِكم. لعلّكم تتّقون» (٢/ ١٨٣)، وقوله: «شهر رمضان

---

(٦) أخرجه مسلم ١/ ٣٤٨، ط. الحلبي.

(١) ورد من حديث عائشة في حديث أمّ زرع. أخرجه البخاري، الفتح ٩/ ٢٥٥، ط. السلفيّة؛ وانظر: فتح الباري ٩/ ٢٦٥.

الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان. فمن شهد منكم الشهر فليصمْه» (٢/ ١٨٥).

٣ - فضل الصدقة فيه، لحديث ابن عبّاس قال: «كان النبيّ أجودَ الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل.. إذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة»[١]..

٤ - فضّل اللّه رمضان بليلة **القدْر**. وفي بيان منزلةِ هذه الليلة المباركة نزلت سورة القدْر، ووردت أحاديث كثيرة فيها. منها حديث أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «أتاكم رمضان شهرٌ مبارك فرض اللّه عزّ وجلّ عليكم صيامه. تفتح فيه أبواب السماء. وتغلق فيه أبواب الجحيم. وتغلّ فيه مردة الشياطين. للّه فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر. مَن حُرم خيرها فقد حُرم»[٢]. وحدث أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[٣].

٥ - صلاة **التراويح** يعني القيام ليالي رمضان وما فيه من الإيمان والغفران.

٦ - الاعتكاف فيه، أي في العشر الأواخر، وهو سنّة مؤكّدة لمواظبة النبي عليه، كما جاء في حديث عائشة: «أنّ النبيّ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتّى توفّاه اللّه تعالى. ثمّ اعتكف أزواجه من بعده»[٤].

٧ - قراءة القرآن في رمضان ومدارسته وكثرة تلاوته.

٨ - مضاعفة ثواب الأعمال الصالحة في شهر رمضان، لأنّه أفضل الشهور، ولتضاعفِ الحسنات به. قال إبراهيم: تسبيحةٌ في رمضان خيرٌ من ألف تسبيحة فيما سواه.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١١٦، ط. السلفيّة.

(٢) أخرجه النسائي ٤/ ١٢٩، ط. المكتبة التجاريّة.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١١٥، ط. السلفيّة.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٢٧١، ط. السلفيّة؛ مسلم ٢/ ٨٣١، ط. الحلبي.

٩ – تفطير الصائم، لقول النبي: «من فطر صائماً كان له مثل أجره، غير أنّه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»[٥].

١٠ – العمرة في رمضان أفضل من غيره من الشهور، لحديث ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه: «عمرةٌ في رمضان تعدل حجّة»[٦].

٤ . ومن أيّام الشهر المهمّة يذكر البيروني : اليوم السادس باعتباره مولد الشهيد حسين بن علي؛ والعاشر الذي توفّيت فيه خديجة؛ والسابع عشر الذي وقعت فيه غزوة بدر؛ والتاسع عشر يوم فتح مكّة؛ والحادي والعشرين الذي مات فيه عليّ والإمام عليّ الرضا؛ والثاني والعشرين الذي وُلد فيه عليّ؛ وأخيراً ليلة السابع والعشرين باعتبارها ليلة القدْر.

الرُّمّانيّ (أبو الحسن علي) (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) : نحويّ لغويّ، ومتكلّم مُعتزليّ، من أهل بغداد. أخذ عن ابن السرّاج وابن دُرَيد. له «كتاب الألفاظ المتقاربة والمترادفة المعنى»، و«شرح كتاب سيبويه»، و«الجامع في علم القرآن»، و«الأسماء والصفات»، و«صنعة الاستدلال». قيل في أسلوبه إنّه كان يمزج النحو بالمنطق. من تلاميذه أبو حيّان التوحيدي.

الرَّمَل : الهَرولة. رمَلَ يرمل رملاً ورملاناً: إذا أسرع في المشي وهزّ كتفيه. وهو سنّة من سنن الطواف. يسنّ في الأشواط الثلاثة الأولى من كلّ طواف بعده سعي. وسنّيّة الرَّمَل هذه خاصّة بالرجال فقط دون النساء.

الرَّمْي : يُطلق بمعنى القذف، والإلقاء. ومنها: رمي الجمار وهو منسك واجب من مناسك الحجّ، والرمي بالسهام، والرمي بمعنى القذف.

١ . رمي الجمار: هو رمي الحصيات المعيّنة العدد في الأماكن الخاصّة بالرمي في مِنى (الجمرات). وليست الجمرة هي الشاخص (العمود) الذي يوجد

---

(٥) أخرجه الترمذي ٣/ ١٦٢، ط. الحلبي.

(٦) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٨، ط. المكتب الإسلامي.

في منتصف الرمي، بل الجمرة هي المرمى المحيط بذلك الشاخص. قال الشافعي: الجمرة مجتمع الحصى، لا ما سال من الحصى.

٢. والجمرات التي تُرمى ثلاث. هي: ١ - الجمرة الأولى، أو الصغرى، والدنيا، وهي أوّل جمرة بعد مسجد **الخيف** بمنى. ٢ - الجمرة الثانية، وتسمّى الوسطى، بعد الجمرة الأولى وقبل جمرة العقبة. ٣ - جمرة العقبة، وهي الثالثة، وتسمّى الجمرة الكبرى، وتقع في آخر منى تجاه مكّة، وليست من منى.

٣. يشترط لصحّة الرمي:

١ - سبق الإحرام بالحجّ، لأنّه شرط لصحّة كلّ أعمال الحجّ؛

٢ - سبق الوقوف بعرفة، لأنّه، إذا فات الحجّ، والرمي مرتّب عليه؛

٣ - أن يكون المرمي حجراً، فلا يصحّ الرمي، عند الحنفيّة، إلاّ ما كان من جنس الأرض؛ ويكون فوق الحمّصة ودون البندقيّة؛

٤ - أن يُرمي الجمرة بالحصيّات السبع متفرّقات، واحدة فواحدة؛

٥ - وقوع الحصى في الجمرة التي يجتمع فيها الحصى؛

٦ - أن يقصد المرمى ويقع الحصى فيه بفعله، فلو ضرب شخصٌ يدَه فطارت الحصاة إلى المرمى وأصابتْه لم يصحّ، كذلك لو رمى في الهواء فوقع الحجر في المرمى لم يصحّ؛

٧ - ترتيب الجمرات في رمي **أيّام التشريق**، وهو أن يبدأ بالجمرة الصغرى التي تلي مسجد الخيف، ثمّ الوسطى، ثمّ جمرة العقبة.

٨ - الوقت، إذ للرمي أوقات يشترط مراعاتها، وهي ٤ أيّام: **يوم النحر**، وثلاثة أيّام بعده، وتسمّى أيضاً أيّام التشريق.

٤. ويجب في يوم النحر رمي جمرة العقبة وحدها فقط، يرميها بسبع حصيات. وأوّل وقت الرمي ليوم النحر يبدأ من طلوع فجر يوم النحر، وينتهي

بغروب الشمس.. ويجب الرمي أيضاً في اليوم الأوّل والثاني من أيّام التشريق، وهما اليومان الثاني والثالث من أيّام النحر. يجب في هذين اليومين رمي الجمار الثلاث على الترتيب.. يرمي كلّ جمرة بسبع حصيات. ويبدأ وقت الرمي في اليوم الأوّل والثاني من أيّام التشريق بعد الزوال. ولا يجوز الرمي فيهما قبل الزوال.

٥ . أمّا صيغة التكبير عند الرمي فقد اختار العلماء هذه: «بسم اللّه، واللّه أكبر، رغماً للشيطان، ورضا للرحمن». وينصرف من الرمي وهو يقول: «اللّهمَّ اجعلْه حَجّا مبروراً، وسَعياً مشكوراً، وذَنباً مغفوراً»..

٦ . يترتّب على رمي جمرة العقبة يوم النحر التحلّلُ الأوّل.. إذا رمى الحاجّ الجمار أوّل وثاني أيّام التشريق يجوز له أن ينفر، أي يرحل إن أحبَّ التعجّل في الإنصراف من منى. هذا هو النفر الأوّل. وبهذا النفر يسقط رمي اليوم الأخير، لقوله تعالى: «فمن تعجّلَ في يومَين فلا إثم عليه. ومَن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقى» (٢/٢٠٣). وإذا رمى الحاجّ الجمار في اليوم الثالث من أيّام التشريق انصرف من منى إلى مكّة، ولا يقيم بمنى بعد رميه هذا اليوم. ويسمّى هذا النفر النفر الثاني. وهو آخر أيّام التشريق. وبه ينتهي وقت رمي الجمار. وبه تنتهي مناسك منى.

الرَّوْث : رَجيع أو فضلة ذي الحافر. جمع: أرواث. وقريب منه: الخَثى للبقر، والبعر للإبل والغنم، والذرق للطير، والعذرة للآدمي، والخرء للطير والكلب والجرذ والإنسان، والسرجين أو السرقين هو رجيع ما سوى الإنسان.

يرى المالكيّة والحنابلة والشافعيّة أنّ روث ما يؤكل لحمه طاهر.. وكان النبي وأصحابه يصلّون على الأرض، ومرابض الغنم لا تخلو من أبعارها وأبوالها..

أمّا روث غير مأكول اللحم فنجس.. وقال الحنفيّة بنجاسة الروث من جميع الحيوانات المأكول اللحم وغيرها. وثمّة مبدأ يُعمل به وهو: كما أنّ في الأرواث ضرورةً وعمومَ البليّة لكثرتها في الطرقات فتتعذّر صيانةُ الخفاف والنعال عنها. ومَا عَمَّتْ بليَّتُهُ خَفَّتْ قضيَّتُه.

رُوحُ القُدُس : نظراً إلى دقّة موضوع روح القـدس في القرآن، وإلى ما جاء فيه من اختلافات بين المفسِّرين؛ نقـول: إنّ روح القدس، في مفهومه القرآني، ليس بغـريبٍ عن مفـهومـه المسيـحيّ. بل القـرآنُ غنيٌّ بمعاني هذا الروح إلى درجـة أنّ المفسّرين جميعَهم، اعتبروه ذَاتاً، أو شـخصاً إلهيًا، له استقلاليّته عن ذات اللّه وعن الملائكة؛ كما له عمله في الخلق والوحي والخلاص، كعمل اللّه نفسه. فلكأنّ القرآن، الذي رفض الثالوثَ وكفّر القائلين به، لم يكن بوسعه أن يتخلّص من هيمنة الرّوح.

والوقوف على الآيات جـميعهـا، حيث ترد كلمة "الرّوح"، خـير دليل على هويّة الروح الحقيقيّة. فكلمة «روح» ترد في القرآن، **٢١** مرّة. منها في تعبير "روحُ القُـدُس"، و"الروح الأمين"، و"روحنا"، و"روحـه"، و"المـلائكة والرّوح" إلخ.. ومقصود القرآن فيها، بحسب المفسّرين المسلمين، وبتفسيرنا نحن، هو التالي :

١. «**رُوحُ القُدُسِ**» : ١و٢ – «وآتَيْنَا عـيسَى ابـنَ مريمَ البَـيِّنات. **وَأيَّدْنَاهُ برُوحِ القُدُسِ**» (٢/٨٧ و٢٥٣: آيتان متشابهتان، لفظاً ومعنىً). ٣ – «أذكُرْ نعمتِي عَلَيكَ وعَلَى وَالِدتكَ إذ **أيّدتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ**» (٥/ ١١٠). ٤ – «قلْ **نزَّلَه رُوحُ القُدُسِ** مِن ربِّكَ بالحقِّ، لِيُثبِّتَ الذينَ آمَنُوا" (١٦/١٠٢).

يقول المفسِّرون المسلمـون: "روح القدس"، في هذه الآيات، هو "جبريل"، الذي جاء عيسى ليقوِّيه، ويؤيِّده في رسالته العتيدة، وفي حياته، ونضاله ضدّ بني إسرائيل... ثمّ "يثبّت الذين آمنوا" بالقرآن على أنّه منزلٌ من عند اللّه بالحقّ.

أمّا نحن فنقول:

– يستعـمل القرآن تعبير "روح الـقدس" في هذه الآيات استعمـالاً مألوفاً عند المسيحيّين. وله عندهم مدلول خاصّ؛ وقد أخذ القرآن بهذا المدلول.

– يستعمل القرآن "روح القدس" في المناسبات نفسِها التي استعملتْه فيها المصادر المسيـحيّة، أي في اجتراح العـجائب، وفي الوحي والتأييد والتـثبيت، وفي ولادة عيسى، وعـماده، وتقويته على أعدائه، وتثـبيت المؤمنين به في إيمانهم.. ممّا يعني أنّ للتعبير بُعداً مسيحيًا واضـحاً في ذاكرة محمّد، ولو هو، في استعماله له،

يقصِّر عمّا جاء في تعليم الكنيسة، وعقيدة الآباء. وهو بالتالي لا يدرك أهمّيّته ولا دوره الخلاصي، ولا يقرُّ له بهذا الدّور؛ وذلك بسبب تشدّده على وحدانيّة اللّه.

– يختلف المفسِّرون المسلمون كافّة في معنى "روح القدس" في هذه الآيات، فيقول الرّازي، مثلاً، في تعليقه على (٢/ ٨): "اختلفوا في الرّوح على وجوه"؛ وعلى (٢/ ٢٥٣) يقول "في تفسيره أقوال: فهو تارة جبريل؛ وطوراً الإنجيل؛ وثالثاً الإسم الّذي كان يُحيي به عيسى الموتى؛ ورابعاً الرّوح الذي نفخ فيه؛ وخامساً القدس هو اللّه تعالى، فنسبَ روحَ عيسى إلى نفسه تعظيماً له وتشريفاً؛ وسادساً إنّ روح القدس الذي أيّد به يجوز أن يكون الرّوح الطاهرة التي نفخها اللّه فيه، وأبانه بها عن غيره ممّا خلق من اجتماع نطفتَي الذكر والأنثى".

وهكذا، فلا شيء واضح في هويّة هذا الروح.

٢. «الرُّوحُ الأمِين» : ٥ – «وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِين. **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ،** عَلَى قَلبِكَ، لِتَكونَ مِنَ المُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين» (**٢٦/ ١٩٢–١٩٤**).

في تفسير المسلمين: "ألروحُ الأمين" هو جبريل. "وسمّاه **روحاً** من حيث خُلق من الرّوح. وقيل: لأنّه نجاة الخلق في باب الدين. فهو كالرّوح الذي تثبت معه الحياة. وقيل: لأنّه روحٌ كلُّه لا كالنّاس الذين في أبدانهم روح. وسمّاه **أميناً** لأنّه مؤتمن على ما يؤدّيه إلى الأنبياء"[1].

وفي تفسيرنا: إذا كان القرآن تنزيلٌ من اللّه نفسه، ربِّ العالَمين، فكيف يصيرُ جبريل هو الذي نزلَ به؟! ألأولى أن يكون "الروحُ الأمين"، بدلاً عن "ربِّ العالِمين"، أو شخصاً آخَرَ، من عند ربّ العالمين، يساوي "ربَّ العالِمين". قد يكون هو الرّوح القدس، الذي يناط الوحيُ به مباشرةً، كما في معتقد المسيحيّين.

٣. «الرّوحُ مِنْ أمْـرِهِ» و«مِنْ أمْـرِ رَبِّي» : ٦ – «يُنَزِّلُ الملائكةُ **بالرُّوحِ مِنْ أمْرِهِ** على مَنْ يَشَاءُ مِن عِبادِهِ» (**١٦/ ٢**).

---

(١) تفسير الرازي على ٢٦/ ١٩٣.

اختلف أهلُ التـأويل في معنى «**بالرّوح**» هنا؛ فقـيل: بالوحي، وهو النبوّة. وقيل: بكلام اللّه، وهو القرآن. وقيل: هو بيان الحقّ الذي يجب اتباعه. وقيل: أرواح الخلق، لا ينزل مَلَكٌ إلاّ ومعه روح. وقـيل: بالرّحمة. وقيل: بالهداية لأنّهـا تحيا بها القلوب، كما تحيا بالأرواح الأبدانُ. وقيل: ألروح هنا جبريل.

وفي تفـسـيرنا: هذا الروح هـو من أمرِ اللّه، أي هـو روح من عند اللّه، من مشيـئته، من ذاته، لأنّ مشـيئةَ اللّه فعلٌ هي. وهـذا ما يقوله المسيـحيّون عن روح القدس، ويعتقدون به. هذا بالإضافة إلى ما جاء به الطبرسي. قال: «الروح مَلَك في السماء **مِن أعظم مَن خلَقَ اللّه. فـإذا كان يومُ القـيامـة وقفَ صفـاً والملائكةُ كلُّهم صفّاً**»[٢].

٧ و٨ – «وَيَسْـألونَكَ عَنِ **الرُّوحِ**. قُلِ **الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي**. وَمَا أُوتِيْـتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً» (**١٧/ ٨٥**).

في تفسير المسلمين: يسألُ اليهـودُ عن الرُّوح الذي يحيا به البدن. فقل لهم، يا مـحـمّـد، هذا علم لا تعلمـونه. ويقـولون: إنّ المـراد منه «الرّوح الذي هو سـبب الحياة»؛ أو «القرآن»؛ أو «مَلَكٌ من ملائكة السموات»؛ أو «جبريل، الرّوح الأمين».

وفي تفسيـرنا: قد يكون "الرّوحُ" "روحَ اللّه" الذي يجهله اليهـود وغير اليهود. ولكنّ للنصارى به علماً ولو قليلاً. ويُرجِّحُ هذا التفسيرَ قولُه بأنّ هذا الروح هو «من أمر ربّي»، أي من اللّه، من عند اللّه، «أي من شرعه، أي لا سبيل إلى معرفة هذا من طبعٍ ولا فلـسفـة؛ وإنّمـا يُنال من جـهـة الشـرع»[٣]. ومـعنى ذلك أنّه هو "الرّوح" الذي لا يُدرَك إلاّ بواسطة الوحي؛ وذلك كما يقول المسـيحيّون تماماً. هذا بالإضـافة إلى اعتراف أهل التفسـير بالخلاف الكبير حول هذا الرّوح في هذه الآية، فقال ابن كثير: «قدْ اختلف المفسّرون في المراد بالرّوح هاهنا على أقوال»[٤].

---

(٢) تفسير الطبرسي على ١٦/ ٢.

(٣) تفسير ابن كثير على ١٧/ ٨٥.

(٤) المرجع نفسه.

٩ - «رَفِيعُ الدَّرَجَـاتِ، ذُو العَرْشِ، يُلْقِي **الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ** عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَاده، لِيُنْذِرَ يومَ التَّلاقِ(ي)» (١٥/٤٠).

في تفسير المسلمين: إنّ اللّهَ يُنزلُ "الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ"، أي الوحيَ، أو القرآن، أو الكتاب، أو النبوة، على مَن يشاء من الأنبياء ليخوِّفَ به الناسَ يوم تلاقي الأبرار والأشرار، أي يوم القيامة.

وفي تفسيرنا: مرّة أخرى، الروح هو من أمر اللّه، لا هو "جبريل"، ولا "الوحي"، لأنَّ المناسبة هي يوم القيامة، حيث خُتِمتِ النبوّة؛ وانتهى الوحيُ؛ ولم يعد لجبريل دور. في آخر الأزمنة، هو اللّهُ نفسُه، يقضي بين النّاس؛ ويجري عليهم الثواب أو العقاب. فيكون هذا "الرّوح"، إذاً، أقرب إلى أن يكونَ شخصاً إلهيًا من أن يكون "الوحيَ"، أو "ملَكَ وحي"، أو "جبريل"، أو أيّ شيءٍ آخر.

هذا بالإضافة إلى إشارة المفسّرين إلى الاختلاف فيما بينهم. فقال الرّازي: «اختلفوا في المراد بهذا الرّوح»[٥]. ويقول الطبري: «وقد اختلف أهلُ التأويل في معنى الرّوح في هذا الموضع»[٦]. وفي اختلافهم دليلٌ على صعوبة تحديد المقصود.

١٠ - «وَمَا كَان لبَشَرٍ أنْ يُكلِّمَه اللّهُ إلاّ وَحْياً، أو مِن وراءِ حجَاب، أو يُرسِلَ رسولاً، فيُوحيَ بإذنه مَا يَشاءُ. إنَّه عليٌّ حكيم. وَكَذلكَ أَوْحَينَا إلَيكَ (يا محمّد) **رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا**. مَا كنتَ تَدري مَا الكتابُ وَلا الإيمان. ولَكنْ جَعَلْنَاهُ نوراً نَهدِي بِه مَن نَشَاءُ مِن عِبادِنا» (٤٢/ ٥١-٥٢).

في تفسير المسلمين: كلّ مَن أوحى اللّهُ إليهم، من الأنبياء، كلّمَهم إمّا في المنام، أو بإلهام، أو بالسماع من دون رؤية، أو "يُرسلُ رسولاً" إليهم، هو جبريل. أمّا بالنسبة إلى محمّد فقد أوحى اللّه إليه "روحاً من أمرنا"، أي القرآن الذي هو نور هداية للبشر... «والمراد به، أي بالرّوح، القرآن. وسمّاه روحاً، لأنّه يفيد الحياة

---

(٥) تفسير الرازي على ١٥/٤٠.

(٦) تفسير الطبري على ١٥/٤٠.

من موت الجهل أو الكفر»[٧]. أمّا القرطبي فيعدّد المعاني، ويقول: «روحاً» أي نبوّة (عن ابنِ عبّاس)؛ ورحمة (عن الحسن وقتادة)؛ ووحياً (عن السّدي)؛ وكتاباً (عن الكلبي)؛ وجبريل (عن الربيع)؛ والقرآن (عن الضحّاك)[٨].

وفي تفسيرنا: لا يمكن أن يعني تعبيرُ "رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا" أيَّ قولٍ ممّا ذكره المفسِّرون. إنّما هو روحٌ من عند الله، يختلفُ عن جبريل، كما يختلفُ عن الوحي والقرآن والكتاب. إنّه "ذات" إلهيّة، "مِن عند الله"، يعلّم ويهدي وينذر... أي لا هو ملاك، ولا هو كتاب. إنّه ذاتٌ من عند الله جاءَ محمّداً ليعلّمه الكتابَ والإيمان.

بالإضافة إلى ما أشار إليه بعض المفسّرين من اختلافٍ في التأويل والتفسير، يقول الطبري: «واختلف أهل التأويل في معنى الرّوح في هذا الموضع»، ويضيف: «وقد بيّنّا معنى الرّوح فيما مضى بذكْر اختلافِ أهلِ التأويل فيها»[٩]. وفي هذا دليلٌ آخر على صعوبة إدراك المراد.

٤ . **الرُّوحُ وَالمَلائِكَة** : ١١ – «تَعْرُجُ **المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ** إِلَيهِ فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنَة» (٧٠/ ٤).

في تفسير المسلمين: المقصود بهذا الكلام، أنّ الملائكة، والرّوح، أي: جبريل، تنزلُ من السماء في يوم القيامة لتدين الكافرين. ويومُ القيامة هذا، بالنسبة إلى الكافرين، يُقدَّرُ، لشدَّتِه، بخمسين ألف سنة...

وفي تفسيرنا، نسأل: لماذا ذُكر جبريلُ هنا مستقلاً عن سائر الملائكة؟! فلو كان يقومُ بتنزيل الوحي، لقُبلتْ تسميتُه مستقلاً عنهم. غير أنّه لا وحي في اليوم الأخير. ودورُ جبريل، يوم القيامة، لن يختلف عن دور سائر الملائكة، وبالتالي، لا يُذكَرُ مستقلاً عنهم. لهذا فالمقصود بـ"الرّوح" هنا شخصٌ آخر، غير جبريل، لأنَّ للّه وحدَه، دورَ القضاء في اليوم الأخير. فهو الدّيّان وحدَه، ولا ملائكة تدين معه.

---

(٧) تفسير الرازي على ٤٢/ ٥٢.

(٨) تفسير القرطبي على ٤٢/ ٥٢.

(٩) تفسير الطبري على ٤٢/ ٥٢.

هذا المقصود لا يبعد عمّا يقوله الرّازي: «إعلم أنّ عادةَ اللّهِ تعالى في القرآن أنّه، متى ذكَرَ الملائكةَ في معرض التهويل والتخويف، أفرد الروحَ بعدهم بالذكر، كما في هذه الآية، وكما في قوله: "يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً" (٧٨/٣٨). **وهذا يَقتَضِي أنَّ الرُّوحَ أعْظَمُ مِنَ المَلائِكَةِ قَدْراً.** وقال بعض المكاشِفين: **إنَّ الرُّوحَ نورٌ عظيمٌ هو أقربُ الأنوارِ إلى جلالِ اللّهِ. ومنه تتشعّب أرواحُ سائر الملائكة والبشر**». ونحن لا قولَ عندنا أكثر دقّةً من هذا القول.

١٢ - «يومَ يَقُومُ **الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ** صَفّاً، لا يتكلّمون إلاّ مَن أذِنَ له الرَّحْمَن، وَقالَ صَوَاباً. ذَلكَ اليَومُ الحَقُّ» (**٧٨**/٣٨-٣٩)

في تفسير المسلمين، إنّ "الّروح" هنا هو جبريل، الذي يأتي، مع الملائكة، في اليوم الأخير، ليشفعوا لدى اللّه بالخَلق...

وفي تفسيرنا، نتساءل دائماً: لماذا يُفصَل جبريل عن الملائكة، ومهمّتُه، هنا، في اليوم الأخير، "اليوم الحقّ"، لا تختلف عن مهمّتهم هم! أيكونُ "الرّوح" من جنسٍ آخَر غير جنس الملائكة! يبدو ذلك، كما رأينا في الآية السابقة.

والمفسّرون أنفسهم أشاروا إلى الإختلاف في ما بينهم، فقال الرازي: «اختلفوا في الرّوح في هذه الآية: فعن ابن مسعود: إنّه مَلَكٌ أعظم من السموات والجبال. وعن ابن عبّاس: هو ملَكٌ من أعظم الملائكة خَلقاً. وعن مجاهد: خُلق على صورة بني آدم وليسوا بناس. وعن الحسن وقتادة: هم بنو آدم. وعن الضحّاك والشعبي: هو جبريل». وقال القرطبي: «واختلفوا في الرّوح على أقوال ثمانية». وقال الطبري: «اختلف أهلُ العلم في معنى الرّوح في هذا الموضع».. إلخ. من اختلاف الأقوال. إلاّ أنّ الطبري يوضح بكلامٍ غيرِ مألوف، فيقول: «والصوابُ من القول أن يُقال: إنّ اللّهَ تعالى ذكْرُه أخبرَ أنّ خَلْقَه لا يملكون منه خطاباً (أي: **لا يفهمون من أمرِ الرّوح شيئاً**)... ويكمّل: وجائزٌ أن يكونَ بعضُ هذه الأشياء (أي المعاني) التي ذُكرتْ. واللّه أعلم أيّ ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أنّه المعنيّ به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجّة تدلّ عليه، وغير ضائرٍ الجهل به».

١٣ - «**تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإذنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أمْرٍ**» (٩٧/٤).

في تفسير المسلمين: إنّ اللّه أنزل القرآن، في ليلة القدْر، من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.. فيها، ولشرفها، تتنزّلُ الملائكةُ وجبريلُ، بأمرِ قضاه اللّه.. تفسير المسلمين، فيه تمييزٌ دائم بين جبريل والملائكة..

وفي تفسيرنا، سؤالٌ دائم: لِمَ هذا التمييزُ؟! وما شأنُ الملائكة الآخَرين بالوحي حتّى يكونوا حاضِرين! أيكونون من جنسٍ غيرِ جنس "الرّوح"! أو "الرّوح" من جنسٍ يختلفُ عن جنسِهم! يبدو ذلك.

هذا بالإضافة إلى إشارة المفسِّرين إلى اختلاف أهل التأويل فيما بينهم حول معنى الرّوح في هذه الآية. يقول الطبري: «اختلف أهلُ التأويل في تأويل ذلك». ويقول الرازي: «ذكروا في الرّوح أقوالاً (ثمانية). ويعلّق: والأصحّ أنّ الرّوح ههنا جبريل. وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه، كأنّه تعالى يقول: ألملائكة في كفّة والرّوح في كفّة». غير أنّ هذا «الأصح» هو تمييز هذا «الرّوح» تمييزاً بيّناً عن الملائكة. هو، على ما يبدو، ليس منهم.

٥ . «**روحنا**» : ١٤ - «واذكُرْ في الكتابِ مَرْيمَ، إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِها مَكَاناً شَرْقِيًا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِم حِجَاباً. **فَأرْسَلْنا إليهَا رُوحَنَا**، فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًا. قَالَتْ: إنّي أعُوذُ بالرَّحْمَنِ مِنكَ إنْ كُنتَ تَقيًا. قَالَ: إنَّما أنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلاماً زَكيًا» (**١٩**/١٦-١٨)...

في تفسير المسلمين: ألرّوح هنا هو جبريل الذي اتّخذ صورةَ إنسانٍ جميلِ الخلقة، وبشّرَ مريمَ بعيسى...

وفي تفسيرنا نقول: يحذو المسلمون هنا حذو التقليد المسيحيّ الذي يعتبرُ الملاكَ الذي بشّرَ مريم هو جبرائيل.. ولكن، لماذا لم يسمِّ القرآنُ جبريلَ باسمه، كما في (**٢**/٩٧ و٩٨، **٦٦**/٤، التي سوف نراها بعد حين)، فسمّاه "الرّوح"؟! هل في مقصوده، كما هو في الأناجيل، "روح القدس"، أي شخصاً إلهيًا، ظهرَ على مريم فحملَتْ منه بيسوع؟! يُرَجَّحُ ذلك.

هذا، بالإضافة إلى إشارة المفسّرين إلى اختلاف أهل التأويل في معنى "الرّوح". فقال الرازي: «اختلف المفسّرون في هذا الرّوح. فمنهم من قال: إنّه جبريل؛ ومنهم: إنّه الرّوح الذي تصوّر في بطن مريم بشراً». وقال الطبرسي أيضاً: «إنّ الروح الذي خُلق منه المسيح تصوّر لها (أي لمريم) إنساناً». فالرّوح، إذاً، هو الذي تصوّر لمريم، كما في الإنجيل، وليس جبريل.

١٥ - «وَالتّي أحصنتْ فَرْجَها، **فنفَخْنا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا**. وجَعَلْنَاهَا وَابنَهَا آيَةً للعَالَمِين» (**٢١/ ٩١**).

في تفسير المسلمين: إنّ اللّهَ أرسلَ إلى مريمَ الملاكَ جبريلَ، الذي نفخَ في جَيْبِ درْعِها، فحملتْ بعيسى، الذي، هو وأمُّه، آية من آيات اللّه، حيث ولدتْه أمّه من غير فحل...

في تفسيرنا: لا يستقيم المعنى في اعتبار الرّوح هنا هو جبريل. بل هو روح من اللّه، أو هو روح اللّه. مصدرُ هذه الرواية: الإنجيل. والإنجيل يقول بأنّ "المولود منها هو من الرّوح القدس". وهو في القرآن كذلك!

هذا بالإضافة إلى ما جاء في تعليق الرازي حيث يقول: «فَنَفَخْنَا الرّوحَ في عيسى فيها؛ أي أحييناه في جوفها»؛ فلكأنّ النفخَ لم يكن، كما يقول عامّة المسلمين، في مريم؛ بل في عيسى. والإنجيل واضح بأنّ يسوع هو الذي وُلِد من الروح.

١٦ - «ومَرِيمَ ابنَةَ عِمْرَانَ التِي أحْصَنَتْ فَرْجَهَا، **فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا**. وَصَدَّقَتْ بكَلِمَاتِ رَبِّها وكُتُبِه. وكَانتْ مِنَ القَانِتِين» (**٦٦/ ١٢**).

فسّرُ المسلمون بأنّ مريمَ، مثال الذين آمنوا، حفظتْ نفسَها فنفخ اللّهُ فيها من روحه، أي جبريلَ، الذي نفخ، بدوره، في جيبِ درعها، فحملتْ بعيسى، وصدّقت بما قال لها الربُّ، وأصبحت من الطائعين...

وفي تفسيرنا: إنّ الإنجيل، مصدرَ هذه الرواية، يتكلّم على الروح القدس. فلِمَ يخالفُ التفسيرُ المصدرَ، والقرآنُ نفسُه يتكلّمُ على الرّوح، لا على جبريل.

وبعض المفسِّرين يتكلّمون على أنّ النفخ «كان في عيسى»[١٠]؛ أو كما يقول القرطبي: «نفخنا، أي أرسلنا جبريلَ فنفخ في جيبِها من روحِنا، أي روحاً من أرواحنا وهي روح عيسى»[١١]؛ ممّا يعني أنّ الذي حلّ في عيسى هو «روح من اللّه»، أو «روح عيسى»، وليس جبريل.

٦. «**رُوحٌ مِنْهُ**» :١٧ - «يَا أهلَ الكتَابِ! لا تَغْلُوا في دينِكُم. ولا تَقُولُوا علَى اللّهِ إلاَّ الحَقَّ: إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مَريمَ ، رسولُ اللّهِ، وكَلِمَتُه ألقاها إلى مَريَمَ، **ورُوحٌ مِنْهُ**. فآمِنوا باللّهِ ورسُلِه. ولا تَقُولُوا ثلاثَةٌ. انتَهوا خَيراً لكُم. إنَّما اللَّهُ إلَهٌ واحدٌ» (٤/ ١٧١).

في تفسير المسلمين: المقصودُ بالروح هنا هو المسيح نفسه، الذي وُلدَ من "نَفَسِ اللّه" ونفْخَتِه، كما ولد آدم.

وفي تفسيرنا: إنّ المسيح هو روح **مِنَ** اللّه، أي: لا هو اللّه نفسه، ولا هو شخص لا علاقة له باللّه مباشرةً. والقرآن يستعملُ تعبيراً نصرانيًا مألوفاً بالنسبة إلى المسيح. كما يعطي المسيحَ، بسبب كونه روحاً **من** اللّه، دوراً لا يقلّ عمّا يعطيه إيّاه المسيحيّون أنفسهم.

واللّه، سواء عند المسيحيّين أم عند المسلمين، أرسلَ المسيح عيسَى من لدنه. والرّوح القدس يقوّيه ويؤيّد ه ويُعينه. هذا الرّوح، هو "**منه**"، أي: لا هو هو، ولا هو من سواه. لا هو اللّه المرسِل، ولا هو عيسَى المرسَل. إنّما هو **من** اللّه. و«التنكير يفيد التعظيم، بحسب قول الرازي. فكان المعنى: إنّه روح شريف قدسيّ عالٍ»[١٢]. ونسبته إلى اللّه تفيد «التشريف والتفضيل».

يضاف إلى هذا كلّه شهادة بعض المفسّرين المسلمين في قولهم بـ «أنّ أهل العلم اختلفوا في تأويله». ويعدّد الطبري أقوالاً ثمانية في معنى «**وروح منه**»،

---

(١٠) تفسير الرازي على ٦٦/ ١٢.

(١١) تفسير القرطبي على ٦٦/ ١٢.

(١٢) تفسير الرّازي على ٤/ ١٧١.

ويعلّق قائلاً: «ولكلّ هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب»[١٣].

١٨ - «أولَئِكَ كَتَبَ في قلُوبِهِمِ الإيمَانَ، **وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**، ويُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تحتِها الأنهَارُ، خَالدينَ فِيها» (٢٢/٥٨).

في تفسير المسلمين: إنّ اللّه، في اليوم الأخير، يثبّتُ المؤمنين ويقوّيهم بـ" نورٍ " من عنده، ليعرفوا مَن يصادقون، وعمّن يبتعدون، فتكون لهم الجنّة خالدين فيها. فروحُ اللّه هو ذاك " النور " الذي يدلّهم على فوزهم في جنّات اللّه. وفي ذلك يقول ابن عبّاس: «نصرهم على عدوّهم. وسمّى تلك النصرة روحاً، لأنّ بها يحيا أمرهم»[١٤]...

وفي تفسيرنا: الأنسب أن يكون الروح الذي مِنَ اللّه، في هذه الآية، هو اللّه نفسه الذي يتولّى، في اليوم الأخير، خلاصَ المؤمنين الصادقين، وهلاكَ المخالفين. ولا يُعقلُ أن يستمرَّ، في لحظة القضاء الأخير، أيُ «نورٍ»، أو «هدايةٍ»، أو «وحي»، أو «إيمانٍ»، أو «نصرة» من عند اللّه. فيوم الحساب هو يوم حساب. لا وحي فيه ولا هدى ولا نور ولا إيمان...

٧. اللّهُ نَفَخَ مِنْ رُوحِهِ فِي آدَم : ١٩ - "ثمّ سَوّاهُ (أي آدمَ)، **وَنَفَخَ فيه من روحِهِ**» (٩/٣٢).

في تفسير المسلمين: إنّ اللّهَ خلق آدمَ و" نفخ فيه من روحه "، أي جعله حيًا حسّاساً بعد أن كان جماداً. وذلك بأن جعله يسمع ويبصر ويحبّ ويعقل. وقد أضاف اللّهُ الروحَ إلى نفسهِ للتشريف. «واعلم، يقول الرازي، أنّ النّصارى يفترون على اللّه الكذب، ويقولون بأنّ عيسى كان روحَ اللّه، فهو ابن. ولا يعلمون أنّ كلّ أحد روحه روح اللّه بقوله: «ونفخ فيه من روحه»، أي الرّوح التي هي ملكه»[١٥]...

---

(١٣) تفسير الطبري على ١٧١/٤.
(١٤) عن الرازي في تفسيره على ٢٢/٥٨.
(١٥) تفسير الرازي على ٩/٣٢.

أمّا في تفسيرنا فإنّ المصدر الذي عنه أخذ القرآن، هو التوراة، التي تشير إلى "روح الرّبّ" الذي جعل من آدم على صورة اللّه ومثاله. وهو لا يختلفُ عن الرّوح الذي نفخه في مريم لتلدَ عيسى. والنّفخ الإلهي هو هو سواء في مريم أم في آدم. فلمَ يكون النفخُ في آدم حياة، وفي مريم مولوداً ليس كسائر البشر؟!

هذا بالإضافة إلى أنّ الرّوحَ لا يعني هنا، جبريل ولا الوحي ولا القرآن، كما يفسّر المسلمون عادةً. فما يكون إذاً؟! لا بدّ من أن يكون من اللّه، من عنده، من أمره، أو هو نفسه. ولا تزال صعوبة التحديد قائمة عند أهل التأويل.

٢٠ و٢١ - «فَإذا سَوَّيْتُهُ، **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**، فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كلُّهُمْ أجْمَعُون» (**١٥** / ٢٩؛ **٣٨** / ٧٢).

في تفسير المسلمين: إنَّ اللّهَ الذي أتَمَّ خلقَ آدمَ، وساوى بين أجزاء بدنه باعتدال الطبائع، وأجرى فيه من روحِه، أي صار حيّاً، أمرَ الملائكةَ بأن يسجدوا له... «أضاف اللّهُ سبحانَه روحَ آدم إلى نفسه تشريفاً له وتكريماً»[١٦].

وفي تفسيرنا، «أنّ المأمورين بالسجود لآدم هم كلّ ملائكة السموات»، على ما يقول الرازي[١٧]. فهناك، إذاً، إشارة إلى أنّ "الروح" هو أكثر من أن يعني إحياء آدم؛ بل هو روحٌ من اللّه أسكنَه اللّهُ في آدم، ولذلك طلب من الملائكة أن يسجدوا، لا لآدم، بل لهذا الروح الحالّ في آدم. وإلاّ لكان اللّه يدعو الملائكة إلى السجود لسواه. وحاشاه من ذلك. وفي ذلك أيضاً دليل على أنّ الرّوحَ الّذي في آدم هو أكثر من عنصرِ حياة طبيعيّة، هو روح من اللّه، أي روح إلهيّ.

ويشير إلى هذا المعنى الإلهيّ للرّوح، بحسب قول الرّازي، ما «ذهبت الحلوليّة إلى أنّ كلمة (**من**) تدلّ على التبعيض. وهذا يوهم أنّ الرّوح جزء من أجزاء اللّه تعالى». ويعلّق الرّازي، طبعاً، «وهذا في غاية الفساد»[١٨]. ومع هذا، يشير

---

(١٦) تفسير الرّازي على ١٥ / ٢٩.

(١٧) المرجع نفسه.

(١٨) تفسير الرّازي على ٣٨ / ٧٢.

الرّازي نفسه، إلى أنّ اللّه «**لمّا أضاف الرّوحَ إلى نفســه، دلّ على أنّه جوهرٌ شريفٌ علويٌ قدسيٌّ**»[١٩].

خاتمة : عـملُ الرّوح القدس في الخلـيقـة عملٌ خـفيٌّ، يطالُ عـمقَ أعمـاق الانسـان. إنّه روح اللّه، أو مِن اللّه، يعمل عـملَ اللّه. وليس ما يُشير إلى أنّه جـبريل إطلاقاً. ولو كان «الرّوح» في القرآن هو جبريل، واسـم جـبريل معروف لدى محمّد ومعاصريه، فلِمَ التورية والأمر صريح واضح؟!

ثمّ إنّ ما يعود إلى الرّوح فـي القرآن هو نفسه يعود إلى اللّه نـفسه؛ فلكأنّ الرّوح هو إلهٌ، أو ذاتٌ من عند اللّه. والمسيحيّون لا يقولون غير هذا.

وبعضُ المسلمين خرقوا الحجب وقـالوا: «إذا كان اللّهُ قد نَفَخَ مِن روحِه في فرْجِ مريم، فكان ذلك النَّفْخُ سبباً لخلْقِ المســيح... فعلامَ يُنكر القرآنُ على النّصارى قولهم: "ألمَسـيح ابن اللّه"؟!»[٢٠] ... فلكأنّ المســيح أصـبح ابناً للّه بسـبب «نفْخ» الرّوح؛ والرّوح هذا لا بدّ من أن يكون من طبيعة اللّه.

«والروح، عند أهل السنّة، هي عبارة عن ذاتٍ قائمةٍ بنفـسِها، تصعد وتنزل، تتصّل وتنفصل، تخرج وتذهب وتجيء، تتحرّك وتسكن... والروح، عند الفلاسفة، عبارة عن نورٍ روحانيٍّ، آلةٍ للنفس. وأمّا الصوفيّة فالروح عندهم خفيٌّ.. والقائلون بتجرّد الروح يقولون: الروح جوهرٌ مجرَّدٌ مـتعلِّقٌ بالبدن تعلُّقَ التدبير والتصرّف. وإليه ذهب أكثر أهل الرياضـيّات وقدماء المعتزلة وبعض الشيعـة وأكثر الحكماء... والروح، عند الأطبّاء، عبارة عن جسم لطيف بخاريّ...

«وقد أجمع المسلمون على أنّ الروح مظهر الذات الإلهيّة من حيث ربوبيّتها. ولذلك، فلا يمكن أن يحـوم حولها حـائم، ولا يروم وصلها رائم. لا يعلمُ كنهَـها إلاّ اللّهُ تعالى...»[٢١].

---

(١٩) المرجع السابق نفسه.

(٢٠) معروف الرّصافي، **الشخصيّة المحمّديّة**، ص ٦٩٥.

(٢١) راجع مادّة: الروح، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ٧١٣-٧١٤.

إلاّ أنّ كلّ هذه الأقـوال لم تجعل هؤلاء المسلمين يؤمنون إيمـانَ المسيحـيّين في الروح الذي هو أقنوم إلهـيّ، أو ذات إلهيّ، «مســاوٍ للآب والابن في الجـوهر»، ومنبثق منهمـا، ويعمل ويتحرّك، يقدِّس البـشر ويخلّصهم، ويُقيمـهم من قبورهم يومَ القيامة.

الرَّوْم : هو الإتيان ببعض الحركة.

الرَّيّ : مدينة في شـمال إيران بضاحـية طهران. مـزار دينيّ. أطلال مدينة تاريخيّـة قديمة. فتـحها العـرب في صدر الإسلام. ازدهرت في عـهد العبّـاسيّين والبويهيّين والسـلاجقة، وكانت من عواصم الإســلام التجاريّة والثقافـيّة والفنّيّة. خرّبهـا المُغول ١٢٢٠م. فيـها ولد هارون الرشيـد، ويُنسب إليهـا علماء كثـيرون، منهم: آل الرازيّ.

رِيْنَان (إرنست) Renan (ت ١٨٩٢) : أديب فـرنسيّ. تخلّى عن دعــوته الإكليريكيّة لينصرف إلى دراسة اللغات الساميّة وتاريخ الديانات. فقَدَ إيمانه وعبرّ في كتبه عن آرائه العـقلانيّة، منها «مستقبل العلم»، و«تاريخ نشـأة المسيحيّة» أوّل أجزائه «حـياة يسوع» الذي أحـدث تأثيراً واسعـاً في أوروبّا. زار لبنان وفلسطين وقام بأعمال تنقيب أثريّة.

ز

الزَّبور : أحد الكتب السماويّة الأربعة: التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن. أنزله الله على نبيّه داود. ذُكر ٣ مرّات: «وآتَينا داودَ زَبوراً» (٤/١٦٣؛ ١٧/٥٥)؛ «ولقد كتَبْنا في الزَّبور من بعدِ الذِّكْرِ أنّ الأرضَ يَرِثُها عِبادي الصالِحون» (٢١/١٠٥). كما يستعمل القرآن كلمة «زُبور» (جمع زَبور) للدلالة على الكتب المنزلة[1] فضلاً عن الصحف التي في السماء والتي تسجّل فيها أعمال البشر (٥٤/٤٣ و٥٢). واقتباسات القرآن من المزامير كثيرة جدًا، نحيل القارئ فيها إلى ملاحظات D.Masson في ترجمتها للقرآن ص٧٧٩-٩٧٩.

الزَّبِيْدِيّ (أبو الفيض، محمّد) (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) : يُلقّب بمرتضى. عالم باللّغة والحديث والأنساب والفقه والتاريخ والتصوّف. من كبار المصنّفين.أصله من العراق، مولده في الهند، نشأته في اليمن في مدينة زَبيد. رحل إلى الحجاز. عاش في القاهرة. وبها استقرّ حتّى وفاته. توفّيت زوجته، فحزن عليها حزناً شديداً، فانقطع عن التدريس، واعتزل الناس، واتّجه إلى التصوّف، وظلّ في عزلته حتّى وفاته. له مؤلّفات عديدة، أهمّها: «تاج العروس من جواهر القاموس»، وهو شرح للقاموس المحيط للفيروزابادي؛ و«الجواهر المنيفة في أصول أدلّة مذهب الإمام أبي خنيفة»؛ و«رسالة في أصول الحديث»؛ و«إتحاف السادة المتّقين في شرح إحياء علوم الدين للإمام الغزالي».

الزُّبَيْرُ بنُ العَوّام (ت ٣٦هـ/٦٥٦م) : هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ. أمّه صفيّة بن عبد المطّلب، ومن ثمّ فهو ابن عمّة محمّد وابن أخي خديجة. كان في طليعة الذين دخلوا في الإسلام. وفي رواية كان خامس الذين أسلموا

---

(١) ر: ٢٦/١٩٦؛ ٣/١٨٤؛ ١٦/٤٤؛ ٣٥/٢٥.

واعترف بنبوّة محمّد، وهو ما يزال يافعاً. وهو أيضاً أحد العشرة الذين بشّرهم محمّد بالجنّة. اشتهرت، من بين أزواجه، أسماء بنت أبي بكر، أخت عائشة. له عبداللّه، وعروة ومصعب الذين لعبوا أدواراً كبيرة في تاريخ الإسلام. اشترك الزُّبير في الهجرتَين إلى الحبشة. شهد جميع المعارك والغزوات الكبرى. واشترك في وقعة الجمل؛ وكانت فيها وفاته في سنّ يتراوح بين ٦٠ و٦٧ سنة.

الزَّجّاج (أبو إسحق إبراهيم) (ت ٣١١هـ/٩٢٣م) : عالم لغويّ نحويّ شهير، ومؤدِّب للوزراء ونديم للخلفاء. له مؤلّفات كثيرة، منها: سرّ النحو؛ الإبانة عن معنى بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ خلق الإنسان؛ خلق الفرس؛ معاني القرآن الكريم؛ الأمالي؛ النوادر؛ الاشتقاق؛ العروض؛ القوافي؛ الفِرَق؛ الأنواء؛ شرح أبيات سيبويه.

زَرَادَشْت Zarathushtra (ت نحو ٥٨٣ ق.م.) : نبيّ الفرس الأقدمين، ومصلح ديانتهم الأولى. من أتباعه الأخمينيّون والساسانيّون.

زَرْقَاءُ اليَمَامَة : إمرأة في الجاهليّة ضُرب بها المثل في حدّة البصر. في اسمها وأخبارها حكايات كثيرة تختلط بأخبار **حَذام**.

الزِّرِكْلِيّ (خير الدين) (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) : ولد في بيروت من أبوين دمشقيّين. نشأ وتعلّم بدمشق، ثمّ في بيروت. وكان فيها أستاذاً للتاريخ والأدب العربي. كان مناضلاً للعروبة ضد التتريك، فكتب «ديوان الشعر» الذي نجد فيه انفعالاته بالأحداث؛ كما كتب كتاب «الأعلام»، وهو موسوعة سلبت من عمره خمسين عاماً كما كان يقول. وله أيضاً: مجلّة لسان العرب؛ ومجلّة المفيد، وعامان في عمّان؛ وما رأيت وما سمعت.

الزَّقُّوم : شجرة كريهة المنظر، كريهة الطعم. ليست من شجر الدنيا. إنّها طعام أهل النار. هي شجرة خلقها اللّه في جهنّم. ومن العجيب أنّها تحيا بلهب النار، كما يحيا شجر الدنيا بالماء. ولا مناص لأهل النار من أكلها. ينحدر إليها من كان منهم فوقها، ويصعد إليها من كان أسفلها. إذا جاء أهل النار فالتجأوا إليها

وأكلوا منهـا، تغلي في بطونهم، كـما يغلي الماء الحـارّ. وشبّـه ما يصـير منهـا في بطونهم بالمُهْل، أي النحاس المذاب من الغليان.

قال فيها القرآن : «إنَّ شجرةَ الزَّقُّوم. طعامُ الأثيم. كالمُهْلِ يَغلي في البُطون. كَغَلْي الحَميم» (٤٤/٤٣-٤٦). وبيّن صفاتها فقال: «إنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً للظَّالِمينَ. إنَّها شجرَةٌ تَخرُجُ في أصْلِ الجحيم. طَلْعُهـا كأنَّهُ رؤوسُ الشياطينِ. فإنَّهم لآكِلُونَ منها فمَالِئونَ منها البُطونَ. ثمَّ إنَّ لهم عليهـا لَشَوْباً مِنْ حَميم» (٣٧/٦٢-٦٧). وسمّاها القرآن بـ«الشجرة الملعونة» في قوله: «ومَا جَعَلْنا الرؤيا التي أرَيناكَ إلاَّ فِتْنَةً للناسِ والشجرَةَ الملعونةَ في الـقرآن ونُخَوِّفُهم فما يَزيدُهمْ إلاّ طُغيـاناً كبيراً» (١٧/٦٠). وهدّد اللّه الكافرين بالأكل مـنها في قوله: «ثمَّ إنّكمْ أيُّهـا الضالّونَ المُكَذِّبونَ لآكِلونَ مِن شجرٍ من زَقُّومٍ. فـمالئونَ منها البُطون. فشاربونَ عليهِ من الحـميم. فشاربونَ شُرْبَ الهِيمِ. هذا نُزُلُهُمْ يومَ الدِّين» (٥٦/٥١-٥٦).

الزَّكاة : ١ . من الفرائـض الأساسيّـة التي شرّعـها الإسلام، وتعـني لغةً: الصلاح والتقوى والتطهير والزيادة والنمـاء، ومنه قوله: «خُذْ مِنْ أمْوالِهِمْ صَدَقَةً، تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِها» (٩/١٠٣).. يشدّد القرآن منذ البداية على الإنفاق في الخير باعتباره من الفـضائل الرئيسيّة التي يتحلّى بهـا المسلمون «الذين في أموالـهم حقّ معلـوم للسائل والمحـروم» (٧٠/٢٥؛ رَ: ٥١/١٩)؛ «ويطعمـون الطعام على حـبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» (٧٦/٨).

٢ . الزكاة فـريضة من فـرائض الإسلام، وركن من أركـان الدين. وقد دلّ على وجوبها الكتاب والسـنّة والإجماع: فمن الكتاب قوله تعالى: «وأَقـيموا الصلاةَ وآتُوا الزَّكـاة» (٢٤/٥٦)، وقـوله: «فـإنْ تابوا وأقـامـوا الصـلاةَ وآتوا الزَّكـاةَ فـإخوانكـم في الدِّينِ» (٩/١١)، إلخ. ومن السنّة قـول النبي: «بُني الإسـلام على خمس.. وذكـر منها «إيتـاء الزكاة»[1].. وأمّـا الإجمـاع فقـد أجمع المسلمـون على وجوبها، واتّفق الصحابة على قتال مانعيها، كما جاء في قتال أبي بكر لهم.

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/٤٩، ط.السلفيّة؛ مسلم ١/٤٥، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

٣ . شرع للمسلمين إيتاء الصدقة للفقراء منذ العهد المكّي، كما في قوله تعالى: «فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فكّ رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة» (٩٠/ ١١-١٦). وبعض الآيات المكّيّة جَعلتْ للفقراء في أموال المؤمنين حقًّا معلوماً، كما في قوله تعالى: «والذينَ في أموالهم حقٌّ معلوم، للسائل والمحروم» (٧٠/ ٢٤-٢٥).

بينما الزَّكاة فقد فُرضتْ في السنة الثانية من الهجرة. وهي تجب على المسلم، البالغ، العاقل، المالك للنصاب مع خلوّ المال من الدَّين عند الحنفيّة؛ بينما لا يشترط جمهور الفقهاء البلوغَ والعقلَ، لأنّ الصبيَّ والمجنونَ يُخرجها عنهما وليُّهما، لأنّها حقّ واجب في الأموال لا يشترط في مالكها التكليف.

٤ . يظهر فضل الزكاة من اقترانها بالصلاة، فحيثما ورد الأمر بالصلاة اقترن به الأمر بالزكاة، من ذلك قوله تعالى: «وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزَّكاة» (٢/ ٤٣)[٢]. ومن هنا قول أبي بكر في قتال مانعي الزكاة: «والله لأقاتلنَّ مَن فرّق بين الصلاة والزكاة. إنّها لقرينتها في كتاب الله».

٥ . مصارف الزكاة محصورة في ثمانية أصناف، نصّ عليها القرآن في قوله: « إنّما الصدقات: ١- للفقراء، ٢- والمساكين، ٣- والعاملين عليها، ٤- والمؤلّفة قلوبهم، ٥- وفي الرقاب، ٦- والغارمين، ٧- وفي سبيل الله، ٨- وابن السبيل، فريضة من الله » (٩/ ٦٠). هذه الآية أصبحت فيما بعد الأساس الذي قامت عليه القوانين الخاصّة بتوزيع الزّكاة.. بهذا تَستبعد الآيةُ أهلَ بيت النبي؛ على خلاف الغنيمة والفيء.

و«إنّمَا» التي صدّرت بها الآية أداةُ حصْر. فلا يجوز صرف الزكاة لأحدٍ، أو في وجهٍ، غير داخل في هذه الأصناف. وقد أكّد ذلك ما ورد «أنّ رسول الله أتاه

---

(٢) رَ: ٢/ ٨٣ و١١٠ و١٧٧ و٢٧٧؛ ٤/ ٧٧ و١٦٢؛ ٥/ ١٢ و٥٥؛ ٧/ ١٥٦؛ ٩/ ٥ و١١ و١٨ و٧١؛ ١٩/ ٣١ و٥٥؛ ٢١/ ٧٣؛ ٢٢/ ٤١ و٧٨؛ ٢٤/ ٣٧ و٥٦؛ ٢٧/ ٣؛ ٣١/ ٤؛ ٣٣/ ٣٣؛ ٥٨/ ١٣؛ ٧٣/ ٢٠؛ ٩٨/ ٥.

رجل فقال: أعطِني مِن الصــدقة. فقال: إنّ اللّه تعالى لــم يرضَ بحكم نبيّ ولا غيره في الصدقات حتّى حكم فيها هو، فجزأها ثمانية. فإن كنتَ من تلك الأجزاء أعطيتُك حقَّكَ»(٣).

٦ . مَن منع الزكاة فـقد ارتكب كبـيرةً من الكبائر. ورد في الحـديث: «قال رسول اللّه: ما من صاحب كنزٍ لا يؤدّي زكاتَه إلاّ أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح، فيُكوى بهــا جنباه وجبينه»(٤).. ومَن منع الزكاة تؤخـذ منه قهراً؛ من ذلك قول أبي بكر: «واللّهِ لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول اللّه لقاتلتهم عليه».. ومَن مَنع الزكاة منكـراً لوجوبها، فإنّه يُـحكم بكفره، ويكون مرتدًا، وتجـري عليه أحكام المرتدّ، لكونه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة(٥).

٧ . التمـكّن من أداء الزكاة شرط لــوجوب الأداء. فلو حال الحـول ثمّ تلف المال قبل أن يتمكّن صاحبُه من الأداء، فلا زكاة عليه، إذا لم يقصد الفرار من الزكاة. على ما قــال مالك، واحتجّ لهذا القـول بأنّ الزكاة عبادة فـيُشترط لوجـوبها إمكان أدائها، كالصلاة والصوم..

٨ . ١ – لا تجب الزكاة في مال الكافر، لأنّه حقّ لم يلتـزمه، ولأنّها وجبت طهرة للمزكّي. والكافر لا طهرة له ما دام على كـفره.. أمّا المرتدّ فما وجب عليه من الزكاة في إســلامه، لأنّه حقّ مال فلا يسقـط بالردّة، كالدَّين. ثمّ إنّ ملكَ المرتدّ لماله موقوف، فإن عاد إلى الإسلام تبيّن بقاءُ ملكه، وتجب فيه الزكاة.

٢ – وكذلك، لا زكــاة في الحاجـات الأصليّة، كـدار السكنى، وأثاث المنزل، ودواب الركوب، وكتب العلم، لأنّ المشغول بالحاجة الأصليّة كالمعدوم..

٣ – وكذلك أيضاً، «لا زكاة في مالٍ حتّى يحول عليه الحول»(٦)..

---

(٣) أخرجه أبو داود ٢/ ٢٨١، تحقيق عزّت عبيد دعّاس؛ مختصر السنن ٢/ ٢٣١.

(٤) أخرجه مسلم ٢/ ٦٨٢، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

(٥) المغني لابن قدامة ٢/ ٥٧٢–٥٧٤؛ والمجموع شرح المهذب ٥/ ٣٣٤.

(٦) أخرجه أبو داود ٢/ ٢٣٠، عن علي بن أبي طالب. أورده ابن حجر في التلخيص، ٢/ ١٥٦.

٤ - ولا زكاة أيضاً لمن عليه دَينٌ للعباد، سواء كان حالاً أو مؤجّلاً، ولو صداق زوجته المؤجّل للفراق، أو نفقة لزوجته، وكذا دَين الكفالة..

٥ - والمال الحرام، كالمأخوذ غصباً أو سرقةً أو رشوةً أو رباً، أو نحو ذلك، ليس مملوكاً لمن هو بيده، فلا تجب عليه زكاته، لأنّ الزكاة تمليك، وغير المالك لا يكون منه تمليك، ولأنّ الزكاة تطهّر المزكّي، وتطهّر المال المزكّى، لقوله تعالى: «خذْ من أموالهم صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم بها» (٩/١٠٣).. والمال الحرام كلّه خبث لا يطهر. والواجب في المال الحرام ردّه إلى أصحابه إن أمكن معرفتهم، وإلاّ وجب إخراجه كلّه من ملكه على سبيل التخلّص منه لا على سبيل التصدّق به.

زَكَاةُ الفطر : ١ . هي صدقة تجب بالفطر من رمضان. والحكمة فيها الرفق بالفقراء وإغناؤهم عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور عليهم في يوم يسرّ المسلمون بقدوم العيد عليهم، وتطهير مَن وجبت عليه بعد شهر الصوم من اللغو والرَّفث. عن ابن عبّاس قال: «فرضَ رسولُ اللّه زكاة الفطر، طهرةً للصائم من اللغو والرَّفث، وطعمةً للمساكين. مَن أدّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أدّاها بعد الصلاة فيه صدقة من الصدقات»[٧].

٢ . ذهب الفقهاء إلى أنّ زكاة الفطر واجبة على كلّ مسلم، واستدلّوا بما رواه ابن عمر، قال: «فرضَ رسولُ اللّه زكاةَ الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كلّ حرٍّ، أو عبدٍ، ذكرٍ أو أنثى من المسلمين»[٨].

٣ . اختلف الفقهاء في مَن تُصرف إليه زكاة الفطر على ثلاثة آراء: ١- جواز قسمتها على الأصناف الثمانية؛ ٢- تخصيص صرفها بالفقراء والمساكين فقط؛ ٣- وجوب قسمتها على الأصناف الثمانية أو مَن وُجد منهم (الشافعيّة).

زَكْرَوَيه بن مَهْرَوَيه (ت ٢٩٤هـ/٩٠٦م) : زعيم قرمطيّ. خلَفَ مؤسّسَ البدعة حمدان قرمط. قتله جندُ المُكتفي.

---

(٧) أخرجه أبو داود ٢/٢٦٢؛ وحسّنه النووي في المجموع ٦/١٦٢، ط. المنيريّة.

(٨) أخرجه البخاري، الفتح ٣/٣٦٧، ط. السلفيّة؛ مسلم ٢/٦٧٧، ط. الحلبي.

زَكَرِيًّا : يرد إسم زكريّـا في القرآن **٧** مرّات[١]. وهو جوهر مـا في إنجيل لوقـا (١/٥-٢٥). يقول : لقـد كـان زكريّا، أحـدُ شيـوخ بني إسـرائيل، في زمن المسيح، شيـخاً طاعناً في السنّ، وقد شارف على الموت من دون ذرّيّـة، بسبب عقم زوجته. وكان يصلّي إلى ربِّه ليرزقَه ولداً، لئلاّ يَبقى وحيداً: «وَزَكَرِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّه: رَبِّ! لا تَذَرْني فَرْدًا» (٢١/٨٩=لو ١/٧).

فبشّره اللّهُ بما أراد: «يا زَكَريّا! إنّا نبشِّركَ بغـلامٍ اسمُه يحيَى»؛ «فاسْتَجَبْنَا لَهُ. وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى. وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوجَـهُ (أي: فأتتْ بالولد بعد عقـمها (١٩/٧=لو ١/١٣)»[٢]. لم يصدّق زكـريّا، بسبب كِبـرِ سنّه وعقر زوجـته، فطلبَ على ذلك من ربّه "آية". فكانت الآية أن «لا يكلّم الناس ثلاثة أيّام» (٣/٤١=لو ١/٢٠)[٣].

ووُلد الولد. وسُمِّـي "يَحيى"، «وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَـبْلُ سَمِـيًّا» (١٩/٧=لو ١/٦١) (أنظر: **يحيى**). ثمّ يحكي القرآن قصّة كفـالة زكريّا لمريم ورعايته لها (٣/٣٧)؛ كما يسـتفيض المفسِّـرون في هذه القصّة مسـتندين في ذلك إلى ما ورد في الأناجيل المنحولة.

الزَّمَخْشَرِيّ (أبو القـاسم محمـود) (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م) : إمام حنفي معتزلي، لُقِّب بجار اللّه[١]. ولد بزمخشر، قرية من خوارزم. إمام كبير في التفسير، والحديث، والنحو، واللّغة والأدب. من أجلّ كتبه تفسير القرآن الذي لم يصنَّفْ قبلَه مثلُه؛ واسمه : «الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل».

والحقّ يقال إنّ الكشّاف هو أوّل كـتاب في التفسير كـشف على سرّ بلاغة القرآن، وأبان عن وجـوه إعجازه، وأوضح عن دقّـة المعنى الذي يفهم من التـركيب اللفظي. كلّ هذا في قالب أدبيّ رائع، وصوغ إنشائيّ بديع.

---

(١) رَ: آل عمران ٣/٣٧ (مرّتين) و ٣٨؛ الأنعام ٦/٨٥؛ مريم ١٩/٢ و٧؛ الأنبياء ٢١/٨٩.
(٢) سورة الأنبياء ٢١/٩٠؛ أمّا في آل عمران ٣/٣٩ فالملائكة هي التي نادتْ زكريّا.
(٣) أمّا في مريم ١٩/١٠ فـ"ثلاث لَيالٍ".
(١) لأنّه مكث في مكّة وجاور بها زماناً، حتّى عرف بهذا اللّقب.

وكما كان **الطبري** قمّة في التفسير بالمأثور، فالزمخشري قمّة أيضاً في التفسير الاعتزالي. وهو الكتاب الوحيد من تفاسير المعتزلة الذي وصل إلينا متناولاً القرآنَ كلَّه.. وظلّ الزمخشري يحتلّ مكاناً في الأدب إلى أن أخرج **البيضاوي** تفسيره باعتباره المقابل السنّي للكشّاف.

وللزمخشري أيضاً مؤلّفات أخرى، مثل «أساس البلاغة» في اللغة، و«المفصَّل» في النحو، و«الفائق» في غريب الحديث، و«الرائض في علم الفرائض»، و«المفرد والمركّب» في العربيّة، و«النصائح الكبار والصغار»، و«المستقصى في أمثال العرب»، و«أطواق الذهب»، و«نوابغ الكلم»، وغيرها.

زَمْزَم : ١ . هي البئر المقدّسة بمكّة، وتدعى أيضاً بئر إسماعيل، وتقع في الحرم الشريف، جنوب شرقي الكعبة وقبالة الركن الذي وضع فيه الحجر الأسود. بينها وبين الكعبة ٣٨ ذراعاً. يبلغ عمقها ١٤٠ قدماً، وتعلوها قبّة جميلة.

٢ . وفي الأخبار الإسلاميّة أنّ جبريل فجّرها لينقذ هاجر وابنها إسماعيل من الهلاك عطشاً.. وفي عصر الوثنيّة طمس بنو جرهم زمزم وألقوا فيها بكلّ كنوزهم.. أعيد اكتشافُها وحفْرُها على يدي عبد المطّلب جدّ النبي، وسوَّرَها، وأخرج منها غزالتَين من الذهب، وبعضَ السيوف والدروع.

يُستحبّ للحاجّ والمعتمر أن يشرب من ماء زمزم، وأن يتطهّر به، وأن يحمله إلى آخرين. واعتاد الحجّاج، قبل الرحيل من مكّة، أن يغمسوا في زمزم الثياب التي يقصدون أن تكون كفناً لهم، وأن يُدفنوا بها.

٣ . قال رسول اللّه في فضل زمزم: «خير ماءٍ على وجه الأرض ماء زمزم. فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم»[٢].

الزِّنَا : الفجور. وهو: وطء الرجل المرأة في القُبل في غير الملك وشبهته. أو هو الجماع بين شخصين ممّن لا عصمة بينهما بنكاحٍ شرعي أو تسرّي.

---

(٢) أخرجه الطبراني ١١/٩٨، وأورده الهيثمي في المجمع ٣/٢٨٦.

١ . الزنى حرام. وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل. قال تعالى: «والذينَ لا يدعون مع اللّه إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرّم اللّه إلاّ بالحقّ، ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق أثاماً. يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً. إلاّ مَن تابَ وآمن وعمل عملاً صالحاً. فأولئك يبدّل اللّه سيّئاتهم حسنات. وكان اللّه غفوراً رحيماً» (٢٥/٦٨-٧٠)، وقال: «ولا تقربوا الزنا. إنّه كان فاحشةً وساء سبيلاً» (٢٥/٣٢).

٢ . وروى ابن مسعود قال: سألتُ رسولَ اللّه: أيّ الذنب عند اللّه أكبر؟ قال: أن تجعل للّه ندًا. وهو خَلَقَك. قلت: ثمّ أيّ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثمّ أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك»[1]. وقد أجمع أهل الملل على تحريمه. فلم يُحلّ في ملّة قط. ولذا كان حدُّه أشدَّ الحدود، لأنّه جناية على الأعراض والأنساب. وهو من جملة الكلّيّات الخمس. وهي: حفظ النفس، والدين، والنسب، والعقل، والمال.

٣ . الزنى بذات المحرم، أو بذات الزوج، أعظم من الزنى بأجنبيّة، أو مَن لا زوج لها.. فإن كان زوجها جاراً انضمّ له سوء الجوار.. فلو كان الجار أخاً، أو قريباً، انضمّ له قطيعة الرحم، فيتضاعف الإثم.. فإن كان الجار غائباً في طاعة اللّه، كالعبادة والجهاد، تضاعف الإثم.. فإن اتّفق أن تكون المرأة رحماً له انضاف إلى ذلك قطيعة رحمها. فإن اتّفق أن يكون الزاني محصناً كان الإثم أعظم. فإن كان شيخاً كان أعظم إثماً وعقوبةً. فإن اقترن بذلك أن يكون في شهر حرام، أو بلد حرام، أو وقت معظّم عند اللّه، كأوقات الصلوات وأوقات الإجابة، تضاعف الإثم.. وصرّح الفقهاء بأنّ ركن الزنى الموجب للحدّ هو الوطء المحرّم. وركنه التقاء الختانين ومواراة الحشفة، لأنّ بذلك يتحقّق الإيلاج والوطء..

٤ . حدّ الزنى: كان الحبسُ والإمساكُ في البيوت أوّل عقوبات الزنى في الإسلام، لقوله تعالى: «واللاّتي يأتِينَ الفاحشةَ من نسائكم، فاستشهدوا عليهنّ

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤٩٢/٨، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/ ٩٠، ط. الحلبي.

أربعةً منكم. فإن شهدوا، فأمسكوهنّ في البيوت، حتّى يتوفّاهنّ الموتُ، أو يجعل اللّهُ لهنَّ سبيلاً» (٤/ ١٥). ثمّ إنّ الإجماع قد انعقد على أنّ الحبس منسوخ.. والناسخ هو قوله تعالى: «الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة. ولا تأخذكم بهما رأفة في دين اللّه إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخِر. وليشهد عذابَهما طائفة من المؤمنين» (٢٤/ ٢).

٥ . ومن ثمّ اتّفق الفقهاء على أنّ حدَّ الزاني المُحْصَن **الرجم** حتّى الموت، رجلاً كان أو امرأة. وقد قال ابن قدامة: قد ثبت أنّ النبيّ رجم بقوله وفعله. وقد أنزله اللّه في كتابه. ثمّ نسخ رسمَه وبقي حكمُه، لمَا ورد عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: «إنّ اللّهَ بعث محمّداً بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب. فكان ممّا أنزَل اللّهُ آيةَ الرجم. فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. رجم رسولُ اللّه ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: واللّهِ ما نجد آيةَ الرجم في كتاب اللّه، فيضلّوا بترك فريضةٍ أنزلها اللّه. والرجم في كتاب اللّه حقّ على مَن زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البيّنة، أو كان الحبل، أو الاعتراف». وزاد في رواية: «والذي نفسي بيده! لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطّاب في كتاب اللّه لكتبتُها: الشيخ والشيخة، إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من اللّه. واللّه عزيز حكيم»[٢].

٦ . أمّا حدّ الزاني غير المحصن، رجلاً كان أو امرأةً، فمائة جلدة، إن كان حرًا. وأمّا العبد، أو الأمة، فحدّهما خمسون جلدة، سواء كانا بكرَين أو ثيّبَين، لقوله تعالى: «فإذا أحصن، فإن أتين بفاحشة، فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب» (٤/ ٢٥). وزاد جمهور الفقهاء التغريب عاماً للبكر الحرّ الذكر.

٧ . لا خلاف بين الفقهاء في أنّه :

١ - يشترط في حدّ الزنى إدخال الحشفة في الفرج. فلو لم يدخلها أصلاً، أو أدخلَ بعضها فليس عليه الحدّ، لأنّه ليس وطأ. ويجب عليه الحدّ سواء أنزل أم لا، انتشر ذكره أم لا.

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ١٤٤؛ مالك في الموطأ ٤/ ١٤٥ ، بشرح الزرقاني.

٢ – ويشترط أن يكون مَن صدر منه الفعل مكلَّفاً، أي عاقلاً بالغاً، عالماً بالتحريم، لما روى سعيد بن المسيّب أن رجلاً زنى باليمن، فكتب في ذلك عمر: «إن كان يعلم أنّ اللّه حرّم الزنى فاجلدوه. وإن كان لا يعلم فعلِّموه. فإن عاد فاجلدوه».

٣ – ويشترط أيضاً انتفاء الشبهة، لقول النبي: «إدرءوا الحدودَ بالشبهات»[٣]، أي إنّ الحدّ يُحتال في درئه بلا شكّ، والاحتيال إنّما يكون بعد الثبوت. كذا قال علي لشراحة: «لعلّه وقع عليكِ وأنتِ نائمة، لعلّه استكرهكِ، لعلّ مولاكِ زوّجكِ منه وأنت تكتمينه؟.. فالشبهة هي ما يشبه الثابت وليس بثابت.. قالت عائشة : «إدرءوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم. فإن كان له مخرج فخلّوا سبيلَه. فإنّ الإمام أن يُخطئ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة»[٤].

٨ . يثبت الزنى بأحد أمور ثلاثة: بالشهادة، والإقرار، والقرائن:

١ – **بشهادة** أربعة رجال، لقوله: «واللاّتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعةً منكم» (٤/١٥)، وقوله: «والذينَ يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة» (٢٤/٤)، وقوله تعالى: «لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند اللّه هم الكاذبون» (٢٤/١٣)؛ ولحديث أبي هُريرة أنّ سعد بن معاذ قال لرسول اللّه: «يا رسولَ اللّه! إنْ وجدتُ مع امرأتي رجلاً أأُمْهله حتّى آتي بأربعة شهداء؟ فقال النبي: نعم»[٥].

– ويشترط في الشهادة: الذكورة.. ولا تُقبل شهادة النساء في الزنى بحال. قال ابن عابدين: لا مدخل لشهادة النساء في الحدود..

– ويشترط تفصيل الشهادة، فيصف الشهود كيفيّة الزنى، فيقولون: رأيناه مغيِّباً ذَكَرَه في فرجها كالميلِ في المكحلة.. كما يبيّن الشهود كيفيّتَهما من اضطجاعٍ أو جلوسٍ أو قيامٍ، أو هو فوقها أو تحتها.. ولا بدّ من تعيين المرأة،

---

(٣) أخرجه السمعاني كما في المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٣٠، ط. السعادة.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/٣٣؛ وضعّفه إبن حجر في التلخيص الحبير ٤/٥٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢/١١٣٥، ط. الحلبي.

لاحتمال أنّها امرأته أو أمته.. كما لا بدّ من تعيين البلد، وتعيين المكان في البيت، ككونه في ركن البيت الشرقي أو الغربي أو وسطه، إذ قد يكون ابتداء الفعل في زاوية والانتهاء في زاوية أخرى.. ولا بدّ أيضاً من تعيين الزمان لتكون الشهادة من الجميع على فعل واحد، لجواز أن يكون ما شهد به أحدهم غير ما شهد به الآخَر..

– ويشترط أيضاً أن تكون الشهادة أصيلة، فلا تجوز الشهادة على الشهادة في الزنى..

– ويشترط أيضاً عدم قبول شهادة الزوج على زوجته بالزنى..

٢ – يثبت الزنى **بالإقرار**، لأنّ النبي «رجم ماعزاً والغامديّة بإقراريهما»[٦].. ويشترط في الإقرار أن يكون مفصّلاً، مبيِّناً لحقيقة الوطء لتزول التهمة والشبهة، ولقول النبي لماعز: «لعلّكَ قبّلتَ أو غمزتَ أو نظرتَ؟ قال: لا يا رسول اللّه. قال: أنِكْتَها؟». وفي رواية، قال: «حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟. قال: نعم. قال: كما يغيب المروَد في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال: نعم. قال: فهل تدري ما الزنى؟ قال: نعم. أتيتُ منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً»[٧].

٣ – اختلف الفقهاء في إثبات الزنى **بالقرائن**، التي هي ظهور الحمل واللعان: فذهب الحنفيّة والشافعيّة والحنابلة إلى عدم ثبوت حدّ الزنى بـ**ظهور الحمل** في امرأة لا زوج لها وأنكرت الزنى، لجواز أن يكون من وطء شبهةٍ أو إكراه، والحدّ يُدرأ بالشبهة.. وذهب المالكيّة إلى ثبوت حدّ الزنى بظهر حمل امرأة لا زوج لها، فتحدّ ولا يُقبل دعواها الغصب على ذلك بلا قرينة تشهد لها بذلك.. وذهب المالكيّة والشافعيّة إلى ثبوت حدّ الزنى بـ**اللّعان** إذا لاعن الزوجُ وامتنعت المرأة عنه، فيثبت عليها حدّ الزنى حينئذ. أمّا إذا لاعنت فلا حدّ عليها. وذهب الحنفيّة والحنابلة إلى أنّ المرأة، إذا امتنعت عن اللعان، لا حدّ عليها، لأنّ زناها لم يثبت، ولأن الحدّ يُدرأ بالشبهة، ويحبسها الحاكم حتّى تلاعن أو تصدقه.

---

(٦) راجع ما أخرجه مسلم ٣/ ١٣٢١-١٣٢٢، ط. الحلبي.

(٧) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ١٣٥، ط. السلفيّة، وأبو داود ٤/ ٥٨٠.

٩ . استحبَّ جمهور الفقهاء أن يُستوفَى حدُّ الزنى بحضور جماعة، لقوله تعالى: «وليشهدْ عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين» (٢/٢٤)، ولأنّ المقصود من الحدود الزجر، وذلك لا يحصل إلاّ بالحضور..

١٠ . ثمّ صرّح الفقهاء بأن تكون حجارة الرجم متوسّطة كالكف، فلا ينبغي أن يرجم بصخرات تذفّفه، أي تجهز عليه فوراً، فيفوت التنكيل المقصود؛ ولا بحصيّات خفيفة، لئلاّ يطولَ تعذيبُه. قال المالكيّة: ويخصّ بالرجم المواضع التي هي مقاتل من الظهر وغيره من السرّة إلى ما فوق، ويتّقى الوجه لشرفه، والفرج.

١١ . وأمّا بالنسبة لكيفيّة وقوف الراجمين، فقال الحنفيّة: ينبغي للناس أن يُصفّوا عند الرجم كصفوف الصلاة. كلّما رجم قومٌ تأخّروا وتقدّم غيرهم فرجموا. وقال الحنابلة: يسنّ أن يدور الناسُ حول المرجوم من كلّ جانب، كالدائرة إن كان ثبت ببيّنة، لأنّه لا حاجة إلى تمكينه من الهرب. ولا يُسنّ ذلك إن كان زناه ثبت بإقرار لاحتمال أن يهرب، فيُترك ولا يُتمّم عليه الحدّ.

الزُّنّار : ما يشدّه المجوسي والنصراني على وسطه. وهو خيوط متلوّنة بألوانٍ شتّى يشدّ بها الذمّي وسطه. وهو يكون فوق الثياب. يأخذ به أهلُ الذمّة وجوباً إظهاراً لكفرهم. ولا يُتركون يتشبّهون بالمسلمين في لباسهم وهيئتهم كيلا يُعامَلوا معاملة المسلمين.. ومن خالف من أهل الذمّة وتركَ الزنّار بعد أمره به فإنّه يعزر.. ويحرّم على المسلم شدّ الزنّار على الهيئة التي يلزم بها أهل الذمّة، لأنّ ذلك تشبّهٌ بهم، وقد قال النبي: «من تشبّه بقومٍ فهو منهم»[(١)].

الزَّنْج : يطلَق لقب الزَّنْج على بعض القبائل الإفريقيّة. يُلقّب رئيسهم: «صاحب الزَّنج»، وهو رجل فارسيّ إسمه «علي بن محمّد» من أهالي الطالقان. ادّعى أنّه من ولد عليّ زين العابدين. ولكنّه لم يجهر بعقائد الشيعة على الرغم من ادّعائه النسب إلى علي وفاطمة. وإنّما جهر بعقائد الخوارج.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤/ ٣١٤، من حديث ابن عمرو.

قَدِم صاحبُ الزَّنج بلادَ العراق، واتّصل ببعض بطانة الخليفة المنتصر، سنة ٢٤٨هـ؛ ثمّ سار إلى البحرين، ودعا إلى تحرير العبيد، واستمال قلوبَهم، فانضمّوا إليه. فعظم شأنه، وقويت شوكته، ولقيت دعوتُه قبولاً بين أهالي البحرين.. ثمّ نهبت جيوشُه القادسيّة، واستولت على البصرة، وذبحت الكثير من أهلها سنة ٢٥٧هـ. ثمّ استولتْ على الأهوان، ثمّ واسط.

فسيّر الخليفة المعتمد إليهم أخاه أبا أحمد الموفّق، فقاتلهم ، وأجلاهم عن الأهوان، وحاصر مدينتهم «المختارة»؛ ودامت الحروب بينهم أكثر من ١٤ سنة، حين قُتل صاحبُ الزَّنج سنة ٢٧٠هـ. وبلغ عدد القتلى ألفَ ألف وخمسمائة ألف، على ما يقول السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٢.

الزَّنْدَقَة : إسم مشترك يُطلق على معانٍ مختلفة: أطلق على القول بأزليّة العالم، وعدم الإيمان بالله، والشكّ والضلال والكفر والإلحاد، والقول بإلهين أو أكثر للعالم، وعلى المذاهب الثنويّة، كالزرادشتيّة أو المجوسيّة والمزدكيّة والمانويّة، وإبطان الكفر وإظهار الإسلام، وإبطان عقائد هي كفر بالاتّفاق، والنطق بعقائد أخرى بالإضافة إلى الإسلام، وعلى ابتداع ما ليس من الدِّين، وعلى مخالفة مذهب أهل السنّة والجماعة، وعلى حياة المجون التي كان يحياها بعض الشعراء والكتّاب.

والزنديق، بالإجمال، هو الخارج على الدِّين، والذي تصبح تعاليمه خطراً على الدولة. وتكون عقوبته القتل بتطبيق سورة المائدة (٥/٣٣) وسورة الشعراء (٢٦/٤٩)؛ كما يكون في الآخرة من الهالكين.

الزُّهْد : ١ . إصطلاح صوفي، يعني: بغض الدنيا والإعراض عنها. أو هو النسك والتقشّف ونبذ الملبس والمسكن والطعام اللذيذ، ونبذ النساء والرغبات، وترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. وباختصار: الزاهد هو الذي لا يفرح بموجود ولا يحزن لمفقود. أو هو، كما عرّفه بعضُهم: أن تملكَ الدنيا ولا تملكك الدنيا. وقال بعضهم: أن تكون الدنيا ملك يدك، ولا تملك الدنيا شيئاً من قلبك[1].

---

(١) رَ: الزهد، د.محمّد السيد الجليند، موسوعة الحضارة الإسلاميّة، ٢٠٠٥؛ ص ١٨٠=١٨٣.

٢ . بين الزاهد و**الصُّوفي** فرق: فالمعرض عن متاع الدنيا وطيّباتها يسمّى زاهداً، والمنصرف بفكره إلى الله يسمّى صوفيّاً؛ الزاهد مَن يزهد في الدنيا، والصوفي يزهد في كلّ ما يبعده عن الله؛ الزاهد يحرم نفسه من متاع الدنيا، والصوفي لا يحرم نفسه من متاع الدنيا إلاّ إذا حجبتْه عن الله؛ الزاهد غايته دخول الجنّة، والصوفي غايته معرفة الله؛ الزاهد لا بدّ من أن يملك حتّى يزهد فيه، والصوفي لا يشترط أن يملك شيئاً حتّى يزهد فيه.. من ذلك نقول: إنّ كلّ صوفي زاهد، وليس كلّ زاهد صوفيّاً[1].

الزُّهْرِيّ (ابن شهاب محمّد) (ت ١٢٤هـ/٧٤٢م) : تابعي من أهل المدينة. أوّل مَن دوّن الحديث. نزل الشام واستقرّ بها.

زُهَير بن أبي سُلمى (ت ٦٢٧م) : شاعر جاهلي من أصحاب المعلّقات. دقيق الوصف متين التنسيق. ميّال إلى الحكم. يُعتبر من أشعر شعراء عصره. له «ديوان» يحوي المعلّقة التي ذكر فيها حرب السباق، وفيها كثير من المدح والفخر.

الزَّوَاج : ١ . عقدٌ يتضمّن إباحة الاستمتاع بالمرأة بالوطء والمباشرة والتقبيل والضمّ وغير ذلك، إذا كانت المرأة غير محرمة بنسب أو رضع أو صهر؛ أو هو عقد وضعه الشارع ليفيد ملك استمتاع الرجل بالمرأة، وحلّ استمتاع المرأة بالرجل. فَأثر هذا العقد بالنسبة إلى الرجل يفيد الملك الخاص به فلا يحلّ لأحد غيره؛ وأمّا أثره بالنسبة إلى المرأة فهو حلّ الاستمتاع لا الملك الخاص بها.

٢ . والزواج مشروع بالكتاب والسنّة والإجماع : أمّا الكتاب فقوله: «فانكِحُوا ما طابَ لكمْ من النساء مثنى وثلاث ورُباع» (٤/٣)؛ وأمّا السنّة فقول النبيّ: «يا معشرَ الشباب! مَن استطاع منكم الباءَة[1]، فليتزوّجْ. فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج. ومَن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وَجاء»[2].

---

(١) راجع مادّة: الزهد، د. منى أبو زيد، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٧٣٦–٧٣٧.

(١) الباءة: مؤن الزواج وواجباته، من مهر ونفقة ولا يخاف ظلم المرأة ولا التقصير في حقّها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، صحيح البخاري ٨/٩.

٣ . وحكمة مشروعيّته: إعفاف المرء نفسه وزوجه عن الوقوع في الحرام، وحفظ النوع الإنساني من الزوال والانقراض بالإنجاب والتوالد، وبقاء النسل وحفظ النسب، وإقامة الأسرة التي ينتظم بها المجتمع، وإيجاد التعاون بين أفرادها. فالزواج تعاون بين الزوجَين لتحمّل أعباء الحياة وعقد مودّة وتعاضد بين الجماعات، وتقوية روابط بين الأسر. وبه يتم الاستعانة على المصالح[٣] (أطلب أيضاً مادّة: **النِّكاح**).

الزَّوْج : ١ . في اللّغة: الفرد الذي له قرين، قال تعالى: «وأنّه خلق الزَّوجَين: الذَّكَرَ والأنثى» (٥٣/ ٤٥). فكلّ منهما زوج: فالرجل زوج المرأة، وهي زوجه، كما في قوله تعالى: «أمسكْ عليكَ زوجَكَ» (٣٣//٣٧).. ولا يُقال للإثنين زوج، وإنّما يقال: زوجان.. فكلّ مقترنَين، متجانسَين كانا أم نقيضَين، فهما زوج.. والزَّوج في الاصطلاح: بعل المرأة.

٢ . حقوق الزوج على زوجته:

١- وجوب الطاعة، إذ جعل اللّهُ الرجلَ قوّاماً على المرأة بالأمر والتوجيه والرعاية، كما يقوم الولاة على الرعيّة، بما خصّ اللّهُ به الرجلَ من خصائص جسميّة وعقليّة، وبما أوجب عليه من واجبات ماليّة، قال تعالى: «الرجالُ قوّامون على النساء بما فضّل اللّهُ بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم» (٤/ ٣٤).. روى الحاكم عن عائشة أنّها قالت: «سألتُ النبيّ: أيّ الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: زوجها»[١]. وقال: «لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها لِما جعل اللّهُ لهم عليهنّ من الحقّ»[٢].

٢ - تمكين الزوج من الاستمتاع، وهو حقّ له عليها، إن كانت أهلاً للجماع.

٣ - ومن حقّ الزوج على زوجته ألاّ تُدخلَ بيتَه أحداً يكرهه، لحديث: «فأمّا

---

(٣) راجع مادّة: الزواج، د. فرج السيد عنبر، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٧٣٨-٧٣٩.

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٣٠٨، ط. السعادة.

(٢) أخرجه الترمذي ٣/ ٤٥٦، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

حـقّكم على نسـائكم فـلا يوطِئن فـرشكم مَن تكـرهون، ولا يأذَنّ في بيـوتكم لمن تكرهون»[٣].

٤ – ومن حقّ الزوج على زوجته «ألاّ تخرج من بيـتها إلاّ بإذنه. فإن فعلتْ لعنتْها ملائكةُ السماء، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب حتّى ترجع»[٤].

٥ – للزوج تأديب زوجته عند عـصيانها أمرَه بالمعروف لا بالمعـصية، لأنّه تعالى أمر بتأديب النساء بالهجر والضرب عند عدم طاعتهنّ..

٦ – خدمة الزوجة لزوجها بما هو من عادات أهل بلدها..

٣ . أمّا ما يجب على الزوج لزوجته فلها مثل الذي عليه بالمعروف..

١ – على الزوج إكرام زوجته وحسن معاشـرتها ومعاملته لها بالمعروف، وتقـديم ما يمـكن تقديمه إلـيهـا ممّا يؤلف قلبـهـا، لقـوله تعالى: «وعـاشـروهنّ بالمعروف» (٤/١٩)..

٢ – من حـقـوق الزوج إنهـاء عقـد الزواج إذا فـسـد الحـال بين الزوجَين وأصبح بقاؤه مفسدةً محضة، وضرراً مجرّداً، لأنّه أحرص عادة على بقاء الزوجيّة لما أنفق في سـبيل الزواج من المال، وهـو أكثـر تقديراً لعـواقب الأمور، وأبعـد عن الطيش في تصرّف يلحق به ضرراً كبيراً.

الزَّوْجَة : **١** . إختيار الزوجة :

١ – المرأةُ سكَنٌ للزوج وحَرْثٌ له، أمينتُه في مالِه وعرضِه، وموضعُ سرّه.

٢ – يُستـحبّ أن تكون الزوجة ذات دِين، لقـول النبي: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفرْ بذات الدّين تربت يداك»[٥]..

---

(٣) أخرجه الترمذي ٣/٤٥٨، ط. الحلبي، من حديث عمرو بن الأحوص.

(٤) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٤/١٢٦، ط. المكتبة التجاريّة، وعزاه إلى الطبراني.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ٩/١٣٢، ط. السلفيّة؛ مسلم، ٢/١٠٨٦، من حديث أبي هُريرة.

٣ - وأن تكون ولوداً، لحديث: «تزوّجوا الودودَ الولود. فإنّي مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[٦].

٤ - وأن تكون بِكراً، لقول النبيّ: «فهلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك»[٧].

٥ - أن تكون حسيبةً نسيبةً، أي طيّبةَ الأصل بانتسابها إلى العلماء والصلحاء، لقول النبيّ: «تخيّروا لنطفكم وانكحوا الأكفّاء، وأنكحوا إليهم»[٨].

٦ - وأن لا تكون ذاتَ قرابة قريبة، لحديث: «لا تنكحوا القرابة القريبة فإنّ الولد يخلق ضاوياً»[٩].

٧ - وأن تكون جميلةً لأنّها أسكن لنفسه وأغض لبصره، وأكمل لمودّته، لحديث: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى اللّه خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعتْه، وإن نظر إليها أسرَّتْه، وإن أقسم عليها أبرّتْه، وإن غاب عنها نصحتْه في نفسها ومالها»[١٠].

٨ - أن تكون ذات عقل، ويجتنب الحمقاء، لأنّ النكاح يراد للعشرة الدائمة، ولا تصلح العشرة مع الحمقاء.

٢ . حقوق المرأة : للزوجة على زوجها حقوق ماليّة، وهي: المهر، النفقة، السكنى؛ وحقوق غير ماليّة: كالعدل في القَسْم بين الزوجات، وعدم الإضرار بالزوجة.

١ - المهر هو المال الذي تستحقّه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها، من قوله: «وآتوا النساءَ صدقاتهنَّ نحلةً» (٤ / ٤) (رَ: **الصداق**).

---

(٦) أخرجه أحمد ٣ / ٢٤٥، من حديث أنس بن مالك؛ وأورده الهيثمي في المجمع ٤ / ٢٥٨.

(٧) أخرجه البخاري، الفتح ٩ / ٣٤٣؛ سلم ٢ / ١٠٨٩، ط. الحلبي، من حديث جابر بن عبداللّه.

(٨) أخرجه إبن ماجة ١ / ٦٣٣، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

(٩) راجع: إتحاف السادة المتّقين، ٥ / ٣٤٩، ط. الميمنيّة.

(١٠) أخرجه إبن ماجة ١ / ٥٩٦، ط. الحلبي، من حديث أبي أمامة.

٢ - النفقة وهي توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام، ومسكن، وخدمة، لقوله تعالى: «وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف» (٢/٢٣٣)، وقوله: «لينفق ذو سعة من سعته. ومَن قدر عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه اللّه» (٦٥/٦). والحكمة في وجوب النفقة أنّ الزوجة محبوسة على الزوج بمقتضى عقد الزواج، ممنوعة من الخروج من بيت الزوجيّة إلاّ بإذن منه، فكان عليه أن يُنفق عليها، وعليه كفايتها (أطلب مادّة: **النفقة**).

٣ - العدل بالتسوية بينها وبين غيرها من زوجاته في المبيت والنفقة والمعاملة الماديّة، وذلك ما يدلّ عليه قوله: «فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة» (٤/٣). وجاء في الخبر: «إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقّه ساقط»[١١]. وقالت عائشة: «كان رسول اللّه يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: اللّهمّ! هذه قسمتي في ما أملك. فلا تلمني في ما تملك ولا أملك»[١٢] (رَ: **القسم**).

٤ - حسن العشرة، أي: على الزوج تحسين خلقه مع زوجته، والرفق بها، وتقديم ما يمكن تقديمه إليها ممّا يؤلف قلبها، لقوله تعالى: «وعاشروهنّ بالمعروف» (٤/١٩)، وقوله: «ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف» (٢/٢٢٨). وفي الخبر: «استوصوا بالنساء خيراً فإنّما هنّ عوانٌ (أسيرة) عندكم»[١٣]. وقال أيضاً: «خياركم خياركم لنسائهم خلقاً»[١٤]. ومن حسن الخلق في معاملة الزوجة التلطّف بها ومداعبتها، فقد جاء في الأثر: «كلّ ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلاّ رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله. فإنّهنّ من الحقّ»[١٥] (أطلب مادّة: **العشرة**).

زْويمِر (صموئيل) Zwemer (ت ١٩٥٢) : مُستشرق أميركيّ محرِّر مجلّة «عالم الإسلام» الإنكليزيّة. من كتبه «يسوع في إحياء الغزالي».

---

(١١) أخرجه الترمذي ٣/٤٣٨؛ الحاكم ٢/١٨٦، من حديث أبي هُريرة.

(١٢) أخرجه الترمذي ٣/٤٣٧، ط. الحلبي.

(١٣) أخرجه الترمذي ٣/٤٥٨، ط. الحلبي، من حديث عمرو بن الأحوص، حديث حسن صحيح.

(١٤) أخرجه الترمذي ٣/٤٥٧، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة، حديث حسن صحيح.

(١٥) أخرجه الترمذي ٣/١٤٩، من حديث عقبة بن عامر، حديث حسن صحيح.

الزَيّات (حبيب) (ت ١٩٥٤) : مؤرّخ سوريّ. جمع مخطوطات نادرة. من آثاره: «الخزانة الشرقيّة»، و«الديارات النصرانيّة في الإسلام».

زِيَاد بن أبيه (ت ٥٣هـ/٦٧٣م) : أمير من القادة الفاتحين. يكتنف الغموض نسبه. ناصر عليًا. استدعاه معاوية بعد وفاة عليّ، وألحقه بنسبه، وولاّه الكوفة والبَصرة. اشتهر بالخِطابة والكرم وحسن الإدارة.

الزِّيَارَة : **١** . معناها الديني أن تذهب إلى مكان مقدّس، أو قبر وليّ، وخاصّة إلى قبر محمّد في مسجد المدينة، وهو القبر الذي يزوره الحجّاج حتّى في ظلّ حكم الوهّابيّين الذين حاربوا زيارة قبور الأولياء..

٢ . وممّا يجب زيارته:

١ – زيارة قبر الرسول، وهي من أهمّ القربات وأفضل المندوبات، لحديث عنه: «مَن زار قبري وجبت له شفاعتي»(١)، وقوله: «مَن زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي»(٢)، وروي عنه: «من جاءني زائراً لا يعلم له حاجة إلاّ زيارتي، كان حقًا عليًّ أن أكون له شفيعاً يومَ القيامة»(٣).

٢ – زيارة القبور، وهي للرجال بدون سفر، لخبر «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها. فإنّها تذكّر بالآخرة»(٤)، ولأنّه «كان يخرج إلى البقيع لزيارة الموتى. ويقول: السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجّلون. وإنّا إن شاء اللّه بكم لاحقون. أسألُ اللّه لي ولكم العافية»(٥). ويكره للنساء، لقوله: «لعن اللّه زوّارات القبور»(٦).

---

(١) أخرجه الدارقطني ٢/٢٧٨، ط. دار المحاسن، من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه الدارقطني ٢/٢٧٨، ط. دار المحاسن، وابن حجر في التلخيص ٢/٢٦٧.

(٣) أورده الهيثمي في المجمع ٤/٣، ط. القدسي، من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه مسلم ٢/٦٧٢، ط. الحلبي، من حديث بريدة.

(٥) أخرجه مسلم ٢/٦٦٩، ٦٧١، ط. الحلبي.

(٦) أخرجه الترمذي ٣/٣٧٢، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

٣ – زيارة الأمـاكن، منها مـسجـد قبـاء و«كان ﷺ يزوره كلّ سبت»[٧]، والمساجد الثـلاثة، كما في قوله: «لا تُشـدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مـسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى»[٨].

٤ – زيارة الصالحين والإخوان والأصـدقاء والجيران والأقـارب، كما في الحديث القدسي: «حُـقّتْ محبّتي للمتـحابّين فيّ، وحُقّتْ محبّـتي للمتناصحين فيّ، وحُقّتْ محبّتي للمتزاورين فيّ»[٩]، وعن أنَس: «إذا جاءكم الزائر فأكرموه»[١٠].

زَيْدٌ بن ثَابِت (ت ٤٥هـ/ ٦٦٥م) : أنصاري خزرجي. من أكـابر الصحابة، ومن أعلمهم بالفرائض. ترجع شهرته إلى اشتـراكه في كتابة القرآن. قُتل أبوه يومَ **بُعاث**، قبل الهـجرة بخمس سنين. وكان زيـد في السادسة من عمـره، وأمّه النوّار، وكانت هي أيضاً من بني النجّار.

لقـد دوّن زيد بعض مـا نزل من الوحي، وتولّى كـتـابة رسـائلِ النبيّ إلى اليهود... عهد إليه عمر، ثمّ عثـمان بولاية المدينة، عندما خرجا للحجّ، وصحب عمر إلى الشـام، وتولّى قَسْم الغنائم بعـد وقعـة **اليـرموك**.. وكان قـاضيـاً في المدينة، ومتولّياً شؤون المال في عهد عثمان. ولمّا مات عثمان رفض أن يبايع عليّا. ولمّا مات زيد صلّى عليه مروان بن الحكم.

زَيْدٌ بن حَارِثَة (ت ٨هـ/ ٦٢٩م) : أبو **أسامة**. رقيق جـاء به إلى مكّة حكيمُ بنُ حزام بن خويلد. وكان قد اشتراه من الشـام وأهداه إلى خديجة عمّتِه. ثمّ أهدتْه خديجة إلى مـحمّد قبل أن يُبـعث رسولاً. وسعى أبوه إلى مكّة ليعـتقه؛ ولكنّ زيداً رفض أن يترك محمّداً. وقصّة ذلك : كـان أبوه، حارثة، يلتمسُه حتى سمع بمكانه في مكّة، فانطلق مع أخـيه كعْب، حتى وقفـا على محمّد حيث وجـداه. فقالا له: "يا

---

(٧) أخرجه البخاري، الفتح ٣/ ٦٩، ط. السلفيّة، من حديث ابن عمر.

(٨) أخرجه البخاري، الفتح ٣/ ٦٣، ط. السلفيّة؛ مسلم ٢/ ١٠١٤، ط. الحلبي.

(٩) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٧، من حديث معاذ بن جبل؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٧٩.

(١٠) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، كما في إتحاف السادة المتّقين للزبيدي ٥/ ٢٣٢.

ابنَ عبد المطّلب! يا ابنَ سيّد قومه! أنتم جيران الله، تَفكّون العاني، وتُطعمون الجائع، وقد جئناك في ابننا، فتُحسن إلينا في فدائه! أجاب: أَدعوه. وأُخيّره. فإن اختاركما فذاك. وإن اختارني، فواللّهِ، ما أنا بالذي أختارُ على مَن اختارني أحداً.

ودُعي زيد. فعَرَفَ أباه وعمَّه. وخيّره محمّد. فاختاره. فعندئذ، أخذ محمّد بيد زيد، وقام به إلى الملأ من قريش، فأشهدَهم أنّ زيداً ابنُه، وارثاً وموروثاً. وكان أوّلَ مَن أسلم بعد علي بن أبي طالب ". ومِن ثمّ أعتقه محمّد وتبنّاه. وعُرف منذ ذلك الوقت بزيد بن محمّد. وكثيراً ما كان يشترك في تجارة أبيه بالتبنّي.

وكان زيد يصغر محمّداً بنحو عشر سنوات. وهو من السابقين إلى الإسلام. وزيد ينحدر من قبيلة كانت تقيم بالقرب من دومة الجندل حيث كثر فيها عدد المعتنقين للنصرانيّة، كما كان أثر اليهوديّة واضحاً. وربّما كان أثر زيد في تطوّر تفكير النبيّ كبيراً.

وقد آخى زيد في المدينة حمزة بن عبد المطّلب. وفي العام الأوّل للهجرة شخص إلى مكّة ليصحب سودة بنت زمعة وبنات الرسول إلى المدينة. وكان زيد مقاتلاً باسلاً، شهد بدراً وأُحداً والخندق، كما شهد الحديبيّة. وكان على رأس عدّة سرايات (القَرَدة؛ والجَموم، والعيس، وغيرها). وكثيراً ما كان يُترك على رأس حامية المدينة عندما كان محمّد يخرج في بعض غزواته.

وفي ما يتّصل بزواجه من زينب بنت جحش وطلاقه منها، أنظر مادّة **زَيْنَب بنت جحش**. وقد نزلت عقب هذا الطلاق الآية التي ألغتِ التبنّي (٣٣/ ٤٠). وتزوّج زيد، بعد طلاقه من زينب، بأمّ كلثوم بنت عقبة، فولدت له زيداً ورُقَيّة. ثمّ تزوّج من درّة بنت أبي لهب. وطلّق الإثنتَين. ثمّ عاد فتزوّج هنداً بنت العوام، وعَتيقةَ الرسول الجارية أمّ أيمن، فولدت له **أسامة**.

وتوفّي زيد في العام الثامن للهجرة (٦٢٩م)، في الخامسة والخمسين من عمره تقريباً، وهو على رأس غزوة **مؤتة** غير الموفّقة. وكان حاملَ لوائها. وقد حزن عليه محمّد، ودبّر أمر الانتقام له. ولزيد مكانة في الحديث. ويرجع ذلك إلى سببين:

أوّلهما محبّة النبيّ له ممّا دعا الأحاديث الصحاح إلى القول بأنّه حبيب رسول اللّه، وأنّه آثره على عليّ بن أبي طالب. والثاني أنّه ذُكر في القرآن.

زَيْدٌ بن عَمْرو بن نَفيل (ت ٥٩٥م) : مكّي من الحنفاء. توفّي قبل البعثة عندما كان محمّد في نحو ٣٥ من عمره. وقد نبذ زيدٌ الوثنيّة. عارض وأْدَ البنات. وأبى أن يأكل لحم الحيوانات التي تُضحّى للأصنام، أو التي تُذبح من غير ذكر اسم اللّه. أي: كان يهوديًا متنصرًا، أي: «نصرانيًا»؛ هو ابن عمّ عمر بن الخطّاب. كان له ولد اسمه سعيد سعى في البحث عن الدين الحقّ. ويعدّ زيد في الحديث مؤمناً صادقاً، وإن كان قد توفّي قبل الإسلام. وأجاز النبيّ الصلاة عليه.وقال: إنّه من أهل الجنّة. ويُذكر مع ورقة بن نوفل إبن عمّ السيّدة خديجة، وعبيد اللّه بن جحش ابن عمّة محمّد، على أنّهم من الحنفاء الذين رفضوا عبادة الأصنام.

زَيْدُ الخَيل (ت ٨هـ/ ٦٣٠م) : شاعر من طيء. اشتهر بكثرة خيله. أسلم وسمّاه النبيّ زيد الخير.

زَيْدٌ بن عَلِيّ زَين العَابِدِين (ابن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب) (ت ١٢٢هـ/ ٧٤٠م) : إليه يُنسب **الزَّيديّة**. وهم الذين يقدّسونه شهيداً سياسًا ودينيًا. خالف زيد سيرة أبيه علي زين العابدين وأخيه محمّد الباقر في التقيّة، وخرج على الأمويّين في الجهاد لاتّخاذهم الخلافة وراثة حتّى قتل شهيداً، وأُخفيت جثّته. ولمّا اكتُشفتْ عُرضت في الكوفة، ورأسه في دمشق ومكّة والمدينة.

الزَّيْدِيَّة : ١ . طائفة من بين طوائف الشيعة. يفترقون عن الشيعة الإثني عشريّة، وعن الشيعة السبعيّة، في قولهم بإمامة **زيد بن علي** زين العابدين.

٢ . مذهب الزيديّة، الذي وضعه إمامُهم الحادي عشر، القاسمُ الرسّي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المتوفيّ سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م، وهو المذهب الذي ينحو في ما يتعلّق بذات اللّه منحى الاعتزال؛ وفي ما يتعلّق بالمسائل الأخلاقيّة مخالف للمرجئة؛ وفي ما يتعلّق بالسلوك يرفض التصوّف، ولذلك فالطرق الصوفيّة ممنوعة فيه حاليًا.

٣ . يقول الزيديّة، مثل الشيعة عامّة، في الأذان : «حيّ على خير العمل»، ويكبّرون خمس مرّات في صلاة الجنازة، ويرفضون المسح على الخفّين، والصلاةَ خلف الفاجر، ويحرّمون أكل ذبائح غير المسلمين، كما يحرّمون الزواج من غيرهم. ولا يجيزون زواج المتعة.

٤ . ويتحقّق في الإمام شرطان هما:

١ – أن يكون من أهل البيت، دون تمييز بين أبناء الحسن وأبناء الحسين. معنى هذا أنّه لا يخلفُ إمامٌ إماماً بالوراثة.

٢ – وأن يكون قادراً على الخروج بنفسه للقتال، وعالماً بما يقتضيه منصب الإمامة من العلم؛ بحيث لا يلي الإمامة صبيٌّ ولا مهديٌّ غائب.

٥ . ولذلك لم تقم سلسلة متّصلة من الأئمّة؛ بل يسلّم الزيديّة بأنّه يمكن أن يكون زمانٌ بلا إمام، أو بإمكان وجود أئمّة كثيرين في زمان واحد. ومعنى هذا، أنّه كثيراً ما يظهر إمام معارضٌ لآخر. ويجوز أيضاً إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فكان عليّ مثلاً أفضل الصحابة، إلاّ أنّ الخلافة فوّضت إلى أبي بكر لمصلحةٍ رأوها.

٦ . وهذا يعني أيضاً أنّ الزيديّة تنكر عصمة الأئمّة عن الذنوب، سوى عن أربعة من آل البيت، هم: عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين. لهذا، فعلم الأئمّة مكتسب، وهو درجات يرتقي فيه الإنسان حتّى يصل إلى درجة الاجتهاد التي تؤهّله لأن يكون إماماً.

٧ . ويرفضون أيضاً أن يكون الإمام مستوراً، بل لا بدّ من أن يعلن عن نفسه ويدعو لها. فالتقيّة التي يأخذ بها الشيعة تؤدّي إلى عدم معرفة الإمام أو معرفة رأيه في أصول الدين. ويلاحظ أيضاً أنّ الزيديّة لم يكونوا متطرّفين. ولقد كان اعتدالهم في آرائهم سبباً في بقاء مذهبهم في بلاد اليمن حتّى اليوم.

٨ . وللزيديّة كتابان هما أساس التعليم الرسمي: كتاب «الأزهار في فقه الأئمّة الأطهار»، تأليف أحمد بن يحيى المرتضى؛ وكتاب «الروض النضير».

زَين العابدين : (أطلب مادّة : **علي بن الحسين**).

زَيْنَب بنت جَحْش (ت ٢٠هـ/ ٦٤١م) : **١** . إبنة أُمَيمـة بنت عبد المطّلب، أي إبنة عمّـة النبيّ، وإحدى زوجاته. إسـمها برّة، وكـنيتهـا أمّ الحكم. كانت من أوائل المهاجرين إلى المدينة. تزوّجها **زَيْد بن حارثة**، الذي ابتاعه حكيم بن حزام، إبنُ أخي السيّدة خـديجة. وعندما جاءت خديجـة تزور ابنَ أخيها، خيّـرَها في أن تختارَ مَن شاءتْ من الغلمان، فاختارت زَيداً. ورآه محمّد فاستوهبه منها. فوهبتْه له.

٢ . ولمّا بلغ زيدٌ سنَّ الزواج، اختار له النبيُّ بنتَ عـمّته زينب بنتَ جحش... وكرهتْ زينب، وكره أخوها عبـد اللّه أن تُزَفَّ الشريفةُ إلى مولى من الموالي. وجاءا النبيَّ يسألانه ألاّ يُلحقَ بهـما مثلَ هذا العار. فأنزل النبيُّ فـيهما وحيـاً من السماء: «وما كـانَ لِمُؤمنٍ ولا مُؤمنة (أي: عبـد اللّه بن جحش وأختـه زينب)، إذا قَضى اللّهُ ورسـولُه أمراً أنْ يكونَ لـهم الخِيـرةُ من أمـرهم (أي الاختـيـار). ومَن يعصَ اللّهَ ورسولَه فقـد ضَلَّ ضَلالاً مبينا» (٣٣/ ٣٦). فزوّجـها النبيُّ لزيد. وتزوّجتْ زينبٌ زيدًا، طاعةً لأمرِ اللّهِ ورسولِه. و "كانت امرأة جميلة "[(١)].

٣ . أمّا كـيف وقعتْ زينب في قلب رسـول اللّه فيـخبرنا عن ذلـك الطبري فيقول: "إنّ رسـولَ اللّه جاء يطلب زيدًا في بيتِه؛ وعلى باب زينب سـتـرٌ من شعر. فرفعتِ الريحُ السترَ، فانكشفَ عنها، وهي في حجـرتها حاسِرَةً. فوقعَ إعجابُها في قلبِ رسولِ اللّه. ودَعَـتْهُ إلى الدخول "[(٢)]. ويخبرنا ابن سعـد عن ذلك أيضاً: "جاء رسولُ اللّه بيتَ زيد بن حارثة يطلبُه. فلم يجدْه. وتقوم إليه زينب زوجتُه فضلاً[(٣)]، فأعرض رسولُ اللّه عنها. فـقالت: ليس هو هاهنا، يا رسولَ اللّه. فادْخُلْ، بأبي أنتَ وأمّي. فـأبى رسولُ اللّـه أن يَدخلَ. وإنّما عـجّلتْ زينبٌ أن تلبسَ. فـوثبتْ عـجلى. فأعجبتْ رسولَ اللّه. فولّى. وهو يُهمهمُ بشيء لا يكاد يُفهم منه.

---

(١) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٠١.

(٢) تاريخ الطبري، ٣/ ٤٢.

(٣) أي تفضّلا منها، لا يناسبُ مقام النبيّ بما عرضتْ عليه..

٤ . "فجاء زيدٌ إلى منزله. فأخبـرتْه امرأتُه أنّ رسولَ اللّه أتى منزلَه. فقال زيد: ألا قلتِ له أنْ يدخل؟ قالت: قد عـرضتُ ذلك عليه. فأبى. قال: فسمـعْتِ شيئاً؟ قالتْ: سمعتُـه حين ولّى تكلّمَ بكلامٍ لا أفهمُه. وسمعتُه يقـول: سبحانَ اللّه العظيم. سبحانَ مصرّف القلوب.

٥ . "فجاء زيد حتى أتى رسولَ اللّه. فـقال: يا رسولَ اللّه! بَلَغَني أنّك جِئتَ منزلي! فهلاّ دخلتَ؟ بأبي أنتَ وأمّي، يا رسولَ اللّه! لعلّ زينب أعْجَـبَتْكَ. فأُفارقُها! فيقول رسولُ اللّه: أمْسِكْ عليكَ زوجَكَ. فما استطاع زيدٌ إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم. ففارقها زيد. واعتزلها. وحلّتْ. يعني: انقضتْ عدّتُها.

٦ . "قال: فبينا رسولُ اللّه جالسٌ يتحدّث مع عائشة، أخذتْه غَشيَةٌ. فسُرّي عنه وهو يبـتسم. ويقـول: مَن يذهبُ إلى زينب يبـشّرُها أنّ اللّهَ قـد زَوَّجَنيهَـا مِنَ السَّمَـاء. وتلا: «وَإِذْ تقولُ للّذي أنعمَ اللّهُ عليـهِ (بالإسلام، أي زيد)، وأنعـمتَ عليه (بالإعتاق، أي زيداً نفسه): أَمْسِكْ عَليكَ زوجَكَ، واتّقِ اللّهَ (في أمر طلاقها). وتُخفي في نفسِكَ ما اللّهُ مُبديهِ (مِن حبٍّ يُخفيـه محمّد لزينب؛ فيما اللّه هو الذي وضـعَ في قلبه هذ الحبّ. فلِمَ يخـشى محمدٌ ذلك؟). وتَخشى النـاسَ (أن يقولوا: تزوّجَ زوجةَ ابنه). واللّهُ أحقُّ أن تخشاه.

«فلمّا قَضَى زيدٌ منهـا وَطَراً (حاجةً)، زَوَّجْنَاكَهَا (فدخل عليهـا النبيّ بغير إذْن). لكي لا يكونَ على المؤمنينَ حَـرَجٌ في أزْواجِ أدعيـائهم إذا قَضَـوا منهنَّ وَطَرًا. وكان أمرُ اللّهِ مَفعولاً. ما كان على النبيِّ من حَرَجٍ فيما فَرَضَ اللّهُ لهُ (أحلّ له)، سُنَّةَ اللّهِ في الذين خَلَوا مِن قَبْلُ (أي من النبيّين أن لا حـرج عليهم في ذلك، توسعةً لهم في النكاح). وكان أمرُ اللّهِ قَدَرًا مَقْدورًا (أي فعله مـقضياً. "يعني: يتزوّج ما يشاء من النساء. هذه فريضـة. وكان مَن كان من الأنبياء هذه سنّتهم. قـد كان لسليمان ألف امرأة.. فهذا أكثر ممّا كان لمحمّد من النـساء). ما كان محمّدٌ أبا أحَدٍ من رِجالِكم (فليس أبا زيد، فلا يُحـرَّمُ عليه التـزوّجُ بزوجته زينب)، ولكنْ رسـولُ اللّهِ وخَاتَمُ النّبيـيّن (أي لا يكون له ابنٌ يكون بعدَه نبـيّاً). وكان اللّهُ بكلِّ شيءٍ عليـماً" (٣٣/ ٣٧-٣٨ و٤٠).

٧ . ويعلّقُ ابن سعد قائلاً: "أبيح له الزواجُ أوّلاً من غير حدّ. ثمّ نهى عنه. أمّا التسرّي فكان مباحاً له كما يشاء"، كما جاء في القرآن (٣٣/ ٥٠). ثمّ "ولمّا تزوّجَها رسولُ اللّه، أولمَ لها. فما أولمَ على امرأةٍ من نسائه ما أولمَ عليها"[٤].

٨ . أمّا ثابت بن أنَس بن مالك، خادم رسول اللّه، فيخبرنا عن زواج النبيّ بزينب كما يلي: "لمّا انقضت عدّةُ زينب، قال رسولُ اللّه لزيد بن حارثة: ما أجدُ أحداً آمَنَ عندي، أو أوثقَ في نفسي منك. ائتِ إلى زينب فاخطبْها عليَّ. فأتاها زيد. ولمّا رآها عَظُمَتْ عليه. قال زيد: فلمْ أستطعْ أنْ أنظرَ إليها. فولّيتُها ظَهْري. ونكصتُ على عقبي. وقلت: يا زينب! أبشري. إنّ رسولَ اللّهِ يَذكُرُكِ. قالت: ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى يأمرَني ربّي. فقامتْ إلى مسجدِها. ونزلَ القرآن: "فلمّا قَضَى زَيْدٌ منها وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا". قال: فجاء رسولُ اللّهِ فدَخَلَ عليها بغير إذْن"[٥].

٩ . وعن أنَس أيضاً، قال: "لمّا تزوّجَ رسولُ اللّه زينب، جاءَ أنَس بن مالك بطعام له ولزوجته إكراماً لعرسهِ. وأمرَه النبيُّ أن يذهبَ إلى أصحابه، والذين في المساجد، ومَن على الطرقات، ليدعوهم إلى الطعام. فاجتمع الجميع. وقال للناس: كُلُوا باسمِ اللّه. قال أنَس: فجعلتُ أنظرُ إلى التمر يربُو، وإلى السمْن كأنّه عيونٌ تنبع. حتى أكلَ كلُّ مَن في البيت. وبقيَ منهُ الكثير. وبلغ عددُ الآكلين أحَداً وسبعينَ رجلاً. وأنا أشُكُّ في اثنين وسبعين"[٦].

١٠ . بيد أنّ المدعوّين استمرّوا في الأكل والشرب والمسامرة، ونبيُّ اللّه منزعج منهم، وهم يُمعنون النظر في وجه زينب. فنزلتْ، عندئذ، آيةُ الحجاب. عن ذلك يخبرنا أنَس نفسُه، وهو شاهد عِيان. قال: "أنا أعلمُ الناسِ بآيةِ الحجاب: لمّا أُهْدِيَتْ زينب إلى رسولِ اللّه، صنع طعاماً. ودعا القوم. فجاءوا. ودخلوا. وزينب مع رسول اللّه في البيت. فجعلوا يتحدّثون. فجعل رسولُ اللّه يَخْرُجُ. ثم يَرجعُ. ثمّ

---

(٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٠٣.

(٥) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٠٤.

(٦) ألمرجع نفسه، ٨/ ١٠٤–١٠٥.

يَخرجُ. ثمّ يعـودُ... وهم قعود. ثمّ يَخرُجُ. ويعـودُ. ويبدو عليه انزعـاجُه من الناسِ الذين تواقَحُوا على النّظَرِ في وجْهِ زينب. فنزل الحجاب (رَ: ٥٣/٣٣). ويكمّل أنس ويقول: "فقام القوم. وضُرِبَ الحجاب "(٧).

١١ . وتعليـقاً على زواج رسـول اللّه من زينب، تذهب بنتُ الشاطـئ لتردّ على "أصحاب الحروب الصليبيّة والتبشير والاستشراق، الذين حاولوا الغمز على النبيّ والكيد للإسلام"، فـتقول: "إنّ آيةَ العَظَمة في شخصيّـة نبيّنا أنّه بشَرٌ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق.. أفَيُنكَرُ على بشَرٍ رسـولٍ أن يرى مثلَ زينب فيُعجَب بها؟ ومـاذا يُطلَبُ من مثلِه -في سـموِّ خُلقـه وعفّـةِ ضميـرِه- أكثر مـن أن يشيحَ بوجهه عمّن أعجبـتْه، وهو يُسبّحُ باسم اللّهِ العظيم؟.. وأيُّ ضَبْطٍ للنفسِ يُنتظرُ من بشَرٍ رسولٍ أكثر من أن يَجيئه زيدٌ فيـستأذنه من جديد في طلاقها، فيأبى عليه إلاّ أنْ يُمسكَها ويتّقي اللّه؟ إنّ القصّةَ لترتفعُ بسيّدنا محمّد إلى أقصى ما تُطيقُه بشريّةٌ من عفّـةٍ وضبْطٍ للنفسِ واعـتقالٍ للـهوى. وإنّها لجـديرةٌ بأنْ تُعَدَّ مـفخرةً لمحـمّد والإسلام "(٨).

١٢ . أمّا عـائشـة، أمُّ المؤمنين، فقـد كانت قلقـة جدّاً من دخـول زينب بنت جحش في حـريم النبيّ. وبادرت تقول: "فـأخذَني مـا قرُب وما بَعُـد لِمَا يبلغُنا من جَمَالها.. وهي تفـخرُ علينا بهذا، وبأنّ اللّهَ زوَّجَها من السمـاء. وكانت زينب تفخر وتقول لرسول اللّه: «يا رسولَ اللّه! إنّي، واللّهِ، ما أنا كأحَدٍ من نسائكَ. ليستِ امرأةٌ من نسـائكَ إلاّ زوّجَهـا أبوها أو أخوها أو أهلُهـا غيـري. زَوَّجَنِيْكَ اللّهُ من السـماء. وكانت لرسـول اللّه معجـبة. وكان يستكـثرُ منها (يتردّد إليـها ويلازمهـا دائماً). وكانت امرأةً صالحةً صوّامةً قوّامةً صنعاً. تتصدّقُ بذلك كلّهِ على المساكين»(٩).

١٣ . و "لمّا توفّـيتْ زينب، كانت أوّلَ نسـاء النبيّ لحوقـاً به. لقد مـاتت في

---

(٧) طبقات ابن سـعد، ٨/١٠٥-١٠٦، ١٧٣. ويعطي أنَس مناسبة أخرى غـير هذه التي ذكرنا، لآية الحجاب (رَ: طبقات ابن سعد، ٨/١٠٦).

(٨) بنت الشاطئ، نساء النبي، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٩) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٣٦.

زمن عمر بن الخطّاب. فقالوا لعمر: مَن يُنزلهـا في قبرها؟ قال: مَن كان يدخلُ عليها في حياتها (؟). وصلّى عليها عمر. وكبّر أربعًا "[١٠].

زَيْنَب بنت خُزَيْمَة، بنت الحارث الهلاليّة (ت ٤هـ/ ٦٢٥م) : إحدى زوجات النبيّ. وقد كنّيت بأمّ المساكين منذ الجاهليّة لكثرة اهتمامها بالمساكين وإطعامهم. كانت تحت الطُفَيل بن الحارث بن عبد المطّلب، أي ابن عمّ النبيّ. طلّقها. فخلَفَه عليها أخوه عُبَيدة الذي استُشهد في بدْر. ثمّ خلفه عبد اللّه بن جحش، الذي قُتل عنها يوم أُحد. فخلَفَه عليها النبيّ. وهي أخت ميمونة، زوج النبيّ، لأمِّها. تزوّجها رسولُ اللّه في شهر رمضان، على رأس أحد وثلاثين شهراً من الهجرة، بعد حفصة بشهرِ واحد. مكثت عنده ثلاثة أشهر، ثم توفّيت. وكانت وفاتُها في حياته. صلّى عليها، ودفنها بالبقيع. وكان عمرها يوم وفاتها ثلاثين سنة.

زَيْنَب بنت عَلِيّ (ت ٦٢هـ/ ٦٨٢م) : والدها علي بن أبي طالب؛ وأمّها سيّدة النساء فاطمة الزهراء. عندما توفّي النبيّ كانت في السادسة من عمرها. وبعد ثلاثة أشهر فقدتْ أمّها الزهراء، فكفلها أبوها علي. ولمّا شبّت زفّها لابن أخيه عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب. وشهدت استشهادَ والدها علي سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م، ثمّ استشهاد أخيها الحسين في كربلاء. وامتدّ عمرُها حتّى كانت وفاتها بعد ١٩ شهراً من يوم كربلاء. واختلف في مكان وفاتها بين مصر والمدينة. واللّه أعلم.

زَيْنَب بنت مُحَمَّد (ت ٨هـ/ ٦٣٠م): إحدى بنات النبيّ. يُقال إنّها أكبرهنّ. تزوّجت من ابن خالتها « أبي العاص بن الربيع» قبل البعثة. وكانت في الطائف عندما هاجر النبيّ، فلمْ تتبعه إلى المدينة. وأُسِر زوجُها في غزوة بدر. وكان لا يزال على الوثنيّة. وأرسلت زينب عقداً كان لخديجة تفتدي به زوجَها، فأطلق محمّد سراحَه على شريطة أن تشخص زينب إلى المدينة. وقد أساء الجبّار بن الأسود معاملتها وهي في طريقها إلى المدينة. وسقطت سقطة كانت السبب في إجهاضها. وأُسر زوجُها مرّة أخرى في العام السادس للهجرة في سريّة العيس. وأُطلق

---

(١٠) طبقات ابن سعد، ٨/ ١١٠.

سراحه بفضل وساطة زوجته. ودخل في الإسلام في العام السابع للهجرة. وعقد له على زوجته بعقد جديد. توفيّت زينب بالمدينة. وقد أعقبت طفلَين: علي وقد توفّي وهو طفل، وأمامة التي تزوّجتْ من علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة.

س

السَّائِبَة : من سيّب الشيء: تركه. والسائبة: العبد يعتق ولا ولاء له. وكذلك: البعير يُسيّب ولا يُركب ولا يُحمل عليه.. والناقة، أو الدابّة، سائبة، أي: رفع يده عنها وتركها.. وقد أبطل القرآن ما كان يفعله أهل الجاهليّة من تسييب دوابهم وتحريم الانتفاع بها، وعاب عليهم ذلك، في قوله: «ما جعل اللّه مِن بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ. ولكن الذين كفروا يفترون على اللّه الكذبَ وأكثرهم لا يعقلون» (٥/١٠٣).

السَّائِمَة : من سامتِ الماشيةُ، أي: خرجت إلى المرعى. سمّيت بذلك لأنّها ترعى العشب والكلأ المباح. ويقال: أَسَمْتُها، أي: رعيتُها، ومنه قول القرآن: «ومنه شَجَرٌ فيهِ تُسِيمُون» (١٦/ ١٠)، أي: ترعون فيه أنعامكم. وفي اصطلاح الفقهاء: هي التي تكتفي بالرعي المباح في أكثر العام.. ويشترط عادةً السومُ في وجوب زكاة الماشية.. وأمّا المعلوفة فلا زكاة فيها..

السَّابِق : هو الحَدّ الرابع من **حدود** الدعوة الدرزيّة. هو «الجناح الأيمن، الشيخ المصطفى، نظام المستجيبين، وعزّ الموحّدين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الخير سلامه بن عبد الوهّاب السامري الدّاعي»[1]. ليس في مجموعة «الحكمة» تقليد خاصّ به، كما لسائر الحدود؛ لكنّنا نعرف عنه شيئاً من «تقليد المقتنى». لم يُذكر كثيرًا لأنّ المهمة الموكولة إليه كانت سرّيّة: «القوّة للسابق مستورة مكتومة»[2]. ومع هذا قد يكون حمزة أرسل إليه تقليداً خاصّاً ثمّ ضاع، بدليل ما أشار إليه في «تقليد المقتنى»، عندما قال للمقتنى: «ولا يكون أخْذُك على المستجيبين

---

(١) ذكر معرفة الإمام ٣٢/ ٢٤١.

(٢) تقليد المقتنى ٢٢/ ٢١٥.

خارجاً عمّا في تقليد أخيك المصطفى»[٣]. والمصطفى هو السامري نفسه، الذي له، بحسب العقيدة الدرزيّة، «اثنا عشر حجّة لا غير»[٤]. وليس له أيّة رسالة في مجموعة «الحكمة».

سَاخَاو (إدوارد) Sachau (ت ١٩٣٠) : مُستشرق ألمانيّ. أسّس المدرسة الشرقيّة في برلين. نشر «كتاب الطبقات الكبير» لابن سعد، و«الآثار الباقية» للبيروني، ولائحة المخطوطات السريانيّة في مكتبة برلين.

السَّاسَانِيُّون : سلالة فارسيّة قامت على أنقاض الفرثيّين، حكمت خراسان وما وراء النهر (٢٦١-٣٩٠هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م). وطّد سيادة الدولة إسماعيل بن أحمد (٨٩٢-٩٠٧)، وقضى على الدولة الصفّاريّة. امتدّت سيطرتهم حتّى حدود الهند وتركستان. ازدهرت حضارتهم في بُخارى وسَمرقند إلى جانب بغداد. فلمع فيها أمثال الفردوسي وابن سينا. استخدموا المماليك والأتراك حتّى قويت شوكة هؤلاء، وأصبح الحكم الفعليّ بيدهم إلى أن استقلّ بالحكم ألب تكين الغزنويّ وقضى على السامانيّين. دامت حتّى الفتح العربي (٢٢٤-٦٥١م). كانت عاصمتها المدائن. أسّسها أردشير الأوّل، الذي استولى على طيسفون، وقضى على أرطبان الخامس، آخر ملوك الفرثيّين.. من ملوكها شابور الأوّل والثاني، وبهرام الخامس، وكسرى الأوّل والثاني. غزت جيوشُها أرمينيا وسوريا ومصر. حاربها الروم البيزنطيّون. قضى الفتح العربيّ على آخر ملوكها يَزدَجرد الثالث.

السَّاعِد : هو ما بين المرفق والكفّ. سمّي ساعداً لأنّه يساعد الكفَّ في بطشها وعملها. والجمع سواعد. وقيل: الساعد والذراع واحد. وهو أيضاً: العضد.. ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب غسل الساعد شاملاً المرفق عند الوضوء، لقوله: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق» (٥/٦). واختلفوا في حكم مسح الساعدَين في التيمّم.. وذهب جمهور الفقهاء إلى

---

(٣) المرجع نفسه، ص ٢١٧.

(٤) الموسومة بكشف الحقائق ١٣/ ١٣٧.

أنّ الساعد داخل في عورة المرأة الحرّة.. ويُباح النظر إلى ساعد المرأة الحرّة الأجنبيّة إذا آجرت نفسَها للخدمة، كما يجوز النظر إلى مرفقها..

السّالِميّة : مدرسة صوفيّة أسّسها **سهل التستري** في البصرة، ونشرها تلميذه محمّد بن سالِم فنُسبت إليه. تذهب إلى أنّ في اللّه مشيئة غير مخلوقة وإرادة تعمل في الخلائق عملاً مُنزَّهاً عن الخطأ.

سَامَرّاء : مدينة في العراق على ضفّة دجلة اليمنى شماليّ بغداد، مركز قضاء. بناها المعتصم العبّاسي عام ٨٣٦م، واتّخذها عاصمة له ومسكناً لجنوده الأتراك، وأسماها «سُرَّ مَن رَأى». بلغت أوجَ ازدهارها في عهد المتوكّل. بدأت بالانحطاط بعد أن أعاد المُعتمِد العاصمة إلى بغداد عام ٨٩٢م. فيها سَدٌّ لتخزين فيضان دجلة. من آثارها قصر المتوكّل والمنارة الملويّة وضريحَا الإمامَين الشيعيّين علي الهادي وولده الحسن العسكريّ.

السّامِريّ : ورد اسمه في القرآن في سورة طه ٣ مرّات: (٢٠/ ٨٥ و٨٧ و٩٥). إنّه أضلَّ بني إسرائيل، فأخرج لهم عجلاً ذهبيًا. إلاّ أنّ هذه المعصية وردت أوّلاً في سورة الأعراف (٧/١٤٦-١٤٨) التي تروي معصية بني إسرائيل وهرون، كما وردت في سفر الخروج (فصل ٣٢)، ولكن مع الإشارة إلى أنّ العجل الذي صُنع من المعدن كان له خُوار.

أمّا الرواية الثانية، فإنّها تجعل السامري هو الرجل الذي أضلّ بني إسرائيل، فأمرهم أن يقذفوا بحليِّهم في النار. فانصاعوا لأمره، فأخرج لهم عجلاً له خُوار، عبدَه الناس بالرّغم من أنّ هارون نهاهم عن عبادته. وسأل موسى السامريَّ ما خَطْبه؟ فبرّر السامريُّ فعلته بقوله: «بَصُرْتُ بما لَم يَبصُروا به فَقَبَضْتُ قَبضةً مِن أثَرِ (أي تراب حافر فرس) الرسول (أي جبريل)، فنبذتُها (أي ألقيتُها في صورة العجل المصاغ)؛ ومن ثمّ قال له موسى: «فاذهَبْ (من بيننا)، فإنّ لكَ في الحياةِ (أي مدّة حياتك) أن تَقولَ (لمن رأيتَه) لا مِساسَ (أي لا تقربني. فكان يهيم في البرّيّة)» (٢٠/ ٧٩-٩٨).

ويُعتـقَد أنّ قصّة الســامري هذه تعود إلى مِـدْرَش يهودي كان يستــهدف تبرئة هارون من المعصــية الكبرى، وهي صنْع العجل الذهبي، وإلـقاءها على عاتق السامريّ.

سَبَأ : مملكة قديمة ازدهرت في جنوب غـربيّ الجزيرة العربيّــة منذ القرن الثامن ق.م. مدّت سيطرتَها على الحبشــة. ورد ذكرها كثيراً في العهد القديم، وفي المؤلّفات اليـونانيّة والرومانــيّة والعربيّــة، وخاصّة في نقـوش جنوب بلاد العرب. يطلق العـهد القـديم (تك ١٠/٧؛ ١ أخ ١/٩) الإسم شـبا على جنوب بلاد العـرب وأهلها.. ويتـبيّن منه أنّ بني سـبأ كانوا يزوّدون الشــام ومصر بالطيب وخـاصّة باللبان، كمـا كانوا يصدّرون إليهمـا الذهب والأحجار الكريمة[1].. وبنو سبأ تجّار أثرياء[2]. وهم عرب رحّل من أهل الصحــراء.. من عواصمها مأرب. عـرفت ملكتها **بَلْقِيس** بملكة سبأ التي زارت سليمان، بحسب العهد القديم[3]، وبحسب القرآن[4].

السَّبّ : ١ . لغةً واصطلاحاً: الشـتم، وهو مشافهــة الغير بما يكره، وإنْ لمْ يكنْ فيهِ حَدٌّ، كـ يا أحمق، ويا ظالم. وهو كلّ كلام قبيح. وكلّ كلام فيه عيب، ولعن. واللّعن أبلغ في القبح من السبّ المطلق.. ويُطلق السبّ، ويراد به القذْف، وهو الرَّمي بالزنى في معرض التعيير، كما يُطلق القذف ويراد به السبّ.

٢ . إن سبَّ اللّهَ مسلمٌ فإنّه يكون كـافراً حلالَ الدم[1]؛ وإذا سبَّ النبيَّ فإنّه يكون مرتدًا.. أمّا الذّمّيّ فإذا سبّ اللّه أو النبيّ فمختلف فيه بين وجوب قتله أو عدم قتله. أمّا حكم سبِّ الملائكة فلا يختلف عن حكم سبّ الأنبياء. ورد أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ فقـال: إنّي سمـعتُ أبي يقول فـيكَ قولاً قبـيحـاً، فقتلتُـه. فلم يشقّ ذلك على

---

(١) رَ : مزمور ٧٢/١٥؛ حزقيال ٢٧/٢٢؛ أشعيا ٦٠/٦؛ أرميا ٦/٢٠.

(٢) رَ : حز ٣٨/١٣؛ مزمور ٧٢:١٠؛ أيوب ٦/١٩ وهي تشير إلى قوافل بني سبأ؛ ١/١٥.

(٣) رَ : ١ ملوك ١٠/١ و٤ و١٠ و١٣؛ ٢ أخبار ٩/١ وما بعدها و٩ و١٢.

(٤) رَ: ٢٧/٢٢–٤٤ حيث قصّة سليمان والهدهد وملكة سبأ بلقيس دون أن يذكر اسمها.

(١) تبصرة ابن فرحون ٢/٢٨٤؛ ابن عابدين على الدر ٤/٢٣٨؛ مغني ابن قدامة ٨/١٥٠.

النبي[٢]. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ سبَّ عائشة ممّا برّأها اللّه منه كفر، لأنّ السابّ بذلك كذّب اللّهَ في أنّها مُحصنة. وقذْفُ سائر أزواج النبيّ كقذْفِ عائشة..

٣ . اتّفق الفقهاء على أنّ مَن سبَّ ملّةَ الإسلام، أو دينَ المسلمين، يكون كافراً.. ولا خلاف بين العلماء في أنّه يحرّم سبّ الصحابة لقول النبيّ: «لا تسبّوا أصحابي. فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[٣]. وسابُّهم فاسق.

٤ . يُحرّم سبّ آلهة المشركين لقوله تعالى: «ولا تسبُّوا الذينَ يَدعُون مِن دونِ اللّه (أي الأصنام) فَيَسبُّوا اللّهَ عَدْوًا (إعتداءً وظلماً) بغير علم» (٦/١٠٨). قال ابن العربي: معنى ذلك: لا تسبّوا آلهة الكفّار فيسبّوا آلهتكم.

السُّبْحَة : تستخدمها الآن جميع طبقات المسلمين تقريباً، باستثناء الوهّابيّين الذين يستنكرونها باعتبارها بدعة. كان أوّل من استعملها الصوفيّون. تتكوّن السُّبحة من ثلاث مجموعات من الحبّات مصنوعة من الخشب أو العظم أو الكهرمان.. تفصل بينها حبّتان مستعرضتان أكبر حجماً تُعرف الواحدة منهما باسم الإمام؛ بينما تقوم حبّة أكبر حجماً بكثير بدور المقبض وتدعى اليد.. والمجموع البالغ مائة حبّة يتمشّى مع العدد المكوّن من اللّه وأسمائه الحسنى التسعة وتسعين. وتُستخدم السبحة لعدّ هذه الأسماء. وتُستخدم أيضاً لحساب التسابيح والاذّكار والعبادات التي ينطق بها في ختام الصلاة.

السَّبْعيَّة : (رَاجع مادّة : **الإسماعيليّة**).

السُّبْكِيّ (تاج الدين) (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) : فقيه. مؤرّخ. انتهى إليه قضاء القضاة في الشام. توفّي بدمشق ودفن بسفح قاسيون. اشتهر بكتابه «طبقات الفقهاء الكبرى» في ستّة أجزاء؛ «معيد النِّعَم ومبيد النِّقَم»؛ «جمع الجوامع»؛ «منع الموانع»؛ وغيرها في الفقه والأصول.

---

(٢) أورده الزرقاني في شرح المواهب ٥/ ٣٢١، ط. المطبعة الأزهريّة.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٧/ ٢١؛ مسلم ٤/ ١٩٦٨، من حديث أبي سعيد الخدري.

السَّبْي : ١ . لغةً: الأسر. السَّبِيّ والمسْبِيّ، للذَّكَر؛ وسبايا، للنسوة.. أمّا اصطلاحاً، فالفقهاء في الغالب يخصّون السبي بالنساء والأطفال، والأسر بالرجال.. والسبي مشروع لقوله تعالى: «فإذا لَقيتُمُ الذينَ كَفروا فَضَرْبَ الرِّقابِ حتّى إذا أثْخَنْتُمُوهُم (أي أكثرتم فيهم القتل) فَشُدُّوا الوَثاقَ (أي أسرَهم)» (٤٧ / ٤)، وقد سبى النبيُّ، وقسَم السبيَ بين المجاهدين، كسبي بني المصطلق وهوازن[١]. وسبى الصحابةُ مِن بعده، كما فعل أبو بكر حين استرقّ نساءَ بني حنيفة وذراريهم، وسبى عليّ بني ناجية.

٢ . شُرِّع القتال في سبيل الله، لإعلاء دين الحقّ وكسر شوكة الأعداء.. وإذا أخذ المسلمون الغنائم فإنّ مَن يوجد فيها من النساء والأطفال يُعتبر سبياً.. والأصل في أسرى الغنائم أنّ الإمام مخيّر فيها بما هو أصلح للمسلمين مِن قتْلٍ، أو مَنٍّ، أو فداءٍ، أو استرقاق. إلاّ أنّ السبي يختلف في بعض أحكامه عن الأسرى من الرجال المقاتلين.. ولا يُفادى بنساء وصبيان إلاّ لضرورة، لأنّ الصبيان يَبلغون فيُقاتلون، والنساءَ يلدْنَ فيكثُر نسلُ الكفّار.. إذا سُبي النساء والصبيان صاروا رقيقاً بنفس السبي.. والسبي، بعد القسمة، يكون ملكاً لمن وقع في سهمه، يجوز له التصرّف فيه بالبيع وغيره. أمّا قبل القسمة فالحقّ في ذلك للإمام.

٣ . إذا سُبي زوجان معاً، فينفسخ نكاحهما، عند المالكيّة والشافعيّة.. وعند الحنفيّة والحنابلة لا ينفسخ نكاحهما بالسبي معاً، لعدم اختلاف الدارَين... وإذا سُبيت المرأة وحدَها فينفسخ النكاح بلا خلاف عند الفقهاء... وإذا سُبي الرجل وحده فينفسخ النكاح لاختلاف الدار عند الحنفيّة، وللسبي عند غيرهم.

٤ . السبايا من النساء يعتبرْنَ من الغنائم إلى أن تتم قسمة الغنيمة. فإذا قسمت بين الغانمين فكلُّ مَن وقع في سهمه سبيةٌ مَلكَها وصارت أمَةً له، ويحلُّ له وطؤُها بملْك اليمين بعد استبرائها، لقوله تعالى: «والمحصنات من النساء إلاّ ما مَلكت أيمَانُكم» (٤ / ٢٤).

---

(١) راجع: البخاري، الفتح ٧ / ١٢٩؛ ٨ / ٣٢-٣؛ ط. السلفيّة.

سِتُّ المُلك (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) : أخت الحاكم بأمر الله. كانت سيّدة بارعة وقديرة. يُقال بأنّها هي التي دبّرت قتْلَ أخيها بسبب أنّه حرَم ابنَه علي من الخلافة. لقد كانت تخشى أن تضطرم الثورة فتدكّ «عرش الحاكم، ومستقبل الأسرة كلهّا، وينتهي عصر المجد والسؤدد في غمر الدماء والشقاء والذلّة، وكان الحاكم من جانبه يحقد على ستّ الملك... وكان يشدّد عليها الحجر والمراقبة، وينعي عليها سوءَ مسلكها وفضائحها الغرامية، ويتّهمها بتناوب العشّاق عليها، وأنّه هدّدها بإنفاذ القوابل إليها لاستبرائها، فكانت لذلك تخشى بطشه وفتكه»[1].

أمّا مَن نفّذ جريمة قتل الحاكم فتقول بعض الروايات بأنّ ستّ الملك اختارت سيفَ الدولة الحسين بن دوّاس زعيمَ كتامة أشدَّ الناقمين على تصرّفات الحاكم، وفاوضتْه بالأمر، فلبّى نداءها، وتعهّد بالتنفيذ. وعهد ابنُ دوّاس بالتنفيذ إلى عَبدَين من أخلص عبيده، وزوّدتْهما ستّ الملك بسكّينَين ماضيَين، ووهبتْهما مالاً وخيلاً.. وقصد العبدان صحراء الجبّ، عند جبل المقطّم، حيث كان الحاكم، بحسب عادته، يقصد الخلوةَ فيه.

وفي ليلة الإثنين ٢٧ شوّال سنة ٤١١، أي: ١٣شباط ١٠٢١م، انقضّ العبدان عليه، وطرحاه أرضاً، وقتلاه، وقطّعا ذراعيه، وشقّا جوفَه، واستخرجا أمعاءَه، وحملا أشلاءه إلى ابن دوّاس... فرافقهما ابنُ دوّاس إلى ستِّ المُلك وسلّمها الجثّة.. ودعتْ ستُّ المُلك، حالاً، كبيرَ الوزراء «خطير الملك أبا الحسين عمّار بن محمّد»، وأمرتْه بالكتمان والطاعة، وباستدعاء وليّ العهد «عبد الرحيم ابن الياس»[2] من الشام، الذي دبّرتْ له، هو الآخر، مهلكةً في طريقه، لكي لا يكون على الخلافة إلاّ عليّ ابن الحاكم. فتمّت البَيعة فعلاً لأبي الحسن علي، وأُعلِن خليفة مكان أبيه باسم «عليٍّ الظاهر». وذلك في ١٠ من ذي الحجّة، أي بعد ٤١ يوماً من «اختفاء» الحاكم. وكان عمر «الظاهر» سبع عشرة سنة.

---

(١) إبن خلدون ٤/ ٦١، اتّعاظ الحنفاء، ورقة ٦٩ب، عنان ص ٢١٣.

(٢) وهو ابن عمّ الحاكم. كان قد عيّنه الحاكم وليّا للعهد سنة ٤٠٤ هـ. يلعنه الدروز.

واستدعتْ ستّ المُلك ابنَ دوَّاسْ، وكان يعتقد أنّه غدا أعظم رجل في الدولة، ولكنّه لم يحظ المسكين إلاّ بقطع رأسه. وكذلك كان حظُّ العبدَين، والوزير خطير الملك، وكلّ مَن علم بسرّ الجريمة. وخلا الجوُّ لها ولابن أخيها الخليفة الظاهر[٣]، الذي أقام الأرض وأقعدها على الدروز. وهم يلعنونه إلى الأبد، وينكرون عليه انتسابَه إلى الحاكم، ويدعونه بـ «الدجّال الأعظم» و«دجّال الدجاجلة».

السِّتْر: ١ . لغةً: تغطية الشيء وإخفاؤه. وفي الحديث: «إنّ اللّهَ حييّ ستّير يحبّ الحياءَ والستر»[١]، أي من شأنه وإرادته حبُّ الستر والصون لعباده.. **والاستتار:** الاختفاء، ومنه قوله تعالى: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» (٤١/٢٢). **والسترة:** ما استترتَ به من شيء كائناً ما كان.

٢ . أجمع العلماء على أنّ مَن اطّلع على عيبٍ، أو ذنبٍ، أو فجورٍ لمؤمن من ذوي الشأن، أو نحوهم ممّن لمْ يُعرف بالشرّ والأذى، ولم يشتهرْ بالفساد، ولم يكن داعياً إليه، كأن يشرب مسكراً، أو يزني، أو يفجر متخوّفاً متخفّياً غير متهتّك ولا مجاهر، يُندب له أن يستره، ولا يكشفه للعامّة أو الخاصّة، ولا للحاكم أو غير الحاكم، لأحاديث وردت في الحثّ على ستر عورة المسلم والحذر من تتبّع زلاّته. منها قوله: «مَن سَتَر مسلماً ستره اللّه يوم القيامة»، وفي رواية: «ستره اللّه في الدنيا والآخِرة»[٢].. وقال بعض العلماء: إجتهدْ أن تستر العصاة، فإنّ ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام. وأُولى الأمور ستر العيوب. قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر.. ومن هذا الباب قولهم: إنّه لا

---

(٣) أنظر: النجوم الزاهرة ٤/١٨٥، عيون المعارف للقضاعي ١٨١–٢، الذهبي في وفيّات سنة ٤١١،ص ٢٢، مرآة الزمان ٤٠٥–٤٠٨، ابن خلّكان ٢/١٦٧، ابن الأثير ٨/١٠٨، اتعاظ الحنفاء ٦٩ب–٧٠أ، أخبار الدول المنقطعة ٢٥٨، نهاية الأرب ٢٦/٥٨...

(١) أخرجه أبو داود ٤/٣٠٢، من حديث يعلى بن أميّة، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٥/٩٧، ط. السلفيّة؛ مسلم ٤/١٩٩٦، ط. الحلبي، في حديث ابن عمر؛ الترمذي ٥/١٩٥، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

ينبغي لأحد أن يتجسّس على أحد من المسلمين، أو يتتبّع عوراته، لقوله تعالى: «ولا تَجَسَّسُوا» (٤٩/ ١٢)... أمّا مَن عُرِف بالفسق والفساد فيندب كشف حاله.

سَجَاح (ت نحو ٥٥هـ/ ٦٧٥م) : امرأة عربيّة ادّعت النبوّة بعد موت النبيّ، قبيل الردّة وأثناءها. كانت نصرانيّة من بني تميم، ومن ناحية الأمّ كانت تنتسب إلى بني تغلب. كانت تلقي رسائلها من فوق منبر، وبالشعر المنثور، أو النثر الموزون.. وأفلحت في اجتذاب عشيرتَي حنظلة (بني مالك وبني يربع) إلى صفّها، وجمعتهما تحت رايتها بنيّة غزوِ المدينة. بيد أنّها منيت بهزيمة منكرة. فقرّرت أن تنضمّ إلى المتنبئ **مُسَيلِمَة**، وكان مسيطراً على قبيلة يمامة.. وتفاهم مسيلمة وسجاح، واعترف كلّ منهما برسالة الآخر، وتزوّجا فعلاً. بل إنّ المتنبّئة بقيت مع مسيلمة حتّى ساعة وفاته المفجعة. وقد احتفظ الطبري، في تاريخه، بتفاصيل بذيئة عن هذا الزواج الشهوانيّ الماجن. ثمّ توفّيت بعد أن أسلمتْ.

السَّجْدَة : هي العبادة. وهي إسم لسورتَين من سور القرآن: ٣٢ و٤١. تتميّز كلّ منهما عن الأخرى بالحروف التي تستهلّ بها. ويطلق على السورة الأولى: حم. السجدة؛ لأنّها تبدأ بهذين الحرفين. والأفكار التي وردت فيهما متشابهة. إنّهما تنتسبان إلى العهد الثالث من نزول القرآن.. تُعرف الأولى باسم «المضاجع»، أو «الجُرُز»، كما تُعرف الثانية باسم «فُصِّلَت».

السِّجِسْتَانِيّ (راجع مادّة: **أبو داود**).

السِّجِلّ : لغةً: الكتاب يدوَّن فيه ما يُراد حفظُه.. ومنه قوله تعالى: «يوم نطوي السماءَ كطيِّ السجلِّ للكتب. كما بدأنا أوّلَ خلقٍ نُعيده. وعداً علينا. إنّا كنّا فاعلين» (٢١/ ١٠٤)، أي: كطيِّ الصحيفة على ما فيها.. والجمع: سجلاّت.. وفي الاصطلاح: يُطلق السِّجلّ على كتاب القاضي الذي فيه حكمه.. ثمّ أصبح يُطلق على «الكتاب الكبير الذي تُضبط فيه وقائع الناس».. ؛

أمّا عند الدروز فالسجلّ هو الكتاب المباح إعلانه، بخلاف رسائل الحكمة السرّيّة والتي لا يُباح إعلانها. والسجلاّت المباحة أربعة، وضعها الأمير السيّد في

أوّل الرسائل للتمويه، وهي: ١- السجلّ الذي وُجد معلَّقاً على المشاهد في غيبة مولانا الحاكم؛ ٢- السجلّ المَنهيّ فيه عن الخَمْر؛ ٣- خبر اليهود والنّصارى؛ ٤- نسخة ما كتبه القِرمطيّ إلى مولانا الحاكم عند وصوله إلى مصر[1].

السُّجُود : ١ . لغةً: الخضوع، والتطامن، والتذلّل، والميل، ووضع الجبهة بالأرض.. وسجود الصلاة هو وضع الجبهة على الأرض. والإسم: السَّجدة. والمسجِد: بيت الصلاة الذي يُتعبّد فيه، ومنه قول النبيّ: «جُعلتْ لي الأرضُ مسجِداً وطهوراً»[1].. والمسجَد: موضع السجود من بدن الإنسان، وهي: جبهته وأنفه ويداه وركبتاه وقدماه. ومن هذه قولهم: ويُجعل الكافور في مساجده (أي الميت).

٢ . أجمع الفقهاء على فرضيّة السجود في الصلاة، وأنّه ركن من أركان الصلاة بنصّ الكتاب والسنّة والإجماع. أمّا الكتاب فقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! إركَعوا واسجُدوا واعبُدوا ربَّكم وافعلوا الخير. لعلّكم تُفلِحون» (٢٢/٧٧)؛ وأمّا السنّة فمنها حديث المسيء صلاته قال فيه رسولُ اللّه: «ثمّ اسجدْ حتّى تطمئنَّ ساجداً»[2]؛ كما أجمعوا على وجوب سجدتَين في كلّ ركعة من ركعات الصلاة.

٣ . واتّفقوا على أنّ أكمل السجود هو أن يسجد المصلّي على سبعة أعضاء، وهي: الجبهة مع الأنف، واليدان، والركبتان، والقدمان، لقول رسول اللّه: «أمرتُ أن أسجد على سبعة أعظم»[3]..

سِجِّيل : كلمة من الكلمات القرآنيّة الغامضة (١١/٨٢؛ ١٥/٧٤؛ ١٠٥/٤). اشتقّت من كلمتَين فارسيّتَين، معناهما: حجارة من طينٍ متحجّر محروق. وهذا المعنى يؤيّده ما ورد في القرآن (٥١/٣٣ و٣٤). ويزيد المفسّرون أنّ هذه الحجارة

---

(١) أنظر رسائل الحكمة، جزء ١، ص ٣٣-٥٧.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٤٣٥، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٣٧٠، ط. عيسى الحلبي.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/٢٧٦، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٣٥٤، ط. الحلبي.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/٢٩٧، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٣٥٤، ط. الحلبي.

قد حرقت في نار جهنّم. ومعناها أنّه قد نقش على الحجارة أسماء أولئك الذين كُتب عليهم أن يُعذَّبوا بها.

سِجِّين : كلمة من الكلمات القرآنيّة الغامضة (٨٣/٧ و٨ و٩). يقول المفسِّرون: إنّها تدلّ على موضع فيه كتاب الفجّار الذي تُكتب فيه أعمالهم. وقيل أيضاً: إنّ السجّين هو هذا الكتاب نفسه. وقيل: إنّه وادٍ في جهنّم. وقيل: إنّه سابع الأرضين، وأسفلها حيث إبليس وجنوده. وقيل: إنّه موضع تحت إبليس تسكنه أرواح الفجّار. وقيل: إنّه ديوان سجّلت فيه أعمال الفجّار والإنس والجنّ والشياطين والكفّار.. ويقال أيضاً: إنّ معناها الشديد والدائم والخالد.

السِّحَاق و المُسَاحَقَة : أن تفعل المرأة بالمرأة مثل صورة ما يفعل بها الرجل.. ولا خلاف بين الفقهاء في أنّ السحاق حرام، لقول النبي: «السحاق زنى النساء بينهنّ»[1]. وهو من الكبائر.. ومختلف فيه في نقضه للوضوء. أمّا إذا حدث إنزالٌ بالسحاق فإنّه يفسد الصوم، ويجب القضاء على من أنزلت.. واتّفق الفقهاء على أنّه لا حدّ في السحاق، لأنّه ليس زنى. وإنّما يجب فيه التعزير، لأنّه معصية..

السُّحْت : لغةً: ما خبث وقبح من المكاسب، واصطلاحاً: كلّ مال حرام لا يحلّ كسبه ولا أكله. وسمّي بذلك لأنّه يسحت الطاعات، أي يُذهبها. وقد يخصّ به الرّشوة (أي ما يُعطى لإبطال حقّ، أو لإحقاق باطل)، وكسب الحجّام (أي أجرته من الحجامة)، والربا، والغصب، والقمار، والسرقة، ومهر البغي (وهو ما تأخذه الزانية في مقابل الزنى)، وحلوان الكاهن (وهو ما يأخذه الكاهن مقابل إخباره عمّا سيكون، ومطالعة الغيب)، والمال المأكول بالباطل، وثمن الكلب والخنزير والخمر والميتة والأصنام وما شابهها، والاستعجال في القضيّة، والتنجيم، والضرب بالحصى، وغير ذلك ممّا يتعاطاه العرّافون من استطلاع الغيب (لما فيها من أخذ العوض على أمر باطل)، وما أخذ بالحياء وليس عن طيب نفس، كمن يطلب من غيره مالاً بحضرة الناس، فيدفع إليه الشخص بباعثِ الحياء والقهر.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩/ ٣٠، ط. السعادة.

السِّحْر: ١ . لغةً: كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، ومنه قول النبيّ: «إنّ من البيان لسحراً»[1]، أي خدعة؛ ومنه قوله تعالى: «قالوا: إنّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرين» (٢٦/ ١٥٣)، أي المخدوعين.. والسحر عملٌ يُتقرَّب به إلى الشيطان وبمعونة منه.. والسحر شرعاً: مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال أو أفعال ينشأ عنها أمور خارقة.

٢ . قبل محمّد، وفي أيّامه، كان عالم الأرواح يتكوّن من اللّه والآلهة القبليّة والجنّ. وكانت الصلة بين هذا العالم وبين البشر بواسطة الكهّان والسحرة والعرّافين والمنجّمين والشعراء والمجانين وعلماء الطلاسم..

٣ . من الألفاظ ذات الصلة بالسحر: **الشعوذة**، أو **الشعبذة** وهي خفّة في اليد، يُري الشيء على غير ما هو عليه؛ **والنُّشرة**، وهي ضرب من الرقية والعلاج؛ **والعزيمة** من الرقى التي كانوا يعزمون بها على الجنّ، وجمْعها: العزائم، وعزم الراقي: كأنّه أقسم على الداء؛ **والرقية**، وهي ألفاظ خاصّة يحدث عند قولها الشفاء من المرض؛ **والطِّلّسم**، هي خطوط أو كتابة يستعملها الساحر ويزعم أنّه يدفع بها كلَّ مُؤذٍ، ويزعم أنّ لها تعلّقاً بالكواكب، وأنّها تُحدث آثاراً خاصّة.

٤ . اختلف العلماء في أنّ السحر هل له حقيقة ووجود وتأثير حقيقي في قلب الأعيان، أم هو مجرّد تخييل؟! فذهب المعتزلة والجصّاص والاسترابادي والبغوي من الشافعيّة إلى إنكار جميع أنواع السحر، وأنّه في الحقيقة تخييل من الساحر على مَن يراه، وإيهام له بما هو خلاف الواقع، وأنّ السحر لا يضرّ إلاّ أن يستعمل الساحر سمّاً أو دخاناً يصل إلى بدن المسحور فيؤذيه، وأنّ الساحر لا يستطيع بسحره قلبَ حقائق الأشياء.. لقوله تعالى: «فلمّا ألْقَوا (حبالَهم وعصيَّهم) سَحَروا أعْيُنَ الناسِ» (٧/ ١١٦)، أي: موّهوا عليهم، ولقوله: «فإذا حِبالُهم وعِصِيُّهم يُخَيَّل إليهِ مِن سِحرِهم أنَّها تَسعى»، أي: لم يكن سعياً وإنّما كان تخييلاً.

٥ . وذهب آخرون إلى أنّ هناك سحراً له حقيقة ووجود وتأثير في الأبدان، واستدلّوا بقوله تعالى: «قلْ أعوذُ بربِّ الفَلَق. مِن شرِّ ما خَلق. ومِن شرِّ

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٩/ ٢٠١، ط. السلفيّة، من حديث ابن عمر.

غاسقٍ إذا وَقَب. ومِن شرِّ النَّفَّاثاتِ في العِقَد. ومِن شرِّ حاسِدٍ إذا حَسَد» (١١٣/١-٥)، و«النفّاثات في العقد» هن السواحر من النساء. فلمّا أمر بالاستعاذة من شرّهن عُلم أنّ لهنّ تأثيراً وضرراً.

٦ . أهمّ ما جاء في القرآن في موضوع السحر قوله : «واتَّبَعوا ما تتلو الشياطينُ على مُلك سليمانَ. وما كفر سليمانُ ولكنَّ الشياطينَ كفروا. يُعلِّمون الناسَ السحرَ وما أُنزلَ على المَلَكَينِ ببابل، هاروتَ وماروتَ، وما يُعَلِّمانِ مِن أحدٍ حتّى يَقولا إنّما نحنُ فتنةٌ. فلا تَكفُرْ فيَتعلَّمونَ منهُما ما يُفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه. وما هم بضَارِّينَ به من أحدٍ إلاّ بإذنِ اللّه. ويتَعلَّمونَ ما يَضُرُّهم ولا يَنفَعُهم. ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَرَاهُ. ما له في الآخرةِ مِن خَلاقٍ. ولَبِئْسَ ما شَرَوا به أنفسَهم لو كانوا يَعلمون» (٢/١٠٢). وثمّة آية أخرى تحدّثنا كيف كانت الشياطين تنزل على «كلِّ أفّاكٍ أثيم، يُلْقُونَ السمْعَ وأكثَرُهُم كاذِبُونَ. والشعراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ . هم في كلِّ وادٍ يَهِيمُونَ، وأنَّهم يَقولونَ ما لا يَفعَلونَ (٢٦/٢٢٣-٢٢٥)..

٧ . عمل السحر محرّم. وهو من الكبائر. وأدلّة تحريمه من قوله تعالى: «وَأَلْقِ مَا في يمينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعوا. إنّ ما صَنَعوا كيدُ ساحرٍ. ولا يُفلِحُ الساحرُ حيثُ أتَى» (٢٠/٦٩)، وقوله: «ولكنَّ الشياطينَ كفَروا يُعلِّمون الناسَ السحرَ» (٢/١٠٢)، وقوله: «إنّا آمَنَّا بربِنا ليغفرَ لنا خَطايَانا ومَا أكرَهْتَنا عليه من السحرِ. واللّهُ خيرٌ وأَبْقى» (٢٠/٧٣)؛ وقول النبي: «اجتنبوا السبع الموبقات.. الشرك باللّه، والسحر..»[٢].

السَّحُور : لغةً واصطلاحاً: طعام السَّحَر وشرابُه.. والسَّحَر: آخر الليل قبيل الصبح. والجمع: أسحار. وقيل: هو من ثلث الليل الآخِرِ إلى طلوع الفجر. السحور سنّةٌ للصائم، لِمَا روى أنس أنّ النبيّ قال: «تسحَّروا. فإنّ في السَّحور بَركةً»[١]، ولما روى عمرو بن العاص عن النبيّ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ٥/٣٩٣، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٩٢،من حديث أبي هُريرة.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤/١٣٩، ط. السلفيّة؛ مسلم ٢/٧٧٠، ط. الحلبي.

أهل الكتاب أكْلة السَّحَر»[٢].. ووقت السحور ما بين نصف الليل الأخير إلى طلوع الفجر لقوله: «وكلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» (٢/١٨٧).. والمقصود بالسحور جعْل الإنسانِ يقوى على الصوم.

السَّخَاوِيّ (شمس الدّين مُحمّد) (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) : مؤرّخ مصريّ وعالم بالحديث والأدب. ولد في القاهرة وتوفّي بالمدينة. صنّف نحو مئتَي كتاب، أشهرها: «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» ١٢ جزءاً؛ و«فتح المغيث بشرح ألفيّة الحديث»؛ و«المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة»؛ و«الإعلان بالتوبيخ على مَن ذمّ علم التاريخ»، و«الأصل الأصيل في تحرير النقل من التوراة والإنجيل»، و«عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع»، إلى غير ذلك...

السَّخَاوِيّ (عَلَم الدين عليّ) (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) : عالم بالقراءات واللغة والنحو. درس في القاهرة على الشاطبيّ. سكن دمشق وتعلّم عليه فيها ابن مالِك صاحب الألفيّة. من كتبه «شرح المُفَصَّل للزمخشريّ»، و«شرح الشاطبيّة» وهو أوّل من شرحها وكان سبب شهرتها.

السِّدَانَة : خدْمة الكعبة، والسادن هو القائم على خدمة الكعبة. وكان إسماعيل بن إبراهيم الخليل أوّل سادن. ثمّ ورثه أولادُه. ثمّ صار أمر السدانة إلى قبيلة جُرْهَم، فقبيلة خُزاعة. ثمّ أعادها قُصَيّ إلى بني إسماعيل. وخلفه فيها ابنُه عبد الدار. وتعاقب بنوه عليها.. حتّى أصبحتِ اليوم في أيدي آل سعود.

السَّرَاة : سلسلة جبال في غرب الجزيرة العربيّة تمتدّ على طول البحر الأحمر حاجزاً بين نَجد وسهل تِهامة. تشمل جبال مُدْيَن والحجاز وعَسير. أعلى قممها في اليمن جبلُ شُعَيب ٣,٧٦٠م. وفي السعوديّة جبال عسير ٣,١٣٣م.

السِّرّ : وهو ما يكتم في النفس. والجمع: أسرار وسرائر. وأسرّ الشيءَ: كتمه وأظهره. فهو من الأضداد.. إنّ في إسرار الأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء؛ وفي إظهارها فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير، ولكن فيه آفة الرياء..

---

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٧٧٠، ط. الحلبي.

ولذلك أثنى اللّه في القرآن على السرّ والعلانية، فقال: «إنْ تُبْدو الصدَقاتِ فَنِعِمّا هيَ، وإنْ تُخْفوها وتُؤْتوها الفقراءَ فهو خيرٌ لكم، ويُكفِّرُ عنكم مِنْ سيّئاتكم. واللّهُ بما تَعملَونَ خَبير» (٢/ ٢٧١): فالصلاة في السرّ أفضل، لقول رسول اللّه: «صلّوا أيّها الناس في بيوتكم. فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة»[1]؛ وصدقة السرّ أفضل من صدقة العلانية، للقول السابق ولقول النبي: «سبعة يظلّهم اللّه في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.. (وذكر منهم رجلاً): تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[2]، ولقوله: «إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الرب»[3].

السَّرِقَة: ١ . أخْذ الشيء خفية. وهي: **الاختلاس**، من خلس الشيء واختلسه، أي: استلبه، وأخذ المالَ منه جهرةً معتمداً على السرعة في الهرب. والفرق بين السرقة والاختلاس: أنّ الأولى عمادها الخفية، والاختلاس يعتمد المجاهرة؛ و**الغصب**: أخذ الشيء ظلماً مجاهرة، والاستيلاء على حقّ الغير عدواناً.. و**النشْل**: من نشل الشيءَ نشلاً، أي: أسرع في نزعه. والنشّال هو الذي يسرق الناس في يقظتهم بنوع من المهارة. و**النهْب**: من نهب الشيء، أي: أخذه قهراً وغلبةً.

٢ . السرقة، حدّها قطْع اليد بنصِّ القرآن: «والسَّارقُ والسَّارقة فاقْطَعوا أيديَهُما جزاءً بما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللّهِ. واللّهُ عزيزٌ حكيمٌ»(٥/ ٣٨).

٣ . وكان الحدّ يُقام علَناً. وكانوا في كثير من الأحيان يطوفون بالسارق حول المدينة ويركبونه حماراً بالمعكوس، ويعلّقون عضوه المقطوع في عنقه[1]. وهذه العقوبة حدٌّ لأنّ السرقة جناية على حقّ اللّه. هذا عند الشافعيّة والحنابلة؛ أمّا عند الحنفيّة فلا سنّة في ذلك، بل يترك الأمر للإمام، إن رأى فيه مصلحة فعله، وإلاّ فلا. ولم يذكر المالكيّة شيئاً عن تعليق اليد.

---

(١) أخرجه النسائي، ٣/ ١٩٨، من حديث زيد بن ثابت، وانظر: الترغيب والترهيب، ١/ ٢٨٠.

(٢) أخرجه البخارث، الفتح ٢/ ١٤٣، ط. السلفيّة.

(٣) أخرجه الحاكم، ٣/ ٥٦٨، ط. دائرة المعارف العثمانيّة، من حديث عبداللّه بن جعفر.

(١) أنظر: إبن ماجّة، حدود، الباب ٢٢.

٤ . اختلف الفقهاء في حكم السارق، إذا قطعت يمينه، ثمّ عاد للسرقة، على النحو التالي: مَن قُطعتْ يمينه في السرقة الأولى، ثمّ سرَق بعد ذلك، فتقطع رجله اليسرى؛ فإن عاد بعد ذلك تُقطع يده اليمنى؛ وإن عاد في المرّة الرابعة تُقطع رجله اليمنى. ومَن سرق، بعد قطع أطرافه الأربعة، يُقتل حدًا. واستدلّوا على ذلك بأنّ النبي، صلّى اللّه عليه وسلّم، أمر بقتل سارقٍ، في المرّة الخامسة. قال جابر: «فانطلقْنا به، ثمّ اجتررناه، فألقيناه في بئر، ورمينا عليه الحجارة»[٢]..

٥ . ويجب لإثبات التهمة أن يشهد بها شاهدان، أو أن يقرّ بها السارق. على أنّه يجوز للسارق الرجوع في إقراره. ويُستحسن أن ينكر السارق التهمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. على أنّه، إذا ردّ السارقُ ما سرق قبل أن تُوجَّه إليه التهمة، سقط عنه الحدّ (رَ: ٥ / ٣٩).

٦ . على السارق أن يعوّض عن الضرر.. والسرقة التي يُقام لها الحدّ، تكون من مال معترف به شرعاً، وفي حرز يكون المال فيه محروساً. هذا يعني أنّ السرقة من بناءٍ مباح للجمهور (كالحوانيت نهاراً والحمّامات)، لا عقاب عليها بالحدّ... ولا يُقام الحدّ في السرقات بين الزوج وزوجه، والأقارب الأقربين.. وليس من السرقة الاستيلاء على التوافه (كالخشب والماء وطيور الصيد)، والأشياء السريعة العطب (الفاكهة الطازجة واللّحم واللبن)، أو أشياء لا تعدّها الشريعة ملكاً خاصًا، أو أشياء ليست من مال التجارة الحلال شرعاً (كالخمر والخنازير والكلاب وأطقم الشطرنج والآلات الموسيقيّة والصلبان الذهبيّة)، أو أشياء يكون للسارق فيها نصيب (الغنائم وبيت المال والوقف والبضائع التي على المشاع بقيمة حصّته فيها)، وكذلك المصاحف والكتب (فيما عدا دفاتر الحساب)، إذ المفروض أنّ السارق لا يبغي من الحصول عليها إلاّ الاطّلاع على محتوياتها.

٧ . أمّا فكرة السرقة الأدبيّة فلم يعرفها الفقه..

---

(٢)أخرجه الدارقطني ٣ / ١٨١، ط. دار المحاسن، من حديث جابر بن عبداللّه،وضعّف إسناده إبن حجر في التلخيص ٤ / ٦٨، ط. شركة الطباعة الفنّيّة.

٨ . والسرقة من غير المسلمين جائزة، بل واجبة، لأنَّ فيها إضعافاً لأعداء الله والإسلام.

٩ . أمّا الاضطرارُ فشبهة تدرأ الحدّ، لقوله: «فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه» (٢/١٧٣)، وقول النبيّ: «لا قطْع في زمن المجاع»[٣].. وأجمع الفقهاء على أنّه لا قطْع بالسرقة عام المجاعة.. والحاجة أيضاً تدرأ الحدّ، وقد حدّد النبيّ المقدار الذي يكفي حاجة المضطرّ بقوله: «كُلْ ولا تحمل. واشربْ ولا تحمل»[٤].

١٠ . ومن المتّفق عليه بين الفقهاء مراعاة الإحسان في إقامة الحدّ، لقول النبيّ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم»[٥]. وعلى ذلك ينبغي أن يتخيّر الحاكم الوقتَ الملائم للقطْع، بحيث يجتنب الحرَّ والبرد الشديدَين، إن كان ذلك يؤدّي إلى الإضرار بالسارق، ولا يقيم الحدَّ أثناء مرضٍ يُرجى زوالُه، ولا يقيم الحدَّ على الحامل أو النفساء، ولا على العائد في السرقة قبل أن يندمل الجرح السابق، كما ينبغي أن يُساق السارق إلى مكان القطع سوقاً رفيقاً، فلا يعنّف به، ولا يعيّر، ولا يُسبّ، فإذا وصل إلى مكان القطع، يُجلس، ويُضبط لئلاّ يتحرّك، فيجني على نفسه، وتُشدّ يده بحبلٍ، ويُجرّ حتّى يبين مفصل الذراع، ثمّ توضع بينهما سكّين حادّة، ويُدقّ فوقَها بقوّة ليُقطع في مرّة واحدة، أو توضع على المفصل، وتمدّ مدّة واحدة، وإن علم قطعٌ أسرع من ذلك قُطع به[٦].

السَريّ السَّقَطيّ (أبو الحسن) (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) : صوفي من أهل السنّة. توفّي ببغداد بالغاً من العمر ٧٨ عاماً. وكان عمَّ **الجنيد**، الذي كان من مريديه، وقد أوصى بأن يدفن في قبره. كان السري، من حيث العقيدة، تلميذاً للمحاسبي. وكان يقول إنّ للمحبّين في يوم الحساب مقعداً شريفاً يعلو على ملّة موسى وملّة عيسى وملّة محمّد.

---

(٣) أخرجه الخطيب في تاريخه ٦/ ٢٦١، ط. السعادة بمصر، من حديث أبي أمامة.

(٤) أخرجه إبن ماجّه، ٢/ ٧٧٣، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/ ٧٥، ط. السلفيّة، من حديث أبي هُريرة.

(٦) راجع : المغني والشرح الكبير، ١٠/٢٦٦، وما بعدها.

السَرِيَّة : لغةً: مِن سرى في الليل وأسرى، إذا ذهب فيه. والجمع: سرايا وسريات. وفي الاصطلاح: فرقة من الجيش أقصاها أربعمائة، يبعثها الأمير لقتال العدوّ، أو التجسّس على الأعداء. وسمّيت سريّة لأنّهم يسيرون بالليل، ويكمنون بالنهار لقلّة عددهم. فـ**الجيش**، ما زاد على ثمانمائة؛ و**الجحفل**، ما زاد على أربعة آلاف؛ و**الخميس**، هو الجيش العظيم؛ و**البعث**، هو ما تفرّع عن السريّة؛ و**الكتيبة**، هي ما اجتمع ولم ينتشر. وداوم النبيّ على بعث السرايا حتّى بلغتْ ٤٧ سريّة.

سَطِيْح : كاهن أسطوري من جزيرة العرب في الجاهليّة. يقترن اسمه دائماً بكاهن آخر إسمه «**شقّ**» الذي لم يكن، في الواقع إلاّ شيطاناً في صورة إنسان شُقَّ نصفَين. ومعنى سطيح «المنبسط البطيء القيام من الضعف». لا عظام له ولا عضلات. وله رأس إنسان في وسط صدره. لا أب لهذين الكاهنَين. يُقال إنّ الكاهنة «طَريفة»، قبل وفاتها، دعتْهما ثم تفلتْ في فمهما وأعلنتْ أنّهما خليفتاها في الكهانة

في ليلة مولد محمّد وقعت ظواهر عجيبة في أرجاء مملكة فارس. وعجز ملك الفرس، كسرى أنوشروان، عن أن يجد عند سَحَرته تفسيراً لهذه الظواهر، فأرسل إلى ملك الحيرة النعمان بن المنذر يسأله أن يبعث إليه برجلٍ يستطيع تفسيرَها. فبعث إليه النعمان عبد المسيح بن بقيلة الغساني[1]. وعجز عبد المسيح أيضاً عن تفسير هذه العجائب. فلجأ إلى خاله سَطيح الذي كان يعيش في الصحراء، فوجده على شفا الموت، ولم يُجب نداءَه. فعمد إلى مخاطبته بالشعر، وعند ذلك فقط تنبّأ له الكاهن بسقوط دولة الفرس وفتح العرب لها. وما إن ألقى بنبوءته حتّى وافته المنيّة.

سَعْد بن أَبِي وَقَّاص (ت ٥٥هـ/ ٦٧٥م) : أسلم في السابعة عشرة من عمره. من أقدم صحابة النبيّ. ومن المقرّبين إليه. أحد العشرة المبشّرين بالجنّة. شهد وقعتَي **بدر** و**أُحد** والوقائع التي تلتهما. كان من أخلص أتباع النبيّ. قائد

---

(١) أنظر في شأنه: كتاب المعمّرين، ص ٣٨؛ Caetani, Annali dell'Islâm ، ج ٢، ص ٩٣٥، سنة ١٢ للهجرة؛ الفصل ١٦٥؛ ج ٢، ص ٦٥٧، سنة ٢١ للهجرة، الفصل ٣٢٨.

عظيم. تقدّم صوب الفرس في جيش كثيف، وعسكر في **القادسيّة** على التخوم بين بلاد فارس وجزيرة العرب. ونشبت في هذا الموضع معركةٌ كبرى دامت عدّة أيّام، لقي فيها الفرس هزيمةً منكرة. وأصبح سعد عندئذ سيّد العراق العربي بأسره. وكذلك استولى سعد على المدائن، واضطرّ الملك الساساني الشاب يزدجرد إلى الفرار. ولمّا دخلها سعد غنم غنائم لا حصر لها. واتّخذ منها مقرّاً لقيادة جيشه..

وإلى هذا العهد أيضاً يرجع تشييد مدينة الكوفة. وقد شيّد سعد فيها قصراً فخماً خالف به بساطة العرب. فلمّا سمع عمر بذلك، وكان يخشى ما يحدثه الترف من أثر سيّء، بعث إلى سعد لوماً شديداً، بل عمل على أن يحرق القصر . وأُقيل سعد من منصبه في عام ٢٠هـ/ ٦٤١م.. لكنّ عثمان أعاده سنة ٢٥هـ/ ٦٤٦م أميراً على الكوفة. ولمّا قُتل عثمان وولّي علي الخلافة، امتنع سعد عن مبايعته. واعتزل السياسة إلى حين وفاته. وخلّف ثروة طائلة. ودفن في المدينة.

سَعْد بن عُبَادَة (ت ١٤هـ/ ٦٣٥م) : صحابيّ. أنصاريّ خزرجيّ. من الأمراء الأشراف في الجاهليّة والإسلام. ظهر اسمُه للمرّة الأولى في أخبار بَيعة العقبة الثانية، فذُكر ضمن الرجال التسعة من الخزرج الذين اختيروا «نقباء» المؤمنين الجدد بالإسلام. ثمّ وقَع سعد في يد أهل مكّة، فعذّبوه عذاباً شديداً. وإنّما فرّ من أيديهم بفضل صديقَين مكّيَّين له كان قد أسدى لهما معروفاً. وتخلّف سعد في غزوة **الأبواء** إذ أنابه النبيّ عنه في تولّي المدينة. ولم يشهد سعد بدراً، على أنّه شهد غزوة أحد حيث عني هو وسعد بن معاذ بالنبيّ الذي كان قد جُرح.

لمّا توفّي عبد الله بن أُبيّ، أصبح سعد سيّدَ بني الخزرج بلا منازع. وكان من المرشّحين لخلافة النبيّ. وما إن تواترت الأنباء في المدينة بوفاة محمّد حتّى اجتمعت الأوس والخزرج، وخطب سعد في جموعهم، ورشّح للخلافة رجلاً من الأنصار. ومالت غالبيّة الحاضرين إلى مبايعته على الفور. على أنّ أبا بكر وعمر، تداولا، هما والمجتمعون معهما، في الأمر، وحمي وطيس المناقشة ممّا هدّد باندلاع لهيب الفتنة. غير أنّ أبا بكر بويع بالخلافة. وعندئذ اعتزل سعدٌ الحياةَ العامّة. ثمّ شخص إلى حوران حيث توفّي بعد مبايعة عمر بسنتَين ونصف سنة.

سَعْد بن مُعَاذ (ت ٦هـ/٦٢٧م) : صحابيّ أوسيّ. استُشهد في الخندق.

السَّعْي : مِن سعى يسعى سعياً، أي: قصد، أو عمل، أو مشى، أو عدا. ويستعمل كثيراً في المشي. وهو اصطلاحاً: قطْع المسافة الكائنة بين **الصفا والمروة** سبع مرّات، ذهاباً وإياباً، بعد طوافٍ في نسكِ حجٍّ أو عمرة.. أصل السعي الكتاب والسنّة. أمّا الكتاب فقوله تعالى: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللّه. فمن حجّ البيتَ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما» (٢/١٥٨)، أي: يسعى. وأمّا السنّة فما ورد من أنّ النبي سعى في حجّه بين الصفا والمروة قال: «إسعوا فإنّ اللّهَ كتب عليكم السعي»(١). وقد وضعت الشريعة السعي على مثال سعي السيّدة هاجَر عندما سعت بين الصفا والمروة سبع مرّات لطلب الماء لابنها. وشرط السعي أن يكون سبعة أشواط، ومشياً على الأرجل، ويجب أن يسبقه طواف.

سَعِيْد بن زَيْد (ت ٥١هـ/ ٦٧١م) : صحابيّ قرشيّ عَدَويّ. شهد المشاهد إلاّ بَدراً. أحدُ العشرةِ المبشَّرين بالجنّة. اشترك في فتوح الشام. توفّي بالمدينة.

سَعِيْد بن العَاص (ت٥٩هـ/ ٦٧٩م) : صحابيّ من الأمراء الولاة الفاتحين. ولاّه عثمان الكوفة ثمّ المدينة. ساعد الخليفة عُثمان على جمع القرآن.

سَعِيْد بن المُسَيَّب (ت ٩٤هـ/٧١٢م) : أحد فقهاء المدينة السبعة.

السَّفّاح (راجع مادّة: **أبو العبّاس**).

سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ (أبو عبداللّه) (ت١٦١هـ/٧٧٨م) : محدِّث من الأئمّة المجتهدين. وُلد في الكوفة. وتوفّي في البصرة. له: «الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير» في الحديث، و«الفرائض». أثارت آراؤه جَدَلاً بعهده.

السِّقَايَة : هي تأمين الماء لحجّاج البيت الحرام وعمّارِه في مكّة. وكان إسماعيل بن إبراهيم الخليل أوّل من قام بهذه المهمّة بالاعتماد على بئر «زمزم»، ثمّ خلفه ابنُه نابت، ثمّ أخوالُه بنو جُرهَم. ولمّا شبّ نزاع بين جرهم وخزاعة، غادرت

---

(١) أخرجه الدارقطني ٢/٢٥٦، ط. دار المحاسن، من حديث صفيّة بنت أبي تجراة.

جرهم مكّة، ورَدمتْ زمزم قبل خروجها حتّى لا يهتدي إليها أحد. فقامت خزاعة بالسقاية من آبار أخرى. ثمّ قام قُصَيّ بنقل المياه من خارج مكّة على ظهور الجمال. ثمّ خلفه ابنُه عبد الدار. ثمّ هاشم بن عبد مناف. ثمّ عبد المطلّب الذي كشف عن موضعها الأصلي، وجدّد حفرَها، فاستمرّ تدفُّقها إلى اليوم.

السُّكْر : ١ . ضدّ الصحو. و **السَّكَر**: كلّ ما يسكر من خمر أو شراب. وهو أيضاً نقيع التمر الذي لم تمسّه النار؛ وفي القرآن: «ومِن ثَمَراتِ النَّخيل والأعنابِ تتَّخِذونَ منه سكَراً ورِزقاً حَسناً» (١٦/٦٧).. وعرّفه أبو حنيفة بقوله: «السكر نشوة تزيل العقل. فلا يعرف السماء من الأرض، ولا الرجل من المرأة». وقال الشافعي: «السكران هو الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سرّه المكتوم». وقيل: السكر حالة تعرض للإنسان من امتلاء دماغه من الأبخرة المتصاعدة من الخمر، فيتعطّل معه العقل المميّز بين الأمور الحسنة والقبيحة.

٢ . أجمع الفقهاء على أنّ شرب الخمر حرام. ويجب الحدُّ على شاربها، سواء أكان ما شربه قليلاً أم كثيراً، سكر منها أم لم يسكر. واستدلّوا على ذلك بقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! إنَّما الخمْرُ (المسكر) والمَيْسِرُ (القمار) والأنصابُ (الأصنام) والأزلامُ (قداح الاستقسام) رِجْسٌ (خَبيث) من عملِ الشيطان. فاجْتنبوه. لعلَّكم تُفلِحون. إنّما يريدُ الشيطانُ أن يوقِعَ بينَكمُ العداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والميسِرِ، ويَصُدَّكم عن ذكرِ الله وعن الصلاة. فهل أنتم مُنتَهون؟» (٥/ ٩٠-٩١)، وبقول النبيّ: «كلّ مسكر خمر، وكلّ خمر حرام»[١].

٣ . يجب ألاّ يكون في تنفيذ حدّ الشرب خوفُ الهلاك، لأنّ هذا الحدّ شُرّع زاجراً لا مُهلكاً[٢].

السُّكْنَى : ١ . إسم مصدر من السكن، وهو القرار في المكان المعدّ لذلك.. واصطلاحاً: هي المكث في مكان على سبيل الاستقرار والدوام.. السكنى للزوجة

---

(١) أخرجه مسلم ٣/١٥٨٧، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

(٢) البدائع، ٧/٥٩؛ ابن عابدين ،٤/ ٤٠؛ الهداية، ٢/ ١١١؛ نهاية المحتاج، ٨/ ١٧.

على زوجها واجبة لقوله تعالى: «أَسْكِنُوهنَّ مِن حيثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكم (أي سعتكم)» (٦/٦٥). واتّفق الفقهاء على أنّه لا يجوز الجمع بين امرأتَين في مسكن واحد، لأنّ ذلك ليس من المعاشرة بالمعروف (٤/١٩).. ولا يجوز الجمع بين الزوجة وأقارب الزوج في مسكن واحد.

٢. لا تجوز سكنى أهل الذمّة مع المسلمين في جزيرة العرب، لما رواه ابن عبّاس قال: «أوصى رسولُ اللّه بثلاثة أشياء. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم. وسكت عن الثالث»[٣]، ولما رواه مالك من أنّ النبي قال: «لا يبقين دينان في جزيرة العرب»[٤]. وهذا الحكم، وإن كان متّفقاً عليه بين الفقهاء، إلاّ أنّ الخلاف وقع في المراد بجزيرة العرب. وأمّا سكنى أهل الذمّة في غير جزيرة العرب فهي جائزة، نظير ما يدفعونه من جزية.. ويسمح لأهل الذمّة السكنى مع المسلمين، ليقفوا على محاسن الإسلام، فعسى أن يؤمنوا.

السِّلاح : إسم جامع لآلة الحرب. وجمْعه: أسلحة. ذهب العلماء إلى أنّ الاستعداد للجهاد بإعداد السلاح والتدرّب على استعماله وعلى الرمي فريضة تقتضيها فريضة الجهاد، لقوله تعالى: «وأَعِدُّوا لهم ما استطعتم مِن قوّةٍ ومِن رِباطِ الخيل تُرهِبون به عدوَّ اللّه وعدوَّكم» (٨/ ٦٠).. وقد تركت الآيةُ تحديد الـ "قوّة" المطلوبة، لأنّها تتطوّر تبعاً للزمان والمكان.

وذهب جمهور الفقهاء إلى استحباب حمل السلاح للخائف في الصلاة يدفع به العدوَّ عن نفسه، لقوله تعالى: «وليأخذوا حِذْرَهم وأسلحَتَهم» (٤/١٠٢)، وقوله: «وَدَّ الذينَ كَفَروا لو تَغْفُلون عن أسلحتِكُم وأمتعتِكُم فيَميلون عليكم مَيلَةً واحدة» (٤/١٠٢)، وقوله: «ولا جُناحَ عَليكُم إن كانَ بكم أذًى من مَطَر، أو كنتم مَرضى، أن تَضَعوا أسلحَتَكم» (٤/١٠٢)

---

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٦٠/ ١٧٠، ط. السلفيّة.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢/٨٩٢، ط. الحلبي؛ البيهقي ٩/٢٠٨، ط. دائرة المعارف الهنديّة، عن عمر بن عبد العزيز مرسلاً.

السّلام : ١ . من سلّم، أي: ألقى السـلام. ومن معانيـه: السلامـة والأمن والتـحيّة. قـال تعـالى: «لهم دار السلام عند ربّهم» (٦/١٢٧). والسـلام إسـم من أسـماء اللّه تعـالى: «هو اللّهُ الذي لا إلهَ إلاّ هُوَ المَلِكُ القُدّوسُ السَّلامُ» (٥٩/٢٣)، وهو تحيّة المسلمين بعضهم لبعض، لقوله: «فسلّموا على أنفسكم تحيّة من عند اللّه مبـاركة طيّبة» (٢٤/٦١). وهو أيـضاً تحيّة أهل الجنّة، لـقوله: «والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب: سلام عليكم بما صبرتم. فنعم عقبى الدار» (١٣/٢٣-٢٤).

٢ . من الألفاظ ذات الصلة بالسلام: **التحيّة**، من حيّاه يُحيّيه تحيّة، وأصله: الدعاء بـالحياة.. وهي أعـمّ من السلام، إذ تشـمل السلام والتـقبـيل والمصافـحة والمعانقـة ونحو ذلك. و **التقـبيل**، منه القُبلة. والجـمع: القُبَل. و **المصافـحة**، وهي: الإفضاء باليد إلى الـيد، من إلصاق صفحة الكف بالكفّ، وإقـبال الوجه بالوجه.. و **المعانقة**، أي الضمّ والالتزام. وهي: جعل الرجل عنقه على عنق صاحبه..

٣ . صـيـغـة السـلام : «السلام عـليكم»، و«السـلام عليكم ورحـمـة اللّه وبركاته». وصيغة الردّ: «وعليكم السلام»، و«السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته»، لقوله تعالى: «وإذا حُيِّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها» (٤/٨٦)..

٤ . ثمّ إنّ الابتداء بالسـلام واجب، لحديث أبي هُريرة أنّ رسـول اللّه قال: «حَقُّ المسلم على المسلم ستّ. قيل: ما هنّ يا رسول اللّه؟ قال: إذا لـقيته فسلِّمْ عليه. وإذا دعاك فأجبـه. وإذا استنصحك فانصح له. وإذا عطس فحمَد اللّه فـشمِّتْه. وإذا مرض فعدْه. وإذا مات فاتبعْه»[٥].

٥ . السلام على قـاضي الحاجة ونحـوه، كالمجامع، وعلى مَن في الحـمّام، والنائم، والغائب خلف جدار، فحكْمه الكراهة. ومَن سلّم عليهم لم يستحقّ الجواب، لما روى عن ابن عمـر أنّ رجلاً مرّ ورسـولُ اللّه يبوّل، فسلّـم فلم يردّ عليه[٦]، وما روي عن جابر أنّ رجلاً مـرّ ورسول اللّه يبوّل، فسلّم عليـه، فقال النبي: إذا رأيتني

---

(٥) أخرجه مسلم ٤/١٧٠٥، ط. الحلبي.

(٦) أخرجه مسلم ١/٢٨١، ط.الحلبي.

على مثل هذه الحال، فلا تسلّمْ عليّ. فإنّك إن فعلت ذلك لم أردّ عليك»[٧]..

٦ . إذا كانت امرأة شابّة يُخشى الافتتان بهـا، أو يخشى افتتانها هي أيضاً بمن سلّم عليهـا، فالسلام عليـها وجواب السـلام منها حكمه الكـراهة عند المالكيّة والشافـعيّة والحنابلة. وذكر الحنفـيّة أنّ الرجل يردّ على سلام المرأة في نفـسه إن سلّمت هي عليه. وتردّ هي أيضـاً في نفسها إن سلّم هو عليـها. وصرّح الشافـعيّة بحرمـة ردّها عليه.. وأمّـا سلام الرجل على جـماعـة النساء فـجائز. وكـذا سلام الرجال على المرأة الواحدة عند أمن الفتنة..

٧ . ذهب الحنفيّة إلى أنّ السلام على أهل الذمّة مكروه لما فيه من تعظيمهم. ولا بأس أن يسلّم المسلم على الـذمّي إن كانت له عنده حـاجة، لأنّ السـلام حينئـذ لأجل الحاجـة لا لتعظيـمه. ويجوز أن يـقول: السلام على مَن اتّبـع الهدى. وذهب المالكيّة أيضاً إلى أنّ ابتداء اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال بالسلام مكروه، لأنّ السـلام تحيّـة والكافـر ليس من أهلهـا. ويحرّم عند الشـافـعيّـة بداءة الذمّي بالسلام، وله أن يحيّيه بغيـر السلام، بأن يقول: هداكَ اللّه، أو أنعم اللّه صباحَك إن كانت لـه عنده حاجة، وإلاّ فـلا يبتـدئه بشيء من الإكرام أصـلاً، لأنّ ذلك بسط له وإيناس وإظهـار ودّ. وقد قـال تعالى: «لا تجـد قومـاً يؤمنون باللّه واليـوم الآخِر يوادُّون مَن حـادَّ اللّه ورسوله» (٥٨/٢٢).. ودليـل كراهة البـداءة بالسلام قـول الرسول: «لا تبـدأوا اليهـودَ ولا النصارى بالسلام. فـإذا لقيتـم أحدَهم في طريق فاضطرّوه إلى أضيقه»[٨].

٨ . ردُّ السـلام على أهل الذمّة من قـول رسـول اللّه: «إذا سلّم عليكم أهلُ الكتـاب، فقـولوا: وعليكم»[٩]، وقولـه أيضاً: «إذا سلّم عليكم اليـهود فـإنّما يـقول أحدُهم: السام (بدل السلام) عليكم. فقل: وعليك»[١٠]..

---

(٧) أخرجه إبن ماجه ١/١٢٦، ط. الحلبي.

(٨) أخرجه مسلم ٤/١٧٠٧، ط. الحلبي.

(٩) أخرجه البخاري، الفتح ١١/٤٢، ط. السلفيّة؛ مسلم ٤/١٧٠٥، ط.الحلبي، من حديث أنس.

(١٠) أخرجه البخاري ١١/٤٢، ط. السلفيّة.

السَّلَب : ١ . ثياب القـتيل من الكفّار، وسلاحـه، ومركوبه، وما عليـه ومعه من قـماش ومـال... وهو بمعنى: مـسلوب. والسلب لا يُخـمّس، لما روي عن النبيّ: «مَن قتلَ قتيلاً له عليه بيّنة، فله سلبُه»[1].

٢ . من شروط استحقاق السَلَب أن يخاطر القـاتل بحياته، ويواجه احتمال الموت. أمّا إن رماه بسهم، أو نحوه، من صفّ المسلمين، أو من حـصن يتحصّن فيه، فلا سَلَب له.. ولو حمل جماعة من المسلمين على واحد من الكافرين، فقتلوه، فسَلَبُه ليس لهم، بل يكون غنيـمة، لأنّهم لم يغـرّروا (يخاطروا) بأنـفسـهم في قـتله.. لأنّ السَلَب إنّما يُستحَقّ بالمخاطرة في قتله.. ويشترط أن يكون المقتول الذي يأخذ قاتلُه سلَبَه أن يكون من المقاتلين الذين يجوز قتلهم شرعاً.

السَّلَس : هو عند الفـقهاء: إسـترسال الخـارج بدون اختـيار، من بولٍ، أو مـذى، أو مني، أو ودي، أو غـائط، أو ريح. وهو حـدَث دائم، وصـاحـبه مـعـذور، فـيعـامل في وضوئه وعـبادتـه، معـاملة خاصّـة تختـلف عن معـاملة غيـره من الأصـحّاء.. ومَن به سلَس يتـوضّأ لوقت كـلّ صلاة، لقـول النبي: «المستـحاضـة تتوضّأ لوقت كلّ صلاة»[1].

سِلْفِسْتِرْ دِي سَاسِي (أنطوان) Silvestre de Sacy (ت ١٨٣٨) : مستشـرق فرنسيّ. أنشأ الجمعـيّة الآسيويّة، واهتمّ بالدراسـات العربيّـة. له كتاب في الديانة الدرزيّة، هو مرجع في موضوعه.

السَّلَفِيَّة : نزعـة إصلاحيّـة نادت بالرجـوع إلى مناهج السَّلَف والتمـسّك بالسنّة كدعوة الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب في نَجد.

السِّلْم : الصلح. ويأتي بمعنى الإسـلام، ومنه قـوله تعالى: «يا أيّهـا الذينَ آمَنوا! أدخلوا في السِّلْم كافَّةً» (٢/٢٠٨). وهو خـلاف الحرب، أو هو: ترك الجهاد مع الكافرين بشروطه. قال تعالى: «وإن جنحوا للسِّلْم فاجنَحْ لها. وتوكّل على اللّه»

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٦/٢٤٧؛ومسلم ٣/١٣٧١، ط. الحلبي، من حديث أبي قتادة.

(١) قال الزيلعي: حديث «غريب جدًا» ١/٢٠٤، ط. المجلس العلمي.

(٨/ ٦١).. وهو الذي يكون بين المسلمين وغيرهم من الكفّار. وهو إمّا يكون مؤبّداً، كعقد الذمّة؛ أو موقّتاً، كعقد الهدنة، إذا كان فيها مصلحة المسلمين، لقوله تعالى: «فَلا تَهِنُوا (تضعفوا) وتَدْعُوا إلى السِّلمِ وأنتمُ الأعْلَون» (٤٧/ ٣٥). فأمّا إذا لم يكن في الموادعة مصلحة فلا يجوز بالإجماع.. وقال ابن العربي: فإذا كان المسلمون على عزّة ومنعة وقوّة وجماعة عديدة وشدّة شديدة فلا صلح. وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفْع يجتلبونه، أو ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمون إذا احتاجوا إليه.

سَلْمَانُ الفَارِسِيّ (ت ٣٥هـ/ ٦٥٥م) : من أشهر صحابة النبيّ. يقول فيه ابن إسحق: إنّه كان ابنَ دهقان قرية جي الفارسيّة، بالقرب من إصفهان.. استهوته النصرانيّة، وهو بعد صبيّ. فترك بيت أبيه. وتبع راهباً نصرانيًا. ثمّ بلغ الشام بعد أن تتلمذ على شيوخ كثيرين. وهبط من الشام، إلى وادي القرى، في أواسط الجزيرة العربيّة، طلباً للرسول. أثنى عليه النبيّ بقوله: «سلمان منّا أهل البيت». وهو الذي أشار إلى النبيّ حفْر الخندق في غزوة الأحزاب.

قال للناس حين وفاة رسول اللّه: «أيّها الناس! قدِّموا مَن هو أقربُ إلى رسول اللّه، وأعلَمُ بكتاب اللّه وسنَّةِ نبيّه، ومَن قدّمه النبيُّ في حياته، وأوصاكم به عند وفاته. ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، وإنّ عند علي بن أبي طالب علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب». شهد بقيّة المشاهد وفتوح العراق. ولاّه عمر المدائن وتوفّي بها.

وسَلمان هذا هو، عند النّصيريّين، أحد الثالوث الإلهي (ع م س)، أي: علي، محمّد، سلمان. ويُلقّب بالباب، فيما محمّد هو الإسم، وعلي هو المعنى (أي الألوهة).. أمّا عند الدروز فهو أحد تجلّيات العقل الأوّل، أي هو حمزة في زمان النّاطق محمّد. ويعود إليه تأليف بعض القرآن؛ فيما بعضه الآخر مرفوض عندهم.

السَّلَمِيَّة : مدينة سوريّة. مركز قضاء في محافظة حَماة. إليها ينتسب عُبيد اللّه مؤسّس السلالة الفاطميّة. عاصمة الإسماعيليّين. مرجعهم وقاعدتهم الدينيّة.

سُلَيْمَان بن داود : أوردَ القرآنُ اسمَه ١٧ مرّة؛ ويذكره كيف بذّ أباه في الحكم، وهو بعد في مقتبل العمر (٢١/٧٨-٧٩). ولمّا توفّي داود أبوه ورثه سليمان من دون أولاده الآخرين (٢٧/١٦). وكانت لسليمان مواهب عجيبة، فقد آتاه اللّه علم الغيب. وكان يعرف لغة الطير والحيوان (٢٧/١٦و١٩). وهذا شبيه بما جاء في (١ مل ٤/٣٣). وقد سخّر اللّه له الريح عاصفة (٢١/٨١؛ ٣٨/٣٦)؛ وأسال له عينَ القِطْر (٣٤/١٢).

كان تحت أمرته جموع من الشياطين يفعلون كلَّ ما يريد. فقد كانوا، مثلاً، يغوصون في البحر، فيُخرجون له منه اللآلئ (٢١/٨٢؛ ٣٨/٣٧). وسخّر اللّهُ له الجنّ، ومَن يعصاه منهم يُعذَّب في السعير (٣٤/١٢). وكان الهدهد أوّل مَن جاءه بأخبار مملكة **سبأ** وملكتِها **بلقيس**. وراسل سليمانُ بلقيسَ ودعاها إلى الإسلام؛ ودانت له بعدما رأت ما رأت من بأسه وحكمته (٢٧/ ٢٠-٤٤).

ولمّا مال سليمان إلى الوثنيّة ردحاً من الزمن فَقَد ملكَه، وجلس على عرشه مَن هو على صورته. فلمّا سأل ربَّه العفوَ والمغفرة رُدَّ إلى عرشه ووُعد بالجنّة (٣٨/٣٤-٣٥ و٤٠).

السَّمَرْقَنْدِيّ (علاء الدين) (ت ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م) : فقيه حنفيّ من الكبار. توفّي ببخارى. من كتبه: «تحفة الفقهاء».

السَّمْعَانِيّ (أبو سعد) (ت ٥٦٣هـ/١١٦٧م) : مؤرّخ ورحّالة ومحدِّث. غزير الرواية. شافعيّ المذهب. وُلد وتوفّي بمَرو. جاب أقاصي البلاد. أشهر كتبه «الأنساب». وله «تاريخ مَرو»، و«تذييل تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، و«فرط الغرام إلى ساكني الشام».

السَّمَوْأل (إبن عادياء) (ت نحو ٥٦٠م) : شاعر جاهلي يهوديّ. صاحب الحِصن المعروف بـ **الأبْلَق**. يُضرب به المثل في الوفاء لأنّه ضحّى بابنه في سبيل الحفاظ على وديعةٍ لامرئ القَيس. له قصيدة شهيرة مطلعها: «إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤْم عرضُهُ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جَميلُ».

السَّمُّوقِيّ (بهاء الدين عليّ) (ت نحو ٤٢٠هـ/ ١٠٣٠م) : من أركان الدعوة الدرزيّة، وأحد الحدود الخمسة المعصومين. له ثلثا «رسائل الحكمة». إسمه الروحاني : «التالي». ألقابه : «الجناح الأيسر، الشيخ المُقتَنى، بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسنَد الموحِّدين، الناصح لكافّة الخلق أجمعين، روحاني. واسمه جسماني: أبو الحسين علي بن أحمد الطائي السَّموقي الدّاعي»[1]. المعروف أيضاً بـ «الضيف»[2].

اختاره حمزة لكونه «صاحب القول المبجّل». فكان، بحسب ما ورد في رسالة «تقليد المقتنى»، كاتباً بليغاً، يُنمّق الكلام، ويُحكم التأليف. وكان حمزة يُسرّ «عند سماع لفظه ومعجز تنميقه، وإحكام تأليفه». واعتبر ذلك من إنعام المولى عليه. وعرفه أيضاً «بالذكاء والفطنة شخصاً حليماً. فأشرقت زهرة ألفاظه في سماء عقله وفكره وخاطره. وفاح نسيم زهرة عقيدته الصحيحة، فاستحقّ علوّ المنزلة ورفيع الدرجة»[3].

سُمَيَّة (ت نحو ٦١٥م) : هي أمّ عمّار بن ياسر الصحابيّ. من أوائل الذين أظهروا الإسلام بمكّة. عذّبها مشركو قُريش وقتلها أبو جَهل. أوّل من استُشهد في الإسلام مع زوجها.

سِنَان بن ثَابِت (أبو سعيد) (ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م) : طبيب صابئيّ من حرّان. نشأ ببغداد. رئيس الأطبّاء في عهد المُقتدر. خدم القاهر والراضي.

سِنَان بن سَلْمَان (راشد الدين) (ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) : زعيم الإسماعيليّة المعروف بشيخ الجبل. جاء إلى مِصياف في سورية من قلعة أَلَموت بإيران، وأقام حكماً إسماعيليّاً في عدّة قلاع ببلاد الشام.

سِنِمَّار : مهندس بنى قصر الخَوَرْنَق للملك النُّعمان بن امرئ القَيس

---

(١) ذكر معرفة الامام، من مجموعة «رسائل الحكمة» الدرزيّة، ٣٢/ ٢٤١

(٢) انظر في رسائل الحكمة الدرزيّة: ٢٢/ ٢١٣ و ٢١٤.

(٣) تقليد المقتنى في رسائل الحكمة الدرزيّة: ٢٢/ ٢١٤-٢١٥.

اللَّخمي. فلمّا فرغ من البناء ألقاه الملك من أعلى فسقط ميتاً، وضُرب به المثل: جزاه جزاءَ سِنِمَّار.

السُّنَن : فرع من فروع التصنيف في الحديث. أشهر من عُرف به: النِّسائيّ، التِرمذيّ، إبن ماجة، أبو داود، وغيرهم.

السَنَة : الحول. وفرّق بعض اللغويّين بين العام والسنة. قال ابن الجواليقي: السنة من أيّ يوم عددته إلى مثله؛ والعام لا يكون إلاّ شتاء وصيفاً. وعلى هذا، فالعام أخصّ من السنة. فكلّ عام سنة، وليس كلّ سنة عاماً.. والسنة الشمسيّة تتّفق مع السنة القمريّة في عدد الشهور، وتختلف معها في عدد الأيّام، فتزيد أيّامُها على أيّام السنة القمريّة بـ ١١ يوماً وجزء من ٢١ جزءاً من اليوم.

السُنَّة : **١** . لغةً: العرف، والاستعمال، والعادة، والطريقة، والسيرة، والشريعة. ترد اللّفظة في القرآن في مناسبتَين: «سنّة الأوّلين»[1]؛ و«سنّة اللّه»[2].وترد كلمة سنن بصيغة الجمع في (١٣٧/٣) بمعنى قضاء اللّه. وترد سنّة اللّه في (٣٨/٣٣) بمعنى المزايا التي حبا اللّه بها الأنبياء الأوّلين.

٢ . والسنّة في الحديث هي سنّة محمّد. فاللّه يتّصل بالناس عن طريق كتابه. ويتّصل بهم محمّد عن طريق سنّته[3]. وتشمل «سنّة النبيّ» ما يُنسب إليه من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خِلقيّة أو خُلقيّة، حقيقةً أو حكماً، حتّى الحركات والسكنات، في اليقظة والمنام، وكذلك سيرته قبل البعثة أو بعدها، وكذا ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من قولٍ أو فعل. والسنّة، بهذا المعنى، مرادفة للحديث.

٣ . على أنّ السنّة أصبحت هي المصطلح المأثور الذي يُطلق على آراء أهل السنّة والجماعة وأفعالهم. وأهل السنّة والجماعة هم الذين ينأون عن الانحراف عن العقيدة وعن العمل بها. ويُستعمل هذا المصطلح خاصّة بهذا المعنى مقابلاً

---

(١) رَ: ٣٨/٨؛ ١٣/١٥؛ ١٨/٥٥؛ ٣٥/٤٣.
(٢) رَ: ١٧/٧٧؛ ٣٣/٦٢؛ ٣٥/٤٣؛ ٤٨/٢٣.
(٣) أنظر: مسلم، كتاب الإيمان، الحديث رقم ٢٤٦.

لمصطلح **الشّيعة**. وقد تحدّدتْ «سنّة النبيّ» شفوياً وكتابة في الحديث. والسنّة، من حيث النظر، منفصلة عن الحديث؛ أمّا من حيث العمل فيتّفقان.

٤ . ثمّ إنّ السنّة في الإسلام قد أصبحت نبراساً للسلوك إلى جانب القرآن؛ بل السنّة والقرآن أصبحا متساويين في الحجّيّة: «ألا وإنّ ما حرّم رسولُ اللّه فهو مثلُ ما حرّم اللّه»[٤]. وجعْلُ السنّة في مكانة القرآن قد أدّى إلى القول بأنّ السنّة أيضاً موحىً بها : «كان جبريل ينزل على النبيّ بالسنّة كما ينزل عليه بالقرآن»[٥]. بل ذهب المسلمون إلى أبعد من ذلك فقالوا: «السنّة قاضية على القرآن وليس القرآن بقاضٍ على السنّة» .. إلاّ أنّ في القرآن آياتٍ تتضح صفتها المنسوخة إلاّ بالسنّة.

٥ . السنّة، عند المالكيّة: ما فعله النبي، وواظب عليه، وأظهره في جماعة، ولم يدلّ دليل على وجوبه.. والنفل ما فعله النبي، ولم يداوم عليه، أي: تركه في بعض الأوقات.. وعند الشافعيّة والحنابلة: تقسم إلى: مؤكّدة وغير مؤكّدة.. إنّ ترْك السنن المؤكّدة مكروه؛ أمّا ترك غير المؤكّدة فليس بمكروه.. وعند الحنفيّة: السنّة نوعان: سنّة الهدى، وهي ما تكون إقامتها تكميلاً للدين، كصلاة الجماعة، والأذان، والإقامة، ونحوها... وسنن الزوائد، وهي التي لا يتعلّق بتركها كراهة ولا إساءة، كسير النبي في لباسه، وقيامه، وقعوده، وأكله.. ونحو ذلك.

٦ . والسنّة من أدلّة الشرع المتّفق عليها، والتي تستنبط منها الأحكام الفقهيّة الأربعة: الكتاب، والسنّة، والإجماع، والقياس. والسنّة هي: ما ورد عن النبيّ من قول، أو فعل، أو تقرير. وهي، بهذا المعنى، ترادف الحديث. وقيل: إنّ الحديث ما صدر عن النبيّ من الأقوال.. أمّا السنّة فهي: أقوال النبيّ، وأفعاله، وتقاريره التي هي: كفّه وسكوته عن إنكار ما فعله الصحابة أمامه أو ما أُخبر به.

٧ . وتنقسم السنّة باعتبار السند إلى: المتواتر، والمشهور، وخبر الواحد. المتواتر يوجب علم اليقين؛ وخبر الواحد يوجب العمل ولا يوجب العلم يقيناً؛

---

(٤) الدارمي، المقدّمة، باب ٤٨.

(٥) الدارمي، المرجع نفسه.

والمشهور يلحقه البعض بالمتواتر في إيجابه علم اليقين، وبعضهم بالآحاد فيوجب العمل دون العلم اليقين.

السُّهْرَوَرْدِيّ (شهاب الدين) (ت ٥٨٧هـ/ ١١٩١م) : فيلسوف وصوفيّ إشراقيّ كبير. شافعي المذهب. وُلد في سهرورد، مدينة في شمال غربيّ إيران. ونشأ بمراغة، وعاش في إصفهان ثمّ في بغداد وحلب. ويظهر أن نائب الخليفة، الملك الظاهر بن صلاح الدين، حباه برعايته أوّل الأمر.. إلاّ أنّ أهل السنّة شكّكوا بتصوّفه وطالبوا برأسه. فلم يسع الملك الظاهر ألاّ أن أمر بقتله. وكان قد بلغ آنئذٍ الثامنة والثلاثين من عمره. ولُقّب بـ «المقتول» خشية القول بأنّه مات شهيداً. من كتبه: «حكمة الإشراق»، و«الهياكل النوريّة»، و«المشارع والمطارحات»، و«التلويحات»، و«اللمحات»، و«رسالة في اعتقاد الحكماء».

سَهْلُ التُّسْتَرِيّ (ت ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م): متكلّم وصوفي من أهل السنّة. ولد في تُستَر من أعمال الأهواز. نُفي إثر ثورة الزنج إلى البصرة، حيث توفّي. من كتبه «تفسير القرآن»، و«مجموعة أجوبة». من تلاميذه الحلاّج.

السُّهَيْلِيّ (عبد الرحمن) (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) : محدّث أندلسي. عالم باللّغة والسِّيَر. كان ضريراً. من كتبه «الروض الأُنُف» في شرح السيرة النبويّة لابن هشام، و«التعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام».

السؤر : لغةً: بقيّة الشيء، وجمْعه: أسآر. وأسأر منه شيئاً: أبقى. وفي الحديث: «إذا شربتم فأسئروا»[٦]، أي أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء.. والسؤر في الاصطلاح هو: فضلة الشرب وبقيّة الماء التي يبقيها الشارب في الإناء، أو في الحوض. ثمّ استعير لبقيّة الطعام أو غيره. ومراد الفقهاء بقولهم: سؤر الحيوان طاهر أو نجس: لعابه ورطوبة فمه.

السَّوْم : المراد منه أن يتّفق صاحب السلعة والراغب فيها على البيع، ولم يعقداه، فيقول آخر لصاحب السلعة: أنا أبيعك خيراً منها بأرخص..

---

(٦) أورده صاحب لسان العرب في مادّة «سأر».

سَوَاع : مِن أصنام العرب في الجـاهليّة. وردت في القرآن مـرّة واحدة في قوله: «وَلا تَذَرُنَّ وَدًا وَلا سُوَاعاً وَلا يَغوثَ وَيَعوقَ ونَسْراً» (٧١/٢٣).

سَوْدَة بنت زَمْـعَة (ت ٥٤هـ/ ٦٧٤م) : ماتت خـديجة في السنة التاسـعة للنبوّة. وراقب الصحابة والمسلمون آثار الحزن على رسول اللّه. فأخذوا «يُشفقون عليه من تلك الوَحدة، على قول بنت الشاطئ» ويودّون لو يتزوّج، لعلّ في الزواج ما يؤنسُ وحشتَـه.. لكنّ واحداً منهم لم يجرؤ على التحدّثِ إليـه في موضوع الزواج، إلاّ خَولة بنت حكيم السـلَميّة، إمرأة عـثمان بن مظعـون. هذه جاءت إليه، مـتسللةً، متلطفةً، مترفقةً، وآثارُ الحزن باديةٌ على مـحيّاه، فقالت له، وهي العارفة بمصائبه، والجريئة على فتح موضوع دقـيق معه: "يا رسولَ اللّه! كأنّي أراكَ قد دخلتْكَ خلّةٌ لِفَقْـدِ خديجـة! فأجاب: أجل. كـانت أمَّ العيـال وربّةَ البيت "[1]. واقتـرحت عليه أن يتزوّج. فقال: مَـن بعد خديجة؟! فردّتْ: عائشة، بنت أحبّ الناس إليك "[2].

بيد أنّ عـائشة لم تزل طفـلةً، دون السادسة. وخَـولة تعرف ذلك. ولكـنّها تعـرف أيضاً بأنّ اسـمَ عائشـة يرغّب النبيّ في قـبول الـزواج، وقد تحـصل على موافـقتـه للزواج منها. وبعـد ذلك، تعرفُ كـيف تحوّلُ هذه الموافـقة المبدئيّـة على الزواج، إلى شخصٍ آخر. وبالفعل، كان في بالِ خَولة شخصٌ آخر، هي سَودَة.

ولمّا أحسّت خولة بأنّ في نبيّ اللّه رغبةً في الزواج، تعجّلتْ، واقترحتْ عليه اسمَ سَودة، وقالت له: "أفلا أخطبُ عليك؟". قال: "بلى. فإنّكنّ معشرَ النساء أرفقُ بذلك". ثمّ ذهبتْ، لتوّها، إلى سَودة تقول لها: "أرسلَني رسولُ اللّه أخطبكِ عليه". وللحال أجابتها: "ودَدْتُ. أدخلي على أبي فاذكري له ذلك". فدخلتْ خولة على أبي سَودة وقـالت: "إنّ محمّـداً أرسلني أخطبُ عليه سَـودة". فصـاح الشيخُ: "كفء كريم. فماذا تقول سَودة؟" أجابتـه خولة: "تُحِبُّ ذلك". وأشار إلى خولة. ففهمت خولة. فذهبتْ إلى محمدٍ مسرعةً. فجاءت به. وتمّ الزواج.

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ١٧٥، السبط الثمين، ١٠٣، الإصابة، ٤/ ١١٧...
(٢) تاريخ الطبري، ٣/ ١٧٥.

كـانت سودة العـامريّة، قـبل النبيّ، تحت السكران بن عَـمرو، إبنِ عـمِّهـا. وكانت قد أسلمتْ بمكّة. وأسلم زوجُها أيضاً. وخرجـا مهاجرَين إلى أرض الحبشة في الهـجرة الثـانية. ولمّا رجـعـا إلى مكّة، توفّي السكرانُ عنهـا. ويقال بأنّه مـات مسيحيًا[٣]، وأنّها أعقبتْ منه ولداً هو عبد الرحـمن الذي قُتل في وقعة جلولا.. فلمّا حُلَّتْ تزوّجهـا رسولُ اللّه في رمضان سنة عـشر من النبوّة، أي بعد وفـاة خديجة بوقتٍ قليل جداً. ويقال بأنّه "لم يُجمعْ بمكّة بين زوجَين بالفعل"[٤].

وأمستْ سَودة، وهي لا تصدّق، بأنّها أصـبحت زوجَ رسول اللّه. يأنس بها بعـد خديجـة. تخدم بناته وتحبّ ذلك. ترضـى بمكانتهـا في بيتـه، ويكفيـها أنّهـا ستكون في لائحة أمّهات المؤمنين. ويسعدها أن ترى زوجهـا معجباً بخفّة روحها، كما بثقل جسمها. وكان يضحك من مشيتها بسبب ثقلها.

واسـتمـرّتْ سودة في بيت رسـول اللّه وحدها، وقـتا قليـلاً، حتى جـاءت عائشة، ثمّ أزواج أخريات عديدات، استـأثرنَ بقلب رسول اللّه على حسابها. وخفَّ ميلُه نحـوها. وكانت تشـعر بذلك الحـيف، وتتألّم. وتجده يـرتاح إلى سواها، ولا يرتاح إليها، حتى بدا له، آخر الأمر، أن يسرّحَها، ويعفيها من وضعٍ يؤذيها ويجرح قلبها؛ دون أن يكون له حـيلة في قسمة عـواطفه قسمةً عـدلٍ بين زوجاته. فانتظر، يوماً، إلى أن جاءتْ ليلتُـها، فأنبأها بعزمـه على طلاقها. فسمـعت النبأ. وتضرّعتْ إليـه قـائلة له: "أمـسكني! واللّهِ مـا بي عـلى الأزواج من حـرص. ولكنّي أحبّ أن يبعثني اللّهُ يومَ القيامة زوجاً لك"[٥].

وعرفتْ في سـرّها أنّه عليهـا، لكي تبقى تحت رسـول اللّه، أن تهبَ ليلتَـها لعائشــة؛ فأجـابت رسولَ اللّه قائلة: "أبقِـني يا رسولَ اللّه. وأهبُ ليلتي لعـائشة.

---

(٣) Cf. article "Sawda bint Zamaa", dans "Encyclopédie de l'Islam"; Caetani, Annali dell Islam, Milan, 1905-1907, 2 Vol. I, 378-379.

(٤) السيّد محمّد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، ص ٦٦.

(٥) الإصابة، ٤/١١٧، الاستيعاب، ٤/١٨٦٧، عيون الاثر، ٢/٣٠٠، المحبر، ٨٠.

وإنّي لا أريدُ ما تريد النساء "[٦]. وعن ذلك روتْ لنا عائشة فقالتْ: "كانت سَودة قد أسنّتْ؛ وكان رسولُ اللّه لا يستكثرُ منها؛ وقد علمتْ مكاني من رسول اللّه، وأنّه يستكثرُ منّي. فخافتْ أن يفارقَها، وضنّتْ بمكانها عنده. فقالت: يا رسولَ اللّه! يومي الذي يُصيبُني لعائشة. وأنتَ منه في حِلٍّ. فَقَبِلَهُ النبيّ. وفي ذلك نزلت: «وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعلِها نُشُوزاً أو إعْراضاً، فلا جُناحَ عَلَيهِما أنْ يُصْلِحا بَيْنَهما صُلْحاً. والصُّلحُ خير»(٤/١٢٨).

توفّيتْ سودة بالمدينة، في خلافة معاوية؛ وذلك بعد أن عاشت مع النبيّ ٩ سنوات، وانفردتْ به وحدَها ٣ سنوات. وكان عمرها يوم تزوّجها ٥٠ سنة؛ وهو أيضاً كان له مثل عمرها يوم أصبحت تحته.

السُّوْرَة : ١ . لغةً: المنزلة، والرفعة، والشرف، والدرجة. وقيل: ما طال من البناء وحسن، أي«المدماك». واصطلاحاً: هي الإسم الذي يُطلق على فصول القرآن.

٢ . تدلّ الكلمة على ما نزل على النبيّ من الوحي متفرِّقاً. وتحدّى خصومه أن يأتوا بسورة من مثله (٢/٢٣؛ ١٠/٣٨)، أو يأتوا بعشر سور (١١/١٣)..

٣ . أمّا من أين أتى النبيّ بهذه الكلمة فأمر لا يزال غير ثابت، بالرّغم من المحاولات التي بذلت لتتبّع أصلها. وقد يكون معناها «الترتيب»، أو «السلسلة»، أو «الجزء»، أو «القطعة».. وهو مدلول معقول قد يفسّر لنا نزول الوحي منجّماً، أي مفرَّقاً؛ ولكنّه غير معقول من الناحية اللّغويّة..

٤ . يحتوي القرآن على ١١٤ سورة.. لم تحدَّد تحديداً دقيقاً، ولم يُبيَّن ترتيبها، ولا أسماؤها، ولا عددها، ولا كيفيّة جمعها (أنظر مادّة : **القرآن**).

سِيْبُولْد (كرستيان) Seybold (ت ١٩٢١) : مستشرق ألمانيّ. نشر عدّة كتب ومخطوطات، منها «تاريخ السيوطيّ»، و«النقط والدوائر»، من كتب الدروز.

---

(٦) ألإصابة، ٤/١١٧، الاستيعاب، ٤/١٨٦٧، صحيح مسلم، كتاب النكاح، ١٤٦٣، بنت الشاطئ، ص ٢٤٦–٢٥٠.

سِيْبَوَيه (أبو بِشر عَمرو بن عُثمان) (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م) : تعني كلمة «سيبويه» رائحة التفّاح في الفارسيّة. هو من أئمّة فقهاء النحو على مذهب البصريّين. وُلد في البيضاء بناحية شيراز من أعمال فارس، وقدِم البصرة في حداثته، ودرس على شيوخ فقهائها، ومن أشهرهم **الخليل بن أحمد**.

أودع سِيبَوَيه ثمرةَ دراساته كتاباً كبيراً في النحو العربي، سمّاه «الكتاب»، قدِّر بألف ورقة. وهو عمدة جميع الدراسات العربيّة في النحو. يقول السيرافيّ: «عملَ سيبويه كتابَه الذي لم يسبقْه إلى مثله أحدٌ قبله، ولم يلحق به من بعده». ويصرّح المازني: «من أراد أن يعمل كثيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي».

شرحه ابن السَّرَّاج والمَبْرَمان والسِّيرافيّ والرُّمّانيّ، وغيرهم.. ويتّسم أسلوبه، شأن المؤلّفات العربيّة الأولى، بالإطناب الكثير والحجج المملّة المجهدة، وحافل بعدد لا يحصى من الشواهد المستقاة من القرآن، ويشمل نيّفاً وألف بيت من الشعر القديم، خمسون منها لشعراء مجهولين..

السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّة : ١ . هي مجموع الأخبار المتعلّقة بتاريخ الإسلام في عصر النبوّة، والمتمحورة حول شخصيّة النبيّ محمّد. يقول طه عبد الرؤوف سعد: «قد بدا لنا أنّ أحداً من الصحابة لم يعنَ بجمع الأخبار، فذلك لأنّهم كانوا مشغولين بالجهاد والفتوح»[1]. وأوّل ما ابتدأ المسلمون بتأليفه من كتب كان "القرآن". ابتدأوا في جمعه، وتفسيره، وجمع الأحاديث النبويّة. ولكن، كان لا بدّ من الرجوع إلى سيرة النبيّ وجمع ما فيها أوّلاً، لأنّها المرجع الصادق لفهم الكثير من القرآن.

٢ . وكان أوّل مَن عني بكتابة السيرة النبويّة :

١ – عروة بن الزبَير بن العوام (ت ٩٣هـ/ ٧١١ م)؛

٢ – أبان بن عثمان بن عفّان (ت ١٠٥هـ/٧٢٣ م)؛

٣ – عاصم بن عمر بن قتادة.

---

(١) **السيرة النبويّة**، لابن هشام، قدّم لها وعلّق عليها وضبطها طه عبد الرءوف سعد.

٤ – شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠ م)؛

٥ – إبن شهاب الزُّهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤١ م)، في كتابه "المغازي"؛

٦ – عبد اللّه بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (ت ١٣٥هـ/ ٧٥٢ م)؛

٧ – موسى بن عُقبَة (ت ١٤١هـ/٧٥٨م)، في كتابه المسمّى "المغازي".

كان مالك بن أنَس يقول: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة، فإنّه ثقة»؛

٨ – محمّد **بن إسحاق** (ت ١٥١هـ/٧٦٨ م)، ولد بالمدينة، وتوفّي ببغداد، أخذ عنه ابن هشام الآتي ذكره رقم (١٣)؛

٩ – معمّر بن راشد (ت ١٥٤هـ/ ٧٧١ م)؛

١٠ – أبو معشر المدني (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦ م)؛

١١ – زياد بن عبد اللّه البكائي (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م)؛

١٢ – محمّد بن عمر **الواقدي** (٢٠٧هـ/ ٨٢٢ م)، له "كتاب المغازي"؛

١٣ – **إبن هشام** (ت ٢١٣هـ/٨٢٨ م)، صاحب كتاب "السيرة النبويّة"؛

١٤ – محمّد **بن سعد** (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤)، له كتاب "الطبقات الكبرى"؛

١٥ – «عبد الرحمن السُّهيلي» (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م) في شرح سيرة ابن هشام في كتابه القيّم «الروض الأُنُف»؛

١٦ – محمّد بن يوسف الصالحي، كتاب السيرة الشاميّة، واسمها الكامل: «سبل الهدى والجهاد في سيرة خير العباد»، ١٢ جزءاً كبيراً؛

١٧ – برهان الدين الحلبي» (ت ١٦٣٤م) السيرة الحلبيّة، واسمها الأصلي: «إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون»؛

١٨ – إبن كَثير (ت ١٣٧٢م)، السيرة النبويّة؛

١٩ – واختصر عبد السلام هارون سيرة ابن هشام.

سَيْف بن ذِي يَزَن (ت ٥٧٤م) : ملك حميريّ. طرد الأحباش من اليمن بمساعدة كسرى أنوشروان، بعد أن ظلّوا غالبين عليه منذ عهد أبي نوّاس. له سيرة شعبيّة مشهورة من قصص البطولة. تغنّى بمغامراته الأسطوريّة.

سيل (جورج) Sale (ت ١٧٣٦م) : مستشرق بريطانيّ. له ترجمة إنكليزيّة شهيرة للقرآن.

السّيوطيّ (جلال الدين) (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) : أغزر الكتّاب المصريّين إنتاجاً في العصر المملوكي؛ بل لعلّه أغزر كتّاب العربيّة قاطبة. ولد بالقاهرة. نشأ يتيماً. رحل بطلب العلم إلى جميع البلاد العربيّة والهند. ختم القرآن وهو ابن ٨ سنين. عمل بالتدريس.

ثم تفرّغ للتأليف. له نحو ٦٠٠ كتاب في التفسير والحديث والفقه واللّغة والتاريخ: في التفسير: «كتاب الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور»؛ و«مفحمات الأقران في مبهمات القرآن»؛ و«لباب النقول في أسباب النزول»؛ و«تفسير الجلالَين»؛ و«الإتقان في علوم القرآن»، وهو أوسع ما كتب في عرض هذا الموضوع؛ و«جامع المسانيد»، ويسمّى أيضاً: جامع الجوامع؛ و «الجامع الكبير»؛ وله مختصر سمّاه «الجامع الصغير في الحديث البشير النذير».

وله في فقه اللّغة: المزهر في علوم اللّغة؛ و«الأشباه والنظائر»؛ و«الأخبار المرويّة في سبب وضع العربيّة»؛ و«بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة».

وله في التاريخ : «بدائع الزهور في وقائع الدهور»؛ و«تاريخ الخلفاء»؛ و«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة».

وله في التراجم: «طبقات المفسّرين»؛ و«طبقات الحفّاظ».

وله في الموضوعات الجنسيّة والأدب المكشوف: «رشف الزلال من السحر الحلال»؛ و«أنيس الجليس»؛ و«كتاب الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان».

ونشر السيوطي كتاب القرطبي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م) التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، بعنوان «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور»؛ وكثيراً ما يختصر هذا العنوان فيقال: «كتاب البرزخ»؛ وثمّة مختصر له هو «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب»؛ وكتب ذيلاً له هو «البدور السافرة في أمور الآخرة». ونظّم السيوطي في حساب الميت في القبر ١٧٦ بيتاً من الرجز..

ش

الشَّابُشْتيّ (علي) (ت ٣٨٩هـ/٩٩٨م) : أديب مصري. ولاّه العزيز خزانة كتبه. من كتبه «الديارات» ذكر فيه أديار العراق والجزيرة والشام ومصر.

الشَّاذَرْوَان : لفظة أعجميّة تعني: جدار البيت الحرام، وهو الذي تُرك من عرض الأساس خارجاً، ويُسمّى تأزيراً، لأنّه كالإزار للبيت. إنّه الإفريز الخارج عن عرض جدار البيت قدر ثلثي ذراع. يمكن المشي عليه. فهو الآن بارز من جدار الكعبة. واختُلف هل هو من الكعبة أم لا؟ فذهب الحنفيّة إلى أنّه ليس من الكعبة، إنّما هو بناء وُضع أسفل جدار الكعبة إحتياطاً لدعم جدار الكعبة وتثبيته، خصوصاً لخوف السيول.

الشَّاذِلِيَّة : مدرسة التصوّف السنّي تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وهو صوفيّ مغربيّ. عاش في تونس، وتوفّي في مصر. وخلفه تلميذه أبو العبّاس المرسي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)، ثمّ تلميذ المرسي،ابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م). على هؤلاء تقوم المدرسة الشاذليّة. لم تشبْهُ شائبة من وحدة الوجود لدى ابن عربي وغيره؛ بل كان تصوّف أقرب إلى تصوّف الغزالي المتقيّد بالكتاب والسنّة. أبرز تعاليمها القول بـ «إسقاط التدبير»، ويتلخّص في خمسة أمور:

١ - تقوى الله في السرّ والعلانية؛

٢ - اتّباع السنّة في الأقوال والأفعال؛

٣ - الإعراض عن الخلق في السرّ والعلانيّة والإقبال والإدبار؛

٤ - الرضا عن الله في القليل والكثير؛

٥ - الرجوع إلى الله في السرّاء والضرّاء.

الشّاشِيّ (أبو يعقوب إسحق) (ت٣٢٥هـ/٩٣٧م) : فقيه الحنفيّة في زمانه. عاش في مصر. له كتاب «أصول الفقه».

الشّافِعيّة : مذهب فقهي، أحد المذاهب السُّنِّيَّة الأربعة. أسّسه أبو عبدالله محمّد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، الذي ولد في غزّة. فقد أباه باكراً، فخرجت به أمُّه إلى مكّة وهو رضيع، فربّته هناك في العوز والفاقة. لازم الإمامَ مالك في المدينة، ودرس عليه، وحفظ موطأه عن ظهر قلب، واستمرّ معه طوال ١٦ سنة، أي حتّى وفاته. تولّى القضاء في اليمن. ثمّ عاد إلى مكّة؛ ومنها إلى بغداد. ثمّ تحوّل إلى مصر وأقام فيها حتّى وفاته بالقسطاط. ودفن بسفح جبل المقطم..

يقول المزني: «دخلتُ على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف أصبحتَ يا أستاذ؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحِلاً، ولإخواني مفارِقاً، ولكأس المنيّة شارِباً، وعلى اللّه وارِداً، ولسوء عملي ملاقِياً. فواللّهِ! ما أدري! أروحي تصيرُ إلى الجنّة فأهنّيها، أو إلى النار فأعزّيها».

يوصف المذهب الشافعيّ بأنّه توفيقي، اتّخذ طريقاً وسطاً بين الابتكار الحرّ في الفقه وبين مذهب التقليد السائد في عصر مؤسّسه. اعتمد على القرآن، وعلى صحيح السنّة، وعلى الالتزام بالإجماع. وكان الشافعي يقول بالقياس ويعمل به. وكان أوّل مَن جمع بين أهل الأثر وأهل الرأي. هو يعدّ واضع علم «أصول الفقه» وطرائقه. تتلمذ له في العراق أحمد بن حنبل، وفي مصر يوسف بن يحيى البُوَيطي.. وانتشر مذهبه في الشام ومصر واليمن.. لقّب بـ «ناصر السنّة».

له كتاب «الأمّ» في الفروع الذي هو مجموعة من كتاباته ومحاضراته. كما له «المسند» في الحديث، و«السُّنَن»، و«الرسالة» في الأصول، و«مختصر المزني»، و«مختصر البويطي»، و«أحكام القرآن»، وغيرها.

الشّاهِد : ١ . جمع شهود. وشهادة الشاهد عبارة عن بيان يُدلي به في دعوى قانونيّة لصالح شخص ثانٍ ضد شخص ثالث، ويكون مبنيًا على معرفة دقيقة بالموضوع، ويتمّ الإدلاء به أمام القاضي بصيغة مقرّرة: «أشهد بكذا وكذا»..

٢ . يشترط في الشاهد :

١ - أن يكون على معرفة بما يتحدّث عنه وأبصره وسمعه (رَ: ٥/٨)

٢ - أن يكون مكلّفاً، أي بالغاً ومسؤولاً؛

٣ - أن يكون حرّاً؛

٤ - أن يكون مسلماً إذا كان يشهد في قضيّة ضد مسلم؛

٥ - أن يكون قادراً على المشاهدة والكلام؛

٦ - أن يكون عدلاً (رَ: ٥/١٠٥؛ ٦٥/٢)، ولا يكون قد وقع عليه حدّ القذف (رَ: ٢٤/٤)؛

٧- أن يكون من أهل المروءة، وهكذا مثلاً يُرفض الاستماع إلى شاهد يدخل الحمّام بدون إزار، أو يدمن لعب النرد؛

٨- أن يكون فوق مستوى الشبهات، فيجب مثلاً ألاّ يحقّق لنفسه ميزة من جرّاء شهادته، أو يتفادى بها أذى لنفسه، كما يجب ألاّ يكون على علاقات سيّئة بالمتّهم إذا كان يشهد ضده. كذلك لا يجوز لمن لهم حقّ الإعالة أن يشهد بعضهم على بعض، مثل الوالدين والأولاد والزوج والزوجة والسيّد والعبد.

٣ . أمّا عدد الشهود ونوعهم فكالتالي:

١ - في حالة الزنا يُشترط وجود أربعة شهود من الرجال (رَ: ٢٤/٢ وما بعدها، ٤/١٥)؛

٢ - في جميع القضايا الأخرى التي تتعلّق بالمال مثل السرقة، والقتل، والزواج والطلاق، وتحرير الرقاب.. إلخ، يتطلّب الأمر شهادة رجلين (رَ: ٢/٢٨٢ وما بعدها؛ ٥/١٠٦ وما بعدها)، وفي القضايا التي يكون النساء فيها هنّ الأكفأ (كالولادة والعيوب الجسميّة في النساء.. إلخ) يكفي أربع نساء طبقاً للمذهب الشافعي، إثنتان عند المالكيّة، وواحدة فقط في رأي الحنفيّة والزيديّة؛

٣ - في الحالات التي تتعلّق بالمال، مثل الحقوق المترتبة على العقود والعهود، أو القتل الخطأ، يُستشهد بشاهدين من الرجال، فإنْ لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان (رَ: ٢/٢٨٢ وما بعدها).

الشَّاهْنَامَه : أو كتاب الملوك. ملحمة للفِردوسيّ (ت ١٠٢٠) من ٦٠,٠٠٠ بيت شعر في أخبار ملوك فارس وأساطيرهم. أشهر أبطالها رُستَم. هي أبرز الملاحم الشرقيّة وأطول ملحمة شعريّة عالميّة. قضى مؤلّفها ثلاثين سنة في نظمها. وقدّمها للسلطان محمود الغزنويّ (ت ١٠٤٠). تبارى شعراء كثيرون في تقليدها بالفارسيّة والكرديّة والتركيّة، وترجمت إلى عدّة لغات، أشهرها الترجمة العربيّة للبنداريّ.

شَاوُل (أطلب مادّة: **طالوت**).

الشُّبْهَة : جمْعها: شُبُهات، وهي ما يشبه الثابت وليس بثابت، سواء كانت في الفاعل، كمن وطئ امرأةً ظنّها حليلَته؛ أو في المحلّ، بأن يكون للواطئ فيها ملك أو شبهة ملك كالأمة المشتركة؛ أو في الطريق، بأن يكون حراماً عند قوم حلالاً عند آخر. والأصل في ذلك قول النبيّ: «ادرءوا الحدودَ بالشُّبُهات»[1]، وفي حديث عائشة: «ادرءوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلّوا سبيلَه، فإنّ الإمام أن يخطئ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة»[2].

شَبِيْب بن يَزِيْد (ت ٧٧هـ/٦٩٦م) :زعيم خارجيّ شيبانيّ من كبار الثائرين على الأمويّين. قاوم الحجّاج طويلاً. مات غريقاً في دُجَيل.

الشَتْم : (راجع مادّة: **السبّ**).

شَجَرَة الدُّرّ (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) : زوجة الملك الصالح الأيّوبيّ، أيّوب بن محمّد، ووالدة ابنه خليل. ملكة مصر بعد وفاة زوجها واغتيال ابنه توران شاه ١٢٥٠. تزوّجت بوزيرها عزّ الدين أيبك مؤسّس دولة المماليك. ونزلت له عن السلطنة. واحتفظت بالسيطرة عليه. ثمّ تآمرت على اغتياله. فقبض عليها ابنُه عليّ وسلّمها إلى أمّه التي أمرت جواريها أن يقتلنها، فضُربت بالقباقيب والنعال فماتت.

---

(١) أخرجه السمعاني، كما في المقاصد الحسنة للسخاوي، ص ٣٠، ونُقل عن ابن حجر.

(٢) أخرجه الترمذي ٤/٣٣، ط. الحلبي، ضعّفه ابن حجر في التلخيص ٤/٥٦.

الشِّرْبِينِيّ (شمس الدين الخطيب) (ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) : فقيه شافعيّ مصريّ. من آثاره «السراج المُنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير» في التفسير، وهو لم يذكر من الأحاديث إلاّ الصحيح والحسن. ولهذا نراه يتعقّب الزمخشري والبيضاوي في ما ذكرا من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن، سورة سورة. وله أيضاً: «مُغني المُحتاج»، و«مناسك الحجّ»، وكتاب «المنهاج» وكتاب «التنبيه»، وهما شرحان عظيمان.

شُرَحْبِيل بن حَسَنَة (ت ١٨هـ/ ٦٣٩م) : صحابيّ. أحد قوّاد الجيوش الإسلاميّة في عهد الفتوحات الأولى. فتح البلقاء في فلسطين عام ١٣هـ/ ٦٣٤م.

الشَّرّ : ١ . الشرّ، عند أهل السنّة، هو الفعل العاري عن الحكمة، أي العبث؛ أو هو وضع الشيء في غير موضعه اللائق به؛ ولا يُنسب الشرُّ إلى الله، لا إلى أفعاله ولا إلى أقواله؛ لأنّ أفعاله كلّها لحكمة مقصودة؛ والشرّ مخلوق لله مفعول للعبد؛ ولمّا كان الشرّ فعلاً للعبد فيُنسب إليه ولا يُنسب إلى الله.

٢ . وعند المعتزلة، إنّ الله لا يخلق الشرّ ولا يريده، لأنّ الشرّ قبيح والله منزّه عن القبيح...

٣ . والأشاعرة يرون أنّ الشرّ والخير كليهما مخلوقان لله، لأنّ الشرّ، في رأيهم، هو فعل الغير في غير ملكه، فيما الله يفعل في ملكه ما يشاء...

٤ . أمّا عند الفلاسفة فالله لم يخلق شرًا محضاً لا خيرَ فيه؛ لأنّ حكمته تأبى ذلك؛ ولأنّه ميّزه بالخير فلا يُضاف إليه الشرّ، لا خلقاً ولا فعلاً؛ وإنّما يُضاف إلى المحلّ المنفعل به، فيكون شرًا من جهة المنفعل خيراً من جهة الفاعل[1].

الشَّرْع و الشَّرِيعَة و الشِّرْعَة : ١ . في اللغة: الطريق الظاهر الذي يوصل منه إلى الماء. يُقال: شرعت الإبل شرْعاً وشروعاً: إذا وردت الماء. والشرع في الاصطلاح: ما سنّه الله لعباده من الدين وأمرهم باتّباعه؛ والشريعة أيضاً هي

---

(١) راجع مادّة : الشرّ، د. محمد السيد الجليند، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٧٩٧-٧٩٨.

«الطريقة» المؤدّية إلى الغاية، مثل قوله: «ثمّ جَعَلْناكَ على شريعةٍ مِنَ الأمرِ فاتَّبِعْها» (١٨/٤٥)، وقوله: «لكلٍّ جَعَلْنا منكمْ شِرعَةً ومِنهاجاً» (٥/٤٨).

٢ . الشرائع السماويّة كلّها، في إيمان المسلمين، من مصدر واحد، وهو اللّه. فهي لهذا لا تختلف في أصول الدين، كوحدانيّة اللّه، ووجوب إخلاص العبادة له، والإيمان بالبعث، والجنّة، والنار، والملائكة، وغير ذلك. قال تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك. وما وصّينا به إبراهيم، وموسى، وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه» (١٣/٤٢).

٣ . لهذا لا يمكن لشرع اللّه أن يكون خاضعاً للعقل؛ أي على الإنسان أن يتقبّله كما هو، من غير نقد أو بحث، ومن دون تغيير أو تبديل. وإنّما سُمّي شريعة، لأنّه يُقصَد ويُلجَأ إليه، كما يُلجأ إلى الماء عند العطش.

٤ . ولهذا أيضاً تستمدّ الشريعة الإسلاميّة أحكامها من القرآن، والسنّة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسدّ الذرائع، والعرف، وأقوال الصحابة، وشرْعِ مَن سبق إذا لم يرد في شرعِ المسلمين ما ينسخه.

٥ . الشرائع السماويّة قد تختلف في الأحكام الفرعيّة حسب اختلاف الزمان والبيئة، وبسبب ظروف وملابسات خاصّة بأمّة من الأمم فتحرم بعض أمور على أمّة لأسباب خاصّة بها..

٦ . واختلف الفقهاء في ما إذا كان على المسلمين اتّباع ما شرّعه الأنبياء قبل محمّد.

٧ . وأفعالُ الإنسان، في ضوء الشريعة الإلهيّة، تُدرج تحت أحد «الأحكام الخمسة» التالية :

١ – الفرض أو الواجب (عمل يُثاب المرء على أدائه، ويُعاقب على تركه)؛

٢ – المندوب أو المستحبّ (أي: أعمال لا يُعاقَب المرء على تركها؛ إنّما يُثاب على القيام بها. ونقيضها الكفاية)؛

٣ – المباح أو المرخّص (أي: أعمال لا يرجى من ورائها ثواب أو عقاب)؛

٤ – المكروه (أي: أفعال، وإن كان لا يُعاقَب عليها، فهي مستنكرة)؛

٥ – الحرام أو المحظور (أي: أعمال فرض لها عقوبة).

أمّا ما تقرّه الشريعة فيُقال له «مطلوب».

٨. من خصائص الشريعة الإسلاميّة أنّها :

١ – إلهيّة المصدر؛
٢ – محفوظة عن التبديل والتغيير؛
٣ – شاملة لكلّ شؤون الحياة؛
٤ – حاكمة على تصرّفات الإنسان كلّها، وفي كلّ مجالات الحياة؛
٥ – واقعيّة تراعي كلَّ جوانب الإنسان؛
٦ – صالحة لكلّ زمان ومكان.

٩. ومن أهدافها : حفظ الضرورات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. إلى جانب مراعاتها رفع الحرج والمشقّة في مجال الحاجيّات...

١٠. وهكذا جاءت شريعة كاملة وافية بكل حاجات البشر في كلّ زمان ومكان.

الشِّرْك : ١. هو القول بوجود إله، أو آلهة مع اللّه، في ملكه، أو في صفاته، أو في أفعاله، والقول بعبادة معبودٍ آخر مع اللّه. ونقيض الشرك «التوحيد»، وهو الاعتقاد بأنّ اللّه واحد في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله.

٢. ليس في السور الأولى من القرآن، أيُّ كلام على الشرك أو المشركين؛ لأنَّ محمّداً كان يهمّه، في بدء دعوته، الكلام على فكرة الحساب والعقاب واليوم الآخِر والدينونة وعمل الصالحات لمن يريد الحياة الآخرة. وفي السور التي جاءت بعد ذلك كثيراً ما يرد ذكر المشركين.. وعلى المؤمنين أن يبتعدوا عنهم، ولا ينكحوا المشركات (٢/ ٢٢٠)..

ثمّ تبرّأ محمّد نهائيًا من المشركين، وذلك ابتداء من السنة التاسعة للهجرة (٩/٣؛ ١٥/١٤..)، ويقول بأنّ المشركين نجس (٩/٢٨)؛ وأنّ الشرك ذنبٌ لا يغفره اللّه إلاّ بالرجوع عنه والدخول في الإسلام: «إنّ اللّهَ لا يَغفِرُ أن يُشْرَكَ به، ويَغفِرُ ما دونَ ذلكَ لمن يَشاء» (٤/٤٨ و١١٦؛ ٣١/١٢).

٣ . وردت كلمة الشرك ومشتقّاتها في القرآن نحواً من ١٨٤ مرّة، فيها يجادل المشركين، ويهدّدهم بالعذاب يوم القيامة (٢٨/٦٢-٦٤)، ويؤكّد لهم أنّ معبوداتهم لا تملك لهم لا نفعاً ولا ضرًا ولن تغني عنهم شيئاً (٦/ ٩٤)، ولا تشفع لهم عند اللّه حيث قالوا: «ما نَعبُدُهم إلاّ ليُقَرِّبونا إلى اللّهِ زُلْفَى» (٣٩/٣ و٣٨؛ ١٠/٨؛ ٣٠/١٣)، كما يُنذرهم القرآن بأنّهم سيكونون هم وما يعبدون من دون اللّه وقوداً لجهنّم (٢١/٩٨..)، ويحرّم على المؤمنين الزواجَ من المشركين (٢/ ٢٢١)، ويقول بأنّ المشركين -واليهود- هم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا (٥/ ٨٢)، وبأنّه لا يحلّ للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى (٩/ ١١٣). وقد أعلن النبيّ براءته من المشركين (٩/٣).

٤ . وفي تطوّر العقائد في الإسلام، اتّسع مفهوم الشرك اتّساعاً كبيراً، حتّى إنّ بعض الفرق الإسلاميّة كانت تتّهم فرقاً إسلاميّة أخرى بالشرك: فالمعتزلة، مثلاً، كانوا يعتبرون القائلين بقدم القرآن مُشركين؛ والقائلين بصفات قديمة للّه مشركين أيضاً... وكذلك المشبِّهة الذين يجعلون للّه صفات جسمانيّة هم أيضاً مشركون؛ وكذلك النصارى الذين يقولون بالتثليث؛ والإماميّة الذين يعتبرون الأئمّة معصومين كاللّه، هم مشركون.

٥ . أمّا الوهّابيّون و«الأصوليّون» فيذهبون في تحديد الشرك إلى أبعد الحدود. فهم يرون أنّ الشركَ آفة أصابت المسلمين كلّهم، بسبب تكريمهم للأنبياء والأولياء، وتقديس القبور.. وهم، من أجل ذلك، يهاجمون أكثر أماكن الإسلام قداسة، لأنّ هذه الأماكن تُعتبر، في نظرهم، معاقل لعبادة الأوثان.

٦ . ويذهب الوهّابيون والأصوليّون بعيداً في تعيين أنواع الشرك. منها : إنّ القول بمعرفة الأنبياء للغيب، شرك؛ والقول بأنّ هناك قدرةً لأحد إلى جانب اللّه،

شرك؛ والقول بأنّ أحداً يشفع لأحد، شرك (ر: ٣٩/ ٤٥)؛ وتقديس قبر النبي، أو قبر أحد الأولياء، بالسجود، أو الطواف، أو التصدّق بالمال، أو النذر، أو الصيام، أو الحجّ إليه، أو ذكْر اسم وليّ، أو الصلاة عند قبره، أو تقبيل أحجار معيّنة، شرك؛ والاعتقاد بالعادات الخرافيّة، مثل الاستخارة والاعتقاد بالفأل والطيرة، وبأيّام السعود والنحوس، وتسمية الأشخاص باسم عبد النبي، وسؤال العرّافين، ونحو ذلك، شرك؛ و القَسَم باسم النبي، أو باسم علي، أو الأئمّة والشيوخ، شرك؛ وكلُّ تعظيم للّه يُقصد منه شيء غير اللّه، شرك؛ والعبادة التي تكون رياءً، أي بقصد نوال إعجاب الناس وتقديرهم، وكذلك الكبر وحبّ الذات، شرك؛ ومجرّد ظنّ النفس أنّها على شيء من الخير، أو أنّ لها قيمةً ما، شرك؛ وكذلك أيضاً قول المرء: أنا أعرف اللّه، شرك..

الشِّرِكَة و الشِّرْكَة : هي خلط نصيب الرجل بنصيب رجل آخر. أي: خلط النصيبَين واختلاطهما. وثمّة حديث قدسي مرويّ عن النبي: «إنّ اللّهَ يقول: أنا ثالث الشريكَين، ما لم يخنْ أحدُهما صاحبَه. فإذا خانه خرجتُ من بينهما»[1].

الشَّرِيْفُ الرَّضِيّ (محمّد بن الحسين) (ت ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) : شيعيّ، من كبار الشعراء. وُلد وتوفّي ببغداد. نقيب الأشراف الطالبيّين. له «ديوان» تغلب فيه القوّة والعذوبة والنَفَس البدويّ والجزالة. أشهر شعره «الحجازيّات»، و«الإخوانيّات». جَمَع «نهج البلاغة». وله «المجازات النبويّة».

الشَّرِيْفُ المُرْتَضَى (أبو طالب علي بن الحسين) (ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) : وُلد ببغداد. شقيق الشريف الرضيّ. أديب متكلّم. نقيب الطالبيّين. اشتهر بعلم الكلام، وبرز في اللغة والأدب والشعر. تلقّى العلم على يد الشيخ المفيد، ولازمه طوال حياته، ثمّ خلفه في رئاسة المدرسة الإثنَي عشريّة بعد وفاته. أسّس معه أصول علم الكلام على الطريقة الإثني عشريّة. وتعتبر آراؤه سجلاً كاملاً لآراء الشيعة الإماميّة. وفي كتبه حُفظتْ أقوالهم وعقائدهم.

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٦٧٧، عن أبي هُريرة، تحقيق دعّاس..

تأثّر الشريف المرتضى بالمعتزلة، وأخذ بأصولهم الخمسة، ولكنّه خالفهم في مسألتَي الإمامة والشفاعة. يُعدّ أكبر شخصيّة شيعيّة ظهرت في القرن الخامس الهجري. وتتلمذ عليه كثيرٌ من أعلام الشيعة، على رأسهم الشيخ أبو جعفر الطوسي. من آثاره: «الأمالي»، و«الشافي في الإمامة»، و«إنقاذ البشر من القضاء والقدر»، و«تنزيه الأنبياء»، وجواب الملاحدة في قدم العالم»، و«الحدود والحقائق»، و«دليل الموحِّدين»، و«غُرر الفوائد ودُرَر القلائد».

شِيسْتِر (روبرت أوف) Chester : مستشرق إنكليزيّ. اشتغل بترجمة القرآن إلى اللاتينيّة، سنة ١١٤١.

الشَّطَحَات : إصطلاح صوفيّ يعني قيام المتصوّف بأفعالٍ شخصيّة، أو مواقف جريئة، لا تجيزها الشريعة، ولا يقول بها عقلٌ واعٍ. إنّها اضطراب في النظرة إلى الله، وفي الوقوف أمامه. وبعض ما جاء عند بعض الصوفيّين يوضح لنا مدى هذا الاضطراب اللامعقول. منها هذه الأقوال :

١ . قول أبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م): «سبحاني سبحاني.. تالله إنّ لوائي أعظم من لواء محمّد.. إطاعتك لي يا ربّ أعظم من طاعتي لك.. إنّ آدم عليه السلام باع حضرة ربّه بلقمة.. إنّ جنّتك ليست إلاّ لعبة أطفال»..

٢ . وقول الحلاّج (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م): «أنا الحقّ»؛ وقوله : «إغفر لهم ولا تغفر لي»؛ وقوله: «إنّ صلاة العاشقين من الكفر»؛ وقوله شعراً :

آهِ أنا أم أنت؟ هذين إلهين ... حاشاي حاشاي من إثبات إثنين
بيني وبينك أنّي يزاحمني ... فارفع بأنّك أنّي من البينِ
أريدك لا أريدك للثواب ... ولكنّي أريدك للعقاب

٣ . وقول أبي بكر النسّاج الطوسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): «يا هادي الحيارى! زدني تحيّراً».

٤ . وقول أحمد الغزالي (ت ٥١٧هـ/ ١١٢٣م): «الله وحده هو الذي يعرف الله.. ليس هناك معلّم أشدّ إقناعاً من الطلب.. إنّ الميل إلى الجمع هو قوام

المحبوب، والميل إلى الفرق هو قوام المحبّ، سواء أكنّا نفديه بالطلب، أم كنّا نقتله بإخضاعه عند المشاهدة».

٥. وقول سهل التستري (ت ٢٨٣هـ/ ٨١٦م): «أنا الدليل على الله أواجه به أولياء زماني. إنّ للقدرة الإلهيّة سرًّا إذا كشف كان في ذلك نهاية الرسالة النبويّة».

٦. وقول الواسطي (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م): «إنّ أعمال العبادة ليست إلاّ غواشي».

٧. وقول الشبلي (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م): «أنا النقطة التي تحت الباء.. ليس في الجنّة أحد سوى الله.. ليس التصوّف في حقيقته إلاّ شركاً، لأنّه يشتغل بتصفية القلب ممّا سوى الله، إذ ليس في الوجود إلاّ الله».

٨. وقول الحرقاني (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م): «أنا أصغر من الله بعامَين.. الله وقتي» .

٩. وقول ابن أبي الخير (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): «ليس في جبّتي إلاّ الله».

١٠. وقول أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م): «ليس في الإمكان أبدع ممّا كان».

١١. وقول ابن عربي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) شعراً :

الربّ حقّ والعبد حقّ ليت شعري مَن المكلّف

إن قلت عبد فذاك ربّ أو قلت ربّي أنّى يكلّف

١٢. وقول علي الحريري (ت ٦٤٥هـ/ ١٢٦٩م): «الفقير الكامل ليس له قلب ولا ربّ».

١٣. وقول ابن سبعين (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م): «ليس إلاّ الله».

١٤. وقول عفيف التلمساني (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م): «القرآن كلّه شرك».

شَعَائِرُ اللّه : جمع شعيرة، وهي كلّ شيء للّه تعالى فيه أمر أو نهي، لقوله: «ذلكَ ومَن يُعظِّمْ شعائرَ اللّهِ فإنّهـا مِن تَقوى القلوب» (٢٢/٣٢). وقال ابن عبّاس: هي جميع مناسك الحجّ ومعالمه. وقال مجاهد: الصفا والمروة، والهَدي، والبُدْن. كلّ ذلك من الشعائر؛ وذلك لقوله: «يا أيُّها الذيـنَ آمَنوا! لا تُحِلُّوا شَعائرَ اللّهِ ولا الشهرَ الحرامَ ولا الهَدْيَ ولا القلائدَ ولا آمّينَ البيتَ الحرامَ..» (٥/٢)، أي: لا تتعدّوا حدودَ اللّه في أمرٍ مـن الأمور، ولا في شعـيرة من شـعائره، كمـا يشهـد لذلك قوله: «إنّ الصفا والمَرْوَةَ من شعائرِ اللّهِ» (٢/١٥٨)، وكـذلك قوله: «والبُدْنَ جَعَلْناها لكم من شعائرِ اللّهِ لكمْ فيها خيرٌ» (٢٢/٣٦).

الصلاة والصوم والزكـاة والحجّ ومواقيته ومنـاسكه، كالإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفـة والمزدلفة ومِنى وذبح الهدْي، وإقامة الجماعـة والجمعة والعيـدَين، والجهاد، من شـعائر اللّه، ومن أعلام طاعـته. والأذان وإقامة المسـاجد والدفاع عـن بيضة المسلمين بالجهـاد في سبـيل اللّه من شعـائر اللّه.. يجب على المسلمين إقامة شـعائر الإسلام الظاهرة، وإظهارها، فـرضاً كانت الشعيـرة أم غير فرض.. لأنّ ترْك شعائر اللّه يدلّ على التهاون في طاعة اللّه واتّباع أوامره.

شِـعَب أَبِي طَالِب : هي الموضع الذي أوى إليـه رسـول اللّه وبنو هاشم، لمّا تحـالفت قريش على بني هاشم وكـتبـوا **الصـحيـفة**، وذلك بعـد ستّ سنوات من مبعـثه.. وكان كفّـار قريش، لما رأوا هجرةَ بعض المسلمين إلى أرض الحـبشة، وأنّ أمْرَ محمّد يـفشو في القبائل، أجمعوا أمْـرَهم ومكرهم على أن لا تبايِع قريش أحداً من بني هاشم، ولا تناكحهم، ولا تعاملهم، ولا تكلّمهم؛ أو يسلّموا إليهم رسولَ اللّه ليقتلوه، وكتبـوا بذلك صحيفة، ختمتْ بأربعين خاتماً، وعلّقـوها في جوف الكعبة.. وانتهى الحصارُ بعد ثِلاث سنين بأن نصر اللّه بني هاشم ومحمّداً[١].

شَعْبَان : الشهر الثامن من الشهور الـقمريّة. يقع بين رجَب ورمضـان. عدد أيّامه ٢٩ يوماً. قيل: إنّ سبب تسميته بذلك لأنّ الناس يتـشعّبون فيه، أي يتفرّقون،

---

(١) راجع: شِعب أبي طالب، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ٨١٠-٨١١.

طلباً للمياه.. ويوم الثلاثين من شعبان يُسمّى «يوم الشكّ». وسبب التسمية يرجع إلى عدم تحقّق الناس أنّه آخر شهر شعبان، أو أوّل شهر رمضان.

الشِّعْر : قال النبي: «لأن يمتلئ جوفُ أحدكم قَيحاً خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْراً»[1]. وهو أيضاً موقف القرآن من الشعر والشعراء. فـ «الشعراء يتبعهم الغاوون» (٢٦/ ٢٢٤)؛ والشعر «وما علّمناه الشعرَ. وما ينبغي له» (٣٦/ ١٩). واتّهم محمّد بأنّه «شاعر مجنون» (٣٧/ ٣٦). وكان يدافع عن نفسه وعن القرآن بأنّه ليس بشاعر ولا القرآن أيضاً بقول شاعر (٦٩/ ٤١). والسبب في ذلك هو ألاّ يختلط قول اللّه في القرآن بأقوال الشعراء، فكلاهما يقارب الفصاحة والبلاغة.

الشُّعُوبِيَّة : نزعة عرقيّة يقول أصحابها بتفضيل الشعوب غير العربيّة على العرب، مع الحطّ من قدرهم. وقد ظهرت في أوائل العصر العباسي على يد الفرس. وساد على ذلك أنّ الدولة العبّاسيّة قامت بسيوف فارسيّة، وأنّ مفكّري الفرس اهتمّوا بالتفوّق في مجالات الأدب والشعر والتفسير والفكر، وذلك ضمن لهم التفوّق في المجال السياسي والفكري، فأصبح الخلفاء يعترفون بفضلهم، وأصبح منهم العديد من الوزراء والأدباء والسفراء والمفسّرين والمؤرّخين.

وكان الشاعران «بشّار بن برد» و «أبو نوّاس» من القائلين بالشعوبيّة، وبنوع خاصّ، بفضل الفرس. وكلاهما من أصل غير عربي. وقد تصدّى للردّ على الشعوبيّين إبن قتيبة، والجاحظ، والصاحب بن عباد، وغيرهم...

غير أنّ الإسلام، في الأصل، لا يفرّق بين شعب وشعب؛ بل يدعو إلى المساواة، ويرى أنّه «لا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لأعجميّ على عربيّ إلاّ بالتقوى». فبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، كانوا من خيرة الصحابة. وعندما غضب أبو ذرّ الغفاري على عبدٍ له ودعاه بابن السوداء، صاح به رسول اللّه: «إنّك امرؤ فيكَ جاهليّة. ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضلٌ إلاّ بعملٍ صالحٍ».

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٥٤٨، من حديث ابن عمر.

هذا وإنّ القرآن ينظر إلى الناس من حيث تقواهم وأعمالهم لا من حيث الأصول والألوان. قال: «يا أيُّها الناس! إنّا خَلَقناكم مِن ذَكَرٍ وأنثى، وجَعَلْناكم شُعوباً وقبائلَ لتَعارَفوا. إنَّ أكرَمكم عند اللّهِ أتقاكُم» (٤٩/١٣).

شُعَيْب : نبيّ مَدْيَن، ذكرَ القرآنُ اسمَه ١١ مرّة[1]. جاء في (١١/٩١) أنّه أُرسل بعد هود وصالح ولوط. وجاء في (٢٦/١٧٦-١٨٩) أنّه أرسل إلى أصحاب الأيكة الذين ورد ذكرهم أيضاً في (٥٠/١٣)، وفي (١٥/٧٨)، وفي (٣٨/١٢). ويظهر شعيب في سور من الفترة المكّيّة المتأخّرة (١١/ ٨٥-٩٨؛ ٢٩/ ٣٥...؛ ٧/ ٨٥-٩١) بين أهل مدين أخاً لهم...

لم يكتف شعيب بأن دعا إلى التوحيد؛ بل حثّ قومَه بصفة خاصّة على القسط في الميزان والكيلة؛ لكنّ وجوهَ القوم أنكروا مقالته، وهدّدوه بالطرد هو وأتباعه. وقد كان شعيب ضعيفاً في قومه، ولولا رهطه لرجموه (١١/٩٣). وأدركتهم زلازل عقاباً لهم، فقضت عليهم في بيوتهم.

الشِّغَار : نكاح كان في الجاهليّة، وهو أن يزوّج كلُّ واحد صاحبَه امرأةً بشرط أن يزوِّجَه أخرى بغير مَهْر..)رَ: مادّة **النكاح**).

الشَّفَاعَة : ١ . لغةً: من الشَّفْع (أي: الزوج) الذي هو ضد الوِتْر (أي: الفرد)؛ كأنّ صاحبَ الحاجة كان فرداً فصارَ له شفعاً، أي صارا زوجاً؛ واصطلاحاً: هي سؤال المؤمنِ أحدَ الأنبياء أو أحدَ الأولياء ليساعده في الطلب إلى اللّه ليتجاوز عن ذنوبه، أو ليهبه ما يحتاجه، إذا ما رأى اللّهُ في ذلك فائدةً للمؤمن.

٢ . والسؤال الكبير : هل في عبادةِ المسلم ذكرٌ لغير اللّه؟ هل يُصلّي المسلم، أو يتعبّد، أو يقدّم النّذور، لغير اللّه؟ وبتعبير آخر: هل من شفاعةٍ في الإسلام؟ أو وساطةٍ لملاكٍ أو نبيٍّ أو وليٍّ عند اللّهِ من أجل المسلمين المؤمنين المذنبين مرتكبي الكبائر قبل التوبة؟

---

(١) في: ٧/ ٨٥ و٨٨ و٩٠ و٩٢ (مرّتين)؛ ١١/ ٨٤ و٨٧ و٩١ و٩٤؛ ٢٦/١٧٧؛ ٢٩/ ٣٦.

من المؤكّد أنْ لا عبادة في الإسلام لغير الله. وإنْ وُجدتْ فهي شركٌ وكفر. وبالتالي، ليس في الإسلام "شفاعة"، أو "وساطة". وأيضاً، لا كنيسة، ولا كهنوت، ولا أسرار كوسائل فعّالة للخلاص، كما هو الحال عند المسيحيّين.

٣ . ولكن، فلنسارعْ إلى القول بأنّ أهلَ السنّة يقولون بشفاعة النّبيّ محمّد وحدَه. والشفاعة هي خصوصيّة اختصّ اللّهُ بها نبيَّه محمّداً دون سائر الأنبياء والرسل. قال: «أُعطيتُ خمساً لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء: أُحلّتْ لي الغنائم ولم تُحلّ لنبيٍّ قبلي؛ وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وتربتُها طهوراً فأيّما امرؤ أدركتْه الصلاة فليصلِّ؛ ونُصرتُ بالرعب؛ وأُعْطيتُ الشَّفَاعة؛ وكان كلّ نبيّ يُبعثُ إلى قومه خاصّةً وبُعثتُ إلى الناس عامّة»[1]. والمسلمون الشيعة يقولون بشفاعة النّبيّ والأئمّة من أهل البيت. أمّا المعتزلة والفلاسفة فينكرونها إنكاراً شديداً.

إلاّ أنّ القرآن فتارةً ينكر الشفاعة، وطوراً يثبتها:

٤ . في القرآن آيات عديدة ترفض الشفاعة، مثل قوله: «ما لكم من دون اللّه من أولياء» (١١/١١٣؛ ٧/٣)؛ وقوله: «ولا يُغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتّخذوا من دون اللّه أولياء» (٤٥/١٠)؛ وقوله: «وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون اللّه» (٤٢/٤٦)؛ وقوله: «أم اتّخذوا من دونه أولياء فاللّه هو الوليّ» (٤٢/٩).

وأكثر الآيات رفضاً ما جاء في سورة البقرة: «واتّقُوا يوماً لا تَجْزِي نَفسٌ عن نفْسٍ شَيئاً. ولا يُقْبَلُ منها شَفاعَةٌ. ولا يُؤْخَذُ منها عَدْلٌ (أي فدية). ولا هُم يُنْصَرونَ» (٢/٤٨). ومعنى ذلك أنّ يومَ القيامة لا تنوبُ نفسٌ عن نفس شيئاً، ولا تحمل عنها شيئاً ممّا أصابها؛ «ولا تَكسِبُ كلُّ نفسٍ إلاّ علَيها. ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرى»[2]؛ أي: إنّ النّفوسَ تُجازَى بأعمالها إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ؛ وإنّه لا يُحمَلُ من خطيئة أحد على أحد. وهذا مِن عدلِه تعالى كما قال: « وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى

---

(١) راجع : البخاري، كتاب الصلاة، باب ٥٦.

(٢) أنظر: ٦/١٦٤؛ ١٧/١٥؛ ٣٥/١٨؛ ٣٩/٧؛ ٥٣/٣٨.

حِمْلِها لا يُحْمَلْ منه شيءٌ ولو كان ذا قُربَى» (١٨/٣٥). وقد أخبر اللّه تعالى: أنّه ليس يومئذٍ خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ (٢/ ٢٥٤)؛ وأنّه لا أنسابَ بينهم (٢٣/ ١٠١)؛ وإنّما المرء يَفِرُّ من أخيه وأمِّه وأبيه وقرابته (٨٠/ ٣٤).

والحكمة من رفض الشفاعة هي أن لا نصرةَ للإنسان ولا فديةَ ولا إستدراك ولا خلاصَ له بعمله وطاعته. لهذا قال: «كلُّ نَفسٍ بما كَسَبَتْ رَهينَةٌ» (٣٨/٧٤)؛ و«كلّ امرئ بما كسبَ رهين» (٥٢/ ٢١).

وثمّة آياتٌ أخرى عديدة ترفض التوسّط إلى أحدٍ غيرِ اللّه، ترفض الشفاعةَ رفضاً قاطعاً؛ وتجعل العلاقة مع اللّه مباشرةً. فهو هو الحسيب الرقيب المجازي المنتقم لا سواه. قال: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين»[٣]؛ وقال: «وإنّ الفجّار لَفي جحيم، يَصلَونَها يومَ الدّين، وما هم عنها بغائبين» (١٦/٨٢)؛ أي: لا يشفع بهم أحدٌ ليُخرجَهم من الجحيم. فهم فيها حاضرون. لا يغيبون عنها أبداً.

وثمّة منطقٌ آخر يرفض الشفاعة. يقول: لا وسيط بين اللّه والنّاس. فلا ملاكٌ نزلَ من عند اللّه؛ ولا اللّهُ ظهرَ للنّاس فانكشف لهم بتجسّدٍ ما؛ ولا كلّف اللّهُ فرداً أو جماعةً تنوب عنه؛ كما هي الحالُ في المسيحيّة، والدّرزيّة، والإماميّة.

٥ ـ أمّا الآيات التي تجيز الشفاعة فهي أيضاً كثيرة، كقول اللّه لمحمّد: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (٤٧/ ١٩)؛ دلّت الآية على أنّ اللّهَ أمر محمّداً بأن يلتمسَ منه غفراناً لكلّ المؤمنين والمؤمنات.. فأجمع أهل السنّة على وقوع الشفاعة في الآخرة ووجب الإيمان بها، لقوله: «يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلاّ مَن أذن له الرحمن ورضي له قولاً» (٢٠/ ١٠٩)، وقوله: «ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى» (٢١/ ٢٨)..

---

(٣) سورة ٧٤/ ٤٨. أنظر أيضاً قوله: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع» (٤٠/ ١٨)؛ وقوله: «من قبلِ أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلّةٌ ولا شفاعةٌ» (٢/ ٢٥٤)؛ وقوله: «وما للظالمين من أنصار» (٢/ ٢٧٠)؛ وقوله: «ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى» اللّهُ عليه، والفاسق ليس بمرتَضى عند اللّه (٢١/ ٢٨).

وجاء في حديث الشفاعة: «يقول اللّه عزّ وجلّ: شفعتِ الملائكة، وشفع النبيّون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلاّ أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط.. إلخ.»[٤].

أمّا قول النبيّ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»، أي إنّ شفاعة النّبيّ تطال المسلمين المؤمنين المذنبين، مرتكبي الكبائر قبل التوبة، المستحقّين للعقاب في اليوم الأخير؛ فهذا يعني أنّ غير المسلمين لا شفاعة لهم؛ وأنّ الكفّارَ من المسلمين أيضاً لا شفاعة لهم؛ وأنّ المسلمين المؤمنين الّذين لا ذنب عليهم لا يحتاجون إلى شفاعة؛ وأنّ مرتكبي الصغائر من المسلمين المؤمنين ليسوا بحاجة إلى شفاعة؛ وأنّ مرتكبي الكبائر إذا تابوا فلا يحتاجون إلى شفاعة؛ وأنّ مرتكبي الكبائر الذين لا تكليف عليهم هم أيضاً ليسوا بحاجة إلى شفاعة. يبقى فقط مَن ارتكبَ الكبائرَ وهم لم يتوبوا عليها. هؤلاء هم أهلٌ لشفاعة النّبيّ.

٦. ولكن، ما هي حقيقة إيمان المسلمين ونظرتهم إلى الشفاعة، أو الوساطة؟ قبل معرفة ذلك، علينا أن نوضح ما يلي:

٧. مِن غير المقبول أن يتوجّه المسلمُ في صلاته إلى غير اللّه. والشركُ الّذي يرفضه القرآن لا يعني، في حقيقته، إشراكَ غير اللّه مع اللّه بالألوهة فحسب؛ بل هو إشراك غير اللّه مع اللّه بالعبادة أيضاً. أي إنّ المرفوض هو التوجّه بالعبادة لمن هم دون اللّه، ليكونوا وسطاء بين المؤمن واللّه. لهذا جاء في القرآن على لسان مشركي مكّة قولهم: "ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى اللّه زُلفى" (٣٩/٣). والزلفى القربى. هذا يعني أن ليس غير اللّه يستحقّ العبادة. فهو وحده الّذي يلجأ المسلمُ إليه، بدون وسيط، أو شفيع.

٨. إله الإسلام، كما يشدّد عليه القرآن، إله واحد، أحد، صمد (رَ: ١١٢/٢)، أي: إله بعيد، متعالٍ، مغلق على ذاته، يستغني عن مخلوقاته، ولا يرغب في شيء. لا تحرّكه عاطفة، لا في ذاته، ولا باتّجاه غيره. إنّه ممتنع على الآخرين، لا

---

(٤) أخرجه مسلم ١/ ١٧٠، ط. الحلبي، من حديث أبي سعيد الخدري.

يُدرَكُ .لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ. ولا يستطيع أن يعتني بمخلوق، على حدّ قول الفلاسفة وأهل الاعتزال، لئلاّ يتعامل مع النّاقص. وحاشاه من ذلك. فمن غير المقبول، إذاً، أن تكون أيّةُ علاقةِ محبّةٍ بين اللّه والبشر.

٨ . ثمّ إنّ اللّه، بنظر المسلمين، لا يمكن أن يكون "أباً". والمسلمون يرفضون أبوّةَ اللّهِ هذه رفضاً قاطعاً: ١- لأنّها لا ترد في القرآن إطلاقاً؛ ٢- لأنّها لا تكون من دون صاحبة؛ ٣- لأنّ في الأبوّة نَسَباً ما. واللّه لا نَسبَ له. يقول أحمد زكي: "مَن من البشر يستطيع أن يشطب إسمَ اللّه ليضع مكانه إسم الأب... إلاّ الشيطان!"[٥]. وفي مكان آخر يقول: "اللّه ليس أباً لأحد.. بل لم يكن إسمه أباً في يوم من الأيام"[٦]. ويوضح: "هذا قلّة أدب مع اللّه. فضلاً عن كونه كفر بواح (كذا) وجريمة لا تُغتفر... إنّ في ذلك أكبر تجديف على اللّه"[٧].

٩ . ومع هذا كلّه، نتساءل: ما دور الملائكة الّذين يعترف القرآن بوجودهم؟ وهل هم موجودون ليتدخّل واحدٌ منهم فقط مع النّبيّين؟ ولا دور لهم آخر؟ وأيضاً، ما دور مريم التي يجلّها القرآنُ ويكرّمها؟ وما دور عيسى الذي هو أقرب المقرّبين إلى اللّه؟ وقد أعطاه اللّه القدرة على شفاء المرضى، وإقامة الموتى؛ وذلك، طبعًا، محبّةً ورحمةً بالإنسان... ثمّ ما دور النّبيّين السابقين الّذين يعترف محمّد بنبوّتهم ورسالتهم؟.. هؤلاء جميعهم جزءٌ من إيمان المسلمين. لكن، لِمَ هم وليس لهم مع المسلم أيُّ دور؟ ولا أحد يُصلّي لهم. لا احتفال دينيّ يُقام لذكراهم. ولا عيد لهم يُكرَّمون فيه. وبالتالي، لا وساطة لهم بين اللّه والإنسان. وجودهم وعدم وجودهم سيّان. فالمسلم يستغني عنهم، لأنّه يتوجّه مباشرة إلى اللّه!؟

الشُّفْعَة : عن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «إذا قُسِّمَتِ الأرضُ وَحُدَّتْ، فلا شفعة فيها»[١]؛ وفي معناه حديث جابر: «قضى النبيُّ بالشفعة في كلّ ما لم

---

(٥) أحمد زكي، أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، بيروت ١٩٩٥؛ ص ١٦٦.

(٦) المرجع السابق نفسه، صفحة ٨٢

(٧) المرجع نفسه، ص ١٧٩. أنظر: "نزعنا القناع"، ج. قزّي، نسبيه ١٩٩٧؛ ص ١٤٤ و١٤٦.

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٧٨٥؛ الشوكاني في نيل الأوطار ٥/ ٣٣١.

يقسم. فإذا وقعتِ الحدود، وصُرفت الطرق، فلا شفعة»[٢].

شِقّ (ت نحو ٥٧٣م) : عُرِف باليشكري. كان أشهر كاهن في زمانه هو **سطيح** . وقد فسّر حلماً رآه ربيعة بن نصر أمير اليمن اللّخمي، فتنبّأ له بغزو الأحباش لليمن، وتحريرها على يد ابن ذي يزن وظهور النبيّ عليه السلام. كان بيدٍ واحدة، ورجلٍ واحدة، وعينٍ واحدة. وكان أيضاً من المعمِّرين.

شَقِيْقُ البَلْخِيّ (ت ١٩٤هـ/ ٨١٠م) : زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان. كان من كبار المجاهدين. استشهد في غزوة كولان بما وراء النّهر.

الشُكْر : الاعتراف بالمعروف المسدى إليك ونشره والثناء على فاعله. ولا يكون إلاّ في مقابلة معروف ونعمة. والشكر هو الحمد، إلاّ أنّ الحمد أعمّ من الشكر من جهة أنّ الشكر لا يكون إلاّ على نعمة أسداها المشكور إلى الشاكر خاصّة؛ والحمد يكون في مقابلة الإنعام على الشاكر أو غيره، ويكون في غير مقابلة نعمة أصلاً، بل لمجرّد اتّصاف المحمود بالأوصاف الحسنة والفضائل...

الشَكّ : نقيض اليقين. يُقال: شكّ في الأمر وتشكّك إذا تردّد فيه بين شيئين، سواء استوى طرفاه أو رجح أحدُهما على الآخر. قال تعالى: «فإنْ كنتَ في شكٍّ ممّا أنْزَلْنا إليك» (١٠/ ٩٤). والقاعدة الفقهيّة، التي تدخل في جميع أبواب الفقه هي: «الشكّ لا يزيل اليقين»، أو «اليقين لا يزول بالشكّ»، أو «لا شكّ مع اليقين».

الشَّنْفَرَى (ثابت بن أوس الأزدي) (أوائل القرن ٦م) : من شعراء الجاهليّة الصعاليك. يمنيّ الأصل. له «لاميّة العرب»، ومطلعها: «أقيموا بني أمّي صدورَ مَطيِّكم فإنّي إلى قومٍ سواكم لا أميلُ».

الشَّهَادَة : لها معانٍ مختلفة ومتعدّدة : تعني:

١ . التوحيد، أي شهادة ألاّ إله إلاّ اللّه؛ وحين تُذكر بصيغة التثنية، أي الشهادتَين، فإنّها تعني: أشهد أن لا إله اللّه وأشهد أنّ محمّداً رسول اللّه. وهي

---

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/ ٤٣٦.

بذلك باب الدخول إلى الإسلام. وقد ورد هذا المعنى في قوله: «قلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً؟ قلِ اللّهُ شهيدٌ بيني وبينكم» (٦/١٩)، أي أنّ أعظم شهادة في إثبات إنّي رسول اللّه أنّ اللّه شهيد على ذلك.

٢ . العلم بالغيب والشهادة صفة خصّ اللّه بها نفسَه، فهو وحده «عالم الغيب والشهادة» (٦/٧٣؛ ٩/٩٤؛ ٢٣/٩٢).

٣ . الملائكة وأولو العلم يشهدون مع اللّه أنّه «لا إلهَ إلاّ هُوَ، وأنَّ الدِّينَ عند اللّه الإسلام» (٣/١٨-١٩).

٤ . وأداء الشهادة واجب في الإسلام؛ بل إنّ أداءَها أقرب إلى أن يكون فرضاً منه أن يكون واجباً؛ ففي أدائها إنصاف المظلوم، مثلما أنّها تثبّت الحقوق لأصحابها: «ومَن أظلَمُ ممَّن كتمَ شهادةً عنده من اللّه؟ وما اللّهُ بغافلٍ عمّا تَعملون» (٢/١٤٠)؛ ويقول: «ولا تكتموا الشهادةَ. ومَن يكتمْها فإنّه آثِمٌ قلبُهُ» (٢/٢٨٣).

٥ . وتحتلّ شهادة «الوصيّة» مكانة متينة في مجتمع المسلمين من منطلق أنّ الوصيّة واجبة التنفيذ: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! شهادةُ بينِكُمْ إذا حضرَ أحدَكُمُ الموتُ حِينَ الوَصيَّةِ إثنانِ ذَوَا عَدْلٍ منكم.. ولا نكتُمُ شهادةَ اللّهِ. إنَّا إذاً لَمِنَ الآثِمِينَ» (٥/١٠٦).

٦ . وردَّ رسولُ اللّه شهادةَ الخائن والخائنة والزاني والزانية وذي الغمر على أخيه، أي ذي الشحناء. قال: «لا تجوز شهادة خائنٍ ولا زانٍ ولا زانية، ولا ذي غمرٍ على أخيه»[1].

٧ . ومن الذين ينطبق عليهم الاستثناء في أداء الشهادة كاملة النساء، ذلك أنّ «شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل» (٢/٢٨٢)..

٨ . ومن القضايا التي تنال اهتمام المسلمين كلّ عام رؤية هلال شهر رمضان التي لا تصحّ إلاّ بالشهادة، أي بالحضور والرؤية بالعين، فإنّ رسول اللّه

---

(١) سنن أبي داود، باب من تردّ شهادته، كتاب الأقضية، ٣٦٠٠.

يقول: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». والـرؤية تحتاج إلى شهادة من مسلمَين بالغَين سليمَي الأبصار.

٩ . إلى ما هنالك من أمور يُطلق عليها لفظ «الـشهادة»، مثل شهادة الزواج، وشهادة توكيل العروس لمن اختارته وكيلاً لها في إتمام إجراءات الزواج، وشهادة الميلاد، والوفاة، والملكيّة، وإبراء الذمّة، وحسن السلوك، وشهادة النسب الشريف، والشهادات المدرسيّة.. «والحقّ أنّ مصطلح التسمية في تلك الأمثلة ينبغي أن يتغيّر، وأن تستعمل التسمية التي تدلّ على حقيقة هذه الحالات، وهي الوثيقة»[٢].

١٠ . يختلف عدد الشهود في الشهادات بحسب الموضوع المشهود به:

١- من الشهادات ما لا يُقبل فيه أقلّ من أربعة رجال، لا امرأة بينهم، وذلك في الزنا (رَ: ٢٤/ ٤ و ١٣؛ ١/ ١٥)؛

٢- إذا ادّعى مَن عُرف بغنًى أنّه فقير لأخذ زكاة، فلا بدّ من شهادة ثلاثة رجال يشهدون له؛

٣- ومنها ما يُقبل فيه شاهدان لا امرأة فيهما، وهو ما سوى الزنى، كحدّ القطع في السرقة، وحدّ الحرابة، وحدّ الجلد في الخمر..

١١ . وذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ ما يطّلع عليه الرجال غالباً، ممّا ليس بمالٍ (كالبيع، والإقالة، والحوالة، والضمان، والحقوق الماليّة، كالخيار، والأجل وغير ذلك)، ولا يُقصد منه مال، كالنكاح[٣]، والطلاق، والرجعة (رَ: ٦٥/ ٢)، والإيلاء، والظهار، والنسب، والإسلام، والردّة، والجرح، والتعديل، والموت، والإعسار، والوكالة، والوصاية (رَ: ٥/ ١٠٦)، والشهادة على الشهادة، ونحو ذلك، فإنّه يثبت عندهم بشهادة شاهدَين لا امرأة فيهما[٤].

---

(٢) راجع مادّة: الشهادة، د. مصطفى الشكعة، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٨٢٠-٨٢٣.

(٣) رَ: حديث عائشة: «لا نكاح إلاّ بوليّ وشاهدَي عدل»، أخرجه البيهقي ٧/ ١٢٥.

(٤) الشرح الكبير ١٢/ ٨٤؛ تبصرة الحكّام ١/ ٢٦٥؛ روضة الطالبين للنووي ١١/ ٢٥٣؛ المغني ١٢/ ٦.

١٢ . ومن الشهـادات ما تُقبل فيـه شهادة النســاء منفردات، وهو الولادة، والاستهـلال، والرضـاع، وما لا يجـوز أن يطّلع عليه الرجال الأجانب من الـعيوب المســتورة.. ومنهـا ما تقـبل فيه شــهادة شــاهد واحد، كـما في إثبـات رؤية هلال رمضــان.. ويرى المالكيّة والحنابلة أنّه تُقـبل شهادة الطبـيب الواحد في الشــجاج والبيطار في عيوب الدواب..

١٣ . ذهب جمــهور الفقــهاء إلى أنّه لا يحلّ للشاهد أخْـذ الأجرة على أدائه الشهادة إذا تعـيّنت عليه؛ لأنّ إقامتها فـرْض، لقوله تعالى: «وأقيمـوا الشـهادةَ للّه» (٢/٦٥). أمّا إذا لم تتعيّن عليه، وكان محتاجاً، وأداؤها يستدعي ترك عمله وتحمّل المشقّـة، فذهب جمــهور الفـقهاء إلى عـدم جواز أخْذ الأجـرة عليهـا، لكن له أجرة الركوب إلى موضع الأداء، لقـوله تعالى: «ولا يضار كاتب ولا شــهيد» (٢/٢٨٢). وذهب بعض الشافعـيّة والحنابلة إلى الجواز، وذلك لأنّ إنفاق الإنســان على عياله فرْض عين، والشــهادة فرْض كـفاية، فلا يشــتغل عن فرض العين بفـرض الكفاية. فإذا أخذَ الرزق جمع بين الأمرَين.

شَهَادَةُ الزُّور : من الكبائر، لقـول النبي: «ألا أنبئكم بأكبـر الكبائر (ثلاثاً)؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه. قال: الإشراك باللّه، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متّكئاً، فقــال: وقول الزور. فـما زال يكرّرها حـتّى قلنا: ليتّـه يسكت»[5]، ولأنّ فيـها رفع العدل وتحقيق الجور. وهي عند الفقهـاء: الشهادة بالكذب ليتوصّل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخْذ مال، أو تحليل حرام، أو تحـريم حلال.. وقد نهى اللّه عنها مع نهيـه عن الأوثان، فقال: «فاجـتنبوا الرجسَ من الأوثان. واجتنبـوا قولَ الزّور» (٢٢/ ٣٠–٣١)، لأنّ هذه الكبـيرة يتـعـدّى ضررُها إلى العـبـاد بإتلاف أنفســهم وأعراضـهم وأموالهم.

الشَّهْر : قال تعالى: «إنّ عدّة الشهور عند اللّه اثنا عـشر شـهراً في كتاب اللّه يوم خلق السـموات والأرض» (٩/٣٦)، وهي: مُـحَرَّم (٣٠ يومـاً)، صَفَـر (٢٩)،

---

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ٥/٢٦١، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٩١، ط. الحلبي.

ربيع الأوّل (٣٠)، ربيع الثاني (٢٩)، جُمادى الأُولى (٣٠)، جُمادى الآخِرة (٢٩)، رَجَب (٣٠)، شَعبان (٢٩)، رَمَضان (٣٠)، شَوَّال (٢٩)، ذو القِعْدَة (٣٠)، ذو الحِجّة (٢٩).

وتكمّل الآية: «منها أربعة حرم» (٩/ ٣٦).. وهي: ذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم، ورَجب، ثلاثة سَرْدٌ وواحدٌ فَرْد. سُمّيت الحُرُم لأنّ العرب كانت لا تستحلّ بها القتال.. وأشهر الحجّ، وهي: شوّال، وذو القعدة، وعشرة أيّام من ذي الحجّة. وشهر الصيام، وهو: رمضان.

الشَّهْرَسْتَانِيّ (أبو الفتح محمّد) (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): ولد في شهرستان من أعمال خراسان. وهو من أتباع مذهب الأشعري. واستقرّ، بعد رحلات إلى نيسابور ومكّة وغيرهما، في مسقط رأسه. وتوفّي به. متكلّم من فلاسفة الإسلام ومؤرّخي الأديان والمذاهب. اشتهر بكتابه «المِلَل والنِحَل»، استعرض فيه المذاهب الدينيّة والفلسفيّة، متّسِماً بالنزاهة والبعد عن التحيّز.

وأهم أجزاء «الملل والنحل» تلك التي تتناول المعتزلة، والشيعة، والثانويّة، والصابئة. والشهرستاني من أهم المصادر التي نرجع إليها عن المعتزلة.. ومقالته عن الأشعري ومذهبه التي حدّدت آراء أهل السنّة في الإسلام ذات شأن. وكذلك كانت مقالاته عن الشيعة والخوارج والمرجئة، الذين انشعبوا فرقاً متعدّدة سياسيّة الطابع اختلفت في نظريّة الإمامة، عظيمة الأهمّيّة. ولكن الشهرستاني جنح إلى الإيجاز في حديثه عن الإسماعيليّة والباطنيّة. ويصدق هذا أيضاً على حديثه عن اليهود. أمّا النصارى فقد كان يعرف من مذاهبهم الفرق الثلاث الكبرى.

وله أيضاً: «نهاية الإقدام في علم الكلام»؛ و«الإرشاد إلى عقائد العباد»؛ و«تلخيص الأقسام إلى مذاهب الأنام»؛ و«مصارعات الفلاسفة»؛ و«تاريخ الحكماء»؛ و«المبدأ والمَعاد»؛ و«تفسير سورة يوسف»؛ و«المناهج»؛ و«البيّنات»؛ و«كتاب المضارعة»..

الشَّهِيْد: ١ . هو المقتول في سبيل الله. والجمع: شهداء. قال ابن الأنباري:

سمّي الشهيد شهيداً لأنّ اللّه وملائكته شهدوا له بالجنّة. وقيل: لأنّه يكون شهيداً على الناس بأعمالهم. والشهيد في اصطلاح الفقهاء: مَن مات من المسلمين في قتال الكفّار وبسببه.

٢ . كثيراً ما ترد في القرآن بمعناها الأصلي، وهو **الشاهد**، وجمْعها شهود[١]. وكثيراً ما ترد كلمة شهيد في الكلام عن اللّه، مثل قوله: «واللّهُ شهيدٌ على ما تعلمون» (٣/٩٨)، وقوله: «وأنت على كلّ شيء شهيد» (٥/١١٧). ومن هنا صار إسم شهيد من أسماء اللّه الحسنى.

٣ . ولكن، ليس في القرآن شواهد على أنّ كلمة «شهيد» لها معنى مَن يشهد للّه بدمه، أو يموت شهيداً. وإنّما حاول المفسِّرون المتأخِّرون أن يستخرجوا هذا المعنى من قوله: «وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ والرسولَ فأولئكَ مَعَ الذينَ أنعمَ اللّهُ عليهِمْ مِنَ النّبيّينَ والصِدِّقِينَ والشُّهَداءِ (القتلى في سبيل اللّه)[٢] والصَّالحِينَ. وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً (أي رفقاء في الجنّة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرّهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم)» (٤/٦٩).

٤ . للشهيد منزلة عالية عند اللّه، يشهد بها القرآن، منها قوله تعالى: «ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل اللّه أمواتاً، بل أحياءً عند ربّهم يُرزقون، فرحين بما آتاهم اللّهُ من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمةٍ من اللّه وفضل. وأنّ اللّه لا يضيع أجر المؤمنين» (٣/١٧٠-١٧١)؛ وقوله: «فليقاتل في سبيل اللّه الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة. ومن يقاتل في سبيل اللّه فيُقتل أو يُغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً» (٤/٧٤).

٥ . وروى أنس بن مالك عن النبي، قال: «ما أحد يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلاّ الشهيد يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا

---

(١) ر: ٢/١٣٣ و١٤٣؛ ٢٤/٦؛ ٥٠/٢١.
(٢) تفسير الجلالين على ٤/٦٩.

فيُـقتل عـشر مرّات لما يَرى مـن الكرامة»[٣]. وهو، لموته في سبـيل الله، ينجو من سـؤال منكر ونكيـر في القبـر؛ ولا يقف عند البـرزخ؛ وينال أعلى درجـات الجنّة؛ ويكون قريباً من العرش. وقد رأى النبيّ محمّد، كما في حديث له، أنّ أجمل دار في الجنّة هي دار الشهداء. وفي يوم القيامة، ستكون الجراح التي أصابت الشهداء في جهـادهم مضيـئةً، ورائحـتها كـالمسك. ولا أحد من أهل الجنّة يتـمنّى أن يعود إلى الدنيا إلاّ الشهيد؛ لأنّه، لِمَا ينالُه من أنواع النعـيم في الجنّة، يتمنّى لو يُقتل في سبيل الله عشرات المرّات. والشهـداء تُغفر لهم كلُّ ذنوبهم، فلا يحتاجـون لشفاعة النبيّ؛ بل هم يُصبحون شفعاءَ لغيرهم.

٦. وفي حديث آخر: «للشهيد عند الله سبع خصـال:

١ – يُغفر له في أوّل دفعة؛

٢ – ويَرى مقعده من الجنّة؛

٣ – ويجار من عذاب القبر؛

٤ – ويأمن من الفزع الأكبر؛

٥ – ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها؛

٦ – ويُزوَّج اثنتَين وسبعين زوجة من الحور؛

٧ – ويَشفع في سبعين من أقاربه»[٤].

٧. ونظراً إلى أنّ الشـهادة تطهّـر الشهـداء، فإنّهم لا يجـوز غسلُهم قـبل دفنهم. وقبـر الشهيد يُعـدّ مشهداً، ينال تعـظيم الأتقياء، ويصبح مـزاراً يُحجّ إليه؛ لقول الـنبيّ في شهـداء أُحد: «زمِّلوهم بكُلُومـهم ودمائهم ولا تغـسلوهم»[٥].. أمّا الصلاة عليه فيرى الحنفيّة وجوبَها.. أمّا الشـافعيّة فيحرِّمون غسله والصلاة عليه لأنّه حيّ بنصّ القرآن.

---

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٦/٣٢؛ مسلم ٣/١٤٩٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/١٨٧–١٨٨، ط. الحلبي، «حديث حسن صحيح».

(٥) أخرجه النسائي ٤/٧٨، ط. المكتبة التجاريّة، من حديث عبدالله بن ثعلبة، وإسناده صحيح.

الشُّورَى : ١ . مِن شاور في الأمر، راجعه ليرى رأيه فيه. استشاره : طلب منه المشورة. والشورى واجبة، لقوله تعالى: «وشاوِرْهم في الأمر. فإذا عزمت فتوكّل على الله. إنّ الله يحبّ المتوكّلين» (٣/ ١٥٩)، وقوله: «وأمرُهم شورى بينهم» (٤٢/ ٣٨).. قال ابن عطيّة: «والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام. ومَن لا يستشير أهلَ العلم والدين فعزْله واجب. وهذا ممّا لا اختلاف فيه»[1].. قال أبو هُريرة: «ما رأيتُ من الناس أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله»[2].

٢ . وهناك سورة كاملة في القرآن تحمل اسم الشورى، رقمها ٤٢. آياتها: ٥٣. وقد ذُكرت الشورى ومشتقّاتها في القرآن ٣ مرّات: (٤٢/ ٣٨؛ ٣/ ١٥٩؛ ٢/ ٢٣٣). وفي الأحاديث النبويّة الكثير من كلام النبيّ في الشورى. منها قوله: «ما ندم مَن استشار، ولا خاب مَن استخار»؛ وقوله: «ما شقي قطّ عبدٌ بمشورةٍ، وما سعد باستغناء رأي»؛ وقوله: «المستشار مؤتمن».

الشَّوْكَانِيّ (محمد بن علي) (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) : مفسِّر ومؤرِّخ وفقيه من علماء الزيديّة في اليمن. عاش في صنعاء ووَلِّي قضاءها. له ما ينيف على مئة مؤلّف، منها: «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ في علم الأصول»؛ وفي التفسير، له: «فتح القدير»، الجامع بين فنّي الرواية والدراية. يعتبر الشوكاني عمدة المفسّرين وإمام المجدِّدين في عصره. كسر قيود التقليد وحارب المقلِّدين، ونادى بالاجتهاد والرجوع إلى الينابيع الأصليّة للشريعة.

الشَّيْبَانِيّ (محمّد بن الحسن) (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٣م) : فقيه حنفي. ولد في واسط. ونشأ بالكوفة. ودرس على أبي حنيفة. وتأثّر به. فقصّر همه على «الرأي». واستزاد من علم الحديث على سفيان الثوري والأوزاعي وغيرهما، وخاصّة مالك بن أنَس. على أنّه كان مديناً في علمه بالفقه لأبي يوسف. أُتُّهم بالتشيّع، ولكنّه كان

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ٢٤٩؛ أحكام القرآن للجصاص ٢/ ٤٨؛ تفسير الرازي ٩/ ٦٧؛ مواهب الجليل ٣/ ٣٩٥؛ بدائع السلك في طبائع الملك ١/ ٢٩٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٣٥٩، ط. دار الفكر.

من المرجئة كبعض شيوخه. تولّى القضاء. ثمّ عُزل. وأقام في بغداد، واستصحبه هارون الرشيد في رحلته إلى خراسان، حيث توفّي. من تلاميذه الإمام الشافعي. من آثاره: كتاب «الأصل في الفروع»، أو المبسوط؛ و«الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير»؛ و«السير الكبير»؛ و«الآثار».

شَيْبَة (بنو) : بطن من قُصَيّ من قُريش من العدنانيّة. هم سدنة الكعبة.

الشَّيْخَان : مصطلح إسلامي يُطلق على أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب من الصحابة؛ وعلى البخاري ومُسلم من علماء الحديث؛ وعلى الإمام أبي حنيفة وتلميذه أبي يوسف في المذهب الحنفي.. إلخ.

الشِّيْرَازِيّ (قطب الدين) (ت ٧١١هـ/١٣١١م) :عالم بالطبّ والفلسفة والفلك والتفسير. وُلد بشيراز، وتوفّي بتبريز. له مؤلّفات هامّة، منها: «فتح المنّان في تفسير القرآن»، و«شرح كليّات القانون في الطبّ لابن سينا»، و«نهاية الإدراك في دراسة الأفلاك» في الهيئة، و«حكمة الإشراق».

الشِّيْرَازِيّ (ت ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م) : ١ . سمّى نفسه « **الباب**». أخذ بتعاليمه أخَوَان من طهران هما : ميرزا نوري الذي سُمّي فيما بعد «**صبح أزل**»، وميرزا حسين علي نوري الذي سُمّي فيما بعد «**بهاء الله**». مات الشيرازي، بعد ما سجن مراراً، رمياً بالرّصاص. ونُقل جثمانه إلى عكّا.

٢ . من تعاليمه أنّ الله واحد، ومحمّد هو المرآة التي فيها يتجلّى الله، وفيها يستطيع كلّ إنسان أن يراه، وإنّ الله خلق العالم بواسطة سبع صفات، تسمّى حروف الحقّ، وهي: القدرة، والقضاء، والإرادة، والمشيئة، والإذن، والأجل، والكتاب.

٣ . وللعدد ١٩ عند البابيّة شأن كبير، وهم يقدّسونه. وهو في حسابهم يوجد في كلمة «واحد»، وكلمة «وجود». ويقسمون السنة إلى ١٩ شهراً، وكلّ شهر إلى ١٩ يوماً، وتساوي السنة عندهم ٣٦١ يوماً (١٩×١٩). ويدبّر شئون الجماعة مجلسٌ يتألّف من ١٩ عضواً.

٤ . والزواج إجباري بعد سنّ الحادية عشرة، ولا تشجّع هذه التعاليم الطلاق؛ بل تترك للزوجين سنة لمحاولة التوفيق بينهما. وإذا وقع الطلاق، جاز الرجوع فيه بعد مضي ١٩ يوماً. والطلاق ١٩ مرّة. ولا يتزوّج الأرمل إلاّ بعد مضي ٩٠ يوماً على وفاة زوجته الأولى. أمّا الأرملة فيمكن زواجها بعد مضي ٩٥ يوماً على وفاة زوجها الأوّل.

الشّيْطَان : ١ . وردت لفظة «شيطان» في القرآن ٨٨ مرّة. في ٧ مرّات منها تعني إبليسَ نفسَه[1]. والشيطان لغةً، من «شطن» أي بَعُدَ عن الحقّ. والشَّطْن: مصدر شطَنَه شَطناً أي خالفه. والشيطان: كلّ عاتٍ متمرِّدٍ من الجنّ والإنس والدواب... وتشيطن الرّجل: فعل فِعل الشياطين... والشيء إذا استُقبِح شُبِّه بالشياطين، فيُقال: كأنّه وجه شيطان، وكأنّه رأس شيطان. والشيطان لا يُرى، ولكنّه يُستَشعَر أنّه أقبح ما يكون من الأشياء. ولو رُؤيَ لَرُؤيَ في أقبح صورة.

٢ . إبليس الجنّة هو شيطان آدم وحواء. أمّا شياطين سليمان فقد حسدتْه لحكمته الوافرة التي خصّه الله بها. فكانت تسترق السمْع وتسرق حكمتَه، وتضمّ إليها أكاذيب، وتلقيها إلى كهنة، فيدوّنونها. وفشا ذلك. فجمع سليمانُ الكتب ودفنها. فلمّا مات دلّتِ الشياطينُ الناسَ عليها، فاستخرجوها فوجدوا السحرَ فيها. فقالوا إنّما مُلكُكم بهذا فتعلّموه. ورفضوا كتب أنبيائهم. قال تعالى تبرئة لسليمان وردّا على اليهود في قولهم: أنظروا إلى محمّد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلاّ ساحراً (٢/١٠٢).

٣ . وكان من شياطين سليمان غوّاصون وبنّائون ومقيّدون في الأصفاد والأغلال بجمع أيديهم إلى أعناقهم (رَ : ٢١/٨٢؛ ٣٨/ ٣٤-٣٧).

٤ . ثمّة أسماء وصفات للشيطان في القرآن تعبّر عمّا هو وعمّا يعمل. فهو عدوُّ البشر. وقد كرّر القرآن عداوتَه الظاهرة هذه. وحذّر الناس من اتبّاع خطواته. فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ!..َلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ (طرق) الشَّيْطَانِ (أي تزيينه). إِنَّهُ لَكُمْ

---

(١) رَ : ٢/٣٦؛٧/٢٠ و٢٢ و٢٧؛ ١٤/٢٢؛٢٠/١٢٠.

عَدُوٌّ مُبِينٌ (بيِّن العداوة). إنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بالسُّوءِ (الإثم) وَالفَحْشَاءِ (القبيح شرعاً)، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ»[٢].

٥ . وهو «مَارِد»، وقد حفظ اللّهُ السماء من تمرّده هذا بما بعث من شهب ناريّة تمنعه من نفاذ شرّه وتمرّده (٣٧/٦-١٠؛ ٢٢/٣).

٦ . ومن أعمال الشيطان أن يضلّ الناس عن الحقّ: «وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً» (٤/ ٦٠). ويعدهم بطول العمر، ويزيِّن لهم الحياةَ بغروره، وبأنْ لا حياة بعد الموت ولا بعث ولا جزاء. ولكنّه غرور بغرور (٤/ ١٢٠)؛ وكذلك يزيّن لهم المنكرات، ويوهمهم بأنّها حلال (٦/ ٤٣).

٧ . في حديث أنّ رسول اللّه قال: «إنّ الشيطان قعد لابن آدم بطرقٍ، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتُسلم وتترك دينَك ودينَ آبائك؟ فعصاه وأسلم. ثمّ قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتُهاجر؟ أتدعْ أرضَك وسماءكَ؟ فعصاه وهاجر. ثمّ قعد له بطريق الجهاد، فقال: أتجاهد، وهو تلف النفس والمال، فتقاتل، فتُقتل، فتُنكح نساؤك ويُقسم مالك؟ فعصاه وجاهد. وقال رسول اللّه: فمن فعل ذلك فمات، كان حقًّا على اللّه أن يُدخله الجنّة».

٨ . وأعمال الشيطان لا تحصى: فالمسكر، والقمار، والأصنام، وضرب القداح، والعداوة بين النّاس، والبغضاء، والصدّ عن ذكر اللّه وعن الصلاة... كلّها من وحيه وأعماله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! إِنَّمَا الخَمْرُ، وَالمَيْسِرُ، وَالأَنْصَابُ، وَالأَزْلامُ، رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. فَاجْتَنِبُوهُ. لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إنّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ والمَيْسِرِ. وَيَصُدَّكُمْ (بالاشتغال بهما) عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ. فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟» (٥/ ٩٠-٩١).

٩ . وحتّى القرآن لم يسلم من دسّ الشيطان، وهي ظاهرةٌ عجيبةٌ غريبةٌ مثيرةٌ فريدةٌ من نوعها في الكتب السماوية، وهي إمكانيّة تدخّلِ الشيطانِ في إِلْقَاءِ

---

(٢) سورة البقرة ٢/ ١٦٨-١٦٩. أنظر أيضاً: ٢/ ٢٠٨؛ ٦/ ٤٢؛ ١٢/ ٥؛ ١٧/ ٥٣؛ ٤٣/ ٦٢...

التحريفِ والفسادِ على لسانِ النبي بغيرِ علمِه (**آيات شيطانيّة**). وكان محمّد يَعي تدخّلَ الشيطان، فكان يلجأ مراراً وتكراراً إلى خديجة لتفسّرَ ما إذا كان ما يحدثُ له هو من اللّه أم من الشّيطان؟!. وقد تعجزُ خديجةُ عن التفسير، أو قد لا تطمئنُ كثيرًا الى تفاسيرها، فكانتْ تذهبُ بزوجها الى القسِّ ورقة ابنِ عمّها. وكان القسُ ورقة يتدبّرُهُ بعلمِه ومعرفتِه. وكم من مرة رجَعَ النبيُّ إلى منزلِه «مطمئنًا»![٣].

١٠. تجاه هذا الواقع المحزن الذي كان يتعرّض لهُ النبيّ، كان اللهُ يأمرُ رسولَه بالاستعاذة (رَ: ٤١/٣٦)، وكان على النبي، أمام حيَل الشيطانِ وتجاريبه، أنْ يصلّي إلى اللّه لينجّيَه من دسائسه الشرّيرة: :«قل: ربِّ، أعوذُ بكَ من همزاتِ الشياطين» (٢٣/٩٧). وعند قراءة القرآن لا بدّ من الاستعاذة من الشيطان : «فاذا قرأتَ القرآنَ فاستعذْ باللّه من الشيطانِ الرجيم» (١٦/٩٨). والأمر بالاستعاذة جاء قبلَ الأمرِ بالاستفتاحِ بالبسملة. وحتّى اليوم يستهلّ القارئ قراءته بـ «أعوذُ باللّهِ من الشيطانِ الرجيم»، ثم يكمِّل "باسم اللّه الرّحمن الرّحيم".

ولأجل هذا، كان محمّد، خشيةً من تدخّلِ الشيطان، يردُّ التهمةَ عنه باستمرار، ويدْفَع عن القرآنِ تهمةَ الدسّ. يقول : «وما تنزلّتْ به (القرآن) الشياطينُ، وما ينبغي لهم، وما يستطيعون. إنّهم عن السمْعِ لَمعْزولون» (٢٦/٢١٠-٢١٢). وأيضاً: «وما هو بقولِ شيطانٍ رجيم» (٨١/٢٥؛ رَ: ٦/١١٢).

١١. لو أنّ للشيطان سلطانًا على النبي وحَسْبُ لَهانَ الأمرُ، فالنبيّ إنسانٌ كسائرِ الناس، له أميالُه وشهواتُه ورَغباتُه وأهواؤه الطبيعيّةُ كاملةً. إنّه أيضاً كسائرِ الأنبياء والرّسل، يتعرّضُ لتجاريب الشيطان وحيَله، فالملائكة أنفسُهم نَزَغَ الشيطانُ بينهم، وآدمُ هو أيضاً أسقطَه الشيطان في حبائِله، وداوُدُ وسليمانُ وأيّوبُ ومعظمُ النبيّين دفعهم الشيطانُ الى ارتكاب المعاصي دفعاً؛ والمسيحُ، فيما هوَ في نظر المسيحيين إلهٌ كلّيُ الكمال، جَرَّبَهُ الشيطانُ في البريّة، والرّسل أيضاً أدخل في نفوسهم الشكوك... ومحمّدٌ لن يكونَ أحسنَ حالاً منهم... انّه أمرٌ واقع.

---

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢٢٢، تفسير الطبري ٢/٤٩ ....

١٢ . عملُ الشّيطان في خَلقِ اللّه، إذاً، غيرُ مستَغرَب. إنّما المستغربُ حقّاً هو أن يتدخّل الشّيطان في القرآن، أي في كلام اللّه نفسه. إنّ للشّيطان، بحسب القرآنِ نفسه، تدخّلاً في كلامِ اللّه. ولهُ في القرآن آياتٌ خاصّةٌ به، سمّاها الشرّاح والمفسّرون "آيات شيطانيّة"... فكيف لنا أن نتعاملَ معها!!! إنّها، حقّاً، محنةٌ من اللّه. وهي، بحسب المفسّرين، شاءها اللّه لكي نعملَ باستمرارٍ على تمييزِ الحقِّ من الباطل! وهيَ مدعاةُ أجْرٍ لنا لكي نعملَ بحَذَر وتأهّب! إنّها، في النتيجة، فضيلةٌ لنا بأنْ نسعى الى طردِ الشيطانِ كلَّ مرّة نقوم للصلاة!!!

الشّيعة : الإسم الشامل لِفِرَقٍ إسلاميّةٍ عديدة يشايعون الإمامَ عليّ بن أبي طالب وآل بيته. وهم يختلفون عن أهل السنّة والجماعة بقولهم إنّ إمامة عليّ والأئمّة من بنيه إنّما هي «بالنصّ والوصيّة والتعيين»، أي: النصّ الإلهي، والوصيّة الدينيّة، وتعيين النبيّ له؛ فيما أهل السنّة يقولون إنّ الخلافة طريقها الشورى والاختيار والبَيعة.

ترجع نشأة الشيعة جميعاً إلى القول بأنّ عليّ هو الخليفة الشرعي بعد وفاة النبي محمّد، وبأنّ أبا بكر وعمر وعثمان مغتصبون، وقد قبل بهم عليّ إمّا تقيّةً، وإمّا لتجنّب الفتنة بين المسلمين.

وللشيعة الإماميّة الإثني عشريّة، وهي الغالبة في الشيعة، معتقدات تختلف جوهريّاً عن معتقدات أهل السنّة، منها قولهم بالأئمّة الإثني عشر وعصمتهم، وموقفهم من مصحف عثمان، ومن الخلفاء الرّاشدين والأمويّين والعبّاسيّين، وموقفهم من زوجات النبيّ وأمّهات المؤمنين.

ثمّ هناك أيضاً اختلاف في أصول الدين، كالتوحيد والعدل، والنبوّة، والمعاد، والإمامة، والمهدي المنتظر، ورجعته في آخر الدهر. وأخيراً يركّز على ما تتميّز به الشيعة عن السنّة في المتعة والتقيّة، وفروع الدين وحدوده والمحرّمات والممارسات... ممّا يجعل للشيعة إسلاماً مميّزاً عن إسلام أهل السنّة والجماعة[1].

---

(١) راجع كتاب: «الشيعة الإثنا عشريّة»، رقم ٢٠ من سلسلة «الحقيقة الصعبة».

ص

الصَّابِئة : أطلق هذا الإسم على فـرقتَين متـميّزتين تمامـاً، هما : صابئة حرّان، وصابئة القرآن.

الأولى فـرقة وثنيّـة، أصل أتبـاعهـا من حرّان، مـا بين النهـرين، ولغتـهم السريانيّـة. عبدوا الكواكب، واستـمرّوا أمداً طويلاً في ظلّ الإسلام. لهم مـبادئهم وشأنهم. خرج منهم علماء اشتهـروا بالعلوم الفلكيّة والرياضيّات، أمثال: ثابت بن قرّة، الفلكي الفيلسوف، والمترجم من اليونـانيّة والسريانيّة إلى العربيّة؛ وثابت بن سنان، الطبيب والعالِم بالظواهر الجويّة؛ وهلال بن المحسّن المؤرّخ؛ وأبو إسحق بن هلال الوزير؛ والبتّـاني، عـالـم الفلك المشـهـور؛ وأبو جـعـفـر الخـازن، العـالم بالرياضيّـات؛ وابن الوحشـيّة، صاحب كـتاب الزراعة النبطـيّة؛ وجابر بن حـيّان الكيميائي، وغيرهم.

والثانيـة فرقـة يهوديّة–نصرانيّـة، تمارس شعـيرة التعـميـد في العراق، ويسمّـون أيضاً : «المَنْدائيّة»، من «ندا» أي المـعرفة في لغـتهم؛ و«المغتـسلة»، لكثرة ممارسـتـهم الغـسل والوضـوء وسكناهم بالقـرب من الأنهـر ومـجـاري المياه للاستعمال الدائم؛ و«المعمدانيّة»، نسبة إلى يوحنّا المعمدان. ذكرها القرآن في ثلاثة مـواضع، مع اليـهـود والنصـارى: «إنّ الذينَ آمَنـوا، والذينَ هادوا، والنّصـارى، والصَّابِئينَ، مَن آمنَ باللّهِ واليومِ الآخِرِ، وعـمِلَ صـالحاً، فلهمْ أجرُهمْ عند ربِّهم. ولا خوفٌ عليهمْ ولا هُم يَحـزَنون» (٢/٦٢؛ ر: ٥/٦٩؛ ٢٢/١٧)، وأخذ الإسلامُ عنهم بعض شعائرهم، وبنوع خاصّ الغسل والوضوء.

الصَّاحِب بن عَبَّاد (أبو القـاسم إسماعـيل) (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) : أديب ولغوي من كبـار وزراء البُوَيهيِّين. وزير مؤيّد الدولة وفـخر الدولة. تعلّم على ابن العميـد وابن فارس. توفّي بالرّيّ. ودُفن في أصبهان. قـرّب منه الأدباء والشعراء.

امتـازت رسائله بالسجع والإيـجاز. من كتـبه : كتـاب «المحيط»، معـجم لغوي في سبـعة مـجلّدات؛ و«كتـاب الوزراء» في السيـاسة؛ و«الكشف عن مـساوئ شـعر المتنبّي»؛ و«جوهرة الجمهرة»؛ و«كتـاب الرسائل». تعتبر رسائله من روائع الإبداع في الإنشاء. وله أيضاً شعر فيه رقّة وعذوبة.

الصّاخّة : هي التي تَصُخُّ الأسماع، أي: تَقْرُعها وتُصِمُّها. وردت في القرآن مرّة واحـدة في قوله: «فإذَا جـاءَتِ الصَّاخَّةُ، يومَ يَفِـرُّ المرْءُ مِن أخيه، وأُمِّـهِ وأبِيهِ، وصاحِـبَتِهِ وبنِيـه. لكلِّ امرِئٍ منْهُمْ يومَـئذٍ شأنٌ يُغنيـه» (٨٠/٣٣-٣٧). قال ابن سيّده: هي صَيحة تصُخّ الأُذُنَ، أي تطعنها، فتُصـِمُّها لشدّتها. ومنه سمّيت القيامة. وقال ابـن إسحق: هي الصـيحـة التي تكون فيـها القـيامـة، تصُخُّ الأسـماع، أي: تُصِمُّها، فلا تسمع بعد شيئاً.

الصّادِق (الإمام جعفر بن محمّد الباقر) : (راجع مادّة: **جعفر**).

صَاعِد الأنْدَلُسِيّ (ت ٤٦٢هـ/١٠٦٩م) : برز في علوم الهندسة والنجوم والأفلاك. له: «مقالات أهل الملل والنحل»، وكـتاب في «علم الفلك وحركات الكواكب والنجوم»، وكـتاب في التـاريخ:«جوامع أخـبار الأمم من العـرب والعجم». أهمّـها «طبقات الأمم» الذي كتبـه قبل وفاته بعامين. وقد حقّقه وطبـعه الأب لويس شيخو سنة ١٩١٢م. قـسّم فيـه طبقـات الأمم بحسب الأمم التي عنيت بالعلوم، فـإذا هي ثمانية أمم: الهند، والفرس، والكلدانيّون، والعـبرانيّون، واليونانيّون، والروم، وأهل مصر، والعـرب. ويسهب في الحديث عن اليونانيّين، ويعـتبر فلاسـفتهم من أرفع الناس طبقة وأجلّ أهل العلم منزلة.

الصّافّات : إسم السورة رقم ٣٧ من القرآن. آياتها: ١٨٢ آية.

صَالِح : ١ . نبيّ عربيّ. أرسله اللّه إلى قومه **ثمود** لهدايتهم، وليعبدوه هو الذي لا إله لهم غـيـره (٧/٧١؛ ١١/٦٤؛ ٢٦/١٤١)؛ وناشـدهم أن يذكـروا آلاءَه (٧/٧٢؛ ٥١/٤٣)؛ وقـال إنّـه لا يسـألـهـم على ذلك أجـراً (٢٦/١٤٥). ولـكنّهم كذّبوه، وأعـرضوا عنه، واتّـهموه بأنّه مـسحور (٢٦/١٥٣)، وأنّه لـيس إلاّ بشراً

مثلهم، وأنّى له أن يُلقَى عليه الذكر من بينهم (٥٤/ ٢٤)؛ ولم يستطيعوا أن يتركوا دين آبائهم (١١/ ٦٥)؛ وكذّبوا بالقارعة (٦٩/ ٤)؛ وقد أثار ظهورُه الفرقةَ بينهم (١٦/ ٤٦)؛ فلم يؤمن به إلاّ المستضعَفون؛ أمّا المستكبِرون فقد كفروا به (٧/ ٧٣). لقد كان صالح مقبولاً من قومه قبل أن يزعجهم بدعوته (١١/ ٦٤).

٢ . لقد جاءت ثمودَ بيّنةٌ من ربّهم ناقةٌ (٧/ ٦١)، ورجاهم صالح أن يتركوها تأكل في أرض اللّه، ولا يمسّوها بسوء، ولها شرب ولهم شرب يوم معلوم[٢]؛ ولكنّهم عقروها [٣] بيدِ شقيٍّ من أشقيائهم (٩١/ ١٢؛ ٥٤/ ٢٩)؛ وسألوا صالحاً ساخرين أن يأتيهم بما توعّدهم من عذاب (٧/ ٧٥)؛ فقال لهم: تمتّعوا في داركم ثلاثة أيّام (١١/ ٦٨). فأخذتهم الرجفة، وأصبحوا في ديارهم جاثمين...

٣ . وما من شكّ في أنّ البيوت التي نحتتها ثمود من الصخر[٤]، وذُكرت كثيراً في النصوص، والتي لا تزال أطلالُها قائمة (٢٩/ ٣٧) هي قبور تضمّ بقايا عظام آدميّة نُحتت من صخور العلا..

٤ . وممّا يلفت النظر أنّ قصّتَي صالح وهود تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها محمّد في العهد المكّي من حيث أنّه قال إنّه لم يُرسل من قبْله نبيٌّ إلى العرب[٥]. وقد وردت قصّتا هذين النبيّين في أقدم السور المكّيّة[٦]؛ ثمّ تختفيان من السور المدنيّة، أللّهمّ إلاّ ما جاء من تعداد مختصر للأنبياء في (٩/ ٧١).

صَالِح بن مِرْدَاس (أسد الدولة) (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) : أمير بادية الشام ومؤسّس دولة بني مِرداس ١٠٢٣م. ثار في الرحبة فامتلك الجزيرة وحلب. وقوي أمره فحاربه الفاطميّون، وقُتل في الأقحوانة قرب بحيرة طبريّة.

---

(٢) رَ: ٧/ ٧١؛ ٢٦/ ١٥٥؛ ٥٤/ ٢٨.
(٣) رَ: ٧/ ٧٥؛ ١١/ ٦٨؛ ٢٦/ ١٥٧.
(٤) رَ: ٨٩/ ٨؛ ٧/ ٧٣؛ ٢٦/ ١٤٩.
(٥) رَ: ٢٨/ ٤٦؛ ٣٢/ ٢؛ ٣٤/ ٤٣؛ ٣٦/ ٥.
(٦) مثل: ٥٣/ ٥١ وما بعدها؛ ٨٥/ ١٧ وما بعدها؛ ٨٩/ ٨؛ ٩١/ ١١ وما بعدها.

صَـالِح بن يَحْيَـى بن بُحْتُـر (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) : مؤرّخ من بني تنّوخ البـحتـريّين أمراء الغـرب وحكّام بيروت. له: «تاريخ بيـروت»، روى فيـه أخبـار الحروب الصليبيّة أيّام المماليك ومشاركته في غزو قبرص.

صَـالِحُ الكَاتِب (ت ١٠٤هـ/٧٢٢م) : كـاتب الديوان في ولاية الحـجّـاج الثّقفيّ في العـراق. أوّل من حوّل كتابة دواوين الخراج من الفارسيّـة إلى العربيّة. كان معلّم الكتّاب في عصره. قتله عُمَر بن هُبَيرة.

الصَّـالِحِيّ الشَّـامِيّ (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٦م) : صـاحب السـيـرة النبـويّة المشـهورة تحت اسم «السيرة الشاميّة»، جمـعها مِن ألفِ كتاب. وعنوانها الحقيقي: «سبـيل الهدى والرشـاد في سيرة هَدْي خـير العـباد». أخرجت لجـنة التراث في المجلس الأعلى للشئون الإسـلاميّة بالقاهرة هذه السيرة في إثني عـشر مجلّداً من الحجم الكبير بين ١٩٩٠-١٩٩٥.

صُبْح أزَل : هو اسم يُطلق علـى يحيى الملـقّب بـ «صبح أزل» بـعد وفـاة الباب.

الصَّـبْر : ١ . من حـبْس النفس وترْك الشـكوى لغـير الـلّه. أوصى النبيّ بالصبر على أعـدائه وهجرتهم: «واصبرْ على مـا يقولون واهجرْهم هجراً جـميلاً» (٧٣/ ١٠)، كما صبـر الرسل من قبله: «فاصبر كما صـبر أولو العزم من الرسل» (٤٦/ ٣٥). هكذا وجد اللّهُ أيّوب: «إنّـا وجدناه صابراً. نعمَ العـبد إنّه أوّاب» (٣٨/ ٤٤؛ رَ: ٣٨/١٧؛ ٤٦/ ٣٥؛ ٣٠/ ٦٠).

٢ . ووصـف القرآن المؤمنين بالصـبر: «والذينَ صَبَروا ابتـغاءَ وجهِ ربِّهم» (١٣/ ٢٢)، وحثّ عليه: «واصـبِرْ على مـا أصابَكَ. إنّ ذلك من عـزْم الأمور» (٣١/ ١٧)، واللّهُ يحبُّ الصـابرين في ميـادين القتـال (٣/ ١٤٦)، ووعد الصـابرين بأن يؤتوا أجرهم مرّتين[٧]؛ بل يوفون أجرهم بغيـر حساب (٣٩/ ١٠)، ولا يضيّع اللّهُ

---

(٧) رَ: ٢٣/ ١١١؛ ٢٨/ ٥٤؛ ٢٥/ ٧٥.

أجرَهم أبداً: «واصبرْ فإنّ اللّهَ لا يضـيّع أجْرَ المُحسِنين» (١١/ ١١٥). وهذا المفهوم استُعمل استعمالاً خاصّاً في الكلام على الجهاد (٣/ ١٤٢؛ ٨/ ٦٦).

٣ . وترد كلمة «صبر» في القرآن مع الشكر (ر: ١٤/ ٥..). و مقرونةً بالصلاة: «يا أيّها الذينَ آمَنوا! استعينوا بالصَّبرِ والصلاة. إنّ اللّهَ مع الصابرين» (٢/ ١٥٣)؛ وبالمرابطة:«يا أيّها الذين آمَنوا! اصبِروا وصابِروا ورابِطوا واتَّقُوا اللّهَ لعلّكم تُفلحون» (٣/ ٢٠٠). و«الصبور» إسم من أسماء اللّه الحسنى. ومعناه، كما يقول صاحب لسان العرب: «الصبور تعالى وتقدّس، هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام»..

٤ . وتدعو السُّنَّة إلى التمسّك بالصبر عند نزول الشدائد: «للعامل فيه مثل أجرِ خمسين رجلاً». وتدعو أيضاً إلى التخلّق بفضيلة الصبر. والمؤمن الحقّ هو الذي «إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له»[8]. يقول الطبري: «نِعمَ العبد إذا ابتُلي صَبَرَ وإذا أُعطي شكَر». وثمّة حكمة تقول: «الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر». أو «الصبر نصف الإيمان».. وكذلك المؤمن الصابر على الناس خير من المؤمن المنعزل عنهم: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم.

٥ . والصبر، عند الصوفيّة، مقام الفضيلة المثلى: «الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب» (إبن عطاء)؛ «الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى»، «الصبّار هو الذي عوّد نفسه الهجوم على المكاره» (أبو عثمان)؛ «الصبر هو الثبات مع اللّه تعالى وتلقّي بلائه بالرحب والدعة» (عمرو بن عثمان)؛ «صبر المحبّين (أي الصوفيّة) أشد من صبر الزّاهدين» (يحيى بن معاذ).

٦ . والصبر خاصّيّة الإنسان من دون الملائكة والبهائم؛ وذلك أنّ البهائم قد سلّطت عليها الشهوات وصارت مسخّرةً لها؛ وأمّا الملائكة فقد جُرِّدوا للشوق

---

(٨) مسلم، كتاب الزهد، حديث ٦٤.

إلى حضرة الربوبيّة، ولم تُسلَّط عليهم شهوةٌ صارفةٌ عنها؛ ولذلك فهم ليسوا في حاجة إلى الصبر للتغلّب على الشهوة.

صِبْغَةُ اللّه : وردت في القرآن في قوله: «صِبغَةَ اللَّه. ومَن أحسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبغةً. ونحنُ له عابِدون» (٢/١٣٨). وقد اختلف في المراد منها على أقوال:

١ . إنّ المراد: دين اللّه؛ وذلك أنّ بعض النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر، يسمّونه «المعموديّة»، ويقولون: هو تطهير لهم. وإذا فعل الواحد بولده ذلك، قال: الآن صار نصرانيًا. فقال اللّه تعالى «صِبْغَةَ اللَّهِ»، وهي : الدين والإسلام، لا صبغتهم.

٢ . إنّ المراد: فطرة اللّه؛ وذلك كقوله تعالى: فِطْرَةَ اللَّهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها. لا تَبْديلَ لخَلْقِ اللّه» (٣٠/٣٠). ومعنى هذا: أنّ الإنسان موسوم في تركيبه وبنيته بالعجز والفاقة والآثار الشاهدة عليه بالحدوث والافتقار إلى الخالق. وعلى هذا، فهذه الآثار كالصبغة له والسمة اللازمة.

٣ . إنّ المراد : الختان الذي هو تطهير للمسلمين، كما المعموديّة تطهير للنصارى.

٤ . إنّ المراد: حجّة اللّه.

٥ . إنّ المراد: الاغتسال لمن أراد الدخول في الإسلام، بدلاً من «معموديّة» النصارى.

عن أبي عبيدة: والقول الجيّد هو الأوّل[1].

الصَّحَابَة : ١ . هم الذين سمعوا قول النّبيّ وشاهدوا أفعاله، وحادثوه ورافقوه. ذكرهم القرآن في قوله: «محمَّدٌ رسولُ اللّهِ، والذينَ معه أشدّاءُ على الكُفّارِ، رُحَماءُ بينهم. تراهم رُكّعاً سُجّداً، يبتغونَ فضْلاً منَ اللّهِ ورِضْواناً. سِيماهُمْ

---

(١) أنظر تفسير المفسّرين على ٢/١٣٨؛ و أ.د.عبد الحي الفرماوي، مفردات قرآنيّة، في الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص ٧٥٤.

في وجوههم من أثرِ السُّجودِ» (٤٨/ ٢٩)؛ وفي قوله: «والسَّابقون السَّابقون. أولئك المُقَرَّبون. في جنّاتِ النَّعيم. ثُلّةٌ من الأوَّلين. وقليلٌ من الآخِرين» (٥٦/ ١٠-١٤؛ رَ: ٥٦/ ٣٥-٤٠). هؤلاء «السّابقون» اختارهم محمّد، وربّاهم عبر ثلاث عشرة سنة في مكّة، وقال فيهم عند غزوة بدر: «أللّهمَّ! إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبَد في الأرض»[1].

٢ . والصحابة طبقات: السابقون من المهاجرين، على رأسهم الخلفاء الرّاشدون، ثمّ ستّة آخرون أكّد لهم النّبيّ وهم أحياء أنّ مثواهم الجنّة. وهم كلّهم «العشرة المبشّرون بالجنّة»، ومنهم البدريّون، أي الذين شهدوا غزوة بدر؛ ثمّ السابقون من الأنصار، وهم الذين بايعوا النبيّ ليلةَ العقبة علىٰ أن يمنعوه من الأسود والأحمر. جاء في القرآن عنهم: «والسّابقون الأوَّلون مِنَ المهاجِرين والأنصار، والذين اتَّبَعوهم بإحسان، رضي اللّهُ عنهم، ورَضُوا عنه. وأعدَّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهارُ، خالدينَ فيها أبداً. ذلك الفوزُ العظيم» (٩/ ١٠٠).

٣ . والصحابة، في رأي أهل السنّة: كلّهم عدول؛ وهم كالنجوم يهدون الحائر ويرشدون الضالّ. فيهم يقول الرسول: «أصحابي كالنجوم، بأيِّهم اقتديتم اهتديتم»؛ ويقول: «خير القرون قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ ا الذين يلونهم»[2].

٤ . إنّ ما لم يُذكر في القرآن من الشريعة يُؤخذ عنهم، ويعتمد فيه على روايتهم.

٥ . يعاقب مَن يسبّ الصحابة بالجلد. ومن أصرّ على سبّهم قُتل.

٦ . لقد كُتب في فضائل الصحابة، وأسمائهم، وأعمالهم المصنّفات الكثيرة. منها: كتاب «مَن نزلوا من الصحابة سائر البلدان»، للإمام علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ)؛ كتاب «الصحابة»، للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ)؛ كتاب «أولاد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ٤٤٧.

(٢) صحيح البخاري، ٦/ ٧٥.

الصحـابة»، وكتاب «تجريـد أسماء الصحـابة»، للإمام مسلم (ت ٢٦١هـ)؛ كـتاب «أسمـاء الصحابة وعـدد ما رووا»، للإمام بقي بن مـخلد الأندلسي (ت ٢٧٦هـ)؛ كتاب «أسـماء الصحابة»، للترمذي (ت ٢٧٩هــ)؛ كتاب «الصحابة» لمحمّـد بن عبد الله الحضـرمي (ت ٢٩٧هـ)؛ كتاب «مـعجم الصحـابة»، لأبي يعلى (ت ٣٠٧هـ)؛ كتاب «الصحـابة»، للعسكري (ت ٣٠٠هـ)؛ كتاب «معجم الصحـابة»، لعبد الباقي بن قانع مولى بني أميّة (ت٣٥١هـ/٩٦٢م)؛ كتاب «الإستـيعاب في معرفة أسماء الأصحاب»، لأبـي عمر بن عبـد البرّ النمري القرطبي حـافظ المغرب (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)؛ فيـه ٣٥٠٠ ترجمة؛ كتـاب «أُسُد الغابة في مـعرفة الصحـابة»، للحافظ المؤرّخ عزّ الدين علـي بن الأثير الجَزري (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، وقـد جمع فيـه ما ورد في كـتب المتقـدِّمين وعلّق عليه، وأكـمل ما نقص منه، وهـم ٧٥٥٤ صحابـيًا؛ كتاب «تجـريد أُسُد الغابة»، للحافظ شـمس الدين محمّد بن أحمـد الذهبي، أحصى فيه ٨٨٦٦ صـحابيًا؛ كتـاب «الإصابة في تمييز الصـحابة»، للحافظ الكبـير شيخ الإسلام أبي الفـضل بن حجر الـعسقـلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وقد جمع فـيه ٩٤٧٧ للأسماء، و١٢٦٨ للكنى، و١٥٥٢ للصحابيّات. وهو أجمع وأفضل ما كُتب في هذا الباب، وقد رتّبه على حروف المعجم.

٧. أمّا الشـيعة فقـد بالغوا بخصـومتهم للصـحابة، وذلك لأنّهم يرون أنّ الخلفاء اغتصبوا حقَّ عليّ وأهلَ بيته في الخلافة بموافقة الصحابة.

الصَّحِيْح : تسميـة تطلق على الحديث الذي يكون رواته بريئين من العلل، ويكون سنَدُه صحيحاً؛ وتُطلق أيضاً على مجموع الأحاديث التي لا تشتمل إلاّ على الأحاديث الصحيحة، أعني ما جمعه **البخاري** و **مسلم**. ويشتمل صحيح البخاري على ٧٢٩٧ حـديثـاً، وقد اخـتـار هذه الأحاديث من بـين ٦٠٠,٠٠٠ حديث كـانت مأثورة في عـصره.. ويكاد ما اشـتمل عليه صـحيح مسلم أن يكون هو بعـينه ما اشتمل عليـه صحيح البخاري. وكلّ الفـرْقِ هو أنّ الإسناد يختلف إختلافاً كـبيراً.. ويسوق لنا مسلم مقدّمة قيّمة يبـيّن فيها الشروط التي يجب أن تتوافر في الحديث حتّى يكون صحيحاً..

الصَّحِيْفَة : جمع صحائف، وصُحُف. وهي، لغةً: المبسوط من كلّ شيء ممّا يُكتب فيه، سواء كان ورقةً، أو كتاباً، أو قطعةً من الجلد، أو غير ذلك. وتقول العرب: "صحائف الكتب خيرٌ من صحاف الذهب". وفي التنزيل: «إنّ هذا لَفي الصُّحُفِ الأولَى، صُحُفِ إبراهيمَ وموسَى» (٨٧/١٨-١٩)، يعني الكتب المنزلة عليهما. وثمّة أيضاً صحف حديثيّة، أي «ما أضيف إلى النبيّ قولاً له أو فعلاً أو تقريراً أو صفة، حتّى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام». والصحف كثيرة، أشهرها ثلاث: صحيفة صلْح الحديبيّة، والصحيفة الدستور، وصحيفة المقاطعة:

صَحِيْفَةُ صلْحِ الحُدَيْبِيَّة : ذكرها ابنُ الأثير في «أسد الغابة»، والبخاري في «الصحيح». جاء فيها عن حقّ النبيّ والمسلمين في الطواف بالبيت : «قال مُعْمَرٌ: قالَ الزُّهرِيّ في حديثه: فجاء سُهَيلُ بنُ عَمْرو، فقال: هاتِ اكتبْ بَيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبيُّ الكاتبَ، فقال النبيّ: بسم اللّه الرحمن الرحيم. قال سُهَيل: أمّا الرحمن فواللّهِ ما أدري ما هو. ولكن اكتبْ باسمك اللّهمّ، كما كنتَ تكتب. فقال المسلمون: واللّهِ لا نكتبها إلاّ بسم اللّه الرحمن الرحيم.

فقال النبي: اكتبْ باسمِك اللّهمّ. ثمّ قال: هذا ما قاضَى عليه محمّدٌ رسولُ اللّه. فقال سهيل: واللّه لو كنّا نعلم أنّك رسول اللّه ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. ولكن اكتبْ محمّد بنُ عبداللّه. فقال النبي: واللّهِ إنّي لرسولُ اللّه وإن كذَّبتموني. أكتبْ محمد بن عبد اللّه. قال الزُّهْري: وذلك لقوله: لا يسألوني خطّةً يُعظّمون فيها حُرُماتِ اللّه إلاّ أعطيتُهم إيّاها». فقال له النبيّ: « على أن تُخَلُّوا بيننا وبين البيتِ فنطوفَ به. فقال سهيل: واللّهِ لا تتحدّثُ العربُ أنّا أُخِذنا ضُغطَةً. ولكن ذلك من العام المُقبل. فكتب. فقال سهيل: وعلى أنّه لا يأتيك منّا رجل، وإن كان على دينك، إلاّ رددتَه إلينا.

قال المسلمون: سبحانَ اللّه! كيف يُرَدُّ إلى المشركين، وقد جاء مسلماً! فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جَندَل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكّة، حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

الصَّحِيفَةُ الدَّسْتُور : هي دستور أمّة الإسلام. هي«الكتاب» أو التعاقد الذي تمّ بين أطراف عدّة، كوّنت الأمّــة الأسلاميّة. هو يعدّد بالتفـصيل لبنات هذا الكيان، فيذكـر المهاجرين، والأنصــار، واليهود، والموالي... فهم جـميعاً مـسلمون، ولكنّهم أبناء دولة واحدة احتـفظ دستورها لكلّ قبيلة من قـبائلها بذاتيّة متمـيّزة. أمّا نصّ هذه الصحيفة فهو التالي[1] :

« بسم اللّه الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمّـد النبيّ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش، ويثرب، ومَن تبعهم، ولحق بهم، وجاهد معهم. إنّهم أمّة واحدة من دون الناس :

المهــاجرون من قـريش على ربعتــهم[2] يتعـاقلون معــاقلهم بينهم[3]. وهم يفْدُون عـانيهم بالمعروف والقـسط بين المؤمنين؛ وبنو عوف.. وبنو سـاعدة.. وبنو الحارث.. وبنـو النجّار.. وبنو عـمرو بن عـوف.. وبنو النَّبيت.. وأنّه مَن تبـعنا من يهود[4] فإنّ له النصـر والأسوة، غيـر مظلومين ولا متناصر عـليهم.. وأنّه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحـيفة[5] وآمن باللّه واليوم الآخر، أن ينصـر محدثاً ولا يؤويه.. وأنّ يثرب حرام جـوفها لأهل هذه الصحيـفة.. وأنّ اللّه جارٌ لمن برّ واتّقى، ومحمّد رسول اللّه».

ولكن، على الرغم من موقف المسلمين السمح، كان اليـهود غير مخلصين لما جاء في هذه الصحيـفة. ويبدو أنّهم قبلوها ريثما يدبِّرون أمرهم، كـما هو معروف من دراسة مواقفهم من المسلمين بعد ذلك»[6].

---

(١) الدكتور عـبد المنعم الحفني، **مـوسوعة الفـرق والجمـاعات والمذاهب والأحزاب والحـركات الإسلاميّة**، مكتبة مدبولي، ط٢، ١٩٩٩، القاهرة (١٧×٢٤)، ٧٢٤ ص، رقم ٦٩.

(٢) أي إنّ حياتهم تنتظم كما كانت إلاّ ما تعارض منها مع الإسلام.

(٣) أي يتكافلون مع بعضهم البعض.

(٤) يعني أنّ أمّة الإسلام تسالم من يسالمها.

(٥) يعني عدم جواز نُصرة المُحدث.

(٦) د. أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ١/٢٨٦.

صَحِيْفَـةُ المُقَاطَعَة : لمّا رأت قريش أنّ المسلمين الذين هاجروا إلى الحـبشة وجدوا بها ملاذاً آمنًا، وأنّ عمر بن الخطّاب دخل الإسـلام هو وحمزة، وقوي بهما المسلمون، اجتمعتْ قـريش لتدبِّرَ أمرَها، واتّفقوا على أن يكتبوا صحيـفةً يتعاقدون فيـها ضـد بني المطّلب على ألاّ يزوّجوهـم أو يتزوّجوا منـهم، ولا يبيعـون لهم ولا يبتاعون منهم، وأن يقاطعوهم. وكتبوا هذه الصحيفة، وتعاهدوا على ذلك. ثمّ علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة.

وعاني المسلمـون من هذه المقاطعة أشـدّ عناء، ومسّهم الضـرّ الشديد على الجوع والحرمان. وقد استمرّت هذه المقاطعة حوالي ثلاث سنوات.

وكان من بين المشركين نفرٌ عـارضوا استمرار المقاطعـة، فسعوا إلى نقض الصحـيفة.. وذهب زهـير بن أبي أميّـة إلى البيت الحرام، فـطاف سبعـاً، ثمّ صاح قائـلاً: يا أهلَ مكّة! أنأكل الطعام ونلـبس الثيـاب وبنو هاشم هلكى؟! واللّه لا أقـعد حتّى تُشقّ هذه الصحيفة الظالمة. وعارض أبو جهل ذلك.

إلاّ أنّ ابن هشـام يروي أنّ رسـول اللّه قـال لأبي طالب: «إنّ اللّـه سلّط الأرضَةَ على هذه الصحيفة، فلحسـتْها، ولم تدع بها إلاّ اسم اللّه جلّ وعلا». وخرج أبو طالب إلى القـوم وصاح: يا مـعشـر قريش! إنّ ابنَ أخي أخـبرني أنّ الأرضـة لحست كلمات المقاطعة. فإنْ كان الأمر كـما قال ابن أخي، فانتهوا عن قطيعتنا. وإن كان كـاذباً فإنّـي أسلمه لكم. فـقال القـوم: رضينا. وتعـاقدوا على ذلك. وذهـبوا للصحيفة. فإذا هي كما قال الرسول.

وانتهتْ بذلك صَحيفة المقاطعـة، وإن كان كيد قريش للمسلمين لم ينتهِ، ممّا جعل المسلمين يلجأون للهجرة إلى المدينة[٧].

الصَّخْرَة (قبّة) : توجد في بيت المقدس. بناها عـبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أميّة فوق الصخرة التي وقف عليها النبيّ، يومَ عروجه إلى السماء، على

---

(٧) راجع مادّة: صحيفة المقاطعة، د. أحمد شلبي، م.إ.ع. ٢٠٠٣؛ ص ٨٥٨.

ظهر البُراق. وغالباً ما تدعى خطأ مسجد عمر. ويعتبرها المسلمون واليهود مركز العالم؛ بل ويقال: إنّها أقرب من أيّة بقعة أخرى إلى السماء بمسافة ١٨ ميلاً. ومن حيث القداسة يجعلها المسلمون في المرتبة التالية للكعبة.

وبالرغم من أنّه ليس لها ذكر معيّن في التوراة، إلاّ أنّه يُشار إليها في التلمود وفي الترجمات الآراميّة للتوراة؛ حيث يُقال عنها إنّ الملائكة زارت هذه الصخرة، قبل خلق آدم بألفَي سنة، واستقرّت فوقها سفينة نوح بعد الطوفان. ويقال إنّها إحدى صخور الجنّة، وإنّ هنا سوف ينفخ إسرافيل ملك الموت النفخة الأخيرة في الصُّور يوم القيامة. وتذكر الأخبار أيضاً أنّ جميع أنبياء اللّه حتّى زمن محمّد جاءوا للصلاة عند الصخرة التي يحفّ بها يوميًا ٧٠,٠٠٠ ملَك. ويُقال إنّ اللّه أمر موسى أن يتّخذ منها قِبلة. وكان محمّد يعتزم أن يفعل المثل، إلاّ أنّ اللّه أخبره أن يجعل قبلته الكعبة في مكّة.

ولمّا فتح عمر بيت المقدس وجد (بإرشاد من **كعب الأحبار**، وكان يهوديًا دخل في الإسلام) الصخرة وقد غطّتها القاذورات بصورة مشينة، فأمر النبط بإزالتها. وبعد أن تمّ تنظيفها بسبب مطر غزير نزل ثلاث مرّات، أمر عمر بأن تقام الصلاة هناك. ويُقال إنّ ياقوتة نفيسة وقرن كبش إبراهيم كانا معلّقَين في وسط الصخرة.

الصِدَاق : (أطلب مادّة : **المَهْر**).

الصِّدْق : ١ . اللّه أصدق القائلين: «ومَن أصْدَقُ من اللّهِ قيلاً» (٤/١٢٢)، وأصدق المحدِّثين: «ومَنْ أصدَق من اللّهِ حديثاً» (٤/٨٧). ووصف القرآن المؤمنين بالصادقين، بقوله: «إنّما المؤمنون الذين آمَنوا باللّهِ ورسوله، ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه أولئك هُمُ الصَّادقون» (٤٩/١٥). «والذي جاءَ بالصدقِ وصدَّقَ به أولئكَ هُمُ المتَّقُونَ» (٣٩/٣٣).

وقد بيّن الرسول مآلَ الصادقين ومصير الكاذبين بقوله: «عليكم بالصدق، فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرَّ يهدي إلى الجنّة. وما يزال الرجل يصدق

ويتحرّى الصدقَ، حتّى يُكتَب عند اللّه صدّيقاً. وإيّاكم والكذب، فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب، حتّى يُكتَب عند اللّه كذّاباً» (رواه البخاري).

قال الإمام القشيري: «الصدق ألاّ يكونَ في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب».

٢ . وثمّة معنى آخر للصدق في القرآن، وهو أنّ القرآن نزل مصدِّقاً للكتاب السابق. فلئن «تصرّف» القرآن العربي و«فصّل» آياتِ الكتاب الأعجمي، بحسب مقتضى الظروف والمناسبات، فإنّه يبقى «مُصَدِّقاً» لـلكتابِ الأصل. ولئن غيّر «التعريبُ» و«التفصيلُ» و«التصريفُ» فيه بعضَ الشيء فإنّ تعليمَه يبقى أيضاً «مُصَدِّقاً» لتعليم الكتاب الأصل. وقد ردّد محمد (؟) هاجسَه هذا مراراً، ليبرهن للنّاس صِدقَ ما يَنقل إليهم من «الكتاب الذي بين يديه»، وليشهد لهم أنّ كتابَه العربي إنّما هو بالفعل «تَصْدِيقٌ» للكتاب الأعجمي، وهو «الحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيهِ» (٣/٣).

جاء في القرآن: «وَمِنْ قَبْلِه (أي القرآن) كتابُ موسَى إمَاماً ورَحمَةً. وهَذَا (القرآن) كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً» (٤٦/١٢)؛ «وَهَذَا (القرآن) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ وَمُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيه (أي قبله من الكتب)» (٦/٩٢)، و«نَزَّلَ عَلَيكَ الكتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيهِ» (٣/٣)، «إِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّه مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيهِ» (٢/٩٧)، «وَالَّذِي أَوحَينَا إليكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيهِ» (٣٥/٣١)، «وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ» (٣/٥٠).

والسامعون يَعرفون ذلك، وبنوع خاصّ، أهلُ الكتاب. هؤلاء: «لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللّه مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ... كَفَرُوا بِه» (٢/٨٩)، و«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ! آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا (من القرآن) مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ (من التوراة)» (٤/٤٧)، «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ (القرآن)، قَالُوا: نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَينَا (أي التوراة. قال:) وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ (أي القرآن) الحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُم» (٢/٩١).

نستنتج: إنّ بعض التّوراة والإنجيل كان بين يدي محمّد (؟)، يفصّلها بالحقّ، ويتصرّف بها لتيسير الذكر، وينقلها بالصّدق. ولم يكن هذا القرآن العربي، بالنتيجة، «حَدِيثًا يُفْتَرَى، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذي بَيْنَ يَدِيْه، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى، وَرَحْمَةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ» (١٢/ ١١١).

الصَّدَقَة : ١ . هي ما يُعطى للفقراء على وجه التقرّب إلى اللّه، لا على وجه المكرمة. يقول القليوبي: سمّيت بذلك لإشعارها بصدق نيّة باذلها[1]. وكثيراً ما تستعمل مرادفة لكلمة **زَكَاة**، أي الضريبة التي يفرضها الشرع للفقراء؛ ولكنّ الصدقة في الأصل تقال للمتطوّع به، والزّكاة تقال للواجب، كما ورد في القرآن: «إنّما الصدَّقات للفقراء والمساكين» الآية (٩/ ٦٠).. يجوز إعطاء الصدقة علانية (٢/ ٢٧٣) بشرط ألاّ يكون ذلك رياءً (٢/ ٢٦٥). لكن إعطاء الصدقة سرًا أفضل. ويجب أن تكون إبتغاء مرضاة اللّه (٢/ ٦٥). ومن يأمر بصدقة فله من اللّه أجر عظيم (٤/ ١١٤)...ويجوز أيضاً إعطاء الصدقة بدلاً من واجبات أخرى، مثل حلق الرأس بعد الحجّ (٢/ ١٩٢).

٢ . ثمّة صلة بين الصدقة وغيرها: كالهبة، والهديّة، والعطيّة، كلّ منها تمليك بلا عوض. إلاّ أنّه إذا كان التمليك لثواب الآخرة فـ**صدقة**؛ وإذا كان للمواصلة والوداد فـ**هِبَة**؛ وإن قصد به الإكرام فـ**هَدِيَّة**. أمّا **العطيّة** فهي شاملة للجميع؛ **والعارية**: إباحة أو تمليك منفعة مع بقاء العين لصاحبها بشروط مخصوصة.

٣ . ورد في فضل الصدقة ما جاء في القرآن، من مثل قوله: «مَن ذا الذي يُقرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسَناً فيُضاعِفَه له أضعافاً كثيرة. واللّهُ يَقبِضُ ويَبْسُطُ. وإليهِ تُرجَعُون» (٢/ ٢٤٥)، وقوله: «.. وأقيموا الصّلاةَ، وآتُوا الزَّكاةَ، وأقرِضوا اللّهَ قَرْضاً حسناً. وما تُقدِّموا لأنفسكُم مِن خيرٍ تَجِدُوه عند اللّه هو خَيراً وأعظمَ أجراً..» (٧٣/ ٢٠). وكذلك وردت أحاديث كثيرة، منها: ما رواه أبو هُريرة عن النبي قال: «سبعة يُظلّهم اللّهُ في ظلّه يومَ لا ظلّ إلاّ ظلّه.. (فذكر منهم): ورجلٌ

---

(١) القليوبي على شرح المناح ٣/ ١٩٥.

تصدّق بصدَقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[٢]، وقوله: «أيّما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه اللّه يوم القيامَة من ثمار الجنّة؛ وأيّما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه اللّه يوم القيامة من الرحيق المختوم؛ وأيّما مؤمن كسا مؤمناً على عري، كساه اللّه من خضر الجنّة»[٣]..

٤ . اختلف الفقهاء في جواز صدقة التطوّع على الكافر. وسبب الخلاف هو أنّ الصدقة تمليك لأجل الثواب، وهل يُثاب الشخص بالإنفاق على الكفّار؟! فقال الحنابلة والشافعيّة: إنّه يجوز، وذلك لعموم قوله تعالى: «ويُطعمون الطعامَ على حبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» (٧٦/٨). وأمّا الحربي، ولو مستأمناً، فجميع الصدقات لا تجوز له، وكذلك الذي لا يُرجَى إسلامه..

٥ . الأفضل في صدقة التطوّع أن تكون سرًّا، وإن كانت علانيّة تصحّ ويُثاب عليها، قال تعالى: «إن تُبدو الصدَقاتِ فنعمّا هي، وإن تُخفُوها وتُؤتُوها الفقراءَ فهو خيرٌ لكم، ويُكفِّرُ عنكم سيّئاتِكم. واللّهُ بما تعْمَلُون خَبير» (٢/ ٢٧١)، ولما روي أنّ رسول اللّه قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السرّ تُطفئ غضب الربّ، وصلة الرحم تزيد في العمر»[٤].. أمّا صدقة الفرض فلا خلاف أنّ إظهارها أفضل كصلاة الفرض وسائر الفرائض.

٦ . يحرّم المنّ والأذى بالصدقة، ويبطل الثواب بذلك، لقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى، كالذي يُنفق مالَه رئاءَ الناس» (٢/ ٢٦٤)، وقوله: «الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه، ثمّ لا يُتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذًى، لهم أجرهم عند ربّهم، ولا خوف عليهم. ولا هم يحزنون» (٢/٢٦٢). ولا خلاف بين الفقهاء في أنّ المنّ والأذى في الصدقة حرام يُبطل الثواب. قال النبيّ: «ثلاثة لا يكلّمهم اللّه يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم. ولهم عذاب أليم..

---

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٤٣/٢، ط. السلفيّة.

(٣) أخرجه الترمذي ٦٣٣/٤، ط. الحلبي، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير، مجمع الزوائد ١١٥/٣، نشر مكتبة القدسي، من حديث أبي أمامة، وإسناده حسن.

قال أبو ذرّ: مَن هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[٥].

الصَّدِيد :صديد الجرح: ماؤه الرقيق المختلط بالدمّ قبل أن يغلظ. فإن غلظ سمّي **مِدَّة** أو **قَيْح**. والصديد في القرآن: ما يسيل من جلود أهل النار، في قوله: «مِن ورائِه جَهَنَّمُ، ويُسقَى مِن ماءٍ صَديدٍ، يتجرَّعُه، ولا يكادُ يُسيغُه. ويأتيه الموتُ من كلِّ مكان، وما هو بميِّتٍ. ومِن ورائِه عذابٌ غليظ» (١٤/١٦-١٧).

الصِّدِّيق : لقب **أبي بكر** أوّل الخلفاء الراشدين، ومعنى الصدّيق المبالِغ في الصدق والدائم الصدق. قال ابن إسحق: إنّ أبا بكر لقِّب بهذا اللّقب حين تزعزع إيمان المسلمين بالنبي إثر حديثه عن المعراج، فشهد أبو بكر بأنّ النبيّ قد صدق كلَّ الصدق في وصفه لبيت المقدس. وردّ إليهم بذلك ثقتهم في النبي. وثمّة رواية أخرى تقول: إنّ النبيَّ شكا لجبريل قلّة إيمان قومه. فأجابه جبريل: «أبو بكر يصدقك. فهو الصدّيق»..

ولم يُلقَّب بهذا اللقب في القرآن إلاّ يوسف (١٢/٤٦) بمعنى الصادق الحكم. ويُوصف بالصدّيق أنبياء، مثل إدريس (١٩/٥٣) وإبراهيم (١٩/٤٢). ويُقال لمريم «صدّيقة» (٥/٧٩). ويُقال أيضاً للذين يؤمنون بالله حقّ الإيمان الصدّيقون (٥٧/١٨؛ ٥/١٨).

الصِّرَاط : الطريق في قوله: «ولا تَقْعُدوا بكلِّ صِراطٍ تُوعِدونَ وتَصدُّون عن سبيل الله» (٧/٨٦). يرد في القرآن ٤٥ مرّة، ويوصف دائماً بـ «المستقيم»، و«السوي»، ومرّة واحدة «صراط الجحيم» (٣٧/٢٣).

وهو، في الشرع، «جسرٌ ممدود على متن جهنم يَرِدُه الأوّلون والآخِرون حتّى الكفّار»؛ أو هو «جسر ممدود على ظهر جهنّم يَعبر عليه المؤمن وغير المؤمن»؛ أو هو «حقّ يَجُوزه الأبرار ويزلّ عنه الفجّار»؛ أو، بحسب أبي حنيفة، هو «قنطرة

---

(٥) أخرجه مسلم، صحيح ١١/١٠٢، ط. الحلبي، من حديث أبي ذرّ.

ممدودة على جهنّم». وفي تحفة المريد: «إنّه أدقّ من الشعرة، وأحَدُّ من السيف.. فلا يمشي أحدٌ في نور أحد».

الصَّرْفَة : هي القول بأنّ القرآن ليس معجزاً بذاته، ولكن سبب إعجازه أنّ اللّهَ صَرَفَ العربَ عن أن يُنشئوا مثله. وهذا، بحسب الإسلام التقليدي، رأي فاسد؛ فيه تطاولٌ على القرآن وعلى منزِّل القرآن.

الصَرُورَة : مَن لم يحجّ. وعند الفقهاء: من لم يحجّ حجّةَ الإسلام. سمّي بذلك لأنّه صرّ بنفسه عن إخراجها في الحجّ.. روى ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه: «لا صَرورةَ في الإسلام»[١]، أي: لا يبقى أحد في الإسلام بلا حجّ..

الصَّرِيْح : لغةً: هو الذي خلص من تعلّقات غيره. والعربي الصريح هو خالص النسب. والجمْع صرحاء. ومنه أيضاً القول الصريح: وهو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل.. والصريح في الاصطلاح: إسم لكلام مكشوف المراد به بسبب كثرة الاستعمال، حقيقةً كان أو مجازاً.. وذكر السيوطي: أنّ الصريح هو اللّفظ الموضوع لمعنى لا يُفهم منه غيره عند الإطلاق.

ويقابل الصريحَ **الكناية**[١].. والفرق بين الصريح والكناية: أنّ الصريح يُدرك المراد منه بمجرّد النطق به، ولا يحتاج إلى النيّة؛ بخلاف الكناية فإنّ السامع يتردّد فيها فيحتاج إلى النيّة. والصريح أيضاً خلاف **التعريض**: والتعريض هو إذا قلتَ قولاً وأنتَ تعنيه، كما إذا سألت رجلاً: هل رأيتَ فلاناً، وقد رآه؛ ويكره أن يكذب، فيقول: إنّ فلاناً لَيُرى. فيجعل كلامه معراضاً فراراً من الكذب. وذكر الجرجاني: أنّ التعريض في الكلام ما يَفهم به السامع مرادَه من غير تصريح[٢].

الصَّعَالِيْك : هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعَدْو والإغارة على القبائل للنّهب. وهم أيضاً شبّان فقراء، أمثال عروة بن الورد، وتأبّط شرّاً، والسليك بن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٣٤٩؛ ذكر تضعيفه الذهبي في الميزان ٣/ ٣١٢٢، ط. الحلبي.

(١) السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٢٩٣؛ المنثور، ٢/ ٣٠٦.

(٢) التعريفات، ٨٥، ط. الأولى.

السلكة. ويُطلق عليهم ذؤبان العرب، لأنّهم كانوا يختطفون المال كما تخطفه الذئاب. وكان يُطلق عليهم أيضاً العدّائين، لأنّهم كانوا مشهورين بسرعة العدْو في السلب والنهب.. يتميّز شعرُهم بصيحات الفقر والجوع، وتموج أنفسهم بالثورة العارمة على الأغنياء الأشحّاء. ويمتازون بالشجاعة والصبر وشدّة المراس..

صَعْصَعَة بن نَاجِيَة (ت بعد ٩هـ/ ٦٣٠م) : من أشراف الجاهليّة. جدّ الفرزدق. هو أوّل من قام في تميم بإنقاذ بناتهم من الوأد. وفد على النبيّ وأسلم.

الصَّغَائِر : من الصغيرة، هي: كلّ ذنب لم يُختم بلعنة، أو غضب، أو نار. وهي: ما ليس فيها حدّ في الدنيا ولا وعيد في الآخرة. يقابلها **الكَبَائِر**، وهي الآثام، أو ما كان حراماً محضاً، شرّعت عليه عقوبة محضة، بنصٍّ قاطعٍ في الدنيا والآخرة. وقيل: إنّها ما يترتّب عليها حدّ، أو توعّد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب.. والصغائر هي **اللَّمَم** في قوله تعالى: «الذين يجتنبونَ كبائرَ الإثم والفواحشَ إلاّ اللّمَم» (٥٤/ ٣٢).. وقيل: إنّ الذنوب والمعاصي كلّها كبائر؛ وإنّما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها.. وقد تعظم الصغائر من الذنوب فتصير كبائر لأسباب منها: الإصرار، والمواظبة، واستصغار الذنب، والسرور بالصغيرة والفرح والتبجّح بها، واعتداد التمكّن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونه سبب الشقاوة[1].

الصَّفّ : السطر المستقيم من كلّ شيء، ومنه قوله تعالى: «إنّ اللّه يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صَفًا كأنّهم بنيانٌ مرصوص» (٦١/ ٤).. ذهب الجمهور إلى أنّه يُستحبّ تسوية الصفوف في صلاة الجماعة، لقول النبي: «سَوُّوا صفوفكم فإنّ تسويةَ الصفّ مِن تمام الصلاة»[1].. وتسوية الصفوف واجبة لقول الرسول: «لتسوونّ صفوفكم أو ليخالفنّ اللّهُ بين وجوهكم»[2].. وأفضل صفوف الرجال

---

(١) راجع : إحياء علوم الدين ٤/ ٣٢-٣٣.

(١) أخرجه مسلم ١/ ٣٢٤، ط. الحلبي، من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/ ٢٠٦؛ مسلم ١/ ٣٢٤، من حديث النعمان بن بشير.

أوّلُها، وأفضل صفوف النساء آخرُها، لقول النبي: «خير صفوف الرجال أوّلها، وشرّها آخرها؛ وخير صفوف النساء آخرها، وشرّها أوّلها»[٣].

سورة الصفّ، رقم ٦١ من القرآن، وفيها ١٤ آية، وهي مدنيّة.

الصَّفَا وَالمَرْوَة : الصَّفَا أكَمَة عند مكّة لا تكاد الآن تعلو عن سطح الأرض. تقوم تجاهها، على بعد ٤٥٠م أكمة المَرْوَة، ويُسمَّى الفاصل بينهما **المَسْعَى**. **يَسْعَى** المسلمون، بين الصفا والمروة، سبعةَ أشواط، إحياءً للقصّة التي تروي أنّ هاجَر، إمرأة إبراهيم وأمّ إسماعيل، سعت رائحةً غاديةً بين هذين المرتفعَين، باحثةً عن عينٍ تروي بها ظمأ ولدِها. وكانت ثمّة شعائر تمارَس عندهما في الجاهليّة. وتذكر روايات أنّه كان هناك صنمان من الحجر: إسَاف على الصفا، ونائلة على المروة.

جاء في القرآن : «إنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ مِنْ شعائرِ اللَّه. فمَن حجَّ البيتَ أوِ اعتَمَرَ فلا جُنَاحَ علَيهِ أن يَطَّوَّفَ بِهِما. ومَن تَطَوَّعَ خَيراً فإنَّ اللَّهَ شاكرٌ عَلِيمٌ» (٢/ ١٥٨).وقد ساق النيسابوري في تفسير هذه الآية القصّة الآتية في أصل هذين الصنمين، وأيّده في ذلك الشافعي. يقول: ارتكب إساف ونائلة فعلاً فاضحاً في الكعبة، فمُسخا حجرَين، وأُقيما على أكمتَي الصفا والمروة نذيراً للقوم جميعاً. وبمضي الزمن، نُسي أصل الصنمين، وبدأ الناس يعبدونهما.

الصُّفْرِيَّة : فرقة من الخوارج. تقابل **الأزارقة والإباضيّة**.

الصَّفَويُّون : سلالة حكمتْ فارس، عام (٩٠٧-١١٥٠هـ/ ١٥٠١-١٧٣٧م). تنتسب إلى **الشيخ صفيّ الدِّين** (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م)، ومؤسّسها **إسماعيل الصفوي الأوّل** (ت ١٥٢٤م)، وهو سادس من انحدروا من صلبه. وكانت الأسرة قد استقرّت منذ عهد طويل في أردبيل. وفي أواخر القرن السادس عشر، عمد إسماعيل، بعد وفاة أخويه الأكبرين، إلى مدّ سلطانه شيئاً فشيئاً على شيروان وآذربيجان والعراق وسائر بلاد الفرس..

---

(٣) أخرجه مسلم، صحيح مسلم ١/ ٣٢٦، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

وكـان مـذهب الشيـعـة هو المذهب الشـائع دائمـاً في بلاد الفـرس؛ إلاّ أنّ إسماعيل كان أوّل حاكم جعله مـذهبَ الدولة، ونشره بين القبائل التركيّة التي تنزل الشمال والتي ألحـقها بخدمته وميّـزها بإلباسها القلنسوات الحمـر، فعرفت باسم «قـزل باش»، أي ذوي الرؤوس الحـمـر. وقضى عـلى مذهـب أهل السنّة في بلاد فارس، أو كاد.

وخلفه ابنُه **طهماسب الأوّل** (ت ١٥٧١م)، الذي طرد الأوزبكيّة مراراً من خراســان، وانتصر علـى العثمـانيّين الذين كانوا في عهـد سليم الأوّل قد أوقـعوا الهزيمة بأبيه.

ثمّ آل العرش إلى ابنه الرابع **إسماعـيل الثاني** (ت ١٥٨٥م)، وكان حاكـماً مستبـدّاً، تافهاً، داعراً. وأصبحت البلاد خلال حكمـه المشين فريسة للنزاع الداخلي والعدوان الأجنبي.

ولمّا توفّي خلَفَه ابنُه الأصـغر الشاه **عبّاس الأوّل** (ت ١٦٢٨م)، الذي أعاد البلاد إلى مركزها الحقّ في العالم الإسلامي.وكان عادلاً متسامحاً..

ثمّ خلفـه حفـيده **صفيّ الأوّل** (ت ١٦٤٢م)،الذي تولّى أمر البـلاد، وكان خلالها حاكماً مستبدّا متعطّشاً للدماء.

وخلفه ابنه **عـبّاس الثـاني** (ت ١٦٦٦م)، وكـان لا يزال في العاشـرة من عمره.. وتحسّنت العلاقات بين فارس وتركيّة تحسّناً عظيماً في عهده.

وخلفه ابنه الأكبر **صفيّ** (ت ١٦٩٤م)، الذي أحبط محاولة قام بها الأمراء لإقصائه عن العرش، واتّخذ اسم سليمان. وكان منفتحاً على الدول الأوروبّيّة.

ثمّ خلفـه ابنه السلطان **حسين** (ت ١٧٣٦م)، وهو أمـير ضـعيف. سـمح لرجـال الدين بأن يديروا جـميع شـؤون الدولة. وكان كـلّ من يخرج على مـذهب الدولة الشـيـعي، يُضطهـد.. وفي سنة ١٧٢٢ غـزا مـحـمـود بلاد فـارس، وخلع السلطان حسين، الـذي توفّي بعد ذلك بقليل... واستـمرّت الدولة الصـفويّة تنازع البقاء حتى قضي عليها في ١٧٣٧/٢/٢٦.

الصَفِيّ : وهو الخـالص من كلّ شيء. والصفيّ من الغنـيمـة: ما اختـاره الرئيس من المغنم واصطفاه لنفسه قبل القسمـة، كالجارية والعبد والثوب والسيف والفرس، وغـير ذلك. وذهب الجـمهـور إلى أنّ الصفيّ كـانَ لرسول اللّه خـاصّة، وليس للذين مِن بعده. قـالت عائشـة: «كانت صَـفيّةٌ من الصَّفِيّ. تعني: صَـفيّة بنت حييّ كانت غنيمة خيبر»[1].

صَفِيَّـة بنت حُيَيّ بن أَخْطَب (ت ٥٠هـ/ ٦٧٠م) : كان اسـمها «حـبيـبة». سمّيت «صفيّة»، لأنّ رسول اللّه اصطفاها لنفسه يوم خيبر، وكان عمرها ١٧سنة، يومَ دخلتْ على رسول اللّه[1].. وكانت تحت سلام بن مِـشْكَم اليهودي، ففـارقها. فتزوّجها كَنانة بن الربيع. فقُتِلَ عنها يومَ خيبر، ولم تُنجب لهما.

روى أنَس بن مالك أنّ رسولَ اللّه، لمّا افتتحَ خيبر، وجمعَ السبيَ، أتاه دِحْيَةُ بنُ خليفة الكلبي، فقال: أعطِني جاريةً من السـبي. قال: إذهبْ. فخذْ جارية. فذهبَ. فأخذَ صَفيّة. قيل: يا رسولَ اللّه! إنّها سيّدة قُرَيْظَة والنَّضير. ما تصلحُ إلاّ لكَ. فقال رسولُ اللّه: أدعُوهُ بهـا. فجاء بها. فلمّـا نظرَ إليها النبيُّ قال: خـذْ جاريةً من السبي غيرَها. وأخذَها رسولُ اللّه. واصطفاها. وحَجبَها. وأعتَقَها. وتزوَّجَها. وقَسَمَ لها[2].

وعندما أصبحتْ صفيّة في حوزة رسول اللّه، على قول ابن سعد، خرج بها من خيبر. ولم يعرّسْ بها.. فلمّا صار إلى منزلٍ على ستة أميال من خيبر، مال يُريدُ أنْ يعـرِّسَ بها. فـأبَتْ عليه. فـوجدَ النبيُّ فـي نفســه من ذلك. فشقّ عليـه تمَنُّعُهـا

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٣٩٨، ط. دعاس؛ الحاكم ٢/ ١٢٨، ط. دائرة المعارف العثمانيّة.

(١) رَ: الإصابة، رقم ٦٥٠، ورقم ٩٥١؛ أسـد الغابة، رقم ٧٠٥٥؛ طبـقات ابن سـعد، ٨/ ١٢٨– ١٢٩؛ ٢/ ٧٧؛ عـيون الأثر، ٢/ ٣٠٧؛ السـمط الثـمين، ١٢٠؛ تاريخ الطبـري، ٣/ ٩٥، ١٧٨؛ المحبر، ٩٠؛ الاستيعاب، ٤/ ١٨٧١؛ سيرة ابن هشام، ٣/ ٣٥٠؛ صحيح البخاري، ١/ ١٠٤.

(٢) صحيح البـخاري، كتاب الصلاة، ١/ ١٠٤. أمّا في رواية أنَس بن مـالك، فهناك كلامٌ على أنّ النبيّ اشتراها. قال: "إنّ صـفيّة وقعتْ في سهم دحية الكلبي. فـقيل لرسول اللّه: إنّه قد وقع في سهم دحية الكلبي جاريةٌ جميلةٌ. فاشتراهـا رسولُ اللّه. ودفعها إلى أمّ سليم حتى تُهيّئها وتصنعهـا وتعتدّ عندها (أي تقضي عندها عـدّتَها لتطهر). "وكان الناسُ يقـولون: واللّهِ! ما ندري أتَزَوَّجَهَا رسولُ اللّه، أم تسرَّى بهَا!".

ورفضُها. فلمّا كان بالصهباء (بعيداً عن خيبر)، قال رسولُ اللّه لأمّ سليم، أمّ أَنَس بن مالك: عليكنَّ صاحبتكنَّ. فامْشِطْنَها. وأراد رسولُ اللّه أن يعرّسَ بها هناك.. فقالت أمُّ سليم: مشَّطْنَاها. وجَمَّلْنَاها. وعَطَّرْنَاها.. وظهرتْ صفيّة، على قول بنت الشاطئ، عروساً، مجلوَّةً. تأخذُ العينَ بسحرِها. حتى قيل عنها: إنّها لم تُرَ بين النساء أضوأ منها (أي أجمل وأطهر) "[٣].

وأقبلَ رسولُ اللّه، على قول ابن سعد، يمشي إليها. فقامتْ إليه. فخرجنَا من عندهما. وأعرسَ بها رسولُ اللّه هناك. وبات عندها.. فسألتُها عمّا رأتْ من رسولِ اللّه. فذكرتْ أنّه سُرَّ بها. ولم ينمْ تلك الليلة. ولم يزلْ يتحدّثُ معها. وقال لها: ما حملَكِ على الذي صنعتِ حينَ أردتُ أنْ أنزلَ المنزلَ الأوّلَ فأدْخُلَ بكِ؟!! فقالتْ: خشيتُ عليكَ قُرْبَ يهود "[٤].

عن غيرة عائشة وموقفها المعادي لصفيّة، أخبرنا ابن سعد: "لمّا اجتلى النبيُّ صفيّةَ رأى عائشة متنقّبةً في وسط الناس. فعرفها. فأدركها. فأخذ بثوبها. فقال: يا شُقَيراء! كيف رأيتِ؟ قالت: رأيتُ يهوديّةً بين يهوديّات. فقال: لا تقولي ذلك. فإنّها أسلمتْ. وحسُن إسلامُها. وبسبب غيرة عائشة من هذه اليهوديّة، ترك رسولُ اللّه عائشة شهرين أو ثلاثة لا يأتيها. قالت عائشة: حتى يئستُ منه، وحوّلتُ سريري. غير أنّ الأمور عادت إلى طبيعتها "[٥].

وكانت صفيّة، على رأي بنت الشاطئ، تتألّم في داخلها بسبب دمها اليهودي. ولا تعرف إلى أي حزب من النساء تنتمي: أمع عائشة وسودة وحفصة؟ أم مع الزوجات الأخريات وفاطمة الزهراء؟ "إنّه لموقفٌ دقيقٌ صعب "[٦]. غير أنّ عائشة تُخيف أكثر. فقرّرتِ الالتجاء إلى حزبها، أي حزب عائشة، خوفاً من غيرتها العارمة، وتجنّباً من مضايقتها.

---

(٣) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٦٨.

(٤) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٢٠-١٢٢.

(٥) المرجع نفسه، ٨/١٢٧.

(٦) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٧٢.

" ومع هذا، لم تسلمِ الزوجةُ اليهوديّةُ من أذى عائشة وحفصة. فلمّا حدّثت النبيَّ، وهي تبكي، قال لها: ألا قلتِ لهنَّ: كيف تكونان خيرًا منّي، وزوجي محمّد، وأبي هارون، وعمّي موسى؟.. وكان النبيُّ يحسُّ غربةَ صفيّة في دُوره بين نسائه. فيدافع عنها كلّما أتيحت له فرصة ".

وعند ابن سعد، "أنّ نبيَّ اللّه، في الوجع الذي توُفّي فيه، اجتمع إليه نساؤه. فقالت صفيّة: أمَا واللّهِ، يا نبيَّ اللّهِ! لوددتُ أنَّ الذي بكَ بي. فغمزتْها أزواجُ النبيّ. وأبصرهنَّ رسولُ اللّه. فقال: مضْمِضْنَ. فيقلنَ: مِن أيّ شيء، يا نبيَّ اللّه؟! قال: مِن تغامزكنّ بصاحبتكنّ. واللّهِ، إنها لصادقة "[٧].

وماتت صفيّة في خلافة معاوية. وقُبرتْ بالبقيع.

صِفِّيْن : مكان في سوريا على الشاطئ الأيمن لنهر الفرات، غربي الرقّة. وهو موقع شهير، بسبب تلك الموقعة الكبرى التي دارت فيه سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، بين علي ومعاوية، وانتهت بالتحكيم، ممّا أدّى إلى ثورة الخوارج على عليّ.

صَلاحُ الدِّيْن الأيُّوبِيّ (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) : وُلد بتكريت. وتوفّي في دمشق، في الخامسة والخمسين من عمره. هو مؤسّس الدولة الأيّوبيّة. أكبر ملوك المسلمين على أيّام الصليبيّين. كرديّ الأصل. دخل مع أبيه وعمّه شيركوه في خدمة نور الدين زنكي. تولّى وزارة العاضد الفاطميّ، فاستولى على زمام الأمور في مصر، وقضى على الدولة الفاطميّة، وخطب للعبّاسيّين، واعترف بسلطة الخليفة في بغداد سنة ١١٧١م. انتصر على الزنكيّين قرب حمص، واحتلّ سوريا والموصل. استولى على طبريّة، وهزم الإفرنج قرب **حِطِّين** ١١٨٧م. وأسر ملك القدس غي دي لوزينيان، وفتح بيت المَقدِس. ثمّ عقد هدنة مع الصليبيّين وسالمهم.

قال صاحب الروضتَين معلّقاً على وفاته: «وكان يوماً لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله، مذ فُقِد الخلفاء الراشدون، وغشي القلعةَ والبلد والدنيا من

---

(٧) طبقات ابن سعد، ١٢٨/٨.

الوحشة ما لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى». وقال آخر: «وأُغمِد سيف اللّه الذي كان على أعدائه دائمَ التجريد، وخفَّتِ الأرضُ من جبلِها الذي كان يمنعها أن تميد، وأصبحَ الإسلامُ وقد فقَدَ ناصرَه ثاكلاً لوحيد. فهو أعظم فاقدٍ لأعظمِ فقيد».

الصَّلاة : ١ . لغةً: الدعاء، لقوله تعالى: «وصلِّ عليهم» (٩/ ١٠٣)، أي أدعُ لهم.. وفي الاصطلاح: هي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم مع النيّة بشرائط مخصوصة. وقال الحنفيّة: هي إسم لهذه الأفعال المعلومة من القيام والركوع والسجود.

٢ . للصلاة مكانة عظيمة في الإسلام. فهي أفضل الفروض بعد الشهادتَين، وأحد أركان الإسلام الخمسة. وقال أيضاً: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل اللّه»[١]. وقال أيضاً: «أوّل ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»[٢]..

٣ . أصل وجوب الصلاة كان في مكّة أوّل الإسلام، لوجود الآيات المكّيّة التي نزلت في بداية الرسالة تحثّ عليها. وأمّا الصلوات الخمس بالصورة المعهودة فإنّها فُرضت ليلةَ الإسراء والمعراج على خلافٍ بين المسلمين في تحديد زمنه.

٤ . ثبتت فرضيّة الصلوات الخمس بالكتاب والسنّة والإجماع:

أمّا الكتاب فقوله: «وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاة» (٢/ ١١٠)[٣]؛ وقوله: «إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» (٤/ ١٠٣)، أي: فرْضاً موقَّتاً؛ وقوله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» (٢/ ٢٣٨)؛ وقوله: «وأقمِ الصلاة طرفَي النهار وزلفاً من الليل» (١١/ ١١٤)؛ وقوله: «أقمِ الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر. إنّ قرآنَ الفجر كان مشهوداً» (١٧/ ٧٨). والمحافظة على

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ١٢، من حديث معاذ بن جبل، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه الترمذي، ٢/ ٢٧٠، ط. الحلبي، من حديث أبي هُريرة.

(٣) رَ: ٢/ ٨٢ و ١٠٩ و ١٧٦ و٢٧٦؛ ٤/ ٧٦ ، ١٦١؛ ٥/ ١١ و ٥٤). وفي (٢/ ٤٤ و١٥٢.

الصلاة أمـرٌ يوصي به القرآن مـراراً وتكراراً[٤]. وقد أُنذر السـاهون عن الصلاة (١٠٧/ ٤؛ ٤/ ١٠٢)؛ كما نهى أن تُقام الصـلاة مراءاة للناس (٤/ ١٤١)؛ كما حرّم شرب الخمر لأنّه كان يبلبل أداء الصلاة (٤/ ٤٢).

وأمّا السنّـة فأحاديث كـثيـرة توجب الصلاة، أهمّـها قول الـرسول: «بُني الإسـلام على خـمس: شـهـادة أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ مـحـمّداً رسـول اللّه، وإقـام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضـان، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً»[٥].

وأمّـا الإجمـاع، فقـد أجمـعت الأمّة على وجـوب خمس صلوات في اليـوم والليلة، وهي: الظهر ٤ ركعات، والعصر ٤ ركـعات، والمغرب ٣ ركعات، والعشاء ٤ ركعات، والصبح ركعتان.

٥ . ويمكننا أن نجد طريقة تنظيم الصلاة في مكّة في قوله: « وأَقِمِ الصلاةَ طرَفَي النّهارِ وزُلَفاً من الليل» (١١/ ١١٤)، ويتّـفق ذلك مع (١٧/ ٧٧)، حيث تذكر صلاة الصبح وصلاة الغروب وصلاة الغسق. وانظر أيضاً (٢٤/ ٥٧)، حيث تذكر صلاة الفجر وصلاة العشاء.

٦ . أجمع العلماء على أنّ تارك الصلاة جحوداً لفرضيّتها كافرٌ مرتدٌّ، يُقتل، لقـول النبي: «أُمرتُ أن أقـاتِلَ الناسَ حـتّى يشهـدوا أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ مـحـمّـداً رسول اللّه، ويُقيمـوا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإن فعلوا ذلك عَـصموا منّي دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحقّ الإسلام وحـسابهم على اللّه»[٦].. وقد نسب رسول الـلّه تاركَها إلى الكفر، فقال: «إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[٧].

٧ . للصـلاة شروط: فـهي واجبـة على كلّ مـسلم، راشد، عـاقل.. وهناك شروط أخرى تمهيـديّة يجب أن تتوفّر في أداء الصلاة الصحيـحة، وهي: الطهارة

---

(٤) ر: ٦/ ٩١؛ ٢٣/ ٨؛ ٧٠/ ٢٢.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٤٩، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/ ٤٥، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

(٦) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٧٥، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/ ٥٣، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

(٧) أخرجه مسلم ١/ ٨٨، ط. الحلبي، من حديث جابر بن عبداللّه.

الضروريّة المفروضة، وتكون بـ **الوضوء**، و **الغسل**، أو **التيمّم**. والثوب الذي يُلبس يجب أن يستوفي الشروط الشرعيّة التي تهدف إلى «ستر العورة». وتفسير هذا أنّ الرجال يجب أن يستروا ما بين السرّة إلى الركبتَين؛ أمّا حرائر النساء فيجب عليهنّ ستر الجسم كلّه ما عدا الوجه واليدَين.

ولا ضرورة لإقامة الصلاة بالمسجد. ويمكن أن تقام شعائرها في المسكن، وفي أي مكان آخر، إذ يُعزى إلى محمّد من أنّه خُصّ بميزة هي أنّه قد جُعلت له الأرض مسجداً وطهوراً(٨). ويُستثنى من ذلك المقابر(٩)، والأماكن النجسة، كالمجازر وغيرها(١٠). وتُستخدم **السجّادة** في ذلك بصفة عامّة. ويجب الإهتمام كذلك بالاتّجاه إلى **مكّة**.

وباختصار: إنّ شروط صحّة الصلاة هي:

١ – طهارة البدن والثوب والمكان عن النجاسة الحقيقيّة؛

٢ – طهارة أعضاء الوضوء عن الحدث، وطهارة كلّ الأعضاء عن الجنابة؛

٣ – ستر العورة؛

٤ – إستقبال القِبلة؛

٥ – العلم بدخول الوقت.

٨. أركان الصلاة :

١ – النيّة، وهي العزم على فعل العبادة تقرّباً إلى الله؛

٢ – تكبيرة الإحرام؛

٣ – القيام للقادر في الفرض؛

٤ – قراءة الفاتحة، لقول النبي: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»(١١)؛

---

(٨) البخاري، كتاب الصلاة، باب ٥٦.

(٩) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، حديث ٢٠٨، ٢٠٩.

(١٠) الترمذي، كتاب مواقيت الصلاة، باب ١٤١.

(١١) أخرجه البخاري، الفتح ٢/٢٣٧، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٢٩٥، ط. الحلبي، من حديث عبادة بن الصامت.

٥ – الركوع، لقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! إركعوا» (٢٢/٧٧)؛

٦ – الاعتدال، وهو القيام مع الطمـأنينة بعد الرفع من الركوع، لقول النبي للمسيء صلاته: «ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائماً»[١٢]؛

٧ – السجود في كلّ ركعة مرّتـين، لقوله: «إركعوا واسجدوا» (٢٢/٧٧)، ولحديث المسيء صلاته: «ثمّ اسجد حتّى تطمئنّ ساجداً»؛

٨ – الجلوس بين السجدتَين، لقول النبي للمسيء صـلاته: «ثمّ ارفع حتّى تطمئنّ جالساً»؛

٩ – الجلوس للتشهّد الأخير؛

١٠ – التشـهّد الأخـير، لقـول النبي: «إذا قعـد أحدكم في الصلاة فـليقل: التحيّات للّـه. سلام عليكَ أيّها النبيّ. ورحمة اللّه وبركاته. سـلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين. أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ محمّداً رسول اللّه»[١٣]؛

١١ – الصلاة على النبيّ بعـد التشهّد الأخـير، لقوله تعـالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! صلّوا عليه وسلّموا تسليمـاً» (٣٣/٥٦)، وهي كما قال النبي: «قولوا: اللّهمّ! صلِّ على مـحمّد وعلى آل مـحمّـد، كما صلّـيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. إنّك حميد مجيد. اللّهمّ! بارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. إنّك حميد مجيد»[١٤]؛

١٢ – السـلام، لقول عـائشــة: «كان النـبيّ يختم الصـلاة بالتـسليم»[١٥]، ولفظه: «السلام عليكم»؛

١٣ – الطمأنينة، وهي استقرار الأعضاء زمناً ما؛

١٤ – ترتيب الأركان، لقول النبي: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي»[١٦].

---

(١٢) حديث المسيء صلاته، من أبي هريرة، أخرجه البخاري، الفتح ٢/٢٧٧؛ مسلم ١/٢٩٨.

(١٣) أخرجه البخاري، الفتح ١١/١٣١، ط. السلفيّة، من حديث ابن مسعود.

(١٤) أخرجه البخاري، الفتح ١١/١٥٢؛ مسلم ١/٣٠٥، من حديث كعب بن عجرة.

(١٥) أخرجه مسلم ١/٣٥٨، ط. الحلبي.

(١٦) أخرجه البخاري، الفتح ٢/١١١، من حديثمالك بن الحويرث.

٩ . وكـان الناس يشكون من كـثرة الصـلاة ومـوجبـاتها، فـسـمع النبيّ شكواهم، فحذّر الأئمّـة بقوله: «.. فمن صلّى بالناس فليـخفّف. فإنّ فيهم الصـغير والكبير والضعيف والمريض»[١٧]..

١٠ . ويجوز للمرء أن يؤدّي الصلاة اليومـيّة وحدَه، ولكن من المستحبّ أن يؤدّيها في جـماعة.. إنّما هذا أمـر غير مفروض على الـنساء، بل هو غير مـستحبّ لهنّ. ويؤكّد الحديث تأكـيداً قويّاً فضائل صلاة الجـماعة[١٨]. والمسجد، في الوقت نفسـه، مستـحبّ، بوصفه مكاناً للاجـتماع، وإنْ لم تكن الصـلاة فيه فـرضاً. ولا تتوقّف شرعيّتها على توافر عـدد معيّن من المصلّين الحاضرين. وقد جاء في بعض المصادر أنّ الجمـاعة تنعقد بـشخصَين[١٩].. وإذا حضر شـخصٌ الصـلاةَ متأخّراً، فيجب عليه أن يؤدّي وحده ما فاته من صلاة الجماعة.

ويرتّب المصلّون أنفسهم صفوفاً مـتلاصقين في حسن ترتيب. والصفوف الأمامـيّة هي الأفـضل للرجال، فـيمـا الصف الأخيـر هو المفضّل للنسـاء.. وعلى المصلّي أن يتبع الإمام في كلّ ما يأتيه. ومن يهمل ذلك يعرّض نفسه لعقاب اللّه.

١١ . مبطلات الصلاة :

١ – اتّفق الفـقهاء عـلى أنّ الصلاة تبطل بالكلام، لما روي عن النـبي، قال: «إنّ هذه الصلاة لا يصلح فـيها شيء من كلام الناس، إنّمـا هو التسبيح والتكـبير وقراءة القرآن»[٢٠]؛

٢ – وقـالوا ببطلان صلاة مَـن خاطب أحـداً بشيء من غـير القـرآن وهو يصلّي؛

---

(١٧) البخاري، كـتاب العلم، باب ٢٨؛ مسلم، كتاب الصلاة، حـديث ١٧٩–١٩٠؛ أبو داود، كتاب الصلاة، باب ١٢٢، ١٢٣.. إلخ.

(١٨) راجع: البخاري، كتاب الأذان، باب ٢٩–٣١ و٣٤؛ مسلم، كتاب المساجد، الأحاديث: ٢٤٥–٢٥٩؛ ٢٧١–٢٨٢؛ النسائي، كتاب الأئمّة، باب ٤٢ و٤٥ و٤٨–٥٠ و٥٢.

(١٩) راجع أبو إسحاق الشيرازي، التنبيه، ص ٣١؛ إبن ماجه، كتاب الإقامة، باب ٥.

(٢٠) أخرجه مسلم ١/ ٣٨١–٣٨٢، حديث معاوية بن الحكم.

٣ – وذهب الحنفيّة والشافعيّة إلى أنّ التأوّه والأنين والتأفيف والبكاء والنفخ والتنجنح تُبطل الصلاة؛ واستثنى الحنفيّة المريض الذي لا يملك نفسه؛

٤ – وذهب جمهور الفقهاء إلى بطلان الصلاة بالضحك، لقول النبي: «القهقهة تنقض الصلاة، ولا تنقض الوضوء»(٢١)؛

٥ – واتّفق الفقهاء على بطلان الصلاة بالأكل والشرب؛

٦ – واتّفقوا على بطلان الصلاة بالعمل الكثير؛

٧ – لا تصحّ الصلاة إلاّ إذا كانت مستوفية شروطها؛ فإذا تخلّف شرط من شروط صحّتها بطلتْ؛

٨ – اتّفق الفقهاء على أنّ مَن ترك ركناً من أركان الصلاة عمداً فإنّ صلاته تبطل ولا تصحّ منه؛

٩ – ونهى النبيّ أن يُصلّى في سبعة مواطن: في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، وفي الحمّام، وفي معاطن الإبل، وفوق ظهر بيت اللّه (كالكنيسة)»(٢٢)؛

١٠ – ويكره التثاؤب في الصلاة لقول النبي: «إنّ اللّه يحبّ العطاس، ويكره التثاؤب.. فإنّ أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان». وفي رواية: «فليمسك بيده على فمه فإنّ الشيطان يدخل»(٢٣).

١٢. أَوْقَاتُ الصَّلاة : هي الأزمنة التي حدّدها الشرع. فالوقت سبب وجوب الصلاة، فلا تصحّ قبل دخوله، وتكون قضاءً بعد خروجه.. وأصل مشروعيّة هذه الأوقات عُرف بالكتاب. قال: «فسبحانَ اللّه حينَ تُمْسُونَ، وحينَ تُصْبِحُونَ. وله الحمدُ في السموات والأرضِ، وعَشِيًا، وحِينَ تُظْهِرون» (٣٠/١٧–١٨). إنّ المراد بالتسبيح الصلاة. أي: صلّوا «حِينَ تُمْسُونَ»، أي حين تدخلون في

(٢١) أورده الدارقطني ١/١٧٢، شركة الطباعة، من حديث جابر بن عبداللّه.

(٢٢) أخرجه الترمذي ٢/١٧٨، ط. الحلبي، من حديث ابن عمر.

(٢٣) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٦١١، ط. السلفيّة؛ والرواية الثانية لمسلم ٤/٢٢٩٣.

وقت المساء، والمراد به المغرب والعشاء؛ و«حِينَ تُصْبِحُونَ»، المراد به صلاة الصبح. والمراد بقوله: «وَعَشِيًّا» صلاةَ العصر، وبقوله: «وحِينَ تُظْهِرونَ» صلاةَ الظهر[٢٤]. وكذلك قوله: «أَقِمِ الصلاةَ لِدُلوكِ الشّمسِ إلى غَسَقِ الليلِ، وقُرْآنَ الفَجْرِ. إنّ قُرْآنَ الفجْرِ كانَ مَشهوداً» (١٧/٧٨).

وقد بيّنت السنّة أوقات الصلاة، كحديث إمامة جبريل للنبي، ونصُّه: «أمَّني جبريلُ عند البيت مرّتَين، فصلّى الظهرَ في الأُولى منهما حين كان الفيءُ مثلَ الشراك. ثمّ صلّى العصرَ حين كان كلُّ شيء مثلَ ظلّه. ثمّ صلّى المغربَ حين وجبت الشمس وأفطر الصائم. ثمّ صلّى العشاءَ حين غابَ الشّفقُ. ثمّ صلّى الفجرَ حين بَرَقَ الفجرُ وحَرُمَ الطعامُ على الصائم. وصلّى المرّةَ الثانيةَ الظهرَ حين كان ظلُّ كلِّ شيء مثلَه لوقتِ العصر بالأمس. ثمّ صلّى العصرَ حين كان ظلُّ كلِّ شيء مِثْلَيه. ثمّ صلّى المغربَ لوقته الأوّل. ثمّ صلّى العشاءَ الآخِرةَ حين ذهبَ ثلثُ الليل. ثمّ صلّى الصبحَ حينَ سَفَرَتِ الأرضُ. ثمّ التفت إليَّ جبريلُ وقال: يا محمّدُ! هذا وقتُ الأنبياءِ من قبلِكَ، والوقتُ فيما بين هذين الوقتَين»[٢٥].

١٣ . والصلاة في الإسلام، بحسب أوقاتها المحدّدة، هي نفسها كما في النصرانيّة : ثلاث مرّات في اليوم: عند الصبح والظهر والغروب. قال : «ثلاثَ مرّاتٍ: صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم مِن الظهيرة، ومِن بعد صلاة العشاء» (٢٤/٥٨). وفي مكان آخر، يُسمّي صلاةَ الظهيرة «صلاة الوسطى» (٢/٢٣٨). وفي تعاليم الرسل: «علينا أنْ نصلّي ثلاثَ مرّات في اليوم»[٢٦]. في القرآن أيضاً، وما زاد على ذلك فهو من النّوافل: «وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ» (١٧/٧٩)، أي: هي «خالصة لك دون أمّتك»[٢٧]. وفي تعليم الرّسل أيضاً: إنّ صلاة اللّيل إنّما هي

---

(٢٤) أحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٤.

(٢٥) أخرجه الترمذي من حديث ابن عبّاس، سنن الترمذي ١/ ١٧٨-١٨٠، ط. الحلبي.

(٢٦) Didachè, VIII, 3.

(٢٧) تفسير الطبري على آية ١٧/ ٨٧.

نافلةٌ، لا تجبر أحداً[٢٨]. أمّا قِبلة الصلاة، في النّصرانيّة[٢٩]، كما في القرآن، فبيتُ المقدس، إلاّ أنّها تحوّلت، بعد الهجرة، وبعدما وسع الشقاق بين محمّد واليهود، إلى مكّة (٢/١٤٢-١٤٥).

١٤ . هذا فيما يخصّ الصوات الخمس المفروضة؛ أمّا الصلوات الواجبة فهي إثنتان: الوتر والعيدان. يبدأ وقت صلاة الوتر وقتَ العشاء، وهو مغيب الشفق الأبيض. ويُصلّى بعد صلاة العشاء بحسب جمهور الفقهاء.. أمّا العيدَان فوقتهما بعد طلوع الشمس، وارتفاعها قدر رمح أو رمحين. وأمّا نهاية وقتهما فزوال الشمس من وسط السماء.

١٥ . وثمّة صلوات أخرى غير الصلوات الخمس اليوميّة، تقوم بها الجماعة في مناسبات معلومة. نبيّنها في ما يلي.

صَلاَةُ الاسْتِخَارة : (أنظر: **الاستخارة**)

صَلاَةُ الاسْتِسْقَاء : (أنظر: **الاستسقاء**)

صَلاَةُ الإشْرَاق : (أنظر: **الإشراق**)

صَلاة الأوّابِين : مِن آب أي رجع عن ذنبه وتاب.. قال الجمهور: هي صلاة الضحى، والأفضل فعلها بعد ربع النهار إذا اشتدّ الحرّ، لقول النبي: «صلاة الأوّابِين حين ترمض الفصال»[٣٠]. وقيل هي صلاة الضحى، ولذلك يقول الفقهاء: «مَن أتى بها كان من الأوّابين»[٣١]..

صَلاَةُ التَّرَاوِيْح : جمْع ترويحة، أي ترويحة للنفس، أي استراحة، وهي زوال المشقّة والتعب.. وسمّيت الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي رمضان

---

(٢٨) Hippolyte de Rome, Tradition Apostolique, 35.

(٢٩) Cf. Irénée. Adv. Haer., I, 26: 2; Const. Apst., II, 57.

(٣٠) أخرجه مسلم ١/٥١٦، ط. الحلبي، من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً.

(٣١) أنظر: ابن عابدين ١/٤٥٨؛ المجموع شرح المهذب ٤/٣٦؛ أسنى المطالب ١/٢٠٥؛ كشّاف القناع ١/٤٤٢؛ المغني ٢/١٣١..

بالترويحة للاستراحة. ثمّ سمّيت كلّ أربع ركعات ترويحة مجازاً. وسمّيت كذلك لأنّهم كانوا يُطيلون القيام فيها ويجلسون بعد كلّ أربع ركعات للاستراحة.. واتّفق الفقهاء على سُنِّيَّةِ صلاة التراويح، لقول النبي: «من قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدّم من ذنبه»[٣٢].. وذهب الفقهاء إلى أنّه لا أذان ولا مناداة ولا إقامة لغير الصلوات المفروضة.. وذهبوا إلى أنّ السنّة أن يختم القرآن في صلاة التراويح ليسمع الناس جميع القرآن.

صَلاَةُ التَّسْبِيح : هي نوع من صلاة النفل. وسمّيت كذلك لما فيها من كثرة التسبيح، ففيها في كلّ ركعة خمس وسبعون تسبيحة، لقول النبي لعمِّه العبّاس، قال: «يا عبّاس! يا عمّاه! ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعل بك عشرَ خصال، إذا أنت فعلتَ ذلك غَفر الله لكَ ذنبك، أوّلَه وآخره، قديمَه وحديثه، خطأه وعمده، صغيرَه وكبيره، سرّه وعلانيّتَه: عشر خصال:

«أن تصلّي أربع ركعات: تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وسورةً. فإذا فرغت من القراءة في أوّل ركعة وأنت قائم، قلتَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر: خمس عشرة مرّة. ثمّ تركع وتقولها وأنت راكع عشراً. ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً. ثمّ تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً. ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً. ثمّ تسجد فتقولها عشراً. ثمّ ترفع رأسك فتقولها عشراً. فذلك خمس وسبعون في كلّ ركعة. تفعل ذلك في أربع ركعات. إن استطعتَ أن تصلّيها في كلّ يوم مرّة فافعل. فإن لم تفعل ففي كلّ جمعة مرّة. فإن لم تفعل ففي كلّ شهر مرّة. فإن لم تفعل ففي كلّ سنة مرّة. فإن لم تفعل ففي عمرك مرّة»[٣٣].

صَلاَةُ التَّطَوُّع : من تطوّع بالشيء: تبرّع به. وهو إسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات، أو ما كان مخصوصاً بطاعة غير واجبة، أو هو الفعل المطلوب

---

(٣٢) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٢٥٠، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٥٢٣، من حديث أبي هُريرة.

(٣٣) أخرجه أبو داود ٢/ ٦٧-٦٨، ط. عزّت عبيد دعّاس، من حديث ابن عبّاس.

طلباً غير جازم.. وصلاة التطوّع هي ما زادت على الفرائض والواجبات، لقول النبي في حديث السائل عن الإسلام: «خمس صلوات في اليوم والليلة. فقيل: هل عليّ غيرها؟ قال: لا. إلاّ أن تطوّع»[٣٤].. والأصل فيها أن تؤدّى على انفراد.. وأمثلة الصلاة المتطوّع بها كثيرة: كصلاة الاستخارة، وصلاة الحاجة، وصلاة التوبة، وصلاة تحيّة المسجد، وركعتَي السفر، وغيرها..

صَلاَةُ التَّهَجُّد : (أنظر: **التهجّد**)

صَلاَةُ التَّوبَة : التوبة هي الرجوع من أفعال مذمومة إلى أفعال محمودة شرعاً. وصلاة التوبة مستحبّة باتّفاق، وذلك لما رواه أبو بكر قال: سمعتُ رسولَ اللّه يقول: «ما من رجلٍ يذنب ذنباً، ثمّ يقوم، فيتطهّر، ثمّ يصلّي، ثم يستغفر اللّه إلاّ غفر اللّه له». ثمّ قرأ هذه الآية: «والذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم، ذكروا اللّه فاستغفروا لذنوبهم.. إلخ» (٣/ ١٣٥)[٣٥].

صَلاَةُ الجَمَاعَة : ١ . لصلاة الجماعة فضل كبير، وقد حثّ عليها النبيُّ في قوله: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ (أي الفرد) بخمسٍ وعشرين درجة»[٣٦]. وعن عثمان قال: سمعتُ رسولَ اللّه يقول: «مَن صلّى العشاء في جماعة فكأنّما قام نصفَ الليل. ومَن صلّى الصبح في جماعة فكأنّما صلّى الليلَ كلَّه»[٣٧]. ولأهمّيتها قال النبيّ: «ما من ثلاثة في قريةٍ، ولا بدوٍ، لا تقام فيهم الصلاة، إلاّ قد استحوذ عليهم الشيطان. فعليكَ بالجماعة، فإنّما يأكلُ الذئبُ القاصيةَ»[٣٨].. واتّفق الفقهاء على أنّ أقلّ عدد تنعقد به الجماعة إثنان، وهو أن يكون مع الإمام واحد، فيحصل لهما فضل الجماعة، لقول النبي: «إثنان فما فوقهما جماعة»[٣٩].

---

(٣٤) أخرجه مسلم ١/ ٤١، من حديث طلحة بن عبيداللّه.

(٣٥) أخرجه الترمذي ٢/ ٢٥٨، ط. الحلبي؛ إبن حجر في التهذيب ١/ ٢٦٨، ط. حيدرأباد.

(٣٦) أخرجه البخاري، الفتح ٢/ ١٣١، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣٧) أخرجه مسلم ١/ ٤٥٤، ط. الحلبي.

(٣٨) أخرجه أبو داود ١/ ٣٧١، من حديث أبي الدرداء؛ النووي في المجموع ٤/ ١٨٣.

(٣٩) أخرجه ابن ماجة ١/ ٣١٢، ط. الحلبي، من حديث أبي موسى الأشعري.

٢ . الجماعة شرط في صحّة صلاة الجمعة، التي لا تصحّ بغير جماعة (أنظر: صلاة **الجمعة**). والجماعة في صلاة الجنازة ليست بشرط، بل سنّة. وفي صلاة العيدَين شرطُ صحّةٍ عند الحنفيّة والحنابلة؛ وسنّةٌ عند المالكيّة والشافعيّة.. وأمّا بالنسبة إلى النساء فيسَنٌّ لهنّ، عند الشافعيّة والحنابلة، الجماعة منفردات عن الرجال.. أمّا الحنفيّة فإنّ الجماعة للنساء مكروهة، وخروجهنّ إلى الجماعات قد يؤدّي إلى فتنة. ومنعَ المالكيّة جماعة النساء، لأنّ من شروط الإمام أن يكون ذَكَراً، فلا تصحّ إمامة المرأة لرجال، ولا لنساء مثلها؛ وإنّما يصحّ للمرأة حضور جماعة الرجال إذا لم تكن مخشيَّةَ الفتنة. وقرّر الحنابلة أنّه يُكره للحسناء حضور الجماعة مع الرجال، خشية الافتتان بها. ويباح لغيرها حضور الجماعة..

٣ . يُعذر مَن يتخلّف عن صلاة الجماعة لمرضٍ يشقّ معه الإتيان إلى المسجد؛ ولخوفٍ على النفس من سلطان أو عدوٍّ أو لصٍّ أو سبع أو دابّة أو سيل؛ ولخوفٍ على المال، أو من أن يُسرق منزله؛ ولخوفٍ على الأهل، كالقيام بتمريض أحدهم؛ ولمدافعة أحد الأخبثَين؛ ولأكل ذي رائحة كريهة، كبصل وثوم وكرّاث وفجل إذا تعذّر زوال رائحته، «لأنّ الملائكة تتأذّى ممّا يتأذّى منه بنو آدم»[٤٠]، ويدخل في ذلك مَن كانت حرفته لها رائحة مؤذية، كالجزّار والزيّات ونحو ذ لك، ومثل ذلك مَن كان به مرض يتأذّى به الناس، كجذام وبرص؛ ولعري؛ ولعمى؛ ولسفر؛ ولغلبة النعاس والنوم؛ ولزفاف الزوجة؛ ولاشتغال بعضهم بالفقه؛ ولسمن مفرط.

صَلاَةُ الجُمُعَةِ (أنظر: **الجُمْعَة**) : شُرّعت صلاة الجمعة في أوّل الهجرة عند قدوم النبيّ المدينة، وثبتت فرضيّتها بقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! إذا نُودي للصلاة من يوم الجُمُعة فاسعَوا إلى ذكرِ اللّهِ وذَرُوا البيعَ» (٩/٦٢)، وبقول النبيّ: «الجمعة حقّ واجب على كلّ مسلم في جماعة إلاّ أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبيّ، أو مريض»[٤١].

---

(٤٠) أخرجه مسلم ١/ ٣٩٥، ط. الحلبي، من حديث جابر بن عبدالله.

(٤١) أخرجه أبو داود ١/ ٦٤٤؛ الحاكم ١/ ٢٨٨، من حديث طارق بن شهاب.

من شروط صحّة صلاة الجمعة: ١- الخطبة، ويشترط تقدّمها على الصلاة، ويجب أن تتوافر فيها: حمد الله، والصلاة على رسوله، والوصيّة بالتقوى، وقراءة آية من القرآن، والدعاء للمؤمنين؛ ٢- الجماعة؛ ٣- أن تؤدّى بإذن عام يستلزم الاشتهار؛ ٤- أن لا تتعدّد الجمعة في المصر الواحد مطلقاً.. هذه الشروط الأربعة إذا فُقد واحد منها بطلت الصلاة.

صَلاَةُ الجَنَازَة (أنظر: **الجَنَائِز**) : في بعض الأحاديث إنّ الصلاة تجب على كلّ ميت من المسلمين[٤٢]. وروي أنّ النبيّ أقام الصلاة على المتوفّى عبد الله بن أُبَيّ «شيخ المنافقين»، وآخذه عمر على ذلك. ومن ثمّ نزل قوله: «ولا تصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً. ولا تقم على قبره. إنّهم كفروا بالله ورسوله. وماتوا. وهم فاسقون» (٩/٨٣).

ويقول الحديث أيضاً إنّ النبيّ رفض إقامة صلاة الجنازة إلاّ إذا كانت ديون المتوفَّى قد وفّيت بالفعل[٤٣]، ولذلك يوصي الشرع أهلَ الميت بأن يُسرعوا بتسوية هذا الأمر. على أنّنا نجد في الحديث روايات متناقضة عن مسألة: هل أقام النبي صلاة الجنازة على مَن قُتلوا بحكم الشرع؟[٤٤]. وزيادة على ذلك، روى الحديث أنّ النبيّ أبطل الصلاة في حالات المتوفَّين منتحِرين[٤٥].

صَلاَةُ الحَاجَة : اتّفق الفقهاء على أنّ صلاة الحاجة مستحبّة. واستدلّوا بما أخرجه الترمذي عن عبدالله بن أُبَيّ قال: قال رسول الله: «مَن كانت له إلى الله

---

(٤٢) إبن ماجّة، كتاب الجنائز، باب ٣١؛ النسائي، كتاب الجنائز، باب ٥٧؛البخاري، كتاب الجنائز، باب ٢٣ و٨٥؛ كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب ١٢ و١٣؛ مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث ٣٥، إلخ...

(٤٣) البخاري، كتاب الحولات، باب ٣؛ أبو داود، كتاب البيوع، باب ٩؛ إبن حنبل، ج٢، ص ٢٩٠ و٣٩٩.

(٤٤) أبو داود، كتاب الجنائز، باب ٤٧؛ النسائي، كتاب الجنائز، باب ٦٣-٦٤.

(٤٥) راجع: مسلم، كتاب الجنائز، حديث ١٠٧؛ أبو داود، كتاب الخراج، باب ٤٦؛ على أنّ النووي يقول (ص ٢٢٥) إنّه لم يحدث إستثناء لهذه الحالة.

حاجة، أو إلى أحدٍ مِن بنـي آدم فليتوضـأ فليُحسن الوضوء. ثمّ لـيصلِّ ركعتَين. ثمّ ليثْنِ على اللّه. وليصلّ على النبيّ. ثمّ ليقل: لا إله إلاّ اللّه الحليم الكريم. سبحان اللّه ربّ العـرش العظيم. الحمـد للّه ربّ العـالمين. أسألك مـوجـبات رحـمتك، وعـزائم مغـفرتك والغنيمة من كلّ بِرّ، والـسلامة من كلّ إثم، لا تدع لي ذنباً إلاّ غـفرتَه، ولا همّا إلاّ فرجتَه، ولا حاجة هي لك رضا إلاّ قضيتَها يا أرحم الراحمين»(٤٦).

صَلاَةُ الخُسُوف : (أنظر: **صَلاَة الكُسُوف**)

صَلاَةُ الخَوْف : هي: الصلاة المكتوبة يحضر وقتـها والمسلمون في مقاتلة العدوّ أو في حـراستـهم.. قال تعالى: «وإذا كنتَ فـيهم فـأقمتَ لهم الصـلاة فلتقم طائفـة منهم مـعك. وليأخـذوا أسلحـتم. فإذا سـجـدوا فليكونوا من ورائكم» (٤/ ١٠٢)، وكذلك تجوز في كلّ قتال مباح، كقتال أهل البغي، وقُطّاع الطرق، وقتال من قصد إلى نفس شخص، أو أهله أو ماله، قياساً على قتال الحربيّين. وجاء في الأثر: «من قُتل دون ماله فهو شهيد. ومَن قُـتل دون دينه فهو شهيد. ومَن قُتل دون دمه فهو شهيد. ومَن قُتل دون أهله فهو شهيد»(٤٧).

حمْلُ السـلاح في صلوات الخوف مسـتحبّ. يكره تركـه لمن لا عذر له من مرض، أو أذى من مطر، أو غيره، احتياطاً لقوله تعالى: «وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاة، فلتقم طائفةٌ منهم معك. وليـأخذوا أسلحتهم. ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر، أوكنتم مرضـى أن تضعوا أسلحتكم. وخذوا حذرَكم» (٤/١٠٢).

الصَلاَةُ عَلَى الرَّاحِلَة : الراحلة عند العرب: كلّ بعيرٍ نجيب، سواء أكان ذكراً أم أنثى. والجمْع: رواحل.. اتّفق الفـقهاء على أنّه يجـوز للمسافـر صلاة النفل على الراحلة حيثما توجّهتْ به، والدليل قـوله تعالى: «وللّه المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثـمّ وجه اللّه» (٢/ ١١٥).. عن جـابر قال: «كـان رسول اللّه يصلّي على راحلـته

---

(٤٦) أخرجه الترمذي ٢/ ٣٤٤، ط. الحلبي؛ إبن ماجه ١/ ٤٤١، ط. الحلبي.

(٤٧) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٠، ط. الحلبي، من حديث سعيد بن زيد، «حديث حسن صحيح».

حيث توجّـهتْ. فإذا أراد الفريضةَ نـزلَ فاستقـبل القِبلة»[٤٨]؛ لأنّ الأصل أنّ صلاة الفريضة على الراحلة لا تجوز إلاّ لعذر.

صَلاَةُ الصُّبْح : (أنظر: **صَلاَة الفَجْر**)

صَلاَةُ الضُّحَى : الضحى هو حين تشرق الشمس إلى أن يمتدّ النهار، أو إلى أن يشتدّ حـرّها.. صلاة الضحى نافلة مسـتحبّة.. قال بعض الحنـابلة: لا تُستحبّ المداومة عليها كيلا تشـتبه بالفرائض.. عن أبي هُريرة عن النبي قال: «إنّ في الجنّة باباً يُقـال له الضحى. فإذا كـان يوم القيـامة نادى منادٍ: أين الذين كـانوا يديمون صلاة الضحى؟ هذا بابكم فـادخلوه برحمة اللّه»[٤٩]. وقال رسول اللّه: «لا يحافظ على صلاة الضحـى إلاّ أوّاب. قال: وهي صلاة الأوّابين»[٥٠].. يَقرأ فـيهـا سورتَي الشمس والضحى؛ أو سورتي الكافرون والإخلاص..

صَلاَةُ الطَّوَاف : (أنظر: **طَوَاف**)

صَلاَةُ الظُّهْر : هي التي تجب بدخول وقت الظهر، وتُفعل في وقت الظهيرة. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ أوّل وقت صـلاة الظهر هو زوال الشمس، أي ميلها عن وسط السماء. وأمّا آخر وقت الظهر فقد ذهب فقهاء إلى أنّه بلوغ الظلّ مثله.

صَلاَةُ العِشَاء : العِشاء إسم لأوّل الظلام من المغرب إلى العـتمة.. والعَشاء طعام هذا الوقت.. أوّل وقت صـلاة العِشاء يدخل في غـيبوبة الشـفق.. وآخر وقت العِشاء إلى الفجر الصادق.

صَلاَةُ العَصْر : أوّل وقت العصر إذا صار ظلُّ كلِّ شيء مثله..

---

(٤٨) أخرجه البخاري، الفتح ١/٥٠٣، ط. السلفيّة.

(٤٩) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٣٩، ط. القدسي. ورواه الطبراني في الأوسط.

(٥٠) راجع: صـحـيح مسلم بـشرح النووي ٥/ ٢٣٠؛ روضـة الطالبين ١/ ٣٣٧؛ صـحـيح ابن خـزيمة ٢/٢٢٨؛ عمـدة القـاري ٧/ ٢٤٠؛ مواهب الجليـل ٢/ ٦٧؛ كشّـاف القناع ١/ ٤٤٢؛ المغني ٢/ ١٣٢؛ الحاكم ١/ ٣١٤...

صَلاَةُ العِيْدَيْن : ١. ورد عن أنَس أنّه قال: كان لأهل الجاهليّة يومان في كلّ سنة يلعبون فيهما. فلمّا قدم النبيّ المدينة قال: كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم اللّه بهما خيراً منهما: يوم الفطر ويوم الأضحى»[٥١].. صلاة العيدَين واجبة عند الحنفيّة، ودليل ذلك: مواظبة النبيّ عليها من دون تركها ولو مرّة.. أمّا الشافعيّة والمالكيّة فقالوا إنّها سنّة مؤكّدة.. وذهب الحنابلة إلى القول بأنّها فرض كفاية، لقوله تعالى: «فصلِّ لربّك وانحر» (١٠٨/٢).

٢. ذهب المالكيّة والشافعيّة والحنابلة إلى كراهة خروج الشابّات وذوات الجمال لصلاة العيدَين لما في ذلك من خوف الفتنة؛ ولكنّهم استحبّوا، في المقابل، خروج غير ذوات الهيئات منهنّ واشتراكهنّ مع الرجال في الصلاة.. ولكن ينبغي أن يخرجن في ثياب لا تلفت النظر دون تطيّب ولا تبرّج[٥٢].. غير أنّ الأفضل، على كلّ حال، أن تصلّي المرأةُ في بيتها..

٣. وذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ وقت صلاة العيدَين يبتدئ عند ارتفاع الشمس قدر رمح بحسب رؤية العين المجرّدة.. ويمتدّ وقتُها إلى ابتداء الزوال.

٤. من آداب العيدَين: الاغتسال، والتطيّب، والاستياك، ولبس أحسن الثياب، وإظهار البشاشة والسرور، وإكثار الصدقات، والتهنئة بتقبّل اللّه منّا ومنكم، وبقول بعضهم لبعض: عيد مبارك..

الصَلاَةُ عَلَى الغَائِب : (أنظر: **الجَنَائِز**)

صَلاة الفَجْر : المراد به ضوء الصباح، سمّي به لانفجار الظلمة به بسبب حمرة الشمس في سواد الليل. والفجر في آخر الليل كالشفق في أوّله.. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ أوّل وقت صلاة الفجر هو طلوع الفجر، وآخر وقتها إلى طلوع الشمس.. ونقل النووي عن الشافعي قوله: أحبّ أن لا تسمّى إلاّ بأحد هذين الإسمَين، أي الفجر والصبح. ولا أحبّ أن تسمّى الغداة.

---

(٥١) أخرجه النسائي، ٣/ ١٧٩، ط. المكتبة التجاريّة.

(٥٢) رَ: المجموع للنووي ٥/ ٦ و ٨؛ المغني لابن قدامة ٢/ ٣١٠-٣١١؛ حاشية الصفتي ١٠٤.

صَلَاةُ القَصْر : هي أن تصير الركعات الأربع ركعتَين في السفر. والصلاة التي تقصر هي: الظهر والعصر والعشاء. أمّا الصبح والمغرب فلا قصر فيهما. وقد ثبتت مشروعيّة القصر بالكتاب والسنّة. قال: «وإذا ضَرَبْتُمْ في الأرضِ فليسَ علَيكُمْ جُنَاحٌ أن تَقْصُرُوا منَ الصلاة» (٤/ ١٠١). وجاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال: «صحبتُ النبيَّ، فكان لا يزيد في السفر على ركعتَين، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك».. وسأل عمر بن الخطّاب رسولَ الله عن ذلك، فقال: «صَدَقَةٌ تصدّقَ اللّهُ بها عليكم، فاقبلوا صدقتَه»[٥٣].

صَلَاةُ الكُسُوف : ١ . الكسوف والخسوف هو ذهاب ضوء الشمس أو القمر، أو بعضه، وتغيّره إلى سواد. وقيل: الكسوف للشمس، والخسوف للقمر. وصلاة الكسوف تؤدّى بكيفيّة مخصوصة، عند ظلمة أحد النيّرَين. وهي سنّة مؤكّدة عند الفقهاء، لقول النبي: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله. لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته. فإذا رأيتموهما فادعوا الله، وصلّوا حتّى ينجلي»[٥٤].

٢ . وقت صلاة الكسوف من ظهوره إلى زواله. يسنّ لها الاغتسال، وأن تصلّى الجمعة، وأن يُدعى لها: «الصلاة جامعة»، وليس لها أذان ولا إقامة، ولا خطبة، وأن يكثر ذكر الله، والاستغفار، والتكبير، والصدقة، والتقرّب إلى الله، لقول النبي: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبّروا، وصلّوا، وتصدّقوا».

صَلَاةُ المَرِيْض : لا خلاف بين الفقهاء في جواز صلاة التطوّع قاعداً مع القدرة على القيام، لأنّ النوافل تكثر.. وأجمعوا على أنّ مَن لا يطيق القيام له أن يصلّي جالساً.. وإذا تعذّر على المريض كلّ القيام، بوجود ألم شديد أو خوف زيادة المرض، يصلّي قاعداً بركوع وسجود.. لأنّ الطاعة بحسب الطاقة.. ولحديث النبي: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»[٥٥].

---

(٥٣) صحيح مسلم، ١/ ٤٨١.

(٥٤) أخرجه البخاري، الفتح ٢/ ٥٤٦؛ مسلم ٢/ ٦٣٠، من حديث المغيرة بن شعبة.

(٥٥) أخرجه البخاري، الفتح ١٣/ ٢٥١؛ مسلم ٢/ ٩٧٥، من حديث أبي هُريرة.

صَلاَةُ المُسَافِر : من خصائص السفر: قصـر الصلاة الرباعيّة الركعات إلى ركعتَين، لقوله تعالـى: «وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصـلاة إنْ خفـتم أن يفـتنكم الذين كـفروا» (٤/١٠١)، وإباحـة الفطر للصـائم، وامتداد مدّة المسح على الخفَّين إلى ثلاثة أيّام، والجمع بين الظهر والعصر، والجمع بين المغرب والعشاء، وحرمة السفر على الحرّة بغير محرَم، وولاية الأبعد.

صَلاَةُ المَغْرِب : أوّل وقت صلاة المغرب يدخل إذا غابت الشمس بأكملها.

الصَلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ : هي الدعاء له بصيغة مخـصوصة والتعظيم لأمره. قال القرطبي: الصلاة على النبيّ من اللّه: رحمـته، ورضوانه، وثناؤه عليه عند الملائكة؛ ومن الملائكة: الدعاء له والاستـغفار؛ ومن الأمّة: الدعاء له، والاستغـفار، والتعظيم لأمره. قال تعالى: «إنَّ اللّهَ ومـلائكتَه يصلّون على النبيّ. يا أيّها الذين آمَنوا! صلّوا عليه وسَلِّموا تسليماً» (٣٣/٥٦).. وقد روى البـخاري عند تفسير هذه الآية: «قيل لرسول اللّه: يا رسول اللّه! أمّا السلام عليك فـقد عرفناه؛ فكيف نصلّي عليك؟ قال: قـولوا: اللّهمّ صلِّ على مـحمّـد، وعلى آل مـحـمّد، كـما صـلّيت على إبراهيم، وآل إبراهيم. إنّك حميد مجيد»[٥٦].

صَلاَةُ الوِتْر : لغةً: العـدد الفردي، كـالواحد والثلاثة والخـمسـة. وصلاة الوتر هي صلاة تُفعل مـا بين صلاة العشاء وطلوع الفجر، تُخـتم بها صلاة الليل. سمّيـتْ بذلك لأنّها تصلّى وتراً، ركعةً واحـدة، أو ثلاثاً، أو أكثر. ولا يجوز جـعلها شفـعاً. ذهب الفقـهاء إلى أنّ الوتر سنّة مؤكّـدة، وليس واجباً. ودليل سنّتـه قول النبي: «إنّ اللّه وتر يُحبّ الوتر. فأوتروا يا أهلَ القرآن»[٥٧].

الصَلاَةُ الوُسْطَى : اختلف الفقهاء في تحديد الصلاة الوسطى الوارد ذكرها في قـوله: «حافظوا على الصلـوات والصلاة الوسطى. وقـوموا للّه قـانتين» (٢/٢٣٨): ١- فقيل: إنّها صـلاة الصبح، لأنّ قبلها صلاتا ليل يجهر فيـهما، وبعدها

---

(٥٦) أخرجه البخاري، فتح الباري ٨/٥٥٣٢، ط. السلفيّة، من حديث كعب بن عجرة.

(٥٧) أخرجه البـخاري، الفتح ١١/٢١٤؛ مسلم ٤/٢٠٦٢، من حـديث أبي هُريرة؛ الترمذي ٢/٣١٦، ط. الحلبي، من حديث علي بن أبي طالب.

صلاتا نهار يسرّ فيهما؛ ٢- وقيل: إنّها العصر، لأنّها بين صلاتين من صلاة الليل وصلاتين من صلاة النهار.. قال النبي: «صلاة الوسطى صلاة العصر»[٥٨]؛ ٣- وقيل: إنّها الصبح والعصر معاً، من قوله تعالى: «وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» (٥٠/ ٣٩؛ رَ: ٢٠/ ١٣٠)، يعني صلاة الفجر والعصر؛ ٤- وقيل: إنّ الصلاة الوسطى صلاة العتمة والصبح؛ ٥- وقيل: هي الظُّهر، لأنّها وسط النهار؛ ٦- وقيل: إنّها المغرب، لأنّ الوسطى هي الثالثة من كلّ خمس؛ ٧- وقيل: هي صلاة العشاء، لأنّها بين صلاتين لا تقصران؛ ٨- وقيل: إنّ الصلاة الوسطى غير معيّنة، فهي مبهمة في الصلوات الخمس ليجتهد في الجميع كما في ليلة القدر؛ ٩- وقيل: إنّها صلاة الجمعة، لأنّ الجمعة خصّت بالجمع لها والخطبة فيها؛ ١٠- وقيل: إنّها الصلوات الخمس بجملتها، يعمّ الفرض والنفل.

يتبيّن من كلّ ما تقدّم أنّ الصلاة الوسطى هي إحدى الصلوات الخمس في الجملة. والصلوات الخمس فرض على كلّ مكلّف. وأفرد اللّه الصلاة الوسطى بالذكر، تشريفاً لها، وللدلالة على أنّها آكد الصلوات.

الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ المَفْرُوضَة : المراد بالمفروضة: الصلوات الخمس التي تؤدّى كلّ يوم وليلة، وهي آكد الفروض وأفضلها بعد الشهادتَين. وهي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة. وهي: ١- صلاة الظهر؛ ٢- صلاة العصر؛ ٣- صلاة المغرب؛ ٤- صلاة العِشاء؛ ٥- صلاة الفجر.

الصُّلْح : معاقدة يرتفع بها النزاع بين الخصوم. وهو عقد وُضع لرفع المنازعة بعد وقوعها بالتراضي. أو هو العقد على رفعها قبل وقوعها وقايةً.. وثبتت مشروعيّة الصلح بالكتاب في قوله تعالى: «لا خير في كثير من نجواهم إلاّ مَن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» (٤/ ١١٤)، وفي قوله: «وإن امرأة خافتْ من بعلها نشوزاً أو إعراضاً، والصلح خير» (٤/ ١٢٨). وثبتت بالسنّة لقول النبيّ: «الصلح جائز بين المسلمين.. إلاّ صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً»[١].

(٥٨) أخرجه الترمذي ٥/ ٢١٨، ط. الحلبي، من حديث ابن مسعود.

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٢٠؛ وحسّنه ابن حجر في التغليق ٣/ ٢٨٢، ط. المكتب الإسلامي.

صُلْحُ الحُدَيْبِيَّة : هو الصلح الذي تمّ بين قريش وبين النبيّ وألف وأربعمائة من الصحابة، في وادي الحُديبيّة، في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة، الموافق لسنة ٦٢٧ م، بعد مفاوضات شاقّة وظروف صعبة.

وقد تمّ الصلح بين الفريقَين على شروط أربعة هي: ١- أن توضع الحرب عن الناس عشر سنين؛ ٢- أنّ مَن أراد الدخول في عهد محمّد دخل فيه، ومَن أراد الدخول في عهد قريش دخل فيه؛ ٣- أن يعيد محمّد إلى مكّة مَن أتاه مسلماً من غير إذن مواليه، ولا تفعل قريش كذلك؛ ٤- أن يعود محمّد عامَه هذا، ويأتي في العام المقبل، فيقيم في مكّة ثلاثة أيّام تُخليها قريش له، وليس معه سوى سلاح المسافر، وهو السيوف في الأغماد[1].

وقد سمّي هذا الصلح فتْحاً مبيناً ، ونزلت في تسجيل أحداثه سورة تحمل هذا الاسم «سورة الفتح»، رقم ٤٨.

الصَّلِيْب : ١ . ورد ذكره في القرآن مراراً[1].. وفي حديث عائشة: «أنّ النبيّ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلاّ نقضه»[2]، أي قطع موضع التصليب فيه. وفي رواية: «نهى عن الصلاة في الثوب المصلَّب»، وهو الذي فيه نقش كالصلبان[3]. و«نهى النبيّ عن الصلب في الصلاة»[4].

٢ . لا يجوز للمسلم أن يصنع صليباً، ولا يجوز له أن يأمر بصناعته. ولا يجوز له إظهار هذا الشعار في طرق المسلمين وأماكنهم العامّة أو الخاصّة، ولا جعله في ثيابه، لما روى عدي بن حاتم قال: أتيت النبيّ وفي عنقي صليبٌ من ذهَب. فقال: يا عدي! إطرح عنكَ هذا الوثن»[5]. وعن أبي أمامة قال: قال رسول اللّه: إنّ

---

(١) السيرة النبويّة لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، ١٩٧٤: ٣/٢٠٣.

(١) ٤/١٥٧؛ ٥/٣٣؛ ٧/١٢٤؛ ٢٦/٤٩؛ ٢٠/٧١؛ ١٢/٤١.

(٢) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/٣٨٥؛ وأبو داود ٤/٣٨٣؛ وأحمد ٦/٥٢.

(٣) أورده صاحب لسان العرب ٢/٤٦١.

(٤) أخرجه أحمد ٢/٣٠؛ وأبو داود ١/٥٥٦؛ رَ: إحياء علوم الدين ١/١٦٢، ط. م. الحلبي.

(٥) أخرجه الترمذي ٥/٢٧٨، ط. مصطفى الحلبي.

اللّه بعثني رحمةً وهدًى للعالمين. وأمرَني بمحقِ المزامير والمعازف والأوثان والصلب وأمر الجاهليّة»[٦].

٣ . لا قطْع عند الحنفيّة والحنابلة في سرقة الصليب، ولو كان من ذَهَبٍ أو فضّة، ولو جاوزت قيمتُه نصاباً، وذلك لأنّه منكر.. وقال المالكيّة: لا قطْع في سرقة الخمر، ولو سرقها ذمّيٌّ من ذمّيٍّ، فيكون الحكم في سرقة الصليب كذلك.

٤ . يجوز إقرار أهل الذمّة والصلح معهم على إبقاء صلبانهم. ولكن يُشترط عليهم أن لا يُظهروها. بل تكون في كنائسهم ومنازلهم الخاصّة.. وفي عهد عمر الذي أخذه على نصارى الشام: «بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا كتاب لعمر أمير المؤمنين من نصارى الشام. لمّا قدمتم علينا سألناكم الأمان. إلى أن قالوا: وشرَطنا لكم على أنفسنا أن لا نُظهر صليباً ولا كتاباً في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم. ولا نظهر الصليب في كنائسنا. إلخ». وقولهم: «في كنائسنا» المراد به خارجها ممّا يراه المسلم.

٥ . وعن ميمون بن مهران أنْ عمر بن عبد العزيز كتب: أن يُمنع نصارى الشام أن يضربوا ناقوساً، ولا يرفعوا صليباً فوق كنائسهم. فإن قدّر على مَن فعل ذلك منهم فإن سَلَبَه لمن وجده. وكذا لو جعلوا ذلك في منازلهم وأماكنهم الخاصّة لا يُمنعون منه. ويُمنعون من لبس الصليب وتعليقه في رقابهم أو أيديهم. ولا ينتقض عهدهم بذلك الإظهار. ولكن يؤدّب مَن فعله منهم.. ويُكسر الصليب الذي يُظهرونه. ولا شيء على مَن كسره[٧].

٦ . لا يصحّ لمسلم بيع الصليب شرعاً، ولا الإجارة على عمله. ولو استؤجر عليه فلا يستحقّ صانعه أجرة، وذلك بموجب القاعدة الشرعيّة العامّة في حظر بيع

---

(٦) أخرجه أحمد ٥ / ٢٦٨، ط. المكتب الإسلامي؛ والطبراني في المعجم الكبير ٨ / ٢٣٢.

(٧) «وترى اللّجنة (لجنة الموسوعة الفقهيّة، الصادرة في الكويت)، أنّه ينبغي أن يُرجع إلى عهد سيّدنا عمر، وأن تنفذ العهود التي قطعت لهم عند استسلامهم له، تطبيقاً لقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! أوفوا بالعقود» (٥ / ١)، وقوله: «وأوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم» (١٦ / ٩١).

المحرّمات، وإجارتهـا، والاستئجار على عملها.. ولا يجـوز بيع الخشبة لمن يعلم أنّه يتّخذها صليباً..

٧. أمّا فـي المسيحـيّة فـالصليب هو من الموضـوعات المحـوريّة فيهـا. إنّه مختـصر إيمان المسيحـيّين، وعلامة محـبّة اللّه لهم وللعالم، وخلاصــهم في اليوم الأخير. وكـلام القديس بولس يعبّر عن ذلك خـيرَ تعبير، إذ قـال: «أمَّا نَحْنُ فَنُنَادِي بِمَسِيحٍ مَصْلُوبٍ» (١ قور ١/ ٢٣). لقد نطق أحمد زكي، الذي هاجم القديسَ بولس هجـوماً عنيـفاً، بكلمـة حقٍّ عندما قـال: "فَإِذَا انْتَـفَى الصَّلِيبُ، مَاذَا يَبْـقَى مِن دِينِ شاؤول؟ لا شيء"[٨]. هذا كلامٌ عظيم. يؤيّد فيه قـولَ بولس: «أمَّا أنا فَمَعَاذَ اللّهِ أنْ أفتَخِرَ إلاّ بصَلِيبِ رَبِّنَا يسوعَ المسِيح» (غل ٦/ ١٤).

٨. ولئن ركّز المسلمون وألحّوا، في كتـاباتهم الكثيرة، على إلغاء الصليب، فلأنّهم يـعرفون بأنّهم بذلك يـلغون المسيـحيّـةَ من أساسهـا. وهم يعتـمدون في تركـيزهم وإلحـاحهم على مـا جاء في آية النسـاء (٤/ ١٥٧-١٥٩)، التي تأبى أن يكون المصلوب هو عيـسى نفسه؛ بل هو كـائن شبيه بعـيسى، لا عيسى. قـال أحدُ مترجِـمي كتبِ الداعية أحمـد ديدات: «ونحن كمسلمين لا نقبل بشأن عـيسى إلاّ ما يقوله لنا القرآن الكريم. ولا نريد أن نعرفَ أكثر ممّا يُخبرنا به القرآنُ الكريم»[٩].

٩. والمسيحيّون ليســوا في حاجة إلى إثباتِ الصلب التاريخي، لأنّهم، منذ البدء، يقولون بالمســيح مصلوباً، ويؤمنون بأنّ خلاصـهم قد تمّ في مـسيرة الآلام، والصلب، والموت والقيامـة. قال بولس : الصليب «أبطل شريعة الوصايا بما فـيها من فـرائض» (أف ٢/ ١٥)، أي أبطل الشـريعـة التي قـيّدت حـرّيّة الإنســان. هذا، بالإضافة إلى ما تعلِّم الكنيسة في تعليـمها الرسمي بأن لا قداسة من دون صليب. تقول : «يمرّ طريق القداسة عبر الصليب»[١٠].

---

(٨) إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص ٦٤٨.

(٩) أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء، ص ١٩٤.

(١٠) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، عدد ٢٠١٥.

١٠ . وأخيراً، وفي هذا المناخ العـام لمفهوم المسيحيّـة للصليب، نفهم دعوة يسوع الواضحة لكلِّ إنسان: «مَن أراد أن يتبعَني، فليكفـرْ بنفسه، وليحملْ صليبه، ويتبعني» (مـتى ١٦/ ٢٤). والكنيسة تعلّم دائماً أنّ المسيح « بآلامـه المقدّسة، على خشـبة الصليب، استحقّ لنا التـبرير»[11]. وقد أبرز الطابع الفريد لذبيـحة المسيح على أنّها «علّة خلاص أبديّ» (عب ٥/ ٩).

الصَّمَد : من أسمـاء اللّه الحسنى. ترد مـرّة واحدة في القـرآن في سورة الإخلاص: «قلْ هو اللّهُ أحَـدٌ، اللّهُ الصَّمَـدُ، لم يَلِدْ ولمْ يُولَدْ. وَلم يكُنْ لهُ كُفُـوًا أحَدٌ» (١١٢/ ١-٤). والصَّمَد، لغةً، هو المستغني عن كلّ ما في الوجود، الذي لا حاجة له إلى شيء. أي هو الكافي ذاته بذاته، المُغلَق على نفسه. وهو، في لائحة أسـماء اللّه الحسنى، أحسن تعبير عن هويّة إله القـرآن والمسلمين؛ بل هي صفة تختصر سائر الصفات الإلهـيّة التي تشير إلى أن لا عـلاقة بين اللّه ومخلوقاته. فـاللّه الصَّمَد هو الذي «ليس كمـثله شيء» (٤٢/ ١١)، أي: هو العليّ المتعـالي، الواحد الأحـد، الفرد الصمد، موجود من الأزل إلى الأبد.

صَنْعَاء : عاصمـة اليمن. اشتهـرت قبل الإسلام بقصرَي غُـمْدان والقُلَّيس التي بناها أَبْرَهة قائد الجيوش الحـبشيّة في اليمن، وذلك ليحوّل حجّـاج كعبة مكّة إليها، ليستفيد منهم.

الصَّنَم : ١ . هو ما اتُّخـذ إلهاً من دون اللّه. والصنم ما كـان له جسم، وهو يصنع من الحجـر أو الخشب أو المعـدن؛ أمّا **الوثن** فهـو الصورة أو الرسم... ترد كلمة صنم خمس مرّات في القرآن[1]؛ كما ترد كثيـراً في الحديث، وإنْ كانتْ كلمة وثن أكثر وروداً فيه.

٢ . ذكر القـرآن من أسماء الأصنام التي كـانت تُعبد قـديماً : وَدّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعوق، ونَـسر. وأشهرها التي كانـت لا تزال تُعبد في الحجاز عـلى عهد

---

(١١) مجمع ترنت، الجلسة ٦ أ، قرار في التبرير، ق ١: د ١٥٢٩.

(١) ٦/ ٧٤؛ ٧/ ١٣٤؛ ١٤/ ٣٨؛ ٢١/ ٥٨؛ ٢٦/ ٧١.

النبي وهي: العُزَّى، واللاَّت، ومناة، وهي آلهة من الإناث، ثمّ هُبَل الذي كان أشهرها وكان تمثاله من حجر الجرانيت الأحمر...

٣ . وكان المتعبّدون في طوافهم حول الصنم يلمسونه، أو يقبّلونه، ليستمدّوا منه شيئاً من قواه الخفيّة. وكانت الاحتفالات بهذه الشعائر هي الحجّ إلى الآلهة الموقّرة. ويُقال كان عمرو بن لحَيّ أوّل مَن غيّر دينَ إسماعيل، فنصب الأوثان. ويقال إنّ العماليق هم الذين أعطوه صنم هُبَل فقدم به مكّة، فنصبه، وأمر النّاس بعبادته وتعظيمه.

٤ . وكان لقوم نوح أصنام ذكرها القرآن : «وَقَالُوا: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ. وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً، ولا سُوَاعاً، ولا يَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْراً. وقد أضلّوا كَثيراً» (٢٣/٧١).

٥ . كما كان لكلّ قبيلة عربيّة صنمها: فهذيل اتّخذوا سواعاً برهاط من أرض ينبع؛ وكلب من قضاعة اتّخذوا وَدّاً بدُومَة الجندل؛ وأنعُم من طيء وأهل جُرَش من مَذحِج اتّخذوا يغوث بجرش؛ وخَيوان بطن من همدان اتّخذوا يَعوق بأرض همدان من أرض اليمن؛ وذو الكلاع من حمير اتّخذوا نَسْراً بأرض حِمْيَر؛ وبنو ملكان بن كنانة بن خزيمة اتّخذوا سَعداً صخرةً بفلاة من أرضهم.

٦ . وكان لقريش صنم يُقال له هُبَل وضعوه على بئرٍ في جوف الكعبة؛ وقريش أيضاً اتّخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما. وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم. فوقع إساف على نائلة في الكعبة. فمسخهما الله حجرَين[٢]. وكانت لقريش وبني كنانة العزّى بنخلة. وكانت اللاّت لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجّابها بنو معتّب من ثقيف. وكانت مناة للأوس والخزرج ومَن دان بدينهم من أهل يثرب.. وغيرها..

صُهَيْب بن سِنَان الرُّومِيّ (ت ٣٨هـ/ ٦٥٩م): كان أبوه والياً لكسرى على الأبُلّة، فأغار الروم على ديار قومه في الموصل، وأسَروه، وهو صغير. فنشأ بينهم،

---

(٢) عن بعض السلف: ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيها. ولكنّه قبّلها، فمسخا حجرين. فأُخرِجا إلى الصفا والمروة. فنصبا عليهما ليكونا عبرة وموعظة.

وتعلّم لسانهم، ممّا أثقل لسانه بالعربيّة. ابتاعه عبدالله بن جدعان. ثمّ جاء به إلى مكّة فأعتقه. ربحَ مالاً كثيراً من عمله في التجارة. ولمّا سمع بظهور النبيّ محمّد، قصد دار الأرقم، فأسلم على يدَيه. هاجر إلى المدينة، فلحقه نفرٌ من قريش، وأرادوا منعَه، وقالوا له: أتيَتنا صعلوكاً حقيراً، فلمّا كثر مالُكَ همـمتَ بالرحيل؟! فأخبرهم أنّهم لن يتمكّنوا منه حتّى يقاتلهم، أو يدلّهم على ماله بمكّة فيأخذوه، ثمّ يُخلوا سبيله. ولمّا وصل إلى النبيّ قال له: «ربحَ البيعَ أبا يحيى». فنزلت الآية: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نفسَهُ ابْتِغاءَ مَرضاةِ اللَّهِ» (٢/٢٠٧).. روى أكثر من ٣٠٠ حديث عن الرسول، وتوفّي في المدينة، ودُفن في البقيع.

الصُّورَة : يَستعمل القرآن كلمة «صوّر» مرادفة لكلمتَي «برأ» و«خلق» الخاصّتين بالله وحده. قال: «ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم..» (٧/١٠). وقال: «هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف شاء، لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم» (٣/٤؛ ٦٤/٣). ومن أسماء الله أنّه «الخالق البارئ المصوِّر» (٥٩/٢٤). ومن يتطاول على الله ويتشبّه به يستوجب العذاب: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»[1]. و«مَن صوّر صورة فإنّ الله معذّبه حتّى ينفخ فيها الروح؛ وليس بنافخ فيها أبداً»[2]. وقال أيضاً: «الذين يصنعون الصور يُعذّبون يوم القيامة. يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[3].

وفي أقوال النبيّ أيضاً : «لعن قوم منهم آكل الربا والمصوِّر»[4]. والمصوِّرون يُعدّون كالمشركين[5]. والبيوت التي فيها الصّور والكلاب والجُنُب لا تدخلها الملائكة[6]. ويُحكى «عن عائشة أنّها اشترتْ مرّة نمرقة فيها تصاوير. فلمّا رآها

---

(١) أحمد بن حنبل، جج ٦، ص ٣٦.

(٢) البخاري، كتاب البيوع، باب ١٠٤؛ مسلم، كتاب اللباس، حديث ١٠٠.

(٣) البخاري، كتاب التوحيد، باب ٥٦.

(٤) البخاري، كتاب البيوع، باب ٢٥؛ كتاب اللباس، باب التصاوير.

(٥) الترمذي، كتاب جهنم، باب ١.

(٦) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ١٧؛ إبن حنبل، ج١، ص ٦٣٢.

رسول الله من خارج الغرفة ظلّ واقفاً بالباب، ولم يدخل. فعرفتْ عائشة في وجهه الكراهيّة. فقالت: يا رسولَ الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله. فماذا أذنبتُ؟ فقال رسول الله: ما بال هذه النمرقة؟ فقالتْ: اشتريتُها لك. تقعد عليها وتتوسَّدُها. فقال رسول الله: إنّ أصحاب هذه الصور يُعذَّبون. ويُقال لهم: أحيوا ما خلقتم. ثمّ قال: إنّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»[٧].

الصَّوْم : ١ . صوم وصيام يستعملان من غير تمييز بينهما. والمعنى هو الإمساك عن الأكل والشرب من الفجر إلى غروب الشمس. معظم الكلمات العربيّة المشتقّة من جذر «صم» تعني الإمساك والكفّ والإنغلاق :

١- منها الصوم أو الصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير.

٢- ومنها: «صَمَّ، يصُمُّ صَمًّا القارورةَ، أي سَدَّها»، وصَمَّ صَمَماً وصمًّا، انسدّت أُذُنه، فهو أصمّ»؛ و«الصمم فقدان حاسّة السمْع»، و«الأصمّ الصلب المتين»، و«صمَّمَ على الأمر: مضى على رأيه فيه، ولم يُصغِ إلى مَن يردعه عنه كأنّه أصمّ».

٣- ومنها أيضاً «الصمت»، أي السكوت؛ و«المُصْمَت» الذي لا جوف له، و«بابٌ مُصْمَتٌ»، أي مُغلَقٌ مُبْهم إغلاقه؛ و«حائط مُصْمَتٌ» أي لا فرجة فيه. وكانت العرب تسمّي «الصامت» صائماً لإمساكه عن الكلام. من ذلك ما جاء في القرآن على لسان مريم: «إنّي نذرتُ للرحمن صَوماً (أي صَمْتاً) فلنْ أكلّمَ اليومَ إنْسِيًّا» (١٩/٢٦).

٤- ومنها أيضاً «الصمد» في وصف القرآن لله بأنّه «الله الصمد» (١١٢/ ٢)، أي المُغلَق على ذاته، الذي لا يستطيع أن يدخل إليه أحد، أو يُدركه أحد، ولا هو يحتاج إلى أحد.

---

(٧) مسلم، كتاب اللّباس، حديث ٩٦؛ قارن حديث ٨٥ و٨٧ و٩١-٩٩؛ البخاري، كتاب اللباس، باب ٩٢؛ أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ١٧٢.

٢ . **أحكام الصوم** : يكون الصوم من طلوع الفـجر حتّى غـروب الشمس، لقوله تعالى: «وكلُوا واشرَبوا حتّى يتبيّنَ لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر. ثمّ أتِمُّـوا الصيامَ إلى الليل» (٢/١٨٧).. أجمعت الأمّة علـى أنّ صوم شهر رمضان فرْض، لقوله تعالى: «يا أيّهـا الذينَ آمَنوا! كُتب (أي فُرِض) عليكمُ الصيامُ كما كُتب على الذين مِن قبلكم. لعلّكم تتّـقون» (٢/١٨٣)، وقوله: «فمن شـهد منكم الشهرَ فليـصمْه» (٢/١٨٥)؛ ولحديث ابن عمـر عن النبي قال: «بُني الإسلام على خـمس: شـهـادة أن لا إله إلاّ اللّه، وأنّ محـمّـداً رسول اللّه، وإقـام الصلاة، وإيتـاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان»[١].

٣ . **الصوم في القرآن**: وردتْ لفظة «صوم» و«صـيام» ومشـتقّاتهـما في القرآن ١٣ مرّة[٢]: وأهمّها ما ورد في سورة البقرة (٢/١٨٣-١٨٥و١٨٧) : وهي أساس ما في الصـوم من أحكام، مثل: إنّ الصوم فريضة على المسلمين كـما كانت على مَن قـبلهم من يهـود ونصارى (٢/١٨٣)؛ والصـوم أيّامٌ مـفروضـة إلاّ على المريض والمسافـر. ومن لا يستطيعه فـعليه فدية، وهي إطعـام مسكين (٢/١٨٤). والصوم إنّما حُدِّد في شهر رمضان إلاّ على المريـض أو المسافر اللذَين يستعيضان عنه بأيّام أخَـر (٢/١٨٥). وفي ليلة الصـيام يحلّ الجـماع، والأكل والشـرب، من الفجر حتّى الغروب (٢/١٨٧).

وفي سورة النسـاء (٤/٩٢)، يؤمر المؤمن الذي يقتل شـخصاً خطأً من قومٍ بينهم وبين المسلمين ميثـاق، ثمّ لا يجد الفدية التي يجب تسليمهـا إلى أهل المقتول، ولا يجد تحرير رقـبة مؤمنة، يؤمر بصيـام شهرَين متـتابعين. وفي سورة المائدة (٥/٨٩)، يجب على المرء أن يصومَ إذا ما حنث اليمين، وصـيامه ثلاثة أيّام كفّارةً عن حنثه. وفي سـورة المائدة أيضاً (٥/٩٥): على المرء أن يصوم تكفيـراً عن قتله

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/٤٩، ط. السلفيّة؛ مسلم ١/٤٥، ط. الحلبي.

(٢) تَصُـوموا (٢/١٨٤)؛ فَلْيَـصُمْـهُ (٢/١٨٥)؛ صَومـاً (١٩/٢٦)؛ الصِّيـام (٢/١٨٣ و١٨٧ و١٩٦ (مرّتَين)؛ ٤/٩٢؛ ٥/٨٨؛ ٥٨/٤؛ صِيَامـاً (٥/٩٤)؛ الصَّائِمِينَ (٣٣/٣٥)؛ الصَّائِمَاتِ (٣٣/٣٥).

الصيد، وهو في حال إحرامٍ بحجٍّ أو عمرة؛ وصومُه التكفيريّ هذا يكون أيّاماً بعدد المساكين الذين يُطعمــهم ممّا يساوي قيمةَ ما قَتل من الصــيد. ويحكم بذلك رجلان ذَوَا عدْل. وفي سورة المجادلة (٥٨/ ٤): على المرء أن يصوم شــهرَين متتابعَين إذا ظاهر من زوجـته وأراد أن يمسَّــها، و«مَن لم يَـسْتَطِعْ (الصـيامَ) فـإطْعامُ سِـتِّينَ مِسكيناً». وفي سورة الأحزاب (٣٣/ ٣٤).

٤ . **فضْل الصوم** : وردت في فضل الصوم أحاديث كـثيرة، منها: عن أبي هُريرة عن النبي قــال: «مَن صام رمـضان إيماناً واحتـساباً، غُـفر له مـا تقدّم من ذنبه»[٣]. وعنه أيضاً قــال: «كان النبيّ يبشّـر أصحابه بقـدوم رمضان، يقـول: قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبــارك، كتبَ اللّهُ عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب الجنّة، وتُغلق فيــه أبواب الجحيم، وتُغلّ فيـه الشياطين. فـيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شــهر»[٤]. وعنه أيضاً قــال: «قال اللّه: كلّ عمل ابن آدم له إلاّ الصوم، فـإنّه لي، وأنا أجزي به، يدَع شهوته وطعامه من أجلي»[٥].

وعنه أيضــاً قال: «كــان النبيّ يبشّــر أصحــابه بقدوم رمــضان، يقـول: قد جاءكم شهرُ رمضــان، شهرٌ مبــارك، كَتب اللّهُ عليكم صيامَه. تُفتح فيه أبواب الجنّة، وتُغلق فيــه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيــه الشياطين. فـيه ليلة خيرٌ من ألف شــهر»[٦]. وعن سهــل بن سعد عن النــبي قال: «إنّ في الجنّة باباً، يقــال له الريّان. يدخل منه الصائمون يوم القيامة. لا يدخل منه أحدٌ غيـرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيقومون. لا يدخل منه أحدٌ غيرهم. فإذا دخلوا أُغلق. فلم يدخل منه أحد»[٧].

٥ . **الحكمة مــن الصوم** : إنّ في الصوم قــهْرَ الطبع وكـسْرَ الشــهوة؛ لأنّ النفس، إذا شبعت تمنّت الشــهوات، وإذا جاعت امتنعتْ عمّــا تهوى، ولذا قال النبيّ:

---

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٢٥٥، ط. السلفيّة.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٣٨٥، ط. الميمنيّة؛ النسائي ٤/ ١٢٩، من حديث أبي هُريرة.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١١٨؛ ومسلم ٢/ ٨٠٧.

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل، ٢/ ٣٨٥، والنسائي، ٤/ ١٢٩.

(٧) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١١١؛ مسلم ٢/ ٨٠٨.

«يا معشرَ الشباب! مَن استطاع منكم الباءَة فليتزوّج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرْج؛ ومَن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنّه له وَجاء»[٨]؛ وإنّ الصوم موجب للرحمة والعطف على المساكين، فإنّ الصائم إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، ذكر مَن هذه حاله في جميع الأوقات، فيرقّ عليه، ويرحم به، ويُحسن إليه، فينال بذلك ما عند اللّه من حسن الجزاء.

٦ . شروط وجوب الصوم وصحّته :

١ – أن يكون الصائم مسلماً؛

٢ – أن يكون عاقلاً، أي لا يجب الصوم على مجنون إلاّ إذا أثم بزوال عقله في شرابٍ أو غيره؛ ويلزمه قضاؤه بعد الإفاقة؛

٣ – أن يكون بالغاً، وذلك بالأدراك والقدرة على الفعل؛

٤ – أن يسبق الصومَ نيّةٌ خاصةٌ؛ ويجوز للصائم أن يقضي يومَه نائماً إذا كان قد نوى قبل النوم. والنيّة واجبة لحديث نبويّ يقول: «إنّما الأعمالُ بالنيّات»[٩]؛ والنيّة إنّما تكون جازمة، معيّنة، مبيّتة، مجدّدة؛

٥ – أن يُمسِك عن المفطّرات طوال اليوم؛

٦ – أن تكون المرأة طاهرةً من دم الحيض والنفاس؛

٧ – أن يمتنع الصائم والصائمة عن أيّ عمل زوجي طوال يوم الصيام؛

٨ – أن يعلم المسلم بوقت الصيام ووجوبه عليه، بحيث إنّ مَن كان مقيماً في دار الإسلام لا عذر له بالجهل؛ أمّا مَن أسلم في دار الحرب فيحصل له العلم بإخبار رجلَين عدلَين؛

٩ – أن يكون الصائم ذا صحّةٍ وسالماً من المرض؛

---

(٨) أخرجه البخاري، الفتح ٩/١١٢؛ ومسلم ٢/١٠١٨–١٠١٩ .

(٩) أخرجه البخاري، الفتح ١/٩؛ ومسلم ٣/١٥١٥–١٥١٦، عن عمر بن الخطّاب.

١٠ - أن يبدأ الصيامُ بأوّل يوم من رمضان بعد استكمال شعبان ثلاثين يوماً؛ أو بثبوت رؤية الهلال ليلةَ الثلاثين من شعبان عند حاكم بشهادة عدْل؛ أو يبدأ الصيام بعد التاسع والعشرين من شعبان على مَن رأى الهلال بنفسه؛ أو على مَن يصدّق شخصاً آخر موثوقاً به في رؤيته.. أمّا مشاهدات الفلكي، أو حسابات الرياضي، أو رؤية النبي في المنام ويَعرف منه أوّلَ رمضان ونحو ذلك، فإنّها لا تلزم بالصوم إلاّ صاحبها، أو مَن يثق به.

٧. مفطرات الصوم :

١ - الأكل والشرب عمداً : ولكن، مَن أكل أو شرب ناسياً فقد أفطر، ويلزمه القضاء، وذلك يرجع إلى قلّة تحفّظ الصائم الذي ينسى أنّه صائم؛ ولكنّ الرسول يقول: «مَن أكل أو شرب ناسياً فإنّما أطعمه اللّه وسقاه».

٢ - الجماع عمداً : عن أبي هُريرة قال: «بينما نحن جلوس عند النبيّ إذ جاءَه رجل، فقال: يا رسولَ اللّه! هلكتُ. قال: ما لك؟ قال: وقعتُ على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول اللّه: هل تجد رقبةً تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: فهل تجد إطعامَ ستّين مسكيناً؟ قال: لا. فمكث النبيّ. فبينا نحن على ذلك، أتى النبيُّ بعِرْقٍ فيها تمر. قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذ هذا فتصدّق به. فقال الرجل: على أفقر منّي يا رسول اللّه! فواللّه ما في هذه الأرض أهلُ بيتٍ أفقر من أهل بيتي! فضحك النبيّ حتّى بدت أنيابه. ثمّ قال: أطعمْه أهلَك»[١٠]. وإن حصل الجماع يوم الصوم فعلى الزوج أن يكفّر؛ أمّا الزوجة فلا كفّارة عليها؛ أمّا أبو حنيفة ومالك فيريان الكفّارة على كلّ من الرجل والمرأة، وذلك لاشتراكهما في الترفّه والتلذّذ المنافي لحكمة الصوم.

٣ - القيء عمداً : عن أبي هُريرة عن النبيّ قال: «مَن ذَرَعه القيءُ فليس عليه قضاء، ومَن استقاءَ عمداً فليقضِ»[١١]. وعند الحنفيّة: القيء لا يُفسد الصوم،

---

(١٠) أخرجه البخاري، الفتح ٤/١٦٣؛ ومسلم ٢/ ٧٨١-٧٨٢.

(١١) أخرجه الترمذي ٣/ ٨٩؛ والدر المختار ورد المحتار ٢/ ١١٠-١١١.

لعدم وجود الصنع من الصائم، ولأنّه لم توجد صورة الفطر وهي الابتلاع، ولأنّه لا يتغذّى به عادةً، بل النفسُ تعافه. ومذهب المالكيّة: إنّ القيء، سواء أكان لمرضٍ أو لامتلاء معدة، قلّ أو كثر، تغيّر أو لا، تقيّءَ عمداً أو سهواً، يُفطر وعليه القضاء.. أمّا الاستقاءة، وهي استخراج ما في الجوف عمداً، أو هي تكلّف القيء، فإنّها مفسدة للصوم، موجبة للقضاء عند جمهور الفقهاء، مع اختلافهم في الكفّارة.

٤ - الاستمناء والاحتلام: «قال رسول الله: ثلاث لا يفطرن الصائم: الحجامة والقيء والاحتلام»[١٢]؛ وعن عائشة وأمّ سلَمة قالتا: «نشهد على رسول الله إن كان ليصبح جنباً من غير احتلام، ثمّ يغتسل، ثمّ يصوم»[١٣].

٥ - القُبْلة؛ ولكن، لا بأس بالتقبيل لمن كان شيخاً أو مالكاً لأربه؛ لأنّ رسول الله، كما تخبر عنه عائشة، كان يقبّل وهو صائم، لأنّه كان مالكاً لإربه[١٤]. وعنها أيضاً: «كان رسول الله يقبّلني وهو صائم، وأنا صائمة»[١٥].

٦ - والكِحل، إذا وجد الصائم طعم الكحل في الحلق فقد أفطر؛ إلاّ أنّه لا عبرة في الادّهان بما يكون من المسام.

٧ - إبتلاع ما تبقّى من الطعام بين الأسنان إذا ما كان قدر حبّة حمّص فيفطر؛ أمّا إذا كان قليلاً فهو يُعتبر تابعاً لريقه، ولا يمكن الاحتراز منه.

٨ - دخول الدمع أو الغبار ونحوهما حلقَ الصائم، إن كان الدمعُ كثيراً حتّى وجد ملوحتَه في جميع فمه وابتلعه فسد صومه؛ إمّا إذا كان قليلاً نحو القطرة أو القطرتَين، فإنّه لا يفسد صومه، لأنّ التحرّز منه غير ممكن.

٩ - البلل الذي يبقى في الفم بعد المضمضة، إذا ابتلعه الصائم مع الريق، ولم يبصقه بعد مجّ الماء، فقد أفطر؛ أمّا إذا بصقه، بعد مجّ الماء، فلا يفطر.

---

(١٢) أخرجه الترمذي ٣/ ٨٨؛ وابن حجر، التلخيص ٢/ ١٩٤.

(١٣) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١٥٣؛ ومسلم ٢/ ٧٨١، عن أبي سعيد.

(١٤) راجع صحيح البخاري، كتاب الصوم.

(١٥) صحيح مسلم، ٦٤، ٥٠؛ أحمد بن حنبل ٦/ ٤٤، ١٧٩، ٢٥٣، ٣٢٠...

١٠ – دم اللّثة والبصاق، إذا وصل إلى جوفه فسد صومه، وعليه القضاء لا الكفّارة.. وإذا خرج البصاق على شفتيه ثمّ ابتلعه فسد صومه.

١١ – إبتلاع النخامة، وهي ما يخرجه الإنسان من حلقه؛ أو ما يُخرج الخيشوم عند التنحنح. والنخامة، في مذهب الحنفيّة والمالكيّة، سواء أكانت مخاطاً نازلاً من الرأس، أم بلغماً صاعداً من الصدر، بالسعال أو التنحنح –ما لم يفحش– لا يفطر؛ أمّا عند الشافعيّة: لو ابتلعها بعد وصولها إلى ظاهر الفم، أفطر حتماً.

١٢– الحقنة والتقطير في باطن الأذن والإحليل والإسعاط، تُفطر. وسبب الإفطار هو أنّ إدخالها في البدن قد يورث فيه قوّةً تضاد حكمة الصوم. أمّا مالك فيقول إنّ الحقنةَ، مثلاً، تُضعف البدن بإخراجها ما في المعدة، فلا تفطر.

١٣ – التدخين، بكونه لذّة، تتنافى مع الحكمة من الصوم؛ هذا فضلاً عن أنّ الجسم، من طريق الرئتَين، يتمثّل الدخانَ ويمتصُّه؛ وهذا أيضاً مبطل للصوم.

١٤– إذا طلع الفجر وفي فم الصائم طعام أو شراب فليلفظه، ويصحّ صومه؛ فإن ابتلعه أفطر.. وفي حالة الجماع، إذا نزع وقطع الجماع عند طلوع الفجر في الحال لا يُفسد صومه، حتّى لو أمنى بعد النزع، لا شيء عليه، وصومه صحيح، لتولّده من مباشرة مباحة؛ إلاّ إذا كان في النزع لذّة.

والقاعدة هي أنّ الإفطار لا يقع إلاّ إذا كان عن تعمّد وعلم واختيار؛ أي إنّه لا يكون عن سهوٍ، أو جهل، أو إكراه. وقد جاء في الحديث: «مَن نسي وهو صائم فأكلَ أو شرب فليتمّ صومه، فإنّما أطعمه اللّه وسقاه»[١٦].

٨. ما يُستحبّ في الصوم :

١ – تعجيل الفطر بعد أن يتيقّن الصائم أن الشمس قد غربت. عن سهل بن سعد عن النبيّ أنّه قال: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر»[١٧].

---

(١٦) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ١٥؛ صحيح مسلم، كتاب الصيام، حديث ١٧١.
(١٧) أخرجه البخاري، الفتح ٤/١٩٨؛ ومسلم ٢/٧٧١.

٢ – تأخير السحور: عن أنَس بن مالك أن النبي قال: «تسحّروا فإنّ في السحور بركة»[١٨].

٣ – ترك الهُجْر من الكلام، والغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والسبّ، والشتم : «مَن لم يكفّ جوارحَه عن الآثام لم يحصل له من صومه إلاّ الجوع والعطش»[١٩]؛ وعن أبي هُريرة: «كم من صائم ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش. و«قال رسول اللّه: مَن لم يَدَعْ قولَ الزور، والعملَ به، فليس للّه حاجةٌ في أن يدع طعامَه وشرابه»[٢٠].

٤ – ترك الأعمال التي ليست محرّمة، لكنّها تبعث الشهوة عند الصائم، كشمّ الرياحين والنظر إليها، لأنّ ذلك ترفّه، وهو لا يناسب المراد من الصوم.

٥ – ترك الفصد والحجامة، لئلاّ يدخل شيء إلى جوف الصائم بسبب مصّ المفصودة والمحجمة.

٦ – ترك ذوق طعام أو غيره، خوفاً من وصول شيء من ذلك إلى جوف الصائم. ومن العذر مضغ الطعام للولد إذا لم تجد الأمُّ منه بُدًّا، فلا بأس به.

٧ – ترك مضغ شيء يُؤكل، مثل العلك أو اللبان وما إليه، لأنّ ابتلاع الريق المتجمّع من ذلك مفطر.

٨ – الدعاء وشكر اللّه بعد الصوم.

٩ – تلاوة الصائم القرآن.

١٠ – الاعتكاف في رمضان.

١١ – إكثار الصدقة، لأنّ الرسول كان أجود ما يكون في رمضان.

---

(١٨) أخرجه البخاري، الفتح، ٤/ ١٣٩؛ ومسلم ٢/ ٧٧٠.

(١٩) صحيح البخاري، كتاب الصوم.

(٢٠) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١١٦.

٩ . ما يبيح عدم الصوم :

١ – الذين يكونون قد بلغوا سنًّا معيّنة، يجوز لهم أن يفطروا إنْ لمْ يقدروا على الصوم من غير وجوب القضاء. ولكن عليهم الفدية مُدًّا عن كلّ يوم يفطرونه.

٢ – الإفطار واجب على الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما؛ لكن عليهما القضاء.

٣ – المرضى الذين لا يُرجى برؤهم.

٤ – من يغلبهم الجوع أو العطش، يجوز لهم أن يفطروا بشرط القضاء.

٥ – المسافرون الذين يخرجون في السفر قبل الفجر لهم أن يفطروا، إذا تضرّروا من الصوم. ولكن لا يفطرون إذا خرجوا في السفر أثناء النهار.

٦ – في حالة الخطر على الحياة الإفطار واجب؛ لأنّ اللّه يقول: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (٢/ ١٩٥)، ويقول أيضاً: «ولا تقتلوا أنفسكم» (٤/ ٢٩).

٧ – الذين يقومون بعمل شاقّ يجوز لهم أن يفطروا. وإذا زالت أسباب الرخصة والتيسير في أثناء نهار الصوم، فعليهم الإمساك بقيّة النهار.

٨ – الإكراه، أي حمل الإنسان غيره على فعل، أو ترك ما لا يرضاه، بالوعيد.

٩ – ويلحق بعوارض الإفطار: الحيض، والنفاس، والإغماء، والجنون، والسكر، والنوم، والردّة، والغفلة.

١٠ . الآثار المترتّبة على الإفطار :

١ – القضاء : مَن أفطر أيّاماً من رمضان، كالمريض والمسافر، قضى بعدّة ما فاته، لقوله: «وَمَن كانَ مريضاً، أو على سَفَرٍ، فعدّة من أيّامٍ أُخَر» (٢/ ١٨٥)..

٢ – الكفّارة الكبرى، وهي تجب على من بطل صومه بالأكل والشرب عمداً؛ وعلى مَن بطل صومُه بالوطء؛ وعلى مرتكب القتل بغير حقّ؛ ومَن ظاهر

زوجتـه، ولكن من غيـر أن يطلّق بعد ذلك من فـوره؛ ومَن حنث في يمين صـحيح. وخصـال هذه الكفّـارة : العتق، أو الصـيام، أو الإطعـام، أو الكسوة، لحـديث أبي هُريرة الوارد أعلاه (حاشية رقم ١١).

٣ – الكفّارة الصغرى : هي الفدية، وهي مدّ من طعام لمسكين عن كلّ يوم.

٤ – الإمساك لحرمة شهر رمضان.

٥ – العقوبة : أي الجزاء المترتّب على مَن أفطر عمداً من غير عذر.

١١ . صوم التّطوّع : وهوالتقـرّب إلى الله بصوم ليس فرْضـاً. قال النّبيّ: «مَن صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»[٢١].

يكون صوم التطوّع في **الأيّام والأزمنة** التالية :

١ – صوم يوم عاشوراء؛ وقد كان فرْضاً في الإسلام، ثمّ نُسخت فرضيّته بصوم رمضان. فخيّر النبيّ المسلمين في صومه.

٢ – وصوم يوم عرفـة؛ وهو اليوم التاسع من ذي الحجّة. وصـومه يكفّر سنتَين: سنة ماضية وسنة مستقبلة[٢٢]. وعن مسلم: «ما من يومٍ أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة»[٢٣]. وذهب جمهور الفقهاء، المالكيّة والشافعيّة والحنابلة، إلى عدم استحبابه للحجّـاج، لأنّه يُضعفهم عن الوقوف والدعاء، ولأنّهم أضياف الله وزوّاره.

٣ – وصوم الأيام الثمانية التي من أوّل ذي الحجّة قبل يوم عرفة. والثامن هو يوم التروية، وصومه يكفّر سنةً ماضية.

٤ – وصوم يوم الإثنين والخميس من كلّ أسبوع؛ عن أسامة بن زيد روى

---

(٢١) أخرجه البخاري، ٦/٤٧؛ ومسلم ٢/٨٠٨.

(٢٢) أخرجه مسلم ٢/٨١٩.

(٢٣) أخرجه مسلم ٢/٩٨٣؛ عن عائشة.

عن النبيّ أنّه كان يصوم يوم الإثنــين والخميس. فسئل عن ذلك؟ فقــال: «إنّ أعمال العباد تُعرض يوم الإثنين والخميس، وأحبّ أن يُعرض عملي وأنا صائم»[٢٤].

٥ – وصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وهي الأيّام الـبيض (التي يكون القمر فـيهـا بدراً؛ أي الأيّام ١٣–١٥ من كلّ شهـر)، لقـول النبيّ لأبي ذرّ: «يا أبا ذرّ! إذا صمتَ من الشهر ثلاثة أيّام، فصمْ ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»[٢٥].

٦ – وصوم ستّة أيّام من شوال؛ لقول النبيّ: «من صام رمضان، ثمّ أتبعه ستّـا من شوّال، كان كصــيام الدهر»[٢٦]. وقوله: «صــيام شهـر رمضان بعـشرة أشهر، وستّة أيّام بعـدهنّ بشهرين. فذلك تمام سنة»[٢٧]. والنساء اللآتي وقع لهنّ الحيضُ في رمضان يتّخذن هذه الأيّام لقضاء ما فاتهنّ بسببه.

٧ – وصوم شهر شـعبان؛ ويُستحبّ الصوم فيـه، لأنّ النبي، كما جاء في الحديث: «كان يُكثر صوم شعبان حتّى كان يُظنّ أنّه في رمضـان»، ولحديث عائشة قالت: «ما رأيتُ رسولَ اللّه أكثر صياماً منه في شعبان»[٢٨].

٨ – وصوم الأشهر الحرم، وأفضلها شهر محرّم، ثمّ رجب، ثمّ باقيها: ذو القعدة وذو الحجّة. ومذهب الحنفيّة أنّه من المسـتحبّ أن يصوم الخميس والجمعة والسبت من كلّ شهر من الأشهـر الحرم. وذهب الحنابلة إلى أنّه يسنّ صوم شهر المحرّم فقط، لقول رســول اللّه : «أفضل الصيام بعد رمضــان شهر اللّه المحرّم»[٢٩]، وقوله أيضاً: «إن كنت صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرّم»[٣٠].

---

(٢٤) أخرجه أبو داود ٢/ ٨١٤؛ والنسائي ٤/ ٢٠٢..

(٢٥) أخرجه الترمذي، ٣/ ١٢٥.

(٢٦) أخرجه مسلم ٢/ ٨٢٢.

(٢٧) أخرجه الدارمي ٢/ ٢١.

(٢٨) أخرجه البخاري، ٤/ ٢١٣؛ ومسلم ٢/ ٨١٠.

(٢٩) أبو داود، باب الصوم ٥٦؛ صحيح مسلم، باب الصيام ٢٠٢ و٢٠٣...

(٣٠) أحمد بن حنبل، ١/ ١٥٤، ١٥٥؛ ترمذي، باب الصوم ٣٩.

٩ - وصوم ما ثبت طلبه والوعد عليه في السنّة، كصوم داود ونحوه.

اتّفق الفقهاء على أنّه لا يجوز للمرأة المتزوّجة أن تصوم تطوّعاً وزوجها حاضر إلاّ بإذنه، لقول النبيّ: «لا تصم المرأة وبعلها شاهد، إلاّ بإذنه»[٣١]، ولأنّ حقّ الزوج فرْض، فلا يجوز تركُه لنفل.. ولا تحتاج المرأة إلى إذن الزوج إذا كان غائباً، لزوال معنى النهي. وإذا كان الزوج مريضاً أو صائماً أو محرماً لم يكن له منع الزوجة من ذلك. ولها أن تصوم وإن نهاها. وإذا صامت الزوجة تطوّعاً بغير إذن زوجها فله أن يفطّرها؛ وخصّه المالكيّة جواز تفطيرها بالجماع فقط، أمّا بالأكل والشرب فليس له ذلك، لأنّ احتياجه إليها إنّما هو من جهة الوطء[٣٢].

١٢ . الصوم المكروه :

١ - إفراد يوم الجمعة بالصوم. عن أبي هُريرة عن الرسول قال: «لا تصوموا يومَ الجمعة، إلاّ وقبله يوم، أو بعده يوم»[٣٣]. وفي رواية: «إنّ يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يومَ عيدِكم يومَ صيامكم، إلاّ أن تصوموا قبله أو بعده»[٣٤]. والحكمة في ذلك، أنّ الصومَ يُفسد الانتباه في صلاة الجمعة.

٢ - صوم يوم السبت وحده متّفق على كراهته. عن الصمّاء أخت عبدالله بن بسر، عن رسول الله قال: «لا تصوموا يوم السبت إلاّ فيما افترض عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلاّ لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه»[٣٥]. ووجه الكراهة أنّه يوم تعظّمه اليهود.

---

(٣١) أخرجه مسلم ٢/ ٧١١، عن أبي هُريرة.

(٣٢) راجع : الفتاوى الهنديّة ١/ ٢٠١؛ حاشية الدسوقي ١/ ٥٤١؛ الخرشي علي خليل ٢/ ٤٦٥؛ البيان والتحصيل ٢/ ٣١٠؛ القليوبي وعميرة ٢/ ٧٤؛ المجموع ٦/ ٣٩٢؛ حاشية الجمل ٢/ ٣٥٤؛ مغني المحتاج ١/ ٤٤٩؛ كشاف القناع ٥/ ١٨٨.

(٣٣) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٢٣٢؛ ومسلم ٢/ ٨٠١؛ وأحمد ٢/ ٤٩٥.

(٣٤) أخرجه أحمد ٢/ ٣٠٣؛ والحاكم ١/ ٤٣٧.

(٣٥) أخرجه الترمذي، ٣/ ١١١.

٣ – صوم يوم الأحد مكروه أيضاً لأنّه يوم للنصارى؛ أمّا صوم السبت والأحد معاً فهو ليس فيه تشبّه باليهود والنصارى، لأنّه لم يتّفقوا على تعظيمهما.

وعلى قياس هذا كلّ عيد للكفّار، أو يوم يفردونه بالتعظيم. والمبدأ أنّ الصائم إذا قصد بصومه التشبّه، كانت الكراهة تحريميّة.

٤ – ومكروه تحريماً : صوم يومَي العيدَين الفطر والنحر، وأيّام التشريق، وهي ثلاثة أيّام بعد يوم النحر؛ وذلك لأنّ هذه الأيّام منع صومها. قال رسول الله: «لا صوم يوم عيد»[٣٦]

٥ – ومكروه أيضاً صوم الوصال، وصوم الدهر: «لا صام مَن صام الأبد»[٣٧]

٦ – ويحرّم صوم الحائض والنفساء، وصوم من يخاف على نفسه الهلاك بصومه، وكذلك صوم الجنب: «من أصبح جنباً فلا صوم له»[٣٨]

٧ – يُكره التطوّع بالصوم لمن عليه صوم واجب. وذهب الحنابلة إلى حرمة التطوّع بالصوم قبل قضاء رمضان.. قياساً على الحجّ في عدم جواز أن يحجّ عن غيره، أو تطوّعاً، قبل حجّ الفريضة[٣٩].

١٣. ثبوت هلال رمضان :

يجب صوم رمضان بإكمال شعبان ثلاثين يوماً إتّفاقاً، أو رؤية الهلال ليلة الثلاثين. وفي ثبوت الرؤية خلاف بين الفقهاء. وركن الصوم باتّفاق الفقهاء هو الإمساك عن المفطّرات، وذلك من طلوع الفجر الصادق حتّى غروب الشمس؛ ودليله

---

(٣٦) أحمد بن حنبل، ٣/ ٧٧.

(٣٧) صحيح البخاري، باب الصوم ٥٧، ٥٩؛ صحيح مسلم، باب الصيام، ١٨٦، ١٨٧...

(٣٨) أحمد بن حنبل ٦/ ١٨٤، ٢٠٣، ٢٦٦.

(٣٩) حاشية ابن عابدين ٢/ ١١٧؛ الفتاوى الهنديّة ١/ ٢٠١؛ حاشية الدسوقي ١/ ٥١٨؛ مغني المحتاج ١/ ٤٤٥؛ كشاف القناع ٢/ ٣٣٤.

قـوله: «وَكُلُوا وَاشْـرَبوا (الليلَ كلَّه) حَـتَّى يَتَبَـيَّنَ لكُمُ الخَـيْطُ الأبيَضُ مِنَ الخَـيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ. ثُمَّ أتِمُّوا الصِّيَـامَ (من الفجر) إلى اللَّيلِ (أي إلى دخوله بغروب الشمس) (٢/١٨٧-١٨٨).

مَن رأى هلال رمضان وحدَه، ورُدَّتْ شهـادته، لزمه الصومُ وجوباً، وذلك لقـوله: «فـمَن شهـدَ منكم الشـهـرَ فليـصمْـه» (٢/١٨٥)، ولحـديث: «صومـوا لرؤيته..»[٤٠]، وحديث: «الصـوم يوم تصومـون، والفطر يوم تفطرون»[٤١]؛ ولأنّه تيقّن أنّه من رمضان، فلزمه صومه، كما لو حكم به الحاكم.

١٤. بين صوم النصارى وصوم المسلمين :

تشـبـه أحكام الصيـام في القـرآن إلى حـدٍّ بعـيد أحـكامَه في اليـهـوديّة والنَّصـرانيّة: جـاء في التلمود وفي المشنا: «إنّ أوّلَ نهـارِ الصِّيـام هو الوقت الذي يَقدر المرءُ فيه أن يتـبيَّن الخيطَ الأبيضَ من الخيطِ الأزرق»[٤٢]؛ وجاء في القرآن ما يُشبه ذلك: «كُلُوا وَاشْـرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَـيطُ الأبيضُ مِنَ الخَيطِ الأسودِ مِنَ الفَجْرِ، ثُمَّ أتِمُّوا الصِّيَامَ إلَى اللَّيلِ» (٢/١٨٧).

ومن أحكام الصيام أيضـاً في التقاليد النّصرانيّة ألاّ يجـتمع الرَّجل بامرأته كمـا كان في الـبدء[٤٣]. وقـد بقي له إلى اليوم أثرٌ في شـريعــــــة الامـتناع عن الزواج في زمن الصوم المقدس. ولكنَّ هذه الأحكام أُلغيتْ فـيما بعد. ووصلتْ هذه الأحكام إلى القـرآن مُلغـاة، بدليل تحليله لَهـا: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيلةَ الصِّـيـامِ الرَّفَثُ (أي الجُـماع) إلى نِسَـائِكُمْ» (٢/١٨٧)؛ واسـتبـقى منْعَـها فـي خَلوَةِ المساجـد: «وَلا تُباشِـرُوهُنَّ وَأنْتُمْ عَاكِـفُونَ فِي المَسَـاجِدِ» (٢/١٨٧)، وفي وقت الصـيام، أي من الفجر إلى المغرب.

---

(٤٠) أخرجه البخاري ٤/١١٩؛ ومسلم ٢/٧٦٢، عن أبي هُريرة.

(٤١) أخرجه الترمذي ٣/٧١؛ عن أبي هُريرة.

(٤٢) التلمود، ١/٥؛ المشنا، ١/٢.

(٤٣) Cf. St. Augustin, Sermon au peuple... 124, 7.

الصَّيْحَة : رفْع الصوت، كما في قوله: «يومَ يَسْمَعُونَ الصَّيحَةَ بالحقِّ» (٥٠/ ٤٢).. ترد في القرآن ١٣ مرّة؛ وهي فيه على معانٍ :

١ . معنى العذاب، كما في قوله: «وَأَخَذَ الذينَ ظَلَموا الصَّيحَةَ، فأصبَحوا في ديارهم جاثمين» (١١/ ٦٧)، وهم ثمود قوم صالح؛ وقوله أيضاً: «وأخذتِ الذينَ ظَلَموا الصَّيحةُ، فأصبَحوا في ديارهم جاثمين» (١١/ ٩٤)، وهم أصحاب الأيكة قوم شعيب... وفي ذلك قال ابن عبّاس: ما أهلَكَ اللّهُ أُمَّتَين بعذاب واحد إلاّ قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم اللّه بالصيحة. غير أنّ قومَ صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم[١].

٢ . ومعنى نفخة القيامة، كما في قوله: «ويقولونَ متى هذا الوعدُ إنْ كنتم صادقِين. ما يَنظُرون إلاّ صيحةً واحدةً تأخُذُهُمْ وَهُمْ يَخصِمُون» (٣٦/ ٤٨-٤٩). وهي نفخة الصعق، كما في قوله: «واستَمِعْ يومَ يُنادي المنادي من مكانٍ قريبٍ، يومَ يسمَعُونَ الصَّيحةَ بالحقِّ. ذلك يومُ الخروج» (٥٠/ ٤١-٤٢). وهي النفخة الثانية.

٣ . وهي أخيراً بمعنى: الغارة، إذا فوجئ بها الحيّ، كما في قوله تعالى عن المنافقين: «وإذا رأيتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجسامُهُم وإن يَقولوا تَسمَعْ لقولهم كأنّهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبونَ كلَّ صيحةٍ عليهِمْ هُمُ العدُوُّ. فاحْذَرْهم قَاتَلَهمُ اللّهُ أنَّى يُؤْفَكُون» (٦٣/ ٤)، أي: يحسبون أهل كلّ صيحة عليهم، هم العدوّ، وذلك لجبنهم[٢].

الصَّيْد : ١ . هو اقتناص حيوان متوحّش طبعاً، غير مملوك، ولا مقدور عليه. يقول تعالى: «لا تقتلوا الصيدَ وأنتم حرُم» (٥/ ٩٥)؛ ولقول النبي: «إنّ اللّه حرّم مكّة. فلم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد بعدي. إنّما حلّت لي ساعة من نهار، لا يُختلى خلاها، ولا يُعضد شجرها، ولا ينفر صيدها»[١]. وحرمة صيد الحرم تشمل

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير ١١/ ٩٤، و٣٦/ ٤٩؛ و٥٠/ ٤٢؛ ٦٣/ ٤.

(٢) رَ: الفرماوي، مفردات قرآنيّة، في الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص ٧٥٤-٧٥٥.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/ ٤٦، من حديث ابن عبّاس.

المُحرّم والحلال، كما تشمل إيذاء الصيد، وتنفيره، والمساعدة عليه، والإشارة إليه، والدلالة عليه، أو الأمر بقتله.

٢ . والصيد نوعان: برّي، أي ما يكون توالدُه في البرّ، ولا عبرة بالمكان الذي يعيش فيه؛ وبحري، أي ما يكون توالده في الماء، ولو كان مثواه في البرّ.. الأصل في الصيد الإباحة إلاّ لمحرم، أو في الحرم، لقول الكتاب: «أحلّ لكم صيد البحر، وطعامه متاعاً لكم، وللسيارة. وحرّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرماً» (٥/ ٩٦)، ولقوله: «وإذا حللتم فاصطادوا» (٥/ ٢).

٣ . قال النبيّ: «أُحلّتْ لنا ميتتان ودمّان: أمّا الميتتان فالسمك والجراد. وأمّا الدمّان فالكبد والطحال»[٢]. واستثنى الشافعيّة والحنابلة: الضفدع، والتمساح، والحيّة.. ويُكره أكل الطافي لقول النبي: «ما نضب عنه الماء فكلوا، وما طفا فلا تأكلوا»[٣]..

٤ . يجوز الاصطياد بالحيوان المعلَّم، كالكلب والسبع والطير ممّا له ناب أو مخلب. والقاعدة: أنّ كلّ ما يَقبل التعليم وعُلِّم يجوز الاصطياد به.. ولا يشترط في الحيوان أن يكون ممّا يؤكل لحمه، كما لا يشترط أن يكون طاهراً. والأصل في ذلك قوله تعالى: «أُحِلّ لكم الطيّبات، وما علّمتم من الجوارح، مكلّبين، تعلّمونهنّ ممّا علّمك اللّه. فكلوا ممّا أمسكن عليك. واذكروا اسم اللّه عليه» (٥/ ٤). واستثنى الفقهاء من ذلك الخنزير، لأنّه لا يجوز الانتفاع به.

---

(٢) أخرجه إبن ماجه ٢/ ١٠٧٣، من حديث ابن عمرو.

(٣) أورده الزيلعي في نصب الراية ٤/ ٢٠٢، من حديث جابر.

ض

الضَحَّاكُ بن قَيْسِ الشَّيْبَانِيّ (ت ١٢٩هـ/٧٤٦م) : زعيم الخوارج الحَروريّة. استولى على الكوفة، واحتلّ الموصل. فقضى عليه مروان الثاني.

الضَحَّاكُ بن قَيْسِ الفِهْرِيّ (ت ٦٥هـ/ ٦٨٤م) : زعيم قبائل قيس عيلان ومن أنصار معاوية. والي الكوفة. آزر ابنَ الزُّبَير. قُتل في معركة مرج راهط.

الضَّحِك : هو انبساط الوجه، لقوله تعالى: «وجوه يومئذٍ مسفرة، ضاحِكة، مستبشرة» (٨٠/٣٨-٣٩).. وقد حدّه بعض الفقهاء بأنّه ما يكون مسموعاً له لا لجيرانه؛ أمّا **القهقهة** فهي بما يكون مسموعاً له ولجيرانه؛ في حين أنّ **التبسّم** هو مبتدأ الضحك، ومن دون صوت. عن عبدالله بن الحارث قال: «ما كان ضحكُ رسول الله إلاّ تبسّماً»[(١)]؛ وقال النبي: «تبسُّمُك في وجه أخيك لك صدقة»[(٢)]. وأمّا القهقهة فقد كرهها النبي: «لا تكثروا الضحك. فإنّ كثرة الضحك تميت القلب»[(٣)]؛ وقال ثابت البناني: «ضحكُ المؤمن من غفلته يعني غفلتَه عن أمر الآخرة»[(٤)].

الضُّحَى : إسم السورة ٩٣ من القرآن؛ آياتها ١١ آية. ترد لفظة الضحى في القرآن ٦ مرّات[(١)]. والضحى وقت من أوقات **الصلاة**.

الضِدّ و **الأضْدَاد** : وردتْ كلمة ضدّ مرّة واحدة في القرآن : «كلاّ سَيَكْفُرونَ عِبَادَتِهِمْ ويكونُونَ عليهِمْ ضِدًا» (١٩/ ٨٢). أمّا «الأضداد» في اللّغة فهي الكلمات

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٦٠١، حديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٤٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٠٣، من حديث أبي هُريرة.

(٤) راجع: تنبيه الغافلين للسمرقندي ١/ ٢١٦، ط. دار الشروق.

(١) ٧/ ٩٨؛ ٢٠/ ٥٩؛ ٧٩/ ٢٩ و٤٦؛ ٩١/ ١؛ ٩٣/ ١.

التي يعرّفها علماء اللّغة بأنّ لها معنَيين، أحدهما نقيض، أو مضاد، للآخر.. وكلمة «ضدّ» نفسها من الأضداد، ففي مثل «لا ضدّ له» لا تفيد المخالف، وإنّما تفيد المثل. عشرات الكتب عن الأضداد، أهمّها «كتاب الأضداد» لأبي بكر بن الأنباري الكوفي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، الذي أحصى فيه أربعمائة من الأضداد.

أمّا الضدّ، في الدرزيّة، فهو أحد حدود الشرّ الذي أوجده الباري بعد إبداعه العقل الأوّل. وكاد هذا الضدّ يقضي على هذا العقل لولا رحمة الله بأن أبدع للعقل مُعيناً مؤالفاً هو «النفس الكلّيّة». وهذا الضدّ هو مثال كلّ عدوٍّ أو خصمٍ يكون ضدّ الدروز. وكلّ عدوٍّ للدروز يُسمّى «ضدّاً». والضدّ الأعظم هو النبيّ محمّد. وجميع النطقاء والأسس وأتباعهما هم أضداد. وكان الدرزي، في أيّام حمزة، يمثّل الضدّ الأعظم.

ضِرَارُ بن مَالِك الأَزْوَر (ت ١١هـ/٦٣٣م) : شاعر. أحد أبطال الجاهليّة. من بني أسد. أدرك الإسلام وأسلم. قَتل مالك بن نُويرة بأمر خالد بن الوليد. شارك في فتوحات الشام. ومات من جراحٍ أصابته يوم اليمامة.

الضَّمِيْر : كلمة لا وجود لها في القرآن. إنّما هو لغةً يعني كلمةً تضمر كلمةً أخرى، أو تقصد معنى معيّنًا؛ واصطلاحاً هو الحَكَم الباطني عند كلّ إنسان؛ أو هو جهاز مراقبة ومحاسبة داخل الإنسان السويّ، يقوّم أعماله ويُصدر عليها حكماً. وهو نفسه المقصود في القرآن بـ «النفس اللّوامة» في قوله: «ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامةِ» (٧٥/٢)، التي تلوم صاحبَها على الخير والشرّ، وتندم على ما فات. فالإنسانُ يتصرَّف، ويُحاكَم، ويُدان، بحسب ضميره.

إلاّ أنّه في الأخلاقيّات الإسلاميّة لا يُدان المسلم بموجب مخالفته ما يمليه عليه ضميره؛ بل بموجب ما تفرضه عليه الشريعة. ذاك يعني أنّ خطيئة المسلم تُحسب عليه خطيئة لا لأنّ ضميرَه يؤنّبه عليها، بل لأنّه خالف الشريعة، ودِين بسبب ذلك. فالخطيئة، إذاً، لا تتأتّى من الضمير، من الداخل؛ بل من الشهود، أي من عيون الآخرين الذين يحكمون عليه.

ط

طارِق بن زِيَاد (ت ١٠٢هـ/ ٧٢٠م) : زعيم بربريّ، وقائد جيش المسلمين. فتحَ الأندلس بأمرة موسى بن نُصَير سنة ٧١١م. على رأس ٧,٠٠٠ رجل، جلّهم من البربر. فاجتازوا المضيق كتائب صغيرة في سفن زوّدهم بها الكونت يوليان. وهبط جيش طارق أوروبّا، وجمَّعه على جبل نُسب إليه، وهو جبل كالبه Calpe القديم. وما لبث طارق أن استولى على قرطبة والجبل الأخضر. وحشد رودريك ملك القوط جيشاً عظيماً لمواجهة الغزاة، فطلب طارق من موسى بن نُصير النجدة، فزاده بـ ٥,٠٠٠ رجل. وافتتح بهم مناطق عديدة حتّى بلغت انتصاراته أقصى حدود الأندلس.. ثمّ عاد مع موسى إلى سوريا فدخل دمشق في موكب حافل بالأسرى والغنائم في عهد الوَليد بن عبد المَلك، سنة ٧١٥م.

الطّاعَة : ١ . هي الانقياد والموافقة. طاعة اللّه فرْض على كلّ مكلّف. قال تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! أطيعوا اللّهَ وأطيعوا الرسول. ولا تُبطلوا أعمالكم» (٤٧/ ٣٣). ومن حقّ اللّه على مَن أبدعه أن يكون أمرُه نافذاً، وطاعته له لازمة..

٢ . وكذلك طاعة الرسول واجبة على المؤمنين، لقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! أطيعوا اللّهَ ورسولَه. ولا تَولّوا عنه، وأنتم تسمعون» (٨/ ٢٠)، وقوله: «وأطيعوا اللّهَ والرسولَ. لعلّكم تُرحمون» (٣/ ١٣٢)، وقوله: «وإنْ تُطيعوه تَهتدوا» (٢٤/ ٥٤)، وقوله: «مَن يُطِعِ الرسولَ فقد أطاع اللّه» (٤/ ٨٠)، فجعل اللّهُ طاعةَ رسولِه طاعتَه. وقد حكى عن الكفّار في جهنّم «يومَ تقلب وجوههم في النار، يقولون: يا لَيتَنا أطعنا اللّهَ وأطعنا الرسولا» (٣٣/ ٦٦). وعن أبي هُريرة أنّه سمع رسول اللّه يقول: «مَن أطاعني فقد أطاع اللّه. ومَن عصاني فقد عصى اللّه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٣/ ١١١؛ مسلم ٣/ ١٤٦٦.

٣ . وكذلك أجمع العلماء على وجوب طاعة أُولي الأمر من الأمراء والحكّام، لقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! أطيعوا اللّهَ، وأطيعوا الرسولَ، وأولي الأمر منكم» (٤ / ٥٩).. عن أبي هُريرة أنّ النبي قال: «سيليكم بعدي ولاة، فيليكم البَرُّ ببرِّه، والفاجر بفجوره. فاسمعوا لهم، وأطيعوا في كلّ ما وافق الحقّ، وصلّوا وراءهم. فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم»[٢]. وعن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه: «مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر. فإنّه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلاّ مات ميتة جاهليّة»[٣]..

٤ . وكذلك فإنّ طاعة العلماء واجبة، لقوله تعالى: «يا أيّها الذين آمَنوا! أطيعوا اللّهَ، وأطيعوا الرسولَ، وأولي الأمر منكم» (٤ / ٥٩). قال الجمهور: إنّ المقصود بـ «أولي الأمر» في الآية هم العلماء والفقهاء.. وقال ابن القيّم: طاعة الفقهاء أفرض على الناس من طاعة الأمّهات والآباء بنصّ الكتاب، لأنّ تمام الآية: «فإنْ تنازعتم في شيء فردّوه إلى اللّه والرسول»، إذ ليس لغير العلماء معرفة كيفيّة الردّ إلى الكتاب والسنّة..

٥ . وكذلك طاعة الوالدَين والإحسان إليهما فرض على الولد، لقوله تعالى: «وقضى ربُّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالِدَين إحساناً، إمّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما: أفٍّ. ولا تنهرهما. وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة. وقل: ربِّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً» (١٧ / ٢٣–٢٤). وقرن شكرهما بشكره، فقال: «أن أشكرْ لي ولوالدَيك. إليَّ المصير» (٣٢ / ١٤). إلاّ أنّ طاعتهما بالمعصية لا تكون، لقوله: «ووصّينا الإنسانَ بوالديه حسناً. وإن جاهداك لتُشرك بي ما ليس لك به علم، فلا تُطعهما» (٢٩ / ٨).

٦ . وكذلك طاعة الزوج واجبة على الزوجة، لقوله تعالى: «الرجال قوّامون على النساء بما فضّل اللّهُ بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم» (٤ / ٣٤).

---

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥ / ٢١٨؛ ورواه الطبراني في الأوسط..
(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٣ / ١٢١؛ مسلم ٣ / ١٤٧٧.

قال القرطبي في تفسير الآية: قيام الرجل على المرأة هو أن يقوم بتدبيرها، وتأديبها، وإمساكها في بيتها، ومنعها من الروز (أي الخروج)، وأنّ عليها طاعتَه وقبولَ أمره ما لم تكن معصية..

الطَّاغُوت : أصله: طغى طغياناً، أي غلا في العصيان والتمرّد. والطاغوت هو الكثير الطغيان، وهو عبارة عن كلّ معبود من دون اللّه. وقيل: هو الشيطان، أو الساحر، أو الكاهن، أو المارد من الجنّ، أو على كلّ صارفٍ عن طريق الخير. ذكره القرآن ٨ مرّات[1].

طَالُوْت : هو شاول التوراة، ملك بني إسرائيل. وقد ذكر في القرآن في (٢/ ٢٤٧ و٢٤٩). وهو مشتق من الفعل «طال»، إشارة إلى طول قامته بحسب ما جاء في (١ صم ١٠/ ٢٣). ولذلك قال الثعلبي: إنّما سمّي طالوت لطوله.. واختلاف قصّة طالوت القرآن عن قصّة جالوت التوراة واضحة:

يحدّثنا القرآن (٢/ ٢٤٦-٢٥٢) عن طالوت بأنّه، بعد زمن موسى، طلب إسرائيل ملكاً عليهم، فعيّن اللّهُ طالوت ملكاً. ولكنّ الناس لم يجدوه جديراً بالعرش. وكان طالوت يتميّز بعلمه. وكان آية حكمه أن أتاهم التابوت فيه السكينة وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة. اختبر طالوت قومه عند نهرٍ مَن شرب منه فلن يتبعه. واقتتل بنو إسرائيل مع طالوت، فقتل داود طالوت وصار ملكاً..

الطَّائِف : بلدة في جزيرة العرب على مسيرة ٧٥ ميلاً تقريباً جنوبي شرقي مكّة، على جبل غزوان ١,٦٣٠م. وهي في جبال السراة. فيها بساتين من فواكه، رمّان وعنب، ممّا حمل بوركهارت Burckhardt على القول بأنّها «أروع مَا رأى منذ غادر لبنان في الشام». ويصفها البدو أيضاً بأنّها قطعة من الشام نُقلتْ ثمّ حلّت تحت سماء الحجاز القاسية. وينسبون هذه العجيبة إلى شفاعة إبراهيم حبيب اللّه الذي لا تُردّ له شفاعة.

---

(١) ٢/ ٢٥٦ و٢٥٧؛ ٤/ ٥١ و٦٠ و٧٦؛ ٥/ ٦٠؛ ١٦/ ٣٦؛ ٣٩/ ١٧.

هذا الموقع الذي تصحّ فيه الأبدان، وتشتدّ فيه الريح حتّى تتجمّد مياهه أحياناً، كان فيه ما يجذب أنظار تجّار مكّة الأثرياء، فتصبو نفوسهم إلى امتلاك مقامٍ فيه يخفّف عنهم ما يعانون من جوّ مكّة الحارّ. وكانت الطائف موئل قبيلة **ثقيف**. ويقرن القرآن مكّة بالطائف بعبارة «القريتَين» (٤٣/ ٣٠). ويوحي هذا بوجود صلة ذات شأن بينهما. ولم تُذكر الطائف في غير ذلك من آيات القرآن.

الطَّبَاطَبَائِيّ (علي بن محمّد رضا) (ت ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) : من علماء الشيعة. عاش بالنجف. من كتبه: «البرهان القاطع في شرح المختصر النافع»، و «الميزان في تفسير القرآن»، طبع في مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١-١٩٨٥.

الطَّبَرَانِيّ (أبو القاسم سليمان) (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) :إمام حافظ ثقة محدّث. صاحب المعاجم الثلاثة: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير. بدأ الطبراني معجمه الكبير بالعشرة المبشّرين بالجنّة لمنزلتهم. يبدأ بترجمة الصحابي حيث يذكر اسمه واسم أبيه وجدّه ونسبه وقبيلته وصفاته ووفاته. ثمّ يذكر ما رواه الصحابي عن رسول الله.. وبعد العشرة ذكر بقيّة الصحابة مرتّبين على حروف المعجم..

الطَّبْرِسِيّ (أبو عليّ) (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) : **١**. مفسِّر كبير. عالم فقيه. محدِّث ثقة. له : «*مجمع البيان في تفسير القرآن*»، من أشهر التفاسير عند الشيعة. "أثبت في هذا التفسير عقائد الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة" . وصف الطبرسي تفسيرَه فقال: «وابتدأتُ في تأليف كتابٍ هو في غاية التلخيص والتهذيب، وحسن النظم والترتيب. يجمع أنواع هذا العلم وفنونه. ويحوي فصوصه وعيونه، من علم قراءاته وإعرابه ولغاته، وغوامضه ومشكلاته، ومعانيه وجهاته، ونزوله وأخباره، وقصصه وآثاره، وحدوده وأحكامه، وحلاله وحرامه، والكلام على مطاعن المبطلين فيه..».

٢ . ثمّ وضّح الطبرسي منهجه فقال: «وقدّمتُ في مطلع كلّ سورة ذكر مكّيها ومدنيّها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثمّ ذكرت تلاوتها، ثم أقدم في كلّ

آية الاختلاف في القراءات، ثم أذكر العلل والاحتجاجات، ثم أذكر العربيّة واللّغات، ثم أذكر الإعراب والمشكلات، ثم أذكر الأسباب والنزولات، ثم أذكر المعاني والأحكام والتأويلات، والقصص والجهات، ثم أذكر إنتظام الآيات. على أنّي قد جمعتُ في عربيّته كلّ غرّة لائحة، وفي إعرابه كلّ حجّة واضحة، وفي معانيه كلّ قول متين، وفي مشكلاته كلّ برهان مبين. فهو للأديب عمدة، وللنحوي عدّة، وللمقرئ بصيرة، وللناسك ذخيرة، وللمتكلّم حجّة، وللمحدّث محجّة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آلة».

٣. يدلّ التفسير على تبحّر مؤلّفه في فنون مختلفة. إلاّ أنّ مذهبه الشيعي طغى عليه. فتكلّم على إمامة عليّ، وأثبتها من آيات عديدة، مثل (٥/ ٥٥؛ ٢٠/ ٣٢-٣٥؛ ٢٨/ ٥؛ ٩/ ٧١)، وعلى عصمة الأئمّة (٣٣/ ٢٣)، والرجعة (٢/ ٥٦)، والمهدي (٢/ ٣)، والتقيّة (٣/ ٢٨)، ونكاح المتعة (٤/ ٢٤)، وفرض الرِّجلَين في الوضوء (٥/ ٦)، وعدم نكاح الكتابيّات (٢/ ٢٢١)، ومفهوم الغنائم وتقسيمها (٨/ ٤١)، وإماكنيّة ميراث الأنبياء (١٩/ ٥-٦)، وعدم الأخذ بحجّيّة الإجماع (٤/ ٥٩).

٤. ويبدو أنّ الطبرسي تأثّر بالمعتزلة، فقال مثلهم برعاية الصلاح والأصلح، وبالهُدى والضلال (٦/ ١٢٥)، وبأنّ العبد خالق لأفعاله الاختياريّة، وبعدم جواز رؤية اللّه ووقوعها في الآخرة (٧٥/ ٢٢-٢٣)، وإنكار حقيقة السحر (٢/ ١٠١).. غير أنّه يخالفهم بالقول في الشفاعة (٢/ ٤٨)، وفي أنّ أصل الإيمان هو المعرفة باللّه وبرسله (٢/ ٣).

الطَّبَرِيّ (أبو جعفر محمّد بن جرير) (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م) : ١. مؤرّخ ومفسّر وفقيه شافعيّ. حاول أن يكون له مذهب خاصّ. وُلد في آمل بطبرستان. زار الريّ وما جاورها، ثمّ بغداد، ثمّ البصرة والكوفة ومصر ثمّ عاد إلى بغداد حيث عاش حتّى تُوفّي. له تفسير اسمه: «جامع البيان في تفسير القرآن»، هو عمدة التفاسير التي كتبت من بعده. وله أيضاً «تاريخ الرسل والملوك»، الذي يبدأ بتاريخ البطاركة والأنبياء والحكّام في العصر القديم.. وينتهي عند شهر المحرّم من سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٥م.

٢ . جمع من العلم ما لم يشاركْه فيه أحد من أهل عصره. وكان حافظاً لكتاب اللّه، بصيراً به، عارفاً بمعانيه، فقيهاً في أحكامه، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، ومسائل الحلال والحرام، مطَّلِعًا على أقوال الصحابة والتابعين، عارفاً بأيّام الناس وأخبارهم.. برع في علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ. صنّف في علوم كثيرة، وأبدع.

٣ . يعتبر الطبري أبا التفسير، كما يعتبر أبا التاريخ الإسلامي. كان من الأئمّة المجتهدين. لم يقلِّد أحداً. كان أوّلاً شافعيّاً، ثم انفرد بمذهب مستقلٍّ، وأقاويل واختيارات. وله أتباع ومقلِّدون.

٤ . ويعتبر تفسير الطبري من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأوّل عند المفسّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان، في الوقت نفسه، يعتبر مرجعاً من مراجع التفسير العقلي، نظراً لما فيه من استنباط الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي والبحث الحرّ الدقيق.

٥ . يقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير. وقد كان هذا الكتاب من عهد قريب يعتبر مفقوداً، لا وجود له. ولمّا وجدت نسخة منه مخطوطة كاملة في حيازة أمير حائل، حمود بن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد، طبع عنها، فأصبح في يدنا دائرة معارف غنيّة في التفسير المأثور.

٦ . قال فيه السيوطي: «وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها.. فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين»[١]. وقال النووي: «أجمعت الأمّة على أنّه لم يُصنّف مثل تفسير الطبري»[٢]. وقال الإسفراييني: «لو سافر رجلٌ إلى الصين حتّى يحصل على كتاب تفسير محمّد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»[٣]. وقال ابن تيميّة: «وأمّا التفاسير التي في أيدي الناس فأفصحها تفسير ابن جرير الطبري. فإنّه يذكر

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٩٠.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) معجم الأدباء، ١٨/ ٤٢.

مقالات السلف بالأسانيد الثابتة. وليس فيه بدعة. ولا ينقل عن المتَّهَمين»[٤].

٧. وكتب نولدكهْ، سنة ١٨٦٠: «لوكان بيدنا هذا الكتاب لاستغنينا به عن كلّ التفاسير المتأخّرة. ومع الأسف فقد كان يظهر أنّه مفقود تماماً. وكان مثل تاريخه الكبير مرجعاً لا يغيض معينه. أخذ عنه المتأخّرون معارفهم»[٥]. وقال فيه جولدزيهر: «لقد كان نبعاً لا ينضب، استمدّ منه المتأخّرون حكمتهم.. ولدينا فيه دائرة معارف غزيرة الثروة من التفسير. وهو تفسير جمع بين العقل والنقل».

٨. هذا ونستطيع أن نقول: إنّ تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأوليّة بين كتب التفسير، أوّليّة زمنيّة، وأوّليّة من ناحية الفن والصناعة.

٩. إذا أراد الطبري أن يفسّر آية من القرآن يقول: «القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا». ثمّ يفسّر الآية، ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين. وإذا كان في الآية قولان، أو أكثر، فإنّه يعرض لكلّ ما قيل فيها، ويستشهد على كلّ قول بما يرويه.. ثم يختار ويرجّح قولاً من هذه الأقوال.. ويتعرّض أيضاً لناحية الإعراب إنْ رأى ذلك ضرورياً.. كما أنّه يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية..

١٠. وعلامة التفسير الصحيح، عنده، الرجوع إلى الصحابة أو التابعين المنقول عنهم، لا الرجوع إلى الرأي والاجتهاد الشخصيّين. وكثيراً ما يستشهد بأبيات من الشعر، بشكل واسع، لإثبات قوله في معاني بعض الألفاظ. ويقدر الطبري إجماع الأمّة، ويعطيه سلطاناً كبيراً في اختيار ما يذهب إليه من التفسير. وهو، بالإجمال، موافق لأهل السنّة في آرائهم. وكثيراً ما يتصدّى للردّ على المعتزلة، فيجادلهم في الآيات التي تثبت رؤية الله عند أهل السنّة، وعدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها، مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه، والردّ على أولئك الذين يشبّهون الله بالإنسان.

---

(٤) فتاوى ابن تيميّة، ٢/١٩٢.

(٥) أنظر المذاهب الإسلاميّة في تفسير القرآن، ص ٨٥.

الطَّبَــرِيّ (علي بن رَبَن) (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) : ولد بمرو مـن أعـمـــال طبـرســتان. طـبيب نسـطوري، «رائد المؤلِّفين العـرب في علوم الطبّ. به يبـتـدئ التأليفُ الطبّيّ العـربيّ. وعليه اعتمد الروّاد الأوائل، وتأثّروا بمـنهجه وأسلوبه»[1]. هو أستـاذ أبي بكر الرازي المباشَـر. انتقل إلى سامـرّاء، ونادم المتوكّل العـبّاسيّ، الذي دعاه إلى الإسلام، فاستجاب وأشهر إسلامه نحو ٨٥٥م.

من كتـبه في الطبّ: «فردوس الحكمــة»، وهو الكتاب الذي حذا حذوه فـيه كبار الأطباء العرب اللاحقين. فيه معلومـات عن الفلك والجغرافيا والطبيعيّات. وله أيضاً : «كتـاب منافع الأدوية والأطعمة والعـقاقير»؛ و«كتـاب في ترتيب الأغذية»، و«كتـاب في الحجامة»، في العلم الطبّـي والصيدلي في ٣٠ مقـالة. وله رسالة في «الردّ على النصارى»، وكتاب «الدين والدولة» الذي يُعدّ ثاني كتاب عربي في الفكر السياسي بعد كتاب ابن المقفّع «رسالة الصحابة»..

طَرَفَة بن العَبْد (ت ٥٦٤م): ولد في البحرين. شاعـر جاهليّ من أصحاب المعلّقات. إبن أخت المتلمّس. بدّد ثـروته وهام متشرِّداً إلى أن اتّصل بعَـمرو بن هند ملك الحيـرة فمدحـه ثمّ أغضبـه فأمر بقتـله. له «ديوان»، ومطلع معلّقتـه: «لخَولةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهرِ اليد».

طَسْم وَجَدِيْس : قبيلتان قديمتان في اليمامة. من العرب البائدة.

الطَّعَام : الأكل جزء من الدِّيـن. والآكل الشاكر يعـتبر كـالصائم الصـبور. ولذلك فالطعام كـالصوم يحكمه الشرع. يقول القـرآن: إنّ كلّ طيّباتِ الأرض يمكن أن تؤكل، كـالحَبّ، أي الغذاء النبـاتي (٣٦/٣٣)، باعتـباره الطعـام الرئيسـي. أمّا الخبائث فمحرّمة (٧/١٥٧)، كـ «الميتة»، والدمّ، ولحم الخنزير، وما أهلّ لغير اللّه (١٦/١١٥). وحاول الفـقهـاء تصنيف الأشياء التي لم تحـرّم بصورة واضـحة، وتشمل الطيـر والضواري والزواحف والحـيوانات التي يضطرّ الناس إلى قـتلها.

---

(١) د.محمّد الجـوادي، ابن ربّن الطبري، فـي موسـوعة أعـلام الفكر الإسـلامي، ٢٠٠٤؛ ص ٢٨٠-٣٨٢.

والحيوانات التي يحرّم عليهم قتلها كالهدهد لأنّه أطاع نبيًا. ولا يجوز أكل الحمر الإنسيّة والبغال.

الطّلاق : ١ . بينونة المرأة عن زوجها بتطليقه إيّاها. والطلاق هو فكّ القيد، والحلّ، والإرسال، والإقصاء، مثل إطلاق الناقة من العقال. ومنه أُخذ تطليق الرجل زوجتَه.. والطالق الناقة التي حُلَّ عقالُها، والمرأة التي طلّقها زوجُها. وعند الفقهاء: الطلاق هو رفع قيد النكاح في الحال أو المآل، بلفظ مخصوص، أو ما يقوم مقامه.

٢ . وثمّة **ألفاظ ذات صلة** بالطلاق، مثل:

١ - **الفسْخ**: وهو النقض والإزالة؛ وفي الاصطلاح: حلّ رابطة العقْد. والفرق بين الفسْخ والطلاق هو أنّ الفسخ نقض للعقد المنشئ لآثاره وأحكامه التي نشأت عنه؛ فيما الطلاق لا ينقض العقد، ولكن يُنهي آثاره فقط..

٢ - **الخَلْع** : النزع، من خالعتِ المرأةُ زوجَها مخالعةً، واختلعتْ منه، إذا افتدتْ منه، وطلّقها على الفدية؛ وهو إزالة ملْك النكاح بلفظ الخلْع، مقابل عوض تلتزم به الزوجة، أو غيرها، للزوج.

٣ - **الإيلاء** : في اللغة: الحلف، من آلى يؤلي إيلاءً. يجمع على ألايا. وفي الاصطلاح: حلْف الزوج على ترك قرب زوجته مدّة مخصوصة. وقد حدّد القرآن ذلك بأربعة أشهر في قوله: «للَّذينَ يُؤْلُونَ من نِسائهم تَرَبُّصُ أربعةِ أشهرٍ» (٢/ ٢٢٦). فإذا انقضت الأشهر الأربعة بغير قرْب منه لها طُلِّقتْ منه بطلقة بائنة عند الحنفيّة؛ واستحقّت الطلاق منه عند المالكيّة والشافعيّة والحنابلة، حيث ترفعه الزوجة للقاضي ليخيّره بين القرب والفراق. فإن قربَها انحلّ الإيلاء، وإن رفض فرّق القاضي بينهما بطلقة.

٤ - **اللّعان** : في اللغة: الطرد والإبعاد من الخير، والمسبّة.. وفي الاصطلاح: إسم لما في قول الزوج في الأيمان: إنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وذلك وفقاً لقول القرآن: «والذينَ يَرْمُونَ أزواجَهم ولم يكنْ لهم شُهَداءُ إلاّ أنفسُهُم فشهادةُ أحدِهم أربعُ شهاداتٍ باللّه. إنّه لَمِنَ الصّادقِين. والخامسةُ: إنّ لعنةَ

اللّه عليـه إن كان مِنَ الكاذِبين» (٢٤/٦-٧). والتـحريم بعـد اللِّعان بين المتـلاعنين يكون على التأبيد؛ أمّا الطلاق فليس بالضرورة كذلك.

٥ - **الظِّهار**: هو قول الرجل لامرأته: «أنتِ عليَّ كظهر أمّي».

٣ . استدلّ الفقـهاء على مشروعيّة الـطلاق بأدلّة من الكتاب والسنّة، منها قوله تعـالى: «الطَّلاقُ مرَّتانِ فإمـساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحـسانٍ» (٢/٢٢٩)؛ وقوله: «يا أيّها النبيُّ! إذا طَلَّقْتُمُ النســاءَ فطَلِّقوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» (٦٥/١)؛ وقول النبي: «مـا أحلّ اللّهُ شيـئاً أبغض إليـه من الطلاق»[1]؛ وحديث عـمر أن رسـول اللّه طلّق حفصة ثـمّ راجعها[2]؛ وحديث ابن عمر أنّه طلّق زوجته في حـيضها، فأمره النبيّ بارتجاعها، ثمّ طلاقها بعد طهرها، إن شاء[3]..

٤ . «والمطلّقـات يتربَّـصْنَ بأنفســهنَّ ثلاثةَ قُـرُوء»(٢/٢٢٧)؛ ثمّ «الطلاق مـرّتان: فإمـســاك بمعـروف أو تسريح بـإحســان. ولا يحلّ لكم أن تأخـذوا ممّا آتيتموهنّ شيئاً» (٢/٢٢٩)؛ وفي بعض التفاسير للآية أنّ الخلع، وهو افتداء المرأة نفسـها بمال تدفعه لزوجها لكي يطلّقها، جائز؛ «فإنْ طلّقها فلا تحلّ له من بعدُ حتّى تنكح زوجـاً غيرَه»، وحـصلت على الطلاق منه أيضــاً (٢/٢٢٩)؛ وإذا كان ثمّ من طلاق، فمحرّم على الرجل أن يراجع زوجتَه متظاهراً بالمصالحة، ثمّ يمسكها لمجرّد تنغيص حياتها وإكراهها على افتداء نفسها بالمال (٢/٢٣٠)..

أمّا في الحـديث فثـمّة قواعـد وأحكام يجب الأخذ بهـا، مثل : ١- «أبغض الحلال إلى اللّه الطلاق»؛ ٢- وقيام حكمَـين للإصلاح والتوفيق بين الزوجَين؛ ٣- ولا يصحّ أن تطلب الزوجةُ من الزوج أن يطلّق زوجةً أخرى لأجلها؛ ٤- اللّهُ يُعاقب الزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها من غـير سبب كاف؛ ٥- يحرّم الطلاق أثناء الحيض، ولكن لا نزاع في صحّته.

---

(١) أخرجه أبوداود ٢/٦٣١، من حديث محارب بن دثار.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/٧١٢؛ الحاكم ٢/١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ٩/٣٤٥؛ مسلم ٢/١٠٩٤.

٥ . للزوج الحق في تطليق زوجته حتّى بدون إبداء الأسباب. الطلاق حقّ شخصي يجب أن يباشره الزوج شخصيًا، أو بمعرفة وكيل يعيّنه هو خاصّة؛ «والأصل في الطلاق: أنّه ملك الزوج وحده. وقد يقوم به غيره بإنابته، كما في الوكالة والتفويض، أو بدون إنابة كالقاضي في بعض الأحوال»[٤]؛ بل يستطيع الزوج أن يُعطي هذا التفويض للزوجة أيضاً، فهي التي تطلّق نفسَها. فالطلاق ملك للزوج وحده، ذلك أنّ الرجل يملك مفارقة زوجته إذا وجد ما يدعوه إلى ذلك بعبارته وإرادته المنفردة؛ كما تملك الزوجة طلب إنهاء علاقتها الزوجيّة إذا وُجد ما يبرّر ذلك، كإعسار الزوج بالنفقة، وغيبة الزوج، وما إلى ذلك من أسباب اختلف الفقهاء فيها توسعة وتضييقاً، ولكنّ ذلك لا يكون بعبارتها، وإنّما بقضاء القاضي، إلاّ أن يفوّضها الزوج بالطلاق.

فإذا اتّفق الزوجان على الفراق، جاز ذلك. وهو يتمّ من غير حاجة إلى قضاء. وكذلك القاضي، فإنّ له التفريق بين الزوجَين إذا قام من الأسباب ما يدعوه لذلك، حمايةً لحقّ اللّه تعالى، كما في ردّة أحد الزوجَين المسلمَين، أو إسلام أحد الزوجين المجوسيّين، وامتناع الآخر عن الإسلام، وغير ذلك. إلاّ أنّ ذلك كلّه لا يُسمّى طلاقاً سوى الأوّل الذي يكون بإرادة الزوج الخاصّة وعبارته. والدليل على أنّ الطلاق هذا حقّ الزوج خاصّة قولُ النبيّ: «إنّما الطلاق لمن أخذ بالساق»[٥].

٦ . يشترط في الزوج لكي يصحّ منه الطلاق بلوغ الرشد وسلامة العقل.

٧ . الطلاق يكون بعد زواج صحيح..

٨ . إذا استعمل المطلّق ألفاظاً أو إشارات ملتبسة فإنّ النيّة هي العامل الحاسم الوحيد.

٩ . من الطلاق ما هو **رجعي**، وهو ما يجوز معه للزوج ردّ زوجته في عدّتها من غير استئناف عقد؛ و**البائن**، وهو رفْع قيد النكاح في الحال. والطلاق

---

(٤) د. مصطفى الشكعة، الطلاق، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٩٢١.

(٥) أخرجه ابن ماجة ١/ ٦٧٢، من حديث ابن عبّاس.

البائن على قسمَين: بائن بينونة صغـرى، وبائن بينونة كبرى. الأوّل يكون بالطلقة البـائنة الواحدة وبالطلقـتَين البـائنتَين؛ وفي الثاني يـكون الطلاق ثلاثاً، لم يحلّ له العود إليها حتّى تنقضي عـدّتُها، وتتزوّج من غيره، ويدخل بها، ثمّ تَبِين منه بموتٍ أو فرقة، وتنقضي عدّتُها. فإن حصل ذلك حلّ له العود إليها بعقد جديد (٢/ ٢٣٠).

طَلْحَـة بن عُبَيـد الله (ت ٣٦هـ/٦٥٦م) : صـحابيّ قـرشيّ من العَشـرة المُبَشَّرَين بالجنّة. اشتهر بورعه. وكان من السابقين الأوّلين إلى الإسلام. وكان من أوائل القـرّاء. ابتُلي، هو وأبو بكر، بتهـديدات قريش وسـوء معـاملتهم. هاجـر مع النبيّ. وكان من أصـحاب مشورته ومن أصدق أصـدقائه. أنفذه النبيّ قبـيل وقعة بدر ليرصد حركات القافلة المكّية، ولكنّه لم يسهم فـيها. إنّما اشترك في الغنيمة مع سـائر المهاجـرين على قـدم المساواة. وأبلى بلاء حـسناً في وقـعة أُحُـد. وامتـاز بشجاعته. فقد حمى بجسمه النبيَّ عند تراجع المسلمين، فأصيب بعدّة جروح.

كان طلحــة من المرشّحين للخلافة. وقـد أحسّ بمرارة الخيبة عندمـا وقعت من نصيب عثمان. واندمج في صفوف المعارضة، فاستغلّ السخط الذي سرعان ما دبّ في نفوس الناس على حكم عثمان.. وكان يظنّ طلحة أن مبايعته بالخلافة باتت قاب قوسَين. وإذا بعلي يُبايَع بالخلافة دونه.. وما لبث أن فرّ من المدينة هو والزبير وبلغ مكّة حيث انضمّ إلى عائشة؛ فقُتل هو وابنه محمّد في وقعة الجمل.

طُلَيْحَة الأَسَدِيّ (ت ٢١هـ/٦٤٢م) : شيخ من شيوخ القبائل الذين تزعّموا حركـة الرِّدّة مدّعين النبـوّة. اشترك في حـصار المدينة في السنة ٥ للهـجرة. أعلن الولاء للإسلام في السنة ٩ هـ. وافـتتن سنة ١٠. وركّز قوّاته في سمـيراء وادّعى النبوّة. وفي السنة ١١ سار إليه خالد بن الوليـد فكانت هزيمته. ثمّ فرّ هو وزوجته إلى نواحي الشام. وأسـلم أخيراً بعـد أن أسلمت قبيلتـه.. وبعد إسـلامه أبلى بلاء حسناً في القادسيّة. وإليه ينسب الفضل في انتصار المسلمين في وقعة نهاوند.

الطُمَأْنِيْنَة : لغـةً: السكون، ومنه قـوله: «ولَكِن لِيَطْمَـئنَّ قَلْبي» (٢/ ٢٦٠)، وقوله: «فـإذا اطمَأْنَنْتُم فَأَقـيموا الصـلاةَ» (٤/ ١٠٣). ذهب فقهـاء إلى القول بأنّ

الطمأنينة ركنٌ من أركـان الصلاة، لحديث «**المسيء صلاته**»، وهو: «أنّ رجلاً دخل المسجـد فصلّى. ثمّ جاء فسلّم على النـبيّ. فردّ عليه. ثمّ قال: إرجعْ فـصلِّ فإنّك لم تصلِّ. فعلَ ذلك ثلاثاً. ثمّ قال: والذي بعثك بالحقّ ما أحـسن غيرَه؟. فعلّمني. فقال: إذا قمتَ إلى الصلاة فكبّـر. ثم اقرأ ما تيسّر معك من القـرآن. ثمّ اركعْ حتّى تطمئنَّ راكعـاً. ثمّ ارفعْ حتّى تعتدل قـائماً. ثمّ اسجـدْ حتّى تطمئنَّ ساجـداً. ثمّ ارفع حتّى تطمئنّ جالساً. ثمّ اسجدْ حتّى تطمئنَّ ساجداً. ثمّ افعلْ ذلك في صلاتك كلّها»[1].

الطَّمْث : (أنظر مادّة: **الحَيض**).

طَنْطَاوِي جَـوْهَرِيّ (ت ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، أديب مـصـري. اشـتـغل بالتفسير والعلوم الحديثة. له: «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»، في ٢٥ مجلّداً. فيه حاول أن يطبّـق القرآن على النظريّات الحديثة، أو استخـراج النظريّات العلميّة من القـرآن، ومحـاولة التـوفـيق بين الآراء الحديـثة والأفكار الدينـيّة. وله أيضـاً: «جـواهِر العلوم»، و«الحكمـة والحكماء»، و«نهـضـة الأمم وحيـاتهـا»، و«ميـزان الجواهر في عجائب الكون»، و«النظام والإسلام»، و«أين الإنسان»، وغيرها..

طَه : السورة **٢٠** من القرآن. آياتها: **١٣٥**. وطه إسم من أسماء النبيّ. أجمع المتصوّفة منذ القرن الرابع على أنّ طه معناها **طـ**هارة قلب الرسول وا**هـ**تداؤه.

طَه حُسَين (ت١٩٧٣م) : كـاتب مصـري، ناقد، صـحفي، روائي، ناشـر، مترجم، رجل أدب وسياسة، مـؤرّخ.. هو السابع في عيلة من ١٣ ولداً. فقد بصره في السنتَين من عمره. دخل الأزهر، ثمّ جامعـة فؤاد الأوّل حيث نال الدكتوراه على عمله في المعرّي. ثمّ سـافر إلى جامعة السوربون بباريـس حيث نال دكتوراه دولة في ابن خلدون. ثمّ تزوّج بفرنسيّة كانت قارئة له.

له كتاب «في الشـعر الجاهلي»، يقول فيـه بأنّ قسماً كبيـراً من هذا الشعر منحول ومزيّف لأسبـاب دينيّة. فتعرّض للنقد والرفض، واتّهم صـاحبه بالزندقة،

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/ ٢٧٧؛ مسلم ١/ ٢٩٨، من حديث أبي هُريرة.

ومنع من التداول إلى أن يعـاد بحلّة جديدة وعنوان جديد. وله أيضاً عـدّة كتب في حـقـول عديـدة، مثل «الأيّـام» في سيـرته الذاتـيّة، و«مـا وراء النهـر»، و«دعـاء القيروان»، و«أحلام شهرزاد»، و«على هامش السيرة»، وأخرى عديدة.

طه (محمّد محمود) (ت ١٨/١/١٩٨٥م) : مفكّر حرّ في النهضة الإسلاميّة، مؤسّس حركة علمانيّة اسمها «الإخوان الجمهوريّون»، مقابل «الإخوان المسلمون». عملتْ في استقلال السودان عن الشرق وعن الغرب، كما عملت في العودة إلى القرآن «الأصل» الذي هو القرآن المكّي، والتخلّي عن القرآن «الفرع» الذي هو القرآن المدني. والحكمة من بقاء الآيات المكّيّة، بالرغم من نسْخها، هي أن يأتي يوم ويُرجع إليها، فتصبح المنسوخة ناسخة والناسخة منسوخة. وقد آن الأوان لذلك.. وبسبب هذه الأفكار الجريئة، في الصعيدَين السياسي والديني، سجن مراراً، ثمّ نَفَّذ فيه جعفر النميري، رئيس السودان، حكم الإعدام شنقاً.

الطَّهارَة : ١ . لغـةً، الخلوّ والنظافـة من النجاسة، المتأتيّة من الحيض والنفاس والجنابة، كما من الخمر، والخنزير والكلب وما تولّد منهما، والميت. وتتمّ الطهارة بواسطة الوضوء، أو الغسل، أو التيمّم. وهي تحتل مكاناً هامّاً في الإسلام، لأنّ «الطهور، كما قال النبيّ، شطر الإيمان».

٢ . يقال: قوم يتطهّرون، أي: يتنزّهون عن الأدناس. ورجل طاهر الثياب، أي: منزّه. وفي الشرع: هي عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة.

٣ . والطهارة أعمّ من **الغسل** و **الوضوء**. و**التيمّم** أخصّ من الطهارة؛ و«لا تُقبل صلاة بغير طهور»[1]، ولقوله تعالى: «وإن كنتمْ جُنُباً فاطَّهَّروا» (٥/٦). والطهارة شرط من شروط صحّة الصلاة، يشترط لصحّتها طهارة بدنِ المصلّي، لقوله: «إذا قُمتمْ إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» (٥/٦)، وطهارة ثوبه، لقوله: «وثيابَكَ فطَهِّرْ» (٧٤/٤)، وطهارة مكانه من النجاسة، لقوله: «وعَهِدْنا إلى إبراهيمَ وإسمعيلَ أن طَهِّرا بيتيَ للطّائفينَ والعاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٥/١٢٥)..

---

(١) أخرجه مسلم ١/٢٠٤، من حديث ابن عمر.

والمعتمد في الشرع أنّ مَن صلّى بالنجاسة متعمّداً عالماً بحكمها، أو جاهلاً، وهو قادر على إزالتها، يُعيد صلاته أبداً.

٤ . اتّفق الفقهاء على أنّ الماء المطلق (أي الذي لم يخالطه شيء) رافعٌ للحدث، مزيل للخبث، لقوله تعالى: «ويُنَزِّلُ عليكُمْ مِنَ السماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكم به» (٨/ ١١).. ثمّ «إنّ الماءَ لا ينجّسه شيء إلاّ ما غلب على ريحه ولونه وطعمه»[٢].

٥ . الطهارة فرضٌ واجب عند اليهود والنصارى والمسلمين : شرّع لها موسى في التّوراة، ومارسها اليهود قبل الصلاة والأكل وفي كلّ احتفالٍ دينيّ. فغسْلُ اليدَين والرِّجلَين واجب عليهم «لئلاّ يموتوا. وذلك لهم رسم الدهر»[٣]؛ وغسل الجسمِ بكامله في حال الرجل الذي «بجسدِه سيَلان»، أو مَن «لمس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر»، أو «الأبرص المتبرأ»؛ أو حال المرأة التي «يسيل دمٌ من جسدها»، و«المرأة المستحاضة في طمثها»، و«المرأة التي حبلت فولدت». كلّ هذه الحالات واجبة من قبل السنّة اليهوديّة[٤].

وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى النّصارى. يقول عنهم أبيفان: «عندهم غسْل شامل كلَّ يومٍ للتطهير»[٥]. والغسل عندهم واجب يوميّ «قبل الأكل والصلاة وبعد كلِّ جماع جنسي»، وعند لسعة أفعى، أو في المرض.

ويأخذ المسلمون بهذه الحالات، ويمارسون الغسلَ، ويأمر القرآن المسلمين: «يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا! لا تَقْربُوا الصَّلاةَ... حتّى تَغتَسِلوا» (٤/ ٤٧)، «يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا! إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاة فاغْسِلُوا وجُوهكم وأيديكُم إلى المرَافِق، وَامْسَحوا برؤوسِكُم وأرْجُلِكُم إلى الكَعْبَين، وإنْ كنتُم جُنباً فاطَّهروا» (٥/ ٦).

---

(٢) أخرجه ابن ماجه ١/ ١٧٤، من حديث أبي أمامة، وأورده البوصيري في مصباح الزجاجة.
(٣) أحبار ٣٠/ ١٧-٢١ ؛ ٤٠/ ٣٠-٣٢ ؛ ١٥/ ١١ ؛ مزمور ٢٧/ ٦ ؛ ٧٤/ ١٣.
(٤) أح ١٥/ ٣ و١٦ و٣٣ ؛ ١٧/ ١٥؛ رَ:١٤/ ٨ ؛ ١٥/ ١٩ و٢٣؛ ١٢/ ١-٥ عد ١٩/ ١٨-١٩؛٤ مل ٥/ ١-١٤؛ متى ٨/ ٤؛ مر ١/ ٤٤.
(٥) Epiphane, Panarion, 30, 2.

٦ . وأباح القرآن للمسلمين احتراساً من إهمال هذه الطهارة الضروريّة أن يتيمّموا صَعِيداً طيّباً من رملٍ أو تراب (٤/٤٣؛ ٥/٦)، كالبعض من النصارى الذين استعاضوا عن معمودية الماء بالرمل، حيث لم يجدوا ماءً.

الطُّهْر : هو زمان نقاء المرأة من دم الحيض والنفاس. مثله مثل **القرء** الذي يقع على الطهر وعلى الحيض سواء؛ ومع هذا، فهو شرعاً خلاف الحيض، ونقيض النجاسة.

الطَّوَاف : ١ . لغةً : الدوران حول الشيء؛ وفي الاصطلاح: الطواف هو الدوران حول الكعبة بنيّة العبادة في الحجّ أو العمرة أو بدونهما. جاء في القرآن : «وعَهِدْنا إلى إبراهيمَ وإسمعيلَ أن طَهِّرا بيتي للطّائفينَ والعاكفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ» (٢/١٢٥). وهو تعظيم للكعبة تنفيذاً لأمر الله: «ولْيُوفُوا نُذورَهُمْ ولْيَطَّوَّفُوا بالبيتِ العتيق» (٢٢/٢٩)؛ وهو أيضاً طواف بالصفا والمروة في قوله: «إنّ الصفا والمَرْوَةَ مِن شعائرِ اللّهِ. فمَن حجَّ البيتَ، أو اعتمرَ، فلا جُناحَ عليه أن يَطَّوَّفَ بهما» (٢/١٥٨). وكان له شأن عظيم في الشعائر الدينيّة عند العرب القدماء، وعند بني إسرائيل[١] وغيرهم... وهو ركن لا بدّ منه، وأمر جوهريّ في الإسلام.

٢ . **الطواف سبعة أنواع**. وهي:

١ – طواف القدوم : ويسمّى طواف القادم، وطواف الورود، وطواف التحيّة، وطواف اللقاء. وهو سنّة للآفاقي القادم إلى مكّة تحيّةً للبيت العتيق. لذلك يستحبّ البدء به دون تأخير.

٢ – طواف الإفاضة : يؤدّيه الحاجّ بعد أن يفيض من عَرَفة ويبيت بالمزدلفة، فيأتي مِنًى يومَ العيد، فيرمي وينحر ويحلق، ويأتي مكّة، فيطوف بالبيت طواف الإفاضة. ويسمّى أيضاً طواف الزيارة، وطواف الفرض، والركن، لأنّه فرض وركن من أركان الحجّ.

---

(١) أنظر : مز ٢٦/٦؛ ٢٧/٦: ٧٠.

٣ – طواف الوداع : ويُسمّى طواف الصَّدَر، وطواف آخر العهد.

٤ – طواف العُمرة : وهو ركن فيها، وأوّل وقته بعد الإحرام بالعمرة.

٥– طواف النذر : وهو واجب. ولا يختصّ بوقت معيّن.

٦– طواف تحيّة المسجد الحرام: وهو مستحبٌ لَمن دخل المسجد الحرام.

٧ – طواف التطوّع : لا يختصّ بزمان دون زمان.

٣ . من شروط الطواف :

١ – أن يحصل الطائف حول الكعبة العدد المطلوب من الأشواط.

٢ – لا خلاف أنّ عدد أشواط الطواف المطلوبة سبعة.

٣ – النيّة: مجرّد إرادة الدوران حول الكعبة لا لقصد شيء يكفي..

٤ – مكان الطواف: حول الكعبة، داخل المسجد الحرام، قريباً من البيت.

٥ – الطواف حول البيت كلّه. وذلك يشمل **الشاذروان**.

٦ – الطواف حول الحِجْر. والحِجْر جزء من البيت.

٧ – إبتداء الطواف من الحجر الأسود.

٨ – التيامن، وهو سير الطائف عن يمين الكعبة.

٩ – الطهارة من الحدث والخبث.

١٠ – ستر العورة، لحديث: «لا يطوف بالبيت عريان»[٢].

١١ – موالاة أشواط الطواف.

١٢ – المشي للقادر عليه واجب مطلقاً في أيّ طواف.

٤ . سنن الطواف :

١ – الاضطباع : هو أن يجعل وسط الرداء تحت إبطه اليمنى عند الشروع في الطواف، ويردّ طرفَيه على كتفه اليسرى، وتبقى كتفه اليمنى مكشوفة.

٢ – الرَّمَل : هو إسراع المشي مع تقارب الخطى وهزّ الكتفَين من غير وثب. وهو سنّة للرجال دون النساء.

---

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٣/٤٨٣؛ مسلم ٢/٩٨٢، من حديث أبي هُريرة.

٣ – إبتداء الطواف قريباً من الحجر الأسود من جهة الركن اليماني؛ ثمّ يستقبل الحَجَر مهلّلاً رافعاً يديه..

٤ – إستقبال الحجر عند ابتداء الطواف، ورفع اليدين عند التكبير.

٥ – إستلام الحجر في ابتداء الطواف وفي كلّ شوط، وبعد الركعتَين.

٦ – إستلام الركن اليماني يكون بوضع اليدين عليه،

٧ – الدعاء، وهو مخيّر فيه غير محدّد بصيغته. منها: «اللّهم اجعلْه حجًا مبروراً، وسعياً مشكوراً، وذنباً مغفوراً. اللّهمّ لا إله إلاّ أنت وأنت تحيي بعدما أمتّ»

٨ – القرب من البيت الحرام للرجال، والبعد للنساء؛ إلاّ إذا كان الزحام شديداً، أو خاف صدْم النساء.

٩ – حفْظ البصر عن كلّ ما يشغله، لأنّ الطواف عبادة، وهو بمنزلة الصلاة، فينبغي أن يتمّ فيه التفرّغ لأدائه.

١٠ – الإسرار بالذكر والدعاء مطلوب في الطواف، لأنّ اللّه سميع، وحتّى لا يؤذي غيره إن جهر.

١١ – إلتزام الملتزم، وهو الجدار الذي بين الحجر الأسود وباب الكعبة.. والملتزم من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء.

١٢ – قراءة القرآن من غير رفع صوت ..

الطُّوْر : سورة رقم **٥٢** من سور القرآن. آياتها: **٤٩**.

الطُّوْرَانيّة : نسبة إلى «طوران» في آسيا الصغرى، حيث كانت تعيش الأقوام التركيّة قبل نزوحها غرباً إلى خراسان وما وراء النهر. وقد قام «ضيا كوك آلب»، الأب الروحي للقوميّين الأتراك بنشر منظومته الشهيرة «طوران» سنة ١٩١١م، وفيها طرح فكرة الوحدة الطورانيّة، ومؤدّاها: «أنّ وطن الترك ليس الدولة العثمانيّة، أو الأناضول، وإنّما هو «طوران»». ثمّ دعا إلى الاهتمام برقي العنصر التركي. إذ إنّ وحدة العنصر هي الباقية؛ فالدّين لم يقض على العنصريّة.

ويبدو أنّ الدعوة إلى الطورانيّة جاءت كردّ فعل لظهور الدعوة إلى القوميّة العربيّة آنذاك في الشام.. ولكنّها دعوة لم تصمد أمام القوميّة التركيّة التي تمثّلت

بالدعـوة إلى العودة إلى المبـادئ الإسلامـيّة، التي وحـدها تستطيع أن تقـف أمام القوى الاستعماريّة.

الطُّوسِيّ الشّيْعِيّ (أبو جعفر مـحمّد) (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) : ولد بطوس. جاء بغـداد، ونشر فـيهـا تعاليم الشـيعـة الإثني عشـريّة. اتّهم بإهانة أهل السنّة، فأُحرقت داره. فـغادر بغداد إلى النجف حيث توفّي، بعد أن أسّس جـامعة النَّجَف. يعدّ الطوسي أكـبر فقهـاء الشيعـة. اشتهر عـامّة بشيخ الطريقـة، ويُعرف عنه أنّه مجتهد لا يعتمد على أحد، ولا يهتمّ إلاّ بما قام عليه الدليل واقتضاه البرهان.

ويُعدُّ ثالث مـؤسّسي علم الكلام عند الشيعـة الإثني عشريّة، بعد أسـتاذَيه **الشيخ المفيد** و **الشريف المرتضي**. كما يُعدّ كتابان من كتـبه ، وهما : «كتاب تهذيب الأحكام»، و«كتـاب الاستبصـار فيما اخـتلف فيه من الأخبـار»، من الكتب الأربعة التي يوقّرها الشيـعة أعظم التوقير. وله أيضاً في التـفسير كتاب «التـبيان الجامع لعلوم القرآن» في ٢٠ مجلّد.

الطُّوسِيّ المُتَـصَوِّف (أبو نصـر عبـدالله السـرَّاج) (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م) : أصله من طوس. ليس له ذكـر في المراجع الصـوفيّـة العـربيّة، وقـد تداركت ذلك المراجع الفارسـيّة. ليس له من مؤلّـفات إلاّ كتابه الـكبير: «اللُّمَع» الذي فـيه بعض المعلومات عنه وعن أسـفاره في عدد كـبير من بلاد العـالم الإسلامي. فيـه صورة شامـلة للتصـوّف بوصفـه «علماً من علوم الـدين، يستند إلى كـتاب اللّه، ويتـأيّد بالاقتـداء برسول اللّه، والتخلّق بأخلاق الصـحابة والتابعين، والتأدّب بـآداب عباد اللّه الصـالحين». وفيـه أيضاً تعـريف بالمقـامات والأحـوال، وشرح المصطلحـات الصوفـيّة، وبيـان لآدابهم في العبـادات والسلوك، والحيـاة الصوفيّـة في الخلوة والصحبة والسفر والإقامة. وتضمّن نصوصاً ورسائل لبعض الصوفيّة الكبار.

ولهذا كـان الكتاب مصـدراً لا غنى عنه في معرفـة أقوال هؤلاء الصوفـيّة وأحوالهم. كما كان من أهم كتب التـصوّف في القرن الرابع الهجري، أثّر في بعض الكتب الصوفيّـة المهمّة التي جاءت بعده، ومنها: كـتاب طبقات الصوفيّـة لأبي عبد

الرحمن السلّمي، والرسـالة القشيريّة لأبي القـاسم عبد الكريم القشـيري، وكشف المحجوب لعلي بن عثمان الهجويري.

الطُوْسِيّ المُتَكَلِّم (نصير الدين) (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م) : عاش أيّام الفتح المغولي. وُلد بطوس وتوفّي ببغداد. عالم بالفلك والرياضيّات والتاريخ والجغرافيا والشعر واللغتَين العربيّة والفارسيّة. له باع في الفلسفة وعلم الكلام وما فيه من معتقدات الشيعة في معرفة اللّه، وصفاته، والنبوّة، والإمامة والعصمة. «يعد من أهم فلاسفة الشيعة، بل هو الفيلسوف الشيعي الأوّل الذي يفخر به التراث الشيعي كلّه»[1]. أسّس مرصداً مشهوراً ومكتبةً كبيرة في مَراغة. له مؤلّفات كثيرة، منها : «تجريد الاعتقاد»، و«شكل القطاع»، و«شرح الإشارات» لابن سينا، و«التذكرة»، و«تحرير أصول أقليدس»، و«تلخيص المحصل» لفخر الدين الرازيّ.

الطُولُونِيَّة (الدولة) : دولة حكمت في مصر وسورية مستقلّة عن العبّاسيّين (٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٥م). أسّسها أحمد بن طولون في مصر، فكانت مصر، ولأوّل مرّة، ولاية مستقلّة. فيها بنى جامعاً خلّد اسمه، «جامع ابن طولون»، وهو أقدم جوامع مصر الإسلاميّة. عمل ابن طولون، بعد استقرار أمره في مصر، على مدّ نفوذه إلى بلاد الشام. فقد كان يعلم تماماً أنّ أيَّ خطرٍ يمكن أن تتعرّض له مصر لن يأتي إلاّ من الشام، وأنّ السلطة المركزيّة في العراق، لو فكّرت في مناوأته، فستسلك إليه طريقَ الشام. ودفعه إلى ذلك أيضاً حرصُه على أن يقوم بدورٍ بارزٍ في السياسة الإسلاميّة المعاصرة، فحصل ابن طولون على ولاية الثغور الشاميّة، وأصبحت له بذلك صفة المدافع عن حدود الشام حامي دار الإسلام من الخطر البيزنطي[1]. خلف ابنَ طولون ابنُه خُمَارَوَيه (٢٧٠-٢٨٢هـ/ ٨٨٤-٨٩٥م) الذي أضفى على مصر مظاهر البذخ والأبّهة. فكانت فترة ازدهار حملتْ في طيّاتها عوامل تداعيها، فاشتدّت الخلافات، وانهار الحكم بعد مقتل خُمارَوَيه.

---

(١) د. أبو زيد، الطوسي المتكلّم، في موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، ٢٠٠٤؛ ص ٥٧٢-٥٧٦.

(١) د. أيمن فؤاد سيد، الطُولونيّة (الطُولونيّون)، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٩٢٩-٩٣٠.

الطُّوَى : من الطَيِّ، ومعناه: بناء البـئر بالحجارة. وهو جبـل بالشام. وقيل: هو وادٍ في أصل الطور. وفي القرآن: «إنَّكَ بالوادِ المقدَّسِ طُوًى» (٢٠/١٢)، أي هي بئر في مكّة مطويّة، أي مبنيّـة، بالحجارة.. واستحبّ الفقـهاء الغسل في ذي طُوًى عند دخول مكّة للطواف.

الطَّيَالِسِيّ (أبو داود) (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) : صاحب مسنـد. يُقال إنّه كان يحفظ ٣٠,٠٠٠ حـديث. يشمل مسنده أسـانيد مفردة لنـيّف وستمائة صـحابي. ويضمّ ٣٧٦٧ حديثاً. تتناول أبوابه كلّ ميدان الحـديث المأثور. غير أنّنا لا نجد فيه أحاديث عن بعض الشـخصيّات التي كـان لها شأن في تاريخ النبيّ، مثل خـديجة، وزينت بنت جـحش، وأبي سفـيان، وعـمرو بن العـاص، وأبي موسى الأشـعري، وعبدالله بن أُبَيّ، وعبدالله بن سلام، وخالد بن الوليد، وسلمان الفارسي.

طَيِّئ : قبيلة من قبائل بلاد العرب الجنـوبيّة. هاجرت من اليمن إلى شماليّ الجزيرة بعـد خراب سدّ مـأرب. وطيّئ أخ مذحج ومرّة، وجـدّ قبيلة كندة الكبـيرة وأصل قبيلة بني شَمَّر. كانوا يعيشون في الجوف جنوبي بلاد العرب، على الطريق بين صنعاء ومكّة. إليها ينتسب حاتم الطّائيّ وأبو تَمّام.

ظ

الظّاهِرِيّة : مذهب من مذاهب الفقه البائدة، أسّسه داود الظّاهريّ (ت ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م)، المولود بالكوفة. يأخذ الشريعة بظاهر لفظ القرآن والسنّة. وشدّد في إنكاره للرأي والقياس والاستصحاب والاستحسان والتقليد والتأويل. كان ابن حزم أحد روّاده في الأندلس؛ بل يكاد يقتصر عليه وحده. وكان المقريزي في مصر يكتب بروحٍ ظاهريّة. وكذلك الشعراني الصوفي الكبير كان يحفظ الكثير من أحكام مذهب الظاهريّة. وكذلك فخر الدين الرازي.

من تعاليمهم مثلاً في أمور الطهارة: إستعمال أواني الذهب والفضّة حرام. إستعمال السواك واجب، ومَن تركه عمداً بطلت صلاته. إنّ لمس الأجنبيّة، حتّى لو كانت بنتَ ساعةٍ، يَنقض الطهارة ويوجب الوضوء؛ إنّ التسمية في الوضوء واجبة؛ إنّ غسل اليدين قبل الطهارة واجب تعبداً لا لنجاسة؛ إنّ المرفقَين لا يدخلان في وجوب غسل اليدين؛ إنّ الغسل لا يجب إلاّ بإنزال المني؛ إنّ المرأة إذا أجنبت ثمّ حاضت يجب عليها غسلان. يجوز للجنب، حتّى المرأة وهي حائض، قراءة القرآن كلّه كيف شاء. إنّ التيمّم يرفع الحدث. إذا غسلت المرأة فرجها بعد الحيض جاز وطؤها. وفي ما يخصّ الكفّار فلا يعرف المذهب هوادة ولا سماحة.

الظِّئْر : المرضِعة لغير ولدها. ويُطلق على زوجها أيضاً. والجمْع: أظؤر، وأظآر. يُقال: ظأرت المرأة: اتّخذت ولداً تُرضعه.. اتّفق الفقهاء على جواز إجارة الظئر بأجرة معلومة، لقوله تعالى: «وإنْ أردتُمْ أن تَستَرضِعوا أولادَكم فلا جُناحَ عليكم إذا سلَّمْتم ما آتيتُم بالمعروف» (٢/ ٢٣٣).

الظُّلْم : وضْع الشيء في غير موضعه؛ أمّا **الجَور** فهو مجاوزة الحدّ، والميل عن القصد. ثمّ سمِّي كلّ **عسف** ظلماً. مثله مثله **البغي** الذي يعني الظلم والفساد والاستطالة على الناس؛ ومثل **الإكراه**، من الكُرْه، بمعنى القهر، أو من الكَرْه، بمعنى

المشقّة، وهو فعل يفعله المرء بغيره فـينتفي به رضاه. إنّما الإكراه صورة من صور الظلم.. الظلم محرّم في الكتـاب، لقوله: «إنّ الذين كَفَروا وظَلَموا لم يكنِ اللّه لِـيَغفِرَ لهمْ ولا ليَهدِيَهمْ طريقاً. إلاّ طريقَ جهنَّمَ خالِدِينَ فيها أبداً.» (٤/١٦٨-١٦٩).

الظَنّ : ١ . لغةً: هو التـردّد بين طرفي الاعتقـاد غير الجـازم؛ واصطلاحاً: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض؛ أو هو أحد طرفَي الشكّ بصفة الرجحان.

٢ . ورد لفظ الظنّ في القرآن أكثر من ٦٠ مرّة، إضافة إلى ٨ مرّات بمعنى اليقين، في مـثل قوله: «الذينَ يَظُنُّونَ أنَّهم مُـلاقُو رَبِّهِم، وأنَّهم إليهِ رَاجِـعونَ» (٢/ ٤٦)، وكذلك في قوله: «إنِّي ظَنَنتُ أنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ» (٦٩/ ٢٠).

٣ . والظنّ درجة من درجات العلم الذي لا يصل إلى درجة اليقين:

١ – هو أُولى مراحل العلم حيث تتعادل دلالات الإثبات مع دلالات النفي.

٢ – ثمّ تلي مرحلة «غلبة الظنّ» التي تأتي بعد البحث والتمحيص.

٣ – ثمّ تلي مرحلة «التصديق»، ويعتمد فيها على الثقة في صدق القائل.

٤ – ثمّ تلي مرحلة «الإيمان» الذي ينبني على التصديق.

٥ – ثمّ مرحلة «حقّ اليقين» وهو التصديق التام.

٦ – وتلي مرحلة «علم اليقين» عندما يجتمع صدق الخبر مع قوّة البرهان.

٧ – و«عين اليقين» هي المرحلة الأخـيرة من سلّم المعرفة حـيث تجتمع كلّ شروط المراحل السابقة مع المشاهدة العينيّة[1].

الظِّهار : ١ . لغةً: مأخوذ من الظَّهر؛ واصطـلاحاً: هو طلاق الجاهليّة: كان الرجل منهم إذا قالَ لزوجه: «أنتِ عليَّ كَظَهْرِ أمِّي»، بانتْ منه، ووقع بينهما الفراق.. وقد وصفه القرآن بالمُنكر، فقال: «الذينَ يُظَاهِرونَ منكم من نسائهم ما هنَّ أمّهاتِهم إن أمّهاتُهُم إلاّ اللائي وَلَدْنَهم. وإنَّهُمْ لَيَقولونَ مُنْكَراً مِنَ القولِ وزُوراً» (٥٨/٢).

---

(١) راجع مادّة: الظنّ، د. السيّد محمّد الشاهد، م.إ.ع. ٢٠٠٢: ٩٢٣-٩٢٤.

٢ . وبعد ظهور الإسلام، قال أوس بن الصامت لامرأته خولة بنت ثعلبة: «أنت عليّ كظهر أمّي». فندم من ساعته. فلمّا دعاها أبتْ، وقال: حتّى أسمع حكم اللّه ورسوله فينا. ولمّا عرضت أمرها على رسول اللّه قال لها: «ما أراكِ إلاّ وقد حُرِّمْتِ عليه». فأخذت تكرّر عليه القول، وتلحّ في شرح حالها وحال أولادها، وما يشقّ عليها من فراق زوجها بعد طول عشرتها له، فكانت في كرْب شديد، حتّى فرّج اللّهُ كربَتَها، وكشف غمَّتَها، وأنزل على رسوله في طلبها، ثمّ قال: «يا خولة! أبشِري». قالت: خيراً؟ فتلا عليها قرآناً:

٣ . «والذينَ يُظاهِرونَ من نسائهمْ ثمّ يُعودونَ لِما قالوا فتَحْريرُ رَقَبةٍ مِنْ قَبلِ أن يتماسًّا. ذلكم تُوعَظونَ بهِ واللّهُ بما تَعمَلونَ خَبيرٌ. فمَن لم يجدْ فصِيامُ شهرَين متتابعَين مِن قَبْلِ أن يتماسًّا. فمن لم يستطع فإطعامُ ستِّينَ مسكيناً» (٥٨/ ٣-٤). فكفّارة الظِّهار، إذاً، عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين، وإن لم يستطع فطعام ستّين مسكيناً.

٤ . ولا يحلّ للمظاهر جماعُ زوجته، وتقبيلها، ولمسها، ومباشرتها، حتّى يكفِّرَ عن ظهاره. وعلى المرأة أن تمنع زوجها من الوطء حتّى يكفّر، فإن امتنع عن التكفير كان لها أن ترفع الأمر إلى القاضي، وعلى القاضي أن يأمره بالتكفير. وإن امتنع أجبره حتّى يكفّر أو يُطلِّق. فإن امتنع طلّق القاضي.

٥ . الظهار محرّم. ولا يُعتبر طلاقاً. وهو من الكبائر لكونه «مُنْكَراً مِنَ القَولِ وَزُوراً».. قال الحنابلة: إذا قال الرجل لامرأة أجنبيّة: أنتِ عليّ كظهر أمّي كان ظهاراً. فلو تزوّجها لا يحلّ له وطؤها حتّى يأتي بالكفّارة. ووجهه: أنّ الظهار يمينٌ تنتهي بالكفّارة.. أمّا الشافعيّة فيقولون: لو تزوّج الرجل المرأة التي علّق الظهار منها على الزواج بها لا يكون مظاهراً، فيحلّ له قربانها، وحجّتهم قوله تعالى: «والذينَ يُظَاهِرونَ مِن نِسَائِهِم»، فاللّه جعل الظهار من نساء الرجل. والمرأة التي يعلّق الظهار منها على الزواج بها لا تعتبر من نساء الرجل عند إنشاء الظهار. فلا يكون الظهار منها صحيحاً.

ع

عَاد : قبيلة من العرب البائدة. كان مسكنهم قرب ديار ثمود. كانوا شديدِي البأس بفضل رخائهم العظيم (٧/٦٨؛ ٤١/١٤). وقد ذُكرت منشآتهم في القرآن[١]. كانوا يسكنون الأحقاف أي كثبان الرمل. عاملوا نبيَّهم **هوداً** بالسوء، فأرسل اللّه عليهم ريحاً صرصراً عاتية صرعتهم إلاّ هوداً وقلّةً مِن المتَّقين[٢]. وتذكر سورة هود قحطاً قاسوا منه الفقر والبلاء (١١/٥١).

العَادة : ١ . من العَود، أو المعاودة. وهي، في اللّغة: الأمور المتكرّرة من غير علاقة عقليّة. وعرّفها بعضهم: أنّها تكرار الشيء وعَوده مرّة بعد أخرى تكراراً كثيراً يخرج عن كونه واقعاً بطريق الصدفة والاتّفاق. وفي الاصطلاح: عمّا استقرّ في النفوس من الأمور المتكرّرة المقبولة عند الطبائع السليمة. مثلها مثل **العُرْف**.

٢ . لا خلاف بين الفقهاء في أنّ العادة مستند لكثير من الأحكام. وأنّها تحكم في ما لا ضابط له شرعاً.. وما جُهل حاله رجع فيه إلى عادة البلد. العوائد الجارية ضروريّة الاعتبار شرعاً، سواء كانت شرعيّة في أصلها أو غير شرعيّة.

٣ . والأصل في اعتبار العادة ما روي عن ابن مسعود: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند اللّه حسن»[٣].. والعادة من المعتبر في الفقه،وقلّما يوجد باب من أبواب الفقه ليس للعادة مدخل في أحكامه.

العَادِيَات : إسم السورة ١٠٠ من القرآن. آياتها: ١١. والعاديات: الخيل السريعة التي تعدو في الغزو (؟).

---

(١) ٢٦/١٢٧؛ ٨٩/٥-٦؛ ٤٦/٢٠.

(٢) ٧/٦٤؛ ٤٠/٥٨؛ ٤١/١٥؛ ٥٤/١٧؛ ٦٩/٥.

(٣) أخرجه أحمد ١/٣٧٩؛ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٧٧.

عَاشُوْرَاء : ١ . إسم يوم من أيّام صوم التطوّع، ويكون في العاشر من المحرّم. لمّا وفد محمّد إلى المدينة أخذ عن اليهود عاشوراء من بين أيّام أخر[1] في الكلام عن «يوم الكفّارة» الكبير. ولمّا توتّرت علاقات محمّد باليهود في السنة الثانية من الهجرة، وقع الاختيار على رمضان ليكون شهر الصوم.

٢ . أمّا **الشيعة** فيربطون يوم عاشوراء باستشهاد **الحسين** بن علي في **كربلاء**. ويقولون في يوم عاشوراء : «ليس يوم عاشوراء عاطفة مذهبيّة شيعيّة نحو الرسول وأهل بيته، عاطفة ولّدها الضغط على الشيعة، كما زعم الزاعمون، ولكنّه تكريمٌ للبطولة والتضحية، وإحياء للجهاد المقدّس، واعتزاز بالإباء والكرامة، وإيمان بسلطان العدالة والحرّيّة. ليس يوم عاشوراء للشيعة فحسب، ولا للسنّة، وإنّما هو للناس أجمعين، لأنّه جهاد وتضحية، وحقّ وصراحة، ونور وحكمة. وليس لهذه الفضائل دين خاصّ، ولا مذهب خاصّ، ولا وطن خاصّ، ولا لغة خاصّة. هذا هو يوم عاشوراء في حقيقته ومغزاه»[1].

العَاقِلَة : ١ . جمْع: عاقل، وهو دافع الدية. وسمّيت الدية عقلاً، لأنّها كانت تُعقل بفناء وليّ المقتول. ثمّ أطلق العقل على الديّة. وإنّما سمّيت عقلاً لأنّها تعقل لسان وليّ المقتول؛ أو من العقل، وهو المنْع، لأنّ العشيرة، في الجاهليّة، كانت تمنع القاتل بالسيف؛ ثم منعت عنه، في الإسلام، بالمال.

٢ . إنّ دية الخطأ تجب على العاقلة.. وعاقلة الإنسان عصبته، وهم: الأقرباء من جهة الأب، كالأعمام وبنيهم، والإخوة وبنيهم. وتُقسم الديّة على الأقرب فالأقرب.. أمّا ديّة القتل العمد فلا تتحمّله العاقلة، ولا ديّة القتل الخطأ الذي يقرّ به الجاني على نفسه، ولا القتل الذي ينكره الجاني ويصالح المدّعي على مالٍ عليه، لقول النبي: «لا تحمل العاقلة عمداً ولا عبداً ولا صلحاً ولا اعترافاً»[1].

---

(١) رَ: سفر الأحبار ١٦/ ٢٩.

(١) مغنيّة، **الشيعة في الميزان**، فصل: عاشوراء، ص ٣٩٦–٣٩٨.

(١) أخرجه البيهقي، ٨/ ١٠٤، من حديث ابن عبّاس؛ ذكره الزيلعي في النصب الراية ٤/ ٣٧٩.

٣ . تؤخذ الديّة من العاقلة على وجه الصلة والتبرّع تخفيفاً عن القاتل. فلا يجوز التغليظ عليهم بالزيادة.. وإذا لم يكن للجاني عاقلة، كاللقيط والذمّيّ الذي أسلم، فعاقلته بيتُ المال، لقول النبي: «أنا وارث مَن لا وارث له. أعقل عنه وأرثه»[٢].

عَامُ الحُزْن : هو العام العاشر من بعثة النبيّ. سُمّي بذلك لأنّ عمّه أبا طالب وزوجه خديجة تُوفّيا في هذا العام. فبوفاة عمّه فقَدَ الرسول خيرَ نصير له. وكان إذا آذاه قومُه يقول: «واللّهِ ما أصابني هذا إلاّ بعد موت أبي طالب»؛ وبوفاة خديجة بعد أيّام فَقَد العشيرَ والنصير.. ومن أجل هذا اعتكف النبيّ في داره.

عَامُ الوُفُود : هو العام التاسع، أو العاشر الهجري.. وقد بلغت هذه الوفود ٣١ وفداً، أقبلت إلى المدينة تخطب ودّ النبيّ، وتعلن إسلامَها بين يديه. ومن الأسباب التي من أجلها توافدت الناس: أنّ قريشاً قد أسلمت فور فتح مكّة، وتحطّمت الأصنام القائمة حول الكعبة، وأنّ الجيش الإسلامي عاد من تبّوك بعد إرهابِ أقوى دول الأرض، وهي الروم، وإرهاب القبائل المتنصّرة على تخوم الشام.

عَائِشَة (ت ٥٨هـ/٦٧٨م) : ١ . بنت أبي بكر الصدّيق، أمّها أمّ رومان، تنتمي إلى قبيلة كنانة. زوجة النبيّ الثالثة بعد خديجة وسَودة بنت زَمعة. أمّ المؤمنين. وُلدت بمكّة حوالي سنة ٩ ق.هـ/٦١٣م.. وقد كنّاها محمّد بأمّ عبداللّه نسبةً إلى ابن أختها عبداللّه بن الزُّبَير. رَوتْ عن رسول اللّه ٢٢١٠ أحاديث.

٢ . منذ أن عرف رسولُ اللّه عائشة، وهي طفلة صغيرة في حضن والدَيها، رغبَ فيها، وأوصى أمَّها بها: "يا أمَّ رومانَ! استوصي بعائشة خيراً. واحفظيني فيها"[١]. وأمُّ رومان، امرأةُ صديقِه أبي بكر، كانتْ، قبْل ابنتِها، تنزلُ في نفس رسول اللّه منزلةً أخّاذة. وقد ظهر ذلك في كلامه، يوم قال: "مَن سرَّهُ أن

---

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣/ ٣٢٠؛ إبن ماجه ٢/ ٩١٥، في حديث المقداد بن معدي كرب. وأورده ابن القيم في تهذيب السنّة ٤/ ١٧١.

(١) طبقات ابن سعد، ٨/ ٧٨.

ينظرَ إلى امرأةٍ من الحُورِ العِين، فلينظرْ إلى أمّ رومان"[٢]. وقد كان النبيّ يستريح عادة عندها، ويتردّد عليها، ويزورها بتـواتر. عن ذلك قال عروة: "كان رسول الله يختلف إلى بيت أبي بكر.. ولا يُخطئ يوماً واحداً أن يأتي إلى بيت أبي بكر"[٣].

٣ . ويبـدو أنّ جـبريـل نفسَـه تدخّل في تـقديم عـائشـة إلى رسـول الله ليتزوَّجها، ولتُـذهب عنه حزنَه المستمرَّ على فقْد خديـجة. عن عروة قال: "لمّا ماتت خديجة حـزن عليها النبيُّ حزناً شديداً، فبـعثَ اللّهُ جبريلَ، فأتاه بعائشـة في مهد. فقـال: يا رسولَ اللّـه! هذه تُذهِبُ بعضَ حزنِكَ. وإنّ في هذه خَلَفـاً من خديجـة. ثمّ ردَّهَا"[٤]. وراح النبيّ يتـوقّع أن تتمّ الرؤيا، وعـائشة تتـوقّع ذلك أيضاً؛ حـتى إنّ رسولَ اللّه سألها، يوماً،- وعمـرها دون السادسة- عن سبب هذا البكاء؛ "فشكتْ أمَّها. فذكرتْ أنّها تُولعُ بـه. فدمعتْ عينا رسولِ اللّه"[٥].

٤ . كانت خولة بنت حكيم السلّميّة الوسيطَ بين رسول اللّه وعائشة. وهي نفسُها التي توسّطت بينه وبين سَودة. لقد أمستْ تعرفُ، على ما يبدو، ميولَ النبيّ ورغبات قلبـه.. وجاءت خولة أبا بكر تقول له: أرسَلَني رسـولُ اللّه أخطبُ عائشة. قال: وهل تصـلحُ له؟! إنّما هي ابنة أخـيه! فرجـعتُ إلى رسول اللّه، فـقلتُ لهُ ذلك: فقال: إرجعي إليهِ. فـقولي لهُ: أنتَ أخي في الإسـلام، وأنا أخوك. وابنتُكَ تصلحُ لي. وقال أبو بكر لخـولة: ادْعي لي رسولَ اللّه. فمـضتْ خولة إلى رسول اللّه. فدَعَـتْهُ. فجاء. فأنكحهُ عائشة. وهي يومئذٍ بنتُ ستٍّ سنين، أو سبع[٦].

٥ . عائشة نفسُـها تُخبرُنا الآن عن ساعاتهـا الأولى مع رسول اللّه. تقول: "تزوّجَني رسولُ اللّه في شَـوّال سنة عشر من النبـوّة، قبل الهجـرة بثلاث سنين، وأنا ابنةُ ستّ سنين. وهاجر رسـولُ الله. فقَدِمَ المدينةَ. وأعـرسَ بي في شَوّال على

---

(٢) المرجع نفسه، ٨/٧٧، إبن حجر، تهذيب التهذيب، ١٢/٤٦٧.
(٣) طبقات ابن سعد، ٨/٧٨.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) تاريخ الطبري، ٣/١٧٦، السمط الثمين، ٣١، طبقات ابن سعد، ٨/٥٨.

رأس ثمانية أشهرٍ من المهاجر. وكنتُ يومَ دخلَ بي ابنةَ تسع سنين "[٧]. وتخبرنا أيضاً عن قلّة وعيها لما جرى لها مع رسول الله. تقول: "تزوَّجَني رسولُ الله، وإنّي ألعبُ مع الجواري على المرجوحة". فما دريتُ أنّ رسولَ الله تزوَّجني حتى أخذتْني أمّي، فحبستْني في البيت عن الخروج. فوقعَ في نفسي أنّي تزوّجتُ. فما سألتُها حتى كانتْ أمّي هي التي أخبرَتْني "[٨].

٦. هذا الزواج بين النبيّ والطفلة عائشة، تبرّره بنتُ الشاطئ (ت ١٩٩٨م)، وتتّهم المستشرقين الذين ما برحوا يكيلون العداء للإسلام من كلّ باب. وهو، في رأيها، ما أدركَه مستشرقٌ منصِفٌ، عندما قال: «كانت عائشة، على صِغرِ سنّها، ناميةً ذلك النموّ السريع، الذي تنموه نساءُ العرب، والذي يُسبّبُ لهنّ الهرمَ في أواخر السنين التي تعقبُ العشرين» "[٩].

٧. وبعد أن هاجر رسولُ الله إلى المدينة، سنة ٦٢٢ م، واستقرّ فيها. أرسلَ زيداً بن حارثة إلى مكّة ليأتيَ ببنات الرسول، وبعائشة، التي كان قد مضى على زواجه منها ثلاث سنين، وبأختها أسماء، وأمّهما أمّ رومان، وأخيهما عبدالله، وغيرهم.. وكان رسولُ الله يهيّء داراً لعائشة.. وتحدّثَ أبو بكر، بعد الهجرة بأشهرٍ معدودات، إلى محمّد في إتمام الزواج الذي عَقَدَهُ في مكّة منذ ثلاث سنين. فلبّى رسولُ الله راضياً وأسرع[١٠].

٨. وتصفُ عائشة يومَ عرسِها الأوّل، فتقول: "جاء رسولُ الله بيتَنا، فاجتمعَ إليه رجالٌ من الأنصار ونساء. فجاءتْني أمّي وأنا في أرجوحة بين عذقَين، فأنزلَتْني. ثمّ سوّتْ شعري. ومسحتْ وجهي بشيء من ماء. ثم أقبلتْ تقودُني (تعلّق الدكتورة قدّورة بقولها: «وهي، أي عائشة، لا تدري ما تقصدُهُ أمُّها). حتى

---

(٧) طبقات ابن سعد، ٨/٥٨.

(٨) المرجع نفسه.

(٩) بنت الشاطئ، ص ٢٥٦-٢٥٨. ألم يكن هذا حال خديجة التي استمرّت تُنجبُ حتى بعد سنّ الخمسين؟!!

(١٠) بنت الشاطئ، ص ٢٦٨.

إذا كنتُ عند البـاب، وقفتْ بي حـتى ذهبَ بعضُ نفَسي. ثمّ أدخَلَتْني. ورسـولُ اللّهِ جالسٌ على سريرٍ في بيتِنا. فأجلسَـتْني في حجرِهِ. وقالت: هؤلاء أهلك. فباركَ اللّهُ لكِ فيهم. وباركَ لهم فيكِ. ووثبَ القومُ والنساءُ. فخرجوا. وبنى بي رسولُ اللّهِ في بيتي، وأنا يومئذٍ ابنةُ تسع سنين"[١١].

٩. مكانة عائشـة في قلب رسول اللّه لم تصلْ إلـيها امـرأة. ولا غرابةَ في ذلك، فعائشة نفسُـها تُعدّدُ لنا ما تتميّزُ به. تقول: "فُـضِّلتُ على نساء النبيّ بعشر. قيل: ما هنّ يا أمّ المؤمنين؟ قالت:

١ – لم يَنكِحْ بِكْراً غَيْري.

٢ – لم ينكح امرأةً أبواها مهاجران غيري.

٣ – وأنزل اللّهُ براءتي من السماء.

٤ – وجاءه جبريلُ بصورتي من السماء، وقال له: تزوّجها فإنّها امرأتك.

٥ – وكنتُ أغـتسلُ، أنا وهو، من إناء واحـد. ولم يكن يفعل ذلك بأحـد من نسائه غيري.

٦ – وكان يصلّي، وأنا مـعتـرضة بين يديَه. ولم يكن يفـعل ذلك بأحد من نسائه غيري.

٧ – وكان ينزل عليـه الوحيُ وهو معي. ولم يكن ينزل عليـه وهو مع أحد من نسائه غيري.

٨ – وقبضَ اللّهُ نفسَه، وهو بين سحري ونحري.

٩ – ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها.

١٠ – ودُفِـنَ في بيـتي"[١٢].

---

(١١) أنظر تاريخ الطبـري، ٣/١٧٦، صحـيح البـخاري، ٥/٧٠–٧١، صـحيح مـسلم، كتـاب النكاح، ١٤٤٢، مـسند ابن حنبل، ٨/٢١١، السمط الثـمين، ٣٢. وانظر أيضـا زاهيـة قدّورة، عائشة أمّ المؤمنين، ص ٧٨.

(١٢) طبقات ابن سعد، ٨/٦٣–٦٤.

وفضلُ عائشة أيضاً على غيرها من نساء النبيّ:

١ - أنّ بيتَها في المدينة جاور المسجد؛

٢ - وأنّ النبيّ كان يقسمُ وقتَه بينها وبين الصلاة؛

٣ - وأنّه كان، بخطوة واحدة، يمرّ من بيت عائشة إلى بيت اللّه، ومن بيت اللّه إلى بيت عائشة؛

٤ - وأنّ عتبتَها لا تفصل بين النجاسة والطهر. فهي، ولو حائضة، تنعمُ بغسل وجه رسول اللّه ورأسه؛

٥ - وكان جبريل يُقرؤها السلام؛

٦ - وهي زوجتُه في الدنيا والآخرة[١٣].

١٠. هذه الميّزات في شخصيّة عائشة جعلتْها تتنافسُ مع سائر نساء رسول اللّه على اجتذاب قلبه؛ حتى كان يفضّلها على أزواجه كلّهنّ. لهذا لم تكن عائشة بخير معهنّ. وكان المسلمون يعلمون مكانة عائشة عند النبيّ، فكانوا يبتغون مرضاتَه بالهدايا إليه يوم عائشة. وقرّرَت نساءُ النبيّ إرسالَ أمّ سلَمَة، إحدى الضرائر، عدوّةَ عائشة المعلنة، إلى رسول اللّه تسأله العدلَ بينهنّ. فدخلتْ أمُّ سلَمة على رسول اللّه. وكرّرتِ الطلب ثلاثاً، إلى أن قال لها: "لا تؤذيني في عائشة. فإنّ الوحيَ لم يَنزِلْ عليَّ في لِحَافِ واحدَةٍ منكُنَّ غير عائشة"[١٤].

١١. وظلّ الرسولُ يخصّ عائشة بأوفر قسمٍ من قلبه إلى آخر أيّام حياته، ممّا جعل حياتَها صعبة معهنّ. وإذا شاءت أن تنتصر عليهنّ فلن تستطيع ذلك وحدها. عليها أن تتودّد لبعضهنّ، وتتقرّب منهنّ. فكانت حفصة بنت عمر بن الخطّاب، صديق أبيها، وسَودة بنت زمعة التي وهبتْها يومها، وزينب الهلاليّة التي لم ترغب من النبيّ إلاّ أن تكون في عداد حريمه.. هؤلاء كنّ حِلْفَ عائشة. وابتدأت

---

(١٣) أنظر صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب فضل عائشة، ٥/٣٦-٣٧.

(١٤) طبقات ابن سعد، ٨/١٦٣، أسد الغابة، ٥/٥٠٣، ابن حجر، ٨/١٤٠، صحيح البخاري، في فضل عائشة، ٥/٣٧.

المعركة. عائشة، وحفصة، وسودة، وزينب الهلاليّة، من جهة؛ وزينب بنت جحش، وأم سلَمة، وجُويريّة، وصفيّة اليهوديّة، وأمّ حبيبة، وميمونة، من جهة ثانية.

١٢ . أمّا زينب بنت جحش فكان مجيئها الى حَرَم الرسول طعنةً في قلب عائشة. لقد كانت بنتَ عمّته، جميلة جدًا، بل آيةً في الحسن والجَمال. أعلن النبيُّ زواجَه منها استجابةً لوحي السماء. فانتفضتْ عائشة لهذا الوحي. وقالت للنبيّ: "ما أرَى ربَّكَ إلاّ يُسَارعُ فِي هَواك "[١٥]... ثمّ راحت عائشة تراقب زينب، "وتحصي الدقائق والساعات التي يقضيها الرسولُ معها. فلمّا رأتْه يُطيل المكْثَ لديها، فكّرتْ في حيلة تصرفه عنها. وأشركتْ معها حفصة وسودة. أيّتهنّ دخلَ الرسولُ عليها إثر انصرافه من عند زينب، لتقل له: أكَلْتَ مَغافير[١٦]. وجاء رسولُ اللّه عائشة، فتشمّمتْ أنفاسَه. وقالت: إنّني أشمُّ رائحةَ مغافير. أكلتَ مغافير! وكذلك قالت حفصة، وسودة.. إلاّ أنّ سودة أحسّت ندماً، وقالت: سبحانَ اللّه! واللّهِ لقد حرمناه! فنظرتْ إليها عائشة أنِ اسكُتِي! "[١٧].

١٣ . أمّا موقف عائشة من أمّ سلَمة، عدوّتها الأخرى، فتخبرنا عنه فاطمة الخزاعيّة. قالت: " سمعتُ عائشة تقول: دخلَ عليّ يوماً رسولُ اللّه، فقلتُ: أين كنتَ اليوم؟ قال: يا حُمَيراء، كنتُ عند أمّ سلَمَة. فقلتُ: ما تشبعُ من أمّ سلَمة؟ قالت: فتبسّمَ. فقلتُ: يا رسولَ اللّه! ألا تُخبرُني عنكَ لو انّك نزلتَ بشجرتَين، إحداهما لم تُرْعَ، والأخرى قد رُعِيَتْ؟ قال: التي لم تُرْعَ. قلتُ: فأنا ليس كأحدٍ من نسائك. كلّ امرأةٍ من نسائك قد كانت عند رجلٍ غيري. قالت: فتبسّم رسولُ اللّه "[١٨].

١٤ . أمّا الكندية، أسماء بنت النعمان، فقد قرّرت عائشة إبعادها عن رسول اللّه قبل أن يعقد عليها زواجَه. واستنجدت بحليفاتها، وقالت لهنّ: " قد وضع يدَه

---

(١٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة تهب نفسها لأحد، ٧/١٦؛ السمط الثمين، ٨٢...

(١٦) صمْغ يَسيل من بعض الشجر، كريه الرائحة.

(١٧) صحيح البخاري، ٧/٥٦-٥٧.

(١٨) طبقات ابن سعد، ٨/ ٨٠؛ الأنساب للبلاذري، ١/ ٦٥٥؛ إبن الجوزي، ١٥٣؛ السمط الثمين، ٤٧؛ صحيح البخاري، باب نكاح الأبكار، ٧/٦٧...

في الغرائب. وقد يوشكنَ أن يصرفنَ وجهه عنّا". واتّفقنَ على خطة موحّدة: أقبلنَ على العرس مهنّئات، يجلونَها للزفاف، ويوصينَها بما تفعل وما تقول، استجلاباً لرضى بعلهم ومحبّته. فكان ممّا نصحنَها به أن تستعيذَ باللّه إذا ما دخلَ عليها. ففعلتِ المسكينةُ المخدوعة، ووقعت في الفخّ. ولم تكد ترى النبيّ مقبلاً عليها، وهي تظنُّ استجماعَ قلبِه وعاطفتِه نحوها، حتى استعاذتْ باللّه.. فما كان من رسول اللّه إلاّ أن صرف وجهَه عنها، وتبرّم منها. وقال: لقد عذتِ بمَعَاذ. وغادرَها من لحظته، وأمر أن تُمَتّع وتلحق بأهلها. وهكذا تخلّصت عائشة من منافسة خطرة"[١٩].

١٥ . أمّا ماريّة القبطيّة فأمرُها على عائشة كان عسيراً، كما على سائر نساء النبيّ عامّة. إنّها غريبة، مسيحيّة، قبطيّة، سَرِيَّة، ليستْ من أمّهات المؤمنين، وجميلةٌ جدّاً، ولدت للنبيّ إبنه إبراهيم، فيما امرأةٌ واحدة، بعد خديجة، لم تلد له... كلّ ذلك أجّج غيرةَ عائشة، وأهاجَ غيظَها.. حتى خرجَ الأمرُ من يد رسولِ اللّه.

ذات يوم، خلا النبيُّ بماريّة في بيت حفصة. ولمّا عادت حفصة إلى بيتها، ورأتْ ما رأتْ، هاجتْ وماجتْ، ودخلتْ على رسول اللّه، ولم تهدأ من البكاء والصراخ واللّطم، حتّى حرّمَ الرسولُ ماريّةَ على نفسه، وأوصى حفصة بكتمان ما كان، حبّاً باللّه والدعوة.

لكنّ حفصة لم تستطع أن تكتم أمرَها عن عائشة التي، هي الأخرى، اشتعلتْ نارُ الغيرة في صدرها. وحفصة وعائشة أخبرتا سائرَ النساء. وقامت قيامتُهُنّ على رسول اللّه. ولم يستطعِ الرسولُ تهدئةَ نساء بيت النبوّة إلاّ بتدخّل من السماء. فأنزل اللّهُ عليه:

«يا أيُّها النّبيُّ! لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لك (أي: من فعْل ما فعلتَ مع ماريّة القبطيّة). تَبتغي مرضاةَ أزواجِكَ. واللّهُ غفورٌ رحيم.. وإذْ أسَرَّ النّبيُّ إلى بعضِ

---

(١٩) راجع تاريخ الطبري، ٣/١٢٣، ٣/١٣٩؛ سيرة ابن هشام، ٤/٢٩٧؛ المحبر، ٩٤؛ عيون الأثر، ٢/٢١٠؛ والاختلاف كبير بين المحدّثين حول من التي استعاذت بمعاذ. أنظر بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

أزواجِه (حفصة) حديثاً (وهو تحريم مـاريّة. وقال لها: لا تُفشيـه). فَلَمَّا نَبَّأَتْ بهِ (عائشـة) وأَظْهَرَهُ اللّهُ عليه، عـرَّفَ بعضَه (لحـفصة)، وأعـرَضَ عن بعضٍ (تكرّماً منه). فلمّا نَبَّـأَها به، قالتْ: مَنْ أنبأَكَ هذا؟ قـال: نبّأني العليمُ الخبـير (أي اللّه) : إنْ تَتُوبَا (أي حفصة وعائشة) إلى اللّهِ، فقدْ صَغَتْ قلوبُكما (أي سَرَّكُما ذلك مع كراهة النبيّ له. وذلك ذنب)؛ وإنْ تَـظَاهَرَا (أي تتظاهرا، تتـعـاونا) عليـه (أي على النبيّ)، فإنَّ اللّهَ هو مَولاهُ، وجبريلُ، وصالحُ المؤمنين (أي أبو بكر وعمر) والملائكةُ بعدَ ذلك (أي بعد نصر اللّه والمذكورين) ظَهيـرٌ (أي أعوان له في نصره عليكما). عسَى ربُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ (أي طلّق النبيُّ أزواجَه) أنْ يُبْدِلَهُ أزواجًا خـيرًا منكنّ: مُسلماتٍ، مؤمناتٍ، قانتاتٍ، تائـباتٍ، عابداتٍ، سائحاتٍ، ثيِّـباتٍ، وأبكاراً»[٢٠]. وطلّقَ رسولُ اللّه نساءه جميعَهنّ تسعاً وعشرينَ ليلةً، كانتْ عليهِنَّ كعذاباتِ جهنّم.

١٦ . تجاه هذا العَـبَثِ النسوي، قرّر رسولُ اللّه اعـتزال نسائه جمـيعهنّ. فاعتزلهنّ. وتهامس الناس. وتطاولت الألسنُ النبيَّ ونساءَه بالتهم والكلام السيّء. وعمّ الحـزنُ المسلمين. لقـد تجاوز الأمـرُ كلَّ تقـدير. حتى عـائشــة، قائدة الثـورة وزعيـمة المتظاهرات، لم تُدرك أنّ الأمور سـتصلُ إلى هذا الحدّ. ولم تفـزع لغضب رسول اللّه، بقدر ما فزعتْ لما مسّه من مشقّـة حرمان نفسه ممّن يُحِبُّ. وكان قلبُها يذوبُ عليه، وهي تتصوّرُهُ مستحبِسـاً، متنسّكاً، حزيناً، محروماً، يتحرّق من دون زوج يسكنُ إليها ويرتاح.

وتدخلُ بنتُ الشاطئ نفسيّةَ رسول اللّه لتُفـشي كوامنَها، فتقول: " ومضى شـهرٌ بأكمله في اعتزالِهنّ.. والمسلمون يرقبـون نبيّهم، وعائشة مضطربة محتارة، وأمّهاتُ المؤمنين مروّعات بالهجْر.. ولكنّ النبيَّ لم يُطلِّقْ نساءه. إنّه إنذارٌ لهنّ إنْ لم يَتُـبْنَ فسـوف يُبدِلهُ اللّهُ أزواجًـا خيـرًا منهنّ. لم يطلّقْـهُنَّ. وطارتِ البشـرى إلى أمّهات المؤمـنين: إنّ النبيَّ عائدٌ إلى بيته. فـوقفنَ بأبوابهنّ، في لهْفةٍ يلتـمسْنَ نظرةً إلى وجهه الكريم إذ يعودُ من معتزَلِه، على حين بقيتْ عـائشة داخلَ مخدعِها تستعدُّ

---

(٢٠) سورة التحريم، ٦٦/ ١١-١٥، ما بين هلالين هو من تفسير الجلالين.

للقاء الحبيب العائد، إذ كانت تعرف عن يقين أنّ إليها أوّلَ المطاف". طلّ الحبيبُ. ففاجأتْه الحبيبةُ بعتابٍ محبّب: "بأبي أنتَ وأمّي، يا نبيَّ اللّه! قلتُ كلمةً لم ألقَ بها بالاً، فغضبتَ عليَّ. أقسمتَ أن تهجرَنا شهراً، ولمّا يمضِ منه غيرُ تسعٍ وعشرين؟ فأشرقَ وجهُهُ، عليهِ الصلاة والسلام، وقد سرَّهُ أن يعرفَ أنّها كانت تُحصي ليالي الفراق عَدّاً.. وأجابها بأنّ شهرَها ذاك تسعٌ وعشرين ليلة"(٢١).

ويخبرُنا ابنُ سعد بأنّ الرسولَ، "لمّا عاودَ أزواجَه، ابتدأ بعائشة، وسألها إن كانت تريدُ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة. ثم سأل سائرَ نسائه. وكنّ، جميعُهنّ، يُرِدْنَ اللّهَ ورسولَه والدارَ الآخرة"(٢٢).

هكذا انتصرتْ عائشة في محنة الهجْرِ كما ستنتصر في **محنة الإفْك**.

١٧. فيما رسولُ اللّه والمسلمون عائدون من غزوة بني المصطلق إلى المدينة منتصرين، سنةَ ستٍّ من الهجرة، تفقّدوا عائشة التي كانت تصطحبُهم في غزوتهم هذه، فلم يجدوها. وكان عمرها يومذاك خمس عشرة سنة... فاضطرب الجميع. وراحوا يتساءلون: أين هي؟ مع من هي؟ لِمَ تخلّفتْ عن الركْب؟ من يحميها؟.. وتكاثرت الأقاويل، وحامت الظنون حولها بسبب تخلّفها هذا.. ولنسمعْها تخبرنا، هي بنفسها، عن هذه الحادثة. قالت:

"كان رسولُ اللّه، إذا أراد سفراً، أقرعَ بين نسائه. فأيّتهنّ خرجَ سَهمُها خرجَ بها معه. فلمّا كانت غزوةُ بني المصطلق، أقرعَ بين نسائه، كما كان يصنعُ، فخرجَ سهمي عليهنّ معه. فخرجَ بي رسولُ اللّه... فلمّا فرغَ رسولُ اللّه من سَفَره ذلك، وجّهَ قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعضَ الليل؛ ثمّ أذّنَ في الناس بالرحيل. فارتحل الناس. وخرجتُ لبعضِ حاجتي، وفي عُنُقي عِقْدٌ لي، فيه جزع ظفار(٢٣). فلمّا فرغتُ، انسلَّ مِن عُنُقي ولا أدري. فلمّا رجعتُ إلى

---

(٢١) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص٢٧٨-٢٧٩.
(٢٢) طبقات ابن سعد، ٨/ ١٨٥-١٨٦.
(٢٣) خرز من ظفار، وهي مدينة باليمن.

الرحلِ، ذهبتُ ألتمسُه في عُنُقي، فلم أجدْه، وقد أخذَ الناسُ في الرحيل. فرجعتُ إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه، فالتمستُه حتى وجدتُهُ. وجاء القومُ.. فأخذوا الهَودَجَ، وهم يظنّون أنّي فيه. ثمّ أخذوا برأسِ البعيرِ، فانطـلقوا به. فرجعتُ إلى العسكر، وما فيه من داعٍ ولا مُجـيب. قد انطلق الناس. فـتلفّفتُ بجلبابي، ثمّ اضطـجعتُ في مكاني، وعرفتُ أنْ لو قد افتُقِدْتُ لرُجع إليّ. قالت: فـواللّه! إنّي لمُضطجعةٌ إذ مرّ بي صَفوانُ بنُ المعطّل السلّمي، وقد كان تخلّف عن العسكر لبـعض حاجته، فلم يبتْ مع الناس، فـرأى سَـوادي، فأقـبلَ حـتى وقف عليَّ، وقـد كـان يراني قـبل أن يُضـرَبَ علينا الحجاب.

" فلمّا رآني، قال: إنّا لـلّهِ وإنّا إليهِ راجعون! ظَعينَةَ رسـولِ اللّه!!! ما خَلَّفَكِ؟ يَرحمُكِ اللّه! قـالت: فما كلّمـتُهُ. ثمّ قرّب البـعيرَ، فقـال: إركبي. واستـأخري عنّي. فركبتُ. وأخذَ برأسِ الـبعيرِ. فانطلقَ سريعـاً يطلبُ الناسَ. فواللّهِ ما أدركْنَا الناس، وما افتُقِدتُ، حتى أصبـحتُ ونزلَ الناس، وطلع الرجلُ يقودُ بي. فقال أهلُ الإفكِ ما قالوا.. واللّهِ، ما أعلمُ بشيءٍ من ذلك "[٢٤].

وشاع خـبرُ الإفْك سـريعاً. وتناقلتْـه الناس. وفيـهم من أخصّـاء الرسول وأحبّـائه، أمثـال حسّـان بن ثابت شاعـر النبيّ، ومسطح بن أثـاثة قريب عـائشة، وحَمنة بنت جحش بنت عمّة النبيّ، وغيـرهم.. وبلغتِ الشائعةُ مسامعَ أبي بكر وأمّ رومان، والدَي عائشة. لكنّ أحداً منهما، أو من سواهما، لم يستطعْ أن يواجهَ عائشة بما يسمع، إذ كـانت، منذ قدمتِ المدينة، معـتلّةً مريضة، لا تدري ما يُقـال عنها، ولا تعرفُ سببَ جفاء زوجها، ولا بُعد والدَيها عنها.. ولم تزلْ تشعرُ بالجفاء مدّة حتى كاشفت الرسـولَ بذلك. قالت: " فقلتُ: يا رسولَ اللّه! لقد رأيتُ مـا رأيتُ من جفائك لي: لو أذنتَ لي فـانتقلتُ إلى أمّي فمـرّضتْني؟. قـال: لا عليكِ. قالت: فانـتقلتُ إلى أمّي. ولا عِلمَ لي بشيء ممّا كان. حتى نقهتُ من وجعي بعدَ بضعٍ وعشرين ليلة...

(٢٤) أنظر رواية الإفْك في سيـرة ابن هشام، ٣/١٨٩-١٩٤...وتجدها في كتب السـير النبويّة كلّها، وباللفظ نفسه تقريبا.

وراحت عائشــة تسألُ وتتــحرّى عن سـبب الجفاء، إلى أن أخـبرتهـا خالةُ أبيها. ورجعتْ إلى بيتها، تخبرُ: فواللّه! ما زلتُ أبكي حتى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع كَبِـدي. وقلتُ لأمّي: يَغفـرُ اللّهُ لكِ. تَحَدَّثَ الناسُ بما تحدَّثـوا به، ولا تذكري لي من ذلك شيئاً؟! قـالت: إيْ بُنيّة! خفِّضي عليكِ الشأن. فواللّه، لقلّمـا كانتِ امرأةٌ حسناء عند رجلٍ يُحبُّها، لها ضرائر، إلاّ كثَّرْنَ وكثَّرَ الناسُ عليها.

غير أنّ الشــائعة ظلّتْ تتفاعلُ وتسيرُ بـين المسلمين.. حتى دخلَ رسولُ اللّه على عائشــة، وهي بهذه الحال من اليأس. قـالت: ثمّ دخلَ عليَّ رسولُ اللّه، وعندي أبواي، وعندي امرأةٌ من الأنصار، وأنا أبكي. وهي تبكي مـعي. فجلسَ، وحمدَ اللّهَ، وقال: يا عـائشة! إنّه قد كـان ما قـد بلغكِ من قول الناس. فاتّقـي اللّه. وإنْ كنتِ قد قارفتِ سوءاً ممّا يقول الناس، فتوبي إلى اللّه. فإنّ اللّه يقبلُ التوبة من عباده.

فواللّهِ، ما هو إلاّ أن قال لي ذلك حتى جفَّ الدمعُ من مقلَتَي، وهربَ الدمُ من عروقي لهـولِ ما سـمعتُ. وحاولـتُ التكلّمَ، فعصــاني لساني. فـتلفّتُّ إلى والدَي، منتظرةً منهما الجواب عنّــي. فلم يتكلّما. ثمّ قلت: واللّه، لا أتوبُ إلى اللّه ممّا ذكرتَ أبداً. واللّهِ، إنّي لأعلمُ لئن أقررتُ بما يقولُ الناس، واللّهُ يعلمُ أنّي منه بريئة، لأقولنّ ما لم يكن. ولئن أنا أنكرتُ ما يقولون لا تُصدّقونني...

قالت: فواللّهِ! ما برح رسولُ اللّه مجلسَه عندها حتى تغشّاهُ من اللّه ما كان يتـغشّــاهُ عند نزول الوحي.. وبدأ الـوحيُ ينزل. ويتـحدّرُ العـرَقُ على النبيّ مـثل الجمان، في يومٍ شــاتٍ. فجعلَ يمسحُ العرقَ مـن جبينه ويقول: أبشِـري يا عائشة! فقد أنــزَلَ اللّــهُ بـراءَتَـكِ.

وتنفّسَ أبو بكر، كـمن أُزيح عن صدره كـابوس جاثم؛ ووثبـتْ أمُّ رومان، وأشـارتْ إلى عائشة أن تقومَ إلى زوجها. فـقالت عائشة بإباء: " واللّهِ، لا أقومُ إليه. فإنّي لا أحمدُ إلاّ اللّهَ عزّ وجلّ، هو الذي أنزل براءتي. أمّا النبيّ فرنا إليها في عطف، وهو يتذكّـرُ ما كابدتْ من إفك ظالم. وخـرج إلى المسجد، وتـلا على الناس ما أُنزل إليه بسبب ذلك: «إنّ الذينَ جـاءوا بالإفْك عُصْبَةٌ منكم (أي جـماعة من المؤمنين). لا تَحسَبوه شرًا لكم، بل هو خيرٌ لكم... واللّهُ يعلم وأنتم لا تعلمون..

ثمّ جلد الذين تقوّلوا بالفاحشة ثمانين جلدة، بحسب أمر اللّه: "إنّ الذين يَرمون المُحصنات.. لُعنوا في الدنيا والآخرة. ولهم عذابٌ عظيم" (٢٤/١١-٢٣).

وكان يُسألُ عن صفوان بن المعطّل السكران الذي اتُّهمتْ به أمّ المؤمنين، فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء"(٢٥).

قال بعضُ المحقِّقين: «إنّ يوسفَ، لمّا رُمي بالفاحشة، برّأه اللّه على لسان صبيٍّ في المهد، وإنّ مريمَ بنت عِمران، لمّا رُميت بالفاحشة، برّأها اللّه على لسان ابنها عيسى، وإنّ عائشة، لمّا رُميتْ بالفاحشة، برّأها اللّهُ بالقرآن؛ فما رضي لها براءة صبيٍّ، ولا نبيٍّ، حتّى برّأها اللّهُ بكلامه من القذف والبهتان».

١٨ . ... وكرّت الأيّام.. ومالت شمسُ الرسول نحو المغيب؛ وعائشة لا تزالُ صبيّة فتّانة دون الثامنة عشر. دخل عليها أثناء مرضه الأخير، فوجدها متوعّكة، تشكو صداعاً، وتئنُّ متوجّعةً: وارأُساه! قال، وقد بدأ يُحسُّ ألمَ المرض: بل أنا، واللّهِ، يا عائشة، وارأُساه!.

فلمّا كرّرتِ الشكوى، قال ملاطفاً: وما ضرّكِ لو مُتِّ قَبْلي، فقُمتُ عليكِ، وكَفَّنْتُكِ، وصلّيْتُ عليكِ، ودَفَنْتُكِ؟.ردّتْ، وقد هاجتْ غَيرتُها: ليكنْ ذلك حظُّ غيري. واللّهِ، لكأنّي بكَ لو قد فعلتَ ذلك، لقد رجعتَ إلى بيتي فأعرسْتَ فيه ببعض نسائكَ! قالت: فتبسّم رسولُ اللّه، وتتامّ به وجعُه، وهو يدورُ على نسائه، حتى استعزّ به، وهو في بيت مَيمونَة؛ فدعا نساءه، فاستأذنهنّ في أن يُمرَّضَ في بيتي"(٢٦).

لقد كانت عائشة حقّاً امرأةً غيورة متعبة. لم ترحم النبيَّ، حتى في ساعة الفراق الأخير.. ومع هذا، فقد "أشرقَ وجهُهُ.. ثم قام يطوفُ على نسائه.. حتى إذا وصل إلى بيت ميمونة، لم يعدْ يحتمل مغالبةَ ألَمِه، فنظرَ إلى زوجاته، وقد اجتمعنَ

---

(٢٥) البخاري، كتاب النكاح، ٧/٤٤؛ ابن سعد، ٨/١٦٩، تاريخ الطبري، ٣/١٩١، مسند ابن حنبل،٦/٢٢٨، السمط الثمين، ٥٥، سيرة ابن هشام، ٤/٢٩٢، الاستيعاب، ٤/١٨٨٥، أنظر زاهية قدّورة، عائشة أمّ المؤمنين، ص ٩٠-٩١، بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص٢٩٤-٢٩٥...

(٢٦) البخاري، كتاب الوضوء، ١/٦١؛ سيرة ابن هشام،٤/٢٩٢؛ تاريخ الطبري، ٣/١٩١...

حوله، ثم سـأل : "أين أنا غداً؟ قـالوا: عند فلانة. قـال: أين أنا بعدَ غد؟ قـالوا: عند فلانة. فعرف أزواجُه أنّه يُريدُ عائشة. فقلنَ: يا رسولَ اللّه! قد وهَبْنا أيّامَنا لعائشة.

فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها. قالت : فمـات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي. فقبَضَه اللّهُ، وإنّ رأسَه لَبَيْنَ نحري وسحري، وخالطَ رِيْقُهُ رِيْقِي.. ثم وضـعتُ رأسَـهُ على وسَادة، وقـمتُ ألتـدمُ مع النسـاء، وأضـربُ وجهي "[٢٧]. ودُفن صلّى اللّهُ عليه وسلّم حيثُ قُبض، أي في بيت عائشة.

١٩ . لقد كـانت عائشة المرجع الأهمّ لمـعرفة أي شيء عن رسـول اللّه. لقد كانت دائماً بقربِه. تسمعه. تراه. تكـاشفه. يساررها. قال عنها الإمام الزهري: "لو جُمِع علمُ عائشـة إلى علمِ جميع أزواج النبيّ وعلمِ جميعِ النسـاء، لكان علمُ عائشة أفضل "[٢٨]. والحقّ يقال، إنّ عائشـة، عند أهل السنّة، هي المرجع الأوّل في الحديث والسنّة. وهي أيضا الفقيهة الأولى في الإسلام.

كانت مكانة عائشـة في قلب النبيّ لا تقتصر في هذه الدنيـا، بل تعدّتها إلى أن تبقى زوجـتَه، حتى في الجنّة. لذا، كان لا يخـشى الموت، لاعتقاده أنّه سـيلتقي بها هناك. وقد أثر عنه قـولُه: "لقد أُرِيْتُهَا في الجنّة ليهـونَ بذلك عليّ موتي. كأنّي أرى كَفَّيْها، يعني عائشة ". وقال أيضاً: "عائشة زوجي في الجنّة "[٢٩].

وقُبيْلَ مفارقته الحياة، أوصى النبيُّ عائشةَ بأن لا تُسْرفَ في الدنيا، وأن لا تُجالسَ الأغنياء، أو تلبس ثيـابا شفّافةً، أو ممزّقةً (لئـلاً يبان شيء من بدنها). عن عـروة بن الزبير، عن عـائشـة، قالت: "قـال لي رسـولُ اللّه: يا عائشـة! إنْ أردتِ اللحُوقَ بي فَلْيَكْفِيك من الدنيا كزاد الراكب. وإيّاكِ ومجالسة الأغنياء. ولا تستخلفي (أي تلبسي) ثوبًا حتى ترقعيه "[٣٠].

---

(٢٧) البخاري، كتاب النكاح، ٧/ ٤٤؛ تاريخ الطبري، ٣/١٦٧؛ بن سعد، ٨/ ٤٥، ٦٦، ٧٦.

(٢٨) انظر الاستيعاب، ٤/١٨٨٣؛ الإصابة، ٤/ ١٤٠.

(٢٩) طبقات ابن سعد، ٨/ ٤٥، ٦٦.

(٣٠) المرجع نفسه، ٨/٧٦.

ثمّ توفّيتْ عائشة في السادسة والستين من عمرها. وذلك في ١٧ رمضان سنة ٥٧ هـ[٣١]. وصلّى عليها أبو هُرَيْرَة، ثمّ شُيِّعتْ إلى البقيع. فأودع جثمانُها مع أمّهات المؤمنين. وقد غمرت حفرةُ الموتِ ما كان بينها وبينهنّ من غيرة وخصام.

عَامِر بن الطُّفَيْل (ت ١٤هـ/ ٦٣٥م) : من شعراء الجاهليّة ومشاهير فرسانها. له «ديوان» في الفخر والحماسة، جمعه أبو بكر ابن الأنباريّ.

العَامِلِيّ (بهاء الدين محمّد) (ت ١٠٣١هـ/١٦٢٢م) : عالم إماميّ من الشعراء. وُلد في بعلبك وتوفّي بأصفهان. أصله من جبل عامل. له: «الكشكول»، و«المخلاة»، و«أسرار البلاغة»، و«تشريح الأفلاك»، و«خلاصة الحساب»، وهو يتكوّن من مقدّمة وعشرة أبواب، و«تهذيب النحو»، و«مفتاح الفلاح»، و«كتاب حاشية على أنوار التنزيل»، وغيرها...

العَانَة : قال النووي: المراد بالعانة: الشعر الذي فوق ذَكر الرجل وحواليه، وكذلك الشعر الذي حوالي فرج المرأة[١].. اتّفق الفقهاء على أنّ حلْق العانة سنّة. ويرى الشافعيّة وجوب حلق العانة على الزوجة إذا أمرها زوجها بذلك[٢].

العِبَادَة : ١ . في اللغة: الخضوع، والتذلّل للغير لقصد تعظيمه. ولا يجوز فعل ذلك إلاّ للّه. وتُستعمل بمعنى الطاعة. وفي الاصطلاح: العبادة أعلى مراتب الخضوع للّه والتذلّل له.. والـ«عبادة» موجودة بهذا المعنى في القرآن[١]. وهي لا تصدر إلاّ عن طريق الوحي.

٢ . يُشترط في العبادة النيّة، وذلك لتمييزها عن العادة، فيُثاب الإنسان على فعلها : فالوضوء والغسل يتردّدان بين التنظيف والتبرّد والعبادة؛ والإمساك عن المفطرات قد يكون للحميّة والتداوي، وقد يكون للصوم الشرعي؛ والجلوس في

---

(٣١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٥٨ هجريّة؛ السمط الثمين، ٥٢؛ الاستيعاب، ٤/١٩٩٥...

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/١٤٨؛ المجموع ١/٢٨٩.

(٢) المجموع ١/٢٨٩؛ كفاية الطالب الرباني ٢/٣٥٣،ابن عابدين ٥/٢٦١؛ الفروع ١/١٣٠.

(١) رَاجع : ١٠/٢٩؛ ١٨/١٦؛ ١٩/٦٥

المسجد يكون للاستراحة، ويكون للاعتكاف؛ ودفع المال للغير قد يكون صدقةَ تطوّعٍ، وقد يكون فرضَ زكاة؛ والصلاة قد تكون فرْضاً أو نفلاً..

أمّا التي لا تلتبس بعادة، كالإيمان بالله والخوف، والرجاء، والأذان، والإقامة، وخطبة الجمعة، وقراءة القرآن، والأذكار، فلا تجب فيها النيّة، لأنّها متميّزة بصورتها.

٣ . والعابد هو الخاضع لربّه، المستسلم، المنقاد لأمره. ولا يستحقّ العبادة غير الله، لأنّه لا معبود سواه: «إيّاك نعبد» (١/٢). وعبادة الله وحدَه، لا شريك له، هي المطلب الأوّل في دعوة الأنبياء: «لقد أرسَلْنا نوحاً إلى قومه، فقال: يا قومُ! اعبدوا اللّهَ. ما لكم من إلهٍ غيره» (٧/٨٥)؛ «وإلى ثمود أخاهم صالحاً، قال: يا قومُ! اعبدوا اللّهَ. ما لكم من إلهٍ غيره..» (١١/٦١).

٤ . وثواب العبادة جنّة أعدّها الله لعباده: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر».

العَبَادِلَة : أربعة من الصحابة هم : عبدالله بن عبّاس، عبدالله بن عُمر، عبدالله بن عَمرو بن العاص، عبدالله بن الزُّبير. كلّهم من قريش (أطلب هذه الموادّ تحت أسمائها)

العَبّاس بن عَبْد المُطَّلب (ت ٣٢هـ/٦٥٣م) : كنيته أبو الفضْل. عمّ النبيّ. يكبره بثلاث سنوات. كان تاجراً جمع ثروة كبيرة. كان معارضاً للحركة الدينيّة التي قام بها محمّد في مكّة؛ ولكنّه لم يكن من خصومه الألدّاء.. أُسِر في معركة بدر؛ ولكنّه افتدى نفسه.. ثمّ أصبح مناصراً لابن أخيه: فهو لم يقم بحماية أتباع محمّد في مكّة فحسب، ولكنّه كان عيناً على أعدائه، يكشف له عن خططهم ضدّه..

ولمّا زار محمّد مكّة عام ٧هـ/٦٢٩ م، زوّجه العبّاس كنّته ميمونة بنت الحارث وأصدقها.. وفي مكّة أقرّه محمّد على زمزم والسقاية. وفي غزوة حُنين وقف العبّاس بجانب النبي فتحوّلت النتيجة من هزيمة إلى نصر. ويذكر الواقدي أنّه أسهم بماله في تجهيز الحملة الكبيرة ضدّ الروم، تبوك، دون أن يكون فيها.

واشترك أيضاً في غسل جسد النبيّ لمّا مات. لم يكن مع عمر بن الخطّاب على علاقة جيّدة؛ إلاّ أنّه وهبه بيته عندما عزم عمر على توسيع مسجد المدينة. وقف بجانب عليّ يؤيّده ويَحُضّه على المطالبة بحقّه. ثمّ مات بعمر ٨٨ سنة تقريباً.

العَبّاسيُّون : أسرة تولّت الخلافة بعد الأمويّين (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م). ينتسبون إلى العبّاس بن عبد المطّلب، عمّ النبيّ. شعارهم راية سوداء. بلغت الأمبراطوريّةُ الإسلاميّة في عهدهم أوج عزّها.

اندلعت الثورة العبّاسيّة في خُراسان بقيادة أبي مُسلم الخُراساني بعد نصف قرن من الدعاية السرّيّة. وكان أبو العبّاس، المدعوّ السفّاح (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، هو الذي أسّس الدولة العبّاسيّة. لقد نُودي به خليفةً في مسجد الكوفة بعد ذلك مباشرةً، دعا زعماء الأمويّين إلى مأدبة عند نهر الزاب، وغدر بهم، فقتل مروان الثاني، آخر خلفائهم. إلاّ أنّ واحداً منهم، وهو عبد الرحمن الداخل، الملقّب بصقر قريش، فرّ من المذبحة، وهرب إلى الأندلس، حيث أسّس الدولة الأمويّة.

لقد مارس العبّاسيّون حكمهم بالاستعانة بالبرامكة، وهي عائلة فارسيّة من بلخ، اتّكل عليهم هارون الرشيد.. وكان عهدهم عهد ازدهار كبير.. إلاّ أنّ الرشيد، لسببٍ مجهول، انقلب عليهم، وقتل زعيمهم جعفر بن يحيى البرمكي في ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. وسجن أباه يحيى وأخاه الفضل حيث ماتا سجينَين.

خلف السفّاحَ المنصورُ، فقضى على الثورات، ووطّد أركان الدولة، وبنى العاصمة بغداد، فشهدت مع هارون الرشيد والأمين والمأمون نهضة حضاريّة وأدبيّة وعلميّة امتدّت في القرون الوسطى..

وفي سبيل كسب الشيعة، زوّج المأمون إحدى بناته للإمام الشيعي علي الرضا ليخلفه. ثمّ تبنّى المأمون نظريّة المعتزلة في «خلق القرآن» التي دامت معه وبعده ٢٠ سنة، من ٢١٢هـ/ ٨٢٧م إلى ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م إلى أن جاء المتوكّل وأعاد النظريّة الحنبليّة في أنّ القرآن أزلي وليس مخلوقاً.

ولمّا جاء المعتصم، أخو المأمون، احتاط لنفسه بحرس أتراك، وترك بغداد

إلى سامـرّاء. ولن تعود بغـداد إلى ما كانت عليـه إلاّ في أيّام المعتـمد. ولكنّ الدولة العـبّاسـيّة كـانت قد أشـرفت على الانحلال مـع الواثق.. لقد سـيطر الأتراك على الخلفاء العـبّاسيّين طوال قـرن، فضعفت الدولة، ونـشأت دويلات صغيـرة، منها: الطولونيّون، والإخشـيديّون، والفاطميّون، والحـمدانيّون. سيطر البُـوَيهيّون على بغـداد ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م. فأصـبح الخلفاء صنائع لـهم. دخل طُغرل بك السَّلجـوقي بغـداد، وأنهى الحكم البُـوَيهيّ ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. فـقـضـى المَغـول على الخـلافـة العبّاسيّة، وقتل هولاكوالمستعصِم (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، آخِرَ خلفائهم

والخلفاء العبّاسيّون هم :

١. أبو العبّـاس السفّاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٤م). هو ابن محـمّد بن علي بن عبدالله بن العبّاس بن عبد المطّلب
٢. المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م). أخو السفّاح
٣. المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م). إبن المنصور
٤. الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/ ٧٨٥-٧٨٦م). إبن المهدي
٥. هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م). أخو الهادي
٦. الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٣م). إبن الرشيد
٧. المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م). أخو الأمين
٨. المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م). أخو المأمون
٩. الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م). إبن المعتصم
١٠. المتوكّل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م.) أخو الواثق
١١. المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ/ ٨٦١-٨٦٢م). إبن المتوكّل
١٢. المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م). إبن محمّد بن المعتصم
١٣. المعتزّ (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م). أخو المنتصر
١٤. المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م). إبن الواثق
١٥. المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢م). أخو المعتزّ
١٦. المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م). إبن الموفّق بن المتوكّل

١٧. المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م). إبن المعتضد

١٨. المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م). أخو المكتفي

وتحت حكم البويهيّين، من: ٣٢٠-٤٤٧هـ/٩٣٢-١٠٥٥م

١٩. القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م). أخو المقتدر

٢٠. الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٤-٩٤٠م). إبن المقتدر

٢١. المتَّقي (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م). أخو الراضي

٢٢. المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٦م). إبن المكتفي

٢٣ . المُطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٦-٩٧٤م). أخو المتّقي

٢٤. الطائع (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٤-٩٩١م). إبن المطيع

٢٥. القادر (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣١م). إبن المتّقي

٢٦. القائم (٤٢٢-٤٧٦هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م). إبن القادر

وتحت حكم السلجوقيّين، من: ٤٤٦-٥٩٠هـ/ ١٠٥٥-١١٩٤م

٢٧. المقتدي (٤٧٦-٤٨٧هـ/ ١٠٧٥-١٠٩٤م). إبن محمّد بن القائم

٢٨. المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ/ ١٠٩٤-١١١٨م). إبن المقتدي

٢٩. المسترشد (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م). إبن المستظهر

٣٠. الرشيد (٥٢٩-٥٣٠هـ/ ١١٣٥-١١٣٦م). إبن المسترشد

٣١. المكتفي (٥٣٠-٥٥٥هـ/ ١١٣٦-١١٦٠م). أخو المسترشد

٣٢. المستنجد (٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م). إبن المكتفي

٣٣. المستضيء (٥٦٦-٥٧٥هـ/ ١١٧٠-١١٨٠م). إبن المستنجد

٣٤. الناصر (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م). إبن المستضيء

٣٥. الظاهر (٦٢٢-٦٢٣هـ/ ١٢٢٥-١٢٢٦م). إبن الناصر

٣٦. المستنصر (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م). إبن الظاهر

٣٧. المستعصم (٦٤٠-٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م). إبن المستنصر

العَبْد : وردت في القرآن (٢٤/ ٣٢) في صيغة الجمع: «عِباد». والمؤنّث «أمة» والجمع «إماء». ويجهل القرآن كلمة «الرقيق»، بينما يستعمل لفظ «رقبة»، وتعبير «ما ملكت أيمانكم»، و«عبداً مملوكاً» (١٦/ ٧٥).

لم يُلغِ الإسلامُ الرقَّ، نظريًا، بل حاول تقليص انتشاره، وتخفيف حدّته. وللعبد، روحياً، قيمة الإنسان الحرّ، إذ يستحقّ السعادةَ الأبديّة. أمّا هنا فهو أقلّ شأناً من الإنسان الحرّ، إلاّ إذا أُعتق. لهذا فشأن العبد يختلف عن شأن الحرّ (١٦/ ٧١ و٧٥؛ ٣٠/ ٢٨). إلاّ أنّ محمّداً، من بدء الدعوة حتّى نهايتها، اعتبر تحرير العبيد عملاً من أعمال البرّ (٢/ ١٧٧؛ ٩٠/ ١٣)، ويستحقّ الزكاة والصدقة (٩/ ٦٠)، والكفّارة عن الذنب، كالقتل غير المتعمّد (٤/ ٩٢)، والشتم (٥/ ٨٩؛ ٥٨/ ٣). والذي يبقى عبداً يجب أن يعامل بإحسان (٤/ ٣٦).

ثمّ إن كرامة الشخص البشري تظهر في بعض القواعد التي تمسّ العلاقات الاجتماعيّة من الحياة الجنسيّة. فالعبيد، رجالاً كانوا أم نساءً، يقبلون على زواج شرعي. وعلى الأسياد أن يسهّلوا زواجهم (٢٤/ ٣٢). وحتّى زواج العبيد المسلمين مع مسلمات أحرار هو شرعي إذا اقتضت الحاجة (٢/ ٢٢١؛ ٤/ ٢٥). والمرأة العبدة المتزوّجة من رجل حرّ بإذن سيّدها لها الحقّ بصداق مناسب. وعليها أن تكون له أمينة. ولكن، إذا اقترفت الزنى، فعليها أن تخضع لشريعة المناصفة، أي «نصف الذكر».

وأخيراً، إنّ القرآن يحمي حياة العبد، بقوله بشريعة الثأر. والمبدأ هو «الحرّ بالحرّ، والعبد بالعبد» (٢/ ١٧٨)، أي إنّ الجزاء يكون بحسب مبدأ غير المساواة.

عَبْدُ الجَبَّار الهَمَذَانِي (أطلب مادّة: **الهمداني**)

عَبْدُ الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْر (ت ٥٣هـ/ ٦٧٣م) : صحابيّ. حضر وقعة الجمل مع شقيقته عائشة.

عَبْدُ الرَّحْمَن بن عَوْف (ت ٣٢هـ/ ٦٥٢م) : صحابيّ قُرشيّ من أشهر المسلمين الأوائل، من بني زهرة. شارك في الهجرتَين إلى الحبشة، والهجرة إلى

المدينة، وقاتل في بدر، وأُصيب في أُحُد بإحدى وعشرين جراحة، وخرج على رأس سريّة من ٧٠٠ رجل إلى دومة الجندل، سنة ٦٢٧م. أسلم على يده الزعيم النصراني الأَصْبَغ، وتزوّج من ابنته تُمَاضِر. وبلغ من الثراء حدًّا كبيراً.

هو أحد أصحاب الشورى الستّة الذين سمّاهم عمر بن الخطّاب بعد طعنه، وأحد الثمانية السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنّة. كان يهتمّ بنساء رسول اللّه بعد موته، لقول الرسول: «الذي يحافظ على أزواجي من بعدي هو الصادق البارّ». فكان عبد الرحمن يَخرج بهنّ، ويَحجّ معهنّ، توفّي بالمدينة.

عَبْدُ الرَّحْمَن الدَّاخِل (ت ١٧٢هـ/ ٧٨٨م) : هو ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقّب بصقر قريش، يُعرف بالدَّاخل، لأنّه أوّل مَن دخل الأندلس من أمراء بني أميّة، وهو مؤسّس الدولة الأمويّة في الأندلس. ولد بدمشق وتوفي بالأندلس. فرّ هرباً من تعقّب العبّاسيّين للأمويّين.. وبعد مغامرات عدّة، ومواجهات كثيرة، استطاع أن يدخل قرطبة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م.

عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ/ ١١٦٦م) : أشهر متصوّفي الإسلام. مؤسّس الفرقة القادريّة الصوفيّة. وُلد في جيلان في إيران. وعاش ومات في بغداد حيث قبره. لُقب بـ «القطب»، وبـ «الغوث الأعظم». ترك أثراً شهيراً تعود إليه شهرته، «فتوح الغيب». إنّه مجموعة عظات وإرشادات.

عَبْدُ القَاهِر بن طَاهِر البَغْدَادِيّ (أبو منصور) (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) : فقيه شافعيّ، وعالم أصوليّ. نشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان، استقرّ في نيسابور، ومات في اسفرائين. من كتبه: «أصول الدين»، و«تفسير القرآن»، و«فضائح المعتزلة»، و«الفَرق بين الفِرَق»، و«المِلَل والنِّحَل»، و«التكملة» في الحساب.

عَبْدُاللّهِ بن أُبَيّ (ت ٩هـ/ ٦٣٠م) : كبير المُنافقين في الإسلام. يُعرف بابن سَلول. كان سيّد الخزرج في المدينة. له ابن اسمه أيضاً عبداللّه، كان مسلماً صادقاً

عَبْدُاللّهِ بن الأَرْقَم (ت ٤٤هـ/ ٦٦٤م) : صحابيّ قُرشيّ زُهريّ. أسلم يوم الفتح. كتب للرسول ولأبي بكر.

عَبْدُاللّهِ بن جَحْش (ت ٣هـ/ ٦٢٥م) : أمّه **أميمَة** بنت عبد المطلب، عمّة النبيّ، أسلم مع أخويه، أبي أحمد وعبيدالله. هاجرا معه إلى الحبشة؛ غير أنّ **عُبيدالله** تنصّر ومات هناك. أمّا هو فعاد إلى مكّة. وأخته هي **زينب بنت جحش** أمّ المؤمنين. وكانوا ممّن هاجروا إلى المدينة. حارب في بدر واستُشهد في أحُد.

عَبْدُاللّهِ بن جَدْعَان : قرشيّ من قبيلة تيم بن مرّة. له ثروة ضخمة لمشاركته في تجارة القوافل والرقيق حتّى صار صاحب رأس مال كبير في مكّة. كان يعيش عيشة المترف حتّى عرف بحاسي الذهب. كان يقيم المآدب الفخمة، وكثير السخاء على الفقراء. كان يقصده الرسول. وساهم في حلف الفضول.

عَبْدُاللّهِ بن جَعْفَر (ت ٨٠هـ/ ٧٠٠م) : صحابيّ. إبن أخي عليّ. وُلد في الحبشة، عندما كان أبوه فيها مهاجراً. لُقّب ببحر الجود لكرمه.

عَبْدُاللّهِ بن الحَسَن (ت ١٤٥هـ/ ٧٦٢م) : تابعيّ من أهل المدينة. شيخ الهاشميّين في عصره. أبو مُحمّد النفس الزكيّة. حبسه المنصور العباسيّ من أجل ابنَيه محمّد وإبراهيم. ونقله إلى بابل حيث مات سجيناً.

عَبْدُاللّهِ بن حَنْظَلَة (ت ٦٣هـ/ ٦٨٣م) : أَوْسِيّ من أعلام التابعين. وأحد القادة. ولاّه أهل المدينة يوم ثاروا على يزيد الأوّل. قُتل يوم الحَرَّة، بقطع رأسه.

عَبْدُاللّهِ بن خَازِم السُلَمِيّ (ت ٧٢هـ/ ٦٩١م) : صحابيّ. أمير خراسان. بايع مُصعَب بن الزُّبَير. قُتل بعد مَقتل ابن الزُّبَير.

عَبْدُاللّهِ بن رَوَاحَة (ت ٨هـ/ ٦٢٩م) : صحابيّ أنصاريّ خزرجيّ، أحد النقباء الإثني عشر في بيعة العقبة الذين لهم اليد الطولى في إسلام أهل المدينة. شهد المشاهد كلّها مع رسول الله إلاّ الفتح وما بعده، فإنّه كان قد استُشهد قبله. وكان محمّد يحبّه حبّا جمّا ويعظّمه كثيراً... وكان أحد أمراء العسكر الإسلامي في غزوة مُؤتَة، وأوصى النبيُّ إن أُصيب أميرُ الجيش زيد بن حارثة فالراية لجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فلعبد الله بن رواحة. فنزل للقتال فطُعن. ثمّ صرع. فاستُشهد. كان الرسول قد اختاره كاتباً له.

عَـبْدُاللّهِ بن الزُّبَيْـر (ت ٧٣هـ/٦٩٢م) : هو ابن العـوام بن عـبد العُـزّى القرشـي، أمّه أسماء بنت أبي بكر، أخت عائشة أمّ المؤمنين. وُلد بالمدينة بعد عشرين شهراً من الهـجرة. واستُشهد في حـربه ضدّ عسكر الشام بقيادة الحـجّاج. تعود شهرتـه إلى قرابته من الرسول: فـجدّته لأبيه صفـيّة بنت عبد المطلب، عـمّة النبيّ، وخديجة عمّة أبيـه الزبير، وعائشة خالته. اختاره عثـمان ليكون واحداً ممّن كلّفهم بجمع القرآن. قـاتل في وقعة الجمل إلى جـانب عائشة ضدّ عليّ. وحـضر التحكيم في أذرح. ثار على الأمويّين، وأعلن نفسه خليفـةً بعد موت يزيد بن معاوية، وجعل قاعـدة ملكه المدينة. وكانت له وقـائع هائلة مع الأمويّين. ودام حكمـه تسـع سنوات إلى أن قضى عليه الحجّاج الثقفيّ في مكّة. له في الصحيحَين٣٣ حديثاً.

عَبْدُاللّهِ بن سَبَأ (راجع مادّة: **إبن سبأ**).

عَبْدُاللّهِ بن سَلاَم (ت ٤٣هـ/٦٦٣م) : من يهود بني قينقاع بالمدينة. أسلم على عهد الرسـول، فسمّاه عبـدالله، وكان إسمه في الجاهليّـة «الحصين». صحب عمر بن الخطّاب في الجابية والقدس، وانضمّ إلى جانب عثمان ضدّ الثوّار، ونهاهم عن قتله. ولكنّهم لم يستمعوا لنصحـه.. فلمّا مات عثمان لم ينضمّ إلى علي بن أبي طالب. ولكنّه توسّل إليه ألاّ يمضي إلى العراق لمحاربة عائشة.

عَبْدُاللّهِ بن عَامِر (ت ٥٩هـ/ ٦٧٩م) : أمير فاتح من الولاة. وُلد بمكّة. وُلّي البصرة في أيّـام عثمان. اشتـرك في فتوح فارس. شـهد وقعة الجمـل مع عائشة. ولاّه معاوية البصرة ثانية. ثمّ صرفه عنها بعد ثلاث سنوات.

عَبْدُاللّهِ بن العَبَّاس (ت ٦٨هـ/٦٨٦م) : إبن عمّ النبيّ. صحابيّ جليل. لُقّب بـ «حبـر الأمّة»، و«ترجمـان القرآن». وُلد بمكّة قـبل الهجرة بثـلاث سنين. أمّه أمّ الفضل لبـابة بنت الحارث الهـلاليّة. حـملته إلى النبي الذي أذّن في أذنه اليـسرى، وقال: «ألّلهمَّ! عـلّمْه الكتاب». لازم النبـي ثلاثين سنة.. شارك في الفـتح الإسلامي لمصر وشـمال أفريقـيا وجـرجان وطبرسـتان والقسطنطينـيّة. وكان في وقـعتَي الجمل وصـفّين بجانب عليّ. عيّنـه علي والياً على البصـرة. إلاّ أنّه تركها بعـد عام

عـائداً إلى المدينة. يُنسب إليـه تفسـير لـلقرآن المسـمّى «المقـياس في تفـسيـر ابن عبّاس».. ورد له في الصحيحَين ١٦٦٠ حديثاً. كفّ بصره في آخر عمره.

عن مـسروق قـال: كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عبّـاس قلت: أجمل الناس؛ فـإذا نطق قلت: أفـصح الناس؛ فـإذا تحدّث قلت: أعلم النـاس. وفي رواية أنّ رجلاً ســأل ابنَ عمـر عن قوله تعـالى: «كانَتَـا رَتْقاً فَـفَتَقْـناهُما» (٢١/ ٣٠)، فقـال: إذهب إلى ذلك الشيخ فسلْه. ثمّ تعالَ وأخبرْني. فذهب إلى ابن عبّاس فسأله فقال: كانت السموات رتقـاء لا تُمطر، والأرضُ رتقاء لا تنبت، فـفتـقَ هذه بالمطر، وهذه بالنبات. فـرجع الرجل فأخبر ابنَ عمر، فقال: لقد أُوتِي ابنُ عبّاس علماً صدقاً هكذا.

عَبْدُاللّه بن عَبْدِ المُطّلِب (ت ٥٧٠م) : والد رسول اللّه. أصغر إخوته العشرة. أمّه فاطمة بنت عمرو المخزومـيّة. وُلد سنة ٥٤٦م. افتداه أبوه بمئة بعير. تزوّج من آمنة مع ما في زواجه من أساطير، منها مـا جاء عند ابن إسحاق: «ثمّ انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبـدالله، فمرّ به، فيما يزعـمون، على امرأة من بني أسد[1] بن عبد العزّى بن قصيّ.. وهي أخت ورقة بن نوفل، وهي عند الكعبة. فقالتْ له حين نظرتْ إلى وجـهه: أينَ تذهب يا عـبدالله؟ قـال: مع أبي. قـالت: لكَ مثل الإبل التي نُحـرَتْ عنكَ[2]، وقَعْ عليّ الآن. قال: أنا مع أبي. ولا أستطيع خلافه، ولا فراقه.

فخرج به عبد المطلب حتّى أتى به وَهب بن عبد مناف بن زُهْرة. وهو يومئذٍ سيّـد بني زُهْرة نسبـاً وشرفاً. فـزوّجه ابنتـه آمنة بنت وهب، وهي يومئـذٍ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

فزعـموا أنّه دخل عليـها.. فحـملتْ برسول اللّه. ثمّ خرج مـن عندها. فأتى المرأة التي عرضتْ عليه ما عرضتْ. فقـال لها: ما لكِ لا تعرضِينَ عليَّ اليومَ ما كنتِ

---

(١) واسم هذه المرأة: رقيّة بنت نوفل، أخت ورقة. وقـيل ثمّة امرأة أخرى مرّ بها، إسمـها: فاطمة بنت مُر؛ كانـت من أجمل النساء، وأعفّهنّ. وكـانت قرأتِ الكتب. فرأتْ نورَ النبـوّة في وجهه. فدعتْه إلى نكاحها. فأبى.. وعند ابن قتيبة: إنّ التي عرضتْ نفسَها عليه هي: ليلى العدويّة.

(٢) أي انّ عبدالله افتُدي بمائة من الإبل.

عرضتِ عليَّ بالأمس. قـالتْ له: فارَقَكَ النورُ الذي كان مـعك بالأمس. فليس لي بكَ اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخـيها ورقة –وكان قد تنصّر واتّبع الكتب–: أنّه كائنٌ في هذه الأمّة نبيّ»[٣].

مرض أثـناء سفره لـلتجـارة ممّا أدّى إلى موته بالمدينة وسط بني النـجّار أخواله، وأمّ رسول اللّه حامل به.

عَبْدُاللّهِ بن عُـمَر بن الخَطّاب (ت ٧٣هـ/ ٦٩٢م) : صحابيّ من أبرز رواة الحديث. أخته **حفصة** أمّ المؤمنين. وُلد في مكّة ومات فيها بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهـر. من المكثِرين في الرواية عن رسول اللّـه، ومن أعظم مَن يُستشـهد بهم في روايته. كان شديد التحرّي والاحتياط والتوقّي في فتواه حتّى اشتهر بالتشدّد. عن مالك قـال: كان ابنُ عمر من أئـمّة الدين، وكان إمام الناس عـندنا بعد زيد بن ثابت. قال فيـه الذهبي: «كان إماماً مـتيناً، واسعَ العلم، كثـيرَ الاتباع، وافر النسك، كـبير القدر، مـتين الديانة، عظيم الحرمـة. ذكر للخـلافة يوم التحكيـم وخوطب في ذلك، فقال: على أن لا يجري فيها دم». له في الصحيحَين ١٦٣٠ حديثاً.

عَبْدُاللّهِ بن عَـمْرو بن العَاص (ت ٦٥هـ/ ٦٨٤م) : قال فيـه أبو هُريرة: ما كان أحدٌ أحـفظ لحديث رسول اللّه منّي إلاّ عبـداللّه بن عمرو. فإنّه كـان يعي بقلبه وأعي بعقلي. كـان يكتب وأنا لا أكتب. استأذن رسولَ اللّـه في ذلك فأذن له. وكان يسرد الصـوم ولا ينام اللّيل، فشكاه أبوه إلى رسول اللّه فقـال له رسولُ اللّه: «إنّ لعينكَ عليكَ حقّا، وإنّ لأهلكَ عليكَ حقّا، وإنّ لزوجِكَ عليكَ حقّا. قمْ ونمْ. صمْ وافطرْ. صمْ ثلاثة أيّام من كل شهر فذلك صيام الدهر»..

قاتلَ في صـفّين، ولكنّه ندم، وكان يقـول: ما لي ولصـفّين؟ ما لي ولقـتال المسلمين؟ واللّهِ لَوددتُ أنّي مـتُّ قبلَ هذا بعـشر سنـين.. وندم ندامة شـديدة على قتاله مع معاوية وجعل يستغفر اللّه ويتوب إليه. له في الصحيحَين ٧٠٠ حديث.

---

(٣) رَ: إبن هشام، السيرة النبويّة، ١/ ١٤٤–١٤٥.

عَبْدالله بن مَسْعود (راجع مادّة: **ابن مسعود**).

عَبدالله بن مَيمون القَدّاح (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م) : شخصيّة غامضة، ولكنّها مركزيّة في تأسيس الفرقة الإسماعيليّة، أو السبعيّة، التي هي في أساس الفاطميّين. إنّه «باب» جعفر الصادق، نقل عنه أحاديث كثيرة؛ كما كان أبوه مَيمون «باب» الإمام السادس، محمّد الباقر. يُنسب إلى عبدالله قوله بسبع درجات للإسماعيليّة، في نهايتها يُصبح الإسماعيليّ ملحداً، متحرّراً من الشرائع جميعها. يدعو عبدالله إلى إمامة محمّد بن إسماعيل بن جعفر، واعتباره له المهدي المنتظر. جاء من الأهواز، إلى عسكر مُكرَم إلى البصرة، واستقرّ أخيراً مخفيًا في سَلَميَّة في سوريا حتّى موته. وبقي خلفاؤه في سلميّة إلى أن ظهر عبيد الله المهدي يقول بأنّه من ذرّيّة محمدّ بن إسماعيل، وقد فرّ إلى أفريقيا ليؤسّس الدولة الفاطميّة.

عَبْدُ المَلِك بن مَرْوَان (ت ٨٦هـ/ ٧٠٥م) : الخليفة الأمويّ الخامس. وُلد بالمدينة وتوفّي بدمشق. وحّد الأمبراطوريّة بعد أن قضى على مُصعَب بن الزُّبَير وأخيه عبدالله. حارب الخوارج وأوقع بهم. قمع ثورة عَبد الرحمن بن الأشعث في دير الجماجم. أنشأ البريد. عرّب دواوين الدولة وصكّ النقود الذهبيّة.

عَبْدُ المُطّلِب بن هَاشِم (ت نحو ٥٧٩م) : جدّ النبيّ. إسمه الحقيقيّ شَيبة. أمّه: سَلْمة بنت عَمرو، من فرع نجّار من قبيلة الخزرج، من يثرب. وُلد عبد المطلب في المدينة، ونشأ فيها. عندما جاء به عمّه المطّلب إلى مكّة، أعطوه اسم عبد المطّلب، لأنّه كان برفقة عمّه على ظهر جمل، واعتبر كأحد عبيده...

كان من كبار رجال مكّة. عُرف بسيّد قريش. تفاوض مع أبرهة قائد الحبشة الذي جاء مكّةَ غازياً. يرجع السبب في ثرائه إلى تجارته مع الشام واليمن إلى جانب ما بيده من السقاية والرفادة التي ورثها عن أبيه. كما يعود إليه الفضل في حفر بضعة آبار، لا سيّما بئر زمزم بجوار الكعبة. أنجب عدّة أبناء وبنات.

قيل عنه إنّه «من بين الّذين رَفَضوا عِبادة الأصنام في الجاهليّة، كأبي بكر الصدّيق، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحُويرِث،

وورقة بن نوفل، ورباب البرّاء، وأسعد بن كريب الحميري، وقسّ بن ساعدة الأيادي، وأبي قيس بن صرمة»[١].

وقيل عنه، أيضاً: إنّه «كان على ملّة إبراهيم، أي: لم يعبد الأصنام»[٢]. ودين إبراهيم هو «الدِّين الإسلامي الحنيف»، كما يصفه القرآن: «ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً؛ ولكن كان حنيفاً مسلماً» (٣/٦٧)؛ هو «الدِّينُ القَيِّم»[٣].

وقال فيه اليعقوبي: «رفض عبادةَ الأصنام، ووحّد اللّه، ووفى بالنذر، وسنّ سنناً نزل القرآنُ بأكثرها، وجاءت السنّة من رسول اللّه بها»[٤]. «وقد جاءتْ أدلّةٌ كثيرة تشهد على أنّ عبد المطلب كان على الحنيفيّة والتّوحيد»[٥]، أي، بحسب تعبير ابن سعد، «كانَ يتألَّه»[٦]. و«التألّه» صفة النّصارى في بلاد العرب.

وثمّة إشارات أخرى إلى نصرانيّة عبد المطّلب الإبيونيّة، يدلّ عليها بعضُ صفاته وأخلاقه وتعاليمه ووصاياه لبنيه : لقد قيل عنه إنّه «كان محرِّماً الخمْرَ على نفسه. وهو أوّل مَن تحنّثَ بحِراء. كان، إذا دخلَ شهرُ رمضان، صعدَ، وأطعمَ المساكين. وكان صعودُه للتخلّي عن النّاس. يتفكّر في جلال اللّه وعظمته. وكان يرفع من مائدته للطّير والوحوش في رؤوس الجبال. ولذلك كان يقال له: "مُطْعِم الطّير"؛ ويقال له أيضاً: "الفَيَّاض"»[٧].

وثمّة روايات أخرى تزيد على صفات عبد المطّلب وأخلاقه وممارساته الإبْيُونيّة، فتوضح : «ومِن مناقب عبد المطّلب، وفيها ما يدلّ على توحيده: أمْرُه

---

(١) أنظر ابن الجوزي، كتاب الأمتاع، عن السيرة الحلبيّة ١/٣٦.
(٢) السيرة الحلبيّة ١/٤٨؛ السيرة المكّيّة ١/٣٧.
(٣) رَ : سورة التوبة ٩/٣٦؛ س. يوسف ١٢/٤٠؛ س. لروم ٣٠/٣٠ و٤٣؛ س. البيّنة ٩٨/٥.
(٤) تاريخ اليعقوبي، ٢/١٠.
(٥) السيرة المكّيّة ١/٧٢.
(٦) طبقات ابن سعد ١/٨٥.
(٧) سيرة ابن هشام ١/٤٣-٤٤؛ أنظر: السيرة الحلبيّة ١/٤؛ السيرة المكّيّة ١/٢٢-٢٣؛ تاريخ اليعقوبي ٢/١٠.

لبنيه بمكارم الأخلاق؛ وتحنّثُه في غار حِراء؛ وإطعامه المساكين، حتّى كان يرفع للطير والوحوش في رؤوس الجبال من مائدته؛ وقطعُه يد السّارق؛ ووفاؤه بالنّذر؛ وتحريمه الخمر على نفسه؛ ومنعه الزنا، ونكاح المحارم، وقتلُ المؤودة؛ وأنْ لا يطوف البيتَ عريانٌ. ومن ذلك قوله: "واللّه! إنّ وراءَ هذه الدّار داراً يُجزَى فيها المحسن بإحسانه، ويُعاقَب المسيء بإساءته»[٨].

هذه المناقب النبيلة، والتعاليم السّمحة تشير، بلا شكٍّ، إلى هداية عبد المطّلب، بل إلى نصرانيّته وإبيونيّته. فرفضُه عبادة الأصنام، وإيمانه بالتوحيد، وتحنّثه، واهتمامه البالغ بالمساكين، وإطعام الجياع، وتحريمه الخمرة، وإيمانه بالقيامة والحساب... لا تشير إلى وَثنيّته، أو إلى جهله الإله الحقيقي. بل تميل ميلاً جازماً إلى هدايته، إمّا إلى اليهوديّة وإمّا إلى النصرانيّة، الديانتَين المعروفتَين في مكّة والحجاز آنذاك.

غير أنّ تشديد كتب السِّير على عناية عبد المطّلب بالمساكين، وإطعامه الجياع، واهتمامه بوحوش الجبال وطيور الصحراء التي كان يوفّرها من مائدته، يوجّهنا نحو الإبْيُونيَّة، التي يدلّ عليها اسمها المشتقّ من «إبْيُون»، أي الفقير؛ والتي كانت عُرفتْ بتعاليمها البالغة في العناية بالفقراء والمساكين وأبناء السبيل...

والذي يوجّهنا، أيضاً، نحو انتماء عبد المطّلب إلى الإبْيُونِيَّة، مُنادمته الأحبار، والرّهبان، على السّواء. وكثيراً ما تذكر كتب السّير والأخبار رحلاته إليهم، واجتماعه بهم، والتحدّث معهم، حول موضوعاتٍ دينيّة وأخلاقيّة كثيرة. يقول السيوطي، مثلاً: «وبينا عبد المطّلب يوماً في الحجر، وعنده أسْقفٌ يُحادثه..»[٩]. وعن العبّاس قال: «قال عبد المطّلب: قَدِمنا اليمنَ في رحلةِ الشتاء، فنزلنا على حَبْرٍ من اليهود يقرأ الزَّبور»[١٠]. ويذكر ابن الجوزي: «أنّ محمّداً، في

---

(٨) السيرة الحلبيّة ١/ ٤؛ السيرة المكّية ١/٧٣؛ تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠-١٢... يلاحظ أنّ القرآن جاء بمعظم هذه السنن التي قال بها عبد المطّلب ومارسها.

(٩) السيرة المكّية ١/٧٣؛ السيرة الحلبيّة ١/١٢٢.

(١٠) السيرة الحلبيّة ١/٤٨.

سنة سَبْع من مولده، أصابه رَمَدٌ شديد، فـأخذه جَدُّهُ ناحيةَ عكاظ إلى راهبٍ يُعالِج الأعين»[١١]. وفي السِّيرة الحلبيّة «إنّ عبد المطّلب خـرج من بيته حتّى أتى عِـيْصاً، وهو راهبٌ من أهل الشام، وقد أتاه اللّهُ عِلماً كثيراً. وكان يلزم صومعتَه»[١٢]...

والكثير الـكثير من الأخبار والروايات فـي كتب السِّيرة النبويّـة يشير إلى معرفة عبد المطّلب بالنّصرانيّة، وممارساته الإبيونيّة، ومنادمته لرؤساء النصرانيّة والقسّيسين والرهبان. هذا الجوّ عاش فيه النّبيّ محمّد، منذ نعومة أظفاره. واستمرّ فيه طوال حياته في مكّة، إلى أن بلغ نيِّفاً واثنتَين وخمسين سنة.

عَبْدُه (الشيخ محمّد) (ت ١٩٠٥م) : سياسيّ مصريّ. من علماء المُسلمين الداعين إلى التـجديد والإصـلاح. حرّر جـريدة «الوقـائع المصريّة». ناوأ الإنكليـز فنُفي. أصدر في باريس مع الأفغانيّ جـريدة «العروة الوُثقى». ثمّ عاد إلى بيروت. حيث درّس وألّف. مفـتي الديار المصريّة ١٨٩٩م. من مؤلّفاته: «رسالة التـوحيد»، «شرح مقامات البديع الهمذانيّ»، «شرح نهج البلاغة»، «تفسير القرآن»، ومقالات.

عَبْدُ الوَهّاب (محمّـد بن) (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) : من علمـاء الإسلام المجدِّدين والمتـشدِّدين. وُلد في العُـيَينة بنَجـد، ورحل إلى البصـرة، وتعلم بالمدينة المنوّرة، ثمّ استـقرّ في حـريملاء بنجد، ثمّ عـاد إلى مسقط رأسـه. دعا إلى تنقـيّة الإسلام من الانحرافـات والأوهام، وذلك عن طريق القرآن والسنّة. ناصره مـحمّد بن سُعـود. ومنذ ذلك الحين، أصبـحت الدعوة السلفيـة مذهب الدولة السـعوديّة، متأثّراً بمذهب ابن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيميّة..

له عدّة كـتب ورسائل: «كتاب التـوحيد»، و«كشف الشـبهات»، و«تفسـير سورة الفاتحة»، و«أصـول الإيمان»، و«تفسير شهادة أن لا إله إلاّ الـلّه»، و«معرفة العبـد ربّه ودينه ونبيّه»، و«المسـائل التي خالف فيـها رسول اللّه أهلَ الجـاهليّة»، و«فضل الإسلام»، و«نصيحة المسلمين»، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر»..

---

(١١) المرجع السابق نفسه ١/ ١٢٥.

(١٢) المرجع السابق نفسه ١/ ٧٧.

عَبْس : قبـيلة عربيّة من غَطفـان من العدنانيّـة، أخت ذُبيان. كانت بينهـما حربُ السِّبـاق، أو حرب داحِس والغَبراء. من شعرائهـا قَيس بن زُهَير، والرَّبيع بن زِياد، وعَنترة، وعُروة بن الوَرد.

عَبَس : سورة رقم ٨٠ من القـرآن. آياتها: ٤٢. مطلعهـا: «عَبَسَ (النبيّ، أي كلح وجهه). وتولّى (أعرض لأجل) أنْ جاءَه الأعمَى (عـبدالله بن أمّ مكتوم، فقطعه عمّـا هو مشـغول به من دعـوة أشراف قـريش إلى الإسلام. ولم يدرِ الأعـمى أنّه مشغـول بذلك. فناداه: علّمني ما علّمك الله. فـانصرف النبيّ إلى بيته. فـعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة)..

عَبْلَة : إبنة عمّ عَنترة بن شَدَّاد. تغنّى بها في شعره.

عُبَيْـدُ اللهِ بن زِيَاد بن أَبِيْه (ت ٦٧هـ/ ٦٨٦م) : عامِلُ الأمويّين في العراق. قَتَل مُسلم بن عَـقيل، وقضى على الحُسَين في معركـة كربلاء ٦١هـ/ ٦٨٠م. قتله إبراهيم بن الأشتر قائد المُختار الثقفيّ في معركة الخازِر.

عُبَـيْدُ اللهِ المَـهْدِيّ (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) : مؤسِّس الـدولة الفاطمـيّة، وأوّل خلفـائها (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م). هاجـر من سَلَميّـة بسوريّة إلى المغـرب ٩٠٤م. وكان الداعي أبو عبدالله الشـيعيّ قد مهّد له البَيـعة بمناصـرة قبائل كُتـامة، وخلّصه من الأسر في سِجلمـاسة، فدخل رقّادة دخـول الفاتحين، وأنهى حكم بني الأغلب. بنى المهديّة على المتوسّط جنوب شرقيّ القيروان، واتّخذها عاصمة له.

عُتْبَة بن أبِي سُفْيَان (ت ٤٤هـ/ ٦٦٤م) : والي مصر لأخيه معاوية.

عُتْـبَة بن أبِي لَهَب : تزوّج قبل الإسـلام بابنة النبيّ رُقَيَّة، ولكنّه طلّقـها لمّا بُعث محمّد، واعتنق النصرانيّة. ثمّ طلَّقها بعزم أبيه وأمّه «أمّ جميل».

عُتْبَة بن رَبِيْعَة (ت ٢هـ/ ٦٢٤م) : من قريش. قاتل المسلمين في بَدْر وقُتل.

العِتْق : خلافُ الرِّق، وهو تحرير الرقبة من الرقّ.. شرّع بالكتاب في قوله: «أو تَحْرِيرُ رَقَبَة» (٥/ ٨٩)، وقـوله: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَة مِن قَـبْلِ أن يَتَمَاسَّا» (٥٨/ ٣)،

وقوله: «فَكُّ رَقَبَة» (٩٠/١٣)؛ وبالسنّة، فقد ورد عن أبي هُريرة عن النبيّ أنّه قال: «مَن أعـتَقَ رَقَبَـةً مسلمـةً أعتقَ اللّهُ بكلّ عـضوٍ منه عـضواً من النـار، حتّى فـرجه بفرجها»[1]، وقد أعـتق النبيُّ الكثيرَ من الرقـاب، وأعتق أبو بكر وعمر الكثـيرَ من الرقاب. وقد أجمـعتِ الأمّةُ على صحّة العتق وحصول القـربة به. العتق من أفضل القرب إلى اللّه، فقد جعله كفّارةً لجنايـاتٍ كثيرة، منها: القتل، والظِّهار، والوطء في شهـر الصيام، والحـنث في الإيمان.. وعن ابن عبّاس قـال: «قال رسـول اللّه: أيّما امرئٍ مسلم أعتق امرءًا مسلماً استنقذ اللّهُ بكلّ عضوٍ منه عضواً من النار»[2].

عُتَيْبَة بن أبي لَهَب: كان عُتيبة قد تزوّج قبل الإسلام بابنة النبيّ أمّ كلثوم؛ ثمّ طلّقها بعـزم أبيه وأمّه «أمّ جميل»، أخت أبي سـفيان. ودعا النبيّ على عتـيبة أن يسلِّط عليه كلباً من كلابه، فافترسه الأسد من بين أصحابه وهم نيام حوله.

العَتِيْرَة: ذبيحـة كان أهل الجاهليّـة يذبحونها في العـشر الأوّل من رجب لآلهتهم، ويسمّونها: العِتْر والرجـبية أيضاً من رجب. ثمّ صار المسلمون يذبحونها للّه من غير وجوب ولا تقيّد بزمن.

عثْـمَان بن عَـفّان (ت ٣٥هـ/٦٥٦م): ثالث الخلفاء الرّاشـدين. من أسرة بني أميّـة القرشيّة الشـهيرة والثريّة بمـكّة. أسلم قبل الهجرة بعـدّة سنوات. كان تاجراً ثريّا خلوقـاً ومن «الطبقة العليا» في مجـتمعه. تزوّج رُقَـيَّة بنت رسول اللّه. وبعد وفـاة رُقَيَّة زوّجه الـرسول من ابنة أخرى هي أمّ كلثـوم؛ ولهذا لقّب بـ «ذي النورَين». شارك في الهجـرتَين إلى الحبشة وإلى المدينة. ولمّا تولّى الخلافـة اتّهمه خصومه بإيثاره لأقربائه في تولّي المناصب. روى عن رسول اللّه ١٤٦ حديثاً. وله فضلٌ كبير بجمع نسخ القرآن في مصحف واحد. قُتل في داره إثر فتنة.

عثْمَان بن مَظْعُون (ت ٢هـ/٦٢٤م): صحابيّ كـان من حكماء العرب في الجاهليّة. هاجر إلى الحبشة.

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١١/٥٩٩؛ مسلم ١١٤٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ١٤٦/٥؛ مسلم ١١٤٨/٢، من حديث أبي هُريرة.

العُـثْمَانِـيُّون : سـلالة السـلاطين الأتراك. أسّسـهـا عُثـمـان الأوّل، سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م). نشأت في الأناضـول على أنقاض الدولة السلجوقـيّة، ومدّت سلطتهـا إلى البلقان والدول العربيّة وإفـريقية. احتلّ مـحمّد الفاتح القـسطنطينيّة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م). وجعلها عاصمته، وقضى على البيزنطيّين.

انتقلت خـلافة المسلمين إلى سليم الأوّل الذي أنهى حكم المماليك، وسيطر على سورية وفلـسطين ومصر (٩٢٢هـ/١٥١٦م). خلفـه ابنه سُليمـان القانونيّ (١٥٢٠-١٥٦٦م)، فـوطّد أركـان الدولة، وبسط نفـوذه على البـلاد العـربيّـة والإسلاميّـة حتّى إفريقية، وبلغت الأمـبراطوريّة في عهده أوج عزّها، وقـد غدا لها أسطول بحريّ هامّ وجيش قويّ من الإنكشاريّة.

بدأ الانحطاط، فظهرت الحركـات الاستقلاليّة في القرن ١٩، فقـوي محمّد علي في مصـر، وتحرّرت اليونان سنة ١٨٣٠م، وتبـعتهـا رومانيا والصـرب بعد حرب القرم. وتحالف الـعثمانيّون والألمان في الحرب العالمـيّة الأولى فأدّى انهزام ألمانيـا إلى تفكّك الأمبـراطوريّة العثـمانيّـة وإعلان الجـمهـوريّة التركـيّة بزعـامة مُصطفى كمال أتاتُرك في ٢٩/١٠/١٩٢٣م.

العَجُوز (مصافحـة العجوز) : لا خلاف في عدم جواز مسّ وجـه الأجنبيّة وكفّيها، وإن كان يأمن الشهـوة، لقول النبي: «مَن مسّ كفَّ امرأة ليس منها بسبيل وضعَ على كفِّه جمرةً يومَ القيامة»[١].. هذا إذا كانت الأجنبيّة شابّةً تُشتهى؛ أمّا إذا كانت عـجوزاً فـلا بأس بمصافـحتهـا ومسّ يدها، لانعدام خـوف الفتنة؛ غـير أنّ المالكيّة والشافعيّة ذهبوا إلى تحريم ذلك من غير تفرقة بين الشابّة والعجوز[٢].

العُدَّة : الاستعـداد والتأهّب، وما أعددتَه من مالٍ أو سلاح. وهي جـميع ما يتقوّى به في الحرب على العدوّ. وهي فريضـة تلازم فريضةَ الجهاد. فالحرب بلا عُدّة إلقـاءٌ للنفس إلىَ التهلـكة. والعُدَّة للحرب فـرضٌ على المسلمين، لقولـه تعالى:

---

(١) أورده الزيلعي في نصب الراية، ٤/ ٢٤٠.

(٢) مغني المحتاج، ٣/ ١٣٢؛ حاشية الدسوقي، ١/ ٢١٥.

«وأعِدُّوا لهمْ ما استطعْتُم مِن قُوَّةٍ ومِن رباطِ الخيلِ تُرْهِبونَ بهِ عدُوَّ اللّهِ وعدوَّكم وآخَرِينَ مِن دونِهم لا تَعلَمونَهُم. اللّهُ يَعلَمُهُمْ» (٨/ ٦٠).

العِدَّة : ١ . لغةً: من العدّ والحساب، وهي: الإحصاء. وسمِّيت بذلك لاشتمالها على العدد من الأقراء. فعِدَّةُ المرأة المطلّقة والمتوفّى عنها زوجها هي ما تعدُّه من أيّام أقرائها، أو أيّام حمْلها، أو أربعة أشهر وعشر ليالٍ. وقيل: تربّصها المدّة الواجبة عليها. وجمْع العِدَّة: العِدَد.. وفي الاصطلاح: هي إسم لمدّة تتربّص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها، أو للتعبّد، أو لتفجّعها على زوجها.

٢ . اتّفق الفقهاء على مشروعيّة العِدّة ووجوبها على المرأة عند وجود سببها. واستدلّوا على ذلك بالكتاب، لقوله تعالى: «وَالمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهِنَّ ثلاثَةَ قُرُوءٍ» (٢/ ٢٢٨)، وقوله: «واللائي يَئِسْنَ مِنَ المَحيضِ مِن نسائكُمْ إنِ ارتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشهرٍ، واللائي لم يَحِضْنَ وأولاتُ الأحْمالِ أجَلُهُنَّ أن يَضَعنَ حَمْلَهُنَّ» (٦٥/ ٤)، وقوله: «والذينَ يُتَوَفَّونَ مِنكم ويَذَرُونَ أزواجاً يَتربَّصْنَ بأنفسِهنَّ أربعةَ أشهرٍ وعَشْراً» (٢/ ٢٣٤).

٣ . واعتبر الفقهاء أيَّ زواج يُعقد في أثناءِ فترةِ عدّةٍ لم تكتمل، باطلاً ولاغياً... وعدّة المرأة الحامل في وقت الانفصال تنتهي بالوضع. ومهما يكن سبب انتهاء زواج المرأة الحامل تستمرّ عدّتُها حتّى الوضع وتنتهي به..

٤ . ويُشترط في المعتدّة عدم التزيّن أثناء العِدّة في حالتَي الوفاة أو الطلاق البائن، وعدم مغادرة بيتها إلاّ لضرورة، وأن تمتنع عن الزواج من غير زوجها الذي فارقتْه، مدّةً محدودة.

٥ . والحكمة من العِدّة التأكّد من براءة الرحم لئلاّ تختلط الأنساب وعدم وجود حمْل، وتعظيم خطر الزواج ورفع قدره وإظهار شرفه، وإعطاء الزوجَين وقتاً محدَّداً ليفكّر كلٌّ منهما مليّا وبهدوء، إمّا بإنفاذ الطلاق، أو العدول عنه.

العَدْل : ١ . خلاف الجَور. وهو، في اللغة: القصد في الأمور. وعبارة عن الأمر المتوسّط بين طرفَي الإفراط والتفريط.. والعدْل يُطلق على الواحد والاثنَين

والجمْع.. والعدل، في اصطلاح الفقهاء: مَن تكون حسناته غالبة على سيّئاته. وهو ذو المروءة غير المتّهم.

٢ ـ من الألفاظ ذات الصلة: **القِسْط**. إلاّ أنّ القسط، في اللغـة، يعني: العدلَ والجَور سواء. فهو من الأضداد.. **الظُلْم**: هو الجور ومجاوزة الحدّ. وهو، في اللغة: وضْع الشيء في غير موضعه. وفي الشرع: هو التعدّي عن الحقّ إلى الباطل..

٣ ـ يشترط في إمام الصلاة أن يكون عدلاً، إذ لا تصحّ إمامة الفاسق؛ وفي عامل الزكاة إيضاً، لأنّ الفـاسق ليس من أهل الأمانة؛ وفي مَن يرى هلال رمضان؛ وفي مَن يدلّ على اتّجـاه القِبلة؛ وفي مَن يُخـبر عن نجـاسة الماء أو طهـارته؛ وفي رواة الحديث؛ والحكم والقضاء؛ وفي الزوج مع زوجاته، وبين الأولاد.

عَدِيّ بن حَاتِم (ت ٦٨هـ/٦٨٧م) : صحابيّ. كان رئيس طَيء في الجاهليّة والإسلام. شهد الجمل وصِفّين والنهروان مع عليّ. عاش طويلاً ومات بالكوفة. هو ابن حاتم الطائيّ الذي يُضرب المثلُ بجوده.

عَدِيّ بن مُسَافِر (ت ٥٥٧هـ/١١٦٢م) : متصوّف أسّس الطريقة العَدَويّة. وُلد في خربة قنفار بلبنان، قام برحلات عدّة، وبإقامة طويلة في الصحراء. وأخيراً استقرّ في لالِش بالقـرب من الموصل، وذلك قبل سنة ٥٠٥هـ/١١١١م. حيث بني ديراً، وأسّس جمـعيّـة سمّيت بالعـدويّة. نظامهـا صارم حتّى إنّ كـثيـراً من قادة الصوفيّين تراجعوا عنها. ويقال بأنّه كـان الأوّل ممّن أنشأ ممبتدئين. كانت عقيدته بحسب السنّة. كان خصماً للمعتزلة ولكلّ بدعة. يقارب الغزالي في تصوّفه. وصفه ابن تيميّـة بالسنّي التقيّ. واعتبـره كالشـافعي بصـدق إيمانه، وشبّهه بعـبد القادر الجيلي بتصوّفه. كان له خبرة في الوجد.. غالى فيه أتباعه الذين أضحوا **اليزيديّين**. ينسب إليه «كِـتاب الجلوة»، وكتـاب «مصحف رَش»، أي المصحف الأسـود. وهما باللّغة الكرديّة، ومن الكتب المقدّسة عند اليزيديّين.

عَذَابُ القَبْر : ١ ـ يكون في حياة تسمى «حـياة البرزخ»، وهي ما بين الموت والبعث. اتّفق المثبتون لنعيم القبر وعـذابه أنّ اللَّهَ يُعيد إلى الميت في القبر نوعَ حياةٍ

قدر ما يتلذّذ ويتألّم»[1]. فالقبر، إمّا جنّة في الفـردوس وإمّا مغارة في جهنّم؛ تأتي ملائكة الرحمة فـتجد نفوس المؤمنين، وملائكة العذاب تبـحث عن الكافرين. نفوس المؤمنين طيور في أشجار الجنّة، وتلتحق بأجسادها يوم الـقيامة، أمّا الشهداء فهم في الجنّة منذ موتهم.

٢ . يُعذّب الموتى ببكاء الباكين؛ وبنوع خـاصّ الباكين الأشرار. يجد المؤمن قبـراً واسعاً، ٧٠ ذراعـاً بـ٧٠؛ بينما الكافـر يُحصر في قـبر ضـيّق إلى درجة أنّ عظامه تكاد تمزّق لحمـه. يَسأل القبرُ الميتَ عن دينه، فتجيـب أعمال المؤمن الحسنة عنه. أمّا الخاطئ فسيتعذّب بحيّة من نار تلدغه إلى يوم الدين.

٣ . ملاكان يحـضران هما مُنكَر ونَكير، سوداوان بعيـون زرقاء، يُجلسان الميت في القـبـر ويسألانه عن دينـه. يجيب المؤمن بـ«القول الثـابت» (١٤/٢٦)؛ يدلّانه على مكانه في جهنّم، وعلى مكانه في الجنّة؛ ثمّ يُترك وحده إلى يوم القيامة. الكافر لا يسـتطيع الجواب، فتضـربه ملائكة بمطرقة حديـديّة يتطاير منها شظايا ناريّة، وتُسـمع الضـربات في كلّ المسكونة. ويـبقى العـذاب إلى مـا شـاء اللّه، أو بحسب البعض، حـتّى يوم القيامة، مـا عدا يوم الجمعة. ويمكن أن يخـفّف بقدر ما يبقى غصنٌ مغروسٌ إلي جانب القبـر أخضرَ. تُخرج الملائكةُ النفوسَ من أجسادها: نفوس المـؤمنين تخرج بسـهولة، بينمـا نفوس الكافـرين تُخرج بشدّة، وبـعذابات قاسية. سؤال المؤمنين يبقى سبـعة أيّام؛ بينما سؤال الكافرين أربعين؛ بعدها يكون العذاب. الشهداء والأطفال والمحسنون لا يُسألون.

٤ . لا يشير القرآن إلى عذاب القبر بطريقـة واضحة. إنّما هناك تلميح إليه في بعض المـقـاطع، مـثل (٦٧/٢٦؛ ٦/٩٢؛ ٨/٤٩؛ رَ: ٩/١٠٠؛ ٢٣/٢٠؛ ٥٢/٤٦).. لهذا، فالخوارج، والمعتزلة، وبعض الشيعة الغلاة، لا يقولون به.

العُذْر : ١ . لغةً: هو الحـجّة التي يُعتـذر بها. والجمع: أعـذار. يُقال: لي في الأمر عذْر، أي: خـروج من الذنب. وهو معذور، أي: غير مـلوم. مثله مثل **الرخصة**

---

(١) راجع مادّة: عذاب القبر، د. صفوت حامد مبارك، م.إ.ع.، ٢٠٠٢؛ ص ٩٦٣-٩٦٤.

من رخّص له الأمر، أي: أذن له فيه بعد النهي عنه.. وفي الاصطلاح: هي ما شرّع من الأحكام لعذرٍ مع قيام السبب المحرّم. ولولا العذر لثبتت الحرمة..

٢ . ثمّة أعذار خاصّة في العبادات مثل: الاستحاضة (وهي الدم الخارج من الفرْج، لا من الرحم، لمرضٍ وغيره)، وسلسل البول (وهو ما يخرج بنفسه من غير اختيار)، وانفلات الريح، وانطلاق البطن، والجرح الذي لا يرقأ (أي لا يسكن ولا يهدأ)، والرعاف الدائم (وهو دم الأنف الذي لا ينقطع)..

٣ . وأعذار عامّة مثل: قصر الصلاة في السفر؛ وجواز الفطر في رمضان؛ وسقوط وجوب الجمعة؛ وسقوط القَسْم بين الزوجات؛ والتيمّم عند العجز عن استعمال الماء شرعاً؛ والعجز عن أداء ركن من أركان الصلاة؛ والجمع بين الصلاتَين؛ والتخلّف عن الجمعة؛ وخروج المعتكف من المسجد؛ والاستنابة في الحجّ والعمرة ورمي الجمرات؛ واستباحة بعض محظورات الإحرام مع الفدية؛ واستباحة التداوي بالمحرّم؛ وإباحة النظر إلى العورة ولمسها؛ والإكراه؛ والجهل والنسيان؛ والجنون والإغماء والنوم؛ والاضطرار؛ والحاجة؛ والصغر.

٤ . وثمّة أخيراً أعذار لها أحكام خاصّة، مثل إذا عجز الزوج عن الإنفاق على زوجته لإعساره؛ والعذر في تأخير ردّ المبيع المعيب؛ والعذر في تأخير طلب الشفعة؛ والعذر في عدم الوفاء بالعقود؛ والعذر في ترك الجهاد..

العَذْرَاء و العُذْرَة : (راجع مادّة: **البَكارَة**).

العَذِرَة : (أطلب مادّة: **النجاسة**).

عُذْرَة : قبيلة عربيّة من قُضاعة. إليها يُنسب الحبّ العُذريّ المشهور بشدّة العِشق والعفّة. من شعرائها جميل بُثَينة.

العِرَافَة : من عملِ العرّاف، وهو: المنجّم والكاهن. وقيل: العرّاف يُخبر عن الماضي؛ والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل؛ والمنجّم يستدلّ بالتشكلات الفلكيّة على الحوادث السلفيّة؛ والساحر مَن له ملكات نفسانيّة يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفيّة.

العرافة حرام بنصّ الحديث النبوي: عن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: مَن أتى كاهناً، أو عرّافاً، فصدَّقَه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمّد»[1]. وعن صفيّة عن النبي قال: مَن أتى عرّافاً فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»[2]، ومعنى ذلك: أنّه لا ثواب له فيها.

العَرَب و **العُرُوبَة** : مضطربة المفاهيم والمعاني، متناقضة المداليل، تحمل في أصلها اللغوي أموراً عديدة مختلفة، وفي استعمالها التاريخي تبايناً واضحاً، وفي مداها الجغرافي مدًا وجزرًا.. ولا بدّ، والحالة هذه، من استعراضها، واستخلاص العبر. ونودّ أن نوجز مجملَ الأمور لمعرفة مدى ارتباطها بالإسلام، ومدى علاقتها بالنبيّ محمد، وصحّة انتساب الإسلام والنبيّ إليها، وعلاقتها بالنصارى...

١ . «العروبة»، لغةً، تعني «الغرب». أطلقها الأراميّون، سكانُ شرقي الفرات، على القبائل والعشائر، سكّانِ «غربيّ الفرات». فتكون اللفظة، إذاً، أطلقت، أوّل ما أطلقت، على هذه الشعوب نسبةً إلى موقعها الجغرافي. ولمّا كانت هذه المواقع صحارٍ، أصبحتِ اللفظة إيّاها تعني الذين يعيشون في هذه الصحاري. بهذا يكون خطأ المؤرِّخين المسلمين الكبير في أن يعودوا بالعربيّة إلى بلاد اليمن.

٢ . من نوعيّة الحياة البدويّة هذه، أطلق البابليّون والكلدان والأشوريّون والفرس كلمة «عرب» على كلّ شعبٍ يعيش في البوادي. «وبهذا المعنى استُعمِلتْ عندهم»[1]. وأصبح سكّانُ كلّ صحراء، «عرباً»، أو «بدواً»، على السواء.

٣ . أمّا العبرانيّون فأطلقوا على هذه القبائل والعشائر نفسها، المسمّاة عند الأراميّين «عرب» أي «أبناء الغرب»، اسم «أبناء الشرق»، وذلك لمواقعها شرقي أرض العبرانيّين. ووُصِفَ «أبناء شرق كنعان» بما وُصِفَ به «أبناء غربي الفرات»، بالبداوة والحياة البدائيّة الرديئة.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٢٩؛ الحاكم ١/ ٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤/ ١٧٥١.

(١) د. جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/ ٢٦.

٤ . ومع اليونان والرومــان أطلقتْ على هذه القبــائل والعشائر البـدويّة ما سـمّاهــا به الأراميّــون والعــبــرانيّــون، أي «غربيّين» و«شــرقــيّين» على الســواء. واستــعملوا اللّفظتَين مــعاً ليـعنوا بهما «الــعرب» وكلّ مَن عاشَ عــيشــةَ العرب في الصحاري، ورعاية الإبل والأغنام، واتّخاذ الخيامِ بيوتًا.

٥ . أمّا في الحضارات العربيّة القديمة فلــم ترد لفظة «عروبة» ومشتقاتها إلاّ بمعنى البـداوة والحياة الصــحراويّة البـدائيّة. وليس بين أيدينا نــصّ واحد من مناطق الجزيرة المــسمّاة اليــوم عربيّة يشــير إلى أنّ «العــرب» هم عِرقٌ ، أو جنسٌ بشريٌّ متميّز بلغةٍ خاصّة، أو بدولةٍ ذاتِ حدود جغرافيّة ثابتة، أو حضارةٍ محدّدة، أو قوميّةٍ تختلف عن أيّةِ قوميّة أخرى مجاورة لها أو بعيدة عنها.

٦ . وفي القرآن ليس مِن ذكــرٍ للعرب إطلاقاً؛ بل هناك، فــقط، آيات عن لغة القرآن الــعربيّة، وآيات عن «الأعْــراب»، أي «البدو»، الموصـــوفين بالتخلّف والــكفر والنفاق.. أمّا عن «العــرب»، كعرقٍ محدّد أو جنسٍ معــيّن، فليس فيه من ذلك شيء، كما ليس فيه أيّة إشارة إلى هويّة النبيّ العربيّة، أو انتماء الإسلام إلى العروبة...

٧ . أمّا اللغة المســمّاة «عربيّة»، والتي هي «لغــة الوحي» في الإسلام، فهي «اللغــة الغربيّــة»، أي لغــة «الغربيــيّن» من منطقــة غــربي الفرات، في بلاد الشــام والعراق، وبنوع خاصّ في مملكتَي المناذرة والغســاسنة. انتقلتْ هذه اللغة إلى مكّة بواسطة تجّــارِ قريش والمبــشّرين المســيحــيّين من بلاد الشام. ثمّ انتــقلت من مكّة وبلاد الشــام إلى سائر الأمــصار الإســلاميّــة عن طريق الفتــوحات. إلاّ أنّهــا، في الأصل وفي المنشــأ، هي «اللغة الغربيّــة» لسكّان «غربيّ الفــرات». هذا هو اسمــها. وذاك هو منشأها.

٨ . ثمّ إنّ تقســيم «العرب» إلى قــحطانيين وعدنانيين، أو إلى عــرب عاربة وعرب مستعربة، هو تقسيم إسلاميّ مــتأخّر، لا نجد له ذكراً في حضارات ما قبل الإسلام، ولا في المصادر اليونانيّــة أو العبرانيّة أو غيرهمــا... إنّه اختراع إسلامي، من عصر العباســيّين؛ أنشئ لتبريرِ نفوذ قبيلة على أخرى، أو لتثبــيت عصبيّة على

عصبيّة، أو لصراعٍ حدث بين «الشـعوبيّة» و«العروبة»، أو بين «العرب» و«العجم». فأصبح كلُّ أعجميٍّ غيرَ عربيٍّ؛ وكلُّ عربيٍّ غيرَ أعجميٍّ.

٩ . وفي العصـور العبّاسـيّة قامت «الـشعوبيّـة» تحارب «العرَبين» مـعاً. وتقف بوجـه المدّ العربي، لتـدعم «التفريس» تارةً، و«الـتتريكَ» طوراً. وبعـد تفكّك الدولة العباسيّة، انـقرضتِ «العروبة» و«الشعوبيّة» معاً. وقامـت، على أنقاضهما، دويلات في كلِّ مكانٍ من العـالم الإسـلامي. وأصـبح الحكم في هذا العـالم باسم الإثنيّات والأعـراق، أو باسم الطوائف والعـقائد والمذاهب الدينيّـة المختلفـة. وماتت العروبةُ طويلاً، ولم يعد لها ذكرٌ يُذكر حتّى أواخر الامبراطوريّة العثمانيّة.

١٠ . وقبيل انقراضِ الأمـبراطوريّة العثمانيّة، أواخر القـرن التاسـع عشر، قام من يقول بـ «القوميّة العربيّة» كردّة فـعلٍ على «القوميّة العثمانيّة»: « إنّ تخلّفَ ألفِ عامٍ في الدولة العثمانيّة أدّى إلى ظهور القوميّة الطورانيّة، والقوميّة الطورانيّة أرادت درءَ خطرِ التخلّف العـثماني بخطأٍ آخـر، وهو القوميّة الطورانيّـة. ثمّ جاءت القوميّة العربيّة كردٍّ فعلٍ على القوميّة الطورانيّة لتصحيح الخطأين السابقين بخطأ ثالث.. القوميّة العربيّة، إذن، ردّ فعل تاريخي على ظروف تاريخيّة خالصة »[٢].

وكذلك أيضًا « إنّ دعوة الوهابيّة إلى قرشيّة الخليفة، ومناهضة السنوسيّة لسلطة العـثمانيّـين، وثورة المهديّة ضد الأتـراك العثمـانيين، يمثّل بالفعـل ردّ فعل عربي ضد تسلّط الأتراك داخل الدولة الإسلاميّة »[٣].

وجاء المسيحـيّون اللبنانيّون أيضاً ليدعـموا «القوميّة العربيّـة»، إنتقامًا من الظلم العثماني اللاّحق بهم.

---

(٢) د. حسن حنفي، في القوميّة العربيّة والإسلام، ص٢٣٣.

(٣) د. عـبد العـزيز العـاشـوري، في القومـيّـة العـربيّة والإسـلام، ص ٢٤١-٢٤٢. الوهّابيّة مؤسّسـها محمد بن عبد الوهاب (ت ١٧٩٢م) في السعودية؛ السنوسيّة مؤسّسـها محمد بن علي السنوسي (ت ١٨٥٩م) في ليبـيا والجزائر ومـصر؛ المهديّة ومـؤسّسـها مـحمد أحـمد المهدي (ت ١٨٨٥م) في السودان.

ثمّ أخذت «جامعة الدول العربيّة» تحمل العروبة على عاتقها.

وأخيرًا تنادى المسلمون الغيورون ليربطوا بين العروبة والإسلام ربطاً جذريًا مُحكمًا، حتى « صار من المسلَّم به ترادفُ اللفظتَين: عربي ومسلم »[٤].

١١ . ولكن، قبل الوصول إلى ما نحن عليه اليوم، وقبل زواج الإسلام من العروبة زَواجًا دائماً، وقبل ربط العروبة بعالميّة الإسلام، نعود إلى جغرافييّ العصر العبّاسي، لنجد حدودَ العربيّة الشماليّة عندهم تقتصر على « خطٍّ وهميٍّ بين خليج العقبة وخليج فارس ». ولا نعلم كيف اتّسعت هذه الحدود، لتشمل، عند مسلمي اليوم، العالمَ الإسلامي برمّته، من الخليج إلى المحيط!؟ يبدو الأمر، عند هؤلاء، أنّهم رسموا للعروبة حدوداً دينيّةً أكثر مما رسموا لها حدوداً جغرافيّة.

١٢ . وكذلك فإنّ سكّان العربيّة الصحراويّة، بنظر النسّابين وأهل الأخبار والمؤرّخين المسلمين، من العرب المستعربة؛ أي ممّن انتموا إلى العروبة انتماءً، وانتسبوا إليها انتساباً، ولم يكونوا في الأصل منها. إنّهم من أجناس مختلفة ومتنوّعة، من الممالك اليمنيّة، ومن بلاد فارس والروم والحبشة وبلدان أفريقيا ومصر والسودان والحبشة، ومن اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والوثنيّين.. كلّهم «تجمّعوا» في الصحاري لألف ألف سبب، وترقّبوا لقمة العيش من القوافل التجاريّة العابرة الصحراء، وسكنوا على جوانب الطرق التجاريّة الممتدّة بين اليمن وبلاد الشام، والمارّة عبر مكة ويثرب وخيبر وفدك ووادي القرى وتبّوك والبتراء حتى مختلف أنحاء بلاد الشام والهلال الخصيب.

١٣ . وكانت مكّة أهمّ تجمّع تجاري لهذه العشائر التي لا يجمع بينها جامع. وقد كانت ملتقى القوافل الغادية والعائدة من اليمن وبلاد الشام، ومحطّ الرجال المسافرين من كلِّ صوب، ليرتاحوا قليلاً من عناء السفر وشدّة الحرّ، وليلتقطوا أنفاسهم، ويكمّلوا رحيلهم إلى أيِّ مكان. فمكّة لا تصلح للاستقرار، إذ لا زرْع فيها ولا ماء، ولا موارد رزق لها إلاّ من الخارج، كما يشير القرآنُ إلى ذلك:

---

(٤) بولس الخوري، التراث والحداثة، ص ١٩.

مكّة «أرض ميتة» (٣٦/٣٣)، و«بلدة ميتاً» (٢٥/٤٩؛ ٤٣/١١؛ ٥٠/١١)، «يأتيها اللّهُ رزقَهـا رغداً من كلٍّ مكان» (١٦/١١٢)؛ يؤمّـها البؤسـاء المحرومون ليُـرزقوا فيها طعامهم، ويحصّلوا رزقَهم ومعـاشهم، ولهذا كثر فيها النهب والسلب والغزو والاقتتال. وذلك قبل أن يعمل «قُصَيّ»، على ضبط الامور فيها، ويملك زمامها.

١٤ . ولمّا جاء «قُـصَيّ» جمع العشـائر والقبائل في قـبيلةٍ واحدة، سـمّاها «قريـشاً». وقريـش تعني التجـمّع. ولُقّب قُصَيّ بـ «المجـمِّع». وكانت قـريشٌ أوّلَ تنظيم عُرف في مكّة. ومع هذا لم ينسجم أفراد قريش في جماعة واحدة، ممّا جعل قُصَيًّا يقسمها إلى قـسمَين: قريش البطاح وقريش الظواهر. ولـم يكن بين القسمين، مع قوّة قُصَيّ وبطشه، اتفاقٌ وتفـاهم، لتنوّع الأنساب والأعراق والدماء. ومع هذا، ولمصلحة الفـريقَين، وللعيش الأمين، اسـتطاع أهل قريش الاتفاق على أمـور تعود إليهم بالنفع، مثل الامتناع عن القتال في البيت، والحفاظ على حرمة الأشهر الحرم، وإقامة العقود التجاريّة مع القبائل، وغير ذلك.

١٥ . فـسكّان مـكّة، إذاً، هم من كلِّ لونٍ ونوعٍ. وبحقٍّ دعـاها القـرآن «أمّ القـرى» (٦/٩٢؛ ٤٢/٧)، أي بتعـريفنا اليوم، «المدينة الكوسـموبوليـتيّـة» التي، لموقعها التـجاري، تضمّ أناساً، مختلفي الأعراق والإثنيـات، ومتنوّعي الحضارات، ومتعـددّي المذاهب والأديان، ومختلفي الهـويّات والأهواء. وليس مَن ينكر، والحال هذه، فساد الحالة الإجتمـاعيّة، من رِبا وزِنا وفجورٍ، ومن نهبٍ وسلبٍ وغزو، ومن زواجـاتٍ غيـر شرعـيّات، ومن أولاد لقطـاء، وأمّهـات بغيـر أزواج، وبناتٍ معـدّة للمتـاجرة، أو للعهـر مقابل أجـور. كلّ هذه المفاسد كـانت، وعظمتْ في أيّام النبيّ. وفي القرآن عنها صورة واضحة جدًا.

١٦ . أضف إلى ذلك ما يُجمع عليه النسّابون، وهو جـهلُهم لحقيقة أنساب أهل مكّة. فلذلك أجمعوا على القول بأنّهم «عرب مستعربة». ومن هؤلاء كان النبيّ، فهو، بحسب أهل السِّيَر والأخبار، «مـحمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ.. بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان». وكان النبيّ يمسك عمّا بعد عدنان، ويقول: «كذب النسّابون».

وعروبة العدنانيّين، بنظر القحطانيّين، مطعونٌ فيها. وهي أقلُّ صراحةً من عروبتهم هم. بل هي عدوّة لهم. وقد استمرّت العداوة بين الفريقَين مدّةً طويلةً، وحدثت بينهما وقائع دامية أنهكتهما جميعاً.. وكان النبيّ قد جعل همّه في التوفيق بينهما، تارةً باللِّين واللطف، وطوراً بالشدّة والعنف. وليس أدلّ على اختلافهما ممّا جرى، بعد وفاة النبي، بين المهاجرين والأنصار، على أنّ المهاجرين من قريش، أي من المستعرِبة، والأنصارَ من (الأوس والخزرج)، أي من أصلٍ يمنيٍّ قحطاني.

١٧ . ثمّ، إذا كانت عروبة العدنانيّين مطعوناً فيها، فعروبة النبيّ هي أيضًا مطعون فيها. وقد يكون صمتُ القرآن عن عروبة محمّد من هذا القبيل. ففي الإحدى والعشرين مرّة، حيث ترد لفظة «عربيّ» و«عربيًا» للغة القرآن، و«الأعراب» لسكّان البوادي الموصوفين بالتخلّف، لا نجد مرّةً واحدة تشير إلى عروبة محمّد. وإذا كانت كتب الأحاديث والسِّير تستفيض في ذكر عروبته، فإنّنا لسنا نعلم لهذه الكتب، جميعِها، سنداً صحيحاً نركن إليه.

١٨ . وهل نقول، بعدئذٍ، مع محمّد الغزالي: «ومِن حسن حظّ العروبة أنّها جنسٌ مفتوح، وأنّ الاستعرابَ ركنٌ أصيلٌ في دعم كيانها وإمدادها بأسباب البقاء والنماء؛ ونحن نعلم أنّ صاحب الرسالة العظمى ﷺ من العرب المستعربة، وليس من العرب العاربة»[٥]. ونفتخر بذلك على «أنّ الإسلام جعل منها (أي من العروبة المستعربة) دائرةً عالميّةً فسيحةَ الأرجاء، وُسِعَتْ شتّى الدماء والألوان، وانضوى تحت لوائها سيلٌ موّارٌ من المؤمنين الذين تركوا بني جلدتهم، وآثروا هذه الجنسيّة الجديدة، وأسدوا إليها من الخدمات العالميّة والأدبيّة والسياسيّة والعسكريّة ما يعجز عنه قومٌ ترجع أرومتُهم إلى عاد وثمود، أو عدنان وقحطان»[٦]؟

١٩ . أيّة عروبة هي هذه التي يفتخر بها العروبيّون! والنبيُّ نفسُه تبرّأ منها، ولم يتّصف بها، ولم ينتسب إليها؛ بل هجرها، وكان لها عدوًّا معلناً؟!.

---

(٥) محمد الغزالي، حقيقة القوميّة العربيّة، ص ١٢٣.

(٦) المرجع السابق نفسه.

٢٠ . الحقّ يقال: لا العروبة العاربة، ولا العروبة المستعربة، كان لها في زمن النبيّ ذكر ووجود. إنّها، في قسمَيها، إختراعٌ إسلاميّ متأخّر، من عصر بني العبّاس. ولنفترض وجودَها قبل ذلك التاريخ، فإنّ وجودها لم يكن عزًّا للإسلام أو للنبيّ. بل جاء النبيّ ليحاربها ويقضي عليها. واعتُبر «التعرّب»، بعد الإسلام، كفراً بالإسلام عينه، وردّةً إلى الجاهليّة، وتخلّفاً عن الإيمان الجديد.

٢١ . على هذا يمكننا القول بأنّ النبيّ محمّد وقف من العروبة موقفاً عدائيًا، شدّد عزيمتَه فيه وعيُه بعدم انتمائه إليها. فهو يعرف أنّه كان من سلالة عدنان من المستعربين طعَنهم القحطانيّون في الصميم. ويعرف أيضاً أنّ العودة إلى عروبة الجاهليّين طعنة في الإسلام الذي جاء ليحلّ أحلافَ الجاهليّة وعصبيّات القبائل والعشائر. فالإسلام حضارة، فيما العروبة بداوة. والصراع بينهما مستمرّ باستمرار الصراع بين البداوة والحضارة، وبين الجاهليّة وعصور الهدى والنّور.

٢٢ . جاء الإسلام وحارب الأعراف والتقاليد القبليّة البدويّة، وأقرّ بأنّ المجتمع الإسلامي يخضع للشريعة الإلهيّة لا للشرائع الوضعيّة، ولا لمميّزات الأعراق. لقد حارب محمّد إذاً «الأحلاف» الجاهليّة، فقال: «لا حلف في الإسلام بعد اليوم»[(٧)]. ولا يمكن أن يقوم الإسلام على ما قد سلف. وكذلك قضى على «الروابط الطبيعيّة القائمة على العرق أو الشبيهة بما يقوم على العرق، كتضامن القبيلة أو العشيرة (أي العصبية). وكان ما يجمع بين المسلمين في الأمّة صلة روحيّة هي الطاعة المشتركة للشريعة، والقبول بالحقوق والواجبات المتبادلة المعيّنة فيها، والتعاضد والتناصح في تنفيذها»[(٨)].

٢٣ . وهذا أمر طبيعي، لأنّ النبيّ كان يعي تماماً مساوئ العروبة بما فيها من جهل وكفر وصراع واقتتال على المراعي وغدران المياه وتحصيل لقمة العيش، وتفاخر بالأنساب، والربا، وقتل البنين خشية الفقر والجوع (ر: ٦/ ١٥١؛ ٢٧/

---

(٧) تفسير الطبري ٥/ ٣٦.

(٨) أنظر: حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص ١٧.

٣١)، وغير ذلك.. كلُّها من بقايا العروبة. والعودةُ إليها، بعد الإسلام، «إحدى الكبائر».

٢٤ . وفي الأحاديث النبويّة إشارة واضحة إلى عدم جدوى العودة إلى الوراء، إلى عهد الجاهليّة، إلى البادية وتقاليدها، إلى العروبة البدائيّة. قال: «خيرُ القرون القرنُ الذي أنتم فيه، ثمّ الذي يَليه، ثمّ الذي يليه».. وعمّم المسلمون فيما بعد هذه القاعدة، واعتبروا كلّ رجوعٍ إلى الماضي، ولو في الفكر، لا نفعَ فيه. بل العودة إلى التاريخ تعني انحداراً في الايمان وتقهقراً. « هذه النظرة إلى الماضي تنطوي في جوهرها على فكرة الانحدار »[٩]، أي على حياة التبدّي. ولهذا جاء في حديث منسوب إلى النبيّ: «الإسلام يهدم ما قبلَه».

٢٥ . ومن الأحاديث النبويّة المتواترة أيضًا حديث «مَا مِن نبيٍّ إلاّ أُرسل لقومه، وأنا أُرسِلتُ للناس جميعًا». بعض المسلمين فَهِموا هذا الحديث على حقيقته، فراحوا يقولون بعالميّة الإسلام التي تتخطّى الحدود والتخوم والعنصريّات والقوميّات والأجناس والأعراق والألوان. واعتبروا، بالتالي، العروبةَ قيداً للإسلام وسجنًا. ويدعم هذا الحديثَ أحاديث أخرى أكثرُ وضوحاً في الانتقام من العروبة. قال رسول اللّه: «يا أيّها الناس! إنّ اللّهَ قد أذهب عنكم عَبيّةَ الجاهليّة وتعاظمَها بآبائها»[١٠]. وخطب في حجّة الوداع، فقال: «يا أيّها الناس! ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميّ، ولا لعجميٍّ على عربيّ، ولا لأسودَ على أحمرَ، ولا لأحمرَ على أسود إلاّ بالتقوى»[١١]. وقال أيضًا: «إنّ اللّه لا ينظر إلى أحسابكم ولا أنسابكم، ولا أجسادكم.. إنّما أنتم بنو آدم. وأحبُّكم إليه أتقاكم»[١٢].

٢٦ . هذه الاحاديث النبويّة جاءتْ لتؤيّد آياتٍ قرآنيّةً يجب أن يفهمها المسلمون العروبيّون على حقيقتها. جاء في القرآن: «يا أيُّها الناسُ! إنّا خَلَقْنَاكُم مِن

---

(٩) حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص ١٩.

(١٠) سنن الترمذي، وسنن أبي داود، باب الأدب ١١١.

(١١) أنظر تفسير الطبري على سورة هود ١١/ ٤٥-٤٦.

(١٢) ألمرجع السابق نفسه.

ذَكَرٍ وأُنثى، وجَعَلْنَاكُم شعُوباً وقَبَائلَ لِتَعَارَفُوا. إنّ أكْرَمَكُم عنْد اللّهِ أتْقَاكم» (٤٩/ ١٣). فالإسلام يقوم، إذاً، أوّلاً وآخِراً، على التقوى والإيمان، لا على الأنساب والعصبيّات والقوميّات والعودة إلى ما كان عليه الأعراب في بواديهم. لقد قيّدَ الإسلامُ، بهذه الآية، عصبيّةَ العرب؛ بل «أزال عصبيّة العرب القوميّة»[13]. و«منْ أجلِ ذلكَ لا يمكنُ جعلُ العروبةِ قوميّةً خالصة»[14].

٢٧ . وبعض المسلمين الأوّلين فهموا روحَ القرآن هذه، وعملوا بها، وقالوا: إنّ الخلافةَ على المسلمين، مثلاً، يمكن أن تكون في انتخابِ خليفةٍ مسلمٍ مِن أيّ عرقٍ كان. عربيًا كان، أو أعجميًا، أو حبشيًا، أو عبداً أسود. لا فرق. المهم، أن يكون مسلماً. ولذلك قصّر عليٌّ بن أبي طالب وأتباعُه عن الخلافة لأنّهم شدّدوا على عنصريّة الخليفة ونسبته إلى الرسول.

٢٨ . أضف إلى ذلك، أنّه لو كانت فكرة العروبة عند المسلمين الأوّلين ذاتَ أهميّة لما أدخلوا في دينهم وفكرهم وأدبهم كلَّ شيء من الخارج، ولما نقلوا مركزَ الخلافة الدينيّة والسياسيّة من مكّة والمدينة إلى دمشق الشام ثمّ إلى بغداد، حيث الحضارات الغريبة، من سريانيّة وكلدانيّة وبابليّة ويونانيّة وفارسيّة وتركيّة.

٢٩ . أمّا قول القائلين بأنّ «الأمّة العربيّة» هي «خير أمّة أُخرِجت للناس» (٣/ ١١٠) فهو قول يردّه القرآن نفسه؛ إذ ليس في القرآن آية واحدة من الأربع والستين آية الواردة فيها لفظة «أمّة» ما يشير إلى «أمّة عربيّة». لو تدبّر هؤلاء القرآنَ لفهموا أنّ حقيقة «الأمّة» فيه هي أمّة دينيّة صرفة، لا أمّة عرقيّة، أو قوميّة، أو عصبيّة، أو سياسيّة، أو اجتماعيّة. إنّها «أمّة مسلمة» (٢/ ١٢٨)، لها مناسكها (٢٢/ ٣٤ و٦٧)، ورسلها (١٠/ ٤٧؛ ٢٣/ ٤٤)، ونُذُرها (٣٥/ ٢٤)، وشهداؤها (٤/ ٤٢؛ ١٦/ ٨٤)، وكتبها (٤٥/ ٤٨)، وآياتها (٣/ ١١٣؛ ٢٧/ ٨٣)... فالقرآن لا يتكلّم البتة على أمّة عرقيّة لها جنسيّة معيّنة. هذه الأمّة لا وجود لها في القرآن؛ بل

---

(١٣) حوراني، الفكر العربي...، ص ٣٦٠.

(١٤) محمد الغزالي، حقيقة القوميّة العربيّة، ص ١٢٣.

إنّ القرآن حاربها. وقد «هجر» النبيُّ مكّة بسبب رفضه لها، وبسبب محاربتها له. ثمّ «خرج» الإسلام من الجزيرة العربيّة باتّجاه العالم للتخلّص من ذلّها.

٣٠ . ومع هذا يطيب للعروبيّين أن يفهموا بآية «كُنتُم خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للناس» على أنّها تعني «الأمّة العربيّة». وليت هؤلاء وقفوا عند هذا الحدّ؛ بل راح بعضهم يفسّر آياتٍ عدّة بما يطيب له. فعندما يقرأ صابر طعيمه، مثلاً، آية «اللّه يَصطفِي من الملائكة رسلاً ومِن الناس» (٢٢/ ٧٥)، يفهم في تفسيرها أنّ «الناس هنا بهذا الشرف هم العرب، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى إنّ الأرض العربيّة.. هي الأرض التي اختارها اللّه لتكون للدعوةِ الإلهيّة ولتجميع البشر عليها»[١٥]. فما أبعد الحقيقة ومفهوم القرآن والإسلام عن مثل هذه التفاسير الخاطئة والمشينة!

٣١ . وكم أراد النبيُّ بـ «الأعرابِ» خيراً؛ ومع هذا، لم يستجيبوا لنداءاته المتكرّرة. فهم، لتخلّفهم، كانوا ينبذون كلَّ نداء له، ويرفضون كلَّ خير يأتي من يدِه، وينكرون دعوتَه. كم علّمهم الإيمان فكانوا يُجيبونه «حَسْبُنا مَا وَجَدْنَا عليه آباءَنَا» (٢/ ١٠٤). وكم منعهم عن عباداتهم الباطلة، وكانوا يقولون له: «وَجَدْنَا آبَاءَنا لَها عَابِدون» (٢١/ ٥٣). وكلّما أصرّ على اتّهامهم أصرّوا على رفضه.. لم يكن النبيُّ مع العرب والعروبة بخير. وهكذا كان أتباعُه الأوّلون.

٣٢ . وأقوى سهمٍ يصوّبه الإسلامُ إلى صدر العروبة هو أنّ التاريخَ يبدأ بـ «الهجرة»، الهجرة من مكّة إلى يثرب، أي من البادية إلى «المدينة»، من البداوة إلى الحضارة. وبحقٍّ أرّخَ المسلمون للإسلام ببدء «الهجرة» سنة ٦٢٢، بدل أن يؤرِّخوا بالمولد النبويّ سنة ٥٧٠، أو ببدء الدعوة سنة ٦١٠، أو بموت الرسول سنة ٦٣٢. فـ «الهجرة» من العروبة إلى المدينة هي الزمن الفاصل في التاريخ عند المسلمين... ثمّ جاءت الهجرة الثانية من أنحاء البادية إلى بلاد الشام والعراق وفارس وأنطاكيا والقدس والإسكندرية وبلاد الحضارات التاريخيّة العظيمة.. ولو بقي الإسلام حيث نشأ لقضَى حيث وُلد. فتاريخ الإسلام إذاً هو تاريخ «هجرة».

---

(١٥) تحدّيات أمام العروبة والإسلام، ص ١٩.

إنّه هجـرة من البـداوة إلى «المدينة»، تماماً كـ «خـروج» بني إسـرائيل من أرض العبوديّة إلى أرض الميعاد. فـ«الهجرة» هي «فصح» المسلمين الحقيقي.

٣٣ . ونجح الإسلام في «هجـرته»، واستطاع في نجاحه أن يحـقّق جهاداً مقـدّسًا في سبـيل الله الواحد، والدين الجـديد الواحد؛ وأن يكون الجهـادُ «نصراً» و«فتـحاً» على حضارات العـالم المتمدّن آنذاك. فكانتِ الفـتوحاتُ تتـوالى، والنصرُ يتعالى، والإسلامُ ينتشر، والبداوة تتـراجع أمام «المهاجِرين». ولولا «الهجرة» هذه لما تحـقّق شيءٌ ممّا حـقّقـه الإسـلامُ من إنجـازات.. والأعراب، على مـا يبـدو، لا يتّحِدون إلاّ في الهـجرة. وقد عبّر شارل رزق عن ذلك بقوله: «إنّ وحـدة القبائل لم يمكنها أن تتحقّق إلاّ في تدفّـقها خارج الجزيرة»[١٦]. وقال أيضًا: «بالإسلام دخل العـربُ التـاريخ. وبالإسلام اسـتطاع الذين لم يـكونوا، قبل مـحـمّـد، إلاّ عشـائر متناحرة، أن يتوحّـدوا بالفتح. وهكذا، لم تكن الهجرة بداية عهـدٍ إسلامي فحسب، بل هي بداية حضارة وسياسة وهويّة للعروبة»[١٧].

٣٤ . وإذا كان اليـوم من خلل في العروبة فذاك يعود إلى « عـوامل عديدة، يمكن تلخيصهـا في أربعة: رواسب القبليّة، واختلاف الأعـراق، والتخلّف الثقافي، ودسـائس الأعداء »[١٨]. ويمكن تلخيص الأربعة في واحدة:«إلعـصبيّة»، التي تجمع فيها كلَّ أسباب التخلّف والتحزّب والاقتتال. وقد تكون العصبيّة أقوى من الإسلام نفسـه. فتلك تفرّق وهذا يجـمع. وما يفرّق ينتصـر دائماً على مَا يَجـمع. يقول هـ. هولما: « ومع الزمن، بدت طبـائع العرب الفـرديّة عاجـزةً عن تحمّل تعـاليم محـمّد العالميّة. إنّ التناقضات أقوى ممّا ينبغي، وقوّة الخصائص العربيّة أكثر رسوخًا من اللازم ولا تزول بسرعة »[١٩]. والعصـبيّة تعـمل في تشّتت العرب وتفـرّقهم. ولم يكن الدِّين ليـقدر عليـه؛ بل إنّ الإسلام جـاء ليـشنّ على العروبة حـرباً. وفي رأي

---

(١٦) Ch. Rizk, Entre l'Islam et l'Arabisme, p.25

(١٧) ألمرجع السابق نفسه، ص ١٩.

(١٨) سلّوم سركيس، ألعروبة بين الانعزاليّة والوحدة، ص ٢٧.

(١٩) هـ. هولما، محمّد، نبي العرب (بالفرنسية)، ص١٠٧-١٠٨.

غولدزيهر «إنّ محمّدًا لم يكن تعبيرًا عن نفسانيّة القوميّة العربيّة، بل نقيضها»[٢٠].
هذا ما أشار اليه مفكّرون من العرب أنفسهم، وبأسلوب واضح جدًّا :

٣٥ . لقد وصف الدكتور محمّد رشاد خليل القوميّة العربيّة بأنّها «أعنف حرب على الإسلام والعروبة عرفها تاريخ الإسلام القديم والحديث»[٢١]. والقوميّة عنده مظهر من مظاهر العصبيّة الجاهليّة.

وفي رأي أبي الأعلى المودودي، «إنّه ليس لعنصر القوميّة حظّ في إيجاد دولة الإسلام الفكريّة وتركيبها»[٢٢]، أي «إنّ القوميّة تعني أن يحلّ الشعب منزلة الألوهيّة»[٢٣]، ويذهب بعيداً ليعتبرَ «القوميّة شركٌ باللّه وكفرٌ بالإسلام»[٢٤].

وفي رأي سيّد قطب إنّ القوميّة، عامّة، والقوميّة العربيّة، خاصّة، هي أحد الأصنام والطواغيت، مثلُها في ذلك مثلُ الاشتراكيّة والوطنيّة، لا بدّ من تحطيمها، حتّى نُخلِصَ التوحيدَ والعبوديّةَ للّه[٢٥].

وعند أبي الحسن الندوي إنّ القوميّة نبتٌ أوروبيّ، لاديني. وينكر أن يكون لها مكانٌ في فكر الإسلام وعالمه. فـ «الإسلام قد قسم العالم البشري إلى قسمين فقط: أولياء اللّه، وأولياء الشيطان.. ولا مكان فيه للقوميّة وروابطها»[٢٦].

وعند سعيد حوّى، مؤسّس الإخوان المسلمين، إنّ «القوميّة العربيّة مسؤولة عن تمزيق المجتمع ، مفلسةٌ في الفكر، تحارب الإسلام في مَكرٍ وإصرار»[٢٧].

---

(٢٠) جواد بولس، التحوّلات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الإسلام، ص ٧٥.

(٢١) يدعو إلى «مصر العربيّة»، في مقال بعنوان: «شخصيّة مصر التاريخيّة»، في مجلّة «الدعوة»، عدد مارس آذار سنة ١٩٧٨.

(٢٢) المودودي (ت ١٩٧٩م) في مقال: «نظرية الإسلام السياسيّة» في مجموعة «نظريّة الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور»، بيروت ١٩٦٩، ص ٧٥.

(٢٣) واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، بيروت ١٩٧٥، ص ١٥٢.

(٢٤) ألمرجع السابق نفسه.

(٢٥) سيّد قطب (ت ١٩٦٥) أنظركتابه في «معالم الطريق».

(٢٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت ١٩٦٥، ص ٢٠٤.

(٢٧) من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك، القاهرة ١٩٧٩، ص ٦٠–٦٥.

أمّا علي عبد الرازق فقد كان شرّ أعداء العروبة والقوميّة العربيّة والوحدة بين العرب. وهو لا يؤمن بعلاقة العروبة والإسلام، ولا بأنّ الإسلام جاء ليدعو إلى العروبة. بل يقول ويؤكد أنّه «ما كان الإسلامُ دعوةً عربيّة، ولا وحدةً عربيّة، ولا ديناً عربيًا. وما كان الإسلام ليعرف فضلاً لأمّةٍ على أمّة، ولا للغة على لغة، ولا لقطر على قطر، ولا لزمن على زمن، ولا لجيل على جيل، إلاّ بالتقوى»[٢٨].

٣٦ . والذين اعتبروا الوحدةَ العربيّة تقوم على اللغة العربيّة والدِّين الإسلامي، وقفوا تجاه تطوّر اللغة العربيّة، وضدَّ عالميّةِ الإسلام. فأحمد لطفي السيّد كان أشدّ الدعاة إلى «تمصير اللغة العربيّة»، أي إلى اعتبار اللغة المحكيّة لغة مصر الرسميّة. بها يتفاهم الشعب، وبها يؤدّي فرائض العبادة. وزكي نجيب محمود يهزأ بالعرب الرجعيّين السلَفيِّين، ويقول بلسانهم ساخراً بهم: «إنّنا نطالب بالعودة إلى السلف في الراديو الذي لم يصنعه السلف»[٢٩]. وهكذا.

٣٧ . إلاّ أنّ مواقف بعض الحكومات وسياساتها كانت أشدّ على العروبة من مواقف المفكّرين ونظرياتهم. فآية الله الخميني يهاجم صدّام حسين الذي يحارب إيران باسم القوميّة العربيّة. «قال الخميني في ١٨/ ٤/ ١٩٨٠، عندما التقى بممثّلي لجنة التعبئة الوطنيّة الإيرانيّة: "إنّ الحكومة العراقيّة ليست حكومة.. وإنّ على كافّة الشعوب المسلمة أن تعرف معنى هذا الكلام (الذي قاله صدّام حسين): "نحن عرب"، أي إنّنا لا نريد الإسلام. والعرب أرادوا، في وقتٍ ما، الوقوفَ في وجه الإسلام.. إنّ هؤلاء يريدون أن يُحيُوا عهدَ بني أميّة، كما يريدون العودة إلى ذلك العهد الجاهلي لتكون القوّةُ عربيّةً والنفوذُ للعرب»[٣٠].

والخميني يعني بذلك، مهاجمة صدام حسين، ومهاجمة العروبة التي قضى الإسلامُ عليها. وهذا ما يفسّر «أبرز نقاط الخلاف بين إيران والعراق (وهو)

---

(٢٨) الإسلام وأصول الحكم، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، القاهرة، مطبعة مصر، سنة ١٩٢٥، ص ٨١-١٠٣.

(٢٩) زكي محمود، «العقل العربي يتدهور»، مجلّة روز اليوسف ١١/نيسان / ابريل/ ١٩٧٧.

(٣٠) أنظر كتاب «الصراع العربي الفارسي، وبخاصة ص ٣٦.

الحطُّ من شأن القوميّة العربيّة، ومهاجمتُها، والتنديدُ بمبادئها، في حملاتٍ من الكراهيّة موسَّعة»(٣١). ولهذا السبب وقفتْ جميع الدول العربيّة إلى جانب العراق في حربٍ ضروسٍ دامت أكثر من سبع سنين.

٣٨ . وبقي للعروبة عدوٌّ خارجيٌّ، سمّاه العرب «الاستعمار»، وهو يتمثّل بكثيرين: الصهيونيّة، والانعزاليّة، والأمبرياليّة، والشيوعيّة، والعلمنة، وجمَلَ بعضُ المفكّرين أساليب الاستعمار هذه بالمحاولات «للفصل المفتعل» بين العرب(٣٢).

ومنذ القديم كان الاستعمار بشتّى ألوانه يعمل في هدم القوميّة العربيّة، وفي تقسيم الأمّة العربيّة. فمنذ «أهل الرِّدّة»، إلى «المردة»، إلى «الحركات الشعوبيّة»، و«الخرَّميَّة»، إلى «الدرزيّة»، و«النُّصَيريّة»، إلى «القرامطة» و«الاسماعيليّة»، إلى حكم «المماليك» و«المغول»، إلى«الحروب الصليبيّة»، إلى «الحكم العثماني»، إلى «عهد الانتداب»، إلى ألوان الاستعمار الحديث... كلّها كانت تعمل وتعمل أيضاً في تشتيت العروبة وتجزئتها..

٣٩ . ولم تنهضِ القوميَّة العربيّة إلاّ بعد أن « خاضَ المسيحيّون العربُ معركةَ القوميّة العربيّة.. وذلك لمقاومة التتريك من جهة، ومن جهة ثانية لمقاومة كلِّ محاولةٍ يقوم بها المرسَلون الكاثوليك الغربيّون لحملهم على تبنّي الطقوس والفرائض الدينيّة اللاّتينيّة.. وكان أكثر القائلين بالعروبة الأرثوذكس العرب، وذلك لتحكّم عائلاتِ الفنار اليونانيّة بهم منذ القرن السابع عشر. وقد فرض اليونانيّون سلطتَهم الكهنوتيّة على الكنيسة جمعاء »(٣٣).

٤٠ . وكان من روّاد هذه القوميّة العربيّة بطرس البستاني، الذي قال بكيان إسمه «العرب»، وبحضارة إسمها «الثقافة العربيّة». وجاء بعده إبراهيم

---

(٣١) المرجع السابق نفسه، ص ٣٣.

(٣٢) د. علي الدين هلال، في تعقيبه على منير شفيق، «موقف القوى الخارجيّة وتحرّكها في مواجهة العروبة والإسلام »، «في القوميّة العربيّة والإسلام»، ص ٧١٤.

(٣٣) ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ص ٣٢٦.

اليازجي الذي قال في قصيدة شهيرة: على العرب أن يتذكّروا عظمتهم الماضية وأن يستيقظوا. وله في «الجمعيّة السرّيّة» بيان بـ «العزّة العربيّة». ثمّ جاء جرجي زيدان، وكان من أكثر الذين عملوا على إحياء وعي العرب لماضيهم وحضارتهم. ثمّ جورج سمنه، وشكري غانم، وقسطنطين زريق الذي كتب، سنة ١٩٣٩، كتاباً عن «الوعي القومي»، وأدمون ربّاط القائل بـ «الوَحدة السوريّة والمصير العربي»، ولكنّه يعتقد بان ليس هناك أمّة سوريّة بل أمّة عربيّة.. وكثيرون آخرون.

٤١ . هذا وقد عبّر المغيرة بن زرارة ليزدجرد ملك الفرس بقوله: «وأمّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع؛ كُنّا نأكل الخنافسَ والجعلان والعقارب والحيّات، فنرى ذلك طعامَنا.. دينُنا أن يَقتلَ بعضُنا بعضاً، ويُغير بعضُنا على بعض. وإنْ كان أحدُنا لَيَدفنَ ابنتَه وهي حيّةٌ كراهيّةَ أن تأكلَ مِن طعامِنا»[٣٤]. وقال وات: «الجوع هو الذي دفع بالعرب على طرق الفتح»[٣٥].. ونحن نتساءل: هل يبقى الإسلام يعتمد على «جوع العرب»، إلى الأبد، لتتمّ له الفتوحات؟!. هل ذِلُّ العرب، الذي حذّر منه النبيّ في قوله: «إذا ذُلَّ العربُ ذُلَّ الإسلام»، يَعني حقّا ذِلَّ الإسلام بذلِّ العرب!

٤٢ . إنّ أحداثَ التاريخ العربي، منذ استئثار الفرس والترك بدولة بني العبّاس، ومنذ نشاط الشعوبيّة والبابكية والخرّميّة والمزدكيّة والزرادشتيّة والقرمطيّة والكرديّة واليزيديّة والنُّصَيريّة والدرزيّة، حيث وُضعتْ كتبٌ في «مثالب العرب»[٣٦]، وحيث قيل «العربي بمنزلة الكلب، إطرح له كسرةً ثمّ اضربْ رأسَه بالدبّوس»[٣٧]، وحيث أنشد أبو النوّاس: «ليسَ الأعاريبُ عندَ اللّهِ مِن أَحَدِ»[٣٨]؛ وأبو العتاهية هاجياً مَن يدّعي نسبَه العربي: «أنتَ عندي عَربيٌّ ليس في ذاكَ كلام/عربيٌّ عربيٌّ والسلام/شَعَرُ أجفانِكَ قيصومٌ وشِيحٌ وثمام».

---

(٣٤) تاريخ الطبري، ٣/ ٤٩٩، وأيضاً: ٤/ ١٤٢، ٣/ ٥٧٤.

(٣٥) مونتجومري وات، محمّد في مكّة، ص ٢٠.

(٣٦) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٤/ ٤٤٨-٤٤٩.

(٣٧) تاريخ الطبري، ١٠/ ٣٦٧.

(٣٨) أبو النّواس يتهكّم بالعرب ويستفزّهم ويسخر بهم.

منذ ذلك الحين أصبحت العروبة على الإسلام ذلاً ومهانة، تشدّ به إلى الوراء. وقد تحقّقت نبوّة النبيّ وحذرُه من «ذلّ العرب». وهكذا جاء في «الحكمة» الدرزيّة: إنّ «العرب وقد كثر فيهم الغدرُ وقلّة الوفاء بالذمامات، وقد أذلّوا جارَهم بعد العزّ، وخانوا في الرفائق والأمانات. وأهل الديانة منهم أيضًا قليل»[٣٩]. وهل مَن يتجاهل فصولاً بكاملها عن ذلّ العرب في مقدّمة ابن خلدون؟! وهل أيضاً مِن قهرٍ لم يحصل لهم منذ عهود الفرس والترك والصليبيّين والعثمانيّين والفرنسيّين والسوفيات والأميركان والإسرائيليّين!!! هل هذا كلّه يعني ذلّ الإسلام!

٤٣ . الحق يقال: إنّ العروبة، كما كانت من قبل، وكما وصلت إليه اليوم، لا تستطيع اللحاقَ بالإسلام بحالٍ من الأحوال، ولا تستطيع استيعابَه. «الإسلام يتخطّى أيَّ حاجزٍ قوميٍّ أو وطنيٍّ أو دوليّ. العروبة تيّارٌ قوميٌّ سياسيٌّ لا يمكن أن "يستوعب" الإسلام (الأدنى لا يستوعب الأعلى)، ويشمل جميعَ مسلمي العالم»[٤٠].

٤٤ . ثمّ ماذا يعني، اليوم، القولُ بـ «القوميّة العربيّة»، و«الوحدة العربيّة»، و«العالم العربي»، و«الوطن العربي»؟! هل هذا يعني وجود جنسٍ عربي له هويّته وإثنيّته ولغته وعصبيّته وأصالـتُه! وقد رأينا نفي ذلك بألفِ دليل ودليل. أم يعني وحدة الدِّين والعقيدة المتمثّلة بالإسلام! وقد بيّنّا براءة الإسلام من أثواب العروبة، وأثبتْنا «هِجْرَتَه» منها هجرةً أبديّة. أم يعني أيضاً حيلةً عند بعض المسلمين لاصطياد غيرِ المسلمين إلى الإسلام بطريقة غير مباشرة! وقد انكشفتِ الحيلةُ منذ أن حيكتْ خيوطُها. أم يعني أخيرًا حنيناً دفيناً كامناً في النفس البشريّة، كالحنين إلى مرحلة الطفولة، يرغب الإنسان أحياناً العودةَ إليها لما فيها من بساطةٍ وبداوةٍ وحياة بدائيّةٍ تستفيق مدّةً بعد مدّة، فينعم بعض العائدين إليها ولو لبرهةٍ من زمنٍ يسير! ولكنّ مدّةَ هذا الزمن طالتْ حتى باتتْ مرضاً شفاؤه عسير.

---

(٣٩) رسائل الحكمة، ٦٨/ ٥٤٩.

(٤٠) أمين ناجي، لن نعيش ذمّيّين...، ص ٩١.

٤٥ . ثمّ أيضًا ماذا يعني قولُ أحدِ العروبيّين المصريّين على أنّ «القوميّة العربيّة تمتاز عن القوميّات الأخرى بعلوّ مكانتها الروحيّة في تكوينها. ذلك لأنّ الأديان السماويّة السائدة اليوم -الإسلام والمسيحيّة- نزلت في بقاعها.. ولا أعدو الحقيقة إذا قلت: إنّ هذه القيم الروحيّة هي التي ستكفل النصرَ للقوميّة العربيّة في كلّ المبادئ»(٤١) !

نقول: إنّ النداء إلى إنشاء القوميّة العربيّة يعني ما يلي:

١ - قوقعة الإسلام، رغم عالميّته، في قوميّة ضيقّة، وفي بيئةٍ خاصّة؛

٢ - وتبريراً للاستعمار، الذي، بدل أن يكون إمبرياليًا،يصبح عربيًا؛

٣ - وعدم احترام المساواة بين أمم الأرض وشعوبها؛

٤ - وتبرئة اليهوديّة في انتسابها إلى الله كـ «شعب مختار»، خصّه الله بما لم يخصّ به أيَّ شعبٍ من شعوب الأرض، فيكون وحده، من بينها جميعها، محظوظاً، وتكون هي مرذولةً محتقرَة؛

٥- ويعني أخيراً العودة، ضمناً، إلى عهد الفتوحات، واقتلاع أمم وحضارات، واحتلال أرض باسم الله، واستمراء أموال البشر بـ «أخذ المغانم»، واستمتاع المجاهدين بنساء الشعوب، وأخذهنّ سبايا.. وما إلى ذلك.

٤٦ . وأخيراً نسأل ونحن نجاري منطق القوميّين العروبيّين أنفسهم، لماذا يُحاربون الصهيونيّة، اليوم! أليست لأنّها قامتْ بقوميّةٍ يهوديّة على أرضٍ ليست لها؟ ولماذا يُحاربون الاستعمار في كلّ وجوهه! أليس أيضًا لأنّه يحتلّ أرضًا ليست له؟ ولماذا قامت قيامة اللبنانيّين، بالأمس، على الدولة العثمانيّة، أليس لأنّ تركيا ابتلعتْ أقواماً آخرين دون الاعتراف بحقٍّ وجودهم وحريّتهم؟.. ألا يكون الشيء نفسه بالنسبة إلى القوميّة العربيّة التي تُفرَض على جماعاتٍ تأباها وترفضها إذ هي لا تنتمي إليها، ولا تقرّ بوجودها، في التاريخ؟

---

(٤١) محمد عبد الله العربي، ديمقراطية القومية العربيّة، ص ٢٦/

٤٧ . إنّ أفضل حجّة يقدّمها القوميّون العرب للقوميّة الصهيونيّة هو القول بالقوميّة العربيّة. وأفضل دليل على قيام القوميّة الصهيونيّة على أرض ليست لها هو القول بقيام قوميّة عربيّة على أراضٍ وفي أوطان ليست لها. فكيف يجيز القوميّون القول بالقوميّة العربيّة على أرضِ مصر والسودان والمغرب والجزائر وموريتانيا والصومال، وسوريا ولبنان والأردن والعراق وفلسطين، ولا يجيزون القولَ بالقوميّة الصهيونيّة على أرض يهوده والسامره وجبل صهيون!!

٤٨ . ونقول أخيراً : على أيّة عروبة يتكلّم العروبيّون اليوم؟ أعلى عروبة سكّان غربيِّ الفرات المسيحيّة المتحضّرة، التي تبنّاها الإسلام وأخذ عنها ومنها؟ أم على عروبة الأعراب والبدو التي هجرها الإسلام؟ أم على عروبة الجوع والفقر والتخلّف التي زحفت مع الإسلام من مكّة والحجاز إلى بلاد الشام والهلال الخصيب؟ أم على تلك العروبة التي اصطدمت بجبال سنجار وجبال لبنان وجبال طوروس، وحضارات ما بين النهرين... حيث منع الأكرادُ والفينيقيّون والمغول والأشوريّون والسريان والأرمن دخولها إليهم؟!

٤٩ . أللّهم يبقي واحدة: إذا كانت العروبة حنيناً إلى البداوة وحياةِ الطفولة، فالعالم كلُّه عرب. أمّا إذا كانت العروبة نمطَ حياةٍ دائم، فليس من إنسانٍ واحدٍ يطيب له الرجوعُ إليها. إنّ الذين يحنّون إلى أيّام الطفولة يحقّ لهم العودة إلى عروبتهم والافتخار بها. غير أنّ العودة بعد « الهجرة» إلى زمن العروبة هي طعنة في صدر الإسلام وذبحةٌ في قلب النبيِّ. وأمّا قول النبيّ: «أُحِبُّ العربَ لثلاث: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، ولسان أهل الجنّة في الجنّة عربيّ»[٤٢]. فهو موضوع.

العُرْس : لغةً: العُرْس: الزفاف، يذكّر ويؤنّث؛ وقيل: إسم لطعام العرس؛ والعَرُوس: وصف للذكر والأنثى ما داما في إعراسهما؛ وأعْرَسَ الرجلُ بامرأته: إذا دخل بها. والعِرْس: امرأة الرجل، والجمع: أعراس. و **الزِّفاف** : إهداء الزوجة إلى زوجها، يقال: زفَّ النساءُ العروسَ إلى زوجها. والعرس أعمّ من الزفاف.

---

(٤٢) أخرجه الحاكم ٤/٨٧، من حديث ابن عبّاس؛ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٥٢.

ذهب جمهورُ الفقهاء إلى أنّ صاحبَ النسوة، إذا تزوّج امرأةً جديدة وأعرسها، قطعَ الدَّوْر، وأقام عندها سبعاً إن كانت بكراً، وثلاثاً إن كانت ثيّباً. وتكون السبع والثلاث متتاليات، ولا يقضيها لزوجاته الباقيات. ثمّ يعود للدَّوْر بين زوجاته، لما ورد عن أنَس قال: «من السنّة، إذا تزوّج الرجلُ البكرَ على الثيّب أقام عندها سبعاً وقسم. وإذا تزوّج الثيّبَ على البكر أقام عندها ثلاثاً ثمّ قسم»[١].

العَرْش : في القرآن آية تسمّى آية العرش: «الرّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوَى» (٢٠/ ٥). أهل السنّة والجماعة يعنون بذلك: أنّ اللّه علا على العرش؛ ورفضوا تأويل المعتزلة، لأنّه لا يوجد مَن غالبَ اللّهَ على عرشه حتّى يُقال إنّ اللّه استولى على العرش منه.

والعرش هو أعلى المخلوقات، محيط بها من جميع جهاتها، وهو سقفها وفوقها.. والكرسي فوق الأفلاك جميعها؛ والعرش فوق الكرسي محيط بالجميع، وهو أعلى الجميع من كلّ جهة، كما قال: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرضَ» (٢/ ٢٥٥)، وقوله: «واللّهُ مِن ورائهم مُحِيط» (٨٥/ ٢٠)[١].

العِرْض : يُقال: نقيّ العِرْض، أي: بريء من العيب؛ وفلان كريم العِرْض، أي: كريم الحسب. وجمْع العِرْض: أعراض، كما ورد في قول النبي: «إنّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا»[١]. مثله مثل: **الحَسَب**: هو الكرم والشرف الثابت في الآباء.. كفلت الشريعة الإسلاميّة المحافظة على الأعراض، وشرّعت لذلك الحدود والقصاص.. وقال الفقهاء: مَن وجدَ رجلاً يزني بامرأته فقتله، فلا قصاص عليه ولا دية، لقول عمر لمَن وجد رجلاً بين فخذَي امرأته فقتله: «إنْ عادوا فعُدْ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٩/ ٣١٤؛ مسلم ٢/ ١٠٨٤، من حديث أنس.

(١) راجع مادّة: العرش، د. محمد السيد الجليند، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٩٦٥.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ١/ ١٥٨، من حديث أبي بكرة.

(٢) المغني لابن قدامة ٨/ ٣٣٢.

العُرْف : خلاف النُّكر. وهو ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم، وما اعتادوا وساروا عليه من فعلٍ شاع بينهم، أو لفظٍ تعارفوا إطلاقَه على معنًى خاصٍّ لم يوضع له في اللّغة.. والعرف ما يَعرفه كلّ أحد؛ فيما العادة ما يتكرّر معاودتها مرّة بعد أخرى. والعرف من الأدلّة الشرعيّة عند الفقهاء. وإليه يحتكم في كثير من أحكام الفقه الفرعيّة. والأصل في اعتبار العُرف قوله: «خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلِين» (٧/ ١٩٩)[١].

عَرَفَة، أو **عَرَفَات** : ١ . جبل، شرقي مكّة، على بعد ١٠ كلم، في الطريق إلى الطائف.. حدوده ما جاوز وادي **عُرَنَة** إلى الجبال القابلة. وقد وُضعت الآن علامات حول أرض عرفة تبيّن حدودَها، ويجب على الحاجّ أن يتنبّه لها، لئلاّ يقع وقوفُه خارجَ عرفة، فيفوته الحجّ. وأمّا جبل الرحمة ففي وسط عرفات.

٢ . في هذا المكان تتم الشعائر الأساسيّة للحجّ. ومن ثمّ يدعى «جبل الرحمة» ولا يصحّ الحجّ بدون عَرَفة لقول الرسول: «الحجّ عَرَفة»[١]. يؤدّي إلى القمّة منه درجٌ حجريّ عريض، حيث يصير على الدرجة الستّين منصّة تضم المنبر الذي تلقى منه خطبة الحجّ المعتادة بعد ظهر يوم عرفة، أي التاسع من ذي الحجّة.

٣ . لا يُعرف على التحقيق أصل إسم «عرفة». ولكن الأخبار تقول إنّ آدم وحوّاء التقيا في هذا المكان مرّة أخرى بعد طردهما من الجنّة؛ و«تعارفا». ولم يرد ذكر «عرفات» في القرآن إلاّ مرّة واحدة، في قوله: «فإذا أَفَضْتُمْ (دفعتم) مِنْ عَرَفَاتٍ (بعد الوقوف بها) فاذْكُرُوا اللَّهَ (بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء) عندَ المَشْعَرِ الحَرَامِ (هو جبل في آخر المزدلفة» (٢/ ١٩٨).

العَرِم : سَدٌّ بناه السبئيّون في مأرب بين جبلَين لحجز المياه. تفرّق سكّان الجنوب إثر انهياره في القرن الثالث بعد الميلاد.

---

(١) راجع مادّة: العُرف، د. علي جمعة محمّد، م.إ.ع.، ٢٠٠٢؛ ص ٩٦٨-٩٦٩.

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٤٨٦، تحقيق دعّاس؛ الحاكم ١/ ٤٦٤، ط. دائرة المعارف العثمانيّة، من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلمي.

عُرَنَة : وادٍ بحذاء عرفات من جهة المزدلفة ومِنى ومكّة. وهي ليست من عرفة، ولا يجزئ الوقوف فيه.

عُرْوَة بن الزُّبَير (ت ٩٣هـ/ ٧١١م) : تابعي وأحد فقهاء المدينة السبعة. أخو عبدالله بن الزُّبَير.

عُرْوَة بن زَيْد الخَيْل (ت ٣٧هـ/ ٦٥٧م) : شاعر من قوّاد الفتوح. فتح الريّ (٢١هـ/ ٦٤٢م). شهد صفِّين مع عليّ.

عُرْوَة بن الوَرْد العَبْسيّ (ت نحو ٥٩٦م) : من شعراء الجاهليّة الصعاليك. قُتل في إحدى غزواته. له «ديوان» جمعه وشرحه ابن السكّيت.

عَزَّة كُثَيِّر (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م) : صاحبة الشاعر كُثَيِّر. عشقها فاشتهر بها واشتهرتْ به. توفّيت في مصر.

العُزَّى : صنم عبدتْه قريش في الجاهليّة إلى جانب اللاّت ومناة، وهو الزُّهَرَة. أمر النبيّ بسحقه بعد فتح مكّة، فسحقه خالد بن الوليد.

عِزْرائِيل : ملاك الموت عند اليهود والمسلمين. أحد الملائكة الأربعة الكبار: جبريل، وميكال، وإسرافيل. وأحياناً ينسب إليه مهمّة النفخ في الصُّور إيذاناً بحلول يوم الحساب، مثله في ذلك مثل إسرافيل. وهو ضخم، ذو جِرْم كونيّ هائل. عيّنه الله مَلاكاً للموت لما يتّصف به من قلّة الرحمة.. ومع أنّ عِزرائيل يحتفظ بقائمة بأسماء كلِّ البشر إلاّ أنّه لا يعلم ميعاد وفاة أي فرد.. وعندما يقترب أجلُ إنسانٍ ما فإنّ اللّهَ يُسقط ورقةً من الشجرة التي تحت عرشه ويكون مكتوباً عليها إسم الشخص الذي حانت منيّته، فيقرأ عِزرائيل الإسم، وينزع روحه من جسده بعد أربعين يوماً.

العَزْل : ١ . عن أبي سعيد الخدري قال: «أصَبْنا سبايا يومَ حُنين، فكنّا نلتمس فداءَهنّ. فسألنا رسولَ الله عن العزل. فقال: أصنعوا ما بدا لكم. فما قضى الله فهو كائن. وليس مِن كلِّ الماء يكون الولد». قال أبو سعيد الخدري: «وكانت

اليهود تزعم أنَّ العزل الموءودة الصغرى. فقال رسول اللّه : كذبتِ اليهود. ولو أراد اللّه أن يخلقه لم يستطع أحد أن يصرفه. وجاء: «لو أنّ الماء الذي يكون منه الولد أهرقتَه على صخرة لأخرج اللّهُ منها ولداً»... وفي مسلم: «العزل الوأد الخفي».

٢ . ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز عـزل السيِّد عن أَمَتِه مطلقاً، سواء أذنتْ بذلك أو لم تأذن، لأنّ الوطء حقُّه لا غير. وكذا إنجاب الولد، وليس ذلك حقًّا لها. أمّا العزل عن الزوجة الحرّة ففيه رأيان: الإباحة مطلقاً، أذنت الزوجة أم لم تأذن، وذلك لأنّ حقّها الاستمتاع دون الإنزال.. والإباحة بشرط إذنها، لقول عمر بن الخطّاب عن رسول اللّه، ﷺ، قال: «نهى رسول اللّه أن يعزل عن الحرّة إلاّ بإذنها»[٢].

٣ . أمّا العـزْل بمعنى التنحيـة عن الأمر أو العمل فـيقال في عـزل الإمام، والوزير، والقـاضي، والـوكـيل، والوصيّ، والمضـارب، والكفـيل، وناظر الوقف، والمريض عن الأصحّاء.. ولكلّ منها شروط في كتب الفقه.

العُزْلَة : قال السهروردي: الخلوة غير العزلة. فالخلوة من الأغيار، والعزلة من النفس وما تدعو إليه وما يُشغل عن اللّه. فـالخلوة كثيرة الوجود، والعزلة قليلة الوجود.. إلاّ أنّ المسلمـين احتجّـوا بأحاديث كثـيرة تدعوهم إلى المخـالطة بالناس، فـقال: «المؤمـن الذي يخالط الـناس ويصبـر على أذاهم، خـيـر من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصـبر على أذاهم»[١]. وقـالوا: إنّ المخالطة فـيهـا اكتسـاب الفـوائد، وشهود شعائر الإسلام، وتكثير سـواد المسلمين، وإيصال الخير إليهم، ولو بعيادة المرضى، وتشيـيع الجنائز، وإفشـاء السلام، والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البرّ والتقوى، وإعانة المحتاج، وحضور جماعاتهم، وغير ذلك.

قال الغـزالي: إن وجدتَ جليسـاً يذكّـرك اللّه رؤيته وسـيرته فـالزمه ولا تفارقـه، واغتنمه ولا تسـتحقـره. فإنّها غنيـمة المؤمن وضـالّة المؤمن. وتحقّق أنّ

---

(٢) أخرجه البيهقي ٧/ ٢٣١، ذكره ابن حجر في التلخيص ٣/ ١٨٨.

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٦٥؛ ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعيّة ٣/ ٤٧٦.

الجليس الصالح خير من الوحدة، وأنّ الوحدة خير من الجليس السوء[٢].. وينبغي للعبد، إذا آثر العزلة، أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامةَ الناس من شرّه؛ ولا يقصد سلامتَه من شرّ الخلق.. ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزيّة على أحد فهو متكبّر.

العَسْكَريّ (الحسَن بن عليّ الهادي) (ت٢٦٠هـ/٨٧٣ م) : وُلد بالمدينة. جاء مع والده إلى العراق. من أقواله : «من الفواقر التي تقصم الظهر: جارٌ إنْ رأى حسنةً أطفاها، وإنْ رأى سيّئةً أفشاها». «حبّ الأبرار للأبرار ثوابٌ للأبرار، وحبّ الفجّار للأبرار فضيلةٌ للأبرار، وبغض الفجّار للأبرار زينٌ للأبرار، وبغض الأبرار للفجّار خزيٌ على الفجّار». «مَن مدح غيرَ المستحقّ فقد قام مقام المتّهم». «لا يعرف النعمة إلاّ الشاكر. ولا يشكر النعمة إلاّ العارف». «إنّ للسخاء مقداراً، فإن زاد عليه فهو سرف؛ وللحزم مقداراً فإنْ زاد عليه فهو جبن؛ وللاقتصاد مقداراً فإنْ زاد عليه فهو بخل؛ وللشجاعة مقداراً فإنْ زاد عليه فهو تهوّر».

ليس للحسن العسْكري من الولد سوى ولد واحد، هو **محمّد**، وهو الحجّة المنتظر، الإمام الثاني عشر، خاتم الأئمّة. سمّمه المعتمد بن المتوكّل. وتوفّي بسامرّاء يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وعمره ٢٨ سنة.

العُسَيْلَة : لغةً: النطفة، أو ماء الرجل، أو حلاوة الجماع، تشبيه بالعسل للذّته. واصطلاحاً: كناية عن الجماع، وهو تغيّب حشَفَة الرجل في فرج المرأة. اتّفق الفقهاء على أنّ المطلَّقة ثلاثاً لا تحلّ لمن طلّقها حتّى تنكح زوجاً غيره. ثمّ يفارقها، لقوله: «فإنْ طَلَّقَها فلا تَحِلُّ له من بَعْدُ حتّى تَنكِحَ زوجاً غيرَه» (٢/ ٢٣٠). ويشترط الفقهاء في اعتبار النكاح الثاني الوطء في الفرج، لما روي عن عائشة «أنّ رفاعة تزوّج امرأةً ثمّ طلّقها، فتزوّجتْ آخر، فأتت النبيَّ، فذكرتْ له أنّه لا يأتيها، وأنّه ليس معه إلاّ مثل هدبة، فقال: لا. حتّى تذوقي عُسَيلَتَه، ويذوقَ عُسَيلَتَكِ»[١].

---

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٣٢.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٩/ ٤٦٤. وفي معنى «هدبة» قال ابن حجر: أرادتْ أنّ ذَكَرَه

العَشْرَةُ المُبَشَّرُونَ بِالجَنَّة : هم من أوائل الذين أسلموا من الصحابة: أبو بكر الصدّيق، عمر بن الخطّاب، عثمان بن عفّان، عليّ بن أبي طالب، طلحة بن عبيد اللّه، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقّاص، سعيد بن زيد، أبو عبيدة بن الجرّاح.

العُشُور : نوعان: أحدهما عشور الزكاة وهي ما يؤخذ في زكاة الزروع والثمار؛ والثاني: ما يُفرض على الكفّار في أموالهم المعدّة للتجارة. وسمّيت بذلك لكون المأخوذ عشراً. وكلا الجزية والعشور يجب على أهل الذمّة والحرب المستأمَنين، ويصرف كالفيء. والفرق بين العشور والجزية أنّ الجزية على الرؤوس وهي مقدار معلوم لا يتفاوت بحسب الشخص؛ أمّا العشور فعلى المال.

العِصْمَة : ١ . مَلَكة يودعها اللّه في الأنبياء والملائكة، تعصمهم من الوقوع في المحرّمات والمكروهات؛ أو هي مَلَكة إلهيّة تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها. فاللّهُ لا يُجبر إنساناً على ترك المعصية. ولو لم يكن هذا الإنسانُ قادراً على المعاصي، بل كان مجبوراً على الطاعات، لكان منافياً للتكليف، ولكان أدنى من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها. «إنّ المعصوم يفعل الواجب مع قدرته على ترْكه، ويترك المحرَّم مع قدرته على فعْله. ولكنّه، مع ذلك، لم يتركْ واجباً، ولم يفعل محرَّماً».

٢ . يقول أهل السنّة: إنّ العصمة ليست لأحدٍ غير الأنبياء، من قوله: «وما آتاكُمُ الرسولُ فخُذُوهُ، وما نهاكُمْ عنه فانتَهُوا» (٧/٥٩). ويقولون: الأنبياء محفوظون بعد النبوّة من الذنوب الظاهرة والباطنة؛ لأنّ اللّه أمر الأمم بالاقتداء برسلهم فقال: «لَقَد كانَ لكمْ فِيهم أُسْوةٌ حسَنَةٌ لمن كان يَرجو اللّهَ واليومَ الآخِرَ» (٦٠/٦؛ ٣٣/٢١).

يشبه الهدبة في الاسترخاء وعدم الانتشار. والانتشار، في قول ابن عابدين،يحصل به إيلاج كيلا يكون بمنزلة إدخال خرقة في المحلّ. وفي قول الشربيني الخطيب: المعتبر الانتشار بالفعل، أي: لو أدخل السليمُ ذَكَرَه بأصبعه بلا انتشار لم يحلّ...

٣ . أمّا الشيعة فيقولون بعصمة الأنبياء والأئمّة أيضاً:

١ - لأنّ نصوص الشريعة جامدة لا حراك فيها؛ وإنّما تحيا بتطبيقها والعمل بها. وإذا لم تكن الشريعة مجسّدة في شخص القائم عليها، لم يتحقّق الغرض المقصود منها. لذا قال عليّ: «ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق»(١).

٢ - ثمّ إنّ الرسول المعصوم لا يوصي إلاّ لمعصومٍ مثله. وكما أنّ مهمّة الرسول تحتاج إلى عصمة، كذلك مهمّة الإمام، التي تحتاج إلى عصمة.

٣ - ثمّ لا بدّ من «وجود إنسانٍ كاملٍ عارفٍ بالشريعة، أصولها وفروعها، عالمٍ بالقرآن، واقفٍ على الشبهات، قائمٍ على الصراط السويّ ليَرجعَ إليه مَن تقدَّم على الصراط ومَن تأخَّر عنه. وهذا يقتضي كون الإمام معصوماً بعصمة اللّه»(٢).

٤ - ثمّ «من المحال في حقّ اللّه أن يُترك الدين، من بعد الرسول، يتنازعه أهلُ الأهواء، ويذهبون به مذاهب شتّى، ممّا يؤدّي في النهاية إلى ضلال الأمّة. وضلال الأمّة يقتضي إرسال رسول جديد. ولكنّ الرسالات قد خُتمت بمحمّد. إذاً لا بدّ من أن يكون هناك عاصم للأمّة تتوافر فيه مؤهّلات الرسول ليقوم بمهمّته من بعده. وفي مقدّمة هذه المؤهلات العصمة»(٣).

٥ - ثمّ لو انتفتِ العصمة، لما حصل الوثوق بالشرائع. وإذا جوّزنا على المبلِّغ الكذبَ وسائرَ المعاصي، فكيف نعتمد، والحال هذه، على أقواله؟!. قال المجلسي: «لا يمكن نسبة الإمامة إلى مَن ارتكب حراماً، صغيراً كان أم كبيراً، إنْ تاب بعد ذلك. فإنّ الأمر بإقامة الحدّ لا يمكن أن يأمر به مَن وجب إقامةُ الحدِّ عليه. فعلى ذلك وجب حتماً أن يكون الإمام معصوماً. والتوبةُ غير واردة عند الأئمّة»(٤).

---

(١) محمّد جواد مغنيّة، الشيعة في الميزان، دار التعارف للمطبوعات بيروت ط ٤،ص ٣٨-٤٠.

(٢) الشيخ جعفر السبحاني، معالم النبوّة، عن الورداني، ص ١٦٦.

(٣) صالح الورداني، عقائد السنّة وعقائد الشيعة، التقارب والتباعد، ألغدير للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤) رَ: الزنجاني، عقائد، ٤١-٤٣.

٦ – ثمّ يعتمد الشيعة على قول الله لإبراهيم: «إنّي جاعِلُكَ للناسِ إمَاماً. قالَ: وَمَن ذُرِّيَّتي. قالَ: لا ينَالُ عهدِي الظالِمين» (٢/ ١٢٤)، لإثبات عصمة الأئمّة، الذين هم امتداد لذرّيّة إبراهيم؛

وعلى قوله للمؤمنين: «يَا أيُّها الذينَ آمَنوا! أطيعُوا اللَّهَ وَأطيعُوا الرَّسولَ وأُولِي الأمْرِ مِنكُم» (٤/ ٥٩). يقول الشيخ الوائلي: «إنّ "أُولِي الأمْرِ" الواجب طاعتهم يجب أن تكون أوامرهم موافقة لأحكام الله لتجب لهم هذه الطاعة. ولا يتسنّى هذا إلاّ بعصمتهم»[٥].

وعلى قوله: «إنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تَطهيراً» (٣٣/ ٣٣). يقول الشيخ السبحاني: استدلّت الشيعة الإماميّة عن بكرة أبيها بهذه الآية على عصمة آل البيت الذين نزلت هذه الآية في حقّهم[٦].

وهناك حديث وارد عن الرسول يفيد ثبوت العصمة لآل البيت. وهذا النصّ النبويّ هو حديث الثَّقلَين[٧]. فهذا النصّ قد قرَنَ الكتابَ بالعترة الطاهرة. وربْطُ العترة بالكتاب دليلٌ على عصمة العترة أئمّة آل البيت. فما دام الكتاب معصوماً فلا بدّ من أن تكون العترة المقرونة به معصومةً أيضاً، إذ ليس من المقبول عقلاً أن يربط الرسولُ بالقرآن فئةً غيرَ جديرةٍ بهذا الارتباط، وليست على مستواه»[٨].

---

(٥) الشيخ الوائلي، هويّة التشيّع. ويقول السيد شبر: هذا القول في الآية المذكورة «دلّ على وجوب إطاعة أولي الأمر كإطاعة الرسول. ولهذا لم يفصل بينهما بالفعل "أطيعوا" لكمال الاتّحاد والمجانسة، بخلاف إطاعة الله وإطاعة الرسول، إذ، لمّا كان بين الخالق والمخلوق كمال المباينة فصَلَ بالفعل "أطيعوا". ومن المعلوم أنّ اللّهَ سبحانه لا يأمر المؤمنين بإطاعة كلِّ ذي أمر وحكم، لأنّ فيهم الفسّاق والظلمة ومَن يأمر بمعصية الله تعالى. فيجب أن يكون "أولي الأمر" الذين أمرَ اللّهُ بطاعتهم مثْلَ النبيّ في عدم صدور الخطأ والنسيان والكذب والمعاصي. ومثل هذا لا يكون منصوباً إلاّ من قِبل الله تعالى العالمِ بالسرائر كما في النبي» (السيّد شبر، حقّ اليقين في أصول الدين، ج ٢).

(٦) الشيخ السبحاني، معالم النبوّة.

(٧) رواه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده.

(٨) صالح الورداني، عقائد السنّة وعقائد الشيعة، التقارب والتباعد، الغدير، ص ١٧١–١٧٦.

لقد قال الرسـول أيضاً : «عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع علي. يدور معه كيفما دار». وكذلك قال: «مَن أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدَني ربّي، فليتولَّ عليًا وذرّيّته من بعده. فإنّهم لن يُخرجوكم من بابِ هدى، ولن يُدخلوكم في بابِ ضلالة»[٩].

هذه الأحاديث تقطع بعصمة علي وذرّيّته من بعده. إذ لا يمكن أن يكون الحقُّ مع علي، ويدور معه؛ ولا يمكن أن يأمرَ النبيُّ الناس بأن يتولّوا عليًا وذرّيته من بعده؛ كما لا يمكن أخيراً أن يتولّى عليٌّ وذرّيّته خلاصَ الناس وهدايتَهم إنْ لم يكونوا معصومين عن الخطأ والخطيئة.

٤ . وبالنتيجة لا بدّ من معصوم وإلاّ استمرّ الخلاف بين الناس إلى يوم القيامة. وإذا كان وجود الكتاب والسنّة لا يرفع الاختلاف من بين العلماء وقادة الدِّين، فلا بدّ من وجود مرجع لا يخطئ أبداً يلجأون إليه، ويتحاكمون لديه، لبيان المخطئ من المصيب. ولا أحد ينبغي الرجوع إليه في بيان الحقّ الذي لا ريب فيه إلاّ النبيّ، أو مَن يقوم مقامه، ويتولّى منصبه إذا غاب.

العِصْمَة و **عَقْدُ النِّكَاح** : أو رباط الزوجيّة يُحلّه الزوج متى شاء، ومنه قوله: «وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ» (٦٠/ ١٠)، أي لا تتمسّكوا بعقود نكاحهنّ.. والعصمة بيد الزوج.. وللزوج أن ينقل العصمة إلى المرأة إذا اشترطت ذلك وقَبِل هذا الشرط منها.. أو يفوّضها في طلاق نفسها منه متى شاءت.

العَضْل : ١ . في اللغة: من عضل الرجل حرمتَه عضْلاً، أي: منعها التزويج. وعضل المرأةَ عن الزوج: حبسها. وعضل بهم المكان: ضاق. وأعضل الأمر: اشتدّ. ومنه: داء عضال، أي: شديد.

٢ . استعمل الفقهاء العضْل في النكاح :

١ – بمعنى: منع التزويج. جاء في القرآن : «وإذا طَلَّقْتُمُ النِساءَ فَبَلَغْنَ

---

(٩) رواه صاحب كنز العمّال من السنّة، وغيره من المحدِّثين.

أَجَلَهُنَّ (أي انقضتْ عدّتُهنّ)، فلا تَعْضُلُوهُنَّ (أي تمنعوهنّ من) أن يَنْكِحْنَ أزْواجَهُنَّ (المطلِّقين لهنّ) إذا تَرَاضَوا (أي الأزواج والنسـاء) بينَهُمْ بالمَعْروفِ» (٢/ ٢٣٢). إلاّ أنّه يباح عضل الوليّ إذا كان لمصلحة المرأة، كأن تطلب النكاح من غير كفء، فيمتنع عن تزويجها لمصلحتها.

٢ – وبمعنى: الإضـرار بالزوجة، بـالضرب، والتـضيـيق عليـها، وسـوء عشرتها، ومنعها من حقوقها من النفقة والقَسم، ونحو ذلك، لتفتدي نفسها منه بما أعطاها من مَهـر. قال تعالى مـخاطباً الأزواج: «ولا تَعْـضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَـعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ» (٤/ ١٩). فالخلْع باطل والعوض مـردود؛ إلاّ في حالة إتيانها الفاحشة، لقوله: «ولا تَعْضُلُوهُنَّ.. إلاّ أن يَأتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» (٤/ ١٩).

٣. فمن منعـها وليُّـها الزواجَ من دون سببٍ مـشروع، رفـعتْ أمرَها إلى القاضي. فإذا اقتنع القاضي برأي الولـيّ أيّده في ما ذهب إليه، ومنعها من الزواج؛ وإن لم يقـتنع، زوَّجَهـا القاضي من دون مـوافقة وليّـها.. لأنّ القـاضي يمثّل وليّ الأمر. وهو وليُّ مَن لا وليّ له، ووليّ مَن كان وليُّه ظالماً.

عَطَاء بن أبي رَبَاح (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م) : من مـشـاهيـر التـابعين. تولّى الإفتاء في مكّة.

العَطّار (فريد الدين) (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م) : شاعر صوفي فارسي كبير. قتله المغـول في نيسابـور. كان صيدلـيًا وطبيـباً. أشهـر كتبـه «منطق الطير»، أي مقامات الطيور، وهي تفصيل شعري رائع لرسالات الطير المنسوبة لمحمّد أو لأحمد الغزالي؛ و«تذكرة الأولياء» في سير العرفاء والمتصوّفة.

العِفّة : ١. هي ترك الشهـوات من كلّ شيء.. ويندرج تحت العفّة فـضائل كثيرة عند مسكويه، منها: الحياء، والـدعة، والصبر، والسخاء، والحرّيّة، والقناعة، والدماثة، والانتظام، وحسن الهدي، والوقار، والورع[1]. والعفّة تشمل كفّ اللسان

---

(١) راجع جمـيل صليبا، المعـجم الفلسفي، ٢/ ٨١؛ د. محـمود حمـدي زقزوق، مقـدّمة في علم

عن الأعراض، وضبط الفـرج عن الحرام، وسدّ حاجات البطن بمـا يكفيه من المأكل والمشرب، وغضّ الطرف عن إثارة الشهوات. وكـان النبي يقول: «أحبُّ العفافِ إلى اللّهِ عـفافُ الـفرْج والبطن»؛ ويقـول: «اللّهمّ! إنّي أســألك الهـدى والتـقى والعفّـة والغنى»(٢).

٢ . و«العفّة ليـست القضاء على الشهـوات والرغبات، وإنّما الاعـتلاء بها، وتهذيبها، وفرض رقابة العقل عليها»(٣).

٣ . أمر اللّه بالعـفّة في قوله: «وَلْـيَسْتَعْـفِفِ الذينَ لا يَجِدُونَ نِكاحـاً حتّى يُغْنِيهم اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ» (٢٤/٣٣). وأرشد النبيّ إلى الوسائل التي تعين على العفّة، فأمر القادرين على مـؤنة النكاح بالتزويج، فقال: «يا معشـر الشباب! مَن استطاع منكم الباءة فليـتزوّجْ. فإنّه أغضّ للبصـر وأحصن للفرْج»(٤)؛ وأمر غيـرَ القادرين بالتعفّف بالاستـعانة بالصوم لكسر الشهوة، فقال: «ومَن لم يجـدْ فعليه بالصوم. فإنّه له وجاء»(٥)، أي وقاية.

العَفْو : الإسقاط والتجـاوز، ومنه قوله: «وَاعْفُ عَنَّا» (٢/٢٨٦). وحكمه: إن كان الحقّ للعبد فإنّــه يستحبّ العفو عنه؛ وإن كان حقّا للّه، كـالحدود مثلاً، فإنّه لا يجوز العفـو عنه بعد رفْع الأمر إلى الحاكم؛ وإن كان الحقّ للّه في غـير الحدود، فإنّه يقبل العفـو في الجملة للأسباب التي يعتبرها الشـارع مؤدّية إلى ذلك تفضّلاً منه ورحمةً ورفعاً للحرج.

العَقَـبَة : موضـع في طريق مكّة على مقـربة من مِنى. فـيه «**الجَمرة**»، أو العـمود الذي يرجـمه الحجّـاج. عنده صـارت البيعـةُ الأولى، أي:«**بَيعـة النساء**»،

الأخلاق، دار الفكر العربي، ط ٤؛ ص ١٥٥.

(٢) رواه أحمد عن عبد اللّه بن مسعود.

(٣) د. زقزوق، مـقدّمـة في علم الأخلاق، ص ١٥٦؛ العـفّة، هيـئة التـحرير، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ٩٧٥-٩٧٦.

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/١١٩؛ مسلم ٢/١٠١٨.

(٥) المرجع السابق نفسه.

والبيعةُ الثانية، أي: «**بَيعة الحرب**».

عُـقبَـة بن نافِع (ت ٦٣هـ/٦٨٣م) : فـاتِح من كبـار قادة المسلمين. غـزا إفريقية. بنى القَيروان وجامعَها. حارب البربر. قُتل على خدود الصحراء.

العَقْد : في اللغة: الربط والشدّ والضمان والعـهد، منه قوله تعالى: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! أَوْفُوا بالعقود» (٥/١)، وقوله: «ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ» (٢/٢٣٥)، أي: إحكامـه. والمعـنى: لا تعـزمـوا على عـقـدة النـكاح في زمـان العـدّة[1].. وفي الاصطلاح يُطلق العقد على كلّ ما يعقده الشـخص أن يفعله هو، أو يعقد على غيره فـعلَه على وجـهِ إلزامِـه إيّاه. وعلى ذلك فـيـسمّى الـبيع والنـكاح وسائر عـقـود المعاوضات عـقوداً، لأنّ كلّ واحد من طرفَي العقـد ألزم نفسَه الوفاءَ به.. فـي العقد يُلزم الشـخص نفسَه ما لم يكن لازماً عليه من قبل.

العُقْم : اليبس المانع من قبول الأثر. والعقيم: الذي لا يولد له. قال تعالى عن زوجة إبراهيم: «وقَـالَتْ: عَجُوزٌ عَقِـيمٌ» (٥١/٢٩).. اتّفق الفقهاء على أنّه يُسـتحبّ لمريد النكاح أن ينكح ولوداً بـكراً، لأنّ النسل من أهمّ مقـاصد الشـارع في الزواج، والنسل من أعظم نعم اللّه على الناس. وحثّ النبيّ على تعاطي أسـباب الولد، فقال: «تزوّجوا الولودَ الودودَ. فإنّي مكاثر بكم الأمم يومَ القيامة»[2].

العُقُوبَة و **العِقَاب** : في اللغة: أن تجزي الرجل بما فـعل من السوء، كما في قـوله تعالى: «وإنْ عـاقَـبْتُم فـعَـاقِبـوا بمثلِ مـا عُـوقِبـتم به» (١٦/١٢٦).. وفي الاصطلاح: هي الألم الذي يلحـق الإنسان مـسـتحـقّـا على الجناية، وهي أيضـاً: الضرب والقطع ونحوهمـا. سمّي بها لأنّها تتلو الذنب، مِن تعقَّبَـه: إذا تبعه. وفرّق بعضهم بين العقوبة وبين **العِقاب**: بأنّ ما يلحق الإنسان إن كـان في الدنيا يُقال له: العقـوبة؛ وإن كان في الآخرة يُقـال له: العِقاب.. وبين العـقوبة و**الجَزاء**. يُستـعمل

---

(١) تفسير القرطبي ٣/١٩٢.

(٢) أخـرجه أحـمد ٣/١٥٨، ط. الميـمنيّة، وابـن حبـان في صحـيحـه، الإحسـان ٩/٣٣٨، ط. الرسالة، من حديث أنس؛ أورده الهيثمي في المجمع ٤/٢٥٢، ط. دار السعادة.

الجزاء في الخير والشرّ سواء؛ أمّا العقوبة فتستعمل بالأخذ بالسوء.. وبين العقوبة و**العَذاب**: العذاب يُستعمل في كلّ عقوبة مؤلمة. أمّا الفرق بين العذاب والعقاب هو: أنّ العقاب ينبئ عن الاستحقاق؛ وسمّي بذلك لأنّ الفاعل يستحقّه عقيب فعلِه؛ أمّا العذاب فيجوز أن يكون مستحقًا وغير مستحقّ.

العَقِيقَة : شاةٌ تُذبح للتقرّب إلى اللّه وشكره على إنعامه على الوالدَين بالمولود، وعلى المولود بنعمة الحياة. تباح العقيقة، عند الحنفيّة، في سابع الولادة. عندها يذكر الفقهاء: تسمية المولود، وحلْق رأسه، وما يُقال في أُذُنَيه، وتحنيكه، وختانه، والتهنئة بمولده.. العقيقة «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة»[١].

عَقِيْل بن أبي طَالِب (ت ٦٠هـ/ ٦٨٠م) : أخو عليّ. صحابيّ. عالِم بالأنساب.

عُكَاظ : من أسواق العرب ومواسمهم السنويّة في الجاهليّة. كانت تجتمع بها القبائل فيُقيمون شهراً يتفاخرون، فيتبارى الشعراء بأحدث ما نظموا.

عِكْرِمة بن أبي جَهْل (ت ١٣هـ/ ٦٣٤م) : صحابيّ قُرَشيّ مَخزوميّ. قاتلَ مُسَيلمة الكذّاب بحروب الرِّدَّة. قُتل في اليرموك.

العَلاء بن الحَضرَميّ (ت ٢١هـ/ ٦٤٢م) : صحابيّ من رجال الفتوح. ولاّه النّبيّ البحرَين. غزا شواطئ فارس.

العَلاّف (راجع مادّة : **أبو الهُذَيل العَلاّف**).

العَلانِيَّة : من الإعلان، وهو إظهار الشيء، ومنه قوله تعالى: «أعْلَنتُ لهم وأسْرَرتُ لهم إسْراراً» (٧١/ ٩)؛ مثله: **الجَهْر**، يقال: جهر بالقراءة، أي: رفع صوتَه بها. وهو أخصّ من العلانيّة. وضدّه: **السِرّ** وهو الحديث المكتوم في النفس، ومنه قوله تعالى: «وإنْ تَجْهَر بالقولِ فإنّه يَعلَمُ السِرَّ وأَخْفَى» (٢٠/ ٧).

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ٩٧، حديث أم كرز، حديث حسن صحيح.

العَلَقَة : في اللغة: هو الدم الجامد الغليظ لتعلّق بعضه ببعض. والقطعة منه عَلَقَة. وفي القرآن: «ثمَّ خَـلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً» (٢٣/ ١٤). قال الفيـومي: العَلَقَة: المنيّ ينتقل بعد طوره فيصير دماً غليظاً متجـمِّداً؛ ثمّ ينتقل طوراً آخر فيصير لحماً وهو **المُضْغَة**[٢]. والعَلَقة تخلّق من **النُّطْفَة** التي هي ماء الرجل والمرأة، لقـوله تعالى: «ألَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى» (٧٥/٣٧)؛ ثمّ إنّ العلاقة بين العَلَقة و**المُضْغَة** هي أنّ العلقة تخلق منهـا المضغة التي هـي، في اللغة: القطعـة من اللحم قدر ما يمـضغ. جاء في القرآن: «فإنّا خلقناكم مِن ترابٍ ثمّ من نُطْفَةٍ ثمّ مـن عَلَقَةٍ ثمّ من مُضْغَةٍ» (٢٢/ ٥)؛ «ثمّ خلَقْنا النُطْفَةَ عَلَقَةً، فخَلَقْنا العَلَقةَ مُضْغَةً، فخَلقنا المُضغَةَ عظاماً» (٢٣/ ١٤).

عَلْقَمَـة الفَحْل (ت نحو ٥٩٨م) : شاعـر جاهليّ. مدح المناذرة في الحِـيرة، والحارث الغسّانيّ. له ديوان شعر.

العِلّة : لغة: تُطلق على المرض، وتُطلق على السبب.

١ . **السَبَب** : في اللغـة: الحَـبْل، وهو مـا يتوصّـل به إلى الاستـعـلاء. ثمّ استعير لكلّ شيء يُتـوصَّل به إلى أمرٍ من الأمور. وفي الاصطلاح: هو ما يلزم من وجوده الوجـود، ومن عدمـه العدم بالنـظر إلى ذاته، كالزوال مـثلاً، فـإنّ الشرع وضعـه سبـباً لدخـول وقت الظُّهْـر. والفرق بين العلّة والسـبب هو أن السبـب ما يحصل الشيء عنده لا به؛ والعلّة ما يحصل به. والمعلول يتأثّر عن علّته بلا واسطة بينهـما، ولا شـرط يتـوقّف الحكم على وجـوده؛ والسبب إنّمـا يفـضي إلى الحكم بواسطة..

٢ . وأمّا **الشّرْط** فهو ما يلزم من عدمـه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته. والفرق بين العلّة والشرط: أنّ الشرط مناسبـته في غيره، كالوضوء بالنسبة للصلاة؛ والعلّة مناسبتها في نفسها، كالنصاب في وجوب الزّكاة..

٣ . وأمّا **المانِع** فهـو الحائل الذي مـا يلزم من وجوده العـدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته.

---

(٢) المطباح المنير.

العِلْم : ١ . في اللغـة: يطلق على المعـرفـة والشـعور والإتقـان واليـقين.. واصطلاحاً: هو حصول صورة الشيء في العـقل.. والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك.. أمّا **الجَهْل** فهو نقـيض العلم، وهو اعتقاد الشيء على خـلاف ما هو عليه. وأمّا **المَعْرِفة** فهي إدراك الشيء على ما هو عليه، بحاسّة من الحواسّ الخمس. وهو مسبوقة بجَهْل، بخلاف العِلم. ولذلك يُسمّى اللّه بالعَالِم دون العارِف.

٢ . طلبُ العلم في الإسلام فريضة على كلّ مسلم ومسلمة. وتحدّث القرآن في أكثر من ٨٥٠ موضعاً عن العلم والعلماء. فمن ذلك قوله: «شهد اللّهُ أنّه لا إله إلاّ اللّه، هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط» (٣/١٨)، فجمع اللّه إلى ذاته الجليلة الملائكة والعلماء.

٣ . والعلم سـرُّ تفضـيلِ آدم على الملائكة، وسـبب تكريمه بسجـودهم له، وسبب استخلافه في الأرض، حيث قال: «وعلّم آدم الأسماءَ كلَّها، ثمّ عرضهم على الملائكة، فقال: أنبئوني بأسمـاء هؤلاء إنْ كنتم صادقين. قالوا: سبحانك! لا علم لنا إلاّ ما علّمتَنا. إنّك أنتَ العليم الحكيم» (٢/٣١-٣٢).

٤ . والعلم أوّل مـا بدأ به الوحي رسولَ اللّه في غـار حِراء. قـال: «... إقرأ وربّك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسانَ ما لم يعلم» (٩٦/٣-٥). ويبيّن اللّه أنّ أهلَ العلم هم أهل خشْيته ومحبّته، فقال: «إنّما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ» (٣٥/ ٢٨)، ويرفعـهم في جنّاته إلى أعلى الدرجـات: «يرفع اللّهُ الذينَ آمنوا منكم والذين أوتوا العِلم درجات» (٥٨/١١). وقد أمر اللّه عبـادَه بطلب العلم والبحث عنه فقال: «فاسألوا أهلَ الذِّكر إنْ كنتم لا تعلمون» (٢١/٧).

٥ . وفي السنّة النبويّة أحاديث كـثيرة تتحدّث عن وجـوب طلب العلم، كما تتحدّث عن شـرف أهله، فقد عقد البـخاري في صحيحه كـتاباً للعلم ضمّ ٥٣ باباً، كان الباب الأوّل منها: باب فضل العلم.. واللّه لم يأمر نبيّه بطلب الازدياد من شيء إلاّ من العلم: «قل ربِّ! زدني علمـاً» (٢٠/١١٤). وقد أخرج مـسلم عن أبي هُريرة عن الرسول: «مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل اللّهُ له طريقاً إلى الجنّة».

عِلْمُ الحَدِيْث : هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبيّ من قول أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفة خلقيّة وخُلُقيّة نقلاً دقيقاً محرَّراً؛ وكذلك يقوم أيضاً على نقل ما أُضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم.

ويقوم أيضاً على معرفة أحوال السند والمتن التي يتوصّل بها إلى معرفة الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وما يتّصل بذلك من شروط الرواية، ومعرفة الرواة وأحوالهم، وتواريخ ولادتهم ووفاتهم، وجرحهم وتعديلهم، والناسخ والمنسوخ، ومختلف الحديث وغريبه.

ويقول الحازمي: «علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة، كلّ نوع منها علم مستقلّ. لو أنفق الطالبُ فيه عمرَه ما أدرك نهايته»[1].

عِلْمُ الفِقْه : هو الفهم والعلم بالأحكام الشرعيّة العمليّة؛ فيما **الشريعة** هي الأحكام التي سنّها اللّه لعباده على لسان رسولٍ من الرسل.. وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج إلى النظر والتأمّل. ويشمل جميعَ نواحي الحياة الدينيّة والسياسيّة والمدنيّة، كما يشمل أحكام الأسرة والمواريث والملكيّة والتعاقد؛ كما يشمل القانون الجنائي والإجراءات والقانون الدستوري والتنظيمات لإدارة الدولة.

وممّا أثرى الفقهَ الإسلامي وأغناه ظهورُ العديد من المذاهب. أهمّها : الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، والجعفري، والزيدي، والظاهري، والإباضي. كما أنّ هناك مذاهب أخرى أقلّ انتشاراً، منها: مذهب الأوزاعي، ومذهب اللّيث بن سعد.. إلاّ أنّ القوانين الوضعيّة، في الوقت الراهن، احتلّت مكانة الفقه في ميدان التشريع. وهذا ما لا يقبل به مسلمون أصوليّون.

عِلْمُ الكَلَام : ١ . عرّفه ابن خلدون بأنّه «علمٌ يتضمّن الحِجاج عن العقائد الإيمانيّة بالأدلّة العقليّة، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة».

---

(١) تدريب الراوي، تحقيق عبد الوهّاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١/ ٥٣.

٢ . وقد سمّي عبر التاريخ بأسماء مختلفة:

١ – «أصول الدين»، وهو ما يقوم عليه الدين من مسائل أساسيّة، كالإيمان بوجود اللّه، ووحدانيّته، وكتبه ورسله، واليوم الآخِر، وغير ذلك؛ أمّا ما يتعلّق بالأمور العمليّة فيقوم بها «علم الفقه».

٢ – «علم التوحيد»، نسبة إلى أهم مسألة فيه. ولهذا ألّف علماء كثيرون كتباً في التوحيد، كأساسٍ للعقائد الإسلاميّة جميعها، مثل كتاب «التوحيد» لابن تيميّة، و«التوحيد» للماتريدي، وكتاب «التوحيد» للشيخ حسين والي، و«رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده..

٣ – «علم العقيدة»، بسبب اهتمامه بالعقائد التي يقوم عليها الإسلام؛ فيما «علم الشريعة» يهتمّ بالأمور العمليّة .

٤ – وأخيراً: «علم الكلام»، وهو أشهر هذه الأسماء وأكثرها استعمالاً. سمّي بذلك لأنّ أشهر مسائله هو البحث في كلام اللّه، هل هو قديم أم محدث.

٣ . يتناول علم الكلام هذا:

١ – الإلهيّات، أي كلّ ما يخصّ اللّه: وجوده، وحدانيّته، صفاته، أفعاله؛

٢ – والنبوّات، أي الوحي، والكتب المنزلة، والأنبياء والرسل وما يتّصفون به من صدق وعصمة، وقدوة؛

٣ – والسمعيّات، أي كلّ ما ورد في القرآن والسنّة من معتقدات، كالملائكة والجنّ، والروح، والكرسي، والعرش، واللّوح، والقلم، والإيمان بالقدر، وبعث الموتى، وأحوال المعاد، والصراط، والميزان، والحوض، والبرزخ، والشفاعة، والجنّة، والنار، وما إلى ذلك.

٤ . وكذلك أيضاً يتناول علم الكلام مسائل عقائديّة كبيرة، مثل:

١ – فاعل الكبيرة: هل هو مسلم، أم كافر، أم هو في منزلة بين منزلتَين؛

٢ – القدر، ونفي الصفات الإلهيّة، والحسن والقبح، والصلاح والأصلح، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى ما هنالك من أمور فلسفيّة دينيّة، تناولهتا النزاعات الأولى بين المسلمين.

٣ – ومسائل الإمامة، ومسؤوليّة المرء عن أفعاله، ومسألة طبيعة القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق، ومسألة الصفات الإلهيّة، وعلاقتها بالذات الإلهيّة؛ فكانت فرق دينيّة عديدة، أمثال: الخوارج والمرجئة والمعتزلة ثم الأشاعرة فالماتريديّة، ثمّ الشيعة وغيرهم.

العَلَوِيُّون : (أطلب مادّة: **النصيريّون**).

عَلِيٌّ بن أبِي طَالِب (ت٤٠هـ/٦٦١م) : **١** . رابع الخلفاء الرّاشدين، وأوّل الأئمّة الشيعة. وُلد في البيت الحرام، بمكّة، بعد مولد النبيّ، بـ ٣٠ عاماً. ولم يولد في الكعبة أحدٌ سواه، لا قبله ولا بعده[1]. هو ربيب النبيّ وابن عمّه وصهره على ابنته فاطمة، التي تزوّجها بعد هجرتها إلى المدينة. كان أوّل من أسلم من الفتيان. لم يسجد لصنم. ومن هنا خصّ بتعبير «كرَّمَ اللّهُ وجهَهُ».

٢ . عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول ا للّه كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «أللّهمّ! تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي، وأكرم الناس عليّ، فأَحِبَّ مَن أَحبَّهم وأَبغِضْ مَن أبغضهم، ووالِ مَن والاهم، وعادِ مَن عاداهم، وأَعِنْ مَن أعانهم، واجعلْهم مطهَّرين من كل دنس، معصومين من كلّ ذنب. وأيدّهم بروح القدس منك».

٣ . وكان لعليّ من فاطمة : الحَسن المجتبى، والحُسين السبط، ومُحسن السقط بين الباب والجدار، وزينب الكبرى عقيلة بني هاشم المدفونة في دمشق، وأمّ كلثوم، التي تزوّجها عمر بن الخطّاب، والتي ماتت بعد موت أبيها بـ٩٥ يوماً. وقُبضت في ٣ جمادى الآخرة

(١) إبراهيم الزنجاني، **عقائد الإماميّة الإثني عشريّة**، مؤسّسة الأعلمي، ص ١٢٩.

٤ . ويكنّى علـيّ أبا الحَـسَنَين، وأبا السـبطَين، وأبا تُـراب. وهذا أحبّ كناه إليه، لكون النبيّ كنّاه بها حين رآه ساجداً معفّراً وجهَه في التراب. و«قيل في سبب هذه الكنية إنّ النبيّ قال له: يا علي! أوّل مَن ينفض التـرابَ، يومَ القيامة، عن رأسه، أنت». كان أوّلَ من آمن به واتّبَعه وصدَّقه.

٥ . من أبطال معارك بَدْر وأُحد وخيـبر والخندق وحُنين. بويع له بعد مقتل عُثمان. أنهى عصيان البصرة في معركة الجَمَل. رضي بالتحكيم بعد معركة صِفِّين فثار عليه الخوارج. اغتاله خارجيّ.

٦ . يُعتـبر صـاحب المدرسة الأولى في الإسـلام التي انبـثق منها مـجرى ثقافي عريض. جمعتْ كلماته في «نَهج البلاغة».

٧ . قُبض عليّ في الثلث الأوّل من ليلة الجمعة، ٢١ من شـهر رمضـان، سنة ٤٠هـ، بالكوفة، أي: ٢١/١/٦٦١ م. مات شهيـداً من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المراديّ اليمنيّ الخارجيّ. وقـد كمن له في المسجد الأعظم، فـضربه على رأسه في أثناء صلاة الفجر.

٨ . ويقول أنصار «النـصّ الجليّ»: «إنّ عليّا، قبل أن يُستشـهد، سلّم نجلَه الإمام الحسن الكتابَ والسـلاح. وقال له في محضـر أهل البيت وكبـار الشيعة: إي بُنَيّ! أمَرَني رسولُ اللّه أن أعهد بالوصيّـة إليك، وأودعك الكتابَ والسلاح، كما فعل رسول اللّه معي. وأمـرني بأن أوصيكَ إذا دنا أجلك: تسلّمهمـا لأخيك الحُسين. ثمّ التفتَ إلى الحـسين، فقال: أوصـاك رسـول اللّه أن تجعل وديعة الإمـامة عند ولدك عليّ. وأوصى أن يودعها عليّ عند ولده محمّد الباقر»[٢].

٩ . لمّا قُبض عليّ غسله الحسن والحسين. ومـحمّد بن الحنفيّة يصبّ الماء. ثمّ كُفّن وصلّى عليـه ابنه الحسن. ثمّ حمله الحسنان ومـحمّد وعبد اللّه بن جـعفر وخواصّـه إلى نجف الكوفة. ودفنوه هناك ليـلاً. وعفوا مـوضع قبره بوصـيّة منه

---

(٢) **موسوعة الفرق الإسلاميّة**، د.محمّد جواد مشكور، مادّة «**الإثناعشريّة**»،ص ٨٠.

خوفَ الخوارج وبني أميّة أن ينبشوه. ولم يزل قبره مـخفيًا لا يعلمه أحد غير بنيه وخواص شيعته، حتّى دلّ عليه الإمام جعفر الصادق.

عَلِيٌّ بن الحُسَيْن (زين العابدين) (ت ٩٥هـ/٧١٣م) : **١ .** ولد بالمدينة في خلافة جدّه أمـير المؤمنين. وكان عمره يوم واقعة كـربلاء ٢٣ سنة. وبقي بعد أبيه ٣٤ سنة. كان يُدعى زين العابدين، والسجّاد. شهـد وقعة كربلاء مع أبيه الحسين. وحال بين اشتراكه في الحرب مرضُـه. وأُسر وسُبي. ولمّا لم يطق الركوب والثبات فوق ظهر الجمل لشدّة مـرضه، قيِّد بالحبال، ووضعت الجامـعة في رقبته، وجيء به على هذه الحالة، وأُدخل مع السبايا من عيـالات الحسين إلى مجلس عبيد اللّه بن زياد في الكوفة، ثمّ مجلس يزيد بن معاوية في الشام.

٢ . له «الصحـيفة السـجّاديّة» التي تجمع أدعـيتَه وابتـهالاته. وهي ألواح خالدة من البـلاغة والحكمة والفلسـفة ومعرفـة اللّه. جاء فيهـا هذا الدعاء المأثور: «اللّهمّ! أعتذرُ إليكَ من مظلومٍ ظُلِم بحضـرتي فلم أنصرْه، ومِن معروفٍ أُسدِي إليّ فلم أشكرْه، ومِن مُـسيءٍ اعتـذرَ إليّ فلم أعذره، ومِن ذي فـاقة سـألني فلم أوثره، ومِن حقٍّ ذي حقٍّ لزمَني فلم أوفره، ومِن عيبِ مؤمنٍ ظهر لي فلم أسترْه»[1].

٣ . له : ١٥ ولداً: ١١ ذكراً، و٤ بنات. منهم: الإمام **محمّد الباقر** الذي خلفه في الإمـامة، و**زَيد** الذي تنتـسب إليه فـرقة الزيديّة التي لا تزال في اليـمن. سمّـه الوليد بن عبد الملك فمات بسمّه. ودفن بالبقيع مع عمّه الحسن.

عَلِيٌّ الرِّضَـا (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) : الإمـام الثـامن للإثني عـشـريّة. وُلد بالمدينة. شاء المأمـون أن يبايعه على الخلافـة. وزوّجه ابنته أمّ حبـيبة. روي أنّ له ابناً واحداً هو الإمام **محمّد التّقيّ**. وقيل خمسة ذكور وبنتاً واحدة... مات مسموماً بالعنب والرمـان اللذين قدّمـهـما له المأمـون. قُبض آخـر صفـر بطُوس مِن أرض خراسـان، وهو ابن ٥٥ سنة. ودفن في القبّة التي فيها قبر هارون الرشيد.

---

(١) الزنجاني، **عقائد الإماميّة**، بيروت، ص ١٥٨-١٦٣.

عَلِيٌّ الهَادِي (ت ٢٥٤هـ/٨٦٨ م) : الإمام العاشر للشيعة الإثني عشريّة. وُلد بقريةٍ من نواحي المدينة. يلقّب بالهادي والعسكري. وهذا اللّقب الأخير يشترك فيه هو وابنه الحسن، لأنّ المحلّة التي سكناها بسامرّاء كانت تسمّى عسكراً. طلبه المتوكّلُ، الخليفةُ العباسي، من المدينة إلى سامرّاء وهو في سنّ العشرين. والسبب هو أنّ لعلي مقاماً رفيعاً بالمدينة، إذ كان الناسُ يميلون إليه، فخاف منه. فدعا المتوكّل بقائدٍ من قوّاده، وهو يحيى بن هرثمة، وكتب معه كتاباً لطيفاً إلى علي الهادي، وأمره أن يسير إلى المدينة، وأن يُحضر الإمام.

جاء يحيى المدينة، فوجد الهادي ساجداً مصلّياً، وفتّش منزله فلم يجد سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم.. فلمّا دخل به على المتوكّل أخبره بحسن سيرته وورعه. فأكرمه المتوكّل.. وطلب منه أن يشاركه في الشراب. فأبى. وطلب منه إنشاد الشعر. فأنشد. فبكى المتوكّل حتّى بلّت لحيتَه دموعُ عينيه. وبكى الحاضرون وصرفه مكرَّماً.

من أقواله : «مَن رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه». «الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال». «خيرٌ مِن الخير فاعله. وأجمل من الجميل قائله. وأرجحُ من العلم حامله. وشرٌّ من الشرِّ جالبُه. وأهول من الهول راكبه».

له : أربعة ذكور وبنت واحدة. منهم: **الحسن** الإمام ١١. سمّه المعتمد فمات.. ودفن في داره بسامراء، وعمره ٤١ سنة وستّة أشهر[1].

عمّار بن ياسِر (ت ٣٧هـ/٦٥٧م) : من السابقين الأوّلين، هاجر الهجرتَين إلى الحبشة والمدينة، وصلّى القبلتين، وشهد بدراً وأُحداً، وبيعةَ الرضوان، وجميعَ المشاهد مع رسول اللّه. أسلم وأخوه عبداللّه، وأبوه ياسر، وأمّه سميّة حين كان المسلمون مستضعَفين في مكّة. وربطت قريش سميّة بين بعيرَين، وطعنها أبو جهل في قلبها، فقتلها، وهي تأبى إلاّ الإسلام. وقتلوا زوجَها ياسراً. فكانا أوّل شهيدَين

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٢١٠-٢١٤.

في الإسلام. مدحه النبيّ بقوله: «عمّار جلدة بين عينَي»، وقولِه: «ويحَ عمّار تقتله الفئةُ الباغية. يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار».

قال عمّار يوم البيعة لأبي بكر: "يا معشر قريش! ويا معشر المسلمين! إنّ أهلَ بيت نبيّكم أولى به، وأحقّ بأثره، وأقوم بأمور الدين، وأحفظ لملّته، وأنصح لأمّته. فردّوا الحقَّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم، ويضعف أمركم، ويظهر شتاتكم، وتعظم الفتنة بكم، ويطمع فيكم عدوّكم. فقد علمتم أنّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعليٌّ أقرب إلى نبيّكم، وهو من بينكم وليّكم بعهد الله ورسوله". حضر عمّار حربَ الجمل وصِفّين مع عليّ. واستشهد في صفّين عن عمر ٩٣ سنة.

عُمَر بن أبِي رَبِيْعَة (راجع: **ابن أبي ربيعة**).

عُمَر بن الخَطّاب (ت ٢٣هـ/ ٦٤٤م): ١. ثاني الخلفاء الراشدين. قام بدور كبير في تأسيس الدولة الإسلاميّة بعد وفاة أبي بكر الصدّيق.. لقد عادى عمر الإسلامَ معاداة شديدة في بداية الأمر. لكنّه، بعد أن أسلم، تحوّل إلى الطرف النقيض، فراح يدافع عن الإسلام بالشدّة نفسها.

٢. أسلم عمر وهو في السادسة والعشرين من عمره، على أثر استماعه لبعض آيات من القرآن كانت تُتلى في بيت أختِه فاطمة التي كانت قد أسلمتْ مع زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. وأصبح الإسلام، بفضل عمر، مرهوب الجانب. ويصوّر ذلك خيرَ تصوير قول عبدالله بن مسعود: «كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرتُه نصراً، وكانت إمارتُه رحمة. ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلّي في البيت حتّى أسلم عمر. فلمّا أسلم عمر قاتلهم حتّى تركونا. فصلّينا».

٣. نزل القرآن مؤيِّداً رأيَ عمر، أو مبادراته التشريعيّة، كالأمر بحجاب أمّهات المؤمنين (ر: ٣٣/ ٥٣)، وقتْل أسرى يوم بدْر.. وكان له دور مهمّ في تأييد أبي بكر الصدّيق في تولّي الخلافة بعد وفاة رسول الله...

٤. ولمّا انتقلت الخلافة إليه واصل فتح الأمبراطوريّتَين الساسانيّة والبيزنطيّة، بقيادة عَمرو بن العاص، وأبي عُبيدة بن الجرّاح، ويزيد بن أبي

سفيان، وخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقّاص.. وكان حريصاً على عدم تعيين كبار الصحابة خوفاً من ازدياد نفوذهم ممّا يهدّد بانقسام الدولة الإسلاميّة.

٥ . تميّز عمر بما يلي:

١ – بويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر بعهدٍ منه؛

٢ – في أيّامه تمّ فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة؛

٣ – ولاّه أبو بكر القضاء. فكان أوّل قاضٍ في الإسلام. ولم يأته مدّة ولايته للقضاء متخاصمان؛

٤ – قطع العطاء عن المؤلّفة قلوبهم بعد أن قوي الإسلام؛

٥ – أخضع أراضي البلاد المفتوحة عنوة للخراج، ولم يقسمها بين الغانمين؛

٦ – أوّل من دوّن الدواوين لإحصاء الأعطيات وتوزيع المرتّبات لأصحابها وفقاً لسوابقهم في الإسلام؛

٧ – ردّ سبايا أهل الردّة إلى عشائرهم؛

٨ – ضرب في الخمر ثمانين جلدّة، وحرّم زواج المتعة، ونهى عن بيع أمّهات الأولاد؛

٩ – أرّخ بالهجرة؛

١٠ – أوّل مَن سمّي أمير المؤمنين؛

١١ – وضع التنظيمات الخاصّة بأهل الذمّة، وبيت المال، ونظام القضاء؛

١٢ – ويبدو أنّه كان ينوي تعيين أبي عبيدة خلفاً له، لكنّ أبا عبيدة مات سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م. ولم يفكّر عمر في تعيين اسم مَن يخلفه حتّى فوجئ بطعنة أبي لؤلؤة فيروز العبد المجوسي الذي يمتلكه المغيرة بن شعبة والي البصرة.

٦ . عيّن ستّة أشخاص قبل أن يموت، وهم: علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن بن عَوف، ليختاروا له خلَفاً. ثمّ ذهب إلى لقاء ربِّه،

وله في كتب الحديث ٥٣٩ حـديثاً. وكانت مدّة خلافـته عشر سنين وستّـة أشهر.. وكان رسول الله يقول: «لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر».

٧. وبينما ينسب التـراث السنّي إلى عمر كلَّ فضيلة من فـضائل الإسلام، فإنّ بعض الشـيعة لا يخـفون كراهيّـتهم له لحجـبه حقَّ عليّ في الخـلافة؛ مع أنّه تزوّج أمّ كلثوم بنت عليّ.

عُمَر بن سَـعْد بن أَبِي وَقّاص (ت ٦٦هـ/ ٦٨٦م) : قائد جيش يزيد الأوّل. قَتل الحسين في كربلاء. قُتل في الكوفة.

عُمَـر بن عَبْـد العَزِيز (ت ١٠١هـ/ ٧٢٠م) : الخليـفة الأموي الثـامن. ولد بمصر. ثم سافر إلى المدينة ليتأدّب بآداب أهلهـا. وظلّ بها حتّى وفاة والده، فأخذه عمّـه الخليفة الأمـوي عبد الملك إلى دمـشق، وزوّجه من ابنتـه فاطمة. وبعـد وفاة الخليفة عُيّن مكانه. وكان تقيًا ورعاً متقشّفاً متسامحاً مع رعيّته ومع أهل الكتاب.

وكـان أوّل ما عـمله أن أبطلَ سبَّ علـي بن أبي طالب. ثمّ عـمل على تطوير التنظيـمـات الإداريّة التـي وضـعهـا عـمـر بن الخـطّاب. خلت فـتـرة حكمـه من الاضطرابات. مـات ودفن بالقرب مـن حلب. وخلفه ابن عـمّـه يزيد بن عبـد الملك. واعتـبر عمر الخليـفةَ الراشد الخامس. واحـترمت كلُّ الأطراف المتصارعـة ذكراه حتّى إنّ العبّاسيّين أشادوا بذكره، ولم ينبشوا قبره بعد نجاح حركتهم.

عُمَرُ الخَـيَّام (ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م) : عالم وشاعر فـارسيّ رقيق. ساهم في إصلاح الحساب السنويّ الفارسي ١٠٧٤. له: «مُـشكلات الحساب»، و«الجبر والمُقابَلَة». وله في الشعر «الرُّباعيّات»، نُقلت إلى أكثـر اللغات الحيّة، وعرَّبها شعراً الشاعر أحمد رامي، ووديع البستاني وأحمـد الصافي النجفي. وقد بدا فيها شاعر القلق والتشاؤم. وهي، في كلّ حال، مـثار اختلاف بين الدارسين، بين أن تدعو إلى التبتّل أو على النقيض من ذلك؛ وبين أن تكون كأسـاً وشكًا، أي: خمراً وضياعاً في بيداء الحياة. وهي، في مجملها، دعوة إلى اليأس والسخريّة..

عِمْرَان : إسم لرجلين في التاريخ : ذُكر عُمران الأوّل في الكتاب المقدّس ولم يُذكر في القرآن؛ أمّا الثاني، عِمران، فذُكر في القرآن ولم يأت في الكتاب المقدّس. الأوّل هو عُمران أبو موسى وهارون وأختهما مريم (ر: خروج ٦/ ٢٠).. وعِمران الثاني، كما ورد في القرآن (٣/ ٣١-٣٥؛ ١٩/ ١٢) هو أبو مريم أمّ المسيح عيسى.

العُمْرَة : ١ . لغةً: الزيارة؛ واصطلاحاً: **الطواف** بالبيت، و**السعي** بين الصفا والمروة، بـ**إحرام**. هذه هي أركان العمرة، وزاد الشافعيّة ركناً رابعاً هو: **الحلْق**. وهي، في العمر مرّة واحدة، وسنّة مؤكّدة وفرضٌ واجب، وذلك من قول القرآن: «وأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْـرَةَ للَّهِ» (٢/ ١٩٦). ووردت في فضل العمرة أحاديث كثيرة، منها: ما رواه أبو هُريرة عن رسول اللّه أنّه قال: «العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنّة»[1].

٢ . تؤدّى العمرة على ثلاثة أوجه :

١ - إفراد العمرة، أي يأتي بأعمال العمرة في غير أشهر الحجّ، أو دون أن يتبعها بحجّ في أشهر الحجّ، أو يحجّ ثمّ يعتمر بعد الحجّ؛

٢ - التمتّع، أي يحرم بالعمرة في أشهر الحجّ، ويأتي بأعمالها، ويتحلّل، ثمّ يحجّ، فيكون متمتّعاً بأداء نسكَين في سفرٍ واحد؛

٣ - القِرَان، وهو أن يحرم بالعمرة والحجّ معاً في إحرام واحد، فيأتي بأفعالهما مجتمعَين.. ويظلّ محرماً حتّى يتحلّل بأعمال يوم النحر.

٣ . مَن أراد العمرة فإنّه يستعدّ للإحرام بالعمرة متى بلغ الميقات، أو اقترب منه إن كان آفاقيًا. أمّا إن كان مكّيًا، أو حرميًا، أو مقيماً، أو نازلاً في مكّة، أو في منطقة الحرم حول مكّة، فإنّه يخرج من الحرم إلى أقرب مناطق الحلّ إليه.

٤ . عليه أن يفعل ما يُسنّ له، وهو: الاغتسال، والتنظّف، وتطييب البدن، ثمّ يصلّي ركعتَين، ثمّ ينوي بعدهما العمرة، بنحو: «اللّهمّ! إنّي أريد العمرة. فيسّرها

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، ٣/ ٦٩٨.

لي. وتقبّلها منّي. إنّك أنت السميع العليم». ثـمّ يلبّي قائلاً: «لبّيكَ اللّهمّ لبّيك. لبّيك لا شريك لك لبّيك. إنّ الحمد والنعمة لك، والملك، لا شريك لك». وبهذا يُصبح محرماً، أي داخلاً في العمرة، وتحرّم عليه محظورات الإحرام. ويستمرّ يلبّي حتّى يدخل مكّة ويشرع في الطواف.

٥ . فإذا دخل المعتمرُ مكّةَ بادر إلى المسجد الحرام. وتوجّه إلى الكعبة بغاية الخشوع والاحترام. ويبدأ بالطواف من الحجر الأسود. فيطوف سبعة أشواط طواف ركن العمرة. فينويه. ويستلم الحجر في ابتداء الطواف. ويقبّله إنْ لمْ يخش الزحام، أو إيذاء أحد. ويكبّر. وإلاّ أشار إليه وكبّر. ويقطع التلبية باستلام الحجر في ابتداء الطواف، أو الإشارة إليه. وكلّما مرّ بالحجر استلمه وقبّله، أو أشار إليه.

٦ . ويُسنّ له **الاضطباع** في أشواط طوافه هذا كلّها. كما يسنّ للرجل **الرَمَل** في الأشواط الثلاثة الأولى، ويمشي في الباقي. وليكثر المعتمر من الدعاء والذكر في طوافه كلّه.

٧ . ثمّ إذا فرغ من طوافه يصلّي ركعتَي الطواف، ثم يرجع إلى الحجر الأسود، فيستلمه ويقبّله إن تيسّر ويكبّر، أو يشير إليه ويكبّر، ويذهب إلى الصفا، ويقرأ الآية: «إنّ الصفَا والمَروَة من شعائرِ اللّه. فمَن حجَّ البيتَ، أوِ اعتمر، فلا جُناحَ عليهِ أن يَطّوَّفَ بهما» (٢/١٥٨). ويبدأ السعي بين الصفا والمروة.. حتّى سبعة أشواط.. ثمّ إذا فرغ من سعيه حلق رأسه، أو قصّره، وتحلّل بذلك من إحرامه تحلّلاً كاملاً. ويمكث بمكّة حلالاً ما بدا له.

٨ . ثمّ عليه طواف الوداع إذا أراد السفر من مكّة.

عَمْرُو بن العَاص (ت ٤٣هـ/ ٦٦٤م) : صحابيّ. أسلم عام ٨هـ/ ٦٢٩م. لعب دوراً كبيراً في الإسلام. كان من أدهى الساسة في عصره.. يُقال إنّ إسلامه تمّ في الحبشة بتأثير من نجاشيّها المسيحي. أرسله النبيّ إلى عُمان ليفاوض حاكمَيها. فدخلا في الإسلام. ولكنّ عَمرو لم يتمكّن من رؤية الرسول مرّة أخرى حيث وصله نبأ وفاته وهو في عُمان. وكان ذلك سبباً لعودته إلى المدينة.

وفي عــام ١٢هـ/٦٣٣م أرسله أبو بكر عـلى رأس جـيش إلى فـلسطين، فنجح بمهمّتـه. ثم كان موجوداً في مـعركتَي أجنادين واليرمـوك. وكذلك عند فتح دمشق. وترجع شهرتـه الحقيقيّة إلى قيـامه بفتح مصر. ثمّ عيِّن واليـاً عليها وقام بتنظيم إدارتهـا وقـضائهـا والضـرائب. كمـا أسّس مـدينة الفـسطاط.. انضمّ في الصراع بين علي ومعاوية إلى جانب معـاوية. وهو الذي لجأ في معركة صفّين إلى حيلة ذكيّة، وهي رفعه المصــاحف على أسنّة الرماح. وهو أحد الحكَمَين في المعركة التي دارت لمصلحة معاوية. وظلّ عمرو والياً على مصر حتّى وفاته.

في ١٥ رمضـان ٤٠هـ/٦٦١م نجـا عَمرو من محاولة اغتـياله على يد أحد الخوارج الذين كانوا قد اتّفقوا على قتل كلٍّ من علي ومـعاوية وعَمرو. وكان عَمرو قد أصيب في هذا اليوم بوعكة اضطرّ معها لتـرك إمامة الصلاة لخارجة بن حذافة الذي أُصيب بطعنة قاتلة. ولذلك قيل: «أردتَ عمراً وأراد اللّهُ خارجة».

عَمْرو بن عُـبَيْد (أبو عثـمان) (ت ١٤٤هـ/٧٦١م) : زاهد مشهـور. شيخ المعـتـزلة في عـصـره. وُلد في بلخ وعـاش في البـصــرة. تتلمـذ على يد الحـسن البصــري، واختلف معه في مـوقفه من التـأويل العقلي للنصوص الدينيّـة، وخرج على نهجه في التفسير. تعـرّف على واصل بن عطاء وشاركه في تأسيس المعتزلة. قدّمه المنصور العبّاسيّ. ولمّا توفّي رثاه. اشتهر بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور وغيره. له رســائل وخطب وكتب، منها: «التـفسير»، و«الردّ على القـدريّة»، وكتاب «العدل والتوحيد».

يقول بنـفي القدَر، وإثبات الحـرّيّة، واستـحالة تكليف اللّه لـلإنسان بما لا يطيق. وكـان يقـول أيضــاً في مـرتكب الكبـائر بأنّه في منزلـة بين المنزلتين، وإنّ الإيمان ليس مجرّد التصديق بالقلب أو النـطق باللسان فحسب، وإنّما لا بدّ مع هذا من العمل؛ لأنّ الإيمان عنده اعتقاد وعمل.

عَمْرو بن كُلْثُوم (ت نحو٥٨٤م) : من زعماء تَغلِب. شاعر جاهليّ نصرانيّ من أصحاب المعلّقات. كان من أعزّ الناس نفـساً، وقتل الملك عَمرو بن هند دفاعاً عن

كرامة أمّه. شعره مرجع تاريخيّ إجتماعيّ. قويّ العاطفة. متين السبك. له «ديوان» ومعلّقة مطلعها: «ألا هبِّي بصحنِكِ فاصبحينا ولا تُبقي خمورَ الأندرينا».

عَمْرُو بن لُحَيّ: زعيم خزاعة. أدخل الأصنام إلى الكعبة نحو ٢٥٠م.

عَمْرُو بن مَعدِيكَرِب (ت ٢١هـ/ ٦٤١م) : شاعر فارس من شعراء الجاهليّة من أهل اليمن. أسلم وارتدّ ثمّ عاد. قُتل في حصار نهاوند.

العُمَرِيّ (إبن فضل الله) (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) : ولد بدمشق وعاش بها ثم وفد على القاهرة ودرس بها وتوفّي فيها دون أن يبلغ الخمسين من عمره. عني عناية خاصّة بالجغرافية الطبيعيّة والسياسيّة، أو الممالك وطبائعها وخواصّها، وتواريخ الأمم وأحوالها وعجائبها، والفلك والبلاغة والبيان والترسل.

له «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، وهو من أهم آثاره وأضخمها، موسوعة كبرى تملأ ٢٠ مجلّداً كبيراً. يقول لنا: «قطع فيه عمر الأيّام واللّيالي». تأثّر في وضعه بمثل سلفه العظيم النويري صاحب موسوعة «نهاية الأرب». وهي أوّل موسوعة من نوعها. غير أنّه يسبغ عليها صبغة جغرافيّة تاريخيّة؛ فيما النويري يسبغ على موسوعته صبغة علميّة أدبيّة تاريخيّة. وهو يقسمها إلى قسمين كبيرَين: الأوّل في الأرض؛ والثاني في سكّان الأرض.

وله أيضاً: كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» في الرسائل والقصائد والموشّحات وغيرها؛ و«نفحة الروض» في الأدب والبيان؛ و«صبابة المشتاق» في المدائح النبويّة؛ و«النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية».

ع.م.س. : كلمة يختصر بها النصيريّون أسماء الثالوث الإلهيّ عندهم، المؤلّف من: **عليّ ومحمّد وسَلمان** : **ع** هي عليّ بن أبي طالب، الذي هو المعنى، أي المعنى الإلهي؛ و **م** هي النبيّ محمّد، أي الإسم الذي به يُعرف المعنى؛ و **س** هي سَلمان الفارسي، أي الباب الذي به ندخل إلى الإسم ثمّ إلى المعنى.

العِنَايَةُ الإلَهِيَّة : ١ . هي تأثير الله في العالم وتوجيهه نحو غايات معيّنة بإرادته، وحفظه لنظامه. ووجود الكون والعالم الذي نعيش فيه على الوضع الذي

هو فيه ملائم لوجود الإنسان والحيوان والنبات، ممّا يبرهن على أنّ عناية الله تحيط بمخلوقاته: «إنّ جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان من قِبَل فاعلٍ قاصدٍ لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتّفاق.. ولذلك وجب على مَن أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامّة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات.. ولنسمِّ هذا دليل العناية»[1].

٢ . هذه العناية قرّرها القرآن في مثل قوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الأرضَ مِهَاداً (أي مبسوطة كالفراش)، وَالجِبَالَ أوتاداً (أي ثابتة كما تثبت الخيام بالأوتاد)، وَخَلَقْناكُم أزواجاً (ذكراً وأنثى)، وَجَعَلْنا نَوْمَكم سُباتاً (راحة لأبدانكم)، وَجَعَلْنا الليلَ لِبَاساً (أي سكَناً)، وَجَعَلْنا النّهارَ مَعاشاً (إي وقتاً للمَعاش)، وَبَنَينا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً (أي سماوات قويّة)، وَجَعَلْنا سِراجاً وهّاجاً (يعني الشمس)، وَأَنْزَلْنا من المُعْصِراتِ (السحاب) ماءً ثَجّاجاً (صباباً)، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً ونَبَاتاً، وَجَنّاتٍ أَلْفَافاً (بساتين ملتفّة الأشجار لكثافتها) (٧٨/٦-١٦؛ ر: ٢٥/٦١؛ ٨٠/٢٤؛ إلخ.).

العَنَت : في اللغة: الخطأ، والمشقّة، والهلاك، والإثم، والزنا. يقال: أعْنَتَه إذا أوقعه في العنت أي المشقّة، لقوله تعالى: «ولو شاء اللّهُ لأعْنَتَكم» (٢/٢٢٠)، أي: لو شاء لشدّد عليكم بما يصعب عليكم أداؤه، ومنه قوله تعالى في أوصاف النبي: «لقد جاءَكم رسولٌ من أنفسِكم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم» (٩/١٢٨)، أي: شديد عليه ما يشقّ عليكم، ويعزّ عليه مشقّتُكم.

فأصل العَنَت: الشدّة والمشقّة؛ ثمّ استعمل في الهلاك والفساد والزنا والفجور. وبهذا فسّروا قوله تعالى: «ذلك لمن خشي العَنَتَ منكم» (٤/٢٥)، أي: نكاح الأمة لمن خشي العنت (الزنا) ولم يجد طولاً لنكاح الحرّة.. ومع ذلك فالصبر عن نكاح الأمَة خير وأفضل، لقوله تعالى: «وأن تصبروا خيرٌ لكم» (٤/٢٥).

عَنْتَرَة بن شَدّاد العَبْسِيّ (ت ٦١٥م) : من مشاهير شعراء الجاهليّة وفُرسانها. من أصحاب المعلّقات. اشتهر ببطولته في الغزوات. كان أسود اللّون

---

(١) إبن رشد، مناهج الأدلّة في عقائد الملّة، ص ١٥٠-١٥١.

كريمَ الأخلاق. طمح إلى الزواج بابنة عمّه «عبلة». نشـأت حوله الأساطير المعروفة بـ «سيرة عنترة». له معلّقة مطلعهـا : «هل غادر الشعراءُ من متردِّمِ أم هل عرفتَ الدار بعد توهّم».

العُنَّة : عجز يصـيب الرجل فلا يقدر على الجمـاع.وسمّي العنين بذلك للين ذَكَرِه. والفـرق بين الخصيّ والعنين وجـود الآلة في العنين. ويجتـمع الخصيّ مع العنين في عـدم الإنزال عند الخصي لذهاب الخـصيـة، أمّا عـدم الإنزال عند العنين فهو لعلّة في الظهر أو غيره.

العَنْوَة : في اللغة: القهر والغلبة. يقال: أخذتُ الشيءَ عنوة، أي: قهراً وغلبةً. وفتـحتُ هذه البلدة عَنوةً وتلك صلحـاً.. وفي الاصطلاح: يستـعمل الفـقهاء كـلمة «عنوة» عند الكلام علـى أحكام الأراضي التي تؤول إلى المسلمين من أهل الحـرب، فيقسمونها إلى أرضٍ فُتحتْ عَنوةً وأرضٍ فُتحتْ صلحاً.

العَـهْد : في اللغـة: الوصيّـة، والأمـان، والموثق، والذمّة، واليـمين.. أوجب الإسلام الوفاء بالعهد، والتزمه رسول الله في جمـيع عهوده، تحقيقاً لقوله تعالى: «وأَوْفُـوا بعهـدِ اللّه إذا عـاهدتُمْ، ولا تَنقُضـوا الأيمانَ بعـدَ توكيـدِها» (١٦/ ٩١)؛ «وأَوفوا بالعـهدِ. إنّ العهدَ كان مـسؤولاً» (١٧/ ٣٤)؛ والذين ينقضون الـعهد «هُمُ الخاسِرون» (٢/ ٢٧).

ونفى النبيُّ الدِّينَ عـمّن لا عهـد له، فقـال: «لا دِينَ لمن لا عهـد له»[١]. ومن صور التـزامه العهد: وفـاؤه بالوثيقة التي عقـدها لليهود عندمـا هاجر إلى المدينة، وصلح الحديبيـّة، وغيرهما. ونقضُ العـهد محرّم قطعـاً، ولا يصـحّ من مؤمن أبداً، للآية السابقـة، ولحديث: «أربع مَن كنّ فـيه كان منافـقاً خالـصاً. ومَن كانت فـيه خصلةٌ منهنّ كـانت فيه خـصلة من النفاق حتّى يدعـها: إذا ائتمن خـان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خـاصم فجر»[٢]. وقال: «ومَن ظلم معـاهداً، أو انتقصه،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٥، من حديث أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/ ٨٩، من حديث ابن عمرو.

أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يومَ القيامة» (أخرجه أبو داود).

العَوَاصِم أو **الثُّغُور** أو **الحَوَاضِر** : هي الحصون التي شيّدها الخلفاء ، بعد الفتوحات الإسلاميّة الأولى؛ وهي مدن أشبه بالمعسكرات الحربيّة، بعيدة عن عواصم الحكم، فكانت مثلاً: البصرة والكوفة في العراق، والفسطاط والقيروان في أفريقية، وطرسوس وأدنه ومرعش ومَلَطية في الحدود البيزنطيّة شماليّ سورية.

العَوْرَة : في الاصطلاح: ما يحرّم كشفه من الجسم، سواء من الرجل أو المرأة، أو هي ما يجب ستره وعدم إظهاره من الجسم.. وذهب الفقهاء إلى أنّ جسم المرأة كلّه عَورة بالنسبة للرجل الأجنبي، عدا الوجه والكفّين، لكن جواز كشف ذلك مقيّد بأمن الفتنة.. روي عن أسماء بنت أبي بكر أنّها دخلتْ على رسول الله، وعليها ثيابٌ رقاق. فأعرض عنها. وقال: «يا أسماء! إنّ المرأة، إذا بلغتِ المحيضَ، لم تصلح أن يُرى منها إلاّ هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفّيه»[1]. وممّا يحتجّ به للحرمة ما روي عن علي أنّ النبيّ قال له: «يا علي! لا تتبعِ النظرةَ النظرة، فإنّ لك الأولى، وليست لك الآخرة»[2].

وثمّة خلاف بين الفقهاء في ما هو عورة بالنسبة إلى الزوجين. فالأصل أنّه يحلّ لكلّ واحد منهما النظر إلى جميع جسم الآخر ومسّه حتّى الفرج، لأنّ وطأها مباح، لقوله تعالى: «والذينَ هم لفروجِهم حافظون إلاّ على أزواجهم، أو ما ملكتْ أيمانُهم. فإنّهم غير ملومين» (٢٣/ ٥-٦)، ولقول النبي: «إحفظْ عورتَكَ إلاّ مِن زوجتك، أو ما ملكتْ يمينُك»[3]. ولكنّ الشافعيّة والحنابلة قالوا: يُكره نظر كلّ منهما إلى فرْج الآخر. وقال الحنفيّة: من الأدب أن يَغضّ كلٌّ من الزوجَين النظر عن فرْج صاحبه، واستدلّوا بما روي عن النبيّ: «إذا أتى أحدُكم أهلَه فليستترْ. ولا يتجرّد

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٣٥٨، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه الترمذي٥/ ١٠١.

(٣) أخررجه الترمذي ٥/ ١١٠. حديث حسن.

تجرُّدَ العِيرَين»[٤]. وذهب المالكيّة والشافعيّة والحنابلة إلى عدم جواز مسّ الرجل شيئاً من جسد المرأة الأجنبيّة، سواء أكانت شابّةً أم عجوزاً، لما ورد أنّ رسول الله «لم تمسّ يدُه يدَ امرأةٍ قط»[٥]. ووافقهم الحنفيّة في حكم لمس الأجنبيّة الشابّة، وقالوا: لا بأس بمصافحة العجوز ومسٍّ يدِها لانعدام خوف الفتنة[٦].

العِوَض: ١ . هو البدَل. وما يُبذل في مقابلة غيره. والجمْع: أعواض.. وهو واجب في بعض التصرّفات، ومحرّم في بعضها الآخر. فيجب أداء العوض في عقد البيع؛ ويجب على مَن أتلف شيئاً الضمان بردّ مثله أو قيمته؛ ويجب على مَن جنى على شخص الديّة؛ ويجب على الزوج أداء المهر المسمّى لزوجته، لقوله تعالى: «وآتُوا النساءَ صَدُقاتِهنَّ نِحْلَةً» (٤ / ٤).. فعقد الزواج الصحيح يترتّب عليه وجوب المهر للزوجة، وحلّ الاستمتاع بها للزوج. فكلّ منهما عوض عن الآخر.

٢ . ولا يجوز أخذ العوض: ١- عن المنافع المحرّمة، كالزنا والنوح والغناء والملاهي المحرّمة؛ ٢- وعلى الطاعات الواجبة على المسلم، كالصلاة والصوم والحجّ، والجهاد لأنّ منفعة الجهاد تعود إليه، وهي حاصلة له بمجرّد حضوره الصفّ؛ وعن الحقوق المجرّدة، كحقّ الشفعة وحقّ القسم للزوجة..

العَوْل: ١ . لغةً: الارتفاع والزيادة. يقال: عالت الفريضة إذا ارتفع حسابها، وزادتْ سهامها.. وفي الاصطلاح: زيادة سهام الفروض عن أصل المسألة بزيادة كسورها عن الواحد الصحيح. ويترتّب عليه نقصان أنصباء الورثة في التركة بنسبة هذه الزيادة. مثال ذلك: إذا ماتت امرأة عن زوج وأمّ وأخت شقيقة، فإنّ للزوج النصف فرضاً، وللأمّ الثلث فرضاً، وللأخت الشقيقة النصف فرضاً. ففي هذه الحالة قد زادت الفروض عمّا تنقسم إليه التركة المعبّر عنها بالواحد الصحيح.. وهكذا، في حال إعطاء كلٍّ واحدٍ حقَّه، فلا بدّ من العَوْل، أي: زيادة أصل السهام في أصل المسألة..

---

(٤) أخرجه ابن ماجه ١ / ٦١٩، وضعّف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة ١ / ٣٣٧.

(٥) خرجه مسلم ٣ / ١٤٨٩، من حديث عائشة.

(٦) بدائع الصنائع ٦ / ٢٩٥٩؛ تبيين الحقائق ٦ / ١٨؛ تكملة فتح القدير ٨ / ٩٨.

وقد ثبت في علم الفرائض أنّ مجموع المخارج سبعة: أربعة منها لا تعول أصلاً، وهي الإثنان والثلاثة والأربعة والثمانية، لأنّ الفروض المتعلّقة بهذه المخارج إمّا أن يفي المال بها، أو يبقى منه شيء زائد عليها؛ وثلاثة من هذه المخارج قد تعول، وهي ستة واثنا عشر وأربعة وعشرون (راجع مادّة: **الإرْث**).

العِيَادَة : الزيارة مطلقاً. واشتهر استعمالها في زيارة المريض.. ورد في فضل عيادة المريض أحاديث كثيرة، منها: عن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «إنّ اللّهَ تعالى يقولُ يومَ القيامة: يا ابنَ آدم! مرضتُ فلم تَعُدْني. قال: يا ربّ! كيف أعودُك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعدْه؟ أما علمتَ أنّكَ لو عِدتَه لوجدتَني عنده؟»[1].

عِيَاض بن غَنْم (ت ٢٠هـ/ ٦٤١م) : صحابي من الفاتحين. غزا بلاد الروم.

العِيَافَة : تطلق في اللغة على معانٍ: منها: الكراهية للطعام أو الشراب. وتطلق على زجْر الطير للتشاؤم، أو التفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّاتها. ومنها العائف الذي يعيف الطير فيزجره. وقد أبطل الإسلام ذلك ونهى عنه، وأرجع الأمر إلى مشيئة اللّه المطلقة وسننِه الثابتة في الكوْن. جاء في الأثر: «العِيافة والطيرة والطرق من الجبت»[1].

العِيد : لغةً: مشتقّ من العَود، وهو الرجوع والمعاودة لأنّه يتكرّر. وفي الاصطلاح: هو يومان: يوم الفطر، أوّل يوم من شوال؛ ويوم الأضحى، وهو اليوم العاشر من ذي الحجّة. وليس للمسلمين عيدٌ غيرهما.. اختلف الفقهاء في حكم صلاة العيد: فذهب المالكيّة والشافعيّة إلى أنّها سنّة مؤكّدة.. وذهب الحنفيّة إلى أنّها واجبة لمواظبة النبيّ عليها.. وذهب الحنابلة إلى أنّها فرْض كفاية..

يُستحبّ إحياء ليلتَي العيدَين بطاعة اللّه من ذكر، وصلاة، وتلاوة، وتكبير، وتسبيح، واستغفار، لحديث: «مَن أحيا ليلةَ الفطر وليلةَ الأضحى محتسباً لم يمتْ

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٩٠.

(١) أخرجه ابن داود ٤/ ٢٩٩، وابن حجر في التهذيب ٣/ ٦٨.

قلبُه يومَ تموت القلوب».. ويُستحبّ للمسلم فيهما أن يغتسل، ويتزيّن، ويتنظّف، ويحلق شعره، ويلبس أحسن ما يجد، ويتطيّب، ويتسوّك.. وأفضل ألوان الثياب البياض.. أمّا النساء، إذا خرجن، فإنّهن لا يتزيّنّ، بل يخرجن في ثياب البذلة، ولا يلبسن الحسن من الثياب، ولا يتطيّبن لخوف الافتتان بهنّ، ولا يخالطن الرجال، بل يكنّ في ناحية منهم.. وتستحبّ العمامة في العيد.

عِيسَى: الاسم الذي أطلقه القرآن على المسيح (يسوع). ورد ذكره في القرآن في ٩٣ آية، في ١٥ سورة.

أوّلاً – ميلاد عيسى: ١. بقيتْ مريمُ في الهيكل نذيرةً للربّ إلى أن آن أوان بشارتها بميلاد ابنها عيسى. فأرسل اللّهُ إليها جبريل، بهيئة بشر (١٩/١٧)، وكلّمها قائلاً: «يا مريمُ! إنّ اللّهَ اصطفاكِ وَطهَّرَكِ، وَاصْطَفاكِ على نساءِ العالمين» (٣/٤٢). وأنبأها بأنّ اللّهَ «يُبشّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسمُهُ المسيحُ عيسَى ابنُ مريمَ، وَجيهاً في الدنيا والآخرَةِ، ومِن المقرَّبين. ويُكلِّمُ الناسَ في المهدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصالِحِين» (٣/٤٥).

قالت مريم: «إنّي أعوذ بالرحمنِ منكَ إنْ كنتَ تقيًا» (١٩/١٨). ثمّ قال الملاك: «إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهبَ لكِ غلامًا زكيًا» (١٩/١٩). فقالت مريم: «أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر، ولم أك بغيًا» (١٩/٢٠). قال الملاك: «كذلك اللّه يخلق ما يشاء. إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كنْ فيكون» (٣/٤٧؛ ١٩/٢١).

وعن ميلاد عيسى، يقول القرآن: ولمّا آن المخاض، «حملتْه (مريم أمُّه) فانتبذتْ (تنحّتْ) به مكاناً قصيّاً (بعيداً عن أهلها)»، أي: في البريّة حيث وجدتْ شجرةَ نخلٍ جلستْ تحتها تنتظر مولودَها. «فَأَجاءَها المخاضُ إلى جذعِ النَّخلَةِ. قالتْ: يا ليتَني مِتُّ قَبلَ هذا، وكنتُ نَسْياً مَنْسِيًا. فَناداها (صوتٌ) مِنْ تَحتِها[2]: «لا

(٢) يختلف المفسّرون في شخصيّة الذي نادى مريم: أهو مولودها أم الملاك، فالنص القرآني مبهم تماماً... إلاّ أنّ المقابلة بين ما ورد في القرآن وما نرى في سيرة هَاجَر وابنِها اسمعيل يرجّح أنّ اللّهَ تكلّم بواسطة ملاكه مع مريم، كما تكلّم مع هاجر.

تحزَني. قد جَعلَ ربُكِ تحتَكِ سَـرِيًا (أي ينبوع ماء يَسري، أي يجري)، وهُزِّي إليكِ بجِذعِ النّخلةِ تُسَاقِطْ عليكِ رُطَباً جَنيًا» (١٩/٢٢-٢٥).

وجاء في سفر التكوين عن هاجر إمرأة إبراهيم التي تاهت في البرية، ونفذ معـها الماء، فطرحت إسـمعـيل ابنها تحت الشـجرة. وجلست قـبالته حـزينةً تبكي ويبكي الغلام معهـا. وسمع اللّهُ بكاءَهما، وقال لها: ما لكِ يـا هاجر! لا تخافي، فإنّ اللّه قد سمع صوت الغلام. قومي فخذي ابنك... فرأت بئر ماء وسقَتِ الغلام وكان اللّه معه (رَ: تك ٢١/ ١٤-٢٠). وفي كتب النصـارى أيضاً، إنّ النخيل انحنى لمريم وتدانى منها يقدم لها الثمر الطيّب لتطعم ابنها في سفرها إلى مصر[٣].

٣. في القـرآن، اضطرب زكريّا، من حَـبَل مريم وولادتهـا من غيـر رجل. وتجـول مخـيّلة مؤلّفـي روايات الحبل والولادة فـتضـفي على الواقع شـيئـاً من أساطيـر الأقدمين؛ أوجـزها القرآن بلـومة عارف ببـراءة مريم في قـوله: «يَا أختَ هَارونَ! ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ. ومَا كانتْ أمُّكِ بَغيًا» (١٩/٢٨).

٤ . ولمّا جـاءتْ مريمُ أهلَهـا ومولودُها في حـضنها. دُهشـوا ممّا رأوا: «يَا مريمُ! لقد جِئتِ شيئًا فَـرِيًا. يا أختَ هارونَ ما كانَ أبوكِ امرأ سـوءٍ ومَا كانتْ أمُّكِ بَغيًا» (١٩/٢٨). وللحال همُّـوا في قتلها لظنّهم أنّها اقترفتْ إثماً فظيـعاً. فأشارتْ للتوِّ إلى ابنها بأنْ يـكلّمَهم عن براءتها. فكلّمهم وهو لا يزال طفـلاً في المهد. كلّمهم عن نفسه، مَن هو ومَن سيكون، وعن أمِّه وبراءتها وطهارتها.

٥ . ثمّ طمْـأنَ جـبـريل مـريمَ بأنّ كلّ ذلك إنّمـا يكـون بقـدرة اللّه العليّ. والمولود منها سيـكون آيةً للنّاس ورحمة. وهو كلمة اللّه، وروحٌ منه. يكون وجـيهاً في الدّنيـا والآخـرة، ومن أقـرب المقـرّبين. يكلّم الناس في المهـد، ويعلّمـه الكتـابَ والحكمة والتوراة والإنجيل (٣/ ٤٢-٤٨).

ثانياً – أسـماء عيسى وألقابه : في القرآن أسـماء وألقاب لعـيسى تكاد تحسبه إلهاً، يتمتّع بمميّزاتٍ إلهيّة لم يتمتّع بها أحد من النبيّين والمرسَلين؛ ويجترح

---

(٣) إنجيل يعقوب التمهيدي، ١١.

معجـزات لم يجترحها سـواه من العالمين؛ ويتميّز بما وهبـه اللهُ من تأييد وتعظيم وتكريم... ممّا يضعه فـوق مستوى المخلوقين أجمعين. هذه الأسـماء والألقاب التي يطلقها القرآن عليه هي أسماء وألقاب بيبليّة، ولها أبعاد بيبليّة وكنسيّة. ولا تُفهم إلاّ برجوعنا إلى البيبليا والتقليد الكنسي. من هذه الأسماء والألقاب ما يلي :

١ . **عيسى** : هو الإسم الأكثر استعمالاً. ورد في القرآن **٢٥** مرّة[١١] :
عيسى هو نفسه "يسوع" المسيحيّين. وهو نفسه "يِشُوَعْ" لدى العبرانيِّين و"يِشُوعُو" لدى السريان الغربيّين، و"يِشُوعَا"، أو "إِيْشُوعَا" عند السريان الشرقيّين، بحسب مدرسة نصيبين، ويختصرونه "إِيْشَا" أو "إِيسَا". ويحرّفه العرب قبل الإسلام بـ"عِيْسَا". ثمّ يكتبونه: "عيسى"، تماثلاً باسم "موسى"[١٢]. وهكذا وصل إلى القرآن.

واسم "يسوع" الذي أطلق على الناصري، منذ ختانته، مثل كلّ أطفال اليهود[١٣]، ليس غريباً في إسرائيل (رَ: سي ٥١/ ٣٠). وهو يعني: "الربّ يخلّص" (تث ٣١/٧-٨). والإسم، عادةً، في الكتاب المقدّس، كما في التقاليد الشرقيّة، يعني دورَ الشخص في تاريخ الخلاص[١٤]، كما يعني المهمّة الموكلة إليه في مجتمعه.

أمّا المفسّرون المسلمون ففسّروا اسم «عيسى»، على هواهم، من دون تدقيق أو تحقيق، ومن دون العودة إلى التاريخ أو التقليد.

٢ . **المسيح** : ورد **١١** مرّة[١٥] : « لفظة "المسيح" هو لقب الشخص الذي كان يُمسَح بالدهن والطيب، دلالة على تكرّسه لله، مَلِكاً كان أو حَبْراً أو نبيًا... ثمّ عنى "المسيح"، في إيمان بني إسرائيل، المخلّص الموعود المنتظر، الذي سيحمل

---

(١١) **٢**/٨٧و١٣٦و٢٥٣؛ **٣**/٤٥و٥٢و٥٥و٥٩و٨٤؛ **٤**/١٥٧و١٦٣و١٧١؛ **٥**/٤٦و٧٨و١١٠ و١١٢و١١٤و١١٦؛ **٦**/٨٥؛ **١٩**/٣٤؛ **٣٣**/٧؛ **٤٢**/١٣؛ **٤٣**/٦٣؛ **٥٧**/٢٧؛ **٦١**/٦و٦١.

(١٢) راجع إيليا عيسى: «لفظة "يشوع" (يسوعْ) وكيف أصبحت "عيسى" (مخطوط).

(١٣) رَاجع : لوقا ١/ ٣١؛ ٢/ ٢١؛ متى ١/ ٢١ و٢٥.

(١٤) رَاجع : خر ٣/ ١٤؛ رسل ٣/ ١٦.

(١٥) ٣/ ٤٥؛ ٤/ ١٥٧ و١٧١ و١٧٢؛ ٥/ ١٧ (مرّتين) و٧٢ (مرّتين) و٧٥؛ ٩/ ٣٠و٣١.

مُقـدَّرات شعـبه وتاريخـه، ويبلغ به الخلاص التـامّ (رَ: أش ٦١/ ١). أطلق الرسل والإنجيليّـون لقب "المسيح" على يســوع. وكان بطرس أوّل مَن أطلقـه (رَ: مر ٨/ ٢٩). أمّا يسوع فقد قبل اللّقب بتحفّظ، لمدلوله السياسي في ذهن معاصريه »[١٦].

أمّا المسلمون، وبنوع خاص المفسِّرون، فقـد فهموا بلقب «المسيح»، مفاهيم مختلفة ومتنوّعة. ومعظمها لا علاقة لها بالمعنى البيبلي الأصلي.

٣ . كلمة اللّه : وُصف عيسى في القـرآن بـ"كلمة اللّه" **مرّتَين :** في قوله: «إنَّ اللّهَ يُبَشِّـرُكِ (يا مريم) بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، اسـْمُهُ المَسِيحُ عِيـسَى ابْنُ مَرْيَمَ» (٣/ ٤٥)؛ وفي قوله: «إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ» (٤/ ١٧١). «الكلمة»، في العهد الجديد، ولا سيّما عند يوحنّا الإنجيلي[١٧]، وفي الجماعة المسيحيّة الأولى، وفي كتابـات الآباء وتعاليم الكنيسة، هي اسم ليـسوع المسيح، وتعنيه هـو نفسَه، كـما تعني دورَه الخـلاصي الفريد. لم يرد، فـي أيّ مكان من البيـبليا، القـول بأنّ «كلمة اللّه» وُجِّهتْ إلى يســوع، كما كانتْ توجَّه إلى الأنبيـاء؛ بل كان يُقال دائماً إنّ المسيح هو نفسه «الكلمـة»، أي «كلمة اللّه[١٨]. والقول "كلمـة منه" برهان على أنّ المولود من مريم هو ذاتٌ من الـلّه، عزّ وجلّ. وهذه التسـمية التي جـاءت في القرآن هي نفسـها التي جاءت في الإنجيل عن المسيح، أي إنّه "كلمة اللّه" »[١٩].

٤ . روح من اللّه : ورد التـعبـير في القـرآن **مرّة واحدة في قولـه :** «إِنَّمَا المَسِيحُ عِـيسَى ابْنُ مَـرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَـتُهُ، أَلْقَاهَـا إِلَى مَرْيَمَ، **وَرُوحٌ مِنْهُ**» (٤/ ١٧١). إنّ الروحَ يسكن في عيسى، وقد منحه الوجود من أوّل لحظةٍ من الحبَل به. فلم ينلْ أحـدٌ الروحَ بقـدر ما ناله هو، «بغـيـر حسـاب» (يو ٣/ ٣٤). والمفسّـرون المسلمـون أنفسهـم كانوا دائماً يردّدون عـبارة: «واخـتلف أهلُ التأويل في مـعنى الروح»؛ فلكأنّهم، بهذا الاختلاف، أقرّوا بعجزهم عن فهم مقصود القرآن بالروح.

---

(١٦) رَاجع : حاشية أونجليون على مر ١/ ١.

(١٧) رَاجع : ١ يو ١/ ١؛ رؤ ١٩/ ١٣؛ لو ١/ ٢؛ رسل ٦/ ٢-٤.

(١٨) رَاجع : يوحنّا ١/ ١، وتفاسير المفسّرين عليها، في إونجليون مثلاً.

(١٩) كتاب **في الموازين هم إلى فوق**، ١٩٨٧؛ لا دار نشر ولا مؤلّف؛ ص ٥٥-٥٦.

٥ . **غُلاماً زَكِيًا** : «قال (روحُ اللّه؟): إنّمــا أنَا رسُولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُــلاَماً زَكِيًا» (١٩/ ١٩). بحسب **الطبري** «زَكِيًا» أي : «طاهراً من الذنوب». يعترف محمّد في حــديث له أنّ عيـسى نجــا منذ صغــره من لمزات الشــيطان وتجاريبــه، ولا يد للشيطان عليه، ولا على أمّه.

٦ . **آية للعالَمين** : «وَلْنَجْعَلَهُ آيَةً للنَّاسِ» (١٩/ ٢١)؛ «وَجَـعَلْنَاها وَابْنَها آيَةً للعَــالَمِين» (٢١/ ٩١)؛ «وَجَعَلْنَا ابنَ مـريمَ وأمَّهُ آيَةً» (٢٣/ ٥٠). جـعل اللّه عيـسى القرآن «آيةً» للنــاس، وإنّ أحداً من البشــر لم يسمّه القــرآن «آية» إلاّ عيــسى وأمّه مريم، دون سواهما من البشر. وآيات القرآن هي نفــسها كلام اللّه. إنّها أزليّة كاللّه، صادقة وفاعلة بقوّة ذاتها. وآيات القرآن ليست معجزاتٍ في ذاتها فحسب، ولا تدلّ على معجـزات؛ بل هي معجزات بحدّ ذاتــها، من حيث مبدإها ودلالتــها ووجودها. وعيسى من طراز هذه الآيات.

٧ . **وجيهاً في الدُّنْيا والآخِرة** (٣/ ٤٥)، أي: ذا جاهٍ في الدنيا بالنبوّة، وفي الآخرة بالشفــاعة والدرجات العلا. هذه الوجــاهة تفرّد بها عيــسى في القرآن دون سائر الأنبياء والبـشر. فهو كذلك، أي وجيهاً في هذه الدنيـا بين البشر، وفي العالَم الآخَر بين الملائكة والقــدّيسين. وليس في القرآن «وجاهة» إلاّ لعيــسى؛ وذلك لقربه من اللّه. لذا فهو، كما تكمّل الآية، «مِنَ المُقَرَّبِين».

١٢ . «**ومِنَ المُقَرَّبِين**» (٣/ ٤٥): مثلها قوله: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أنْ يكونَ عبْداً للّهِ، وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ» (٤/ ١٧٢)، أي: ولا الملائكة أيضـاً يتكبّرون ويأنفون أن يكونوا عبيداً للّه. مثلهم مثل عيسى: فكما هم ليسوا آلهة، ولا بنات اللّه، كما كان يقول بعض وثنيّي قريش، كـذلك عيسى ليس ابناً للّه، كما يقول بعـض المسيحيّين؛ بل هو عبد. ولكنّه عـبدٌ «مِنَ المُقَرَّبِين». غير أنّ أكثــر «المُقَرَّبِين» إلى قلب أيٍّ شـخصٍ آخر إنّــما هو ابنُه، أو مَن هو بمنزلة الابن، الذي هــو أكثر قــربًا وقرابةً مــن سواه. صفة القرب هذه جعلتْ من مسيح القرآن في درجةٍ من التمــييز لم يستحقّها غيرُه. ومحمّــد نفسه لم يصفه القــرآن بمثل هذا القرب، ولم يميّزه عن غيره بمثل مــا ميّز عيسى. ولــيس، في الإنجيل، أكثر منه قــرباً من اللّه أبيه. فهو «إبنه» الوحــيد الذي

«هتفَ من السموات هاتف: هذا ابني الحبيب الذي ارتَضيت» (متى ٣/١٧؛ رَ: متى ١٢/١٨؛ ١٧/٥؛ مر ٩/٧؛ لو ٩/٣٥؛ ٢ بط ١/١٧).[٢٠]

ثالثاً – مميّزات عيسى الإلهيّة في القرآن أنّه :

١ . **حُبِل به من «روح» الله** (٦٦/١٢؛ ٢١/٩١). لم يقل القرآن مثل هذا الكلام على غير عيسى. قال ابن عبّاس: «إنّ روح القدس هو الاسم الذي كان عيسى يُحيي به الموتى». وقال أيضاً: «إنّه الروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله. فهو إذن روح اللّه». وقال ابن جُبير: «روح القدس هو اسم اللّه الأعظم، وبه كان عيسى يُحيي الموتى»[٢١].

٢ . **وُلد بطريقة عجيبة**، كما ذكر ملاك الربّ ذلك: «إنّمَا أنَا رَسولُ رَبِّكِ لأهَبَ لكِ غُلاماً زَكيًا. قَالتْ: أنَّى يكونُ لي غُلامٌ ولَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ، ولم أكُ بغيًا» (١٩/١٩–٢٠). يعلّق **البيضاوي** على ذلك بقوله: «تلك ميزة تفرّد بها المسيح على العالمين والمرسلين، لأنّه وُلد دون أن تضمّه الأصلاب والأرحام والطوامث». ويقول **الرازي**: «إنّه طاهر من الذنوب»[٢٢]. ثمّ إنّ «هذا الأمر الذي يجذب فكر الحاذق البصير إلى القول بأنّه لو لم يكن هذا الشخص عجيبَ النسبة إلى الله وفائق الشرف، لما حُبل به على هذا النحو العجيب من عذراء!!!»[٢٣]

٣ . **جعله الله مُباركاً**: قال: «وَجَعَلَني مُباركاً أينَ ما كُنتُ» (١٩/٣١). يعلّق **الرازي**: «إنّ البركة، في اللّغة، هي الثبات.. فمعناه: جعلني ثابتاً على دين اللّه، ومستقرّاً عليه». وهو مبارك «أينَ ما كان»، أي في كلّ الحالات، والأوقات. ثابتٌ على علاقته باللّه، لا عيبَ فيه ولا خطيئة. ولا يمسّه الشيطان بشنة. ولا يدخل في كلامه «مسّ شيطانيّ»، كما هو الحال في القرآن.

---

(٢٠)

(٢١) رَ: مقالاً في «روح القدس في الإسلام»، في كتاب رقم ١٨ من هذه السلسلة .

(٢٢) راجع تفاسير البيضاوي والرازي على سورة مريم **١٩**/١٩–٢٠.

(٢٣) كتاب **في الموازين هم إلى فوق**، ١٩٨٧؛ لا دار نشر ولا مؤلّف؛ ص ٥٩.

٤ . **رفعه الله إليـه عند وفاته**: قال: «وَإذ قَالَ اللَّهُ: يا عيسَى! إنِّي مُتوَفِّيك، ورافِعُكَ إليَّ، ومُطهِّرُكَ مِنَ الذينَ كَفَروا، وجاعلُ الذينَ اتَّبَعوكَ فوقَ الذينَ كَفَروا إلى يومِ القيامـةِ» (٣/ ٥٥). قال **وهب بن منبه**: «أماته الله ثلاثة أيّام، ثمّ بعثه، ثمّ رفعه»[٢٤]. وقال **الرازي**: «المراد بالرّفْع التفخيم والتعظيم»؛ أو أيضاً: «رفعه إلى مكان لا يملك أحد الحكم فيه». وفي كلّ حال، إنّ في القرآن آيات تؤكّد موت المسيح[٢٥]، وآيات تنكره (٤/ ١٥٦-٧).

٥ . **علامة الساعة**: قال: «وَلَمّا ضُرِبَ ابنُ مريمَ مَثَلاً، إذا قَومُكَ مِنه يَصِدُّونَ.. وإنّه لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ» (٤/ ٥٧ و٦١)، أي في اليوم الأخير، كما يقول **الجلالان**، تَعلَمُ بنزوله. هذا يعني أنّ عيسى سوف يأتي ثانية كعلامة للقيامة.

٦ . **عصمة عيسى** : بالرّغم من «أنّ القرآن ذكر استغفار أعاظم الآباء والأنبياء والمرسلين وغفران الله لهم، كما جاء فيه عن آدم (رَ: ٢/ ٣٥-٣٧)، وغفرانه أيضاً لمحمّد ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ووضعه عنه وِزْره الذي أنقض ظهره[٢٦]... ولكنّه لم يذكر أبداً عن عيسى المسيح أنّه استغفر ربّه استغفاراً ما، أو أنّ ربَّه غفر له. بل العكس هو التمام. فبالإضافة إلى شهادة التوراة والإنجيل، فإنّ القرآن أيضاً يشهد بأنّ عيسى المسيح هو بلا خطيئة»[٢٧].

رابعاً – معجزات مسيح القرآن : معجزات مسيح القرآن كثيرة ومتنوّعة. لم تكنْ لأحدٍ من الأنبياء سواه. إنّها معجزاتٌ من كلّ نوع. «لم يسبقْه ولا خلفه فيها نبيٌّ أو مرسلٌ»[٢٨]؛ ولم يختصّ بها أحد من البشر سواه. إنّها معجزات في الخلق والشفاء وإقامة الموتى وعلم الغيب، وغيرها . منها :

---

(٢٤) إبن كثير في تفسيره على الآية المذكورة أعلاه؛ ج ١، ص ٣٦٧.

(٢٥) رَ : سورة آل عمران **٣**/ ٥٤-٥٩؛ سورة مريم **١٩**/ ٣٣؛ سورة المائدة **٥**/ ١١٧.

(٢٦) كما جاء في س. الفتح ٤٨/ ٢؛ وس. الشرح ٩٤/ ١-٣؛ وس. محمّد ٤٧/ ١٩.

(٢٧) ٣/ ٣٦-٣٦؛ كتاب **في الموازين هم إلى فوق**، ١٩٨٧؛ لا دار نشر ولا مؤلّف؛ ص ٦٠-٦٢.

(٢٨) كتاب **في الموازين هم إلى فوق**، ١٩٨٧؛ لا دار نشر ولا مؤلّف؛ ص ٦٠.

١ . **الخلق.** قال مسيح القرآن عن نفسه: «إنِّي أَخْلُقُ لكمْ مِنَ الطِّينِ كهيئَةِ الطَّيْرِ فَأنفُخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذنِ اللّه» (٣/ ٤٩؛ ر: ٥/ ١١٠). يعلّق **ابن عربي** على ذلك في قوله: «ولم يضف (اللّه) نفخاً في إعطاء الحياة لغير عيسى، بل لنفسه تعالى». أي إنّ هذه القدرة على الخلق هي من خصائص اللّه وحدَه، دون سواه، إذ هو وحدَه، بحسب القرآن، «خالِقُ كلِّ شيءٍ»[٢٩]. صفة الخلق هذه منعها اللّهُ عن محمّد؛ بل منع عن محمّد حتّى مجرّد أن يُعيد السمْعَ إلى الصمّ، كما يردّد القرآن ذلك: «فإنّكَ... لاَ تُسْمِعُ الصمَّ الدُّعَاءَ»[٣٠]. وهذا، طبعاً، أهون عليه من الخلْق من العدم؛ ومع ذلك لم يكن له.

٢ . **النطق عند الولادة.** حين وَلدت مريم ابنَها تناولها أبناءُ قومها بالتأنيب، ظنّاً منهم بأنّها حملتْ به سَفاحاً. فأشارتْ إليهِ ليكلّمهم، ويعلن براءَتها، فقال لها رؤساء اليهود متعجّبين: «كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ في المَهدِ صَبِيًّا؟ قَال: إنِّي عبدُ اللّه. آتَاني الكِتَابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا» (١٩/ ٢٩-٣٠). هذه القدرة على النطق عند الولادة لم تحدثْ، في القرآن، لأحدٍ من الأنبياء، ولا حتّى لمحمّد نفسه. إنّها ميزة مسيح القرآن.

٣ . **شفاء المرضى.** اللّه وحده، في القرآن، يشفي المرضى. جاء على لسان إبراهيم الخليل: «وَإذا مَرِضْتُ فَهُوَ (أي اللّه) يَشْفِينِي» (٢٦/ ٨٠)؛ وفي الحديث الصحيح، جاء على لسان محمّد: «أللَّهُمَّ! لا شِفاءَ إلاَّ شِفَاءَكَ». أمّا مسيح القرآن فيقول عن نفسه: «أُبْرِئُ الأكْمَهَ (أي مَن وُلد أعمى)، وَالأبرَصَ» (وهو، بحسب الطبري، مرض لا علاج منه يَضرب الجلد).

٤ . **إحياء الموتى.** اللّه وحده، في القرآن، يُحيي ويُميت، ولا يستطيع أحدٌ غيره أن يفعل ذلك. قال: «وإنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُميتُ» (١٥/ ٢٣)[٣١]. هذه القدرة على إحياء الموتى لم تكن، في القرآن، بعد اللّه، إلاّ للمسيح وحدَه. فهو القائل عن نفسه

---

(٢٩) سورة الأنعام ٦/ ١٠٢؛ الرعد ١٣/ ١٦؛ الزمر ٣٩/ ٦٢؛ غافر ٤٠/ ٦٢.

(٣٠) سورة الرّوم ٣٠/ ٥٢؛ رَاجع: ٢٧/ ٨٠؛ ٢١/ ٤٥؛ ١٠/ ٤٢؛ ٤٣/ ٤٠.

(٣١) ر: ٣٦/ ١٢؛ ٥٠/ ١٢؛ ٢٢/ ٦٦؛ ٧/ ١٥٨...

بضمـير المتكلِّم : «وأُحْـيِي المَوتَى بِإذْنِ اللَّهِ» (٣/ ٤٩). هذا «الإذْن الإلهيّ» لم يُعطَ، في القرآن، لأحـدٍ من النّبيِّين، ولا حـتّى لمحمّد نفـسه. وحدَه المسـيح أُعْطِيتْ له هذه القدرة الإلهيّة على إحياء الموتى.

٥ . **المسيح هو المتكلِّم عن نفـسه لا الله.** المسيـح هو الذي يقول عن نفـسه بنفـسه: «**إنِّي** عَبـدُ اللَّه» (١٩/ ٣٠)؛ و «**إنِّي أَخْلُقُ**» (٣/ ٤٩)؛ و أنا «**أُبرِئُ الأكْمَه** والأبرَصَ» (٣/ ٤٩)، وأنا «**أُحْيِي** الموتَى» (٣/ ٤٩)؛ وأنا «**أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأكُلونَ**» (٣/ ٤٩)... الملفت للنظرفي هذه الأقـوال هو أنّ المسـيحَ نفسـه يتكلّم بضـميـر المتكلِّم، ويقول عن نفسه مـا قال؛ لا كما كان يحدث لمحمّد فـيقول اللّهُ له: «قلْ». وهذا الأمر ورد في القرآن على لسان الـلَّه لمحمّد أكثر من ٣٣٠ مـرّة؛ في حين أنّ عيسى أُعطي له أن يتكلّم بنفسه عن نفسه. وقد كانت له القدرة على فعل ذلك.

٦ . **العلم بالغيب.** مسيح الـقرآن يعلم الغيب. يقول : «**وأُنَبِّـئُكُمْ بِمَا تَأكُلُونَ** ومَا تَدَّخِرُونَ فِي بيُوتِكُمْ» (٣/ ٤٩). في حين أنّ اللّهَ وحدَه، في القرآن، يعلم الغيب. قـال: «لا يَعلَمُ مَن في السـمَواتِ والأرْضِ الغَـيبَ إلاّ اللّه» (٢٧/ ٦٥)[٣٢]. ومحـمّد نفسه، بالرّغم من كونه خيـر خلق اللّه وخاتم النبّيين والرسل، في نظر المسلمين، لا يعلم الغيب أبداً. وهو مَن قال: «لا أقولُ لكُمْ عندِي خَزائنُ اللّه. وَلا أعلمُ الغَيبَ» (٦/ ٥٠)[٣٣]؛ وقال أيـضاً : «ولو كُنتُ أعلمُ الغَـيبَ لاستَكْثَـرْتُ مِنَ الخَيـرِ، ومَا مَـسَّنِي السُّوءُ» (٧/ ١٨٨).

٧ . **معجزة المائدة** (٥/ ١١٢–١١٥). هذه المعجزة الإلهـيّة، التي نزلتْ على طلبِ عيسى من اللّه، مميَّزة وفريدة من نوعهـا، حتّى إنّ مَن يكفر بها، بعد حدوثها، فسوف يعذِّبه اللّه عذاباً شديداً. وهو تهديد شـبيه بتهديد «مَن يأكلُ ويشرَبُ جسدَ الربِّ، يأكلُ ويشرَبُ دَينونةً لنفـسهِ»[٣٤]. مـثل هذه المعجـزة لم تحصل لأحـدٍ من

---

(٣٢) رَاجع : ٦/ ٥٩؛ ١١/ ١٢٣؛ ١٦/ ٧٧؛ ٣٥/ ٣٨؛ ٤٩/ ١٨؛ ٧٢/ ٢٦.

(٣٣) رَاجع سورة هود ١١/ ٣١.

(٣٤) رَاجع : ١ قورنتس ١١/ ٢٩.

النّبيّين. وحدَه المسيح طلبها من اللّه فكان له مــا طلب. وما طلبه أصبح عيداً للأوّلين والآخِرين، وآيةً إلهـيّة إلى مـدى الدهر، ورزقاً من عند اللّهِ خيـرِ الرازقين، وديمومةً أبديّة لمن يأكل منها من دون استحقاق.

٨ . نزول عيـسى في آخر الـزمان. «إذ قالَ اللّـهُ: يا عيسَـى! إنّي مُتَوَفِّـيكَ ورَافِعُكَ إليَّ، ومُطَهِّرُكَ من الّذينَ كَفَروا» (٣/ ٥٥). يقول **الطبري** عن معنى «وفاة» عيســى: «اختلف أهلُ التأويل في معنى الوفــاة..». وقال **الشيخ حسين فضل اللّه**: «حار المفسّرون في تحديد مـعنى هذه الكلمة. فهل تعني الموت، أم تعني بلوغ الحدّ الذي حدّده اللّه له في الأرض؟.. ذهب البعض إلى أنّ اللّه قبـضه إليه بضع ساعات، ثمّ أحـياه، وذهب آخـرون إلى أنّ اللّه رفـعـه إليه من دون أن يـقبض روحــه، لأنّه سـيعـيش إلى نهاية الحـيـاة الدنيا. إلاّ أنّ للوفـاة معـنى لا ينطبق على الموت، لأنّ التوفّي إنّما هو أخذ الشـيء أخذاً تامًا.. ثمّ إنّ المراد برفعه إليه رفعُه بروحه وجسدَه حيًا إلى السماء، على ما يشعر به ظاهر القرآن الشريف.

ثمّ يفـسّر فضــل اللّه قوله تعـالى عن أهل الكتاب: «وإنْ مِنْ أهلِ الكـتَابِ إلاّ لَيُؤمِنَـنَّ بهِ قَبْلَ مَوتِهِ. وَيومَ الـقيامَـةِ يكونُ علَيهِمْ شَـهيـداً» (٤/ ١٥٩)، بما يقول المفسّـرون عن عيسى: عندمـا يبعثه اللّه، أو يظـهره في آخر الزمان، فـيرونه رأي العين، فيواجهون الحقيقة في ظروف لا يمكنهم معها الإنكار..

خامـساً – نبـوّة مسـيح القرآن: عيـسى نبيّ كســائر النّبيّين الســابقين، والقائلــين بألوهيّته كـفّار مـشركـون. هذا هو موقف المسلمين كـافّة. وهم يقـفون موقف القرآن. ففي القرآن آياتٌ واضـحة في نبوّة عيسى، وواضـحة أيضاً في إنكار كلّ صفة إلهـيّة له؛ بل تكفير لكلّ مَن يقول بأنّ عيـسى إله أو ابن للّه. وإذا كان ثمّةَ آياتٌ تشير إلى ألوهيّـته، فهناك أيضاً آياتٌ أخرى تنكر ألوهيّتَـه، وتشير إلى نبوّته كسائر النّبيّين. ولئن كان عيسى القـرآن مضطربَ الهويّة، أي متأرجحاً بين الألوهة والنبوّة، فإنّ عـيسـى المسلمين ليس سوى نبيّ «نُسِـخَتْ» نبوّته بنبوّة محـمّد خاتم الأنبياء وخير المرسَلين. وآيات التأليه، في كـلّ حال، لا يُعطيها المفسّرون المسلمون معناها الصريح. لهذا نقول بأنّ عيسى المسلمين هو دون عيسى القرآن.

١ . المسيح في القـرآن هو «عيـسى ابن مريم» (٢/ ٧٨)[٣٥]، «بشرٌ سويّ» (١٩/ ١٧)، وُلد كسـائر الناس، وخلقه اللّه، كـما خلَق آدم من تراب (٣/ ٥٩)، وإنْ بطريقةٍ مـعجزة (٣/ ٤٥)[٣٦]. وهو كذلك في النّصـرانيّة: المسـيح هو «يسوع ابن مريم»[٣٧]، و «بشر بين البشر»[٥٦]، وُلد كسائر الناس[٥٧]، وخُلق كآدم من تراب[٥٨]، ولكنْ بطريقة معجزة[٥٩].

٢ . ومع كون مسيح القرآن بشراً فهو نبيٌّ ورسولٌ «خَلَتْ مِن قَبلِه الرُّسل» (٥/ ٧٥)؛ بل هو أسمى مـن الأنبياء والرّسل، إذ آتاه اللّـهُ البَيِّنات (٢/ ٨٧ و٢٥٣) وصنْعَ المعجزات. والنَّصارى يقولون الشيء نفسه: ألمسيح «نبيٌّ أسمى من الأنبياء جميعاً، لأنّ فـيه روحاً ملائكيّا»[٦٠]. لم يكن في البداية مسيحـاً، بل «صار مسيحاً على الاصطفاء»[٦١]، لهذا فهم ينكرون ألوهيَّتَه؛ وينسبون إليـه معجزاتٍ، مثل شفاء الأبرص والأعمى وإقامة الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير[٦٢].

٣ . وفي القرآن أيضاً إنكار تامٌّ لألوهيّـة المسيح وبنوّته للّه، لأنّ اللّه لم يلد ولم يولد (١١٢/ ٣؛ رَ: ٥/ ١٧؛ ١٩/ ٣١؛ ١٠/ ٦٨)؛ بل يقـول بأنّ المسـيح «عـبـد اللّه» (٤/ ٧٠) و«من الملائكة» (٣/ ٤٥)؛ واللّهُ يسـتطيع أن يهلكه ساعـة يشاء (٥/ ١٧). وهو رأي صريح للشيـعة الإبيونيّة Ebionisme من النَّصارى[٦٣]، كما قال

---

(٣٥) ورد تعبير «ابن مريم» فـي القرآن ٢٣ مرّة؛ رَاجع مثلاً :٢/ ٢٥٣؛ ٣/ ٤٥؛ ٤/ ١٥٧ و١٧١؛ ٥/ ١٧ و٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٩/ ٣١؛ ١٩/ ٣٤؛ ٢٣/ ٥٠؛ ٣٣.

(٣٦) سورة آل عمران ٣/ ٤٥؛ سورة الأنبياء٢١/ ٩١؛ سورة مريم ١٩/ ١٧.

(٣٧) Actes de St. Jean. Ev. de St. Pierre.

(٥٦) Justinien. Dialogue avec Triphon 28.9.

(٥٧) Origène, Contre Cels. 5/61.

(٥٨) Irénée, Contre les Hérésies, 3/26.

(٥٩) Origène. Contre Cels. 5/65.

(٦٠) Tertullien, Du Corps du Christ, 14/5.

(٦١) Justinien, Dialogue avec Triphon. 29/1.

(٦٢) Evangile arabe de l'enfance, 26/1-2.

(٦٣) ألإبيونيّون شيعة نصرانيّة، من كلمة «إبيون» Ebione العبريّة، أي الفقير، من تبنّيهم قول

عنهم أبيفان: «إنَّ المسيح ليس مولوداً من اللّه الآب، بل مَخلوقاً، وهو أحد رؤساء الملائكة، المالك على الملائكة وعلى كل أعمال القدير»[٦٤].

٤ . جاء في القرآن عن صلب المسيح وموته: إنَّ المسيح لم يُقتل ولم يُصلب، بل وقعَ الشَبَه على الذين قالوا بذلك (ر: ٤/١٥٧)، ومكرَ اللّهُ بهم وهو خَيرُ الماكِرين[٦٥]. وينكر القرآن أيضاً أن يكون المسيح قام بقوّته من الموت، بل يقول بأنَّ اللّهَ هو الذي رفعه إليه (٤/١٥٨؛ ٣/٥٥). ولهذا ليس له أيُّ دورٍ في خلاصِ الإنسان وافتدائه، وليس على أيِّ إنسان أن يطلب شفاعتَه. كذلك يعتقد الإبيونيّون من النَّصارى بأنّ «المسيح، العنصر الإلهي، نزل على يسوع يوم عماده في الأردنّ، وفارقه قبل استشهاده»[٦٦]، ويقولون أيضاً : «إنّ يسوع هو الذي صُلب عندما ارتفَعَ المسيحُ عنه قبل استشهاده. لقد فارق المسيحُ يسوعَ ابنَ مريم قبل موته على الصليب»[٦٧]. وبعضهم قال: «إنّ المسيحَ يمكنه أن يتحوّل برضاه من صورةٍ إلى صورة. فلهذا ألقى شَبَهَه على سمعان، فصُلب سمعان بدلاً منه، فيما هو ارتفع حيًا إلى الذي أرسله، ماكِراً بجميع الذين مكروا، للقبض عليه، لأنّه كان غيرَ منظورٍ للجميع»[٦٨]، و «ليس له، بالتالي، صفة الفادي والمخلّص»[٦٩].

٥ . والإنكار الواضح في القرآن لألوهيّة عيسى هو في قوله هذا : «وإذْ قال اللّهُ: يا عيسَى ابنَ مريمَ! أَأَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّيَ إلَهَينِ مِنْ دونِ اللّه؟! سُبْحَانَكَ! ما يكونُ لي أنْ أقُولَ ما ليسَ لي بِحَقٍّ. إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فقَدْ عَلِمْتَهُ. تَعلَمْ ما في نفسي. ولا أعلمُ ما في نفسِكَ. إنّكَ أنتَ عَلاّمُ الغُيوبِ. ما قُلتُ لهُمْ إلاّ ما أمَرْتَني

المسيح: «طوبى للإبيونيّين»، أي للفقراء. وهم يهتمّون اهتماماً بالغاً بمساعدة الفقراء.

(٦٤) Epiphane, Panarion, 30/4, 6.

(٦٥) سورة آل عمران٣/ ٥٤؛ الرعد ١٣/ ٤٢؛ النحل١٦/ ٢٦...

(٦٦) Irénée, Contre les Hérésies, 3/3, 4.

(٦٧) Actes de St. Jean, 99; Ev. de St. Pierre.

(٦٨) Irénée, Contre les Hérésies, 1/24, 4; Epiphane, Panarion, 1/2.

(٦٩) Irénée, Contre les Hérésies, 3/33; 5/8.

بِهِ: أنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبّي وربَّكُم. وكنتُ عليهِمْ شَهيداً ما دُمتُ فيهم. فلَمّا تَوَفَّيْتَني كنتَ أنتَ الرّقيبَ عليهم. وأنتَ على كلِّ شيءٍ شَهيدٌ» (٥/١١٦-١١٧).

٦. وواضح أيضاً قول القرآن بأن ليس للّه ولد. قال: «ذلك عيسَى ابنُ مريمَ قولُ الحقِّ الذي فيه يَمترونَ (يشكّون، وهم المسيحيّون). مَا كانَ لِلَّهِ أنْ يتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحانَهُ إذا قضى أمراً فإنّما يقولُ له كُنْ فيكُونُ. وإنّ اللّهَ رَبِّي وربُّكم فاعبُدوه. هذا صِراطٌ مستقيم» (١٩/ ٣٤-٣٦).

٧. ثمّ إنّ عيسى، لئن وُلد كآدم، من غير أب، فهذا لا يعني أنّه إلهٌ أو ابنٌ للّه. فآدم أيضاً لم يكن له لا أب ولا أمّ، ومع ذلك لم يقل أحدٌ بأنّه إله. قال: «ذَلكَ (المذكور من أمر عيسى) نَتلوهُ عليكَ (يا محمّد) منَ الآياتِ والذِّكْرِ الحكيم (القرآن). إنّ مَثَلَ عيسَى عندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدمَ خلَقَه مِن تُرابٍ. ثمّ قال له: كُنْ فيكُونُ» (٣/٥٨-٥٩).

٨. وينقل القرآن قول المشركين، ثمّ يردّ عليهم : «قَالُوا: آلِهَتُنا خيرٌ أمْ هُوَ (أي عيسى)... بل هُمْ قومٌ خَصِمُونَ (شديدو الخصومة). إنْ (ما) هُوَ (عيسى) إلاّ عَبدٌ أنْعَمْنا عليه (بالنبوّة)، وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لبني إسْرائيلَ. وَلو نشاءُ لجَعلْنا مِنكمْ (بدلكم) ملائكةً في الأرضِ يَخْلُفُونَ (بأن نهلككم)» (٤٣/٥٧-٦١).

سادساً - تكفير القائلين بألوهيّة عيسى : ١. ثمّة آيات كثيرة في القرآن تكفِّر القائلين بألوهيّة عيسى، وتحكم عليهم بالهلاك الأبديّ؛ آيات تعتبر عيسى عبداً للّه، لا «ولداً» ولا «ابناً» ولا «ثالث ثلاثة»، ولا «أقنوماً» إلهيًا. نذكر منها :

١ - «يَا أهلَ الكتابِ! لا تَغلُوا فِي دينِكُمْ. وَلا تَقولُوا علَى اللّهِ إلاّ الحقَّ.. فآمِنوا باللّهِ ورسله. وَلا تقولوا ثلاثة. انْتَهُوا خَيراً لكم. إنّما اللّهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَهُ أن يكونَ لهُ وَلَدٌ. لهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ. وَكفَى باللّهِ وَكيلاً» (٤/ ١٧١).

٢ - «لقد كَفَرَ الذين قَالوا إنّ اللّهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ. وقال المسيح... إنّه مَن يُشْرِكْ باللّهِ فقد حرَّمَ اللّهُ عليه الجنَّة. ومَأواهُ النَّار. وما للظالمينَ مِنْ أنصار. لقد كَفَرَ الذينَ قالُوا إنّ اللّهَ ثالثُ ثلاثة. ومَا مِن إلهٍ إلاّ إلهٌ واحد. وإنْ لمْ يَنتَهُوا عمّا

يَقولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفروا منهم عذابٌ ألـيم. أفلا يَتوبون إلى اللَّه، ويَستغفرونَه؟ واللَّهُ غفـورٌ رحيم. مـا المَسيحُ ابنُ مريم إلاّ رسـولٌ قد خلتْ من قـبْله الرُّسُل، وأمُّه صدِّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطَعام. أنظر كيف نبيِّن لهم الآيات» (٥/ ٧٢-٧٥).

٣ – «لقد كَفَـرَ الذينَ قَالوا إنَّ اللَّهَ هو المسيحُ ابنُ مـريمَ. قلْ: فَمَن يملِكُ مِنَ اللَّهِ شَيئاً إنْ أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرْضِ جميعاً» (٥/ ١٧).

٤ – «وقَالتِ اليـهودُ : عُزَيرٌ ابنُ اللَّهِ. وقـالتِ النَّصَارى (أي المسيحـيّون) : المَسـيحُ ابْنُ اللَّه. ذلك قَـولُهـم بأفْـوَاهِهِمْ (لا مـسـتـند لهم عليـه. بل) يُضـاهِئُـونَ (يشابهون به) قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ. قاتَلَهُمْ اللَّهُ أنَّى يُؤْفَكُونَ» (٩/ ٣٠).

٢ . هذه الآيات وكثـير سواها تنكر على المسيـح أن يكونَ ابناً للّه؛ بل تكفّر الذين يقولون بـذلك : فقال: «مَـا كانَ للّهِ أنْ يتّخـذَ مِنْ وَلَد. سُبْـحَانَهُ» (١٩/ ٣٥)؛ وقال: «سُبْحَانَهُ أنْ يَكونَ لَهُ وَلَد» (٤/ ١٧١)؛ وقال: «إنَّما اللَّهُ إلهٌ واحدٌ. سبحانَه أنْ يكونَ لَهُ وَلَد» (٤/ ١٧١)؛ وقـال: «أنَّى يـكون له وَلَدٌ ولمْ تكنْ له صَـاحِـبـةٌ» (٦/ ١٠١)؛ وقال: «وَقَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً. سُبْحَانَه!» (٢/ ١١٦).

٣ . فـالمسـيح عـيسى هو ابـن مريم؛ وليـس ابن اللَّه، ولا ابنَ أيٍّ رجلٍ من البـشر. ٢٤ آية تنسب بنوّة المسـيح عيـسى إلى مريم؛ وتشـدِّد على هذه النسـبة، وتنكر كلَّ نسـبة إلى اللّه[٧٠]. و٢٨ آية تنفي أن يكون للَّهِ ولد. منـها آيات تقـصد المسيحيّين الذين اتّخذوا المسيحَ ابنًا للّه؛ وآيات تقـصد اليهود الذين اتّخذوا «عُزَيراً» إبناً للّه؛ وآيات تقصد بعض قريش الذين اتّخذوا «اللاّة والعزّى ومناة» آلهة ينتسب بعضهم إلى بعض انتسـاباً عائليًا؛ وثمّة بعض الوثنيّين اتّخذوا الملائكة بناتاً للّه[٧١].

٤ . ويكفّـر القرآن جـمـيعَ هؤلاء الذين قالوا إنّ لـلّه بنين وبنات وشركـاء

---

(٧٠) «المسـيح عيـسى ابن مـريم» و«المسيح ابن مـريم» :٢/ ٨٧ و٢٥٣؛ ٣/ ٤٥؛ ٤/ ٣٦ و١٥٧ و١٧١؛ ٥/ ١٧ (مـرّتين) و٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٩/ ٣٠ و٣١؛ ١٩/ ٣٤؛ ٢٣/ ٥٠؛ ٢١/ ٩١؛ ٣٣/ ٧؛ ٤٣/ ٥٧؛ ٥٧/ ٢٧؛ ٦١/ ٦ و١٤.

(٧١) ر: ٦/ ١٠٠؛ ١٦/ ٥٧؛ ٣٧/ ١٤٩ و١٥٣؛ ٤٣/ ١٦؛ ٥٢/ ٣٩.

وأصحاب وصاحبات. يقول : «وَجَعَلُوا للّه شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لهُ بَنِينَ وَبنَاتٍ بِغَيرِ عِلْمٍ. سُبحَانَه وَتَعَالَى عَمّا يَصِفُون! بَديعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ أنّى يَكُونُ لهُ وَلَدٌ! وَلَمْ تَكُنْ لهُ صَاحِبَةٌ؟! وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَليمٌ» (٦/ ١٠٠-١٠١). واللّه غنيٌّ عن كلّ ولد أو شريك أو صاحبة؛ لأنّ كلّ ما في الأرض والسموات ملكه؛ فلماذا يختصّ بولدٍ أو شريك؟! قال: «قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً. سُبْحَانَهُ! هُوَ الغَنِيُّ. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ» (١٠/ ٦٨)[٧٢].

٥ . مقابل هذه الآيات، هناك آيات أخرى تقول بعبوديّة المسيح للّه. قال القرآن بلسان المسيح: «إنّي عبدُ اللّه، آتاني الكتابَ، وجعلَني نبيًا مباركاً أينَ ما كنتُ، وأوصاني بالصّلاة والزّكاة ما دُمتُ حيًا، وبرًا بوالدَتي. ولم يجعلْني جبّاراً شقيًا» (١٩/ ٣٠-٣٢). هذه العبوديّة تنفي أن يكون المسيح ابناً للّه، أو إلهاً. ويقول الرازي مفسّراً: «إنّ الذي اشتدّت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنّما هو نفي تهمة الزنا عن مريم. ثمّ إنّ عيسى لم ينصّ على ذلك. وإنّما نصّ على إثبات عبوديّة نفسه، كأنّه جعل إزالة التّهمة عن اللّه تعالى أولَى من إزالة التّهمة عن الأمّ».

ثمّ «إنّ التكلّم بإزالة هذه التهمة عن اللّه يفيد إزالة التهمة عن الأمّ، لأنّ اللّه لا يخصّ الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة».

٦ . غير أنّ هذه الآيات، وإنْ لم تكنْ كلُّها، بحسب نصّ القرآن وأسباب النزول، تقصد «المسيحيّين»، إلاّ أنّ المسلمين رأوا فيها أنّها تُطبّق على المسيحيّين أكثر ممّا تُطبّق على سواهم. ولهذا، فالمسيحيّون، في ما يقول المسلمون، مشركون حقًا. ويتحتّم عليهم قتالهم أينما وجدوهم. وهم هالكون في نيران جهنّم وعذاباتها.

هؤلاء المسيحيّون ليسوا، إذاً، طائفةً من أهل الكتاب حتّى تجري عليهم أحكامُ أهل الذّمّة، وحتّى يُعطوا الجزية ليعيشوا في دولة الإسلام بأمان وسلام؛ بل هم كفّارٌ مشركون، يُعتبرون من أهل «دار الحرب».

---

(٧٢) ر: ١٧/ ١١١؛ ١٨/ ٤-٦؛ ١٩/ ٨٨-٩٥؛ ٢١/ ٢٦؛ ٢٣/ ٩١-٩٢؛ ٢٥/ ٢؛ ٣٩/ ٤؛ ٤٣/ ٨١؛ ٧٢/ ٣-٤؛ ١١٢/ ١-٤.

سابعاً - هويّة مسيح القرآن الحقيقيّة : ١ . عيسى القرآن ، هل هو إله؟ أم نبيّ؟ إذا توقّفنا على ما نقلنا من القرآن في هويّة عيسى فنحن نتأرجح بين موقفَين: موقف تأليه، وموقف إنكار وتكفير. وإذا أخذنا بتعاليم المسلمين كافّة، فإنّنا ننفي الألوهة عن عيسى نفياً قاطعاً. وإذا شئنا الاستناد إلى موقف المسلمين فحسب، فلا بدّ لنا من القول الحاسم الجازم بأنّ عيسى نبيّ، وأنّ القول بألوهيّته كفر، والقائلين به هالكون. وإذا شئنا، أخيراً، أن نحسم بين موقفَي القرآن المتناقضَين، نميل إلى القول بأنّ القرآن، بالرّغم من وجود آياتٍ وإشاراتٍ إلى ألوهيّة عيسى، فإنّه «يفرغ» هذه الآيات وهذه الإشارات من مضمونها الذي لها في الأناجيل وآباء الكنيسة والتقليد المسيحي والتاريخ العقائدي. فمضمون تعابير «الكلمة»، و«الرّوح»، و«الصلب»، و«الفداء»، و«أبوّة» اللّه، و«بنوّة» عيسى، و«خلْقه» الطير، و«إقامته الموتى»، وولادته من غير أب... هو غير مضمونها الذي لها في اللاّهوت المسيحي.

٢ . غير أنّنا، وفيما نظهر هذَين الموقفَين المضطربَين المختلفَين في القرآن، نأخذ بموقف المسلمين، الذين تبنّوا موقف القرآن الرّافض والمنكر لألوهيّة عيسى. وهو موقفهم في الأمس واليوم وغداً. وهو ما يجعلنا نقطع كلّ حوار ديني عقائديّ بين المسيحيّة والإسلام، لأنّ المسيحيّة لا تستطيع أن تساوم على عقيدتها الأساسيّة، وتتنكّر لألوهيّة يسوع المسيح: «إنّ يسوع هو المسيح، ابن اللّه»[٧٣].

٣ . هذا الموقف الإسلامي نأخذه من بعض أقوال القرآن وتفاسير المفسّرين المسلمين. فالنّصارى الذين يقولون بأنّ «المَسِيح ابْـن اللّهِ»، هم، بحسب القرآن كفّار ومشركون. وربّما يُعتبرون أكثر كفراً من عابدي الأوثان. جاء في القرآن وفي تفاسيره :

٤ . *«قالت النّصارى: المَسيحُ ابْنُ اللّه. ذلك قَولُهم بأفْواهِهِمْ، يُضاهِئُونَ (يشابهون به) قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ. قاتَلَهُمْ اللّهُ أنّى يُؤْفَكُونَ»* (٩/ ٣٠).

قال **الرازي** معلّقاً على هذا القول : «إنّ كفْرَ عابِدِ الوثَن أخفُّ من كفر

---

(٧٣) يوحنا ٢٠/ ٣١. وهي آخر كلمة دوّنها يوحنا في إنجيله.

النصارى، لأنّ عابدَ الوثن لا يقول إنّ هذا الوثن إله العالم، بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسّل به إلى طاعة اللّه؛ أمّا النّصارى فـإنّهم يُثبتون الحلولَ والاتّحادَ. وذلك كفْرٌ قبيحٌ جدّاً. فثبت أنّه لا فرق بين هؤلاء الحلوليّة وبين سائر المشركين».

وقال **سيّد قطب**: «في هذه الآية يبيّـن السياق القـرآني ضلالَ عقـيدة أهل الكتاب؛ وأنّها تضاهِئ (أي تشابه) عقيدة المشركين من العرب، والوثنيّين من قدامى الرومان وغيـرهم. وأنّهم لم يستقيـموا على العقيـدة الصحيحة التـي جاءتْهم بها كتبُـهم. فلا عبرة، إذن، بأنّهم أهل كـتاب، وهـم يخالفون في الاعـتقاد الأصلَ الذي تقوم عليه العـقيدة الصحـيحة في كتبـهم». فعلى مثل هذا القول قـام واجبُ قتالِ المسلمين للنصـارى. «وإنْ يكن القصد من القـتال ليس هو إكـراههم على الإسلام، وإنّما هو كسر شوكتهم التي يقفـون بها في وجه الإسلام، واستسلامهم لسلطانه ليتحرّر الأفراد، في ظلّ هذا الاستسلام، من التأثّر بالضغوط التي تقيِّد إرادتهم في اختيار دين الحقّ من غير إكراه».

٥ . أمّا تفـاسير المفـسِّرين على ما ورد فـي سورة المائدة: «لَقَدْ كَـفَرَ الّذينَ قَالُوا إنّ الـلّهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَـرْيَمَ . قُلْ: فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّـهِ شَيْئـاً إنْ أَرادَ أنْ يُـهْلِكَ المسيحَ ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّـهُ، وَمَنْ في الأرْضِ جَميعاً. ولِلّهِ مُلْكُ السّـمَواتِ والأرْضِ وما بَينَهُما. يَخلُقُ ما يَشاءُ. واللّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ» (٥/١٧)، فكما يلي :

يقول **الطبري** في قول النـصارى: «إنّ اللّهَ هُوَ المَسيحُ ابـنُ مَرْيَمَ» : هذا ذمٌّ من اللّه للنصـارى الذين ضلّوا عن سبل السـلام، واحتجـاج منه لنبيّـه محـمّد في فريتهم عليه بادّعائهم له ولداً.

«*قُلْ*» (يا مـحمّـد للنصـارى الذين افتـروا عليّ وضلّوا عن سـواء السبـيل بقيلهم أنّ اللّه هو المسيح ابن مريم): «فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيئاً» (أي: مَن الذي يطيق أن يدفع من أمر اللّـه شيئـاً فيردّه إذا قـضـاه)، «*إنْ أرادَ أنْ يُهْلِكَ المسـيحَ ابنَ مَريَمَ وأُمَّهُ، وَمَنْ في الأرضِ جَمـيعاً*» (أي: من ذا الذي يقدر أن يردّ من أمر اللّه شـيئاً إنْ شاء أن يهلك المسيح ابن مريم بإعدامه من الأرض، وإعـدام أمّه مريم، وإعدام جميع من في الأرض من الخلق جميـعاً. قل لهؤلاء الجهلة من النصـارى: لو كان المسيح،

كما يزعمون، هو اللّه، وليس كـذلك، لقدر أن يردّ أمر اللّه إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمّه. وقد أهلكَ أمّه فلم يقدر على دفع أمره فيها إذ نزل ذلك...

«*وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُما*». يعني: واللّه له تصريف ما في السموات والأرض وما بينهما. يُهلك من يـشاء من ذلك ويُبقي ما يشاء منه، ويُوجد ما أراد ويُعـدم ما أحبّ. لا يمنعه من شيء أراد من ذلك مانع، ولا يدفـعه عنه دافع. يُنفذ فيهم حكمَه ويُمضي فـيهم قضاءَه. لا المسيح الذي إنْ أراد ربُّه إهلاكَه وإهلاكَ أمّه، لم يملك دفع ما أراد به ربّه من ذلك.

يقول جلّ وعزّ: كيف يكون إلهاً يُعبَد مَن كان عاجزاً عن دفع ما أراد به غيرُه من السوء، وغيرَ قادر على صـرف ما نزل به من الهلاك؟! بل الإله المعبود هو الذي له ملك كلّ شيء، وبيده تصريف كلّ من في السماء والأرض وما بينهما.

«*يَخْلُقُ ما يَشاءُ*» (أي: ينشئ ما يشـاء، ويوجده، ويخرجه من حـال العدم إلى حال الوجـود. ولن يقدر على ذلك غـير اللّه الواحـد القهّار... فـليس ذلك لأحد سواي. فكيف زعمتم، أيّها الكذبة، أنّ المسـيح إله، وهو لا يطيق شيئاً من ذلك؛ بل لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه، ولا عن أمّه، ولا اجتلاب نفع إليها إلاّ بإذني؟!).

«*وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ*» (أي: اللّه المالك كلّ شيء الذي لا يعـجزه شيء أراده، ولا يغلبه شيء طلبه، المقتدر على هلاك المسيح وأمّه ومَن في الأرض جميعاً، لا العاجز عن منع نفسه مِن ضرٍّ، ولا منع أمّه من الهلاك).

٦ . غير أنّ بعض المسلمين خرقـوا النهج وخرجوا عن المألوف، وقالوا: «إذا كان اللّهُ قـد نَفَخَ مِن روحِه في فـرْجِ مريم، فكان ذلك النَّفْخُ سـبباً لخـلْقِ المسيح... فعلامَ يُنكر القـرآنُ على النّصارى قولهم: "المَسيح ابن اللّه"؟!.. ولعلّ مـحمّداً أراد من النّصارى أن يتركوا التلفّظ فقط بأنّـه ابن اللّه، وأن يعبّروا عن ذلك بكلمة أخرى غير الابن. وإلاّ فعبارة القرآن تقتضـي أنّه ابن اللّه»[٧٤].

---

(٧٤) ألشاعر الأديب العراقي معروف الرّصافي، في**كتاب الشخصيّة المحمّديّة، أو حلّ اللّغز المقدّس**، منشورات الجمل، كولن، ألمانيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢؛ ص ٦٩٥.

ثامناً – صلب المسيح عيسى : جاء في سورة النساء (٤/١٥٧-١٥٩) :
«وَقولِهِم (أي اليهود): إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنَ مريمَ، رسولَ اللّه. (وقول اللّه): وَما قَتَلُوهُ. وَمَا صَلَبُوهُ. وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ. وَإِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفوا فيه لَفِي شَكٍّ منه. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ. ومَا قَتَلوهُ يَقِيْناً. بل رَفَعَهُ اللّهُ إليه. وكان اللّهُ عزيزاً حكيماً. وإِنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به، قَبْلَ مَوتِه، ويومَ القيامَةِ يَكُونُ عَليهم شَهيداً»..

يقولُ المسلمون : إنّ روايةَ الإنجيل في صلْبِ المسيحِ وقتْلِه مرفوضةٌ قَطعاً، علميًا وتاريخيًا ولاهوتيًا. وما حرصهم على نفي الصلب والقتل عن عيسى إلاّ من باب حرصهم على القرآن وعلى ما جاء فيه. فالمسيح لم يُصلَب ولم يُقتل؛ بل شُبِّه لليهود ذلك.

والصلبُ والقتلُ إنّما وقعا على غير عيسى، أي على شخصٍ **يُشبهه**. وحاشا للمسيح أن يُصلب ويُقتل على أيدي أعداء اللّه، بهذا الشكل المهين واللّعين، كما تروي الأناجيل المزوّرة. فاللّهُ لا يُرسلُ أنبياءَه إلى العالَم، لينتصرَ الشرُّ عليهم. فاللّهُ هو الغالب لا العالَم الشرّير.

يؤكّد المسلمون، منذ البدء، نفيَ الصلب والقتل عن عيسى. ويستندون إلى القرآن والأحاديث النبويّة؛ ويعتمدون على الاختلاف بين روايات الأناجيل وتناقضها؛ ويأخذون ببعض الشيع النصرانيّة، وبنوع خاص، "الظاهريّة"، و"الأبّولونيّة"، و"الدُّوسِت"، التي تعلّم بأنّ المسيحَ لم يُصلَب ولم يُقتل. بل وقع الصلبُ والقتلُ على الشَّبَه؛ أو أنّ المسيحَ، العنصرَ الإلهي، انفصل عن يسوع عند الصلب والموت؛ كما دخله عند المعموديّة. فهو إذاً عنصر إلهيّ مستقلّ عنه.

ويهزأ المسلمون من المسيحيّين الذين يتّهمونَ اللّهَ الأبَ بقتلِ ابنه، حبّاً بالبشر. ويعجبون من إلهٍ يقتله الناس ويموت، ولا يدافع، وهو الإله الكلّي القدرة، عن نفسه؛ بل يجعل أعداءَه الأشرار ينتصرون عليه. لقد غلبَ الشرُّ الخير؛ وانتصر الشيطان على اللّه. أيُّ عقلٍ يمكنه أن يقبل مثلَ هذا المنطق؟!

تاسعاً – الفداء والخلاص والكفّارة : إنّ المسلمين، جميعهم، بسبب رفضهم ألوهيّةَ المسيح وصلبه، يرفضون أيضاً الفداء والكفّارة والخلاص وقيامة المسيح التي هي عربون قيامة الأموات وأساسُها. والسببُ هو أنّ الإنسانَ وحدَه يتحمّل وزرَ أعماله. وليس مِن مخلِّصٍ أو فادٍ له منه، إلاّه.

عاشراً – نزول عيسى آخر الزمان : « أخبر النبي ﷺ أنّ عيسى، عليه السلام، سينزل في آخر الزمان فيقتل الدجّال الأعور اللّعين الذي يدّعي الألوهيّة، وكذلك يقتل الخنزير أيضاً، ويكسر الصليب، ويقاتل الكفّار على الإسلام، ولا يقبل منهم الجزية، وينتشر في زمنه الأمن والعدل، ويكثر المال حتى لا يقبله الناس، وفي وقته يخرج يأجوج ومأجوج، ويهلكهم اللّه بدعائه، ويمكث في الأرض ما شاء اللّه أن يمكث، ثم يموت فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه»[٧٥].

يعلّق الحافظ أبو الفضل على هذا الحديث، فيقول : «تواتر هذا المعنى تواتراً لا شكّ فيه، بحيث لا يصحّ أن ينكره إلاّ الجهلة الأغبياء.. لأنّه نُقل بطريق الجميع حتّى استقرّ في كتب السنّة التي وصلت إلينا تواتراً بتلقي جيل عن جيل»[٧٦]..

ثمّ يقول: إنّ الأحاديث تدلّ صراحةً على أنّ عيسى لا يزال حيًا في السماء؛ لأنّه، « لو كان ميتاً، لكان لا بدّ من إحيائه وخروجه ليقتل الدجّال واليهود، ثم يموت أيضاً. فيكون قد مات وأُحيِيَ أكثر من مرّتَين، وذلك مخالف لقوله تعالى: "كيف تكفرون باللّه وكُنتُم أمواتاً فأحْياكُم، ثمّ يُحييكُم، ثمّ إليهِ تُرجَعون" (٢/٢٨) ، ولقوله تعالى "وقَالوا ربَّنا أمَتّنا وأحييتَنا اثنتَين فاعترفْنا بذنوبِنا" (٤٠/١١).

« فالنصوص دالّة على حياته.. وأمّا كونه في السماء فلأنّ لفظ النزول والهبوط يقتضيانه؛ ولأنّه، لو كان في الأرض، لعُرِف محلُّه، ولَوَجب عليه أن يسعَى إلى رسول اللّه (ص) حين بَعْثِه، ويؤمِنَ به، ويجاهدَ معه، تنفيذاً للميثاق

---

(٧٥) الحافظ أبو الفضل عبداللّه بن محمّد بن الصدّيق الحَسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام** عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦؛ (١٤×٢٠)؛ ١٦٨ ص.

(٧٦) المرجع السابق نفسه، ص ٧.

الذي أخذه اللّه عليه وعلى جميع الأنبياء.

« وقال في ذلك صاحبُ "عون المعبود" : "فلا يخفى على كلّ منصف أنّ عيسى الآن حيٌّ في السماء لم يمت بيقين". والدليل قوله تعالى: "ويُكلّم الناسَ في المهدِ وكهلاً" (٣/٤٦). والمراد بقوله "وكهلاً"، أي: بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلّم الناس ويقتل الدجّال. والكهولة هي لعيسى بعد "رفعه"، لانّه "رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.. وعندما ينزل "يمكث في الأرض، بعد نزوله، أربعين سنة، كما دلّ عليه الحديث الصحيح».

وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن؟ قال: نعم قوله: «وكهلاً»، وهو لم يكن بكهلٍ في الدنيا، وإنّما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء[٧٧].

وثمّة أحاديث كثيرة للرسول تقطع بأنّ عيسى لا يزال حيّاً في السماء، وأنّه سيعود إلى الأرض في آخر الزمان. من ذلك قولُه لليهود : "إنّ عيسى لم يمتْ. وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة"؛ وقوله: "كيف تهلك أمّة أنا في أوّلها وعيسى في آخرها؟!".

وعن أبي هُريرة: قال رسول اللّه: إنّي أولَى الناس بعيسى ابن مريم، عليهما السلام، لأنّه لم يكن بيني وبينه نبيّ. ويوشك أن ينزل فيكم ابنُ مريم حكَماً عدلاً، وإنّه نازل على أمّتي وخليفتي عليهم. فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنّه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر، كأنّ رأسه تقطّر ولم يصبه بلل ، ينزل بين مخصّرتَين.. ثمّ يلبث في الأرض أربعين سنة، ويتزوّج، ويولد له. يتوفّى، ويُصلّي عليه المسلمون. ويدفنونه في المدينة[٧٨].

أمّا معنى الآية: "إنّي متوفّيكَ ورافعُكَ إليَّ ومُطهِّرُكَ مِن الذينَ كَفروا" (٣/ ٥٥)، فإنّ اللّه قبضَ عيسَى ورفعه إليه، وطهّره بنقلِه إلى السماء حتى لا يلحقه

---

(٧٧) راجع: الثعلبي، **عرائس المجالس**، ص ٤٠٣.

(٧٨) عن المرجع المذكور آنفاً، ص ٤٠٣–٤٠٤.

أذى. وهذا المعنى هو المؤيَّد بالنظر الصحيح، لأنّ التوفّي معناه، في اللّغة، قبض الشيء وافياً.. والدليل هو أن ليس في القرآن موتٌ ذُكر معه الرفع، إلاّ في عيسى، لأنّ الميت يدفن ولا يرفع. وهو من قوله تعالى في شأن الإنسان: "ثمّ أماته فأقبره" (٨٠/٢١). ولذا قال القرطبي: إنّ اللّه تعالى رفعه من غير وفاة، ولا نوم. وهو رأي الطبري وابن عبّاس.

والرفع حقيقته اللّغوية النّقل من أسفل إلى علوّ، كما قال أبو حيّان وغيره من أئمّة اللّغة والتفسير»[٧٩].

ومن المعلوم في إيمان المسلمين أن الساعة لا تقوم حتّى يمرّ عيسى ابن مريم بالروحاء حاجًا، أو معتمراً»[٨٠]... وعند قيام الساعة يَقتل عيسى الدجّال، ثمّ تخرج **دابّة الأرض** تكلّمهم، ثمّ يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض.. وتتمّ **أشراط الساعة** العشر، كما هو معروف.

عِيسَى بن عُمَر الثَّقَفِيّ (ت ١٤٩هـ/٧٦٦م) : أوّل مَن ألّف في النحو. عليه تعلّم الخليل وسِيبَوَيه. له «الجامِع»، و«الإكمال» في النحو.

---

(٧٩) أبو الفضل الحسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى**، ص ٣٥.

(٨٠) الشعراني، **مختصر تذكرة القرطبي**، ١٨٠...

غ

الغَائِط : (أطلب مادّة: **قضاء الحاجة**).

غَار حِرَاء : (راجع مادّة: **حِرَاء**).

الغَارِمُون : جمْع غارم. هم المدينون العاجزون عن وفاء ديونهم.. وهم من الأصناف الثمانية الذين بيّنتهم آية مصارف الصدقة، وهي قوله تعالى: «إنّما الصدقات للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغَارِمِين، وفي سبيل اللّه، وابن السبيل، فريضة من اللّه» (٩/ ٦٠).

الغَامِدِيَّة : أجمع أهل العلم على أنّ الحامل لا تُرجم حتّى تضع، لما روي عن النبيّ أنّه «أتت إليه امرأةٌ من غَامِد، فقالت: يا رسولَ اللّه! إنّي قد زنيتُ فطهّرني، وأنّه ردّها. فلما كان الغد قالت: يا رسولَ اللّه! لِمَ تَرُدُّني؟ لعلّك أن تردّني كما رددتَ **ماعزاً**؟ فواللّه إنّي لَحُبلى. قال: اذهبي حتّى تلدي. فلمّا ولدتْ أتتْه بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدتُه. قال: إذهبي فأرضعيه حتّى تفطميه. فلمّا فطمته أتتْه بالصبي في يده كسرة خبز. فقالت: هذا يا نبيّ اللّه قد فطمتُه وقد أكل الطعام. فدفع الصبيَّ إلى رجلٍ من المسلمين. ثمّ أمر بها. فحُفر لها إلى صدرها. وأمر الناسَ فرجموها. فأقبل خالد بن الوليد بحجرٍ فرمى رأسَها، فتنضّخ الدمُ على وجه خالد. فسبَّها. فسمع نبيُّ اللّه سبَّه إيّاها فقال: مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مكسٍ لغُفر له. ثمّ أمرَ بها فصلّي عليها ودفنت»[1].

الغَدْر : نقض العهد وترْك الوفاء به.. ذهب الفقهاء إلى تحريم الغدر لأنّه من علامات النفاق ومن كبائر الذنوب. واستدلّوا على تحريمه بقوله تعالى: «وأوفُوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً» (١٧/ ٣٤)، وبقول النبي: «أربع من كنّ فيه كان

---

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٢٣-١٣٢٤، ط. الحلبي.

منافقاً خالصاً. ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتّى يدعها: إذا أتمن خان. وإذا حدّث كذب. وإذا عاهد غدر. وإذا خاصم فجر»[١].

غَدِيْر خُمّ: عين ماء تقع بين مكّة والمدينة على بعد ثلاثة أميال من الجحفة. مشهور في التاريخ بسبب ما نطق به محمّد عند عودته من حجّة الوداع، في ١٨ ذي الحجّة، سنة ١٠هـ/١٦ آذار٦٣١ م.: توقّف عند غدير خم حيث خطب في الحجيج آخذاً بعيرَ عليّ.

وفيما هو جالسٌ على الغديرِ وقفَ، فنزلتْ عليه آية: «أيُّها الرسولُ! بلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّك، وإنْ لمْ تفعلْ فَما بلَّغتَ رسالَتَه، واللهُ يَعصِمُك من الناسِ» (٥/ ٦٧). وأضافَ النبي على هذه الآية قوله: «إنّ هذه الآيةَ لإتمامِ البَيْعَةِ إلى عليّ». ثم صعد النبيُ مكانًا مرتفعًا، مصنوعاً من حدوج الإبل، وكان الوقت قائظاً. وخاطبَ المسلمين، وكانوا فوق المائة ألف :

« ألستُ أَولى بكم من أنفسِكم؟ فقالوا: بلى. ثمّ كرّر قوله: ألستُ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فأجابوه ثانية: بلى. ثمّ قال: «إنّ اللّهَ مولاي. وأنا مولى المؤمنين. وأنا أولى بهم من أنفسهم. فمَن كنتُ أنا مولاه فعليٌّ مولاه. ثمّ قال: أللّهمَّ وَالِ مَن وَالاه، وعَادِ مَن عَاداه، وأَحِبَّ مَن أَحَبَّه، وأَبغِضْ مَن بغضَه. وانْصُرْ مَن نَصرَه، واخْذُلْ مَن خَذَله، وأدِرِ الحقَّ معه كيفما دَار. ألاّ فليبلِّغِ الشاهدُ الغائب». وكرّر كلامَه هذا ثلاثاً. وأمر أصحابَه بمبايعة عليّ. فبادروا إليه وبايعوه. والشيعة ينظرون إلى بَيعةِ غدير خمّ كأعظم حدثٍ إلهيّ في تاريخ البشر.

وبعد أن تمّت البَيْعة نادى النبيُّ أصحابَه وتلا عليهم : «أليومَ أكملْتُ لكم دينَكُم وأَتْمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي ورَضِيتُ لكُمُ الإسْلامَ ديناً» (٥/٣). ثمّ قال: «الحمدُ للّهِ علَى كَمالِ الدِّين وتمامِ النِّعمَة، ورضي اللّهُ برسالتي وبولايةِ عليّ بعدي».

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/ ٨٩؛ مسلم ١/ ٧٨، من حديث ابن عمرو. أنظر: حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٢٤؛ جواهر الإكليل ١/ ٢٥٧؛ دليل الفالحين ٤/ ٤٣٥؛ ٣/ ١٥٦؛ المغني لابن قدامة ٨/ ٤٦٥.

ثمّ بارك الحاضرون لعليّ، وبايعوه حتّى قال أبو بكر وعمر: "هنيئاً لكَ يا ابنَ أبي طالب. أصبحتَ مولانا ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة".

ثمّ أكمل النّبي وصيَّتَه الأخيرة يومَ الوداع هذا، في غدير خم. وقال: «مَن سرَّهُ أن يَحيَى حياتي، ويموتَ موتي، ويسكنَ جنّةَ عدْنٍ غرسَها ربّي، فلْيُوالِ عليًا مِن بَعدي. ولْيُوالِ وليَّه، وليَقتَدِ بأهلِ بيتي من بعدي. فإنَّهم عِتْرَتي[1]، خُلِقوا مِن طِينتي، ورُزقوا فَهْمي وعِلْمي. فويلٌ للمكذِّبين بفضلهم في أمّتي، القاطعِين صِلتي، لا أنالهم اللّهُ شفاعتي».

ثمّ نزلتِ الآية: «يَعْرِفُونَ نعْمَةَ اللّهِ ثمّ يُنْكِرُونَها» (١٦/ ٨٣). وفسّرها النّبيّ بقوله: «يَعرفون نعمةَ اللّه يومَ الغدير، ويُنكرونَها يومَ السَّقِيفَة»، وهو المكان الذي اجتمعَ فيه المسلمون بعد موت محمّد ليختاروا خليفة له.

والغديرهو من أعظم الأيّام عند الشيعة عامّة.

الغُرَابِيَّة : فرقة من غلاة الشيعة يعتقد أصحابها أنّ عليًا ومحمّداً كانا متشابهَين جدًا في الملامح الجسديّة حتّى ليختلط الأمر على مَن يراهما. وهما بذلك مثل الغراب بالنسبة لأخيه الغراب (وهو مثل يُضرب لإظهار التشابه الشديد) عندما كلّفه اللّه بأن يهبط بالوحي على عليّ، هبط به خطأ على محمّد. وهم يقولون إنّ عليًا هو الذي اجتباه اللّه ليكون نبيًا، وإنّ محمّداً أصبح كذلك بطريق الخطأ. ويقول ابن حزم: إنّ البعض يعتقد أنّ جبريل أخطأ بحسن نيّة. ويقول آخرون: إنّه انحرف وأخطأ عن عمد. وأمطروه باللّعنات لأنّه مرتدّ. ويقول البغدادي: إنّ المتديّنين من هذه الطائفة يُحيّي كلٌّ منهم الآخرَ بأن يلعن جبريل..

الغَرَر : من التغرير، وهو الخطر، والخدعة، وتعريض المرء نفسَه أو مالَه للهلكة. يُقال: غرّته الدنيا غروراً: خدعتْه بزينتها. وغرّر بنفسه تغريراً: عرّضها للهلكة. والتغرير: حمل النفس على الغرر.

---

(١) العِتر: ولد الرجل وذرّيته أو عشيرته ممّا مضى. "عادتْ إلى عِتْرِها كَمَيْسُ"، أي: رجعت إلى أصلها. يُضرب لمن رجع إلى خُلُقٍ كان قد تركه.

وأصل الغـرر هو الـذي لا يدري هل يحـصل أم لا. كـالطـيـر في الهـواء، والسمك في الماء.

لا يجوز أن تُبـاع الثمـرة التي لم يبد صلاحُـها مفـردة.. أمّا إذا باعـها مع الأصل حصلت تـبعاً في البـيـع.. ولا يجوز بيع الحـمْل في البطن، لقول عـمر: «إنّ النبيّ نهى عن المجْر» (مـا في بطون الحوامل)[1].. وأجمع العلمـاء على بطلان بيع الجنين، لأنّه غرَر، لكن لو باع حاملاً بيعـاً مطلقاً صحّ البيع، ودخل الحمْل في البيع بالإجـمـال. ولا يجـوز بيع اللّبن في الضـرع؛ ولكن لو بـيـع اللّبن في الضــرع مع الحيوان جاز. «نهى رسول اللّه عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر»[2].

الغُرّة : هي أوّل كلّ شيء. ومن مـعانـيهـا في الشــرع : ضمـان يجب في الجناية على الجنين. وتبلغ قيمتها نصف عشر الديّة.. سمّيت غرّة لأنّها أوّل مقادير الديّة، وأقلّ ما قدّره الشرع في الجنايات.

الغُرُور : هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليـه الطبع. ويشير إليه القـرآن ليدل على البطر ونكران نعم اللّه، الأمـر الذي يحاسب عليه بقـوله: «ما غـرَّكَ بربِّكَ الكريم» (٦/٨٢). ويشيـر إليـه الرسول بقـوله: «ثلاث مـهلكات: شحّ مطاع، وهوًى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[1].

قال مـسكويه: إنّ الغرور جهلٌ من الإنسـان بعـيوبه»[2]؛ وقال الماوردي إنّ الغرور المبني على الكبر والإعجاب يضرّ بصاحـبه قبل غيره، لأنّ غروره يمنعه من أن يستفيد من علم غـيره لغروره، ولا يألفه أحد لتكبّره، فهو معزول عـن مجتمعه، ممقوت فيه[3]؛ ويُظهر الأصفهاني نقصَ المغرور لأنّه يغترّ بما ليس يملك من علمٍ أو

---

(١) أخرجه البيهقي ٥/٣٤١.

(٢) أخرجـه مسلم في كـتاب البيـوع، باب بطلان بيع الحصـاة والبيع الذي فيـه غرر؛ صـحيح مسلم، ١٠/١٥٦، من حديث أبي هُريرة.

(١) رواه النسائي في سننه، وصححه السيوطي، وأخرجه البزار والطبراني في الصغير.

(٢) تهذيب الأخلاق، مكتبة الحياة، بيروت، ص ١٦٦.

(٣) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٢٣١.

عملٍ أو مالٍ ونحو ذلك، لأنّ هذا عطيّة من اللّه، والعاقل يشكر ولا يغتر[٤]؛ ويدعو ابن حزم الإنسانَ المغرور المعجب بما عنده أن يفكّر في حاله وفي النعم التي عنده، من أين أتت؟ وهل هي كاملة دائمة، إلى غير ذلك ممّا يعيد إليه توازنه، وإلاّ فمصيبته إلى الأبد[٥].

غَرِيْبُ الحَدِيْث : هو ما يخفى معناه من المتون، لقلّة استعماله، بحيث يبعد فهمه، ولا يظهر إلاّ بالتنقيب عنه في الكتب.. والغريب في الحديث هو ما يصعب نسبته إلى النبيّ.

غَرِيْبُ القُرْآن : هو ما احتاج إلى البيان أو إلى مزيد منه من ألفاظ القرآن. وليس المقصود بالغريب هنا عيباً مخلاً بفصاحة القرآن وبلاغته، بل المقصود به عدم إدراك معناه بيسر وسهولة، أو كونه غير مأنوس الاستعمال.. فالغريب في القرآن يراد منه ما احتاج إلى البيان. وهو غير غريب الحديث الذي يخفى معناه، أو الذي يصعب نسبته إلى الرسول.

غْرِيمْ (هوبرت) Grimme (ت ١٩٤٢م) : مستشرق ألمانيّ. له «حياة محمّد»، وترجمة القرآن.

الغَزَالِيّ (أبو حامد محمّد) (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) : فيلسوف متكلّم. ولد في طوس بخرسان. تلقّى العلم فيها وفي نيسابور على أيدي الجُوينيّ إمام الحرمَين، ولازمه إلى حين وفاته سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥).. ومن نيسابور ارتحل إلى بلاط نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ، وظلّ معه إلى أن عيّن في سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٩١م للتدريس بالمدرسة النظاميّة في بغداد. لقّب «بحجّة الإسلام».

له مؤلّفات عديدة في التصوّف والشريعة والفلسفة والردود الدينيّة. أشهرها: «إحياء علوم الدين» في العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات؛ و«المنقذ

---

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، طبعة دار الوفاء ١٩٨٧؛ ص ٢٩٩-٣٠١.

(٥) الأخلاق والسير ومداواة النفوس، تحقيق د الطاهر مكي، دار المعارف ١٩٨١، ص ١٩٩؛ راجع مادّة: الغرور، د. أبو اليزيد العجمي، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٠٢٨-١٠٢٩.

من الضلال» في وصف تطوّر فكره الديني؛ و«المستـصفى في الأصول»؛ و«تهافت الفلاسفـة» ذكر فيه ٢٠ مسألـة تتعارض فيها أقـوال الفلاسفة مع معـتقدات أهل السنّة؛ و«القسطاس المستقيم» في تبيين فـائدة استخدام المنطق في المسائل الدينيّة؛ و«الاقتصاد في الاعتقاد» في علم الكلام؛ و«فـيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» في نقد الباطنيّة؛ و«مشكاة الأنوار» في الصوفية؛ و«منهاج العابدين» في الصوفيّة أيضاً، وغيرها ممّا يقارب المائتي كتاب.

الغَزَل : (راجع مادّة: **التَّشْبِيْب**).

الغَزْنَوِيُّون : هم جماعة مـن الأتراك الذين سكنوا الجزء الجنوبي الشرقي من التركستان وهضاب أفغانستان وجبالها.. لقد أخذ نفوذ هؤلاء الأتراك يعلو في خلافة المعتصم العبّاسي، في حرسـه الخاص، حتّى آل إليهم حكمُ كثيرٍ من ولايات الخلافة الـعبّاسيّة. تـأسّست دولتهم في «غزنة» شـرقاً، وذلك في سنة (٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، ودامت حـتّى سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م)، وامتـدّ سلطانهـا حتّى شـمل كلَّ أفغان وإقليم البنجاب.

اشتهر من حكّامهـا «سبكتكين» (٣٦٦-٣٨٧هـ)، ثمّ ابنه «محمود (٣٨٨-٤٢١هـ) الذي فتح شمال الهند، ووصل إلى سفوح الهملايا شمالاً، وتسلّق هضبة الدكن جنوباً. ولقّب محمود هذا «بالغازي»، واهتمّ بالعلماء، فكان منهم أبو الريحان البيروني الذي صحبه في حملاته، وأبو القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامه.

الغَزْو : (راجع مادّة: **الجِهَاد**).

الغَسَـاسِنَة أو **آل جَفْنَة** : سلالة عـربيّة يمنيّة الأصل. هـجرت بلادها عند انفجار سدّ مـأرب القرن الثالث. استوطنت بلاد حوران وشرقيّ الأردنّ وفـينيقيا اللبنانيّة وفـلسطين. اعتنقوا المسـيحيّـة المونوفيزيّة. عـملوا في الجيش البـيزنطي، وحموا الـحدود السوريّة. أشهر ملوكهم: الحارث بن جَـبلة (٥٢٩-٥٦٩). انتصر على المُنذِر بن ماء السماء اللّخـميّ في يوم حَليمة. المُنذر بن الحارِث (٥٦٩-٥٨١). حارب اللّخميّين وأحرق الحيرة عاصمتهم. نفاه البيزنطيّون إلى صِقِلِّيَّة.

الغُسْل : ١ . هو استعمال ماء طهور في جميع البدن على وجه مخصوص بشروطٍ وأركان.. أمّا **الوُضُوء** فهو استعمال ماء طهور في الأعضاء الأربعة على صفة مخصوصة.. الغسل مشروع بالكتاب والسنّة، لقوله تعالى: «وإنْ كنتم جُنُباً فاطَّهَّرُوا» (٥/٦)، وقوله: «ولا تقربوهنّ حتّى يَطْهُرْنَ. فإذا تَطَهَّرْنَ» (٢/٢٢٢)، أي: اغتَسلن. وأمّا السنّة فممّا روته عائشة أنّ رسول اللّه قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسّ الختانُ الختانَ، فقد وجب الغسل»[١].

٢ . والغسل قد يكون واجباً كغسل الجنابة والحائض؛ وقد يكون سنّة كغسل الجمعة والعيدَين.

٣ . اتّفق الفقهاء على أنّ خروج المنيّ من موجبات الغسل. ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة في النوم أو اليقظة. والأصل في ذلك حديث أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ قال: «إنّما الماء من الماء»[٢]، ومعناه: يجب الغسل بالماء من إنزال الماء الدافق، وهو المنيّ.

٤ . واتّفق الفقهاء على أنّ التقاء الختانَين يوجب الغسل، روى أبو هُريرة: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ثمّ جهدها فقد وجب الغسل». وزاد في رواية: «وإن لم ينزل»[٣]، وعن النبيّ قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ومسّ الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل»[٤]. والتقاء الختانَين يحصل بتغييب الحشفة في الفرْج.

٥ . واتّفق الفقهاء على أنّ الحيض والنفاس من موجبات الغسل. ودليل ذلك قوله تعالى: «ويسألونك عن الحيض. قل: هو أذىً. فاعتزلوا النساءَ في المحيض. ولا تَقرَبوهنّ حتّى يَطْهُرنَ. فإذا تَطَهَّرْنَ فأتُوهنَّ مِن حيثُ أمرَكم اللّهُ» (٢/٢٢٢)، أي: إذا اغتسلن. فمُنع الزوج من وطئها قبل غسلها، فدلّ على وجوبه

---

(١) أخرجه مسلم ١/٢٧٢، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه مسلم ١/٢٦٩.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٣٩٥؛ مسلم ١/٢٧١.

(٤) أخرجه مسلم ١/٢٧٢، من حديث عائشة.

عليها؛ ولقول النبيّ لفاطمة بنت أبي حبيش: «إذا أقبلتِ الحيضة فدَعِي الصلاةَ. وإذا أدبرتْ فاغسلي عنكِ الدم وصلّي»[٥].

٦ . ذهب الفقهاء إلى أنّ الموت من موجبات الغسل، لقول النبيّ، حين توفّيتْ إحدى بناته: «إغسلْنَها ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر من ذلك»[٦]. أمّا غسل الميت فكلٌّ جنسٍ يَغسل شبيهه، إلاّ أنّ المرأة تستطيع غسلَ زوجها. ولا غسل للشهداء..

٧ . وذهب بعض الفقهاء، المالكيّة والحنابلة، إلى أنّ إسلام الكافر موجبٌ للغسل، لما روى أبو هُريرة أنّ ثمامة بن أثال أسلم، فقال النبيّ: إذهبوا به إلى حائط بني فلان، فمروه أن يغتسل»[٧].. وذهب الحنفيّة والشافعيّة إلى استحباب الغسل للكافر إذا أسلم وهو غير جُنُب.. وإذا أسلم الكافر وهو جنب وجب عليه الغسل.

٨ . من فرائض الغسل: ١– النيّة؛ ٢– تعميم الشعر والبشرة بالماء، لقول النبي: «إنّ تحت كلّ شعرة جنابة. فاغسلوا الشعر، وأنقوا البشَرَ»[٨]؛ ٣– «المضمضة والاستنشاق من الوضوء الذي لا بدّ منه»[٩]؛ ٤– نقض الضفائر، وفيه خلاف لكثافة الضفيرة أو خفّتها.

٩ . من سنن الغسل:

١ – التسمية، لعموم حديث: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأ فيه ببسم اللّه الرحمن الرحيم، فهو أقطع»[١٠]؛

٢ – غسل الكفّين؛

٣ – إزالة الأذى، أي النجاسة، لقول ميمونة في صفة غسل النبي: «ثمّ

---

(٥) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٤٠٩؛ مسلم ١/٢٦٢.

(٦) أخرجه البخاري، فتح الباري ٣/١٣٢؛ مسلم ٢/٢٤٦، من حديث أم عطيّة.

(٧) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤، وصحّحه ابن خزيمة ١/١٢٥.

(٨) أخرجه أبو داود ١/١٧٢، من حديث أبي هُريرة.

(٩) أخرجه الدارقطني ١/٨٦، من حديث عائشة.

(١٠) أخرجه السبكي في طبقات الشافعيّة ١/٦، من حديث أبي هُريرة.

أفرغ على شماله فغسل مذاكيره»[١١]؛

٤ – الوضوء، لقول عائشة: «كان رسول الله إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثمّ توضّأ وضوءَه للصلاة»[١٢]؛

٥ – البدء باليمين، لحديث أنّ النبي «كان يعجبه التيمّن في طهوره»[١٣]؛

٦ – البدء بأعلى البدن؛ ٧– تثليث غسل الأعضاء، لحديث ميمونة: «ثمّ أفرغ على رأسه ثلاث حفنات»[١٤].

١٠ . من مكروهات الغسل:

١ – الإسراف في الماء؛

٢ – ضرب الوجه بالماء؛

٣ – التكلّم بكلام الناس؛

٤ – الاستعانة بالغير من غير عذر؛

٥ – الغسل في الخلاء وفي مواضع الأقذار؛

٦ – ترك الوضوء أو المضمضة أو الاستنشاق..

الغِشّ: ١ . نقيض النصح؛ وهو حرام؛ سواء أكان بالقول أم بالفعل؛ وسواء أكان بكتمان العيب في المعقود عليه أو الثمن أم بالكذب والخديعة؛ وسواء أكان في المعاملات أم في غيرها من المشورة والنصيحة. روى أبو هُريرة أنّ رسول الله قال: «مَن غَشَّنا فليس منّا»[١]..

٢ . لقد نهى الله عن الغشّ بالبخس والتطفيف في الكيل والميزان، وذلك في عدّة آيات، منها قوله: «أوفُوا الكيلَ. ولا تكونوا من المُخْسِرين. وزِنُوا

---

(١١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٣٦٨؛ مسلم ١/٢٥٤.

(١٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٣٦٠؛ مسلم ١/٢٥٤.

(١٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٢٦٩؛ مسلم ١/٢٢٦.

(١٤) أخرجه مسلم ١/٢٥٤.

(١) أخرجه مسلم ١/٩٩.

بالقِسْطاسِ المستقيم. ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم. ولا تَعثَوا في الأرضِ مفسدين» (٢٦/ ١٨١-١٨٣). وتوعّد المطفّفين بالويل، وهدّدهم بعذابِ يومَ القيامة في قوله: «وَيلٌ للمطفِّفين الذينَ إذا اكتالوا على الناس يَستَوفُونَ، وإذا كالوهم، أو وزَنُوهم، يُخسِرون. ألا يَظُنُّ أولئك أنّهم مبعوثون ليومٍ عظيم» (٨٣/ ١-٥).

٣ . ووردت أحاديث كثيرة في غشّ الولاة للرعيّة، قال النبي: «ما من والٍ يلي رَعيّةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلاّ حرّم اللّه عليه الجنّة»[٢].. وقد عدّ الذهبي غشّ الولاة من الكبائر[٣]؛ ومرتكب الكبيرة فاسق؛ والفسق منافٍ للعدالة..

الغَصْب : هو أخْذ الشيء ظلماً وقهراً مع المجاهرة. وهو الاستيلاء على حقّ الغير عدواناً، أي بغير حقّ. يتحقّق الغصب بمجرّد الاستيلاء، أي إثبات يد العدوان على الشيء المغصوب، وإزالة يد المالك، بالنقل والتحويل.. مثله مثل: **التعدّي**، وهو مجاوزة الحدّ والحقّ. فهو أعمّ من الغصب. و**الإتلاف**، وهو إخراج الشيء من أن يكون منتفعاً به منفعة مطلوبة منه عادة.. إلاّ أنّ الإتلاف يتحقّق مع بقاء يد المالك؛ فيما الغصب لا يتحقّق إلاّ بزوالها.. و**الاختلاس**، وهو أخذ الشيء مخادعة عن غفلة وبحضرة صاحبه جهراً مع الهرب به.. و**السرقة**، وهي أخذ مال الغير على وجه الخفية والاستتار، وهي توجب الحدّ.. و**الحرابة**، وهي أخذ المال على وجه القهر، وحكم المحارب أنّه يُقتل أو يصلّب، أو يقطّع من خلاف، أو يُنفى من الأرض.

الغَضَب : نقيض الرضا. وهو إرادة الإضرار بالمغضوب عليه. وهو السخط مع إرادة الإنتقام. إذا كان الغضب من اللّه كان بمعنى النقمة والعقاب؛ وإذا كان من البشر فهو هيجان النفس لأمرٍ يتّصل بالشخص نفسه. وقد يكون الغضب من أجل حرمة للّه تُنتهك. فهو محمود. والغضب يُفقد صاحبه أناتَه. وفي السنّة ما يشير إلى خطر الغضب، لقول الرسول لسائله الذي قال له: «أوصِني. فقال له: لا تغضبْ. وكلّما ردّد: أوصِني، قال له: لا تَغضَبْ» (رواه البخاري).

---

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٣/ ١٢٧.

(٣) الذهبي، كتاب الكبائر، ص ٦٧.

غَطَفَان : من قبائل العرب الشماليّة. من قَيس عَيلان. منها ذُبيان وعَبس.

الغُلاة : ١ . هم الذين يتطرّفون في المسائل الدينيّة. وقد نهى القرآن أهلَ الكتاب عن الغلوّ: «يا أهلَ الكتابِ! لا تَغْلُوا في دينِكم، ولا تَقولوا على اللّهِ إلاّ الحَقَّ: إنّما المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ رسولُ اللّهِ وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ، وروحٌ منه» (٤/ ١٧١)؛ وقال أيضاً: «قُلْ: يا أهلَ الكتابِ! لا تَغْلُوا في دينِكم غيرَ الحقِّ. ولا تَتَّبِعوا أهواءَ قومٍ قد ضلُّوا مِن قَبْلُ وأَضلّوا كثيراً، وضلُّوا عن سواءِ السبيل» (٥/ ٧٧).

٢ . وكذلك حذّر الرسول من الغلوّ، فقال: «إيّاكمْ والغلوّ في الدِّين، فإنّما هلك من قبلكم بالغلوّ في الدِّين»[1]؛ وقال: «هلك المتنطّعون»[2]؛ وقال أيضاً: «لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيُشدَّد عليكم. فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشُدِّد عليهم. فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات»[3].

٣ . لذا كانت الوسطيّة إحدى الخصائص العامّة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسيّة التي ميّز اللّهُ بها أمّتَه عن غيرها، لقوله: «وكذلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتكونوا شُهَداءَ على النّاسِ ويكونَ الرسولُ عليكمْ شَهيداً» (٢/ ١٤٣).

وفي نصائح الرسول للمسلمين، عندما جاءَه واحد وقال له: «أنا أصومُ ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أصلّي ولا أنام. وقال الثالث: أنا أعتزل النساء. بيّن الرسول خطأهم وقال: «أمّا أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوّج النساء. فمَن رغب عن سنّتي فليس منّي»[4].

٤ . إلاّ أنّ الغلوّ أُطلق، بنوع خاصّ، على بعض فرق الشيعة الذين يغالون في توقير الأئمّة. وكان أوّل الغلاة عبداللّه بن سبأ.

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير سورة الحديد.

(٤) حديث متّفق عليه. ذكر بمعناه لا بلفظه.

٥ . من موضوعات المغـالاة: سبّ أبي بكر وعمر لأنّهما اغتـصبا حقّ عليّ؛ وكذلك عصمـة الأئمّة من أي نوع من الخطأ، والغيبة، والرجـعة، وقدرة الإمام على التنبّؤ، وأنّ فـيه نوراً إلهيّـا، والقول بالتناسخ، وخلع الصـفات البشـريّة على اللّه، والقول بأنّ الإمامة لم تخرج من الأسرة الهاشميّـة، وتفسير القرآن تفسيراً رمزيًا. وقول بعض الصـوفيّة بالحلول وبوحدة الـوجود، والتحرّر من الفـرائض الدينيّة، وانعزال بعض الـزهّاد عن الحياة، وسكناهـم الكهوف، وممارسة حـياة الرهبـانيّة التي لا يقبلها الإسلام.

غِلْمَانُ الجَنَّة: موضـوع مثيـر وخطير جدًا في مـسائل المتع الجنسـيّة في الجنّة هو موضوع مواقعة الغلمان. وقـد لا نجرؤ على أن نقول شيئاً من عندنا في موضوع دقيق كـهذا. إنما نعتمد على مـا جاء في كتاب "*خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة*" للشيخ الأزهريّ مـحمّد جـلال كشك. هذا الكتـاب طاردَه علماءُ الأزهر، ومنعوا تداوله في الأسواق، ورفعـوا بوجه صاحبه دعوى قضـائيّة. إلاّ أنّ القضاء أباحه، وأفرج عنه. ثمّ أعيدت طباعتُه، مع إشارة على غلافه: "بأمر القضاء".

وجاء "أمرُ القضاء". يقول: "أمّـا الاستمتاعُ بالولدانِ في الجنّة لِمَن عَفَّ في الدنيا، فإنّه رَجْمٌ بالغيب. لا يعلمُ حقيـقتَه إلاّ اللّه. ولا يملكُ مَن يَنفي، أو يُثبتُ، دليلاً حاسـماً في هذا الموضوع.. والعلمُ به لا يَزيدُ من علمِ الجـاهل بما يُفيدُه.. كـما وأنّ الجهْلَ لا يضرُّ.. والجدلُ فيه عقيم. والخوضُ فيه غيرُ مجدٍ"[1].

يقول الشيخُ الأزهريّ: «إنّ أهمّ ما يُلفتُ النظرَ في متَعِ الرجال الجنسيّة في الجنّة "وعدُه سـبحـانَه وتعالى للمـؤمنين بولدانٍ وغِلمانٍ في الجنّـة "مُخلَّدون"، وغاية في الجمال والنضارة» (ص ٢٠١).

«واللفظ المختـار شديدُ التوفيق والـتعبيـر، أي وُلدانٌ خالدي الولدنة، أي لا يتجـاوزون تلك المرحلة التي تَفتُنُ العـربيَّ المصابَ بهذا الداء. بل تُثـبتُ الدراسـاتُ أنّهـا السِّنُّ التي تغـوي الغالبـيّةَ العـظمى من الذكور الذين سُـجِّلَ لهم مَـيْلٌ لُوطِيٌّ

---

(١) محمّد جلال كشك، خواطر مسلم في المسألة الجنسيّة، ص ١٣٢.

مؤقّتٌ. فمَن قاوَمَها وكَبَحَ نفسَه عن الفعلِ فلهُ في الجنّة ما اشتهى، تماماً كما للشابِّ العفيف الذي صانَ نفسَه عن الزنا بالفتاة التي اشتهى، فله في الجنّة "حُورٌ عِيْنٍ"، كلّما فَضَّ بكارَةَ واحدةٍ عادتْ بِكْراً ولو فضَّها سبعينَ مرّة في الليلة. فما أحلى البكارةَ في زمنِ الخلودِ الذي تَسقُطُ فيه الخِبْرة. كذلك مَن عفَّ نفسَه عن الغلامِ الأمردِ فله في الجنّة "ولدانٌ مُخَلَّدون"، أي غلامٌ يبقى أمردَ إلى الأبد.. وهل جَزاءُ الإحسانِ إلاّ الإحسان؟!» (ص١٣٠-١٣١).

ويبرّرُ الشيخُ هذه الظاهرة فيقول: «وحقٌّ للدارسين القولُ إنّه، منذ الإغريق، لم يَحدثْ تسامحٌ وقَبولٌ إجتماعيٌّ لهذه الظاهرة إلاّ في الحضارة الإسلاميّة. فالناسكُ يَعشقُ الغلامَ، ويَمرضُ في حبِّه.. فيستجيبُ (الغلامُ) لذلك بروحٍ أكثرَ من متسامحة. ويزورُ عاشقَه (أي الناسكَ) حتى يُشفى. ثمّ لا يكتفي بذلك. بل يعرضُ عليه المعاشرة» (ص ١٨٦).

ويخبرنا الشيخ عن أحد معلّمي الصبية في الأندلس «أنّه اشتكى غلامَه المتمنِّعَ إلى قاضي البلدة، فحكَمَ القاضي بأنَّ الجَمَالَ هُوَ لِلاسْتِمْتَاع. عندَها عانقَ المعلِّمُ فتاه، بأمر المحكمة، عناقَ اللاّم للألِف. وبلغَ من اقتناعِ الغلامِ بقرار المحكمة أنّه طلبَ من اللّه أن يَغفرَ له خطيئةَ التمنّع» (ص ١٣٣).

ثمّ يعلّق الشيخُ على ما جاء في القرآن عن غلمان الجنّة، في ثلاث سوَر:

- يقول في تعليقه على سورة الواقعة (٥٦/ ١٠-٤٠): "ولا أظنُّ أنّ أحداً يستطيعُ المجادلةَ في أنّ "الولدان" هنا هم غلمان. وأنّهم يُعرضون في مجال التنعّم والتلذّذ، كجزاءٍ حسنٍ للمؤمنين. مثَلُهم مَثَلُ الأباريق والخمر والفاكهة والطير وحور العِين[٢]. كلّها للمتعة، بما فيها من حسن. وإذا كان "الولدان" و"حور العين" هما الكائنان العاقلان؛ وحور العين، ثابتٌ في الأثر وبنصّ القرآن، أنّهنّ للاستمتاع الجنسي، (فالولدان أيضاً هم كذلك). وكلّ الفرق في الآية بينهنّ (أي بين الحور العين) وبين الولدان، هو أنّ حور العين "لؤلؤ مكنون" والولدان

---

(٢) هذه أشياء ذكرها القرآن استثارة للمتعة...

"لؤلؤ منثور". والمفسِّرون، رضي الله عنهم، قرّروا أنّ اللؤلؤ المنثور أكثر جمالاً من المكنون، وإنْ كان المكنون أكثر صيانةً، وأكثر إثارةً للمخاطر. إلاّ أنّ اللّهَ سبحانَه وتعالى قد آثر هؤلاء الغلمان بالجمالَين، المكنون والمنثور معاً» (ص٢٠٢).

ثم يقول الشيخ معلّقاً على (٧٦/ ١٢-٢٢): «قال المفسّرون: مضطجعون على الأسرّة المزيّنة بفاخرِ الثياب والستور. وإنما خصّهم (اللّه) بهذه الحالة، لأنّها أتمُّ حالاتِ التنعّم. أي غلمان يُنشِئُهمُ اللّه تعالى لخدمة المؤمنين، "مُخلَّدون"، أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء.. أي باقون على ما هم عليه من الشباب والنضارة، والغضاضة والحسن. لا يهرمون، ولا يتغيّرون، ويكونون على سنٍّ واحدة على مرّ الأزمنة. إذا نظرتَهم منتشرين في الجنّة لخدمة أهلها، خلتَهم، لحسنِهم وصفاءِ ألوانهم وإشراقِ وجوههم، كأنّهم اللؤلؤ» (ص ٢٠٢-٢٠٤).

ثمّ يعلّق الشيخ على ما جاء في سورة الطور (٥٢/ ٢٠-٢٩) فيقول: «وإذا كان المفسّرون قد اتّفقوا على دوام صفة الولدنة، أو خلودهم في سنّ الغلمان، فقد استنتجْنا أنّ الحكمةَ في النصّ على الخلود هي تأكيد مصدر النعمة في هؤلاء الغلمان لمن يشتهيهم، ودوامها، بعكس ما في الدنيا من زوال الفتنة بدخول الغلام سنَّ الرجولة.. وسيكافئ اللّهُ الأبرار ويجازيهم على "ما صبروا" جنّةً وحريراً وولداناً مخلَّدين، مع ثيابِ سندس وإستبرق وأساور من فضّة.. تماماً كأنّهم "هِبِيِّين أو بَّانْكْ"» (ص ٢٠٥-٢٠٦)..

ثمّ يستنتج الشيخ جلال كشك من هذه المعطيات القرآنيّة الحقائق التالية:

١ . من الخطأ تقييم الحياة الأخرى بمقاييس هذه الحياة التي نعيشها. ففي الجنّة، أو النار، لا خير ولا شرّ. لأنّ الشرّ والخيرَ هو بما يعود عليك بنتيجة العمل. وهذه غير متاحة في عالم الخلود. فلا شيءَ يضرّك ولا تستطيع الإضرار بأحد. فكيف يكون الفعلُ شرّيراً؟! وبالتالي، فلا خير، وإنّما هناك لذيذ وألذّ.

٢ . كلّ المحرّمات في هذه الأرض تسقط في الآخرة. فقد وعَدَنا بالخمر وإن كانتْ أفضل من خمر هذه الأرض. فهي لا تسبِّبُ صداعاً ولا عطشاً.. وحور عينٍ

بلا عدد. ولا أظنُّ أنّ هناك سـببـاً مثل اختـلاط الأنساب أو الأمراض يبـرّرُ تحريمَ التمتّع بهنّ على نحوٍ يختلفُ عمّا في دار الفناء هذه.

٣ . ثمّ "لماذا النصُّ على أنّهم غِلمانٌ وولدانٌ!! وإذا كانت الغايةُ هي الخدمة الحـسنة والمنظـر الجـمـيل.. فلمـاذا لم يكونوا مـلائكة؟ وهـل أجـمل أو أبهى من الملائكة؟.. ليس للغلمان من صـفة يتميّـزون بها على الملائكة في الخدمـة والجمال والتكريم، إلاّ أنّ الملائكة كـائنات غـيـر جنسيّـة.. من هنا نذهب للـقول بأنّ لهـؤلاء الغلمان مهمّةً خاصّةً استلزمت إنسانيّتَهم.

٤ . ثمّ إذا قال رسـولُ اللّه: "مَن سرَّه أن يسقـيَهُ اللّهُ عزّ وجلّ الخـمرَ في الآخرة، فليتركها في الدنيا. ومَن سـرَّه أن يكسوهُ اللّهُ الحريرَ في الآخرة، فليتركهُ في الدنيا... فلماذا نضـعُ «فـيْتُوْ» على اشتهاءٍ معـيّنٍ، ونقولُ إنّه محظورٌ في الجنّة. واللّهُ يقول: "ولكم فيها ما تشتهي أنفسُكم؟! "[٣].

٥ . ثمَّ أيَّةُ مـحاولةٍ لإنكارِ هؤلاء الغلمـان، ستنتـهي بصاحـبهـا إلى إنكار الطابع الحسّيّ لجنّتِنا واقـتباس التصوّر المسيـحيّ عن جنّة روحيّة لا أجسادَ فـيها ولا اشتهاء ولا متع حـسّيّة.. غير أنّ جنّتَنا هي "جنّة شـهوانيّة حسـّيّة، نأكلُ فيها، ونمارسُ الجنسَ، كأنّ هـذا عيبٌ لا يليق!! ونحن أمام نصـوص صريحـة تؤكّدُ أنّ الجزاء سيكون بصورةٍ ما من نفس العمل. فـسنُعَوَّضُ في الآخرة عمّا حُرِمْنَا منه، أو ما تعفّـفنا عنه، أو ما أحْسَنَّا شكرَ نعمـته. ولا مجال لأيّ خجل أو اسـتخزاء من ناحية المطالب الحسّيّة للجسد، كما يفعلُ صرعى الحضارة الغربيّة.

٦ . ثمَّ إنَّ اللّذة الجنسيّة، وهي التي قال ابنُ القيّم أنّهـا وحدَها التي ستبقى

---

(٣) سورة فـصّلت ٤١ / ٣١. هذا وإنّ أحاديث عديدة تـشير إلى أنّ مـا حرم الإنسانُ نفسَه منه هنا سيُعـوّض عليه به هناك. فكان رسول اللّه يمنعُ أهلَه الحليـةَ والحرير، ويقول: "إن كنتم تُحبّون حليةَ الجنّـةِ وحريرَها، فلا تلبسوها في الدنيا" (عن النسـائي، والحاكم، وابن حيان، وابن حنبل. (أنظركتاب تحفة العروس، ص ٢٧٠). وعند ابن قيّم الجوزيّة أيضا قوله: الزاني يعرّضُ نفسَـه لفوات الاستمتـاع بالحور العين في المساكن الطيّبـة في جنّات عدن" (روضة المحبّين، ٣٦١، عن تحفة العروس ص ٣٧٨).

في الآخرة.. وكما أنّ المؤمن السويّ يستمتع بأنثى إسمُها حور عِين، فكذلك مَن ابتُليَ بهوى الغلمان في الدنيا، وعفّ، وما تخطّى حدودَ اللّه، يمتّعه اللّهُ بكائنات مذكّرة إسمها الولدان المخلّدون. أمّا أن يستمتعا روحيًا، أو جسديًا، فهذه مزاجات شخصيّة لا نتدخّلُ فيها.

٧ . ثمَّ إنَّ الذي كبح شهوتَهُ، وصان عفّتَه، وحفظ فرجَه، ألا يستحقُّ الجزاء؟! وما الجزاء إلاّ أن ينالَ في الجنّة ما اشتهى وأفضل؟!.. فكما أنّ " حور العين " جزاءُ مَن اشتهى الزنا ولم يقربْهُ من خشية اللّه، فكذلك " الولدان " جزاءُ مَن اشتهى وعَفَّ... واللّهُ أعلم!... فالعفّةُ مطلوبةٌ وجزاؤها التحرّرُ والقوّةُ في الدنيا.. والجنّةُ ونعيمُها، بحورِها وولدانِها، أو ما شئتَ ممّا لا عينَ رأتْ ولا أذنَ سمعتْ في الآخرة... إن شاء اللّه...» (ص ٢٠٦-٢١٤).

الغُلُول : ١ . هو أخْذ شيء من الغنيمة قبل القسمة، ولو قلّ، أو الخيانة من الغنيمة قبل حوزها، أو الخيانة من المغنم، لأنّ صاحبه يغلّه، أي يخفيه في متاعه، أو هو السرقة من المغنم. والغالّ: الذي يكتم ما يأخذه من الغنيمة، فلا يطّلع الإمام عليه، ولا يضعه مع الغنيمة.

٢ . اتّفق الفقهاء على أنّ الغُلول حرام، لقوله تعالى: «ومَا كانَ لنبيٍّ أن يَغُلَّ. ومَن يَغْلُلْ يأتِ بما غَلَّ يومَ القيامة» (٣/ ١٦١)؛ ولقول النبي: «لا يَحِلّ لامرئٍ يؤمنُ باللّهِ واليومِ الآخِر أن يسقي ماءَه زرعَ غيرِه، ولا أن يبتاعَ مَغْنَماً حتّى يُقْسَم، ولا أن يلبسَ ثوباً من فيء المسلمين حتّى إذا أخْلَقَه ردّه فيه، ولا يركب دابّةً من فيء المسلمين حتى إذا أعْجَفَها ردّه فيه»[1].

٣ . ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الغالّ من الغنيمة يُعزر ولا يُقطع، لأنّ له حقًّا في الغنيمة، فيكون ذلك مانعاً من قطعه.

الغِنَاء : هو ما طرب به من الصوت.. ذهب معظم الفقهاء إلى أنّ اتّخاذ الغناء

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢١٧.

حرفةً يُرتزق منها حرام.. وذهب الشافعيّة إلى أنّه لا تجوز شهادة المغنّي، وذلك أنّه من اللّهو المكروه الذي يشبه الباطل، وإن لم يكن محرّماً بيِّنَ التحريم.

الغَنِيْمَة : هي المال الذي يأخذه المسلمون من الكفّار بالقوّة والقهر والغلبة، بإيجاف الخيل والركاب.

١ . لم تكن الغنائم تحلّ لمن مضى من الأمم. لهذا جاء في حديث للنبيّ: «أُعطيتُ خمساً لم يعطهنّ نبيٌّ قبلي.. وأحلّتْ لي الغنائم ولم تُحلّ لأحدٍ قبلي»[1]. وكانت الغنائم، في أوّل الإسلام، لرسول اللّه وحدَه، لقوله تعالى: «يسألونك عن الأنفال؟ قل الأنفال للّه والرسول» (٨/١). ثمّ صار أربعة أخماسها للغانمين، والخمسُ لغيرهم، لقوله تعالى: «واعلموا أنّما غنمتم مِن شيء فإنّ للّه خمسةَ وللرسول، ولذي القُربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل» (٨/٤١)؛ وقوله: «فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيّباً» (٨/٦٩)، فأحلّها اللّه لهم...

٢ . يُعدّ من الغنيمة ما أُخذ من الحربي من أموال منقولة قهراً بقتال، لأنّه مالٌ أُخذ في دار الحرب بقوّة الجيش. فكلّ مالٍ يصل إلى يد جيش المسلمين في دار الحرب باعتبار قوّتهم فهو غنيمة، لا ما أُخذ من أموال أهل الذمّة من جزية وخراج، ولا ما جلوا عنه وتركوه فزعاً، ولا ما أُخذ منهم من العشر إذا اتّجروا، ونحوه.

٣ . ثمّة فرق بين **الفَيْء** والغنيمة: الفيء هو المال الحاصل للمسلمين من أموال الكفّار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب؛ وأنّ الفيء لا يُخمّس، كما تخمّس الغنيمة. وكذلك فرق بين الغنيمة و**الجِزْيَة**، إذ الجزية إسم لما يؤخذ من أهل الذمّة، ومن غير قتال، فيما الغنيمة لا تكون إلاّ في القتال. أمّا **النَّفَل**، جمْع: أنفال، فهو ما خصّه الإمام من الغنيمة لبعض الغزاة تحريضاً لهم على القتال. وسمّي نفلاً لكونه زيادة على ما يسهم لهم من الغنيمة. والفرق بين الغنيمة والنفل: أنّ النفل ينفرد به بعض الغانمين من الغنيمة زيادة على أسهمهم لعملٍ قاموا به نكاية بالعدوّ. أمّا الغنيمة فللجميع. وأمّا **السَّلَب** فهو ما يأخذه المقاتل المسلم من قتيله

---

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١/٤٣٦؛ ومسلم ١/٣٧١، ط. الحلبي، من حديث جابر بن عبداللّه.

الكافر في الحرب ممّا عليه من ثياب وآلات حرب، ومن مركوبه الذي يقاتل عليه، وما عليه من سرج ولجام. جاء في حديث: «مَن قَتَلَ قتيلاً له عليه بيّنة فله سَلَبُه»[٢]. والفرق بين السلَب والغنيمة: أنّ السلب يكون زيادة على سهم المقاتل ممّا مع القتيل.

٤ . ذهب الفقهاء إلى أنّ الغنيمة تُقسم في دار الحرب، تعجيلاً لمسرّة الغانمين، وذهابهم لأوطانهم، ونكاية للعدوّ.. والأخذ من الغنيمة بعد حوزها سرقة؛ والأخذ منها قبل حوزها غُلُول.. والتنفيل جائز قبل الإصابة للتحريض على القتال، فإنّ الإمام مأمور بالتحريض، قال تعالى: «يا أيّها النبيّ! حَرِّضِ المؤمنينَ على القِتال» (٨/ ٦٥)، وقال أيضاً: «حرِّضِ المؤمنين» (٤/ ٨٤).

٥ . يستحقّ الغنيمةَ: ١ - كلُّ صحيحٍ، أي من أهل القتال؛ ٢ - مَن يدخل دارَ الحرب قصد القتال؛ ٣ - أن يكون ذكراً، فلا يُسهم للأنثى ولو قاتلت؛ ٤ - أن يكون مسلماً، فلا يسهم لكافرٍ ولو قاتل؛ ٥ - أن يكون حرّاً، فلا يسهم لعبدٍ ولو قاتل؛ ٦ - أن يكون عاقلاً بالغاً، فلا يسهم لمجنون أو لصبيّ..

٦ . إنّما يُرضَخُ لهؤلاء بحسب رأي الإمام (و**الرَّضْخ** دون السهم). والرضخ يكون لمن لا يلزمه القتال، إنّما يُرضِخ له الإمام تحريضاً على القتال. وأصحاب الرضخ هم: الصبيّ، والمرأة، والعبد، والذمّي.. والرّضخ يكون باجتهاد الإمام، بينما السهم فإنّه يستوي فيه المقاتل وغيره، لأنّه منصوص عليه.

الغَوث : هو كنية القطب، أي رئيس جماعة الأولياء الصوفيّة.

الغَوْل : هو إهلاك الشيء من حيث لا يحسّ به. وكلّ ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه فهو غَوْل.

الغُوْل : وهي أنثى. والمذكّر: القُطْرُب. والجمع غِيلان وأغوال. وهي، عند العرب القدماء، عبارة عن مجموعة متوحّشة ومتشيطنة ومعادية، من مردة الجنّ..

---

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٧.

وقيل إنّ الغُول هي السِّعْلاة، وجمعها سَعَالَى، التي لها قدرة على التغيّر، ومن ثمّ كانت تدعى ساحرة الجنّ.

غُولْتْسِهِر (إيناس) Goldziher (ت ١٩٢١) : مستشرق مجريّ. زار سورية وفلسطين ومصر. له تصانيف بالألمانيّة والإنكليزيّة والفرنسيّة، في الإسلام والفقه والأدب العربيّ. عني بدرس الفرق الإسلاميّة. نشر «ديوان الحُطيئة»؛ و«فضائح الباطنيّة» للغزاليّ. من كتبه «العقيدة والشريعة في الإسلام».

الغَيْب : ١ . هو كلّ ما أخبر به القرآن والرسول ممّا لا تهتدي به العقول من أشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر، والنشر، والصِّراط، والميزان، والجنّة، والنّار، والملائكة، والجنّ، والكتب السماويّة، وقيل: القضاء والقدر.

٢ . هذا الغيب لا يعلمه إلاّ اللّه الذي «عندَه مفاتيحُ الغيبِ لا يَعلمُها إلاّ هو» (٥٩/٦)؛ وحده اللّه «عنده علم الساعة، ويُنزِّل الغيثَ، ويعلَم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تَكسِبُ غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت. إنّ اللّه عليمٌ خبير» (٣٤/٣١)؛ وكذلك قال: «يسألونك عن الساعة أيَّانَ مُرساها؟ قلْ إنّما عِلمها عند ربيّ، لا يُجلّيها لوقتها إلاّ هُوَ. ثَقُلَتْ في السموات والأرض لا تأتيكم إلاّ بَغتَةً. يسألونك كأنّك حَفِيٌّ عنها، قلْ إنّما عِلمُها عند اللّه. ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلمون» (١٨٧/٧).

٣ . فاللّه هو الذي يعلم الغيب وحده (ر: ٢٠/١٠؛ ٦٥/٢٧)؛ لا يُطلع عليه إلاّ مَن يشاء: «وما كان اللّهُ لِيُطلِعَكم على الغيبِ. ولكنَّ اللّهَ يَجتبي من رُسُلِهِ مَن يشاء» (١٧٩/٣)؛ «عالِمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غَيبِه أحداً، إلاّ مَن ارتضى من رسولٍ فإنّه يَسلُكُ مِن بين يَديهِ ومِن خَلْفِه رَصَداً» (٧٢/٢٦-٢٧).

الغَيْبَة : البُعد. يقال: غاب الشيء يغيب غيباً وغَيبةً وغياباً. وتستعمل بمعنى: التواري عن العين. وهي أيضاً: وصف حالة إنسان يحجبه اللّه عن أعين الناس، ويمدّ في عمره خلال تلك الفترة، كما لو أنّ هذا قد حدث بمعجزة. والمثل البارز عن هذا هو الإمام المستور، أو المهدي، عند الشيعة الإثني عشريّة. فبرغم أنّه

غير منظور بوجه عامّ إلاّ أنّه لا يزال يعيش على ظهر الأرض. ورآه البعض من حين لآخر. وكان على اتّصالٍ بغيرهم ويسيطر على حظوظ قومه.

الغِيْبَة : من اغتابه اغتياباً، إذا ذُكر شخصٌ بما يكره من العيوب. وهي: **البهتان**، أي :افتراء الكذب، وذكرُكَ لأخيكَ بما ليس فيه. والفرق بين الغِيبة والبهتان هو: أنّ الغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يَكره؛ والبهتان وصفه بما ليس فيه، سواء أكان ذلك في غيبته أم في وجوده. قال الرسول: «أتدرون ما الغِيبة؟ قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلم. قال: ذكْرُك أخاكَ بما يكره. قيل: أفرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[١].

والغِيبة من الكبائر، لقوله تعالى: «ولا يَغتَبْ بعضُكم بعضاً. أيُحِبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحمَ أخيه مَيتاً فكَرِهْتُموه. واتّقوا اللّهَ إنّ اللّهَ توّابٌ رحيم» (٤٩/١٢)، يعني: إذ كنتم تعافون أكل لحم الميت طبعاً، فعافوا الغِيبة شرعاً، لأنّها أشدّ وأخطر. وبقول النبي: «لمّا عُرج بي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاس، يخمشون وجوهَهم وصدورَهم. فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحومَ النّاس ويقعون في أعراضهم»[٢]، وقوله: «لا تغتابوا المسلمين»[٣].

الغَيْرَة : من الغرائز البشريّة التي أودعها اللّه في الإنسان، تَبْرز كلّما أحسّ شركةَ الغير في حقِّه بلا اختيار منه. وغيرة الرجل على زوجته أو محارمه مشروعة، وتركها مذموم. قال النبي: «أتَعجبون من غَيرة سَعد؟ لأنا أغْيَرُ منه. واللّهُ أغْيَرُ منّي»[٤].. ومَن لا يغار على أهله ومحارمه يسمّى «دَيُّوثاً»، و**الدياثة** من الرذائل التي ورد فيها وعيد شديد. جاء في الأثر: «ثلاثة لا ينظر اللّه عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، والمرأة المترجّلة، والدَّيُّوث»[٥].

---

(١) صحيح مسلم، حديث ٢٥٨٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٥/ ١٦٤، من حديث أنس بن مالك؛ رَ: إحياء علوم الدين٣/ ١٩٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٥/ ١٩٤، من حديث أبي برزة الأسلمي، رَ: الترغيب والترهيب ٣/ ١٩٨..

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٢/ ١٧٤؛ مسلم ٢/ ١١٣٦، من حديث المغيرة بن شعبة.

(٥) أخرجه النسائي ٥/ ٨٠؛ الحاكم ٤/ ١٤٧، من حديث ابن عمر.

غَيْلان بن سَلَمَة (ت ٢٣هـ/ ٦٤٤م) : من أشراف **ثقيف** وشعرائها في الجاهليّة. أسلم يوم الطائف.

غَيْلان بن مُسْلِم القَدَرِيّ (أبو مَروان) (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) : متكلّم دمشقيّ وكاتب من البلغاء. قال بالقَدَريّة مع مَعبَد الجُهنيّ. تُنسب إليه فرقة «الغَيلانيّة». ذكره الجاحظ، وذكر ابن النديم رسائلَ له. أمر هشامُ بن عبد الملك بصلبه بعد أن أفتى الإمام الأوزاعيّ بقتله.

الغِيلَة : الخديعة. يُقال: قُتل فلان غِيلةً، أي خدعة. وهو أن يخدعه فيَذهب به إلى موضع حيث يقتله. ومن معاني الغيلة: وطء الرجل زوجتَه وهي تُرضع، وإرضاع المرأة ولدها وهي حامل.

ف

الفَاتِحَة : ١ . أوّل وأشهر سورة في القـرآن. تتضمّن ٧ آيات فقط، و ٢٥ كلمـة . سمّـيت بذلك لأنّه يُفتـتح بها قـراءة القرآن لـفظاً، وتفتـتح بها الكتـابة في المصحف خطّاً، وتفـتتح بها الصلوات عـبادةً. قال النووي: لفـاتحة الكتاب عـشرة أسماء : الصلاة، الحمد، فاتحة الكتاب، أمّ الكتاب، أمّ القرآن، السبْع المثاني، الشفاء، الأسـاس، الوافـيـة، الكافـيـة.. وزاد القـرطبي: القـرآن العظيم، والرقـيـة.. وزاد السيـوطي: فاتحـة القرآن، الكنز، النور، الشكر، الحـمد الأولى، الحـمد القـصرى، الشافية، السؤال، الدعاء، تعليم المسألة، المناجاة، التفويض.

٢ . لها مميّزات خاصّة :

١ – فهي في بداية الكتاب بينما قصار السور الأخرى جميعها في نهايته؛

٢ – وهي على هيئة دعاء بينما السور الأخرى على هيئة موعظة أو خطبة؛

٣ – وعند تلاوتها تختم بكلمـة «آمين» وهو ما لا يحدث في أيٍّ من السور الأخرى. وربّما في سورة الحجر (١٥/٨٧) إشارة إلى الفاتحة تحت عبارة «سبعاً من المثاني»..

٣ . وقال القرطبي: في الفاتحة من الصفـات ما ليس في غيرها، حتّى قيل: إنّ جميع الـقرآن فيها. تضـمّنت جميع علوم القـرآن. ومِن شرفِها أنّ الله سـبحانه قسمها بينه وبين عبدِه. والفاتحة تضمّنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير.

٤ . واتّفق الفـقهاء على أنّ قـراءة الفاتحـة ركنٌ من أركان الصـلاة، لقول النبيّ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[1].

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/٢٣٧؛ مسلم ١/٢٩٥، من حديث عبادة بن الصامت.

٥ . قيل إنّ الفاتحـة أقدم، أو من أقدم السور في القـرآن. وعارض نولدكه هذا الرأي مـحتـجًا بأنّهـا تشمـل تعبـيرات لا وجـود لها في سـور العهـد الأوّل، وأشهرها صفات معيّنة للّه، وهي «الرحمن الرحيم»، وتظهر فيها لأوّل مرّة.

٦ . ولفخر الدين الرازي كلام واسع في الفاتحة. يُنظر فيه.

الفَاحِشَة : الفعلة القـبيحة. وجـمعها: فواحش.. وكـلّ ما يشتدّ قبحُه من الذنوب والمعاصي فهو فاحـشة. مثلها مثل **الفُجُور**.. والفاحشة هي كلّ مـعصية، كالـزنا والسرقـة وغيـرهما، كـما توحي الآية: «.. لا تُخْـرِجُوهُنَّ مِن بيـوتِهِنّ. ولا يَخْرُجْنَ إلاّ أن يَأتِينَ بفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَة. وتلـك حدودُ اللّه. ومَن يتعدَّ حدودَ اللّه فقد ظَلَمَ نفسَه. لا تَدري. لعلّ اللّه يُحدِثُ بعدَ ذلك أمراً» (٦٥/ ١). وكان النبي يقول: «ما كان الفحشُ في شيء إلاّ شَانَه؛ وما كان الحياءُ في شيء إلاّ زَانَه»[1].

الفَارَابِيّ (أبو نَصـر مُـحمّـد) (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) : فـيلسوف الإسـلام ومؤسّس الفلسـفة العربيّة. وُلد في فـاراب في بلاد الترك ونُسب إليهـا. انتقل إلى بغداد يدرس على الطبيب النصراني يوحنّـا بن حيلان. وتعلّم المنطق على أبي بشر متّى بن يونس النسطوري الذي اشتهر بترجمـته للكتب اليونانيّة. ثمّ التحق بسيف الدولة الحمـداني بحلب. وعاش في كنفه عيـشة المتصوّفـة. واصطحبه في فـتحه لمدينة دمشق، وبقي فيها حتّى وفاته بالغاً من العمر ثمانين عاماً.

اشتهر الفارابي بصفة خاصّة بشـروحه على مؤلّفات أرسطو، وقد أكسبته هذه الشروح لقب «المعلّم الثاني»، على أنّ أرسطو هو «المعلّم الأوّل». حاول التوحيد بين قطبَي الفلسفـة أفلاطون وأرسطو، ليواجـه الدين بعقل واحد، ويوحّد بينهـما. كـتب «كتـاب الجمع بين رأيي الحكيـمَين أفـلاطون الإلهي وأرسطو». كان يعـتقـد بصـحة نسـبة كتاب «أنثولوجـيا» إلى أرسطو، وهو كتاب منحـول في الأفلاطونيّة الحديثة، كتب على نهج تاسوعات أفلوطين..

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٤٩، من حديث أنس.

له رسالة «آراء أهل المدينة الفاضلة» تأثر فيه بكتاب «الجمهوريّة» لأفلاطون؛ كما له «التوطئة في المنطق»؛ و«السياسة المدنيّة»؛ و«رسالة في العقل»؛ و«رسالة الفصوص»؛ و«رسالة في السياسة»؛ و«إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها»؛ و«كتاب الموسيقى الكبير»؛ و«كتاب الألفاظ»؛ و«كتاب تحصيل السعادة»؛ و«كتاب الحروف»، وغيرها في كلّ علم.

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاء (ت ١١هـ/٦٣٢م) : ١ . بنت النبيّ، وُلدت بمكّة يوم الجمعة، ٢٠ جمادى الآخرة، بعد البعثة النبويّة بـ ٥ سنين[١]. وهي أعزّ أولاد رسول اللّه عنده وأحبّهنّ إليه. انقطع نسلُه إلاّ منها. ولحبّه لها، كان يدعوها: يا حبيبةَ أبيها. ولقّبَها بالزهراء، لحُسنها، وبالبتول. أقامت مع أبيها بمكّة ٨ سنين، ثمّ هاجرتْ إلى المدينة على أثر هجرة أبيها. وتزوّجها عليّ ابن عمّ النبيّ بالمدينة. ولمّا توفّي النبيّ، قيل: إنّ عمرها كان ١٨ سنة. كان النبيّ يشهد بحقّها ويقول: «فاطمة بضعة منّي فمَن أغضبها فقد أغضبني»، و«فاطمة بضعة منّي. يؤذيني ما آذاها ويُغضبني ما أغضبها».

عن ابن حنبل : إنّ النبي قال: «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خُويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عِمران».

٢ . اعترض النبيُّ على محاولة عليّ الزواجَ من ابنة أبي جهل على أساس أنّ ابنة نبيّ اللّه وابنة عدوّ اللّه أبي جهل لا تعيشان في بيتٍ واحد. وفي هذه المرّة كرّر النبيّ أيضاً قوله: «فاطمة بضعة منّي». وذكر النبي ما يفيد أنّ عليًا، إن أراد أن يتزوّج من ابنة أبي جهل، فعليه أن يطلّق فاطمة أوّلاً[٢].

٣ . يُقال: عندما رفضت نسوة قريش مساعدة خديجة في ولادة فاطمة، هبطت من الجنّة أربع نسوة لمساعدتها، وهنّ: سارة وآسيا ومريم وصفوراء ابنة شعيب وزوجة موسى. وحملتْ عشرُ حوريّات آنيةً وإبريقاً فيهما ماء من نهر

---

(١) أي كان قد أصبح عمر خديجة ٦٠ سنة، وهذا غير معقول.

(٢) رَ: ابن حنبل، مسند أحمد، القاهرة ١٣١٣هـ؛ جـ ٤، صـ ٣٢٦؛ البخاري، جـ ٢، صـ ٤٤٠.

الكوثر، وهو نهـر الجنّة، وسـاعدت الحـوريّة الأولى هؤلاء النسـوة القادمـات من الجنّة، فغسلن الطفلة الوليـدة، ولفّفنَها في قماشٍ معطّر، وباركنهـا وذرّيتَها أيضاً، وجعلنَها وذريّتَها طاهرة مطهّرة.

٤ . ونطقتْ فـاطمة في المـهد إذ حـيَّتِ النسوةَ اللائـي أتين لمساعـدة أمّهـا بأسمائهنّ. وغمر السمواتِ والأرضَ نورٌ سنيٌّ لحظة مـيلاد فاطمة. لذا فقد سمّيتْ بالزهراء. وبعد مـيلادها مباشـرة اعتنقتِ الإسلام، وصدّقتْ بإمـامة علي، ورتّلت القرآن، ونبّأت بما سيحدث من أحداث. ولاحظت خـديجة التي أرضعتْها أنّها كانت تنمو في شهرٍ قدر ما ينمو غيرُها من الأطفال في سنة.

٥ . حضرت فاطمة وفاةَ أبيها. وبعد أن انتُخب أبو بكر خليفة، ظلّت معاديةً له عداءً لا هوادة فيه، إمّا بسبب صراعها مع عائشة؛ أو لأنّهم تخطّوا عليّا؛ أو لأنّ أبا بكر رفض التسلـيم بحقّهـا في أن ترث واحةَ **فَدَك** بحجّـة أنّها كـانت ملكاً خـاصّاً لأبيـها. ولكنّهـا توفّيت قـبل انقضـاء العام. ويظهـر أنّها كـانتْ تعاني من ضـعف جسماني خلال الجزء الأكبر من حياتها.

٦ . وكان لعليّ منها : الحَسن المجتبَـى، والحُسين السبط، ومُحسن السقط بين الباب والجـدار، الذي توفّي طفلاً، وقـيل وُلد ميتـاً، وزينب الكبرى عـقيلة بني هاشم المدفونة في دمـشق، وأمّ كُلثوم. واتّفق الجمـيع على أنّ عمرها بعد أبيـها لم يكن أكثر من ٩٥ يوماً. وقُبضت في ٣ جمادى الآخرة.

٧ . لمّا توفّيتْ فـاطمة، غسلها عليّ، وصلّى عليـها، ودفنها ليلاً، ولـم يشهد جنازتَها سوى عليّ والحـسنَين وبعض بني هاشم. ودفنَها ليلاً لوصيّـة منها إليه.. واختلفت الروايات والأخبار في موضع قبرها.

٨ . وفي زيارتها يقـول الشيعة: «السلام علـيكِ أيّتها المعصومـة المظلومة المقهورة، المغـصوب حقّها، الممنوع إرْثُهـا، المكسور ضلعُها، المظلوم بعلُهـا، المقتول ولدُها. السلام عليكِ أيّتها المظلومة، وأنَّ مَن سرَّك فـقد سرَّ رسولَ اللّه، ومَن جفاك فقد جفا رسولَ اللّه، ومَن آذاكِ فقد آذى رسول اللّه».

الفَاطِمِيُّون (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م) : هم الأسـرة الحاكمـة في شمال أفريقيا، وبعد ذلك في مصــر. وهم ١٤ خليفة، ينتسبون إلى فاطمة الزهراء، إبنةِ رسول اللّه. فهم شيعة علويّون في نسبهم، إسماعيليّون في مذهبهم، عُبيديّون نسبة إلى مؤسّس دولتـهم عبيد اللّه بن الحسين بن أحمد بن عبـداللّه بن محمّد بن إسمـاعيل بن جعفـر الصادق... أمّا نسبـه كما يقول أعـداء الفاطميّين فيـعود إلى : عبداللّه بن الحسين بن أحمد بن محمّد بن عبد اللّه بن ميمون القدّاح.

والخلفاء الفاطميّون هم:

١. المهدي أبو محمّد عبيداللّه (٢٩٧/٩٠٩)؛
٢. القائم أبو القاسم محمّد (٣٢٢/٩٣٤)؛
٣. المنصور أبو طاهر إسماعيل (٣٣٤/٩٤٥)؛
٤. المعزّ لدين اللّه أبو تميم معد (٣٤١/٩٥٢)؛
٥. العزيز أبو منصور نزار (٣٦٥/٩٧٥)؛
٦. الحاكم بأمر اللّه أبو علي المنصور (٣٨٦/٩٩٦)؛
٧. الظاهر أبو الحسن علي (٤١١/١٠٢٠)؛
٨. المستنصر أبو تميم معد (٤٢٧/١٠٣٥)؛
٩. المستعلي أبو القاسم أحمد (٤٨٧/١٠٩٤)؛
١٠. الآخر بأحكام اللّه أبو علي المنصور (٤٩٥/١١٠١)؛
١١. الحافظ أبو الميمون عبد المجيد (٥٢٤/١١٣٠)؛
١٢. الظافر أبو المنصور إسماعيل (٥٤٤/١١٤٩)؛
١٣. الفائز أبو القاسم عيسى (٥٤٩/١١٥٤)؛
١٤. العاضد أبو محمّد عبداللّه (٥٥٥-٥٦٧/١١٦٠-١١٧١).

تأسّست الدولة الفاطمـيّة أوّل الأمر في تونس، واتّخذت القيـروان عاصمة لها. ثمّ المهدية التي تقع على بعد ١٠٧ كلم جنوب القيروان، والتي أسّسـها عبيد اللّه المهدي الخليـفة الأوّل. بلغ الفـاطميّـون أوج اتّساعهم في عـهد المُعـزّ الذي أخضع شماليّ إفريقـية، وأرسل قائده جوهر الصّقلّيّ لاحـتلال مصر (٣٥٩هـ/٩٦٩م).

فبنى القاهرة التي أصبحت عاصمة الدولة. وانتقل إليها المُعزّ بعد أن استخلف بُلُكِّين بن زيري في حكم إفريقية. وبسط نفوذه على سورية ولبنان وفلسطين. آخر خلفائها العاضِد، تولّى وزارتَه صلاحُ الدين الأيّوبيّ فتصرّف في شؤون الملك وقضى على الدولة الفاطميّة. أهمّ آثارها العمرانيّة والثقافيّة بناء القاهرة والأزهر.

الفَتْح : إسم السورة رقم ٤٨ من القرآن. آياتها: ٢٩.

فَتْحُ مكّة : ١ . بعد أن تمّ صلح الحديبيّة بين قريش والمسلمين، عام (٦هـ/ ٦٢٨م)، اعتدى «بنو الديل»، حلفاء قريش، على بني خزاعة، حلفاء المسلمين، فجاء «عمرو بن سالم الخزاعي» في أربعين رجلاً ليخبر رسولَ اللّه بما جرى.. وأرسلتْ قريش «أبا سفيان بن حرب» إلى رسول اللّه ليجدِّد العقد ويزيد المدّة.

٢ . وقصد أبو سفيان دار ابنته «أمّ حبيبة»، زوجة النبيّ؛ فلمّا أراد أن يجلس على فراش النبيّ طوتْه عنه. فقال لها: يا بنَيّة! واللّهِ ما أدري؟ أرغبتِ بي عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عنّي؟ قالت: هو فراش رسول اللّه، وأنتَ رجل مشرك نجس.. وقال: واللّهِ! لقد أصابك بعدي شرّ. ثمّ خرج إلى رسول اللّه فكلّمه. فلم يردّ عليه.. وعاد أبو سفيان إلى قريش بخفّي حنين. وأمر رسولُ اللّه الناسَ بالتجهّز، دون أن يحدّد الجهة التي سيغزوها، لئلاً تأخذ قريش أهبتَها..

٣ . وقصد رسولُ اللّه مكّة، بعد أن استخلفَ «أبا رهم الغفاري» على المدينة، فالتقى بعمّه «العبّاس» عند الجحفة مهاجراً، ونزل الجيش بمرّ الظهران، وأوقد عشرة آلاف مشعل، وكان على الحرس عمر بن الخطّاب.. وأراد أبو سفيان أن يتسقّط الأخبار.. إلاّ أنّ حرَسَ رسول اللّه أدركوه وقبضوا عليه، والتقى بالعبّاس، فأخذه منهم، وانطلق به إلى رسول اللّه.. وعرض عليه الإسلام. فأسلم..

٤ . ودخل جيش المسلمين مكّة من جهاتها الأربع : الميمنة: وعلى رأسها خالد بن الوليد من جنوبها؛ والميسرة، وعلى رأسها الزبير بن العوام من شمالها؛ وكتيبة سعد بن عبادة من غربها؛ وكتيبة أبي عبيدة بن الجرّاح من شمالها الغربي.

٥ . وأمر رسول اللّه ألاّ يُقتَل إلاّ مَن قاتل. وسمّى بعضَ المشركين ليُقتلوا

ولو كانوا متعلّقين بأستار الكعبة.. ودوّى صوت أبي سفيان يقول: «مَن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن».

٦ . ودخل رسول اللّه مكّة على ناقته، في العاشر من رمضان سنة ٨ هـ... وكان يقرأ سورة الفتح. ونزل من أعالي مكّة باتّجاه البيت. وطاف حوله سبعاً. ثمّ دخل الكعبة. فأمر بإزالة ما فيها من صور وتماثيل وما حولها.. وأمر بلالاً، فصعد ظهر الكعبة، وأذّن للصلاة. ثمّ صعد الصفا يحمد اللّه ويدعوه. واجتمع الناسُ إليه ليبايعوه. فبايعهم على الإسلام.. ثمّ بايع النساء، وقال: «لا هجرة بعد الفتح. ولكن جهادٌ ونيّة. وإذا استنفرتم فانفروا». وأسلم كبار قريش.

الفِتْنَة : الابتلاء والامتحان والاختبار. وتأتي بمعنى الكفر، كما في قوله تعالى: «وَقَاتِلوهُمْ حتّى لا تكونَ فِتْنَةٌ» (٨/ ٣٩)؛ كما تأتي بمعنى الفضيحة، كما في قوله تعالى: «وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَه» (٥/ ٤١)؛ وتأتي بمعنى العذاب، وبمعنى القتل. والفاتن: المضلّ عن الحقّ.. وحذّر الكتاب من الفتن، وأمر بتجنّبها واعتزالها، كما في قوله تعالى: «واتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الذينَ ظَلَموا مِنكم خاصّةً» (٨/ ٢٥). وكان النبيّ يدعو في صلاته: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات»[١]..

الفَتْوَى و **الفُتْيا** : تبيين المشكل من الأحكام، ومنه قوله تعالى: «ولا تَسْتَفْتِ فيهم منهم أحداً» (١٨/ ٢٢)، وقوله: «فاستَفْتِهِمْ (أي: إسألهم): أَهُمْ أشدُّ خَلْقاً أم مَن خَلَقْنا؟» (٣٧/ ١١). وفي الاصطلاح: الفتوى: تبيين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه. والمفتي: إسم موضوع لمن قام للناس بأمر دينهم.

ثمّة فروق بين الفتوى و**القَضَاء**:

١ – إنّ الفتوى إخبار عن الحكم الشرعي؛ والقضاء إنشاء للحكم بين المتخاصمين؛

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/ ٣١٧؛ مسلم ١/ ٤١٢، من حديث عائشة.

٢ - إنّ الفتوى لا إلزام فيها للمستفتي أو غيره؛ بل له أن يأخذ بها إن رآها صواباً، وله أن يتركها ويأخذ بفتوى مفتٍ آخر. أمّا الحكم القضائي فهو ملزِم؛

٣ - إنّ المفتي يفتي بالديانة، أي على باطن الأمر؛ أمّا القاضي فيقضي على الظاهر؛

٤ - إنّ حكم القاضي جزئيّ خاصّ لا يتعدّى إلى غير المحكوم عليه وله؛ وفتوى المفتي شريعة عامّة تتعلّق بالمستفتي وغيره. فالقاضي يقضي قضاءً معيَّناً على شخص معيّن؛ والمفتي يفتي حكماً عامًّا كلّيًا؛

٥ - إنّ القضاء لا يكون إلاّ بلفظ منطوق؛ وتكون الفتيا بالكتابة

الفِجَار (حرب) : حرب كانت بين قريش وكنانة من جانب، وقيس عيلان (دون غطفان) من جانب آخر، وذلك في الأشهر الحرم مع نهاية القرن السادس الميلادي. استغرقت ثمانية أيّام استمرّ فيها النضال موصولاً.. وقعت الحرب عندما قتل غدراً عروة الرحال الذي كان يحرس قافلة النعمان الثالث القادمة من الحيرة إلى سوق عكاظ.. اندلعت حرب الفجار هذه في الموسم الذي تزدهر فيه الحركة التجاريّة. وكان الغرض الأساسي منها السيطرة على طريق التجارة في نجد. وقد عظم شأن قريش من حرب الفجار هذه، حيث أخذت تزوّد حلفاءها بالسلاح..

الفَخّ : موضع قرب مكّة. عنده حدثت موقعة قضى فيها جنود الهادي العبّاسي على الحسين الطالبيّ (١٦٩هـ/٧٨٦م). فرّ بعدها إدريس بن عبد الله إلى المغرب حيث أسّس الدولة الإدريسيّة.

الفِدَاء و الفِدْيَة : ١ . فكاك الأسير، واستنقاذه من الأسر.. قال تعالى: «وَفَدَيْناه بِذِبْحٍ عَظيم» (١٠٧/٣٧)، أي جعلنا الذبح فداء له وخلّصناه به من الذبح. واصطلاحاً: هي البدل الذي يتخلّص به المكلّف من مكروه توجّه إليه.. قال ابن بري: يُقال: فدى: إذا أعطى الرجلُ مالاً وأخذ رجلاً؛ وأفدى: إذا أعطى رجلاً وأخذ مالاً؛ وفادى: إذا أعطى رجلاً وأخذ رجلاً.. والفدية ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادةٍ قصَّرَ فيها، ككفّارة الصوم (رَ: ١٩٦/٢).

٢ ـ الأصل أنّه إذا وقع مسلم في أيدي المشركين أسيراً لزم المسلمين النهوضُ لتخليصه من يدهم.. أمّا أسرى الكفّار من الرجال الأحرار فيجوز أخذ الفدية بالمال عنهم، إذا رأى الإمامُ في ذلك مصلحة، لقوله تعالى: «فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً» (٤٧/ ٤).. أمّا النساء والصبيان من الكفّار فلا يجوز، عند الشافعيّة والحنابلة، فداؤهم بالمال، لأنّهم يصيرون رقيقاً بالسبي، أو لأنّ الصبي يصير مسلماً بإسلام سابيه، فلا يجوز ردّه إلى المشركين..

٣ ـ المشهور من مذهب الحنفيّة أنّه لا يجوز فداء الأسرى، لأنّ في ذلك معونة للكفر.. ودفْع شرٍّ حرابتِهم خيرٌ من استنقاذ الأسير المسلم، لأنّه، إذا بقي في أيديهم كان من باب تحمّل الضرر الخاصّ لدفع الضرر العام..

٤ ـ واتّفق الفقهاء على أنّ للشيخ الكبير الذي يجهده الصوم ويشقّ عليه مشقّة شديدة، أن يفطر في رمضان لقاء فدية، لقوله تعالى: «وعلى الذين (لا) يطيقونه فِدْيةٌ: طعامُ مسكين» (٢/ ١٨٤)..

٥ ـ واتّفقوا على أنّ مَن فعل شيئاً من محظورات الإحرام، كحلق الرأس وقصّ الأظافر والادّهان والتطيّب ولبس المخيط، أو نحو ذلك، وجبت عليه الفدية.. واتّفقوا على أنّه تجب فدية في ترك واجبات الحجّ والعمرة، كترك الإحرام من الميقات، وترك الوقوف بالمزدلفة، وترك المبيت بمِنى ليالي التشريق، وترك الرمي للجمرات، وترك طواف الوداع، وغير ذلك من المأمورات.

٦ ـ وافتدت المرأة نفسها، أي اختلعت، كما قال: «فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ يُقيما حدودَ اللّهِ فلا جُناحَ عَلَيهما في ما افْتَدَتْ بِهِ» (٢/ ٢٢٩). والخُلْع هنا هو طلاق الذي يجوز على كثير المال وقليله. فإن لم تطب الحياة للزوجة مع زوجها كان هذا العطاء منها لزوجها إنهاءً لحياةٍ زوجيّةٍ غيرِ صالحة.

٧ ـ والفِدائي هو المجاهد في سبيل اللّه، مضحّياً بنفسه. والفدائيّة ثمرةٌ من ثمرات العقيدة الإسلاميّة والعبادات.. إن دعا المسلمَ الواجبُ لرفع كلمة اللّه كان فدائيًا في بذْل نفسه وماله.

فَدَك : واحة في الحجاز قرب خَيبر. كان أهلها من المزارعين اليهود. اشتهرت قديماً بتَمْرها وقمْحها. أرسل النبيّ عليًا لمحاربتهم. ثمّ صالحهم على نصف أملاكهم، سنة ٧هـ/٦٢٨م. اختلف المسلمون، بعد موت النبيّ، حولها في مَن يرثُها: المسلمون كافّة أم أهل بيته، فاطمة وأبناؤها؟!

الفَرّاء (أبو زكريّا يحيى الدَّيلميّ) (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) : من علماء الكوفة بالنَّحو. تلميذ الكسائيّ. مؤدّب ابنَي المأمون. وُلد في الكوفة وتوفّي في طريق مكّة. وقضى أكثر عمره في بغداد. قال فيه ابن خلّكان: كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنَّحو واللّغة وفنون الأدب. كان في اللغة بحراً، وفي الفقه عارفاً، وفي الطبّ خبيراً، وبالنجوم ماهراً، وبأيّام العرب وأشعارها حاذقاً. من كتبه: «الحدود»، «معاني القرآن»، «المصادر في القرآن»، «المقصور والممدود»، «المذكّر والمؤنّث»...

الفَرَائِضِيَّة : حركة إصلاح إسلاميّة سياسيّة إجتماعيّة ذات نزعة سَلَفيّة. قام بها حاجي شريعة اللّه في البنغال الشرقيّ نحو ١٨٢٢م. كانت مماثلة للوَهّابيّة في نجد. انتشرت بين الفلاّحين الهنود. هدفها تطهير الإسلام من الممارسات الهندوسيّة. دعت إلى نصرة الفلاّحين ضدّ استغلال المالكين.

الفِرَاسَة : هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفيّة. وأيضاً: هي ما يقع في القلب بغير نظر وحجّة.. مثلها مثل **القِيَافَة**، التي تقوم على تتبّع الآثار ومعرفتها بضرب من الحدْس.

الفَرْج : ١ . الفرْج من الإنسان يُطلق على القُبُل والدُّبُر من الرجل والمرأة. هو عورة، بل أشدّها. ومسّ الفرْج ينقض الوضوء، لقول النبي: «مَن مسّ فرْجَه فليتوضّأ»[1]، وقوله: «مَن مسّ ذَكَرَه فلا يصلّ حتّى يتوضّأ»[2]، وقوله: «إذا أفضى أحدُكم بيده إلى فرْجه وليس بينهما ستر ولا حجاب فليتوضّأ»[3]..

---

(١) أخرجه ابن ماجة ١/١٦٢، من حديث أم حبيبة.

(٢) أخرجه الترمذي ١/١٢١، من حديث بسرة بنت صفوان. حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه إبن حبّان، الإحسان ٣/٤٠١، من حديث أبي هريرة. وصحّحه الحاكم ١/١٣٨.

٢ . واتّفق الفقهاء على حرمة وطء الحائض والنفساء في الفرج، لقوله تعالى: «ويسألونَكَ عن المَحيض. قلْ هو أذًى. فاعتزلوا النساءَ في المحيض. ولا تَقرَبُوهنّ حتّى يَطْهُرْنَ» (٢/ ٢٢٢)، ولقول النبيّ: «إصنعوا كلَّ شيء إلاّ النكاح»[٤].

٣ . واتّفق الفقهاء على جواز نظر كلٍّ من الزوجَين إلى فرْج الآخر مطلقاً، لما روي عن رسول اللّه لمّا سُئل: «عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: إحفظْ عورتَك إلاّ من زوجك أو ما ملكت يمينُك»[٥]، ولأنّ الفرْج محلّ الاستمتاع فجاز النظر إليه.. ولكن صرّح بعضُهم بأنّ الأولى أدباً ترْك النظر إلى الفرْج، لقول النبي أيضاً: «إذا أتى أحدُكم أهلَه فليستترْ ولا يتجرّد تجرُّدَ العِيرَين»[٦]، ولقول عائشة: «ما نظرتُ فرْجَ رسول اللّه قط»[٧]، وفي لفظ قالتْ: «ما رأيتُه من رسول اللّه ولا رآه منّي»[٨].

الفِرْدَوس : ترد مرّتَين في القرآن (١٨/ ١٠٧؛ ٢٣/ ١١). وهي مرادفة لكلمة «جنّة» بمعناها العادي، وهو حديقة أو بستان.. كلمة روميّة تعني الكرمة، ولذلك قالوا إنّها أسمى وأجمل وأعلى جزء من الجنّة، وهي مأوى الذين كانوا في حياتهم يدعون إلى البرّ والخير، وينهون عن المنكر. وتُنسب إلى محمّد نفسه حكايات بأنّها أعلى طابق في الجنّة تخرج وتتفرّع منه أنهار الجنّة الأربعة.

الفِرْدَوسيّ (ت ٤١١هـ/ ١٠٢٠م) : من أكبر شعراء الفرس. ولد في طوس بخراسان. وقد أعطاه دهقان من أصدقائه كتابَ الملوك لينظّمه شعراً. فكان هذا سبباً في نظمه «**الشاهنامه**»، أي كتاب الملوك، وهو ملحمة في ٦٠,٠٠٠ بيت.. عند إتمامه هذا العمل أهداه إلى السلطان محمود الغزنوي. وكافأه السلطان بعشرين ألف درهم. ولكنّ الشاعر كان ينتظر مكافأة أكبر بكثير.

---

(٤) أخرجه مسلم ١/ ٢٤٦، من حديث أنس بن مالك.

(٥) أخرجه الترمذي ٥/ ١١٠. حديث حسن.

(٦) أخرجه ابن ماجه ١/ ٦١٩١، من حديث عتبة بن عبد السلَمي؛ رَ: البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٣٣٧.

(٧) أخرجه ابن ماجه ١/ ٦١٩؛ رَ: البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٣٣٧.

(٨) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي، ص ٢٥٢؛ رَ: الذهبي في الميزان ٤/ ١١.

الفَرَزْدَق (ت ١١٥هـ/٧٣٣م) : من بني تميم. من شعـراء الأمويّين الكبار. وُلد وتوفّي في البصرة. اشتهر بالمدح والهجو، لا سيّما ما دار بينه وبين **جَرِيْر** من هجاء. له «ديوان»؛ و«نقائض جرير والفرزدق»، جمعها محـمّد بن حبيب. له نفَس شعريّ قويّ ولغة غنيّة بالألفاظ والتعابير.

الفَرْض : ١ . هو ما أمر اللّه بفعله أمراً جـازماً، وهو ما يُثاب الإنسان على فعلـه، ويعاقَب على تركـه. والفرق بين الفـرْض والواجب هو أنّ الفرض مـا عرف وجوبه بدليل قطعي مـوجِب للعلم والعمل قطعاً. أمّـا الواجب فهو ما عُـرف وجوبُه بدليل ظنّي.. وجاحد الفـرض، عند الحنفيّة، كافر؛ أمّا جاحـدُ الواجب فلا يكفَّر، لأنّ دليله لا يوجب الاعتقاد، وإنّما يوجب العمل، ولذا يفسَّق تاركه.

٢ . وتفرّق الشـريعة بين «**فرض عين**» وهو الواجب على كلّ مكلَّف بعينه، ولا يجوز أن يؤدّيه بدلاً منه أحد، كأداء الصلاة والصيام والزّكاة والحجّ؛ و«**فرض كفاية**» وهو ما يكفي أن يقوم به بعض المكلَّفين، كأداء الـصلاة في المسجد، وصلاة الجنائز، والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحجج والبـراهين على إثبات اللّه، وإثبات النبـوّات، والاشتغال بعلوم الشـرع من تفسيرٍ وحديـثٍ وفقه، وتولّي القضاء والإفتاء. أمّا **الجهاد** فمختلف فيه بين أن يكون فرْضَ عين أو فرْضَ كفاية...

فِرْعَوْن : ١ . جمع فراعنة. ورد في القرآن ٧٤ مـرّة. وتفسّر الشروح على (٢/ ٤٩) أنّ الكلمة لقبٌ أو علمٌ لملوك الـعماليق، مثل كـسرى وقيصـر لملوك العجم والروم. وفعل «تفرعن» معناه تجبّر وطغى. ومـن ثمّ يُطلِق اليعقوبي إسم «الجبّار» على فرعون المذكور في القرآن.

٢ . ويذكر القرآن إسم زوجة فرعون **آسية**، بدل ابنته التي تذكرها التوراة. كمـا يذكر اسم **هامان** (٢٨/٣٨؛ ٤٠/٣٦) الذي بنى له صـرحاً يـبلغ به أسبـاب السـموات لعلّـه يطلع إلى إله موسـى. وهامان هو صـدى للوزير الذي يحـمل هذا الإسم في سفـر أستير؛ والصـرح ووصفه يذكّراننا ببـرج بابل. وثمّة رجل من آل فـرعون دافع عن مـوسى عندما أراد فـرعون أن يـقتله وليس له ذكـر بالإسم في القرآن (رَ: ٤٠/٢٨–٢٩).

٣ . ويُطلق على فرعون اصطلاح «ذو الأوتاد» (٣٨/ ١١؛ ٨٩/ ١٠). واختلف المفسّرون في تفسير هذا التعبير: فقيل إنّ هذه الأسرة المالكة ثابتة الدعائم كما لو كانت مثبتة بأوتاد الخيام؛ وقيل هي جنوده؛ وقيل أيضاً إنّه كان يقيّد أيدي الناس وأرجلهم بأوتاد مثبتة في الأرض ليعذّبهم.

٤ . وثمّة إضافة أخرى إلى قصّة التوراة، هي ما جاء في القرآن عن أنّ فرعون هدّد السحرة بعذاب شديد لمّا خرّوا سجّداً مؤمنين بربّ موسى وهارون.

٥ . ويُقال أخيراً إنّ فرعون آمن وصار من المسلمين عندما أدركه الغرق؛ ولكنّ اللّه لم يقبل إسلامَه، وألقاه بناحية الساحل ليكون آية للآخرين (١٠/ ٩٠ وما بعدها). ولكنّ هذه الآية قابلة لتفسيرات مختلفة.

٦ . ويُقال عنه إنّه جعل من نفسه إلهاً يُعبد (٢٨/ ٣٨). ويوم القيامة يقدّم قومَه إلى النار (١١/ ٩٨)...

الفُرْقَان : .. إسم السورة ٢٥ من القرآن. آياتها: ٧٧. ترد الكلمة ٧ مرّات في القرآن[1]. ولا يمكن تحديد معناها بدقّة : وقد تعني الفصل والتمييز والبرهان؛ أو تعني الكتب التي نزلت قبل محمّد، كما يقول الزمخشري في تفسير (٢١/ ٤٨ و٣/ ٤)؛ أو تدلّ على القرآن نفسه: «تبارَك الذي نزّلَ الفرقانَ على عبدِه ليكون للعالمين نذيراً» (٢٥/ ١)؛ أو تعني «الخلاص»، أي: «فُورُوقُو»، وهي مستعارة من الأراميّة؛ أو تُطلق عبارة «يوم الفرقان» على يوم بدْر، كما جاء في قوله: «وما أنزلنا على عبدنا يومَ الفرقان يوم التقى الجَمعان» (٨/ ٤١).. وأخيراً قد تعني «النصر».

فَزَارة : قبيلة عربيّة شماليّة من غَطفان.

الفَسْخ : ١ . هو «التفريق» بين الزوجين، يقوم به أحد الطرفَين. أو هو حلُّ ارتباطِ العقد من الأصل كأن لم يكن.. والفرق بينه وبين **الطلاق** هو أنّ الفسخ نقضٌ للعقد؛ فيما الطلاق ينهي آثارَه.

---

(١) رَ: ٢/ ٥٣ و١٨٥؛ ٣/ ٤؛ ٨/ ٢٩ و٤١؛ ٢١/ ٤٨؛ ٢٥/ ١.

وكذلك الفرق بينه وبين **الخُلْع** : إنّ الخلع يحدث بالتراضي؛ أمّا الفسخ فيمكن أن يتمّ بالتراضي أو بقضاء القاضي..

٢ . والفسخ المتوقّف على القضاء يكون : ١ – إمّا في عدم الكفاءة؛ ٢ – وإمّا في نقصان المهر عن مهر المثل؛ ٣ – وإمّا في إباء أحد الزوجَين الإسلام إذا أسلم الآخر؛ ٤ – وإمّا في خيار البلوغ لأحد الزوجَين إذا زوّجهما في الصغر غيرُ الأب والجدّ؛ ٥ – وإمّا خيار الإفاقة من الجنون إذا زوّج أحدَ الزوجين في الجنون غيرُ الأب والجدّ والابن.

٣ . أمّا الفسخ غير المتوقّف على القضاء فهو في : ١ – فساد العقد في أصله، كالزواج بغير شهود؛ ٢ – حرمة المصاهرة بين الزوجَين؛ ٣ – رِدّة الزوج.

الفُسْطَاط : أوّل عواصم مصر الإسلاميّة، اختطّها الفاتح العربي المسلم عَمرو بن العاص، سنة ٢٠هـ/٦٤٢م، لتكون مقرًا لولاة مصر المسلمين. تقع على الجانب الشرقي للنيل، في الفضاء المجاور لحصن بابليون، عند رأس الدلتا في نقطة التقائها بجنوب الوادي. وقد ظلّت العواصم المصريّة تدور في هذا الموقع، وتنتقل فيه من موقع إلى آخر (ممفيس، بابليون، ثمّ العسكر، القطائع، القاهرة)؛ ولكنّها لم تخرج عنه إلاّ في فترات عابرة في التاريخ القومي (طيبة، الإسكندريّة).

الفِسْق : ١ . الخروج عن الطاعة وتجاوز الحدّ بالمعصية، والخروج عن الدين وعن الاستقامة. والفاسق هو من التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثمّ أخلّ بأحكامه، جميعها أو بعضها..

٢ . الفسق حرام ومنهيّ عنه بإجماع المسلمين، لأنّه خروج عن أحكام الله، ومخالفة لأوامره ونواهيه، ويُعاقب صاحبه بالحدّ أو التعزير.. ويكون الفسق تارةً بترك الفرائض، وطوراً بفعل المحرّمات..

٣ . يقول الحنابلة: لا تصحّ إمامةُ فاسقٍ مطلقاً، سواء كان فسقه بالاعتقاد أو بأفعال محرّمة، وسواء أعلن فسقَه أو أخفاه، لقوله تعالى: «أَفَمَن كان مؤمِناً كمَن كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُون» (١٨/٣٢).

٤ . ولا يجوز أن تُعقد الإمامة الكبرى لفاسق، لأنّ الإمام يُقام لإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وحفظ أموال الأيتام والمجانين، والنظر في أمورهم، إلى غير ذلك. وما فيه من الفسق يقعده عن القيام بهذه الأمور والنهوض فيها..

٥ . وكذلك لا تُقبل شهادة الفاسق، لقوله: «وأَشْهِدوا ذَوي عـدْلٍ منكم» (٢/٦٥)، وقوله: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! إنْ جاءكم فَاسِقٌ بنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» (٦/٤٩).. واتّفق الفقهاء على أنّ الفسق مانع من قبول الفتوى، وعلى أنّه لا حضانة لفاسق.

الفَصَاحَة : ١ . لغةً: الظهور والبيان؛ واصطلاحاً: هو مصطلح بلاغي، ارتبط بداية بـ **البلاغة** دون فرق واضح بينهما. غير أنّ الكلام لا يُسمَّى فصيحاً إلاّ إذا جمع نعوت الجودة من وضوح المعنى، وسهولة اللفظ، وجودة السبك، والبعد عن الاستكراه والتكلّف. أو إنّ الفصاحة مقصورة على الألفاظ، فيما البلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني، فلا توصف الكلمة الواحدة بالبلاغة، وإنّما توصف بالفصاحة. وكلّ كلام بليغ فصيح، وليس كلّ فصيح بليغاً.

٢ . ويختصر الخطيب القزويني فيقول: فصاحة الكلمة تكون بخلوصها من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس اللّغوي؛ وفصاحة الكلام تكون بخلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد، مع فصاحة مفرداته؛ وفصاحة المتكلّم هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح.

الفَصْد : هو شقّ العِرق لاستخراج الدم الذي يؤذي الجسد.. أمّا **الحجامة** فهي إخرام الدم بواسطة المصّ بعد الشرط بالحجم لا بالفصد. وكلا الحجامة والفصد يجتمعان في أنّ كلاً منهما إخراج للدم؛ ويفترقان في أنّ الفصد شقّ العرق، والحجامة مصّ الدم بعد الشرط.

الفَضْل بن الرَّبيع (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٤م) : حاجب المنصور العباسيّ. وزير الرشيد بعد نكبة البرامكة. أقرّه الأمين في الوزارة. عمل على مقاومة المأمون.

الفَضْل بن سَهل (ت ٢٠٢هـ/٨١٨م) : وزير المأمون. إيرانيّ الأصل. كان موالياً للبرامكة ومعادياً للفضل بن الرَّبيع. اغتيل بإيعاز من المأمون.

الفُضَيْل بن عياض (ت ١٨٧هـ/٨٠٢م) : ولد في سمرقند. جاور الحَرَم وتوفّي بمكة. كان في شبابه قاطع طريق. ثمّ تحوّل إلى زاهد في الدنيا. وكان سبب توبته أنّه عشق جارية، فبينما يرتقي الجدرانَ إليها، سمع تالياً يتلو: «أَلَمْ يَأْنِ (يحن) للذينَ آمَنوا أن تَخشَعَ قلوبُهم لِذكرِ اللّه» (٥٧/١٦)، فقال: يا ربّ! قد آنَ. فرجع. فآواه الليلُ إلى خربة فيها رفقة. فقال بعضهم: نرتحل. وقال آخرون: حتّى نصبح، فإنّ فُضَيلاً على الطريق يقطع علينا. فتاب الفُضيل وأمّنهم. وجاور الحَرَم بقيّة عمره. يُنسب إليه: «حجاب الأقطار»؛ وأقوال كثيرة له جمعها أبو نعيم.

الفَضِيْلَة : ١ . هي استعدادٌ ثابت لممارسة الخير، وللقيام بواجب أو عملٍ صالح.. والفضيلة توسّط محمود بين رذيلتَين مذمومتين، من نقصان فيكون تقصيراً، أو زيادة فتكون إسرافاً.

٢ . وفساد كلّ فضيلة من طرفَيها: فالعقل واسطة بين الدهاء والغباء؛ والسخاء واسطة بين التقتير والتبذير؛ والشجاعة واسطة بين الجبن والتهور؛ والحياء واسطة بين الخلاعة والحصر؛ والسكينة واسطة بين السخط وضعف الغضب؛ والحلم واسطة بين إفراط الغضب ومهانة النفس؛ والعفّة واسطة بين الشَّرَه وضعف الشهوة؛ والتواضع واسطة بين الكبر ودناءة النفس. ومن هنا ارتبطت الفضيلة بالعدل؛ لأنّ العدل نتيجة الفضائل، وهي مقدّرة به؛ وفضيلة الشيء هو اعتداله.

٣ . ومن أشهر المؤلّفات التي وضعت لشرح الفضيلة كتاب «سلوك الملوك في تدبير الممالك» لأحمد بن محمّد بن الربيع، وضعه للخليفة المعتصم؛ وكتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، لمسكويه، أوضح فيه الحرص الطبيعي للإنسان على الخيرات طلباً للسعادة؛ وكتاب «ميزان العمل»، للغزالي الذي يصف فيه الفضائل الأخلاقيّة؛ وكتاب «أدب الدنيا والدين»، للماوردي؛ وغيرها..

الفِطَام : من فطمت الأمّ ولدَها فطماً، فصلته عن رضاعها، فهو فَطِيم ومفطوم. والفطام نهاية الرضاع.. وقد حدّد القرآن مدّة الحمْل والرضاع بثلاثين

شهراً في قوله تعالى: «وَحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثلاثُونَ شَهْراً» (٤٦/ ١٥)؛ ونصّ في آية أخرى على مدّة الرضاع فقط، فقال: «والوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أولادَهنَّ حَولَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَن أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضَاعَة» (٢/ ٢٣٣)؛ وصرّح في آية ثالثة بأنّ الفطام يكون بعد سنتَيْن، فقال: «وَفِصَالُه في عامَيْنِ» (٣١/ ١٤).

قال جمهور الفقهاء والمفسّرين: الحولان غاية لإرضاع كلّ مولود. وقال قتادة: إنّ إرضاع الأمّ الحولَيْن كان فرضاً، ثمّ خفّف بقوله تعالى: «لِمَن أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضاعة». وقال ابن عبّاس: إنّ إرضاع الأمّ الحولَيْن مختصّ بمن وضعتْ لستة أشهر؛ ومهما وضعت لأكثر من ستّة أشهر نقص من مدّة الحولَيْن.. والتراضي بين الأبوين هو المطلوب، لقوله تعالى: «فإنْ أرادا فِصالاً عَن تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ فلا جُناحَ عليهما» (٢/ ٢٣٣).

الفِطْر : عيد من أعياد المسلمين. زمانه عقب انتهاء شهر رمضان. يبدأ في الأوّل من شهر شوال. ومدّته ثلاثة أيّام. أمّا **زَكاة الفطر**، فهي نفقة واجبة على كلّ مسلم، قادر على دفعها. ويجب إخراجها بطلوع فجر يوم العيد. وهي طهرة للصائم. وقد شرِّعت لتمكين الفقراء من مشاركة إخوانهم فرحة العيد.

الفِطْرَة : ١ . من فطر، أي: شقّ، وانفطر: انشقّ. وتأتي بمعنى الخَلْق، ومنه قوله تعالى: «قل أَغَيرَ اللّه أَتَّخِذُ وَلِيّا فَاطِرِ السموات والأرض» (٦/ ١٤). والفَطور: هو ما يفطر عليه الصائم. والفِطْرة: الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمّه، وهي: الجِبِلّة، والسَّجِيّة.

٢ . أمّا تعبير « **فِطْرَة اللّه**» فيرد في القرآن مرّة واحدة، في قوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنيفاً فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ الناسَ عَليها، لا تبديلَ لِخَلْقِ اللّه. ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ. ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يَعلَمون» (٣٠/ ٣٠). قال أبو هُريرة : فطرة اللّه هي الإسلام. ونقل عن رسول اللّه قوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه، أو يُنصّرانه، أو يُمجّسانه»[٢].

---

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٨/ ٥١٢؛ مسلم ٤/ ٢٠٤٧، من حديث أبي هُريرة.

٣ . أمّا القرطبي فقال في تفسير قوله: «فأَقِمْ وجهَكَ للدِّينِ حَنيفاً، فِطْرَةَ اللّهِ الّتي فَطَرَ الناسَ عليها» (٣٠/٣٠): قال طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق اللّهُ عليها المولود في المعرفة بربّه[٣].

٤ . ووردت أحاديث في بيان خصال الفطرة، منها قول الرسول: «عشر من الفِطرة: قصّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقصّ الأظافر، وغسل البراجم (مفاصل الأصابع أو العظام الصغار في اليد والرجل)، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء (أي الاستنجاء)، والمضمضة»[٤].

الفِقْه (رَ: **علم الفقه**) : ١ . الفِقْه في اللغة: هو العلم بالشيء والفهم له. وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعيّة العمليّة المكتسب من أدلّتها التفصيليّة.. أمّا **الشَّرِيعَة** فهي ما نزل به الوحي على رسول اللّه من الأحكام في الكتاب أو السنّة. تنفرد الشريعة في أحكام العقائد؛ وينفرد الفقه في الأحكام الاجتهاديّة التي لم يرد فيها نصّ من الكتاب أو السنّة، ولم يُجمع عليه.

٢ . والفرق بين الفقه و**الشَّرْع**، هو أنّ الشرع هو شرع اللّه، أي ما شرّعه اللّه وسنّه لعباده من أحكام عقائديّة أو عمليّة أو خلقيّة، ومنه قوله: «شَرَعَ لكم مِنَ الدِّينِ ما وصَّى به نوحاً والذي أوحَينا إليكَ» (٤٢/١٣)..

ومن هنا ينبغي أن يُعلم أنّه لا حقّ في التشريع إلاّ للّه وحدَه، كقوله: «إنِ الحكْمُ إلاّ للّه يَقُصُّ الحقَّ، وهُوَ خَيرُ الفاصِلِينَ» (٦/٥٧). فليس لأحد، كائناً من كان، أن يُشَرِّع حكماً، سواء ما يتّصل بحقوق اللّه أو حقوق العباد، لأنّ هذا افتراء على اللّه، وسلب لما اختصّ به نفسه (رَ: ١٦/١١٦-١١٧).

ورسول اللّه، ﷺ، مع علوّ مكانته، ليس له حقُّ التشريع، وإنّما له حقُّ البَيان، وعليه واجب التبليغ: «يا أيُّها الرسولُ! بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ من ربِّكَ. وإنْ لمْ تَفعَلْ فما بَلَّغْتَ رسالتَه» (٥/٦٧)؛ ويقول أيضاً: «ومَا أَنْزَلنا عليكَ الكتابَ إلاّ لِتُبَيِّنَ

(٣) تفسير القرطبي ١٤/٢٩.

(٤)أخرجه مسلم ١/٢٢٣، من حديث عائشة.

لهمُ الذي اختلَفوا فيه، وهُدًى ورحـمةً لِقومٍ يُؤْمِنونَ» (١٦/ ٦٤)؛ وكقوله: «وأَنْزَلْنا إليكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ ما نُزِّلَ إليهمْ. ولعلَّهم يَتَفَكَّرونَ» (١٦/ ٤٤).

٣ . والفرق بين الفقه و**الاجْتِهَاد**، هو أنّ الاجتـهاد هو بذل الجهـد والطاقة لمعرفة الحكم الشرعيّ من دليله؛ وأدقّ ما قيل فـيه هو: «إنّ الاجتهاد هو بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شـرعيّ ظنّيّ». ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الاجتهاد لا يكون إلاّ في المسائل الظنّيّة. وهو، بهذا المعنى يتّفق مع الفقه في أكثر مسائله..

٤ . يتّضح من تعريف الفقه أمور:

١ – أنّ العلم بالذوات أو الصفات ليس فقهاً، لأنّه ليس علماً بالأحكام.

٢ – والعلم بالأحكام العـقليّة والحسّـيّة واللّغـويّة والوضعيّـة ليس فقـهاً أيضاً، لأنّها ليست علماً بالأحكام الشرعيّة.

٣ – والعلم بالأحكام الشـرعيّة الاعـتقاديّة، أو الأحكام الشـرعيّة القلبـيّة، ليست من الفقه، لأنّها ليست أحكاماً عمليّة، بل هي أحكام علميّة قلبيّة أو أصوليّة.

٤ – والعِلم الحاصل عن طريق الوحي ليس فقهاً، لأنّه غير مستفاد بطريق الاستنباط والاستدلال، بل بطريق الكشف والإلهام.

٥ – وكـذلك العلم بكلّ مـا عُلم من الديـن بالضرورة، كـوجـوب الصـلاة والزكاة وصوم رمضان والحجّ على المستطـيع وحرمة الربا والزنى وشرب الخمر والميسر، ليس فقهاً، لأنّه غير حاصل بالاستنباط بل بالضرورة.

٦ – وكذلك أخيراً، إنّ العلم الحاصل بطريق الـتقليد، لا بطريق الاستنباط، ليس من الفقه بشيء.

الفَقِير : **١ .** هو مَن قلّ ماله. وهو مَن لا يملك شيئاً البتّة؛ أو مَن يملك شيئاً لا يكفيه قوت عامه. قريب منه **المِسْكِين** الذي لا يملك شيئاً..

٢ . يشترط في الفـقير الذي تُعطى له الزكاة أن يكون مـسلماً، إذ لا يجوز صرف الزكاة إلى كافـر، باتّفاق الفقهاء، لحديث معـاذ: «خذْها من أغنيائهم وردَّها

في فقرائهم»[٥]، أمر النبي بوضع الزكاة في فقراء مَن يؤخذ منهم، وهم المسلمون، فلا يجوز في غيرهم.

٣ . أمّا ما سوى الزكاة من صدقة الفطر والكفّارات والنذور فقد اختلف الفقهاء في جواز صرفها لفقراء أهل الذمّة : فذهب الجمهور إلى أنّه لا يجوز، لأنّ فقيرهم كافر؛ وذهب أبو حنيفة إلى جواز صرفها، لقوله تعالى: «إن تُبْدوا الصدَقات فنعِمّا هي. وإن تُخفوها وتُؤْتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم» (٢/ ٢٧١)، من غير فصل بين فقير وفقير؛ ولقوله: «لا يَنهاكمُ اللّهُ عن الذينَ لم يُقاتِلوكم في الدِّينِ ولم يُخْرِجوكم من ديارِكم أن تَبَرُّوهم وتُقْسِطوا إليهم. إنّ اللّهَ يحبُّ المُقْسِطِين» (٦٠/٨).

فْلايْشِر (هنري) Fleisher (ت ١٨٨٨) : مستشرق ألمانيّ. أسّس الجمعيّة الشرقيّة الألمانيّة عام ١٨٤٤. ترجم «تفسير القرآن» للبيضاوي.

فْلوغِلْ (غوستاف) Flügel (ت ١٨٧٠) : مستشرق ألمانيّ. له «نجوم الفُرقان في أطراف القرآن»، وهو فهرس لألفاظ القرآن؛ ونشر أيضاً «كشف الظنون» لحاجي خليفة.

فَوَاتِحُ السُّوَر : هي الكلمات «السرّيّة»، لا يُدرك المفسرون معناها، ويقولون فيها: «اللّه أعلم بمراده بذلك»، وهي، من الأكثر استعمالاً إلى الأقلّ، كالتالي :

١ . «حَم» ترد ٧ مرّات، كما يلي: «حَم. تنزيلُ الكتابِ منَ اللّهِ العزيزِ الحليم» (٤٠/ ١و٢)؛ «حَم. تنزيلٌ من الرحمَنِ الرَّحيم: كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرآناً عَرَبِيًّا لِقومٍ يَعلَمُون، بَشيراً وَنَذيراً» (٤١/ ١-٥)؛ «حَم. عَسَقَ. كَذلِكَ يُوحي إليكَ وإلى الذينَ مِنْ قَبْلِكَ، اللّهُ العزيزُ الحكيمُ» (٤٢/ ١و٢)؛ «حَم. وَالكتابِ المُبينِ. إنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبيًّا لَعلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وإنَّه في أُمِّ الكتابِ لَدَينا» (٤٣/ ١-٤)؛ «حَم. والكتابِ المُبِينِ. إنّا أَنْزَلْناهُ في لَيلةٍ مباركَةٍ. إنّا كُنّا مُنْذِرينَ» (٤٤/ ١-٣)؛ «حَم.

---

(٥) أخرجه البخاري، فتح الباري ٣/ ٢٦١؛ مسلم ١/ ٥٠، من حديث ابن عبّاس.

تَنْزيلُ الكتـابِ مِنَ اللَّهِ العَـزيزِ الحَكيـمِ» (٤٥/١-٢)؛ «حَم. تَنزيلُ الكتـابِ منَ اللَّهِ العزيزِ الحَكيمِ» (٤٦/١-٢).

٢ . **ألم** ترد في بداية ٧ سور أخرى، كالتالي: «ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتّـقين» (٢/١)؛ «ألم. ألله لا إله إلاّ هو الحيّ القيّـوم» (٣/١)؛ «ألم. أحَسِبَ الناسُ أن يُتْـرَكـوا أنْ يَـقـولوا آمَنَّا وهمْ لا يُفْـتَنُونَ» (٢٩/١)؛ «ألـم. غُلِبَتِ الرُّوم» (٣٠/١)؛ و«ألم. تلكَ آيات الكتـاب الحكيـم» (٣١/١)؛ «ألم. تَنْزيلُ الكتـابِ لا ريبَ فيه من ربِّ العالَمِين» (٣٢/١).

٣ . **ألر** : ترد في بداية ٥ سـور كـالتالـي: «ألر. تلك آيات الكتـاب الحكيم» (١٠/١)؛ «ألر. كتاب أُحْكِمَتْ آياتُه ثمّ فُصِّـلَتْ من لدن حكيم خبير» (١١/١)؛ «ألر. تلك آيات الكـتـاب المبين» (١٢/١)؛ «ألر. كـتـابٌ أنزلناه إليكَ لـتُـخـرِجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النور» (١٤/١)؛ «ألر. تلك آيات الكتاب وقرآن مُبين» (١٥/١).

٤ . أمّا **ألمر**، التي تجمع الإثنتَين فهي **مرّة واحدة** : «ألمر. «تلك آياتُ الكتابِ والذي أُنْزِلَ إليكَ مِن ربِّكَ الحَقُّ. ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يُؤمِنون» (١٣/١).

٥ . أمّا **طَسَمَ** فترد **مرّتَين**، كما يلي: «طَسَمَ. تلكَ آياتُ الكتَابِ المُبين» (٢٦/ ١و٢)؛ «طَسَمَ. تلك آياتُ الكتابِ المُبين» (٢٨/١و٢).

٦ . و«**طَسَ**» **مرّة واحـدة** في قـوله: طَسَ. تلك آيات القرآن وكـتـابٍ مُـبين» (٢٧/١).

٧ . و **ألمَص**: في قوله: «ألمَصَ. كتابٌ أُنزِلَ إليكَ» (٧/١).

٨ . و **كَهَيعَصَ** (١٩/١)، وهي آية مستقلّة، ويأتي بعـدها: «ذِكْرُ رحمةِ ربِّكَ عبدَهُ زَكريًا، إذ نادى ربَّهُ نِداءً خَفِيًا» (١٩/٢-٣) بعكس ما سبق.

٩ . **طَهَ** (٢٠/١)، وهي كذلك آية مستقلّة، وإسمٌ للسورة.

١٠ . «**يَس**. وَالقُرآنِ الحَكيمِ. إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ، على طِراطٍ مُسْـتَقيمٍ، تَنزِيلَ العَزِيزِ الرّحيمِ، لِتُنْذِرَ قوماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُم فَهُمْ غلفِلونَ» (٣٦/١-٦).

١١ . «صَ والقرآنِ ذي الذِّكْرِ» (٣٨/١).

١٢ . «قَ. وَالقرآنِ المَجيدِ» (٥٠/١).

١٣ . «نَ. والقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ» (٦٨/١).

هي إذن **١٣ حرفاً** في **٣٦** سورة. يجمع المفسّرون المسلمون على القول بأنّ «اللّه أعلمُ بمراده بذلك»؛ ولكن قد تكون الأحرف الأولى من جمل أراميّة: فـ «**أ ل ر**» هي أحرف الجملة «**إِمَرْ لِي رَابُو**»، وهي ترجمة لتعبير عبرانيّ كان يتردّد على ألسنة الأنبياء: «قال لي العَلِيّ»؛ وكذلك «**أ ل م**»: «**إِمَرْ لِي مُو** ريُو»، أي «قال لي الربّ». إنّ ورود هذه الفواتح جميعها يأتي دائماً قبل الكلام على الوحي الذي في الكتاب والذي ينزل على محمّد؛ وهي المناسبة نفسها التي كان يقول فيها أنبياء العهد القديم أقوالهم: «قُلْ يَهْوى»، أي: قال الربّ.

الفَيْء : ١ . هي كلّ ما يرجع من أموال الكافرين إلى المسلمين، من غير قتال، ولا ركوب خيل، صلحاً أو استسلاماً. وهو ما ذكره القرآن في قوله: «ومَا أَفَاءَ (ردّ) اللَّهُ على رسولِه منهم فَما أوجَفْتُم (أسرعتم) عليه مِن خَيْلٍ ولا رِكابٍ (إبل). ولكنَّ اللّهَ يُسلِّطُ رُسُلَهُ على مَن يشاءُ. واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قدير» (٥٩/٦).

٢ . والفرق بين الفَيْء والغنيمة من وجهتين: ١- أنّ الغنيمة تكون بالحرب وإيجاف الخيل؛ والفيء يكون بدون ذلك؛ ٢- أنّ تقسيم الغنيمة يختلف عن تقسيم الفيء، مع أنّ الجميع من أموال الكافرين.

٣ . من موارد الفيء :

١ - ما جلا عنه الكفّار خوفاً من المسلمين من الأراضي والعقارات؛

٢ - ما تركه الكفّار وجلوا عنه من المنقولات؛

٣ - ما أُخذ من الكفّار من خراج أو أجرة؛

٤ - الجزية؛

٥ - عشور أهل الذمّة؛

٦ – ما صولح عليه الحربيّون من مال يؤدّونه إلى المسلمين؛

٧ – مال المرتدّ إن قتل أو مات؛

٨ – مال الذمّي إن مات ولا وارث له؛

٩ – الأراضي الزراعيّة عند مَن يرى عدم تقسيمها بين الغانمين.

٤ . تُستخدم الحصيلة الناتجة عن الفيء لما فيه خير الجماعة شأنه شأن خمْس الغنيمة، كما في قوله: «مَا أفاءَ اللَّهُ على رسوله من أهلِ القُرى فللّهِ وللرسولِ ولذي القُربَى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكونَ دُولَةً بينَ الأغنياء» (٥٩/٧). ولمّا قرأ عمر هذه الآية قال: «استوعبتْ هذه الآية الناسَ، فلم يبقَ أحدٌ من المسلمين إلاّ له في هذا المال حقّ». ويصرف الإمامُ الفيءَ باجتهاده في مصالح المسلمين، كسدّ الثغور، وبناء القناطر والجسور، وكفاية العلماء والمتعلّمين والقضاة والعمّال، ورزق المقاتلة وذراريهم..

٥ . ثمّ رأى عمر أن يطبّق المبدأ على الأقاليم الجديدة التي فتحها المسلمون فقضى ألاّ يقسم بين الفاتحين سوى ما يصيبون من الأموال المنقولة؛ أمّا الأرضون فلا تقسم، لأنّ الأرض لن تُستخدم لما فيه منفعة الجيل الذي يعيش في ذلك الوقت، ولكنّها تصبح فيئاً تملكه الأمّة كلّها بصفة دائمة لصالح جميع الأجيال المستقبلة من المسلمين. وسبب ذلك هو الخوف من أن ينصرف المسلمون إلى الزراعة، فيتخلّون عن القتال والجهاد.

٦ . والفيء، عند الحنفيّة والمالكيّة، لا يخمس، ومحلّه بيت مال المسلمين.

الفَيْرُوزَابَادِيّ (أبو طاهر مُحمّد) (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م) : وُلد في كازارين ببلاد فارس. درس في شيراز، ثمّ في واسط، ثمّ في بغداد، وفي دمشق. ثمّ انتقل إلى القدس أستاذاً لمدّة عشر سنوات، ثمّ قام بعدّة رحلات إلى آسيا الصغرى والقاهرة، ومكّة التي مكث فيها ١٤ سنة، تخلّلها رحلة إلى الهند حيث مكث خمس سنوات في دلهي. ثمّ رجع إلى بغداد وإلى فارس. ومنها إلى جنوب الجزيرة العربيّة.. ثمّ عاد إلى مكّة حيث تُوفّي.

له: «القاموس المحيط» الذي يعدّ من أعظم أعماله، وقد انتقده أحمد فارس الشدياق بما سمّاه «الجاسوس على القاموس». شرحه الزَّبيدي في «تاج العروس»، ولخّصه جرمانوس فرحات في «باب الإعراب»، وأخذ عنه بطرس البستاني في «محيط المحيط»؛ وله أيضاً: «تنوير المقباس في تفسير ابن عبّاس»؛ و«بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»...

الفَيْض : هو الانبثاق المطّرد للعالم من اللّه، وتجلّي هذا العالم بإرادته الربّانيّة. ليس في الإمكان إعطاء تعريف لماهيّة اللّه وفعلِه الخلاّق، ولكن من الممكن القول بأنّ اللّه هو الموجود الذي يفيض منه كلّ شيء عداه. ولهذا يستخدم الفلاسفة أساساً التعبيرات الواردة في القرآن والحديث (مثل: خلْق، إبداع..) مع تأويلها.

وثمّة تعابير مثل : فيض، صدور، خروج، إنسال، تدفّق، فيضان، إنبثاق، إنبعاث، ظهور، إنبجاس، إشراق.. تؤدّي معنى يختلف تماماً عن معنى «الخلق» من العدم، أو «الولادة» من اللّه الذي لم يلد ولم يولد.

الفيْل (عام) : كان العرب يؤرّخون به نسبةً إلى هجوم الأحباش بأفيالهم على الحجاز، سنة ٥٧٠م. أي في العام الذي وُلد فيه النبيّ محمّد. والفيل هو «محمود» الذي كان يركبه أبْرَهة قائد الجيوش الحبشيّة المتوجّهة لهدم الكعبة. والفيل اسم سورة رقم ١٠٥ في القرآن. وهي مكّيّة وآياتها ٥ آيات.

فِيلْبي (سانت جوني) Philby (ت ١٩٦٠): مستشرق إنكليزيّ. أسلم وسمّى نفس عبداللّه. اكتشف كتابات ثمود الحجريّة القديمة. أوّل مَن توغّل في رمال الربع الخالي. له: «قلب البلاد العربيّة»؛ «الربع الخالي».

فيلون Philôn (نحو ١٣ ق.م.–٥٤ ب.م.): فيلسوف يونانيّ يهوديّ الأصل. وُلد في الإسكندريّة. حاول أن يشرح الدين بتعابير الفلسفة اليونانيّة الأفلاطونيّة. عمل على تطبيق الطريقة الرمزيّة على نصوص التوراة. له تأثير كبير على آباء الكنيسة الشرقيّة والفلاسفة العرب كالفارابيّ مثلاً.

ق

ق : إسم السورة رقم ٥٠ من القرآن. آياتها: ٤٩.

قَابِيْل : أحد إبنَي آدم اللّذين أشار إليهما القرآن دون ذكرهما بشكل صريح، واسم أخيه «هابيل». قتَل قابيلُ هابيلَ. وسبب القتل يعود إلى أنّ أمّهما «حواء» كانت في كلّ بطنٍ تضع توأمَين، ذكراً وأنثى؛ فوضعتْ قابيلَ وأختَه، وكانت جميلة؛ ثمّ وضعت هابيلَ وأخته، وكانت غير جميلة. وأمر آدم قابيلَ أن ينكح توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح توأمة قابيل.. ولكنّ قابيل قال: أنا أحقّ بأختي. ولمّا أصرّ على موقفه، أمره أبوه أن يقدّم قرباناً، وأمر هابيل بمثل ذلك. فقبل اللّه قربان هابيل، فحقد قابيل على هابيل، وقتله. ثمّ ندم. وروى القرآن ذلك في قوله: «واتْلُ عليهمْ نَبأ ابنَي آدم بالحقّ، إذ قَرَّبا قرباناً. فَتُقُبِّلَ مِن أحدِهما ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخر. قال: لأقتُلَنَّك. قال: إنّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِن المُتَّقِين» (٥/٢٧). ثمّ قتله، ولم يكن يعرف كيف يدفنه. فبعث اللّه غراباً وراح يبحث في الأرض ليعلّمه كيف يحفر ويدفن، فشعر حينها بالندم (رَاجع القصّة كاملة في ٥/٢٧-٣٢).

القَادِسيَّة : موقع في غربيّ النجف. حدثت فيه معركة كبرى انتصر فيها العرب بقيادة سَعد بن أبي وَقَّاص على الفرس بقيادة رستم، سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م.

القَادْيَانِيَّة أو **الأَحْمَدِيَّة** : مذهب أنشأه في قاديان بالبنْجاب ميرزا غلام أحمد، سنة ١٨٨٨م. حاربه علماء الإسلام.

القَارِعَة : ترد في القرآن ٥ مرّات[1]. القارعة، لغةً، النازلة الشديدة، تنزل عليهم بأمرٍ عظيم. والمراد بها القيامة: «القَارعةُ. ما القارعةُ. وما أدراكَ ما القارعةُ. يومَ يكونُ الناس كالفراشِ المبثوث» (١٠١/١-٤). سمّيت بذلك، لأنّها تقرع الناس

---

(١) ١٣/٣١؛ ٦٩/٤؛ ١٠١/١و٢و٣.

بأهوالها وشدائدها. وقال تعالى: «ولا يزالُ الذين كفروا تُصيبُهم بما صنعوا قارعةٌ، أو تَحُلُّ قريباً مِن دارِهم حتّى يأتِيَ وعْدُ اللّه» (١٣/ ٣١). وقال الأصمعي: يقال أصابته قارعة، أي: أمرٌ عظيم يقرعه. وقيل: القارعة: العذاب الذي نزل بثمود وعاد في الدنيا. قال تعالى: «كَذَّبَتْ ثمودُ وعادٌ بالقارعة. فأمّا ثمودُ فأُهلِكوا بالطاغية. وأمّا عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صَرصَرٍ عاتيةٍ» (٦٩/ ٤-٦).

قَارُون : يرد ذكره في القرآن ٤ مرّات[1]. وُصف أنّه مع هامان، وزير كافر عند فرعون، يساعده في تعذيب الإسرائيليّين، ويتصرّف في كبرياء نحو موسى، ويقول له إنّه ساحر كذّاب. وهو في سورة القصص (٢٨/ ٧٦-٨١) قورح المذكور في التوراة، تكبّر على قوم موسى، ولكن، بسبب ثروته الضخمة، اعتقد أنّه إنّما أوتي تلك الكنوز على علم عنده، فخرج على قومه في زينته فخسف به وبداره الأرض. وبهذا فهو مثال عن أولئك الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الحياة الثانية. ويبدو أنّ محمّداً سمع هذه القصّة، وتذكّرها بشكل غامض.. وإليها أضاف المفسّرون أسطورة طويلة تتّصل به ومستمدّة كلّها من الكتابات الحاخاميّة.

القَاسِمُ الرَّسِّي (أبو محمّد) (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) : من متكلّمي **الزيديّة**. أهمّ ممثّل لمذهبهم. لا تزال آراؤه منتشرة في اليمن حتّى اليوم. ويسمّى مذهبه بمذهب القاسم. ويعدّ من أكبر علماء الزيديّة في الفقه. يقول بالأصول الخمسة التي يقول بها المعتزلة، ويُضيف عليها أصل الإمامة، كما عند الشيعة، أي إنّ الإمام بعد النبي عليّ، ثمّ ابنه الحسن، ثمّ ابنه الحسين. وبعدهم تكون الإمامة لمن قام ودعا إلى طاعة اللّه من ولد الحسن والحسين سواء.

له مؤلّفات عديدة، منها: كتاب الدليل الكبير في الردّ على الفلاسفة، وكتاب العدل والتوحيد الصغير، وكتاب الردّ على المشبّهة، وكتاب الردّ على النصارى، وكتاب تثبيت الإمامة، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب سياسة النفس، في الزهد.

---

(١) ٢٨/ ٧٦ و٧٩؛ ٢٩/ ٣٩؛ ٤٠/ ٢٤.

القَاسِمِيّ (جمال الدين) (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) : إمام الشام في عصره. سلفيّ العقيدة. له مصنّفات في التفسير والأدب، منها «دلائل التوحيد» و«قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» و«محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم»، في ١٧ مجلّداً، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٩٩٤. والقاسمي شيعي مستنير يغلب عليه الطابع العلمي مع رغبة في التجديد.

وصفه محمّد رشيد رضا بقوله: «هو علاّمة الشام، ونادرة الأيّام، والمجدِّد لعلوم الإسلام، محيي السنّة بالعلم والعمل والتعليم، والتهذيب والتأليف، وأحد حلقات الاتّصال بين هدي السلف، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن»[٢]. أثنى عليه أمير البيان الأمير شكيب أرسلان بما وصفه به: «وإنّي لأوصي جميع الناشئة الإسلاميّة التي تريد أن تفهم الشرع فهماً ترتاح إليه ضمائرها، وتنعقد عليه خناصرها ألاّ تقدِّم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم جمال الدين القاسمي». لقد قضى القاسمي مبكراً إذ لم يبلغ الخمسين من العمر.

القَاضِي عَبْد الجَبَّار (أطلب مادّة: **الهمداني**).

القَانُون : هو أحد ضوابط سلوك الإنسان في حياته.. يتكوّن من مجموعة من القواعد العامّة التي تنظّم العلاقات الاجتماعيّة، ويلتزم الأفراد بتنفيذه، وتلتزم الدولة هذا التنفيذ، وتفرض على المخالف جزاءات. والقانون يرتبط بالمجتمع، وبالسلوك الخارجي للفرد في المجتمع. ولا يحاسِب القانونُ الإنسانَ على مشاعره، بل على ما يخرج عنه من أعمال. لذا هو ينظّم العلاقات الاجتماعيّة، ويضبط سلوك الإنسان في علاقته بالآخرين حتّى لا يعتدي أحدٌ على أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحداً[١].

قُبَاء : أوّل مسجد بناه المهاجرون الأوّلون والأنصار، بناءً على توجيهات رسول اللّه. وحين هاجر رسول اللّه إلى المدينة، صلّى بالمسلمين فيه. وهو مسجد التقوى الذي أشير إليه في القرآن: «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوَى» (٩/١٠٨).

---

(٢) مجلّة المنار، ١٧/٥٥٨.

(١) رَاجع مادّة : القانون، د. جعفر عبد السلام، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١١٠٦–١١٠٧.

قُبَّة الصَّخْرَة (راجع مادّة : **الصَّخْرَة**).

القَبْر : ١ . مدفن الإنسان.. القبر محترم إحتراماً للميت. ومن ثمّ يُكره وطء القبر والمشي عليه، لما ثبت أنّ النبي «نهى أن توطأ القبور»[1].. كما اتّفق الفقهاء على كراهة الجلوس على القبر، لقول النبي: «لأن يجلس أحدكم على جمرةٍ فتحرق ثيابَه فتخلص إلى جلده، خيرٌ له من أن يجلس على قبر»[2].

٢ . ويكون القبر لحداً أو شقًّا؛ وصفة اللحد هي أن يُحفر في أسفل حائط القبر الذي من جهة القِبلة مقدار ما يسع الميت ويجعل ذلك كالبيت المسقوف. وأمّا صفة الشق فهي أنّه يُحفر في وسط القبر حفيرة يوضع الميت فيها ويُبنى جانباها باللبن أو غيره ويسقف عليها.. واتّفق الفقهاء على أنّ اللحد أفضل من الشق، لقول النبي: «اللحد لنا والشقّ لغيرنا»[3].

٣ . لا خلاف بين الفقهاء في أنّه يُكره الدفن في التابوت إلاّ عند الحاجة؛ وأنّه يُستحبّ تغطية قبر المرأة حين الدفن. إلاّ أنّهم اختلفوا في تغطية قبر الرجل. ويُستحبّ لمن دَفَن الميت الجلوسُ عند قبره بقدر ما ينحر جزور ويقسم لحمه..

٤ . الأصل أنّه لا يُدفن أكثر من ميت في القبر الواحد..

٥ . ذهب الحنفيّة والمالكيّة والحنابلة إلى أنّ تسنيم القبر -أي جعل التراب مرتفعاً عليه كسنام الجمل- مندوب.. وذلك ليُعرف أنّه قبر فيتوقّى ويُترحّم على صاحبه. وذهب الشافعيّة إلى أنّ تسطيح القبر أفضل.. وقال الشافعيّة والحنابلة: إذا مات مسلم في بلاد الكفّار فلا يُرفع قبرُه، بل يُخفى لئلاّ يتعرّضوا له.

٦ . اتّفق الفقهاء على أنّه يندب للرجال، دون النساء، زيارة القبور، لقول النبي: «إنّي كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، فزوروها. فإنّها تذكّر الآخرة»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٥٩، من حديث جابر بن عبدالله. حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٦٦٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٥٤، من حديث ابن عبّاس، حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم ٢/ ٦٧٢؛ أحمد ٥/ ٣٥٤، من حديث بريدة.

القِبْط أو **الأقْبَاط** : هم سكّان مصر الأصليّون الذين ظلّوا محتفظين بلغتهم القوميّة في مختلف لهجاتها. سمّوا بهذا الاسم تمييزاً عن العناصر الغريبة التي استوطنت البلاد والتي استعملت اللغة اليونانيّة. والقبط هم المسيحيّون أبناء الكنيسة المصريّة القوميّة. ترتقي كنائسهم إلى مجمع خلقيدونية ٤٥١م. واللغة القبطيّة هي اللغة المصريّة القديمة التي استعملها الفراعنة، وهي فرع من اللغات الحاميّة. احتفظ بها العامّة وأهل الأرياف، فتفرّعت إلى لهجات، وتولّدت منها اللغة القبطيّة الغنيّة بالمفردات اليونانيّة.

القُبُل : (راجع مادّة: **الفَرْج**).

القِبْلَة : ١ . لغةً: الجهة والوجهة؛ وهي، في الإسلام، الكعبة، لأنّ المسلمين يستقبلونها في صلاتهم (٢/ ١٤٤). ولا تصحّ الصلاة إلاّ بالتوجّه إلى الكعبة، لأنّ التوجّه إليها شرطٌ من شروط صحّة الصلاة. وكان المسلمون، في صلاتهم، قبل اتّجاههم إلى الكعبة، يتّجهون إلى المسجد الأقصى، ثمّ تحوّلوا إلى الكعبة في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة...

٢ . في البخاري، «بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ. فقال: إنّ رسول اللّه قد أُنزل عليه الليلة قرآن. وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها؛ فاستداروا إلى الكعبة»... والقرآن الذي نزل قوله تعالى: «قد نرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ (٢/ ٣٥٤). فَلنولينَّكَ (أي نحوّلنك) قِبلةً تَرْضَاها (أي تحبّها). فَوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ (أي نحو) المَسْجِدِ الحَرام. وَحَيثُما كنتُمْ فَوَلُّوا وجُوهكُم شَطْرَه. وإنَّ الذينَ أوتُوا الكتَابَ لَيَعلَمُونَ أنَّه الحقُّ (أي الرجوع إلى الكعبة) مِنْ رَبِّهِمْ (أي لما في كتبهم من نعته صلّى اللّه عليه وسلّم، بأنّه يتحوّل إلى الكعبة)» (٢/ ٣٥٥).

٣ . ثمّ تنهي الأحاديث عن استقبال مكّة عند قضاء الحاجة[1]. وليس هناك إجماع على ما إذا كان يباح للرجل في هذه الحالة أن يجعل ظهرَه إلى مكّة.. وتنهي الأحاديث عن النخامة في اتّجاه مكّة. والأحاديث القديمة تعتبر استقبال القبلة، هو

---

(١) البخاري، الوضوء،١؛ مسلم، الطهارة، الحديث ٦١؛ النسائي، الطهارة، الأبواب ١٨–٢٠.

وإقامة الصلاة والنحر، معياراً للتعرّف على المسلم[٢]. ومن المصطلحات التي تُطلق على أهل السنّة اصطلاح «أهل القِبلة والجماعة».

٤ . وفي كثير من البلاد الإسلاميّة أصبحت الكلمة إسم إحدى نقاط البوصلة حسب الاتّجاه الذي تكون فيه مكّة. وهكذا، فالقِبلة معناها الجنوب في مصر وفلسطين ولبنان وسوريا. وفي المساجد يبيّن المحراب إتّجاهَ القبلة.

٥ . عندما كان محمّد في مكّة، وكان يحاول استمالة اليهود إلى دينه الجديد، جعل بيت المقدس قِبلَتَه.. واستمرّ يصلّي نحو بيت المقدس في القدس مدّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وحتّى عندما هاجر للمدينة، وكان يؤمل إستمالة يهود يثرب إليه، ظلّ يصلّي نحو القدس. ولكن، بعد مرور سبعة عشر شهراً بالمدينة دون أي نجاح في استمالة اليهود، غيّر محمّد قِبلَتَه إلى مكّة. وعندما سأل الناسُ لماذا هذا التغيّر الذي لا يخدم غرضاً، جاء الردّ في سورة البقرة: «سيقولُ السفهاء من الناس ما ولاّهم عن قِبلتِهم التي كانوا عليها. قل: للّه المشرق والمغرب يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم» (٢/١٤٢).

هذه الإجابة تترك السؤال كما هو دون إجابة. نحن نعلم أنّ للّه المشرق والمغرب، والقدس لا تخرج عن هذه الاتّجاهات، فلماذا التغيير؟ لماذا لم يستمرّ يصلّي نحو المقدس، ما دام للّه المشرق والمغرب؟ وحتّى هذه الآية نُسخت فيما بعد بالآية: «فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجد الحرام» (٢/ ١٤٤).

والجواب الثاني في الآية ١٤٣ من نفس السورة ليس مقنعاً أكثر من الأوّل: «وما جعَلْنا القِبلةَ التي كنتَ عليها إلاّ لنعلمَ مَن يتبع الرسولَ ممّن يَنقلب على عقبَيه». فاللّه قد أمر محمّداً أن يصلّي في اتّجاه القدس لمدّة تقارب خمسة عشر عاماً ليعلم مَن يتبع الرسول ومن ينقلب على عقبَيه؟ لم ينقلب أيُّ شخص أسلم عندما كانت القِبلة نحو بيت المقدس، وصلّى كلّ المسلمين إليها، ولم ينقلبوا. ثمّ إنّ اللّه يعلم ماذا سيفعل كلّ شخص فكيف سيختبرهم بجعل القِبلة نحو بيت المقدس؟

---

(٢) البخاري، الصلاة، باب ٨؛ أنظر الأصنام، باب ١٢.

ثمّ يأتي الجواب الثالث بالآية ١٤٥: «ولئن أتيتَ الذين أُوتوا الكتاب بكلّ آية ما تبعوا قبلتَك. وما أنت بتابع قبلتهم. وما بعضهم بتابع قبلة بعض». فإذاً هذا تأكيد أنّه صلّى نحو بيت المقدس ليستميل اليهود؛ ولكنَّ اللّهَ أخبره أنّه حتّى لو أتاهم بكلّ المعجزات فلن يتبعوا قِبلتَه الجديدة. والواقع أنّ القدس هي قبلة اليهود والنصارى كذلك، وكانت قبلة المسلمين لفترة طويلة. فإذن القول «ومَا بعضُهم بتابعٍ قِبلةَ بعض» ليس صحيحاً»[٣].

قَتَادَة السَّدُوسِيّ (ت ١١٨هـ/٧٣٦م) : ١ . كان قتادة ضرير البصر. وكان موضع ثناء كبير من جلّة العلماء، من أمثال سعيد بن المسيب الذي قال فيه: ما جاء عراقيّ أفضل منه. وقال عنه بكر المزني: ما رأيتُ أحفظ منه. وقال ابن حنبل: هو أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه. ولقتادة منزلة لا تنكر في تفسير القرآن، حتّى جعله الطبري والسيوطي وغيرهما من مصادرهم.

٢ . من أقواله المأثورة: قال: « مَن وثق باللّه كان اللّه معه. ومن يكن اللّه معه تكن معه الفئة التي لا تُغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضلّ، والعالم الذي لا ينسى». وقال في الجَنّة: «كوّة إلى النار، فيقول أهل الجنّة إذا نظروا فيها: ما بال الأشقياء دخلوا النار، وإنّما دخلنا الجنّة بفضل تأديبكم لنا. فقالوا: إنّا كنّا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي». وقال: «يطلب الرجلُ صلاح نفسه وصلاح دينه وصلاح الناس أفضل من عبادةِ حولٍ كامل»[١].

القِتَال : كقتال الكفّار، وقتال البغاة، وقتال المرتدّين، والقتال دفاعاً عن العرض والنفس والمال، وقتال مانع الطعام أو الشراب عن المضطرّ، وقتال الممتنعين عن أداء الشعائر:

١ . **قتال الكفّار**: واجب، لقوله تعالى: «كُتِبَ عليكمُ القتالُ وهُوَ كُرْهٌ لكم» (٢/٢١٦)، وقوله: «فاقتُلُوا المُشركينَ حيثُ وجَدْتُموهُم» (٩/٥)؛ ولكنّ القتال

---

(٣) د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ٢٠٠–٢٠١.

(١) إبن كثير، البداية والنهاية، ٩/٢٥٣ و٣٥٣.

يكون بعد دعوتهم إلى الإسلام باللسان وإقامة الدليل وإبائهم، لقوله تعالى: «ادْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ والموعِظة الحسنة، وجادِلْهم بالتي هي أحْسَنُ» (١٦/ ١٢٥)؛ ولا يجوز لهم القتال قبل الدعوة.

وقد ورد أنّ رسول الله «ما قاتل قوماً حتّى يدعوهم»[١]، فإن أسلموا كفّوا عنهم القتال، لقول النبي: «أمرتُ أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله. فإذا قالوا لا إله إلاّ الله، عصموا منّي دماءهم وأموالَهم إلاّ بحقّها»[٢]. فإن أبَوا الإجابة إلى الإسلام دعوهم إلى الذمّة، إلاّ مشركي العرب والمرتدّين. فإن أجابوا كفّوا عنهم، لحديث بريدة: «قال رسولُ الله: أغزوا باسم الله، في سبيل الله. قاتلوا مَن كفر بالله. أغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً»[٣].

٢ . **قتال البغاة:** والبغاة هم الذين يخرجون على الإمام يبغون خلعه. والأصل في مشروعيّة قتالهم قوله تعالى: «وإنْ طائفتانِ منَ المؤمنينَ اقْتَتَلوا فأصْلِحوا بينهما. فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأخرى فَقَاتِلوا التي تَبغي حتّى تَفِيءَ إلى أمرِ الله» (٤٩/ ٩)، وقول النبي: «مَن خرج على أمّتي، فاضرِبُوا عنقَه بالسيف كائناً مَن كان»[٤]..

٣ . **قتال المرتدّين:** إذا ارتدّ أهلُ بلد، على الإمام قتالهم، لأنّ ترْكهم ربّما أغرى أمثالَهم بالتشبّه بهم والارتداد معهم، فيكثر الضرر. وإذا قاتلهم قتلَ مَن قَدر عليه. ويتبع مُدبرَهم، ويُجهز على جريحهم، وتُغنم أموالهم.

٤ . **القتال دفاعاً** عن العرض والنفس والمال: والأصل في هذا قول النبيّ: «مَن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد. ومَن قُتل دون دينه فهو شهيد. ومَن قُتل دون دمه

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٥٣، من حديث جابر بن عبدالله.

(٣) أخرجه مسلم ٣/ ١٣٥٧-١٣٥٨، ر: البدائع ٧/ ١٠٠، من حديث بريدة.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنّة ٢/ ٥٢٦، من حديث أسامة بن شريك؛ ومسلم ٣/ ١٤٧٩، من حديث عرفجة.

فهو شهيد. ومَن قُتل دون أهله فهو شهيد»[٥]. وعن أبي هُريرة أنّه قال: جاء رجلٌ، فقال: يا رسولَ اللّه! أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريد أخْذَ مالي؟ قال: فلا تعطِهِ مالَكَ. قال: أرأيتَ إن قاتَلَني؟ قال: قاتلْه. قال: أرأيتَ إن قتلني؟ قال: فأنتَ شهيد. قال: أرأيتَ إن قتلتُه؟ قال: هو في النار»[٦].

٥ - **قتال مانع الطعام** أو الشراب عن المضطرّ: فإنّ الامتناع عن بذله إعانة على قتله، وقد قال النبي: «مَن أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة اللّه»[٧]. فإن قُتل المضطر فهو شهيد. وإن قُتل صاحب الطعام فهو هدر لأنّه ظالم.

٦ - **قتال الممتنعين عن أداء الشعائر**: يعتبر الأذان من شعائر الإسلام وخصائصه، ولذلك لو اجتمع أهلُ بلدة على تركه قاتلهم الإمام، لأنّ الاجتماع على تركه استخفاف بالدين.. وقال الحنفيّة: يُحبسون ويُضربون ولا يُقاتَلون بالسلاح.

القَتْل: ترد لفظة «قتل» في القرآن مع مشتقّاتها **٢١٦** مرّة.

١ - ذهب أكثر أهل العلم إلى أنّ الجناية على النفس تنقسم بحسب القصد وعدمه إلى: عمد، وشبه عمد، وخطأ: ١ - القتل العمد: هو أن يتعمّد ضرب المقتول في أي موضع من جسده بآلة تفرّق الأجزاء.. ٢ - والقتل شبه العمد: هو أن يُقصد الفعل والشخص بما لا يقتل غالباً فيؤدّي إلى موته.. ٣ - والقتل الخطأ: هو أن لا يُقصد الضرب ولا القتل، مثل أن يرمي صيداً أو هدفاً فيصيب إنساناً، أو ينقلب النائم على إنسان فيقتله.

٢ - غير أنّ ابن عبّاس، لمّا سُئل: هل لمن قَتَل مؤمناً متعمِّداً من توبة؟ قال: لا إلاّ النار. فقرأ الآية: «ومَن يَقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّمُ، خالداً فيها، وغضِبَ اللّهُ عليه، ولعنَهُ، وأعدَّ له عذاباً عظيماً» (٤/٩٣)، وهي آخر ما نزل في هذا الشأن،

---

(٥) أخرجه الترمذي ٤/٣٠، من حديث سعيد بن زيد، حديث حسن صحيح.

(٦) أخرجه مسلم ١/١٢٤، من حديث أبي هُريرة.

(٧) أخرجه إبن ماجه ٢/٨٧٤، رَ: البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/٨٣.

ولم ينسخْها شيء، ولأنّ لفظ الآية لفظ الخبر، والأخبار لا يدخلها نسخٌ ولا تغيير، لأنّ خبر اللّه تعالى لا يكون إلاّ صدقاً[1].

٣ . وذهب الشافعيّة والحنابلة إلى القول بأنّ المسلم لا يُقتل بالذمّيّ مطلقاً، واستدلّوا بقول رسول اللّه: «لا يُقتل مسلمٌ بكافر»[2]. وقال الشافعيّة: يُعزر ويُحبس، ولا يبلغ بحبسه سنة؛ وقال الحنابلة: عليه الدية فقط. وقال الحنفيّة: يُقتل المسلم بالذمّيّ، لقوله تعالى: «وكَتَبْنا عليهم فيها أنَّ النَّفْسَ بالنَّفْس» (٥/ ٤٥). وقال المالكيّة: إذا قتله غيلة بأن خدعه حتّى ذهب به إلى موضع فقتله، يُقتل به سياسةً لا قصاصاً. أمّا إذا لم يقتلْه غِيلةً فعليه الدية فقط.

٤ . ويكون القتل حراماً، كقتل النفس المعصومة بغير حقّ ظلماً؛ وواجباً، كقتل المرتدّ والزاني المحصن بعد ثبوت الزنا عليه شرعاً؛ ومكروهاً، كقتل الغازي قريبَه الكافر إذا لم يسمعه يسبّ اللّه أو رسوله؛ ومندوباً، كقتل الغازي قريبه الكافر إذا سبّ اللّهَ أو رسولَه؛ ومباحاً، كقتل الإمام الأسير فإنّه مخيّر فيه؛ ومشروعاً وهو ما كان مأذوناً فيه من الشارع، وهو القتل بحقّ، كقتل الحربيّ، والمرتدّ، والزاني المحصن، وقاطع الطريق، والقتل قصاصاً، ومَن شهر على المسلمين سيفاً، كالباغي.

٥ . «إذا اعتنق إنسانٌ ما الإسلام، واختاره عقيدةً، فليس له أن يعدل عنه إلى غيره، وإلاّ اعتُبر مرتدًا. وفي هذه الحالة يُقتل.. باعتبار ذلك الارتداد قادحاً في النظام العام، ومهدِّداً لكيان المجتمع بما يُعرف في التشريعات الحديثة باسم الخيانة العظمى، أو العمل على هدم الكيان الاجتماعي.. وبالجملة، فإنّ نتيجة حرّيّته هذه، وثمرة أعماله التي اختارها ستعود عليه من نوع ما عمل»[3].

---

(١) تفسير القرطبي ٥/ ٣٣٢؛ الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/ ٧١؛ المغني لابن قدامة ٧/ ٦٣٦؛ كشّاف القناع ٥/ ٥٠٤؛ الإنصاف ١٠/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/ ٢٠٤، من حديث علي بن أبي طالب.

(٣) رَ : أ.د.عبد الحيّ الفرماوي، الإنسان في القرآن الكريم، في «الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص ٧٧٥-٧٧٦.

قُتَيْبَة بن مُسْلِم (ت ٩٦هـ/ ٧١٥م): من كبار القادة الأمويّين. فتح ما وراء النهر وبُخارى وسمَرقند وفَرغانة في عهد عبد المَلِك بن مَروان. قُتل في ثورة الجند في فرغانة بعد تولّي سليمان بن عبد الملك.

قَحْطَان : أبو قبائل اليمن العربيّة الجنوبيّة. انقسم بنوه إلى فرعين: حِمير وكهلان. هو يَقطان في التوراة.

القِدَاح : (أطلب: **أزلام**، و**مَيسر**).

القَدَاسَة : ١ . لم ترد اللفظة في القرآن. إنّما ما ورد هو بعض مشتقّاتها ١٠ مرّات: منها ما هو تسبيح لله (٢/ ٣٠)؛ ومنها ما هو صفة للروح (٢/ ٨٧ و٢٥٣؛ ١٦: ١٠٢)؛ ومنها ما هو صفة للوادي المقدّس (٢٠/ ١٢؛ ٧٩/ ١٦)؛ ومنها هو صفة للأرض التي كتبها الله لبني إسرائيل (٥/ ٢١)؛ ومنها ما هو إسم من أسماء الله الحسنى (٥٩/ ٢٣؛ ٦٢/ ١).

٢ . والقدّوس، لغةً، معناه: الطاهر المنزّه عن النقائص، والمبرأ من العيوب.. والمؤمن مطالَب بتنزيه الله عن كلّ وصفٍ لا يليق بجلاله، أو يقصّر عن قدره وعلوّ شأنه. جاء في كتاب «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للإمام الغزالي، حول معنى «القدّوس»، قال: «القدّوس: المنزّه عن كلّ وصف يظنّه أكثر الخلق كمالاً. فهو تعالى منزّه عن أوصاف كما الخلق، كما أنّه منزّه عن أوصاف نقائصهم، بل كلّ صفة تتصوّر للخلق، فهو مقدّس عنها».

٣ . أمّا القداسة بمعنى أنّ الإنسانَ يستطيع في الإسلام أن يحصل عليها من خلال إيمانه وأعماله وعمل روح الله فيه، فهي لا وجود لها. وكذلك فإنّ الإنسان يبقى خارج دائرة الطبيعة الإلهيّة التي لا قداسة إلاّ بها وفيها.. غير أنّ القداسة في المسيحيّة هي غاية كلّ مسيحيّ مؤمن. وهو يعمل للحصول عليها بعمل الروح القدس في حياته وأعماله.

القَدْر : (أطلب مادّة: **ليلة القدْر**).

القَدَر : عقيدة مَن يرى أنّ الأعمالَ الإنسانيّة وما يترتّب عليها من سعادة أو شقاء، وكذلك الأحداث الكونيّة، تسير وفق نظام أزليّ ثابت. والمسلم ملزم بالإيمان بالقَـدَر، لأنّه أحد أركـان الإيمان الخمسة. والإيمان بالقـضاء والقَـدَر يوجب على المكلّف أن يؤمنَ أنّ اللّـهَ عالِمٌ بجـمـيع أفـعال العـبـاد والمخلوقـات التي ستـحـدث مستقبلاً، وأنّ اللّهَ أوجدَها على القدَر المعيّن الذي سبق العلم به. وكان **الجبريّة** ممّن يؤمنون بالقدر إيماناً مطلقاً. فليس للإنسان، على ما يقولون، أيُّ دورٍ على الإطلاق في الأفعـال التي تصدر عنه. والرأي المتطرّف الآخر الذي يقـول إنّ الإنسان يخلق أفعاله، كان رأي **القَدَرِيّة** الذين اندمجوا في صفوف المعتزلة..

القَدَرِيّة : ١ . هم القائلون بأنّ العبد مسؤول عن أفعاله، فهو الذي يختارها، ويعـملها بمحض إرادته وحـرّيّته. فـاللّه خلق الخـير والشـرّ، والخبـيثَ والطيِّب، والصلاحَ والفـساد؛ ووهب الإنسـانَ عقلاً مـيّزه به عن سـائر مخلوقـاته، ومنحه القدرة على التمـييز بينها، وترك له حـرّيّة التصرّف والاختيـار. قال: «وَنَفْسٍ ومَا سَوَّاها فَأَلْهَمَها فُجُـورَها وتَقْوَاها. قَد أفْلَحَ مَن زَكَّاها، وَقد خابَ مَن دَسَّاها» (٩١/ ٧–١٠). وقـال أيضاً : «وَهَدَيْنـاهُ النَّجْدَينِ» (٩٠/ ١٠)، أي: بيّنّـا له طريقَ الخيـر وطريقَ الشرّ؛ وهو الذي يختار بملء حرّيّته.

٢ . هذه نظريّة **المعتزلة** الذين يرفضون نظريّة **الجبريّة** القائلة بأنّ الإنسان مجـبر على أفـعاله، وأنّه لا اسـتطاعة له أصلاً؛ وإنّمـا تُنسب الأفعـال إليه مـجازاً، والفاعـل في الحقيـقة هو اللّه. فـالإنسان، عند المعـتزلة، يملك حـرّيّة الإرادة. وهو مخـتار في أفعـاله، وهو الخالق لها. ومِن ثمّ كـان التكليف والثواب والعـقاب؛ وإلاّ فكيف يكلَّف الإنسان بفعلٍ لا يفـعله هو، وإنّما يفعله غيرُه؟! وكـيف يُثاب أو يُعاقب على فعل لا يفعله هو، وإنّما يفعله غيرُه؟!

٣ . أمّا **الأشاعرة** فيـرون أنّ الإنسان لا يخلق أفـعالَه الاخـتيـاريّة، وإنّما الخالق لهـا هو اللّه؛ لأنّه «خَالِقُ كـلّ شيءٍ» (٦/ ١٠٢)، وليس للإنسان في أفـعاله الاختياريّة سوى «الكسْب»، وهو «مقارنةُ قدرةِ العبد للفعل من غير تأثيرٍ لها فيه». وهذا الكسْب هو مناط التكليف والمسؤوليّة والثواب والعقاب.

٤ . وأمّا **الماتريديّة** فهم كالأشاعرة؛ إلاّ أنّهم يفسّرون «الكسب» بأنّه «العزم والتصميم على الفعل». وهذا هو مناط التكليف والثواب والعقاب. وهو ما يدلّ عليه حديث رسول اللّه: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى».

القَذْف : هو الرمي بزنا، أو لواط، أو شهادة بأحدهما عليه ولم تكمل البيّنة. إنّ قذْف المُحصن والمُحصنة حرام شرعاً، وأنّه من الكبائر. والأصل في تحريمه الكتاب والسنّة. فأمّا الكتاب فآيات كثيرة، منها قوله: «والذينَ يَرمُونَ المُحْصَنات ثمّ لم يأتوا بأربعةِ شُهَداءَ فاجْلِدوهم ثمانينَ جَلْدَةً، ولا تَقْبَلوا لهم شَهَادةً أبداً. وأولئكَ همُ الفاسِقُون» (٢٤/ ٤)، وقوله: «إنّ الذينَ يَرمُونَ المُحْصَناتِ الغَافِلاتِ المؤمِناتِ لُعِنُوا في الدنيا والآخِرة. ولهم عذابٌ عظيم» (٢٤/ ٢٣).

وأمّا السنّة فما رواه أبو هُريرة أن رسول اللّه قال: «اجتنبوا السبْعَ الموبقات. قال: يا رسول اللّه! وما هنّ؟ قال:الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التي حرّم اللّه إلاّ بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذْف المُحصَناتِ المؤمنات الغافلات»[1]. يثبت القذف بشهادة شاهدَين عدلَين. ولا تُقبل فيه شهادة النساء مع الرجال.. ويُثبت بالإقرار. حدّ القذف للحرّ ثمانون جلدة (رَ: ٢٤/ ٤)؛ ويُنصّف في حقّ العبد.

القَرامِطَة : ١ . جماعات ثائرة من العرب والنبطيّين في جنوب بلاد الجزيرة بعد حرب الزنج، إبتداءً من عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م. تُنسب إلى **حَمْدان قُرْمُط** من دعاة الإسماعيليّة. ظهر في العراق نحو ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. كانت هذه الحركة دينيّةً، سياسيّةً، سرّيّةً، مبنيّةً على نظام من الشيوعيّة. امتدّت إلى صفوف الجماهير من الفلاّحين والصنّاع في الأحساء، حيث أسست دولةً مستقلّة عن خليفةِ بغداد، وفي خراسان والشام واليمن، حيث كوّنت أوكاراً دائماً للسخط والاستياء.

٢ . إلى جانب حمدان نجد صهرَه **عبدون**، مؤلّف كتيّب عن الانضمام إلى

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٥/ ٣٩٣؛ مسلم ١/ ٩٢، من حديث أبي هُريرة. الحديث متّفق عليه؛ راجع: نيل الأوطار، للشوكاني، ط.دار الحديث، ٧/ ٢٥٢.

الجماعة، ويتضمّن «البلاغات السبعة». ولمّا أُقصي عبدون حلّ محلّه **زَكْرَوَيه بن مِهْرَوَيه**. وبموت زكرويه لم تعد الحركة فاعلة في أمور السياسة.

٣ . وبمرور الوقت استعادت الحركة قوّة في الأحساء مع **أبي سعيد الجَنّابيّ** الذي استولى عليها كلّها سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، وجعل منها دولة مستقلّة، كانت حصن قوّة القرامطة ومبعث رعب لخلافة بغداد.

٤ . وبدأ ابنُه وخليفته **أبو طاهر سليمان** (٣٠١-٣٣٢هـ/ ٩١٤-٩٤٣م) يشيع الدمار في جنوب إقليم الجزيرة، وقطع طرق الحجّ. ثمّ استولى على مكّة في ٨ من ذي الحجّة (٣١٧هـ/ ٩٣٠م)، واقتحم المسجدَ الحرام، واقتلع الحجرَ الأسود وباب الكعبة وأستارها، وردم بئر زمزم بجثث القتلى الذين سفك دماءهم في المسجد، ووقف على عتبة باب الكعبة، وصاح منتشياً: «أنا باللّهِ، وباللّهِ أنا يَخلقُ الخلقَ وأُفنيهم أنا».

ولم يتمكّن أحد من أداء المناسك في ذلك العام. ثمّ عاد القرامطة إلى بلادهم؛ وظلّ الحجر الأسود في حوزتهم حتّى ردّوه إلى الكعبة في عام ٣٣٩هـ/ ٩٥١م. وقالوا في ذلك: أخذناه بأمرٍ وأعدناه بأمر.

٥ . ومنذ وفاة أبي طاهر هدأ القرامطة حتّى تولّى أمرَهم الحسنُ بنُ أحمد بن بهرام المعروف **بالحسن الأعصم** في سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م، حيث تجدّد نشاطهم مرّة أخرى، فاستولوا على بلاد الشام في عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م.

٦ . وحتّى ذلك التاريخ، كانت علاقات القرامطة بالفاطميّين يسودها الودّ والصداقة. فلمّا أصبح الفاطميّون خلفاء مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٧٩م، انقلب عليهم القرامطة. وبدأ صراع مسلّح بين الفريقين؛ فأرسل المعزّ الفاطمي جيشاً لإخراج القرامطة من الشام سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م، بقيادة جعفر بن فلاح، فهزمه القرامطة، وقُتل جعفر، وزحف **الحسن الأعصم** بقوّاته نحو مصر، وحاصر القاهرة عدّة أشهر من عام ٣٦١هـ/ ٩٧٢م؛ ولكنّه لم يستطع دخولها، فارتدّ عائداً إلى الشام، ومات بعدئذٍ في الرملة سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م.

٧ . وبعد وفاة الأعصم صار أمر القرامطة إلى مجلس يضمّ ستة من شيوخهم يسمّى «مجلس الستّة»، وحينئذ كانت أحوالهم تتّجه نحو الضعف والانحلال؛ غير أنّهم ظلّوا مسيطرين على ما تحت أيديهم من بلاد البحرين والأحساء حتى تلاشى أمرهم، وزالت دولتهم في نحو عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م.إلى أن قُضي عليهم في البحرين سنة ١٠٢٧. فانقرضوا وانتهى أمرهم.

القُرْء : لغةً: بالفتح والضمّ: الحيض. ويُطلق أيضاً على الطهر. وهو من الأضداد. وجمْعه: قروء، وأقْرُؤ وأقْرَاء. واصطلاحاً: إنّ المراد بالأقراء في العدّة الأطهار، لقول عائشة: «الأقراء الأطهار»[1]. وقال غيرهم: إنّ المراد بالقرء الحيض.. واتّفق الفقهاء على أنّه يجب على المرأة المطلّقة ومَن في حكمها ذاتِ الأقراء أن تعتدّ بثلاثة قروء، لقوله تعالى: «والمُطَلَّقاتُ يتربَّصْنَ بأنفسِهِنَّ ثلاثةَ قُرُوءٍ» (٢/ ٢٢٨).

القِرَاءَة : في اللغة: التلاوة، وتتبُّع الكلمات نظراً، نطق بها أو لم ينطق. وقرأ الآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ، فهو قارئ. والجمْع: قرّاء. وقرأ السلامَ عليه: أبلغه إيّاه. وقرأ الشيء: جمعه وضمّ بعضه إلى بعض.. والقراءة اصطلاحاً: هي تصحيح الحروف بلسانه بحيث يسمع نفسه، أو لم يسمع نفسه.

١ . ذهب المالكيّة والشافعيّة والحنابلة إلى أنّ قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، فتجب قراءتها في كلّ ركعة من كلّ صلاة، فرضاً أو نفلاً، جهريّة كانت أو سريّة، لقول النبي: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[1].. وذهب الحنفيّة إلى أنّ ركن القراءة في الصلاة يتحقّق بقراءة آية من القرآن، لقوله تعالى: «فاقْرَءُوا ما تيسَّرَ من القرآن» (٧٣/ ٢٠)

٢ . واتّفق الفقهاء على أنّه يحرَّم على الحائض والنفساء والجُنُب قراءة القرآن، لقول النبي: «لا تقرأ الحائض ولا الجُنُب شيئاً من القرآن»[2]، ولما رُويَ «أنّ

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤/ ٥٠٦، ط. دار المعارف.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/ ٢٣٧؛ مسلم ١/ ٢٩٥، من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه الترمذي ١/ ٢٣٦، من حديث ابن عمر.

النبيّ كان لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلاّ أن يكون جُنُباً»[٣].

٣ . ذهب الفقهاء إلى أنّه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربيّة في الصلاة مطلقاً، سواء قدر على القراءة بالعربيّة أو عجز. وتُفسد بذلك.. لأنّ ترجمة القرآن ليست قرآناً، لأنّ القرآن هو هذا النظم المعجز. وبالترجمة يزول الإعجاز فلم تجز. وكما أنّ الشعر تُخرجه ترجمته من كونه شعراً فكذا القرآن، إضافة إلى أنّ الصلاة مبناها على التعبّد والاتّباع والنهي عن الاختراع، وطريق القياس مفسدة فيها.

٤ . وذهب أبو حنيفة إلى جواز قراءة القرآن في الصلاة بالفارسيّة وبأيّ لسان آخر، لقوله تعالى: «وإنّه لَفِي زُبُرِ الأوَّلِين»» (٢٦/١٩٦)، وقوله: «إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ إبراهيمَ وموسى» (٨٧/١٨-١٩)؛ فصحف إبراهيم كانت بالسريانيّة، وصحف موسى بالعبرانيّة؛ فدلّ على كون ذلك قرآناً..

٥ . وذهب **أبو يوسف** و**محمّد بن الحسن**، صاحبا أبي حنيفة، إلى أنّه لا تجوز القراءة بغير العربيّة، إذا كان يُحسن العربيّة؛ لأنّ القرآن إسمٌ لمنظوم عربيّ، لقوله تعالى: «إنّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرَبيًا» (٤٣/٣)، وقوله: «إنّا أنْزَلْناهُ قرآناً عَرَبيًا» (١٢/٢)، والمراد نظمه؛ ولأنّ المأمور به قراءة القرآن، وهو إسم للمنزل باللفظ العربي المنظومِ هذا النظم الخاصّ المكتوب في المصاحف، المنقولِ إلينا نقلاً متواتراً. والأعجمي إنّما يُسمّى قرآناً مجازاً. ولذا يصحّ نفي إسم القرآن عنه.

٦ . نصّ الحنابلة على أنّه لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب، لأنّ النبيّ غضب حين رأى مع عمر صحيفةً من التوراة[٤].

القِرَاءَات : ١ . علم من العلوم القرآنيّة؛ أو مذهب يذهب إليه إمامٌ من أئمّة القراءة، مخالِفاً به غيرَه في النطْق بالقرآن. ويراد بالقراءة ما يُنسب إلى إمامٍ من السبعة، أو العشرة، أو الأربعة عشرة، أو غيرهم..

---

(٣) أخرجه الترمذي ١/٢٠٤؛ الدارقطني ١/١١٩؛ وذكره النووب في المجموع ٢/١٥٩.

(٤) أخرجه أحمد ٣/٣٨٧؛ وأورده ابن حجر في الفتح ١٣/٣٣٤.

٢ . كلّ قراءة وافقتِ العربيّة، ووافقتْ أحدَ المصاحف العثمانيّة، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة لا يحلّ إنكارها؛ بل هي من **الأحْرف السبعة** التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولُها.

٣ . الخلاف في القراءة إمّا أن يكون منسوباً إلى إمام من الأئمّة، فهو **قراءة**؛ وإمّا أن يكون منسوباً إلى الراوي عن الإمام، فهو **رواية**؛ وإمّا أن يكون منسوباً إلى الآخذ عن الراوي، فهو **طريق**..

٤ . تنقسم القراءات من حيث السند إلى الأنواع الآتية: ١- المتواتر؛ ٢- المشهور؛ ٣- الآحاد؛ ٤- الشاذ؛ ٥- الموضوع..

٥ . القراءة المتواترة هي قراءات قرّاء الإسلام المشهورين السبعة المتّفق عليهم، وهم: ١- نافع المدني، وراوياه: قالون وورش؛ ٢- إبن كثير المكّي، وراوياه: البزي وقنبل؛ ٣- أبو عمرو البصري، وراوياه: الدُّوري والسوسي؛ ٤- إبن عامر الشامي، وراوياه: هشام وابن ذكوان؛ ٥- عاصم الكوفي، وراوياه: شعبة وحفص؛ ٦- حمزة الكوفي، وراوياه: خلف وخلّاد؛ ٧- الكسائي الكوفي، وراوياه: أبو الحارث وحفص الدُّوري.

٦ . أمّا القراءات الأخرى، أي المشهور، والآحاد، والشاذ، والموضوع، فهي عديدة، ولا مجال للخوض فيها بسبب أن لا قاعدة لها ولا أصل يُعتمَد عليه.

٧ . ألّف في علم القراءات كثيرون، منهم: إبن مُجاهِد، الدانيّ، الشاطِبيّ، إبن الجَزَريّ، وغيرهم.. .

القرآن : مقدّمة : هو كلام اللّه المعجِز، المنزَل على محمّد، المكتوب في المصاحف، وبلسانٍ عربيّ مبين، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته. إنّه نسخة أمينة من الكتاب الأصل الموجود في «اللّوح المحفوظ» (٨٥/٢٢) منذ الأزل. القرآن، بحسب ما يقول عن نفسه: هو كتابُ اللهِ المجيد (٥٠/١؛ ٨٥/٢١)، المُنير (٣/ ١٨٤؛ ٣٥/٢٥)، المُبين (١٥/١/ ٢٧/١؛ ٣٦/٦٩؛ ٥/١٥). فيه الحقّ اليقين (٦٩/٥١)، والقولُ الفَصْل (٨٦/١٣).

إنّه، بحسب محمّد عزّة دروزة: «الكتاب المقدَّس للمسلمين.. فيه أصولُ دينهم، وشرائعُ حياتهم، ونبعُ إلهامهم، ونبراسُ أخلاقهم، ونورُ هدايتهم في مختَلَف شؤونهم الدينيةِ والدنيويّةِ، الروحيّةِ والماديّةِ، العامّةِ والخاصّةِ، السياسيّةِ والقضائيّةِ والاجتماعيّةِ والشخصيّةِ والانسانيّةِ... وَصَفَهُ نبيُّهم بهذا الوصفِ الشاملِ الرائعِ المأثورِ عن طريقِ عليٍّ بن أبي طالب... «فيه نَبَأُ مَا قَبْلكم، وخَبَرُ ما بَعدكم، وحُكْمُ ما بَينَكم»[٥].

وعند أنور الجندي، «لأوّلِ مرّةٍ – من بين الكتبِ السماويةِ الاخرى – يَظهَرُ على الارض كتابٌ ذو كلماتٍ وحروفٍ إلهيّةٍ، لم يَكْتبْ سَطرًا من سطورِه بَشَرٌ، ولم يَخُطَّ حَرفًا من حروفِهِ إنسانٌ»[٦]. إنّه «معجِزَةٌ من معجزاتِ التاريخِ العلمي في الارضِ، لم يَتّفِقْ له في ذلك شبيهٌ مِن أوّلِ الدنيا الى اليومِ، ولن يَتّفقَ»[٧].

هذا القرآن «لا يُحيط بما فيه إلاّ اللّهُ، ولا يمكن لمخلوق أن يحيط ببعض ما فيه، ولا أن يُدركَ دقائقَ معانيه»[٨].

أوّلاً – أسماء القرآن : قال الجاحظ: «سمّى اللّهُ كتابَه إسماً مخالفاً لما سمّى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل. سمّى جملتَه قرآناً، كما سمّوا ديواناً، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية». وقيل:«وإنّما الجدير أن يُعدَّ من أسماء القرآن حقًّا خمسة أسماء :

١ . **القرآن** : وهو أشهرها على الإطلاق. وردت اللّفظة في صيغة «القرآن» ٥٨ مرّة، وفي صيغة «قرآناً» ١٠ مرّات، و«قرآنه» مرّتين. وهي من فعل «قرأ» الواردة مع مشتقّاتها ١٧ مرّة. وكلّها تعني: قراءة نصٍّ مكتوب؛ أي تلاوته. واسم

---

(٥) محمّد عزّة دروزة، القرآن المجيد ص ٥ – ٦.

(٦) أنور الجندي، الاسلام والعالم المعاصر، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٧) الدكتور الرافعي، إعجاز القرآن، ص ١٢٧ .

(٨) قاموس القرآن الكريم. المدخل، إعداد نخبة من العلماء والباحثين، مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، ط ٢، ١٩٩٧؛ (٢١×٢٨ سم)؛ ٢٦٠ ص؛ ص ٢٦.

القرآن اسم علَم، لا صفة. غير أنّ بعض العلماء اختلفوا في اشتقاقه: هل يُهمز، أو لا يُهمز؟ بعضهم اشتقّ الاسم من «قَرَنَ، قراناً»، أي جَمَعَ، مستندين إلى قوله: «إنّ علَينا جمْعَهُ وقُرآنَه» (١٧/٧٥)، أي: أنْ يقرأ النبيُّ ما جمعَه اللّهُ له في صدرِه. وقال سفيان بن عيينة: سمّي القرآن قرآناً، لأنّ الحروف جُمعتْ فصارتْ كلمات. والكلمات جُمعتْ فصارتْ آيات. والآيات جُمعتْ فصارتْ سوراً. والسور جُمعتْ فصارتْ قرآناً. ثمّ جُمع فيه علوم الأوّلين والآخِرين.

٢ . **الفُرقان** : وردت اللفظة في القرآن ٧ مرّات[٩]. قال: «تباركَ الذي نزّلَ الفُرْقانَ على عَبْدِه ليكونَ للعالَمين نَذيراً» (٢٥/١)؛ وقال: «نزّلَ عليكَ الكتابَ بالحقّ مُصَدِّقاً لما بينَ يَدَيه، وأنزلَ التوراةَ والإنجيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى للنّاسِ، وأنْزَلَ الفُرْقَانَ» (٣/٣-٤). وقيل : سمّي القرآن فرقاناً، لأنّه فرّق بين الحقّ والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق والحلال والحرام. وقيل أيضاً: سمّي بذلك لأنّ نزولَه كان «متفَرِّقاً»، أنزله في نيِّفٍ وعشرين سنة، ودليله قوله: «وقرآناً فرَّقْناه لتقرأه على النّاس على مُكْثٍ (أي مهل وتؤدة ليفهموه)» (١٧/١٠٦)، فيما نزلتْ سائر الكتب جملةً واحدة؛ لهذا «قالوا: لولا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً!» (٢٥/٣٢).

وهو يعني أيضاً، كما في أصل الكلمة السرياني: «فُورُوقَا»، أي المخلِّص، أي الذي في تلاوته خلاصٌ ونجاة، وعليه حمل المفسّرون قولَه: «وإذا آتينا موسى الكتابَ والفُرقانَ (أي النجاة) لعلَّكم تَهتدون» (٢/٥٣).

٣ . **الكتاب** : كما في قوله: «الحمْدُ للّهِ الذي أنزَلَ على عَبدِه الكتابَ ولم يَجْعَلْ له عِوَجاً» (١٨/١)؛ وقوله: «ذلك الكتاب لا ريب فيه» (٢/١)؛ وقوله: «ولمّا جاءهم كتاب من عند اللّه مصدِّق لما معهم» (٢/٨٩)؛ إلخ... و«الكتاب» من «كَتَبَ». والكَتْبُ، كما قال الرّاغب: «ضمّ أديم إلى أديم بالخياطة. وفي المتعارف: ضمّ الحروف بعضها إلى بعض». واشتقاق الكتاب من «كتبتُ الشيءَ إذا جَمَعْتُه، أو لأنّه اجتمع فيه جميع العلوم. وسُمّيتِ «الكتيبة» لاجتماعها.

---

(٩) ٢/٥٣ و١٨٥؛ ٣/٤؛ ٨/٢٩ و٤١؛ ٢١/٤٨؛ ٢٥/١.

٤ . **التَّنْزِيل** : كما في قوله: «وإنّه لَتنزيلُ ربِّ العالَمين» (٢٦/١٩٢)؛ وقوله: «تنزيل من الرحمن الرحيـم» (٤١/٢)؛ وقوله: «تنزيل من ربّ العالمين» (٥٦/٨٠؛ ٦٠/٤٣) إلخ.. قال الزركشـيّ: «وأمّا تسميته "تنزيلاً" فلأنّه نزل من عند اللّه على لسان جبريل، لأنّ اللّهَ أسمع جبريل كلامه وفهّمه إيّاه، كما شاء من غير وصفٍ ولا كيفيّة، فنزل به على نبيّه، فأدّاه هو كما فهمه وعلمه».

٥. **الذِّكْر** : كما في قوله: «وإنّه لَذِكْـرٌ لكَ ولقومِكَ وسوف تُسأَلون» (٤٣/٤٤)؛ وقوله: «إنّا نـحن نزّلنا الذِّكْرَ» (١٥/٩)؛ وقـوله: «وهذا ذِكْرٌ مبـارك أنزلناه» (٢١/٥٠)؛ وقوله: «إنْ هو إلاّ ذِكْـرٌ وقرآن مبين» (٣٦/٦٩)؛ إلـخ... والذكْر يعني: إمّا لكونه ذاكراً للناس ما يصلح أمر معاشهم ومعادهم؛ وإمّا لكونه مذكوراً بفضله وشرفه، مذكوراً فيه ما لا يستقيم أمر الخلق إلاّ به. يقول الزركشي: «وأمّا تسميته ذِكْراً، فلِما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية».

ثانياً – سور القرآن : ١ . السورة هي المَنزِلة، أو «المدماك» من البناء، لأنّها منزلة بعد منزلة، مـقطوعة عن الأخرى، ومتمـاسكة بعضـها مع بعض، مـتجاورة، ومترابطة.. وهي، اصطلاحاً، «طائفة مستقلّة من آيات القرآن، ذات فاتحة وخاتمة».

٢ . تحدّدت السورة القـرآنيّة بفاتحتهـا وخاتمتها بتوقـيفٍ من اللّه تعالى، وليس باجـتهـاد من بشـرٍ أيّا كان. ويـقول الزرقـاني: «ومـرجع الطول والقصـر والتوسّط، وتحديد المطلع والمقطع إلى اللّه وحده لحِكَم سامية»[١٠]...

٣ . مـجمـوعُ سُوَرِ القـرآن ١١٤ سـورة؛ ولكنّها كـانت في مصـحف ابن مسـعود ١١٢ سورة، من دون «المعوذَتَين»، أي سـورة الفَلَق وسورة النّاس؛ وفي مصحف أُبَي بن كعب ١١٦ سورة، «لأنّه كتبَ في آخره سورَتَي الحَفْدِ والخَلْع»[١١]، وفي مصحفِ عليٍّ زيادة سورة «النُّورين» وتغييرٌ في موضعِ السُوَرِ والآياتِ[١٢].

---

(١٠) مناهل العرفان، ١/٣٥١.

(١١) الاتقان، ١/٦٥، انظر فيها نصّ سورتي الحفد والخلع.

(١٢) انظر نصّ سـورة النورَين في دروزة، القـرآن المجيـد،ص ٦٠-٦١ . وانظر ايضـا فصلَي

٤ . تتراوح السـور في طولها وقصـرها بين ٢٨٦ آية لسورة البـقرة، و٣ آيات لسـورة الكوثر. وهي مـدرجـة في المصـحف بحـسب طولهـا، ثمّ الأقـصـر فالأقصر، ما عدا سورة الفاتحـة، فهي، على قصرها، موجودة في بداية المصحف؛ لأنّ بها تُفتتح الصلاة.

٥ . تحمل كلّ سورة من سـور القرآن إسماً، أو أكثر. وقد حـملت أسماءَها إمّا بلفظ من أوائلها، مثل سورة الحـمد، وبراءة، وسبحان، وطه، ويس..؛ وإمّا بلفظ اخـتصّ بها، كـالزخـرف، والشـعراء، والحـديد، والماعـون..؛ وإمّـا بلفظٍ ينبئ عن موضـوعها الأسـاسي، كسورة البـقرة، وآل عمـران، والمائدة، وإبراهيم، والنور..؛ وإمّا من لفظٍ نادرٍ فيها، كسورة الصَّمَد، والمسد، الفلق والهُمَزة، والطّارق، وعَبَس..

٦ . تُقسم السـور إلى أربعة أقسـام، وهي: الطوال، من ٢-٩؛ وقد سُـمّيت بذلك لطولها. والمئون من ١٠-٢٦؛ وقد سُمِّيتْ بذلك لأنّ كلّ سورة منها مائة آية أو نحوها. والمثـاني، من ٢٧-٥٠؛ وسمّيت كـذلك لأنّها ثانية بعـد المئين. والمفصّل من ٥١-١١٤؛ وسمّيت بذلك لكثرة الفصل بين سورها بالبسملة لقصرها وكثرتها.

٧ . ترتيب السور في المصحف اليوم يأتي على خلاف ترتيبها في النزول، فتجد السورة المدنيّة المتأخّرة نزولاً مقدّمة في المصحف على السورة المكّيّة المتقدّمة نزولاً. وترتيب السور، كما هو في المصحف مختلف فيه: أهو بتوقيف من النبيّ، أو باجتـهاد من الصـحابة؛ أمّا مـعظمه فـبتوقـيف من النبيّ، وبعضــه باجتـهادٍ من الصحابة. وإذا كان قـد حدث اختلاف في ترتيبِ مصاحف الصحـابة فقد كان ذلك قبل أن يتمّ نزول القرآن وترتيبه في صورته النهـائيّة، وهو أمر طبيعي ينسجم مع تنجيم النزول. ثمّ ارتفع هذا الاختلاف باكتمـال النزول، وبتخلّيهم عن ترتيبهم بعد أن رُتّب القرآن في صورته النهائيّة في المصحف الإمام.

الاتقان، ١/٦٤- ٧٠ و ٢/٢٢ -٢٦. ونجد أيضاً اختلافا واسـعًا في قراءة كثيرٍ من الآيات التي نعجزُ عن حصـرها. ومن أرادَ إثباتًا وتبيانًا فليرجع الى السيـوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن. ومن أراد مرجِعاً سهلَ المنالِ فليقرأ محمد عزّة دروزة، القرآن المجيد، ص ٦١..

ثالثاً – آيـات القرآن : ١ . للآية في لغـة القرآن عـدّة مـعانٍ: فـهي تعني: الدليل والبـرهان، كـمـا في قـوله: «ومِن آياته أن خَلَقَـكمْ مِن تُرابٍ» (٣٠/ ٢٠)؛ وتعني: العـبرة، كـما في قـوله: «إنّ في ذلك لآيَةً لِمَن خـافَ عذابَ الآخِـرة» (١١/ ١٠٣)؛ وتعني: المعجزة، كمـا في قوله: «ولقَدْ آتَينا موسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ» (١٧/ ١٠١)؛ وتعني: البناء، كما في قوله: «أتَبنونَ بكلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ» (٢٦/١٢٨).

٢ . أمّا الآية في مصطلح القرآن فتـعني: جملة من كلمات القرآن ذات مطلع ومقطع، مندرجـة في سورة قرآنيّـة. وهي منقطعة لفظاً عـمّا قبلهـا أو بعدها، وإنِ اتّصلتْ معنًى. وبهذا المعنى وردتْ في قوله: «وإذا بَدَّلْنا آيَةً مكانَ آيَةٍ، واللّهُ أعلمُ بما يُنَزِّلُ» (١٦/ ١٠١).

٣ . عدد الآيات في القرآن (٦,٢٠٠) آية. واختلفوا فيما زاد على ذلك ما بين أربع إلى ٣٦ آية. وهذا الاختلاف لا يُنقص من القرآن حـرفاً؛ وإنّما غاية الأمر أنّهم اختلفوا في العدِّ والتقسيم؛ وذلك: ١– لاخـتلافهم في اعتبار الحروف الفواتح آية، أو جزءًا من آية؛ ٢– واختلافهم في اعتبار البـسملة آية، أو فاتحة للسورة فحسب؛ ٣– واختلافهم في عدِّ ما وقف عليه النبيّ أثناء قراءته للقرآن وما وصله.

٤ . ترتيب الآيات : قال الزرقاني: «انعقـد إجماع الأمّة على أنّ ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبيّ عن اللّه، وأنّه لا مجال للرأي والاجـتهاد فيه؛ بل كان جـبريل ينزل بالآيات على رسـول اللّه، ويرشـده إلى موضع كلّ آيـة من سورتهـا، ثمّ يَقرؤهـا النبيّ على أصحـابه، ويأمر كـتّابَ الوحي بكتابتـها، معيِّناً لهم السـورةَ التي تكون فيهـا الآية، وموضعَ الآية من هذه السورة. وكـان يتلوه عليهم مراراً وتكـراراً في صلاته وعظاته، وفي حِكَمه وأحـكامه. وكان يعـارض به جبـريل كلَّ عام مـرّة، وعارضه بـه في العام الأخير مرّتَين. وكلّ ذلك كان على الترتيب المعروف لنا في المصاحف».

٥ . فواصل الآيات : فاصلةُ الآية هي الكلمة الأخـيرة منها. وهي من أسرار القرآن. وهي مثل القـافية في الشعر، واللأزمة في السـجع، مع الفارق أنّ الفاصلة

في القرآن لا تُقصد لذاتها، وإنّما تتبع المعاني؛ بينما نظائرها في كلام الناس تُقصد لذاتها، ويتوقّف عليها المعنى. وعلى ذلك، فالفاصلة بلاغة، ونظائرها عجْز ونقْص.

٦ . الحروف الفواتح : اختلف العلماء حول معناها والمراد بها. فمنهم مَن قال: إنّها سرّ من أسرار اللّه في قرآنه، لا سبيل إلى كشفه.. ومنهم مَن قال: إنّها سرّ، ولكنّه من قبيل الرمز الذي يمكن الوصول إليه بالتدبير. ومنهم مَن قال: إنّه لا يليق بالقرآن العربي المبين أن يكون فيه شيء غير مفهوم. لهذا تنوّعت كلمات العلماء في بيان ذلك.

رابعاً – بدء نزول القرآن : ١ . في معتقد المسلمين، إنّ اللّهَ أثبت القرآن في «اللّوح المحفوظ»، لقوله: «بل هُوَ قرآنٌ مجيدٌ. في لَوحٍ مَحفوظٍ» (٨٥/ ٢١–٢٢). ثمّ أنزله إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً في ليلةٍ واحدة من شهر رمضان، هي ليلة القدْر، لقوله: «شهرُ رمضانَ الذي أُنزِلَ فيه القرآن..» (٢/ ١٨٥)، وقوله: «إنّا أنْزَلْناهُ في ليلةِ القَدْرِ» (٩٧/ ١)، وقوله: «إنّا أنزَلْناهُ في ليلةٍ مباركَةٍ» (٤٤/ ٣). إلاّ أنّ الملاك جبريل نزّله على النبيّ محمّد منجّماً، أي مفرّقاً، في ثلاثٍ وعشرين سنة، لقوله: «وقُرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ على النّاسِ على مُكْثٍ» (١٧/ ١٠٦)، وقوله: «وقال الذينَ كَفَروا: لولا نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جُملةً واحدةً » (٢٥/ ٣٢).

٢ . والحكمة من تنزيله مفرّقاً : ١– تثبيت قلب النبيّ وتسليته لقوله: «..كذلكَ لِنُثَبِّتَ بهِ فُؤادَكَ» (٢٥/ ٣٢)؛ ٢– تيسير حفظ القرآن وفهمه على النبيّ حيث إنّه كان أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب؛ ٣– تسهيل حفظه على الصحابة؛ ولو نزل جملةً واحدة لشقّ عليهم ذلك؛ ٤– التدرّج بالأمّة من موضوعات العقيدة الأساسيّة إلى موضوعات العبادة والأحكام؛ ٥– مواكبة الحوادث، وهي متجدّدة متعدّدة..

٣ . أوّل ما نزل من القرآن ما جاء في رواية البخاري ومسلم عن عائشة أمّ المؤمنين، قالت: «أوّل ما بُدئ به رسول اللّه من الوحي الرؤيا الصالحة من النوم. فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلَق الصبح. ثمّ حبّب إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حِراء، فيتحنّث فيه، وهو التعبّد، الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك. ثمّ يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتّى جاءَه الحقُّ وهو في غار حِراء.

«فجاءه المَلَكُ فقال : إقرأ. قلت : ما أنا بقارئ. فأخذَني فَغَطَّني حتى بَلَغ منّي الجُهد. ثمّ أرسلني. فقال: إقرأ. قلتُ: ما أنا بقارئ. فأخذَني فغَطّني الثانية حتى بلغ منّي الجُهد. ثمّ أرسلني. فقال : إقرأ. فقلتُ : ما أنا بقارئ. فأخَذني فغطّني الثالثة. ثمّ أرسلني. فقال : «إقرأْ باسمِ ربِّكِ الذي خَلق، خَلَقَ الانسانَ من عَلَق، اقرأْ وربّك الاكرم. الذي علَّمَ بالقَلَم. علَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَمْ» (٩٦/ ١-٥).

٤ . هكذا ابتدأ الوحي. ولكنّه، بموتِ ورَقَة، بعد ثلاث سنين أو أربع من بدء الرسالة النبويّة، جعله يفتر وينقطع، حوالي ثلاث سنين. وبعد ذلك عاد ينزل على رسولِ اللّه بحسب الظروفِ والمناسباتِ طوالَ ثلاث وعشرينَ سنة من حياة محمّد.

خامساً - أسباب النزول : ١ . من أهمّ الموضوعات في دراسة القرآن معرفة أسباب نزول كلّ آية؛ إذ لا يمكن فهم مضمون الآيات، ولا تحديدُ المراد منها، ولا تقويم الحكم الذي تشير إليه، من دون معرفة أسباب النزول معرفةً دقيقة. فـ «العبرة بعموم النصّ لا بخصوص السبب»، أي: إنّ خصوصَ السبب لا يُقيِّد عمومَ النصّ؛ مثل ذلك: إنّ كفّارة الظِّهار إنّما تقع على كلّ مَن ظاهر زوجتَه، وليس على أوْسِ بن الصامت الذي نزلتْ الآيةُ بسببه. ومثل ذلك أيضاً: إنّ حدَّ القذف يشمل كلَّ قاذف، مع أنّ الآية (٢٤/ ٤) نزلت في الذين افتروا على عائشة.

٢ . هذا وقد عني مسلمون كثر في تأليف الكتب في «أسباب النزول»، منها: «أسباب نزول القرآن» للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، ولابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، و«لباب النقول في أسباب النزول» للسيوطي (ت ٩١١هـ). هذا بالإضافة إلى ما ورد في كتب التفاسير، والحديث النبوي، والمغازي والسير، وغيرها.

سادساً - القرآن المكّي والقرآن المدني : ١ . ينقسم القرآن إلى مكّي ومدنيّ. القرآن المكّي هو الذي نزل على محمّد قبل الهجرة، على مدى ١٣ سنة (٦١٠-٦٢٢)؛ ولو كان نزوله في غير مكّة. والقرآن المدني هو الذي نزل على محمّد بعد الهجرة إلى حين وفاته (٦٢٢-٦٣٢)؛ ولو كان نزوله في غير المدينة.

٢ . أهمّ الموضوعات التي تناولها القرآن المكّي:

١ - بيان أصول الاعتقاد من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخِر، والدعوة إلى التوحيد، وإقامة الأدلّة الكونيّة على تلك العقائد، وتصوير الجنّة والنّار، ومشاهد النعيم والعذاب، وذكر يوم القيامة وأحداثه، وبيان فساد ما كان عليه أهل الجاهليّة من الشرك وعبادة الأوثان.

٢ - ذكْر قَصص الأنبياء والأمم السابقة، والدعوة إلى الاعتبار بما في تلك القصص من أحداث. ولم يرد هذا الموضوع إلاّ في سورة مدنيّة واحدة هي سورة البقرة.

٣ - الحديث عن النشأة الأولى للإنسان، وآدم وحوّاء، وإبليس، ومراحل خلق الإنسان وصفاته وغرائزه، وعن الكون وما فيه من المخلوقات والآيات.

٤ - الدعوة إلى الآداب والفضائل والقيم العليا، والحثّ على مكارم الأخلاق من طاعة، ونظام، وعلم، ورحمة، وإخلاص، وعمل الصالحات، وبرٍّ للوالدين، والاهتمام بالفقراء والمساكين واليتامى، ونظافة الباطن والظاهر، وبيان العادات الفاسدة التي كانت سائدة في الجاهليّة، كسفك الدماء، ووأد البنات، وأكل مال اليتامى، واستباحة الأعراض، من أجل تسفيهها والنهي عنها.

٣ . أمّا أهم الموضوعات التي تناولها القرآن المدني فكانت :

١ - الأحكام والتشريعات المنظِّمة لأنشطة الناس المختلفة من عبادات، وحدود، وجنايات، ومواريث، ونظام أسرة، ومعاملات، وقواعد حكم، وسياسة، وعلاقات دوليّة، وغيرها:

٢ - الحثّ على الجهاد في سبيل الله، والإعداد له، وبيان أهمّيّته، وضرورة مواصلته، وحظر القعود عنه، وفضل الشهداء، وعلوّ شأنهم.

٣ - مجادلة أهل الكتاب من يهود ونصارى، وبيان تحريفهم لكتب الله، ودعوتهم إلى الحقّ، وتحكيم العقل، وقبول ما ثبت عندهم في كتبهم من البشارة بالرسول محمّد وصدقه في ما جاء به.

٤ - الكشف عن أحوال المنافقين وصفاتهم وأساليبهم، وتحذير المسلمين من مكايدهم، وتوضيح أحسن الوسائل لمقاومتهم. وقد بلغ ما خصّص للمنافقين من آيات ما يقارب عُشْرَ القرآن. ونزلت سورة كاملة سُمِّيتْ باسمهم.

٤ . أمّا الفرق بين المكّي والمدنيّ في الأسلوب ففي ما يلي:

١ - يغلب على القسم المكّي الإيجازُ في الخطاب، وقِصَرُ الآيات والسور/ بينما يُلاحظ في القسم المدني الإطناب والبسط في أكثر آياته وسوره.

٢ - يتميّز القسْم المكّي بالإكثار من الأسلوب القَصصي/ بينما يخلو القسم المدنيّ من ذلك الأسلوب في ما عدا سورة البقرة.

٣ - أكثر ما وُجِّه الخطاب في القسم المكّي إلى الناس عموماً، لأنّ موضوعه الغالب هو الدعوة إلى الإيمان، وهي دعوة موجّهة إلى الناس جميعاً/ أمّا القسم المدنيّ فيغلب توجيهُ الخطابِ فيه إلى الذين آمَنُوا، لأنّ موضوعه في الجملة أمور تتعلّق بالمؤمنين.

٤ - أسلوب الزجر والوعظ والوعيد غالبٌ في المكّي دون المدنيّ. وكذلك تميّزت السور المكّيّة بقصر الفواصل، وقوّة الألفاظ التي يشتدّ وقعُها على السمع، كما ترتّب عليه الاستكثار من استعمال القَسَم والتشبيه والأمثال في الآيات المكّيّة؛ لأنّ هذه الأساليب أعظم تأثيراً في نفوس المعاندين والغافلين.

٥ . معرفة المكّي من المدني تجيز لنا :

١ - تمييز الناسخ من المنسوخ، والحكم بأنّ المدنيّة ناسخة للمكّيّة.

٢ - معرفة تاريخ التشريع، والوقوف على سنّة الله في التدرّج بالأمّة.

٣ - معرفة الخصائص البلاغيّة لكلّ من المكّي والمدنيّ.

٤ - القول بـ «أنّ الشيء الرئيسي عند محمّد في أوّل الأمر لم يكن الوحدانيّة، وإنّما كان الإعلان عن قرب يوم الحساب. وهي فكرة اقتبسها بالتأكيد من النصارى»[١٣].

---

(١٣) الموسوعة الإسلاميّة الميسّرة، ٢/ ٨٢٥.

سابعاً – حفظُ محمّد للقرآن : ١ . في إيمان المسلمين أنّ الله تولّى ويتولّى بنفسه شؤونَ كتابه الكريم فهو الذي «نزّله» من "الأفقِ الاعلى"، وهو الذي حفظه: «إنّا نحنُ نَزّلنا الذِّكرَ وإنّا له لحَافظون» (١٥/ ٩)... وبالتالي، لا شأن فيه لمحمّد، ولا لأحدٍ من العالَمين: فلا ذاكرةُ محمّد تفيدُ في حفظه، ولا علمُه يزيدُ فيه علماً...

٢ . ولئن كان اللهُ هو نفسُه تدبّر أمرَ القرآن فأحرى به أيضاً أن يتدبّر أمرَ محمّد. فهو الذي جعله يحفظُه ويبلّغه بأمانةٍ ودقّةٍ متناهيتَين. هكذا عَصَمَ اللهُ النبيَّ من نقيصة «النسيان». وعَصَمَه من الأهواءِ والنَّزَعَاتِ الشخصيّة. وعَصَمَه من أن يُبدِّلَ ويُحرِّفَ في الكتاب. وعَصَمَه من أن يُنقِصَ منه أو يَزيد. وعَصَمَه من دسائسِ الشيطان وحِيَلِه... لقد أنعم اللّه على نبيِّه بالعصمة، لأنّه تعالى حمّله حملاً ثقيلاً: «إنّا سنُلقي عليكَ قولاً ثَقيلاً» (٧٣/ ٥).

٣ . عن عثمان بن عفّان قال: «كان رسول اللّه ممّا يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان، إذا نزل، يدعو بعض مَن يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا»[١٤]. وكان زيد بن ثابت يقول: «كنّا عند رسول اللّه (ص) نؤلّف القرآن من الرقاع»[١٥]. والحديث صريح في كتابة القرآن، بل فيه حضّ عليه: «لا تكتبوا عنّي. ومَن كتب عنّي غير القرآن فليمْحه».

٤ . وكان الصحابة يكتبون. ووسائل الكتابة، كانت، منها بدائيّة، كالأحجار والأكتاف وغيرها، ومنها متطوّرة، كالسجلاّت والدفاتر والصحف، وغير ذلك. يقول زيد: «فتتبّعتُ القرآنَ أجمعُه من العُسُب، واللِّخاف، وصدور الرجال». وكتبوا أيضاً على السُّعُف، والكرانيف، والرقاع، وقطع الأديم، والصحف، والألواح، والأكتاف، والأضلاع، والأقتاب، والقصب[١٦].

---

(١٤) أنظر: فتح الباري، ٩/ ٢٢.

(١٥) أنظر: كتاب التفسير من المستدرك على الصحيحَين: «جمع القرآن لم يكن مرّة واحدة».

(١٦) **العسب:** جمْع عسيب، وهو جريد النخل؛ **اللخاف:** جمع لخْفَة، هي الحجارة الرقاق؛ **الكرانيف:** جمع كِرناف، وهو أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة؛ **الرقاع:** من جلدٍ أو ورقٍ أو كاغد؛ **الأكتاف:** جمع كتف، وهو عظم البعير أو الشاة؛ **الأقتاب:** من قَتَب، وهو الخشب

٥ . إنّ «القرآن كان يُدوّن، وتُرتّب آياتُه وسُوَرُه في حياةِ محمّد وبأمرِه»[١٧]. وذلك عندما «اتّخذَ النبيّ كتّابًا للوحي... وكان يأمرُهم بكتابةِ كلِ ما يَنزِلُ من القرآن»[١٨]. وكان يأمرُهم بترتيبِ السُوَرِ بعضِها إثر بعض، وبوضعِ الآياتِ في مكانِها من السور. وبذلك يكونُ ترتيبُ القرآن «تَوقيفيّاً» أي وَقْفًا على النّبيّ، لا «تَوفيقيًا»، أي باتفاقِ الصحابة.

٦ . قال القاضي أبو بكر : «الذي نذهبُ اليه انَّ جميعَ القرآن.. لم يَنقُصْ منه شيءٌ، ولا زِيدَ فيه، وأنّ ترتيبَه ونَظْمَه ثابتٌ على ما نَظَّمَهُ اللهُ تعالى ورَتبَّهُ عليه رسولُه من آي السُوَر، لم يُقدِّمْ من ذلك مؤخَّر، ولا أخَّر منهُ مقدَّم، وأنّ الأمّةَ ضَبَطتْ عن النبي ترتيبَ آيِ كلِّ سورةٍ ومواضعَها، وعَرفتْ مواقعَها»[١٩].

٧ . والرأي الرّاجح عند المسلمين كافّة هو أنّ النبيّ «اهتمَّ بكتابة القرآن، وأنّ القرآنَ كُتِبَ في عهدِه وحَضرتِه بكلِ إتقانٍ وضبط»[٢٠]. و«ترتيبُ السُوَر، ووضعُ الآياتِ مواضِعَها انّما كانَ بالوحي. كان رسولُ الله يقول : ضَعُوا آيةَ كذا في موضعِ كذا. وقد حصلَ اليقينُ من النقل المتواترِ بهذا الترتيب»[٢١].

واذا كان للصحابةِ من سعيٍ فهو يعودُ الى جمعِ القرآنِ من المصاحفِ وصدورِ الرجال، لا في كتابتِه وترتيبِه وجمعه.

ثامناً – حفظُ الصحابة للقرآن : ١ . أمّا حفّاظ القرآن ففي معتقد المسلمين أنّ النبيّ «كان عليه السلام سيّدَ الحفّاظ وأوّلَ الجمّاع، وتيسّرَ ذلك لنخبةٍ من صحابتِه على عهدِه»[٢٢]. هؤلاء النخبة اختُلِفَ في أسمائِهم وعددِهم وأهليّتِهم.

الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه؛ **القصب**: هو قطع من ثياب الكتان الرقيق الناعم.

(١٧) محمد عزّة دروزة، القرآن المجيد، ص ٦٤.

(١٨) الدكتور الشيخ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٦٩ .

(١٩) انظر السيوطي، الاتقان، ١/ ٦١ – ٦٢.

(٢٠) الزنجاني، تأريخ القرآن، ص٤٣.

(٢١) السيوطي، الاتقان ١/ ٦٢ .

(٢٢) الشيخ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ، ص ٦٥.

٢ . عند البخاري نفسِه «سيِّدِ المحدِّثين وطبيبِ الحديث في عَالَمِه» [٢٣] ثلاثُ رواياتٍ مختلِفَة :

١ – في روايةٍ أولى، نقل البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص: «سمعتُ النبي ﷺ يقول : خذوا القرآن من أربعة : من عبدِالله بن مسعود، وسالِم، ومَعَاذ، وأُبَيّ بن كَعْب» [٢٤].

٢ – وفي روايةٍ ثانية عن قتادة قال: «سألتُ أنَس بن مالك: مَن جَمَعَ القرآنَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ؟ فقالَ : أربعةٌ كلُّهم من الأنصارِ: أُبيّ بن كعب، ومَعاذ بن جَبَل، وزَيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت: مَن أبو زيد ؟ قال: أحد عمومتي» [٢٥].

٣ – وفي روايةٍ ثالثة روى البخاري من طريقِ ثابتٍ عن أنَس. قال: «مات النبي ﷺ ولم يَجْمَعِ القرآنَ غيرُ أربعة : أبو الدرداء، ومَعاذ بن جبل، وزَيد بن ثابت، وأبو زيد» [٢٦].

فالأسماء الواردة في هذه الروايات الثلاث سبعة، هم : عبدالله ابن مسعود، وسالم بن معقل، ومَعاذ بن جبل، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكَن، وأبو الدرداء. والظاهر أنّ هذا العدد يعود الى حديثٍ نبويٍّ يقول: «لا يعرِفُ القرآنَ إلاّ سبعة» [٢٧].

٣ . ولكنّ بعضَ العلماء يرون لعددِ سبعة معانٍ غيرَ محصورة. فالسيوطي، مثلا، يذكر من المهاجرين: الخلفاءَ الاربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالما، وأبا هريرة، وعبدالله بن السائب، والعبادلة الأربعة [٢٨]،

---

(٢٣) مقدمة صحيح البخاري، جزء ١ ، القول لمسلم صاحب الصحيح.

(٢٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/ ٧٠ .

(٢٥) المرجع نفسه، انظر صحيح البخاري، الباب ١٧ في مناقب الانصار .

(٢٦) السيوطي، الاتقان، ١/ ٧٠ .

(٢٧) عن الماوردي المتوفّي سنة ٤٥٠ هـ .

(٢٨) هم : ابن عباس،وا بن عمر، وابن عمرو بن العاص، وابن الزبير.

وعائشة، وحفصة، وأم سَلَمة؛ ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذ الذي يكنّى أبا حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد»[٢٩]. أي ٢٣ صحابياً.

٤ . وممّا يدل على كثرة الحفظة للقرآن من الصحابة ما روي أنّه قُتل منهم في عهد الرسول ببئر معونة سبعون، وقُتل أضعافهم في يوم اليمامة.

٥ . هذا الخلاف في عدد الصحابة يدعو الى التحفّظ والريبة أكثر ممّا يدعو الى الارتياح. وعلى كثرتهم نسأل: إلى أيٍّ مدى يمكننا الثقة بهم كلِّهم؟ واذا كنّا نمحضُ ثقتَنا بعضهَم، فهل بالثقةِ نفسِها يمكننا أن نأخذَ بما حفِظَه عبدُ الله بنُ ابي سَراح ؟ وهو الذي بدّلَ وحرّف ! وابنُ أبي داود يخبرنا، في سننه، عن كاتبٍ آخر، دون ذكر اسمه، قد بدّل في الوحي وحرّف[٣٠].

٦ . ورغم كل ضعف، فإنّ حفظَ القرآن كانَ فضيلَة المسلمين منذ بدء الدعوة. وقام الحفظُ على أساسين : حفظ القلوب، والتدوين في الرقاع. ويؤكّد ابن الجزري «انّ الإعتمادَ في نقلِ القرآن كان على حفظِ القلوب والصدور، أكثر ممّا كان على خَطٍّ المصاحف والكتبِ. وحفظُ القلوب هو أشرفُ خصيصة من اللّه تعالى لهذه الأمّة»[٣١].

٧ . ثمّ نسأل أيضاً : هل الذين حفظوا القرآنَ قد حفظوه كلَّه؟ النبيُ نفسُه، عندما كان مارًا بالقربِ من مجتمعٍ، سمع واحدًا يتلو مقطعًا من القرآنِ. فذُهِلَ. وَعَرَفَ أنّه (أي النّبيّ) كان قد نَسِيَه. وعادَ الى ذهنه بفضلِ تلك المناسبة. وهناك خبرٌ عن ابن مسعود يقول: «في زمن النبي كنّا نتلو سورةً تُشَابِهُ سورةَ التوبة، وإنّني لا أعرفُ منها غَيبًا إلاّ آيةً واحدة». يعني نسي ما يقرب من ١٣٠ آية!!! ونعرف أيضاً قصةَ آية الرجمِ التي كانَ عُمَر وحدَه يعرفُها.

---

(٢٩) السيوطي، الاتقان، ١/٧٢ – ٧٣ .

(٣٠) سنن ابن أبي داوود ٣ .

(٣١) هو صاحب كتاب «النشر في القراءات العشر»، انظر الاعلام، ٣/٩٧٨ .

٨ . ويبدو انّه، في زمن النبي، كانتِ الذاكرةُ هي المعتمَد الأساسي، لأنَ صاحبَها لا يحتاجُ «الى النظرِ في صحيفةٍ كُتبتْ بالمدادِ الذي ينطمسُ ويزول إذا غُسِلَ بالماء»[٣٢]. وهذا معنى الحديث المرويّ عن مسلم قال: «قال النبي: انّ ربّي قال لي: انّي منزِلٌ عليكَ كتابًا لا يغسلُه الماءُ، تَقْرَؤُهُ نائماً ويقظانَ»[٣٣]. ولكنّنا نعلم ما للذاكرةِ من ضعف ووهن.

٩ . وممّا يقطع بسوء الاعتماد على الذاكرة الشعورُ بضرورةِ كتابةِ القرآنِ وتدوينه. فلولا مفاسدُ الحفّاظِ لَمَا ألحّ عُمرُ بن الخطابِ على أبي بكر الصديق في الإسراع على جمْعِ القرآن وتدوينه، ولَمَا تجرّأ عثمانُ على تأليفِ اللجانِ لوضْعِ مصحفٍ واحدٍ وإحراقِ سائرِ المصاحف بالرّغم من انتسابِها إلى خيرِ الصحابة!

فلولا اختلافُ الحفّاظِ، وموتُ الكثير منهم، وتعدّدُ المصاحفِ، وكثرةُ الاحرفِ والقراءات، لما أقدَم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمانُ بن عفّان على صنعِ ما لم يصنعْه رسولُ اللّه!!!

تاسعاً – ذهب منه قرآنٌ كثير: على الرغم من حفظ اللّه، وحفظ محمّد والصحابة للقرآن، نجد في أخبار المسلمين إشاراتٍ واضحةً إلى ما في القرآن من نقصٍ وزيادةٍ ونسيانٍ وتصحيفٍ وتحريفٍ وتبديل. وقبل أن نشير إلى هذه النقائص والزيادات كلِّها، ننقل عن الصحابة أنفسهم ما قالوه في هذا الشأن:

١ . عن نافع عن ابن عمر قال: «لا يقولنَّ أحدُكم قد أخذتُ القرآنَ كُلَّهُ. وما يدريه ما كُلُّهُ ! قد ذَهَبَ مِنْهُ قُرآنٌ كَثِيْر. ولكنْ لِيَقُلْ قد أَخَذْتُ منهُ مَا ظَهَر»[٣٤].

٢ . وقال عمر لعبد الرحمن بن عَوف : «ألم تجدْ في ما أُنزِلَ علينا : أنْ جاهدوا كما جاهدتم أوّلَ مرّة ! فإنّا لا نجدُها ! قال : أُسْقِطَتْ فيما أُسْقِطَ مِنَ القُرآن».

---

(٣٢) الزرقاني، منافع العرفان، ١/ ٢٣٥ .

(٣٣) خرّجه أبو مسلم في صحيحه.

(٣٤) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ٢/ ٢٥.

٣ . وعن ابن سفيان الكلاعي ان مسلـمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذاتَ يوم : «أخبروني بآيَتَينِ في القرآنِ لَمْ يُكْتَبا في المصحف. فلم يُخْبِرُوه».

٤ . ورويَ عن أُبَيِّ بن كـعب، بإخراجِ الحـاكم، أنّ رسولَ الله قـالَ لي: «إنّ اللهَ أمرني أن أقرأَ عليكَ القرآن، فَقَرأ.. ومن جـملةِ ما قرأ –ما لا نجدُه في المصحف اليوم–: «لو انَّ ابـنَ آدم سـألَ وادِيًا من مالٍ فـأعطيه. ســأله ثانياً. وإنْ ســألَ ثانياً فأُعطيه. سأله ثالثاً. ولا يملأُ جَوفَ ابنِ آدم الاّ التراب. ويتوبُ اللّه على من تاب...».

٥ . وروي عن أبِي موسى الأشعري، قال: «كنّا نقرأُ سورةً نشبّهها بإحدى المُسبحات ممّا نَـسَيْنَاهَا. غير انّي حفظتُ منها : يا أيّهـا الذين آمنوا ! لا تقولوا ما لا تفعلون ، فتُكتب لكم شهادةٌ في أعناقِكم، فتُسألون عنها يوم القيامة».

٦ . وجاء عن مـسلم «أنّ أبا موسى الأشـعري قـال مرّة لخـمسمـائة من القرّاء بالبصــرة : إنّا كنّا نقرأُ سورةً بطولِ السَّهم وحدَهـا. أمّا الآن فَقَدْ نَسِيْتُـهَا ما عدا بعضَ آياتٍ منها ...»[٣٥].

٧ . وعن عروة بن الزبير عن عائشة قـالت: «كانتْ سورةُ الأحزابِ تُقْرَأُ في زمن النبي مائَتَي آية. فلمّا كتبَ عثـمانُ المصاحفَ لم نقدر منها الاّ مَا هو الآن» (أي ٧٣ آية فقط).

٨ . وعن أُبَّي بن كعب أنّه ســأل درّ بن حُبيش : «كم تَعُدُّ ســورةَ الأحزاب؟ قال : أثنتين وسبعــين آية، أو ثلاثة وسبعين آية. قال: إنْ كانتْ لَتَعـدِل سورةَ البقرة (أي ٢٨٦ أية). وإنّا كنّا لنقـرأ فيهـا آيةَ الرجم. قال : وما آيـةُ الرجم ؟ قال: إذا زَنى الشيخُ والشيخةُ فارجموهما البتةَ نكالاً من اللّه. واللّه عزيز حكيم...»[٣٦].

٩ . وعنِ حمـيدة بنت أبي يونس قـالت: «قرأَ عَليَّ أبِي وهو ابنُ ثـمانين في مصحفِ عائشة: إنّ اللهَ وملائكتَه يُصلّونَ على النبيّ: يا أيّها الذينَ آمَنوا صلّوا عليه

---

(٣٥) أوردها الاستاذ الحداد في كتابه: القرآن والكتاب، ٢/ ٢٠٥ .

(٣٦) انظر ما جمعه محمد دروزة عن نصوص آية الرجم، في كتابه: القرآن المجيد، ص٥٨ .

وسلّموا تسليمًا وعلى الذين يُصلُّون في الصفوفِ الأولى... قالت: وذلكَ قَبْل أنْ يُغيِّرَ عثمانُ المَصَاحِفَ»[٣٧].

١٠ . ويبدو أخيراً، أنّ جَمْعَ القرآنِ لم يتمّ في عهد النبيّ بسببِ انتظارِ محمّد آياتٍ جديدةً تنزلُ عليه؛ وأنّه كان عرضةً للنسْخ، وعليه يكون عرضة لتغيير الكتابة بعد الجمع والترتيب. لهذا «لم يُكْتَبْ في عهد النبي مصحفٌ لئلا يُفضى الى تغييرِه في كل وقت. فلهذا تأخرتْ كتابتُه الى أنْ كَمُلَ نزولُه بموتِه»[٣٨].

١١ . وهذا معنى قولِ زيد بن ثابت : «قُبِضَ النبيُّ ولم يكنِ القرآنُ جُمِعَ في شيء»[٣٩].

١٢ . وبهذا المعنى قال الخطابي : «انّما لم يَجْمَع النبيُّ القرآنَ في المصحفِ لما كانَ يترقبُّه من ورودِ ناسخٍ لبعضِ أحكامه، أو تلاوتِه»[٤٠].

١٣ . وفي ذلك أيضاً قال السيوطي : «إنّ القرآنَ كُتِبَ كلُّه في عهدِ رسولِ اللّه، لكن غيرُ مجموعٍ في موضعٍ واحدٍ، ولا مرتَّبِ السُوَر»[٤١].

١٤ . وأخيراً إنّ مجموع سُوَرِ القرآن، هي الآن ١١٤ سورة؛ ولكنّها كانت في مصحف ابن مسعود ١١٢ سورة، لأنّه لم يكتبِ «المعوذَتَين»، وفي مصحف أُبَي بن كعب ١١٦ سورة، «لأنّه كتبَ في آخره سورَتَي الحَفْدِ والخَلْع»[٤٢]، وفي مصحفِ عليّ بن أبي طالب زيادة سورة «النُوَرين» وتغييرٌ في موضعِ السُوَرِ والآياتِ... الخ[٤٣].

---

(٣٧) الاتقان، ٢/ ٢٥ .

(٣٨) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٦٢ .

(٣٩) السيوطي ، الاتقان ١/ ٥٧ .

(٤٠) المرجع نفسه ١/ ٥٧.

(٤١) المرجع نفسه ١/ ٥٧.

(٤٢) الاتقان، ١/ ٦٥، انظر فيها نصّ سورتي الحفد والخلع.

(٤٣) انظر نصّ سورة النورَين في دروزة، القرآن المجيد،ص ٦٠-٦١ . وانظر ايضا فصلَي

عاشراً – مصادر القرآن : إنّ إشكال جمْع القرآن، إنْ كان من النّبيّ أو من الصحابة، لا يحلّه إلاّ النظر في مصادر القرآن. أي: هل كان القرآن قبل محمّد؟ وأين كان؟ أفي "اللّوح المحفوظ"، كما يقول القرآن نفسُه عن نفسه، وكما يردّد المسلمون كافّة، أم في "صحف إبراهيم وموسى"، كما يشهد القرآنُ نفسه على نفسه؟ يعترفُ القرآن بأنَّ له مصادرَ أخذَ عنها، واستَنَدَ اليها، واستقَى منها :

١ . يقول القرآن إنّه كان موجوداً في الصُحُفِ الأُولَى، صحفِ إبراهيم موسى. وعلماءُ بني اسرائيلَ يَعلمونَ ذلك تمامَ العلم. قال: «إنّ هذا (القرآن) لَفي الصُحُفِ الأولى، صُحُفِ إبراهيم وموسى» (٨٧/١٨-١٩؛ رَ: ٢٠/١٣٣). وقال أيضاً : «أولَمْ يُنَبَّأْ بما في صُحُفِ موسى وإبراهيم الذي وَفَّى... نَذيرٌ من النُّذُرِ الأُولى » (٥٣/٣٧-٤٠ و٥٦). وقال: «إنّه لَتنزيلُ ربِّ العالَمين.. وإنّه لَفي زُبُرِ الأوّلين. ألم يكنْ لهم آيةٌ أن يَعْلَمَه علماءُ بني اسرائيل» (٢٦/١٩٦)[٤٤]؛ أي، كما جاء في تفسير الجلالَين: «إنّ ذِكرَ القرآنِ المنزَلِ على محمّد لفي كُتبِ الأوّلين، كالتوراةِ والإنجيل»[٤٥]..

٢ . يعترفُ القرآنُ أيضاً بأنَّ له «إماماً » سابِقاً عليه، هو كتاب موسى. والقرآن "مِثْلُهُ" و"مُصدِّقٌ" له. قال: «وشهدَ شاهِدٌ من بني إسرائيل على مِثْله، فآمنَ واستكبرتُم... وإذا لم يَهْتَدُوا به فسيقولون: هذا إفْكٌ قديمٌ... وَمِنْ قَبْلِه كتابُ موسى إمَاماً ورحمةً. وهذا كتابٌ مصدِّقٌ: لساناً عربيّاً، ليُنْذِرَ الذينَ ظَلموا، وبُشرَى للمحسنين» (٤٦/٩-١٢). وقال أيضاً: «أفمن كان على بيِّنةٍ من ربِّه، ويتلوه شاهِدٌ منه، ومن قَبْلِه كتابُ موسى إماماً ورحمة. أولئك يؤمنون به... فلا تكُ في مريةٍ منه. إنّه الحقُ من ربّك» (١١/١٧؛ رَ: ٣٢/٢٣-٢٤).

الاتقان، ١/٦٤- ٧٠ و ٢/٢٢ -٢٦. ونجد أيضاً اختلافا واسعًا في قراءة كثيرٍ من الآيات التي نعجزُ عن حصرِها. ومن أرادَ إثباتًا وتبيانًا فليرجع الى السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن. ومن أراد مرجعاً سهلَ المنالِ فليقرأ محمد عزّة دروزة، القرآن المجيد، ص ٦١..

(٤٤) أنظر أيضاً: ٥٤/١٧و٢٢ و ٣٢ و ٤٠ و ٥١ – ٥٣.

(٤٥) تفسير الجلالين على ٢٦/١٩٦.

٣ . ويعترفُ القرآنُ بـأنّه ذكرٌ من اللهُ مُحْدَثٌ: فيه ذكـرُ الأوّلين وقَصَصُهم وتعاليمُـهم. وما هو الاّ تذكيرٌ لما أتَوا به. قـال : «لقد أنزلنا إليكم كتابًا فـيه ذكُركم، أفلا تعقلون؟.. ومـا يأتيهم من ذكرٍ من ربّهم مُحْدَث... فـاسألوا أهلَ الذّكر إنْ كنتم لا تعلمون... هذا ذكرُ مَن معي وذكرُ مَنْ قَبْلي...» (٢١/٢ و١٠ و٢٤ و٢٥).

٤ . ويسـتشهـدُ القرآنُ بـأهلِ الكتابِ وبعلمِـهم ومعـرفتِـهم بالكتب، وهو يسألُهم عن صحّةِ ما فيه، ويدعـو أتباعَه لأن يسألوهم بدورِهم ليكونَ في نفوسِهم اطمـئنانٌ. قال: «فـاسألوا أهلَ الذكـرِ ان كنتم لا تعلمـون» (٢١/٧). وقال أيضـاً: «فاسألوا أهلَ الذّكـر إنْ كنتم لا تعلمون بالبيّناتِ والزُّبُر. وأنزلنا إليكَ الذّكـرَ لتبيّنَ للناسِ ما نُزِّلَ إليـهم. ولعلهّم يتفكّرون» (١٦/٤٣). وقـال: «فإنْ كنتَ في شكٍّ ممّا أنزلنا اليكَ فاسألِ الذينَ يقرأون الكتابَ مِن قَبْلكَ» (١٠/٩٤).

٥ . ويبدو أنّ أهلَ الكتاب كانوا على مُـستوى طمأنة المسلمين في الردّ على سؤالهم. فهم يعرفون القرآنَ تمامَ المعرفة، يعـرفونه كما يعرفون كتابَهم الذي بين أيديهم، ويعرفونه كـما يعرفون أبناءَهم. قال: «الّذين آتيناهم الكتابَ يعـرفونه كما يعـرفـونَ أبنـاءَهم» (٦/ ٢٠). وقـال: «والّذي أوحـينا اليكَ مِنَ الـكِتـابِ هو الحقُّ مُـصَدِّقًـا لما بين يديه... ثمّ أورثنا الكتـابَ الذي اصطفـينا من عبـادِنا» (٣٥/ ٣١)، ويوضح : «أورثنا بني اسرائيلَ الكتابَ»(٤٠/ ٢). و«الـذينَ آتيناهم الكتابَ يعلمونَ أنّه مُنْزَلٌ من ربِّكَ بالحقّ» (٦/ ١١٤).

٦ . ويبدو أيضـاً أنّ القرآن هو «تصـديقٌ» للتوراة والإنجيل. ومـراراً ذكّر مـحمّـد بذلك: «إنّي رسولُ اللّه إليـكم مُصـدِّقاً لما بينَ يديَّ من التـوراة»[٤٦]. وأهل الكتاب يعرفونَ ذلك «لمّا جاءَهم كتابٌ من عند اللّهِ مصدِّقٌ لما معهم» (٢/ ٨٩ و٩١). ويدعـوهم القرآنُ بقـوله: «يا أيّهـا الذين أوتُوا الكتـابَ آمنوا بما نَزّلْنا مُـصدِّقـاً لما معكم» (٤/٤٧). وهكذا يظهرُ القرآنُ بكل وضـوحٍ بأنّه تصديقٌ للتوراةِ والإنجيل، فيكونُ الإنجيلُ، كالتوراة، مصدَرًا من مصادِرِهِ التي لا يتنكّرُ لها أحدٌ من المسلمين.

---

(٤٦) سورة الاحقاف ٤٦/ ٣٠ ، انظر : ٣/ ٥٠ ، ٥/ ٤٦ الخ...

٧ . ومن جملة الإشـارات إلى مصادر القرآن قـولُه بأنّه كتابٌ مـترجَمٌ عن «كتـابٍ (أعجمي) «فُـصِّلَتْ آياتُه قرآنًا عـربيًا» (١/٤١)، و«كتـابٌ أحكِمَتْ آياتُه ثمّ فُصِّـلَتْ من لدنِ حكيمٍ خبـير» (١/١١). وممّا يشـير إلى وجـودِ مصـدرٍ أعجـمي للقرآن هو تمنّي العرب أن يكونَ لهم كـتابٌ بلغتهم، وتلبيةُ محـمّد (؟) لهذا التمنّي، من قـوله : «ولو جعلناهُ قـرآنًا أعجـميًـا، لقالوا: لولا فُـصِّلَتْ آياتُه!» (٤٤/٤١)... فيكونُ القرآنُ العربي «تفصيلَ الكتابِ (الأعجمي)، لا ريبَ فيه» (٣٧/١٠).

٨ . وفي وصفِ القرآنِ نفـسَه بأنّه قرآنٌ عربيّ دلالةٌ على أنّه قـراءةٌ عربيةٌ لكتابٍ هو فـي الأصلِ بغيرِ اللّغـة العربيّـة. وقد وُضِعَ بلسانٍ عـربيٍّ مُبين، ليـعقلَهُ العرب: «وأنزلناه قـرآنًا عربيًا لعلّكم تعـقلون»(٢/١٢)، و«إنّا جعلناه قرآنًا عـربيًا لعلّكم تعـقلون. وإنّه في أمِّ الكتاب لدينـا» (٣/٤٣)، وليتبـيّنوا تفـاصيلَه: «كـتابٌ فُصّلَتْ آياتُه قرآنًا عربيًا لقومٍ يعلمون» (٣/٤١)، ويتعرّفوا على أخباره وقَصَصِه: «نحنُ نقصُّ عليك أحسنَ القَصَص بما أوحـينَا اليكَ هذا القرآن» (٣/١٢)، ويهتدوا به من كلِ عِوَجٍ وضلال: «وقرآنًا عربيًا غيرَ ذي عِوَجٍ لعلّهم يتّقون» (٢٨/٣٩).

٩ . هذه الإشارات السريعة تفيدنا بأنّ للقـرآنِ العربيّ مصدرًا في غيرِ لغة العرب. بل إنّ هذا المصـدر هو القرآنُ الأعجمـي الذي نرى له في كتبِ السِيَر إسـمًا بارزًا، وفي تاريخِ الكتابِ المقـدس وتاريخِ الكنيسة إسمَ «الانجيل العـبراني»، الذي كانَ ورقة بن نوفل، ابنُ عمّ السيّدة خديجـة، وقسّ مكّة، يَنْقُلُه الى العربيّةِ بحَضرة النبيّ محمّد[٤٧].

١٠. ولكنَّ في القرآن العربي إشـاراتٍ الى مقتَبَسـاتٍ أخرى ، لا نجدُها في «الإنجيلِ العـبراني»؛ إنّمـا العارفُ بالتـاريخِ الكنسي وبعلومِ الكتـابِ المقدس، في عهدَيه القديم والجديد، وبكتابات آباء الكنيسة، وأقوال الشيوخ، يعلَم تمامَ العلم أنّ القرآنَ العربيّ اعتمدَ عليها، وأخَذَ منها، واقـتَبَسَ عنها. كما نجدُ تقاليدَ منتشرةً على

---

(٤٧) انظر كتاب قسّ ونبيّ حيث يعالج موضوع الإنجيـل العبراني وصلته بالقرآن العربي. وفيه قصّة مصادر القرآن المباشرة..

ألسنةِ المرسَلين والوعّاظِ في جزيرة العرب، استلهمها القرآن وسجّلها على صفحاته. وعلى ذلك مراجع عديدة(٤٨).

حادي عشر – جمْع الصحابة للقرآن : بعد هذه الإشارات إلى مصادرِ القرآن، ماذا يَبقى من قولِ أهل الأخبار والمحدِّثين بأنَّ القرآنَ جُمِعَ كلُّه في عهدِ محمّد! أليسَ، في ما رأينا، دلالةٌ على انّه كانَ موجوداً قَبْلَ محمّد !؟ ولكنَّ القرآن كان موزَّعاً، مفرَّقاً بين الصحابة. بل كان بعض الصحابة يحفظون بعضه عن ظهر قلوبهم، وبعضهم يحفظون بعضه في رقاع وألواح وأكتاف وأعساب...

ومع هذا، فقد كان هناك مصاحف مختلفة بعضُها عن بعض. وقد كان أصحابُها من صحابةِ النّبيّ المشهورين بالعلمِ والفضيلة، ومن أمّهاتِ المؤمنين اللواتي عايَشْنَ النبيّ وعرفنَه في حالاتِه جميعها. وكان عددُ المصاحفِ كبيرًا، وخطرُها أكبر، والخلافُ بينها واسعًا. لقد كان لكلّ واحدٍ من الصحابة الذين لازموا محمّداً مصحفٌ يدوّن فيه ما تيسّر له. والاختلاف بينها واضح بدليل ما أقدم عليه عثمان من حرقها جميعها، واعتماد مصحف واحد فقط، كما سنرى.

من أبرز مصاحف الصحابة :

١ . مصحفُ سالمِ بن معقل مولى أبي حُذَيْفَة الذي حرّره النبيّ. ولكنّ سالمًا ماتَ بعدَ النبيّ بسنة(٤٩). وقد أخرَج ابن أشتة في كتابِ المصاحف عن ابن بريدة قال : «أوّلُ مَنْ جَمَعَ القرآنَ في مصحفٍ سَالِمٌ مَولى أبي حُذَيفة، أقسَمَ: لا يرتدي برداءٍ حتى يجمَعَه. فَجَمَعَهُ»(٥٠).

---

(٤٨) د. فلهلم رودلف، صلة القرآن باليهودية والمسيحية، ترجمة عصام الدين حفني ناصف، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤.

D.Masson, Monothéisme coranique et monothéisme biblique. Doctrines comparées. DDB 1976.

Tor Andrae, Les origines de l'islam et le christianisme, Adrien- Maisonneuve, 1955.

(٤٩) تفسير الطبري ١/ ٦٣.

(٥٠) الاتقان ١/ ٥٨ عن كتاب المصاحف لابن أشتة .

٢ . مصحفُ عبدالله بن عبّاس (ت ٦٨هـ). لابن عباس، في الإسلام، مكانةٌ مرموقة. تخصّصَ في تفسيرِ القرآن، وكان تلميذًا لعليّ. ولُقّب «بحبر الأمّة»، و«بترجمان القرآن». ذُكِر له مصحف يختلف بترتيبِه عن مصاحف الصحابة(٥١).

٣ . مصحفُ عقبة بن عامر (ت ٦٠هـ). هو من الصحابة. حكَم مصرَ فيما بعد. له مصحَفٌ وُجِدَ سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، ولكنّه لم يعدْ يوجَد اليوم(٥٢).

٤ . مصحفُ المقداد بن عمر (ت ٣٣هـ) من صحابة النبيّ. مشهور بتقواه وشجاعته. لقد كان مصحفُه منتشِرًا في حمص بسوريا(٥٣).

٥ . مصحفُ أبي موسى الأشعريّ (ت ٥٢هـ) من شيعةِ عليّ. انتشر مصحفُه في بصرى. وكان شبيهًا إلى حدٍّ بعيد بمصحَفي ابنِ مسعود وأُبيّ بن كعب. عُرِفَ بمخالفته لمصحفِ عثمان الإمام(٥٤).

٦ . مصحفُ أُبَيّ بن كعب (ت ٢٣هـ) من المدينة. استخدَم النبيُّ أُبَيًا لتدوينِ الوحي، ولكتابةِ الرسائلِ الى القبائل. اشتهرَ باتّقادِ ذاكرته، وهو بين القلائلِ الذينَ حَفِظُوا كلَّ القرآن. يختلفُ بمصحفِه عن مصحف عثمان، بعددِ سُوَرِهِ وبترتيبِه. فيه سورتان زائدتان هما: سورة الخَلْعِ وسورة الحَفْدْ(٥٥).

٧ . مصحفُ عبدالله بن مسعود (ت ٣٠هـ) . نشأ راعِياً، وأسلم باكِراً، وخدمَ النبي بورَعٍ. نَقَلَ عنه البخاري قولَه : «باللّه، ليسَ من سورةٍ في الكتابِ أُوحِيَتْ الاّ وعرفتُ أينَ أوحِيَتْ وبمناسبةِ مَنْ أوحِيَتْ»(٥٦). ينقص من مصحفه سورةُ الفاتحة والمعوذتَان. ويختلف ترتيبُه عن سائر المصاحف(٥٧).

---

(٥١) انظر الاصابة ١/٩٤، وانظر ترتيب مصحفه في كتاب «تاريخ القرآن» للزنجاني، ص ٧٦ .

(٥٢) نولدكه، تاريخ القرآن، ٣/٩٧، حاشية ١ .

(٥٣) نولدكه، تاريخ القرآن ٢/٢٩ – ٣٠ .

(٥٤) تاريخ القرآن لنولدكه، ٢/٢٨ و ٣٠ ، الانسكلوبيديا الاسلامية ٤٨٨ .

(٥٥) انظر : الاصابة ١/١٦، الفهرست ٤٠، الزنجاني ٧٢ حيث ترتيبه.

(٥٦) عن نولدكه، تاريخ القرآن ٣/٥٢٧، رابعا .

(٥٧) انظر ترتيبه في «تاريخ القرآن» للزنجاني ٧٤ – ٧٥ .

٨. مصحفُ عائشة، زوج النبيّ، جمـعَه لها مولاها أبو يونس. ورَوى عنها عروةُ بنُ الزبير أنّها قالتْ: «إنّ سورةَ الأحـزابِ كانتْ تُقرأ في زمنِ النبيّ مئتَي آية. فلمّا كتبَ عثمانُ المصاحف لم نقدر منها إلاّ ما هو الآن»[٥٨].

٩. مصحفُ حفصة، زوج النبيّ، جمَـعهُ لها مولاها عُمر بن رافع. ولكن لا نستطيعُ ان نعرفَ عمّا إذا كان هو نفسه مصحف بن ثابت أم غيره.

١٠. مصـحفُ عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ). كلّمنا عنه اليـعقـوبي وابن النديم والسيـوطي وغيرهم. عَرَفَ الإمـامُ محمـدُ الباقر هذا المصحفَ ونَسَـبَهُ إلى علي[٥٩]. سمّى عليٌّ مصحـفَه بـ «الناسخِ والمنسوخ»[٦٠] وقسّمَه الى سـبعةِ أجزاء، وكلُ جزء من ١٥ أو ١٦ سورة. ولا يُسـتبْـعَد أن يكونَ مـصحفُ عليّ فـاقَ سائرَ المصاحفِ لمكانة عليٍّ فـي الإسلام. ولا يستبْـعَدُ أيضاً ان يكونَ مـصحفُه مـغايرًا لسائرِ المصاحفِ ومـختلفًا عنها، لاخـتلافِ موقفِه من مـواقفِ أهلِ السنّة والخلفاء الذين اغتصَـبوا منه الخلافة. ومن الطبيـعي أن نجدَ لعليٍّ مصاحِفَ كثـيرة تَنتَسِبُ اليه لكثرةِ الشيَعِ التي نشأتْ عنه.

والغريب في الأمر أن يشرَعَ عليٌّ، بعد موت الـنبي مباشرة، وعند بيعة أبي بكر، بجمعِ القرآن! والغريبُ أيضاً أن يَرى عليٌّ، منذ تلكَ اللحظة، أنّ القرآنَ يُحَرَّفُ فيه ويُزَادُ عليه، كما قال عكرمة : «لمّا كـانَ بعدَ بَيعَةِ أبي كبر، قعد عليٌّ بنُ أبي طالب في بيته. فقـيل لأبي بكر: قد كَرِهَ بَيْعَتَكَ. فأرسلَ إليه وقالَ: أكَـرِهْتَ بَيعَتي؟ قال: لا واللّهِ. قال: مـا أقعدكَ عنّي ؟ قـال: رأيتُ كتابَ اللهُ يزادُ فـيه، فحـدّثتُ نفسي أن لا ألبَسَ ردائي إلاّ لصلاةٍ حتى أجمَعَهُ. قالَ له أبو بكر: فإنّكَ نِعْمَ ما رأيت»[٦١].

وعن ابن أبي داود قال: «سمعتُ علياً يقول: أعظمُ الناس في المصاحفِ أجرًا

---

(٥٨) السيوطي، الاتقان ٢/ ٢٥ .

(٥٩) تفسير القمي، ٤١٩ – ٤٢٠ .

(٦٠) الاتقان ١/ ٥٨ .

(٦١) السيوطي، الاتقان ١/ ٥٧ – ٥٨ .

أبو بكر، رحـمـةُ اللّه على أبـي بكر، وهو أوّلُ من جَـمَعَ كـتـابَ اللّه»[٦٢]. وعن ابن سيـرين قال: «قالَ عليّ لمّا مـاتَ رسولُ الله، آليتُ أن لا آخـذَ عليَّ ردائي إلاّ لصلاةِ جُمْعَة حتى أَجْمَعَ القرآنَ. فَجَمَعْتُهُ»[٦٣].

لكنّنا نسأل :

١ - لماذَ يُشيدُ المحدِّثون برضى عليٍّ على صنيعِ أبي بكر وعُمر؟

٢ - هل يُعقَل أن يباشِرَ عليّ بالقرآن ولم يَمضِ على موت النبيّ ساعات؟

٣ - وهل منذ هذه اللحظة ابـتدأتِ الزيادات تَظهَـرُ في القـرآنِ حتى يقـولَ عليٌّ « رأيتُ كتابَ اللهِ يُزاد فيه»؟

٤ - وإذا كانتْ غَيرَةُ عليّ كبيرةً ، فلماذا لم يأخذْ أبو بكر وعمر بمصحَفه ؟

٥ - ولماذا فضّلَ أبو بكر وعمر مـصحفَ زيد على مصحفِ عليّ؟ وعليٌّ هو المسلمُ الأوّل والمجاهِدُ الأكبر، ابنُ عمِّ النبيّ وصهرُه وربيُه وحاملُ لواء الإسلام؟!

٦ - ثمّ ما الذي دفَع أبا بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب الى جَمْعِ القرآن؟

٧ - ولماذا اختارَا زيدًا لهذه المهـمّة؟ والمعروفُ أنّ زيدًا لم يزلْ في بطنِ أمّه عندما بُعث النبيّ؟

٨ - وما مـعنى قولِ أبي بكـر لزيد: «إنّك شـابٌ عاقـلٌ لا نَتَّهِمُكَ»؟ فـهل من اتّهامٍ لغيرِ زيد من كَتَبَةِ الوحي؟ أو هل هناك مَن يتّهم زيداً؟!

٩ - ولماذا فُضِّلَ زَيـدٌ على عبدِاللّه بن عـبّاس، وقـد مَدَحَ النّبيُّ ابنَ عـبّاس بأنّه خيـرُ مَنْ عَرَفَ القـرآنَ وفَسَّرَهُ، وعلى أُبَيّ بن كـعب صاحبِ الذاكـرةِ الوقّادة، وعلى عبدِاللّه بن مسعودٍ المسلمِ الورع؟!

١٠ - ولماذا وَضَعَ زيدٌ المصحفَ الذي جَـمَعَهُ عندَ حفصـة، وهي ابنة عمر، ومن حزب عائشة، وليس عند أم سلَمة مثلاً، أو عند غيرها؟

هذه أسئلة تربك. ولا جواب عليها، إلاّ في تلمّس الحقيقة في أمكنة أخرى.

---

(٦٢) المرجع نفسه، ١/٥٧ .

(٦٣) المرجع نفسه، ١/٥٧.

ثاني عشر – جمْع أبي بكر للقرآن : ١ . أخرج البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب جمْع القرآن، عن زيد بن ثابت، قال:

«أرسلَ إليَّ أبو بكر الصدّيق، بعد مقتل أهل اليمامة (سبعين من حفّاظ القرآن)، فإذا عمر بن الخطّاب عنده، قال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى إنِ استحرّ القتلُ بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمْع القرآن. قلتُ لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعلْه رسول اللّه؟ قال عمر: هذا واللّهِ خير. فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح اللّهُ صدري لذلك. ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر.

ثمّ قال أبو بكر لزيد بن ثابت: إنّك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتّهمك. وقد كنتَ تكتب الوحيَ لرسول اللّه. فتتبَّعِ القرآنَ فاجمَعْه. قال زيد: فواللّه! لو كلّفوني نقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليّ ممّا أمَرَني به من جمْع القرآن. وقال: كيف تفعلون شيئاً لم يفعلْه رسول اللّه؟ ثمّ قال: هو واللّهِ خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتّى شرح اللّهُ صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر. فتتبّعتُ القرآنَ أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال، حتّى وجدتُ آخرَ سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره: «لَقَدْ جاءَكُمْ رسولٌ مِنْ أنفسِكُمْ عزيزٌ عليهِ ما عَنِتُّم» حتّى خاتمة براءة،

فكانت الصحف عند أبي بكر حتّى توفّاه اللّه، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر». وظلّت عندها حتّى طلبها منها عثمان ليعتمد عليها في استنساخ مصاحف القرآن، ثمّ ردّها إليها، ثمّ أُحرقت بعد وفاتها.

٢ . وجاء في سُنَنِ ابن أبي داود «إنَّ عُمَر سألَ عن آيةٍ من كتاب اللّه، فقيل: كانتْ مع فلان قُتِلَ يومَ اليمامة. فقال: إنَّا للّه!. فأمرَ بجَمْعِ القرآن. فكان أوّلَ مَنْ جَمَعَهُ في المصحف ... أي أشارَ بجمعه».

٣ . وتميّز مصحف أبي بكر، في رأي المسلمين، عن الصحف التي كانت عند الصحابة، بشموله ودقّته، وإجماع مسلمي الأمّة عليه، كما تميّز بمطابقته

الكاملة للنصّ المنزل حسب العرضة الأخيرة للقرآن.

ثالث عشر – جمْع عثمان للقرآن : ١ . في إيمان المسلمين، إنّ القرآنَ المتداوَلَ اليومَ قد جمعَه عثمانُ بن عفّان من الرقاعِ وصدورِ الرّجال، وقد ألّفَ من أجلِ ذلك لجنةً من عدّة قرّاء، فوضعوا ما وضعوا متّفقين. ولمّا انتهتِ اللجنةُ من أعمالِها، أمرَ الخليفةُ بنسخِ المصحفِ عدّةَ نسخ، أربعةً أو ستّةً أو سبعةً، ووزّعَ النسخَ على الأمصارِ الإسلاميّة، ثمّ أتلفَ كلَّ المصاحفِ الخاصّة.

٢ . لقد باتَ كلّ شيء معدًا، الآن، إلى أن يتدخّلَ الخليفةُ الثالث عثمان بن عفّان (ت ٣٥هـ/ ٦٥٥م) ليحسمَ موضوعَ جَمْعِ القرآنِ ببطشٍ وسلطان. زَيد بن ثابت لا يزالُ حيًا يُرزق. والفتوحاتُ الاسلاميّة تتوالى. والقتلُ بين الصحابة يزداد. والاختلافاتُ بين القرّاء تتفاقمُ هي أيضاً. والاقتتالُ بين الناس يشتدُّ بسبب هذا الاختلاف. لقد «اقتتلَ الغلمانُ والمعلمون»[٦٤]، وتوزّعَ الحفّاظُ والقرّاءُ في الشامِ والعراقِ واليمنِ وأرمينيا وأذربيجان، ولحَنَ العربُ في لغتهم لمجاورتهم أممًا غيرَ عربية، أو عربيةً غير مَضَرِيّة، وفسدتِ اللغةُ، فدخلَ فيها ألفاظٌ أعجميّة، وفُقِدَتْ منها ألفاظٌ أخرى... وكلُّ هذا دعا الخليفةَ الى التدخّلِ المباشَر، لأنّ القرآنَ أصبحَ في خَطَرِ التحريفِ والتصحيفِ...

٣ . يخبرنا البخاري في صحيحه عن ابن شهاب عن أنَس بن مالك حدّثه «أنّ حُذَيفةَ بن اليمان قَدِمَ على عثمان، قَبْلَ الذهابِ الى فَتْحِ أرمينيا وأذربيجان (٣٠هـ/ ٦٥٠م)، وقال له: «يا أميرَ المؤمنين، أَدْرِكْ هذه الأمّةَ قبلَ أن يختلفوا اختلافَ اليهودِ والنصارى». فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة: أرسلي الينا الصُحُفَ ننسخُها في المصاحفِ. ثم نردُّها إليك. فأرسلتْ بها حفصةُ الى عثمان. فأمرَ عثمانُ زَيداً بنَ ثابت، وعبدَالله بن الزُّبَير، وسَعيدَ بن العاص، وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمانُ للرّهطِ القرشيّين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسانِ قريش. فانه

---

(٦٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/ ٥٩.

إنّما نَزَلَ بلِسانِهم. ففعلوا، حتى اذا نَسخُوا الصحفَ في المصاحفِ، ردَّ عثمانُ الصحفَ الى حفصة. وأرسلَ إلى كلِّ أفقٍ بمصحفٍ ممّا نَسَخُوا. وأمرَ بما سواه من القرآنِ في كل صحيفةٍ أو مصحفٍ أن يُحْرَق»(٦٥).

٤ . وعن أنَسٍ بن مالك أيضًا قال: «اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتلَ الغلمان والمعلِّمون، فبلغَ ذلك عثمانَ بن عفّان، فقال: عندي تكذِبون به وتلحنون فيه؟! فمن نأى عنّي كانَ أشدَ تكذيبًا وأكثرَ لحنًا. يا أصحابَ محمّد! اجتمعوا فاكتُبوا للناسِ إمَاماً. فاجتمعُوا. فكتبوا. فكانوا إذا اختلفوا وتدارؤوا في أيِّ آيةٍ قالوا : هذه أقرأها رسولُ اللهِ فلانًا. فيُرسَلُ إليه وهو على رأسِ ثلاثةٍ من المدينة، فيُقال له: كيفَ أقْرأكَ رسولُ الله آيةَ كذا وكذا. فيقولُ: كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكاناً»(٦٦).

٥ . لنا حول رواية البخاري الذي «ما عَرفَ التاريخُ مَنْ يُضارعُه في الثقةِ والضبطِ والأمانة»(٦٧) تساؤلاتٌ عديدة:

٦ . لماذا زيد بن ثابت ؟ ومن المعروف أنّ بين الصحابة وكَتَبةِ الوحي مَن هو أكثرُ ثقةً وعلمًا وبلاغةً منه؟ وأنّه لم يَسمَعْ من النبيِّ نفسهِ سوى آياتٍ قليلةٍ من القرآن؟ وأنّه، بالنسبة الى أُبَيّ وابنِ عبّاس وعليٍّ بن أبي طالب، لا يُعْتَدُّ بوَرَعِه أو بعلمه أو بوعيه أو باندفاعه، أو بحماسه، أو بجهادِه أو برفع راية الإسلام؟ ولماذا فضّلَ عثمانُ، وقبلَه عُمر، وقبله أبو بكر ، أنْ يكونَ زيدٌ رئيسَ جمّاعِ القرآن وحفّاظه؟ ثمّ على أيِّ دينٍ كان زيد، وقد كان يعرفُ العبرانيّةَ والسريانيّة(٦٨)؟ أين تعلّمهما؟ وعلى يدِ مَن أخذهما ؟ وهل هو مِن نصارى المدينة أو مسيحيّيها؟!

---

(٦٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، الباب الثاني والباب الثالث، السيوطي، الاتقان ١/ ٩٥، ابن ابي داود، ١٨ الطبري ١/ ٢٠ – ٢١ .

(٦٦) الإتقان، ١/ ٥٩ .

(٦٧) الشيخ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٧٩ .

(٦٨) طبقات ابن سعد، ٢/ ١١٥ .

٧ . ثمّ لماذا أتلف عثمانُ المصاحف؟ وكيفَ أتلفها؟ هل أُحرِقَتْ أم مُزِّقَتْ أم أُغرِقتْ في الماء!!! الروايات تختلف في ذلك. وكيف تجرأ على إتلافِ هذه المصاحف، وهي من أيدي صحابةٍ أجلاّءَ محترَمينَ ذوي وَقارٍ وكَرامة واعتبار؟!

٨ . كيف تألّفتِ اللَّجنةُ ؟ ومِمَّنْ؟ التّقليدُ على خلافٍ ظاهر. فمنه ما يشير إلى إثنين فقط: زيد وسَعيد بن العاص؛ ومنه ما يشيرُ الى ثلاثة: زيد وسعيد وعبد الرحمن بن هشام؛ ومنه ما يشير الى أربعة[٦٩]، ومنه ما يشير الى لجنة من اثني عشر[٧٠]... ومن المعروف أيضاً ان سَعيدًا بن العاص كان إبّان تأليفِ اللجانِ والياً على الكوفة، فكيف يكونُ فاعلاً فيها؟ وثلاثة من اللجنة الرباعية كانوا مكيّين من قريش ومن الطبقة الأرستقراطيّة ومن أقرباء عثمان بن عفّان، وبين بعضهم بعضاً صلاتُ مصاهَرَة وقربى ومصالح مشتركة. وزيدٌ كان مدنِيًا من الأنصار. ومع هذا كان رئيساً على اللجان! وفي نصيحة عثمان لهم : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسانِ قريش»[٧١]، وهو ما يشير الى إمكانية الخلاف، والى مداخلة الخليفة، وإشرافه، وسلطانه.

٩ . ثمّ هل لعثمان نيّات وخفايا في ما فعل؟ الحقيقةُ أنّه كانَ يعرفُ مدى خطورةِ مصحفِ عليّ عدوِّه السياسيِّ المعلن. وكان يعرفُ أنّ هناك مصاحفَ دُوِّنتْ أيّامَ النبيّ، ولها قدسيّتُها. وكان يعرفُ أنّ مصاحفَ الصحابةِ المعروفَة آنذاك كانتْ تنتمي الى المدينةِ وسائرِ المواطن الإسلامية، وهو يريد الأفضليّةَ لمكّةَ لا لسواها... لعلّها العصبيّة القبليّة تحكّمتْ بعثمان؟ وليستْ هذه العصبية خفيّةً على أحد: فالعصبيّةُ الأمويّة والعصبيّةُ العباسيّة والعصبيّةُ العلويّة كانتْ باديةً وقد أخذتْ مجراها في الخِصام والاقتتالِ والثوراتِ بين المسلمين حتى الإبادة...

١٠ . ثمّ ما هو موقفُ عليّ؟ وقد وضعَ المحدِّثون على لسانِه كلَّ الرِضى:

---

(٦٩) يضاف الى الثلاثة المذكورين ابن الزبير، انظر البخاري وأبن أبي داود .

(٧٠) ابن ابي داود، كتاب المصاحف، ص ٢٢، ٢٤ و ٢٥ .

(٧١) السيوطي، الإتقان ١/ ٥٩.

«أخرَج ابنُ أبي داود بِسَنَدٍ صحيحٍ عن سُوَيد بن غَفلة، قال : قال عليّ: لا تقولوا في عثمانَ إلاّ خيراً. فوالـلّهِ ما فعلَ الذي فعلَ في المصاحفِ إلاّ عن ملأ منّا» (٧٢). ولكن: هل رِضى عليّ هو حقيقـة؟ والمعلوم أنّ لعليٍّ مصحفًا دَوَّنَهُ بيدِه، وسمـعه مباشرةً عن النبيّ، وهو، والحـالةُ هذه، يجـب أن يكونَ أكثـرَ أصـالة من مـصـحفِ زيد أو سواه. ومع هذا، أتلفَه عثمان. فهل هذا يوجِبُ من علي سخطًا أم رضى؟!

١١ . لماذا ردَّ عثمـانُ المصاحفَ إلى حفصة؟ إنّ الخليـفةَ مروان بن الحكم، سنة ٦٤هـ، حاولَ أن يأخـذَها منها ليحـرقَها. فـأبَتْ. ولمّا توفّيتْ أخذَها وأتلَفـها. وقال مدافعًا عمّا فعل: «إنّما فعلتُ هذا لأنّ ما فيها قد كُتِب وحُفِظَ بالمصحفِ الإمام، فـخشـيتُ إنْ طالَ بالنـاسِ زمانٌ أن يَرتابَ فـي شأنِ هذه الصـحُفِ مُـرتاب»(٧٣). السؤال : هل كـان مصحف حـفصة يختلـف عن مصحف عثـمان، حتى يتـصرّف مروان هكذا ؟ فما صحّة علاقة مصحف عثمان، إذاً، بما جمعه أبو بكر؟!

١٢ . الحقّ يُقال: إنّ اعـتمـادَ عثمـان على جمعِ أبي بكر هو عـملٌ ذكيّ، بل عملٌ سياسيٍ ماهر. لقـد كانَ يعرفُ أنّه إذا اعتمدَ على مصحف ابنِ مـسعود، مثلاً، لكانَ أثارَ عليه حَنَقَ السوريّين وأهلِ بصـرى الذين كانوا يقرأون بمصحفِ أُبَي بن كعب وبمصحفِ الأشعـري، ولكان شَتّم عملَ سَابِقَيهِ في الخـلافة، أبي بكر وعمر، وقد كان يعرفُ بذكائه أنّ المسلمينَ لن يختلفوا كـثيرًا إذا ما رَفَعَ من شأن الخليفَتين اللذَين سَدَّدا خطواتِ الإسلامِ، وفتحا البلادَ، وأخضعا الأقطار.

١٣ . ثمّ أيضاً مـا هو موقفُ ابن مـسعود من مـصحفِ عثـمان؟ إنّ دلائلَ كثيرةً تشيرُ الى عدم رضاه؛ لقد رفضَ رفضًا قـاطعًا ما جَمَعَه عثمان، وقال: «كيفَ تأمرني أن أتبعَ قـرءاةَ زيدٍ في الوقتِ الذي كنتُ أقرأ القرآنَ سـبعين مرّة، وأسمـعُه من فمِ النـبيّ، وزيدٌ كـان لا يزالُ فـي صلبِ أبيـه أو يحـملُ لُعَـبَ الأولاد ويلعبُ

---

(٧٢) المرجع نفسه ١/ ٥٩ - ٦٠ .

(٧٣) ابن ابي داود، كتاب المصاحف، ص ٢٤ .

بالمكانس!»[٧٤]. ومرّة أخرى قال: «سأتركُ مصحفَ عثمان لأنّه من عمل إنسانٍ. عندما كنتُ قد أصبحتُ مسلماً، كان زيدٌ لا يزال في بطنِ أمّه»[٧٥].

١٤. وهذا هو أيضاً موقفُ أُبَيّ بن كعب. والذين كانوا يتبعون مصحفه أظهروا عدمَ رضاهم على عثمان في إتلاف المصاحف.

١٥. ومع هذا كلّه، ورغم حسنِ نيّات عثمان في توحيدِ الكلمة بين المسلمين وفي توحيدِ كتاب اللّه، لم تُحَلّ المشكلة من أساسها؛ بل قد يكون عثمان عقَّدَها أكثر، لأنّ المصاحفَ القديمةَ كانَ يقرؤُها الناسُ بأكثرَ سهولة لأنّ بعضَهم كان يحفظُها عن ظهرِ قلبه. وأمّا مصحفُ عثمان فليسَ هناك من يحفظُه، أو مَن يقرؤُه بسهولة، وقد دخلتْ فيه قراءاتٌ من مصاحفَ سابقة، وتصحيفٌ من قرّاءِ غير قرشيّين أو مضريّين، أو حتى غير عرب. فكلّ شيء فيه يدعو الى القلق.

١٦. وما يزيد القلَق في صحّته انتسابُ مصاحف قديمةٍ إليه، وذلك بعدَ مقتلِ عثمان الذي أضفى عليهِ المسلمون معنَى الاستشهادِ الربّاني. فبعدَ أن عرفَ الناسُ عثمانَ ظالماً محتالاً، عرفوه الآنَ بعد استشهاده، وليّا طاهراً. وبفضلِ هذا أصبحَ لمصحفِه مكانةٌ فريدة. وأصبحَ كلُّ قرآنٍ مجبولٌ بنقطةِ دمٍّ من دم عثمان قرآنًا مقدَّساً. وباتَ كلُّ صاحبِ مصحف، لكي ينفذَ بمصحفه إلى قلوبِ الناس، ينسبُ مصحفَه إلى عثمان. وهكذا أصبحَ مصحفُ عثمان سحرًا أفاضَه عليه الخليفةُ الأموي عبد الملك بن مروان ووزيرُه الحجّاج بن يوسف، كما سنبيِّن ذلك.

١٧. وممّا يزيدُ الأمورَ تعقيدًا اختلافُ أهلِ الأخبار والمحدِّثين في عددِ النسخِ التي أرسلَها عثمانُ إلى الأمصار. فمنهم مَن يجعلُها أربعةً، ومنهم ستّة، ومنهم سبعةً. أرسلَ كلَّ نسخة منها الى قطر: «الى مكة، والشام، واليمن، والبحرين، والبصرة، والكوفة، وحبسَ بالمدينة واحدة»[٧٦].

---

(٧٤) المرجع نفسه، ص١٧، ابن سعد /٢ قسم٢ ص ١٠٥ ،

(٧٥) المرجع نفسه، ص١٧ سطر ١٥ .

(٧٦) السيوطي ، الاتقان ١/ ٦٠ .

١٨ . لماذا لم يعدْ عثمانُ راضِـيًا على مصحفِ زيد بن ثابت الذي جَمَعَ لأبي بكر وعمر؟ هل من خلافٍ بين مصحفِ زيدٍ الأوّل، وما جمعَه لعثمان الآن؟

١٩ . وأخيـراً، لماذا فضّلَ عثـمانُ حرفًا واحِـدًا من الأحرفِ السبـعة؟ ومنَ المسلَّم به أنّ اللهَ «أنزلَ القرآنَ على سبعةِ أحرف. فـرأى عثمان أن يزيلَ منها ستّةً ، وأن يَجْمَعَ الناسَ على حرفٍ واحد، فلم يُخالِفْه أكـثرُ الصحابة، حتى قال عليٌّ: «لو كنتُ موضِـعَه لفعلتُ كـما فعل... كـانوا يقرأون القرآنَ على سـبعةِ أحـرفٍ، فوقَع بينَهم الشرُّ والخلافُ، وأرادَ عثمانُ أن يختارَ من السبعةِ حرفاً واحِداً»[٧٧].

رابع عـشر – الأحرف الـسبـعة : بسبـب نسيان الصـحابة لبـعض آيات القـرآن، وبسبـب ضعفِ ذاكـرتهم، وبسـببِ تخلّفِـهم عن كثـيـرٍ ممّا نُسِخَ وبُدِّلَ، وبسببِ بعضِ التحريف والـتصحيف... أَوْجَدَ المفّسرون للقـرآنِ حديثًا طريفاً على لسانِ محـمّد، وأجمع أصحـابُ الحديث على صحّتـه. جاء فيه قـوله: «أُنْزِلَ القرآنُ على سـبعةِ أَحْـرُف». وهو حديثٌ شـائعٌ متـواتر، نقلته كـتبُ الحديثِ والتـفسـيرِ والتاريخ جميعها، وأجمعَ عليه واحدٌ وعشرون صحابياً ثِقة[٧٨].

ثمّ أُضيفَ إلى هذا الحـديث توضيحـات متعـددة ومختلفـة. فمنهم مَن زادَ عليه : «فـاقرأوا ما تيسَّـر منها». ومنهم من زاد: «كلُّهـا شافٍ كافٍ... أيّهمـا قَرَأتَ أَصَبْتَ. فمن قـرأَ منها حرفًا فهـو كما قرأ. فـأيّما حرفٍ قرأوا فقَـد أصابوا... كلّها شافٍ كافٍ ما لم يختمْ آيةَ عذابٍ برحمةٍ، أو آيةَ رحمةٍ بعذاب».

١ . رَفَعَ السيوطي نحوًا من أربعين قولاً متبايناً في معنى الأحرفِ السبعة. فيقـول مثلاً: إنّ الحرفَ هو «من المشكلِ الذي لا يُدرى مـعناه، لأنّ الحرفَ يصدقُ،

(٧٧) ابو جعفر النحاس، الناسخ والمنسوخ، ص ٣٧، انظر ١٥٩.

(٧٨) يعدِّد السـيوطي أسماء مَن أجـمعوا على صـحة الحديث. هم: أُبَيّ بن كـعب، أَنَس بن مالك، حُذيفة بن اليمـان، زيد بن أرقم، سمرة بن جندب، سلمان بن صرد، ابن عبـاس، ابن مسعود، عبـد الرحمن بن عوف، عـثمـان بن عفّان، عـمر بن الخطاب، عمـرو بن أبي سَلَمَة، عـمرو بن العاص، مَعـاذ بن جبل، هشام بن حكيم، أبو بكرة، أبو جـهم، أبو سعيد الخـدري، ابو طلحة الأنصاري، ابو هُرَيرة، ابو أيوب (الاتقان ١ / ٤٥).

لغةً، علـى حرفِ الهـجاء، وعلى الكلمـة، وعلى المعنى، وعلى الجهـة». ثمّ إنّه «ليسَ المراد بالسبعـةِ حقيقةَ العـدد، بل المرادُ التيسير والتـسهيل والسَعَة. ولفظُ السـبعة يُطلق على إرادةِ الكثرة... ولا يُراد العدد المعيّن». وهكذا...[٧٩].

ولكن، وبالرغم من تواتـر هذا الحديث، لم ينقـل أحد عن الرسـول، ولا عن أحدِ الصحابة، تعيين المراد بالأحرف، أو بالسبعة. ولهذا اجتهد العلماء في تفسيرها اجتهاداً.

٢ . المراد بالأحرف، إمّا اللّغات، أي اللّهجات، باختلاف القبائل، وقد ذكروا: قريش، وهُذيل، وكنانة، وسعد بن بكر، وربيعة، وهوازن، وثقيف، وخزاعة، وأسد، وتميم؛ وإمّا الأوجه اللّغويّة، وهو الأولى، مثل:

١ – إختلاف إعراب الكلمة، أو حركـة بنائها، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتـابة، ولا يغيّـر مـعناها، كقـوله: «وَهَلْ نُجَـازِيَ إلاّ الكَفورُ»، و«هل يُجَـازَى إلاّ الكفورُ» (٣٤/١٧)؛ أو بما يغيّـر معناها ولا يُزيلها عن صورتهـا، مثل: «رَبَّنا باعِدْ بينَ أسفـارِنا»، «ربُّنا باعَدَ بين أسفارِنا» (٣٤/٩)؛ أو بما يغـيّر صورتها ولا يـغيّر معناها، مـثل: «كالعِـهْنِ المَنفوشِ»، «كالصـوف المنفوش» (١٠١/٥)؛ أو بما يغـيّر صورتها ومعناها، مثل: «وَطَلْحٍ مَنْضودٍ»، و«طلع منضود» (٥٦/٢٩).

٢ – الاختلاف بالتـقديم والتأخير، كـقوله: «وجاءتْ سَكرةُ الموتِ بالحقِّ»، «وجاءت سكرةُ الحقِّ بالموت» (٥٠/١٩).

٣ – الاختلاف في حـروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر مـعناها ولا يغيّر صورتها، كقوله: «وانْظُرْ إلى العِظامِ كـيفَ نُنْشِزُها»، «كيف نُنْشِرُها»، و«نَنْشُرُها» (٢/٢٥٩)، وقوله: «تَبْلُوا»، «تتلو» (١٠/٣٠).

٤ – الاختلاف بالزيادة والنقصان، مثل: «ومَـا عَمِلَتْهُ أيْدِيهِمْ»، «وما عملتْ أيديهم» (٣٦/٣٥).

---

(٧٩) السيوطي،الاتقان، ١/٤٥ – ٤٩.

٥ – الاختلاف في حروف الكلمة بما يغيّر صورتَها لا معناها، كقوله: «بَسْطَةً»، «بصطة» (٢/ ٢٤٧).

٦– الاختلاف في حروف الكلمة بما يغيّر صورتَها ومعناها، كقوله: «أشَدَّ منِهم»، «أشدّ منكم» (٤٠/ ٢١).

٧– إختلاف اللّغات في الفتْح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والإدغام والإظهار، والرَّوم والإشمام، ونحو ذلك.

٣ . وأمّا السبعة فإنّه «ليسَ المراد بالسبعةِ حقيقةَ العدد، بل المرادُ التيسير والتسهيل والسَعَة. ولفظُ السبعة يُطلق على إرادةِ الكثرة في الآحاد، كما يُطلق السبعون ويراد به الكثرة في العشرات، والسبعمائة ويراد به الكثرة في المئات. ولا يُراد العدد المعيّن»[٨٠].

٤ . وينقل الطبري عن زيد بن أرقم هذه الرواية: «جاءَ رجلٌ الى رسول اللّه (ص) ، فقال : أقرأني عبدُاللّه بن مسعود سورةً، أقرأنيها زيدٌ، وأقْرَأنيها أُبَيّ بن كعب، فاختلفتْ قراءتهم. فبقراءةِ أيّهم آخذ؟ قال. فسكتَ رسولُ اللّه (ص)، وعَلِيٌّ إلى جنبِه، فقالَ عَلِيٌّ: لِيَقْرأْ كلُ إنسانٍ كما عُلِّمَ. كلٌّ حَسَنٌ جَميلٌ»[٨١].

٥ . وروي عن أُبيّ بن كعب قال : «دخلتُ المسجدَ فصلّيتُ فقرأتُ (سورةَ) النحلِ. ثم جاءَ رجلانِ فقرآها خِلافَ قراءتِنا، فدخلَ نفسي مِن الشّكِّ والتكذيبِ أشدُّ ممّا كنتُ في الجاهليّة. فأخذتُ بأيديهما، فأتيتُ بهما النبيَّ (ص) ، فقلْت : يا رسولَ الله! استقرِئْ هذين. فقرأ أحدُهما. فقال: أصبتَ. ثم استقرأ الآخر، فقال: أصَبْتَ. فدخلَ قلبي أشدُّ ممّا كان في الجاهليّة من الشكِّ والتكذيب. فضربَ رسولُ اللّه (ص) صدري، وقال : أعاذَك اللّه من الشكِّ، وأَخْسَأَ عنكَ الشيطان»[٨٢].

---

(٨٠) السيوطي،الاتقان، ١/ ٤٥ – ٤٩.
(٨١) تفسير الطبري، ١/ ٢٤ .
(٨٢) المرجع نفسه، ١/ ٢٥ .

٦ . وعلّقَ الطبري على آية: «أفلا يتـدّبرون القرآن» (٤/ ٨٢)، بأنّ الخلافَ كانَ بين الصحابة، لا على الألفاظ، بل على المعاني والأحكام. قال : إنّ هذه الآية إنّما «تقصـد اختلافَ المعانـي والأحكام، لا اختلافَ الألفاظِ والتـعابير، بدليلِ اخـتلافِ الصحابة، كلٌّ في قراءته، وتصويـبِ النبيِّ لهم جميعاً»[٨٣]. ولو كان الاختلافُ في الألفاظ وحـسب، لَمَا «خالَط بـعضُهم الشـكُّ في الإسلام»[٨٤]، «ولَمَا اقتـتلوا فيـما بينهم»[٨٥]، ولَمَا «اختُلفَ في معنى هذا الحديثِ على نحو أربعين قولاً»[٨٦]...

٧ . ولكن كيف يتـفق حديثُ الأحرف السـبعة، مع مـعجزةِ إعجـاز القرآن، ومعجزة حفظِه ؟ ثم، لئن سلّمْنا بصحّةِ الأحرفِ السبعة ونسبتِها الى النبّي، فلماذا، إذاً، أسقـطَها عـثمـانُ بنُ عَفّـان، ومنعَ تلاوتَها؟ ويؤكّـدُ الطبري ذلك بقـوله: «إنّ الأحرفَ الستة الأخْرى أسقَطَهَا عثمـان، ومنعَ تلاوتَهَا، ولا حاجةَ بنا الى معرفتِها، لأنّ الحكمةَ في جمْع الناس على حرفٍ واحد. والصوابُ ما فَعَلَ عثمان»[٨٧].

٨ . ثمّ لو كانت الأحرفُ السبعة رُخْصَةً نبويّة، فلماذا اقتتلَ الناسُ بسببها؟ ونحن نسـمعُ عن أنَسِ بن مالك هذه الرواية، قـال : «اختلفـوا في القرآن على عـهدِ عثمان حتى اقـتتلَ الغلمان والمعلّمون. فبلغَ ذلك عثمانَ بن عـفّان. فتساءل: «أعندي تَكذِبون به. وتَلحنون فـيه؟! يا أصحـابَ محمّـد! اجتمـعوا، فاكـتبُوا للناسِ إمَـامًا. فاجتَمَعوا فكَتَبوا»[٨٨].

٩ . وأخيـراً لو كانتِ الأحرفُ السـبعةُ مـرخّصَةً من النبيّ، فلمـاذا تخَوَّفَ حُذَيفَة، و«قال لعثمان: أَدْرِكِ الأمّةَ قبلَ أن يختلِفوا اختلافَ اليهودِ والنصارى»[٨٩].

---

(٨٣) تفسير الطبري، ١/ ٤٨ .

(٨٤) تفسير الطبري، ١/ ٤٧ و ٥٣ .

(٨٥) الاتقان ،١/ ٥٩ .

(٨٦) الاتقان، ١/ ٤٥ .

(٨٧) تفسير الطبري، ١/ ٦٦ و ٦٣ .

(٨٨) الاتقان، ١/ ٥٩ .

(٨٩) المرجع نفسه، ١/ ٥٩ .

خامس عشر – ضبط المصحف العثماني : قام من المسلمين مَن قال: «وقعَ في كتابةِ المصاحفِ اختلافٌ كبيرٌ في وضعِ الكلماتِ من حيثُ صناعة الكتابة ورسمها»[٩٠]... إلى أن جاءَ اللَّهُ بالحجّاجِ بنِ يوسف أشهر «دهاةِ التاريخِ العتاةِ الذين يستبيحون جميعَ المحرّماتِ في سبيلِ مآربهم»[٩١].

١ . جاء الحجّاج فأمرَ بضَبْطِ القرآن، وإعجامِ الحروف، وتشكيلِ الكلمات، وإثباتِ القواعد، واستواءِ الكتابة، وتركيزِ الخطِّ والرَّسْم... كلُّ شيءٍ مع الحجّاج أصبحَ مُسْتَقيمًا. فلن يعودَ بعدَ الآن، على ما ظنّ كثيرون، مجالٌ لأيٍّ اختلافٍ في كتابِ اللَّهِ العزيز. إنّ بعضَ الأمورِ، على ما يبدو، لن تستقيمَ بدونِ قوّةٍ وبطشٍ وسلطان. فكانَ الحَجّاج لها.

٢. إنّ الحالة التي وصلَ اليها القرآن، أيّام الحجّاج، تشير إلى فشل. فيها «كَثُرَت التصحيفاتُ وانتشرتْ في العراق»[٩٢]. وفيها "وقَعَ في كتابةِ المصاحفِ اختلافٌ كبيرٌ في وضعِ الكلمات»[٩٣]. وقد عبَّر أحدُ المسلمين عنها بـ «تناقضاتٍ واضحةٍ فاضحة»[٩٤].

٣ . وأعطى أمثلةً على ذلك: «مثْل تحريفِ صيغةِ التوكيدِ الى صيغةِ النفي: «لا أذبحنّه» (٢٧/ ٢١)، ومثل نقصِ الألف وزيادتِها بغيرِ مُوجِب: «وعتو» (٢٥/ ٢١) و «يدعوا حزبه» (٣٥/٦)، ومِثل زيادةِ أحرفٍ ونقصانِها في بعضِ الكلمات دونَ بعض: «من نبإِى المرسَلين» (٦/ ٣٤)، و«سبع سموات ... سموت» (٤١/ ١٢)، ومِثل رسمِ التاءِ مفتوحة في بعضِ الكلمات دون بعض: «نعمت» (٢/ ٢٣١) و «نعمة اللّه» (٥/٧)، كذلك «سنّت اللّه» (٣٥/٤٣) و«سنّة الله» (٤٨/ ٢٣)، ومثل

---

(٩٠) ابن الخطيب، الفرقان، ص٥٧ – ٥٩ .

(٩١) دائرة المعارف الاسلامية ٢/٢١٦.

(٩٢) وفيات الاعيان، ص ١٢٥.

(٩٣) ا بن الخطيب، الفرقان، ص ٥٧.

(٩٤) المرجع نفسه.

إبدالِ السّين صاداً في بعض المواضع: «بسطة» (٤/٨٢) وبصطة» (٧/٦٩)، ومثل حذفِ الألف مِن «قالَ» في بعض المواضع وإثباتها في بعضها الآخر[٩٥].

٤ . «والناظر لهذا الاختلاف، الذي أوردنا بعضَه، يرى أنّ الرسْمَ القديمَ يقلبُ معاني الألفاظ، ويشوِّهُها تشويهًا شنيعاً، ويعكسُ معناها بدرجةٍ تُكَفِّرُ قارئيه، وتحرّفُ معانيه. وفضلاً عن هذا فإنَّ فيه تناقضًا غريبًا، وتنافرًا مُعيباً، لا يمكنُ تعليلُه، ولا يُستطاع تأويله»[٩٦].

٥ . «ولحْنُ الكتّابِ في المصحفِ العثماني أدَّى الى تحريفٍ في الكَلِمِ المُنزلِ: ذلك رأيُ عائشة في قولهِ : «إنّ هذان لساحران» (والأصحّ: هَذين)(٢٠/٦٣)، وفي قوله: «المقيمين الصلاة والمؤتون الزكوة» (والأصحّ: والمؤتين)(٤/١٦٢)، وفي قوله: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون» (والأصحّ: والصابئين)(٥/٦٩).. قالت : «هذا مِنْ عَمَلِ الكُتّابِ أخطأوا في الكتاب».

ورأى سعيد بن جُبير قال : «في القرآنِ أربعةُ أحرف لحْنٍ ... وقد قرأها مستقيمةً بعضُ القراء، مثل أبي عمرو ويعقوب. وسُئِل أَبَّانُ بن عثمان عن «المقيمين»، وما بين يديها وما خلفها، رَفْعٌ وهي نصبٌ؟ قال : «مِنْ قِبَلِ الكَاتِبِ».

٦ . و«كانَ ابنُ عَباس يُبَدِّلُ القراءَة المشهورةَ بقراءته: «حتى تستأنِسوا وتُسَلِّموا» (٢٤/٢٧)، بدلاً من «حتى تستأذِنوا»؛ و«أفلم يتبيّنِ الذينَ آمنوا» (١٣/ ٣١)، بدلاً من «أفلم ييأس»؛ و«وصّى ربُّك» (١٧/٢٣)، بدلاً من «وقضَى ربّك». ويقول: «إنّما هي مِنْ خَطأ الكاتبِ قد كَتَبَها وهو نَاعِسٌ». وكانَ يَقرأ: «مَثَلُ نورِ المؤمن كمشكاةٍ» (٢٤/ ٣٥)بدلاً من «مَثَلُ نورِه». ويقولُ هي خطأٌ مِنَ الكَاتبِ، وهو تَعالى أعظم من أن يكون نورُه مِثلَ نورِ المشكاة». وختَم بقوله : «وممّا لا شكَ فيه أنّ كتّابَ المصاحفِ من البشر يجوزُ ما يجوزُ على سائرِهم من السَّهْوِ والغَفْلَةِ.

---

(٩٥) انظر: ٢٣/١١٢ و ١١٤، ٢١/٥٢ و٥٤ و٥٦ و٦٣.

(٩٦) ابن الخطيب، الفرقان ٧١-٧٢ الفصل كله، عن الحداد ١/٢٤٦ .

والعصمةُ للّهِ وحدَه. وقد اختلفوا في عصمةِ الأنبياء. والقولُ الراجح أنّهم معصومونَ فيما يتعلّقُ برسالاتهم، أمّا ما عداها فشأنُهم كشأنِ بقيّةِ البشر»(٩٧).

٧ . هذه صورةٌ عمّا يُمكِنُ تصوّره. ومَن أرادَ المزيدَ من هذه الصورة فليرجِع، مثلاً، الى كتاب «حجّةِ القراءات» للامامِ أبي زرعة بن زنجلة، وفيه أكثر من ٧٠٠ صفحة في تعدّد القراءات والاختلافات فيها (٩٨).

٨ . أمّا السيوطي فيحصرُ أخطاءَ مصحفِ عثمان في «ستةِ قواعد : «الحذْف، والزيادة، والهمْز، والبَدَل، والفَصْل، والوَصْل»، ويعطينا أمثلةً ضافيةً عن كلِ قاعدة، يبيّنُ فيها ما في المصحفِ العثماني من كلماتٍ كُتِبَتْ بأشكالٍ متعدّدة، خلافًا لما هو في اللغة العربيّة(٩٩).

٩ . وكذلك الحجّاجُ بن يوسف رَفَعَ، في أثني عَشَر موضعًا، كلماتٍ قرأها الصحابةُ بَدَلَ كلمات، مثل: «إيمانهما «بدل» أيديهما» (٥/٣٨)، و«لا تُجزَى نسمةٌ عن نسمة» بدل «لا تُجزى نفسٌ عن نفس» (٢/٤٨)، و«صَفراء لذّة للشاربين» بدل «بيضاء لذة للشاربين» (٣٧/٤٦)، و«ادراس وادراسين» بدل «الياس والياسين» (٣٧/١٢٣)، و«جاءت سكرةُ الحقِ بالموتِ» بدل «وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحق» (٥٠/١٩)، و«صراط مَن أنعمتَ عليهم» بدل «صراط الذين انعمتَ عليهم» (١/٧)، و «الحيُّ القيّام» بدل «الحيّ القيّوم» (٣/٢)، و «للذين يقسمون» بدل «للذين يؤلون» (٢/٢٢٦)، و «اركعي واسجدي مع الساجدين» بدل «واسجدي واركعي مع الراكعين» (٣/٤٣)، و«مثقالُ نملة» بدل «مثقال ذرّة» (٤/٤٠)، و«تزوّدًا وخيرُ الزادِ التقوى» بدل «وتزوّدوا إنّ خيرَ الزاد التقوى» (٢/١٩٧)، وأخيرًا «وشاوِرهم في بعضِ الأمر» بدل «وشاورهم في الأمر» (٣/١٥٩)...

---

(٩٧) ابن الخطيب، الفرقان ٤١ – ٤٥، الفصل كلّه، عن الحداد ١/٢٤٦.

(٩٨) حجة القراءات، للامام ابي زرعة بن زنجلة، تحقيق سعيد الافغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٧٩ .

(٩٩) السيوطي، الاتقان في علوم القران ٢/١٦٦ – ١٧٣ .

١٠ . فبسبب هذا الوضعِ السّيّءِ للمصاحفِ العثمانيّة وسوءِ تلاوتِها، طلبَ زيادُ بن سميّة والي البصرة من أبي الأسود الدُّؤلي النحويّ الشهير أن يضعَ طريقةً لاصلاحِ الألْسنة، وقالَ له: «إنّ هذه الحَمْراءَ قد كَثُرَتْ وأَفْسَدتْ من ألسنةِ العرب، فلو وضعتَ شيئًا يُصْلِحُ به الناسُ كلامَهم، ويُعرِبُون بهِ كتابَ اللّه».

«فأَبَى أبو الأسود، أولاً، لبعضِ أسبابٍ كان يراها. فأمرَ زيادُ رجلاً أن يقْعُدَ في طريقِ أبي الأسود؛ فلمّا قاربَه رفَعَ صوتَه بالقراءةِ كأنّه يقصُدُ إسماعَ أبي الأسود، وقرأ : «إنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المشركينَ ورسولِهِ» (٩/٣)، (بِكَسْرِ اللام). فأعظمَ ذلك أبو الأسود، وقال : «عزَّ وجهُ اللّهِ أنْ يبرأَ منِ رسولِه. ثمّ رَجَعَ من حينِه إلى زياد، وقالَ له: «قد أَجَبْتُكَ إلى ما سألْتَ، ورأيتُ أن أبْدَأَ بإعرابِ القرآن»[١٠٠].

١١ . ولكن، بالرغم من هذه الرواية، يختلفُ الناسُ في مَنْ بدأ بضبطِ المصحف. أهوَ أبو الاسود الدؤلي، أم الحسنُ البصري، أم يحي بن يعمر، أم نصر بن عاصم اللّيثي[١٠١]؟. اللهُ أعلم. وفي كلِ حال، جرَى الاصلاحُ، وقام على وَضعِ النقَطِ فوقَ الحروفِ المتشابهة، والشَكْلِ فوقَ الحروفِ لتعيينِ مواقعِ الكلمات، ووضعِ الهمزِ والتشديدِ والرّم (أي السكون) والإشمامِ[١٠٢]، ورسْمِ الخطِ وحروفِ العلّة... وغيرِ ذلك.

١٢ . ومع هذا بقيَ في القرآنِ كلماتٌ لم يُجْرَ عليها إصلاح، وكلماتٌ أُصلحَتْ في مكانٍ وَبقيتْ كما هي في مكانٍ آخر. فتجدُ مثلاً: كافرون وكفرون، وأنهار وأنهر، وأطيعونِ وأطيعوني، وسموات وسموت... وَيُعَدُّ هذا الشذوذُ بالآلاف. لعلّ التصحيحَ توقّفَ في منتصف الطريق؟ أو لعلّ في القرآنِ لغتَين :

---

(١٠٠) الزركشي، البرهان ١/ ٢٥٠ -٢٥١، الزنجاني، تاريخ القرآن ٨٧ ...

(١٠١) السيوطي ٢/ ١٧١. انظر في سيرة هؤلاء الرجال : وفيات الاعيان٢/ ٢٢٦، وغاية النهاية ٣٨١، وسيرة النبلاء ٤/ ٢٥١ وغيرها...

(١٠٢) الإشمام هو "الإشارة إلى الحركة بالشفة من غير تصويت، وذاك بأن تُضمّ الشفتان بعد الإسكان في المرفوع والمضموم من غير صوت" (المنجد).

حجازيّة ونجديّة؟ أو لعلّ قدسيّةَ الحـرف أوقفتْ حماسةَ المصلحين! والمعروفُ عن ابنِ مسعود أنّه كان يقولُ: «جرّدوا القرآنَ ولا تَخلِطوه بشيء».

١٣ . ولخـشيــة المسلمين في زيادة شيءٍ على القـرآن، اعتـمدَ المصلحـون اسـتعـمالَ الألــوان: فكانَت الحركـاتُ والتنوينُ والتـشـديدُ والسكون والمدُّ باللّون الأحمر، والهـمزاتُ باللّون الأصفر. وأمّا الشّكلُ فكان نقَطًا: ألفـتحةُ نقطة على أوّلِ الحرف. والضمّةُ على آخِرِه، والكسرةُ تحت أوّلِه». وعندما جاء الخليل «جعلَ الفتحَ شكلةً مسـتطيلةً فوق الحـرف، والكسرَ كـذلك تحتَه، والضمَّ واو صُـغرى فـوقه، والتنوينَ زيادة مثلها»[١٠٣].

١٤ . ومن ناحـيةِ السُّـوَر، لم يكنْ يفصلِ بين سـورةٍ وسورةٍ إلاّ فـسحـةٌ بيـضاء أو دائرةٌ مزركـشة، دونَ عنوانٍ لـها[١٠٤]. ولكن، في المخطوطاتِ الكوفـيّة، أصبحَ عنوانُ السـورةِ في الدائرة. وهو، كمـا يبدو، أُضيفَ إليـها فـيما بعـد. وقد أخـرجَ ابنُ أبي داود عن النخعي أنّه كـانَ يكرَهُ أن يكتبَ في المصـحفِ سورَة كـذا وكذا. وكـذلك الحليمي يكـرهُ كتابَة أسـماءِ السُـوَرِ وعددِ الآياتِ وكـتابةَ الأعـشارِ والأخماسِ والفَوَاتِحِ والخواتمِ[١٠٥]...

١٥ . ويبدو أيضًـا أنّ المصاحفَ الحجـازية لا تتضمّنُ أرقـامَ الآيات، مثل مخطوطِ المكتـبةِ الوطنيـة بباريس رقم ٣٢٨، في حين تتضمّنهـا مخطوطتا ٣٢٦ و٣٢٤ . وفي البدءِ كـان يفصلُ بينَ الآيةِ والآية خطٌّ مـنحرف، وفيـما بعـد فصلتْ بزخرفةٍ على شكلِ زهرة، وكانتْ غالبَ الأحيـانِ مذهّبةً. كما كان يوضَعُ بين أوراقِ المصحفِ أوراقٌ من زهرِ الورد، إذ «يُستَحّب تطييبُ المصحف»[١٠٦].

---

(١٠٣) أنظر السيوطي، ٢/ ١٧١ .

(١٠٤) ابن ابي داوود، كتاب المصاحف، ص١٥٨ .

(١٠٥) السيوطي، الاتقان ٢/ ١٧١ . الاعشار والاخماس أي تقسيم الآيات إلى ١٠ و ٥ .

(١٠٦) المرجع نفسه ٢/ ١٧٢، انظر المحكم، ص١٥ .

سادس عشر – رخصة قراءات القرآن: قَضى الحَجّاج، وفي ظنِّه أنّ كلَ خلافٍ حولَ المصحف قد حُلَّ من جذوره. ولكنَّ الناس، بعد موته، عادوا إلى ما كانوا عليه من خلاف. والخلافُ، الآن، يقوم على قراءةِ مصحفِ الحَجّاجِ نفسه، أي على كيفيّةِ قراءته. وكانَ كلُ قارئ يقرأُ القرآنَ بحسبِ ما نشأ عليه، لا بحسبِ ما جرى الإصلاح فيه.

١ . «وتدور هذه الخلافات على الأغلب في النطاق التالي : ١ – مخارج الحروف، كالترقيق، والتفخيم، والمَيلِ الى المخارج المجاوِرَة، كنطقِ الصراطِ بإمالَةِ الصّاد الى الزّاي؛ ٢ – والإداء، كالمدِّ، والقصرِ، والوقفِ، والوصلِ، والتسكينِ، والإمَالَة، والإشْمَام؛ ٣ – والرّسم، كالتشديدِ والتخفيف، مثل «يُغشَى ويُغَشّى»، «فُتِحَت وفُتِّحت»؛ والإدغام والإظهار، مثل «تَذَكَّرون وتتذكرون»؛ والهمز ومدّ الألف، مثل «مَلكِ ومالك»، «مَسَجِد ومساجد»، لتحمّلِ الرّسمِ النطقَين؛ ٤ – والتنقيط، والحركات النحويّة، مثل «يفعلون وتفعلون»، «أرجلَكم وأرجلِكم»، مثلاً»[١٠٧].

٢ . أمّا الشروط التي حدّد بها المسلمون صحّة القراءة، منعًا لتفاقمِ الخلاف، فأربعةٌ : ١ – التواترُ، ٢ – وموافقةُ قواعد اللغةِ العربيّة، ٣ – ورسمُ المصحف العثماني، ٤ – وصحّةُ سَنَدِ القراءة الى أحدِ قرّاءِ الصحابة.

٣ . أمّا القرآءات فهي تختلف من حيثُ انتماء أصحابها إلى العواصم الإسلاميّة الكبرى، كما تختلف من حيث عددها. فمنهم مَن قال بسبعِ قراءاتٍ ومنهم بعشرٍ، ومنهم بأربعَ عشرة.

وشيخ القرّاء في المدينة كان «نافع المدني» (ت ١٦٩هـ) ، وفي مكّة «ابن كثير» (ت ١٢هـ)، وفي البصرة «زبان بن العلاء المازني» (ت ١٥٤هـ)، وفي الشام «ابن عامر الدمشقي» (ت ١٨هـ)، وفي الكوفة «عاصم بن أبي النجود» (ت

---

(١٠٧) محمد عزّة دروزة، القرآن المجيد، ص ١٣٦.

١٢٧هـ)، وهكذا الى آخرهم، كما هو معروف في الكتب. ومَن أرادَ معرفتهم بالتفصيل فليقرأ مثلاً كتابَ «حجّة القراءات» للإمام أبي زرعة بن زنجلة[١٠٨]..

٤ . «هذا غيرُ قراءاتٍ أخرى لا عدادَ لها سُمّيت «شاذّة»، لشذوذها عن اللّغة، وعمّا أجمعَ عليه المسلمون، ولتغييرِها للألفاظِ والمعاني في كثيرٍ من المواضع.

٥ . وقد بلغَ من هذه القراءاتِ والاختلافاتِ أنّ الآيةَ الواحدةَ، التي لا يَختَلفُ في النطقِ بها ولا في معناها، إثنان، قد يَبلغُ الاختلافُ في روايتها إلى عشرينَ، أو ثلاثينَ، أو أكثر من ذلك. وقد بلغتْ هذه الطرق تسعماية وثمانين طريقًا للقراءاتِ العشر فقط»[١٠٩].

٦ . وثمّة أمثلة في اختلاف القراءات: ففي سورة الفاتحة مثلاً، هذه القراءات: «الرَّحيم. مالِكِ يومِ الدِّين» (١/٣-٤)، وذلك بإظهار الميمَين، خلافاً لمن أدغمهما؛ و«مَلِكِ» بدون ألف، خلافاً لمن قرأها «مالك» بالألف؛ و«الصراط» بالسين، خلافاً لمن قرأها بالصاد؛ و«عَلَيْهِمْ» بكسر الهاء، خلافاً لمن ضمّها، وبصلة ميم الجمع خلافاً لمن أسكنها.. إلخ.

ومن أمثلة ذلك أيضاً، قوله: «فتَلَقَّى آدمُ مِن ربِّه كلماتٍ» (٢/٣٧)، بنصب «آدمَ»، ورفْع «كلمات» لابن كثير؛ وقوله: «وَلا يَخافُ عُقْباها» (٩١/١٥)، بـ «الفاء» مكان «الواو» في «وَلا»، لنافع وابن عامر وأبي جعفر؛ وقوله: «ولا يُقْبَلُ منها شفاعةٌ» (٢/٤٨ و٥٨)، بـ «التاء»: «وَلا تُقْبَلُ»؛ وقوله: «فَرِهَانٌ مَقْبوضةٌ» (٢/٢٨٣)، بدون «ألف»، وبضمّ «الراء».. إلخ.

٧ . ومعلوم أنّ الإسلام في امتداد، والقرّاء في ازدياد. وللقراءات فوائد كثيرة في مجالات عديدة؛ إذ هي، في قراءة، تضيف معنى جديداً عمّا هي في قراءة

---

(١٠٨) انظر: صفحة ٥١ – ٧٣ حيث تجد سيرة كل قارئ مع تلاميذه.

(١٠٩) انظر: الحداد، القرآن والكتاب ١/ ٢٥١، عن الفرقان لابن الخطيب.

أخـرى، مثل قـوله: «مـالِك» و«مَلِك» (٦/١)؛ أو قـوله «ذو العـرشِ المجيـدُ» و«ذو العرشِ المجـيدِ» (١٥/٨٥)؛ وقـوله: «وما هو على الغـيبِ بضَنِينٍ» و«ظنينٍ» (٨١/ ٢٤)؛ وقوله: «ولكلٍّ وِجهـةٌ هُوَ مُوَلِّيها»، و«مـولاها» (١٤٨/٢)؛ وقوله: «واتَّخَذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصلًى» (١٢٥/٢)، بفـتح الخاء تفيد الإخبار؛ أو بكسرها فـتفيد الأمر.. إلخ.

ومن أجل هذا كـان اتّفاق المـسلمين اليوم بأن يـتولّى السـهـر على طباعـة المصـحف ونشره لجنة «الـدّفاع عن القـرآن»، وهي تعمـل بسـهـرِ خادم الحـرمَين وإدارته وتمويله ومراقبته وملاحقته كلّ مخالف.

سابع عـشر - المُحْكَم والمُتَشَـابِه في القرآن : ١ . لم يقتـصر الخلافُ في القراءاتِ وحسب، بل تعدّاها إلى معنى الآياتِ وكيفيّـةِ فهمِها. ومن هذا القبيل قالوا بـ «المُحْكَم والمُتَشَـابِه» في القرآن. وهذا يعتـمدُ على ما جـاء في الكتاب: «هو الذي أنزلَ عليكَ الكتاب، منـه آياتٌ مُحْكَمَات هُنَّ أمُّ الكتـاب، وأُخَر مُتَشَـابِهَات» (٧/٣). وقامَ من بين المسلمين مَن قال : «إنّ القرآنَ كلُّه مُـحكَم، لقولِه تعالى: «كتابٌ أُحكمَتْ آياتُه» (١/١١). ومَن قال: كلُّه متشابِه، لقولِه تعالى: «كتابًا مُتَشَابِهًا مثاني» (٣٩/ ٢٣).

٢ . المحكم هو: الحكم الشرعي الذي لم يتطرّق إليـه النسخ؛ أو هو: ما ورد من نصوص الكتاب أو السنّة دالاً على معناه بوضوح لا خـفاء فيه؛ أو هو: ما عُرف المراد منه إمّا بالظهـور وإمّا بالتأويل؛ أو هو «ما استـأثرَ اللّهُ بعلمِه، كقيـام الساعة وخروجِ الدجّالِ والحروف المقطعة في أوائل السور»، أو «هو الذي يخلو من الدلالةِ الراجـحـةِ على مـعناه»، أو أيضـاً: «مـا لا يُدْرَك إلاّ بالتـأويل»[١١٠]؛ أو هو: الذي لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً من التأويل؛ أو هو: ما استقلّ بنفسه ولم يحتج إلى بيان؛ أو هو أخيراً: مـا كانت دلالته راجحـة وهو النصّ والظاهر. وقيل : المحكم هو الناسخ. وقيل: المحكم ما أجمع على تأويله.

---

(١١٠) انظر السيوطي، ٢/٢ .

٣ . والمتشابِه هو : الملتبس بغيره لمشاكلته له في بعض أوصافه؛ أو هو: ما أُشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللّه أو من حيث المعنى؛ أو هو: ما لا ينبئ ظاهره عن مراده. واختلفَ المسلمون في مَنْ يعرفُ المتشابِه: أهوَ اللهُ وحدَه، من قولِه تعالى: «لا يعلمُ تأويلَه إلاّ اللّه»؛ أم يعلمُه أيضاً «الراسخون في العلم» ؟ وقيل: المتشابه هو المنسوخ؛ وقيل: المتشابه ما اختُلف فيه.

٤ . والواقع إنّ أمورًا متاشبهة يعرفُها اللهُ وحده، وأمورًا يعرِفُها العلماءُ الذين يعتمدون على الاجتهادِ والتأويل. وما لا يعلمُه العلماءُ مثلاً: علمَ الساعةِ واليومِ الأخير، وذاتِ اللّه، وخروجِ الدابّة، وعلمَ ما في الأرحامِ، ومعرفةَ المستقبل وساعةِ الموت (٣١/ ٣٤).. كلّها منوطٌ باللّهِ وحدَه.

٥ . أمّا ما يمكن للعلماءِ معرفتُه فقد اختلفوا فيه : اختلفوا في صفاتِ اللّه التي تشبّه ذاتَ اللّهِ بالبَشر، كقوله: «الرحمنُ على العرشِ استوى» (٢٠/ ٥)، و«يبقى وجهُ ربّك» (٥٥/ ٢٧)، ويدُ الله فوقَ أيديهم» (٤٨/ ١٠)، وغيرها. فمنهم مَن آمنَ بها كما هي، وفَوَّضَ معرفتَها الى اللّهِ ، كقولِ الإمامِ مالك عن الاستواء في آية «الرحمن على العرش استوى»، فقال: «الاستواءُ معلوم، والكيفُ مجهول، والسؤالُ عنه بدعة، وأظُنّك رجلَ سوءٍ. أُخرِجوه عنّي»[١١١].

ومنهم من ذهبَ في تأويلِها حتى يليقَ معناها بذاتِ اللّه، فـفسّروا مثلاً «الاستواء» بالعلوِّ المعنوي بالتدبير من غير معاناة[١١٢]، و «الوجه» هو ذات اللّه[١١٣]. و«اليد» قدرتَه[١١٤]. واختلفَ هؤلاء في التأويل، ونشأت عن خلافهم الفِرَقُ في الإسلام، فكانتِ الجَهْمِيَّةُ والجَبرِيَّةُ والقَدَرِيةُ والمعتزِلةُ والصفاتية وعلماءُ الكلام على اختلافِ أنواعهم، وغيرُهم...

---

(١١١) السيوطي، الاتقان ٢/ ٦ .

(١١٢) المرجع نفسه ٢/ ٧، البرهان ٢/ ٨٠ – ٨٢ .

(١١٣) المرجع نفسه ٢/ ٧، البرهان ٢/ ٨٢ .

(١١٤) الاتقان ٢/ ٧ و٨ .

٦. أمّا نسبة المتشابه بالنسبة إلى المحكم من نصوص الشريعة فقليل، لقوله: «هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ، منه آياتٌ مُحكماتٌ هُنَّ أمُّ الكتاب. وأُخَرُ متشابِهات» (٣/٧)؛ ولو كان المتشابه كثيراً لكان الالتباس والإشكال كثيراً، وعند ذلك لا يُطلق على القرآن أنّه بيان وهدًى؛ ولقوله: «كتابٌ أُحكِمَتْ آياتُه ثمَّ فُصِّلَتْ من لدُن حكيمٍ خبير» (١١/١)؛ وقوله: «تلك آيات الكتاب الحكيم» (١٠/١)؛ وقوله: «اللّهُ نزَّلَ أحسن الحديثِ كتاباً متَشابِهاً (أي يشبه بعضه بعضاً)» (٣٩/٢٣). والتشابه لا يقع في القواعد الكليّة، ولكن يقع في الفروع الجزئيّة.

٧. والحكمة من وجود المتشابِه في القرآن هو:

١ – في تدريب العقول على التأمّل والنظر

٢ – وليعلم العبد هل هو مؤمن، أم هو لا يزال في الطريق إلى هذا الإيمان؛

٣ – أنّ اللّه أراد بذلك إظهار تشريف العلماء بتمييزهم على غيرهم؛

٤ – ترتّب إستحقاق الثواب على التسليم به، أو تعب الفكر في فهمه؛

٥ – أن يصير المتشابه سبباً لاعتراف الإنسان بعجزه ومعرفة نقصه؛

٦ – أن يصير الناس إلى اتّباع الأنبياء وأُولي الأمر الذين حثَّ على اتّباعهم، وذلك فيما يشتبه أو يلتبس عليهم، قوله: «ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى أُولِي الأمرِ منهم لَعَلِمَهُ الذين يَستَنْبِطونَه منهم» (٤/٨٣).

٨. إلاّ أنّ مسلمي اليوم يرون في وجودِ المتشابِه حكمةً ما بعدَها حكمة، فيقولُ الشيخ الدكتور صبحي الصالح مثلاً : «لعلَّ اشتمالَ القرآن على المتشابِه وعدمِ اقتصارِه على المُحْكَمِ وحدَه، أن يكونَ حافزًا للمؤمنين على الاشتغالِ بالعلومِ الكثيرةِ التي تُقَدِّرُهم على فَهْمِ الآياتِ المتشابِهات، فَيَتَخلَّصونَ من ظلمةِ التقليد، ويقرؤونَ القرآنَ متدبِرينَ خَاشِعين»[١١٥]. لكنَّ هذا التصرّف الإلهيّ فيه مَكْرٌ أكثر ممّا فيه حكمة؛ «واللّه خيرُ الماكرين» (٣/ ٥٤؛ ٨/ ٣٠).

---

(١١٥) الشيخ صبحي الصالح، مباحث... ص ٢٨٦، عن البرهان ٢/ ٧٥ .

٥ . وبمعنى التبديل والتحويل فقد جاء في قوله: «وإذا بَدَّلْنا آيةً مكانَ آيةٍ، واللّهُ أعلَمُ بما يُنَزِّلُ. قالوا: إنّما أنتَ مُفتَرٍ. بل أكثرهم لا يَعلمون» (١٦/١٠١).

٦ . أمّا النسخ، بمعنى الرفْع والإزالة، فهو المقصود في بحثنا. وهو لا يقع إلاّ في الأحكام الشرعيّة العمليّة الثابتة بالنصّ. لهذا:

١ – لا نسْخ في الأمور الاعتقاديّة المتعلّقة بذات اللّه، وصفاته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخِر.

٢ – ولا نسخ أيضاً بما أخبرَنا اللّه عنه أنّه سيكون، أو أنّه كان، أو وعَدَنا به، أو قصّ علينا من أخبار الأمم الماضية، وما قصّ علينا من أخبار الجنّة والنار، والحساب والعقاب، والبعث والحشر، وخلْق السموات والأرض، وتخليد المؤمنين في الجنّة والكفّار في النار.

٣ – ولا نسخ في الأصول الأخلاقيّة؛ ولا في أصول العبادات والمعاملات؛ ولا في الخبر الصريح.

وباختصار لا نسخ في الأصول بل في الفروع، التي تشمل: الأحكام، والفرائض، والأوامر، والنواهي، والحدود، والعقوبات، وغيرها من أحكام الدنيا.

٧ . وينقسم النسخ ألى ثلاثة أقسام:

١ – ما نسخت تلاوته وبقي حكمُه: فقد روي أنّه كان في سورة النور آية، ثمّ نُسخت تلاوتها، وبقي حكمها، وهي: «الشيخُ والشيخة، إذا زنيا، فارجموهما البتة نكالاً من اللّه». وروي أنّ عمر قال: «لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب اللّه لكتبتُها بيدي».

٢ – ما نُسخ حكمه وتلاوته معاً، كآية التحريم بعشر رضعات فنسخن بخمس. هذه الخمس غير متلوّة في القرآن، وحكمها غير واجب.

٣ – ما نُسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهو كثير في الكتاب والسنّة، ومن أجله صنِّفت الكتب...

ثامن عشر – النّاسخ والمنسوخ في القرآن : ١ . النسخ هو «رفْع الحكم الشرعي بدليل شرعيٍّ متأخِّر». ويُجمع المسلمون على جوازه، إذ لو لم يكن جائزاً لما ثبتت رسالة محمّد إلى الناس كافّة، بنسخ الشرائع السابقة وإحلال شريعة الإسلام محلّها.

٢ . والنسخ، بهذا المعنى، وقع في الشرائع الأولى. ومن أمثلة ذلك: إنّ اللّه أمرَ إبراهيم بذبْح ابنه، ثمّ قال له: لا تذبحه؛ ثمّ إنّ الجمع بين الأختَين كان مباحاً في شريعة يعقوب، ثمّ حُرِّم في شريعة موسى؛ والطلاق كان مباحاً في شريعة موسى، ثمّ جاءت شريعة عيسى فحرّمته.. إلخ.

٣ . وكذلك ورد في القرآن:

١ – في قوله: «يمحو اللّهُ ما يشاءُ ويُثْبِتُ. وعندهُ أُمُّ الكتاب» (١٣/ ٣٩)، ومعناه هنا: الرفع والإزالة؛

٢ – وقوله: «ما نَنْسَخْ من آيةٍ، أو نُنسِها، نأتِ بخيرٍ منها، أو مِثْلِها. ألمْ تعلَمْ أنَّ اللّهَ على كلِّ شيءٍ قدير» (٢/ ١٠٦)، فهذا نصّ ظاهر في جواز نسخ القرآن بالقرآن؛

٣ – وقوله: «ومَا أرسَلْنا من قَبلِكَ مِن رسولٍ ولا نبيٍّ إلاّ إذا تمنَّى ألقَى الشيطانُ في أُمنيَّتِه فيَنسَخُ اللّهُ ما يُلقي الشيطانُ، ثمّ يُحكِمُ اللّهُ آياتِه. واللّهُ عليمٌ حكيم» (٢٢/ ٥٢)؛

٤ – وقوله: «لكُلٍّ جَعَلْنا مِنكمْ شِرْعَةً ومنهاجاً» (٥/ ٤٨)، أي إنّ شريعة كلّ رسول نسَخَتْ شريعةَ مَن كان قبلَه، وإلاّ لما تكلّفَ اللّهُ إرسالَ رسول؛

٥ – وقوله: «سَنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى إلاّ ما شاءَ اللّهُ» (٨٧/ ٦–٧)، أي إنّ اللّه شاء أن ينسى ما قضى بنسخه ورفْع حكمه وتلاوته.

٤ . والنسخ بمعنى النقل فقد جاء في قوله: «هذا كتابُنا يَنطِقُ عليكم بالحقِّ. إنَّا كنَّا نَستَنسِخُ ما كنتم تَعلمون» (٤٥/ ٢٩)، أي: ننقله بعناية ودقّة، ونثبته في كتابٍ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها.

والحكمة في نسخِ الحكم وبقاءِ التلاوة هي تذكير بنعمة اللّه، إذا كان الحكم المنسوخ أشدّ؛ وانصياع وتسليم لمشيئة اللّه، إذا كان الحكم المنسوخ أخفّ. والحكمة أيضاً إنّما تكون في تلاوة الآيات المنسوخة أحكامها تعبّدٌ وأجْر عند اللّه.

٨ . والحكمة من النسخ هو أنّ اللّه راعى في الشرائع طبيعة كلّ قوم، والمراحل التي يمرّون فيها، والمصالح التي تخصّهم، ومن ثمّ كان لا بدّ من اختلاف الشرائع باختلاف الأقوام والأزمنة والأمكنة: «لكلٍّ جَعلْنا مِنكمْ شِرعَةً ومِنْهاجاً. ولو شاءَ اللّهُ لجَعَلَكمْ أُمَّةً واحِدَةً» (٥/٤٨). وبناء على ذلك كانت الشرائع اللاحقة تنسخ بعض أحكام الشرائع السابقة.

٩ . ولمّا جاءت شريعة محمّد جاءت للناس كافّة، ومن هنا كانت ناسخة لكلّ ما تقدّمها من الشرائع، التي لم يعدْ لها ما يستدعي بقاءَها بحال، فجاءت جامعة، في معتقد المسلمين، لأصول الشرائع كلِّها، تصحّح المعتقد، وتردّ الناسَ إلى فطرتهم التي فطرهم اللّه عليها (ر: ٣٠/٣٠)، وتلائم ظروفهم المعيشيّة، وتلبّي مطالبَهم الدنيويّة والأخرويّة..

١٠ . فالنسخ نوع من التدرّج في التشريع، روعي فيه مصالح العباد في العاجل والآجل. فإنّ من الأمور التكليفيّة ما يصلح في وقت دون وقت، وفي حال دون حال، فأخذ اللّه عباده بالحكمة، فوضع لهم من التشريعات ما يناسبهم على اختلاف درجاتهم وبيئاتهم وأحوالهم[١١٦].

تاسع عشر – الوجوه والنظائر في القرآن : ١ . قال ابن الجوزي: «إعلم أنّ معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذُكرتْ في مواضع من القرآن على لفظٍ واحد، وحركةٍ واحدة، وأُريد بكلٍّ مكان معنًى غيرَ الآخَر. فلفظُ كلٍّ كلمة ذُكرتْ في موضع نظير للفظِ الكلمة المذكورة في الموضع الآخَر. وتفسير كلّ كلمة بمعنًى غير معنى الأخرى هو الوجوه. فالنظائر إسم للألفاظ، والوجوه إسم للمعاني»[١١٧].

(١١٦) د. محمّد بكر إسماعيل، مادّة: النسخ، في الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص ٦٣٢–٦٥٠.
(١١٧) إبن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمّد عبد الكريم كاظم

٢ . هذا العلم يكشف عن مراد اللّه من كلامه العزيز في مواضعه المختلفة بحسب ما يؤدّي إليه سوابق الكلام ولواحقه، إذ لكلّ لفظٍ في موضع قد يختلف عن مثله في موضع آخَر.. لهذا، فإنّ معرفة الوجوه والنظائر في القرآن لهي وسيلة من أعظم الوسائل لفهم معاني القرآن وفقه مقاصده ومراميه.

عشرون – بلاغة القرآن : ١ . إسم من بَلَغَ، ومعناه، لغةً: الوصول والانتهاء ومشارفة الغاية؛ واصطلاحاً: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

٢ . وعلم البلاغة ثلاثة فروع :

١ – علم المعاني، وهو يبحث في أنواع الجمل المختلفة واستعمالها، وتُعرف به أحوال اللّفظ العربي من حيث مطابقته لمقتضى الحال؛

٢ – وعلم البيان، وهو يعلّم الإنسانَ صناعةَ الكلام الفصيح من غير إبهام، ويُعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة، ومباحثه التشبيه والمجاز والاستعارة والتعريض والكناية؛

٣ – وعلم البديع، وهو يبحث في تحسين الكلام، ويتناول عدداً كبيراً من صور القول، كالإطناب والقلب والاستخدام.

٣ . جاء القرآن بمعجزة بلاغية تحدّى الأنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

٤ . «رغم تعدّد أوجه الإعجاز في القرآن يظلّ إعجازه البلاغيّ، أو البياني، أهمّ جانب من جوانب إعجازه؛ لأنّه الواضح بالنسبة للعرب، ولأنّه هو الذي شدّ العرب منذ أوّل نزوله وحيّرهم. ويتفرّع عن هذا الوجه وجه آخر اعتبره بعضهم وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز، وهو تأثيره في النفوس وفعله في القلوب وروعته في السمع. وقد أشار تعالى إلى شيء من هذا في قوله: «لو أنزَلْنا هذا القرآن على جبلٍ لَرَأيتَه خاشعاً مُتصَدِّعاً من خَشْيةِ اللّه» (٥٩/ ٢١)، وفي قوله:

الراضي؛ مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م. ص ٨٣.

«تقشَعِرُّ منه جلودُ الذينَ يَخشَونَ ربَّهم ثمّ تَلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكرِ اللّه» (٣٩/٢٣)، وقوله: «إذا تُتلى عليهم آياتُ الرحمنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكِيًا» (١٩/٥٨).

٥ . وصدق ابن حزْم حين رفض عقد أيّة مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة أيّ مخلوق على وجه الأرض؛ لأنّ القرآن قد حقَّق أعلى درجات البلاغة التي لا شيء فوقها، وليس هو في أعلى سُلَّم البلاغة في كلام المخلوقين؛ لأنّه ليس من نوع كلامهم، لا من أعلاه، ولا من أدناه، ولا من متوسّطه..»(١١٨).

٦ . **من أوجه البلاغة** في القرآن :

١ – **الإطناب**، وهو الإكثار والتطويل والمبالغة والإسهاب والزيادة في المعنى أو في اللفظ؛

٢ – **التّتميم**، وهو زيادة الناقص ليكون تامًّا؛ واصطلاحاً: أن توفي المعنى حقّه وتعطيه نصيبه من الصحّة؛

٣ – **التشبيه**، وهو لتقريب الصورة، وشدّة إيضاحها، وتيسير إدراك جمالها؛

٤ – **الإيجاز**، وهو قلّة الألفاظ مع كثرة المعاني؛

٥ – **الاستعارة**، وهي «تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»(١١٩)؛

٦ – **الكناية**، وهي لفظ أريد به لازم معناه. وليس هناك ما يَمنع أن يُراد به، إلى جانب ذلك، معناه الحقيقي؛

٧ – **التعريض**، و هو لفظ استُعمل في معناه للتلويح بغيره؛

٨ – **البديع**، وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام.

(أطلب مادّة: **مآخذ على بلاغة القرآن**).

---

(١١٨) فكرة إعجاز القرآن للحمصي، ٨٢.

(١١٩) البيان والتبيين، ١/١٥٣ و٢٨٤.

واحد وعشـرون – الإقْحَام: وقامَ أيضاً من بين المسـلمين ممّن يتعرّض للقرآنِ، بعـدَ إصلاحه وجـمعِه وضـبطِه، ويعتبـره مليئاً بالتـحريفِ والتصـحيفِ والتبـديلِ والإقحامِ والزيادةِ والنقصـان.. فكان مَنْ قَبِلَ بالقرآن على وجوهـه، كما كان مَنْ رَفَضَ منه كثيرًا من السور والآيات والألفاظ:

١ . فـالمعـتـزلة، التـي ترى في اللّهِ الصـلاحَ المطلق، تـرفضُ أن يكونَ في القرآنِ شـتائمَ ولعنات، كمـا هو الحال في عَدَاوة الـنبي محمّـد وأبي لهب وأمرأتِه حمّالة الحطب، والوليـدِ، وأبي جهل، وغيرهم[١٢٠]. فهذه الشـتائم لا تليق بالوحي بحـالٍ من الأحوال، فـرفضـها المعـتزلة، وقـالوا بأنّ اضافـاتٍ بشريّةً حـدثتْ في القرآن[١٢١].

٢ . والعَجـارِدَة، من الخوارج، أنكرتْ أن تكونَ سـورةُ يوسف من القرآن، وتقولُ بانّ هذه السّورة، في حقـيقتها، قصّةٌ غـراميّةٌ لا تليقُ بالوحي، ولا يُعْقَلُ أن تكونَ من صلبِ القرآن[١٢٢] فهي بالتالي إضافةٌ بشريّةٌ على كلامِ اللّه.

٣ . والعُبَادِيّة يشتكون من عثمان ويتّهمونَه بتصحيف القرآن وتحريفِه من أجلِ غاياتٍ سياسيّةٍ معروفة[١٢٣]. وكذلك بعضُ شيعةِ عليّ وقد كانوا أكثرَ هجوماً على القـرآن، واتهّمـوا عـثمـانَ بحـذفِ كلّ ما يمتّ إلى عـليٍّ بنِ أبي طالب بصلة، وأوجدوا لذلك تعبيرَ «التبديل في القرآن»[١٢٤].

٤ . أمّا اليـوم فنحن نسـأل حـفَظَةَ القرآن عن تبديـلِ الآياتِ الذي جرى في السُوَر: فلماذا وُضعتْ، مثلاً، آية ٦١ في سورة ٢٤ في الموضِع الذي هي فيه، فيما هي في السورة ٤٨ آية ١٧ في مكان آخـر؟ ويبدو أنّ هذه الأخيـرة هي الأصح!!!

---

(١٢٠) Goldziher, Dogme, p. 163

(١٢١) Nöldeke, Geschichte des Qorans, II, 94

(١٢٢) انظر الشهرستاني، الملل والنحل ٩٥، Goldz., Dogme, 162.

(١٢٣) Massignon, Hallaj, 242 et n° 7.

(١٢٤) Nöldeke, G.d.Q. II., 94.

ولماذا آية ٤ في سورة ٧٠، وهي بدون نظم ولا قافية، بل لكأنّها تفسيرٌ للآية السابقة!!! وكذلك آية ٣٨ في سورة ٤٢ فهي إقحام على النّصّ زادها عثمان لتبريرِ خلافته على حسابِ علي[١٢٥]. وكذلك آية ١٤٤ في سورة ٣، فهي أيضًا مقحمة، لا محرّفة فقط، كما يدّعي «دِي سَاسِي» و «وِيل».

٥ . ثمّ لئن كانتْ سورةُ «النّورَين» شيعيّةً لا يُعْتَدُّ بأصَالَتِها، فإنّ سورتَي «الحَفْدِ» و «الخَلْع»، الواردتَين في مصحَفَي أُبَيّ بن كعب وابن مسعود، لماذا لا يُظَنُّ بزيادتِهما، وأصحابُهما من خِيرةِ القرّاء، ومن أجلّ الصحابة؟! ثمّ إنّ آيَةَ الرجمِ، وقد أكّدَها عمر وحدَه، هل يؤخَذُ بها، والشاهدُ عليها رجلٌ واحدٌ، فيما اتّفقَ المسلمون على وجوب إثباتِ الآيةِ من شهودٍ عديدين؟! إلخ.

إثنان وعشرون – لُغَة القرآن : في معتقد المسلمين، إنّ القرآن نزلَ بلفظِه وحرفِه ومعانيه، أي نزلَ بلغتِه وأسلوبِه وعلومِه. إلاّ أنّ منهم من يقولُ بانّ اللهَ أنزلَ المعنى على جبريل، وجبريل لَقّنَه محمّدًا بلغته وأسلوبه المَلَكيِّين؛ ومنهم من يقولُ بانّ النبيّ صاغَ معانيه بلغتِهِ وأسلوبه المُضَرِيِّين؛ ومنهم مَن يقولُ بانَ اللّهَ صاغَه بلغتِه وأسلوبه الإلهيِّين.

١ . هذا الخلاف، على قِدَمِه، لا يُعْتَدُّ به، لأنّ ما في القرآن هو من عندِ اللّه، بل كلّه من عند اللّه: «كلٌّ من عند ربّنا» ٣/ ٧؛ رَ:٢٨/ ٥٣)، لا اختلافَ فيه (٤/ ٨٢)، ولا عِوَج (٢٠/ ١٠٧)[١٢٦]؛ ولا يسعُ أحداً أن يبدّلَ فيه حرفًا واحدًا، اذ «لا تبديل لكلماتِ اللّه»[١٢٧] و «لا مبدِّلَ لكلماته»[١٢٨]...ثمّ إنّ اللّهَ أنزَلَ القرآنَ بلسانٍ عربيّ مبين[١٢٩].

---

(١٢٥) Casanova, Mohammed et la fin du monde, p. 151.

(١٢٦) أنظر أيضاً : ٢٠/ ١٠٨، ١٨/ ١ .

(١٢٧) سورة يونس ١٠/ ٦٤، انظر : ٢٣/ ٦٢، ٣٥/ ٤٣، ٤٨/ ٢٣ ...

(١٢٨) سورة الانعام ٦/ ١١٥، الكهف ١٨/ ٢٧، انظر : ٦/ ٣٤ ...

(١٢٩) انظر: ١٦/ ١٠٣، ٢٦/ ١٩٥؛ ١٢/ ٢، ٣٩/ ٢٨، ٤٢/ ٧، ٤٣/ ٣، ٢٠/ ١١٣؛ ١٣/ ٣٧؛ ٤٦/ ١٢؛ ٦/ ٩٢؛ ١٤/ ٤؛ ٤٢/ ٧؛ ١٩/ ٩٧؛ ٤٤/ ٥٨...

بسبب ذلك، أثبتَ الامامُ الشافعي، وابنُ جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو فارس عدمَ وقوعِ شيءٍ في القرآنِ من غيرِ لغةِ العرب. قال أبو عبيدة إنّما أُنزلَ القرآنُ بلسانٍ عربي مبين، فمَن زعمَ أنّ فيه غيرَ العربيّةِ فقد أعظَمَ القول. وقال ابنُ أوس: لو كانَ فيه من لغةٍ غير العَربِ شَيءٌ لتوهَّمَ متوهمٌ أنّ العربَ إنّما عجزتْ عن الإتيانِ بمثلِه، لأنّه أتى بلغاتٍ لا يعرفونها.

ولئن وقَع في القرآنِ ألفاظٌ من الفارسيّةِ والحَبَشيّة؛ فانّ ذلك، بحسبِ ابن جرير، من «توارِدِ اللغات. فتكلّمتْ بها العربُ والفرسُ والحبشة بلفظٍ واحد». وقالَ غيرُه : «كلُّ هذه الألفاظ عربيّةٌ صرفَة، ولكن لغةُ العربِ متّسعةٌ جداً». وقالَ أبو المعالي عزيزي: «إنّما وجدتْ هذه الألفاظُ في لغةِ العربِ لأنّها أوسعُ اللّغاتِ وأكثرُها ألفاظاً، ويجوز أن يكونوا (أي العرب) سبقوا إلى هذه الألفاظ». وقال آخرون: «بأنّ الكلماتِ اليسيرةَ غير العربية لا تُخرِجه عن كونِه عربيّاً».

٢ . إلاّ أنّ بعضَ المسلمين رأى في القرآن مئاتِ الكلماتِ من غيرِ لغةِ العرب. وقد أخرجَ ابنُ جرير عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال : «في القرآن من كلِّ لسان». ومثله قال سَعيد بنُ جُبير، ووَهَب بن منبّه، وغيرهما... وفي رأيهم إنّ الحكمةَ من وقوعِ هذه الألفاظ فيه، «أنّه حوى علومَ الأوّلين والآخرين، ونبأ كلِّ شيء. فلا بدّ أن تقعَ فيه الإشارةُ إلى أنواعِ اللّغاتِ والألسنِ ليُتمَّ إحاطتَه بكلِّ شيء؛ فاختيرَ له من كلِّ لغةٍ أعذبَها وأخفَّها وأكثرَها استعمالاً للعرب».

وقد صرَّح ابنُ النقيب بجَوازِ وجودِ ألفاظ أعجميةٍ في القرآن، فقال: «من خصائصِ القرآنِ على سائرِ كتبِ اللّهِ المنزَلةِ التي نزلتْ بلغةِ القومِ الذين أُنزلتْ عليهم، لم ينزل فيها شيءٌ بلغةِ غيرهم، والقرآنُ احتوى على جميع لغاتِ العرب، وأُنزل فيه بلغاتِ غيرهم من الرومِ والفرس والحبشة شيءٌ كثير»[١٣٠]... فالنّبيُّ العربيُّ مرسَلٌ إلى العربِ وإلى كلِّ أمّةٍ، وعقيدتُه يجب أن تُبلَّغ لجميعِ النّاس، فلا بدّ من أن يكون في كتابِه من لسانِ كل أمّة.

---

(١٣٠) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ١/ ١٣٥ – ١٣٦ .

أمّا السيوطي فلا مانع عندَه من أن تكون بعضُ الألفاظ أعجميةً وقعتْ للعربِ فعرّبتها بألسنتِها وحوّلتْها عن ألفاظِ العَجَمِ الى ألفاظِها، فصارتْ عربيّةً، ثم نزلَ القرآنُ وقد اختلطتْ بكلامِ العرب. فمَن قالَ إنّها عربيّة فهو صادق، ومَن قالَ أعجميةٌ فصادقٌ أيضاً[١٣١]. ثمّ يسرد السيوطي حوالي مائة لفظة في القرآن هي من لغاتٍ متعددة، فارسيّةٍ وهنديّةٍ، وحبشيّةٍ، وقبطيّةٍ، ونبطيّةٍ، وسريانيّةٍ، وعبرانيّةٍ، وبربريّةٍ، ويونانيّةٍ، ورومية...[١٣٢].

٣ . أمّا ما جاءَ في القرآن من غيرِ لغة الحجازِ المُضَريّة فكثير. وقد قال أبو بكر الواسطي، في كتابِه «الإرشاد في القراءاتِ العشر»: ما «في القرآن من اللغاتِ خمسون لغة: لغة قريش وهذيل وكنانة وختم والخزرج وأشعر ونمير وقيس وغيلان وجرهم واليمن وأرد شنوءة وكندة وتميم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت وسدوس والعمالقة وأنمار وغسان ومذحج وخزاعة وغطفان وسبأ وعمان وبني حنيفة وثعلب وطيّ وعامر بن صعصة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلى وعذرة وهوازن والنمر واليمامة»[١٣٣].

وفي السيوطي سردٌ واسعٌ من الألفاظِ العربيّةِ غيرِ الحجازيّة[١٣٤]، وكذلك عند ابن الجوزي في كتابه «فنون الأفنان في القرآن بلغة همدان». وقال ابن عبد البرّ في «التمهيد»: «قول من قال نزلَ بلغةِ قريش معناه عندي الأغلب، لأنّ غيرَ لغةِ قريش موجودةٌ في جميعِ القراءات»[١٣٥]. وقال الشيخ جمالُ الدين بن مالك: «أنزلَ اللهُ القرآنَ بلغةِ الحجازيّين إلاّ قليلاً»[١٣٦].

٤ . ولئن سلّمنا بقول الواسطي بانّ «كلامَ قريش سهلٌ لينٌ واضحٌ،

---

(١٣١) السيوطي، الاتقان، ١/ ١٣٧ .

(١٣٢) انظر السيوطي، الاتقان، ١/ ١٣٧ – ١٤١ .

(١٣٣) السيوطي نقلا عن الواسطي، الاتقان، ١/ ١٣٥ .

(١٣٤) انظرالسيوطي، الاتقان ١/ ١٣٣ – ١٣٥ حيث ينقل بعض الالفاظ .

(١٣٥) عن السيوطي، الاتقان، ١/ ١٣٥ .

(١٣٦) المرجع نفسه .

وكلامَ العرب وحشيٌّ غريب»[١٣٧]، فانّ ذلك يجعلنا نتساءل عن مدى فصاحةِ كلام القرآن وبلاغته.

ثلاثة وعشرون - الإعجاز البياني في القرآن : ١ . في إيمان المسلمين، إنّ القرآنَ معجَزٌ في بيانِه وبديعه، أي في نَظمِه وتأليفِه ورصفِه، وفصاحتِه وبلاغتِه، وصُوَرِه وتعابيرِه، وإيجازِه وإطنابِه، وتشابيهه واستعاراته، وحقيقته ومجازِه، وكنايتِه وتعريضِه، وخَبَرِه وإنشائه، وشعرِه ونثرِه، ووزنِه وفَواصِله، وجُملِه ومفرداتِه، وسِحره وموسيقاه، واختيارِ حروفِه ووجوهِه وضمائرِه، ومقدَّمِه ومؤخَّرِه، وعامِّه وخاصِّه، ومُجمَلِه ومبيَّنِه، وقَصَصِه وأمثالِه، وأقسامه وأجزائه[١٣٨].

٢. بهذا الأسلوب المعجز، «تحدّى القرآنُ فصحاءَ العرب بمعارضتِه لهم، وطاولهم في المعارضة، ولكنّهم انهزَموا أمامَ تحدِّيه، وأعلنوا عجزَهم عن تقليدِه، لأنّه يَعلو ولا يُعلى، وما هو بقولِ بَشر»[١٣٩]، و «لا ريبَ أنّ العربَ المعاصرين للقرآنِ قد سُحِروا، قبلَ كلِّ شيءٍ، بأسلوبه الذي حاولوا أن يعارضُوه، فما استطاعوا..

٣ . لقد فاجأ القرآنُ العربَ بأسلوبٍ لا عهد لهم به، فظلّوا حائرين يلمسون سحرَه الخالب دون أن يستطيعوا معارضته، وقد تحدّاهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فبذلوا قصارى جهدهم في ذلك فما استطاعوا، وهم بعد فرسان البلاغة وأئمّة الكلام. لقد فاجأهم بنمطٍ من القول المعجز لا عهد لهم به، فهو، وإن تألّف من كلماتهم وحروف لغتهم، فإنّه ينصبّ في قالب متفرّد يدركون حلاوته ويحسّون روعته دون أن يستطيعوا محاكاته[١٤٠]..

---

(١٣٧) السيوطي، نقلا عن «الارشاد «للواسطي، ١/ ١٣٥ .

(١٣٨) هذه كلّها أبواب بيانيّة عالجها المسلمون مطوّلاً في موضوع "إعجاز القرآن" .

(١٣٩) الشيخ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٣١٣.

(١٤٠) رَ: د. محمّد رجب البيومي، البيان القرآني، الدار المصريّة اللبنانيّة للنشر، ٢٠٠٠؛ ص ١٥.

٤ . قد يكون الجاحظ أوّل من تحدّث عن إعجاز القرآن، وقد ذكروا من مؤلّفاته المفقودة كتابَي: «نظم القرآن»، و«آي القرآن».. وذكروا أيضاً علي بن عيسى الرمّاني (ت ٣٨٦هـ) وأبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في رسالته: «إعجاز القرآن»، والباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه «إعجاز القرآن»، والأخوان الشريف الرضي في كتابه «تلخيص البيان في مجاز القرآن»؛ والشريف المرتضي، وعبد القاهر في كتابه «دلائل الإعجاز»، والزمخشري في كتابه «الكشّاف»، والفخر الرازي في كتابه «نهاية الإعجاز في دراية الإيجاز»، والبيضاوي في تفسيره الشهير؛ والسكاكي، وابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤هـ) في كتابه الكبير «بديع القرآن»؛ ومن المتأخّرين كالزركشي، والسيوطي والبقاعي، وابن عطيّة وابن عربي، وغيرهم كثير[١٤١].

٥ . وفي الإعجاز المعاصر نذكر : محمد فريد وجدي في «دائرة معارف القرن العشرين»، دار المعارف بمصر؛ والدكتور مصطفى صادق الرافعي، أوّل من أخرج كتاباً مستقلاً في الإعجاز القرآني من المعاصرين: «إعجاز القرآن»، مطبعة الاستقلال، ط ٦؛ ١٩٥٦؛ والأستاذ عبد الله عقيقي من كبار أدباء عصره، كتب «زَهْرات منثورة في الأدب العربي، ط. الحلبي، ١٩٣٢»، فيه تعرّض لحديث الإعجاز القرآني؛ الدكتور محمّد عبدالله دراز في كتابه «النبأ العظيم»، فيه يثبت إعجاز القرآن. وهو في القمّة من الأدب العالي؛ سيّد قطب، في «ظلال القرآن»، و«التصوير الفنّي في القرآن».

أربعة وعشرون – الإعجاز العلمي في القرآن : ١ . «المقصود بالعلم الذي يُنسب إليه مصطلح "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم" هو العلوم الكونيّة التجريبيّة الباحثة في ظواهر الكون والحياة»، مثل علم الفلك، وعلم التاريخ، وعلم الأحياء، وعلم اللّغة، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم الفقه، وعلم الطبيعة...

---

(١٤١) راجع الدكتور محمّد رجب البيومي، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، سلسلة البحوث الإسلاميّة، سنة ١٩٧١.

٢ . والقاعدة التي يبني عليها المسلمون نظريّتهم هذه، "أنّ العلم والقرآن صنوان لا يفترقان. وأنّه، مهما تجدّد العلم، وتقدّم في الاختراع والاكتشاف، نجد بأنّ القرآن الكريم قد تخطّاها علميّاً، وعقائديّاً، وفكريّاً، وتربويّاً"(١٤٢). والمبدأ الذي ينطلقون منه هو هذا: "كلّما اكتشف العلماء شيئاً وُجد مذكوراً في القرآن"(١٤٣). والحجّة الدّامغة هي في أنّ القرآن هو كلام اللّه. وكلام اللّه غنيّ بما لا يُحَد. والإنسان يعجز عن سبرِ غور غنى هذا الكلام الإلهي الذي لا يُحَدّ.

٣ . والعلوم في القرآن كثيرة وشاملة كلّ باب. هي في علم الفلك والهيئة، وعلم الفيزياء والكيمياء، وعلم الطبّ، وعلم الحساب والهندسة، وعلوم الصناعة والحِيَل، والفلسفة والأخلاق والاجتماع والسياسة والتشريع وما إلى ذلك. وفضلُ العالَم الغربي الذي يقوم بالاختراعات والاكتشافات، أنّه يدلّنا، بما يخترع ويكتشف، على ما في القرآن ممّا يَختِرع ويكتشِف. وبالتالي، إنّ العلماء المعاصرين يؤكّدون لنا مصدرَ القرآن الإلهي وغنى الإسلام.

٥ . وفي القرآن، على قول يوسف مروّة، نجد كلَّ «ما يؤيّدُ ويدعَمُ مواضيعَ العلمِ الحديث: من تجزئةِ الذرّة، وثنائيّةِ المادّة، والأشعة الكونيّة، وطبقاتِ الجوِّ، والضّغطِ الجوّي، وتركيبِ الماء والهواء، ولغةِ الحشرات، وبصمات الاصابع، والكائنات المجهريّة، وعدمِ فناء المادّة، وغزوِ الفضاء، والذبذبات الصوتيّة، والنَقْلِ البعيد، والرؤيةِ عن بُعْد (التلفزة)، الى غير ذلك من حقائق العلم الحديث»(١٤٤).

٦ . هذا الغنى العلميّ في القرآن أشار إليه حسن خالد مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة، والإمام محمّد شمس الدين رئيس المجلس الشيعي الأعلى. قال الأوّل: "إنّ لدينا النّظامَ الكاملَ الصالحَ لعمارة الكون وتنظيم الحياة البشريّة"(١٤٥). وقال الثاني: في الإسلام "يوجَد نظامٌ حياتيٌّ كامل، لا يَتركُ مجالاً لأيِّ نظامٍ آخر، ولا

(١٤٢) الأميري، الإشارات العلميّة في القرآن، ص ١١.

(١٤٣) د.محمّد رشاد خليفه، صاحب الإعجاز العددي، عن حمصي، ص ٢٨١.

(١٤٤) يوسف مروّة، كتاب العلوم الطبيعيّة في القرآن، ص ٦٩ .

(١٤٥) الشيخ حسن خالد، آراء ومواقف، ص ١٤٥.

يَدَعُ منفذًا للشعورِ بالحاجةِ الى تنظيمِ جانبٍ من جوانب الحياة، لأنّ الشريعةَ الإسلاميةَ بقواعِدها الكليّةِ العامّة وبالفقهِ الذي بُني على أصلَيها الكبيرَين (الكتاب والسنّة)، شامِلةٌ مستوعِبةٌ لكلِ ما تقضي به سنّة الحياةِ من نُظُمٍ وأحكام»(١٤٦).

هذا وإنّ الشيخ حسن خالد يتخطّى المعقولَ ليؤكّد لنا بـ"أنّ نجاحَ الإنسان في الوصول إلى القمر لا يَنبغي أن يُدْهِشَ مُسلِماً اطّلَعَ على ما في القرآنِ من آياتٍ مُحْكَمَات "(١٤٧).

خمسة وعشرون – تفسير القرآن : ١ . التفسير، لغة، هو الإيضاح، والتبيين، والتفصيل، وكشف المُغطّى؛ واصطلاحاً، هو بيان كلام الله. إنّه «علم نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومُجَملها ومُفصّلها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعِبَرها وأمثالها»(١٤٨).

لم ترد لفظة «تفسير» في القرآن إلاّ مرّة واحدة : «وَلا يَأتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً» (٢٥/٣٣)، أي: بياناً وتفصيلاً.

٢ . و«التفسير أعمّ من التأويل. وأكثر ما يُستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني. والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهيّة، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يُستعمل في الجمل»(١٤٩). وعند أبي طالب الثعلبي: «التفسير بيان وضع اللّفظ.. والتأويل تفسير باطن اللّفظ»(١٥٠). وقيل: «التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد

---

(١٤٦) ألشيخ محمد مهدي شمس الدين، العلمانية، بيروت ١٩٨٠، صـ ٨٦ .

(١٤٧) ألشيخ حسن خالد، آراء ومواقف، ص ٢٩١، في موضوع "الإسلام وغزو الفضاء"، بمناسبة وصول الإنسان إلى القمر، نقلاً عن جريدة الجريدة، في ١٩٦٩/٨/٧.

(١٤٨) ألإتقان ٢/ ١٧٤.

(١٤٩) مقدّمة التفسير للراغب، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(١٥٠) ألإتقان ٢/١٧٣.

من وضع العبارة؛ والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة»[١٥١].

٣ . يرى الراغب الأصفهانيّ أنّ أشرفَ صناعةٍ يتعاطاها الإنسان هي تفسير القرآن وتأويله، فموضوعه: كلام الله. وصورة فعله: إظهار خفيّات ما أودعه الله فيه من أسرار. وغرضه: التمسّك بالعُروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقيّة. وإذا كان القرآن قد جَمَع اللّهُ فيه علومَ الأوّلين والآخِرين. فهو، وإن كان محدوداً في حروفه وكلماته، إلاّ أنّه ليس محدوداً بدلالاته ومعانيه.

٤ . إذا كان الصحابةُ قد تدبّروا القرآن، فهم لم يفسّروا للنّاس إلاّ ما وجدوا فيه حاجةً لذلك. ومن هنا فلم يُنقل إلينا من عهد الصحابة إلاّ القليلُ من التفسير، نظراً لأنّ زمانهم لم يكن الناسُ فيه بحاجة إلى أكثر من ذلك. ثمّ زادت الحاجة إلى التفسير بدخول أممٍ وشعوبٍ كثيرة إلى الإسلام. وهكذا، توسّع التابعون في التفسير أكثر من توسّع الصحابة.

٥ . للمفسِّرين شروط، يجب أن تتوافر فيهم. منها: ١ – الإسلام، لأنّ الكافر غير مؤتمن على الدنيا، فكيف نأتمنه على الدّين؛ ٢ – إتّباع مذهب السلف الصالح، فمن كان صاحب بدعة لبَّس على الناس مقصود الله ليحملهم على اعتقاد بدعته؛ ٣ – صحّة المقصد، بأن يبتغي بتفسيره وجه الله؛ ٤ – أن يعتمد أوّل ما يعتمد على المأثور، فلا يجوز إعمال عقله وترك المأثور؛ ٥ – أن يقف على العلوم الواجب توافرها، وهي ١٥ علماً: علم اللّغة، علم النحو، علم التصريف، علم الاشتقاق، علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، علم القراءات، علم أصول الدين، علم أصول الفقه، علم أسباب النزول، علم الناسخ والمنسوخ، علم الفقه، علم الأحاديث المبيّنة للمجمل والمبهم، علم الموهبة.

٦ . «اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وعبدالله بن عبّاس، وابن مسعود، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري،

---

(١٥١) الذهبي، التفسير والمفسّرون، ١/ ٢١.

وعبدالله بن الزّبَير»[١٥٢]... وثمّة من تكلّم في التفسير، وعلى رأسهم: أبو هُريرة، وعائشة، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبدالله.

واشتهر من المفسّرين التابعين: سَعيد بن جُبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠١هـ)، وعكرمة البربري، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس بن كيسان (ت ١٠٥هـ)، وعلقمة بن قيس (ت ٦١هـ)، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة بن عمرو، وعبيد بن نُضَيلة، والأسود بن يزيد النخعي (ت ٧٤هـ)، وأبا عبد الرحمن السلّمي، وعامر الشعبي (ت ١٠٩هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة (ت ١١٧هـ)، وأبا العالية، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم (ت ١٣٦هـ)، وغيرهم.

والتفسير أنواع:

٧. **التفسير بالمأثور** : هو ما جاء في القرآن من آيات تبيّن آيات أخرى، وما ورد عن رسول الله وصحابته والتابعين... ويأتي على رأس هذا التفسير:

١ – جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري؛

٢ – بحر العلوم، للسمرقندي؛

٣ – معالم التنزيل، للبغوي؛

٤ – المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطيّة؛

٥ – تفسير القرآن العظيم، لابن كثِير؛

٦ – الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعلبي؛

٧ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي؛

٨– فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني؛

٩ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي...

---

(١٥٢) السيوطي، الإتقان، ٢/١٨٧.

٨ . **التفسير بالرأي** : هو الذي أعمل فيه المفسّر عقلَه للوصول إلى مراد الله، مستعيناً في ذلك بما يجب من علوم. أبرز المصنّفات في التفسير بالرأي:

١ – مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي؛

٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي؛

٣ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي؛

٤ – لُباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن؛

٥ – البحر المحيط لأبي حيّان؛

٦ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري؛

٧ – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛

٨ – روح المعاني، للآلوسي؛

٩ – التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور؛

١٠ – محاسن التأويل، للقاسمي...

وثمّة تفاسير **بالرأي المذموم**، وضعها أصحاب البدع أو الفرق، وهي:

١ – تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبدالجبّار المعتزلي؛

٢ – الكشّاف، للزمخشري المعتزلي؛

٣ – مجمع البيان لعلوم القرآن، للطبرسي الشيعي.

٩ . **التفسير الفقهي** : هو الاعتناء بآيات الأحكام، واستنباط القواعد منها والأصول. من هذا التفسير :

١ – أحكام القرآن، لأبي بكر الرازي الحنفي المعروف بالجصّاص؛

٢ – أحكام القرآن، لأبي بكر البيهقي الشافعي؛

٣ – أحكام القرآن، للكيا الهراسي (ت ٥٠٤هـ)؛

٤ – أحكام القرآن، لابن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ)؛

٥ – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت ٦٧١هـ)...

١٠ . **التفسير البلاغي** : هو الذي يهتمّ في بيان إعجاز القرآن. في حين أنّ التفاسير جميعها تكاد لا تخلو من الاعتناء بهذه الناحية البلاغيّة، ولكنّ هناك تفاسير فاقت غيرَها فيها، ويأتي على رأسها:

١ – الكشّاف، للزمخشري؛
٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي تأثّر بسابقه؛
٣ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمّد؛
٤ – روح المعاني، للآلوسي تأثّر بسابقه؛
٥ – تفسير النسفي؛
٦ – البحر المحيط، لأبي حيّان؛
٧ – غرائب القرآن، للنيسابوري؛
٨ – تفسير الجلالَين..

١١ . **التفسير الصوفي** : تحت شعار «للقرآن ظاهر وباطن»، انطلق الصوفيّون يفسّرون القرآن. وتفسيرهم عبارة عن صرف معاني القرآن الظاهرة إلى معانٍ فلسفيّة. ومن أبرز المصنّفات في هذا النوع ما جاء في كتابي : «الفتوحات المكّيّة» و«الفصوص» لابن عربي، والتفسير المنسوب إليه.

وثمّة تفسير **صوفي إشاريّ** يقوم على شرح الآيات بخلاف ما يظهر منها عن طريق الإلهامات والمكاشفات التي لا يمنّ اللّهُ بها إلاّ على أرباب السلوك. منه:

١ – «حقائق التفسير»، لأبي عبدالرحمن السلّمي؛
٢ – «تفسير القرآن العظيم»، لسهل التستري؛
٣ – «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، للنيسابوري؛
٤ – «روح المعاني»، للآلوسي؛
٥ – التفسير المنسوب لابن عربي.

١٢ . **التفسير الفلسفي** : يقوم إمّا على تأويل النصّ القرآني بما يساير أقوال الفلاسفة، فتكون الآية القرآنيّة مكرهة على معانٍ لا تحتملها؛ وإمّا شرح

النصّ القرآني بآراء الفلاسفة، فتكون الفلسفة هي الأصل المتبوع والقرآن الفرع التابع. من أبرز المصنّفات الفلسفيّة المبثوثة في مؤلّفات عديدة:

١ – فصوص الحكم، للفارابي؛

٢ – رسائل إخوان الصفا؛

٣ – إبن سينا في مختلف مؤلّفاته،

١٣ . **التفسير الأدبي الاجتماعي** : هو الذي يتّصف ببيان أنّ القرآن هو الأصل في التشريع؛ وهو شفاء كلّ الأمراض الاجتماعيّة؛ وهو يفنّد كلّ الشبهات التي أثيرت حول الإسلام. أهمّ المصنّفات في هذا الاتّجاه:

١ – تفسير جزء عمّ، للشيخ محمّد عبده؛

٢ – تفسير المنار، لرشيد رضا؛

٣ – تفسير المراغي، للشيخ محمّد مصطفى المراغي؛

٤ – تفسير القرآن الكريم، للشيخ محمود شلتوت.

١٤ . **التفسير التحليلي** : يراد به بيان الآيات القرآنيّة بياناً مستفيضاً من جميع نواحيها، بحيث يسير المفسِّر في هذا البيان مع آيات السورة آية آية، شارحاً مفرداتها، وموجّهاً إعرابها، وموضحاً معاني جملها، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام، ومبيِّناً أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مستعيناً في ذلك بالآيات القرآنيّة الأخرى ذات الصلة، وبأسباب النزول، وبالأحاديث النبويّة.. ومعظم التفاسير المذكورة آنفاً هي من هذا القبيل.

١٥ . **التفسير الإجمالي** : فيه لا يدخل المفسّر في التفاصيل الدقيقة والمتخصّصة؛ وإنّما يهتمّ ببيان المعنى العام باختصار، سائراً مع الآيات حسب ترتيبها في المصحف.. منها :

١ – تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلّي وجلال الدين السيوطي؛

٢ – المصحف المفسّر، لمحمّد فريد وجدي؛

٣ – التفسير الوسيط، لمجمع البحوث الإسلاميّة؛

٤ – التفسير الحديث، لمحمّد عزّة دروزة؛
٥ – التفسير الواضح، لمحمّد محمود حجازي.

١٦ . التفسير الموضوعي : يقوم على جمع الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن موضوع واحد من موضوعات العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها، وبيانها بالشرح والتحليل والاستنباط. وذلك منهج حديث معاصر. بعض مصنّفات هذا التفسير:

١ – ألتبيان في أقسام القرآن (أي القَسَم) لابن القيّم؛
٢ – الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحّاس؛
٣ – أسباب النزول، للواحدي؛
٤ – أحكام القرآن، للجصّاص؛
٥ – المرأة في القرآن، لعبّاس العقّاد؛
٦ – الربا في القرآن الكريم، لأبي الأعلى المودودي؛
٧ – الوصايا العشر، للشيخ محمود شلتوت؛
٨ – البداية في التفسير الموضوعي، للدكتور عبد الحيّ الفرماني؛
٩ – الجدل في القرآن الكريم، للدكتور زاهد عواض الألمعي؛
١٠ – الجيش المسلم، غايته وقيادته وجنده في ضوء القرآن الكريم، للدكتور جمال مصطفى عبد الحميد النجّار.

ستّة وعشرون – الإسرائيليّات في القرآن : هي، في أصل إطلاقها، حكاية أو قصّة تُذكر عن مصدر إسرائيليّ.. وقد توسّع العلماء في إطلاق تلك التسمية حتّى صارت تُطلق على كلّ ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة، يهوديّة أو نصرانيّة وغيرها..

وكان من أبرز أسباب دخول الإسرائيليّات في حقل الثقافة الإسلاميّة: إعتناق طائفة من اليهود الإسلام نفاقاً، ليحاربوا الإسلام من داخل صفوفه؛ وإعتناق جماعة من أهل الكتاب الإسلام عن حبّ واقتناع، وجلوس بعضٍ من

المسلمين إليهم ليحدّثوهم عن تفصيل بعض ما أجمل في القرآن من قصص الأنبياء والأمم السابقة[١٥٣].

سبعة وعشرون – إعراب القرآن : ١ . قال ابن جنّي: الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ[١٥٤]؛ وقال ابن منظور: أعربَ الكلام، وأعرب به: بيَّنه.. وعرَّبَ منطقه، أي: هذّبه من اللحن[١٥٥]؛ وقال الراغب: «إعرابُ الكلام إيضاحُ فصاحته. وخُصَّ الإعراب في تعارف النحويّين بالحركات والسكنات المتعاقبة على أواخر الكَلِم»..

٢ . ومن هذا المنطلق اللغوي يُعرَّف إعراب القرآن بأنّه بيان معانيه باستعمال القواعد النحويّة، فنعرف به الفاعل من المفعول، والصفة من الموصوف، والمبتدأ من الخبر، وغير ذلك ممّا يحتاج إليه المفسّر..

٣ . ويجد علماء البلاغة في الإعراب بغيتهم إذا أرادوا أن يتعرّفوا جمال تعبير القرآن، ورقّة تصويره، وجودة نظمه، وروعة بيانه، وأسرار إعجازه.. ويجب أن يلتزم المعرب لكتاب اللّه الأدب في التعبير، فلا يتفوّه بكلمة لا تليق بجلال القرآن، أو تخِلُّ بفصاحته، أو تؤدّي إلى شكٍّ في سلامة نظمه ومحاسن أسلوبه؛ مثل قول بعضهم: «هذا حرف زائد»، بل يقول: «هذا الحرف توكيد»، أو «جيء به لفائدة لا غنى عنه في بيانها»؛ وقول بعضهم: «اللّه. مفعول به منصوب». هذا لا يليق بجلال اللّه، والأولى أن يقال: «لفظ الجلالة منصوب على العظمة»... إلخ.

ثمانية وعشرون – ترجمة القرآن : «تكاد كلمة الفقهاء تتّفق على منع قراءة ترجمة القرآن بأيّ لغة كانت، فارسيّة أو غيرها.. وسواء كانت قراءة هذه

---

(١٥٣) د. جمال مصطفى عبدالحميد عبدالوهّاب النجّار، التفسير والمفسّرون، في الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ٢٠٠٢؛ ص ٢٤١–٣٠٥.

(١٥٤) أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، الخصائص الكبري، ١/٣٥، تحقيق محمّد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

(١٥٥) إبن منظور، لسان العرب، مادّة «عرب».

الترجمة في صلاة أم في غير صلاة.. لا تجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب مطلقاً، سواء أمكنتْه العربيّة أم عجز عنها، وسواء كان ذلك في الصلاة أم في غيرها. فإن أتى بترجمته في صلاة بدلاً عنها لم تصحّ صلاته، سواء أحسن القراءة أم لا.

فالجميع متّفقون على أنّه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربيّة خارج الصلاة، ومتّفقون أيضاً على حرمة القراءة في الصلاة بغير العربيّة.. وإذا قرأ المصلّي بغير العربيّة، مع قدرته عليها، اكتفى بتلك القراءة.. ولم يكن المقروء قرآناً.. أمّا العاجز عن قراءة القرآن بالعربيّة فهو كالأمّيّ في أنّه لا قراءة عليه.. وعلى هذا، فقد مضى القول بأنّ القراءة بالترجمة محظورة شرعاً على كلّ حال»[١٥٦].

«وحجّة المانعين أنّ ترجمة القرآن ليست قرآناً، إذ القرآن هو النظم المُعجِز الذي هو كلام اللّه، والذي وصفه تعالى بكونه عربيًا. وبالترجمة يزول الإعجاز. والقرآن نفسه قد نفى كونَه أعجميًا في قوله: «ولَو جَعَلْناهُ قرآناً أعجَمِيًا لَقالوا: لولا فُصِّلَتْ آياتُهُ. ءَأعجَميٌّ وعَرَبيٌّ» (٤١ / ٤٤)، فكيف يُصْرَف إلى ما نُفِي عنه؟»[١٥٧].

تسعة وعشرون – تجويد القرآن وأصول تلاوته : ١ . التجويد لغة: إتقانُ الشيء وتحسينُه. واصطلاحاً: علم يُعرف به كيفيّة النطق بالكلمات القرآنيّة. وموضوعه: كلمات القرآن وحروفه أينّما وقعتْ، ومعرفة ماهيّات أصواته، وكيفيّة التلفّظ بها، ومخارجها، وصفاتها، كالترقيق والتفخيم، والإظهار والإخفاء، والإدغام والإقلاب، والغنِّ والمدّ، وأنواع المدّ، وأحكام الوقوف، وغير ذلك. وغايته: بلوغ النهاية في إتقان القرآن على الصورة التي نُقل بها عن الرسول، وصَوْنُ اللسان عن الخطأ في كتاب اللّه.

(١٥٦) ترجمة معاني القرآن الكريم، لهيئة تحرير الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة؛ ٢٠٠٣؛ ص ٨٧٢-٨٧٣.

(١٥٧) قاموس القرآن الكريم، المدخل؛ إعداد نخبة من العلماء والباحثين؛ مؤسّسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، ط ٢؛ ١٩٩٧؛ ص ١٩٠.

٢ . ولخّص القَسْطِلاّني أصولَ التلاوة في قوله: «أن تأتي بالقراءة مُجَوَّدَةَ الألفاظ، مُقَوَّمَةَ الحروف، وأن تُعطيها حقَّها، من غير إفراط، ولا تفريط، ولا تكلّف، ولا تعسّف، ولا تخليط، سالمة من تمضيغ اللسان، وتقعير الفم، وتعويج الفكّ، وتقطيع المدّ، وتطنين الغنّات.. إلى غير ذلك ممّا تنفر منه الطباع، وتمجّه القلوب والأسماع».

٣ . ويقول القَسْطِلاّني أيضاً: «إنّ التطريب بالقراءة مسموح به، لِما له من أثر في رقّة القلب، وإجراء الدموع، وإثارة الخشية، وإقبال النفوس على استماعه. ولكن بشرط ألاّ يُخِلَّ القارئ بشيء من الحروف عن مخرجه، وعدم الخروج عن حدّ القراءة بالتمطيط الذي يشوّش النظم، أو يفرط في المدّ، أو في إشباع الحركات ألِف أو واو أو باء، أو يدغم في غير موضع الإدغام..

ثلاثون – ملاحظات في بلاغة القرآن : إنَّ القرآن لا يستوي كلُّه في درجةٍ واحدةٍ من الفصاحة والبلاغة. فيه نجدُ تراكيبَ غيرَ صحيحة: فبعضُه يضحّي بالمعنى مُراعاةً للفاصلة[١٥٨]، وبعضُه يتقدَّمُ على بعض، وبعضُه يختلف في مرجع الضمائر الى ما تضمر عنه، وبعضه يقيِّد بالتّخصيصِ ما قد جرى تعميمُه... وعندنا، على كل ذلك، أدلّة من القرآن نفسه :

١ . ففي ما **تقدّم وتأخّر** في القرآن من كلماتٍ وآيات، نجدُ قولَه: «أنزلَ على عبدِه الكتابَ، ولم يَجعلْ له عِوَجًا قَيِّما» (١٨/١)* الصحيح: أنزلَ على عبدِه الكتابَ قَيِّما، ولم يجعلْ له عِوَجًا. فالكتاب هو القيّم وليس العِوَج.

ونجدُ أيضاً قوله: «فقالوا: أرِنَا اللهَ جَهرةً» (٤/١٥٣)، * الصحيح، كما قال ابنُ عباس وابنُ جرير: « قالوا جهرةً: أرِنا اللّهَ»، أي: إنّ سؤالَهم كانَ جهرةً، وليس اللّه.

ومن ذلك قوله: «أفرأيتَ مَنِ اتّخذَ إلهَه هواه» (٢٥/٤٣) * والمعنى

---

(١٥٨) ألفاصلة في القرآن هي قافية الآيات المسجّعة، وهي توازي قافية الشعر. ولكنّ المسلمين ابتغوا لها هذه التسمية ابعادا عن الشعر.

الصحيح: من اتّخَذَ هواهُ إلهَه، لأنَّ مَن اتّخذَ إلهَه هواه فهو غيرُ مذموم.

وقوله: «فضحكتْ فبشّرناها» (١١/ ٧١) * والأصحّ: فبشّرناها فضحكتْ.

وقوله: «ولولا كلمةٌ من ربّكَ لكانَ لزامًا وأجَلٌ مسمّى» (٢٠/ ١٢٩) * والصحيح: ولولا كلمةٌ وأجَلٌ مسمّى لكان لزاماً.

ومنه: «يسألونك كأنّك حَفِيّ عنها» (٧/ ١٨٧) * والصحيح: يسألونك عنها كأنّك حَفيّ.

ومنه قوله: «فلا تُعجبُك أموالُهم ولا أولادُهم إنّما يُريد اللهُ ليعذّبَهم بها في الحياةِ الدنيا» (٩/ ٥٥) * والصحيح: لا تعجبُك أموالُهم ولا أولادهم في الحياةِ الدنيا، إنّما يريدُ الله ليعذّبَهم بها في الآخرة.

الى ما هنالك من أمثلة في القرآن، على هذا النمط، من التقديم والتأخير، وقد رأى لها المسلمون ألفَ تفسير وتفسير، إثباتا لمعجزة الإعجاز في كتاب اللّه العزيز[١٥٩].

٢ ـ وفي القرآن أيضاً شبهةٌ في **مرجعِ الضمائر** إلى أصحابها. فيحتارُ القارئ في المعنى المقصود :

ففي قوله، مثلاً: «إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَيّبُ، والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ» (٣٥/ ١٠). إنّ الضمير في «يَرْفَعُهُ» إمّا يعود الى ما عاد اليه ضمير «إليه» وهو اللّه، وإمّا يعود الى «العمل». والمعنى في كلتا الحالتين: إنّ العملَ الصالح هو الذي يرفعُه الكَلِمُ الطيّب، أو أنّ الكَلِمَ الطيب، وهو التوحيد، يرفعُ العملَ الصالح، لأنّه لا يصح العمل الاّ مع الايمان[١٦٠].

وفي قوله أيضاً : «أنِ اقذفيهِ في التابوتِ، فاقذفيه في اليمّ» (٢٠/ ٣٩). إنّ الضمير في «فاقذفيه» الثانية يرجِعُ الى التابوت، وفي الأولى يرجع الى موسى.

---

(١٥٩) انظر السيوطي، الاتقان٢/ ١٣ – ١٦ .

(١٦٠) انظر السيوطي، الاتقان ٢/ ١٩ .

وعلى ذلك يعلّق الزمخشري: «رجوعُ بعضِها (أي الضمائر) اليه (أي الى موسى) وبعضِها إلى التابوت، فيه هجنة»[١٦١].

وفي قوله: «ولا تَسْتَفْتِ فيهم منهم أحدًا» (١٨/٢٢). ضمير «فيهم» لأصحابِ الكهف، وضمير «منهم» لليهود. وهذا غير جائز.

٣ . وفي القرآن **كلامٌ يبيّنه كلامٌ آخر في زمنٍ آخر** وآياتٍ أخرى لاحقة. مثل قوله: « وجوهٌ يومئذٍ ناضرة الى ربّها ناظرة» (٧٥/٢٢)، وهو دالّ على جواز الرؤية. ثمّ يقول: «لا تدركه الأبصار» (٦/١٠٣)، وهو دالّ على نفي الرؤية. وغير ذلك كثير، على ما يقول السيوطي[١٦٢].

٤ . وفي قراءة القرآن تستوقفنا **غراباتٌ** كثيرةٌ، منها :

١ – لماذا جاءت لفظةُ «أَحَد» في صيغةِ النكرة، ولفظةُ «الصَمَد» في صيغة التعريف، في قوله: «هو اللّه أحد، اللّه الصمد» (١١٢/٢)؟

٢ – ولماذا جاءت لفظةُ «خالِصَة» مؤنّثة، ولفظةُ «محرَّم» مذكّرة، في قوله: «ما في بطونِ هذه الأنعام خالِصة لذكورنا ومُحرّم على أزواجنا» (٦/١٣٩). إلاّ أنّ المفسّرين رأوا لها حجّة، وهي أنّ «مُحرّم» ترجع الى «ما»، و«خالصة» ترجع الى «الأنعام».

٣ – ولماذا أجاز القرآنُ التأنيثَ في مكانٍ، ولم يُجزْه في مكان آخر، في مثل قوله: «إعجازُ نَخْلٍ خَاوية» (٦٩/٤)، و«إعجاز نخل مُنْقَعِر» (٥٤/٢٠). وفي قوله: «إنّ البقَر تشَابَه علينا» (٢/٧٠). وحجّة التذكير عند المفسرين هو أنّ «جنسه تشابَه علينا»[١٦٣]. وفي قوله: «السماءُ منفطِر» (٧٣/١٨)، وفي مكان آخر: «إذا انفطرتِ السماء» (٨٢/١). وفي قوله: «جاءتْها ريحٌ عاصفٌ» (١٠/٢٢)، وفي مكان آخرٍ: و«لسليمان الرّيحُ عاصفةٌ» (٢١/٨١)... إلى غير ذلك.

---

(١٦١) انظر السيوطي، الاتقان ١/١٧٨ ...

(١٦٢) انظر السيوطي، الاتقان ٢/١٨ – ٢٠ .

(١٦٣) تفسير الجلالين على ٢/ ٧٠ .

٥ . **ثمّ ما المناسبة** أو الارتباط، بين الآيات بعضها ببعض :

١ - في مثل قوله: «ويسألونكَ عنِ الأهلّة. قلْ هيَ مواقيتُ للناسِ والحجِّ. ولَيسَ البِرُّ بأن تَأتُوا البيوتَ مِن ظُهورِها» (٢/ ١٨٩). يُقال: ما الرابط بين أحكام الأهلّة وحكم إتيان البيوت؟.. لا يعجز القائلين بالإعجاز أن يروا الجواب، بل الجوابَين. يقولون: ١) كأنّه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونُقصانها: معلوم أنّ كلَّ ما يَفعله اللّه فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدَعُوا السؤال عنه، وانظروا في واحدةٍ تفعلونها أنتم، وهي ليست من البرّ في شيء، وأنتم تحسبونها بِرًا. ٢) أو أنّه من قَبيل التمثيل لما هم عليه. فحالتهم حين سؤالهم عن الأهلّة تشبه حالةَ مَن يَتركُ بابَ البيت ويدخُلُ من ظَهره. ولذا نُهُوا عن مثل هذه الأسئلة التي تُشْبه حالُ سائلِها حالَ من يَدخل البيت من غير مدخله المعتاد.

٢ - وفي قوله: «أفلا يَنظُرونَ إلى الإبْلِ كيفَ خُلِقَتْ. وإلى السماءِ كيف رُفِعَتْ. وإلى الجِبالِ كيف نُصِبَتْ. وإلى الأرضِ كيف سُطِحَتْ» (٨٨/ ١٧-٢٠). فقد يُقال: ما وَجه الجمْع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذه الآيات؟. ولا يعجز القائلين بالإعجاز أن يروا الجواب: والجواب عندهم هو أنّه جمع بينها على مجرى الإلْف والعادة بالنسبة لأهل الصحراء؛ فإنّ كلّ انتفاعهم في معايشهم من الإبل، وهي وهم لا يتِمُّ لهم الشرب والرعي إلاّ بنزول المطر، وهو سبب تَقَلّب وجوههم في السماء. ثمّ لا بدّ لهم من مأوى يُؤويهم، وحِصْنٍ يتحصّنونَ به. ولا شيء في ذلك مثل الجبال. ثمّ لا غنى لهم عن التنقّل من أرض إلى أرض. ولذا جاءتْ هذه الأشياء على الترتيب المذكور.

٣- وفي قوله: «إنّ الذينَ كَفروا سَواءٌ عليهم أأنذَرْتَهم أم لم تُنذِرْهُم لا يؤمنون» (٢/ ٦). جاء هذا القول بعد حديث أوّل السورة عن القرآن وهدايته لمن كانت صفته كذا وكذا. يقول القائلون بالإعجاز: حين اكتمل الحديث عن المؤمنين عَقّبه بما هو حديث عن الكفّار. فبينهما جامع وهو التضاد.

٦ . ثمّ **أيّهما أصحّ؟**

١ – قوله: «أدخلوا البابَ سُجَّـدًا وقولوا حِطَّة» (٢/ ٥٨)، أم قوله في مكان آخر: «قولوا حِطّةٌ وادخلوا البابَ سُجَّدًا» (٧/ ١٦١).

٢ – وقوله: «مـا أُهِلَّ بهِ لغير اللّه» (٢/ ١٧٣)، أم قوله في مكان آخـر: «ما أُهِلَّ لغيرِ اللّهِ به» (٥/ ٣؛ ٦/ ١٤٥؛ ١٦/ ١١٥)؟

٣ – وقولـه: «يكون الدِّينُ للّه» (٢/ ١٩٣)، أم قوله في مكان آخـر: «يكونُ الدينُ كلُّه للّه» (٨/ ٣٩)؟

٤ – وقـوله: «ولن تمسَّنا النارُ إلاّ أيامًـا مـعدودة» (٢/ ٨٠)، أم قـوله في مكان آخر: «أيّاما معدودات» (٣/ ٢٤؛ ٢/ ١٨٤ و٢٠٣)؟

٥ – وقوله: «إنّ هدى الـلّه هو الهدى» (٢/ ١٢٠)، أم قوله فـي مكان آخر: «إنّ الهدى هدى اللّه» (٣/ ٧٣)؟

٦ – وقوله: «قولوا: آمّنا بالله وما أنزِلَ إلينا» (٢/ ١٣٦)، أم قوله في مكان آخر: «... وما أُنزِلَ علينا» (٣/ ٨٤)؟

٧ – وقوله: «ولا تقتلوا أولادَكم مـن إملاق» (٦/ ١٥١)، أم قوله في مكان آخر: «خشيةَ إملاق» (١٧/ ٣١)؟ إلخ.

٧ . وإذا نظرنا في **المحكم والمتشابِه** في القرآن، فلا بدّ لنا من التـساؤل: ما هي الحكمةُ في وجـود المتشابِه؟ «فـإنْ كان ممّا يُمكِنُ علمُه، فله فـوائد، منها الحثّ للعلمـاء على النظر؛ وإنْ كـان ممّا لا يمكن علمـه، فله فـوائد، منهـا ابتـلاء العبـاد بالوقوف عنده»[١٦٤].

ولكن كيف ينسجم «ابتلاءُ العباد» مع الإعجاز؟ وإذا كان المتشابه –ومعظم القرآن عليه– للخاصـّة دون العامّة، فكيف يخاطب اللّه العامّة؟ وكـيف تعمل العامّة لتستفيد من كلام اللّه العزيز؟ إنّها شبهة أخرى تطعن بأهداف الوحي والنبوّة.

---

(١٦٤) السيوطي، ٢/ ١٢.

٨. وإذا نظرنا أيضاً في **الناسخ والمنسوخ** في القرآن، فلا بدّ لنا من القول بأنّ القرآنَ انفرد، دون سائرِ الكتب المنزلة، بهذه النظرية الخطيرة. ولم يكن النسخ -بحسب معناه- إبدالَ آيةٍ بآية فحسب، بل هناك نَسْخٌ بطريقةِ النسيان من دون إبدال. ولهذا كان النّبيّ يصلّي: «اللّهم ارحمني بالقرآن! اللهم ذكّرني منه ما نسيت، وعلّمني ما جهلت»[١٦٥].

وأخرج الطبراني عن ابن عمر أنّ النبي أقرأ رجلَين سورةً، فكانا يقرآن بها، فقاما ذاتَ ليلةٍ يصلّيان، فلم يقدرا منها على حرف، فأصبحا غادِيَين على رسولِ اللّه، فذكرا له ذلك، فقال: «انّها مِمّا نُسِخَ -أي رُفِعَ- فَالْهُوَا عنها». وكذلك رُوي عن أبي موسى الأشعري: «نزلتْ سورةٌ نحو (سورةِ) براءة. ثم رُفِعَتْ. وروَى البخاري عن أنَس أنّه أُنْزل في قصة أصحاب بئر معونة قرآنٌ قرأناه. ثم رُفِعَ»[١٦٦]. ورُوي عن عمر قوله: «لا يقولنّ أحدكم أخذتُ القرآنَ كلَّه. وما يدريه ما كلّه! فقد ذَهَبَ منه قرآنٌ كثير»[١٦٧]. وعن عبد الرحمن بن عَوف قال عن آية في الجهاد: «أسقِطَتْ في ما أُسقِطَ من القرآن»[١٦٨]؛ وعن عائشة قالت عن آية «إنّها كانت قبل أن يغيِّرَ عثمانُ المصاحف»[١٦٩].

وسؤالُنا هنا: هل من الإعجاز في شيء أن يذهبَ «كثيرٌ من القرآن»؟ وأن «يُرْفَعَ منه الكثير»؟ وأن «يُنْسَخ»؟ أو «يُنْسَى منه الكثير»؟ هل يصحُّ النّسخُ، حقّاً، في كتابِ الله المنزَل؟ وهل يبقَى القرآن، مع هذا النّسخِ، معجزةً في إعجازه؟ أين هو الإعجاز في كلّ ذلك ؟

ثمّ أيّ إعجازٍ هو أنْ نجدَ الناسخَ، في بعضِ السور، يتقدّمُ على المنسوخ؟ كما هو الحالُ في آيةِ ٢٣٤ من سورة البقرة التي تَنسَخ ما بعدها آية ٢٤٠؛ وآيةِ

---

(١٦٥) عن دروزة، القرآن، ص ٧١ .

(١٦٦) الاتقان، ٢/ ٥٢ .

(١٦٧) السيوطي، الاتقان ٢/ ٢٥ .

(١٦٨) المرجع نفسه.

(١٦٩) المرجع نفسه، ٢/ ٢٥ .

٥٠ من سورة الأحزاب التي تنسخُ ما بعدها آية ٥٣؟

٩ . ثمّ ما الحكمة في ما يُسمّى بـ**الالتفات** أي نقلِ الكلام من أسلوب إلى آخر؟

١ – كنقله من التكلّم إلى الخطاب، كقوله: «وما لي لا أعْبُدُ الذي فَطَرَني، وإليهِ تُرْجَعون» (٣٦/ ٢٢)، بدلاً من «وإليه أرْجِع».

٢ – ونقله من زمان إلى آخر، كقوله: «أرسَلَ الرياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً» (٣٥/ ٩): (أرسَلَ.. فَتُثِيرُ)؛ وقوله: «خرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيرُ» (٢٢/ ٣١): (خرَّ.. فتَخْطَفُه)؛ وعكسه: «ويومَ نُسَيِّرُ الجبالَ، وتَرى الأرضَ بارزَةً، وحَشَرْناهُمْ، فلم نُغادِرْ مِنهم أحداً» (١٨/ ٤٧) (نُسَيِّر.. وَتَرَى)...

٣ – واللّف والنشر، كقوله: «جعلَ لكمُ الليلَ والنّهارَ لِتَسكُنوا فيه، ولِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ» (٢٨/ ٧٣)، فالسكون راجع إلى الليل، والابتغاء راجع إلى النهار.

٤ – المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله: «وجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها» (٤٢/ ٤٠)، فالجزاء حقّ لا يُوصَف بأنّه سَيِّئة؛ وقوله: «فَمَنِ اعتدَى عليكم فاعْتَدوا عليه بِمِثلِ ما اعتدَى عليكم» (٢/ ١٩٤)، فأخذ الحقّ لا يُسَمَّى اعتداء.

١٠ . ومنْ غريبِ القرآن في إعجازِه أن تَرى المَعاني تختلطُ علينا من أجلِ **مراعاةِ الفاصلة**، أي القافية المسجّعة، وأن ترى اللغةَ تُحرَّفُ مُخالِفةً للاصول من أجلِ مراعاة الرَوِيّ والإيقاع. والأمثال على ذلك عديدة :

١ – لماذا يقدِّم القرآنُ ما هو متأخِّرٌ في الزمان، في قوله: «فللّهِ الآخرةُ والأولى» (٥٣/ ٢٥)؟ ولولا مراعاة الفاصلة لكان عليه أن يُقدّم «الأُولى» كما في قوله في مكانٍ آخر: «له الحمدُ في الأولى والآخرة» (٢٨/ ٧٠). وفي تقديمِ هارون على موسى في قوله: «بربِّ هارون وموسى» (٢٠/ ٧٠).

٢ – وفي تقديمِ الضمير على ما يفسّره في قوله: «فأوجسَ في نفسهِ

خِيفَةً موسى» (٢٠/٦٧). والأصحّ تقديمُ الفاعلِ موسى؛ فيُقال: فأوجسَ موسى...

٣ – وفي حذف الفعل غير المجزوم في قوله: «والليلِ إذا يَسْرِ» (٨٩/ ٤٠). والأصح: إذا يسري.

٤ – وفي حذف ياءِ الإضافة في قوله: «فكيفَ كان عذابي ونُذرِ (٥٤/ ١٦)، و«كيف كان عقابِ» (٤٠/٥). والأصحّ: نُذري، وعقابي. ومثله قوله: «وَثَمُودَ الذينَ جابُوا الصَّخْرَ بالوادِ» (٨٩/٩)، لوجودها مع «بِعادِ»، «العِمادِ»، «البِلادِ»، «الأَوْتَادِ».

٥ – وفي حذف كاف الضمير، كما في قوله: «والضُّحَى. وَاللَّيْلِ إذا سَجَى. ما وَدَّعَكَ ربُّكَ ومَا قَلَى»، بدلاً من : ومَا قَلاكَ. وقوله: «ألمْ يَجِدْكَ يتيماً فَآوَى»، بدلاً من: فَآوَاكَ. وقوله: «ووجَدَكَ ضالاً فَهَدَى» بدلاً من: فَهَدَاكَ. وقوله: «وَوَجَدَكَ عائلاً فأغْنَى» بدلاً من: فَأَغْنَاكَ (٩٣/١–٨).

٦ – وفي صرفِ الممنوعِ من الصرّفِ في قولِه: «قَواريرًا قواريرًا (٧٦/ ١٥). والأصح: قواريرَ قواريرَ.

١١ . ومن غريب الأمور أن تجد القرآنَ يتصرّف بالأسماء على غير هدى:

١ – فهو يستغني بالمفردِ عن الجمع في قوله: «واجعلنا للمتّقينَ إماماً» (٢٥/٧٤)؟ فيما الأصح: «أئمّة»، كما في قوله: «وجعلناهم أئمّةً يهدون» (٢١/ ٧٣). وفي قوله: «إنّ المتّقين في جنّاتٍ ونَهْرِ» (٥٤/٥٤). والأصحّ: «وأنهار». وقد جعلها مفردة مراعاة للفاصلة..

٢ – ويستغني بالمثنّى عن المفرد في مثل قوله: «ولمن خَافَ مُقامَ ربّه جنّتان» (٥٥/٤٦). والأصح: كما قال الفرّاء «جنّة».

٣ – ويستغني بالمثنى عن الجمْع في قوله: «ومن دونهما جنّتان» (٥٥/ ٦٢) والاصح: «جنّات».

٤ – ويستغني بالجمع عن المفرد في قوله: «لا بَيْعَ فيهِ ولا خلال» (١٤/

٣١)؟ والأصحّ: خلّة، كما في قوله في مكان آخر: «لا بيع فيه ولا خلّة» (٢/ ٢٥٤).

١٢ . ومن غرائب القرآن أيضاً **الخلط بين الفاعل والمفعول**، في مثل هذه الأحوال:

١ – وقوعُ إسم مفعولٍ موقعَ إسم فاعلٍ، في مثلِ قوله: «حجابًا مستوراً» (١٧/ ٤٥). والأصح: ساتِرًا. وفي قوله: و«كان وعدُه مَأْتِيًا» (١٩/ ٦١)، والأصح: آتيًا.

٢ – ووقوعُ إسم فاعلٍ موقعَ إسم مفعولٍ، في مثلِ قوله: «عِيشةً راضية» (٦٩/ ٢١)، والأصح: مرضيّة. وفي قوله: «ماءٌ دافق»(٨٦/ ٦)، والأصح: مدفوق.

٣ – وحذف الفاعل ونائبه، في مثل قوله: «وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزَى» (٩٢/ ١٩)، والأصح: يُجزَى عليها.

٤ – واستعمال صيغةِ المستقبل بدل صيغة الماضي، في مثل قوله: «فريقًا كذَّبتُم وفريقًا تقتلون» (٢/ ٨٧)، والأصح: «قتلتم»، كما سوّى بينهما في آية أخرى وهي: «فريقاً تَقْتُلونَ وتَأْسِرونَ فريقاً» (٣٣/ ٢٦)..

١٣ . ومن غريب القرآن أيضاً أن تجد تغييراً في **بنية الكلمة**:

١ – في مثل قوله: «طورسينين» (٩٥/ ٢)،و«آل ياسين» (٣٧/ ١٣٠)، بدل: طور سيناء، والياس.

٢ – وفي زيادة حرف، كما في قوله: «وتَظُنُّونَ باللَّهِ الظُّنُونَا» (٣٣/ ١٠)، لأنّ معظم الآيات ينتهي بألِفات منقلبة عن تنوين وقفاً، فزِيدَ على النون ألِفٌ لمناسبة نهايات الفواصل. ومثلها قوله: «وأَطَعْنا الرَّسُولا» (٣٣/ ٦٦)، وقوله: «فَأَضَلُّونا السَّبِيلا» (٣٣/ ٦٧).

٣ – وكذلك إلحاق هاء السكت في قوله: «مَاهِيَهْ» (١٠١/ ١٠) لتحقّق اتّفاق الفواصل مع ما قبلها وما بعدها: «فأمُّهُ هاوِيَه. وما أدْراكَ مَا هِيَه. نارٌ حامِيه» (١٠١/ ٩-١١).

٤ – ومن غرائبه أيضاً وقوعُ حرفٍ مكان غيره، في مثل قوله: «بأنَّ ربَّكَ أوحَى لها» (٩٩/٥) بدل «إليها».

***

بالإضافة إلى ما ذكرنا من مآخذ في القرآن، نتوقّف عند بحثَين مهمَّين للدكتورَين: الطبيب الجرّاح كامل النجّار والشيخ عبّاس عبد النور الدمنهوري في كتابَين جريئين هما: **قراءة منهجيّة للإسلام**، والأصل: «قراءة نقديّة للإسلام»، والثاني: **محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن**. ونحن نختصر ما جاء فيهما في موضوع إعجاز القرآن والملاحظات عليه :

يأخذ **الدكتور كمال النجّار** على بلاغة القرآن في الأمور التالية:

أوّلاً – الإكثار من استعمال السجع الذي قد يضرّ بالمعنى في حالات عديدة. وسوف ترد على ذلك أمثلةٌ في سياق البحث.

ثانياً – تغيير اللّغة: ١ – يغيّر القرآن صيغة المخاطب في نفس الآية، من المفرد إلى الجمع، ومن المتحدِّث إلى المخاطَب. فخذ مثلاً سورة الأنعام، الآية ٩٩: «وهو الذي **أَنْزَلَ** من السماءِ ماءً، **فَأَخْرَجْنَا** به نباتَ كلِّ شيءٍ، فأخرَجْنَا منه (خَضِراً تَخْرِجُ مِنْهُ) حَبًا مُتَراكِباً، ومن النخلِ مِن طَلعِهَا، قِنْوانٌ دانيَةٌ، وجنّاتٍ مِن أعنابٍ، والزيتونَ والرمّانَ، مُشتَبِهاً وغيرَ مُتَشابِهٍ. انظُروا إلى ثَمَرِه إذا أثمرَ وَيَنْعِه. إنّ في ذلكم لآياتٌ لقومٍ يؤمنونَ».

فبداية الآية يصف اللّه «وهو الذي **أَنْزَلَ** من السماءِ ماءً»، وبدون أي إنذار تتغيّر اللّغة من الشخص الثالث إلى الشخص الأوّل، ويصير اللّه هو المتحدِّث «**فَأَخْرَجْنَا** بهِ». وسياق الآية يتطلّب أن يقول «فَأَخْرَجَ بِهِ».

٢ – وانظر إلى النحو في الآية ذاتها: أغلب الكلمات منصوبة لأنّها مفعول به، لأنّ اللّه أنزل المطرَ فأخرجَ به حَبًا وجنّاتٍ. وفجأة كذلك يتغيّر المفعول به إلى مبتدأ مرفوع في وسط الجملة. وسياق الكلام يقتضي أن يُخرج اللّهُ من النخل

«قنواناً دانيةً»، معطوفة على ما قبلها. ولكن نجد في الآية «قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ» بالرفع، وهي مبتدأ وخبره «ومن النَّخلِ». ثمّ تستمرّ الآية بنصب الكلمات الباقية.

٣ – وخذ الآية ١١٤ في سورة الأنعام، لمّا طلب اليهود من محمّد أن يجعل بينه وبينهم حكماً: «أفغيرَ اللّه أبتغِي حكَماً وهُوَ الذي أَنْزَلَ إليكمُ الكتابَ مُفَصَّلاً. والذينَ آتَيْنَاهُمُ الكتابَ يَعلمونَ أنّه مُنْزَلٌ من ربِّكَ بالحقِّ فلا تكونَنَّ من المُـتَرِينَ». ففي بداية الآية **المتحدّث هو محمّد** مخاطِباً اليهود.. وفجأةً يصير **اللّه هو المتحدِّث**... والعلماء المسلمون يحاولون شرح هذه الآية بأن يقولوا: أدخل كلمة «قل» قبل «والذين آتيناهم». وهذه حجّة غير مقبولة، لأنّ اللّه حينما أراد أن يستعمل «قل»، استعملها صراحة في المكان الذي أراد أن يستعملها فيه. فنجد في القرآن كلمة «قل» مستعملة ما لا يقلّ عن ٢٥٠ مرّة... واستعملت كلمة «قل» في سورة الأنعام (هذه) ٣٩ مرّة. فهل هناك أي سبب يجعلنا نقول إنّ اللّه أراد أن يستعمل كلمة «قل» في الآية، ولكنّه لم يستعملها وتركها للعلماء المسلمين ليخبرونا...

٤ – ونفس الشيء ينطبق على السورة الأولى في المصحف، أي سورة الفاتحة. فهذه السورة من الواضح أنّها دعاء كان يدعو به محمّد، وليست جزءاً من القرآن. وكالعادة يقول العلماء المسلمون: ضعْ كلمة «قل» قبل بداية السورة. ولو أراد اللّه أن يستعمل كلمة «قل» لفعل، كما فعل في سورتَي «الفلق» و«الناس». وكلاهما أدعية مثل سورة الفاتحة. ففي سورة «الفلق» يقول: «قل أعوذ بربّ الفلق»، وفي سورة «الناس» يقول: «قل أعوذ بربّ الناس». فلماذا لم يقل في سورة الفاتحة «قل الحمد للّه ربِّ العالمين؟».

٥ – وفي سورة فاطر الآية ٩: «واللّهُ الذي أرسلَ الرياحَ فتثير سَحاباً. فسقناه إلى بلدٍ ميتٍ. فأحيينا به الأرض بعد موتها». تغيّر القائلُ في نفس الآية من الشخص الثالث إلى الشخص الأوّل. (لماذا؟).

ثالثاً – الخلط بين المضارع والماضي : ١ – في سورة فاطر الآية ٩ المذكورة أعلاه فعل مضارع مخلوط مع أفعال ماضية. ففعل «فتثير» مضارع في وسط جملة كلّها في الماضي.. فهل في هذا أي نوع من البلاغة؟

٢ – وفي سورة الحج الآية ٦٣: «ألمْ ترَ أنَّ اللّهَ أنزلَ من السماء ماء فَتُصْبِحِ الأرض مخضرّة. إنّ اللّهَ لطيف خبير». مرّة أخرى يجمع القرآن بين الفعل الماضي والفعل المضارع في جملة واحدة. وكلمة «فتصبح» يجب أن تكون «فأصبحت» لأنّ اللّه أنزل من السماء ماءً.

٣ – وفي سورة الشعراء، الآية ٤: «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آيةً فَظَلَّتْ أعناقُهم لها خاضعين».. لماذا لم يقل «فتظلّ»؟ وهو من الأسهل. وليس الخلط بين الماضي والمضارع هو الشيء الوحيد الخارج عن المألوف في هذه الآية، فقد استعمل القرآن كلمة «خاضِعِينَ»، بدل «خاضعة» التي يجب أن تقال لـ«أعناقهم»..ولذا كان الأصحّ أن يقول «فظلّتْ أعناقهم لها خاضعة». ولكن كلّ آيات هذه السورة تنتهي بالياء والنون. لذلك اضطرّ أن يقول «خاضعين».

٤ – وفي سورة النحل، الآية ٦٦: «وإنّ لكم في الأنعام لعبرةٌ نُسقيكم ممّا في بطونه». و«الأنعام» جمْع، وكان يجب أن يقول «نسقيكم في بطونها».. ونجد نفس الآية تعاد في سورة المؤمنون، الآية ٢١. ولكن، هذه المرّة، تغيّرت كلمة «بطونه» إلى «بطونها».

رابعاً – غريب اللفظ والمعنى: ١ – في سورة المرسلات، الآية ٣٢ وما بعدها، عندما يصف نار جهنّم: «إنّها ترمي بشرر كالقَصر، كأنّه جمالات صُفْرٌ». أوّلاً – كلمة «جمالات»، وهي جمع تكسير لـ«جمل»، إلاّ أنّها جمْع غريب نادر الاستعمال، والمتعارف عليه «جمال». ثمّ ليس هناك جمال توصف بصفراء.

٢ – ثمّ في سورة الفرقان، الآية ٦٨: «والذين لا يدعون مع اللّه إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرّم اللّهُ إلاّ بالحقّ، ولا يزنون. ومَن يفعل ذلك يلقَ آثاماً».. لم يتّفق المفسّرون وعلماء اللّغة على معنى كلمة «آثاماً»: فقال ابن عمر: «آثاماً وادٍ في جهنّم»؛ وقال عكرمة: «هي أودية في جهنّم يعذّب فيها الزناة»؛ وقال قتادة: «آثاماً تعني نكالاً»؛ وقيل في الحديث: إنّها تعني بئراً في قعر جهنّم؛ وقال السدي: إنّها تعني جزاء.. وواضح من معنى الآية أنّ مَن يفعل تلك الأشياء يلقَ جزاء. ولكن القرآن استعمل كلمة «آثاماً» تمشّياً مع السجع..

٣ – وفي سورة العنكبوت، الآية ٦٤ نجد: «وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهوٌ ولعبٌ، وإنّ الدارَ الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون». وقد وجد المفسّرون صعوبة بالغة في تفسير كلمة «حيوان»: فقالوا تعني الحياة الدائمة؛ وقال القرطبي: إنّها تقع على كلّ شيء حيّ؛ وقالوا: تعني عيناً في الجنّة؛ وقالوا: إنّ أصل الكلمة هو «حييان» فأبدلت إحدى الياءَين واواً لاجتماع المثل. وهذه أقوال غريبة...

٤ – وفي سورة عبس، الآية ٢٨: «فأنبتْنا فيها حبًّا، وعنباً وقضباً». ولا أحد من المفسّرين يعرف معنى «قضباً».

٥ – وفي نفس السورة، الآية ٣١ نجد: «وحدائق غُلبا، وفاكهة وأبّا». واختلف المفسّرون في معنى «أبّا»: فقال الضحّاك: «الأب» هو كلّ شيء ينبت على الأرض؛ وقال ابن عبّاس: الأب ممّا لا يأكله الآدميّون؛ وقال أيضاً: الأب هو الثمار الرطبة؛ وقال أيضاً: الأب ما تنبت الأرض ممّا يأكلُ الناسُ والأنعام؛ وقال الضحّاك: هو التين؛ وقال أيضاً: هو كلّ شيء ينبت على الأرض؛ وقال الكلبي: الأب هو كلّ نبات سوى الفاكهة؛ وسئل أبو بكر الصدّيق عن تفسير الفاكهة والأب فقال: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني، إذا قلتُ في كتاب اللّه ما لا أعلم..

٦ – وفي سورة الحجّ، الآية ٢٩ نجد: «ثمّ ليقضوا تَفَثَهُمْ ولْيُوفوا نُذورَهم وَلْيَطَّوَّفوا بالبيتِ العتيق». لا أحد يعرف معنى كلمة «تَفَثَهُمْ»، عدا عن أنّ وقعها على الأذن ثقيل. يقول القرطبي: التفث هو ما بقي من أمر الحجّ، كالحلق ورمي الجمار وإزالة الشعث ونحوه؛ وقال الأزهري: التفث هو الأخذ من الشارب وقصّ الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة؛ وقال ابن العربي: «هذه اللّفظة غريبة. لم يجد أهل العربيّة فيها شعراً ولا أحاطوا بها خبراً».

٧ – وفي سورة الحجر، الآية ٨٧: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن الكريم». فقال مفسّرون في معنى كلمة «المثاني»: إنّ المقصود به السبع سور الطوال؛ وقال آخرون: المقصود بها سورة الفاتحة؛ وقال القرطبي: تعني القرآن كلّه. وهذا غير معقول، إذ كيف يكون قد أعطاه القرآن كلّه؟!.

٨ – وفي سـورة الحاقـة، الآية ٣٦: «ولا طعـامٌ إلاَّ مِن غِسْلِينٍ». ولا أحـد يدري معنى «غِسْلِينٍ»؛ ولكنّها تنسجم مع سجع السورة.

٩ – وفي سورة الإنسـان، الآية ١٨: «عيناً فيهـا تُسمّى سَلْسَبِيْلا». وهنا كذلك لا أحد يعـرف ما هي «سَلْسَبِيْـلا»: فتفسـير الجلالين يقول: سلسبـيلا تعني سهلَ المسـاغ في الحلق؛ وفي تفسير ابن كثير، قال عكرمة: هي إسم عين في الجنّة؛ وقال مجاهد: سمّيت بذلك لسلامة مسيلها.

١٠ – وفي سورة الفيل، الآية ٣، نجد: «وأرسلَ عليهم طَيراً أبَابِيل، ترميهم بحجارة من سِجِّـيل». يقول ابن كثير: «طيراً أبابيل» يعني طيـراً من البحر؛ ويقول القرطبي: طيـر من السماء لم يُرَ قبـلها ولا بعدها مثلهـا؛ وقال ابن عبّاس: سـمعتُ رسـولَ اللّـه يقول: «إنّهـا طيرٌ تعـشعش وتفـرخ بين السمـاء والأرض»؛ وقال ابن عبّـاس: كانت لهـا خراطيم كـخراطيم الطيـر، وأكفّ كأكفّ الكلاب؛ وقـال عكرمة: كانت طيراً خُضراً أُخرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع.

١١ – أمّا «سجّيل» فلا أحد يعرف معناها: قال محمّد بن الجهم: أنّ سجّيل تعني طينٌ مطبوخ؛ وقال سعيد بنُ جُبير: إنّ اللّفظة غير عربيّة وأصلها سنج وجيل، أو سنك وكيل، وهمـا بالفارسيّة حجـر وطين؛ وقال ابن يزيد: سجّيـل إسم السماء الدنيا؛ وعن عكرمة: أنّه بحر معلّق بين السـماء والأرض منه نزلت الحجارة؛ وقيل: هي جبال في السماء؛ وقيل كذلك: هي ما سُجّل لهم، أي كُتب لهم أن يصيبهم...

١٢ – وفي سُوَرٍ عـدّة ترد لفظة «الفرقـان» مـختلفـاً في معناها: فـقال ابن عبّاس: فرقان يعني مخرجـاً؛ وزاد مجاهد: «في الدنيا والآخرة»؛ وفي رواية أخرى قال ابن عبّاس: إنّ فرقاناً تعني نصـراً؛ وقالوا: إنّها تعني يوم بدر لأنّ اللّه فرّق فيه بين الحقّ والباطل؛ وقال قتادة: إنّها تعني التـوراة، حلالها وحرامها؛ وقال الرازي: قد تكون التـوراة، أو جزء منها، أو حـتّى معجزات مـوسى مثل عصـاه؛ وقد تعني انشطار البـحر لموسى؛ وقـالوا: الفرقـان تعني القرآن... وهذا الاضطراب يجـعلنا نفسّر بحسب ورود الكلمة في الآية، وليس بحسب معناها في ذاتها.

١٣ – وفي سورة النســاء، الآية ١٢، نجد: «وإنْ كـان رجلٌ يورث كَلاَلَةً أم امرأة». سُئل أبو بـكر الصدّيق عن كلمة «كَلاَلَةً» فـقال: أقول فيهـا برأيي، فإن يكن صواباً فـمن اللّه، وإن يكن خطأ فمنّي ومـن الشيطان، واللّهُ ورسولُه بـريئان منه: الكلالة مَن لا ولد له ولا والد. وقال القرطبي: الكلالة مشتقّة من الإكليل، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه، والمراد هنا مَن يرثه من حـواشيه، لا أصوله ولا فروعه. وقد أورد الطبري ٢٧ معنىً للكلالة، ممّا يدلّ على أنّهم لا يعرفون معناها.

١٤ – وفي سورة طه، الآية ١٥: «إنّ الســاعةَ آتيةٌ أكـادُ أُخْفِيهـا». يبدو أنّ المراد من «أخفيها» عكسها؛ ويجب أن تكون «مخفيّة» لا يعلم أحد متى تأتي. غير أنّ القرآن هنا لا بد أنّه قصد «أُظهرها» بدل «أُخفـيها». وقد قال القرطبي في هذه الآية: إنّها «آيةٌ مشكلة»؛ وروى سعيد بن جُبير: «أكاد أَخْفيها»، أي أظهرها.

١٥ – وفي سورة البيّنة، الآيتان ٢ و٤، نجد: «رسـول من اللّهِ يتلو صحفاً مطهّرة، فيها كُتُبٌ قيّمة». والمعروف لدى كلّ الناس أنّ الكتب تحتوي على الصحف، وليس العكس، كما جاء في القرآن.

خـامسـاً – جُمل بـها أخطاء نحـويّة : ١ – أنظر إلى الآية ٦٩ من سورة المائدة: «إنّ الذينَ آمَنوا والذينَ هادوا والصابئون والنصارى...». والنحو يتطلّب أن تكون كلمة «الصـابئون» منصـوبة لأنّها إسم «إنّ»، وكلّ أسمـاء «إنّ» الأخرى في الآية منصوبة إلاّ «الصابئون»؛ والأصح أن تكون «الصابئين». وإذا نظرنا إلى الآية ١٧ من سورة الحجّ، نجد أنّ «الصابئين» منصوبة، كما ينبغي أن تكون..

٢ – وفي سـورة النســاء، الآية ١٦٢: «لكن الرّاسـخـون في الـعلم منهم، والمؤمنون يؤمنون بما أُنزل إليك ومـا أُنزل من قبلك، وَالْمُـقيمِينَ الصـلاة، والمؤتون الزّكاة، والمؤمنونَ بـاللّه واليوم الآخِر». فكلمـة «وَالْمُقيمِـينَ» لا تتماشى مع قـواعد النحو المعروفة؛ فهي معطوفة على «الراسخون»، ويجب أن تكون مرفوعة.

٣ – وفي سـورة الحجـرات، الآية ٩: «وإنْ طائفتـان من المؤمنين اقْتَـتَلُوا، فأصلحوا بَيْنَهُمَا». فكلمة «اقْتَتَلُوا» كان يجب أن تكون اقتتلا؛ وإنْ صحّت «اقتتلوا»

بسبب أنّ الطائفتين ترمـز إلى الجمْع، فيجب والحال هذه، أن تكون كلمـة «بَيْنَهُمَا» «بينهم». والخطأ واقع في كلّ حال.

٤ – وفي سورة الحجّ، الآية ١٩: «هذان خصمـان اختَصَمُوا في ربّهم...». فكلمة «اخْتَصَمُوا» يجب أن تكون «اختصما»، لأنّها ترجع للمثنّى «خصمان».

٥ – وفي سـورة البقـرة، الآية ١٧٧: «ليس البِـرُّ أن تُوَلُّوا وجوهكم قِـبَلَ المشرقِ والمغرب، ولكنَّ البِـرَّ مَن آمن بالله واليوم الآخر».. الأصحّ أن تكون: «ولكنَّ البَارَّ»؛ أو كما في تفـسير الجلالين: «المقصود بها «ذا البِـرِّ»، أو قرئ بفتح الباء، أي «البَرّ» وهو «البار».

٦ – وفي سـورة طه، الآية ٦٣: «قـالوا: إنّ هَـذَانِ لَسـاحـران..». وكلمـة «هَذَانِ» إسم «إنّ» يجب أن تكون منصـوبة، أي «هَذَين». وقد ورد أنّ عـثمـان كان يقـرأ «هَذَين»، وكذلك فـعلت عائشـة.. ولكنّ هذه القراءة مـوافقـة للنحـو مخالـفة للمصحف.. وقال أبو عمر: إنّي لأستحي من الله أن أقرأ «إنَّ هَذَان».

٧ – وفي سورة الأعـراف، الآية ١٦٠: «وقطعناهم اثْنَتَي عَـشْرَةَ أسـباطاً أمماً». ويجب أن تكون «اثني عشر سبطاً»، وليس «اثنتي عشرة أسباطاً».

سادساً – جُمل لا تتـماشى مع المحتوى: ١ – في سورة النساء، الآية ٣: «وإنْ خِفْتُم ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامى/ فَانْكِـحُوا ما طابَ لكم مِنَ النساء مَثنى..». فما علاقة القسط في اليتامى وزواج ثلاث أو أربع زوجات؟..

٢ – وفي سورة فاطر، الآية ٨: «أفمن زُيِّن له سـوءُ عمله فرآه حسناً/ فإنّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يشـاء، ويَهدي مَن يشـاء..».. فالإنسـان يتوقّع أن يجـد مقـارنة مع شـخص آخر مـثلاً: «كـمن اهتـدى». ولكن بدل المقارنـة نجد «فـإنّ اللّهَ يُضلّ مَن يشاء». لا علاقة البتة بين بداية الآية وتكملتـها. وقد قال القرطبي: «هذا كلام عربي طريف لا يعرفـه إلاّ القليل». والقرآن لم ينزل لـلقليل وإنّما نزل لكافّـة الناس، عرباً وعجماً، وبلسان عربي مبين.

٣ – وفي سورة الأنعام، الآية ١٥١: «قل تَعالوا أتلُ ما حرَّمَ ربُّكم عليكم ألاّ تُشرِكوا به شَيئاً / وبالوَالدَينِ إحساناً، ولا تَقتُلوا أولادكم من إملاقٍ..، ولا تَقْرَبوا الفواحشَ..، ولا تَقتُلوا النفسَ التي حرَّمَ اللّهُ إلاّ بالحقّ». فالآية كلّها تتكلّم عن الأشياء التي نهانا اللّهُ عنها، ولكن في وسطها نجد «وبالوالدَينِ إحساناً». واضح أنّ هذه ليست من المحرَّمات، وإنّما زُجّ بها هنا سهواً، فلم يحرّم اللّهُ الرفق بالوالدَين. فتعبير «وبالوالدين إحساناً» جملة ليس لها أي سبب يجعلها تدخل هنا.

٤ – وفي سورة الأنبياء، الآية ١٠٤: «يومَ نَطوِي السماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُبِ. كما بدأنا أوّل خلقٍ نُعيدُه. وَعْداً علينا إنّا كنّا فاعلين». فكلمة «للكتب» هنا لا تخدم المعنى بأي شيء، بل تعقّد الشرح. فهي كلمة أدخلت في الآية، فأدّت إلى صعوبة في التفسير. من هنا قال ابن عبّاس: إنّ السجلّ كان اسم أحدِ كتّاب الوحي.

٥ – وفي سورة لقمان، في الآية ١٣ المتكلّم هو لقمان يعظ ابنَه. ثمّ فجأة في الآية ١٤ يصير المتكلّم هو اللّه، فيوصي الإنسانَ بوالديه، ويضيف عليها أنّ الحمْل والرضاعة يجب أن يكونا عامَين، ثمّ يُفْصَل الطفل. ويستمرّ اللّهُ في وصيّة الإنسان في الآية ١٥. ثمّ نرجع إلى لقمان في الآية ١٦ وما بعدها ليكمّل وصيّة ابنه. فالآيتان ١٤ و١٥ أُدخلتا هنا بطريق الخطأ ولم تكونا أصلاً جزءًا من السورة.

٦ – وفي سورة المعارج، الآيات ٣٧–٣٩: «فَمَالِ الذينَ كَفروا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ، عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ. أَيَطمَعُ كلُّ امرئٍ منهم أن يَدخُلَ جنّةَ نعيمٍ. كلاّ إنّا خلقناهُم ممّا يَعلمون». «مُهْطِعِينَ» و«عِزِينَ» كلمتان ثقيلتان على السمع. وليستا عربيّتَين، وإنّما استعملتا من باب الغريب من اللفظ ليكون لها أثرٌ في نفوس السامعين، كما كان يفعل الكهّان سابقاً. والمنطق في هذه الآيات أغرب من الكلمات: يقول اللّه: يجب ألاّ يطمعوا في دخول الجنّة لـ «أنّا خلقناهم ممّا يَعلمون»، أي من نُطف، ومن مني، أي «من قذر، كما يقول القرطبي، فلا يليق بهم هذا التكبر».

٧ – وفي سورة القيامة، الآية ١٤: «بل الإنسان على نفسه بَصِيرَةٌ». وكان من الأنسب القول: «بصير».

سابعاً - هناك آيات نصفها في سورة ونصفها الآخر في سورة أخرى: فمثلاً الآية ٦١ في سورة البقرة، عندما سأل قومُ موسى رسولَهم أن يغيِّر لهم طعامهم، «قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ! أهبطوا مصراً. فإنَّ لكم ما سألتم»، وتمام الآية في سورة المائدة، الآية ٢٢: «فقالوا يا موسى! إنَّ فيها قوماً جبَّارين، وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها. فإنْ يخرجوا منها فإنّا داخلون».

ثامناً - التّناقُضُ في القُرآن : ١ - الآية ٤ من سورة إبراهيم: «وما أرسَلْنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم، فيضلّ اللّهُ مَن يشاء ويهدي من يشاء. وهو العزيز الحليم». والآية ٧ من سورة الشورى: «وكذلك أوحينا إليكَ قرآناً عربيّاً لتنذر أمَّ القرى ومَن حولها، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة وفريق في السعير». فالذي يُفهم من هاتين الآيتَين، حسب المنطق، هو أنّ اللّه لا يرسل رسولاً لأمّةٍ إلاّ بلسانها. ولمّا أرسل محمّداً بلسانٍ عربيٍّ لينذر أمَ القرى، أي مكّة، ومَن حولها، يكون المقصود بالرسالة هم العرب. ولكن في سورة أخرى يخبرنا القرآن أنَّه أُنزل مصدّقاً ومتمّماً للكتب التي سبقته؛ وكذلك أرسل اللّه محمّداً بالإسلام ليظهره على الدين كلّه، أي بمعنى آخر: أرسل محمّداً لكلّ البشر، رغم أنّ القرآن نزل باللغة العربيّة. فكيف تكون الرسالة للصينيّين وهي ليست بلسانهم؟!

٢ - في سورة فُصِّلت، الآية ٤٤، نجد: «لو جعلناه قرآناً أعجميًا لقالوا لولا فُصِّلت آياتُه، أعجميّ وعربيّ! قل: هو للذين آمنوا هدًى وشفاء». قد يقول العرب: ما دام القرآن ليس بلغتنا، فهو ليس لنا، لأنّ ترجمته إلى لغاتنا تفقده إعجازه اللغوي. وبما أن محمّداً لم تكن له معجزات ماديّة كغيره من الأنبياء، وكلّ معجزته هي لغة القرآن. فإذا فُقدت هذه المعجزة نتيجة الترجمة فقَدَ القرآن قيمته الإقناعيّة. ويؤكّد اللّه أنّه لو نزّل هذا القرآن العربي على بعض الأعجميّين لم يؤمنوا به: «.. ولو أنزلناه على بعض الأعجمين، فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين..» (٢٦/١٩٣).

٣ - ثمّ كيف يدعو القرآن اليهود والنصارى إلى أن يتبعوا التوراة والإنجيل، فيما هو يقول بأنّ الدين عند الله هو الإسلام. يقول في سورة المائدة، الآية ٤٧: «وليحكمْ أهلُ الإنجيل بما أنزل اللّه فيه...»؛ ويقول في نفس السورة،

الآية ٦٨: « قلْ: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتّى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربّكم». معنى هاتين الآيتين: أنّ أهل الكتاب من نصارى ويهود يجب أن يتبعوا الإنجيل والتوراة ويحكموا بما أنزل اللّه فيهما.

٤ – ويذهب القرآن إلى أبعد من هذا ويقول في سورة المائدة أيضاً، الآية ٦٩: «إنّ الذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئون (كذا)، والنصارى، من آمن باللّه واليوم الآخر، وعمل صالحاً، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون». وبما أنّ اليهود والنصارى يؤمنون باللّه واليوم الآخر، فإنّ من عمل منهم صالحاً، فلا خوف عليه، ولا حاجة به لأن يكون مسلماً..

٥ – ولمّا جاء نفر من اليهود يحكّمون النبي في خلافٍ نشب بينهم، قال اللّه له في الآية ٤٣ من سورة المائدة: «وكيف يحكّموك وعندهم التوراة فيها حكم اللّه..». فنفهم من هذا أنّ حكم التوراة هو نفس حكم القرآن.. فما كان اليهود يحتاجون أن يحكّموا محمّداً.

٦ – وفي الآية التي بعدها: «إنّا أنزلنا التوراة، فيها هدى ونور. يحكم بها النبيّون الذينَ أسلموا للذين هادوا والربّانيّون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللّه. وكانوا عليه شهداء». فقال اللّه إنّه أنزل التوراة ليحكم بها النبيّون...

٧ – في سورة المؤمنون، الآية ١٠١: «فإذا نُفخ في الصور، فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون». هذا يعني أنّ الإنسان يوم الحساب إذا رأى ابنه أو ابنته فلا يهتم لنسبهم ولا يتساءلون.. ولكن، سورة الصافات، تخبرنا غير ذلك، في الآية ٢٦: «بل هم اليوم مستسلمون. وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون».

***

أمّا الدكتور الشيخ **عبّاس عبد النّور** الدمنهوري، وهو الدكتور محمّد عبد الرحمن مرحبا، من طرابلس لبنان، فيستفيض في إظهار ملاحظاته حول بلاغة القرآن، فيقول:

أوّلاً – التفكّك في القرآن : ١ . في قـوله :«إليـهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّـاعةِ ، ومَـا تَخْـرُجُ مِن ثمراتٍ مِن أكـمـامِهـا ، ومَا تَحـمِلُ مِن أُنثَى ولا تَضَعُ إلاّ بِعلمِـهِ . ويومَ يُناديهِمْ : أينَ شُرَكائي؟ قَالوا:آذَنَّاكَ، مَا مِنّا من شهـيد» (٤١/٤٧) . فما علاقة آخرِ هذه الآية بأوّلها ؟.. والغـريب أنّ هذا التفكّك لا ينحصـر في اختلال سـياق الآيات بحيث يجـعل منها حـشداً عجـيبـاً من الآيات المتنافرة، بل إنّ الاخـتلال يشقّ الآيةَ الواحدة ويباعد بين طرفَيها ، فإذا آخرها غير منسجم مع أوّلها.

٢ . وقوله في سورة الإسراء (١٧/ ٧٠–٨٨) حيث التفكّك والاختلال فيها هما القانون. وأمّا التماسك والتواصل والاتّساق فهي الاستثناء.

٣ . وقوله:«وآتُوا اليتـامى أموالَهم ولا تتبدَّلوا الخـبيثَ بالطَّيِّب، ولا تأكلوا أموالَهـم إلى أموالِكم . إنَّه كـان حُوباً كـبيراً . وإنْ خِـفتم ألاّ تُقسِطُوا في اليـتامى فانْكِحُوا ما طابَ لكم مِن النِّساءِ مَثنَى وثُلاثَ ورُباع ؛ فإنْ خِفتُم ألاّ تَعدلوا فواحدةً، أو ما مَلَكَتْ أيمَانُكم. ذلكَ أدْنَى ألاّ تَعولُوا» (٤/٢–٣).

هذه الآية الأخيـرة من الأعاجيب . فـقد اجتمع فـيها أمـران لا يمكن الجمع بينهـما إلاّ إذا أمكن الجـمع بين الزيت والماء. فإنّي، رغم جـميع مـا قرأت في كـتب التفسيـر وما فيها من مقـبول ومرذول وثرثرة فارغة واغتصــاب للمعاني، لا أزال حتّى الآن عاجزاً عن فهم العلاقـة بين عدم القسط في اليتامى وبين النكاح . وأرجح الظن أنَّ بين الشرط «وإنْ خِـفتُمْ» وجواب الشـرط «فانْكِحُوا» في الآية الثـانية آيةٌ ثالثة ناقصة أو منسـوخة سقطتْ سهواً أو عمداً، مـا لم تكن هناك «حكمة بالغة» أو «نكتة بلاغيـة» عوّدنا عليها المفسِّرون الثـرثارون!! وإلاّ فإنّ جميع ما في جعـبتهم من عمليّاتِ إنقاذٍ للآية لا يُغني شيئاً...

٤ . «وهناك خطأ منهجي كـبير كنتُ أربأ بالقرآن أن يقع فيـه. فإنّه بعد أن وصف القـرآنُ نعـيمَ الجنة ، ومـا ينـتظر المؤمنين فـيـهـا ممّا لا عين رأت ولا أُذُن سمعت، ولا خطـر على قلب بشر –وهو نتيجـة لمقدّمة نشأة العـالم نشأة أخرى– عرَّج على المـقدّمة ، بدلاً من أن يبـدأ بالمقدمـة وينتهي بنتـيجـتهـا أو –بالأحرى– بإحدى نتائجها ! وهذا قَلْبٌ للأشياء ما كان ينبغي للقرآن أن ينـزلق فيه : «إنّ الذين

سبقتْ لـهم منّا الحسنى ، أولئك عنها (جهنم) مُـبعَدُون . لا يَسمَـعونَ حسيـسَها ، وهم في ما اشتـهتْ أنفسُهم خالِدون. لا يَحْزُنُهُمُ الفزَعُ الأكـبرُ ، وَتَتَلَقَّاهُمُ الملائكةُ : هذا يومُكُمُ الذي كُنتُم تُوعَدون . يومَ نَطوي السمَاء كطَيِّ السِّجِلِّ للكُتُب ، كما بدأنَاهُ أوّلَ خلْقٍ نُعيدُه ، وعداً علينا ، إنَّا كنَّا فاعلين» (٢١/ ١٠١-١٠٤).

أفما كان من الواجب أن يبدأ بطيِّ السـماء ثمّ يذكر ما يترتب على الخلق من جزاء وعقاب ؟ هل قطْع التسلسل بآيةٍ معترضة لا صلة لها بما قبلها ولا بما بعدها، ثمّ اسـتـئناف الكلام بعـد ذلك، هـل هذا القطع شـذوذٌ ونشـازٌ، أم هو من دلائل الإعجاز؟

٥ . وبعد أن تحدّث القـرآن عن أهل الكهف وكيف بعثهم الـلّه من مرقدهم، عرّج على عـددهم، واختلاف الناس فـيه. وبدلاً من أن يذكر لنا هذا العـدد-اللغز، هذه التـحفـة النادرة ، هذا السـر المكنون، ضنّ علينا به ، ليـجـعل ذلك حسـرة في قلوبنا: «سيقولون: ثلاثةٌ، رابعُهُم كلبُهم. ويقولون: خمسةٌ، سادسُهم كلبُهم، رَجماً بالغيب. ويقولون: سبعةٌ، ثامنُهـم كلبُهم. قلْ: ربِّي أعلم بعدَّتِهم. ما يَعلَمُهُم إلاَّ قليلٌ (قال ابن عبّاس: أنا من القليل). فلا تُمَارِ (تجادل) فيهم إلاَّ مِراءً ظاهراً. ولا تستفْتِ فيهم منهم (أي من أهل الكتاب) أحداً» (١٨/ ٢٢).

حبّذا لو استكمل الحلقة الأخيرة من القصّة، ومنّ علينا بمعرفة مدّة إقامتهم في الكهف هم وكلبُهم الأثير. لكنّه سبحـانَه آثر -لحكمةٍ لا يعلمها إلاّ هو أيضاً- أن يقطع لهفتنا على هذه المعرفة بنتوءٍ شاذٍّ آخَـرَ لا أرى، أنا العبد الفقير، وجهاً له وإنْ كان سادتُنا المفسِّرون يرون له ألف وجه ووجه. ثمّ قال بعد الآية السابقة مباشرةً: «ولا تقولَنَّ لشـيء إنّي فاعل ذلك غداً ! إلاّ أنْ يـشـاء اللّه. واذكرْ ربَّك إذا نسيتَ. وقل عسى أن يَهديَني ربِّي لأقْرَبَ مِن هذا رَشَداً» (١٨/ ٢٣-٢٤).

٦ . «ودونكم الآن التـحفـة المرضـية والمفـاجأة الـسارّة بعـد هذا الانتظار الطويل: «ولبثُـوا في كهفِـهم ثلاثَ مِئَـةٍ سِنينَ وازدادوا تِسعاً» (١٨/ ٢٥). وليـته سبـحانه استـقرّ على هذا العـدد! ولكنّه أبى إلاّ أن يظلّ مطوياً في غيب السـموات والأرض: «قلِ اللّهُ أعلَمُ بما لبثـوا. له غيب السموات والأرض. أَبْصِـرْ به وأَسْمِعْ ما

لهم من دونه مِن وليٍّ ولا يُشـرِكُ في حُكمِه أحـداً» (١٨/٢٦). ومَن يدري ؟ فلعلّه سبحانه لا يعلم عددهم هم وكلبهم الميمون، ولا كم لبثوا في الكهف!

٧ . «ومن أغـرب آيات القـرآن وأكثـرها تشـويشـاً وبُعداً عـن السلاسـة والسلامة والانسـجام، وذلك لكثرة ما فيهـا من جمل إعتراضية لا آخـر لها، حتى اشتبكتْ فيها الأطراف وبقايا الآيات بحيث يـجد المرء صعوبةً في العثور على بقيّة الآية الأولى –هذا إذا كان لهـا بقيّة– وتميـيزها من بقـايا الآيات الأخرى مما أرهق علماء التفسير المساكين، واضطرّهم إلى تقدير بقيّة لها، حفظاً لماء الوجه على الأقلّ!

«أقول من أغرب هذه الآيات وبعدها عن الوحدة والتماسك ، الآية–الكوكتيل الطويلة الثالثة التي تتحدّث عن اليهود :«فَبِما نَقْضِـهِم ميثاقَهم ، وكُفرِهم بآياتِ اللّه، وقتْلِهِمُ الأنبـياءَ بغيـرِ حقٍّ ، وقولِهم قلوبُنا غُلْفٌ ، بل طَبَعَ الـلّهُ عليها بكفـرِهم فلا يُؤمِنون إلاّ قليـلاً . وبكفرِهم وقـولِهم على مريمَ بُهـتاناً عظيـماً ، وقولِهم إنّا قـتلْنا المسيحَ عيـسى ابنَ مريمَ رسولَ اللّه . وما قتلُوه وما صلبـوه ولكن شُبِّهَ لهم ، وإنّ الذين اختلَفوا فيه لَفي شكٍّ منه ، ما لهم به من علمٍ إلاّ اتِّباعَ الظنِّ ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه اللّهُ إليـه ، وكان اللّه عزيزاً حكيماً . وإنْ مِن أهلِ الكتـاب إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به قبل موته ، ويومَ القـيامـة يكونُ عليهم شـهيداً . فـبِظُلْمٍ مِن الذين هادوا حَرَّمْنا عـليهم طيِّباتٍ أُحِـلَّتْ لهم ، وبصدِّهِم عن سبيل اللّه كـثيراً ، وأخْذِهِمُ الرِّبَا وقـد نُهُوا عنه ، وأكلِهِم أمـوالَ الناس بالباطل ، وَأَعـتَدْنا لـلكافرين منهم عَـذاباً أليمـاً» (٤/ ١٥٤– ١٦١) . هل هذا الخليط المليط مـن الإعجـاز ؟.. أم لعل اختـلاط الحـابل بالنابل في القرآن من إعجاز القرآن؟!!

٨ . «وأخيراً ، دونكم هذه الآيات–الكوكتيل بلا تعليق : «وإذ قُلنا لكَ إنّ ربَّكَ أحاطَ بالناسِ ، وما جعلْنا الرؤيا التي أَرَيْنَاكَ إلاّ فِتنةً للناسِ ، والشجرةَ الملعونةَ في القرآن ، وَنُخَوِّفُهُمْ ، فـما يَزيدُهُم إلاّ طُغياناً كبيراً . وإذ قُـلنا للملائكة: اسجُدُوا لآدمَ فَسَجدوا إلاّ إبليسَ ، قال أأسجدُ لِمَنْ خلَقتَ طيناً ؟» (١٧/ ٦٠–٦١).

ثانياً – الغموض في القرآن : كثيرة في القرآن هي الآيات التي صُنعت من مادّة الغموض، فـلا تنقاد للعقل ولا تبين بالفهم . ألغازٌ تختال أمـامك فما تدري لها

وجهاً ، وكلماتٌ تستحيل إلى طلاسم غيرِ مدركة كأنَّ العقل منها في عقال..

١ . وأوّل هذه الألغاز هي الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور : ألم (البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة)، والمص (الأعراف)، وألر (يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر)، وألمر (الرعد)، وكهيعص (مريم)، وطه (طه)، وطسم (الشعراء، والقصَص)، وطس (النمل)، ويس (يس)، وص (ص)، وحم عسق (الشورى)، وق (ق)، وحم (غافر، وفُصلّت، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف)، ون (القلم).

ما هذه الألغاز ؟ هل هذا من القرآن الذي فُصلّت آياتُه بلسانٍ عربيٍّ مبين ؟ أين الإبانة يا قوم ؟ هل هي في الإلغاز ؟ هل استحالت البلاغة في القرآن إلى مجموعة من الألفاظ التي لا تعني لنا شيئاً، أم لعلّ الأمر تشابه عليه سبحانه ، فحَسبَنَا مثله نحيط بكلّ شيءٍ علماً حتّى كنّا إيّاه وكان إيّانا ؟

٢ . والغريب أنّ القرآن كثيراً ما يندفع في تفاصيل لا موجب لها بل لا معنى لها، ويُقصرّ في أخرى كان من الواجب تبيانها وعدم التلكؤ فيها . خذ هذه الآية مثلاً : «واذكُرْ في الكتاب موسى. إنّه كانَ مُخلَصاً وكانَ رَسولاً نبيّا. وناديناه من جانب الطورِ الأيمَنِ وقرَّبْناه نجيّا» (١٩ / ٥١-٥٢).

أنا لا أفهم أيّ معنى لكلمة «أيمن» في شعابٍ واسعة لا معالم لها وكلُّ شيء فيها يصلح أن يكون على يمين شيء آخر أو على يساره . فالجهات من المضاف ، أي ليس لها معنى مطلق بل هي نسبية يتحدّد معناها بالقياس إلى غيرها.

٣ . وكذلك لا يفوتني أنْ أذكر هنا أيضاً هذه الآيات-الألغاز حكايةً عن موسى بعد أن نزل من الطور ووجد قومَه يعبدون العجل ، فاستطار غضباً وأخذ بخناق أخيه المسكين هرون :

«فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أسفاً . قال يا قومِ! ألم يعِدْكم ربُّكم وعداً حَسناً ، أفطالَ عليكم العهد ؟ أم أردتم أن يَحلَّ عليكم غضبٌ من ربِّكم فأخلفْتم موعدي ؟ قالوا : ما أخلفنا موعدَك بِمَلْكِنا ، ولكنّا حُمِّلْنا أوزاراً من زينة القوم

فقذفناها ، فكـذلك ألقَى السـامريُّ . فأخرجَ لهم عـجلاً جَسَدًا له خُـوَارٌ ، فقالوا: هذا إلهُكم وإلهُ موسى فنـسي . أفلا يَرون ألاَّ يَرجِعُ إليهم قـولاً ولا يملِكُ لهم ضَرًا ولا نفْعـاً ؟ ولقد قـال لهم هرونُ مِن قَبلُ: يا قـومِ! إنما فُتنتُم به ، وإنّ ربَّكـم الرحمنُ ، فاتَّبعوني وأطيـعوا أمري . قالوا : لن نبرحَ عليه عاكـفينَ حتّى يَرجِع إلينا موسى . قال: يا هرون! ما منعَك إذ رأيتَـهم ضلُّوا ألاّ تتَّبِعَني ، أفَعَصَـيتَ أمري ؟ قال: يا ابنَ أمّ: لا تأخذْ بلِحيتي ولا برأسي ، إنّي خَشِـيتُ أن تَقول فرّقتَ بين بني إسرائيل وَلم تَرقُبْ قولي . قال: فما خَطبُكَ يا سامريُّ ؟ قال : بَصُرْتُ بما لم يَبصُروا به فقبضْتُ قبضةً مِن أثَرِ الرسولِ فنبذْتُها ، وكذلك سَوَّلَتْ لي نفسِي» (٢٠/٨٦–٩٦) .

مجموعة من الألغاز في هذه الآيات ، كالكلمات المتقاطعة اضطرّت المفسِّرين إلى أن يُفرِجوا عن كلِّ مخزونهم الأسطوري ويثرثروا على هواهم ليفكّوا طلاسمها ويزيلوا الغموض الذي يحيط بها . فمن المعروف في علم البلاغة أنّ الإيجاز في غير محلِّه إخلال بالمعنى ، كما أنّ التطويل يُفسد المعنى.

فمـا المقصود بقوله تعـالى : «ولكنّا حُمِّلْنا أوزاراً من زينة القوم فـقذفناها» (٢٠/٨٧). أينَ قذفوها ؟ يقول المفسِّرون إنّهم قـذفوها في النار . كيف عرفوا ذلك لولا أساطير التوراة التي يقول القرآن إنّها مـحرّفة ؟ فما ضرَّ لو ذكر كلمة (نار)؟ لِمَ يُلجئنا إلى كتابٍ «محرَّف» لنفهم غير المحرَّف؟

ولكنّ اللغز الكـبير يتجـلّى في الآية الأخيرة التي بلغ فـيها الخلل أقـصاه : «بَصُرْتُ بما لم يَبصُروا به فقبضْتُ قبضةً مِن أثَرِ الرسولِ فنبذْتُها» (٢٠/٩٦). ما هي هذه القـبـضـة ؟ وعن أيِّ رسـول يتـحـدّث ؟ ما أخـصـبهـا من تربة لإنعـاش الإسرائيليّات وحـشد الأساطير ، وبالتالي أسطرة المؤمنين بقرآن عـربي «غير ذي عِوَج لعلهم يتّقون» (٣٩/٢٨).

٤ . وإذا أردتم مزيداً من الألغاز في آيات القـرآن فدونكم هذه الآية : «ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيِّه جسداً ثمَّ أناب» (٣٨/ ٣٤).

لا شيء كـالاسطورة يضفـي المعنى على هذه الآية.. أتعـرفون مـا هو هذا الجسد الـذي ألقاه اللّه على كرسي سليمـان ؟ إنه جنِّيٌّ عربيٌّ لأنّ اسمـه «صخر» ،

جلس على كرسي سليمان الذي تزوج بامرأة هَوِيَهـا كانت تعبد الصنم، وكان مُلكُه في خاتمه المشهور فنزعه مرّة عند إرادة الخـلاء ووضعه عند امرأته ، فجاءها ذلك الجنيُّ في صورة سليمان وأخذه منها وجلسَ على كرسي هذا الأخير . فخرج سليمان في غير هيئته الأصليّة التي سلبه الجنّيُّ إيّاها ورأى الجنّيَّ على كرسيه . فقال للناس أنا سليمان. فأنكروه. ثمّ أنابَ إلى اللّه ورجع إلى ملكه بعد أيام !!

٥ . وممّا يُثقل القرآن بالغموض ويزيده غموضاً إلى غموض، هو كثرة استعماله للألفاظ المتضادة، أي الألفاظ التي تفيد معنَيين متضادّين في وقت واحد، حتّى في المسائل العقائدية وآيات الأحكام، وهذا كان من الواجب أن يكون من المحرّمات في كتاب لا يؤتى بمثله :

١ – فالفعل (غَبَرَ) مثلاً له معنيان متضادان : مضى وبقي . فقد وردت هذه الكلمة سبع مرات في سبع آيات تتحدّث عن امرأة لوط : «ولما جاءت رُسلُنا إبراهيمَ بالبشرى قالوا إنّا مهلكو أهل هذه القرية ، إنّ أهلها كانوا ظالمين . قال إنّ فيها لوطاً ، قالوا نحن أعلم بمن فيها ، لنُنَجِّيَنَّهُ وأهله ، إلاّ امرأته كانت من الغابرين» (٢٩/ ٣١–٣٢). وهكذا فقد أخرج ملائكة العذاب لوطاً وأهله من القرية وأبقوا على امرأته فكانت من الغابرين أي الباقين في القرية لتنال حظّها من العذاب.

٢ – وقد يكون استعمال هذا اللّفظ الذي يفيد معنيين متضادين يمسّ هذه المرّة قضية أساسية من قضايا الإيمان ، وأعني بها (ظَنّ) ، وهذا الفعل يفيد الشكّ ويفيد اليقين ، ومع ذلك فإنّ القرآن لم يجد حرجاً في استعمالها : «وَاستعينوا بالصبر والصلاة، وإنّها لَكَبيرةٌ إلاّ على الخاشعين الذين يَظُنّونَ أنّهم مُلاقو ربِّهم وأنّهم إليه رَاجعون» (٢/ ٤٥–٤٦). فهل يصحّ استعمال الفعل (ظنّ) في هذا الموضع. إذ قد يكون معناه ههنا أنّه ليس من الضروري أن يبلغ إيمان المرء باليوم الآخر مبلغ اليقين ، بل يكتفي اللّه من العبد في هذه الحالة الظنّ وحسب.

٣ – وهناك لفظ آخر في القرآن له معنيان متضادان وهو يتعلّق بحكمٍ شرعيٍّ أساسيٍّ في الدين وأعني به الكلمة (قُرْء) فهي من المضاد ، إذ معناها حيض المرأة وطُهرها ، أي خروجها من الحيض في وقت واحد . فإذا كان أمرها كذلك ،

فكيف عسانا نفسّر قوله تعالى وهو أصدق القائلين : «والمطلّقاتُ يتَربَّصن بأنفسهنَّ ثلاثة قُرُوء» (٢/ ٢٢٨). فأيّ المضادَّين هو المقصود هنا ؟

٤ – ومن هذا القبيل أيضاً كلمة (إحصان) ومشتقّاتها . فهي تعني العفّة ، أي عدم الزواج : «ومريم ابنة عمران التي أَحْصَنَتْ فرْجَها» (٦٦/ ١٢)، وتعني الزواج :«فإذا أُحْصِنَّ» (٤/ ٢٥) ؛ كما تعني أيضاً العتق والحريّة : «فإذا أُحْصِنَّ فإن أتينَ بفاحشة فعليهنَّ نصف ما على المحصنات» (٤/ ٢٥). فقد استعملت هذه الكلمة هنا بمعنيين مختلفين في آية واحدة .. فلعلّ في ذلك قمّة الإعجاز !

ثالثاً – غريب القرآن : في إعجاز القرآن باب غريب أسهم كثيراً في غموض القرآن ، وهو إلى التعجيز أقرب منه إلى الإعجاز ، ويسمَّى هذا الباب (غريب القرآن) . والمراد بـ (غريب القرآن) مفردات من القرآن وألفاظ وتعابير وتراكيب غريبة جاءت فيه على اصطلاح لم توضع له في العربيّة قبله.

١ . يقول السيوطي في توكيده لغرابة هذه الألفاظ بأنّ العرب وهم «أصحاب اللغة الفصحى ومَنْ نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقّفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها». ويقول أبو عبيدة عن إبراهيم التيمي أنّ أبا بكر الصديق سُئل عن قوله تعالى : «وَفَاكِهَةً وَأَبًا» (٨٠/ ٣١)، فقال : "أيُّ سَماءٍ تُظلُّني ، وأيُّ أرضٍ تُقلُّني، إنْ قلتُ في كتاب اللّه ما لا أعلم؟" . ويقول الغريابي عن ابن عباس قال : "كلُّ القرآن أعلمُه إلاّ أربعاً : غِسلِين (٦٠/ ٣٦)، وحنَاناً (١٩/ ١٣)، وأوَّاهٌ (٩/ ١١٤)، والرقيم (١٨/ ٩).

٢ . من الألفاظ الغريبة أيضاً : (قلوبنا غُلْف) و(ما ننسخ) و(مثابة) و(جِنَفاً) و (بهتاناً) (غير متجانفٍ) و (مدراراً) و (يضاهئون) و (صنوان) و (جُذاذاً) و (كَطيِّ السجلِّ للكتب) و (ثاني عِطْفه) و(هيهات هيهات) و (الأجداث) و (زخرفاً) و (برزخ) و (رواكد) و(يوبقهن) و (ذي المعارج) و (سبلاً) و (جَدُّ ربِّنا) و (فلا يخاف بخْساً) و (ولا رهقاً) و (كثيباً مهيلا) و (وبيلا) و (شواظ) و (يطمثهن) و(نضّاختان) و (رفرفٍ خضر) و(مترفين) و (فَرَوْح وريحان) و(نبرأها) و(لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) و (انفقوا) و (ومن يتّق اللّه يجعل له

مخرجاً) و (عتت) و (فسحقاً) و (لو تُدهن فيدهنون) و (زنيم) و (يوم يُكشف عن ساق) و (مكظوم) و (مذموم) و (ليزلقونك) و (طغى الماء) و (يوم عسير) و(أمشاج) و (مستطيراً) و (قَمْطريراً) و(رواسي) و (ألفافاً) و (جزاء وفاقاً) و(فُراتاً) و (المعصرات) و(كواعب) و (الرادفة) و (سَفَرة) و (قَضْباً) و(عسعس) و (عِلِّيين) و(ضريع) و (حسير) و (يتمطّى) و (أترابا) و (مرساها) و(ممنون) و(أرائك) و (معاذيره) إلخ...

هذه كلها ألفاظ عربيّة وردت في القرآن تختلط فيها لغة قريش بلغات قبائل عربية أخرى.

٣. ولكن هناك أيضاً ألفاظ غريبة غير عربية تزيد على المئة وردت في القرآن مثل : (سندس) و (إستبرق) و(أباريق) و (أبْ) و (الأرائك) و (الأسباط) و (أكواب) و (الأوّاه) و(ربّانيّون) و (الرَّقيم) و (زنجبيل) و (سجِّيل) و (سرادق) و (غسّاق) و(القسطاس) و (مشكاة) و (صراط) ...

هل هذه الألفاظ الغريبة ، عربية كانت أو أعجمية ، من دلائل الإعجاز في القرآن ؟ هل هذا إعجاز أم تعجيز ؟ أين الوضوح في هذا ؛ بل، باصطلاح القرآن، أين الإبانة في هذا : «ألر. تلكَ آيات الكتاب المبين» (١٢/١)؟ كيف يجوز وصف القرآن بالمبين وهو غير مبين ؟ أم عدم الإبانة هي إبانة شئنا أو أبينا على طريقة «صدقَ اللّه وكذب بطن أخيك»؟..

٤. ومن أعجب هذا الإعجاز ما أخرجه ابن جرير بسندٍ صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال : «في القرآن من كلٍّ لسان». وروي مثله عن سعيد بن جُبير ووهب بن منبّه : « فهذه إشارة إلى حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنّه حوى علوم الأوّلين والآخرين ، ونبأ كلِّ شيء . فلا بدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليُتمَّ إحاطتَه بكلِّ شيء . فاختير له من كلِّ لغة أعذبُها وأخفُّها وأكثرُها استعمالاً للعرب ».

ويضيف السيوطي « أنّ القرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأُنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير». ويؤكّد ذلك بأنّ «النبي

(ص) مرسَلٌ إلى كلِّ أمّة ، وقد قال تعالى: «وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومِه» (١٤/ ٤) . فلا بدّ وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كلِّ قوم».

رابعاً – ركاكة القرآن : وثالثة الأثافي في ضعف آيات القرآن هي الركاكة . وقد تجد صعوبة كبيرة في تصديق ذلك. وإليكم الدليل:

١ . قال تعالى في بيان فضله على الناس وجحود الناس لهذا الفضل : «هو الذي يُسيِّركم في البرِّ والبحر ، حتّى إذا كنتم في الفُلْك وَجَرَيْنَ بِهِمْ بريحٍ طيّبةٍ وفرِحوا بها ، جاءتها ريحٌ عاصفٌ وجاءهم الموج من كلِّ مكان ، وظنّوا أنّهم أُحِيطَ بهم ، دَعَوا اللّهَ مخلِصين له الدِّين ، لئن أنْجَيْتَنا لنكونَنَّ من الشاكرين . فلمّا أنجاهم إذا هم يَبغونَ في الأرض بغيرِ الحقِّ..» (١٠/٢٢-٢٣).

إنّ الركاكة في الآية هي سوء استعمال الضمائر إساءة من شأنها إحداث اختلالٍ في السياق.. وموضع الخلل يكمن في قوله: «هو الذي يُسيّركم في البرّ والبحر ، حتّى إذا كنتم في الفُلك وَجَرَيْنَ بِهم» بدلاً من «وَجَرَيْنَ بِكُم»، «وَفَرِحْتُم» بدلاً من «وَفَرِحُوا». صدِّقوا أو لا تصدِّقوا أنّ هذا النشاز من بلاغة القرآن .

٢ . وسئل النبي عن الأهِلّة ، أي اختلاف أوجه القمر من يوم إلى آخر. وبدلاً من أن يفسِّر لهم ذلك فقد تهرّب من الجواب : «يَسألونَكَ عن الأهِلَّة . قلْ : هي مَواقيتٌ للناس والحجِّ» (٢/ ١٨٩).

يا لَلجواب المذهل! لقد خلق اللّه الأهِلّة للناس ليعلموا بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدّة نسائهم وصيامهم وإفطارهم وحجّهم إلى بيته الحرام ، كما يقول المفسِّرون ! حسناً . فإذا صح ذلك، فماذا عسانا يا تُرى نُفسِّر اختلاف أوجه القمر -بل الأقمار- في المرِّيخ والمشتري وزُحَل وغيرها من الكواكب الأخرى؟ هل هناك بشرٌ مثلنا في هذه الكواكب يحجّون إلى الكعبة المشرَّفة ولهم اهتمامات ومصالح كما لنا ، ونساء كنسائنا يحضن ويطهُرن من الحيض استعداداً للصلاة والصوم ؟

والحق أنّ أسوأ أنواع التوقيت هو التوقيت القمري الذي ابتُلينا به والذي أحدثَ فينا شرخاً لا أملَ في رأبه . فضلاً عن أنّ هذا الجواب فيه توكيد صارخ

لمركزيّة الأرض في العالم، وشمس واحدة، وقمر واحد ، وعبادات ومناسك واحدة. وهكذا صرفَهم القرآن عمّا يطلبون إلى ما لم يخطر ببالهم أن يطلبوا. لقد صُدِم علماء البلاغة حقاً بهذا الجواب ولم يُصدموا . وكيف يُصدمون وهو صادر من لدن حكيم عليم ؟ لقد صرفهم اللّه عن الجواب..

٣ . «مَن كَفَرَ باللَّهِ من بَعدِ إيمانِه ، إلاّ مَن أُكْرِهَ وَقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان ، ولكن مَن شرَح بالكفرِ صدْراً ، فعليهم غضبٌ مِن اللّهِ ولهم عذابٌ عظيم» (١٦/ ١٠٦) .

أستحلفكم بمن تحبّون : هل فهمتم شيئاً ؟ قلتُ في نفسي لعلّ في هذه الآية خطأً في النسخ، أو لعلّ فيها كلمة ناقصة أو كلمة محرّفة. فرجعتُ إلى طبعات مختلفة من النسخ كُتبتْ في أزمنةٍ مختلفة، عسى أن أجدَ بينها اختلافاً ما . ولكنْ عبثاً . فهناك تطابق تامّ بين جميع النسخ وفي جميع الأزمان والأمكنة . هل هذا حقًا كلام ربِّ العالمين الذي تحدّى الإنس والجن أن يأتوا بمثلِه ؟

٤ . وهاكم آية أخرى تشبه الآية السابقة في الضعف والركاكة وإن كان فهمُها غيرَ عسير : «وَهُوَ الذي أنْزَلَ من السماءِ ماءً ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ نباتَ كلِّ شيء ، فَأَخْرَجْنَا مِنه خضيراً نُخْرِجُ مِنه حبًا متراكماً» (٦/ ٩٩).

ليت شعري! أتشعرون بشيء غير طبيعي عند سماعكم هذه الآية ؟ في هذه الآية عَيبان، أو «بلاغتان»، إذا شئتم : بلاغة الالتفات «هو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا»، هذا أولاً ، وثانياً تكرار الفعل «أخرج» ثلاث مرات تكراراً يخدش الأذن ويشعرها بالضيق والتبرّم ، ما لم يكن الضيق والتبرّم من دلائل الإعجاز ! ولو تردّى ابن المقفع أو الجاحظ أو غيرهما من أمراء البيان في مثل هذا السقم لهشمّوهما ولأوسعوهما نقداً وتجريحاً . ولكن ما العمل إذا كان الصقل والتكرار وقراءة التعبّد أورثتْ أصحابَها تبلُّدَ الحسِّ وفقدانَ الشعور بالنشاز !!

٥ . وهاكم آية أخرى تشبه الآية السابقة في الضعف والركاكة لم أفهم منها شيئاً: «وإذْ نادَى ربُّكَ موسى أنِ ائتِ القومَ الظالمين ، قومَ فرعون ، ألا

يتّقون؟» (٢٦/ ١٠-١١). وفي حواره مع فرعون سأله هذا : «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَليداً ولبثتَ فِينا من عمرِكَ سنين ؟ وفَعلتَ فَعلَتَك التي فَعَلْتَ... قال فَعلتُها... ففررتُ منكم لمّا خِفتُكُم ، فوَهَبَ لي ربِّي حُكْماً وجعلَني مِن المرسَلِين . وتلك نعمةٌ تَمُنُّها عليَّ أنْ عبّدتَ بنِي إسرائيل» (٢٦/١٨-٢٣).

الآية-اللغز هنا هي الآية الأخيرة . وما سبق من الآيات فهو تمهيد لها . أنا لم أفهم كيفَ يكون (التعبيد) أي الاستعباد كما يقول المفسِّرون ، نعمة يمُنُّ بها فرعونُ على موسى . وإذا أُريد لهذه الآية أن يكون لها معنى ، فلا بد من قراءتها على الشكل التالي : «وتلك نعمة يمُنُّها اللّه عليَّ» أي : «أن أكون من المرسَلين نعمة يمُنُّها اللّه عليَّ» .

أمّا بقية الآية «أنْ عبَّدتَ بني إسرائيل» فهي محرّفة لا معنى لها؛ أو هي بقيّة آية منسوخة؛ وقد تلقّاها النسّاخ والقرّاء على الوجه الذي ورد في القرآن كما يتلقّى الصُمُّ والبُكمُ والعُميُ ما يُلقَى إليهم بلا اعتراض ولا معارضة ، بل يقولون «كلٌّ من عند ربنا» . وجاء المفسِّرون في أعقابهم فلم يجرؤوا على إحداث أيِّ تغيير فيها ، وتفنّنوا في اختلاق شتّى المعاني لها؛ ولم يقل أيٌّ منهم : لا ترهقوا أنفسكم فالآية على هذا الوجه لا معنى لها !!

٦ . وكذلك إقرأوا الآية-اللغز التالية وأعيدوا قراءتها ضمن الشروط السابقة وقولوا لي هل فهمتم شيئاً : «قل لا يَعلمُ مَنْ في السموات والأرضِ الغيبَ إلاّ اللّهُ ، وما يَشعُرون أيّانَ يُبعَثُون . بلِ ادَّارَكَ عِلمُهم في الآخِرة ، بل هم في شكٍّ منها ، بل هم منها عَمُون» (٢٧/ ٦٥-٦٦) .

تُرى ، هل في هذه الآية ذرّة من البلاغة ؟ هل يبلغ الكلام من الإرتباك والإلتواء والركاكة والتشويش أكثر منه هنا ؟ إنه الإعجاز في عدم الإعجاز!!

٧ . «وإذْ قال مُوسى لفَتاهُ: لا أَبْرَحُ حتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحرَينِ أو أَمْضِيَ حُقُباً. فلمّا بَلَغا مجمعَ بينِهما نَسِيا حُوتَهما فاتّخذَ سبيلَه في البحرِ سَرَباً. فلمّا جاوزَا قالَ لفتاهُ : آتِنا غداءَنا. لقد لَقِينا مِن سَفَرِنا هذا نَصَباً . قال: أرأيتَ إذ أَوَيْنا

إلى الصخْـرةِ؟ فإنّي نَسيتُ الحـوتَ ، ومَا أَنْسَـانِيهُ إلاّ الشيطانُ أن أذْكُـرَهُ ، واتَّخذ سبيلَه في البحر عَجَباً» (١٨/ ٦٠-٦٢) .

يقولون إنّ كـلام اللّه ليس فيه زيادة ، فـالألفاظ فيه على قـدود المعاني بلا زيادة ولا نقصان ! حسناً . لكن هذه الآية فيـها زيادة أحدثتْ فيها خللاً ظاهراً. هذه في رأيي ليست زيادة بل حشوٌ كما في كثـيرٍ من آيات القرآن . إنّ كلمة «مَا أَنْسَانِيهُ إلاّ الشيطانُ» كـافية لتـأدية المعنى المطلوب. فما الحكمـة «البالغة» من إضـافة «أن أذْكُرَهُ»؟ وإذا كان القـرآن حريصـاً على كلمة «أنْ أَذْكُـرَهُ»، فما فـائدة الضمـير في «أَنْسَانِيهُ» هنا ؟ لقد كان من الواجب أن يقـول «وما أنسانيه إلاّ الشيطان»؛ أو «وما أنساني إلاّ الشيطان أن أذكـره». وأما الجمع بينهمـا معاً فهو نشـاز صقلَه اللسان فمات الإحساس به .

٨ . «وسخَّـر لكم ما في السموات ومـا في الأرض جَميـعاً مِنْهُ. إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكّرون» (٤٥/١٣).

أنا لم أفهم لهـذه الـ «مِنْهُ» أيَّ معنىً أو وظيفـة. إنّها حشو في حـشو ، ولم يبق على البـلاغيّين إلاّ أن يجعـلوا الحشو باباً مـن أبواب البلاغة. ولعلـها ذيلٌ لآية أخرى نُسخت فأثبتها النسّـاخ سهواً فانسابت في النصّ من غير أن يخطر على بال أحد أن يشكّك فيها . قد تكون لها حكمة لا يعلمها إلاّ اللّه !

وقيل : «سَخّر لكم ... جميعـاً منه» ، أي سخّرها كائنة منه تعالى ! فهي هنا حال ، ولم يسأل أحد نفسـه : ما ضرورة هذا الحال؟ فهل هناك سـفسطة أكثر من هذه السفسطة : «كائنة منه» بدلاً من شطبهـا وحذفها من النص نهائياً ؟ ولكن مَن يجرؤ على ذلك ؟

٩ . «وسيق الذين كَفـروا إلى جهنَّمَ زُمَراً ، حتّى إذا جَاؤوها فُـتحتْ أبوابُها وقال لهم خَـزَنتُهـا: أَلَمْ يأتِكم رُسُلٌ منكم يَتلون عليكم آياتِ ربِّكم؟.. قـالوا: بلَى... قيلَ ادخُلُوا أبوابَ جهنَّمَ خالـدِين فيها ، فبئسَ مَثوَى المتـكبِّرين . وسِيقَ الذين اتَّقَوا ربَّهم إلى الجنَّة زُمَراً، حتّى إذا جـاؤوها و فُتحتْ أبوابُها وقالَ لهم خزَنَـتُها: سلامٌ

عليكم ، طِبْـتُم فادخُلُوها خـالِدين . وقالوا: الحـمدُ للّه الذي صَدَقَنـا وعْدَهُ، وأَورَثَنا الأرضَ نَتَبَـوَّأُ من الجنَّة حيث نشـاءُ. فنِعْمَ أجرُ العامِلين. وترَى المـلائكة حافِّينَ من حَوْل العـرشِ يُسبِّحـون بحمدِ ربِّهم ، وقُـضِـي بينهم بالحقِّ ، وقيلَ الحـمدُ للّه ربِّ العالمين» (٣٩/ ٧١-٧٥) .

هذه الآيات هي في رأيي من الروائع لولا أنّ فيها عيبين شوَّها جمالَها كفتاة رائعة الجـمال نبت الشـعر في شاربـها وذقنها . لكنَّ دورانَ الألسـنة بهذه الآيات طويلاً أخفى التشويهَ كما تُخفي المساحيقُ عيوبَ وجه الحسناء .

فـهناك عـدم توازٍ بين الآيات التي تصف دخـول الذين كـفـروا إلى جـهنم ودخول الذين اتَّقَوا . فعندما سيق الذين كفـروا إلى جهنم ووصلوا إليها فُتحت لهم أبوابها . فالوصول أدّى إلى فتح الأبواب . أي لقد جاءت المقدمة (الوصول) وتبعتها النتيجة في الحال. ولكن ذلك لم يحـدث ما يوازيه للذين اتَّقوا : فالآيات التي تصف وصول هؤلاء هي، في الظاهر على الأقلّ، مجـموعة مقدّمات بلا نتـيجة، وإن كانت النتيجة معروفة بالإستنتاج . النتـيجة في الآيات الأولى معروفة لفظاً واستنتاجاً ، وأمّا في الآيات المتبقّية فالنتيجة معروفة استنتاجاً فقط .

وبعـبارة أكـثر تبـسيطاً : نجـد في آية المتَّقين (واو العطف) زائدة شـوّهت المشـهد كلَّه حـتّى ليظنَّ الإنســان أن هذه الآية لا جواب لهـا. في الآية الأولى يأتي الجواب فـي الحال : «حـتّى إذا جَاؤوها فُـتِحَتْ أبوابُهـا»، بينما لا جـواب في الآية لدخول حـرف العطف : «حـتى ... وفتحـت» فكيف انزلقت هذه الواو الثقـيلة هنا ؟ يقولون إنّها زائدة ، ولكنها زيادة على حساب أهل الجنّة المتلهّفين لمعرفة مصيرهم !

والعيب الثـاني في هذه الآيات هو الفعل «سِيق» الذي يستـعمل للدواب ولا يجوز تطبـيقه على الإنسـان. فكما يُساق الحـمير والبـغال هكذا يساق البـشر في القرآن . وليت الأمر اقتصر على ذلك ، بل لقـد سُوِّي في هذا الاستعمال بين «الذين كفروا» و«الذين اتّقـوا» . وهي تسوية فيهـا احتقار شديد للذيـن «اتّقوا» . فهل في الأمر هنا حكمةٌ خفيت على العقول والأذهان ؟! وكأنما أحسّ المفسِّرون «الملفلفون» بقبح هذه التسوية ومـا فيها من هُجنة وإجحاف بحق المتّقين فرقّـعوا كلمة «سِيق»

الاولى بإضافة كلمة «بعنف»، ورقّعوا الثانية باضافة كلمة «بلطف»؛ فقالوا: «وسيق الذين كفروا بعنف إلى جهنم زُمَراً»، «وسيق الذين اتّقوا بلطف إلى الجنّة»، ونسوا أن السَّوق هو السَّوق، سواء كان بعنف أو بلطف!

١٠ . «قل أئنَّكُم لَتكفُرون بالذي خلَق الأرضَ في يومَينِ وتَجعلون له أنداداً، ذلك ربُّ العالمين . وجعلَ فيها رَواسي مِن فوقِها وبارَك فيها وقدَّر فيها أقواتَها في أربعةِ أيَّامٍ سَوَاءً للسَّائلين . ثمّ استَوى إلى السماء وهي دُخانٌ ، فقال لها وللأرضِ: ائتِيَا طَوعاً أو كَرْهاً . قالتا: أتَينا طائعينَ . فقضَاهنَّ سبعَ سمواتٍ في يومَينِ ، وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرَها . وزيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيحَ وحِفْظاً . ذلك تقديرُ العزيز العليم» (٤١/ ٩-١٢) .

هذه الآية كسابقاتها يختلط فيها الغموض بالركاكة. إنّ كلّ ما جاء في القرآن بخصوص عدد الأيام التي خلق اللّه فيها العالم تحصر هذا العدد في ستّة أيام ، إلاّ الآية الأخيرة . كما أنّ جميع الآيات المتعلقة بعدد أيّام الخلق في القرآن تدخل إلى الموضوع مباشرة بلا نوافل أو طفيليات ضارّة إلاّ ههنا .

وبصرف النظر عن عزلة هذه الآية وعدم ارتباطها بما قبلها وما بعدها كما عوَّدَنا القرآن ، فقد بدأت بداية غريبة: «قُلْ أئِنَّكُم». فهل هذا سؤال؟ أم إنكار؟ أم تقرير لواقع؟!. أم ماذا؟! أفتوني في أمري، وأنا لكم من الشاكرين!

كذلك إنّ هذه الآيات الأربع نشاز يجمع بين أطرافٍ متباعدة : التعريض بالمشركين الذين يَكفرون باللّه الذي خلق الأرض في يومَين، ولا يكتفون بذلك بل يجعلون له أنداداً . ثمّ يأتي بعد هذا بيان أنّ الذي خلق كلّ ذلك هو ربّ العالمين . ثمّ اتبع ذلك بتقوية الأرض بالجبال وتقدير أقواتها في أربعة أيام..

والخلاصة ، إن اللّه بعد أن أتمّ خلق الأرض في ستة أيام خلق السموات السبع في يومَين. ثم نثر المصابيح في السماء الدنيا زينة لها،دون السموات الأخرى على ما يظهر، فبقيت مظلمةً، لأنّ السموات مقرُّ الملائكة، فهي لا تحتاج إلى مصابيح لأنّ الملائكة أجسام نورانيّة، ومصابيح السماء الدنيا من الشمع.

لقد حار المفسِّرون في فهم هذه الآيات التي تتوسّع في عدد أيام الخلق فتجعلها ثمانية ، وفي التوفيق بينها وبين جميع الآيات الأخرى التي تكتفي بستة أيام فقط . فقالوا إنّ الأيّام الأربعة التي أتمّ اللّه فيها خلق الأرض يدخل فيها اليومان الأوّلان اللّذان خلق اللّه فيهما الأرض . مخرج لطيف لا بأس به ، ولكنّه إن صحّ أفلا يدلُّ على ركاكة القرآن الذي كان في مقدوره أن يستعمل ألفاظاً أكثر وضوحاً وبياناً ، فعدل عنه إلى الركيك الغامض ، لا سيّما وإنّ الإبانة صفة ملازمة للقرآن تتكرر في كل صفحة تقريباً «بلسان عربي مبين»؟!

١١ . «ولقد أرسلْنا نوحاً وإبراهيمَ وجعلنا في ذرِّيّتهما النبوَّةَ والكتاب ، فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون . ثم قفَّينا على آثارهم برُسُلِنا وقفَّينا بعيسى ابنِ مريمَ وآتيناهُ الإنجيلَ ، وجعلنا في قلوبِ الذين اتَّبعُوه رأفةً ورحمةً ، ورهبانيَّةً ابتدعوها ما كتبْناها عليهم إلاّ ابتغاءَ رضوانِ اللّه ، فما رَعَوها حقَّ رعايتها . فآتَينا الذين آمَنوا منهم أجرَهم ، وكثيرٌ منهم فاسِقون» (٥٧ / ٢٦-٢٧).

لا يمكن لأحد يُنقِّبُ عن الآيات المرتبكة في القرآن أن يمرَّ على الآية الأخيرة بسلام . فلا يعرف المرء هل الرهبانيّة من ابتداع النصارى أم إنَّ اللّه كتبها عليهم وأمرَهم بها ؟ والغريب أنّ القرآن جمع النقيضَين، فكيف يستقيم لها معنى ؟ كيف ابتدعوها وكيف كتبَها اللّهُ عليهم!.

ولمّا كان المفسرون لا يملكون إلاّ أن يَقبلوها على علاّتها وبكلِّ قضِّها وقضيضها من غير أن ينبسَ أيٌّ منهم بكلمةِ نقدٍ واحدة ، فقد اتَّهموا أنفسَهم من غير أن يجرؤوا على اتّهام الآية : «فعلمُها عند ربّي. لا يضلُّ ربِّي ولا يَنسى» . ولإعطائها شيئاً من المنطق قالوا في تفسير: «إلاّ ابتغاءَ رضوان اللّه» بإضافة جملة مقدّرة هكذا : «لكنْ فَعَلُوهَا ابتغاءَ مرضاة اللّه» لقد أعطوها معنى بعد أن لم يكن لها معنى . وليتهم لم يفعلوا لأنّ أحداً لا يقتنع بهذا المعنى ، فهل يُصلح العطّارُ ما أفسد الدهر ؟ ومتى كان التشويش من دلائل الإعجاز ؟

١٢ . «يَا أيُّها الذين آمنوا! اتَّقُوا اللّهَ وآمِنوا برسوله ، يُؤتِكم كِفلَينِ مِن رحمتِه ، ويَجْعلْ لكُم نوراً تَمْشُون به ، ويَغفِرْ لكم ، واللّهُ غفورٌ رحيم . لئلاّ يعلمَ

أهلُ الكتـاب ألاّ يَقدِرونَ على شيءٍ مِن فـضلِ اللّه ، وأنَّ الفـضلَ بيدِ اللّه يؤتِيـهِ مَن يشاء. واللّهُ ذو الفضل العظيم» (٥٧/٢٨-٢٩) .

في هذه الآية عقدتان من الأحاجي لا ندري أيّتهما أكـبرُ من إختها ، وضَعَتا المفسِّـرين في موقفٍ لا يُحـسدون عليـه . ويبدو أنّ القـرآن يجد نشـوةً في إنهاك هؤلاء المساكين الذين لا يقدرون على شيء غير الهراء :

العقدة الأولى هي هذه الـ «لئلاّ» المحيِّرة . إنّها هنا كـالزئبق لا تستطيع أن تلمس أيَّ معنى أو أيَّ وظيفـة لها.. فالنفي «لئلاّ» حشـوٌ لا معنى له ، بل هو مضلِّل أساء كثيراً إلى الآية ، وجعلَها من الأحاجي والألغاز ، مع أنّ المعنى المراد بسيط جداً

والثانيـة في إثبات النون للفـعل المضارع «يقـدرون» ، رغم حرف النصب، مضلِّل آخر. كـلّ ما يريد القرآن أن يقوله في هذه الآية : «ليـعلم أهلُ الكتاب أنّهم لا يقدرون على شيء من فـضل اللّه» . ولكن الحشو أثقلهـا حتّى أفقدها كل مـا تبقّى لها من معنى . ومَن يدري فلعلّ الحـشو من دلائل الإعجاز! فكلّما كنتَ أكـثرَ حشواً كنتَ أكثرَ إعجازاً.

١٣ . «ن. والقلَمِ ومَا يَسْطُرُونَ. ما أنتَ بنعـمةِ ربِّكَ بمجنونٍ، وإنَّ لكَ لأجْراً غيرَ ممنونٍ ، وإنَّك لعلَى خُلْقٍ عظيمٍ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرونَ : بأيِّكُمُ المفتونُ؟» (٦٨/ ١-٦) . في هذه الآيات معانٍ سهلة بسيطة ينساب السـياق فيها على رسله انسياباً جميـلاً ، لكنّه يختل في الآية الأخيرة اخـتلالاً مشيناً.. وهذا ما فـعله (حرف الباء) المشؤوم (بِـأَيِّكُمُ المَفْتونُ) ومع أن الصُمَّ البُـكمَ العُميَ ينفون الزيادة عن كلام اللّه، فإنّ حرف الجرّ هذا حرف زائد ، شاءوا أو أبَوا ، هذا إذا كان معنى الآية : فستبصر ويبصرون : «أيّكم المفتون» أي المجنون .

وإذا لم يكن حـرف الباء هنا حـرفاً زائداً وقـعنا في إشكال آخر وهو كلـمة (مـفتـون) ، وهي كلمـة لا معنـى لها هنا ، والأصحّ أن تـكون «فتـون» أي جنون. ولكن، هل الجنون بمحمد أم بهم ؟ الحقيقة، إنّ المفسِّرين الذين قالوا بهذا الرأي قد صحّحوا «كلام اللّه»، وهم يظنّون أنّهم يفسِّرونه.

وسواء أخذنا بهذا التفسير ، أو ذاك ، أي سواء كان حرف الجر حرفاً زائداً أو كانت كلمة «مفتون» بمعنى «فتون»، فإنّ الآية في نصّها الأصلي مختلّة ركيكة لا معنى لها، ما لم يكن في الأمر خداع ما.

١٤ . وهاكم تصحيحاً آخر لكلام اللّه قام به «الملفلفون» الثرثارون وهم يظنّون أنهم يفسّرونه : «فَلا أُقْسِمُ بربِّ المشارق والمغارب إنّا لَقادِرونَ على أنْ نُبَدِّلَ خَيراً منهم ، وما نحنُ بمَسْبُوقِينَ» (٧٠/ ٤٠-٤١) ، أي بعاجزين عن ذلك .

فإذا كان القرآن يريد هذا المعنى فلِمَ عدل عنه واختار له لفظاً آخر غريباً عنه ، وغير مناسب له ، ولا علاقة له به بوجه من الوجوه ؟ لِمَ لمْ يقل «وما نحن بعاجزين» ؟ أوَليس ذلك أكثر فصاحة وبياناً؟ والحقُّ أنه لم يكن أمام المفسِّرين خيار آخر غير هذه الكلمة لإنقاذ هذه الآية-الورطة ، ما لم يكن وراء ذلك حكمة بالغة تخفَى على الأوّلين والآخِرين استأثر بالعلم بها ربُّ العالمين !!.

خامساً - تناقض القرآن : هناك آفات أخرى أشدّ خطراً لعلّ أهمها التناقض الصارخ. فالتناقض سمة بارزة في القرآن . ودونكم هذه الآيات التي يختلط فيها الغموض بالتناقض :

١ . «شهرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآنُ» (٢/ ١٨٥).

فالمعلوم أن القرآن «نزل منجّماً»، أي متفرِّقاً على دفعات وفي آجال مختلفة وليس جملةً واحدة . فما معنى نزول القرآن في رمضان إذن؟ لا حلَّ لهذا التناقض إلاّ بالأسطورة . فقد كان القرآن أوّلاً في «اللّوح المحفوظ» ، ومن «اللوح المحفوظ» نزل منجّماً إلى السماء الدنيا. وهكذا حُلَّت المشكلة بجرّة قلم.

٢ . لكن في أيِّ يومٍ من رمضان نزل القرآن ؟ «إنَّا أنْزَلْنَاهُ فِي لَيلَةِ القَدْرِ» (٩٧/ ١). وكأنّ الغموض الأوّل لا يكفي فأردفه بغموضٍ آخر إمعاناً في التعمية ، فحدّد النزول بليلة القدر وهي مجمع الأساطير : «ومَا أدراكَ ما ليلةُ القدْرِ ؟ ليلةُ القدْرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ . تَنَزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربِّهم من كلِّ أمرٍ ، سلامٌ هي حتّى مطلعِ الفجْر» (٩٧/ ٢-٥).

هل فهمتم شيئاً ؟ فالغموض في القرآن لا يفهمه المؤمن إلاّ بالمزيد من الغموض ! أوَتلومون المفسِّرين بعد ذلك إذا لم يجدوا سبيلاً لإزالة الغموض إلاّ بالأسطورة . ففيها المَخرج من كلِّ غموض!! فما أكثر أساطير القرآن التي حيكت في ليلة القدْر، وما أكثر الفتوحات التي فتح اللّه بها على عباده المقرَّبين في ليلة القدر !!

٣ . «أينما تكونوا يُدرِككمُ الموت ، ولو كُنتُم في بروجٍ مشيَّدةٍ . وإنْ تُصبْهُم حَسَنَةٌ يقولوا هذه مِن عندِ اللّهِ ، وإنْ تُصبْهُم سَيِّئةٌ يقولوا هذه من عندكَ . قلْ كلٌّ مِن عند اللّهِ ، فما لِهؤلاءِ القومِ لا يكادونَ يَفقهونَ حَديثاً ؟ ما أَصابَك من حَسنة فمِن اللّه ، وما أصابك من سَيِّئة فمِن نفسِكَ. وأرسلناكَ للناس رَسولاً وكفَى باللّه شهيداً» (٤/٧٨-٧٩) .

إنّ الآيات المتناقضة في القرآن تكون في العادة متباعدة ، متناثرة هنا وهناك تفصل بينها مسافات واسعة ، إلاّ في حالات قليلة نادرة كما في الآيتين السالفتين حيث جاءت الآية الثانية معارِضة للأولى ، ولمَّا يتلاشَ صداها في الأذن ، إذ لم تكد الآيةُ الأولى تقرِّر أنَّ الخير والشرَّ كليهما من اللّه حتّى جاءت الآية الثانية التي تليها مباشرة لتقرر أنَّ الخير فقط من اللّه وأنّ الشرّ من الإنسان!!

٤ . والآيتان التاليتان على نمط الآيتين السابقتين : «سَيقول الذينَ أشركوا: لو شاء اللّهُ ما أشركْنا ولا آباؤنا ولا حَرَّمْنا مِن شيء، كذلك كذَّبَ الذينَ مِن قَبْلِهم حتّى ذاقوا بأسَنا . قلْ هلْ عندكم مِن علمٍ فتُخرِجوه لنا ؟ إنْ تتَّبِعون إلاّ الظنَّ ، وإنْ أنتم إلاّ تَخرُصون . قلْ فللّهِ الحجَّةُ البالغةُ ، فلو شاءَ لهداكم أجمعينَ» (٦/١٤٨-١٤٩) . نعم عندنا ألف علم وعلم.. فما معنى اتّهامه لهم باتّباع الظنّ، بل والأنكى من ذلك اتّهامهم بأنّهم يَخرُصون ؟ فهل الاعتماد على الآيات الأربع السابقة وكثير غيرها ظنٌّ ، بل وتَخرُّصٌ ؟ هل هذا معقول؟ والغريب أنّه ختمَ الآيةَ بإثبات ما نفاه في أوّلها : «لو شاء اللّه ما أشركنا... كذلك كذّب الذين..» . وهذا ما أخذه عليهم !!

٥ . «وقال الذينَ أشركوا لو شَاء اللّهُ ما عبدْنا من دونِه مِن شيءٍ نحنُ ولا آباؤنا ، ولا حرَّمْنا من دونِه مِن شيء . كذلك فعلَ الذينَ من قبلهم» (١٦/٣٥).

فهل قولهم «لو شاء اللّه ما أشـركنا»، «ولو شاء اللّه ما عبدنا من دونه من شيء» ظنٌّ؟ بل وتخرّص؟ إنّ كلامهم حقّ وسليم وموزون ، وهو فوق ذلك له سند من القـرآن الذي لا تـعـدو أقـواله في هذه المسـألة على الأقـلّ «كـوكـتـيـلاً» من التناقضات التي لا تستقرّ على رأي ، والتي أرهقت المفسِّرين.

٦ . اليهود شعب اللّه المختار بنصِّ القـرآن : «يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم وأنّي فضّلتُكم على العالمين» (٢/ ٤٧ و١٢٢).

كلاّ . اليـهود ليسوا شعـبَ اللّه المختار «.. بل أنتم بشرٌ ممّن خلق. يَغـفر لمن يشاء ويعـذِّب مَن يشاء ، وللّه مُلكُ السموات والأرض ومـا بينهما ، وإليه المـصير» (٥/ ١٨) . «قل يا أيّهـا الذين هَادوا إن زعـمـتم أنّكـم أوليـاءُ اللّه من دون الناس ، فتـمَنَّوا الموتَ إنْ كنتم صادقين» (٦٢/ ٦). وسيسـلّط اللّه عباده على اليهـود حتى تقوم السـاعة : «وإذ تَأَذَّنَ ربُّك لَيَبْـعَثَنَّ عليهم إلى يوم القـيامة مَن يَسومُـهم سُوءَ العذابِ ، إنّ ربَّك لَسريعُ العِقاب وإنّه لغفورٌ رحيم» (٧/ ١٦٧). ومع ذلك فسيعلون في الأرض بعد أن يفـسدوا فيها مـرّتين . أنا لا أفهم لِمَ حصر ذلك في مـرّتين فقط مع أنّ حياتهم كانت كـلُّها فساداً وإفساداً ! «وقَضَـينا إلى بني إسرائيلَ في الكتاب لَتُفْسِدُنَّ في الأرضِ مَرَّتين ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كبيراً» (١٧/ ٤).

٧ . والخلود في القرآن ثلاثة أنواع يناقض بعضـها بعضاً : خلود مطلق إلى غير نهاية ، وخلود مقيَّد بدوام السموات والأرض ، وخلود مقيَّد بمشيئة اللّه . فأيّ هذه الأنواع هو الأحق بالإعتبار ؟

في الخلود المطلق، «قـال اللّه هذا يومُ يَنفعُ الصادقينَ صِدقُـهُم ، لهم جنّاتٌ تجري من تحـتها الأنهـار خالِدين فـيها أبداً . رَضِيَ اللّهُ عنـهم ورَضُوا عنه ، ذلك الفوزُ العظيم» (٥/ ١١٩).

لكن أعجب أنواع الخلود هو الخلود المقيَّد بدوام السموات والأرض حيث لا سمـوات ولا أرض ، فقد طُوِيَتا بحلول يوم الـقيامة وذهبَـتا إلى غير رجـعة: «يوم نَطوي السماء كطيِّ السجلِّ للكتب» (٢١/ ١٠٤).

ثمّ يليه الخلود المقيّد بمشيئة اللّه. وبهـذه المشيئة لم يقيّد اللّه نفسَه بشيء، وأكاد أقول إنّه نسف فكرة الخلود من أساسها، ونفض يده منها: «فأمّا الذين شَقَوا ففي النارِ، لهم فيها زَفيرٌ وشَهيقٌ، خالدين فيها ما دامتِ السموات والأرض إلاّ مَا شَاء اللّه، إنَّ ربَّكَ فَعَّالٌ لما يُريد» (١١/١٠٦-٧).

والغريب أنَّ النوعين الثاني والثالث قد وردا في آية واحدة. وهذا، إذا صحّ، فهو في مصلحة «الذين شَقَوا»، لأنّه يضـع حدًّا لمعاناتهم: «وأمّا الذينَ سُعِدوا ففي الجنَّة خـالدين فيـهـا ما دامت السـموات والأرض، إلاّ مـا شـاء ربُّك، عطاءً غيـرَ مَجذوذ» (١١/١٠٨).

. وهذا، إذا صحّ، ليس في مصلحة «الذينَ سُـعِدوا»، لأنّ من شأنه أن يجعل «الذين شَقَوا» خيراً منهم، لأنَّ قطْعَ الخلود الشقي عن مـستحقِّه ورفْعَ المعاناة عنه أعظم لذّةً من متعةٍ طال عليها العهد وكان مقدَّراً لها أن تكون خالدة، ثمّ انقطعت عن مستحقِّها على حين غرّة، لارتباطها بمشيـئة إعتباطيّة لا قرار لها ولا استقرار، ولا تُسأل عمّـا تَفعل. إنّ هذا لَعمري أشـدُّ مضاضةً على النفس وإيلامـاً لها من كلِّ ما عانى الشقيُّ من عذابِ جهنم. فإين المساواة في هذا؟

٨. «إنَّ الذين لا يؤمنون بآياتِ اللّه لا يَهـديهِمُ اللّهُ ولَهم عذابٌ أليم» (١٦/١٠٤). هل هذا صـحيح؟ بل هل هذا مـعقـول؟ ما هذا التـعمـيم الغريب؟ مـا هذا الحكم المطلق الذي لا يبرِّره منطقٌ ولا تاريخ؟ مـا حكم أولئك الذين آمنوا بآيات اللّه بعد أن لم يكونوا مـؤمنين؟ مَن هداهم؟ الشيطان؟ هل خرجوا من بطـون أمّهاتهم مؤمنين؟ أوَلا تتـعارضُ هذه الآية مع آيات كثيـرة أخرى لا تُحصى يمنُّ اللّهُ فـيها على المؤمنين أن هداهم للإيمان؟

٩. «يَمنُّونَ عليكَ أنْ أسْلَموا. قلْ لا تَمُنُّوا عليَّ إسْلامكم، بلِ اللّهُ يَمُنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين» (٤٩/١٧). «واعتصِمـوا بحبل اللّه جَميعاً ولا تَفرَّقُوا، واذكروا نعمةَ اللّه عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بين قلوبِكم فأصبحتُم بنعمته إخواناً، وكنتم علـى شَفَا حُـفرَةٍ من النار فأنقَـذَكم منها. كذلك يبـيِّنُ اللّهُ لكم آياتِه لعلّكم تَهتَدون» (٣/١٠٣).

عجيب حقاً أمر هذه الآيات التي تنفي الهداية في المستقبل عن الذين كانوا كافرين أو مشركين أو فاسقين أو ضالين أو مضلِّين وقت ظهور الإسلام ، مع أنّ جميع الذين دخلوا فيه كانوا يكفرون به من قَبْلُ، أو كانوا فاسقين وضالّين ، فمَن هداهم إذن بعد أن لم يكونوا مهتدِين ؟ ألم يَمُنُّ اللّهُ عليهم باستمرار أنّه هو الذي هداهم إلى صراطٍ مستقيم ؟

١٠ . «ومَن يَهدِ اللّهُ فهُوَ المهتدِ ، ومَن يُضْلِلْ فلن تجدَ لهم أولياءَ مِن دونِه ، ونَحشرُهم يومَ القيامة على وجوههم عُمياً وبُكماً وصُمّاً ، مأواهُم جهنَّمُ ، كلَّما خَبَتْ زِدْناهم سَعيراً» (١٧/٩٧).

فإذا صحّ ذلك فما مصير الآيات الأخرى التي يتلاوم فيها أهل النار ويقذف كلٌّ منهم بالتبعة على الآخر : «إذْ تَبَرَّأَ الذين اتُّبِعُوا مِنَ الذين اتَّبَعُوا ورأَوا العذابَ وتقطَّعتْ بهم الأسبابُ. وقال الذينَ اتَّبَعوا لو أنَّ لنا كُرَّةً فَنَتَبَرَّأَ منهم كما تَبَرَّأوا مِنّا. كذلك يُريهِمُ اللّهُ أعمالَهم حَسَراتٍ علَيهم ، وما هم بخارجينَ مِن النار» (٢/١٦٦).

ليت شعري ، أين ما تَنْسِب إليهم الآية السابقة من العمى والبكم والصم؟.. إنّهم رغم ما هم فيه من عذاب جهنّم وأهوال الجحيم قادرون على رؤية أهل الجنّة وما هم فيه من النعيم ، والطلب إليهم بلسان عربيّ مبين أن يُفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم اللّه: «ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنّة أنْ أَفيضوا علينا مِن الماء أو ممّا رزقَكُمُ اللّهُ . قالوا إنَّ اللّهَ حرَّمَهما على الكافِرينَ» (٧/ ٥٠).

لقد اعترفوا بذنوبهم ودعَوا اللّه أن يعيدهم إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً ولكن عبثاً «تَلفَحُ وجوهَهُمُ النارُ وهم فيها كالحِون. ألم تكنْ آياتي تُتلى عليكم فكنتم بها تُكذِّبون ؟ قالوا: ربَّنا غلَبَتْ علينا شِقْوَتُنا وكنَّا قوماً ضالِّينَ. ربَّنا أَخْرِجنا منها ، فإنْ عُدْنا فإنّا ظالمونَ. قال اخْسَأُوا فيها ولا تُكلِّمون» (٢٣/ ١٠٤-١٠٨).

إلى غير ذلك من الآيات العديدة التي تدلّ على أنّنا لسنا بأبصر أو أنطق أو أسمع منهم . لقد رأيتم أنهم باعتراف القرآن يظلّون في جهنّم بكامل حسّهم ووعيهم لم يَفقدوا منهما شيئاً، فأين دعوى العمى والبكم إذاً؟

١١ . صدِّق أو لا تصدِّق ! لقد أخرج اللّه بني إسرائيل من مصر وأورثهم مصر وخيراتِ مصر وكنوزَ مصر : «وأوحَينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعِبادِيَ إنَّكم مُتَّبَعُونَ . فأَرْسَلَ فرعونُ في المدائنِ حَاشِرِينَ... فأخرَجناهُم من جنَّاتٍ وعُيونٍ ، وكُنوزٍ ومَقَامٍ كريمٍ ، كذلك وأورثْناها بني إسرائيلَ» (٢٦/٥٢-٥٩). نقول: لقد أخرجهم اللّه من مصر فكيف أورثهم مصر؟ وحتّى لو كان الضمير في «أخرجناهم» يعود إلى المصريّين، كما يقول كثير من المفسِّرين، فكيف أورثَ اللّهُ مصرَ للإسرائيليّين بعد خروجهم من مصر؟

١٢ . «إنّا أرسلناك بالحقِّ بشيراً ونذيراً ، وإنْ مِن أمَّةٍ إلاّ خَلا فيها نذيرٌ» (٣٥/ ٢٤). لكن هذه الآية تعارضُها آيةٌ أخرى : «ولَو شِئْنا لَبَعَثْنا في كلِّ قريةٍ نذيراً» (٢٥/ ٥١).

١٣. ودونكم تناقضاً يتعلّق بيونس : هل قذفَه اللّهُ بالعَرَاء (بالساحل)، أم لم يقذفْه ؟ للقرآن في هذه المسألة قولان متعارضان أحدهما يُثبت والآخر يَنفي: «وإنَّ يُونُسَ لَمِنَ المرسَلين . إذ أبَقَ إلى الفُلْك المشحونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ من المُدْحَضِينَ ، فالتَقَمَهُ الحوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فلولا أنَّه كان من المسبِّحِينَ ، لَلَبِثَ في بطنِه إلى يومِ يُبعَثونَ . فَنَبَذْنَاه بالعراءِ وهو سَقِيم» (٣٧/ ١٣٩-١٤٥). لقد نبذه اللّه بالعراء إذن. كلاّ . لم ينبذه : «فاصبِرْ لحُكمِ ربِّكَ ، ولا تكنْ كصاحبِ الحوت إذ نادى وهُو مَكْظُومٌ . لولا أنْ تَدَارَكَهُ نعمةٌ مِن ربِّه لَنُبذَ بِالعَرَاء وهُوَ مَذمومٌ» (٦٨/ ٤٨-٤٩). لقد تداركه اللّه بنعمته وإلاّ لنبذه !!

فاخترْ أيَّ المعنيَين تُريد !! فماذا فعل اللّه به إذن بعد نفي النبذ واللاّنبذ؟ هل هناك خيار ثالث، يقال له «الثالث المرفوع» لا يعلمه إلاّ هو ؟

١٤ . عندما اختار اللّه موسى لوحيه بعد انصرافه من مَدْيَن ومعه أهلُه ، نودي وهو بالوادي المقدس طُوى حيث رأى ناراً تحترق ولا تُحرَق ، فأمره اللّه أن يذهب إلى فرعون بآياته لعلّه يَذَّكَّر أو يخشى . فلم يملك موسى إلاّ أن يمتثل لأمر ربِّه . لكنّه اشتكى أنَّ لسانَه به عقدةٌ فلا يُحسن النطق ، وسأل اللّه أن يشفيَه منها ، وأن يَشرح صدره ويُيسِّر أمره ، فاستجاب اللّه دعاءه : «قال: ربِّ اشرَح لي

صدري ، ويسِّر لي أمري ، واحلل عقدةً من لساني ، يفقهوا قولي... قال : قد أُوتيتَ سُؤْلَكَ يَا موسى» (٢٠/ ٢٤-٢٧و٣٦).

هل استجاب اللّهُ له دعاءه حقاً ، أم إنَّ الأمر فيه ما فيه ؟ الظاهر أنّه سبحانه قد فعل قبل أن يفرغ موسى من دعائه ، إذ قال له في الحال وبلا أيِّ تأخير «قد أُوتيتَ سُؤْلَكَ يَا موسى» ، كما رأينا .

لكنَّ هذه الآية تعارضها آيةٌ أخرى تفيد أنَّ موسى، رغم استجابة طلبه، قد ظلَّ يعاني صعوبةً في النطق تمنعه من الإبانة. والدليل أنّ فرعون كان يجد عسراً في فهم أقواله : «ونَادى فرعونُ في قومه، قال: يا قومِ أليسَ لي مُلكُ مصرَ وهذه الأنهارُ تجري من تحتي، أفلا تُبصِرون ؟ أم أنا خيرٌ مِن هذا الذي هو مَهينٌ ، ولا يَكادُ يُبينُ» (٤٣/ ٥١-٥٢) .

فهو إذن لا يزال عاجزاً عن الإبانة ، أي عن التعبير البيّن السليم الذي لا بدّ منه لتوضيح مراده والغاية من رسالته إلى فرعون . فهل أُوتي موسى سؤلَه حقاً أم لم يُؤْتِه ؟

١٥ . يوم القيامة هو يوم الفزع الأكبر ، إنّه يوم الكرب العظيم؛ هناك «يُعرَف المجرِمُونَ بسِيمَاهُم ، فَيُؤْخَذُ بالنَّواصِي والأَقْدامِ» (٥٥/ ٤١). وبصرف النظر عمّا إذا كان من الواجب القول «يُؤْخَذُونَ» بالجمع لأنَّها تعود إلى المجرمين ، فإنّنا نتساءل : هل يُؤخذون هكذا بلا سؤال ؟ هل معرفة الناس بسيماهم تكفي للحُكم عليهم ؟ إنّ الأمر تشابه عليَّ . ففي القرآن آياتٌ تؤكد السؤال وأخرى تَنفيه ، ولذلك فأنا حائر لا أستطيع أن أقطعَ في هذه المسألة برأيٍ حاسم :

«فوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أجمعين ، عمّا كانوا يَعْمَلون» (١٥/ ٩٢-٩٣). «تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عما كنتم تَفْتَرون» (١٦/ ٥٦). «..ولَتُسْأَلُنَّ عمّا كنتم تَعمَلون» (١٦/ ٩٣). «وإنّه لَذِكْرٌ لكَ ولقومكَ ، وسوف تُسْأَلُون» (٤٣/ ٤٤) .

لكنّ هذا التوكيد للسؤال لا يلبث أن يُصبح نفياً له في آياتٍ أخرى يُزَجُّ أصحابُها في النار بلا سؤال ولا محاكمة ، اعتماداً في الظاهر على معرفة المجرمين

بسيماهم . فهذه المعرفة على ما يبدو تُغني عن السؤال أو الجواب، وبلغة العصر عن المحاكمة !.. ولكن، لو كان سبحانَه يعلم أنَّ في ذلك ظلماً لعباده لما سمح به . هل نسيتم قوله تعالى : «... ووَجَدوا ما عَمِلُوا حاضِراً ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحداً» (١٨/ ٤٩). تعالى اللّـه عن ذلك علواً كبيراً !! لذلك لا خوف من الآيات التي تَنفي سؤال الناس عمّا كانوا يعملون «ولا يُسألُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجْرِمون» (٢٨/ ٧٨) و «فـإذا انشقَّتِ السماء فكانتْ وَرْدَةً... فيومئذٍ لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جانٌّ» (٥٥/ ٣٦-٣٩).

١٦ . ولا يمكنني أن أختم حديثي عن تناقضات القرآن من غير أن آتي على تناقضٍ لعلّ أفضل تسمية له هي (التناقض الأكبر) أو (سيّد التناقضات) بل (تناقض التناقضات) . والغريب أنّ القرآن يتّخذ من هذا التناقض شاهداً وحجّة على قدرة اللّـه تعالى قدرةً مطلقة. فعلى حين يقول «سُنَّة اللّه في الذين خلَوا مِن قبْلُ ، ولن تجدَ لسنَّة اللّه تبديلاً» (٣٣/ ٦٢) و «.. فهل يَنْظرون.. فلن تجدَ لسُنَّةِ اللّهِ تبديلاً ولن تجدَ لسُنَّةِ اللّهِ تحويلاً» (٣٥/ ٤٣).

هذه الآيات فيها تناقضان : عادي ، كثير الوقوع، وتناقض آخر صارخ أسميناه (تناقض التناقضات) . فأمّا التناقض العادي فهو أنّ هذه الآيات قد جاءت في معرض الحديث عن الأوّلين، وكيف أنزل اللّه العذاب بالمخالفين منهم . فإذا كانت سنّة اللّه في الأوّلين الإنتقام منهم في الحال، أو على الأقلّ، إنزال العذاب بهم في الحياة الدنيا ، فلِمَ لَمْ يحدث ذلك إلاّ في الماضي الذي لا يمكن التحقّق منه ، بينما المخالفون – الذين جاءوا بعدهم ، أي الذين عاشوا تحت أضواء التاريخ ، وعلى الخصوص في هذه الأيّام– ، يَعيشون بمنأى عن العذاب ، بل يرفلون هانئين في أبهى حلل السعادة والنعيم ؟..

وإذن فلا شأن لرضى اللّه وسخطه في ما ينزل سواء بالمخالفين أو المطيعين الملتزمين بأوامره ونواهيه ، ولا سيّما عندما نفاجأ أنّ اللّه يكيل بمكيالين : مكيال للماضي ومكيال للحاضر؛ مع أن جميع آيات القرآن تؤكّد أنّ مكيالَ اللّه واحد .

كلّ هذا يدخل في باب التناقض العادي إذا صح التعبير ، ولكن بإزاء هذا التناقض يوجد ما أسميته بـ (تناقض التناقضات). وهنا الطامة الكبرى . فالدليل

على نبوّة إبراهيم عدمُ احتراقه بالنار التي أوقدها له المشركون ، والدليل على نبوّة المسيح إحياءُ الموتى... إذا ألقينا في النار جسماً قابلاً للإحتراق، فأيُّهما سُنّة الله : أن يحترق أو أن لا يحترق ؟ وإذا مات إنسان، أيُّهما سُنة الله : أن يُعيد الطبيبُ إليه الحياةَ، أو أن يقف دون ذلك مكتوفَ اليدين ؟ فالمعجزة هي، في حقيقة الأمر، غير معجزة بنصّ القرآن نفسه «لا تبديل لكلمات الله». إذاً لا تبديل لقانون الاحتراق الذي استُثني منه إبراهيم، كما لا تبديل لقانون الموت الذي استُثني منه عيسى.

سادساً – القرآن والعلم : لا يمكن الحديث عن سلبيات القرآن من غير الحديث عمّا فيه من أخطاء علمية فاحشة تفقأ العينَين :

١ . فصورة الكون في القرآن هي صورة من علم الفلك الأسطوري القديم.. وليس له، على ما يبدو، أيُّ فكرة عن عالم لا نهائي مليء بالمجرّات والسُّدُم والثقوب السوداء والغبار الكوني . فعالَمُ القرآن عالَم مـقفَلٌ موحِشٌ محدودٌ تضيئه الشمس في النهار، والقمرُ والكواكب والنجوم، المصابيح المعلّقة التي تزيّن السماء في الليل.

وهذه السماء (أو السماوات) ستنشقُّ يوم القيامة «فهي يومئذٍ وَاهِية . والمَلَكُ علَى أرجائِها ، وَيَحمِلُ عرشَ ربِّك فوقَهم يومَئذٍ ثَمانية» (٦٩/١٦–١٧). ويظهر أنَّ العرش في السماء السابعة، لكنّها عندما تنشقّ سيتولّى عندئذ ثمانيةٌ من الملائكة حملَه . ولا أدري ما إذا كان العدد (ثمانية) هنا صحيحاً أم انسابَ في آخر الآية انسجاماً مع القافية ! إذ إنّ الشكلانيّة البيانيّة –إذا صحّ التعبير– لها سحرٌ طاغٍ في القرآن بل قلْ هي إحدى الأولويّات التي تضحّي بالمعنى في سبيل المبنى !

٢ . ويظهر أنّه يُعْقَدُ من وقتٍ لآخر ، مجلسٌ إلهيٌّ في موضعٍ ما على أحد تخوم الأرض ، لعلّه فلك القمر ، يحضره سيِّدنا جبريل وسيِّدنا عزرائيل وبعض الملائكة المختصِّين بشؤون العالم الأسفل للتداول في أحوال الناس وأرزاقهم وعباداتهم ومدى التزامهم بأمور دينهم ، ومَن سيُخلق هذا العام ومَن سيموت...

ويظهر أنّ الرقابة لم تكن مشدَّدة في هذه المجالس ، فكان من الممكن الإفلات من الحرَس، فيتسلّل الشياطين إلى هذه الإجتماعات لمعرفة ما يَجري فيها ،

وإبلاغِ أهل الأرض بذلك . ويبدو أنّهم يستطيعون سـرقةَ بعض الأخبار ، وهذا ما يسمّـيه القرآن (الخَطْفَة) : «إنّا زَيَّـنّا السماءَ الدنيا بزيـنةٍ : الكواكب، وحِفظاً مِن كلِّ شيطانٍ مـاردٍ . لا يَسَّمَّعُـونَ إلى الملأ الأعلى ويُقذَفون من كلِّ جـانب ، دُحُوراً ولهم عذابٌ وَاصِب . إلاّ مَن خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَه شِهابٌ ثاقِبٌ» (٣٧/٦-١٠).

ويتكرّر هذا المعنى في آيةٍ أخرى : «ولقد جـعلْنا في السماء بروجاً وزيَّنّاها للنّاظرين . وحفِظناها من كلِّ شيطانٍ رجيم . إلاّ مَنِ استَـرَقَ السَّمْعَ ، فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبينٌ» (١٥/١٦-١٨) .

وهذه عبرة لنا نحن أهل الأرض . فـأجهزة المخابرات، مهمـا كانت صارمة، فإنّها تظلُّ دون المستوى المطلوب، حتّى ولو كانت مخابرات من صنع السماء!

فليس في هاتين الآيتين أيّ فـكرة عن الشهب بمعناهـا العلمي . إنّها شـواظ من نارٍ يُراد به دحْرُ الشياطين ورجمُـهم ومطاردتُهم لا إحراقُهم ، لأنَّ الشياطين لا يتأثّرون بالنار ، إذ هم من نار !

٣ . إنّ عمليّـة التجسّس على مـجالس السمـاء مستـمرّة بلا انقطاع . لكن يظهر أنّ هذه العمليّة قد توقّفت توقفـاً تاماً لمّا بُعث النبيُّ عليه السلام . فقد فوجيء الشياطين يوماً أنّ السمـاء «مُلِئَتْ حَرَساً شَديداً وشُهُباً ، وأنّا كُنّا نَقْعُـدُ منها مقاعدَ للسَّمْع ، فـمَن يستمعِ الآنَ يجـدْ له شِهاباً رَصَـداً . وأنّا لا نَدري أشَرٌّ أُريدَ بمن في الأرض ، أم أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً» (٧٢/٨-١٠) .

كلُّ ذلك بعد بعثة النـبي. لا تجسُّس بعد اليوم. فالحراسة مـشدَّدة جداً بعد أن كـانت رَخوة مِن قَـبل . فمن يسـتمع مـنذ الآن، تطارده الشهب من كلِّ جـانب . فالتجسّس بعد اليوم مستحيل. هذا ما توحي به الآية السابقة على الأقلّ.

٤ . «ولُوطاً إذ قَال لقومِه إنَّكُم لَتَأْتُونَ الفاحـشةَ. ما سبَقَكم بها مِن أحدٍ مِنَ العالمين» (٢٨/٢٨) . هل هذا صحيح ؟ هل الشـذوذ الجنسي من اختراع قومِ لوط فقط ؟ إنّ الشذوذ الجنسي صورة من صور الإشـباع الجنسي القديم قدم الإنسان ، إنّه ينبع من الغريزة الجنسيّة التي يشترك فيها الإنسان والحيوان .إنّ هذه العادة

منتشرة بين بعض أنواع الحيوان بل بين الحشـرات، فكيف ينفيها القرآن هذا النفي المطلق عن إنسانٍ ما قبل لوط؟! إنّه خطأ كنت أربأ بالقرآن أن يقع فيه .

٥ . وهناك خطأ علميّ آخر وقع فيه القرآن، وهو سـوء فهمه للأرض الميتة، والإنتقـال منها إلى مـوتِ الإنسان لإثبات قـدرة اللّه على إحيـاء الموتى كمـا يُحيي الأرض بعد مـوتها بإنزال الماء عليهـا : «ومِن آياتِه أنَّك تَرى الأرضَ خاشِعـةً ، فإذا أنْزَلنا عليـهـا الماءَ اهتـزَّتْ وَرَبَتْ. إنَّ الذي أحـيَاها لَمُحْيِي المـوتَى. إنّه على كلِّ شيءٍ قدير» (٤١/ ٣٩).

في هذه الآية مغالطة كبيرة مغطّاة بغلالة رقيقة جداً لا تراها العين الباصرة إلاّ بصعوبة بالغة جداً.. فالأرض الهامدة مَيتة لكن بمعنى مجازي فقط ، وأمّا موت الإنسان عندما يتوقّف قلبُه ودماغه فهـو موت حقيقي لا حيلة للإنسان فيه . تُرى ، كيف يشبّه اللّه في القرآن هذا بذاك ويصدر عليهما حكماً واحداً ؟.. ليس اللّه وحده الذي يحيي الأرض بعد مـوتها ، بل أنا وأنت أيضاً قادران على إحيائهـا من غير أن نكون إلهَين من دون اللّه ، ما دام موتُهـا إنما هو موتٌ مجازي ليس له من الموت إلاّ اسمه.. وأيُّ فضلٍ للّه، لا في إحياء الأرض بعد مـوتها، بل في إيقاظها من سباتها ، وهو إيقاظٌ لستُ أنا ولا أنت أقلّ قدرة عليه منه سبحانه .

٦ . «إنَّ عِـدَّةَ الشُّـهُـورِ عندَ اللّهِ اثْنَا عَـشَرَ شَـهراً فِـي كتـابِ اللّهِ يومَ خَلَقَ السمـواتِ والأرضَ، منها أربَعةٌ حُـرُمٌ. ذلك الدِّينُ القَيِّمُ» (٩/ ٣٦). طوبى لكِ أيّتـها الأرض ، يا قرارَ العـالَمِ ومركـزَه وقاعدتَه . إنَّ همـوم اللّه كلّها مـحصـورة فيك ، وحساباتِ الكونِ ومواقيتَ الزمان مبنيّةٌ عليك !! فلا زمان إلاّ زمانُك ، ولا مكان إلاّ مكانُك، ولا قرار إلاّ قرارُك !! فالشهـور شهورُك، والأعوامُ أعوامك ، والدهر كلّه مِن صنع ترابك!!..

٧ . «أللّهُ الذي رفعَ السموات بغـيرِ عَمَدٍ تَرَونَهَا ، ثمَّ اسـتوَى على العرش ، وسخَّر الشمسَ والقمرَ . كلٌّ يَجري لأجَلٍ مُسَمَّى . يُدَبِّرُ الأمرَ ، يُفَصِّلُ الآياتِ لعلَّكم بِلقاءِ ربِّكم تُوقِنُونَ» (١٣/ ٢) .

فيما يتصل بالمسلمين ، فإنّ هذه الأساطير تحيي في نفوسهم كلَّ عامٍ قصَّةَ الإسراء والمعراج وانتقالِ النبي من سماءٍ إلى أخرى فوقها، بصحبة جبريل عليه السلام . فبعد إسرائه إلى بيت المقدس (القدس) على ظهرِ البُرَاق، واجتماعِه بالأنبياء، بلغا (جبريل ومحمّد) السماءَ السابعة، إلى سُدرة المنتهى... هذه هي صورة السماء في القرآن سبع طبقات «ألمْ تَرَوا كيفَ خلقَ اللّهُ سبعَ سمواتٍ طِبَاقاً؟» (٧١/ ١٥)؛ وهي طبقات بعضُها فوق بعض في غاية الحسن والإلتئام «الذي خلقَ سبعَ سمواتٍ طِبَاقاً ما تَرَى في خَلْقِ الرحمنِ مِن تفاوُتٍ ، فَارْجِعِ البَصَرَ هل تَرَى مِن فُطُورٍ؟» (٦٧/ ٣)..

والسماء لها أبواب تُفتح وتُغلق عند الحاجة، «وفُتِحَتِ السماءُ فكانتْ أبواباً» (٧٨/ ١٩)؛ والسماء -كأيٍّ بناء- تقوم على أعمدة ، ولكن هذه الأعمدة غير مرئية «اللّهُ الذي رَفع السموات بغيرِ عَمَدٍ تَرونها» (١٣/ ٢)؛ أو هي تقوم في الفضاء بقدرة اللّه بلا أعمدة ، وهذا ما ترونه بأمِّ أعينكم ؛ والسموات أجسام صلبة شديدة عددها سبعة «وبنينا فوقكم سبعاً شداداً» (٧٨/ ١٢)؛

هذه باختصار صورة السماء في القرآن ، فأينَ هذه الصورة من تلك التي يقدِّمها لنا علم الفلك الحديث ؟ .ومع ذلك يريد مفسِّرونا الجدد الفطاحل التوفيق بين الصورتَين لقراءة الصورة القديمة قراءة حديثة ، والعثور فيها على جميع الإنجازات والمكاسب التي حققها علم الفلك في مراحله الأخيرة .

٨ . ولعلّ نظرية تمدُّد الكون قد اكتشفها المفسِّرون الجدد في القرآن . ويستدلّون على ذلك بقوله تعالى: «والسماءَ بنَيناها بأيدٍ وإنّا لموسِعون» (٥١/ ٤٧) . وكم طبّلوا وزمّروا لهذه الآية التي هي الدليل القاطع على إعجاز القرآن ! لقد كان من الممكن قراءة هذه الآية قراءة «إعجازيَة» لو أنّ القرآن فيه أجواء علميّة إيجابية تشجّع على قبول هذا «السبَق العلمي» لو كانت صورة السماء في القرآن فيها ما يشفع لتكوين صورة فلكيّة علميّة متحركة مشرقة مفتوحة لا نهائيّة ، أي لو لم تكن صورة جامدة أسطوريّة معتمة ساكنة سكون الأموات .

أمّا وإنّ الأمر فيها على مـا رأينا ، فلا يمكنني أن أقرأ هذه الآية إلاّ كما قرأها القدمـاء في أجوائهـم الدينيّة المغلقـة التي تعبق بالأسطورة والـغيب والتـصوف . ولذلك لم يخرجوها عن معناها اللغوي، فقالوا «إنّا لَموسِعُونَ» أي: لقادرون . يُقال: أوسع الرجل ، أي صار ذا سعة وقدرة وقوّة . فلما كـانت السماء بناء طبقياً فنحن (أي اللّه) قادرون علـى أن نزيد لبنةً من هنا وركناً من هنا وغرفـة من هنا . هذا كل مـا تؤدّيه الآية بلغة ذلك الزمـان ، وإنْ أضـاف بعضُـهم إلى هذه الصورة صـوراً أسطوريّة أخرى وتفنّنوا فـيها ، ونسبـوها كعادتهم إلى الملائكة المخـتصّين الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٩ . ثمّ ما معنى حصر السماوات في العدد (٧) سوى قدسية هذا العدد في الميثولوجيات القديمة ؟.. كيف يأتلف هذا العدد مع الأعداد الفلكية الخيالية للكواكب والنجوم والأنظمة النجومية والمجرّات والسدم والغبار الكوني ؟ أين العدد (٧) في هذا الكمّ الهائل ؟ أين السموات السبع والأرضون السبع ؟

ثمّ ما معنى الســماء الدنيا والمصابيح التي تتـدلّى منها ؟ هل هي هذا العدد البسـيط من النجوم التي تـراها العينُ العارية ؟ بل قـبل ذلك، هل السمـاء الدنيا – وبتعبير أدقّ ما يسميه القرآن كذلك–، هل هي عالم واحد متجانّس موحّد ؟ هل هي مجرّد مجرّة واحدة تسمّى «درب التـبّان» التي تتألّف من ملايين النجوم تزرع قبة السماء، أم وراء هذه المجرّة مجرّات أخرى ومجرّات، تُعَدُّ بالملايين، وتتألّف كلٌّ منها هي أيضاً من ملايين النجوم؟

فمِن السـذاجة بمكان أن يُطلق على هذا الخليط المتـلاطم المتفـجّر، على هذه العوالم التي لا يصـفها لسان، ولا يحـيط بها بيان ، ولا يحـصيها عـدد مهما كـبر واسـتطال ، أقول من السـذاجة أن يـطلق على هذا كلّه اسم (السـماء الدنيـا) التي حصرها القرآن في مثل هاتين الآيتين : «تباركَ الذي جَعل في السماء بُروجاً وجعلَ فيهـا سِراجاً وقمـراً منيراً» (٢٥/٥٩)، ووشّاها ببـعض النجوم لنهتدي بهـا ليلاً «وهو الذي جعلَ لكم النجومَ لتَهتدوا بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ » (٦/٩٧) .

١٠ . «ويَسْألونَكَ عن ذي القَـرْنَينِ! قُلْ: سأَتْلُو عليكُمْ منهُ ذِكْـراً... حتّى إذا بلغَ مَغْرِبَ الشّمْـسِ وَجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ... حـتّى إذا بَلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ، وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوماً، لا يَكادُونَ يَفْقَهُـونَ قَولاً. قالوا: يا ذا القَرْنَينِ! إنّ يأجُوجَ ومأجُوجَ مُفْسِدونَ في الأرضِ. فهلْ نَجْعَلُ لكَ خَـرْجاً على أنْ تَجْعَلَ بينَنا وبينَهمْ سَدّاً؟ قالَ: مـا مَكَّنِّي فيـهِ رَبِّي خَـيرٌ فَـأَعِينُوني بِـقُوَّةٍ أَجْـعَلْ بينَكمْ وبينَهمْ رَدْمـاً، آتوني زُبَرَ الحَديدِ، حـتّى إذا ساوى بينَ الصَّدَفَينِ قال: انْفُـخُوا حتّى إذا جَـعَلَهُ ناراً قالَ: آتوني أُفْرِغْ عليهِ قِطْراً. فمـا اسْطاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ وما اسْتطاعُوا لهُ نَقْبـاً. .. فإذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّا» (١٨ / ٨٣-٩٨).

لقد بلغ ذو القرنين المشرق والمغرب كـأنما يوجد حقاً نقطة ثابتة في الكون هي المغـرب وأخرى هي المشـرق . وفي أثناء رجوعـه مـرّ ذو القرنين على منطقـة مجهولة . ومع هذا فقد استعـمل القرآن (أل) التعريف للحديث عنها . وهذه المنطقة كانت تعـاني الكثير من أذى يأجوج ومـأجوج ؟ لذلك ناشده أهلهـا أن يجعل بينهم وبين هؤلاء سدّاً منيعاً يدفع عنهم شرورهم . ففعل . وما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا ظهرَه لشدة ارتفاعه، ولا أن يخرقوه لصلابته! وقد حار المفسّرون في أمر هذا السـدّ، وذهبـوا في مجـاهله كلَّ مـذهب... في هذه الآيات أكـثـر من أسطورة أضفى عليهـا القرآن الصفة التاريخيـة.. كما فيهـا أيضاً أكثر من مخالفـة للحقائق العلميّة... هذا فضلاً عمّا في هذه الشخصيّات والمواقع والأحداث من غموض.

١١ . وأخيـراً نقول : إنّ أصـحاب الفـتاوى في حـيرة من أمـرهم في هذه الأيّام . فرغم أن عصر الفضاء لا يعنيهم في قليلٍ أو كثير ، لأنّ جميع ما وصل إليه الكفّار من اكتشافات إنّما هـو رجْس من عمل الشيطان. ورغم شكوكهم الكبيرة في صحّـتها، فقـد ترامتْ إلى أسماعهم أخـبارٌ مؤدّاها أنّ القمـر كرة شبيـهة بالأرض يسعى روّاد الفـضاء إلى إعدادها لـسكنى البشر.. فـإذا صحّت هذه الأخبـار ، فإن المُفْتين والفـقهاء منشغلون هذه الأيّام بمواجـهة المشاكل الدينيّـة التي ستطرأ حين تكتظّ المدينة القمريّة بالسكّان الذين سيكون من بينهم مـسلمون يجب عليهم شرعاً أداء الفرائض الدينيّة من صلاة وصيام وحجّ .

١ – إنّ السؤال الذي يُحيِّر علماءنا الأجلاّء هو : كيف سيُتاح لهؤلاء المسلمين القمريّين تحديد بداية شهر رمضان المبارك وهم على سطح القمر ، بينما هلاله هو الأساس في تحديد تلك البداية؟

٢ – فإذا ما وَجد أصحاب الفضيلة حلاً لهذه المشكلة بالقول إنّ الأرض ستكون عندئذ بمثابة الهلال الذي يجب التماس رؤيته في آخر يوم من شعبان القمري ، برزت مشكلة أخرى وهي مشكلة حجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . فهل يعودون إلى الأرض لتأدية هذه الفريضة، واللّه لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها؟

٣ – وكيف نحلّ مشكلة القبلة، ولا كعبة على القمر فيه يتّجه إليها المسلمون القمريّون في أوقات الصلاة ؟ فإذا احتجّ بعضهم بقوله تعالى : «هو اجتبَاكم ، فمَا جعلَ عليكُم في الدِّينِ مِن حَرَج» (٢٢/٧٨)، وبقوله : «وللّهِ المشرقُ والمغربُ ، فأينمَا تولّوا فثَمَّ وجهُ اللّه» (٢/١١٥)، برزت مشكلةٌ أخرى أدهى وأمرّ، وهي مشكلة الحجّ .

٤ – ففضلاً عن أنّ الحج مرتبطٌ بالأهلّة ، ولا أهلّة على وجه القمر ، فكيف يكون الطواف ، ولا كعبة يطاف حولها ؟

٥ – وكيف يكون السعي بين الصفا والمروة ، ولا جبال على سطح القمر تشبه الصفا والمروة ؟

٦ – وأين تُرمى الجمرات ؟ وهل تصيبُ اللّعينَ إبليسَ وهو على الأرض ؟

٧ – وهل نسيتم الحجرَ الأسود والتبرّك به ؟ والزيارة في المدينة المنورة ؟

٨ – لكنَّ المشكلة الأهم، التي تقضّ مضاجع فقهائنا ومُفْتينا، هي مشكلة مصير المسلمين الذين يموتون على سطح القمر ، ويُقبرون في قبور القمر . فاللّه في القرآن يتحدّث عن بعثِ مَن في قبورِ الأرض ، لا عمّن في قبور القمر. فماذا سيحلّ بهؤلاء المساكين؟ هل سيُحرَمون من نعيم الجنّة وحورِها العِين وولدانها المخلّدِين ؟ مَن سيذكرهم ويُعيدهم إلى الأرض والقيامة قائمة حيث «لكلِّ امرئ منهم يومئذ شأنٌ يُغنِيه» ؟ (٨٠/٣٧) .

٩ – فإذا كانت الحياة على سطح القمر في مصلحة الذين لا يؤمنون ببعثٍ ولا نشور، فإنّه ليس أبداً في مصلحة المؤمنين المسلمين. لذلك فإنّ فقهاءنا لا يُفتُّون بالذهاب إلى القمر والإقامة عليه. بل إنّهم يُحرِّمون على المسلمين حتّى مجرّد الذهاب إلى القمر على سبيل السياحة. فمن يضمن رجوعَهم والأعمارُ بيد الله؟! بل قد يموتون في أثناء الطريق بين الأرض والقمر، فتتفتّت أجسامُهم وتتبدّد وتختلط بالغبار الكوني، فلا يُعرف لهم أصلٌ ولا هويّة، هذا إذا صدرتْ أوامر إلهيّة صارمة بتجهيز حملة فنيّة من الملائكة المختصّين للبحث عن المسلمين المفقودين في أقطار السموات. ما كان أغناهم عن هذه الرحلة المشؤومة !! لقد خسروا أنفسهم، وخسروا «الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين» (٢٢/ ١١) !!

١٢. ويتعلّق «علماؤنا» بآياتٍ أخرى تبدو لهم أنّها تشير إلى مكتشفاتٍ علميّة حديثة، مثل: إنّ اللّهَ «يكوِّرُ الليلَ على النهار ويُكوِّرُ النهارَ على الليل» (٧٣/ ٣٩)، فزعموا أنّ هذه إشارة إلى كرويّة الأرض؛ ومثل: «والسماء بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسِعون» (٥١/ ٤٧)، فزعموا أنّ هذه الآية إنما تشير إلى نظريّة توسّع الكون، فطنطنوا بها الدنيا، ولا يزالون يطنطنون ويطنطنون، وجميع الدلائل تدلّ على أنّهم جاهلون أو مماحكون أو دجّالون!!

سابعاً – كلّ ما في القرآن هو من عند الله: لا قوانين طبيعية في القرآن، إرادة الله هي القانون. ولا سنن كونيّة، فالسنن إنما هي سنن الله لا سنن الكون. فالله في القرآن لا يعترف بسنن الكون.

١. ينتج عن هذا أن الحياة والموت، والنجاح والفشل، والصحة والمرض، والنصر والهزيمة... لا ترجع إلى جهود الإنسان، وإنما ترجع إلى الله.

ومعنى هذا أن الحسنات والسيِّئات والطاعات والمعاصي، والعمل الصالح أو الطالح... هي البديل القرآني لما يسمّى بالقانون الطبيعي. فالله هو الشافي لا الطبيب، والله هو الممرِّض لا الميكروب. وهو المُعِزُّ وهو المُذِلّ، وهو المنجّي وهو المُهلك، وهو المُحيي وهو المُميت، بيده الخير والشرّ، وهو على كلِّ شيء قدير: «ألمْ يرَوا كمْ أهلكْنا منْ قبْلِهمْ منْ قرْنٍ مكّنّاهُم في الأرضِ ما لم نمكّنْ لكم، وأرسلْنا

السماءَ عليهم مِدْرَاراً، وجعلْنا الأنهارَ تَجري منْ تحتِهم، فأهلَكْناهم بذُنُوبهم وأنشأْنا منْ بعْدِهم قرْناً آخَرينَ» (٦/٦) .

٢ . ليست الأسفار ولا الحروب هي السبب في موت الإنسان : «يا أيُّها الذين آمَنوا لا تكونوا كالذين كَفروا وقالوا لإخوانِهم إذا ضَرَبوا في الأرض، أو كَانوا غُزّى : لو كانوا عندَنا مَا مَاتوا ومَا قُتِلوا ، لِيَجعَلَ اللّهُ ذلكَ حَسْرَةً في قلوبهم. واللّهُ يُحيي ويُميت» (٣/١٥٦).

٣ . الهلاك والإهلاك سببه الفساد في الأرض ، لا أي شيء آخر : «ومَا كان ربُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصلِحونَ» (١١/١١٧). هل هذا صحيح؟ هل يقول هذا الكلام عاقل ؟ فإنّه لا يوجد بلد في العالم يخلو من المفسِدين ومن المصلِحين ، أفيُهلك هؤلاء بما فعل أولئك ؟ العواملُ الطبيعيّة لا تفرّق بين مُصلِح ومفسِد، فهل اللّه كذلك ؟ الأخلاق والقِيم والطاعة والمعصية لا دخل لها في حركة الأحداث ، ولكن القرآن يريد إقحامها بالقوّة في هذه الأحداث!

٤ . «أفَأَمِنَ الذينَ مَكَرُوا السيِّئاتِ أن يَخْسِفَ اللّهُ بهم الأرضَ ، أو يَأتِيَهُمُ العَذابُ مِن حيثُ لا يَشعُرون» (١٦/ ٤٥). ما أكثر هذه التهديدات التي تُطلِقُ الكلامَ على عواهنه في لغة القرآن وفي كلِّ صفحة من صفحاته، يراد بها الإيحاء بأنَّ اللّه -لا القوانين الطبيعية- هو المتصرِّف في هذا العالم، وهو وحده الفاعل المطلق فيه «وهو القاهر فوق عباده» (٦/١٨)

٥ . ولا أدلّ على عدم جدّية هذه التهديدات من أنَّ مَا يُهَدَّد به قد يحدث وقد لا يحدث ، وفي كلا الحالين فهو خاضع للعشوائيّة: «وإذْ أخذْنا ميثاقَكم ورفعْنا فوقَكُمُ الطورَ . خُذوا ما آتَيناكم بقوّة... ثمَّ تولَّيتم من بعد ذلك . فلولا فضلُ اللّه عليكم ورحمتُه لكنتم مِن الخاسرين» (٢/٦٣-٦٤) . لقد هدّد سبحانه، ثمّ تراجع؟

٦ . الجوع والخوف لهما أسبابهما الطبيعيّة وقوانينهما التي لا تتخلّف . ولكن يأبى القرآن -كدأبه دائماً- إلاّ أن يتنكّرَ لهذه القوانين ليستبدلَ بها قوانين الكفر والإيمان ، ويربطَها بها ، وهي قوانين عشوائيّة غير مطّردة وغير ثابتة ، ومن

هنا يفقد التهديدُ الإلهي جدِّيَّتَه ومعناه ويغرق في مغالطات لا سند لها.

٧. الإيمان والكفر هما سبب نجاة البشر في الدنيا وسبب هلاكهم، وليس سببهما ما يتعاطونه من الوسائل الطبيعيّة: «اقتربَ للناسِ حِسابُهُم وهم في غَفلةٍ مُعرضون... مَا آمنتْ قبلَهُم مِن قريةٍ أهلكْناها، أفَهُم يُؤمنون؟.. ثمّ صدَقْناهُمُ الوعدَ فَأنْجَيناهم ومَن نَشاءُ، وأهْلَكْنا المُسْرِفين» (٢١/١-٩).

٨. خسوف الأرض سببه شرور البشر لا العوامل الجيولوجيّة، بل إنّ اللّه في القرآن لا يطيق حتّى مجرد سماع ذكر الأسباب الطبيعيّة. أُنظروا إلى ما حلَّ بالثَّريِّ العظيم قارون، لا لشيءٍ إلاّ لأنّه تجرّأ وقال عن ماله إنما جَمَعه لعلمه بأصولِ الكسْب. هذه هي جريمته: «إنّ قارونَ كانَ من قومِ موسى فبَغى عليهِم. وآتَيناه مِنَ الكنوزِ ما إنّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بالعُصبَةِ أُولِي القوّة. إذ قال له قومُه: لا تفرَحْ، إنّ اللّه لا يُحِبُّ الفَرِحين... وأَحْسِنْ كمَا أحْسَنَ اللّهُ إليكَ، ولا تبغِ الفسادَ في الأرضِ... قال: إنما أُوتيتُهُ على علمٍ عندِي.. فَخَسفْنا به وبِدارِه الأرضَ. فمَا كانَ له مِن فئةٍ يَنصرونَه مِن دونِ اللّهِ. ومَا كان مِنَ المنتَصِرين» (٢٨/٧٦-٨١).

لقد خسف اللّه الأرضَ هنا بشخصٍ واحدٍ فقط، لأنّه على ما يبدو كان هو الوحيد المستوجِب للعقوبة، لا سيّما بعد قوله إنّه أُوتي ما أُوتي على علم منه. وهذه جرأة على اللّه لا يرضاها لنفسه مع أنّ أمراء المال اليوم في أمريكا أغنى من قارون، وأشدُّ شكيمةً، فلم يخسفْ بهم الأرض؛ بل زادهم تجبّراً واستكباراً.

٩. وفي ما يلي سيخسفُ اللّهُ الأرض ليطيحَ بشعبٍ بكامله لأنّه كذّبَ رسولَه، بلا أي اعتبار للعوامل الطبيعيّة الخاصة بجيولوجيّة الأرض. فبعد أن أهلكَ قومَ لوط بما كانوا يَفسقون أرسل بشُعَيب إلى مَدْيَن: «فقال: يا قومِ اعبُدوا اللّهَ وارْجُوا اليومَ الآخِرَ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدين. فكذَّبُوه. فأخذَتْهُمُ الرَّجفةُ. فأصبَحوا في ديارهم جاثِمينَ» (٢٩/٣٦-٣٧).

١٠. والسدود محمية بتقوى اللّه ما يمسكها إلاّ الرحمن. فإذا جاء وعد ربّي جعلها دكّا بلا أيِّ اعتبار لقوانين الهندسة وطبيعة الأرض التي تقوم عليها هذه

السدود . وفي ذلك عبرة للسكّان الذين يقطنون على مقربةٍ من السدود ، وإلاّ فلا يلومُنَّ إلاّ أنفسهم، وقد أعذر من أنذر ! وأحدُ هذه السدود سدُّ مأرب باليمن : «لقد كان لِسَبأ في مَسكنِهم آيةٌ : جنَّتانِ عن يمينٍ وشِمالٍ . كُلُوا مِن رِزقِ ربِّكُمْ واشكُروا له . بلدةٌ طيِّبةٌ وربٌّ غفورٌ . فَأعْرَضُوا . فأرسَلْنا عليهم سيلَ العَرِمِ... ذلك جَزَيناهم بما كَفَروا . وهل نُجزِي إلاّ الكَفُور ؟» (٣٤/١٥-١٦) .

١١ . إذا كان الإنسان فقيراً إلى اللّه حقاً ، فما باله سبحانَه يتخلّى عنه في الشدائد، ويتركُه لمصيره يُعاني جميع أنواع الحرمان حتّى يموتَ جوعاً، كما تموت الفئران والكلاب والخنازير ؟ أين قوله تعالى: «أمَّنْ يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاه ويَكشِفُ السوءَ؟» (٢٧/٦٢). فعن أيِّ إجابة يتحدّث هنا ؟ ولمن كشفَ السوء ؟ ومتى ؟ أين هذا من قوله : «ومَا مِن دابَّةٍ إلاّ على اللّه رزقُها؟!» (١١/٦). إنّ الدوابَّ يأكلُ بعضُها بعضاً وليس اللّه هو الذي يُطعمها . فالحيوان الذي لا يستطيع انتزاع رزقِه بالقوّة والعنف، بل وبالعدوان ، يموت جوعاً. فلا اللّه ولا خمسون إلهاً معه بقادر على أن يُنقذ دابّةً يهدّدها الجوع والعطش بالموت..

ثامناً – آيات لا معنى لها : في القرآن عدد لا يُستهان به من الآيات التي لا معنى لها ، وإن كان المفسِّرون قادرين دائماً على اجتراح المعجزات في الثرثرة واللفلفة والدفاع عن اللاّمعنى وإيجاد المعنى للاّمعنى. من هذه الآيات اللاّمعنى:

١ . «والصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ، إنَّ إلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» (٣٧/١-٤).

ما معنى هذه الآيات الثلاث ، بل هذه الألغاز الثلاثة ؟ وما علاقتها بوحدانيّة اللّه ؟ هل فهمتم شيئاً ؟ أنا لم أفهم شيئاً . وأتحدّى الإنسَ والجنَّ أن يفهموا شيئاً ، علماً أنَّ الجِنَّ يعرفونَ اللغةَ العربية. وبقراءة سورة الجنِّ يتبيّن لنا أنّ في الجِنِّ الفحولَ في الفصاحة والبيان، فضلاً عن علوم الأسرار التي يتقنونها أكثر منّا !

إنّ المفسِّرين أنفسَهم لم يفهموا شيئاً . ولكنَّ هؤلاء المساكين مضطرّون بحكم مهنتهم أن يفهموا كلَّ شيء . نعم ، قد لا تخلو هذه الآيات من بعض المعنى ،

وهو المعنى القاموسي على الأقلّ ، كأيٍّ كلامٍ آخَر مما يُثرثر به الناس في غدْوِهم ورواحهم ، ولكنّه معنًى تافهٌ لا يستحقُّ أن يُقسِمَ اللّهُ به لعباده .

فالمفسِّرون لا يقبلون أن يُقسِمَ اللّهُ بأشياء لا قيمة لها ، بل يفترضون وراء هذه الآيات الحِكَم البالغة ، والمعاني العميقة التي تليق به سبحانه ! فَهُمْ، بخيالهم المجنّح، مسلَّحون بإيمان واثق وطيد، لا يتسرَّب إليه الشكُّ.. وهكذا فـ «الصَّافَّات» هم الملائكة تَصِفُّ نفسَها في العبادة، أو أجنحَتَها في الهواء، تنتظر ما تُؤمر به. وكذلك «الزَّاجرات» ، فهي أيضاً ملائكة تزجر السحابَ، أي تسوقه. وأما «التّاليات» فهم قرّاء القرآن ! ولعلّ استعمال المؤنث (تاليات) بدل المذكّر (التالون) أو (القرّاء) فيها نكتة بلاغيّة وإعجاز قرآني لا تصل إليه عقولنا !..

٢ . «وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ، وَالبَيتِ المَعْمُورِ، وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ، وَالبَحْرِ المَسْجُورِ . إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ» (٥٢ / ١–٧). هذا من سجع الكهّان أيضاً وإن كان لا يخلو من المعنى. فمن قال إنَّ سجع الكهان لا معنى له؟! ولكنّه على كلِّ حال «حكي بحكي وصَفّ حكي للحكي». فإنّك إذا حذفتَه لم يغيِّر شيئاً في الآيات اللاّحقة ، بل ربما زادها قوّة ونصاعة . لكنَّ «البيت المعمور» هنا هو ما أثار خيالَ المفسِّرين الأسطوري. «والبيت المعمور» هو في السماء السادسة أو السابعة، بحيال الكعبة، «يزوره كلَّ يومٍ سبعون ألف مَلَك».

٣ . «وَالمُرْسَلاتِ عُرْفاً، فَالعَاصِفَاتِ عَصْفاً، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً، فَالفَارِقَاتِ فَرْقاً، فَالمُلْقِيَاتِ ذِكْراً، عُذْراً أَوْ نُذْراً : إنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ» (٧٧ / ١–٧). هذه دفعة أخرى من سجع الكهان لا يقدِّم حذفُها شيئاً ولا يؤخِّر ، ولكنّها حشو ولعب بالكلمات والألفاظ . ثمّ إنّه من المعروف أنّ المقسَم به هو دائماً أشرف من المقسِم، فكيف يصحّ أن يُقسِم اللّه بما دونَه من المخلوقات ؟ولكنّه اللّغو ادّخره اللّهُ –لحكمةٍ يعلمها– لبعضِ السور القصيرة المختارة التي جاء ترتيبُها في أواخر القرآن .

٤ . «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً، فَالمُدَبِّرَاتِ أَمْراً، يَومَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» (٧٩ / ١–٦). وهذا سجع عجيب من سجع الكهان يراد به الكلام لمجرّد الكلام، لا لجرِّ منفعة أو دفع مضرّة ، أو لزيادة

وعيٍ أو القضاء على فساد «صفّ حكي للحكي»، ومجموع من الكلام الفضفاض ما كان أجدره بالترك . إنّ الحديث هنا يدور كلّه بطبيعة الحال على الملائكة ، والملائكة فقط ، واللّهُ يُقسم بهم لعظمتهم عنده .

فـ «النازعات» هم الملائكة التي تنزع أرواحَ الكفار. أمّا «غرقاً» العجيبة التي لا أرى لها وجهاً هنا فمعناها نزعاً شديداً !! ومَن يدري فلعلّ لها وظيفة بلاغيّة إعجازية فوق مستوى فهمي القاصر. وفوق كل ذي علم عليم. أليس كذلك؟ وكما أنّ «النازعات» نوع من الملائكة، فكذلك «الناشطات» هم نوع آخر من الملائكة، وظيفتهم تنشيط أرواح المؤمنين. فقد أرهقهم التهجد والصيام والقيام، فأرسل اللّه لهم ملائكته المختصّين ، من سابع سماواته لتنشيطهم ودفع الملل عنهم قبل أن يقتلَهم الخمول . ولعلَّ المراد أيضاً -كما يقول الجلالان- سلُّ أرواح المؤمنين برِفْقٍ حتّى لا يعانوا من سكرات الموت، ولِيَلحقوا بسرعةٍ بالرَّفِيق الأعلى ، مع أنَّ اللّه لم يرسل هذه الملائكة عند موت حبيبه وصفيّه محمّد، فكان يصرخ من الألم ويقول : «إنَّ للموت لَسكرات» ! (ر: ٥٠/١٩).

والنوع الثالث من الملائكة وهم «السابحات سَبحاً» ، وتسمّى كذلك لأنّها تسْبح في السماء بأمره تعالى . و«السباق» إلى الجنة له ملائكته أيضاً ، ولكنه ليس سباقاً عشوائياً كما في الحياة الدنيا ، بل كلّ شيء هناك يجري بنظام وانضباط . فكما أنّ المؤمنين ليسوا سواءً في درجات الإيمان ، فمنهم من هم أحقّ بدخول الجنّة قبل غيرهم ، وكيلا تضيع الحقوق في هذا الزحام الشديد فلا يجور أحدٌ على أحد ، وبما أنّ الإنسان، كلّما اشتدّ إيمانه اشتدّ حياؤه ، فيسمح للأقلِّ إيماناً بالدخول قبله لتجنّب كلِّ ما من شأنه إثارة المشاكل على باب الجنة.

لكلِّ ذلك -وبما أنّ «اللّه لا يستحيي من الحقِّ» (٣٣/٥٣)، فالحق أحق أن يُتّبع ، وعلى الخصوص في يوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون- أقول: لكلِّ ذلك وما إلى ذلك خلَق اللّهُ «السابقات سبقاً»، وهم الملائكة يَسبقون بأرواح المؤمنين إلى الجنّة ليجنبّوهم طولَ الإنتظار . كما أنَّ «المدبِّرات أمراً» هم الملائكة يدبِّرون أمور الدنيا، أي ينزلون بتدبيرها !

٥ . «وَالسَّمَـاءِ والطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْـمُ الثَّاقِبُ . إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيهَا حَافِظٌ» (٨٦/١-٤).

سجع كهّاني جـديد لم يحشر المفسِّرون فيه ملائكة السـماء ، لا كرماً منهم أو زهداً في الملائكة الذين طالما أسعفوهم وخفّوا لنجدتهم في أوقات الشدّة ، بل لأنّ الآية لا تحـتمل ذلك . فـ «الطارق» هنا ليس مَلَكـاً من الملائكة ، إنّه النجم ، ولكن أيّ نجم ؟ «النجم الثاقب» . حسناً . كلّ النجوم ثاقبة لأنها جميعاً تثقب الظلام بضوئها . ولذلك استقرّ الرأي عند جمهورهم بأنّها الثريّا، ولكنّ الثريّا ليست نجماً واحداً بل هي مجموعة من النجوم .

فَرْقَعة كلاميّة يمكن أن تصدر عنّي وعنك ، أمّا أن تصدر عن اللّه، فهذا ما لا أفهـمه . هذا مع أنّ النبي يقـول : مَن كان يؤمن باللّه واليـوم الآخر فليقلْ خـيراً أو ليصمت . أمّا أن يكون هذا العبث الكلامي إعـجازاً لو اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله فلن يأتوا ، فهو ضحك على اللّحى واستـهتار بأناس خرجوا من مرحلة الطفولة منذ زمن بعيد ، وهم اليوم يدقّـون أبواب السماء ! ولكن ما حيلتي والقرآن مليء بالآيات التي تدلّ على أن الإنسان لم يبلغ، بل ولن يبلغ، رشدَه أبداً!!

٦ . «ص. وَالقُرْآنِ ذِي الذِّكْـرِ. بَلِ الَّذينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِـقَاقٍ» (٣٨/١-٢). لا يقتصر الأمر على هذا القَسَم العجيـب بلا جواب للقَسَم، فهُوذا قَسَم عجيب آخر يُقـسم اللّه فيه بـالقرآن أيضاً ، ولكنه يُقـسم على ماذا ؟! «عِلْمُـها عِندَ رَبِّي، لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَـى» (٢٠/٥١) .

٧ . «ق. وَالقُرْآنِ المَجِيدِ ، بَلْ عَجِبُـوا أنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ الكَافِرُونَ: هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ» (٥٠/١-٢) .ليس هذا القَسَم وحده بلا جواب للقَسَم ، بل الآيات الأربع الأولَى من «سـورة الفجـر»، والتي سنراها بعد حين، خـالية هي أيضـاً من جواب القَسَم ! وإذا كان اللّه في الآيتَين السابقتين يُقسم بالقرآن المجيد ، وهو شيء يستحق القَسَم ، فإنه في الآيات الأربع التالية يقسم بأشياء أربعة يختلط فيها الغثُّ بالسـمين ، لكن العجـيب ، في أمـر هذه الآيات ، أنّها خـاليـة هي أيضاً من جـواب القَسَم، وإنْ كان المفسِّرون لا يعجزون بطبيعة الحال ، عن تقدير هذا الجواب.

٨ . «وَالفَجْـرِ، وَلَيَالٍ عَـشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ، وَاللَّيلِ إذَا يَـسْرِ. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِـجْرٍ؟» (٨٩/ ١-٥). فمـا معنى أنْ يُقسم اللّهُ بـالشفْع (الزوج) والوتْر (الفرد)؟ ما هي هذه الليالي العشر ؟ إنّها عَـشْر ذي الحجّة . أوَلعَشْر ذي الحجّة كلُّ هذه الأهمّيّة حتّى يُقسم اللّه بهـا ويُنـزّل بها قرآناً ؟ نعم . ولكنْ أين جواب القَسَم ؟ لم يذكرْه اللّه لحكمةٍ لا يعلمهـا إلاّ هو. أوَتَظنُّ أنَّ اللّه عاجز عن الجواب... والغريب أن يتساءل القـرآن هذا السؤال الإنكاري «هل في ذلك قَسَم لذي حِـجْر؟» كأنما كلُّ شيء واضح في هذه الآيات وضوحَ الشمس !!

٩ . «لا أُقْـسِمُ بِهَذَا البَلَدِ، وَأنـتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ، وَوَالِدٍ وَمَـا وَلَدَ، لَقَـدْ خَلَقْنَا الإنْسَـانَ فِي كَـبَدٍ» (٩٠/ ١-٤). نحن هنا أمـام «لا قَـسم» ، لكن يراد به القَـسم ، عجيب حـقاً أمر هذا القَسم. يقولون إنّ حـرف النفي «لا» هنا زائد، ولا يذكرون لنا لماذا زِيد ، وما «الحكمـة البلاغيّـة» في ذلك ؟ ثمّ أنا لا أرى معنًى لهـذا القسم ، لأنَّ جوابَه معروف بقَسَم وبلا قَسَم . فلا أحد يجهل أنَّ حياة الإنسان على هذه الأرض حياة معاناة وشدّة ونصَب، فـضلاً عن أنّي لا أرى معنًى لنفي هذا القَسَم . ألمهم في هذا القَسَم الحفاظ علـى القافية مهما كـان المعنى . كلُّ ما هو مطلوب في هذا القَسَم حضـور حرف «الدال» في آخـر الآية ، كيـلا يختل سـجع الكهان. فلكلّ قَـسَم في الآيات السابقة قافيته المفضلة ، وليكن المعنى بعد ذلك ما يكون .

١٠ . «وَاللَّيلِ إذَا يَغْـشَى، وَالنَّهَـارِ إذَا تَجلَّى، وَمَـا خَلَقَ الذَّكَـرَ وَالأُنْثَى. إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى» (٩٢/ ١-٤) .

إكتشـاف عظيم أنجزه القرآن في هذه الآيات الأربع ، وإلاّ لما اسـتحقّ الأمر كلَّ هذا القَسم . أوَتَعـرفون ما هو هذا الاكتـشاف العظيم الذي كان خافـياً على كلِّ إنسان حتّى نبّأنا به القـرآن ؟ «إنّ سعيكم لشتّى» . فيا للاكتـشاف العظيم ويا للنبأ العظيم ! بشـراكم أهل الدار ، لقد انكشف سـرُّ الأسرار ! تُرى ، هل سجـع الكهان غير ذلك ؟ وإلا فماذا عساه أن يكون ؟

١١ . «وَالعَادِيَات ضَـبْحاً، فَالمُورِيَاتِ قَـدْحاً، فَالمُغـيرَاتِ صُبْحـاً، فَأثَرْنَ بِهِ نَقْعاً، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً. إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» (١٠٠/ ١-٦) .

لعل «الحكـي» و «صفّ الحكي للحكـي» لم يبلغ مـا بلغـه في هذه الآيات الستّ. إنّها خـير نموذج لما بلغه سجع الكهـان في القرآن من خَواء وفراغ . فـحتّى الخيل تعدو في الغزو لم تـسلم من القَسَم . ولئن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدلُّ على تفاهة القَسَم وابتذال القَسَم، واحتقار الإنســان الذي يوجَّه إليه القَسَم. لقد استُهلك القَسَم حتّى فقدَ كلَّ قيمةٍ له القَـسَم !! كفرتُ باللّه إذا كان كلُّ هذا الهذر من كلامه ! ليتَـه لم يتكلّمْ! الكلامُ ينُمُّ عن صـاحبِـه ، فيـوري ناره أو يزيد ظلامه . فـإذا كان الكلام حشواً فماذا عسى يكون صاحبُه؟!

تاسـعاً – بربريّات القـرآن : أعـدى أعداء القـرآن الثقـة بالنفس والإيمان بالذات ، تلك جريمة لا تُغتـفر. «يَقُولُونَ : لَو كانَ لنَا منَ الأمْـرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنا . قُلْ : لَو كُنتُم في بيُوتِكُم لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عَلَيهِـمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ» (٣/ ١٥٤). ليس المقاتلون هم الذين قتَلوا المشركين في حـربهم معهم ، إنما الذي قتَلهم هو اللّهُ وحده . بل حتى الرمي لم يكن النبي هو الذي رمى ، بل الرامي هو اللّه وحده : «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ. وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ . وَمَـا رَمَيتَ إذْ رَمَيتَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» (٨/١٧) . وحتى الأفكار والخواطر التي تحـيك في صدري وصدرك لا سلطان لنا عليهـا : «واعلَمُوا أنَّ اللّهَ يَحُولُ بينَ المرءِ وقلبِه» (٨/ ٢٤) .

١ . المشرك في القرآن ليس إنساناً ، إنّه دون ذلك بكثير . فالقرآن ينظر إلى المشرك نظرةً بربريّة متخلّفة، بعيـدةً عن أيِّ ذوقٍ فنيٍّ، أو تصوّرٍ حضاريٍّ متوازنٍ للإنسـان: «يا أيُّها الذين آمَنوا إنما المشركون نَجَسٌ . فـلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا» (٩/٢٨)،

وكم كنتُ أربأ بالقـرآن أن يصف المشـرك بأنّه «نَجَسٌ» ، وهي كلمـة نابيـة كنت أعتقد أنّ القرآن أكبر وأسمى من أن يذكرها بين مفرداته ، فضلاً عن أن يُطْلِقُها على أحدِ خـصومه . أنا أسـتحي أن ألفظَ هذه الكلمة، وأرفض أن ترد في كـتاباتي رفضاً قاطعـاً ، فكيف أُطلقها على إنسانٍ مثلي له كلُّ الحقِّ في ممارسـة حرِّيَّته في التفكّر وإبداء الرأي ، مهما خـالفَني هذا الرأي . أمّا أن يَنطق اللّه بهذه الكلمة ويُنزّل بها قرآناً من السماء نتلوه ونتعبّدُ به في صلواتنا وشعائرنا، فهذا ما لا أفهمه أبداً .

لقد كـان من الممكن جداً استبـدال هذه الكلمة بأخرى أكثـر دلالة منها وأقلّ صفاقة لكي تنسجمَ مع ما يُنسب إلى القرآن من إعـجاز لا تسمو إليه أذواقُ البشر ولا تبلغـه قدراتهم ومواهـبهم . أوَبهذه اللّـفظة القذرة وأمـثالها يريدنـا القرآنُ أن نتصـوَّر غيرَنا ونصنع مـشروع نهضتـنا؟ أوَبهذه اللّفظة القذرة يقـرِّر لنا القرآن مستقـبلَ علاقتنا بالآخَر، وطريقةَ تعاملِنا مع الآخـر ، لا لشيء إلاّ لأنّه مجرّدُ آخَر، مخـالِفٌ لنا في الدين والعقـيدة ؟ لقد صحّ قـول القائل : «ألغـرض مرض» ! حقاً الغرض مرض حتى الله لم يَسْلَم منه !!

وليت الأمر اقـتصر على هذا . فـإلى جانب هذه البربرية القـرآنية بربريات أخرى لا تقلّ عن هذه خطورة أهمها :

٢ . الإستـخفـافُ بالمرأة والنظر إليهـا على أنّهـا مجرّد حـرث للرجل ، أي مزرعة «نِساؤُكُم حَرْثٌ لكم فَأتوا حَرْثَكُم أنَّى شِئْتُمْ» (٢/ ٢٢٣) .

٣ . وقطْعُ يد السارق والسـارقة : «والسَّارِقُ والسَّـارقةُ فاقْطَعوا أَيدِيَهُـمَا جَزَاءً بما كَسَبَا» (٥/ ٣٨) .

٤ . وقتْلُ أسرى الحرب : «مَا كـان لنبيٍّ أنْ يكونَ له أَسْرَى حتّى يُثْخِنَ في الأرضِ» (٨/ ٦٧) .

٥ . وجلْدُ الزاني والزانية، بل رجـمُهما بالحجـارة، وعلى رؤوس الأشهاد، حتّى يموتا :«ألزَّانِيَةُ وَالزَّاني، فَاجْلِدُوا كلَّ واحدٍ منْهُما مِئَةَ جَلْدَة ، ولا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأفَةٌ في دينِ اللّهِ إنْ كُنتُم تُؤمِنونَ باللّهِ واليـومِ الآخِرِ ، وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُـما طَائِفَةٌ مِنَ المؤمِنِينَ» (٢٤/ ٢) .

٦ . والطلاقُ الثـلاث : «ألطَّلاقُ مَـرَّتَان : فإمـسـاكٌ بمعروف، أو تسـريحٌ بإحسانٍ .. فإنْ طلَّقهاً مرّة أخـرىً فلا تَحِلُّ له مِنْ بَعْدُ حتَّى تَنْكِحَ زَوجاً غَيرَهُ» (٢/ ٢٢٩-٢٣٠)[١٧٠].

---

(١٧٠) رَ: د. كامل النّجار، **قراءة منهجيّة للإسلام**، تالة للطباعة والنشـر، طرابلس، الجماهيريّة

القَرَابَة : هي القرب في الرحم.. وقرابة النبيّ هم:

١ – إمّا بنو هاشم فقط؛

٢– وإمّا بنو هاشم وبنو المطلب فقط؛

٣ – وإمّا بنو قصيّ؛

٤ – وإمّا قريش كلّها..

ولكلٍّ حجّتـه.. من حقوق القرابة مـا أشار إليه ابن جزّي في قـوله: «حقوق المسلم على المسلم عشرة:

١ – أن يُسلِّم عليه إذا لقيه؛

٢ – ويعوده إذا مرض؛

٣ – ويجيبه إذا دعاه؛

٤ – ويشمته إذا عطس؛

٥ – ويشهد جنازته إذا مات؛

٦ – ويبرّ قسمه إذا أقسم؛

٧ – وينصح له إذا استنصحه؛

٨ – ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه؛

٩ – ويكفّ عنه شرَّه ما استطاع؛

١٠ – والمسلم مَن سلم المسلمـون من لسانه ويده، ويبـذل له من خيـره ما استطاع في دينه ودنياه، فإن لم يقدر على شيء فكلمـةٌ طيّبة. فإن كان من القرابة فـيزيد على ذلـك حقّ صلة الرحم بالإحـسان والزيارة وحـسن الكلام واحـتمـال الجفاء»[1]. وأمّا إن كان أحدَ الوالدين فيـزيد على هذا ما أشار إليه القرآن في (١٧/ ٢٣–٢٤؛ ٣١/ ١٥).

العربيّة اللّيبيّة الاشتـراكيّة العظمى، ٢٠٠٥؛ ص ٨٩–١١٤؛ص ١٨٢–١٩٠. ود. عبّاس عبد النور الدمنهوري، **محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن**، دمنهور، ٢٠٠٤؛ص ٨٥–٢٤٥.

(١) القوانين الفقهيّة ٢٩١.

القِرَان : لغـةً: جمْعُ شيءٍ إلى شيء.. واصطـلاحاً: هو أن يحـرم بالعمـرة والحجّ جمـيعاً من المـيقات أو قـبله، لا بعده، أو يحرم بعـمرةٍ في أشـهر الحجّ، ثمّ يُدْخِلُ الحَجَّ عليـها قـبل الطواف. والفـرق بينه وبين **الإفْرَاد** هو أن الإفراد يـحرم بالحجّ وحده؛ ويتـضمّن نسكاً واحداً، فـيما القِـران يتضمّن نسكَين بإحـرام واحد دون أن يتحلّل من أحدهما إلاّ بعد تمامـهما معاً؛ أمّا في **التَمَتُّع** فإنّه يُتمّ العمرة، ثمّ يتحلّل منها، وينشئ حجًا بإحرامٍ جديد.

وثبتت مـشروعيّـة القِران بقوله تعـالى: «وأتِمُّوا الحجَّ والعُـمْرَةَ للّه» (٢/ ١٩٦)؛ وعن جابر «أنّ رسول اللّه قرن الحجَّ والعمرة، فطاف لهما طوافاً واحداً»[1]، لأنّ الحجّ والعمـرة عبادتـان من جنس واحد، فإذا اجـتمعـتا دخلت الصـغرى في الكبرى، كالطهارتَين: الوضوء والغسل.

القُرْب : من قرَّبه أي أدناه: «واقْـتَرَب الوعْدُ» (٢١/ ٩٧)، فهـو قريب. وهو خلاف البعد. وقد وردت في القرآن بمعانٍ متـعدّدة، منها: اقترب، في قوله: «كَلاَّ لا تُطعْهُ واسْجُدْ واقْتَرِبْ» (٩٦/ ١٩)، وقُـرُبَات جمْع قُرْبَة وهو ما يتقرّب به إلى اللّه، في قوله: «ومِنَ الأعْرابِ مَن يُـؤْمِنُ باللّهِ واليومِ الآخِرِ، ويَتَّخِذُ مـا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عندَ اللّهِ وصلواتِ الرسولِ ألا إنّها قُرْبَةٌ لَهم» (٩/ ٩٩).

واللّه قريبٌ، أي عليم بأحوال عباده، في قوله: «وإذَا سألَكَ عِبادي عنّي فإنّي قَريبٌ أُجـيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ» (٢/ ١٨٦). والمقـرَّبون ذوو القرب والمكانة من اللّه، في قوله: «لن يَسْتَنْكِفَ المسيـحُ أن يكونَ عبداً للّهِ ولا الملائكةُ المُقَرَّبُونَ» (٥٦/ ١٠-١١).

وأوّل رتبـة في القرب القـرب من طاعة اللّه، ودوام الأوقـات بعبـادته، في حديث قدسي رواه البخاري: «مَن عادى لي وليًـا فقد آذنْتُه بالحرب. وما تقرّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبُّ إليَّ ممّا افترضْتُه عليه. ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتّى أُحِبَّه. فـإذا أحببتُهُ كنتُ سـمْعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الـذي يُبصِرُ به، ويدَه التي

---

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٢٧٤؛ وأصله في مسلم ٢/ ٩٤٠.

يَبطشُ بهـا، ورِجلَـه التي يمشي بهـا. ولئن سـألَني لأعُطِـيَنَّهُ، ولئن اسـتـعـاذني لأُعيذَنَّهُ».

ولا يكون قرب العـبد من الحقِّ إلاّ ببعـده عن الخَلق. كمـا لا يكون قرب اللّه من عبـيده إلاّ أقرب مـا يمكن أن يكون: «ونَحنُ أَقْرَبُ إليـهِ مِن حَبْلِ الوَريدِ» (٥٠/ ١٦).

القُرْبَة : ما يُتقرَّب به إلى اللّه. والجمع: قُرَب وقُرُبات..

١ – من القُرَب ما هو واجب، كالفرائض التي افـترضـها اللّه على عباده، من صلاة وصوم وحجّ وزكاة، وقربات يلزم الإنسانُ بها نفسَه، كالنذر؛

٢ – ومنهـا مـا هـو مندوب، كـالنوافل وقـراءة القـرآن والـوقف والعـتق والصدقة وعيادة المريض واتّباع الجنازة؛

٣ – ومنها ما هو مباح بنيّة إرادة الثواب بها، كالأفعال العاديّة؛

٤ – ومنها ما هو حرام، كالقربات المالية، إذا فعلها الإنسان وكان عليه دين، أو كان عنده مَن تلـزمه نفقـتُه مما لا يفضل عن حـاجته؛ ومن ذلك أيـضاً الغلوّ في الدِّين، وقد نهى اللّه عـمّا عزم عليه جمـاعة من أصحاب الرسـول من سرد الصوم وقيـام الليل والاختـصـاء، ظنّاً أنّه قـربة إلى ربّهم، فنهاهم عن ذلك: «يا أيُّـها الذينَ آمَنوا! لا تُحَرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ اللّهُ لكم» (٥/ ٨٧)؛

٥ – وقـد تكون القـربة مكـروهة، وذلك كـالتـصـدّق بجـمـيع مـا يملك، وكالوصية من الفقير الذي له ورثة.

القُـرْطُبِيّ (أبو عـبـداللّه مـحـمّـد) (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) : أحد الأعـلام المفسّرين، صاحب التفسيـر المعروف بـ«الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وأحكام الفـرقان». قـال فيه: «وبعـد.. رأيتُ أن أشتـغل به مدى عـمري، وأستـفرغ فـيه منّتي (أي قوّتي)، بأنْ أكـتب فيـه ما يتضـمّن نكتاً من التـفسـير، واللّغات، والإعراب، والقراءات، والردّ على أهل الزيغ والضـلالات، وأحاديث كثيرة

شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيها.. وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنّفيها.. وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً، لا يُعرف مَن أخرجه.. فيبقى مَن لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم.. وأضرب عن كثير من قصص المفسّرين، وأخبار المؤرّخين، إلاّ ما لا بدّ منه، وما لا غنى عنه».

وله أيضاً «التذكرة بأمور الموتى وأحوال الآخرة»؛ و«الأسنى في شرح أسماء اللّه الحسنى»؛ وغيرها.

قُرْمُط (حمدان) : رأس القرامطة. داعية إسماعيليّ. أصله من خُوزستان. أقام في سواد الكوفة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. كثر أتباعه وأشياعه. منهم زَكْرَوَيْه وأبو سعيد الجَنَّابِيّ.

القَرْن : من الشاة والبقرة، وجمْعه: قرون. و**الجَمَّاء**، التي لا قرْن لها خلقة، لا تجوز التضحية بها في الأضحية والهَدْي؛ كما لا تجزئ **العَضْبَاء**، أي التي ذهب أكثر أذنها أو قرْنها، لحديث عليّ: «نهى رسول اللّه أن يضحّى بأعضب القرن والأذن»[١]؛ وهو أيضاً: الذؤابة؛ والجيل من الناس؛ ويطلق على وقت من الزمن. وقيل: القرْن كلّ أهل طبقة مقترنين في وقت.. وقد قال النبي: «خير أمّتي قرني. ثمّ الذين يلونهم. ثمّ الذين يلونهم»[٢]

القَرْن : هو ميقات أهل نجد، وهو جبل مشرف على عرفات، ويقال له: قرْن المنازل، وقرن الثعالب.

القَرَن : في اللّغة: يقال: قرنت الجارية قَرَنا، إذا كان في فرْجها قَرْن، أي إذا كان في فرْجها شيءٌ يمنع من الوطء. ويقال له: العفلة. وهو كالنتوء في الرحم. والقَرْناء: العَفْلاء.. وهو أحد عيوب المرأة في النكاح.

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ٩٠؛ مختصر سنن أبي داود ٤/ ١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٧/ ٣؛ مسلم ٤/ ١٩٦٤، من حديث عمران بن حصين.

قُرَيْش : ١ . تشتقّ اللفظة من «قَرَشَ»، أي جَمَع، وضَمّ بعضَه إلى بعض؛ و«التَقَرُّش» هو التجمّع، و«قُرَيش» ، هي قبيلة التجمّع الذي قام به **قُصَيّ**، منتزعاً امتلاكَ الحرَم من **خزاعة**، وأصبح الحاكم الفعلي لمكّة. و«قريش» قبيلة عربيّة من كِنانة.. من عدنان. استوطنتْ مكّة وتزعّمتْها، وارتبط ذكرها في التاريخ بها وببيت اللّه الحرام، حتّى أصبحت من كبار التجّار فيها.

٢ . وقُصَيّ هذا هو الذي يرجع إليه الفضل في ظهور قبيلة قريش على مسرح الأحداث في مكّة، وذلك حين تمكّن من جمْع شمل أبناء قبيلته وتوحيد صفوفهم، ومن ثمّ استطاع التغلّب على قبيلة خزاعة، فدان له أهلُ مكّة؛ وتولّى حجابة البيت، وسقاية الحجّاج، ورفادتهم، ورئاسة دار الندوة، واللّواء، والقيادة.

٣ . ثمّ خصّص قُصَيّ لكلّ بطون قريش منطقةً : المنطقة المحيطة بالكعبة كانت لقريش البطاح، ومشارف مكّة لقريش الظواهر. وعند موت قُصَيّ في النصف الأوّل من القرن السادس، انتقلت سلطته إلى ابنه عبد الدار. وكان أخوه عبد مناف قد تحدّاه، وأدّى ذلك إلى انقسام قريش إلى جماعتَين متنافستَين: فأيّد قسمٌ عبدَ الدار، عُرفوا **بالأحلاف**، وقسمٌ آخر أيّد عبدَ مناف عُرفوا **بالمطيَّبين**.. وبعد مدّة من الزمن استُبدل المطيَّبون، وحلّ محلّهم حلفٌ جديد هو **حلف الفضول**...

٤ . وكان لقريش رحلتان للتجارة (ر: ١٠٦/١-٤): رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام وغزّة وآسيا الصغرى. وما إن حلّت سنة ٦٠٠م. حتّى كان رؤساء قريش تجّاراً يتمتّعون بالرخاء والازدهار.

٥ . وتفتخر قريش على سائر العرب بأنّ محمّداً بُعث فيها نَبيًّا ورسولاً، وقد كان منها. قال: «إنّ اللّه اصطفى مِن ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (أخرجه مسلم والترمذي).

قُرَيْظَة (بنو) : إحدى القبائل اليهوديّة الثلاث في يثرب مع **بني النَّضير** وبني **قَينُقاع**. سكنوا خارج المدينة من ناحية الجنوب. كانوا مزارعين. عند وصول

محـمّد إلى المدينة، وكـانوا يملكون مخـازن كبـيرة من الأسلحة. وكـانوا، مع بني النَّضير، حلفاءَ **الأوس**. وقد حاربوا إلى جانبهم في **بُعَاث** التي وقعت في أرضـهم قـبل الهـجرة بسـنوات قلائل... حـاصـرهم مـحمّـد طوال ١٥ يومـاً. وبعـد ذلك استسلموا بلا قيد أو شـرط، وتنازلوا عن أموالهم وممتلكاتهم؛ وعُزلوا عن نسائهم وأولادهم. ثمّ اتُّفق على أن يبتَّ في مصيرهم **سَعْد بن معاذ** سيِّدُ الأوس، الذي حكم أن تُقـتل الرجال، وتُسـبَى النساء والذراري. فـضربتْ أعناق مـا بين ٦٠٠ و ٩٠٠ رجل. واستمرّ القـتلُ اليومَ كلَّه. ونجا منهم أربعةٌ فقط، اعتنقـوا الإسلام. وقُسِمَتِ الغنائم والأرض. واختـار كلٌّ منهم ما شـاء من السبايا، واصطفى مـحمّد لنفـسه **رَيْحانة** بنت زيد النَّضريّة زوجةً له.

القَزْوِيْنيّ (زكريّا) (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : مؤرّخ جغرافي.اشـتهر بكتابه «عجـائب المخلوقـات وغرائب الموجـودات»، وهو قسـمان: قـسم يبحث في العـالم العلوي، أي الأجـرام السـماويّة والملائكـة، وقسم في العـالم السـفلي، أي الأرض وظواهرهـا، وتقسيم المعـمورة إلى سبعة أقاليم، وأسـباب حدوث الزلازل، وتكوين الجبال، ونشـأة الأنهار، والأنواع الطبيعيّة الثـلاث، المعدنيّة والنباتيّة والحـيوانيّة. وله أيضاً:«آثار البلاد وأخبار العباد»، وهو تكملة وتوضيح للكتاب السابق.

قَسّ بن سَاعِدَة (ت نحو ٦٠٠م) : خطيب جاهليّ. من حكمـاء العرب. كان يعظ القومَ في عُكاظ. ذكر النبيُّ خطبَه لوفدٍ من أياد بعد أربعين سنة.

القَسَم : ١ . «القـرآن مولعٌ بـالقَسَم في بدايـة السور، مـثله في ذلك مـثل الكهّـان الذين كانوا يـستـعملون القَـسَم في كلّ أقـوالهم ليوهـموا السـامع بأنّهم قـادرون على كلّ شيء لدرجة أنّـهم يقسـمون أنّ الـشيء المطلوب سوف يحـدث. فهناك سبع عشرة سورة في أوّلها قَـسَم: فيها يقسم اللّه بالتين والزيتون، ويقسم بالنجم إذا هوى، وكذلك بالسماء ذات البروج، وبالضحى، وبالفجر، وما إلى ذلك... وهناك قسَـم كذلك في منتـصف السور، فنجد الآيـة ١٦ وما بعدها في مـنتصف سورة الانشـقاق، كلّهـا قَسَم: «فـلا أقسم بالشـفق، والليلِ وما وسق، والقـمرِ إذا اتّسق، لتركبنّ طبقاً عن طبق».

٢ . فما أهمّيّة الشفق حتّى يقسم به اللّه؟ ولماذا استعمال الغريب من اللفظ للتعبير عن شيء بسيط؟ فاستعمال كلمة «وسق» مع الليل، لتعني الليل وما جمع، واستعمال كلمة «اتّسق» مع القمر لتعني اكتمل، لا يخدم غرضاً، ولم يكن ضروريًا لولا مجاراة السجع والإعجاب بغريب اللّفظ.

٣ . وهناك من القَسَم ما هو غير مفهوم إطلاقاً، فمثلاً : سورة الصّافّات (٣٧ / ١-٣): «والصّافّاتِ صفّا. فالزّاجراتِ زَجراً. فالتاليات ذكراً»؛ وسورة الذّاريات (٥١ / ١-٤): «والذّاريَاتِ ذَرْواً. فالحَامِلاتِ وِقْراً. فالجارِيَاتِ يُسْراً. فالمُقَسِّماتِ أمْراً»؛ وسورة المُرْسَلات (٧٧ / ١-٤): «والمُرْسَلاتِ عُرفاً. فالعاصفاتِ عَصْفاً. والناشراتِ نَشراً. فالفارقاتِ فَرقاً».

٤ . والسؤال الذي يطرأ على الذهن هو: لماذا احتاج اللّه أن يقسم لعبيده.. وهل يحتاج السيّد لأن يقسم لعبيده ليصدّقوه؟..

٥ . لقد أدخلَ القَسَم في القرآن المفسّرين في مأزق عندما حاولوا تفسيرَه. فأغلبه يبتدئ بـ «لا»: «لا أُقسِمُ بيوم القيامة» (٧٥ / ١)، «فلا أُقْسِمُ بالشّفَق» (٨٤ / ١٦)، «فلا أقسم بمواقع النجوم» (٥٦ / ٧٥)، «فلا أقسم بما تبصرون» (٦٩ / ٣٨)، «فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب» (٧٠ / ٤٠)؛ و«لا أقسم بالنفس اللّوّامة» (٧٥ / ٢)، «فلا أقسم بالخنّس» (٨١ / ١٥)، و«لا أقسم بهذا البلد» (٩٠ / ١).

٦ . فالمفسّرون قالوا: إنّ «لا» زائدة، وأراد اللّه أن يقول: «أُقسم بيوم القيامة». وهذا خطأ لأنّ اللّه ما كان ليحتاج أن يدخل «لا» زائدة في كلّ مرّة يقسم فيها.. ولو تنبّه المفسّرون إلى أنّ في الفترة التي جُمع فيها القرآن، لم تكن هناك علامات ترقيم في اللّغة العربيّة، وأنّ الآية كانت : «لأُقسِم»، واللاّم هنا للتأكيد، مثل أن نقول: «لأفعلنّ كذا»، ولكن، لأنّها كُتبت بغير الهمزة على الألف، قُرأت «لا» فصارت «لا أقسم» بدل «لأقسم»[1].

---

(١) د. كمال النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ١٢٢-١٢٣.

القِصَاص : ١ . لغـةً: المماثلة؛ واصطلاحـاً: أن يوقع على الجـاني مِثْلَ مـا جنى، كـالنفس بالنفس، والجرح بالجـرح، منه قوله تعـالى: «ولكم في القِـصَاصِ حياةٌ يا أُولِي الألبـاب» (٢/ ١٧٩)، وقوله: «كتب عليكم القِصـاص في القتلى، الحرّ بالحرّ» (٢/ ١٧٨). فالقصاص غير الحدّ، لأنّه عقوبة مقدّرة وجبت حقًا للعباد.

٢ . أوجه الخلاف بين الحدّ والقصاص:

١ – إنّ الإمام لا يقضي بعلمه في الحدود، بخلاف القصاص.

٢ – لا تورث الحدود، ولا يؤخذ عنها عوض، أمّا القصاص فيورث، ويؤخذ عنه عوض.

٣ – لا يصحّ العفو في الحدود ولا الصلح، بخلاف القصاص.

٤ – لا تجوز الشفاعة في الحدود، وتجوز في القصاص.

٥ – لا تتوقّف الحدود على الدعوى بخلاف القصاص.

٦ – يجوز الرجوع عن الإقرار في الحدود، ولا تجوز في القصاص.

٧ – التقادم (أي الجـرم القديم) لا يمنع من الشهادة بالقـتل في القصاص بخلاف الحدود.

٨ – يثبت القصاص بالإشارة والكتابة من الأخرس، بخلاف الحدود.

ومردّ ذلك كلّه أنّ الحدود حقّ اللّه بخلاف القصاص فإنّه حقّ للعبد.

٣ . والقِـصاص حكمٌ شـرّعـه اللّه لينال الجاني جـزاءَه في الحـياة الدنيـا عاجلاً، وليـردع مَن قد تُسوِّلُ له نفسُه عن ارتكاب الجناية، وليـحيطه علماً بأنّه لن يفلت من العقاب والمعاملة بالمثل.

٤ . ويجري القصاص شـرطَ أن يكون القاتلُ مكلَّفاً، عاملاً، بالغـاً، مختاراً، مبـاشراً، معتـدياً حين القتل؛ وأن يكون المقتـول معصـومَ الدم في حقّ القاتل؛ وأن يكون بينهما تكافـؤ، أي: لا يُقتل الأعلى بالأدنى، كمسلمٍ بكافر، وحـرٍّ بعبد، ولا أب بولده، أو مملوكه..

٥ . والقصاص، بداية، من حقّ المجنَى عليه، فإذا مات انتقل الحقُّ لورثته، فإنْ لمْ يوجدْ ورثة، فللسلطان.. ويُسقط القِصاص إمّا بموت القاتل، وعندها تجب الدية في تركته؛ أو بالعفو من أولياء الدم، وهو حقّ لهم، يسقط بعفوهم؛ ويجوز الصلح والاتّفاق على إسقاط القِصاص بين القاتل ووليّ القصاص مقابل بدل نقدي يدفعه القاتل من ماله...

٦ . والعلاقة بين **التعزير** والقصاص، هو أنّ التعزير عقوبة غير مقدّرة وجبت حقًّا للّه أو لآدمي، في معصية ليس فيها حدّ ولا كفّارة. والقصاص مقدّر بما يساوي الجناية. ثمّ إنّ القصاص حقّ للمجني عليه، أمّا التعزير فقد يكون كذلك، وقد يكون لحقّ اللّه.

٧ . وذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه لو تواطأ جماعةٌ على قتل واحدٍ معصومِ الدم، فإنّ الجمع يُقتلون بالفرد الذي تمّ التواطؤ على قتله، لما روي أنّ عمر بن الخطّاب قَتَلَ سبعةً من صنعاء قَتلوا رجلاً، وقال: «لو تمالأ عليه أهلُ صنعاء لقتَلْتُهم جميعاً»[1].

القَصْد : ١ . لغةً: إستقامة الطريق، في قوله: «وعلى اللَّهِ قَصْدُ السَبيل» (١٦/ ٩)؛ وقَصَد في النَّفَقة: لم يُسرف ولم يُقتّر؛ وقَصَد في الأمر: توسّط، لم يُفرِط ولم يُفرِّط؛ وقَصَد في مشيه: اعتدل وتوسّط بين السرعة والبطء، في قوله: «واقْصِدْ في مَشْيِكَ» (٣١/ ١٩).

٢ . ومعنى الاعتدال والتوسّط هو المعنى الأساسي من «القصد»، في القرآن حيث أنّ الإسلام هو الدين الوسَط، الذي لا يغلو في عقيدته في المسيح، مثلاً، فيعتبره إلهاً، ولا يظلم كاليهود الذين يعرفونه إنساناً عاديًا؛ فيما الإسلام يقف موقفاً مقتصِداً، أي وسَطاً بين الإثنين، فيعتبره نبيًا فحسب.

٣ . وكذلك يقتصد الإسلام في سلوكه في الحياة، فلا يجنح بها إلى الرهبانيّة المُغرقة، ولا إلى الماديّة الجشعة. فالإسلام يقرن بين مطالب الجسد

---

(١) أخرجه البيهقي ٨/ ٤١؛ والبخاري، فتح الباري ١٢/ ٢٢٧.

والنفس في تعاليمه، ويكفّ طغيان أحدهما على الآخر؛ وكذلك يقسم رغائب الإنسان على معاشه ومعاده، فيقول: «وابتغِ فيما آتاكَ اللّهُ الدارَ الآخرةِ ولا تنسَ نصيبكَ من الدنيا» (٢٨/٧٧؛ ر: ٢/ ٢٠٠-٢٠٢). هذا وقد وصف القرآن المسلمين بأنّهم «أُمَّةٌ مُقْتَصِدَة» (٥/٦٦)

٤ . ولقد كان القصد في الأمور والاعتدال فيها من صفة النبيّ، فلم يقبل النبيّ موقفَ النفر الذي قال أحدُهم: «أنا أصوم ولا أفطر؛ وقال الآخر: وأنا أصلّي ولا أنام؛ وقال الثالث: أنا أعتزل النساء. فبيّن رسولُ اللّه لهم أنّ ذلك يرفضه الإسلام ويأمر بالاعتدال والقصْد في الأشياء، فقال: «أمّا أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوّج النساء. فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»[1]

قُصَيّ : ١ . سيّد قريش في عصره. مات والده عقب ولادته، فأخذتْه أمّه فاطمة بنت سعد التي اتّخذت لها زوجاً ثانياً من بني عذرة إلى موطن قبيلة زوجها في شمال الجزيرة العربيّة، قرب سرغ الواقعة على الحدود السوريّة الحجازيّة على مقربة من تبوك. وهنا تغيّر اسمه من زيد إلى قُصَيّ، أي المقصيّ، البعيد عن وطنه. وإذ عرَفَ من أمّه أصولَه عاد إلى مكّة حيث تزوَّجَ حُبَّة بنت حُلَيْل سيّد **خزاعة** الذي كان إليه الإشراف على ترتيبات العبادة في الكعبة والحجّ إليها.

٢ . وسرعان ما علا شأن قُصَيّ في مكّة، ونجح بعد وفاة حميّه في أن يخلفه في مهامِّه. وبمعاونة ابن حُلَيْل أصبح قُصَيّ سيّدَ مكّة وحارسَ الكعبة. ووحّد العشائر المتناثرة في قبيلة واحدة موحَّدة، سمّاها **قريش**، من تقرّش بمعنى «جمَع»، فلُقِّب قُصَيّ بـ «المُجَمِّع». وبعد وفاته ورث أبناؤه عبد الدار وعبد مناف وعبد العُزّى وعبد قُصَيّ مهامّه المقدّسة.

٣ . يتّضح ممّا سبق أنّ قريشاً كانت ترى في قُصَيّ مؤسِّسَها الحقيقي ومؤسِّسَ الكعبة. وهو يمثّل لمكّة «ما يمثّله تيسيوس لأثينا وروملوس لروما»، كما يقول كيتاني. وشأن قُريش بالنسبة إلى مكّة كشأن ثَقيف بالنسبة إلى الطائف.

---

(١) راجع مادّة: القصد، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ١١٣٨-١١٤٠.

القَضَاء : ١. بمعنى الحكْم فقد عرّفه الحنفيّة بأنّه: فصلُ الخصومات وقطْع المنازعات. فيه قال الكتاب: «.. فاحْكُمْ بينَ الناسِ بالحقِّ. ولا تَتَّبِعِ الهَوى فيُضِلَّكَ عن سبيلِ اللّه» (٣٨/٢٦)، وقال أيضاً: «وأنِ احْكُمْ بينَهم بما أنزلَ اللّهُ» (٥/٤٩)؛ وقال النبي: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، وإذا حكم واجتهد ثمّ أخطأ فله أجر»[١]..

٢. والقضاء يكون على وجه الإلزام؛ فيما **الفَتْوَى** تكون من غير إلزام.. وكذلك الفرق بين القضاء وبين **التَّحْكِيم**: فالقضاء من الولايات العامّة؛ أمّا التحكيم فتولية خاصّة من الخصمَين، فهو فرع من فروع القضاء، لكنّه أدنى درجةً منه.

٣. وكان كثير من السلف الصالح يحجم عن تولّي القضاء، وذلك خشية من عظيم خطره، كما تدلّ عليه أحاديث كثيرة، كحديث: إنّ اللّه مع القاضي ما لم يجر. فإذا جارَ تخلّى عنه ولزمه الشيطان»[٢]، وحديث: «مَن ولّي القضاء، أو جُعل قاضياً، فقد ذَبَحَ بغير سكّين»[٣]، وحديث: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنّة: رجلٌ قضى بغير الحقّ فعلِمَ ذاك، فذاك في النار؛ وقاضٍ لا يعلم فأهلَكَ حقوقَ الناس، فهو في النار؛ وقاضٍ قضى بالحقّ، فذلك في الجنّة»[٤].

قَضَاءُ الحَاجَة : ١. وهي كناية عن التبوّل والتغوّط. يقابله **الاستنْجَاء**، وهو، كما قال الفليوبي: إزالة الخارج من الفرْج عن الفرْج بماءٍ أو حجر[١]؛ و**الخَلاء**، وهو المكان المعدّ لقضاء الحاجة[٢]..

٢. ذهب أكثر أهل العلم إلى أنّه لا يجوز استقبال القِبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة، لحديث رسول اللّه: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القِبلة، ولا

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٣/٣١٨؛ مسلم ٣/١٣٤٣، من حديث عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣/٦٠٩، من حديث عبداللّه بن أبي أوفى.

(٣) أخرجه الترمذي ٣/٦٠٥، من حديث أبي هُريرة.

(٤) أخرجه الترمذي ٣/٦٠٤؛ الحاكم ٤/٩٠، من حديث بريدة.

(١) حاشية العدوي على الخرشي ١/٤١، حاشية القليوبي ١/٤٢.

(٢) حاشية الجمل ١/٨٢، ط. المكتبة التجاريّة الكبرى؛ نيل المآرب ١/٥١، ط. مكتبة الفلاح.

تستدبروها؛ ولكن شرّقوا، أو غرّبوا»؛ قال أبو أيّوب: «فقدمنا الشام، فوجدنا مراحيض بُنيت قِبَل القبلة فننحرف، ونستغفر اللّه تعالى»[٣]..

٣ . أمّا استقبال بيت المقدس واستدباره فمكروه، وليس بحرام، كما عند الشافعيّة.. ويكره أيضاً استقبال الشمس والقمر، لأنّهما من آيات اللّه الباهرة.. ولا خلاف بين الفقهاء في أنّه يكره لقاضي الحاجة، إذا كانت الحاجة بولاً أو غائطاً رقيقاً أن يستقبل مهبَّ الريح، لئلاّ يصيبه رشاش الخارج فينجّسه.

٤ . ويكره قراءة القرآن، والتكلّم بذكر اللّه أو بغيره، لقول النبي: «لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفَين عن عورتهما يتحدّثان. فإنّ اللّه يمقت على ذلك»[٤]؛ ولقول مهاجر عن قنفذ قال: «إنّه أتى النبيَّ وهو يبوّل فسلّم عليه، فلم يردّ عليه حتّى توضّأ. ثمّ اعتذر إليه فقال: إنّي كرهت أن أذكر اللّه إلاّ على طهر»[٥]..

٥ . يكره أن يمسّ الإنسان فرْجه بيمينه حال قضاء الحاجة وغيرها، لحديث رسول اللّه: «إذا بال أحدُكم فلا يمسح ذكَرَه بيمينه. وإذا تمسّح أحدُكم فلا يتمسّح بيمينه»[٦].. وصرّح الفقهاء بأنّ لقاضي الحاجة أن يقدّم رجلَه اليسرى في الدخول، واليمنى في الخروج؛ لأنّ ما كان من باب التشريف والتكريم يندب فيه التيامن، وما كان بضدّه يندب فيه التياسر.

٦ . إذا أراد إنسانٌ دخولَ الخلاء، عليه أن يقول: «اللّهمَّ! إنّي أعوذ بك من الخُبث والخبائث»، والخبائث هي ذكور الشياطين وإناثهم[٧].. وإذا خرج يقول: «الحمد للّه الذي أخرج عنّي ما يؤذيني، وأبقى فيّ ما ينفعني»[٨].

---

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/ ٤٩٨؛ مسلم ١/ ٢٢٤.

(٤) أخرجه أبو داود ١/ ٢٢؛ وابن خزيمة ٢١/ ٣٩، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) أخرجه أبو داود ١/ ٢٣؛ الحاكم ١/ ١٦٧.

(٦) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٩٢؛ مسلم ١/ ٢٢٥، من حديث أبي قتادة.

(٧) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/ ٢٤٢؛ مسلم ١/ ٢٨٣، من حديث أنس بن مالك.

(٨) أخرجه إبن السني في عمل اليوم والليلة، ص ١٥؛ وابن حجر في نتائج الأفكار ١/ ٢٢٠.

القَضَاء وَالقَدَر : هو ما قدّره اللّه وقضاه على العالمين في علمه الأزلي ممّا لا يملكون صرْفَه عنهم.

١ . جاء القضاء في القرآن بمعانٍ عدّة. منها:

١ - «الحكم»، في قوله: «قضى اللّه عزّ وجلّ بكذا»، أي حكم به؛

٢ - «الأمر» في قوله: «وقضى ربُّكَ ألاّ تَعبُدوا إلاّ إيّاه وبالوالِدَينِ إحساناً» (١٧/ ٢٣)؛

٣ - بمعنى «أخبر» وأبلغ في قوله: «وقَضَينا إليهِ ذلكَ الأمْرَ (١٥/٦٦)؛

٤ - وبمعنى «أراد» في قوله: «إذا قَضى أمْراً فإنّما يقول له كنْ فيكونُ» (٣/٤٧)؛

٥ - يطلق على الخلق والصنع، كقوله: «فقضاهنَّ سبعَ سمواتٍ في يومَين» (٤١/ ١٢)؛

٦ - وعلى العمل، كقوله: «فاقْضِ ما أنتَ قاضٍ» (٢٠/٧٢)؛

٧ - وعلى الأداء،: «فإذا قضيتُمُ الصلاة» (٤/١٠٣)؛

٨ - وعلى العهد والوصيّة، كقوله: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب» (١٧/ ٤)؛

٩ - وعلى الإتمام، كقوله: «فلمّا قضينا عليه الموتَ» (٣٤/١٤)؛

١٠ - وعلى بلوغ الشيء ونواله، تقول: قضيت وطري، أي بلغته ونلته، وقضيت حاجتي كذلك.

٢ . أمّا معنى «القدر» فهو الترتيب والحدّ الذي ينتهي إليه الشيء. قال: «وقَدَّرَ فيها أَقْوَاتَها» (٤١/١٠)، بمعنى: رتّب أقواتها وحدّدها؛ وقال: «إنّا كلَّ شيءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ» (٥٤/٤٩)، أي برتبة واحدة.

٣ . وعلى هذا فمعنى «قضى وقدّر» : حكَمَ ورتّب. ومعنى القضاء: حكم اللّه في شيء بحمده أو ذمّه، وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط (راجع مادّة: **القَدريّة**).

قُضَاعَة : مجموعة من القبائل العربيّة تتضارب آراء النسّابين في أصلها. والقبائل المندرجة في قضاعة هي : كَلب، وجُهَينة، وبَلِي، وبَهراء، وخولان، ومهرة، وخُشَين، وجَرْم، وعُذرة، وبَلقَين، وتنّوخ، وسَليح.

القُضَاعِيّ (أبو عبدالله محمّد) (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٣م) : فقيه شافعيّ. محدّث. مؤرّخ. أخذ عن علماء مصر. تولّى فيها القضاء وتوفّي فيها. كان سفيرَ الخليفة الفاطمي المستنصر لدى بيزنطيا، يسعى إلى عقد الصلح بين البلدين. واستغلّ فترة وجوده في القسطنطينيّة ليجمع ما توفّر له من موادّ تاريخيّة.

وكتب القضاعي عدّة مصنّفات في الفقه والتاريخ، منها: «الشهاب في الحديث والمواعظ والآداب»، و«دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار»، و«تفسير القرآن»، و«نزهة الألباب»، وكتاب «الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء»، و«كتاب «المختار في ذكر الخطط والآثار»، وكتاب «عيون المعارف».

القُطْب :هو «الحقيقة المحمّديّة». يرى ابن عربي أنّ الحقيقة المحمّديّة هي روح محمّد التي تنقل العلم الإلهي لكلّ الأنبياء والأولياء. والقطب معصوم؛ ولكلّ زمان قطب، وهو الخليفة الحقيقي للّه.. والقطب، عند الصوفيّة، «الإنسان الكامل». ويُقارن أيضاً مع الإمام عند الشيعة بوصفه مظهراً للكلمة الإلهيّة.

قُطْب (سَيِّد) (ت ١٩٦٦م) : أديب مصريّ وكاتب إسلامي. شاعر وناقد. مفسّر أصوليّ. من أنصار الإخوان المسلمين. أُعدم. من آثاره في التفسير: «في ظلال القرآن»، و«كتب وشخصيّات» في النقد الأدبيّ.

قُطْرُب (أبو عليّ) (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) : لغويّ نحويّ مفسّر من أهل البصرة. أخذ النحو عن سِبَوَيه الذي لقّبه بقُطرب. ذهب مذهب المعتزلة. من كتبه: «معاني القرآن»، و«غريب الحديث»، و«الأضداد»، و«المثلّثات».

القَطْع : أي قطع يد ورجل السارق والسارقة. وهو حدّ من حدود اللّه (رَ: **السَّرقة** و **الحَدّ**).

قَطْعُ الطَّرِيْق (رَ: الحرابة).

قِطْمِيْر : هو إسم الكلب الذي كان في صحبــة النوّام السبعة. وقيل: هو لوح من الرصاص رقّمتْ فيه أسماؤهم، وجُعل على باب الكهف. وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف. وقــيل: الجبل. وقيل: قريتهم.. هذا الإسم غيــر وارد في القرآن إلاّ مرّة واحدة (١٣/٣٥)، وبمعنى لفافة النَّواة.

القِفْطِيّ (جمال الدين عليّ) (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) : وزير ومؤرّخ ولغويّ مصريّ. نشأ في القاهرة وسكن حلب. من كتبــه: «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»، و«إنباه الرواة على أنباه النحاة»، و«أخبار مصر»، و«إصلاح خلل الصحاح»..

القَلْقَشَنْدِيّ (أحـمـــد) (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) : قـاضي ومـــؤرّخ وأديب مــصــريّ. نسـبتــه إلى قلقـشندة بــالقليـوبيّــة. درس في القــاهرة والإسكندريّة، وتخصّص في الأدب والفقه الشافــعي. وبرع في علوم البلاغة واللّغة والإنشاء. له: «صُبْــح الأعشى في صناعــة الإنشا» جـمع فيــه معــارف عامّة ومــعلومات أدبــيّة وتاريخيّة وجغرافيّة، و«نهاية الأرب في مــعرفة قبائل العرب»، و«قلائد الجمان في قبائل العــربان». ووضع مختصــراً لصبح الأعشى عنوانه: «ضوء الصــبح المسفر وجنى الدوح المثمر»، ووضع كتاباً في الفقــه الشافعي عنوانه «الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع».

قُمْ : مدينة إيــرانيّة جنوبيّ طهــران. مركز دينيّ وثقــافيّ شيــعيّ. جامــعة مشهورة. مساجد أثريّة. محجّة للشيعة. فيها قبور العديد من أوليائهم.

القُنُوت : ١ – الطاعــة والدعــاء أثنــاء الصــلاة، والخــشــوع والإقــرار للّه بالعبوديّة، لقوله: «له ما في السموات والأرضِ. كلٌّ له قَانِتُونَ» (٢/١١٦)[1]؛

٢ – الصــلاة، لقـولــه: «يا مــريمُ! اقْنُتِي لربِّكِ. واسْــجُــدي. وارْكَـعي معَ الرّاكِعين» (٣/٤٣)؛

---

(١) رَ: ٢/٢٣٨؛ ٣/١٧و٣٤؛ ٤/٣٤؛ ٢٧/١٢٠؛ ٣٠/٢٦؛ ٣٣:٣١و٣٥؛ ٣٩/١٩؛ ٦٦/٥و١٢

٣ – طول القيام، لقوله: «أمَّنْ هُوَ قانِتٌ أناءَ الليلِ، ساجِداً وقائماً» (٣٩/ ٩)، وقول النبيِّ: «أفضلُ الصـلاةِ طولُ القُنوت»، أي طول القيام[٢]، وقوله أيضاً: «مَثَلُ المجاهد في سبيل اللّه كمثل الصـائم القانت بآيات اللّه»، وقوله:«من قرأ مائة آية من القرآن قائماً كان من القانتين»، وعن أبي هُريرة: إنّ القنوت كان يتكوّن من الدعوات والبركات للمسلمين واللّعنات على الكفّار[٣]؛

٤– السكوت، لقوله: «وَقُوموا للّهِ قانِتِينَ» (٢/ ٢٣٨)، أي ساكتين[٤].

قِوَامَـةُ الرَّجُل : ١ . القـوامة مِن قـام على الشيء، أي حافظ عليـه، وراعى مصالحه. ومنها: قِوامة الزوج على زوجته، والمقصود: أنّ الزوج أمين عليها، يتولّى أمرَها، ويُصلحها في حالها، ويقوم عليهـا آمراً ناهياً، كما الوالي على رعيّته[١]. قال ابن كـثير في تـفسيـر قوله تعـالى: «الرِّجالُ قَـوَّامُونَ على النِّسـاء» (٤/ ٣٤)، أي الرجل قيّم على المرأة، أي هو رئيسـها وكبيرها والحاكم عليها مؤدّبها إذا اعوجّت[٢].

٢ . ويعني أيضـاً: أنّ الرجـال قائـمون بمصـالح نسـائهم، ومنهـا: ولاية تزويجهنّ، كما يرشـد إليه الحديث: «لا نكاح إلاّ بوليّ»[٣]، وحديث: «لا تزوِّج المرأةُ المرأةَ، ولا المرأةُ نفسَها»[٤]. واستدلّوا كذلك بما روي عن عـائشة عن النبيِّ أنّه قال: «أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل باطل باطل. فإنْ أصابها فلها المهر بما استحلّ من فرْجها، فإن اشتجروا فالسلطان وليّ من لا وليّ له»[٥].

٣ . وقال الجصّـاص في تفسيره للآية: قـيامهم عليهنّ بالتـأديب والتدبير والحفظ والصيانة، لما فضّل اللّهُ الرجلَ على المرأة في العقل والرأي، وبما ألزمه اللّه

---

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٥٢٠، من حديث جابر بن عبداللّه.

(٣) رَ : صحيح البخاري، الأذان، باب ١٢٦.

(٤) عن البخاري، فتح الباري ٨/ ١٩٨؛ مسلم ١/ ٣٨٣.

(١) الكشّاف للزمخشري، ١٠/ ٥٢٣؛ أحكام القرآن، لابن العربي ١/ ٥٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٩١، ط. عيسى الحلبي.

(٣) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٩٨؛ والحاكم ٢/ ١٧٢،من حديث أبي موسى الأشعري.

(٤) أخرجه ابن ماجّة ١/ ٦٠٦، ط. الحلبي؛ والدارقطني ٣/ ٢٢٧، ط. دار المحاسن.

(٥) أخرجه أحمد ٦/ ٤٧، ط. الميمنيّة وأبو داود ٢/ ٥٦٦، وحسّنه الترمذي ٣/ ٣٩٩.

من الإنفاق عليها. فدلّت الآية على معانٍ: أحدها: تفضيل الرجل على المرأة في المنزلة، وأنّه هو الذي يقوم بتدبيرها وتأديبها، وهذا يدلّ على أنّ له إمساكها في بيته ومنعها من الخروج، وأنّ عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية، ودلّت على وجوب نفقتها عليه بقوله: «وبِمَا أَنْفَقوا مِن أمْوَالِهِم» (٤/ ٣٤)(٦).

٤ . وقال الزمخشري في تعليقه على الآية: وفيه دليل على أنّ الولاية تستحقّ بالفضل لا بالتغلّب والاستطالة والقهر(٧).

٥ . وذكر العلماء أنّ القِوامة جعلت على المرأة للرجل لثلاثة أسباب: ١ - كمال العقل والتمييز؛ ٢ - كمال الدّين؛ ٣ - بذل المال من الصداق والنفقة..

٦ . ومقتضى قوامة الرجل على المرأة أنّ على الرجل أن يبذل المهر والنفقة، ويحسن المعاشرة، ويحجب زوجتَه، ويأمرها بطاعة اللّه، وينهي إليها شعائر الإسلام من صلاة وصيام. وعليها الحفظ لماله، والإحسان إلى أهله، والالتزام لأمره، وقبول قوله في الطاعات.

القَوْمِيّة : شعور أفرادِ الشعب بانتمائهم لأمّة واحدة.. ولقد أذاب الإسلام القوميّات، بحسب المسلمين، ولم يعد لنعرة القوميّة مكانٌ في ظلّ الانتساب إلى الإسلام: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَن سواهم».. فالإسلام لم يكن فورةً جنسيّة، أو نزعة استقلاليّة؛ إنّه دين للإنسانيّة عامّة، يعلو على الأقوام والأوطان، يربط الناس بربّهم ليشهدوا به وحده، ويستلهموا منه وحده، وليكونوا في قارّات الدنيا كلّها سواسيّة في الكرامة والولاء. فلا سجود إلاّ للّه، ولا حكم إلاّ للّه(١).

القُوّة : يحثّ الإسلام على طلب الغلبة والشوكة وكلّ أنواع القوى المتاحة، امتثالاً لقوله: «وَأَعِدُّوا لهمْ ما استَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ» (٨/ ٦٠)، الأمر الذي دعا الإمام

---

(٦) أحكام القرآن للجصاص ٢/ ١٨٨، نشر دار الكتاب العربي.

(٧) الكشّاف للزمخشري، ١/ ٥٢٣، ط. دار المعرفة.

(١) رَاجع مادّة: القوميّة، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ١١٦٦-١١٦٧.

محمّد عبده إلى أن يقول: «الناظر في أصول هذه الديانة ومَن يقرأ سورةً من كتابها المنزّل يحكم حكماً لا ريب فيه بأنّ المعتقدين بها لا بدّ أن يكونوا أوّل ملّة حربيّة في العالم، وأن يسبقوا جميع الملل إلى اختراع الآلات وإتقان العلوم العسكريّة والتبحّر فيما يلزمها من الفنون، كالطبيعة والكيمياء وجرّ الأثقال والهندسة، إضافةً إلى حبّ الغلبة وطلب كلّ وسيلة إلى ما يسهّل له سبيلها، والسعي إليها بقدر الطاقة البشريّة[1].

القِيَاس : ١ . هو أحد أصول الفقه الإسلامي الأربعة، وهو استنتاج الأحكام الشرعيّة من القرآن والسنّة بالدليل العقلي. وسببه هو أنّ النصوص متناهية والوقائع غير متناهية، فيضطرّ إلى قياس ما لا أصل له من كتاب أو سنّة على ما له أصل إنْ وجد جامعٌ ما بينهما. واتّسع معنى القياس حتّى أصبح يُطلق على **الاجتهاد** في ما ليس فيه نصّ.

٢ . وبرغم التسليم بالقياس فإنّ بعض الفقهاء يرفضونه مستشهدين بما جاء في القرآن: «فإنْ تنازعتم في شيء فردّوه إلى اللّه والرسول» (٤/٥٩)، أي إلى القرآن والسنّة. نصّ القرآن والسنّة ثابت، بينما القياس «مظنون» فقط. واتّباع «الظنّ» هو ما يفعله الكفّار (ر: ١٠/٦٦). القرآن كلمة اللّه، بينما القياس من فعل العقل البشري الضعيف. وإذا كانت الأحاديث في حاجة إلى التثبت منها عن طريق الكتاب، فحاجة القياس أكثر.

القِيَافَة : مِن قاف، أي: تتبّع أثرَه ليعرفه؛ والقائف: هو الذي يتتبّع الآثار ويعرفها، ويعرف شَبَهَ الرجل بأخيه وأبيه.. وهي علم يبحث عن تتبّع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في الطرق القابلة للأثر.

القِيَام : مِن قام، أي: انتصب. وهو نقيض الجلوس.. اتّفق الفقهاء على أنّ القيام ركنٌ في الصلاة المفروضة على القادر عليه، لقوله تعالى: «حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسْطَى. وَقُومُوا للّهِ قَانِتِينَ» (٢/٢٣٨)، أي: مطيعين.. واتّفقوا

---

(١) رَاجع مادّة: قوّة، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ١١٦١.

على أنّ القيام المطلوب شرعاً في الصلاة هو الانتصاب معتدلاً؛ ولا يضرّ الانحناء القليل..سُئل النبيّ عن صلاة الرجل قاعداً، قال: «مَن صلّى قائماً فهو أفضل، ومَن صلّى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومَن صلّى نائماً فله نصف أجر القاعد»[٢].

القِيَامَة : البعث والنشور والساعة ويوم الحساب.. كلّها تدخل تحت عنوان عام هو «المَعَاد»، أي العودة إلى الحياة الحقيقيّة بعد الموت.

١ . من علامات يوم القيامة :

١ – أشراط الساعة، وخاصّة ظهور الدجّال الذي يضلّ جميع الناس تقريباً، ويعقبه نزول عيسى أو المهدي (أو إنّ عيسى هو المهدي) الذي يقتل الدجّال. تأتي بعد هذا فترةٌ يسود فيها الإيمان.

٢ – النفخة الأولى في الصُّور فيموت كلّ شيء حيّ. فترةُ الانتظار. النفخة الثانية في الصُّور فيُبعث الخلق من جديد، ويُساقون إلى أرض المحشر، الموقف في حضرة اللّه، ويتصبّب الخلق عرَقاً.

٣ – يبدأ الحساب. مساءلة اللّه لكلّ فرد مباشرة. الكتب التي سُجِّلت فيها أفعال العباد. توزن أعمال الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وقد يخفى عليهم. فضّ العداوات وردّ المظالم بين الناس.

٤ – الصراط. الشفاعة. حوض محمّد.

٥ – النار (الجحيم والمطهر). الجنّة (النعيم). السجن.

٢ . يرد لفظ «القيامة» في القرآن في عبارة «يوم القيامة» ٧٠ مرّة[٣]. وجاء ذكر «الساعة» ٤٠ مرّة ودائماً مع أداة التعريف. ووردت أيضاً الأسماء التالية: القارعة[٤]، الغاشية (١٢/١٠٧؛ ٨٨/١)، الصّاخّة (٣٣/٨٠)، يوم الفصل[٥]،

---

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/٥٨٦، حديث عمران بن حصين.

(٣) رَ مثلاً: ٢/٨٥ و١١٣ و١٧٤ و٢١٢؛ ٣/٥٥ و٧٧ و١٤٩؛ ٦٨/٣٩؛ ٧٥/١ و٦.

(٤) رَ: ٣١/١٣؛ ٦٩/٤؛ ١٠١/١ و٢ و٣.

الواقعة (٥٦/ ١؛ ٦٩/ ١٥)، يـوم الحساب[٦]، يوم البعث (٣٠/ ٥٦)، البعث (٢٢/ ٥)، يوم محيط (١١/ ٨٤)، يوم الدين[٧].

٣ . صفات يوم القيامة تعبّر عنها هذه التعابير القرآنيّة. أهمّها :

١ – «صراط» يرد مرّة واحدة في (٣٧/ ٢٣) في عـبارة «صراط الجحيم»، كمجرّد إشارة إلى الطريق المؤدّي إلى جهنّم. وهو «الجسر الممدود على متن النار».

٢ – «موقـف»: ٤ مرّات[٨]. فـيهـا تلميـحات إلى الإنســان وهو واقف في حضرة اللّه.

٣ – «يوم يكشف عن ســاق» (٦٨/ ٤٢)، ومعنى هذا أنّه يوم يـشتـدّ الأمر ويصعب الخطب عندما تشمّر أطراف الثوب استعداداً للهرب.

٤ – «نفخ الصور»[٩]، و«نقـر في الناقور» (٧٤/ ٨). بحـسب (٦٩/ ١٣) هناك نفخة واحدة فيها الكفاية؛ وفي (٣٩/ ٦٨) نفختان: في الأولى يصعق مَن في السموات ومَن في الأرض. فإذا نفخ في الصور مرّة أخرى فإذا هم قيام ينظرون.

٥ – «موازين»، بصـيغـة الجمع[١٠] بمعنى وزن الحسنات والسـيّئات في الميزان الذي يُنصب يوم القيامة.

٦ – «حســاب» خاصّ بين اللّه والإنســان. لكلّ إنسان كـتاب يشتـمل على أعماله. واللّه نفسه شهيد، وإنّه لبـالمرصاد كالصائد يتربّص بصيده (٨٩/ ١٤)، أو إنّ جهنّم تكون مرصاداً (٧٨/ ٧٨).

---

(٥) رَ: ٣٧/ ٢١؛ ٤٤/ ٤٠؛ ٧٧/ ١٣ و١٤ و٣٨؛ ٧٨/ ١٧.

(٦) رَ: ٣٨/ ١٦ و٢٦ و٥٣؛ ٤٠/ ٢٧.

(٧) رَ: ١/ ٤؛ ٨٣/ ١١ وهو كثير جدًا.

(٨) رَ: ٦/ ٢٧ و٣٠؛ ٣٤/ ٢٤؛ ٣٧/ ٢٤.

(٩) رَ: ٦/ ٧٣؛ ١٨/ ٩٩؛ ٢٠/ ١٠٢؛ ٢٣/ ١٠١؛ ٢٧/ ٨٧؛ ٣٦/ ٥١؛ ٣٩/ ٦٨؛ ٥٠/ ٢٠؛ ٦٩/ ١٣؛ ٧٨/ ١٨.

(١٠) رَ: ٧/ ٨ و٩؛ ٢١/ ٤٧؛ ٢٣/ ١٠٢ و١٠٧؛ ١٠١/ ٦–٩.

٧ – وترى جهنّم (٧٧ مرّة) كما لو كانت متحرّكة (٢٣/٨٩). وهناك وصف لها (٦٧/٧و٨) وهي تشهق وتفور، كما لو كانت وحشاً.

٨ – ثمّ في (١٠/٤٤): «فارتقبْ يومَ تأتي السماء بدخان مبين»، يفسّرها البيضاوي على أنّ الدخان يمكن أن يكون أحد أشراط الساعة.

٩ – نزول عيسى باعتباره من أشراط الساعة[١١].

١٠ – ومن العلامات التي يُشار إليها في القرآن «دابّة من الأرض» (٢٧/ ٨٢). يرى البيضاوي أنّها «الجسّاسة»، وهي تلازم المسيح الدجّال في جزيرة ما.

١١ – عن الدجّال الذي ليس له في القرآن ذكر على الإطلاق، ولكنّه، بحسب التقليد الإسلامي، من علامات اليوم الأخير.

١٢ – ويلعب «حوض» محمّد أيضاً دوراً غامضاً في صورة يوم القيامة، وإنْ لمْ يردْ في القرآن.

١٣ – في قصّة ذي القرنَين في القرآن (١٨/ ٨٥–٩٨) يُبنى سدّ عظيم ليصدّ به يأجوج. ولكن إذا جاء يوم القيامة يصبح السدّ دكّا (آ ٩٨)، وإذا بهم ينسلون (٢١/٩٦).

٤ . هكذا ليس في القرآن سوى القليل جدًا عن العلامات التي تسبق يوم القيامة. غير أنّ المفسّرين ذكروا الكثير. فالتفتازاني في تفسيره، يجد عشر علامات: الدخان، الدجال، الدابّة، طلوع الشمس في الغرب، عيسى، يأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من اليمن فتطرد الناس إلى المحشر[١٢].

القَيْح : اتّفق الفقهاء على أنّ القَيْح، إذا خرج من بدن الإنسان، فهو نجس، لأنّه من الخبائث (رَ: ١٥٧/٧)؛ والطباع السليمة تستخبثه، لاستحالته إلى خبث

---

(١١) رَ: مسلم، الأيمان، حديث ٢٤٢ وبعده، الفتن، حديث ٣٤ وبعده

(١٢) أنظر قائمة مشابهة في صحيح مسلم، الفتن، الحديث ٣٩.

ونتن رائحة.. واختلفوا في انتقاض الوضوء بالقيح. والمبدأ العام هو أنّ النجاسة التي تنقض الوضوء هي ما خرجتْ من السبيلَين فقط...

قَيْس بن الخَطِيْم (ت نحو ٦٢٠) : من شعراء يثرب في الجاهليّة. انتصر لقبيلته الأوس ضدّ الخزرج. له «ديوان».

قَيْس بن ذَرِيْح (ت ٦٨هـ/ ٦٨٧م) : شاعر من أهل المدينة. اشتهر بحبّ لُبنى بنت الحُباب الكعبيّة. شعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين.

قَيْس بن زُهَيْر (ت ١٠هـ/ ٦٣١م) : شاعر من أمراء عَبس وحكمائها. قيل له قيس الرأي لصحّة رأيه.

قَيْس بن سَعْد (ت ٦٠هـ/ ٦٨٠م): صحابيّ خزرجيّ حمل راية الأنصار مع النبيّ.

قَيْس بن عَاصِم (ت نحو ٢٠هـ/ ٦٤٠م) : من شعراء الجاهليّة. أسلم ووفد تَميم سنة ٦٣١.

قَيْس بن مَكْشُوح (ت ٣٧هـ/٦٥٧م) : صحابيّ كان سيّد بجيلة في الجاهليّة. شهد صِفِّين مع عليّ وقُتل فيها.

قَيْس بن المُلَوَّح (أطلب: **مجنون ليلى**).

قَيْس عَيْلاَن : جدّ جاهليّ من مُضر ابن نِزار من عدنان. بنوه قبائل كثيرة، منهم: هَوازن، سُلَيم، غَطفان، فَهم، عدوان، باهِلة. إليه تنتسب القَيسيّة.

القَيْسيّة : أحد حزبَي العرب في الجاهليّة والإسلام، نسبة إلى قَيس عِيلان. نافسهم **اليمنيّة**. وكانت بينهما منازعات في الشام والعراق ومصر وإفريقية والأندلس. وانتقلت إلى لبنان في القرون الوسطى والحديثة.

القَيِّم : (راجع: **الدِّينُ القَيِّم**).

قَيْنُقَاع (بنو) : إحدى القبائل اليهوديّة الثلاث في يثرب. كانوا يعيشون على ممارسة التجارة.. يعيشون في الجزء الجنوبي الغربي من يثرب فوق وادي بطحان، حيث كانوا يشغلون اثنين من الحصون التي تميّزت بها يثرب. وكانوا صاغة إلى جانب حرفٍ أخرى امتهنوها..

لمّا خرجوا من يثرب خلّفوا وراءَهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم، فقُسمت بين المسلمين، وأخذ محمّد الخمس. ويتراوح عدد مقاتليهم المدجَّجين بالسلاح، من ٤٠٠ إلى ٧٥٠ مقاتل.. كانوا حلفاء الخزرج، ويوصفون بأنّهم «يهود بني النجّار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم»، أي بوصفهم حلفاء الأقسام الفرعيّة المختلفة من الخزرج.

بعد غزوة بدْر (رمضان ٢هـ/مارس ٦٤٤م) اضطربت علاقات محمّد مع اليهود.. وبعد حصار دام ١٤ يوماً استسلموا دون أن يضربوا ضربة واحدة.. ثمّ رحلوا إلى المستعمرات اليهوديّة في وادي القرى، شمالي المدينة. ومنها توجّهوا إلى أذرعات ببلاد الشام.

ك

كاتْرمير (إتيان) Quatremère (ت ١٨٥٧) : مستشرق فرنسي. نشر مقدّمة ابن خلدون. ونقلها إلى الفرنسيّة.

كارَا دِي فُو Cara de Vaux (ت ١٩٢٦): مستشرق فرنسي. من مؤلّفاته «الرياضيّات وعلم الفلسفة»؛ «إبن سينا»؛ «مفكّرو الإسلام».

كازانُوفا (بول) Casanova (ت ١٩٢٦) : مستشرق فرنسي. أستاذ أصول العربيّة في الجامعة المصريّة. ترجم «الخطط» للمقريزي.

كازِيمِرْسْكِي (بيبرشتَين) Kasimirski (ت ١٨٦٥) : مستشرق بولونيّ. له معجم باللّغتَين العربيّة والفرنسيّة. نقل القرآن إلى الفرنسيّة.

كَاشِفُ الغِطَاء (محمّد الحسين) (ت ١٩٥٤) : أديب عراقيّ من فقهاء الشيعة. من مؤلّفاته: «أصل الشيعة وأصولها»، و«الدين والإسلام».

الكَاظِم (موسى بن جعفر الصادِق) (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) : ولد بالأبواء، بين مكّة والمدينة. سمّي كاظماً لكظمه الغيظ. خاف الرشيد على خلافته منه، فطلبه من المدينة وقيّده، في شوال سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، وأرسل به إلى البصرة، فحبسه عند عيسى بن جعفر.. وبعد مدّة كتب عيسى إلى الرشيد: «لقد طال أمرُ موسى ومقامُه في حبسي. وقد اختبرتُ حالَه، ووضعتُ عليه العيون طول هذه المدّة، فما وجدتُه يفتر عن العبادة. ووضعتُ عليه مَن يسمع منه ما يقول في دعائه، فما دعا عليكَ، ولا عليّ، ولا ذكَرَنا بسوء، وما يدعو إلاّ لنفسه بالمغفرة والرحمة. فإنْ أنتَ أنفذتَ إليَّ مَن يتسلّمه منّي، وإلاّ خلّيتُ سبيلَه. فإنّي متحرّج من حبْسه». فوجّه الرشيدُ مَن تسلّمه منه. وصيّره إلى بغداد سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م). فسلّمَه إلى الفضل بن الربيع. فبقي محبوساً عنده.

وطلب الرشيد من الفضل قتلَه. فأبى. فكتب إليه أن يسلمه إلى الفضل بن يحيى البرمكي. فتسلّمه منه. وجعله في بعض حجر دوره. ووضع عليه الرصد. فكانت العيون تخبره أنّه لا يزال يذكر اللّه تعالى، ولم تزل لحيتُه مخضلّة بالدموع من خشية اللّه، وكان إذا قرأ القرآن رفع صوته بالقراءة فيبكي، ويخشع كلُّ مَن سمعه. فقال: ما لي ولهذا العبد الصالح؟ وأراد إطلاقه. فخاف من الرشيد. ثمّ تسلّمه السندي بن شاهك النصراني مدير شرطة عام هارون. فسمّه بالطعام. ولبث ثلاثة أيّام. ثمّ توفّي بعدما حبس ٤ سنوات. وكانت وفاته ببغداد، وهو ابن ٥٥ سنة. قيل كان له ٦٠ ولداً : ٣٧ بنتاً و٢٣ ابناً. منهم الإمام علي الرضا الذي خلفه في الإمامة.

الكَافِر : مِن «كفر»، أي: «ستر»، وأخفى. ولها أيضاً معنًى آخر، وهو«كفر باللّه» أي لا يؤمن به. ترد في القرآن مع مشتّقاتها حوالى ٥٤٠ مرّة.. سُمّي الكافر باللّه كافراً لستره نعمة اللّه عليه. وسمّيت الكفّارة بذلك، لأنّها تستر الذنب وتمحوه. وفي معظم السور يشار إلى الكافرين بوجه عام ممّن ينذرون بعذاب اللّه وبجهنّم. واختلف المتكلّمون حول إذا كان المسلمُ مرتكبُ الكبيرة يعتبر كافراً، وبالتالي يستحقّ العذاب الأبدي (أطلب مادّة: **الكفّارة**).

الكَافِرُون : سورة من القرآن، رقمها ١٠٩، آياتها: ٦ آيات. مكّيّة.

الكَاهِن : ١ . وردت كلمة «الكاهن» في القرآن مرّتَين: في أنّ محمّداً ليس بكاهن «بكاهن» (٥٢/ ٢٩)؛ وأنّ القرآن ليس «بقولِ كاهنٍ» (٦٩/ ٤٢). وحذّرت أحاديث المؤمنين من الالتجاء إلى كاهن[1]. ومحا الإسلام وظيفةَ الكهّان محواً نهائيًا.

٢ . يزعم الكاهن، في الإسلام، أنّه يعرف الغيب. يتحدّث إليه جنّي، يُقال له تابع، أو صاحب، أو مولى، أو وليّ، أو رائي أو رئيّ. ويتكلّم بالسجع، أي بجملٍ

(١) رَ: السيوطي، الجامع الصغير: من أتى كاهنا؛ البخاري، ٢/ ٤٣ و٥٥؛ أنظر أيضاً: ملاحظة ابن عبّاس: «إيّاكم والكهانة»..الخ، في الكشّاف للزمخشري في تفسير ٣١/ ٣٤.

قصيرة من نثر منظوم، على ما كان مألوفاً في بلاد العرب. وغالباً ما يعبّر عن أفكاره بلغة غامضة ومبهمة، وبطريق القَسَم بالأرض والسماء، بالشمس والقمر والنجوم، بالنور والظلمة، بالليل والصبح.

٣ . يلعب الكاهن دوراً مهمّاً في الحياة العامّة: فهو يُستشار في جميع المناسبات الهامّة الخاصّة بالقبيلة والدولة، وخاصّة قبل الخروج إلى الحروب والغارات والغزوات. وكان للقبيلة كاهن أو كاهنة، فضلاً عن شاعر وخطيب. وفي الحياة الخاصّة أيضاً كان الكاهن يقوم بدور الحكم في الخصومات بين الناس والمسائل القانونيّة.. ويُعتبر الحُكْم الذي يصدره كأنّه منزَل من عند اللّه ولا رجعة فيه. وفي الوقت نفسه يفسّر الأحلام، ويدلّ على الإبل الضالّة، ويثبت حالات الزنا، ويحلّ غوامض الجرائم والإساءات الأخرى وخاصّة جرائم السرقة والقتل..

كَايْتَانِي (ليون) Caetani (ت ١٩٢٦) : مستشرق إيطالي. اشتهر بكتابه «حوليّات الإسلام»، وبأبحاثه في التاريخ العربيّ.

الكَبَائِر : ١ . جمْع كبيرة، وهي في اللغة: الإثم؛ واصطلاحاً، كما قال القرطبي: «كلّ ذنب عظَّمَ الشرعُ التوعّدَ عليه بالعقاب، وشدّده، أو عظَّمَ ضررَه في الوجود». وسمّى الفقهاء الكبيرةَ أيضاً بالموبقة، كما في حديث: «اجتنبوا السبعَ الموبقات»[1]، وبالفاحشة، كما في قوله: «والذينَ يَجتَنبونَ كبائرَ الإثْمِ والفَوَاحِشَ» (٤٢/ ٣٧). ويحرّم القرآن الكبائر: «ومَن يعصِ اللّهَ ورسولَه ويتعدَّ حدودَه، يُدْخِلْهُ ناراً خالداً فيها. وله عَذابٌ مُهِينٌ» (٤/ ١٤)..

٢ . ذهب الفقهاء إلى تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر، واستدلّوا على ذلك بالكتاب والسنّة، فمن الكتاب قوله: «إن تَجتَنِبوا كبائرَ ما تُنْهَونَ عنه نُكفِّرْ عنكم سَيِّئاتِكم» (٤/ ٣١)، وقوله في مدح المؤمنين الأتقياء: «الذين يجتنِبونَ كبائرَ الإثْمِ والفواحشَ إلاّ اللَّمَمَ (أي صغار الذنوب)» (٥٣/ ٣٢).

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٥/ ٣٩٣؛ مسلم ١/ ٩٢، من حديث أبي هُريرة.

٣ . واختلفوا في حصر الكبائر بعددٍ: ومـعظمهم حصرها بسبع، واستدلّوا بما روى أبو هُريرة أنّ النبيّ قـال: «إجتنبوا السـبْعَ الموبقات. قـالوا: يا رسولَ اللّه! وما هنّ؟ قال: الـشرْك باللّه، والسحر، وقـتل النفس التي حرّم اللّهُ إلاّ بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات»[٢]..

٤ . وللنبي من الشـفاعات الخـاصّة به شفـاعته في قـومٍ استوجـبوا النارَ بارتكابهم الكبائر، فـيشفع فيـهم، فلا يدخلونها. هذا مذهب أهل السنّـة. واستدلّوا لشفاعـته بما روى أنَس أنّ النبيّ قال: «وشفاعـتي لأهل الكبائر من أمّتي»[٣]. إلاّ أنّ الخوارج والمعتزلة فقد أنكروا ذلك (أطلب مادّة: **شفاعة**).

الكِبْر : العظمة، من قوله: «والذي تَوَلَّى كِـبْرَهُ منْهمْ، لَهُ عَذَابٌ عظيمٌ» (٢٤/ ١١)؛ واصطلاحاً، كـما عـرّفه الغزالـي: هو الاسترواح والركـون إلى رؤية النفس فوق المتكبَّر عليه... والكِبر من الكبائر، لقول النبي: «لا يدخل الجنّةَ مَن كان في قلبه مثقال ذرّة من كِبْر»[١].

الكِبْرِياء : الترفّع عن الانقـياد، وذلك لا يستحـقّه غيـرُ اللّه: «له الكِبْرِياءُ في السمـواتِ والأرضِ. وهُوَ العـزيزُ الحكيم» (٤٥/٣٨)، وفي الحـديث: «قـال اللّه: الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفتُه في النار»[٢].

الكِتَاب : ١ . ترد لفظة «الكتاب» ومشتقّاتها في القرآن ٢٦١ مرّة، والمقصود فيهـا إمّا القرآن نفســه، لقوله: «ونَزَّلْنا عليكَ الكتابَ تبْـياناً لكلِّ شيء» (١٦/ ٨٩)؛ وإمّا التوراة، كتاب موسى؛ وإمّا الإنجيل كـتاب النصارى الذي جاء به عيسى؛ وإمّا الكتاب حيث تسجّل فيه أعمال البشـر؛ وإمّا كتاب عقد النكاح؛ وإمّا كتاب المرأة التي تكتبه على نفسها؛ وإمّا الكتاب بمعنى الكتابة، إلخ.

---

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/ ٦٢٥، وقال: حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه مسلم ١/٩٣، من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه أبو داود ٤/ ٣٥٠؛ مسلم ٤/٢٠٢٣؛ من حديث أبي هُريرة.

٢ . لا يجوز النظر في كتب **أهلِ الكتاب**، لغضب النبيّ، لّما رأى في يد عمر قطعةً من التوراة، قال: «ألمْ آتِ بها بيضاء نقيّة؟!»[١]. وقد ذكر ابن حجر نصّ الحديث قال: نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربيّة، فجاء به إلى النبيّ، فجعل يقرأ ووجهُ رسولِ اللّه يتغيّر. فقال له رجلٌ من الأنصار: ويحك يا ابن الخطّاب! ألا ترى وجهَ رسول اللّه؟ فقال رسولُ اللّه: لا تسألوا أهلَ الكتاب عن شيء؛ فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلّوا؛ وإنّكم إمّا أن تكذبوا بحقٍّ، أو تصدّقوا بباطل. واللّهِ! لو كان موسى بين أظهركم ما حلّ له إلاّ أن يتبعني»[٢]. وقد أهدى رجلٌ إلى عائشة هديّةً، فقالت: لا حاجة لي في هديّته. بلغني أنّه يتتبّع الكتب الأوَل. واللّه تعالى يقول: «أوَلَمْ يكْفِهِمْ أنَّا أنْزَلْنا عليكَ الكِتابَ يُتْلَى عليهِم؟» (٢٩/ ٥١).

كُتَّابُ الوَحْي : ١ . لقد اتّخذ الرسول كُتّاباً للوحي، منهم مَن كان يكتب في بعض الأحيان، ومنهم مَن كان منقطعاً للكتابة ومتخصِّصاً لها.. وهؤلاء الكتّاب هم من خيرة الصحابة. وكان يوضع المكتوب في بيت رسول اللّه. ولم ينقضِ العهد النبويّ إلاّ والقرآن مجموع. وكتبَ لرسول اللّه عددٌ من الكتّاب:

٢ . منهم في مكّة، وهم: «عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان، وأبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطّاب، وخالد بن سعيد بن العاص، وعامر بن فهيرة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبو سَلَمة عبداللّه بن عبد الأسد المخزومي، وجعفر بن أبي طالب، وحاطب بن عَمرو، والزُبَير بن العوام، وطلحة بن عبيد اللّه، وعبداللّه بن أبي بكر».

٣ . ومنهم في المدينة، وهم: «أبو أيّوب الأنصاري، وخالد بن زيد، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبداللّه بن رواحة، ومَعاذ بن جبل، ومعيقب بن أبي فاطمة الدّوسي، وعبداللّه بن عبداللّه بن أُبَيّ بن سلول، وعبداللّه بن زيد، ومحمّد بن مُسلمة، وبريدة بن الحصيب، وثابت بن قيس بن شمّاس، وحذيفة بن اليمان، وحنظلة بن الربيع، وعبداللّه بن سعد بن أبي سرح».

---

(١) ذكره أحمد ٣/ ٣٣٨؛ أنظر إبن حجر في فتح الباري ١٣/ ٥٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٣٨؛ البزار ١/ ٧٩؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٤.

٤ . وزاد بعد الحديبيّة: «أبو سفيان صخر بن حرب، ويزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن الوليد، وجُهَم بن سعد، وجهم بن الصلت بن مخرمة، والحُصَين بن النمير، وحُويطب بن عبد العُزَّى، وعبدالله بن الأرقم، والعبّاس بن عبدالمطّلب، وأبان بن سعيد بن العاص، وسعيد بن سعيد بن العاص، والمغيرة بن شُعبة، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، والعلاء الحضرمي»[1].

٥ . لا يُعقل أن يكون أصحاب الرسول ورفاقه كتبةً، علماء، خبراء بالمعرفة؛ ويكون محمّد أُمِّيًا، لا يعرف الكتابة والقراءة (راجع: **أمّيّة محمّد**).

كُتَامَة : قبائل بربريّة. ناصرت الفاطميّين في القضاء على الأغالبة.

كُثَيِّر عَزَّة (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م) : شاعر أمويّ. تغزّل **بعَزَّة** فسُمّي بها.

الكَذِب : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه. وهو حرام بالكتاب والسنّة وإجماع الأمّة. وهو من أقبح الذنوب وفواحش العيوب، لقوله: «ولا تَقولوا لِما تَصِفُ ألسنَتُكُمُ الكذِبَ هذا حلالٌ وهذا حرَامٌ لِتَفْتَروا على اللّهِ الكَذِبَ. إنّ الذينَ يَفتَرون على اللّهِ الكَذِبَ لا يُفْلِحون» (١٦/١١٦)؛ ولقول النبي: «إنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة.. وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار»[1].

الكذب على الله وعلى رسوله من الكبائر، لقوله تعالى: «ومَن أظلَمُ ممَّنِ افترى على اللّهِ كَذِباً، أو قالَ أُوحِيَ إليَّ، ولم يوحَ إليه شيءٌ. ومَن قال: سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللّهُ» (٦/٩٣)، وقوله: «ويومَ القيامةِ ترى الذينَ كَذَبوا على اللّهِ وجوهُهُم مُسْوَدَّةٌ» (٣٩/٦٠)؛ ولقول النبي: «مَن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعدَه من النار»[2].

---

(١) عن د. عبدالله جمال الدين، كتّاب الوحي، في م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١١٨١-١١٨٢.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/٥٠٧؛ مسلم ٤/٢٠١٢، من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٢٠٢؛ مسلم ١/١٠، من حديث أبي هُريرة.

الكَرَامَة : تُطلق على عدّة معانٍ:

١ . الإعزاز والتفضيل والتشريف: هي منزلة جعلها اللّه لبني آدم وفضّلهم بها على كثيرٍ مِن خلقه. قال: «ولقدْ كرَّمْنا بني آدمَ، وحملْناهم في البَرِّ والبَحرِ، ورزقْناهم من الطّيِّبات، وفضّلْناهم على كثيرٍ ممَّنْ خَلَقْنا تَفضيلاً» (١٧/ ٧٠). قال ابن كَثير في تفسيرها: لقد شرّفنا ذرّيّةَ آدم على جميع المخلوقات، بالعقل، والعلم، والنطق، وتسخير ما في الكون لهم، وفضّلناهم على مَن خلقنا من سائر الحيوانات، وأصناف المخلوقات من الجنّ والبهائم والوحش والطير.. ولا يحلّ لأحد إهدار كرامة أحد بالاعتداء عليها بالقتل (رَ: ٥/ ٣٢)، أو بهتك عرضه (رَ:٢٤/ ٤)، أو بالسخريّة منه، والاستهزاء به (رَ: ٤٩/ ١١)..

٢ . إكرام الضيف: رغّب الإسلام في كرامة الضيف، وعدّها من إمارات صدق الإيمان، فقد ورد عن النبيّ أنّه قال: «مَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليُكرمْ ضيفَه»[1]؛ ومنه أيضاً: كرامة العلماء، وكبار السنّ، وحَمَلَة القرآن، وأهل الفضل، لقوله تعالى: «قلْ هل يستوي الذينَ يَعلَمونَ والذينَ لا يَعلمون؟» (٣٩/ ٩)، ولقول النبيّ: «ما أكرم شابٌ شيخاً لسنِّه إلاّ قيّض اللّهُ له مَن يُكرمُه عند سنِّه»[2].

٣ . ظهور أمرٍ خارقٍ للعادة على يد شخصٍ ظاهرِ الصلاح غيرِ نبيّ، ويسمَّى وَليّا. والوليّ هو العارف باللّه وبصفاته، والمواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي. والكرامة، بهذا المعنى: أمرٌ خارق للعادة، غير مقرونة بالتحدّي كما يفعل السحرة والمشعوذون، وليس معها دعوى النبوّة. يظهرها اللّه على أيدي أوليائه.

٤ . تقع الكرامة للأولياء وللمؤمنين الصالحين. واستدلّ العلماء على جواز وقوعها من قصّة مريم التي رزقها اللّه رزْقَها (٣/ ٣٧)، ومن قصّة أهل الكهف (١٨/ ٩-٢٢)، ومن قصّة مَن عنده علم الكتاب في زمن سليمان (رَ: ٢٧/ ٤٠). وجاء في الحديث القدسي: «وما يزالُ عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أُحبَّه. فإذا

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٥٣٢؛ مسلم ١/ ٦٨، من حديث أبي هُريرة.

(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٧٢، من حديث أنس بن مالك.

أحببتُـه كنتُ سمْعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبـصر به، ويدَه التي يَبطش بها، ورِجلَه التي يَمشي بـها. وإن سألني لأعطيَنَّه. ولئن اسـتعاذ بي لأعـيذنَّه»[٣].. ولذا جاء في رواية: «فبي يسمع. وبي يبصر. وبي يبطش. وبي يمشي»[٤].

٥ . تتّفق الكرامة و**المعجزة** في أنّ كلتيهما أمـرٌ خارق، وتختلفان في أمور : ١- المعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء؛ ٢- صاحب المعجزة يُظهرها ولا يكتمها، ويتحدّى خصومه أن يأتوا بمثلها، أمّا صاحـب الكرامة فيحرص على كتمانها، وإن أطْلَع عليها بعضَ الناس فلكي يبيّن ما له من حسن المقام والمنزلة. وأمّا المعتزلة فقد أنكروا المعجزةَ والكرامةَ معاً.

الكَرَاهَة : صرّح الفقهاء بأنّ مِن حقّ الزوج على زوجته أن يمنعها من أكْل ما له رائحـة كـريهـة، كثـوم أو بصل أو كُـرَّاث، أو فـجل، لأنّه يمنع القُـبلة وكـمـال الاستمتاع ما لم يأكلْه معها، أو يكن فاقد الشمّ. وأمّا هي فليس لها منعه من ذلك[١].

كْرَاوْسْ (بولس) Kraus (ت ١٩٤٤) : مستشرق تشيكوسلوفاكي. علّم في برلين وباريس والجامعة المصريّة. درس الإسلام وما اتّصل به من علوم اليونان.

كَرْبَلاء : مدينة في العراق، جنوبيّ بـغداد. استُشـهد فـيها **الحُسَين** بن عليّ، الذي وصلها يوم الخميس، ٢ من محرّم سنة ٦١ هـ . وفي ١٠ منه، أي: ١٠/ ١٠/ ٦٨٠ م. بعد صـلاة الظهر، كـانت الواقعـة التي، كمـا يقول فـيهـا الشيـعة، هزّت الإنسانيّةَ هزّاً، والتي أقامت الدنيا وأقعدتها. هي محجّة للشيعة. وكان عمر الحسين يومذاك ٥٧ سنة،

الكَرْخِيّ (أبو مَـحفـوظ) (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) : صـوفيّ بغـداديّ وناسك زاهد. من كبـار المتصوّفين. ينتمي إلى مـدرسة بغداد. ويُقال إنّ أبوَيه نصـرانيّان.

---

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١١/ ٣٤١، من حديث أبي هُريرة.

(٤) أورده ابن حجر في الفتح ١١/ ٣٤٤.

(١) فتح القدير ٢/ ٥٢٠؛ الفتاوى الهنديّة ١/ ٣٤١؛ الشرح الصغير ١/ ٥٢٠، ط. الحلبي؛ مغني المحتاج ٣/ ١٨٩؛ كشّاف القناع ٥/ ١٩٠.

ويذكر ابن تغري بردي أنّهما كانا من الصابئة.. ومن الذين أثّر فيهم كان **سري السقطي** الذي أصبح بدوره استاذ **الجنيد**.. من الأقوال المنسوبة إليه: «لا تُكتسب المحبّة من الرجال، إنّما هي هبة من اللّه». «يُعرف الأولياء بعلامات ثلاث: إهتمامهم باللّه، عملهم في اللّه، وهجرتهم إلى اللّه». «الصوفيّة هي فهم الحقائق ونبذ ما في أيدي الخلائق».

كُرْد عَلِيّ (محمّد) (ت ١٩٥٣م) : مؤرّخ وأديب سوريّ. من مؤسّسي المجمع العلميّ في دمشق ورئيسه. أنشأ جريدة «المُقتَبَس» ١٩٠٨. من مؤلّفاته: «خطط الشام»، «الإسلام والحضارة العربيّة»، «أمراء البيان»، و«سيرة أحمد بن طولون».

الكُرْسِيّ : ١ . قال الحسن: إنّه جسم عظيم يسع السموات والأرض. وهو نفس العرش، لأنّ السرير قد يوصف بأنّه عرْش وبأنّه كرسيّ. هذا هو الكرسي المذكور في قوله: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمواتِ والأرضِ» (٢/ ٢٥٥)، وقد اشتهرت الآية بـ «آية الكرسيّ».

٢ . قيل: إنّ الكرسيّ هو قدرة اللّه، وتدبيره، وسلطانه، وملكه، وعظمته، وكبرياؤه؛ لأنّ الألوهيّة لا تحصل إلاّ بهذه الصفات. وقيل: إنّ المراد بالكرسي العلم، لأنّ العلم هو الأمر المعتمد عليه، ومنه يقال للعلماء: كراسي الأرض، كما يقال: هم أوتاد الأرض. وقيل: في الكلام استعارة وليس ثمّة كرسيّ. والدليل هو أن اللّه خاطب الناس بما يتعارفونه: فخلق لنفسه، مثلاً، بيتاً يزورونه، وليس ليسكن فيه؛ وجعل في ذلك البيت حجراً ليُقبِّلوه، لا ليحلّ فيه..

٣ . واتّفق أهل السنّة على أنّه تعالى له ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسولُه، بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. ومنه: إثبات استواء اللّه على عرشه كما يليق بجلاله، وجلوسه على الكرسي، ومقامه في بيته الحرام.. إلخ.[1]

---

(١) رَ مادّة: الكرسي، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ١١٨٨-١١٨٩.

الكَرَم : سخاء النفس وجُودها، وهو وسط بين رذيلَتَين: البخل والتبذير. والكرم سجيّة أصيلة عند العرب، جاء الإسلام فنمّاها وأصّلها وزكّاها وثبّتها في نفوس أبناء أمّته.. ويتجلّى الكرم في الإسلام في ما يلي:

١ . أن تجود النفس بالثمين المحبَّب إليها: «يا أيُّها الذينَ آمنوا! أنفقوا من طَيِّباتِ ما كَسَبْتُم» (٢/٢٦٧)، «لن تنالوا البرَّ حتّى تُنفقوا ممَّا تُحِبُّونَ» (٣/٩٢).

٢ . إنّ الكرم في الإسلام ليس مقتصراً على الأغنياء وحدهم، بل تبدو قيمته في حالة العسر: «والذينَ تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ مِن قَبْلِهِم يُحِبُّونَ مَن هاجرَ إليهم، ولا يَجدونَ في صدورِهم حاجةً ممّا أُوتوا ويُؤْثِرون على أنفُسِهم ولو كان بهِمْ خَصَاصةٌ (حاجة)» (٥٩/٩).

٣ . ألاّ يمنَّ الغنيُّ على الفقير بما أعطاه: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! لا تُبطِلوا صَدَقاتِكم بالمَنِّ والأذى كالذي يُنفِقُ مالَه رِئاءَ الناس، ولا يُؤمن باللّهِ واليومِ الآخِرِ» (٢/٢٦٤).

٤ . عدم المباهاة بالعطاء، أو الافتخار به. فللعطاء في الإسلام ثلاث خصال: تعجيله، وتيسيره، وستره. وقد عدّ محمّد من السبعة الذين سيكونون في ظلّ عرش اللّه: «ورجلٌ تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شمالُه ما أنفقتْ يمينُه».

٥ . ألاّ ينتظرَ الشكرَ عليه من المُعطَى له، فلا يكون الكريمُ كريماً حتّى تجود نفسُه ابتغاء مرضاة اللّه وحدَه.

٦ . أن تجود النفس بالعطاء عن رضا وعن حبّ؛ فمن حبس عن الضيف، عليه أن يستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم[1].

الكِرْمَانِيّ (حميد الدين) (ت ٤١٢هـ/١٠٢١م) : داعي إسماعيليّ في عهد الحاكم بأمر اللّه الفاطميّ. تلميذ أبي يعقوب السجزيّ. أشهر آثاره «راحة العقل»، ضمّنه نظرة فلسفيّة على الدعوة الإسماعيليّة.

---

(١) راجع مادّة: الكرم، د. عبد السلام محمد عبده، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١١٩٠-١١٩١.

كْرِيْمِرْ (ألفونس فون) Kremer (ت ١٨٨٩) : مستشرق نمساويّ. له «تاريخ الحضارة الإسلاميّة في الشرق في عهد الخلفاء». ونشر كتاب «الاستبصار في عجائب الأمصار» في جغرافية المغرب.

الكِسَائِيّ (أبو الحَسن، علي) (ت ١٨٩هـ/ ٨٠٥م) : نحويّ كوفيّ أحد القرّاء السبعة. سمّي بالكسائيّ لأنّه كان يلتفّ بكساء للدلالة على زهده وفقره. وُلد في باحمشا بين دجلة والفرات،ونشأ بالكوفة. تعلّم على الخليل بن أحمد. مؤدّب الأمين والمأمون وَلَدَي هارون الرشيد. أشهر مناظراته كانت بينه وبين سيبَويه والتي قيل إنّها كانت سبباً في موت سيبويه حزناً وكمداً. له: «متشابهات القرآن»؛ و«كتاب القراءات»؛ و«النوادر الكبيرة»؛ و«رسالة في ما يَلحَن فيه العامّة»؛ و«مختصر في النحو»؛ و«كتاب الحروف»، وغيرها...

الكَسْب : هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفعٍ أو دفعِ ضررٍ.. والصلة بين **الرِّبْح** والكسب هو أن الربح ثمرة الكسب.. والصلة بين **الغِنَى** والكسب هو أنّ الكسب وسيلة من وسائل الغنى.. إلاّ أنّ الكسب، في نظر **الأشعري**، هو ما يحصله الإنسان نتيجة الأعمال التي يعملها اللّه فيه بمشيئته الإلهيّة.

كَعْبُ الأَحْبَار (أبو إسحق) (ت ٣٢هـ/٦٥٢م) : يهوديّ من اليمن. أسلم سنة ١٧هـ/٦٣٨م. من أقدم رواة الإسرائيليّات. قدم المدينة زمن خلافة عمر بن الخطّاب، وصحبَه إلى بيت المقدس، وتوثّقت المودّة بينهما. وسعى معاوية إلى جذبه إلى دمشق. إلاّ أنّه انسحب إلى حمص حيث مات بها. كان يروي الحديث نقلاً عن عمر بن الخطّاب. يعتبره الجاحظ في كتابه الحيوان «حجّة ثقة»، ويدافع عنه.

كَعْبٌ بن الأَشْرَف (ت ٣هـ/ ٦٢٥م) : أحد خصوم النبيّ بالمدينة. كان يحرّض قريش على قتال المسلمين. ولمّا عاد إلى المدينة نظّم أبياتاً تغزّل فيها ببعض النساء المسلمات. لمّا سأل النبيُّ مَن يخلّصه من هذا الرجل، تقدّم محمّد بن مسلمة مع أربعة آخرين، وجاءوا إلى كعب وادّعوا أنّهم قدموا مخاصمين محمّداً. واستدرجوه خارج أطمة في ليلة مقمرة، ونفّذوا أمرَ النبيّ في القضاء عليه.

كَعْبٌ بـن زُهَيْر (ت ٢٥هـ/ ٦٤٥م) : هو ابن الشاعـر زهير بن أبي سُلمى. شاعر عربي مخضرم. كتب أشعاراً يهاجم فيها محمّداً، فأهدر الرسول دمَه. ومنذ ذلك اليوم، ضـاقت الأرض به، فاعـتزم التـوبة، وقدّم نفسَـه دون إنذار، في السنة ٩هـ/ ٦٣٠م، في مسـجد المدينة، حيـث كان محـمّد حاضـراً، وتلا عليه قصـيدته الشـهيرة المعروفة باسم «بانتْ سعاد»، وأعجب به رسول اللّه فطرح عليه عباءته.

الكَعْبَة : ١ . في اللغة: البيت المربّع. وجمْعه: كـعاب. والكعبة: البيت الحرام. سمّيت بذلـك لتكعيبها، أي: لـتربيعها. إنّهـا «البيت»، أو «البيت العتـيق»، أو «البيت الحرام». تقع في وسط المسـجد الكبيـر بمكّة. بناها، كما يقـول المسلمون، إبراهيم الخليل وابنه إسمـاعيل بأمرٍ من اللّه (رَ: ٢/ ١٢٥-١٢٧).. ثمّ جدّد العـماليق وبنو جرهـم بناءَها. وفي القرن الثـاني قبل الهـجرة، قـام قُصَيّ بهـدمهـا، ثمّ بناها من جديد، وجعل لها سـقفاً، وبنى إلى جانبها «دارَ الندوة». وقبـل بعثة النبي تعرّضت الكعبة لسيلٍ جارف، فتصدّع بناؤها، فاضطرّت قريش لبنائها من جديد، وقد أسـهم النبيّ يومئذٍ في حلّ الخلاف بين القبائل حول مَن يضع الحجر الأسود في مكانه.

٢ . يرتبط إسم الكعـبة بمظهر البـناء الذي لا يشكّل مربّعـاً تامّا، لأنّ طول الضلع الذي فيه المـيزاب والضلع المقابل له ١٠,١٠ أمتار؛ وطول الـضلع الذي فيه الباب والضلع المقـابل له ١٢م؛ وارتفاع بابها عن الأرض مـتران؛ وارتفاعـها الكلّي ١٦م. أمّا الحجـر الأسود فموقـعه في الركن على يسار باب الكعـبة؛ ويرتفع ١٥٠ سم عن الأرض؛ وزوايا البـناء، أي الأركـان هي: الركن الشـامـي، وركن الحـجـر الأسود، والركن الغربي، والركن اليماني.

٣ . **والحـجر الأسـود** يتكوّن الآن من ثلاث قطع كـبيـرة وعدّة شـذرات صغيرة ألصقتْ بعضها ببعض، يحفظ تماسكَها حزامٌ من الفضّة. ويوصف الحجر بأنّه من الحـجر البـركانـي، وأحيـاناً بأنّه من البازلـت. ولكن من الصعب تحـديد طبيعـته الحقيقـيّة لأنّ سطحه البادي للعـيان أصبح أملس بفعل اللّمس والتـقبيل.. قطره ١٢ بوصة. عبّر عمر عن رأيه في الحجر فقال: «أعلم واللّهِ أنّك لحَجرٌ لا تضرّ ولا تنفع. ولولا أنّي رأيت رسولَ اللّه يقبّلك لما قبّلتك». ولكنّه عاد وقبّله.

٤ . والكعبة مبنيّة من طبقات من حجارة رماديّة، جيء بها من التلال المحيطة بمكّة. وجدرانها مغطّاة بكسوة سوداء، تُجهَّز في مصر كلّ عام. وفي داخل الكعبة ثلاثة أعمدة من الخشب تسند السقف.. والأرضيّة مغطّاة بالرخام. يذكر الأزرقي أنّ الكعبة بنيتْ من أعلاها إلى أسفلها بمدماك من حجارة ومدماك من خشب بالتناوب. ويذكر أنّهم زوّقوا سقفها وجدرانها ودعائمَها بصور الأنبياء والملائكة والأشجار.. وكان **بئر زمزم** يوجد داخل هذه المساحة (١/ ١٦٤-١٦٥).

٥ . تُشبه كعبة مكّة، بما على جدرانها من صورٍ لإبراهيم الخليل، والملائكة، والمسيح عيسى في حضن أمّه مريم[١]، «بيتَ العماد»، Baptistère، عند النصارى، بما يحتوي من آثار اكتشفها علماء في كنائس نصرانيّة موجودة في النّاصرة، وبيتَ لحم، وأورشليم، وبللاّ، والبتراء، وغيرها: في وسط «بيت العماد» حوض ماء يعلو ٨٤ سم.وفي قعره «حجر أسود» Pierre noire رمز للمسيح الصخرة، كما يقول سفر المزامير والقديس بولس وبطرس[٢]، وكما جاء في متّى ومرقس ولوقا[٣]، وعلى جدران الحوض آثار أنبياء وملائكة، ودعاءات وصلوات... يشهد أرْكُولْفْ Arculfe الذي زار الأراضي المقدسة، سنة ٦٧٠م، على أنّ هذه الأمكنة جميعها كانت تشابه بعضها بعضاً... وكان معظمها على اسمِ أحدِ «أنبياء العبور»[٤]. ولا يُستبعد، والحال هذه، أن تكون «كعبة مكّة»، مع ما وُجد فيها، يومَ الفتح، من صُوَرٍ لإبراهيم، وعيسى في حضن أمّه مريم، على علاقة ببيوت العماد هذه. ولا يُستبعدُ أيضاً أن يكون ما في سورة النُّور (٢٤/ ٣٥) من ألفاظٍ مثل: «النار» و«النّور» و«المصباح» و«المشكاة» و«الزجاجة» و«الأغصان» و«الزيت» و«الزيتون»... هي نفسها ألفاظٌ يستعملها النّصارى في صور العماد ورموزه[٥].

---

(١) أنظر الأزرقي، أخبار مكّة، ١/ ١٦٥.

(٢) مز ١١٨/ ٢٢؛ أعمال ٤/ ١١؛ رو ٩/ ٣٢-٣٣؛ أفسس ٢/ ٢٠؛ ١ بطرس ٢/ ٤؛ ٢/ ٤-٨...

(٣) متى ٢١/ ٤٢؛ مر ١٢/ ١٠؛ لوقا ٢٠/ ١٧.

(٤) أي الأنبياء الذين عبروا الأردنّ، أو الصحراء، أو البحر، كإيليا، وموسى، وإبراهيم ويحيى..

(٥) أنظر: Begatti, L'Eglise de Circoncision, pp. 203- 206.

٦ . وفي تقاليد المسلمين أيضاً، إنّ «البيت المعمور» هو «كعبة» الملائكة في السماء. وكعبة مكّة هي البيت الذي بناه الملائكة على الأرض على مثال كعبة السماء. جاء عند الأزرقي، أحد أكبر جامعي أخبار الكعبة وآثارها: «إنَّ اللّه بعث ملائكةً فقال لهم: إبْنُوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره (أي بمثال البيت المعمور). فأمر اللّهُ مَن في الأرض مِنْ خَلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور»(٦). وفي التقليد اليهودي والنصراني إنّ «هيكل أورشليم» هو نسخة عن «الهيكل الحقيقي الموجود في السماء»، هذا ما جاء في التلمود(٧). وعند فيلون أيضاً: «إنّ الهيكل المنظور هو صورة لهيكل اللّه غير المنظور... سدنته ملائكةٌ هم كهنةُ خدمته»(٨).

٧ . بعد قريش بنى الكعبة عبدالله بن الزبير، ثمّ الحجّاج بن يوسف الثقفي في جزء منها؛ ثمّ بناها السلطان مراد الرابع العثماني (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م).

٨ . كانت الكعبة، في البداية، مكشوفة، ثمّ سُقفت وكُسِيت بالديباج. وكان أوّل من كساها إسماعيل بن إبراهيم الخليل، جَدُّ النبيّ الأعلى، ثم تُبَّع أبو كرب أسعد ملك حِمير.. واستمرّت الكسوة تأتي من مصر أحياناً، ومن اليمن أحياناً أخرى إلى عهد الملك الصالح إسماعيل المملوكي (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م). ثمّ استقلّت مصر طوال العصر العثماني والعصر الحديث، باستثناء بعض السنوات لظروف خاصّة حتّى توقّف إرسالها نهائيًا من مصر سنة (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م)، وانتقلت إلى مكّة المكرّمة إلى يومنا هذا...

٩ . وكان يرافق الكسوة **المَحْمَل**، وهو الجَمَل الذي يحمل الهدايا العينيّة والنقديّة من مصر إلى الكعبة، والذي كان يصاحب قافلة الحجّ كلّ عام.. وكان ملوك المسلمين يتبارون في إرسال المحامل التي تحمل هداياهم إلى الحرمَين

---

(٦) الازرقي، أخبار مكّة ١/ ٣٣-٣٤. أنظر أيضاً تفاسير سورة الطور ٥٢/ ٤.

(٧) Voir Hagiga 12b; Ta'anit 5a; Yoma 77 a; Hullin 40 a.

(٨) Philon,Spec, Leg., I, 66.

الشريفين كلّ عـامٍ... وفي العصر السعـودي توقّفت كلّ تلك المحامل والاحـتفالات بها لـدى قدومهـا مكّة، وذلك منذ عـام (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م). وقد كان المحـمل في الحقيـقة يُعتبر رمزاً لأمـان الحجّاج لما كان يرافقـه مع الكسوة من الجند المسلّحين لحراسة وتأمين قافلة الحجّ من أخطار الطريق المختلفة[٩].

الكَفَّارَة : ١ . من الكُفْر، وهو الستر، لأنّها تستر الذنب وتغطّيه، من كفَّر اللّهُ عنه الذنب، أي مـحاه.. وهي فـعل ما من شـأنه أن يمحو الذنب من عـتق وصـدقة وصيام بشـرائط مخصوصـة. اتّفق الفقهاء على أنّ بعض الذنوب مـا لا كفّارة له، لقول النبي: «خمسٌ ليس لهنّ كفّارة: الشرك باللّه عزّ وجلّ، وقتل النفس بغير حقّ، وبهت مؤمن، والفـرار يومَ الزحف، ويمينٌ صابرة يقـتطع بها مالاً بغـير حقّ»[١].. وهذه من الكبائر، والكبائر لا كفّارة فيها، وإنّما كفّارتها التوبة منها..

٢ . يحدّد القرآن أنواع الـكفّارات: فكفّارة الحنث في اليمين: «إطعـام عَشَرَةِ مَسـاكين» (٥/٨٩)؛ وكفّارة الإحـصار في الحجّ: «ما اسـتيسـر من الهَدْي» (٢/١٩٦)؛ وكفّـارة القتل خطأ: «تَحـرير رقبةٍ مـؤمنة» (٤/٩٢)؛ وكفّـارة الظهار من النسـاء: «تحـريرُ رقبةٍ من قَـبْلِ أن يتماسًّا» (٥٨/٣)؛ وثـمّة أيضاً كفّـارات أخرى عديدة، ككفّارة الإفطار و الجماع في نهار رمضان؛ وكفّارة في محظورات الحجّ أو الإحرام، كـقتل الصـيد في الحرم (ر: ٥/٩٥)؛ وإزالة الشـعر قبل التـحلّل؛ ولبس المخيط؛ والجماع قبل الوقوف بعرفة؛ ومجاوزة الميقات بدون إحرام.. إلخ.

الكِفَايَة : ١ . ما يحصل به الاسـتغناء عن غيره؛ ومنه قـول النبي: «مَن قرأ بالآيتَين من آخـر سورة البقـرة في ليلةٍ كفـتاه»[٢]. ومنها: سدّ الخـلّة، أي الحاجة، وبلوغ الأمر المراد؛ فيقـال: كفاه مؤونته، ومنه الكُفْيَـة، وهي: ما يكفي الإنسان من العيش.

---

(٩) راجع مادّة: الكعبة، د. السيّد محمّد الدقن، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١١٩٢-١١٩٥.

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٦٢، من حديث أبي هُريرة، إسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٩/٥٥؛ مسلم ١/٥٥٥، من حديث أبي مسعود.

٢ . الكَفَاف : مِن كفَّ بمعنى: ترك. يقال: كفّ عن الشيء كفًّا: تركه؛ ويقال: كففته كفًّا: منعته؛ ويقال: قوتُه كفاف، أي: مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقصان، سمّي بذلك لأنّه يكفّ عن سؤال الناس، ويُغني عنهم؛ ويقال: استكفّ وتكفّف إذا أخذ ببطن كفِّه، أو سأل كفًّا من الطعام، أو ما يكفّ به الجوع.. وعلى ذلك عرّف الجرجاني بأنّه «ما كان بقدر الحاجة، ولا يفضل منه شيء، ويكفّ عن السؤال»[٣].

ويختلف حدّ الكفاف في الإنسان عن حدّ الكفاية: حدّ الكفاف يقتصر على سدّ الضروريّات القصوى من مطعم ومسكن وملبس؛ أمّا حدّ الكفاية فيتعدّى ذلك إلى ما لا بدّ للإنسان منه على ما يليق بحاله، من نكاح وتعليم وعلاج وقضاء دَين وما يتزيّن به من ملابس وحلي وغير ذلك.

٣ . أمّا الكِفَايَة، كفرض، فهي ما يحصل به الاستغناء عن غيره. و **فرض الكفاية** هو أمر قصد الشارع حصولَه من مجموع المكلَّفين لا من جميعهم، وليس من شخصٍ معيَّن. فإذا قام به مَن فيه كفاية سقط الحرج عن الباقين. وهو بهذا المعنى يختلف عن «فرض العين»، الذي هو طلبُ الشارع حصولَه من كلّ فرد من الأفراد المكلَّفين به، مثل الصلاة والصيام وغير ذلك. وإذا قام به البعض لا يسقط الإثم عن الباقين.

وأهم وجوه الاختلاف بين فرض الكفاية وفرض العين :

١ – أنّ فرْض العين تتكرّر مصلحتُه بتكرّره، كالصلاة مثلاً، فتجب على كلّ مكلَّف.. أمّا فرض الكفاية فلا تتكرّر مصلحته بتكرّره، كنزول البحر لإنقاذ الغريق، فإنّ مصلحته لا تتكرّر بنزول كلّ مكلَّف، فإذا أنقذ الغريق إنسانٌ تحقّقت المصلحة بنزوله..

٢ – فرض العين يُقصد منه امتحان المكلَّفين به؛ في حين أنّ المقصود من فرض الكفاية حصول الفعل دون النظر إلى الفاعل.

---

(٣) الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ٢٣٧.

٣ – فرض العين يؤدّي إلى تحقيق مصلحة الفرد ورفع شأنه في مجال الأمر المطلوب منه؛ في حين أنّ فرض الكفاية يؤدّي إلى تحقيق مصلحة المجتمع ورفع شأنه.

٤ – فرض العين يُطالب به جميع المكلَّفين، ولا يسقط الإثم عن التاركين له بأداء البعض، لبقاء التكليف به على التاركين له؛ في حين أنّ فرض الكفاية يسقط عن التاركين له إذا قام به البعض وكان كافياً.

الكُفْر : **١** . في اللغة: السِتْر. يقال: كفر النعمة، أي: غطّاها.. والكفر نقيض الإيمان، ونقيض الشكر، وكفر النعمةَ وبالنعمة: جحدها. وكفر بكذا: تبرّأ منه. ويُقال: كفر بالصانع: نفاه وعطّل.. والكفر حرام، وهو من أعظم الذنوب، وجزاء الكافر في الآخرة الخلود في النار، لقوله تعالى: «والذينَ كَفَرُوا وكذَّبوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ النّارِ خالِدِينَ فيها. وبئْسَ المصيرُ» (٦٤/ ١٠).

٢ . مَن أُكره على الكفر فأتى بكلمة الكفر لم يصرْ كافراً، لقوله تعالى: «مَن كفرَ باللّهِ مِن بعْدِ إيمانِه، إلاّ مَن أُكْرِهَ وقلبُهُ مُطمَئنٌّ بالإيمانِ. ولكنْ مَن شرحَ بالكفرِ صدراً فعليهِم غضبٌ مِنَ اللّهِ. ولهم عذابٌ عظيم» (١٦/ ١٠٦). وورد أنّ عمّاراً أخذه المشركون فلم يتركوه حتّى سبَّ النبيّ، وذكرَ آلهتَهم بخير. ثمّ أتى النبيَّ فأخبرَه. فقال له النبيّ: إنْ عادوا فعُدْ»[1].. وقال النبي: «إنّ اللّهَ وضع عن أمّتي الخطأ والنسيانَ وما استُكرهوا عليه»[2].

٣ . والكفّار أربعة أصناف :

١ – صنف منهم ينكرون الصانع أصلاً، وهم الدهريّة المعطِّلة؛

٢ – وصنف منهم يُقرّون بالصانع، وينكرون توحيده، وهم الوثنيّة؛

٣ – وصنف منهم يقرّون باللّه، وينكرون الرسالة.وهم من الفلاسفة؛

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٣٥٧، وافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١/ ٦٥٩؛ الحاكم ٢/ ١٩٨.

٤ – وصنف منهم يقرّون بالصانع وتوحيده والرسالة في الجملة، لكنّهم ينكرون رسالة محمّد، وهم اليهود والنصارى.

٤ . ذهب الفقهاء إلى أنّ الكافر الحيّ طاهر، لأنّه آدميّ، والآدمي طاهر، سواء أكان مسلماً أم كافراً، لقوله تعالى: «وَلَقَد كرَّمْنا بني آدَمَ» (١٧/ ٧٠)؛ وليس المراد من قوله: «إنّما المُشْرِكُونَ نَجَسٌ» (٩/ ٢٨)، نجاسةَ الأبدان، وإنّما المراد نجاسةَ ما يعتقدون.

٥ . ذهب المالكيّة والشافعيّة والحنابلة وبعض الحنفيّة إلى أنّه لا يجوز للكافر مسُّ المصحف، لأنّ في ذلك إهانةً للمصحف. وقال محمّد بن الحسن: لا بأس أن يمسّ الكافر المصحف إذا اغتسل، لأنّ المانع هو الحَدَث، وقد زال بالغسل؛ وإنّما بقي نجاسةُ اعتقاده، وذلك في قلبه لا في يده[٣]. وقال المالكيّة: يمنع الكافر من أن يحمل حرزاً من قرآن ولو بساترٍ، لأنّه يؤدّي إلى امتهانه[٤].

٦ . ذهب المالكيّة والشافعيّة والحنابلة وبعض الحنفيّة إلى أنّه لا يجوز للكافر دخولُ المسجد الحرام، لقوله تعالى: «إنّما المُشْرِكُونَ نَجَسٌ. فلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بعدَ عامِهم هذا» (٩/ ٢٨). والمسجد الحرام يُراد به الحَرَم كلَّه، لقوله تعالى: «سُبحانَ الذي أَسْرَى بعبدِهِ ليلاً مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المَسجِدِ الأقصى» (١٧/ ١)؛ وإنّما أُسري به من بيت أم هانئ من خارج المسجد.. وأمّا سائر المساجد فمختلف فيه بين الفقهاء، بين مؤيِّدٍ وغير مؤيِّد..

٧ . لا يجوز للكافر أن يزوّجَ ابنتَه المسلمة، ولا للمسلم أن يزوّجَ ابنتَه الكافرة؛ لأنّ الموالاة منقطعة بينهما، لقوله تعالى: «والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ» (٩/ ٧١)، وقوله: «والذينَ كَفروا بعضُهُم أولياءُ بعضٍ» (٨/ ٧٣).. وأيضاً لا يجوز توليةُ الكافر القضاء، لقوله تعالى: «ولن يَجعلَ اللّهُ للكافِرينَ على المؤمنينَ سَبيلاً» (٤/ ١٤١).

---

(٣) بدائع الصنائع ١/ ٣٧؛ الدر المختار، وحاشية ابن عابدين ١/ ١١٩.

(٤) الشرح الكبير، وحاشية الدسوقي ١/ ١٢٦.

٨ . يحرّم على المسلم أن يتزوّج ممّن لا كتاب لها من الكفّار، لقوله تعالى: «ولا تَنكِحوا المُشرِكاتِ حتّى يُؤمِنَّ» (٢/ ٢٢١)؛ بينما يجوز للمسلم الزواج من كتابيّة، لقوله تعالى: «والمُحْصَناتُ من الذينَ أُوتُوا الكتابَ مِن قبلِكم» (٥/ ٥)، وذلك رجاءَ إسلامها. ويكره الفقهاء مثل هذا الزواج، لأنّ الكتابيّة، عند المالكيّة، تتغذّى بالخمر والخنزير، وتغذّي ولدها بهما، وهو يقبّلها ويضاجعها، وليس له منعها من ذلك التغذّي، ولو تضرّر برائحته، ولا من الذهاب إلى الكنيسة، وقد تموت وهي حامل فتُدفن في مقبرة الكفّار، وهي حفرة من حفر النار.. ولا يجوز للكافر أن يتزوّج مسلمةً، لقوله تعالى: «ولا تُنكِحوا المُشرِكينَ حتّى يُؤمنوا» (٢/ ٢٢١)، لأنّ في نكاح المؤمنةِ الكافرَ خوفَ وقوع المؤمنة في الكفر..

٩ . ذهب الفقهاء إلى أنّه لا يجوز الاستعانة بالكفّار في الجهاد في غير حاجة، لقول النبيّ لرجلٍ كافر: «فارجعْ فلن أستعينَ بمشرك»[٥].

الكَفَن (رَ: **تكفين**) : أثواب يُلَفّ بها الميت بعد نزْع ما عليه من الثياب، ثمّ يُغسل، ويوضع في القبر. يكفَّن الرجل في ثلاثة أثواب (إزار ولفافتين)، والمرأة في خمسة (إزار وقميص وخمار ولفافتين). ويُستحبّ **تحسين الكفن** لقول الرسول: «إذا كَفَّن أحدُكم أخاه فليحسِّن كفَنَه»، وأن يكون لونه أبيض لقوله: «إلبسوا مِن ثيابِكم البياض، فإنّها أطهر وأطيب، وكفّنوا فيها موتاكم». ونهى رسول الله عن المغالاة في الكفن، فقال: «لا تغالوا في الكفَن فإنّه يسلبه سلباً سريعاً. وتُحرّم كتابة شيء من القرآن عليه. ويكفَّن الشهيد بثيابه المدمّاة، فإن لم تكفِه يضاف إليها ما يستر جميع بدنه.

الكَلالَة : ١ . لغةً: من الكلال، وهو التعب وذهاب القوّة من الإعياء؛ أو هو مشتق من الإكليل، بمعنى: الإحاطة. وفي الاصطلاح: قيل: الكلالة إسم للورثة، ما عدا الوالدَين والمولودين. وقالت طائفة: الكلالة إسم للميت الذي لا والد له ولا ولد، ويرثه ذوو قرابته: إخوة، أعمام، أو غيرهم (رَ: ٤/ ١٢ و ١٧٦). وروي أنّ النبيّ

---

(٥) أخرجه مسلم ٢/ ١٤٤٩، من حديث عائشة.

سئل عن الكلالة، فقال: «مَن مات وليس له ولد ولا والد»[١]. قال الراغب: فجعله إسماً للميت. والكلالة إمّا مورِث لا والد له ولا ولد يرثه؛ أو وارث مات مورثُه من غير والد ولا ولد. فالأوّل رجلٌ يُورَثُ كلالة، والثاني رجلٌ وَرِثَ كلالة.

٢ . وردت الكلالة في موضعَين في سورة النساء: أحدهما قوله: «وإن كانَ رجلٌ يُورَثُ كلالةً، أو امرأةٌ، وله أخٌ، أو أختٌ، فلكلِّ واحدٍ منهما السُدُسُ» (٤/ ١٢)؛ والثاني قوله: «يستفتونكَ قلِ اللّهُ يُفتيكُم في الكلالةِ إنِ امرُؤٌ هَلَكَ ليسَ له وَلَدٌ، وله أختٌ، فلها نصفُ ما تركَ، وهو يرثُها إن لم يكن لها وَلَدٌ. فإن كانتا اثنَتَينِ فلهما الثُلُثانِ ممّا تركَ، وإن كانوا إخوةً، رجالاً ونساءً، فللذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَينِ. يُبيِّنُ اللّهُ لكم أن تَضِلُّوا. واللّهُ بكلِّ شيءٍ عليمٌ» (٤/ ١٧٦).

الكلْب : ١ . هو ذلك الحيوان النبّاح. يشترك مع الخنزير في نجاسة العين، ونجاسة كلّ ما نتج عنهما، وحرمة أكل لحمهما، وحرمة الانتفاع بألبانهما وأشعارهما وجلودهما، ولو بعد الدبغ. ويفترقان في جواز اقتناء الكلب للصيد والحراسة؛ أمّا الخنزير فلا يجوز اقتناؤه بحال.

٢ . اتّفق الفقهاء على أنّه لا يجوز اقتناء الكلب إلاّ لحاجة، كالصيد والحراسة، لقول النبي: «من اتّخذ كلباً إلاّ كلب ماشية، أو صيد، أو زرع، انتقص من أجره كلّ يوم قيراط»[١].

٣ . ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّه لا قطْع في سرقة الكلب مطلقاً، ولو كان معلّماً أو لحراسة.. لأنّ القطع جُعل لصيانة الأموال.

٤ . يشترط لحلّ الصيد أن يكون كلبُ الصيد معلّماً، لقوله تعالى: «ومَا عَلَّمْتُم مِنَ الجوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ ممَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ. فَكُلُوا ممَّا أَمْسَكْنَ عَلَيكم» (٥/ ٤) ولقول النبي: «إذا أرسلتَ كلبك المعلَّم، وذكرتَ اسمَ اللّهِ عليه، فكُلْ»[٢].

---

(١) ورد بمعناه عند أبي داود، من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٥/ ٥؛ مسلم ٣/ ١٢٠٣، من حديث أبي هُريرة.

(٢) أخرجه مسلم ٣/ ١٥٢٩، من حديث عدي بن حاتم.

٥ . ذهب الشافعيّة والحنابلة والمالكيّة إلى أنّ جلْد الكلب لا يطهر بالدباغة، لأنّه نجس العين، فلا يُباع ولو دُبغ.. في حين أنّ جلودَ جميع الحيوانات تطهر بالدباغة، لحديث «إذا دُبغ الإهاب فقد طهر»[٣]. والحنفيّة يقولون بطهارة جلد جميع الحيوانات غير مأكولة اللحم بالدبغ ما عدا الخنزير لأنّه نجس العين.

٦ . ذهب الشافعيّة والحنابلة إلى أنّه يجب غسل الإناء سبعاً، إحداهنّ بالتراب، إذا ولغ الكلبُ فيه، لقول النبي: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلبُ أن يغسلَه سبعَ مرّات، أُولاهنّ بالتراب»[٤].

٧ . ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الصلاةَ يقطعها ثلاثة: المرأة والحمار والكلب الأسود البهيم، لقول النبي: «يقطع الصلاةَ المرأةُ والحمارُ والكلب. ويقي ذلك مثل مؤخّرة الرحل»[٥]. والبهيم الذي ليس في لونه شيء سوى السواد.

٨ . يرى جمهور الفقهاء حرمة أكْل لحم كلِّ ذي ناب يفترس به، لقول النبي: «كلّ ذي نابٍ من السباع فأكْله حرام»[٦].

الكَلْبِيّ : (أبو المنذر هشام) (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) : ولد بالكوفة، ودرس ومات فيها. أقام ببغداد زمن الخليفة المهدي. ترك مؤلّفات كثيرة تربو على ١٥٠ مؤلَّفاً. واقتبس من كتبه كثيرون من تلاميذه أمثال الطبري ومحمّد بن حبيب وابن دريد والأصفهاني. من مؤلّفاته: «كتاب الأنساب الكبير»، أو «جمهرة النسب»؛ و«كتاب الأصنام»؛ و«نَسَبُ فحولِ الخيل في الجاهليّة والإسلام».

كُلَيْبُ بن رَبِيْعَة (ت نحو ٤٩٢) : سيّد بني ربيعة في الجاهليّة. أضرم نار حرب البسوس بين تَغلب وبكر، فكان أوّل قتلاها. رثاه أخوه المُهَلهِل، وطالب بالثأر.

الكَلِمَة : (راجع مادّة: **عيسى/الكلمة**).

---

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٢٧٧، من حديث ابن عبّاس.
(٤) أخرجه مسلم ١/ ٢٣٤، من حديث أبي هُريرة.
(٥) أخرجه مسلم ١/ ٣٦٦، من حديث أبي هُريرة.
(٦) أخرجه مسلم ٣/ ١٥٣٤، من حديث أبي هُريرة.

كَلِيلَة وَدِمْنَة : كتاب هندي، ألّفه مجهول حوالي عام ٣٠٠م في كشمير. وهو يتكوّن من مقدّمة وخمسة كتب، كلّ منها يحمل العنوان «تَنْتَرَةَ»، أي «حادثة ذات مغزى». به نوادر الحيوان وحيله ليكون أُنْساً لقلوب الملوك. وكان الهدف منه إسداء النصح للأمراء في مجال الحكم من خلال حكايات تروى على ألسنة الحيوان. وقد كتب بلغة سنسكريتيّة راقية. ترجم إلى السريانيّة حوالي عام ٥٧٠م. وترجم، بعد مرور قرنين تقريباً، إلى العربيّة، على يد عبد الله بن المقفّع، وكتب مقدّمة له. وجاءت ترجمته في أسلوب رفيع يخاطب به ذوّاقة الأدب.

الكُلَيْنِي (محمّد) (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م) : محدّث شيعيّ بغداديّ. أشهر كتبه «الكافي». وهو أحد كتب الشيعة الأربعة الكبرى في الحديث.

الكُمَيْتُ الأَسَدِيّ (ت ١٢٧هـ/ ٧٤٤م) : شاعر من أهل الكوفة. مدح بني هاشم وعُرف بشاعر الهاشميّين. له ديوان «الهاشميّات».

كَنَانَة : قبيلة عربيّة تنتمي إلى أسد بن خُزيمة. كانت أرضها فيما حول مكّة، تمتدّ من تهامة في الجنوب الغربي من مساكن بني هذيل إلى الشمال الشرقي. وهناك ما لا يقلّ عن ستّة بطون لكنانة هي: النضر، أو قيس، جدّ قريش التي كانت قبيلة مستقلّة بذاتها، ومالك، ومِلكان، وعامر، وعَمرو، وعبد مناة.

الكِنَايَة : هي ما خفي المراد به لتوارد الاحتمالات عليه، بخلاف الصريح، الذي يُدرك المراد منه بمجرّد النطق به، ولا يحتاج إلى النيّة، ولا يفتقر إلى إضمارٍ أو تأويل (ر: **القرآن/ بلاغة**).

كِنْدَة : من قبائل جنوب شبه الجزيرة العربيّة. انتشرت في كافّة أرجاء بلاد العرب في القرنين الخامس والسادس الميلاديّين. ولعبت دوراً فعّالاً في تاريخ شبه الجزيرة قبل ظهور الإسلام. كان لها تأثيرها الحربي والسياسي والثقافي. وفي ذلك العصر برز منها حُجر الملقَّب بآكل المرار الذي بسط نفوذه على قبائل مَعد في وسط بلاد العرب وشمالها. واستمرّ أبناؤه وأحفاده يمارسون السيطرة عليهم طوال قرن من الزمن.. وكان من أبرزهم الحارث بن عَمرو الذي حكم الحيرة

لفترة.. وقسم الحارث قبائل معد بين أولاده الأربعة: حُجر، وشرحبيل، وسلمة، ومعديكرب. إلاّ أنّه سرعان ما شبّت المنازعات بعد موته بين هؤلاء الأولاد، وأدّت إلى حرب دامية قُتل فيها شرحبيل، وثارت قبيلة أسد على حُجر وقتلته.

وكانت تجربة كندة أوّل محاولة لفرض الوحدة على قبائل وسط بلاد العرب وشمالها.. وكذلك كان اعتناق بيت آكل المرار للمسيحيّة عاملاً هامًا في نشرها في وسط وشمال بلاد العرب. وساهمت كندة في نشر الكتابة وتعليمها ومحو الأمّيّة بين العرب.. وينتسب إلى كندة أمرؤ القيس، أحد فحول الشعر في العصر الجاهلي، و**الكنديّ** فيلسوف العرب. ومنهم أيضاً المتنبّي.

ونعرف أنّ **الأشعث بن قيس** جاء على رأس وفد من كندة إلى رسول اللّه، وهو بالمدينة، وذلك عام الوفود، وأعلن إسلام كندة. ولكن كندة ارتدّت عن الإسلام بعد وفاته.. وبعدها انتشر الإسلام فيها، وكان منهم شرحبيل بن حسنة أحد القادة الذين ولاّهم أبو بكر فتْح بلاد الشام..

الكِنْديّ (أبو يوسف يعقوب) (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) : وُلد بالكوفة، وتوفّي ببغداد. دعي بـ «فيلسوف العرب»، لأنّه العربيّ الوحيد الذي اشتغل بالفلسفة بين السريان والصابئة. عُني بالرياضيّات والمنطق والعلوم الطبيعيّة والفلك والموسيقى والفلسفة. له كتب كثيرة، عدّ منها ابن النديم ٢٤١ كتاباً ورسالةً. وصلنا منها حوالي ٦٠ رسالة، منها في الفلسفة: «رسالة في الفلسفة الأولى»؛ و«رسالة في حدود الأشياء ورسومها»؛ و«رسالة في العقل»؛ و«رسالة في كمّيّة كتب أرسطاطاليس»؛ وفي الموسيقى: «رسالة في خبر صناعة التأليف»؛ و«مختصر الموسيقى في تأليف النغم»؛ وفي الفلك: «رسالة في إيضاح تناهي جرم العالم»، إلخ. تمتاز فلسفة الكندي بأنّه كان يُخضع الفلسفة للدين. استلهم منطق أرسطو، وأخذ عن أفلاطون التأمّل في النفس وعلاقتها بالبدن.

الكِنْديّ (عبد المسيح) (القرن ٩) :كاتب نسطوريّ. له رسالة إلى عبداللّه الهاشميّ، يدعوه فيها إلى المسيحيّة. وهي أقدم نصّ معروف بهذا المعنى.

الكَنْز : المال المدفون تحت الأرض. وجمْعه: كنوز.. أمّا **الرِّكاز** فهو ما دفنه أهلُ الجاهليّة.. والكنز أعمّ من الركاز.. والتعريف الحقيقي للكنز هو «ما فضل عن الحاجة»[1]. وقال الرازي: المال الكثير، إذا جُمع فهو الكنز المذموم، سواء أُدِّيتْ زكاتُه أو لم تُؤَدَّ، لقوله: «والذينَ يَكْنِزونَ الذهبَ والفِضَّةَ» (٩/ ٣٤)[2]. فظاهر الآية دليل على المنع من جمع المال. وقال رسول اللّه: «تبًا للذهب والفضّة»؛ قالوا: يا رسول اللّه! فأيَّ مالٍ نكنز؟ قال: «قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجةً صالحة»[3].

الكَنِيْسَة : (أطلب: **مَعَابد**) : **١** . لا وجود للفظ «كنيسة» في القرآن. جلّ ما فيه لفظة "بيعة"، في صيغة الجمع "بِيَع"، مرّة واحدة فقط، في قوله: «وَلَولا دَفْعُ اللّهِ الناسَ بعضَهم ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ (للرهبان)، وبِيَعٌ (للنصارى)، وصلواتٌ (لليهود)، ومساجدُ (للمسلمين)، يُذكَرُ فيها اسمُ اللّه كثيراً» (٢٢/ ٤٠). ولكنّ هذه اللفظة القرآنيّة لا تعني مفهوماً لاهوتيّاً، كما هو معروفٌ عند المسيحيّين، بل تعني أمكنةَ عبادة، لا أكثر ولا أقلّ.

٢ . ومع هذا، فإنّ أكثر ما تعرّض له المسلمون، في نظرتهم إلى المسيحيّة وتعاليمها، من نقضٍ وانتقاد، هو الكنيسة. لقد حمّلوها مسؤوليّة تحريف الدين المسيحي برمّته؛ بل هي التي حرّفتِ الإنجيل، وطعنتْ في وحدانيّة اللّه، وعلّمت أنّ اللّهَ ثالث ثلاثة، وأفسدتِ الوحي، وأخلّتْ بنبوّة عيسى وهويّته، وقالتْ بألوهيّته، وببنوّته للّه، وصلبه، وقيامته، وقالت بألوهيّة روح القدس، وأمومة مريم للّه، بل بتأليهها. واعترفتْ بخطيئة أصليّة تنسحب على ذرّيّة آدم منذ بدء الخلق حتّى نهاية العالم.

٣ . والكنيسة، في رأي المسلمين، هي التي عقدتْ مجامع علّمتْ فيها ما ليس من شأنها. وأقامتْ على النّاس وسطاء بينهم وبين اللّه. وسنّت قوانين، ووضعتْ

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ١٢٥؛ رَ: الأحاديث الواردة في ذمّ الكنز في مسلم، في كتاب الزكاة.

(٢) تفسير الرازي ١٦/ ٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٢٧٧؛ الواحدي في أسباب النزول، ص ٢٤٤.

شرائع، طالت بها الضمائر. فحلّلتْ ما حلّلتْ، وحرّمتْ ما حرّمتْ، حتّى نصّبتْ ذاتَها وصيّةً على العالم. ثمّ هي التي ميّزتْ بين الأناجـيل، فتبنّتْ منها ما تبنّتْ، ورفضتْ ما رفضتْ، فقضتْ بذلك على الإنجيل الأصـيل، وشوّهتْ وجهَ المسيح الحقيقي. ثمّ هي التي نصـّبت قدّيسين وقـدّيسات، وأنشـأت المؤسّسـات والمنظّمات، وابتـدعت الحياة الرهبانيّة، وفرضت البتوليّة، ووزْعت أوسمةً على بعض البشر.

٤ ـ ويرفض المسلمون أيضاً، بنوع خاص، دورَ الكنيسة في خلاص العالم، وفي أنّ النِّعَمَ الإلهيّة يحصل عليهـا الإنسانُ بواسطة «الأسرار»، كالمعموديّة بالماء، والتثبـيت بالرّوح القدس، والتوبة عن الخطايا والاعتراف بهـا عند كاهنٍ ذي أهليّة، وسيامة الكهنوت، وتحويل المسيح إلى خبزٍ وخمر في الإفخارستيّا، وتعقيد الزواج والطلاق، وشفاء المرضى بمسحهم بالزيت.. هذه كلّها أنشأتْها الكنيسة لتساهم في خلاص الإنسان، وتؤهّله لنيل ملكوت السماء، بغير أيِّ حقٍّ تملكه.

٥ ـ وفي النتيجـة، إنّ النصرانيّة الحقّـة ليست، في رأي المسلمين، تلك التي تعلّمها الكنيسة؛ بل هي التي يتكلّم عليـها القرآن، والتي علينا أن نأخذها من القرآن لا من الأناجيل التي تتداولها الكنيسة، وتعتمد عليـها في تعاليمها. هذه هي الحقيقة كلّها : القرآن وحده يُعلّمنا العلم الحقّ عن عيسى وحـياته ومعجزاته وموته ورفعه وبعثه وتعاليمه. وأمّا ما تقوله الكنيسة وتعلّمه فليس هو الحقيقة.

الكُنْيَة : إسم يُطلق على الشـخص للتـعظيم والتكريم، كـأبي حـفص وأبي الحسن، أو لعلامة عليه، كـأبي تراب، وهو ما كنّى به النبيُّ عليًا بن أبي طالب، أخذاً من حالته عندما وجده مضطجعاً إلى جدار المسجد، وفي ظهْره تراب[1].

قـال ابن منظور: الـكنيـة على ثلاثة أوجـه: ١ – أن يكنّـى عن الشيء الذي يُستفحش ذكرُه؛ ٢ – أن يكنّى الرجل باسمٍ توقـيراً وتعظيماً؛ ٣ – أن تقوم الكنية مقام الاسم، فيُعرف صاحبُها بها، كـما يعرَف باسمه، كأبي لَهَب إسمه عبد العزى، عُرف بكنيـته، فسـمّاه الله تعالى بهـا.. وقد اشتـهرت الكنى في العرب حـتّى ربّما

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/٥٨٧، من حديث سهل بن سعد.

غلبت على الأسماء، كأبي طالب وأبي لهب، وغيرهما. وقد يكون للواحد كنية واحدة فأكثر. وقد يشتهر باسمه وكنيته جميعاً.

أمّا **اللّقب** فهو ما يُسمّى به الإنسان بعد اسمه العلم من لفظ يدلّ على المدح أو الذمّ لمعنى فيه. واللّقب والكنية مشتركان في تعريف المدعوّ بهما؛ ويفترقان في أنّ اللّقب يُفهم مدْحاً أو ذمّاً؛ والكنية ما صدر بأبٍ أو أمّ..

الكَهَانَة : ١ . من كهن يكهن كهانة: قضى له بالغيب. والكاهن: هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار ومطالعة الغيب. مثلها مثل **التّنْجِيم** الذي هو علمٌ يُعرَف به الاستدلال بالتشكيلات الفلكيّة على الحوادث السفليّة. والتنجيم بهذا المعنى ضرب من الكهانة.

٢ . أجمع الفقهاء على أنّ التكهّن والكهانة، بمعنى ادّعاء علم الغيب والاكتساب به، حرام؛ وأنّ التصديق بما يقوله الكاهن، كفْر، لقول النبي: «مَن أتى كاهناً، أو عرّافاً، فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزِل على محمّد»[(١)]. ونهى عن أكل ما اكتسبه بالكهانة، لأنّه سحت، جاء عن طريق غير مشروع، كأجرة البغي. وروى ابن مسعود: أنّ رسول اللّه «نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن»[(٢)]، وهو ما يأخذه على كهانته.

٣ . كان للعرب في الجاهليّة كهانة قبل مبعث الرسول، وكان لهم كهنة، فكان منهم مَن يزعم أنّ تابعاً من الجنّ ورَئِيّا يُلقي إليه الأخبار. ويروى أنّ الشياطين كانت تسترق السمع فتلقيه إلى الكهنة فتزيد فيه ما تزيده فيقبله الكفّارُ منهم[(٣)].

٤ . فلمّا بُعث النبيّ، وحرست السماء، بطلت الكهانة بالقرآن الذي فرّق اللّهُ به بين الحقّ والباطل، وأطلع اللّهُ نبيَّه بالوحي على ما يشاء من علم الغيوب التي

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٢٩؛ الحاكم ١/ ٨، من حديث أبي هُريرة.

(٢) أخرجه مسلم ٣/ ١١٩٨، من حديث أبي مسعود الأنصاري.

(٣) جامع البيان للطبري، ١٤/ ١١، ط. دار المعرفة بيروت.

عجزت الكهانة عن الإحاطة به، وأغناه بالتنزيل، وأزهق أباطيل الكهانة. وأبطل الإسلامُ الكهانةَ بأنواعها، وحرّم مزاولتها، وقرّر أنّ الغيب لا يعلمه إلاّ اللّه، فقال تعالى: «قلْ لا يَعلَمُ مَن في السموات والأرضِ الغيبَ إلاّ اللّهُ» (٢٧/ ٦٥)؛ وكذّب مزاعم الكهنة أن الشياطين تأتي لهم بخبر السماء، وقال: «وما يَنبَغي لَهمْ وما يَستَطيعونَ. إنَّهم عنِ السمْعِ لَمَعْزُولون» (٢٦/ ٢١١-٢١٢).

كَهْلان بن سَبَأ : قبيلة عربيّة قحطانيّة. فروعها قبائل كثيرة. منها : الأزد، هَمدان، طَيء، مَذحِج، كِندَة.

الكَوَاكِبِيّ (عبد الرحمن) (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) : صحافيّ وأديب سوريّ. أحد أبرز المجدِّدين والمصلحين الإسلاميّين في العصر الحديث. وُلد في حلب وأنشأ فيها جريدة «الشهباء»؛ ثمّ صحيفة «الاعتدال». اشتهر بتحرّره ودعوته إلى النهضة والإصلاح. فاضطهده الأتراك وهاجر إلى مصر. من كتبه: «أمّ القرى»، و«طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد». مات في القاهرة وكتبت على قبره كلمة «الشهيد» وأبيات شعر لحافظ إبراهيم يقول فيها:

هنا رجلُ الدنيا. هنا مهبطُ التُّقى.   هنا خيرُ مظلومٍ. هنا خيرُ كاتبِ
قِفوا واقرَءوا أمَّ الكتابِ وسلِّموا   عليه. فهذا القبرُ قبرُ الكواكبي.

الكَوْثَر : كلمة وردت في القرآن مرّة واحدة في قوله: «إنَّا أَعْطَيناكَ الكَوثَر» (١٠٨/ ١). وهي مشتقة من «ك ث ر» بمعنى الكثرة. ويفسّر بعض مفسّري القرآن كلمة «كوثر» بأنّها تعني «الخير الكثير». والنبيّ يرى أنّ الكوثر إسم لنهر في الجنّة، أو حوض ماء رآه في أثناء عروجه إلى العرش وكان مخصَّصاً له. وكان الكوثر قد غدا مرادفاً للحوض الذي يروي عطش المؤمنين عند دخولهم الجنّة. ثمّ غدا الكوثر نهراً يغذّي الحوض. وهي إسم أقصر سورة في القرآن. رقمها: ١٠٨. آياتها: ٣.

كُوسَانْ دُو بِرْسِيْفَالْ (جان) Caussin de Perceval (ت ١٨٣٥): مستشرق فرنسيّ. نشر عدّة كتب عربيّة. وله بالفرنسيّة «تاريخ العرب».

الكُوفَة : لغة: الرملة الحمراء المستـديرة. بناها سعد بن أبي وقّاص بأمر من عمر بن الخطّاب سنة ١٧هـ/٦٣٨م. ثمّ تحوّل سعد من المدائن إليها، فعسكر فيها، وخطّ مسـجدها الذي استشـهد فيـه علي بن أبي طالب، بعد أن اتّخذها علي مـقرًا لخـلافتـه، وهي تبعـد عن النجف ١٠ كلم تقـريبـاً، وحوالي ١٧٠ كلم عن بغـداد. اكتـسبت الكوفة أهمّيّـةً تاريخيّة وسيـاسيّة وثقـافيّة. وكانت تنافس البـصرة في مدارسـها الفقهيّة واللّغويّة أيّام الأمـويّين والعبّاسيّين. فيها أسّس الكسائي المدرسة النحويّة، وأرسى تلـميذُه الفـرّاء قواعدها، وتزعّـمـها أبو العـباس أحمـد بن يحيى. وينسب إليهـا الخطّ الكوفي. وذاع صيت ثلاثة من القرّاء السـبعة: عاصم وحـمزة والكسائي. وكان لمدرستها النحويّة سمات مميّزة، تختلف بها عن مدرسة البصـرة. وصنّف «عبـد الرحمن الأنباري» كتابـاً سمّاه «الإنصـاف في مســائل الخلاف» بين مدرستَي الكوفة والبصرة، ضمّنه ١٢١ مسألة اختلفوا فيها.

الكَيْسَانِيَّة : فرقة إسلاميّة منقرضة قالت بإمامة محمّد بن الحنفيّة.

ل

اللاأدريّة : agnosticisme مـذهب فلسفي يقـول بأنّ الإنســان قاصـر عن إدراك أيّ شيء. وإذا افترضنا أنّ إنساناً أدركه فإنّه لن يستطيع إبلاغه لغيره.

١ . هؤلاء هم السفـسطائيّون الذين يشكّكون في **الحسيّات**، بسبب أخطاء الحواس: فالأحوَل قد يرى الواحـد اثنين؛ والعينُ ترى الظلَّ ساكناً؛ وراكبُ السفينة يرى السفينةَ ساكنة في حين يرى الشاطئ مـتحرِّكاً؛ والوجهُ يُرى في المرآة طويلاً وعريضـاً ومُعْوجّـا بحسب شكل المرآة؛ والنائمُ يرى في نومــه ما يجزم به مـثلما يجزم بما يراه في يقظته؛ والمريضُ لا يحسّ طعم الأشياء في فمه على حقيقتها..

٢ . ثمّ شكّكوا في **البديهـيّات**، بسبب اخـتلاف الآراء، واعـتراض العـقلاء حولها. وكلّهم يجزم بصواب رأيه، وبطلان أقـوال مخالفيه، فكيف تكون على يقين من صدق بعضهـا دون بعضها الآخر؟ فاللاّأدريّون، بمواقـفهم هذه، عاجزون عن التوصّل إلى علم، أو إعطاء حكم، أو التوصّل إلى يقين.

٣ . غـير أنّ بعض المفكّـرين أظهروا خطأ هذا المـوقف اللاّأدري، فقـالوا إنّ اللاّأدريّين يناقضون أنفـسهم. وكان ممّا قيل لإبطال رأيهم: «قولكم: إنّه لا حـقيقة للأشياء: حقٌّ هو أم باطل؟ فإنْ قالوا: هو حقّ، أثبتـوا حقيقةً ما؛ وإن قالوا: ليس هو حقّا، أقرّوا ببطلان قولهم، وكفَوا خصومهم أمرهم»[1].

اللاّت : إلاهة عند العـرب القـدمـاء. معـبـدها الرئيسـي في وادٍ قـريبٍ من الطائف. كثيـراً ما تُذكر إلى جانب العُزّى. كـانت قريش تعظّمها كثـيراً هي والعزّى ومناة إلى حدّ أنّ محمّداً ذهب مرّة إلى حدّ الاعتراف بهذه الإلهات. ولكن سرعان ما

---

(١) الفصل لابن حزم، ١/٨؛ راجع مادّة: اللاّأدريّة، د. عبد الحميد مدكور، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٢١٦-١٢١٧.

سحب هذا الاعـتراف (رَ: ٤٣/ ١٩ وما بعدها). يقـول الطبري: إنّ أبا سفيـان حمل معـه اللاّت والعُزّى في غزوة أُحُـد. وبعد فتح مكّة هدم المغـيرةُ معـبدَها بالطائف، بعدما كان من سدنتها.

لاَحِق : شـخصيّة معروفـة في الدرزيّة. من ريحا قرب حلب. كان أوّلاً داعياً في دعوة التوحيـد. أرسل إليه بهاء الدين «تقليداً» لقبّه فيـه بـ «الشيخ المختار، رَبِيِّ الحـقائق والنـجم السيّـار، الحـميـد الطرائق، أبي الفـوارس الأمـير، ابن الشـرف لاحق»[1]، وسمّاه «الشيخ الدّيّن الفاضل»[2]، الذي «أهّلْتُكَ لسيادة الدّعوة والهادية والكلمة العالية... فتولَّ ما أوليتُك من سيادة الدعوة الهادية المهدية بعزم»[3].

ولكنّ «لاحق»، على ما يبـدو، كان قد تظاهر بالدّيانة إلى أن أشرقـتْ أعمالُه القبيحة[4]، فراح يدّعي الألوهيّة، ويقول بأنّ روح اللّـه حلّتْ فيه، ويعلّم الإباحة[5]. فراح المقتنى يصفـه بـ «الطليق الخائب الناكث العاقّ، العاجز عن حـميد الطاعة إلى العصيان والإباق، المخترص بالكذب والخلاف والشقاق، والسالك لسبيل أهل النكث والبلس والنفاق»[6]. مثله «كمثل الأعجف الحمار المكدود في الدولاب لسَقي الثمار، أو كالبغل المستخدَم في الرّحى»[7].

لقد كان سهلاً على بهـاء الدين المقتنى ترويض هذا «البغل» «إذ لم يكن لهذا الدّاعي دارُ هجرة يُقيم فيها». لذا عزله من مهمّته، وطرده.

لامَنْس (هنري) Lammens (ت ١٩٣٧) : مـسـتـشـرق بلـجـيكيّ. راهب يسَوعيّ. اشتـهر بأبحاثه عن عرب الجاهلـيّة والعهد الأمويّ. من مـؤلّفاته العديدة:

---

(١) رسالة تقليد لاحق ٤٥/ ٣٤٥.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٤٦.

(٤) كتاب الدرر المضيّة... باب «ق» فصل «ل».

(٥) توبيخ لاحق ٧٦/ ٧٠٠-٧٠١.

(٦) المرجع نفسه ٧٦/ ٦٩٧...

(٧) المرجع نفسه ٧٦/ ٧٠٢.

«مهد الإسلام»؛ «مكّة قُبيل الهجرة»؛ «الجزيرة العربيّة الغربيّة قُبيل الهجرة»؛ «الإسلام»؛ «خلافة معاوية»؛ «خلافة يزيد»؛ «فاطمة»؛ «تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار»؛ «تاريخ سورية». أدار مجلّة «المشرق». وله فيها مقالات عديدة في الإسلام.

لَاوُسْتْ (هنري) Laoust (ت ١٩٨٣) : مستشرق فرنسيّ. خلف ماسّينيون في معهد فرنسا بباريس ١٩٥٦. اهتمّ بدراسة الفكر الإسلامي لا سيّما عند ابن تيميّة مجدِّد الفقه الحنبليّ. من كتبه: «سياسة الغزاليّ»، و«الفُرقة في الإسلام».

لَبِيْد بن رَبِيْعَة العَامِرِيّ (ت ٤١هـ/ ٦٦١م) : شاعر مخضرَم. من أصحاب المعلّقات. انتقل إلى الكوفة بعد إسلامه. اشتهر برثاء أخيه أربد. له «ديوان» ومعلّقة.

اللَّحْد (أنظر: **قَبْر**)

اللَّحْن : ١ . يُطلق على الخطأ في الإعراب ومخالفة الصواب فيه.. يُحرّم تعمّد اللَّحن في القرآن، سواء أغيّر المعنى أم لم يغيّر؛ لأنّ ألفاظه توقيفيّة، فلا يجوز تغيير لفظ منه بتغيير الإعراب، أو بتغيير حروفه أو تبديلها؛ لأنّ في تعمّد اللَّحن عبثاً بكلام اللّه، واستهزاء بآياته، وهو كفر بواح. قال تعالى: «قلْ أباللّهِ وآياتِه ورسولِه كنتُمْ تَستَهزءونَ. لا تعتَذِروا قد كَفَرتُم بعدَ إيمانِكم» (٩/ ٦٥–٦٦).

٢ . ويُطلق على الأصوات المصوغة الموضوعة التي فيها تغريد وتطريب. وجمْعه ألحان ولحون. قال جمهور الفقهاء بجواز قراءة القرآن بالألحان، إذا لم تتغيّر الكلمة عن وضعها، ولم يحصل باللحن تطويل بحيث يصير الحرف حرفَين، أو يصل به إلى ما لم يقلْه أحد من القرّاء، بل كان لمجرّد تحسين الصوت، وتزيين القراءة؛ بل يُستحبّ ذلك.. واللّه قال: «قُرآناً عَرَبيًا غيرَ ذي عِوَجٍ» (٣٩/ ٢٧).

لَخْم بن عَدِيّ : ١ . أسرة عربيّة من كَهلان من القَحطانيّة. أُخت جُذام. ظهرت قبل الإسلام في العراق، واتّخذت الحِيرة عاصمةً لها، وحكمتها لأكثر من ثلاثة قرون (٣٠٠–٦٠٠م).. وكان ملوكها شبه مستقلّين كأتباعٍ للساسانيّين، كما

كانوا القوّة المهيمنة في تاريخ العرب، سياسيًا وعسكريًا وثقافيًا، خلال تلك القرون الثلاثة.

٢ . أسّس الدولة اللّخميّة «عَمرو بن عَديّ»؛ وذلك في الربع الأخير من القرن الثالث؛ وهو ابن أخت الملك التنّوخي «جذيمة». وهو الذي جعل الحِيرة عاصمة للخميّين، واتّخذها مركزاً ليتوسّع في شبه الجزيرة العربيّة. وهو الذي انتصر على «زنّوبيا» العربيّة ملكة «تدمر». وخلفه ابنه امرؤ القيس المنعوت بملك العرب قاطبةً، الذي كان بدوره ملكاً محارباً. والذي توفّي عام ٣٢٨ م. وكان اللّخميّون في حروب متواصلة مع الغساسنة.

٣ . نعرف من ملوكها ثلاثة: الأوّل هو «النعمان» الذي يرتبط اسمه بتشييد قصر **الخورنق** الشهير؛ وخلفه ابنه «المنذر»، ويقال إنّه حكم لأربعة وأربعين عاماً (بين ٤١٨–٤٥٢م؟)؛ ولا تتوفّر معلومات كافية عن الملِكَين التاليين له وهما «الأسود» و «المنذر الثاني»؛ لكنّها تتوافر عن الملك المحارب «النعمان الثاني» الذي اشترك في الحرب البيزنطيّة الفارسيّة في تلك الفترة. وفي عام ٤٩٨م هزمه القائد البيزنطي يوجينيوس في وقعة «بيتر البسوس»، وفي عام ٥٠٢م زحف على «حرّان» حيث هزمه الرومان أوّل الأمر، ثمّ عاد فانتصر عليهم، ولكنّه مات بعد ذلك بقليل. ثمّ أعقبت ذلك فترةٌ قصيرة خلا منها العرش من جالسٍ عليه.

٤ . ثمّ برز من ملوك الحيرة، فيما بعد، «المنذر الثالث» الذي حكم خمسين عاماً (٥٠٣–٥٥٤م). وشهدت الجزيرة العربيّة، لأوّل مرّة خلال فترة حكمه، إعادة فرْض السيطرة الفارسيّة. وكان المنذر فاعلاً ومؤثّرا كملِك عربي تابع لـ «خسرو أنوشروان»... ثمّ قُتل في اشتباك مع «الحارث الغسّاني» قرب قنّسرين.. وخلفه ابنُه «عمرو بن هند» (٥٥٤–٥٦٩م)، وكانت أمّه «هند» بنت الحارث حاكم الحيرة، أميرة–كنديّة التي يُعرّف بها، بالرغم من أنّه كان ابنَ أعظم ملوك بني لخم.

٥ . ويرد ذكر اللّخميّين وخصومِهم الغساسنة في معاهدة عام ٥٦١م بين الفرس والبيزنطيّين، وينصّ أحدُ بنودها صراحة على حظر القتال بين الجانبَين. لكن «عمرو» استمرّ في شنّ الهجمات على الحدود البيزنطيّة خلال الستّينيّات،

وكذلك كان شأن أخيه «قابوس» الذي كان من قوّاده. وفي عام ٥٦٩م لقي «عمرو» ميتة بشعة على يد الشاعر «عمرو بن كلثوم». وخلفه أخوه «قابوس» الذي حكم قرابة أربع سنوات (٥٦٩-٥٧٣م).. وخلال فترة حكمه كان الاحتلال الفارسي لجنوب الجزيرة في عام ٥٧٢م. وبهذا تحوّل الموقف لغير صالح البيزنطيّين. ورجحت كفّة الفرس ممّا يمكن تسميته بالصراع حول امتلاك الجزيرة العربيّة... إلاّ أنّ «المنذر الغساني» حقّق انتصاراً حاسماً على اللّخميّين استطاع احتلال الحيرة نفسها، وأحرقها عام ٥٧٨م.

٦ . وكان «النعمان بن المنذر الرابع»، آخر ملوك اللّخميّين قد حكم بضعاً وعشرين سنة (٥٨٠-٦٠٢م)، وقد ذاع صيته بين العرب، بما نظّمه فيه «النابغة الذبياني».. أراد أن يستقلّ بحكم اللّخميّين عن الفرس؛ ولكنّ خسرو برويز أمر بقتله عام ٦٠٢م. وبموته انتهتْ فترة حكم اللّخميّين للحيرة.. وبعد قرابة العامين من وفاة النعمان في موقعة «ذي قار»، وهي معركة استطاعت فيها قبيلة «بني بكر» العربيّة تحقيق انتصار لها على الفرس... وبذلك أصبحت الحيرة تحت سيطرة عربيّة من «بني طي» هو «إياس بن قبيصة» لمدّة تسع سنوات (٦٠٢-٦١١م) بمعونة فارسي إسمه نهيرجان. بعدها صارت الحيرة تابعة مباشرة لحكم فارسي حتّى فتَحَها «خالد بن الوليد» عام ٦٣٣م...

٧ . وكان آخر ملوك بني لخم «النعمان» الذي تبنّى صراحة الديانة المسيحيّة، وكان على المذهب النسطوري في مواجهة المذهب الخلقيدوني الذي تبنّته بيزنطية. وقد أصبحت عاصمتهم هي المركز الأكبر للمسيحيّة العربيّة ومصدر إشعاعها لعرب الجزيرة. وكانت المدينة تعجّ بالكنائس والأديرة. وكانت مركز كرسيّ أسقفيّ، وملجأ يفرّ إليه المضطهدون دينيًا. ولقد طوّر اللّخميّون عاصمتهم حتّى صارت من أعظم مراكز الحضارة العربيّة في عصور ما قبل الإسلام. ويُعدّ ذلك الإنجاز الرئيسي والباقي للّخميّين.

اللِّسَان : عضوٌ في الفم، مستطيل متحرّك. يصلح للتذوّق والبلع والنطق. عن أبي موسى الأشعري قال: قلتُ: يا رسولَ اللّه! أيّ الإسلام أفضل؟ قال: مَن

سلم المسلمون من لسانه ويده»[1].. وقال معاذ بن جبل: قلت: يا نبيَّ اللّه! وإنّا لَمؤاخَذون بما نتكلّم به؟ فقال: ثكلتك أمّكَ يا معاذ! وهل يُكَبُّ الناسُ في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلاّ حصائد ألسنتهم؟!»[2].

وهو أيضاً: اللغة، أي ما يعبِّر به كلُّ قوم عن أغراضهم. بهذا المعنى ورد في القرآن قوله: بأنّ القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ مُبين[3].

لِسَانُ العَرَب : مُعجم في اللّغة ألّفه ابن مَنظور على نسق الصّحاح. استند فيه إلى «التهذيب» للأزهريّ، و«المُحكَم» لابن سيده، و«الصحاح» للجوهريّ، و«النهاية» لابن الأثير.

لَعَازَر : لا يذكر القرآن لا لعازر المسكين الذي في حضن إبراهيم، ولا الميت الذي أقامه المسيح من الأموات. ولكن منظر المسكين لعازر في الجنّة تُصوّره بصفة جزئيّة الآيات ٤٦–٥٠ من سورة الأعراف : فالأغنياء الذين طال بقاؤهم في النار ينادون الفقراء الذين في الجنّة أن يُفيضوا عليهم قطرات من الماء. ولكن كانت تفصل بين الفريقين هاوية (رَ: ٧/٤٦–٥٠). كذلك لا يذكر القرآن لعازر الذي بعثه المسيح من القبر؛ ولكن يمكن أن تصدق عليه معجزات المسيح في إحياء الموتى (رَ: ٣/٤٩).

اللّعَان و **المُلاعَنَة** : ١. من لاعن الرجلُ زوجته، وذلك بأن يقسم الزوج أربع مرّات على صدقه في قذْف زوجته بالزنا، والخامسة باستحقاقه لعنة اللّه إن كان كاذباً، وبذا يبرأ من حدّ القذف. ثمّ تقسم الزوجة أربع مرّات على كذبه، والخامسة باستحقاقها غضب اللّه إن كان صادقاً، فتبرأ من حدّ الزنا. هذا القسم يمين يحلفه الزوج بأنّ امرأته زنت، من دون أن يقدّم الدليل الشرعي، وينكر أبوّته لطفلٍ ولدته الزوجة. هذا اللعان ليس طلاقاً بالمعنى الصحيح، ولكن يترتّب عليه حلّ الزواج.

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٥٤؛ مسلم ١/٦٦.
(٢) أخرجه الترمذي ٥/١٢. حديث حسن صحيح.
(٣) راجع: ١٦/١٠٣؛ ٢٦/١٩٥؛ ٤٦/١٢.

٢ . والأساس الذي تقوم عليه الأحكام الخاصّة باللّعان هي ما جاء في سورة النور: «والذينَ يَرمُونَ أزواجَهمْ (بالزنا) ولم يكنْ لهم شُهداءُ (عليه) إلاّ أنفُسُهم، فشهادةُ أحدِهِم أربعُ شَهادات باللّهِ. إنّه لَمِنَ الصَّادِقين. والخامسةُ أنّ لَعْنَةَ اللّهِ عليه إن كان من الكاذِبين. ويَدْرَأ (يدفع) عنها العذابَ (حدّ الزنا) أن تَشهَدَ أربعَ شهاداتٍ باللّهِ إنّه لمن الكاذبين. والخامسةُ أنَّ غضبَ اللّهِ عليها إن كانَ من الصّادِقين» (٢٤/٦-٩).

٣ . إذا تمّ اللعان بين الزوج وامرأته ترتّبت عليه آثار في حقّهما، منها: ١ – إنتفاء الحدّ عن الزوجَين، فلا يقام حدّ القذف على الزوج، ولا يُقام حدّ الزنا على المرأة، وذلك لأنّ الشارع خفّف عن الزوجين، فشرّع لهما اللعان لإسقاط الحدّ عنهما. ٢ – حكم اللعان حرمة الوطء والاستمتاع، ولكن لا تقع التفرقة بنفس اللعان.. إنّما «المتلاعنان إذا تفرّقا لا يجتمعان أبداً»[1].

اللُّغَةُ العَرَبِيّة : ١ . لم تردْ كلمة «لغة» في القرآن. استعيض عنها بكلمة «**لسان**»: «بلسان عربيّ مبين» (١٦/١٠٣؛ ٢٦/١٩٥). وحتّى نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، لم تكن كلمة «لغة» قد أخذت المعنى الذي نعرفه اليوم. فسيبَويه (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٥م) والمعاصرون له استخدموا الكلمة بمعنى التباين في طريقة النطق، أو طريقة الاستخدام. فلغة الحجاز، ولغة هذيل.. إلخ. تعني طريقة الحجازيّين، أو طريقة هذيل.. إلخ. ومن هنا فليس ثمّة ما يدعو للدهشة أن تكون الكلمة مشتقّة من (ل غ و) والتي تعني الانحراف عن الأصل.

٢ . وتُستخدم كلمة أخرى هي «**اللّحن**» للدلالة على الخروج عن أسلوب الكلام المعتاد.. ويصرّح القالي، في كتابه «الأمالي» أنّ كلمة «لحن» تعني أيضاً «لغة». ويستخدم ابن أبي داود (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٤م)، مؤلّف كتاب «المصاحف» كلمة «لحن» بهذا المعنى في باب «اختلاف ألحان العرب في المصاحف». ويقول: إنّ الألحان هي اللّغات».

---

(١) أخرجه الدارقطني ٣/٢٧٦، من حديث ابن عمر.

٣ . ولكنّنا نجد كلمة «لغة» بمعنى «**أسلوب الكلام**»... ولقد كانت كلمة «**نحو**» التي صارت تعني «قواعد اللّغة» والتي تقابل كلمة «لغة» بمعنى «المادّة اللغويّة»، تعني في البداية «نوعاً من التعبير» (مثل: هذا النحو من الكلام)...

٤ . وأمّا «اللّغة العربيّة» فتعني في حقيقتها: «اللّغة الغَرْبيّة»، نسبةً إلى «غربي الفرات» حيث نشأت وحُكيتْ ونَمت وتَطوّرت. ومن غربيّ الفرات امتدّت صوب مناطق الأنبار والحيرة، حيث تكلّم بها أوّل من تكلّم المناذرة ثمّ الغساسنة. ثمّ انتشرت هذه اللّغة، مع تجّار قريش، والمبشّرين من الرهبان، في مكّة والحجاز، حيث تطعّمت بلغات ثمود ولحيان ودَيدان والنبط وغيرها، ثمّ وصلت إلى الشعر الجاهلي والقرآن صافيةً بليغةً متطوّرة.

٥ . وكذلك تطوّر علم اللغة تطوّراً مذهلاً نتيجة الأبحاث التي بدأها مؤسّس هذا العلم : أبو عَمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، وتابعه فيها تلاميذه الأصمعي (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)، وأبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٦م)، وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ/ ٨٣١م)، وعلماء الكوفة: المفضّل الضبّي، وابن العربي، وأبو عَمرو الشيباني، وغيرهم...

لُقْمَانُ الحكِيْم : شخصيّة أسطوريّة تنتمي إلى عصر الوثنيّة العربيّة، أدرج في القرآن حيث يقول فيه إنّ اللّهَ آتاه الحكمة والصلاح: «ولقد آتَينَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ» (٣١/ ١٢). عنه قال رسول اللّه: «لم يكن لقمان نبيًا، ولكن كان عبداً كثيرَ التفكّر، حسنَ اليقين، أحبَّ اللّهَ فأحبَّه، فمنَّ عليه بالحكمة». وقد قصّ القرآن في سورة لقمان بعضاً من حكمه على شكل مواعظ ووصايا ألقاها على ابنه، فبدأها بالنهي عن الشرك، والإحسان للوالدَين والشكر لهما، وإقام الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والنهي عن الكبر، والمشي الهادئ، وغضّ الصوت.

قال: «واقصد في مشيك، واغضض من صوتك. إنّ أنْكَرَ الأصواتِ لَصوتُ الحمير» (٣١/ ١٩). هذا قول شبيه بما ورد في قول أخيقار: «طأطئْ رأسَك، وتكلّمْ بهدوء، وانظرْ إلى أسفل. إذ لو كان صوتٌ عالٍ يَبني بيتاً، لبنى الحمار بيتَين في

يوم واحد».. ويعلّم لقمان «أنّ العصا تنفع الطفلَ كما تنفع الماءُ البذر».. وفي أخيقار: «لا تهمل ابنك فضربات العصا للغلام هي كالسماد للبستان».

اللَّقَب (راجع مادّة: **الكُنْيَة**).

اللّوَاط : في اللغة: مِن لاط الرجل ولاوَط، أي: عمل عمل قوم لوط. واصطلاحاً: إيلاجُ رجلٍ ذَكَرَه في دُبرِ رجل آخر. اتّفق الفقهاء على أنّ اللواط محرّم، وأنّه من أغلظ الفواحش. وقد ذمّه تعالى وعاب على فعله في قوله: «ولُوطاً إذ قال لقومه: أتأتُونَ الفاحِشَةَ؟ ما سَبَقَكم بها من أحدٍ من العالَمين. إنّكم لَتَأتونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً من دونِ النساءِ، بل أنتم قومٌ مُسرِفون» (٧/ ٨٠-٨١)، وفي قوله: «أتأتونَ الذُّكْرَانَ مِنَ العالَمِينَ. وتَذَرُونَ ما خلقَ لكمْ ربُّكم من أزواجِكم، بل أنتم قومٌ عادُونَ» (٢٦/ ١٦٥-١٦٦). وقد ذمّه الرسول بقوله: «لعن اللّهُ مَن عمل عمل قومِ لوط. ولعن اللّهُ مَن عمل عمل قوم لوط. ولعن اللّهُ مَن عمل عمل قوم لوط»[1].

أجمع الفقهاء على أنّ اللواط محرّم مغلّظ التحريم، وأنّه من الكبائر.. واختلفوا في العقوبة على ستة أقوال :

١ . حدّ اللواط، الفاعل والمفعول به، كالزنا، يُرجم المحصن ويُجلد البكر، لأنّه وطء في محلّ مشتهى طبعاً منهيّ عنه شرعاً، فوجب أن يتعلّق به وجوب الحدّ قياساً على قُبُل المرأة، بل هو أولى بالحدّ، لأنّه إتيان في محلّ لا يُباح الوطء فيه بحال (الشافعيّة والحنبليّة).

٢ . لا حدّ عليه، ولكنّه يعزر ويودع في السجن حتّى يموت أو يتوب. ولو اعتاد اللواطة، أو تكرّرت منه، قَتَله الإمام في المرّة الثانية، سواء أكان محصناً أو غير محصن.. ولا يجب فيه حدّ الزنى لأنّه كالاستمتاع بما دون الفرج، ولأنّه استمتاع لا يُستباح بعقد، فلم يجب فيه حدّ، ولأنّ أصول الحدود لا تثبت قياساً (الحنفيّة).

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٩؛ الحاكم ٤/ ٣٥٦، من حديث ابن عبّاس.

٣ . حدّ اللواط الرجم مطلقاً، يُرجم الفاعل والمفعول به، سواء أكانا محصَنين أم غير محصنين، لقول النبي: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[٢]، وبأنّه إيلاج في فرج آدمي يُقصد الالتذاذ به غالباً كالقُبُل، فكان الرجم متعلّقاً به كالمرأة، ويجب أن يتعلّق به من الردع ما يتعلّق بالقُبُل، بل إنّ هذا أشدّ وأغلظ. ولهذا لم يشترط فيه الإحصان كما اعتبر الزنا (المالكيّة).

٤ . يُقتل اللوطي بالسيف كالمرتدّ، محصناً كان أو غير محصن.. إذ وطء مَن لا يباح بحال أعظم جرماً من وطء مَن يُباح في بعض الأحوال. ومن هنا كان حدّه أغلظ من حدّ الزنا (بعض الشافعيّة).

٥ . يُحرق الفاعل والمفعول به بالنار، لقول علي: ما فعل هذا (الفعل الفاحش) إلاّ أمّة من الأمم واحدة. وقد علمتم ما فعل اللّهُ بها. أرى أن يُحرق بالنار.

٦ . يُعلى اللوطي أعلى الأماكن من القرية، ثمّ يُلقى منكوساً فيُتبَع بالحجارة، قال تعالى: «فلمّا جاءَ أمْرُنا جَعَلْنا عَالِيَها سافِلَها، وأَمْطَرْنَا علَيها حِجارةً» (١١/ ٨٢) (عن ابن عبّاس).

اللَّوْث : في اللغة: الضعف.. وفي الاصطلاح: أمر ينشأ عنه غلبة الظنّ بصدق المدّعي. إنّه شبه الدلالة على حدث من الأحداث، ولا يكون بيّنة تامّة.

اللَّوْحُ المَحْفُوظ : ورد في القرآن مرّة واحدة في قوله: «بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ، في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ» (٨٥/ ٢١-٢٢). قال ابن كثير في تفسيره: أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل.. وقيل: محفوظ في ذلك اللّوح عن وصول الشياطين إليه. وهو النسخة الأصليّة من القرآن. هو «أمّ الكتاب».

وفي تفسير الألوسي «روح المعاني»: «هذا هو اللّوح المحفوظ المشهور، وهو، على ما روى ابن عبّاس، لوحٌ من درّة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض،

---

(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٥٧؛ الحاكم ٤/ ٣٥٥، من حديث ابن عبّاس.

وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافّتاه من الدرّ والياقوت، ودفّتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وهو معقود بالعرش، وأصله في حجر مَلَكٍ يقال له «ساطريون». للّه فيه في كلّ يوم ثلاثمائة وستّون لحظة يُحيي ويميت، ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء، وأنّه كُتب في صدره: لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، دينه الإسلام، ومحمّد عبده ورسوله. فمن آمن باللّه واتّبع رسله، أدخله الجنّة».

لُوسْتْرَانْجْ (غي) Le Strange (ت ١٩٣٣) : مستشرق إنكليزي. له: «بغداد أيّام العبّاسيّين»، و«الحكم الإسلاميّ في فلسطين»، و«بلاد الخلافة الشرقيّة».

لُوطْ : وردت قصّته في القرآن في السّور المكّيّة، كما ورد اسمه ٢٧ مرّة، بوصفه نبيًّا من الأنبياء، وابن أخي إبراهيم، آمن بما جاء به، ثمّ هاجر معه من أرض بابل إلى بلاد الشام (٢٨/٢٦). بعثه اللّه إلى سدوم، عند البحر الميت. اختلف معهم لأنّهم كانوا قومَ سوء يأتون الفواحش، يرغبون في إتيان الذكور، ويعرضون عن النساء، فوبّخهم اللّه على شذوذهم هذا (٢٦/ ١٦٥–١٦٦). ولمّا نهاهم لوط عمّا يفعلون، أصرّوا على ارتكاب المعاصي ونكران كرم الضيافة، فضلاً عن كفرهم بما جاء به نبيّهم.

وعقاباً لهم على معاصيهم، أرسلت الملائكة، رغم شفاعة إبراهيم، فدمّرت المدينة العاصية التي لم يذكر القرآن اسمها، بل اكتفى بوصفها بالمؤتفكة، وتعني «السقوط». وهي كلمة ذكرت في التوراة في سياق الحديث عن تدمير سدوم ومثيلاتها المدن الثلاث الأخرى. وقد تهدّمت المدينة، ودُفنت تحت وابل من حجارةٍ من سجّيل. وتمّ إنقاذ لوط وعائلته فيما عدا زوجته التي عصتْ أوامره..

لَيْلَةُ القَدْر : ١ . جاء في القرآن: «إنّا أنزَلْناهُ في لَيلَةِ القَدْرِ. ومَا أدراكَ ما ليلةُ القدْرِ. ليلةُ القدْرِ خيرٌ من ألفِ شهْرٍ. تَنَزَّلُ الملائكةُ والرّوحُ فيها بإذنِ ربِّهِم مِن كلِّ أمْرٍ. سلامٌ هيَ حتّى مطلعِ الفجْرِ» (٩٧/ ١–٥). يقول الألوسي: «عن ابن عبّاس قال: أُنزلَ القرآن في ليلة القدْر جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم. وكان اللّه ينزّله على رسوله بعضَه في إثر بعض»..

٢ . ذهب الفقهاء إلى أنّ ليلةَ القدر أفضل الليالي، وأنّ العمل الصالح فيها خيرٌ من العمل الصالح في ألف شهْر. إنّها الليلة المباركة التي يُفْرَق فيها كلُّ أمرٍ حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله: «إنّا أنْزَلْناهُ في ليلةٍ مُبَارَكَةٍ. إنّا كنّا مُنْذِرِينَ. فيها يُفْرَقُ كلُّ أمْرٍ حكيمٍ» (٤٤/٣-٤).

٣ . وقال مجاهد: هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا أذى[١]. فيها يغفر اللّه الذنوب، لقول النبي: «مَن قام ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدّم من ذنبه»[٢]. ويكون إحياء ليلة القدر بالصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأن يُكثر من دعاء: «اللّهمّ! إنّك عفوٌ كريم. تُحبُّ العفوَ. فاعفُ عنّي»[٣]..

٤ . أمّا وقتها في رمضان فبحسب قول النبي: «تحرّوا ليلةَ القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[٤]. هي، عند أكثر أهل العلم، ليلة السابع والعشرين[٥]. أمّا بعضهم فقال: أبْهَمَ اللّهُ تعالى هذه الليلة على الأمّة ليجتهدوا في طلبها، ويجدّوا في العبادة طمعاً في إدراكها.

٥ . عن عبادة بن الصامت عن رسول اللّه قال: ليلة القدر «إنّها صافية بلجة، كأنّ فيها قمراً ساطعاً، ساكنةٌ ساجية، لا برْد فيها ولا حرّ، ولا يحلّ لكوكب أن يُرمى به فيها حتّى تُصبح، وأنّ من أمارتها أنّ الشمسَ صبيحتَها تخرج مستويةً ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر. ولا يحلّ للشيطان أن يخرج معها يومئذٍ»[٦].. وعن أُبيّ بن كعب عن النبيّ: «إنّ الشمس تطلع يومئذٍ لا شعاع لها»[٧]..

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/١٣٣-١٣٤.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/٢٥٥، من حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/٥٣٤، من حديث عائشة. حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/٢٥٩، من حديث عائشة.

(٥) مغني المحتاج ١/٤٥٠.

(٦) أخرجه أحمد ٥/٣٢٤؛ أورده الهيثمي في المجمع ٣/١٧٥؛ رَ: عمدة القاري ١١/١٣٤؛ كشّاف القناع ٢/٣٤٦.

وعن ابن مسعود: «أنّ الشمس تطلع كلّ يومٍ بين قرنَي شيطان إلاّ صبيحة ليلة القدر»[٨].

لَيْلى الأخْيلِيّة (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م) : شاعرة عربيّة. صاحبة توبة بن الحُمَيِّر. اشتهرت بمراثيها في توبة. ولها شعر هجائيّ.

لَيْلى العَامِرِيّة (ت ٦٩هـ/٦٨٨م) : صاحبة قَيس بن المُلوّح الذي عُرف بمجنون ليلى. اشتهرت بحبّها العذريّ.

لِيْنْ (إدوارد) Lane (ت ١٨٧٦) : مستشرق إنكليزيّ. عاش في مصر فترة طويلة. لُقِّب بمنصور أفندي. اشتهر بمعجمه «مدّ اللغة»، وهو معجم عربيّ إنكليزيّ كبير. أخذ مفرداته عن أكثر من ٢٠ معجماً عربيًا قديماً، أهمّها: «قاموس المحيط» للفيروزابادي، و«لسان العرب» لابن منظور. وله «أخلاق المصريّين المعاصرين وعاداتهم».

---

(٧) أخرجه مسلم ٢/٨٢٨؛ عمدة القاري ١١/ ١٣٤؛ القرطبي ٢٠/١٣٧؛ المغني ٣/١٨٢.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/٧٥؛ رَ: عمدة القاري ١١/ ١٣٤؛ الفواكه الدواني ١/٣٧٨؛ المجموع ٦/٤٧٣.

م

الماء: ١ . ترد لفظة ماء في القرآن ٦٣ مرّة. الماء هـبة من السماء، ينزله الله بقدرٍ معيّن، لا يزيد فيه لئلاّ يكون طوفاناً، ولا يُنقص منه لئلاّ يحصل جدب وقحط وظمأ. ومن مباهج الجنّة أن يكون فيها أنهـار وعيون غزيرة؛ ومن عذابات الجحيم أن لا يكون فـيها مـاء أبداً؛ أو أن يكون فيـها مـاء آسن يقطّع الأمعـاء لفسـاده. أمّا استعمال المسلمين للماء في حياتهم الدينيّة فكثير وواجب لصحّة الصلاة والطهارة والنظافة.

٢ . الماء المطلق طاهر في ذاته مطـهِّر لغـيره، فـهو «طهـور» لقوله تعـالى: «وأنْزَلْنا من السماءِ ماءً طَهُوراً» (٢٥/٤٨)، «طهـوراً» يراد به ما يتطهَّر به، لقوله: «ويُنزِّلُ عليكم من السـماء ماءً لِيُطَهِّـرَكُمْ بِهِ» (٨/١١).. ماء البحـر، كماء السـماء، طاهر وتحلّ مَيتتُه، لقول رسول الله عنه: «هو الطهور ماؤه، الحلّ مَيتتُه»[١].

٣ . الماء هبـة من السمـاء، أنزله الله "فـأحيـا به الأرضَ بعـد موتِهـا"[٢]، وأخرج به النّبـات (٦/٩٩)، والثمرات[٣]. منه تسيل الأودية (١٣/١٧)، والينابيع (٣٩/٢١)، والعيون (٥٤/١٢). «منه شرابٌ ومنه شجَر» (١٦/١٠)، و«كلّ دابّة» (٢٤/٢٥). منه جـعل اللّهُ كلَّ شيءٍ حيًـا (٢١/٣٠). لولاه لكان الموتُ على الأرض محـتوماً. يقـول: «وترى الأرضَ هامدة. فإذا أنزَلْنـا عليها الماءَ اهتـزّتْ (تحرّكتْ)، وربَتْ (زادتْ)، وأنْبـتتْ من كـلِّ زوجٍ بهـيـج» (٢٢/٥؛ ٤١/٣٩). ثمّ، بفـضله، «تصبحُ الأرضُ مخضَرَّةً» (٢٢/٦٣).

---

(١) أخرجه الترمذي ١/١٠١، من حديث أبي هُريرة، حديث حسن صحيح.

(٢) سورة البقرة ٢/١٦٤؛ أنظر أيضاً: ١٦/٦٥؛ ٢٩/٦٣؛ ٣٠/٢٤.

(٣) أنظر: ٢/٢٢؛ ١٤/٣٢؛ ٣٥/٢٧.

٤ . في الجنّة "أنهارٌ من ماءٍ غـيرِ آسِنٍ" (٤٧/ ١٥)، أي غير متـغيّر اللّون والطعم. وأنهار غـزيرة من المياه. تكوّن سعـادة الأبرار ما بعدها سعـادة: "وبشّرِ الذين آمَنوا وعـملُوا الصالحـاتِ أنّ لهم جنّاتٍ تَجري مِن تحـتِهـا الأنهار"[٤]. هذه الأنهار الجارية في الجنّة ترد في القرآن أكثر من خمسين مرّة.

٥ . أمّا في جهنّم فهناك أيضـاً ماءٌ، ولكنّه "ماء صديد" (١٤/ ١٦)، أي هو ماء يسيلُ من جوف أهل النّار، مختلَطاً بالقَيح والدم. إنّه ماء يُعطَى للكافرين الذين، "إنْ يَستغـيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْل، يَشـوي الوجوهَ. بئسَ الشَّرابُ" (١٨/ ٢٩). أي هو ماء كَعَكرِ الزّيتِ، يحرق الوجوهَ إنْ قربت منه. هذا الماء، إنْ شربَ الهالكون منه، سيقطّع أمعاءهم لشدّة حرارته (٤٧/ ١٥).

٦ . ثمّ إنّ للماء استـعـمالاً كبـيراً في ممارسات المؤمنين الـيوميّـة: فهم لا يتطهّرون من نجاساتهم النفسـيّة والجسديّة إلا بالماء؛ لـ"إنّ اللّه يحبّ المتطهرين" (٢/ ٢٢٢؛ ٩/ ١٠٨)، و"يريد" أن يطهّـرَ المؤمنين تطهـيـراً، ويُذهبَ عنهم الرّجس (٥/ ٦؛ ٣٣/ ٣٣). والمسلمـون لا يقربون الصـلاة الواجـبة عليـهم إلاّ بعد الغـسْل بالماء، أي الوضـــوء (٥/ ٦؛ ٤/ ٤٣). والوضـــوء "حقٌّ وسنّة"[٥]. و"مـفــتــاحُ الصـلاة"[٦]. وكلّ مرّة يقـوم المسلم إلى إحدى الصـلوات الخمس، عليه أن يـتطهّر بالوضوء، أي الغسل الصغير.

٧ . أمّا إذا كان المسلم في حال جنابة، فعليـه أن يتطهّر بالغسل الأكبر، أي تعميم البـدن كلّه بالماء وغسل الأعضـاء جـميعها: "وإنْ كنتم جُنُبـاً فاطّهروا" (٥/ ٦). وهذا واجب في حالات الحَيض والنفاس عند النسـاء، وفي خروج المني بشـهوة عند الرّجال. وكذلك يكون أيضاً في حال لمس ميت، وفي الكافر إذا أسلم. ويُستحبّ الغسل أيضاً عند صلاة الجمعة، وفي العيدَين القانونيّين، وعند دخول الكعبة.

---

(٤) سورة البقرة ٢/ ٢٥؛ أنظر: ٣/ ١٥ و١٩٥ و١٩٨؛ ٤/ ١٣ و٥٧ و١٢٢؛ ٥/ ١٢ و٨٥ و١١٩؛ ٩/ ٧٢ ... وأكثر من ٥٠ مرّة.

(٥) صحيح البخاري، باب الأذان ١٩.

(٦) مسند ابن حنبل ١/ ١٢٩.

٨ . وإذا لم يكن مـاء فعلى المسلم أن يتَيَمَّم صعـيـداً طيِّبـاً طاهراً، أي أن يمسح وجـهَه ويديه بالتـراب أو الرمل أو الحـجر. وهذا التـيمّم يكون في حـالات المرض، أو الخوف من مرض، أو ندرة المياه (٥/ ٦؛ ٤/ ٤٣).

٩ . وأخـيراً، لولا المياه لما كـانت على الأرض حيـاة. ويكفي المسلمين مـا قاسوا من حرمانها في مكّة لكي يكون لهم بها في الجنّة كلُّ السعادة.

مَاءُ السَّمَاء :أُمّ المنذر الثالث اللّخميّ. لُقّبت بماء السماء لحسنها.

المَائِدَة : ١ . المائدةُ في القـرآن (٥/ ١١٢-١١٥) مـعـجـزة من مـعـجـزات عيسى؛ يشير إليها القرآن باحتفالٍ وببالغ الأهميّة : إنَّها مائدةٌ سماويّة (٥/ ١١٤)، طلبها الحواريّون من عيسى (آ ١١٢)، لتطمـئنَّ بها قلوبُهم (آ ١١٣)؛ فطلبها عيسى من اللّه (آ ١١٤)، لتكون «عـيداً للأوَّلين والآخِرين» (آ ١١٤). ونزّلهـا اللّهُ بناء على طلبـه (آ ١١٥). وراح عيـسى يهدّد منَ يكفـرُ بهـا بعذابٍ لم يعـذِّبْ مثلَه أحـداً من العالمين (آ ١١٥). وهو إعلان جهوريّ فريد في القرآن. واللّهُ نفسُه تولّى إعلانه.

٢ . معـجزة تنزيل المائدة هي معـجزة مميّـزة بما أضفى عليهـا القرآن من تعظيم، تكاد تكون كـ «مائدة الإفخارستيّا» في المسيحيّة. وهي، على ما يظهر، تبدو أكثر أهمّيّةً من جميع المعجزات التي صنعها عيسى. وفيها، لمن ينكرها، " قصاصٌ لا مثيل له في الكون كلِّه " . فلكأنَّ اللّهَ، في هذه المعجزة، يعـلِّق أهمِّيّةً على وجبة طعام أكثر منه على إقامة ميت (راجع مادّة: **عيسى/المائدة**).

المُؤَلَّفَـةُ قُلُـوبُهُم : في القـــرآن (٩/ ٦٠): هم الذين يراد تـأليف قلـوبهم باسـتمـالتهم إلى الإسـلام. لقد حثَّ القـرآنُ المسلمين بالإحـسان إلى خـصومـهم وأعـدائهم؛ ولذلك شرع لـهم نصيـباً مـن مالِ الزَّكـاة. هؤلاء لا يسلمـون بالقهـر والسيف، ولكن بالعطاء والإحسان. قـال الرسول: المشركون ثلاثة أصناف: صنف يعتنق الإسلامَ بإقامة البرهان؛ وصنف بالقهر؛ وصنف بالإحسان.

مَأْرِب : بلدة في اليمـن شمال شـرقيّ صنعاء. أطلال عاصـمة مملكة سـبأ (٦٥٠-١١٥ق.م). اشتهرت بالسدّ المعروف باسمها. خرب بين (٥٤٢-٥٧٠).

المَاتْرِيدِيّ (أبو منصور محمّد) (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) : ١ . مؤسّس الماتريديّة. فقيه حنفيّ من أئمّة علماء الكلام والأصول. عاش في سمرقند. وتوفّي فيها. وكان معاصراً للأشعري، ومن المعتزلة الذين انشقّ عليهم.

٢ . يذهب الماتريديّ إلى أنّ الإنسان بوسعه معرفة اللّه. وهو بهذا القول يستند إلى العقل وحده دون الاستعانة بالوحي. ويؤكّد «رؤية» المؤمن للّه في الآخرة؛ ولكنّ الرؤية لا تعني الإحاطة. ويقول بقدم الصفات الإلهيّة، وبأنّ «الكلام» صفة من صفات اللّه الأبديّة. ويقف، في موضوع «القدَر» المكتوب وحرّيّة الإرادة، في الوسط بين المعتزلة والأشاعرة: فهو يرى أنّ أفعال الإنسان، من جهة، هي من خلْق اللّه، ومن جهة أخرى هي أفعال صادرة عن الإنسان على سبيل الحقيقة لا المجاز. هذا يعني أنّ الأفعال للّه خلق وإيجاد، وللعباد كسب. والقول بالكسب لا يوجب القول بالخلق، ولا مشاركةً بين اللّه والعبد.

٣ . من كتبه: «تأويلات أهل السنّة» في تفسير القرآن، وهو كتاب مشهور لدى الماتريديّة؛ و«كتاب التوحيد» في علم الكلام، ويُعدّ أهمّ مؤلفاته الكلاميّة، والكتاب الأساسي لمعرفة عقيدتهم؛ وكتاب «بيان وهْم المعتزلة»؛ و«الردّ على القرامطة»؛ وكتاب «ردّ تهذيب الجدَل» في أصول الفقه؛ و«ردّ أوائل الأدلّة»؛ إلخ.

مَارْغُولْيُوث (دافيد) Margoliouth (ت ١٩٤٠) : مستشرق إنكليزيّ. نشر «معجم الأدباء» لياقوت، و«الأنساب» للسمعانيّ، و«رسائل المَعرّيّ».

مَارِيَّة القُبْطِيَّة : ١ . في السنة السابعة للهجرة، بعثَ النبيُّ رسولَه حَاطِب بنَ أبي بَلْتَعَة إلى المقوقس، عظيمِ القبط، في مصر، يدعوه إلى الإسلام. فأدّى الرسولُ الرسالةَ. ورجع برسالةٍ جوابيّةٍ. جاء فيها: "... قد أكرمتُ رسولَكَ. وبعثتُ لكَ بجَارِيَتَيْن. لهما في القبط مكانٌ عظيم. وبكَسْوَةٍ، ومطيّةٍ لتركَبَها. والسلامُ عليك". وانطلقَ حاطبٌ عائداً إلى النبيّ ومعه الجاريتان: ماريّة وأختها **سِيرين**، وألفُ مثقالٍ ذهَبًا، وعشرون ثوبًا لينًا، وبغلة إسمها **الدلدل**، وحمار إسمه **يعفور**. ومعهم خَصِيٌّ، يقال له **مابور**، وهو شيخ كبير السنّ. في الطريق، عرض حاطبٌ على ماريّة الإسلامَ. فأسلمتْ. وأسلمتْ أختُها. أمّا الخَصِيُّ فأسلمَ بالمدينة.

٢ . ولمّا بلغ الركبُ المدينةَ، ودخلَ إلى النبيّ، الذي نظر إلى ماريّة فأعـجبتْه. و "كانت، بحـسب ابن سعـد، بيضـاء، جـعدة، جـميلة "[١]، وبحسب بنت الشاطئ، كانت "شابّة، مصريّة، حلوة، جـعدة الشعر، جذّابة الملامح "[٢]. واكتفى بها النبيُّ دون أختِها التي وهبها لشاعرِه **حسّان بن ثابت**.

٣ . لقد أنزلَ رسولُ اللّه ماريّة في مكان قرب المسـجد، يقال له «مشربة أمّ إبراهيم». وكان يتردّدُ عليها هناك. وضَرَبَ عليها الحجاب. وكان يطأُها بملك اليمين (أي ليست بنكاح دائم. لهذا فهي ليست من أمّهات المؤمنين).

٤ . "وفجـأةً، بحسب بنت الشـاطئ، أحسّت مـاريّة بوادرَ حَمْلٍ مـستكن.. فأخـبرتْ رسولَ اللّه بذلك.. وسـرتِ البشرى في أنـحاء المدينة، وكان الوقعُ أليـماً على نساء النبيّ: "أتحـملُ هذه الغريبةُ الطارئة!.. أيؤثرُها اللّهُ بهذه النعـمة الكبرى؛ وأمّهـاتُ المؤمنين محرومـات لا يلدنَ؟!. وخاف رسولُ اللّه على مـاريّة. فنقلَها إلى «العالية» بضـواحي المدينة. وسهرَ عليهـا يرعاها ويحميهـا، حتى وضعتْ.. وطار الرسولُ فـرَحًا.. فخفَّ إلى مـاريّة وهنّأها. ثمّ حمل ابنَه. وسـمّاه **إبراهيم**. وكانت ولادتُه في ذي الحجّة سنة ثمانٍ من الهجرة.

٥ . و "حمله يوماً بين ذراعَـيه إلى عائشة، ودعاها فـي تلطّفٍ وبشْر، لترى ما في الصغير من مـلامح أبيه. فأحسّتْ عائشة، كأنَّ سَهْمًـا نَفَذَ إلى قلبها. وكادتْ تبكي ممّا تجـد. لكنّهـا أمـسكتْ عَـبَراتِهـا. وقـالت في غَـيظ: مـا أرى بينَكَ وبينَهُ شَبَهًا "[٣]. وفي حديث آخَر عن عائشة أيضاً. قالت: "لمّا وُلد إبراهيم، جاء به رسولُ اللّه إليّ. فقـال: أُنظري إلى شَبَهِـهِ بي. فقلتُ: ما أرى شَـبَهًا. فقـال رسولُ اللّه: ألا تَرَيْنَ إلى بَياضهِ ولَـحْمِهِ؟ فقلتُ: إنّ مَـنْ قَصُرَ عَلَيْه اللّقَاحُ ابْيَضَّ وسَمِنَ "[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد، ٨/٢١٢.

(٢) بنت الشاطئ، نساء النبيّ، ص ٣٩٩.

(٣) تريدُ أن تقول: ليسَ هو ابنك. ولستَ أنت أباه.

(٤) طبقات ابن سعد، ١/١٣٧.

٦ . "وأدركَ الرســولُ، على الفور، مــدى ما تُــكابد. فانصــرفَ بوَلَدِهِ وهو يرثي لعائشــة. وظلّتِ النارُ ترعى تحت الرماد من التجـمّل والتكلّف والمداراة؛ حتى كان اليــومُ الذي اجتمع فــيه الرسولُ بماريّة في بيت حــفصة. فــاندلعَ الضرامُ من تحت الرماد متوهّجًا. وكان ما كان من قصّة **التحريم** التي أشار إليها القرآن.

يختصرُ ابنُ سَـعْد هذه القصّة، فيقــول: "خرجتْ حفصة من بيتــها. فبعث رسولُ اللّه إلى جــاريته (مــاريّة القبطيّــة). فجاءتْه في بيت حــفصـــة. وضاجعــها. فــدخلت عليــه حــفصـــة، فــقــالت: يا رسولَ الــلّه! أفي بَيْــتي!؟ وفي يومي!؟ وعلى فِراشـي!؟. فــقال رسـولُ اللّه: إسكُتِي. فلكِ الــلّهُ، لا أقْربُها أبداً. ولا تذْكــريه. فذهبتْ حفصـــة. فأخبرت عائشة. فــعلم النبيّ بما يحدث بين نسائه، فقــرّر طلاقهنّ. فأنزلَ اللّهُ: "يا أيُّها النبيُّ! لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللّهُ لكَ" (٦٦/ ١-٢) إلى آخر الآية.

وعن مالك بــن أنَس، أنّ النبيّ حرّم عليــه أمَّ إبراهيم. فقال: هــي عليّ حرام. واللّهِ! لا أقــربُها. فــأنزل اللّهُ عليه: "قــد فرضَ اللّهُ لــكم تَحِلَّةَ أيمانِكم" (أي تحليل الأمة. وهي، هنــا ماريّة) (٦٦/٢). وجرى للنبيّ مــا جرى بســبب القبطيّــة.. وكان عامّةَ النهار والليلِ عندها.

٧ . وجرتْ شائعــةٌ، اتُّهمتْ بها ماريّة بالسوء : أخبــرنا أنَس بن مالك، قال: كانتْ أمُّ إبراهيم، في مشربتِها. وكــان قبطيٌّ يأوي إليها. فقال الناسُ في ذلك: عِلْجٌ يدخلُ على عِلْـجَة. فــبلغ ذلــك رسولَ اللّــه. فأرســلَ عليّــا بن أبي طالب، قــائلاً له: "إذهبْ. واضربْ عُنُقَــهُ". فإذا القــبطيُّ في بئرٍ يتبــرّدُ فيهــا. فقــال له عليٌّ: اخْرُجْ. فناوله يدَه. فأخرجَه عاريًا. فإذا هو مجبوبٌ[٥]. فكَفَّ عليٌّ عنه. ثمّ أتى النبيَّ، فقال: يا رسولَ اللّه! إنّه مجبوب"[٦].

٨ . ومن أجلِ تبــرئة ماريّة أيضــاً، جاء جــبريلُ إلى النبيّ يُطمــئنُه، وحــيّاه قائلاً: "السلامُ عليكَ يا أبا إبراهيم. فاطمأنَّ رسولُ اللّه إلى ذلك". وتــأكّد، من ملاك

---

(٥) في أسد الغابة، "مجبوب يعني: ليس له ذَكَر"، ٦/ ٦٦١.

(٦) ابن سعد، ٨/ ٢١٤؛ مسلم، باب براءة حرَمِ النبيّ من الريبة، ٤/ حديث ٢١٣٩، و٢٧٧١.

الوحي، بأنّه هو والدُ إبراهيم، وليس أحدٌ سواه. وبطُلَ بذلك كل اتّهام سوء[٧].

٩. لم تدم سعادة النبيّ بابنه إبراهيم، إذ لم يكد وليُّ العرش يبلغ عامين، حتى مرض، وابتدأت الحياةُ تنطفئ، حتّى كانت النهاية. نهاية جلبتْ معها نهاية الرسول والرسالة وكلام السماء إلى أهل الأرض. لقد مات النبيّ، ولحق بابنه، في السنة عينها. وترك ماريّةَ تعيشُ، بعده، طوال خمسة أعوام، في حزنٍ كبير؛ حتى توفّيتْ في خلافة عمر، سنة ستّ عشرة من الهجرة. ودُفنتْ في البقيع[٨].

١٠. وحسبُ ماريّة شَرَفاً أنّها كانتْ للقبط خيراً عظيماً. أخرجَ مسلمٌ حديثاً عن أبي ذرّ الغفاري، قال: قال رسولُ اللّه: "إنّكم ستفتحون مصر.. فأحسِنوا إلى أهلها. فإنّ لهم ذمّةً ورحماً". أو أيضاً: "فإنّ لهم ذمّة وصهراً"[٩].

مَاسِّينْيُونْ (لويس) Massignon (ت ١٩٦٢) : مستشرق فرنسي. بحث في الصوفيّة واهتمّ بنشر مؤلّفات الحلاّج. كما ترك مؤلّفات هامّة في الشؤون الإسلاميّة.

مَالِك بن أنَس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) : فقيه، وأحد الأئمّة الأربعة. إمام مذهب المالكيّة. وغالباً ما يُدعى اختصاراً: «إمام المدينة». توفّي بالمدينة. وله حوالي ٨٥ سنة. ودفن بالبقيع. هدم الوهّابيّون القبّة التي كانت فوق قبره.. له: «كتاب المُوَطَّأ» الذي يعتبر أقدم كتاب في الشريعة الإسلاميّة. يستند مالك في مذهبه إلى الكتاب والسنّة، ثمّ الإجماع والقياس إذا لم يكن نصّ من كتاب أو سنّة.

يقول مالك بالمصالح المرسلة، وهي أمور لم يشهد لها من الشرع دليلٌ ببطلان أو باعتبار، وذلك كضرب المتّهم بالسرقة للاستنطاق، أجازه مالك، لأنّ

---

(٧) طبقات ابن سعد، ٨/ ٢١٤.

(٨) المرجع نفسه، ٨/ ٢١٦.

(٩) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ٤/ ١٩٧٠، باب وصيّة النبيّ بأهل مصر، حديث ٢٥٤٣؛ الاستيعاب، ١/ ٥٩؛ ابن سعد، ٨/ ٢١٤. أنظر في ماريّة: الإصابة، رقم ٩٨٤، ٤/ ٤٠٤- ٤٠٥. أسد الغابة، رقم ٧٢٦٨، ٦/ ٢٦١.

مصلحة المسروق منه تقتضيه. ومنها: طلاق المفقودِ زوجُها، إذا تضرّرت بالعزوبة وانتظرت أربع سنين بعد انقطاع خبره، يطلّقها الحاكم، ثمّ تتزوّج.

نجح المذهب المالكي في إخراج مذهب الأوزاعي والمدرسة الظاهريّة، من العالم الإسلامي، وأصبحت له السيادة، لا في المغرب فحسب (تونس والجزائر ومراكش)، ولكن أيضاً في بقيّة أفريقية تقريباً.

مَالِك بن نُوَيْرَة (ت ١٢هـ/ ٦٣٤م) : شاعر من فُرسان الجاهليّة. أسلم وارتدّ. فقتله خالد بن الوليد.

مَالِكُ يومِ الدِّين : ١ . بعضُ القرّاء يقرأ: "مالِك"، وبعضهم: "مَلِك؛ وكلاهما صحيح متواتر؛ لأنّ الجذر "م ل ك"، في العربيّة، كما في اللّغات الساميّة، يعني السيادةَ والامتلاك معاً. فاللّه هو "الملِك" و"المالك"، وكلا الكلمتين يرد في القرآن: اللّه هو "مالك يوم الدين" (١/ ٤)، و"مالك الملك. يؤتي الملكَ مَن يشاء" (٣/ ٢٦)، وهو "الملِك الحقّ" (ر: ٢٠/ ١١٤؛ ٢٣/ ١١٦)، و"الملِك القدّوس" (ر: ٥٩/ ٢٣؛ ٦٢/ ١)، و"ملِك النّاس" (١١٤/ ٢).

٢ . وهو "مالك يوم الدّين"، أي هو وحدَه صاحب ذلك اليوم، أي يوم القيامة، حيث الجزاء والحساب، الذي فيه يدين الخلائق بأعمالهم، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ، إلاّ مَن عفا عنه. ولا يملك أحدٌ معه في ذلك اليوم حكماً كما يُملَكون في الدنيا. والمَلِك، في الحقيقة هنا وفي ذلك اليوم، هو اللّه، "هو اللّه الذي لا إله إلاّ هو الملِكُ القدّوس" (٥٩/ ٢٣). وجاء أيضاً: "لِمَن الملك اليوم؟ للّهِ الواحدِ القهّار" (٤٠/ ١٦). وجاء في الحديث قول النّبيّ: "يقبضُ اللّهُ الأرضَ، ويطوي السّماءَ بيمينه، ثم يقول: "أنا المَلِكُ. أين ملوكُ الأرض؟ أين الجَبّارون؟ أين المتكبِرون؟".

المَأْمُون (عبد اللّه بن هارون الرشيد) (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) : الخليفة العبّاسي السابع. من كبار الخلفاء العبّاسيّين. أمُّه جارية فارسيّة. قَتل أخاه الأمين وخلفه. عني بالآداب والعلوم. وأنشأ «بيت الحكمة» في بغداد، فازدهرت في عهده حركة الترجمة والنقل وكان يكافئ المترجمين والعلماء على جهودهم، حتى كانت

تبلغ قيمة المكافأة زنة الكتاب ذَهَباً. نـاصر المعتزلة، وامتحن الناس في خلْق القرآن. ثمّ خلفه أخوه المُعتصِم.

المَاوَرْدِيّ (أبو الحسن علي) (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) : فقيه شافعيّ من الكبار. وُلد بالبصرة. تولّى القضاء في أيّام القائم العبّاسيّ ببغداد. مال إلى المعتزلة. من كتبه: «الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة» في السياسة المدنيّة الشرعيّة؛ «أعلام النبوّة»؛ «الحاوي الكبير» في الفقه الشافعي، وهو موسوعة تقع في أكثر من ٣٠ جزءاً؛ «أدب الدين والدنيا»، وهو كتاب صغير في الحكمة والأدب نادر المثال. يتناول فيه قواعد الإصلاح الإجتماعي، فإذا هي: الدين المنيع، والسلطان القاهر، والعدل الشامل، والأمن العام، وخصب الدار، والأمل الفسيح.

مَبَارِكُ الإِبْل : جمْع مبرك، من برك البعير: وقع على بركه وهو صدره.. ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الصلاة في مبارك الإبل مكروهة ولو طاهرة.. وعلّة النهي ما في الإبل من النفور، فربّما نفرت وهو في الصلاة فتؤدّي إلى قطعها، أو أذًى يحصل منها، أو تشوّش الخاطر عن الخشوع في الصلاة.. أو لأنّ البعير البارك كالجدار يمكن أن يُستتر به ويبوّل. وهذا لا يتحقّق في حيوانٍ سواها، لأنّه، في حال ربضه يستر، وفي حيال قيامه لا يستر.

المُبَاشَرَة : من معانيها في اللغة: الملامسة، وأصله من لَمْسِ بشَرَةِ الرجل بشَرَةَ المرأة. ومن معانيها أيضاً: الجماع. تحرّم مباشرة الحائض في زمن الحيض، من حديثِ عائشة قالت: «كانتْ إحدانا، إذا كانت حائضاً، فأراد رسولُ اللّه، صلّى اللّه عليه وسلّم، أن يباشرها، أمَرَها أن تتّزِر في فور حَيضتها. ثمّ يُباشرها»[1]..

ويجوز للصائم أن يباشر زوجته بما دون الفرج، ولا يبطل صومه إن لم ينزل، لحديث عائشة قالت: «كان النبيّ يقبِّل ويباشر، وهو صائم. وكان أملَكَ لإربِه»[2].. وتحرّم المباشرة إن كانت تحرِّكُ شهوتَه، لخبر: «أنّ النبيّ رخّص في

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٤٠٣؛ مسلم ١/٢٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/١٤٩؛ مسلم ٢/٧٧٧.

القُبلة للشيخ وهو صائم، ونهى عنها الشابَّ، وقال: الشيخ يملك إربَه، والشاب يفسد صومه»[٣].. أمّا المباشرة للمحرم فهي محرّمة بأنواعها: الجماع، والقُبلة، والمعانقة، واللمس بشهوة ولو لم ينزل، لقوله تعالى: «فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحَجِّ» (٢/١٩٧).

المُبَاهَلَة : ١ . في اللغة: مِن «ابتهلَ»، وهي دعوة اللّه ليجعل لعنتَه على الكاذبين. ومن هنا أصبحت تعني الملاعنة، أي: لعن كلٌّ منهما الآخر وابتهل إلى اللّه، أي ضرع إليه. وردت المباهلة في قوله: «إنَّ مَثَلَ عيسى عند اللّه كمَثَلِ آدمَ، خلَقَه من تُرابٍ. ثمّ قال له: كُنْ فيكونُ. الحقُّ مِن ربِّكَ. فلا تكنْ مِنَ المُمْتَرينَ. فمَن حاجَّكَ فيهِ مِن بعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فقلْ: تَعَالَوا ندْعُ أبناءَنا وأبناءَكم، ونساءَنا ونساءَكم، وأنفُسَنا وأنفُسَكم. ثمّ نَبْتَهِلْ. فنَجْعَلْ لعنَةَ اللّهِ على الكاذِبِينَ» (٣/٥٩-٦١).

٢ . نزلت هذه الآيات بسبب وفْد نجران حين لقَوا النبيَّ فسألوه عن عيسى. فقال: كلّ آدميّ له أب. فما شأن عيسى لا أب له؟ وروي أنّ محمّداً، لمّا دعا أسقف نجران والعاقبَ إلى الإسلام، قالوا: قد كنّا مُسلمين قبلك. فقال: كذبتما. مَنَعَ الإسلامَ منكما ثلاثٌ: قولُكما: اتّخذ اللّه ولداً، وسجودُكما للصليب، وأكْلُكما الخنزير. قالا: مَن أبو عيسى؟ فأنزلَ اللّهُ: «إنَّ مَثَلَ عيسى.. (إلى قوله) لَعْنَةَ اللّهِ على الكاذِبِين». فدعاهم النبي إلى المُباهلة. فقال بعضهم لبعض: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم ناراً.. فإنّ محمّداً نبيٌّ مرسَلٌ. ولقد تعلمون أنّه جاءكم بالفصل في أمر عيسى. فقالوا: أما تعرض علينا سوى هذا؟ فقال: الإسلامُ أو الجزيةُ أو الحرب. فأقرّوا بالجزية. وانصرفوا إلى بلادهم على أن يؤدّوا في كلِّ عامٍ ألفَ حلّةٍ في صَفَرَ، وألفَ حلّةٍ في رَجَبَ. فصالحهم رسولُ اللّه على ذلك بدلاً من الإسلام[٤].

المُبَرِّد (أبو العبّاس) (ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م) : فقيه مشهور في اللّغة. ولد في البصرة. بدأ علاقته الوثيقة بكتاب سيبويه وغيره من اللّغويّين، كالأصمعي

---

(٣) أخرجه البيهقي، ٤/٢٣٢، من حديث عائشة.

(٤) السيوطي، الدر المنثور ٢/٢٢٩، من حديث الأرق بن قيس مرسلاً.

والجرمي والمازني، حول المسائل اللغوية التي ترتبط بالقرآن والحديث والشعر والأدب.. ثمّ استقرّ في بغداد حيث توطّدت شهرته كحجّة كبيرة في أمور اللّغة العربيّة. وبقي يدرّس اللّغة حتّى وفاته. هو ممثّل مذهب البصرة بالنحو. وخصمه «أحمد بن يحيى ثعلب» ممثّل مذهب الكوفة. من أهمّ مؤلّفاته: «الكامل في الأدب»؛ «الاشتقاق»؛ «المقصور والممدود»؛ «المذكّر والمؤنّث»؛ «المقتضب في النحو»؛ «الفاضل والمفضول»؛ «التعازي والمراثي»؛ «معاني القرآن»...

المُتَحَيِّرَة : في الاصطلاح: سمّيت المرأة مُتَحَيِّرَة لتحيّرها في أمرها وحيضها. وتسمَّى أيضاً: المُحَيِّرة، لأنّها حيّرتِ الفقيهَ في أمرها. هي **المُسْتَحاضة**، أي التي يسيل دمها ولا يرقأ، في غير أيّام معلومة، لا من عرق الحيض، بل من عرقٍ يقال له: العاذل. والمستحاضة أعمّ من المتحيِّرة.. والتحيّر، كما يقع في الحيض، يقع في النفاس أيضاً، فيُطلق على الناسية لعادتها في النفاس: متحيّرة..

المُتَرَدِّيَة : التي تقع من جبل، أو تطيح في بئرٍ، أو تسقط من موضع مشرف، فتموت. وهي من قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عليكمُ المَيتَةُ، والدمُ، ولحمُ الخِنزيرِ، وما أُهِلَّ لغيرِ اللّهِ به، والمُنْخَنِقَةُ (التي تموت خنقاً)، والمَوقُوذَةُ (الشاة التي تُضرب حتّى تموت من غير تذكية)، والمُتَرَدِّيَةُ، والنَّطِيحَةُ (الشاة تنطحها أخرى فتموت قبل أن تذكّى)، وما أكلَ السَّبُعُ، إلاّ ما ذَكَّيتُم (أي أدركتم فيه الروح فذبحتموه) » (٥/ ٣).

المُتَشابَه : ١ . هو النصّ القرآني الذي يحتمل عدّة معاني، وهو الوارد في قوله: «اللّهُ نزَّلَ أحسَنَ الحديثِ كِتاباً مُتَشَابِهاً» (٣٩/ ٢٣)؛ وقد فسّر ذلك الزمخشري بقوله: «مُتَشَابِهاً» مطلق في مشابهة بعضه بعضاً» (الكشّاف ٤/ ٩٥).

٢ . لا يتنافى «المتشابِه» مع «الإحكام» في قوله: «كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ» (١١/ ١)؛ لأنّ كلاً من المتشابِه والإحكام صفة مدح لا يمكن أن تدلّ على ما يُضاد الأخرى.. فالإحكام معناه أنّ آي القرآن كلَّها قد نظّمت نظماً مُحكماً، لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ، ولا من جهة المعنى؛ أو أنّها أحكمت بالحجج والدلائل؛ أو جعلت حكمة.. وإذن، فالقرآن، بهذا المعنى، محكمٌ في تشابهه، ومتشابه في إحكامه.

٣ . وخلاصة الكلام أنّ المحكم ما كان راجح الدلالة على معناه بنفسه؛ أو هو ما لا يحتاج سامعُه إلى تأويله لبيانه، أو كما قال أبو منصور: هو ما أمكن معرفةُ المراد بظاهره، أو بدلالةٍ تَكشف عنه.. أمّا المتشابه فهو ما ليس كذلك، أي ما كان غير راجح الدلالة بنفسه..

٤ . من أبرز المتشابه في القرآن ما يُعرف بمتشابه الصفات، كالآيات التي جاء فيها ذكر الوجه واليد والجنب والروح والنفس والاستواء والفوقيّة والرضا والغضب وما إلى ذلك من كلّ ما فيه نسبة البعض.

٥ . ومن حكمة ورود المتشابه في القرآن والسنّة ما ذكره صاحب الكشّاف فقال: «لو كان كلُّه (أي القرآن) مُحكماً لتعلّق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عمّا يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال. ولو فعلوا ذلك لعطّلوا الطريق الذي لا يتوصّل إلى معرفة اللّه وتوحيده إلاّ به» (الكشّاف، ١/ ٢٥٩).

مُتْعَةُ العُمْرَة : أن يحرم من الميقات بالعمرة في أشهر الحجّ، ويفرغ منها، ثمّ ينشئ حجًا من مكّة، أو من الميقات الذي أحرم منه بالعمرة. وسمّيت متعة لتمتّع صاحبها بمحظورات الإحرام بين النسكين، أو لتمتّعه بسقوط العودة إلى الميقات للحجّ. ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعيّة التمتّع بالعمرة إلى الحجّ، لقوله تعالى: «فَمَن تَمَتَّعَ بالعُمْرةِ إلى الحَجِّ فما استَيسَرَ مِنَ الهَدْيِ» (٢/ ١٩٦).

مُتْعَةُ النِّكاح : ١ . نكاح موقّت، أي يُعقد لأجل معلوم وإعطاء المرأة أجراً على ذلك. في القرآن إشارة إليه، في (٤/ ٢٤) التي نزلت في المدينة، والتي تقول، بعد ذكر قائمة بالنساء اللائي يحرّم نكاحهنّ: «وأُحِلَّ لكمْ ما وراءَ ذلكَ أن تَبتَغوا بأمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ غَيرَ مسافِحِين. فما استَمتَعْتُم بهِ منهُنَّ فَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَرِيضَةً. ولا جُناحَ عليكُمْ في ما تراضَيتُمْ بهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ». وبعد كلمة «استمتعتم» قرأ أُبَيّ بن كعب وابن عبّاس الكلمات «إلى أجلٍ مسمّى» (الطبري ٥/ ٩). وهي قراءة لا يقول بها أهلُ السنّة، ولكنّها غالباً ما تضاف في كتب الشيعة.

٢ . أمّا الأحاديث النبويّة فمتناقضة في موضوع المتعة: فطبقاً لبعضها كانت المتعة معمولاً بها في زمن النبيّ؛ بل وقيل إنّ النبيَّ نفسَه قد «تمتّع»[1]؛ وبحسب أحاديث أخرى، يُقال إنّه رخّص بها لوقت قصير، في مناسبات خاصّة..

٣ . ليس من الضروري، في نكاح المتعة، أن يكون هناك شهود، ولا أن يتمّ أمام القاضي؛ وإذا لم يقدّم المهر صار العقد باطلاً؛ ويجب أن تكون المرأة غير متزوّجة، وأن تكون عفيفة؛ وأن تعرف حقيقة المتعة، أي أن تكون شيعيّة؛ ولا يمكن أن تعقد نكاحاً موّقتًا إلاّ بمسلم؛ وتحرّم المتعة مع الكافرة حتّى ولو كانت كتابيّة؛ ولا يرخّص بالمتعة مع الجارية إلاّ برضا مولاها.

٤ . في العادة تعقد المرأة نكاح المتعة من دون وليّ؛ أمّا إذا كان الأمر في حالة البكر فيتطلّب موافقة وليّها. ويمكن للرجل أن ينكح أزواجاً آخرين بالإضافة إلى الأربع اللاّئي ينصّ عليهنّ الشرع. وذلك في أثناء الأسفار بوجه خاصّ. لكن ليس له أن يجمع بين أختَين في وقت واحد، ولا حتّى في أثناء العدّة. تنتهي المتعة عند انقضاء الأجل المتّفق عليه. ويمكن عقد نكاح موقّت جديد بمهر جديد. لا يستطيع أي من الطرفين أن يرث الآخر. ثمّ إنّ الأبناء يكونون للأب.

مُتْعَةُ الطَّلَاق : ذهب الفقهاء إلى مشروعيّة المتعة للمطلَّقة قبل الدخول بها، ولم يفرض لها مهر، لقوله تعالى: «لا جُناحَ عليكم إنْ طلَّقتُمُ النساءَ ما لم تَمَسُّوهُنَّ (تجامعوهنّ)، أو تَفْرِضوا لهنَّ فريضةً (مهراً، فطلِّقوهنّ) ومَتِّعُوهُنَّ (أعطوهنّ ما يتمتّعن به) على المُوسِعِ (الغنيِّ منكم) قدَرُه، وعلى المُقْتِرِ (الضيِّق الرزق) قدَرُه، مِتاعاً (تمتيعاً) بالمعروفِ (شرعاً) حقًّا (مؤكّدة) على المُحسِنين» (٢/٢٣٦).

المَتْن :ألفاظ الحديث التي تقوم بها المعاني[1]؛ أو: ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام[2]. قسم العلماء المتن إلى ثلاثة أقسام: ١- **مرفوع**، وهو ما أضيف إلى

---

(١) الطبري، تاريخ، ١/ ١٧٧٥ و١٧٧٦.

(١) الطيبي (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٣م)، الخلاصة، مطبعة الإرشاد،، ١٣٩١هـ بغداد، ص ٣٤.

(٢) إبن جماعة (ت ٧٦٧هـ/١٣٦٧م)، المنهل الروي، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن، دار

رسول اللّه من قول أو فعل. ٢- **موقوف**، وهو ما يروى عن الصحابة من أقوال وأفعال وتقريرات، فيوقف عليهم ولا يتجاوز إلى الرسول. ٣- **مقطوع**، وهو ما جاء عن التابعين فمن دونهم، موقوفاً عليهم من أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم[٣].

المُتَنَبِّي (أبو الطّيّب) (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) : **١** . من كبار شعراء العرب. ولد بالكوفة. تلقّى دروسه الأولى فيها. وقع تحت تأثير الشيعة، فأثّر هذا في تطوّر فلسفته، وعقيدته الدينيّة. فرّ من وجه القرامطة الذين استولوا على الكوفة وأعملوا فيها النهب. ثمّ رجع إليها بعد ثلاثة أعوام. وكان في ذلك الوقت شديد الإعجاب بأبي تَمّام والبحتري، وهما شاعرا مدْحٍ كبيران.

٢ . رحل إلى بغداد، ثمّ إلى دمشق، يعيش عامين عيشة الشعراء الجوّالين، حيث نجده في طرابلس واللاذقيّة. وفي السماوة ادّعى النبوّة، ولقّب بالمتنبيّ. ثمّ أُسر وحُبس في حمص، سنتين. ثمّ أطلق سراحه على أن يرجع عن غيّه.

٣ . وبعد تجوال في بادية الشام، انتقل إلى حلب حيث أصبح الشاعر الرسمي للأمير سيف الدولة الحمداني، الذي مكث معه تسع سنوات. ولمّا كثر حسّاده، وابتدأ سيف دولة يضيق به صدره، فتخلّى عنه. ففرّ المتنبّي وأسرتُه خفيةً من حلب، والتجأ إلى دمشق. ومن دمشق ذهب إلى مصر حيث اتّصل بكافور الإخشيدي، الذي وعده بولاية صيدا، ولم يحقّق وعدَه. ثمّ عاد إلى الكوفة، ثمّ استقرّ ببغداد. ومنها ذهب إلى شيراز. ثمّ عاد إلى بغداد. وفي طريق عودته هاجمته قبائل البدو قرب دير العاقول، فقُتل مع ابنه وغلامه.

٤ . كان متكبّراً شجاعاً طموحاً محبّاً للمغامرات. شاعر حكيم، صاحب الأمثال السائرة والمعاني النادرة. أفضل شعره في الحكمة وفلسفة الحياة ووصف المعارك، على صياغة قويّة مُحكمة. له ديوان شرحه عديدون: ابن جِنّي وأبو العلاء المعرّي والواحديّ والعكبريّ والشيخ ابراهيم اليازجيّ وغيرهم.

الفكر، ط ٢، ١٤٠٦هـ، ص ٣٧.

(٣) راجع مادّة: المتن، د. مصطفى محمّد أبو عمارة، م.إ.ع.، ٢٠٠٣، ١٢٤٥-١٢٤٦.

المُتَوَكِّل عَلَى الله (جعفر بن المُعتصم) (ت ٢٤٧هـ/ ٨٦١م) : الخليفة العبّاسيّ العاشر. كان محبًا للسنّة فحارب المعتزلة ورفع «المحنة» عن الناس. حاول نقل عاصمته إلى دمشق وعاد إلى سامرّاء حيث اغتاله القادة الأتراك بالاشتراك مع ابنه الأكبر المنتصر. كان موته بداية انحطاط الخلافة العبّاسيّة.

مَتَّى بن يُونُس المَنْطِقِيّ (أبو بشر) (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) : فيلسوف وطبيب نسطوري عاش في بغداد. أستاذ الفارابيّ ويحيى بن عَديّ. إليه انتهت رئاسة أهل المنطق في زمانه. أوّل من نقل عن اليونانيّة كتاب الشعر لأرسطو، وعن السريانيّة كتاب «البرهان» لإسحق بن حُنَين. وشرح كتاب «إيساغوجي» لبورفيريوس.

المُثْلَة : من مثَّل فلانٌ بفلان: إذا قبّح صورتَه. ذهب الفقهاء إلى أنّ المُثْلة بالحيّ، أو بالميت، حرام، لقول عمران بن حصين عن الرسول، قال: «كان رسول اللّه يحثُّنا على الصدقة، وينهانا عن المُثْلة»[1]، ولما روى صفوان بن عسّال، قال: بعَثَنا رسولُ اللّه في سريّة فقال: «سيروا باسم اللّه وفي سبيل اللّه. قاتلوا مَن كفر باللّه، ولا تُمثِّلوا»[2]. وعن ابن عمر قال: «لعن النبيُّ مَن مثّل بالحيوان»[3].

أمّا المُثلة بالعدوّ فيقول فيها الفقهاء: يحرّم التمثيل بالكفّار بعد القدرة عليهم؛ أمّا قبل القدرة فلا بأس به[4]. وقال المالكيّة: إنّ الكفّار إن مثّلوا بمسلمٍ مُثِّل بهم كذلك معاملةً بِالمثل[5].. وقال الحنفيّة: لا بأس بحمل رأس المشرك إذا كان في ذلك غيظهم[6]، وقالوا: وقد حمل ابن مسعود يومَ بدر رأسَ أبي جهل، وألقاه بين يدي رسول اللّه عليه الصلاة والسلام[7].

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ١٢٠؛ إلن حجر، فتح الباري ٧/ ٤٥٩.

(٢) أخرجه ابن ماجّة ٢/ ٩٥٣، البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ١٢٢.

(٣) أخرجه البيهقي ٩/ ٨٧؛ وأصله في البخاري، فتح الباري ٩/ ٦٤٣؛ مسلم ٣/ ١٥٥٠.

(٤) حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٢٤؛ تبيين الحقائق ٣/ ٢٤٤؛ جواهر الإحليل ١/ ٢٥٤.

(٥) جواهر الإكليل ١/ ٢٥٤.

(٦) الدر المختار ٣/ ٢٢٥.

(٧) ذكره ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٧٨، نقلاً عن ابن إسحاق.

مُجَاهِد بن جَبْر (ت ١٠٤هـ/ ٧٢٢م) : تابعي. وُلد في مكّة، وتوفّي فيها. ذاع صيته باسم المقرئ، وإمام التفسير. وهو من مدرسة عبدالله بن عبّاس. يُقال إنّه سمع عائشة وأبا هُريرة وعبدالله بن عمر وغيرهم من الصحابة. قال مجاهد: «قرأت القرآن الكريم على ابن عبّاس ثلاث مرّات، أقف عند كلّ آية أسأله: فيم نزلتْ؟ وكيف كانتْ؟». قال قتادة: «أعلمُ مَن بقي بالتفسير مجاهد».. وكان كثيراً ما يستشير علماء النصارى وأحبار اليهود. سافر كثيراً، واستقرّ في الكوفة.. وهو أحد القائلين بالمذهب العقلي في تفسير القرآن، إذ جعل «للرأي» منزلة هامّة. وقد نقل الطبري كثيراً من تفسير مجاهد.

المَجْلِسِيّ (محمّد باقِر) (ت ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م) : العَلَم العلاّمة الحجّة، فخر الأمّة، المولى، شيخ الإسلام في أصفهان. معه تمّت غلبة التشيّع على التصوّف في إيران. أشتهر بكتابه «بحار الأنوار، الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار» باللّغة العربيّة. فيه مباحث دينيّة وعلميّة. تمكّن من ترجمة معظم ما جاء فيه عن الرسول والأئمّة إلى الفارسيّة، فازداد قدرُه وعظم شأنه على علماء الشيعة كافّة. طبع الكتاب في مؤسّسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣؛ (١٧×٢٤)، ١١١ مجلّداً. واشتهر أيضاً بكتابه « حقّ اليقين» الذي كان سبباً في تشيّع ٧٠ ألف سنّي، وكتب أخرى عديدة. أهمّها: «عين الحياة»، «مشكاة الأنوار»، «حياة المتّقين»، «حياة القلوب»، «تحفة الزائرين»، «جلاء العيون»، «زاد المعاد»، «تذكرة الأئمّة».

المُجْمَل : إصطلاحاً هو ما له دلالة على أحد معنَيَين لا مزيّة لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه. أو هو ما لا يستقلّ بنفسه في المراد منه حتّى يبان تفسيره. ذكر العلماء أنّ حكم المجمل التوقّف فيه إلى أن يرد تفسيرُه وتبيينُه. ولا يصحّ الاحتجاجُ بظاهره في شيء يقع فيه النزاع.. وذهب الفقهاء إلى ورود المجمل في القرآن وفي السنّة، وأنّ ذلك واقعٌ فعلاً. والحكمة من وجود المجمل هو أنّ اللّه جعل من الأحكام جليًا وجعل منها خفيًا ليتفاضل الناس في العلم بها، ويُثابوا عليها.

مَجْنُون لَيْلَى (ت ٦٩هـ/ ٦٨٨م) : شاعر غزَل من أهل نَجد. هو **قيس بن المُلَوّح العامِريّ**. عشق لَيلى العامِريّة فرفض أهلُها أن يزوِّجوها به، فهام على وجهه

يتغنّى بحبّه العُذريّ. واشتُهر بمجنون ليلى.

المَجُوسِيَّة: ١. ديانة الفرس، وخصوصاً الزرادشتيّة. لم يرد ذكر المجوس في القرآن إلاّ مرّة واحدة في قوله: «إنّ الذين آمنوا والذينَ هادوا والصَّابئِين والنَّصارىٰ والمَجُوسَ والذين أشركوا. إنّ اللّهَ يفصل بينهم يوم القيامة» (٢٢/١٧).

٢. يعتقد المجوسيّة أنّ للعالم إلهين، أو أصلين يقتسمان الخير والشر، ويسمّون الأوّل: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسيّة: يزدان وأهرمن.. ويقدّسون النار على أنّها أصفى وأطهر العناصر المخلوقة.. لا يقرّون بنبوّة أحد من الأنبياء إلاّ زرادشت، فهو نبيّ مرسل، له كتاب أنزل عليه، إسمه «الأوفستا، أو الأبستاق، وله تفسير سمّاه زَندا. ويعتقدون ببعث الأرواح دون الأجسام.. وبعضهم يعتقدون بتناسخ الأرواح في الأجساد وانتقالها من شخص إلى شخص آخر[١].

٣. لا يحلّ للمسلم أكل ذبيحة المجوسي، لقوله تعالى: «وطعامُ الذينَ أُوتُوا الكتابَ حِلٌّ لكم» (٥/٥)، لأنّ إباحة طعام أهل الكتاب يقتضي تحريم طعام غيرهم، ولقول النبي: «لا تُؤكل ذبيحة المجوسي»[٢]، وقوله: «إنّكم نزلتم بفارس من النبط، فإذا اشتريتم لحماً، فإن كان من يهودي أو نصراني، فكلوا؛ وإن كانت ذبيحة مجوسيّ فلا تأكلوا»[٣].. وذهب العلماء إلى حرمة زواج المسلم بالمجوسيّة، لقوله: «لا تَنكِحوا المشركاتِ حتّى يُؤمِنَّ» (٢/٢٢١)، وحرمة زواج المجوسي بالمسلمة، لقوله: «ولا تُنكِحوا المشركينَ حتّى يُؤمِنوا» (٢/٢٢١).

المَحَارِم: جمعُ مَحْرُمَة ومَحْرَمَة. لغةً، هي ما يُحرّم انتهاكه من عهد أو ميثاق، وزوجة الرجل وعياله. وذو الحرمة من النساء والرجال هو الذي يحرّم

(١) راجع مادّة: المجوسيّة، د. عبد السلام محمّد عبده، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٢٥٣–١٢٥٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنّف ٦/١٢١، من حديث الحسن بن محمّد بن علي؛ والبيهقي ٩/٢٨٥.

(٣) أورده إبن قدامة في المغني ١٣/٢٩٧، ط. هجر.

التزوج به لرحمه وقرابته، وما حرَّم اللّه؛ واصطلاحاً: مَن حُرِّم على الرجل نكاحها على التأبيد. أمّا إذا كان التحريم موقّتاً فلا تكون مَحْرَماً. وأسباب التحريم المؤبّدة: النسب؛ المصاهرة؛ الرضاع. وهي المذكورة في سورة النساء (٤/٢٣). وللمحارم أحكام: ليس للمرأة أن تسافر إلاّ مع ذي مَحْرَم بما في ذلك السفر إلى الحجّ، لقول النبيّ: «ولا تسافر المرأة إلاّ مع ذي مَحْرَم»؛ ولا تجوز خلوة الرجل بالمرأة إلاّ مع ذي مَحْرَم منها، لقول النبيّ: «لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلاّ ومعها ذو مَحْرَم».

المُحَاسَبَة : ينبغي للمسلم أن يحاسِب نفسَه على كلّ صغيرة وكبيرة. فمن حاسبَ نفسَه قبل أن يُحاسَب خفَّ في يوم القيامة حسابُه، قال تعالى: «يا أيّها الذين اتَّقُوا اللّهَ! ولْتَنظُرْ نفسٌ ما قدَّمَتْ لِغَدٍ» (٥٩/١٨). وقال عمر: «حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوا أعمالَكم قبل أن تُوزَنَ عليكم»؛ وكتب إلى أبي موسى الأشعري: «حاسِبْ نفسَكَ في الرخاء قبل حساب الشدّة».

المُحَاسِبِيّ (ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م) : لقب أطلق على زاهد متصوّف. هو أوّل صوفي من أهل السنّة. ولد بالبصرة، وتوفّي ببغداد. عاش حياة زهد. وتعرّض للإضطهاد نتيجة هجوم ابن حنبل على الجدليّين. اضطرّ إلى التخلّي عن التعليم ومات في عزلته. من مؤلّفاته: «رعاية حقوق اللّه»، في ٦١ باباً، وهو كتاب كامل عن الحياة الباطنيّة، «نصائح»، «كتاب التوهّم»، «ماهيّة العقل ومعناه»، «رسالة العظمة»، «فهم الصلاة»، «دواء داء النفس».

المَحَبَّة : ١ .إنّ حبّ اللّه وحبّ رسوله فرضٌ على كل مسلم ومسلمة، وشرط من شروط الإيمان، لقوله تعالى: «ومِنَ الناسِ مَن يتَّخِذُ مِن دونِ اللّهِ أنداداً، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ، والذينَ آمَنوا أشدُّ حُبًا للّه» (٢/١٦٥)، وقوله: «يا أيّها الذينَ آمَنوا! مَن يَرْتَدَّ منكم عن دينِه، فسوفَ يأتي اللّهُ بقومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ» (٥/٥٤)، ولقول النبي: «والذي نفسه بيده، لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده»[1]؛ كما أنّ محبّة اللّه ورسولِه منجاة من النار وموجبة للجنّة[2].

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٥٨، من حديث أبي هُريرة.

٢ . من علامات محبّة اللّه لعبده أن يُنعم عليه بالمغفرة، ويَقبل توبتَه، ويتولاّه بالنصر والتأييد والتوفيق، ويحفظ جوارحه وأعضاءه حتّى يقلع عن الشهوات، لقوله تعالى: «إنّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ سيجعلُ لهمُ الرَّحمَنُ وُدًّا» (١٩/ ٩٦)؛ ولحديث قدسي: «ما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبَّه. فإذا أحببتُه كنتُ سمْعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجلَه التي يمشي بها. وإن سألني أعطيتُه. ولئن استعاذني لأعيذنَّه»[٣].

٣ . ومن علامات محبّة العبد لربّه أن يطع اللّه ويعمل مشيئته، وأن يؤثر ما أحبّه اللّهُ على ما يُحبّه هو، وأن يطلب القربَ منه. قال تعالى: «قلْ: إن كنتم تحبّونَ اللّهَ فاتَّبِعوني» (٣/ ٣١).

المُحْتَسِب الشِّيْعِيّ (أبو عَبْداللّه) (ت ٢٩٨هـ/ ٩١١م) : داعٍ شيعي يَمني. مؤسِّس خلافة الفاطميّين بأفريقية. ولد بصنعاء. اختاره الإسماعيليّة داعيةً لبثّ دعوتهم بين البربر. فتعرّف لذلك إلى حجّاج البربر بمكّة، واصطحبوه إلى بلادهم، حيث بدأ دعوته بين قبيلة كتامة. ولقي نجاحاً عظيماً. ولمّا جاء «عُبيدُ اللّه المهدي» إلى المغرب، اعتُقل بمدينة سجلماسة. فأطلقَ المحتَسِبُ سراحَه، ودخل المهدي سجلماسة، وأغدق على أبي عبداللّه وأخيه أبي العبّاس محمّد النِّعم. ولكن سرعان ما تسرّب الشكّ إلى نفسه، فلم يتردّد في قتلهما معاً.

المِحْرَاب : ١ . في اللغة: الغرفة، وصدر البيت، وأكرم موضع فيه، ومقام الإمام من المسجد، والموضع الذي ينفرد به الملك فيتباعد عن النّاس. وهو عند الفقهاء: مقام الإمام في الصلاة، والجهة التي يصلّي نحوها المسلمون.

٢ . جاءت اللّفظة في القرآن بصيغة المفرد في قوله: «كلَّما دخلَ عليها زكرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عندَها رِزْقاً» (٣/ ٣٧ و٣٩؛ ١٩/ ١١؛ ٣٨/ ٢١). ومعنى المحراب هنا:

---

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٤٢٨؛ تفسير القرطبي ٤/ ٦٠؛ شرح العقيدة الصحاوية ٢٩٤؛ الآداب الشرعيّة ١/ ١٧٣؛ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٢/ ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١١/ ٣٤١، من حديث أبي هُريرة.

الحجرة التي في مقدّمة المعبد. وجاءت اللفظة بصيغة الجمع في قوله: «يَعملَون له ما يشاءُ من مَحَارِيبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجَوَابِ» (٣٤/١٣).

٣ . لم يكن للمسجد محرابٌ في عهد الرسول، ولا في عهد الخلفاء. وأوّل مَن اتّخذ المحرابَ عمر بن عبد العزيز، أحدثه وهو عاملُ الوليد بن عبد الملك على المدينة المنوّرة، عندما أسّس مسجدَ رسول الله لمّا هدمه وزاد فيه. وكان ذلك سنة ٩١ للهجرة. وفيها حجّ الوليد..

٤ . ذهب الفقهاء إلى أنّ المحراب من الأدلّة التي تُعرف بها القِبلة، وأنّه يُعتمد في الدلالة عليها. ولا يجوز الاجتهاد في القِبلة، أو تحرّيها، مع وجود المحراب.

٥ . الحكمة من المحراب المجوَّف: أنّه يفيد في تعيين اتّجاه القِبلة، وفي تحديد مكان الإمام عند الصلاة، وفي توسيع طاقة المسجد بما يعرب من صَفٍّ من المصلّين في صلاة الجمعة، ويساعد على تجميع صوت الإمام وتكبيره، وإيصاله للمصلّين الذين يوليهم ظهرَه أثناء الصلاة، لا سيّما قبل اختراع مكبّرات الصوت[1].

المَحْرَم : يُقال: هو ذو مَحْرَمٍ منها: إذا لم يحلّ له نكاحُها.. والجمْع: محارم. سببُ المحرميّة إمّا قرابة النسب، أو الرضاع، أو المصاهرة.. أباح الفقهاءُ نظرَ الرجلِ إلى مواضع الزينة من المحرم، لقوله تعالى: «ولا يُبْدِينَ زينَتَهنّ إلاّ لِبُعُولَتِهِنّ، أو آبائهِنّ، أو آباءِ بُعولتِهِنّ، أو أبنائهِنّ، أو أبناءِ بُعولتِهِنّ، أو إخْوانِهِنّ، أو بني إخوانهِنّ، أو بَني أخواتِهِنّ، أو نسائهنّ، أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُنّ» (٢٤/٣١). وقال رسول الله: «لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ إلاّ ومعها ذو مَحْرَم. ولا تسافر المرأة إلاّ مع ذي محرم».

المُحَرَّم : (أنظر: **الأشهر الحرم**) : أوّل شهور السنة الإسلاميّة. وهو، في الجاهليّة صَفَر أوّل، وباعتباره شهراً مقدّساً سمّي «المحرّم».. كانت السنة العربيّة مثلها مثل اليهوديّة، تبدأ في الخريف. وبعد أن حرّم محمّد النسيء (٩/٣٧) أصبح المحرّم بدايةَ السنة.. لا يتحدّث القرآن إلاّ عن الشهر الحرام (ذي القعدة، وذي

---

(١) راجع مادّة: المحراب، د. حسن الباشا، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٢٦١-١٢٦٢.

الحجّة، والمحرّم، ورجب الفرد) (٢/ ١٩٤ و٢١٧؛ ٥/ ٢ و٩٧)؛ ولكنّه لا يتحدّث عن أربعة أشهر حرم إلاّ في سورة التوبة (٩/ ٣٦) عندما يصف طريقة حساب الوقت.

في **١** منه يكون بدءالسنة؛ وفي **٩** يصوم زهّاد الشيعة؛ وفي **١٠** ذكرى كربلاء التي استشهد فيها الحسين، وهو يقاتل قوّات الخليفة يزيد بن معاوية.. وكذلك اليوم **١٦** باعتباره اليوم الذي اختيرت فيه مدينة بيت المقدس لتكون قبلة المسلمين؛ واليوم **١٧** باعتباره اليوم الذي وصل فيه أصحاب الفيل إلى مكّة.

المُحْكَم : المُتْقن، من أحكم وأتقن، ومنه قوله تعالى: «كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُه» (١١/ ١)، أي ما كان واضح المعنى، لا إشكال فيه ولا تردّد.. والمُحكم ما لا يَحتمل في التأويل إلاّ وجهاً واحداً.. ضدّه: **المُتشابِه**، وهو ما عسر إجراؤه على ظاهره، كآية الاستواء، وقيل: هو ما استأثر اللّهُ بعلمه، كالحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن.. والمراد بالمحكم هو: البيّن المعنى، الثابت الحكم، الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ في آي القرآن. وحكمه وجوب العمل به. قال تعالى: «هُوَ الذي أنزَلَ عليكَ الكِتابَ منهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أمُّ الكِتَابِ» (٣/ ٧).

المُحكِّمَة : فرقة ظهرت في واقعة **صفِّين** التي كانت بين علي ومعاوية. وسبب التسمية يرجع إلى شعارهم الذي رفعوه: «لا حُكْم إلاّ للّه»، بعد أن قالوا بأنّ التحكيم الذين جرى بين الفريقَين المتقاتلين خطأ. ولمّا سمع علي قولهم هذا قال قولته الشهيرة: «كلمة حقّ أريد بها باطل». وطالبوا عليًا بأن يحكم على نفسه بالكفر إن لم يرجع عن عهده مع معاوية. وعندما رجع علي من صفِّين ودخل الكوفة لم تدخل المُحَكِّمة معه، بل خرجوا عنه، وأتوا حروراء ونزلوا بها. وهذا سبب تسميتهم بالخوارج. وعزموا على قتاله.

المَحلّيّ (جلال الدين محمّد بن أحمد) (ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م) : فقيه شافعيّ ومتكلّم أصوليّ مصريّ. وُلد في القاهرة. نسبته إلى المَحلّة الكُبرى. اشتهر بكتابه «تفسير القرآن»، من أوّل سورة الكهف إلى آخر القرآن، مع تفسيره لسورة الفاتحة في النهاية. ثم أكمله جلال الدين السيوطيّ بعد وفاة أستاذه المحلّي بست سنين، فتمّم هذا التفسير حتّى آخر الإسراء. فعُرف الكتاب بتفسير الجَلالَين.

مُـحَمَّـد، (ﷺ) (أبو القـاسـم) (٥٧٠-٦٣٢م/١١هـ) : هو، عند المسلمين، خاتم النبيّين والمـرسلين، سيّد الأوّلين والآخرين، ورسول اللّه إلـى النّاس أجمعين، من لدن آدم إلى يوم الدين.

أوّلاً – ولادته : وُلد في مكّة، يوم الإثنين، في **١٢** من شـهـر ربيع الأوّل، في قبيلة قريش، عـام الفيل، من أبٍ اسمه عبداللّه بن عبـد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ، ومن أمٍّ اسمها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرّة. وُلد بعد وفاة أبيه خلال زيارته لأخواله من بني النجّار في المدينة، فلم يكن له أخ ولا أخت. وكـانت له مرضـعـات عدّة، أشـهرهنّ ثويبـة مـولاة عمّـه أبي لهب، وحليمة السعديّة، ثمّ أمّ أيمن بَركة الحبشيّة.

في السنة **٣** من مولده، **شقّ صدره** عند مرضـعته حليمـة، فارتابت من أن يحصل له مكروه، فردّته إلى أمّه.

في السنة ٦، كانت **وفاة أمّه آمنة**، التي دُفنت بالحجون، فـحضنته أم أيمن التي كان محمّد يقول عنها، عند بلوغه: «أنتِ أمّي بعدَ أمّي».

وفي السنة **٧**، أصابه **رمَدٌ شـديد، فأخـذه جدّه إلى راهب** بين مكّة والمدينة ليشفيَه.

في السنة ٨، كانت وفاة جدّه عبد المطلب، **فكفله عمّه أبو طالب.**

في السنة **٩**، **سافر به عـمّه أبو طالب** إلى بصرى من أرض الشام. فنزلوا على **صاحب دير**، كشف عن علامـات نبوّته. ثمّ نزل **براهب آخر** كان قـد قرأ في الكتب عن مجيء نبيّ يُبعث لهـذه الأمّة. ثمّ أيضاً نزل **براهب ثالث** يُقال له **بَحِيرا**، انتهى إليه علم النصرانيّة، فنظر إلى محمّد واكتشف نبوّتَه، وحذّر عمّه من اليهود.

وفي السنة **١٥** شهد حرب الفجار وحِلْفَ الفضول الذي كانت غايته نصرة الضعيف والمظلوم.

في السنة **١٧** من مولده، صحبَ عمَّيه الزُّبير والعبّاس إلى اليمن للتجارة.

في السنة **٢٥**، كان سـفره إلى الشام مع مَيْـسَرة غلامِ خـديجة. وفي هذه السنة، **تزوّج من خديجة**. وأنجبت له بنين وبنات.

في السنة **٣٥**، **أعادتْ قريش بنـاءَ الكعبة**. وكان البـاني لها **باقوم الرومي** الذي قيل له يومـها : «إبنِهـا على بنيان الكنائس». وكان مـحمّد حَكَـمًا بين البنّائين المختلفين حول الحجر الأسود.

في سنّ **٣٧**، ابتدأ محمّد يسـمع أصواتاً، ويرى أنوارًا، ويحلم أحلاماً، تُنبئ عن رؤى وتدخّلٍ سماويّ في حيـاته. وكان يخشى من ذلك. وكان يخلو، مع **ورقة بن نوفل**، الذي استحكم في علم الكتاب، في غار حراء، شهر رمضان من كلّ سنة.

ثانياً – بعثته : في السنة **الأولى** من النبوّة، وهي السنة الأربعون من عمر النبيّ، وفي ليلة القدْر، من نهاية شهر رمـضان، أُنزل القرآن عليه جملة واحدة. ثمّ سمع صـوتاً من السماء يقـول: «يا محمّد! أنتَ رسـول اللّه وأنا جبريل». فـوقفتُ أنظر إليه. فمـا أتقدّم وما أتأخّر. وجـعلتُ أصرف وجهي عنه في آفاق السـماء. فلا أنظر في ناحية منها إلاّ رأيتُه كذلك. حتّى أتيتُ خديجة. فجلستُ إلى فخذها مستنداً إليها. فقالت: «يا أبا القاسم! أين كنت؟ فواللّهِ لقد بعثتُ رسلي في طلبك».

ثمّ «حدَّثتُهـا بالذي رأيت. فقالتْ: أبشرْ يا ابن عـمّي. واثبتْ. فوالذي نفسي بيده إنّي لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذه الأمّة. ثمّ قامتْ فجـمعتْ عليها ثيابها. ثمّ انطلقتْ إلى **ورقة بن نوفل** فأخبرتْه بما أخبرها به رسـول اللّه أنّه رأى وسمع. فقال ورقة: «قدّوس قدّوس! والذي نفسي بيده، لئنْ كنتِ صدقتِ يا خديجة! لقد جاءَه النّاموس الأكبر الذي يأتي موسى. وإنّه لَنَبِيُّ هذه الأمّة. فقولي له يثبت»[١].

وفي السنة **٣** من النبـوّة، قيل : « لم ينشَبْ ورقـة أن توفّي وفَتَـر الوحي». ولمّا توفّي ورقـة، قال رسول اللّه: «لقـد رأيتُ القسَّ، يعني ورقة، في الجنّـة. وعليه ثياب الحرير». وفي رواية ثانيـة: «أبصرتُه في بطنان الجنّة وعليه السندس». وفي

(١) وفي رواية: قال ورقـة: سبّوح سـبّوح. وما لجـبريل يُذكر في هذه الأرض التي تُعـبَد فيـها الأوثان، جبريل أمين اللّه بينه وبين رسله (١/ ٣٨٧).

رواية ثالثة: «قد رأيته عليه ثياباً بيضـاً. وأحسبه لو كان من أهل النّار لم تكن عليه ثياب بيض». وفي رواية رابعة: «لا تسبّـوا ورقة فإنّي رأيتُ له جنّةً أو جنّتَين، لأنّه آمن بي وصدّقني»، أي قبل الدعوة التي هي الرسالة. ثمّ دُفن ورقة بالحجون.

وفي السنة ٤ من النبـوّة كان إظهـار الدعـوة، بعد أن كـان هو وأصحـابه مستخفين في دار **الأرقم**، طوال أربع سنوات.

وفي السنة ٥ من النبـوة، أظهـر رسـول اللّه دينَ اللّـه.وكـانت أفكاره في البداية تقوم على فكرة الحساب يوم القيـامة، وعلى الإيمان باللّه، والتماس الصفح عن الخطايا، ومساعدة الناس خاصّة الفقـراء منهم؛ وعليه الالتزام بالعفّة، وألاّ يئد البنات وفق العادة المتوحّشة لذلك العصر التي عزاها القرآن إلى الفقر... إلاّ أنّ تجّار مكّة أدركوا أنّ التحوّل إلى الإسلام قد يُهدِّد أسواقهم وتجارتهم..

«ومن الواضح تماماً أنّ مـحمّداً لم يفكّر، خـلال الفترة المكّيّـة، في تأسيس ديانة جديدة. فمـهمّته كانت مجـرّد الإنذار والتذكرة»[٢]. ثمّ استشرى الأمر وتزايد حتّى كانت، في هذه السنة، **الهجرة الأولى** إلى أرض الحبشة. فيـها وُلدت عائشة. وماتت سميّة أم عمّار بن ياسر، وهي أوّل شهيدة في الإسلام.

وفي السنة ١٠ من النبـوّة، مات أبو طالب، ومـاتت خديجة. و«لمّـا مات أبو طالب، نالت قريش من النبيّ ما لم تكن نالته منه في حـياته، فخرج رسول اللّه إلى **الطائف**، وهو مكروب مـشـوّش الخـاطر ممّا لقي من قـريش وقـرابته وعـتـرته، خصـوصاً من **أبي لهب** وزوجـته أمّ جـميل من الهـجو والسبّ والتكذيب. وكـان خروجه في شوّال ومعه مولاه **زيد بن حارثة**. يلتمس من ثقيف الإسلامَ رجاءَ أن يناصروه على الإسلام، وعلى مَن خالفه من قومه.

وقيل إنّ **قصّة الإسراء** حدثت خلال هذه الفترة العصيـبة من حياة محمّد. وفي هذه السنة أيضاً جاء **جنّ** نصيـبين وأسلموا. وفيهـا أيضاً **تزوّج سَودةَ** بنت

---

(٢) ر: ٥١/ ٥٠؛ ٧٤/ ١-٢؛ ٨٨/ ٢١-٢٢.

زَمعة، ودخل عليها في مكّة. وفيها أيضاً **عَقد على عائشة**، وكان عمرها ستّ سنوات. ولكنّه لم يدخل عليها إلاّ في المدينة، لمّا بلغت من العمر تسع سنوات.

وفي السنة **١٢** من النبوّة، أقبل نفرٌ من المدينة إلى مكّة في موسم الحجّ، فلقيهم رسولُ اللّه في **العقبة**. فكانت **بيعة العقبة الأولى**، إذ «لقي بها رهطاً من الخزرج يحجّون، وكانوا ستّة نفر.

وفي السنة **١٣** من النبوّة، كانت **بيعة العقبة الثانية**، وهي الكبرى، وذلك عندما قدم اثنا عشر رجلاً من الأوس والخزرج، أي: عشرة من الخزرج واثنان من الأوس. فاجتمع بهم رسولُ اللّه عند العقبة أيضاً، فبايعهم، أي: عاهدهم. وتلا عليهم آية النساء.. فكانت هذه البيعة على حرب االعرب والعجم.

وفيها أيضاً تمّت **الهجرة إلى المدينة**، وقد أذِنَ بها محمّد لأصحابه، فهاجروا. ومكث بعدهم ينتظر أن يؤذَن له. وتخلّف معه عليّ بن أبي طالب وأبو بكر.. إلاّ أنّ قريشاً اجتمعوا في **دار الندوة** يتشاورون في ما يصنعون في أمر رسول اللّه وأصحابه.

ثالثاً - هجرته: في السنة **١٤** من النبوّة، كانت **الهجرة** في غرّة ربيع الأوّل. من مكّة إلى المدينة.

فيها كان بناء **مسجد قُبَاء**، ذاك الذي أُسِّس على التقوى؛ وهو أوّل مسجد بُني في الإسلام؛ قباء من ضواحي المدينة. وكانت **المؤاخاة** بين المهاجرين والأنصار، التي فيها قال النبيّ: «تآخَوا في اللّه أخوَين أخوَين». والمؤاخاة من خصائص النبيّ، ولم يكن ذلك لنبيٍّ قبله. وشرّع **الأذان**، بعد أن تشاور في ذلك مع أصحابه كيف يجمع الناس للصلاة. وأعرس بعائشة التي أخبرتْ : «تزوّجني رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وبنَى بي في شوّال. فأيّ نساء رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم كانت أحظى عنده منّي؟!».

وفي هذه السنة أيضاً، ابتدأت الغزوات. فكان فيها **غزوة الأبواء**، يعترض عيراً لقريش ولبني ضمرة؛ **وغزوة بواط** حيث يريد عيراً لقريش؛ **وغزوة العُشَيرة**

يريد عيراً لقريش، متوجّهةً للشام. يُقال إنّ قريشاً جمعتْ فيها جميع أموالها حتّى لم يبقَ بمكّة لا قرشيّ ولا قرشيّة له مثقال فصاعداً إلاّ بعثَ به في تلك العير؛ و**غزوة سفوان**، أو بدر الأولى، حيث لاحق سرْحَ كرز بن جابر الفهري..

وفي السنة **٢** من الهجرة، تزوّج علي بفاطمة، وتمّ **تحويل القِبلة** من القدس إلى الكعبة (رَ: ٢/١٤٢-٥)، وفرض **صومَ رمضان**، «و**صلاة الجماعة الأسبوعيّة**»؛ واتّهامه اليهود بإخفاء أجزاء من كتابهم المقدّس (رَ: ٢/١٤٦ و١٥٩ و١٧٤)؛ بل واتّهمهم بوضع آيات والزعم بأنّها من التوراة (رَ: ٢/٥٩؛ ٤/٤٦).

«ومع ذلك فقد ظلّ محمّد، كما كان في الماضي، لا يفكّر في تأسيس دينٍ جديد، وإنّما كان سعيه منصبّاً على إعادة الديانة الحقّة التي نادى بها الأنبياء منذ البداية... ومن الواجب أن يُنظر إليه (محمّد)، لا باعتباره «مؤسِّساً»، بل «مصدِّقاً» ومُعيداً لبناء صرح عقيدة التوحيد القديمة الحقّة التي نادى بها إبراهيم... فقد غدا إبراهيم الآن، الذي يزعم اليهود والنصارى معاً أنّه أصلُ عقيدتهم، الحنيفَ الأكبر وأوّلَ المسلمين، عكس الوثنيّين، بل والآن عكس أهل الكتاب[٣]. ونتيجة لرفض اليهود الإيمانَ به، أضحى للجماعة الإسلاميّة الناشئة طابع خاصّ واضح. وقد حدث تغيّر حاسم في مجرى الإسلام في السنة الثانية للهجرة (تموز ٦٢٣- حزيران ٦٢٤م).

وفيها أيضاً كانت **غزوة بدر الكبرى**، حيث دعا المسلمين قائلاً : «هذه عير قريش، فيها أموالهم. فاخرُجوا إليها لعلّ اللّه أن يَنْفَلكموها». ثمّ طلب من اللّه: «ألّلهمّ! إنّهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسِهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك. فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلاّ وجد له بعيراً أو بعيرَين. واكتسى مَن كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزوادهم. وأصابوا فداء الأسارى. فاغتنى به كلُّ عائل».

---

(٣) رَ: ٣/٦٧؛ ٢/١٣٥؛ ٣/٩٥ وغير ذلك من الآيات التي يبدو أنّها نزلت في السنوات الأولى بعد الهجرة إلى المدينة.

وفيهـا كانت وفاة **رُقَيّة** بنت النبيّ، زوجة عـثمان بن عـفّان. وفيهـا أيضاً فرض زكاة الفطر، وزكاة الأموال. وكذلـك أيضاً فيها كانت **غزوة بني قينُقاع**، وقد كانوا صاغةً أثرياء، وأكثر اليهود أموالاً وأشدّهم بأساً (رَ: ٥٩/ ١٤).

وفي السنة ٣ من الهجـرة، تزوّج عثـمان بن عـفّان **أمّ كلثوم** بنت محـمّد. واستمـرّت الغزوات والسرايا: فكانت **غزوة أُحُد**، ضدّ قريش، بقيـادة أبي سفيان. وقد خرجوا وخـرج معهم **أبو عامر الراهب**، الذي لقّبه رسولُ اللّه بـ**الفاسق**، لأنّه حفـر حفرة للمـسلمين وقع رسول اللّه فيـها، وقُتل حـمزة، وكثـرت القتلى. فكان الرجل والرجلان والثـلاثة يُدفنون في قبـر واحد[٤]. وكانت **غزوة حمـراء الأسد**، انتقاماً من قريش في غزوة أحد؛

فيها تزوّج رسول اللّه **حَفصة**، ثمّ **زَينب بنت خُزيمة**، ثمّ **زَينب بنت جحش**. وفيها أيضاً نزلت آيةُ **الحجاب** «وهي أدبٌ أدَّبَ اللّهُ تعالى به الثقلاء».

وفيها كانت ولادة **الحسن**، وحبل فاطمة بـ**الحسين**. و**تحريم الخمر**.

وفي السنة ٤ من الهجرة، كانت **غزوة بني النضير**، وهم قوم من اليهود؛ **وغزوة ذات الرقاع**، و**غزوة بدر الصغرى** ضدّ أبي سفيان؛

فيها تزوّج رسول اللّه **أم سَلَمة**. كما فيها كانت وفاة زينب بنت خزيمة.

وفي السنة ٥ من الهجـرة، كانت **غزوة دومـة الجندل**، و**غزوة المريـسيع**؛ **وغزوة الخندق**، و**غزوة بني قريظة**؛

فيها تزوّج رسولُ اللّه **جويريّة**؛

وفي السنة ٦ من الهجـرة، كانت **غزوة بني لحـيان**، و**غزوة بني المصطلق**، وقد حدثت، في طريق العودة منها، القصّة المشهورة عن عائشة وحديث **الإفْك** الذي هدّد بقـاءها زوجـةً للنبيّ لولا الآيات القـرآنيّـة التي برّأتْهـا (رَ: ٢٤/ ٤)، و**غزوة الغابة**، و**صلح الحديبيّة**؛

---

(٤) رَ: ٣/ ١١٨ و١٢٠-٢ و١٣٩-١٥٤.

فيها أمر محـمّد أتباعه بأن يُهيّئوا الذبائح للقيام بعـمرةٍ معه في مكّة، ذاكراً أنّ اللَّهَ قد وعده في رؤيا له بنجاح هذا الحلم القديم (ر: ٤٨/٢٧)..

وفيها تزوّج محمّد **أمّ حبيبة**؛ ونزل حكم **الظهار**، و**تحريم الخمر مرّة أخرى**.

وفي السنة **٧** من الهجرة، (٦٢٨-٦٢٩م) كانت **غزوة خيـبر**، و**فتح وادي القرى**، التي أصبـحت سبـباً في إثراء أمّة المسلمين لأوّل مـرّة: «وعدكم اللَّه مـغانم كثيرة تأخذونها» (٤٨/ ٢٠-٢١)، **وسريّة عمر بن الخطّاب** إلى طائفة من هوازن.

وفي أواخرها (مـارس ٦٢٩م) أدّى محـمّد **العمرة** التي نصّ عليـها صلح الحديبيّـة. وقد كان من بين الإنجازات المـهمّة التي حقّـقها خلال إقامـته هذه بمكّة مصالحته لعشيـرته من بني هاشم، وهي مصالحة توّجها زواجه من **ميمونة بنت الحارث** أخت زوجة عمّه العبّاس الذي كان وقتها سيّد العشيرة.

وفي السنة **٨** من الهجرة، كان إسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص..

فيها كانت **سريّة مؤتة**، التي قُتل فيها زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب؛ وفيها سرايا عدّة، و**فتح مكّة** دون قتال (رمضان ٨هـ/كانون أوّل ٦٢٩م)؛ واعتنق معظم أهلها الإسـلام؛ وأغدق عليهم العطايا السخِـيّة (ر: ٩/ ٦٠)؛ ولم يطلب منهم غـير تحطيم الأوثان داخل مكّة وحـولهـا. وقد جـاءت سورة النصـر (رقم ١١٠) معبّرة عن سعادته بهذا النصر، وسورة الفتح (ر: ٤٨/ ١-٣)؛ و**غزوة حُنين**، حيث « خرج أهلُ مكّة ركباناً ومشاةً حـتّى النساء يمشين على غير وهن، يرجون الغنائم، ولا يكرهون» (ر: ٩/ ٢٥-٢٦)؛ و**غزوة الطائف**.

وفيها كانت ولادة ولده **إبراهيم** من ماريّة القبطيّة؛

وفي السنة **٩** من الهجـرة (٦٣٠-٦٣١م)، قدوم أوّل **الوفود** على المدينة، وهو وفد هوازن؛ ثمّ **وفد نصارى نجران**؛ ووفد ثقيف؛ ووفد بني تميم؛ ووفد بني حنيفة ومعهم مُسَيلمة الكذّاب؛ ووفد كندة؛ ووفد ملوك حِمير... وأكثر من ٣٥ وفداً من مختلف أنحاء الجزيرة العربيّة.

وفيها كانت **وفاة زينب** بنت رسول اللّه.

وفيها كان إسـلام كعب بن زُهير، وهجرُه ﷺ لنسائه. و**غزوة تبّوك**، وهي آخر غزواته التي اشـترك فيها حوالي ثـلاثين ألفاً من أتباع النبيّ.. ؛ و**هدم مسجد الضرار** وإسلام ثقيف. ووفاة النجاشي. و**وفاة أم كلثوم** ابنته.

وفي السنة **١٠** من الهجرة (آذار ٦٣٢م)، بعث أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليـد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وعلي بن أبي طالب إلى اليمن، وأبا عبيدة بن الجرّاح إلى أهل نجران؛

فيها كانت **وفاة ولده إبراهيم**.

وفيها كان خروجه لـ**حجّة الوداع**، لأنّه فيها ودّع الناس ولن يحجَّ بعدها... ولمّا وصل إلى مكان اسمه **غَدير خمّ**، « حضّ على التمسّك بكتاب اللّه ووصّى بأهل بيته، فقال: إنّـي تارِكٌ فيكم الثَّقلَين: كتابَ اللّه وعَترَتي أهلَ بيتي. ولن تـتفرّقا حتّى تردّا عليّ الحوض»[٥].

وفي السنة **١١** من الهـجـرة، وهي السنة **٢٣** من النبـوّة، والأخـيـرة من حياته. اسـتعدّ محمّد، قـبل وفاته بشهر واحد، لقـيادة غزوة كبيـرة إلى شرق نهر الأردن بنفسه. غير أنّه في النهاية اختار **أسامة بن زيد** الشاب قائداً، ربّما من أجل تمكين أسامة من الانتقام لمقتل أبيـه زيد هناك. وقد شكا عدد من كبار المسلمين من اختيار محمّد لهذا الشاب الحدث قائداً لجيش مكلّف بمهمّة عسيرة...

وهنا مرض مـحمّد فـجأة.. **وتوفّي يوم ١٣ من ربيع الأوّل عام ١١ هـ/٨ يونيو عام ٦٣٢م**.. ولم يُخَلِّ محمّد وريثاً شرعيًا له يخلفه في الحكم. فاضطرّ كبار الصحابة ممّن كانوا لَصيقين به إلى اختيار قائد...

---

(٥). فيـها قـال عن علي: ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ (ردّد ذلك ثلاث مـرّات) . ثمّ رفع يد علي وقال: «مَن كـنتُ مولاه فعلـيٌ مولاه. اَللّهمَّ والِ مَن والاه، وعـادِ مَن عاداه، وأحبَّ مَن أحـبّه، وأبغض مَن أبغضـه، وانصر مَن نصره، وأعِنْ مَن أعـانه، واخذل مَن خذله، وأدرِ الحقَّ مـعه حيث دار» (السيرة الحلبيّة، ٣/٣٣٦).

ولمّا ثقل رسول اللّـه، اجتمع عنده رجـالٌ، فقال: «هلمّـوا أكتب لكم كـتاباً لا تضلّوا بعده أبداً». فقال عمر: إنّ رسولَ اللّه قد اشتدّ عليه الوجع وعندكم القرآن.

قالـت عائشـة: وصار صلّى اللّه عليـه وسلّم يدور على نسائـه. فاشتـدّ به المرض عند ميمونـة. فدعا نساءَه. فاستأذنهنّ أن يمرَّض في بـيتي. فأذِنَّ له. وكان يقول، وهو في بـيت ميمـونة: أين أنا غداً؟ أين أنا غـداً؟ يريد يوم عائشـة. فأذن له أزواجُه أن يكون حيث شاء. فكان في بيت عائشة. وكانت تقول أيضاً : «إنّ مِن نعم اللّه عليّ أنّ رسول اللّه توفّي وهو فـي بيتي وبين سحري ونحـري.. وإنّ اللّه جمع بين ريقي وريقه عند موته في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة».

وآخر ما عهد به رسول اللّه قوله: «لا يترك بجزيرة العرب دينان».

وسُجّي ﷺ فـدهش الناس، وجاء أبو بكر، فـقـبّل النبيّ، وقال: "يا أيّهـا الناس! مَن كان يعبد محمّداً فإنّ محـمّداً قد مات، «وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِه الرسُـلُ. أفَإنْ مَاتَ أو قُـتلَ انْقلَبتُم علَى أعـقابكم. ومن ينقلب على عـقبـيه فلن يضرّ اللّه شيـئاً. وسيجزي اللّه الشاكـرين» (٣/ ١٤٤)... ثمّ قال: «إنا للّه وإنّا إليه راجعون». صلوات اللّه وسلامه على رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم "[٦]...

رابعاً – ذكر أولاده : وُلد له من خديجـة، قبل البعـثة: **القاسم**، وهو أوّل أولاده. وبه كان يكنّى. قيل عاش سنتين. وهو أوّل من مات من ولده قبل البعثة. ثمّ ولد له قبل البعثة: **زينب**، ثمّ **رُقَيَّة**، ثمّ **أمّ كُلثوم**، ثمّ **فاطمة**. وقيل ولد له أيضاً قبل البعـثة : **عبد مناف**. وولد له بعد البـعثة، **عبد اللّه**. كمـا ولد له، في بطن واحدة : **الطاهر والمطهّر**. وقيل: ولد له أيضـاً في بطن واحدة : **الطيِّب والمطيَّب**. قيل: وكان بين كلّ ولدَين لخديجة سنة[٧]... وفي سنة ثمان من الهجرة، في ذي الحجة، ولدتْ له ماريّةُ القبطيّة ولدَه **إبراهيم**، الذي توفّاه اللّه سنة ١٠ هـ، ودفن بالبقيع.

خامساً – ذكر زوجاته : عُرف منهنّ : ١. خديجـة بنت خويلد؛ ٢. سودة

---

(٦) راجع في تلخيص سيرة النبيّ السيرة الحلبيّة، الجزء الثالث.

(٧) المرجع السابق نفسه، ٣/ ٣٩١–٣٩٣.

بنت زمعة؛ ٣. عائشة بنت أبي بكر الصدّيق؛ ٤. حفصة بنت عمر بن الخطّاب؛ ٥. زينب بنت خُزيمة العامريّة؛ ٦. أمّ سَلَمَة المخزوميّة؛ ٧. زينب بنت جحش الأسديّة؛ ٨. جُويريّة الخزاعيّة؛ ٩. صفيّة بنت حُييّ اليهوديّة؛ ١٠. أمّ حبيبة بنت أبي سفيان؛ ١١. ميمونة بنت الحارث الهلاليّة؛ ١٢. ريحانة بنت شمعون اليهوديّة؛ ١٣. ماريّة القبطيّة؛ ١٤. فاطمة بنت الضحّاك الكلابيّة؛ ١٥. ألعالية بنت ظبيان الكلابيّة؛ ١٦. ملَيكة بنت كعب الكنانيّة؛ ١٧. أسماء بنت النعمان الجوينيّة؛ ١٨. قُتيلة بنت قيس الكنديّة؛ ١٩. بنت جندب الجندعي؛ ٢٠. سناء بنت أسماء السُلَميّة؛ ٢١. ليلى بنت الخطيم الخزرجيّة؛ ٢٢. أمّ هانئ بنت أبي طالب؛ ٢٣. ضباعة بنت عامر القشيريّة؛ ٢٤. صفيّة بنت بشامة العنبريّة؛ ٢٥. أمّ شريك الإنصاريّة؛ ٢٦. أمامة بنت حمزة القرشيّة؛ ٢٧. خولة بنت حكيم السلَميّة؛ ٢٨. خولة بنت الهذَيل التغلبيّة؛ ٢٩. شراف بنت خليفة الكلبيّة؛ ٣٠. هند بنت يزيد الكلابيّة؛ ٣١. فاطمة بنت شرَيح الكلابيّة؛ ٣٢. عمرة بنت معاوية الكنديّة؛ ٣٣. عمرة بنت يزيد الكلابيّة؛ ٣٤. نعامة العنبريّة؛ ٣٥. نفيسة جارية زينب بنت جحش.. هذا عدا ما ملكت يمينه من سبايا الحروب والغزوات.

... «ولو جمعنا المزايا الزواجيّة التي تمتّع بها النبي، والمشار إليها في آيات عديدة من سورة الأحزاب، لاتّضحَ لنا حجمها المدهش. فقد كان له أن يتزوّج أكثر من أربع، وهو الحدّ الأقصى المتاح لبقيّة المؤمنين؛ وكان له أن يتزوّج بنات أعمامه وعمّاته وأخواله وخالاته اللاّتي هاجرنَ معه إلى المدينة. وكان له أن يتزوّج، دون صداق أو شهود، كلّ مؤمنة تهب له نفسها؛ وكان مستثنى من مبدأ العدل بين الزوجات ومَنْحِهنّ حقوقاً متساوية؛ فكان بمقدوره أن يرجئ أو يلغي نوبات أيّة زوجة من زوجاته؛ وإذا ما طلب يدَ امرأة، كان على أيّ متقدّم آخر أن يكفّ؛ وما كان لأحد أن يتزوّج من أرامله بعد وفاته. وفوق ذلك كلّه، فإنّ زوجات النبي لم يكن ليحقّ لهنّ أن يطلبن نفقةً أو يستكثرنها.

«وبخلاف ما تمتّع به النبي من ضروب المزايا والرُّخَص، فقد فُرضَت على زوجاته قيود إستثنائيّة. فهنّ لم يكنّ كبقيّة النساء؛ فما كان لهنّ أن ينكشفنَ لأعين

القوم؛ وكان عليهنّ أن يكلّمن الرجال من خلف حجاب؛ وكان عليهنّ أن يُمسِكْن عن زينة الجاهليّة؛ وكان عليهنّ أن يَرضَين بالنفقة التي تُمنَح لهنّ؛ وكان عليهنّ ألاّ يَشتكين إذا ما أُرجِئتْ نوباتهنّ أو أُلغيتْ أو اختلّ انتظامها؛ وكان عليهنّ أن ينسين أمر الزواج من غير النبيّ أبداً. فالجملة الأخيرة من الآية ٥٣، والتي تخاطب رجال المؤمنين، تقول صراحةً: «ومَا كانَ لكم أن تؤذوا رسولَ اللّه، ولا أن تنكحوا أزواجَه من بعده أبداً. إنّ ذلكم كان عند اللّه عظيماً». وفي التلمود ثمّة تحريم مماثل لزواج أرامل الملوك اليهود من بعدهم»[٨].

مُحَمَّد بن أبي بكْرِ الصِدِّيق (ت ٣٨هـ/٦٥٨م) : أمير مصر. من أنصار عليّ المتفانين في نصرته. شهد معه الجَمل وصفِّين. ولاّه علي على مصر بعد استدعاء قيس بن سعد. قتله معاوية بن حديج من قوّاد عَمرو بن العاص.

مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة (ت ٨١هـ/ ٧٠٠م) : إبن عليّ بن أبي طالب من زوجه خَولة. رأى بعضُ الشيعة إمامتَه بعد مقتل الحُسَين. وعُرِفوا باسم **الكَيسانيَّة**.

مُحَمَّد رَشِيْد رِضَا (رَ: رضا).

مُحَمَّد عَبْدُه (رَ : عبده).

المُخْتَارُ الثَّقَفِيّ (ت ٦٧هـ/ ٦٨٧م) : من زعماء الثائرين على الأمويّين، بعد انتهاء كارثة كربلاء. ثار في الكوفة طلباً بثأر الحُسَين. ثمّ تركها متوجِّهاً إلى الحجاز. وبعد أن هلك يزيد، عاد إلى الكوفة، وأخذ يطارد قتَلَةَ الحسين. قضى عليه مُصعَب بن الزُّبَير بعد حصاره في الكوفة.

المَدَائِن : موقع أثريّ في العراق، جنوبيّ بغداد، على ضفّتي دِجلة. فتحها العرب بعد معركة القادسيّة. نقل المنصور أنقاضها لبناء بغداد.

مُدْرِكَة بن اليَاس : قبيلة عربيّة من مُضر من عدنان. منها بطون كثيرة، أعظمها: هُذَيل، خُزَيمة، أسد، كِنانة، قُرَيش.

---

(٨)علي الدَّشتي، ٢٣ عاماً. دراسة في السيرة النبويّة المحمّديّة، ترجمة ثائر ديب، دار بترا، دمشق، ودار الفرات بيروت ط١ : ٢٠٠٤ (١٤,٥×٢١,٥سم)، ٢٨٨ ص. رَ: ص ١٧٣.

المَدِينَةُ المُنَوَّرَة : ١ . مدينة سعوديّة في الحجاز. هي يثرب قديماً. مقرّ محمّد بعد الهجرة. ورد اسمها في السور المدنيّة كاسم علم يُطلق على المقرّ الجديد للنبيّ[1]. ولا يرد الاسم القديم سوى مرّة واحدة (٣٣/١٣). وهي عاصمة الخلافة الإسلاميّة في عهد الخلفاء الرّاشدين.

٢ . تقع المدينة في الحجاز على بعد ١٦٠ كلم عن البحر الأحمر؛ و٣٥٠ كلم إلى الشمال عن مكّة. ويحدّها من الشمال والغرب جبل أُحُد وجبل عَيْر على بعد حوالي ٧ أميال.. تتميّز المدينة ومناطقها بوفرة الماء. وهي تربة خصبة جدًّا. تنمو فيها أشجار النخيل بكثرة، كما تنمو أيضاً أشجار البرتقال والليمون والرمّان والموز والخوخ والمشمش والتين والعنب. الشتاء فيها بارد، وصيفها حارّ. تحوط بها الآطام كبديل عن السور؛ يلجأ إليها السكّان في أوقات المتاعب.

٣ . يحتلّ اليهود دَوراً أساسيًّا في تاريخ المدينة. وكان عددهم كبيراً في تيماء، وخيبر، ووادي القرى، وفدك، ومقفا. مارسوا الزراعة وأنموها. ولعبت قبائل قينُقاع وقُرَيظة والنَّضير دوراً رئيسيًّا في صفوف يهود المدينة. وهناك أيضاً قبائل عربيّة اعتنقت اليهوديّة.

٤ . وبسبب تهديم سدّ مأرب رحلت قبائل من جنوب بلاد العرب نحو الشمال، ومنها قبيلتا «الأوس» و«الخزرج». كان هؤلاء يخضعون لليهود. ثمّ استقلّوا واستولوا على الحصون التي يشغلها اليهود، وبنوا حصوناً عدّة غيرها، وتعلّموا منهم الفنون «النبطيّة» وزراعة النخيل ومزاولة أعمال الزراعة المتنوّعة.

٥ . وكان بين القبائل اليهوديّة والعربيّة عداوة. كما كانت حروب بين قبيلتَي الأوس والخزرج.. وآخرها كانت وقعة **بُعاث** حيث أصيب الخزرج بنكسة شديدة.. فأعادتْ بُعاث التوازن بين القبيلتَين الرئيسيّتَين.. عندئذٍ كانت هجرة محمّد إلى المدينة، حيث نزل على الخزرجي أبي أيّوب خالد بن زيد. ولمّا استقرّ محمّد، وتفحّص أحوال المدينة وعلاقات القبائل المتناحرة بعضها مع بعض، وحدثت غزوة

---

(١) ر: ٩/١٠١ و١٢٠؛ ٣٣/٦٠؛ ٦٣/٨.

بَدر الحاسمـة، بدأ بإجلاء بني قينقاع عن البلدة وقريظة. وبذلك تخلّص محمّد من اليهود خلاصاً نهائيًا.

٦ . ومع صلح الحديبيّة (٦هـ/٦٢٨م)، أصبحت المدينة قوّة تعادل مكّة في الأهمّيّة. ولكنّ هذه المعادلة لم تكن ذات نتائج سليمة بالنسبة إلى العلاقة بين المهاجرين والأنصار؛ بل سوف تنشأ عداوة بينهما، وسوف تتفاقم بعد موت النبيّ. وعلى الفور، بعد وفاته،اجتمع الأنصار واختاروا الخزرجي **سعد بن عبادة** رئيساً لهم، بينما اقترح آخرون أن يقتسم الأنصار والمهاجرون الحكم. إلاّ أنّ التدخّل السريع من جانب عمر بن الخطّاب نجح في إحباط هذه الخطط التي تهدّد الإسلام، وحمل الناس على أن يبايعوا أبا بكر خليفة.

٧ . وأقام أبو بكر، وعمر، وعثمان في المدينة التي أصبحت بذلك عاصمة الإمبراطوريّة الآخذة في النموّ السريع. ودُفن أبو بكر وعمر كما دفن النبي من قبل تحت بيت عائشة؛ بينما حُملت جثّة عثمان في الظلام إلى الجبّانة اليهوديّة وسط عبارات التعنيف وإلقاء الحجارة. ولمّا جاء علي أحدث تغييراً كاملاً بالنسبة إلى المدينة.. ثمّ تركها وخرج منها سنة ٣٦هـ/٦٥٦م. واتّخذ من الكوفة عاصمة له.. وبعد انتصار معاوية حلّت محلّها دمشق.

المدينة هي، بالنسبة إلى المسلمين، ثانية البلاد المقدّسة الإسلاميّة، وفيها ثاني الحرَمَين، وقبر النبيّ، ومقابر جمْع من الصحابة.

المَذاهِبُ الفِقْهِيّة : حكم الاجتهاد في الإسلام مشروع؛ فقد اجتهد صحابة رسول اللّه والتّابعون في كلّ ما لم يجدوا فيه نصّاً من الكتاب أو السنّة، فنشأ عن هذا الاجتهاد اختلافٌ في الرأي... فتعدّدت المذاهب الفقهيّة، وأشهرها ثمانية:

١- المذهب الجعفري،

٢- المذهب الزيدي، وهما للشيعة؛

٣- المذهب الإباضي للخوارج؛

٤- المذهب الظاهري؛

٥- والحنفيّة،

٦- والمالكيّة،

٧- والشافعيّة،

٨- والحنبليّة، وهي لأهل السنّة والجماعة.

مَذْحِج: قبيلة عربيّة قَحطانيّة من كَهلان. منها: الحارِث، وبَجيلة، وخَولان.

المَذيُّ: لغةً: ماء رقيق يخرج عند الملاعبة، أو التذكّر، ويُضرب إلى البياض. اتّفق الفقهاء على أنّ خروج المذيّ ينقض الوضوء، ولكنّه لا يوجب الغسل، لحديث سهل بن حنيف قال: «كنتُ ألقى من المذي شدّةً وعناءً، وكنتُ أُكثرُ منه الغسلَ، فذكرتُ ذلك لرسول اللّه، فقال: إنّما يجزئكَ من ذلك الوضوء»[1].

المُرَابِطُون: ١. إسم مؤسّسي الدولة الإسلاميّة التي قامت في بلاد المغرب والأندلس في القرنين ٥ و ٦ هـ/ ١١ و ١٢ م. يشتقّ اسمهم ممّا جاء في القرآن: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! اصبِروا وصَابِروا ورَابِطُوا» (٣/ ٢٠٠). أمّا أصلهم فيرجع إلى اتّحاد قبائل صَنهاجة، وجُدالة، ولمتونة، ومَسُّوفَة، وتارجا، وجَزولة، وبني وارث البربريّة ضدّ قبيلة زناتة. وكان قائدهم في ذلك يحيى بن عمر اللمتوني.. ولمّا قُتل يحيى عام (٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م) خلفه أخوه أبو بكر بن عمر، يُعينه ابنُ عمِّه **يوسف بن تاشُفِين**، الذي تسلّم قيادة المرابطين عنه راضياً.

٢. وكانت قاعدتهم مدينة مَرَاكُش. منها انطلقوا نحو التوسّع والسيطرة والقوّة في بلاد المغرب. وكانت أوضاع بلاد الأندلس، تحت حكم الطوائف، تمضي من سيّءٍ إلى أسوأ، حتّى سقطت عاصمتهم **طليطلة** في أيدي النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. واتّجهت أنظار أهل الأندلس نحو إخوانهم المرابطين لإنقاذهم. فلم يتردّد يوسف بن تاشفين في تلبية ندائهم. فكانت معركة الزلاّقة الشهيرة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م حيث انتصر على النصارى بقيادة ألفونسو ٦ ملك قشتالة.

---

(١) أخرجه أبو داود ١/ ١٤٥؛ الترمذي ١/ ١٩٧. هذا حديث حسن صحيح.

٣ . ولمّا تجدّدت المناوشات بين ملوك الطوائف قرّر ابنُ تاشُفين دخول الأندلس وعزْلَ ملوكِ الطوائف وضمَّها إلى دولة المرابطين، وذلك سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٨٩م.. ثمّ هزم ألفونسو ٦ ملك قشتالة، في معركة قرب كنشرة سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م. ولم يلبث بعدها أن توفي ابنُ تاشفين سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وتولّى بعده ابنُه **عليّ**، الذي لم يكن أقلّ جهاداً واستبسالاً من أبيه في الدفاع عن الإسلام.. وامتدّ حكمهم حتى سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م، حيث انتهت دولتهم لتحلّ محلّها في المغرب والأندلس دولة **الموحّدين**[1].

المُرَاجَعَة : منها: مراجعة الرجل أهله بعد الطلاق. وهي حقّ للزوج لقوله: «وبُعُولَتُهُنَّ أحقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذلكَ إنْ أرادُوا إصْلاحاً» (٢/٢٢٨). وتكون المراجعة واجبة، عند الحنفيّة والمالكيّة، إذا طلّق الرجل امرأتَه طلقةً واحدةً في حالة حيض.

المَرَاغِيّ (محمّد مُصطفى) (ت ١٩٤٥م) : شيخ الأزهر (١٩٣٥-١٩٤٥). جدّد برامج التعليم. من آثاره: «بحوث في التشريع الإسلاميّ»؛ و«تفسير» بعض آيات القرآن.

المَرْأة : نستعرض ما جاء في القرآن من تعاليم في شأن المرأة بحسب ما كتب الدكتور كامل النجّار في كتابه «قراءة منهجيّة للإسلام». قال :

١ . يعلّم القرآن أنّ الرجال **قوّامون** على النساء ومسلّطون عليهنّ. ويحقّ لهم تأديبهنّ، إذ هم متفوّقون عليهنّ. قال: «الرِّجالُ قَوَّامُونَ (أي مسلّطون) على النّساء (أي يؤدِّبوهنّ ويأخذون على أيديهنّ) بما فضَّل اللّهُ بعضَهُم على بعض (أي بتفضيله لهم عليهنّ بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك)، وبما أنفقوا (عليهنّ) مِنْ أمْوَالِهِم» (٤/٣٤). وأكّد ذلك بأنّ الرِّجال فوق النساء درجة، أي هم أفضل منهنّ من حيث الطبيعة، وعمل البرّ. قال: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الّذي عَلَيهِنَّ بِالمَعْرُوفِ. وَلِلْرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ. وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (٢/٢٢٨).

---

(١) راجع مادّة: المرابطون، د. محمّد جبر أبو سعدة، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٢٧٧-١٢٧٩.

٢ . ويعلّم القرآن أيضاً أنّ المرأةَ لا تتساوى مع الرّجل في **موضوع الإرث**؛ بل هي دونه؛ بل كلّ ذكر يساوي أنثيين. قال: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أولادِكُمْ : للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ» (٤/ ١١).

٣ . وكذلك يعلّم القرآن أنّ المرأةَ لا تتساوى مع الرّجل في **الشهادة**؛ فكلّ رجل يساوي امرأتَين. وإنْ كان الشهود كلّهم نساء فلا تصحّ الشهادة؛ بل يجب أن يكون بينهنّ أقلّه رجل. قال: «...وَاسْتَشْهِدوا شَهِيدَينِ (أي شاهِدَين) مِنْ رِجالِكمْ (من المسلمين البالغين). فَإِنْ لمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَونَ مِنَ الشُّهَدَاء» (٢/ ٢٨٢). والإسلام يعتبر المرأة ناقصةَ عقلٍ ودين. وبما أنّها ناقصة عقل فهي أقرب إلى أن تُضلّ من الرجل، ولذلك جعل اللّهُ شهادةَ امرأتَين كشهادة رجل واحد.

٤ . يعتبر القرآنُ المرأةَ كإحدى **ممتلكات الرّجل**. والمرأة مثلها مثل الذهب والفضّة والخيل وما سواها ممّا يشتهي الرجلُ امتلاكه. قال : «زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِين وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطرةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وَالخَيلِ المسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ (أي الإبل والبقر والغنم) وَالحَرْثِ (أي الزرع). ذلك مَتَاعُ الحَياةِ الدُّنْيَا (يتمتّع فيها ثمّ يفنى). واللّهُ عندَهُ حُسْنُ المَآبِ (أي المرجع، وهو الجنّة فينبغي الرغبة فيه دون غيره)» (٣/ ١٤).

٥ . وكذلك يعتبر القرآنُ **المرأةَ نَجِسةً**. وعلى الرّجل، إنْ لامَسَها قبلَ الصلاة، حتّى ولو كانت زوجتَه، أنْ يتطهّر. قال: «يَا أيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا! لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ، ولا جُنُباً (بإيلاجٍ أو إنزال)، إلاّ عَابِرِي سَبِيلٍ (أي مسافرين)، حَتَّى تَغْتَسِلُوا، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى (مرضاً يضرّه الماء)، أو عَلَى سَفَرٍ، أو جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ (هو المكان المعدّ لقضاء الحاجة)، أو لامَسْتُمُ النِّسَاءَ (باللمس أو بالجماع) فَلَم تَجِدوا مَاءً، فَتَيَمَّمُوا (أقصدوا) صَعِيداً طَيِّباً (تراباً طاهراً)، فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُمْ. إنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غفوراً» (٤/ ٤٣). وردّد ذلك أيضاً في سورة المائدة (٥/ ٦).

٦ . يعلّم القـرآنُ أنّ للرجل الحقَّ في **تأديب امرأته**، بأن يضـربها، وأن لا يمتّعها. قال: «.. وَاللاّتِي تَخَافُونَ نُشُـوزَهُنَّ (أي عصيانَهنّ لكم بأنْ ظهرت أمارتُه) فَعِظُوهُنَّ (أي فـخوِّفوهنّ اللّهَ)، وَاهْجُـرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ (أي اعتـزلوا إلى فراشٍ آخر إنْ أظهرنَ النشوز)، وَاضْرِبُوهُنَّ (ضرباً إنْ لم يرجعْنَ بالهجران)» (٤/ ٣٤).

٧ . وقـال رسول اللّه : "المرأةُ لا تؤدّي حقَّ اللّه حـتّى **تؤدّي حقَّ زوجـها**، حتّى لو سألَها وهي على ظهر قتبٍ لم تمنعْه نفسها" . وسُئل ﷺ: "أيّ الناس أعظم حـقّاً على المرأة؟ قـال : زوجـها. قـيل : فـأيّ الناس أعظم حقّـاً على الرجل؟ قـال: أمّه "[٢]. وقال أيضـاً: «للّذينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ (أي يحلـفون أن لا يجامـعوهنّ)، تَرَبُّصُ (انتظار) أَرْبَعَةِ أشْهُـرٍ. فَإنْ فَاؤُوا (أي رجعوا فيهـا أو بعدها عن اليمين إلى الوَطْءِ)، فَإنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٣٢/ ٢٢٦).

٨ . يفرض القرآنُ على المرأة في حياتها العامّة **الحجاب**، ويُلزمها الحشمةَ والضعـة وعدم التبـرّج. قال: «وَقُلْ للمُؤْمِنَاتِ يَغْـضُضْنَ مِنْ أَبْصَـارِهِنَّ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَـهُنَّ، ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ مَـا ظَهَرَ مِنْهَا (وهو الوجـه والكفّان فيـجوز نظره لأجنبيّ إنْ لم يخفْ فتنة). وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُـرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ (أي يسترْنَ الرؤوسَ والأعناق والصدور بالمقـانع). ولا يُبْدِينَ زينَتَـهُنَّ إلاّ لِبُعُولَتِـهِنَّ (أي أزواجهنّ)، أو آبَائهنّ أو...» (٤/ ٣١)[٣].

وقـال أيضـاً: «يَا أَيُّهَـا الـنَّبِيُّ! قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـاءِ المُـؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلابِيـبِهِنَّ (جمع جلباب وهي الملاءة التي تشـتمل بها المرأة). ذَلكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ (بأنّهنّ حـرائر)؛ فَلا يُؤْذَيْنَ (بخلاف الإماء). وَكَـانَ اللّهُ غَفوراً رَحـيماً» (٣٣/ ٥٩).

٩ . يسمح القرآنُ للرجل بالزواج من **أربع نساء** في آنٍ معاً، مع ما يُضاف إليهنّ من سبايا الغزوات وملْكِ اليمين. قال: «وَإنْ خِفْتُمْ ألاّ تُقْسِطُوا (أي تعدلوا) فِي

---

(٢) عن الجلالين في تفسيرهما على ٤/ ٣٤.

(٣) أنظر الآية حيث أسماء الذين يمكنهنّ إبداء زينتهنّ...

اليَتَامَى فَـانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ ورُبَاعَ. فإِنْ خِـفْتُم ألاَّ تَعْدِلُوا فَـوَاحِـدَةً، أو (اقتـصـروا على) مَـا مَلَكَتْ أَيْمَـانُكُمْ (إذْ ليس لهـنّ من الحقـوق مـا للزوجات). ذلكَ أدْنَى (أقرب إلى) ألاَّ تَعُولُوا (أي تجوروا)» [٤].

«نعرف أنّ الـذي حُلّل أكثر من الـذي حرّم من النســاء للمسلم».. فـقد أحلّ للرجل أربع زوجات في عـصمتـه في آن واحد. والغريب في الأمـر أنّ قوله: «وإنْ خفتمْ ألاّ تقسطوا في اليتامى فـانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإنْ خـفتـم ألاّ تعدلوا فـواحدة» (٤/ ٣)؛ وقـوله: «ولن تستطيـعوا أن تعـدلوا بين النساء ولو حرصتم» (٤/ ١٢٩). فاللّه الذي يعلم كلَّ شيء قال لنا: ولن تعدلوا بين النساء ولو حـرصتم. وكذلك يقول: وإنْ خـفتم ألاّ تعدلوا فواحـدة. فلماذا إذاً أحلّ للمسلمين أربعة أزواج، وهو يعلم أنّهم لن يعدلوا ولو حرصوا؟

وفي قوله: «والمحـصنات من النساء إلاّ ما ملكتْ أيمانُكم. كـتاب اللّه عليكم. وأحلّ لكم ما وراء ذلك أن تبـتغوا بأموالكم مـحصنين غير مـسافحين..» (٤/ ٢٤). فقـد حرّم عليهم المحصـنات، أي المتزوّجات من النســاء، إلاّ ما ملكت أيمانكم. وهذا يعني: إذا أَسَرَ الرجلُ المسلمُ امرأةً في إحدى الغـزوات، وكانت هذه المرأة متزوّجة، يحلّ له أن يعـاشرها جنسـيًا، لأنّـها مِن مـا ملكت يمينه. وينطبق هذا على النســاء اللاّئي يشتريهنّ بماله. وطبعاً ليس هناك أي عدد محدّد لما يمكن للرجل أن يشتري، أو يسبي من النساء، إضافة إلى زوجاته الأربع، اللاّئي يمكن له أن يغيّر أيًا منهنّ».

١٠ . ويجـيز القـرآن ما يُسـمّى بـ «**زواج المتـعة**»، وهو زواج موقّت، أو منقطع، يكون لوقتٍ محدّد، ولقاء أجرٍ محدّد أيضاً. قال: «... فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً. وَلا جُنَاحَ عَلَيكُمْ فِي مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ. إنّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً» (٤/ ٢٤ب).

---

(٤)سورة النســاء ٤/ ٣. إنّ إنعاماً خـاصـّاً أعطي لمحمّـد، فسُمح له، بحـسب القرآن، أن يكون له نساء قـدر ما يشـاء. فنسب إليه أكثـر من ثلاثين زوجة. هذا عـدا السبايا ومـا ملكت يمينه. راجع كتاب رغبات النفس والجسد.

وكأنّ الزواجَ من أربع نساء لا يكفي، إذ يمكن للرجل المسلم أن يستمتع بامرأة إضافيّة لعدد محدّد من الأيّام أو الشهور إذا اتّفق معها على أجْر معيّن لقاء استمتاعه بها. وهذا ما يُعرف بزواج المتعة. فيذكر ابن كثير في تفسيره عن أبي سعيد الخدري قال: «أصبنا سَبياً من سبي أوطاس ولهنّ أزواج، فكرهنا أن نقع عليهنّ ولهنّ أزواج، فسألنا النبي (ص)، فنزلت الآية: «والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم» (٤/ ٢٤). فاستحللنا فروجهنّ. وهكذا رواه الترمذي.

وعن قيس بن عبد الله قال: كنّا نغزو مع رسول الله (ص) وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟! فنهانا عن ذلك. فرخّص لنا بعد ذلك أن نتزوّج المرأة بالثوب. ثمّ قرأ: « يا أيّها الذين آمنوا! لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّهُ لكم» (٥/ ٨٧).

١١ . يعتبر القرآنُ الزوجةَ **غَرَضاً للمتعة الجنسيّة**. وقد لا يرى فيها إلاّ هذا الغرض، بدليل قوله : «نِسَاؤكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ. فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ (من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار»[٥]...

١٢ . ويجيز القرآن للمسلمين أن **ينكحوا السبايا** حتّى وإنْ كان لهنّ أزواج. قال: «وَ (حرمت عليكم) الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ (أي ذوات الأزواج قبل مفارقة أزواجهنّ، حرائرَ مسلماتٍ كنّ أو لا)، إلاّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (من الإماء بالسبي، فلكم وطؤهنّ، وإنْ كان لهنّ أزواج في دار الحرب؛ ولكن، طبعاً، بعد الاستبراء)» (٤/ ٢٤أ).

١٣ . ثمّ إنّ القرآنَ يجيز للمسلمين **نكاحَ الإماء** لِمَن لم يستطع نكاح المحصنات المؤمنات؛ ولكن شرط أخْذ إذْن أهلهنّ، وإعطائهنّ أجورهنّ: «واللّهُ أعلَمُ بإيمَانِكُمْ (إذ رُبَّ أَمَةٍ تفضلُ حرَّةً. وهذا تأنيس بنكاح الإماء) بَعضُكُمْ مِنْ بَعضٍ (أي أنتم وهنّ سواءٌ في الدِّين. فلا تستنكفوا من نكاحهنّ). فَانْكِحُوهُنَّ بِإذْنِ أَهْلِهِنَّ (مواليهنّ). وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بالمعروف (أي من غير مطل ونقص)» (٤/ ٢٥أ).

---

(٥) سورة البقرة ٢/ ٢٢٣. إنْ تعبير "أنَّى شِئْتُمْ" يعني، عند بعض المفسّرين، كالبخاري وابن عمر، سماحاً للرجل بأن يأتي امرأتَه كيفما شاء، في موضعها الطبيعي أم غير الطبيعي.

١٤ . يعلّم القرآنُ أنّه يحقّ للرجل المسلم **أن يُطلّقَ امرأته** بمجرّد قـوله لها طالقـة. هذا الحقّ لا تملكه المرأة. بل هو حقّ للرجال مـن دون النساء: «وَإِنْ عَـزَمُوا (الرجـال) الطَّلاقَ فـإِنَّ الـلَّهَ سَـمِـيعٌ عَلِيمٌ» (٢/٢٢٧). وقـال عن حـقّ النّبيّ في الطلاق: «عَسَـى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ (أي إنْ طلّق النّبي أزواجَه) أَنْ يُبْـدِلَه أَزْوَاجاً خَـيراً مِنْكُنَّ» (٦٦/٥).

١٥ . ويعلّم القرآنُ أيضاً أنّه، إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثَ مرّات، لا يسعه **أن يُعيدَها** إليه شرعـاً إلاّ بعد أنْ تعقدَ زَواجـاً مكتملاً مع آخر، ثمّ يُطلّقهـا هذا، فعندئذ تعود إلى زوجـها الأوّل. قال: «فـإِنْ طَلَّقَهَا، فـلا تَحِلُّ لَه مِنْ بَعْدُ حَـتَّى تَنْكِحَ زَوجاً غَيـرَه (ويطأها). فـإِنْ طَلَّقَهـا (أي الزوجُ الثاني) فـلا جُناحَ عليهـما (أي الـزوجة والزوج الأوّل) أن يَتَرَاجَعا (إلى النكاح بعد انقضاء العدّة)» (٢/ ٢٣٠).

١٦ . **وأد البنات** : «وأمّا قصّـة وأد البنات فلم تكن متفشّيـة في كلّ القبائل العربـيّة، ولا حتّى فـي قبائل مـعيّنة، وإلاّ لانقـرضت تلك القـبائل؛ وربّمـا انقرض العرب كلّهم منذ أمد بعيـد قبل ظهور الإسلام لو كانت العادة متفشّـية فيهم وقتلوا بناتهم وهنّ صغيرات.

ربّما كان هناك بعض الرجال ممّن يقتلون بناتهم خـشية إملاق (فقر)، ولم يكن قتل الأطفال محـصوراً بالبنات فقط؛ بل كانوا يقتلون الأولاد كـذلك، كما يبيّن لنا القـرآن في قوله: «ولا تقـتلوا أولادَكم خشيـة إملاق. نحن نرزقـهم وإيّاكم. إنّ قـتْلَهم كـان خطأ كبـيـراً» (١٧/ ٣١). فقـتْل الأولاد والبنات كـان يقـوم به بعض الأشخـاص خوف الفقر والإمـلاق. وقد رأينا أنّ أحدَ الأحناف، وهو زيد بن عـمرو بن نفيل بن عـبد العُزّى من قريـش، كان يقول للرجل إذا أراد وأْدَ ابنته: «مـهْلاً. لا تقتلْهـا. أنا أكفيك مؤونتـها». وكان الأب يعطيه ابنتَـه. وهذا يدلّ على أنّ الوأد كان بسـبب الفقـر، وليس لأنّهم كانوا يستـاءون من البنات. ولو كـانوا يستـاءون من البنات لما جعلوا آلهـتَهم إناثاً مثل اللاّت والعـزّة ومناة، ولما سمّوا الملائكة بأسـماء الإناث كما يخبرنا القرآن.

وكذلك تخبرنا كتب السيرة أنّ الجاهليّين كانوا يتزوّجون عشر نساء، أو أكثر، حتّى جاء الإسلام، وحدّد عدد الزوجات بأربع. فلو كان هذا صحيحاً من أين أتوا بكلّ هؤلاء النساء حتّى يستطيع الرجل منهم أن يتزوّج عشر نساء، إذا كانوا يقتلون بناتهم عند الولادة؟ ألمنطق يخبرنا أنّهم إذا وأدوا بناتهم فسيكون عدد الرجال أكبر بكثير من عدد النساء، وبالتالي قد يكون من نصيب المرأة الواحدة عدّة رجال. ولكن، بما أنّ عدد النساء كان كبيراً، فقد تيسّر لبعضهم أن يتزوّج عشر نساء. فإذاً، وأد البنات، إذا حدث، كان محصوراً في جيوب صغيرة فقط، وكان بسبب الفقر.

١٧ . **بنات الله** : والقرآن نفسه لا يُعامل المرأة معاملة كريمة بدليل أنّ عدداً من الآيات تجعل الله يبدو وكأنّه يستعفّ أن تكون له البنات وللأعراب الأولاد. ولذا نجد عدّة آيات في القرآن تسأل الجاهليّين إنْ كان الله قد اصطفاهم بالبنين واتّخذ لنفسه الإناث[٦].

١٨ . على المرأة أن **لا تترك بيتَها** إلاّ للضرورة القصوى. ويجب أن تغطّي كلَّ جسمها ورأسها بحيث لا يبدو منها غير الوجه واليدين، ويجب ألاّ تلبس زينةً، أو تتطيّب بطيب، حتّى لا يطمع بها الرجال (رَ: ٢٤/٣١). وفي حديث رواه أبو داود والنسائي: «كلّ عينٍ زانية. والمرأة إذا استعطرتْ فمرّت بالمجلس فهي زانية».

ولا يصحّ للمرأة المسلمة أن تكشف عن جسمها حتّى أمام النساء غير المسلمات، لئلاّ يصف هؤلاء النساء غير المسلمات لرجالِهنَّ ما رأينَ من جسم المرأة المسلمة، فيطمع الرجالُ غيرُ المسلمين بالمرأة المسلمة. وكتب الخليفة عمر بن الخطّاب إلى أبي عبيدة بن الجرّاح: «أمّا بعد، فإنّه بلغني أنّ نساءً من نساء المسلمين يدخلن الحمّامات مع نساء أهل الشرك، فإنّه من قِبَلِكَ، فلا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخرِ أن ينظر إلى عورتها إلاّ أهلُ ملّتِها»[٧].

---

(٦) رَ: ١٧/٤٠؛ ١٦/٥٧؛ ٥٢/٣٩؛ ٥٣/٢١ و٢٧؛ ٣٧/١٤٩؛ ٤٣/١٦ و١٩.

(٧) د.كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص٢٠٥–٢٠٦.

١٩ . **صوت المرأة** : «لم يكتفِ الإسلامُ بالحجاب، بل فرض قيوداً حتّى على صوت المرأة حينما تتحدّث، فاعتبر صوتَها عورةً، ويجب ألاّ ترفعه إذا تحدّثت.

٢٠ . **تبرّج المرأة** : «أمر الإســلامُ نساء النبيّ، وبالتالــي نساءَ المسلمين، ألاّ يتبرّجنَ تبـرّج الجاهليّة الأولى. فقال مـجاهد في شرح التبـرّج: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجـال، فذلك تبرّج الجـاهليّة. وقـال بعضـهم: إنّ المـرأة، إذا مشت في وسط الطريق وهي مرتدية الـحجاب، يُعتـبر هذا تبرّجاً، ولذا يجب أن تســير المرأة بالقرب من الجدار حتّى يحتكّ ثوبُها به».

٢١ . **تُمنع** المرأة المسلمة من أن تكون شـاهدةً في قضيّةِ قتلٍ، أو أيّ قـضيّةٍ جنائيّة تسـتوجب القـتل. وكذلك يُحرَّم عليـها أن تكون قاضــيةً بالمحكمـة، حتّى لو حفظت القرآن عن ظهر قلب، وفاقت الرجـال في أمور الفقه. ويجب ألاّ تؤمَّ الرجالَ في الصلاة، ولا تكون رئيـسةَ دولة. وهناك حديث مـتعارف عليـه يقول: «لا يُفلح قومٌ ولّوا أمرَهم امرأة».

٢٢ . ليس للمرأة غـير المسلمة، التي يتزوّجـها رجلٌ مسلم، **أيُّ حقوق** في الإســلام. فإذا مـات عنها زوجـهـا فليس لها حقٌّ في المـيراث، وليس لهـا حقٌّ في حضـانة أطفالها.

٢٣ . «والمرأة **ليس لها أيُّ قولٍ أو رأيٍ** في ما يحدث لها حـتّى في العلاقات الجنسيّة التي تتـعلّق بجسدها. فالإسلام، كـاليهوديّة قبله، يعتبـر المرأة نجسة إذا كانت حائضاً أو نفساء. وعليـه لا يجوز لها أن تصـوم، أو تصلّي، أو حتّى أن تلمس المصحف وهي حـائض... ولمّا سأل المسلمون الأوائل النبيَّ عن المحـيض نزل قوله: «ويسألونك عن المحـيض. قل هو أذى. فاعتـزلوا النساءَ في المحـيض. ولا تقربوهنّ حـتّى يطهرن. فـإذا تطهّـرن فأتوهنّ مـن حيث أمـركم اللّه. إنّ اللّه يحبّ التـوّابين ويحب المتطهّرين» (٢/ ٢٢٢).

٢٤ . **عقوبة المرأة** : «والإسلام قد حـدّد عقوبة للمرأة التي تأتي بفـاحشة غير العـقوبة التي حدّدها للرجل. فـفي قوله: «واللاّئي يأتِينَ الفاحشـةَ من نسائكم

فاستشهدوا عليهنَّ أربعة منكم. فإنْ شهدوا فامسكوهنّ في البيوت حتّى يتوفّاهنَّ الموت، أو يجعل اللّهُ لهنَّ سبيلاً» (٤/ ١٥). وكان هذا قبل أن يفتي الخليفة عمر بن الخطّاب بالرجم، رغم أنّ الرجم ليس في القرآن، ولكنّه قال: إنّ النبيّ رجم. ويجب على المسلمين أن يرجموا. فعقوبة المرأة قبل الرجم كانت أن تُمسَك في بيتها لا تخرج منه حتّى يتوفّاها الموت.

أمّا العقوبة للرجال فتختلف كلّ الاختلاف: ففي الآية ١٦ من نفس السورة (النساء) نجد: «واللّذان يأتيانها منكم فأذوهما. فإنْ تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما. إنّ اللّه كان توّاباً رحيماً». فالرجل إذا ارتكب إثم اللواط مع رجل آخر، فأذوهما، أي أضربوهما بالنعل. فإن تابا فأعرضوا عنهما. فالرجال لا يُحبسون في بيوتهم حتّى يتوفّاهم الموت، رغم أنّ اللواط كان سبباً كافياً للّه أن يخسف الأرض بقوم لوط. ولكنّ اللّه «كان توّاباً رحيماً» للرجال، كما يبدو. أمّا النساء فيجب أن يكمّلن مدّة عقوبتهنّ».

٢٥ . الأمَة : «والأمة لا حقّ لها في الإسلام، فحتّى لو كانت متزوّجة وباعَها سيّدُها تُعتبر طالقةً، ولا حقّ لها، أو لزوجها في الاعتراض. وسيّدُها الجديد أحق ببضعها. والأمَة لا يجوز لها أن تتزوّج إلاّ بإذن سيّدها. ولكن، إذا كانت مملوكةً لامرأة، فلا يمكن لمالكتها أن تزوّجها. ولا بدّ لزوج المالكة أو وليّ أمرها أن يعطي الموافقة بزواج الأمة. وحتّى المرأة الحرّة لا يمكنها أن تزوِّج نفسَها. فالآية ٢٥ من سورة النساء تقول: «فانكحوهنَّ بإذن أهلهنّ».

والحديث يقول: «لا تزوِّجُ المرأةُ المرأةَ، ولا المرأةُ نفسَها. فإنّ الزانية هي التي تزوِّج نفسَها». وغنيٌّ عن القول أنّ المرأة المسلمة التي تمتلك عبيداً لا يحقّ لها أن تنكح واحداً منهم أو أكثر، حتّى وإنْ لم تكن متزوّجة. فهم ممّا ملكت يمينها، لكنّها، عكس الرجل، لا يحقّ لها الاستمتاع بما ملكت يمينها».

٢٦ . فرْج المرأة لا المرأة : «والمرأة في الإسلام هي «فرْج» لا أكثر ولا أقلّ. والكلام عن المرأة دائماً يكون عن الفرْج. فأبو سعيد الخضري، عندما تكلّم عن

سبايا أوطاس، قال: «فاستحللنا فـروجَهنَّ». ولم يقل: «استحللنا النساء». والقرآن والعلماء المسلمون لا يقولون: تزوّج فلانٌ فـلانةً»، وإنّما يقولون: «نَكَحَها». وعندما يذكـرون قصّـة حفصـة بنت عـمر بن الخطّاب زوجـةِ النبيّ، عندما دخلت بـيتَـها ووجدتْ مع النبيّ مـاريّة القبطيّة، قـالوا: «دخلت عليه وهو يطأ مـاريّة». والإنسان يطأ الشيء بقدمِه أو بنعله. ويُعتبر الشيء الموطوء تافهاً ولا قيمة له.

والرسول في حـجّة الوداع قال: «إتّقـوا اللّهَ في النساء. فـإنّكم أخذتموهنّ بأمانة اللّه، واسـتحللتم فروجَـهنّ بكلمة اللّه. ولكم عليهنّ ألاّ يوطئن فـرشكم أحداً تكرهونه. فإنْ فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرّح»[8]. فالرسول هنا يقول: «قد استحللتم فروجهنّ»، ولم يقل: حبّهنّ أو صداقتهنّ؛ وإنّما فروجهنّ».

٢٧ . **إمتـحان المرأة في إسلامـها** : «والإسلام دائمـاً يعامل المرأة مـعاملة تختلف عن معاملة الرجل... فإذا جاء رجل وقال للمسلمين إنّه قد أسلم، فلا امتحان عليه. ولكـن، إذا جاءت امرأة وقـالت إنّها أسلمت، يجب أن نمتـحنها لنعـرف مدى صدقهـا، رغم أنّ اللّه قال في الآية «إذا جاءكم المؤمنات»، فـهو قد علم مسـبقاً أنّهنّ مؤمنات، وخاطبهنّ بـ «المؤمنات»، ولكن يجب أن نمتحهنّ» (رَ:٦٠/ ١٠ وما بعد).

٢٨ . **المرأة سلعة** : «والإسلام دائماً يعامل المرأة على أساس أنّها سلعة تُباع وتُشترى. ولها ثمنها. فاللّه يقول للمـسلمين: إسألوا الكفّار كم أنفقوا. واعطوهم ما أنفقوا. وامسكوا النساء عندكم. وانكحـوهنّ. وإذا واحدة من نسـائكم ذهبتْ للكفّار، أطلبوا منها ما أنفقتم عليها».

٢٩ . **بكارة المرأة** : «ومـا دامت المرأة «سلعـة»، ولها ثمـن، فهي إذاً جـائزة تُقدَّم للمسلم الذي يعمل صـالحاً ويدخل الجنّة. وبما أنّ المرأة في الإسلام عبارة عن «فرج»، نجـد الإسلام مـهووسٌ بالبكارة وبالعـذارى. فعندما يصف الـقرآن الجنَّةَ دائماً يوعد الرجال الذين يعملون صـالحاً عـذارى من الحور. فمثلاً في قوله: «فيهنّ قاصرات الطرْف لم يطمثهنّ قبلهم إنسٌ ولا جان» (٥٥/ ٥٦).

---

(٨) مختصر السيرة لابن كثير، ص ٤٨٤.

وفي قوله: سورة الواقعة، الآية ٣٥ وما بعدها: «إنّا أنشأناهنّ إنشاءً. فجعلناهنّ أبكاراً عُرباً أتراباً» (٣٥/٥٦). وفي قوله: «يلبسون من سندس واستبرق متقابلين. كذلك وزوّجناهم بحور عِين» (٥٣/٤٤). وفي قوله: «متّكئين فيها. يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب. عندهم قاصرات الطرف أتراب» (٣٨/ ٥١). ويقول المفسّرون: إنّ بنات الحور عذارى. ولا يأتيهنّ الحيض حتّى لا تكون عليهنّ نجاسة. وكلّما جامع الرجل إحدى بنات الحور العذارى رجعتْ عذراء كما كانت بحيث إنّه، في كلّ مرّة يجامعها، فهي عذراء».

٣٠ . **«ثيّبات وأبكاراً»** : يقول ابن كثير في شرح «ثيّبات وأبكاراً» (٦٦/ ٥): «أي منهنّ ثيّبات ومنهنّ أبكاراً، ليكون ذلك أشهى إلى النفس. فإنّ التنويع يُبسط النفس».

٣١ . **جزاء المرأة في الجنّة!** : «ولا نرى في القرآن ولو آية واحدة تقول للنساء المؤمنات القانتات، إذا عملن صالحاً سيجازيهنّ اللّهُ بفتيان من الملائكة أو الحور. وقد يقول قائل: إنّ هذا يرجع إلى أنّ المرأة المسلمة، إذا كانت متزوّجة، فهي حرام على غير زوجها. ولكن، لماذا لا يجازي اللّهُ النساء، اللأئي لم يتزوّجن أو متْنَ وهنّ مطلّقات أو طفلات، برجالٍ من الملائكة مثلما جازى الرجال ببنات الحور!

وهناك ملايين النساء المسلمات اللأئي يمتن دون أن يتزوّجن، فما هو جزاؤهنّ في الجنّة؟ وما جزاء المرأة المتزوّجة، والتي تعمل صالحاً، وتدخل الجنّة؟ هل تُترك بدون رجل وبدون متعة جنسيّة لأنّ زوجها لديه العشرات من بنات الحور اللأئي لا يحضن، وتكون الواحدة منهنّ عذراء في كلّ مرّة يأتيها زوجها؟ فهي حتماً لا تستطيع أن تنافس بنات الحور. أم يُتوقّع منها أن تكتفي بالفواكه وأنهار الخمر والعسل؟».

٣٢ . **زواج الطفلة** : «والإسلام هو الدين الوحيد الذي أقرّ صراحةً زواجَ الطفلة التي لم تبلغ سنّ المحيض. ففي سورة الطلاق نجد أنّه أباح لهم أن يتزوّجوا الطفلة ويطلّقوها، ولم تكن بعد قد بلغت سنّ المحيض (رَ: ٦٥/ ٤). ويقول ابن كثير في تفسيره: «عدّة الصغار اللأئي لم يبلغن سنّ الحيض ثلاثة شهور». وقد سبق

أن ذكرنا أنّ النبيّ ﷺ تزوّج عائشة وعمرها ستّ سنوات، ودخل عليها وعمرها تسع سنوات».

٣٣ . **طاعة المرأة** : «وعلى المرأة الطاعة العمياء لزوجها لدرجة أنّ بعض العلماء يقولون: إذا كان للرجل عذر شرعيّ يحلّ له أن يفطر في رمضان، فعلى زوجته أن تفطر معه، حتّى وإنْ لمْ يكنْ لها عذرٌ للإفطار، لأنّ زوجها قد يخطر له أن يقبّلها، أو يجامعها أثناء النهار. وإذا رفضت المرأة أن تُطيع زوجها طاعة عمياء يحقّ له أن يضربها. وطاعة المرأة لزوجها واجب إسلامي لا يقبل المناورة، لدرجة أنّ الرسول قال: «لو صلح لبشرٍ أن يسجد لبشرٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها من عظم حقّه عليها. والذي نفسي بيده! لو كان من قدَمِه إلى مفرق رأسه قرحةٌ تنبجس بالقيح والصديد، ثمّ استقبلته تلحسه ما أدّت حقّه»[٩].

٣٤ . **إغتصاب المرأة** : «والإسلام لا يعترف بالاغتصاب: فإذا ادّعت المرأة أنّ رجلاً اغتصبها، فعليها أن تأتي بأربعة شهود ذكور. فشهادة المرأة لا تُقبَل في هذه الحالة، لأنّ الجرم إذا ثبت يستدعي الرجم إذا كان الرجلُ محصناً، ولذلك لا تُقبل شهادة الأنثى فيه. فلو أتت المرأة بعشرة شهود من النساء ليثبتن أنّه اغتصبها، فلا وزن لهذه الشهادة. وإذا كان الجرم يختصّ بالزنا، أو اللواط، فيجب إحضار أربعة شهود من الرجال. ويجب أن يكونوا قد رأوا المرود في المكحلة... وهل هناك عاقل يغتصب امرأة بحضور أربعة رجال، ليشهدوا عليه؟..

ولمّا نزل قوله: «والذين يرمون المحصنات، ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء، فاجلدوهم ثمانين جلدة. ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً. وأولئك هم الفاسقون» (٢٤/ ٤)، قال زعيم الأوس سعد بن عبادة: يا رسول اللّه! إنْ وجدتُ مع امرأتي رجلاً، أأمهله حتّى آتي بأربعة؟! واللّهِ، لأضربنّه بالسيف غير مصفح عنه. فقال رسول اللّه (ص): أتعجبون من غيرة سعد! لأنا أغْيَرُ منه، واللّهُ أغْيَرُ منّي»[١٠]...

---

(٩) أحكام النساء للحافظ ابن الجوزي، ص ٢٠٩.

(١٠) تفسير القرطبي، على ٢/٢٤.

ولا يوجد في الشريعة الإسلاميّة تعريفٌ للاغتصاب. ولهذا السبب أيّ امرأة مسلمة تدّعي أنّ رجلاً اغتصبها قد تنتهي مدانةً بجريمة الزنا، لأنّها لا تستطيع أن تحضر الأربعة شهداء... وتقول جمعيّة الأخوات المسلمات في باكستان: إنّ ٧٥ بالمئة من النساء في سجون باكستان من المتّهمات بالزنا هنّ في الواقع ضحايا اغتصاب»[١١].

٣٥ . خاتمة : لهذا، فإنّ البشارة بولادة أنثى سبب غمّ وهمّ للرجل: «إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا، وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ» (**١٦**/٥٨).

المُرْتَدّ : ١ . يهدَّد المرتدّ في القرآن بالعقاب في الآخرة فقط. وعليه «غضب من اللّه» (١٦/١٠٦). وجزاء المرتدّين «أنّ عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين» (٣/٨٧)، خالدين فيها، لا يُخفَّف عنهم العذاب ولا هم يُنظرون[١]. أمّا الشافعي فقد احتجّ، على استحقاق عقوبة الموت، بالآية التالية باعتبارها الدليل الرئيسيّ: «.. ومَن يرتدّ منكم عن دينه فيمت وهو كافر، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة. وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» (٢/٢١٧).

٢ . إلاّ أنّنا نجد في أحاديثَ كثيرة صدى لعقوبة الموت: فعن ابن عبّاس عن النبيّ قال: «مَن بدّلَ دينَه فاقتلوه»، أو «فاضربوا عنقه»[٢]. وقيل في حديث رواه ابن عبّاس وعائشة إنّ النبيّ أحلّ دم «المارق من الدين التارك الجماعة»[٣].. وفي

---

(١١) رَ: د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ٢٠٣–٢١٨.

(١) رَ: ٣/٨٨؛ ٣/٨٩–٩١؛ ٤/١٣٧؛ ٥/٥٤؛ ٩/٦٧.

(٢) إبن ماجه، الحدود، باب ٢؛ النسائي، تحريم الدم، باب ١٤؛ الطيالسي، رقم ٢٦٨٩؛ مالك، الأقضية، الحديث رقم ١٥؛ أنظر أيضاً: البخاري، المرتدّين، باب ٢؛ الترمذي، الحدود، الباب ٢٥؛ أبو داود، الحدود، الباب الأوّل؛ إبن حنبل ١/٢١٧ و٢٨٢ و٣٢٢.

(٣) البخاري، الديات، باب ٦؛ مسلم، القسامة، الأحاديث ٢٥ و٢٦؛ النسائي، تحريم الدم، أبواب ٥ و١٤؛ القسامة، باب ٦؛ إبن ماجه، الحدود، باب ١؛ أبو داود، الحدود، باب ١؛ الترمذي، الديات، باب ١٠؛ الفتن، باب ١؛ إبن حنبل ١/٣٨٢ و٤٤٤.

حديث عن عائشة يُقتل المرتدّ، أو يُصلب، أو يُغرَّب[٤].. وثمّة خلاف على قتل المرتدّ أو قبوله بعد توبته.

٣ . أمّا في الفقه فهناك إجماع على وجوب قتْل المرتدّ. ولكن شرط أن يكون بالغاً، عاقلاً، مختاراً. وأمّا المحاولات لإعادة المرتد إلى الملّة، فمسألة فيها اختلاف.

المُرْجِئة : ١ . فرقة كلاميّة ظهرت في أوائل الإسلام. واسمها من الإرجاء الوارد في قوله: «وآخَرونَ مُرْجَونَ (أي مؤخَّرون عن التوبة) لأمرِ اللَّهِ (فيهم بما يشاء): إمَّا يُعَذِّبُهُمْ (بأن يُميتهم بلا توبة)؛ وإمَّا يَتُوبُ عَلَيهِمْ. واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (٩/١٠٦).

٢ . يقول المرجئة إنّ المسلم لا يفقد إيمانه بسبب المعصية، وأنّه لا تضرّ مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة. المسلم المؤمن مؤمن، لأنّه مصدّق بقلبه، إلاّ أنّه فاسق بما ارتكب من كبائر، وليس فاسقاً بإطلاق. وبالتالي، فهو غير مخلد في النار. واللّه العارف بسرائر العباد، إليه وحده يُرجَأ أمرهم، وهو الذي يَحكم على مَن يشاء بالكفر أو بالإيمان، وليس لأحدٍ أن يتولّى ذلك سواه. ويقولون: إنّ الإيمان معرفة اللّه والمرسَلِين، وأداء الفرائض، والكفّ عن الكبائر.

٣ . هذه النظريّة أدّت بهم إلى نزعة سلميّة محايدة، لا يرون تكفير أحد، بل يرون الجميع مؤمن، ولكن بعضهم مخطئ وبعضهم على صواب. وطبقاً لمذهبهم لا يُعتبر الإمام الذي يرتكب كبيرة خارجاً على الإسلام، وتجب طاعته. وإذا أمّ الناس في الصلاة كانت الصلاة صحيحة..

٤ . موقفهم هو موقف المذهب الذي يرى أن للإيمان طابعاً ثابتاً لا يُمحَى، وموقف تسامح مع الخطأة في الأمّة الإسلاميّة، والرجاء بالنسبة إليهم يوم الحساب. وهم بذلك خصوم الخوارج الذين يرون أنّ المسلم يصبح كافراً إذا ارتكب كبيرة؛ وأنّ مرتكب الكبيرة كافر؛ وضدّ المعتزلة الذين يحكمون على المؤمن الكافر أنّه في منزلة بين المنزلتَين، أي بين الكفر والإيمان، وبين الجنّة والنار.

---

(٤) النسائي، تحريم الدم، باب ١١؛ القسامة، الباب ١٣؛ أبو داود، الحدود، باب ١.

مِرْدَاس (بنو) : دولة عربيّـة شيعـيّة قامت علـى أنقاض الدولة الحَمـدانيّة (٤١٤-٤٧٢هـ/١٠٢٣-١٠٧٩م). أسّسها صالِح بن مِرداس. شملتْ حلب ومَنبِج والرّقّة والرّحبة ثمّ حمص وصيدا وبعلَبَك وطرابلس. قضى عليها بنو عُقَيل.

مَرْوَانُ بن الحَكَم (ت ٦٥هـ/ ٦٨٥م) : الخليفـة الأمويّ الرابع. به انتـقلت الخلافة من السفيانيّين إلى المَروانيّين. دافع عن عُثـمان واشترك في معركة الجَمَل. انتصـر على القيسـيّين أنصار ابن الزُّبَيـر في معركـة مرج راهِط شمـاليّ دمشق، واستولى على مصر. ضبط المقاييس والموازين. مات بالطاعون في دمشق.

مَرْوَانُ بن مُـحَمَّد (ت ١٣٢هـ/ ٧٥٠م) : آخر الخلفاء الأمـويّين في الشام. هزمه العبّاسيّون في معركة الزاب وقُتل في مصر. يُعرف بمَروان الحمار.

المَرْوَزِيّ (محمّـد بن نصر) (ت ٢٩٤هـ/٩٠٦م): فقـيه شافـعيّ بغداديّ. عاش في سَمرقَند. اشتهر بكتابه «القُسامة» وهو أحسن ما كُتب في الفقه.

المَرْوَة : (أنظر مادّتَي: **السَّعْي** و **الصَّفَا**).

مَرْيَمُ أمُّ عِيْسَى : مريم هي الاسم النسائي الوحيد المذكور في القرآن. ذكره ٣٤ مـرّة. وهي المولود الوحـيد المعصـوم من كلّ خـطيئـة، والموصـوف بالطهـر والقـداسـة من كلّ عـيب ودنس. ينسبُ القـرآنُ عـيسى إلـى أمّه مـريم، بخـلاف التسمـيات الساميّـة التي تنسب الابنَ إلى أبيه. وهو ما يدلّ، من جـهة، على ولادته المعجـزة من دون أبٍ بشريّ؛ ومـن جهة ثانيـة، على شرف أمّـه ومكانتـها، إذ هي وابنها آية من آيات اللّه للعـالَمين (٢١/ ٩١؛ ٢٣/ ٥٠). ويكفِّرُ القرآنُ اليهـودَ بسبب اتّهامهم مريمَ وقولِهم عنها زوراً وبهتاناً (٤/ ١٥٦). وما في القرآن عنها يُصدِّق ما في الإنجيل وتعاليم النصرانيّة وآباء الكنيسة وتقاليدها.

١ . **نسب مريم** : يعترف القرآن بكثرة الإنعـامات التي خصّ اللّهُ بها أجداد مريم. ويؤكّـد انتسـابَها إلى سـلالة الأنبياء، عـلى أنّها من ذرّيّتهـم. قال : «إنّ اللّه اصْطَفَى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ على العـالَمين: ذرّيّةً بعضُها من بعضٍ» (٣/ ٣٣-٣٤). فمـريم هي «ابنة عِمران التي أحـصنتْ فَرْجَها» (٦٦/ ١٢)؛ وأمّـها

«امرأةُ عِمران» (٣/ ٣٥)؛ أو «أخت هارون» (١٩/ ٢٨).

وهنا يخلط القرآن بين «مريم» أمّ عيسى، و«مريم» أخت هارون وموسى[١]. وهو خلطٌ غريب عـجيب، لا مبرّر له سـوى التشابه بالإسم. ووجد المسلمـون لهذا الخلط حججًـا وتفاسير عدّة : فـقال بعضُهم: إنّ هارون شخص آخـر غير هارون شقيق مـوسى؛ وآخرون: بل هو هارون أخو موسى، ونُسبتْ مريم إلى أنّهـا أخته، لأنّها من ذرّيّته. كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري: يا أخا مضر؛ وآخرون: إنّ هـارون هذا كان رجلاً فـاسقاً معلن الفسق فنسبـوها إليه؛ وآخرون: إنّ في هذا التعبيـر تكريماً لمريم وتعظيماً كتعبير «بنت داود»، مـثلاً؛ وآخرون: إنّ هارون كان رجلاً طَيِّباً مـؤمناً حين ولادةِ مَريم، يشبِّهون به كلَّ إنسانٍ طيّب مؤمن، فـشبّهوها به. فقـالوا: يا شبيـهة هارون في الصلاح؛ لأنّ أهل الصلاح فـيهم كانوا يُسَـمَّون هـارون. وذُكر أنّه شَيَّع جنازتَه يومَ مات أربعون ألف رجل[٢].

وفي كلّ حال، يعترف القرآن والمسلمون، كما النصارى، بشرف نسب مريم وبكثرة الإنعامـات التي خصّها اللّه بهـا، منذ أجدادها الأوائل، من آدم إلى نوح إلى إبراهيم ويعقوب، ثمّ إلى هارون وآل عمران (رَ: ٣/ ٣٣).

وقالت المصادر النصرانية عن شرف انتـساب مريم إلى ذريّة يعقوب: «نقرأ في تواريخ أسباط إسرائـيل الإثنَي عشر.. وذلك ليتبيّن لنا شـرف انتساب المسيح وأمّه مريم إلى ذرّيّة يعقوب»[٣]. أمّ مريم، في القرآن، إذا، هي «امـرأة عمران» (٨/ ٣٥)، وفي المصادر النصرانيّة المنحولة هي «حنّة امرأة يواكيم»[٤].

---

(١) أنظر: سفر العدد ٢٦/ ٥٩؛ الأخبار ٥/ ٢٩.

(٢) «وأوجز أبو جـعفر الطبري الذي أورد هذه الأقـوال، فقال: «والصواب من القـول في ذلك ما جاء به الخبـر عن رسول اللّه الذي قال لرسوله إلى أهل نجـران الذين اعترضوا على تعـبير "أخت هارون". قـال: "ألا أخبرتهم أنّهـم كانوا يسمّـون بأنبيـائهم والصالحين قـبلهم!"؛ تفسير الطبري على سورة مريم ١٩/ ٢٨.

(٣) أنظر مقدّمة إنجيل يعقوب ١/ ١.

(٤) تجدر الإشـارة إلى أنّ المصادر المسـيحـيّة الرّسـميّـة لا تذكر شـيئاً عن والـدَي مريم وعن

٢ . **ولادة مريم** : كانت «امرأةُ عِمران» القرآنية، أو «حنّة» النصرانيّة، عاقراً، كثيـرة الحزن والغمّ لعقمهـا. فكانت تبتهل إلى الله ليـهبها مولوداً ذكـراً ليقوم في خدمـة الهيكل. جـاء في القرآن : «قَالتِ امـرأةُ عِمران: رَبِّ ! نَذرتُ لكَ مَـا في بَطني محرَّرًا (أي: معتَقًا من شواغل الدنيا لخدمـة بيتك). فتَقبّلْ منّي». لمّا وضَعَتْها قالتْ: ربِّ! وضعـتُها أنثى. واللهُ أعلمُ بما وضـعَت. وليسَ الذَّكرُ كالأنثى. وَإِنّـي سَمَّيتُـها مَريم. وإنّي أُعيـذُها بكَ وذُرِّيتَها مِنَ الشيطانِ الرّجيم. فـتَقبَّلَهَا ربُّها بِقَـبولٍ حَسَنٍ. وأنبتَهَا نباتًا حسناً» (٣/ ٣٥-٣٧).

وفي مقدّمة إنجيل يعقوب، قـال ملاك الرب: «حَنّة، حنّة، لقد استجاب الربُّ صلاتك. إنّك ستحبلين وتلدين. وسيُتحدَّث عن ذرّيتك في الأرض كلّها». قالت حنّة: «حيّ الرب. إنْ وضـعتُ للعـالم وَلدًا، أصـبيًـا كـان أم ابنةً، سأقـدّمـه للرب الإله. وسـيكون في خدمـته طوال أيّام حـياته». وبـعدمـا وضعت، قـالت للقابلة: مـاذا وضعتُ للعالَم؟ أجابتِ القابلة: ابنة. وأعـطتْ حنّة لابنتِها اسمَ مريم. وصلّى يواكيم قائلاً: يا ربّ! انظر إلى ابنتك هذه. وتقبّلها وحلّ عليها برَكَتك»[٥].

٣ . **مريم في الهيكل** : لمّا بلغتْ مريمُ سنَّ الرّشد ذهبت إلى الهيكل، واتّخذتْ لها فـيه مكانًا شرقيًـا بعيدًا عن الناظرين (١٩/ ١٧)، وتكفّلَهـا زكريّا رئيسُ الكهنة آنذاك، وكان الله يرزقها من عنده رزقاً عـجائبيًا (٣/ ٣٧). وظلّتْ في الهيكل بخلوة مستمرّة، تقوم بالصلاة والسجود والركوع، إلى أنْ حان وقتُ زواجها (٣/ ٤٣).

وجاء في المصادر النصـرانية: إنّ يواكيم كان يقود ابنتـه الى الهيكل. وكان لها من العمـر ثلاث سنوات. وفي الهيكل، كلّف ملاكُ الرب زكريّا ليهـتمّ بها، ويجد لها طعـاماً. وعندمـا كبرتْ، راح يدبّر لهـا زوجاً، وذلك بعد اسـتشـارة علماء بني إسرائيل. ومريم كانت تحـصل على رزقها من الله بواسطة ملاك الرب[٦]. ولمّا كبر

وضعهما في المجتمع الإسرائيلي.

(٥) مقدّمة إنجيل يعقوب عدد ٤-٥..

(٦) مقدّمة إنجيل يعقوب، عدد ٧-٨.

زكريّا وشاخ، وعجز عن إعالتها وكفالتها وتدبير زوجٍ لها، كان الله هو نفسه يرزقها رزقاً عجائبيًا، هو من ثمار الجنّة. لا تغادر الهيكل إلاّ مرّة في الشهر، أيّام الحيض، خشية تدنيسه. وينحصر عملها فيه بالصلاة والسجود والركوع.

وروت المنحولاتُ قصّةَ الكفالة هذه (ليوسف لا لزكريّا) كما يلي: «فدخلَ الكاهنُ قدسَ الأقداس، وقد لبس رداءَه ذا الإثنَي عشر جُرَيساً، وأخذ يصلّي. وإذا بملاكٍ للربِّ ظهر قائلاً: " يا زكريّا! يا زكريّا! أُخْرُجْ واستَدْعِ كلَّ أراملِ الشعب. وليأتِ كلٌّ واحدٍ بقلَمٍ. ومَن يُظهر له الربُّ علامةً يجعلُ منها امرأتَه.

«وتفرّقَ بُشَراءُ في بلاد اليهوديّة كلِّها، ودوّى بوقُ الربِّ فإذا بهم يهرعون كلُّهم. ورمى يوسفُ فأسَه ومضى هو أيضاً ينضمُّ إلى الجماعة. وتوجّهوا معاً إلى عند الكاهن مع أقلامهم. فأخذ الكاهنُ الأقلامَ، ودخلَ الهيكلَ وصلّى. وإذ أنهى صلاتَه استعادَ الأقلامَ. وتلقّى يوسفُ قلَمَه أخيراً؛ وإذا بحمامةٍ طارتْ من قلمِهِ وحطّتْ على رأسه. إذّاك قال الكاهنُ: " يا يوسف! يا يوسف! أنتَ المختارُ. فأنتَ الذي سيأخذ عذراءَ الربّ " »[7]. وأيضاً : «كانت مريمُ مُرَبّاةً كحمامةٍ في هيكل الربّ. وكانتْ تتلقّى طعامَها من يدِ ملاك»[8].

٤ . **بشارة مريم بعيسى** : وفيما مريم تكبر وتنمو في الهيكل، يخبرنا القرآن عن مجيء « **روح القدس**» إليها، وهو، بحسب المسلمين كافّةً، الملَك جبريل، وعن بشارته لها بمولود ليس من زرع بشر. قال: «فأرسلْنا إليها روحَنا. فتمثّلَ لها بشرًا سويًا» (أي: تامّ الخلق) (١٩/١٧). وقال: «وإذْ قالتِ الملائكةُ: يَا مريم! إنّ اللّهَ اصْطفَاكِ على نساء العالمين» (٣/٤٢). وقال: «إذْ قالتِ الملائكة: يا مريم ! إنّ اللّه يبشّرك بكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ وجيهًا في الدنيا والآخرة ومِن المقرّبين. يكلّمُ النّاسَ في المَهدِ وكهلاً منَ الصّالحِين»(٣/٤٥-٤٦).

---

(٧) إنجيل يعقوب التمهيدي، ٨/٣-٩/١؛ رَ: متّى المزعوم، ٨/٢-٣.

(٨) إنجيل يعقوب التمهيدي، ٨/١؛ هذا الموضوع موجود كذلك في منحولَين آخرَين هما إنجيل متّى المزعوم (٧/٣)، وأسئلة برتلماوس (٤/٢١).

وقـالتْ مريم: «انّي أعـوذ بالرحـمن منك ان كنتَ تقـيًـا». ثمّ قال: «إنّمـا أنا رسولُ ربِّكِ لأهَبَ لكِ غلامًا زكيًا» (١٩/١٨-١٩). فقالتْ: «أنّى يكون لي غلامٌ ولم يمْسَسْني بشَرٌ. ولم أكُ بغيًا» (١٩/ ٢٠؛ ٣/٤٧).

قال: «كذلك قال ربُّكِ وهو عليّ هَيِّنَ. ولِنَجْـعلَه آيةً للناسِ ورحمةً منّا. وكان أمرًا مـقضيًا» (١٩/١٨-٢١). أو قـال: ««كذلك اللّه يخلق ما يشاء. إذا قـضى أمراً فـإنّما يقـول له كنْ فـيكون» (٣/٤٧). أو: «قال: كـذلك قـال ربُّكِ وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ. ولنجعله آيةً للنّاس ورحمةً مِنّا وكانَ أمرًا مقضياً» (١٩/ ٢١).

مثل ذلك ورد في المصادر النصرانيّة وفي إنجيل لوقـا : تقول مقدّمة إنجيل يعقوب: «أرسل اللّه الملاك جبرائيل للعذراء يقول لها: لا تخافي. إنّك وجدت عند اللّه نعمة. وستحبلين بكلمته. والمولود منك يُدعى ابن العليّ. وتسمّينه: يسوع»[٩].

وفي لوقـا ما يشـبـه ذلك، يقول : دخل جـبـرائيل إلى العـذراء يقول لهـا: «السـلام عليك يا ممتلئـة نعمـة. الربّ معك.. واضطـربت لهذا الكلام، وقـالت في نفسـها: ما معنى هذا السـلام؟. وقال الملاك: لا تخافي يا مـريم. قد نلتِ حظوةً عند اللّه..

«فقالت مـريم للملاك: أنّى يكون هذا، ولا أعرف رجلاً!. فـأجابها الملاك: إنّ الروح القدس يحلّ بك وقـدرة العليّ تظلّلك. لذلك يكون المولود قـدّوساً وابن العليّ يُدعى.. قالت مريم: فليكن لي كما قلت»[١٠].

٥ . **ولادة عيـسى** : ولمّا آن أوانُ ولادةِ ابنِهـا، «فَأجَـأهَا المخاضُ إلى جـذعِ النخلة. قـالتْ: يا ليتني مِتُّ قـبلَ هذا وكنتُ نُسْيًـا منسيًـا. وناداها مِن تحتِـها: ألاّ تحـزَني. قد جـعلَ ربُّكِ تحـتَكِ سَريًا (أي ينبـوع مـاء يسري). وهُزِّي إليكِ بجـذعِ النخلة تُساقِطْ عليكِ رُطَبًا جَـنِيًا. فَكُلِي، وَاشْرَبي وَقَرِّي عَينًا. فإمَّـا تَرِينَّ مِن البشر

---

(٩) مقدمّة إنجيل يعقوب، عدد ١١.

(١٠) لوقا ١/٢٦-٣٥.

أحدًا (فيسألك عن ولدك). فَقولي: إنِّي نَذرتُ للرّحْمَن صَومًا (أي إمساكاً عن الكلام). فلن أكلِّمَ اليومَ إنسيًّا» (١٩/٢٢-٢٦).

أمّا في المصادر النصرانية فلا ذكر للنخيل في ولادة عيسى[١١]. *ولادة عيسى القرآني أشبه ما تكون بولادة إسمعيل بن إبراهيم، لا في «مذود» كما في لوقا*[١٢]*، ولا في «مغارة» كما في الكتب المنحولة*[١٣]*، بل في «البرّيّة» تَحتَ جِذعِ نخلة، كما هو حال إسمعيل الذي اهتمّ ملاكُ الربِّ بسقايته، فأوجدَ له بئراً ليشرب، كما أوجد لعيسى ينبوع ماء*[١٤]*.*

ثمّ يختلف المفسّرون في شخصيّة الذي نادى مريم: أهو مولودها أم الملاك؟ ألنصُّ القرآني مبهم.. إلاّ أنّ المقابلة بين ما ورد في القرآن وما ورد في سفر التكوين عن هاجَر وابنِها إسمعيل يرجّح أنّ ملاكَ اللّه هو الذي تكلّم مع مريم، كما تكلّم مع هاجر[١٥]*.*

٦ . **اتّهام مريم** : بعد ولادة عيسى ابتعدت مريم عن أهلها أربعين يومًا، ثمّ عادت إليهم حاملةً ابنها على ذراعَيها، فقابلها أهلُها باللّوم والتُّهم. يقول القرآن: «فأتتْ به قومَها تَحمِلُه. قالوا: يا مريمُ! لقد جِئتِ شيئًا فريًّا. يا أختَ هارون! ما كان أبوك امرأ سَوءٍ. وما كانت أمُكِ بَغيًّا» (١٩/٢٨). وعبثاً حاول زكريّا أن يبرِّئ نفسه، وقد عهد إليه شيوخ بني إسرائيل حمايتها؛ فتخلّف عن هذه الحماية. فهو يعرف امرأتَه طاهرةً عَفيفة، وأكبر من أن تزلّ إلى مستوى سائر النساء. وتجول مخيّلة مؤلّفي روايات الحبل والولادة، أوجزها القرآن بلومة عارفٍ ببراءة مريم في قوله: «يَا أختَ هَارون! ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ. ومَا كانتْ أمُّكِ بَغِيًّا» (١٩/٢٨).

---

(١١) مقدّمة إنجيل يعقوب ١١.

(١٢) لوقا ٢/٧.

(١٣) مقدّمة إنجيل يعقوب، وإنجيل الطفولة.

(١٤) والبئر هو «بئر زمزم». وما هذا الخبر عن إسماعيل إلاّ لإعطاء هذه البئر ما تستحقّ من تقديس وإكرام.

(١٥) سفر التكوين ٢١/١٤-٢٠.

وفي المنحولات أنّ يوسف اضطرب عندما رأى مريم حبلى؛ وهمّ أن يطلّقها؛ ولكنّ ملاكاً ظهر عليه في الحلم وأنبأه بأنّ المولود منها هو من روح القدس. فاطمأنّ يوسف لهذا الحلم، وزال عنه الاضطراب.

ثمّ «نهضَ يوسفُ عن كيسِه ونادى مريم: " أنتِ مُدَلَّلةُ اللهِ! ماذا صنعتِ؟ لِمَ ألحَقْتِ العارَ بنفسكِ؟ أنتِ التي رُبِّيتِ في قدسِ الأقداس، وتلقَّيتِ الطعامَ من يد الملاك؟!" »؛ لهذا «نوى طلاقَها سرًا»[١٦].

وخافت مريم فأشارتْ إلى ابنها وطلبتْ من شيوخ بني إسرائيل أن يتكلّموا معه، فقالوا لها: «كيفَ نكلِّمُ مَن كانَ في المَهدِ صَبيّاً؟ قال (عيسى): إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً، وجعلَني مباركاً أينَ ما كنتُ.. وَ (جعلني) بَرّاً بِوالِدَتي، ولم يجعلني جبّارًا شقيًا. والسلام عليَّ يومَ وُلدتُ، ويومَ أموتُ، ويومَ أُبعَثُ حَيًّا..» (١٩/٢٩-٣٤).

كلام عيسى في المهد في تبرئة أمّه أُعجوبة لا مثيل لها في المسيحية. يلحّ عليها القرآن إلى درجة أنّه أسخطَ اليهود. وراح يتّهمهم بالكفر وكلام الزور. لكأنّ الخصام الأوّل الذي حدث بين محمد واليهود كان بسبب تبرئة مريم. قال: «وبكفرِهم وقولِهم على مريمَ بهتانًا عظيمًا» (١٩/٤١).

خلاصة القول: إنّ القرآن، بسبب اعتباره العظيم لمريم، سبقَ وأعلنَ عصمتَها من الدنس. كما قد أعلنَ محمّد خشيةَ الشيطان من قداستها. قال: «ما من مولود يولد إلاّ والشيطان يمسّه حين يولَد، فيستَهلّ صارخًا مِن مسِّه إلاّ مريم وابنها»[١٧]. ونقل البخاري[١٨] وابن حنبل[١٩] هذا الحديث، وهما يفسّران نبوّةَ أمّها حين ولدتْها، إذ قالت: «وإنّي أُعيذُها بكَ وذريَّتها مِن الشيطانِ الرّجيم» (٣/٣٦).

---

(١٦) إنجيل يعقوب التمهيدي، ١٣/٢؛ رَ: إنجيل متّى ١/١٩.

(١٧) تفسير البيضاوي على سورة آل عمران ٣/٣٦.

(١٨) صحيح البخاري، في الأنبياء، ٤٤.

(١٩) مسند أحمد بن حنبل، ٢/٢٣٣.

٧. فضل مريم: في أحاديث كثيرة تفضيل واضح لمريم على جميع النساء بلا استثناء، في هذه الدنيا وفي الآخرة؛ وهي، وهذا ممّا يربك المسلمين، تفضلُ أفضلَ نساء الإسلام والبيت النبوي، أمثال خديجة وعائشة زوجَي النبي، وفاطمة ابنته المفضّلة. وقد ورد، في هذا الشأن، قول النبي لابنته فاطمة: «ستكونين سيّدةَ نساء الجنّة بعد مريم»[٢٠]، وقول عائشة، وهي تعترف بفضل مريم عليها: «إنّي فوق جميعِ النساء... ما خلا ما أوتِيَتْه مريم»[٢١].

وفي القرآن أيضاً، بحسب المسلمين، آيةٌ تتّهم عيسى بتأليه أمّه مريم: «يَا عيسَى ابنَ مَريمَ! أَأَنتَ قلتَ للنّاسِ اتّخذوني وأمّي إلَهَين مِنْ دونِ اللّه؟!» (٥/١١٦) .قال المفسِّرون في معنى هذه الآية: إنّ اللّهَ يلوم عيسى ويؤنّبه على قوله للناس بأنْ يعتبروه إلهاً، ويعتبروا أمّه أيضاً إلَهة. فأرعد عيسى وقال: «سبْحَانَكَ! ما يَكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ... ما قلتُ لهم إلاّ ما أمَرتَني به» (٥/١١٧).

غير أنّ حقيقة تفسير ذلك: أنّ خلطاً واضحاً، في القرآن كما في السنّة، بين روح القدس ومريم أمّ عيسى. هذا الخلط يعود إلى نصوص كثيرة في النّصرانيّة تَعتبر روحَ القدس أمّاً لعيسى، كما اللّهُ الآب أباً له:

نقل أوريجين عن «الإنجيل العبراني» قولاً ليسوع: «وحملَتْني أمّي الرّوحُ القدس»؛ يعلّق جيروم: «ممّا يدلّ على اعتقادهم (أي الإبيونيّين) بأنّ الرّوحَ القدسَ هو أمّ المسيح»[٢٢].

وتعليلنا هو أنّ الرّوح، في اللّغة الأراميّة، مؤنّث. وشاعت أمومة الرّوح بين النّصارى؛ حتّى إنّ اليعقوبي، أقدم المؤرِّخين المسلمين، ينقل: «فلمّا عمّده خَرَجَتْ روحُ القدس على الماء»[٢٣]، كما هو مكتوب في إنجيل العبرانيّين: «ألرّوحُ القدس

---

(٢٠) إبن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/ ٤٠.

(٢١) المرجع السابق نفسه، ٨/٤٣.

(٢٢) Origène, *Comm. sur Jérémie*, 15,14

(٢٣) تاريخ اليعقوبي، ١/ ٧٢.

تُخَاطِبُ يسوعَ في عماده بِقَولِهَا: أنتَ ابني الحبيب»[٢٤]. *ونجد أيضاً عند أفراهات، أحد آباء الكنيسة السريانيّة: «...إنّ الرّجلَ يُحبُّ اللّهَ أباه، والرّوحَ القدس أمّه»*[٢٥].

فالرّوح القدس، إذاً، من جنس المؤنّث؛ وهو «أمّ عيسى»، ويعتبره المسيحيّون إلهاً مع الآب والابن. لكنّ النّصارى، كما عرفهم القرآن وأخذ عنهم، لا يقرّون بألوهيّته.

فاللّه، في القرآن، يردّ على الذين يؤلّهون روحَ القدس، ويعتبرونه ثالثَ ثلاثة؛ لا على الذين يؤلّهون مريم، كما يزعم المفسّرون، إبتداءًا من الطبري، حتّى آخر واحدٍ منهم..؛ علماً بأنّ مريم كرّمها المسيحيّون، وقدّسوها، ومجّدوها، وعظّموها جدّاً، حتّى قدّم بعضُهم لها القرابين، مثل «الكْليريّينَ»، من «كلّيرس» اليونانيّة التي تعني أقراصاً من الرقاق... إلاّ أنّ هذا التكريم لم يكن تأليهاً، ولا هذه الشيعة كان لها أثر أو انتشار أو كتاب.

٨ . مريم في معتقد المسلمين : لا يزال المسلمون، بعد القرآن، يكرّمون مريم ويعظّمونها ويقدّسونها ويُعلون شأنها. ولكنّهم، يكفّرون المسيحيّين الذين اتّهمهم القرآن بتأليهها واعتبارها أحد الثالوث الإلهي.

١ – كان **الجاحظ** أوّل مَن تعرّض لذكر مريم ومقامها عند النصارى. فذكر رفْضَهم لما جاء في القرآن. فـ «قالوا: إنّ الدليل على أنّ كتابَنا (أي القرآن) باطل، وأمْرَنا فاسد، أنّنا نزعم أنّ اللّه قال في كتابه على لسان نبيِّه محمّد: "وإذْ قالَ اللّهُ: يا عيسى ابنَ مريمَ! أأنتَ قلتَ للنّاسِ اتّخذوني وأمّي إلهَين من دون اللّه؟" ... «وأنّهم زعموا أنّهم لم يدينوا قط بأنّ مريم إله في سرِّهم، ولا ادّعوا ذلك قط في علانيّتهم»[٢٦].

٢ – أمّا **الباقلاني** فيسأل النصارى عن إيمانهم في مريم، كيف ولدت الإبنَ

---

(٢٤) بحسبما نقل Jérôme, *Comm. sur Isaïe*, 11,2

(٢٥) أفراهات، كتاب البيّنات، ١٨/ ١٠.

(٢٦) ألجاحظ (ت ٨٦٩ م) **ألمختار في الردّ على النصارى**، ص ٥٣–٥٨.

دون الأب وروح القدس، مع أنّ الجميع واحد غير منفصلين بعضهم عن بعض. ويقول: «خبّرونا كيف ولدتْ مريمُ الابنَ دون الأب وروح القدس، وهو غير مبايِنٍ لهما، ولا منفصلٍ عنهما. فيكون المتَّحِد بالجسد حالاً في بطن مريم، والأب والرّوح والجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم. وهما مع ذلك غير متابينين ولا منفصلين ممّا هو حالّ في الجسد في بطن مريم؟! فما لا ينفصل ولا يتميّز بالذات، كيف يكون منه مولود ومنه غير مولود، ومنه متَّحد ومنه غير متّحد، لولا الجهل والعجز؟».

«خبّرونا عن مريم، أهي إنسان كليّ أم إنسان جزئي؟ فإنْ قالوا: إنّها كلّيّ، تجاهلوا... وإنْ قالوا: مريم إنسان جزئي، قيل لهم: فالإنسان الذي ولدتْه أليس هو الذي اتّحد الابنُ به بولادته، وهو إنسان كليّ، وأمُّه التي هي مريم إنسانٌ جزئي؟ وهذا طريف جداً.. فكيف يكون الجزئي والداً للكلّي؟ وإنْ جاز أن يكون الكليّ إبنَ الجزئي، فلِمَ لا يجوز أن تكون مريم ابنةَ عيسى المولود منها، وأن يكون آدم ونوح إبنَي مريم التي هي ابنة لهما؟ وهذا تجاهل عظيم لا يبلغه صاحب تحصيل»[٢٧].

٣ – وتساءل **ابن حزم** عن حبل مريم بواسطة الروح القدس: لماذا الذي وُلد من أمّ يحيى لم يكن إلهاً، فيما الذي وُلد من مريم كان إلهاً؟ علماً بأنّ الإثنَين وُلدا من الروح القدس. يقول: «إنّ المسيح احتشى من روح القدس.. وإنّ يحيى بن زكريا احتشى من روح القدس أيضاً، وإنّ أمّ يحيى احتشت أيضاً من روح القدس. فما نرى للمسيح من روح القدس إلاّ كالذي ليحيى ولأمِّ يحيى من روح القدس. ولا فرق. فأي فضل له عليهما؟!». ويستنتج: « فأي دين أوسخ وأضلّ وأفسد من دينِ مَن هذه صفته. ولقد كان لهم كفاية في بطلان كلّ ما هم عليه»[٢٨].

٤ – أمّا مع الإمام العلاّمة **ابن قيّم الجوزية** فالأمر يختلف. يأخذ الإمامُ على المسيحيّين إيمانهم بأمومة مريم لله. ويستعرض مقولات النصارى في مريم

---

(٢٧) الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، **كتاب التمهيد**، الباب الثامن؛ ص ٩٥–٩٧.

(٢٨) إبن حزم (ت ٤٥٧ هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**؛ ٢/١٨.

بشيء من السخرية. يقول : «وأمّا قولهم في مريم، فإنهم يقولون إنّها أمّ المسيح ابنِ اللّه في الحقيقة، ووالدتُه في الحقيقة؛ لا أمّ لابن اللّه إلاّ هي؛ ولا والدة له غيرها، ولا أب لابنها إلاّ اللّه، ولا ولد له سواه؛ وإنّ اللّه اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء. ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلاّ عن وطء الرجال لها، ولكن اختصّت عن النساء بأنّها حبلت بابن اللّه، وولدت ابنه الذي لا إبن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وأنّها على العرش جالسة عن يسار الربِّ، تبارك وتعالى، والدِ ابنها، وابنها عن يمينه.

«والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحّة البدن، وطول العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده –الذي يعتقد عامّتهم أنّه زوجها ولا ينكرون ذلك عليهم– سورًا وسندًا وذخرًا وشفيعًا وركنًا. ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا. وهم يعظّمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيّين والمرسلين ويسألونها ما يُسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة...

«هذا، والأوقاح الأرجاس من هذه الأمّة تعتقد أنّ اللّه سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده، وتخطاها كما يتخطّى الرجل المرأة»[٢٩] .

٥ – ويقول **الشيخ العاملي** عن مريم بأنّ المسيحيّين، في تكريمهم لها، هم كالوثنيّين، يعظّمونها حتّى العبادة التي لا تجوز إلاّ للّه وحده : «وأمّا المسيحيّون فإنّهم يعتقدون بالعذراء مريم نفس اعتقاد الوثنيين، ويُنشدون لها الأناشيد، ويتضرّعون إليها في أيّام خاصّة يسمّونها الأيام المريميّة، ويلقّبونها ملكة السماء، ووالدة الإله، وصاحبة المجد. وربّما تصوّر بعضهم بأنّه يتقرّب بذلك من السيّد المسيح الذي هو أسمى من أن يُتَّصل به مباشرة. وقد بالغ المسيحيّون في تكريم العذراء وتعظيمها حتى ساووها بولدها»[٣٠] .

---

(٢٩) إبن قيّم الجوزيّة (ت ٧٥١ هـ)، **كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، توزيع الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، ١٣٩٦ هـ؛ص ١٣٩

(٣٠) **الكتاب المقدّس في الميزان**، الدار الإسلاميّة للطبع، بيروت ١٩٣٣، ص ٣٨٩.

ويقول أيضاً: «والقرآن الكريم يكشف لنا حقيقة أخرى، وهي أنّ النصارى عبدوا مريم كما عبدوا المسيح. وهذا حصل في زمن المسيح (ر:٥/١١٦). ويستشهد الشيخ بما قال دْوَان في كتابه[٣١]، فيقول: «كما تجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظّمونهنّ ويلقّبونهنّ بألقاب التمجيد والتفخيم، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظّمونها ويلقّبونها بالألقاب التي يلقّب الوثنيّون بها والدات آلهتهم»[٣٢].

٦ - إلاّ أنّ **أحمد زكي**، في معالجة موضوع مريم، يرى أنّ الكنيسةَ قد عظّمت مريم، وكرّمتها، حتّى رفعتْها، في أحد مجامعها، إلى مرتبة الألوهة. وقرّرتْ لها، في مجمع أفسس، سنة ٤٣١، عندما لم تجد لها في الثالوث مكاناً، أن تكون "أمّ اللّه".

يقول : «مريم العذراء! أين يضعوها في معتقدهم الثالوثي العجيب الذي فَبْرَكوه بأيديهم؟.. فكونها أنثى لم يستطيعوا أن يضعوها مع الأقانيم الثلاثة، ليجعلوها رابعة، وإلاّ ضحكَ الناسُ منهم. لذلك، كعادتهم، كلّما حزبهم أمرٌ، عقدوا مجمعاً آخَرَ في أفسس، سنة ٤٣١، ونادوا إليه القساوسة، من كلّ حدب وصوب. وبعد أن اجتمعوا، وأغلقوا البابَ خلْفهم، وتناولوا ما طاب لهم من خمر ولحم خنزير، بحثوا الأمرَ بينهم.. ولمّا أعَيَتْهم الحيَل، ارتأوا أن يجعلوها أمَّ اللّه.. ماذا!!؟؟ إيْ واللّهِ! ارتأوا هم. فقرّروا هم. أنّها أمّ اللّه... وفاتهم أن الأمَّ يجبُ أن تكونَ موجودةً قبل الابن. كما فاتهم أنّ أمّ اللّه يجب أن تكون إلَهَةً أيضاً.. فكان المفروض أن يوسعوا لها أقنوماً آخرَ!!»[٣٣] .

ويرفض السيّد زكي كلَّ كلامٍ على اعتبار مريم أمَّ اللّه. ويعمل فكرَه الفلسفي، وجهدَه كلّه، ليُبطلَ هذه المقولة الكفر. ويريد، للمحبّة التي تعمرُ قلبَه، أن

---

(٣١) **خرافات التوراة**، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٣٢) **الكتاب المقدّس في الميزان**، ص ٣٩٠.

(٣٣) **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، توزيع دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٥؛ ص ١٠٥.

يساعدَ الذين لا يستطيعون نزعَ «الخشبة التي غرستْها المجامع الكنسيّة في أعينهم، ولا زالوا يقولون إنّ مريمَ أمّ اللّه.. حتّى يُبصروا جيّداً، فننقذ بذلك أرواحَهم من النار الأبديّة».

ويسأل: «هل يَسَعُ رحِمُ مريم الشمسَ، التي هي ليست اللّهَ، إنّما إحدى مخلوقاته!؟ فإنْ قالوا: لا –وهذا حتماً ما سيقولون– قلنا: كيف جعلتم رحمَها يسَعُ اللّهَ خالقَ الشمسِ وخالقَ الأرض والقمر والكواكب وهذا الكونِ الفسيح وملايين الشموس الأخرى الأعظم من شمسنا هذه. واللّه أعظم من كلّ شيء خلقه!!؟».

ثمّ يسأل: «أين كان الشيطان خلال حَمْلها به؟ وكيف يفوّتُ فرصةً كهذه؟! وإلهُهُ حبيسٌ في رحم مريم!؟ أليست هذه فرصته ليستولي على الحكم، ويفرضَ إرادتَه على هذا الكون؟».

ثمّ «هل هناك مسبّةٌ على اللّه الخالق أكثر من حشْره في رحم أنثى هو خالقُها، ثم جعلِه يخرجُ من فرْجها!!!

«وهكذا... نسَوا مرّةً أخرى أنّه، إذا كان هناك أمّاً (كذا) للّه، يكون ذلك الإله قد انتهى كإله، وأصبح إلهاً أسطوريّا..

«تلك التسمية غلط من أساسها. وتحمل في طيّاتها عواملَ هدْمها، إذ فات القساوسة العباقرة أن المخلوقَ لا يلدُ الخالق، وأنّ العبد لا يلد المعبود، وأنّ الناقص لا يلد الكامل، والمحدودَ لا يلد اللاّمحدود، والمحدَثَ لا يلد الأزلي، والفاني لا يلد الأبدي.

«كما أنّهم، بدعواهم تلك، قد ناقضوا أنفسَهم بأنفسهم، إذ، بزعمهم أنّ للّه أمّاً، يترتّبُ عليه أن تكونَ أمُّه موجودةً قبلَه... لأنّه، لا يُعقل أبداً أن يأتي الابنُ قبلَ الأمّ، ولا في المنام. لذلك حسمَ القرآن، كعادته، هذا الجدل، فقال: "كفرَ الذين قالوا إنّ اللّهَ هو المسيح ابن مريم. قل فمن يملك من اللّه شيئاً إن أراد أن يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمّه ومَن في الأرض جميعاً» (٥/١٧).

وبالنتيـجة، إنّ «مريم لا يمكن أن تكون والدةَ اللّه. وهو كـفر. وقد اعـترفت بنفسـها أنّها "أمَةُ اللّه" (لو ١/٤٦)، لا أمّ اللّـه.. فمن الذي خوّلهم (أي المسيحيّين) بالخـروج من نصـوص أناجـيلهم!؟ وبأيّ حقّ يزعم القسـاوسـةُ ويدجّلون على طوائفهم بأنّها أمّ اللّه، وأنّها ولدت اللّه؟! هل سمع أحدٌ بأنّ العبد يلد ربَّه؟!»[٣٤].

٧ - أمّا سمـاحة **الشيخ حسن خالد**، مفتي الجـمهوريّة اللّبنانيّـة، فيُظهر رضاه عن مريم أمّ عيسى وعن عقيدة المسيـحيّين فيها. فهو لا يرى عندهم بالنسبة إليهـا شيئًا يؤاخذون عـليه. إنّه يتتبّع القـرآن ليدلّ على «منبت مريم عليهـا السلام وأصلهـا ونشأتـها وسلوكـهـا وسبب حـملهـا وكيـفـيّتـه ثم بولادتهـا المعجـزة وظروفها»[٣٥].

وفي رأيه أنّ القـرآن جـاء بالقـول الفـصل. إنّه «الموقف المـنبـثق عن العلم، والصـادر عن الإيمان، والمؤيّد للحـقيـقـة وواقع الأمر، بعـيـدًا عن مزالق الهـوى، وتيّاراته الشاردة الضالة».

مريم المفـتي خالد، كـمريم القرآن، قـد حظيت بنعم اللّه، و«فازت برعـايته، وحفظه، وعنايتـه... وهيّأ لها الإحاطة والرعاية الفـاضلة... وقد زادها اللّه من هذه الرعاية واللّطف... فأكرمها كلّ الإكرام، حيث أرسـل إليها الملائكة، يتقدّمهم جبريل عليه السلام.

«وهذا في منتهـى الحفاوة والإعـزاز؛ لأنّه، باتّفاق العلمـاء، لم يتّفق أن وقع مثله لأنثى غيرها. وقد طهّرها وعصمـها من الكفر والعصيان، وأغناها من مسيس الرجال، ونقّاها مـن الحيض والنفاس، وخلاّها من الأفعـال الذميمة، والتـصرّفات القبيـحة، والعادات البشـعة، وأكّد لها ولكلّ الناس، الذيـن كانوا يلقونها ويهـتمّون بأخبارها، أنّها طاهرة، ومبرّأة ممّا ينسبه إليها اليهود».

---

(٣٤) المرجع السابق نفسه، ص١٠٥-١٠٦؛ وص٢٥٤-٢٥٦.

(٣٥) **موقف الإسـلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصـرانيّة**، سلسلة الدراسات الإسـلاميّة، معـهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٦؛ ص ٦٤٩.

وهناك أيضاً، بحسب سماحة المفتي، «موقف آخر للإسلام بالنسبة إلى السيّدة مريم، يكشف به الحقيقة، ويزيل عنها كل لبس وغموض، ويؤكّد أنّ حملها كان ظاهرة خارقة للعادة، وهي التي سبق وأكرمها اللّه، ورعاها، واصطفاها، وطهّرها، وأحاط نشأتها بالخوارق لطبائع الأشياء والسلوك والعيش» .

ويتابع سماحة الشيخ شرحه المستفيض عن قداسة مريم فيكرّر قوله: «والسيّدة مريم المبرّأة من كل عيب، والمطهّرة من كل دنس، والمصطفاة، شاء اللّه لها أن تحمل بعيسى حملاً من غير مسيس رجل ، وبكلمته التي لا مردّ لها، فأرسل إليها الروح الذي أرسله من قَبل إلى الأنبياء ومن بعد ونفذ أمره، وحمل لها كلمة التكوين، وبلّغها إيّاها، وكان ما شاء الله تعالى له أن يكون».

ويختم الشيخ قائلاً: إنّ اللّه، باختياره مريم، وتبرئته لها من افتراءات اليهود، «رَفعَها إلى المستوى البشري الذي لا تُرفع إلى مثله أنثى من العالمين»[٣٦].

٩ . إنّ موقع مريم في القرآن وعند المسلمين لا يضاهيه موقع امرأة من نساء العالم. إنّها وابنها «آية العالمين» (٢١/ ٩١؛ ٢٣/ ٥٠). وبسببها عادى اليهودَ واتّهمهم بالكفر وقول الزور (٤/ ١٥٦)، ويصفها، كما الكنيسة، بمنتهى الطهارة والاصطفاء والعصمة من كلّ خطيئة... والمسلمون يتبعون القرآن في ذلك. وقد تكون مريم مرتكزَ حوارٍ دينيٍّ جدّيٍّ بينهم وبين المسيحيّين.

المُزَاحَمَة : المدافعة على مكان أو غيره. يُقال: زحمتُه زحماً: دفعتُه وضايقتُه على المجلس؛ وزحم القومُ بعضُهم بعضاً: تدافعوا.. ومنها: المزاحمة على استلام الحجر الأسود: قال الفقهاء: إذا تعذّر استلام الحجر لزحامِ الناس نُظِر، فإن خفّ الزحام وأمكنه الاستلام صبر؛ وإن علم أنّ الزحام لا يخف ترك الاستلام، ولم يزاحم الناس، بل أشار إليه بيده رافعاً يده ثم يقبّلها، لحديث سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول اللّه: «يا عمر! إنّك رجل قويّ! لا تزاحِم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدتَ خلوةً فاستلمْه، وإلاّ فاستقبله، فهلِّلْ وكبِّر»[١]..

---

(٣٦) المرجع السابق نفسه، ص ٦٥٥-٦٥٧.

(١) رواه أحمد في مسنده ١/ ٢٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٨٠، عن عمر بن الخطّاب.

وحكي عن طائفة: أنّ الزحام إليه أفضل، روي عن سالم بن عبدالله قال: كنّا نزاحم ابنَ عمر، وكان عبدالله، لو زاحم الجمل، زحمه.

المَزَامِير : من مزمور؛ هي مزامير داود، أي: ما كان يترنّم به داود من الزبور وضروب الدعاء.. وردت في القرآن تحت لفظ «الزَّبُور» ٣مرّات.

المُزْدَلِفَة : مكان يقع تقريباً في منتصف الطريق بين **مِنى** و**عرفات**. فيه يمضي الحجّاج العائدون من عرفات الليلَ بين التاسع والعاشر من ذي الحجّة، بعد أن يؤدّوا صلاتَي المغرب والعشاء. وفي الصباح التالي يخرجون قبل طلوع الشمس، ويصعدون إلى مِنى عن طريق وادي مُحَسِّر. وثمّة أسماء أخرى تُطلق على هذا المكان، وهي: المشعر الحرام (ر: ٢/ ١٩٤)، والجمع (ولكنّ الجمع يشمل كلَّ الأرض الممتدّة بين عرفات ومنى).. وترجع المناسك المرتبطة بليلة المزدلفة إلى العصر الجاهلي، وكان قُصَيّ يُشعل النار المقدّسة فيها..

المِزْمَار : آلة الزمر؛ والمزمور ما يترنّم به من الأناشيد؛ والجمع: مزامير؛ نصّ الفقهاء على أنّ استعمال آلات اللّهو، كالمزمار والعود وغيرهما، محرّم؛ واستدلّوا على حرمته بحديث عن النبيّ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ بعثني رحمةً وهدًى للعالمين، وأمرَني أن أمحق المزامير والكيارات والمعازف»[١].. ويقول القرطبي: «وكيف لا يحرّم، وهو شعار أهل الخمور والفسوق، ومهيّج الشهوات والفساد والمجون. وما كان كذلك لم يشكّ في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيمه»[٢].. وقال ابن قدامة: مَن كانت صناعته محرّمة، كصانع المزامير والطنابير، فلا شهادة له[٣].. وذهب الفقهاء إلى أنّه لا قطْع في سرقة المزمار ونحوه من المعازف المحرّمة.. ولا تُقبل شهادة المستمع للمزمار، وتردّ شهادته، وتسقط عدالته.

المُسَبِّحِيّ (عزّ المُلك) (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) : مؤرّخ وأديب مصريّ. خدم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٧؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٦٩: «ضعيف».
(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي ٢/ ١٩٣.
(٣) المغني لابن قدامة ٩/ ١٧٠.

الحاكم الفاطميّ. أصله من حرّان. له كتاب «تاريخ مصر»، و«التلويح والتصريح» في الأدب ومعاني الشعر.

المُسْتَأْمَن : هو مَن دخل دارَ الإسلام على أمانٍ مؤقّت مِن قِبل الإمام أو أحدِ المسلمين. والفرق بين المستأمَن وبين الذمِّي، أنّ الأمان للذمّيّ مؤبّد، وللمستأمَن مؤقّت. والأصل في أمان المستأمِن قوله تعالى: «وإنْ أحدٌ من المشركين استجارَكَ فأَجِرْهُ حتّى يسمعَ كلامَ اللّه. ثمّ أَبْلِغْهُ مَأمَنَه» (٩/٦)، وقول النبي: «ذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم»[٤]. والحكمة، كما قال النووي: قد تقتضي المصلحة الأمان لاستمالة الكافر إلى الإسلام، أو إراحة الجيش، أو ترتيب أمرهم، أو للحاجة إلى دخول الكفّار، أو لمكيدة وغيرها[٥].. بالأمان يثبت للمستأمن الأمن عن القتل والسبي وغنم المال، فيحرّم على المسلمين قتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم واغتنام أموالهم.

المُسْتَدْرَكَات : هي ما يُلحق بكتب الأحاديث على شروط معيّنة، كما فعل أبو عبداللّه الحاكم (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م) في كتابه «المستدرَك على الصحيحين» حيث جمع فيه جملة من الأحاديث ممّا لم يذكرها صاحبا الصحيح..

وقد حظيت كتب المستدرَكات باهتمام العلماء، فعملوا على دراستها وبيان درجة أحاديثها، كما فعل الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) في كتابه «تلخيص المستدرك» حيث درس مستدرَك الحاكم مبيِّناً درجة أحاديثه، وهو مطبوع مع المستدرك في طبعة واحدة[١].

المُسْتَعْلِيَّة : ١ . فرقة إسماعيليّة أنصار المستعلي أبي القاسم أحمد (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) الذي اغتصب الحكم من أخيه نزار، وقد أكرهه على التخلّي عن الإمامة، ثمّ سجنه حتّى مات. وبعد سقوط الدولة الفاطميّة في مصر على يد صلاح

---

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٣/٢٧٥؛ مسلم ٢/٩٩٨، من حديث علي بن أبي طالب.

(٥) روضة الطالبين ١٠/٢٧٨.

(١) راجع مادّة: المستدركات، د. مروان محمّد مصطفى، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٢٨٩–١٢٩٠.

الدين الأيّوبي عام ١١٧١م انتقلت فرقة المستعليّة إلى اليمن، واستمرّت طوال خمسة قرون، ثمّ لاقت نجاحاً في الهند.. ثمّ انشقّت إلى داوديّة في الهند وسليمانيّة في اليمن، ثمّ إلى ما يجمع الفريقين تحت اسم **البَهَرَة**.

٢. من معتقداتهم: ١ – يحترمون القرآن ظاهراً مع تأويله تأويلاً باطنيًا. ٢ – لهم كتاب مقدّس، إسمه «النصيحة» لمؤلّفه الداعي طاهر سيف الدولة، يتوجّهون في قبلتهم للصلاة إلى قبره في بومباي. ٣ – تجب عليهم الصلاة في العشرة أيّام الأولى من شهر المحرّم، وفي غيرها لا يصلّون. ٤ – يذهبون إلى الحجّ بمكّة ظاهريًا، ويقولون إنّ الكعبة رمزٌ على الإمام[١].

المَسْجِد: ١. بيت الصلاة، وموضع السجود. والجمْع: مساجد. والمساجد هي البيوت المبنيّة للصلاة، فهي خالصة للّه ولعبادته. والمسجد: كلّ موضع يمكن أن يعبد اللّه فيه ويُسجد له، لقول النبي: «جُعلتْ لي الأرضُ مسجِداً وطهوراً»[١]، وكذلك قوله: «أينما أدركتك الصلاة فصلِّ. فهو مسجد»[٢].. أمّا **الجَامِع** فهو المسجد الذي تُصَلَّى فيه الجمعة. وسمّي بذلك لأنّه يجمع الناس لوقت معلوم.. والجامع أخصّ من المسجد.. عن عثمان بن عفّان قال: سمعتُ رسولَ اللّه يقول: «مَن بنى مسجداً يبتغي به وجهَ اللّه بنى اللّهُ له مثلَه في الجنّة»[٣].

٢. قبل أن يدخل محمّد المدينة، توقّف عند مداخلها، وبنى مسجداً في موضع اسمه «**قُباء**»، وراح يصلّي فيه، هو وجماعته، ويدعوهم إلى الاجتماع فيه. وكذلك، على ما يبدو، كان لكلّ قبيلة مكانُها للصلاة على حدة. ويبدو أيضاً أنّ محمّداً دان بعضَ المساجد حيث لا تقوم الصلاة بفروضها المكتوبة. منها، مثلاً، «مسجد الضرار» لأنّه لم يؤسَّس على التقوى، ولكنّه أُسِّس ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين (رَ: ٩/١٠٨).

---

(١) رَ مادّة: المستعليّة، هيئة تحرير الموسوعة الإسلاميّة العامّة، ٢٠٠٣؛ ص ١٢٩١–١٢٩٢.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٥٣٣؛ من حديث جابر بن عبداللّه.

(٢) مسلم، الصلاة، حديث رقم ١.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/٥٤٤؛ مسلم ١/٣٧٨.

٣ . تفضل المساجدُ الثلاثة: **المسجد الحرام** بمكّة، **المسجد النبويّ** بالمدينة، **المسجد الأقصى** بالقدس، غيرَها من المساجد الأخرى. وإنّها تُشدّ إليها الرحال دون غيرها؛ وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة، منها حديث أبي هُريرة وأبي سعيد أن رسول اللّه قال: «لا تُشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»[٤].

٤ . يقال للمسجد «جامع»، إذا ما اجتمع فيه المصلّون نهار الجمعة (٦/ ٧٦ و١١٥ وما بعدها). غير أنَّ كلمة «مسجد» أصبحت تعني اليوم، وبطريقة مألوفة، الجامع، و«الجامع» مسجداً؛ إنّما مسجداً كبيراً. لم تقتصر وظيفة المسجد، في أوّل الأمر، على الصلاة، بل كان المسجد أيضاً مركز الحكم والإدارة والدعوة والتشاور؛ كما كان محلّ القضاء والإفتاء والعلم والإعلام؛ وغير ذلك من أمور الدين والدولة.

٥ . ذهب الفقهاء إلى أنّه يُستحبُّ للنساء أن تكون صلاتهنّ في بيوتهنّ، فذلك لهنّ أفضل من صلاتهنّ في المسجد. قال رسول اللّه: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتُهنّ خيرٌ لهنّ»[٥].. وإن كانت المرأةُ شابّةً غيرَ فارهة في الجمال والشباب، جاز لها الخروج لتصلّي في المسجد، شرط ألاّ تتطيّب[٦]، وأن لا يُخشى منها الفتنة، وأن تخرج في رديء ثيابها، وأن لا تزاحم الرجال، وأن يُقام حاجز يفصل بينهنّ وبين الرجال، وأن تغادر المسجد قبلهم[٧]، وأن تكون الطريق مأمونة من توقّع المفسدة. ولا يجب دخول النساء في المسجد وهنّ محيضات[٨]. فإن لم تتحقّق فيها تلك الشروط كره لها الصلاة فيه.. وفي حديث أم سلمة: «خير مساجد النساء قعرُ بيوتهنّ»[٩].

---

(٤) أخرجه مسلم ٢/ ١٠١٤.

(٥) أخرجه أبو داود ١/ ٣٨٣، من حديث ابن عمر.

(٦) مسلم، الصلاة، باب ٢٩؛ البخاري، الجمع، باب ١٣.

(٧) النسائي، سهو، باب ٧٧؛ أبو داود، الصلاة، باب ١٤ و٤٨.

(٨) أبو داود، الطهارة، أبواب ٩٢ و١٠٣ إلخ..

(٩) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٠٩؛ وأحمد في المسند ٦/ ٢٩٧.

٦ . إنّ المساجد المرتبطة بقبرٍ تُسمّى «**مشهد**». وهذا يُطلق على الأماكن التي يُقدَّس فيها الأولياء، وخاصّة قبور أسرة النبي وأقاربه.. ولكنّه يُطلق أيضاً على قبور أولياء آخرين. «مَن بنى مسجداً للّه، بنى اللّه له بيتاً في الجنّة»[١٠].

٧ . للمسجد قداسته.. لهذا، ليس بوسع أحد دخوله وهو في حالة نجاسة. ولهذا أيضاً على المرء أن يخلع نعلَيه في المسجد.. وأن يضع قدمَه اليمنى أوّلاً.. وأن لا يبصق فيه، وأن يتكلّم بصوتٍ عالٍ. وعليه أيضاً أن يرتدي ملابس نظيفة في صلاة الجمعة، وأن يتطيّب بالزيت والعطر[١١].

المَسْجِدُ الأقْصَى : هو الحرَم الشريف الموجود في بيت المقدس. وأُولى القِبلتَين. يسمّى الأقصى لبعده عن المسجد الحرام. وإليه كان المسلمون يتوجّهون في صلاتهم قبل أن تحوَّل القِبلة إلى الكعبة. وإليه كان إسراء النبيّ قبل الهجرة، ونزل في ذلك قوله: «سُبحانَ الذي أسْرَى بعبْدِهِ لَيلاً مِنَ المسجدِ الحرام إلى المسجدِ الأقصى الذي باركْنا حولَه» (١٧/١). يضمّ هذا المسجد قبّةَ الصخرة والمسجد الذي أمر عمر بن الخطّاب ببنائه. ويقال: إنّه كان في الأصل كنيسة بناها جستنيان.

المَسْجِدُ الحَرَام : ١ . هو بيت اللّه الحرام في مكّة. وقد يراد به مكّة كلّها مع ما حولها. يضمّ الكعبة، وبئر زمزم، ومقام إبراهيم، في فضاء صغير. سمّي حراماً لأنّه لا يحلّ إنتهاكه، فلا يُصاد عنده، ولا حوله، ولا يُنتزع ما فيه من حشيش.. وهو أوّل مسجد وُضع على الأرض، كما في قوله تعالى: «إنّ أوّلَ بيتٍ وُضِعَ للناسِ للذي ببكّةَ مُباركاً وهُدًى للعالمين» (٣/٩٦). يرد اسمه في القرآن مراراً[١٢].

٢ . من الكبائر التي يرتكبها المشركون أنّهم «يصدّون» الناسَ عن المسجد الحرام[١٣]، والمسجد الحرام هو القِبلة الجديدة التي يولي المسلمون وجوهَهم إليها

---

(١٠) رَ: البخاري، الصلاة، باب ٦٥؛ مسلم، المساجد، الحديث رقم ٤.

(١١) البخاري، الجمعة، أبواب ٣ و٦ و٧ و١٩.

(١٢) رَ: ٢/٤٤ و١٤٩؛ ٥/٢؛ ٨/٣٤؛ ١٧/١..إلخ.

(١٣) ٢/٢١٧؛ ٥/٣؛ ٢٢/٢٥؛ ٤٨/٢٥.

(١٤١/٢ و١٤٩)، وفيه تختم العهود (٧/٩). جاء في الحديث أيضاً أنّ هذا المسجد يسبق مسجد بيت المقدس بأربعين سنة[١٤]، وأنّ الصلاةَ فيه لها فضلٌ بوجه خاص[١٥].

٢ . توسّع فناء المسجد الحرام مع الخلفاء الراشدين، ثمّ مع الخلفاء الأمويّين، ثم مع بني العبّاس.. وارتفع عدد المآذن، وأقيمت أعمدة حول الكعبة للإنارة.. وأعطي المسجد شكله النهائي في السنوات ١٥٧٣-١٥٧٧ في عهد السلطان سليم الثاني.

المَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيْف : هو ثاني الحرَمَين: الأوّل في مكّة، ويسمّى الحرم المكّي؛ والثاني في المدينة المنوّرة، ويسمّى الحرم المدني. اشترى النبيّ، عندما وصل إلى المدينة أرضاً، وبنى فيها بناءًا، فكان المسجد عبارة عن فناء يحيط به حائط من اللّبن، فوق أسس من الحجارة، وجعل له ثلاثة أبواب.. وفي الجانب الشرقي بُني كوخان لسودَة وعائشة زوجَي النبيّ، وكانت مداخلهما تؤدّي إلى الفناء. ثمّ زيد العدد فيما بعد بحيث أصبح هناك تسعة بيوت صغيرة لأزواج النبي.. وكان المسجد فناء بيت النبيّ، وفي الوقت نفسه ملتقى المؤمنين، ومكاناً للصلاة الجامعة.

المَسْح : جاء في القرآن قوله تعالى: «وامْسَحُوا برؤوسِكمْ وأرجُلَكُمْ إلى الكَعبَين» (٥/٦). فالمفروض في الوضوء: مسح الرأس، ومسح الأذنَين؛ ولكن يُكره مسح الرقبة؛ واختُلف في المسح على العمامة؛ ولا يجوز المسح على القلنسوة بدلاً من الرأس؛ ولا على القفّازَين؛ وكذلك لا يجوز للمرأة أن تمسح على خمارها؛ واتّفق الفقهاء على مشروعيّة المسح على الجبائر (مفرد: الجبيرة، أي العضو المربوط لكسرٍ ما)؛ وشُرِّع المَسح على الخُفَّين للتيسير والتخفيف عن المكلَّفين الذين يشقّ عليهم نزع الخفّ وغسل الرجلين خاصّة في أوقات الشتاء والبرد الشديد، وفي السفر وما يصاحبه من الاستعجال ومواصلة السفر.

---

(١٤) البخاري، الأنبياء، باب ١٠ و٤٠.

(١٥) البخاري، فضل الصلاة في مسجد مكّة، باب رقم ١.

المَسّ: ١ . مِن مَسَّ يَمَسُّ مَسًا ومَسيساً. قيل: مسّ امرأته كناية عن الجماع؛ ورجل ممسوس، أي به مَسٌّ من الجنون، كما في قوله تعالى: «كما يقومُ الذي يتخبَّطُهُ الشَّيطانُ مِنَ المَسِّ» (٢/ ٢٧٥)..

٢ . اتّفق الفقهاء على أنّه يحرّم مسّ المصحف لغير الطاهر طهارة كاملة من الحدثين الأصغر والأكبر، لقوله تعالى: «إنّه لَقرآنٌ كريم، في كتابٍ مَكنون، لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرونَ. تنزيلٌ من ربِّ العالَمينَ» (٥٦/ ٧٧-٨٠).. وذهبوا إلى منع الكافر من مسّ المصحف، لأنّ الكافر نجس؛ ولكن خالفهم محمّد من أصحاب أبي حنيفة فقال: لا بأس أن يَمسّ الكافرُ القرآنَ إذا اغتسل، لأنّ المانع هو الحدَث، وقد زال بالغسل؛ وإنّما بقي نجاسة اعتقاده، وذلك في قلبه لا في يده[1].

٣ . ذهب الفقهاء إلى فساد الصوم بالإنزال بالمسّ؛ وقالوا أيضاً بأنّ مسّ الذَكَر ينقض الوضوء. وذهبوا إلى عدم جواز مسّ الرجل شيئاً من جسد المرأة الأجنبيّة. ولكن يجوز للطبيب المسلم، إن لم توجد طبيبة، أن يداوي المريضة الأجنبيّة المسلمة، وينظر منها، ويمسّ ما تلجئ الحاجةُ إلى نظره ومسِّه.

المَسْعُودِيّ (أبو الحسن عليّ) (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) : مؤرّخ ورحّالة بغداديّ. رحل إلى بلدانٍ كثيرة وأقام في مصر حيث توفّي. اشتهر بتاريخه «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، يبدأ به بالخليقة، وينتهي بعهد الخليفة العبّاسي المطيع ٩٧٤م. ومن كتبه أيضاً: «التنبيه والإشراف».

مِسْكَوَيْه (أحمد بن محمّد) (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣١م) : كان والده مجوسيًا وأسلم. لقّب بالخازن، أي خازن الكتب عند ابن العميد، ووزيرِ ركن الدولة البويهيّ. كان مشهوراً بالعلم والأدب. أشهر كتبه : كتاب «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، فصّل فيه أصول الأخلاق، وضبط أنواعها، وميّز حدودها. واعتبر أنّ اللّه قد خلق الإنسان مدنيًا بطبعه، أي أنّه محتاج في معيشته وضروريّات حياته وتمام بقائه إلى الاجتماع ببني جنسه حتّى تتحقّق المعاونة والمساندة والمعاوضة بين الأفراد.

---

(١) بدائع الصنائع ١/ ١١٦٥.

المِسْكِين : ١ . مَن أسكنه الفقر. وهو من لا يملك شيئاً.. لا خلاف بين الفقهاء في أنّ المسكين يُعتبر مصرفاً من مصارف الزكاة، لقوله تعالى: «إنّما الصَّدَقاتُ للفقراءِ والمساكين» (٩/ ٦٠).. واتّفقوا على أنّ مَن عجز عن الصيام في أداء كفّارة الظهار وكفّارة الجماع في رمضان، لمرضٍ أو غيره من الأعذار، كفّر بإطعام ستّين مسكيناً.. ودفْع الكفّارةِ والفدية إلى المساكين يكون بإطعامهم؛ إلاّ أنّه يَختلف عدد المساكين الواجب إطعامهم بحسب اختلاف الكفّارات.

٢ . فالإطعام يكون لستّين مسكيناً، كما في كفّارة الظهار، لقوله تعالى: «والذينَ يُظَاهِرونَ من نسائهم، ثمّ يَعودونَ لِما قالوا فتحريرُ رَقَبَةٍ مِن قبلِ أن يتماسًّا.. فمَن لم يجدْ فصيامُ شهرَينِ مُتتابِعَين مِن قبلِ أن يتماسًّا. فمَن لم يستطِعْ فإطعامُ ستّينَ مسكيناً» (٥٨/ ٣-٤)؛

وقد يكون لعشرة مساكين، كما في كفّارة اليمين المنعقدة (رَ: ٥/ ٨٩)؛

وقد يكون لستة مساكين، كمن فعل من محظورات الإحرام شيئاً لعذر، أو دفع أذى؛

وقد يكون لمسكين واحد، كما في الشيخ الكبير الذي يجهده الصوم، والمرضع والحبلى إذا خافتا على أولادهما؛

وقد يكون إطعام الطعام من غير بيان عدد معيّن من المساكين، كما في فدية المحرم لقتل الصيد.

٤ . وذهب الفقهاء إلى أنّ للمساكين سهماً في خُمُسِ مالِ الغنيمة، لقوله تعالى: «واعلَموا أنَّ ما غنِمْتُم مِن شيءٍ فأنّ للّهِ خُمُسَه وللرسول ولذي القُربَى واليتامَى والمساكينِ وابنِ السبيل» (٨/ ٤١). واختلفوا في مقدار هذا السهم.

مُسْلِم بن الحَجّاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م) : وُلد بنيسابور. إمام في الحديث. تقوم شهرته على كتابه «الصحيح»، الذي يتمتّع و«صحيح» البخاري بأعظم شهرة بين مجموعات الأحاديث.. ولقد مهّد مُسلم لكتابه بمقدّمة عن علم الحديث. يتكوّن

الكتـاب من ٥٢ كتابـاً تتناول الموضوعـات المشتـركة في الحديـث، وهي: الأركان الخمسة، النكاح، الرقّ، المقايضـة، الفرائض، الحرب، الأضاحي، العادات والأعراف، الأنبياء والصحابة، القضاء والقدر، وغير ذلك من موضوعات الفقه وفلسفة الحشر والنشر. وينتـهي بفصل عن القرآن (تفـسير) هو من الإيجاز بحـيث يفوقه قيـمةً «كتاب الإيمـان». وعدد أحاديث مسلم دون المكرّرة ٤ آلاف، انتـقاها من ٣٠٠ ألف حديث مسموعة. يقول فيه: «ما وضعتُ في هذا المسند شيئاً إلاّ بحجّة، ولا أسقطتُ شيئاً منه إلاّ بحجّة».

مُسْلِم بن عُـقْبَة (ت ٦٣هـ/٦٨٣م) : قائد يَزيد بن مُعـاوية. غزا المدينة في معركة الحَرَّة.

مُسْلِم بن عَقِيْل (ت ٦٠هـ/ ٦٨٠م) : إبن عمّ الحُسَين بن عليّ. انتـصر عليه عُبيد الله بن زِياد حاكم الكوفة وقتله.

مُسْلِم بـن الوَلِيْد (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) : من شـعراء العـبّاسـيّين. وُلد في الكوفة. لُقِّب بصريع الغـواني. مدح هارون الرشيد والبرامكة. أكـثر من البديع في شعره. اتّصل بالفضل بن سهل وزير المأمون فولاّه البريد في جُرجان.

المُسْنَد : ١ ـ هو الكتاب الذي جمعتْ فيه أحاديث كلّ صحابي على حدة، من غير نظر إلى موضوعات الأحاديث أو درجـتها.. فالوحدة التي تجمع بين الأحاديث أنّها من رواية ذلك الـصحابي. فـيعمـد صاحب المسند إلى جمـع أحاديث أبي بكر، مثلاً، فإذا فرغ منها انتقل إلى أحاديث عـمر. وهكذا حتّى يفرغ من جميع الصحابة الذين يخرج لهم في مسنده.

وفي المسند تجد حديثاً في الصلاة بجوار حديث في الحجّ، يليه في الجهاد، أو الإيمان، أو الحدود. والرابط بينها أنّها من رواية صـحابيّ واحد، بعكس الترتيب على الكتب الفـقهيّة، مـثل الكتب الستّـة، فإنّها تضع أحـاديث الصلاة مع بعضـها البعض، وكذلك الإيمان والجهاد والحدود..

٢ ـ وهذه المسانيد لها اعتبارات متـعدّدة في ترتيب أسماء الصحابة: فمنهم

من يرتّب ذكر الصحابة على حسب السبق في الإسلام، فقدّم العشرة المبشّرين بالجنّة، ثمّ أهل بدْر، ثمّ أهل الحديبيّة والفتح، ثمّ مَن أسلم يوم الفتح، ثمّ أصاغر الصحابة سنًا، ثمّ النساء، كما فعل الإمام أحمد في مسنده. ومنهم من رتّبهم على حروف المعجم، كما فعل الطبراني في المعجم الكبير. ومنهم مَن اقتصر على أحاديث بعض الصحابة، أو واحد منهم فقط، كمسند الأربعة..

وكتب المسانيد لا تهتمّ عادة بتمييز الحديث، صحيحاً كان أم حسناً أم ضعيفاً.

٣ . وتأتي منزلة المسانيد بين كتب الحديث بعد الصحيحَين والسنن الأربعة. وهي كثيرة جدًا، قد تفوق ٨٠ مسنداً. أهمّها :

١ – **مسند أبي داود** (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م). بلغ عدد المسانيد فيه أكثر من ٣٠٠ من الصحابة والصحابيّات. وبلغت أحاديثه ٢٨٩٠ حديثاً. وقد بدأ بأحاديث العشرة المبشّرين بالجنّة، ثمّ ببقيّة الصحابة.

٢ – **مسند الحميدي**، شيخ البخاري (ت ٢١٩هـ/ ٨٣٤م). يشتمل على ١٣٠٠ حديث. وقد بلغ عدد الصحابة فيه ١٨١ صحابيًا. لم يرتّب مسانيد الصحابة على حروف الهجاء، وإنّما بدأ بالخلفاء الأربعة الراشدين، ثمّ بقيّة العشرة المبشّرين إلاّ طلحة. ثمّ الصحابة، ثمّ أمّهات المؤمنين، ثمّ الصحابيّات..

٣ – **مسند الإمام أحمد بن جنبل** (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م). يشتمل على ١٠٥٦ صحابيّاً. ويبلغ مجموع أحاديثه ٢٧,٦٤٧ حديثاً. ويأخذ بأفضليّة الصحابة، كالخلفاء الأربعة، وبقيّة العشرة المبشّرين بالجنّة، ثم أهل البيت، ثمّ المكثرين من الصحابة، ثمّ المكّيين، ثمّ المدنيّين، ثمّ الشاميّين، ثمّ الكوفيّين، ثمّ البصريّين، ثمّ الأنصار، ثمّ مسانيد النساء في آخر الكتاب، حيث بدأ بعائشة، ثمّ فاطمة.. وقد يكون مسند الإمام أحمد أعلى تلك المسانيد شأناً، وأرفعها قدراً. وهو المراد عند الإطلاق. وإذا أريد غيره فلا بدّ من أن يُقال مسند فلان.

٤ – **مسند أبي يعلى الموصلي** (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م). يشتمل على ٢١٠

صحابيًا. ويبلغ عدد أحاديثه ٧,٥٥٥ حديثاً. بدأ بالعشرة إلاّ عثمان. ثمّ قرابة النبيّ، ثمّ أمّهات المؤمنين..

المسيح : (راجع مادّة : **عيسى**)

مُسَيلِمَة الكَذّاب (ت ١٢هـ/٦٣٣م) : رجلٌ من بني حنيفة في اليمامة ادّعى النبوّة. كان معاصراً للنبيّ محمّد. وكان يشغل في اليمامة مركزاً شبيها بمركز النبيّ في المدينة.. والأقوال المنسوبة إليه تذكّر بأقدم السور المكّيّة بجملها القصيرة المنغّمة، وأسلوبها المتين وقَسَمها الغريب؛ فيما ليس بينها وبين السور المدنيّة شبه على الإطلاق.. وكاد مسيلمة، بعد موت النبيّ، أن يكوّن خطراً كبيراً على الإسلام، لو لم يبعث أبو بكر الصدّيق حملةً ضدّه، وضدّ بني حنيفة بقيادة خالد بن الوليد. ودارت معركة عند عقرباء، قُتل فيها مُسَيلِمة وكثيرٌ من أتباعه. وتكبّد المسلمون أيضاً خسائر فادحة، منهم عدد كبير من القرّاء.

المَشْعَرُ الحَرَام : جبل صغير آخر المزدلفة، إسمه قُزَح. وسمّي مشعراً لما فيه من الشعائر، وهي معالم الدين وطاعة الله؛ ووُصف بالحرام، لأنّه يحرم فيه الصيد وغيره. ويجوز أن يكون معناه ذو الحرمة. وهو جزء من المزدلفة (أنظر: **المزدلفة**)

مَشْهَدُ الحُسَيْن : مكانٌ في كربلاء. يقع غربي الفرات، على بعد حوالي ٦٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من بغداد على حافّة الصحراء.. في يوم عاشوراء، أي العاشر من المحرّم، سنة ٦١هـ/ ١٠/ ١٠/ ٦٨٠م، خرج الإمام الحسين بن علي من مكّة متوجّهاً إلى العراق؛ فقُتل في سهل كربلاء في معركة مع عامل الكوفة. ودُفن في الحائر. والمكان الذي دُفن فيه جسد حفيد النبيّ، بعد حزّ رأسه الذي أُرسل إلى يزيد الأوّل في دمشق، والذي يدعى قبر الحسين، سرعان ما أصبح مكاناً مشهوراً يحجّ إليه الشيعة من أقطار الأرض.

في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥١م هدَم المتوكّل القبرَ والمباني الملحقة به، وأمر بتسوية الأرض وزراعتها، وحرّم زيارة الأماكن المقدّسة، مهدِّداً بعقوبات شديدة على مَن يزورونها. إلاّ أنّه في سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م وضع الشيعي عضد الدولة من

بني بُوَيه مشهدَ علي في النجف، ومشهد الحسين في كربلاء، تحت حمايته الخاصّة.. وأصبح المشهدان عبر التاريخ من أهمّ مزارات الشيعة وأقدسها. وإليها يتوجّه الحجّاج المسنّون من الشيعة كي يموتوا في البقعة المقدّسة ميتةً صالحة.

المَشْهُور : في اصطلاح الأصوليّين: المشهور من الحديث هو ما كان رواته بعد القرن الأوّل في كلّ عهد قوماً لا يُحصَى عددهم، ولا يمكن تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم. وفي اصطلاح المحدِّثين: هو ما لم يجمع شروط المتواتر. وله طرق محصورة بأكثر من اثنَين. أمّا المشهور عند المالكيّة: فهو ما قوي دليله، لا ما كثر قائلوه.

المَشُورَة : (أنظر: **شورى**).

المَشِيْئَة (أنظر: **الإرادة**) : **مشيئة الله ومشيئة الإنسان : ١** . جاء في القرآن أنّ ما من مصيبة تصيب الإنسان إلاّ من مشيئة الله. قال: «ما أصاب من مصيبة في الأرض، ولا في أنفسكم، إلاّ في كتابٍ من قبل أن نبرأها. إنّ ذلك على الله يسير» (٥٧/٢٢). يخبرنا الله هنا أنّه قد قدّر كلّ شيء من قبل أن يخلق الأرضَ ومَن عليها...

٢ . وفي تفسير سورة طه، الآية ١٢٢ يقول ابن كثير : " يقول البخاري: .. عن أبي هُريرة، عن النبيّ (ص) قال: «حاجّ موسى آدم، فقال له: أنتَ الذي أخرجتَ الناسَ من الجنّة بذنبك وأشقَيتهم؟ قال آدم: يا موسى! أنت الذي اصطفاك الله، أتلومني على أمرٍ كتبه اللّهُ قبل أن يخلقني؟» ".

٣ . وفي سورة التغابن، الآية ٢: «هو الذي خلقكم. فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ. والله بما تعملون بصير». وشرح هذه الآية يقول: لو أردتَ أن تؤمن لا يمكن لك أن تؤمن إلاّ إذا كان الله قد قدّر أنّك تستحقّ الهداية. وكتب ذلك لك في اللوح المحفوظ.

٤ . وتخبرنا سورة السجدة، الآية ١٣ لماذا لم يهد اللّهُ الناسَ كلَّهم: «ولو شئنا لأتَينا كلَّ نفسٍ هداها. ولكن حقّ القول منّي لأملأنَّ جهنّم من الجِنّة والناس

أجمعين». وبما أن جهنّم لا تمتلئ، «فنقول لها: هل امتلأتِ؟ فتقول: هل من مزيد؟»، يجب أن يظلّ أكثر الناس كافرين حتّى يملأ اللّهُ جهنّم بهم، لأنّه سبق منه القول بذلك. واللّه لا يخلف قوله.

٥ . وفي سورة النحل، الآية ٩٣، يخبرنا القرآن مرّة أخرى أنّ الإيمان لا يكون إلاّ بإرادة اللّه: «ولو شاء اللّهُ لجعلكم أمّةً واحدة، ولكن يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء. ولتسألنّ عمّا كنتم تعملون». فهو يضلّ مَن يشاء. ثمّ يسألهم عمّا كانوا يعملون. فهل يستوي هذا المنطق مع الإرادة الحرّة؟

٦ . وفي سورة الإسراء، الآية ٤٦، يظهر أنّ اللّه يختم على قلوب مَن اختارهم للكفر حتّى لا يفهموا القرآن فيؤمنوا به: «وجلعنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً».

٧ . وسورة الأنعام، الآية ١١١ تقول: «ولو أنّا أنزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيءٍ قُبُلاً، ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء اللّه. ولكن أكثرهم يجهلون». فإذاً كلّ محاولات الإنسان غير المسلم أن يفهم القرآن ويؤمن به، لا تجدي إلاّ إذا كان اللّه قد قرّر مسبقاً لهذا الفرد أن يؤمن؛ وإلاّ سيجعل اللّه في آذانه وقراً، وسيطبع على قلبه، فلا يؤمن.

٨ . وسورة يونس، الآية ١٠٠ تكرّر نفس الرسالة: «وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلاّ بإذن اللّه، ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون».

٩ . وفي نفس سورة يونس، الآية ٩٩ تقول: «ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعاً. أفأنتَ تُكره الناسَ حتّى يكونوا مؤمنين؟!».

١٠ . وفي سورة هود، الآية ١١٨: «ولو شاء ربّك لجعل الناس أمّةً واحدةً، ولا يزالون مختلفين». ونحن نعلم من القرآن أنّ الإنسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًا، وإنّما هو مُسيَّر حسب ما قدّر اللّه له.

١١ . فالآية ٤٩ من سورة يونس تقول: «قلْ لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعاً إلاّ ما شاء اللّه».

١٢ . وسورة إبراهيم، الآية ٤ تشير إلى أنّ اللّه يُرسل رسلَه بلسان قومهم ليشرحوا لهم رسالة اللّه، ولكنّ هؤلاء الناس لا يملكون الخيار في أن يؤمنوا أو يكفروا: «وما أرسلْنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم، فيضلّ اللّهُ مَن يشاء ويهدي من يشاء». فلا يؤمن إلاّ مَن أراد اللّه له أن يؤمن.

١٣ . وفي سورة النحل، الآية ٩ تؤكّد لنا عدم مقدرتنا على تقرير مصيرنا: «وعلى اللّه قصد السبيل. ومنها جائر. ولو شاء اللّه لهداكم أجمعين». وحتّى الرسول نفسه ما كان بإمكانه أن يهدي من أحب، كما حدث لإبراهيم من قبله، عندما حاول أن يهدي أباه للدين الجديد، فما استطاع ذلك.

١٤ . والآية ٥٦ من سورة القصص تؤكّد لنا ذلك: «إنّك لا تهدي مَن أحببت، ولكن اللّه يهدي مَن يشاء. وهو أعلم بالمهتدين».

١٥ . في سورة الأعراف، الآية ١٥٥: قال موسى للّه: «أتُهلكنا بما فعل السفهاء منّا؟! إنْ هي إلاّ فتْنَتُكَ. تُضلُّ بها مَن تشاء وتَهدي من تشاء». فحتّى هؤلاء السفهاء ما فعلوا ما فعلوه إلاّ بعد أن فتنتَهم أنتَ. فهي فتنتك تضلّ بها من تشاء.

١٦ . ويبدو أنّ اللّه نفسه قد ختم على قلوب بعض الناس ومنعهم أن يؤمنوا قبل أن يريهم العذاب الأليم، كما في سورة يونس، الآية ٩٦–٩٧: «إنّ الذين حقّت عليهم كلمةُ ربّك لا يؤمنون، ولو جاءتهم كلّ آية حتّى يرَوا العذاب الأليم». فما ذنبهم وكلمة اللّه قد حقّت عليهم من قبل أن يُخلقوا؟»[1].

المُصَاهَرَة : ١ . صاهرتُ القومَ إذا تزوّجتُ منهم. وقال الخليل: الصهر أهل بيت المرأة.. وقال ابن السكيت: «مَن كان مِن قِبَلِ الزوج من أبيه أو أخيه أو عمّه.. فهم الأحماء؛ ومَن كان مِن قبلِ المرأة، فهم الأختان. ويُجمع الصنفين الأصهار»..

---

(١) د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ١٧٨–١٨٢.

٢ . اتّفق الفقهاء على أنّه يحرّم بالمصاهرة على التأبيد أربعة أنواع:

١ - زوجة الأصل، وهو الأب وإن عـلا، لقوله تعالى: «ولا تَنكِحُـوا ما نَكَحَ آباؤكم مِنَ النساءِ إلاّ ما قد سلَف» (٤/٢٢)؛

٢ - أصل الزوجة، وهي أمّـها وأم أمّهـا وأم أبيها وإن علت، لقـوله تعالى: «أمَّهَاتُ نسائِكُم» (٤/٢٣)، عطفاً على قوله: «حُرِّمَتْ عليكم أمَّهاتُكم» (٤/٢٣)؛

٣ - فـروع الزوجـة، وهنّ بناتهـا وبنات بناتهـا وبنات أبنائهـا، وإن نزلن بشرط الدخول بالزوجة، لقوله: «وربائبُكم اللاّتي في حُجورِكم مِن نسائكمُ اللاّتي دَخلتُم بهنَّ. فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ فلا جُناحَ عليكم» (٤/٢٣)؛

٤ - زوجـة الفرع، أي زوجـة ابنه أو ابن ابنه أو ابن بـنته، مـهـما بعـدت الدرجة، لقوله تعالى: «وحلائلُ أبنائكمُ الذينَ مِن أصلابِكم» (٤/٢٣).

٣ . وذهب الفـقـهاء إلى أنّـه يحرّم بالمصـاهرة على الـتوقـيت الجـمع بين الأختَين ومَن في حكمهما ممّن بينهما قرابة محرّمة، لقوله تعالى: «وأن تَجمَعوا بين الأُختَينِ إلاّ مـا قد سلَف» (٤/٢٣)، ولحديث أبي هُريرة عن النبيّ قـال: «إنّ رسول اللّه نـهى أن تُنكح المرأة على عمّتـها، أو العمّة على ابنة أخيهـا، أو المرأة على خالتها، أو الخالة على بنت أختها»[١].

المُصْحَف : ١ . إسم لكلّ مجمـوعة من الصحف المكتوبة ضُـمَّت بين دفّتَين. وفي الاصطلاح: إسم للمكتـوب فيه كـلام اللّه بين الدَّفّتَين.. والفـرق بين المصحف والقـرآن هو أنّ المصحف إسم للمكتـوب من القرآن المجـموع بين الدّفّـتَين والجلد؛ والقرآن إسم لكلام اللّه المكتوب في المصحف.

٢ . ذهب الفقـهاء إلى أنّه لا يجوز للـمُحدِث أن يَمسَّ المصـحف، وسواء في ذلك الجنابة والحيض والـنفاس. واستدلّـوا بقوله تعالى: «لا يمسُّـهُ إلاّ المُطَهَّرُون»

(١) أخرجه أبو داود ٢/٥٥٣؛ الترمذي ٣/٤٣٣: حديث حسن صحيح.

(٥٦/ ٧٩)، وبقول النبي: «لا يمسّ القرآنَ إلاّ طاهر»[1] (راجع مادّة: **المَسّ**).

٣ . لقد ظلّت الصحف التي فيها جُمع القرآن عند أبي بكر حتّى مات، ثمّ عند عمر حتّى مات، ثمّ انتقلتْ إلى حفصة إحدى أمّهات المؤمنين.

٤ . ثمّ كان عهد عثمان، وكانت رقعة الإسلام قد اتّسعت بكثرة الفتوح، فكانوا يقرؤون القرآن كلّ على حسب نهجه وروايته. وربّما تساهل البعض منهم، فذكر، أثناء قراءته، تفسيراً لشيء ممّا يقرأ، أو ذَكرَ منسوخاً، أو دعاء، لحصول الأمن من التباس غير القرآن بالقرآن، كما كان الأمر في مصاحفهم الخاصّة التي كتبوها لأنفسهم.. وقد يصل هذا التفضيل إلى حدّ التضليل والتفسيق، بل وربّما التكفير. فلمّا اشتدّ الخلاف، وخشيت الفتنة، رأى عثمان أن يجمع الناسَ جميعاً على قراءةٍ واحدة.

حدَّث أنَس بن مالك أنّ حُذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهلَ الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: «يا أمير المؤمنين! أدركْ هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى».

٥ . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثمّ نردّها إليك. فأرسلتْ بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبداللّه بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيّين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم. ففعلوا.

٦ . حتّى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كلّ أفقٍ بمصحفٍ ممّا نسخوا. وأمر بما سواه من القرآن في

---

(١) أخرجه الدارمي ٢/ ١٦١؛ الدارقطني ١/ ١٢٢.

كلّ صحيفة أو مصحف أن يُحرق[٢].

٧ . هكذا كان أوّل العهد بالمصحف الإمام الجامع الذي أجمع عليه الصحابة، وصوّبوا صنيع عثمان به غاية التصويب، والذي كان الأصل لما نُسخ منه من المصاحف إلى يومنا هذا[٣].

مُصْعَب بن الزُّبَيْر (ت ٧١هـ/ ٦٩٠م): أبو عبدالله، والده الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي، أخوه الفارس الهمّام عبدالله بن الزبير الذي كان أوّل مولود في الإسلام، وضعتْه أمّه أسماء بنت أبي بكر، أخت عائشة، بعد وصولها إلى المدينة. بعثه أخوه عبدالله أميراً على العراق سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م.. حكم البصرة، ثمّ تحوّل إلى الكوفة فتحصّن أميرُها المختار الثقفي في قلعتها، وحاصره مُصعب ثم تمكّن من قتله، وبعث إلى أخيه عبدالله برأسه.. ولمّا رأى عبد الملك بن مَروان أنّ أمر مُصعب قد استفحل، جهّز جيشاً يقوده بنفسه.. وتصدّى له عبيد الله بن زياد حتّى خرّ مصعب صريعاً، في معركة دير الجاثليق. وحمل رأسه إلى عبد الملك.

مُصْعَب بن عُمَيْر (ت ٣هـ/ ٦٢٥م) : صحابيّ قرشيّ. هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين. ثمّ رجع معهم. وحين طلب أنصار المدينة من رسول الله أن ينتدب مَن يعلّمهم الدين، ويقرأ لهم القرآن، اختار مُصعباً لهذه المهمّة. وفي موسم الحجّ كان مصعب على موعد للقاء رسول الله في العَقَبة، مع ثلاثة وسبعين من الأنصار وامرأتين. وتمّت بيعة العقبة الثانية، وعاد بعدها المبايِعون الأنصار إلى المدينة ليكونوا في استقبال النبيّ. ثمّ أمر ببناء المسجد النبوي وحجرات أمّهات المؤمنين. وشهد مصعب مع النبيّ بَدْراً، وجاءت غزوة أُحُد وعقد له رسول الله لواء الجيش.. إلاّ أنّه استُشهد على يد ابن قميئة الليثي وهو يظنّه رسول الله.

مُضَر بن نِزَار : قبيلة عربيّة عدنانيّة، أخت ربيعة. من بطونها: إلياس، وقَيس عَيلان، وتَميم بن مُرّ.

---

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ٩/ ١٨.

(٣) رَ مادّة: المصحف، د. إبراهيم عبدالرحمن محمّد خليفة، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٣٠٦-١٣٠٩.

المُضْغَة : ترد في القرآن ٣ مرّات (٢٢/ ٥؛ ٢٣/ ١٤ مرّتَين). هي القطعة من اللحم قدر ما يُمضغ. قال تعالى: «يا أيّها الناسُ! إن كنتم في رَيبٍ مِنَ البَعثِ فإنّا خَلَقْناكم من تُرابٍ. ثمّ مِن نُطْفَةٍ (ماء الرجل والمرأة). ثمّ مِن عَلَقَةٍ (قطعة من الدم الجامد). ثمّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ (مصوّرة تامّة الخلق)وغيرِ مخلَّقَةٍ» (٢٢/ ٥).

المَضْمَضَة : هي وضع الماء في الفم وتحريكه ثمّ مجّه.. وهي سنّة في الوضوء والغسل، لقول النبيّ: «عشر من الفطرة، (وذكر منها): «المضمضة والاستنشاق»[1]؛ ولقول عائشة عن رسول اللّه قال: «المضمضة والاستنشاق من الوضوء الذي لا بدّ منه»[2].

المُطَوِّف : دليل حجّاج مكّة، أي هو الشخص الذي يعلّمهم الطواف.. ويتولّى المطوِّف توفير الرفاهيّة وجميع أنواع الخدمات للحجّاج، من المسكن والطعام والمشتريات الضروريّة وغير الضروريّة، ويرعاهم إذا مرضوا. وفي حال الوفاة يتولّى ما يخلّفونه وراءهم.

المَعَابِد : جمْع معبَد، وهو مكان العبادة ومحلّها :

١ . أمكنة عبادة المسلمين: **المسجِد** (كلّ موضع من الأرض خُصِّص للصلوات الخمس)، **والجامِع** (مكان اجتماع المسلمين لصلاة الجمعة)، **والمصلّى** (الفضاء المجتمع فيه للأعياد)، **والزَّاوِيَة** (المسجد الذي ليس فيه منبر).

٢ . أمكنة عبادة غير المسلمين: **الكنيسة** (للنصارى واليهود)، **البِيعة** (متعبّد النصارى)، **الصومعة** (للنصارى وهي التي يبنونها في الصحاري)، **الدير** (مقام الرهبان)، **الفُهْر** (جمْعها: فُهُر، وهو بيت المدراس لليهود)، **الصلوات** (من صَلْوتَا، وهي كنائس اليهود)، **بيت النار** (موضع عبادة المجوس).

٣ . لا يفرّق الفقهاء بين الكنيسة والبِيعة والصومعة وبيت النار والدير، وغيرها في الأحكام. والأصل في هذا ما ورد في كتاب عمر، لمّا صالح نصارى

---

(١) أخرجه الترمذي ١/ ٢٢٣، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه الدارقطني ١/ ٨٤.

الشام، كتب إليهم كتاباً: «... إنّهم لا يبنون في بلادهم، ولا في ما حولها، ديراً، ولا كنيسةً، ولا صومعةَ راهب...»[1].. تكره الصلاة للمسلم في هذه الأمكنة؛ ولا يصحّ الوقف عليها..

٤ . يختلف حكم إحداث المعابد في أمصار المسلمين باختلاف الأمصار على النحو التالي:

١ – ما اختطّه المسلمون، كالكوفة والبصرة، فلا يجوز فيها إحداث كنيسة، ولا بِيعة، ولا صومعة؛

٢ – ما فتحه المسلمون عنوةً، فلا يجوز فيه إحداث شيء لأنّه صار ملكاً للمسلمين، واختلفوا في هدم ما كان فيه؛

٣ – ما فتحه المسلمون صلحاً، وفيه اختلاف بحسب شروط الصلح؛ إلاّ إذا وقع الصلح مطلقاً فلا يجوز الإحداث.

٥ . إذا انهدمت الكنيسة، التي أُقرّ أهلُها عليها، فللذمّيّين إعادتها، لأنّ ذلك ليس بإحْدَاث. والمراد بالإعادة أن تكون من غير زيادة على البناء الأوّل.. وللإمام أن يخرّبها إذا وقف على بيعة جديدة، أو بني منها فوق ما كان في القديم، وكذا ما زاد في عمارتها العتيقة.

٦ . اختلف الفقهاء في نقل المعبد من مكان إلى مكان آخر، فذهب الحنفيّة إلى أنّه ليس لأهل الذمّة أن يحوّلوا معابدهم من موضعٍ إلى موضعٍ آخر، لأنّ التحويل من موضع إلى موضع آخر في حكم إحداث كنيسة أخرى[2].. ويقول ابن القيّم: إنْ منَعْنا إعادةَ الكنيسة إذا انهدمتْ، منعْنا نقلَها بطريق الأولى. فإنّها إذا لم تُعَدْ إلى مكانها الذي كانت عليه فكيف تُنشأ في غيره!؟[3].. وقال المالكيّة: إذا نقلَ

---

(١) أحكام أهل الذمّة ٢/ ٦٦٩.

(٢) بدائع الصنائع ٧/ ١١٤؛ حاشية ابن عابدين ٣/ ٢٧١؛ فتح القدير ٤/ ٣٧٧؛ الفتاوى الهنديّة ٢/ ٢٤٨.

(٣) أحكام أهل الذمّة ٢/ ٢٠٤.

الإمامُ النصارى المعاهدين من مكانهم إلى مكان آخر يُباح لهم في هذه الحالة بنيان بيعة واحدة لإقامة شرعهم، ويُمنعون من ضرب النواقيس فيها(٤).

٧ . يُمنع المسلم من بيع أرض أو دار لتُتَّخَذ كنيسة(٥). وكذلك إذا اشترى ذمّيّ، أو استأجر، داراً على أنّه سيتّخذها كنيسة، فالإجارة فاسدة.. ولا يجوز للمسلم أن يعمل لأهل الذمّة في الكنيسة، نجّاراً أو بنّاءً، أو غير ذلك، لأنّه إعانة على المعصية.. وزاد المالكيّة بأنّه يؤدّب المسلم، إلاّ أن يعتذر بجهالة.

٨ . ويُمنع أهل الذمّة من إظهار ضرب النواقيس في معابدهم في الجملة، وأنّه لا بأس بإخفائها وضربها في جوف الكنائس.. وكذلك الحكم في إظهار صليبهم، لو فعلوا ذلك في كنائسهم لا يُتعرَّض لهم.

المَعَاد : وردت كلمة «مَعَاد» مرّة واحدة في القرآن (٢٨/ ٨٥). وليس لها معنى الأحوال الأخرويّة. بل يمكن أن تعني المقام الذي وعد اللّه محمّداً أن يبعث فيه، أو مكّة التي سوف يعود إليها من المنفى، أي يوم الفتح (رَ: البيضاوي). ولكن كثيراً جدًا ما يُستعمل الفعل على أنّه يُعيد الخلق يومَ القيامة بعد أن كان أبدعهم في أوّل الأمر(١)..

مُعَاذ بن جَبَل (ت ١٨هـ/ ٦٣٩م) : ١ . أنصاري خزرجي. سمع بقدوم مصعب بن عُمير إلى المدينة يدعو إلى الدين الجديد، فحضر مجلسه في بيت أسعد بن زرارة، وسمع بعض آيات القرآن.. فاقترب معاذ منه وسأله: ماذا عليّ أن أصنع لألبّي هذه الدعوة؟ أجاب مصعب: طهّر نفسَك وثيابَك. ثمّ ائتني لأزوّدك بالمزيد..

٢ . حضر معاذ بيعة العقبة الثانية واختيار النقباء الإثني عشر. وشهد المشاهد كلّها مع محمّد الذي قال عنه: «أعلم أمّتي بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل». بعثه محمّد إلى أهل اليمن وزوّده بكتاب يقول لهم فيه: «إنّي بعثتُ لكم خيرَ أهلي».

---

(٤) التاج والإكليل على هامش مواهب الجليل ٣/ ٣٨٤.
(٥) التاج والإكليل على هامش مواهب الجليل ٥/ ٤٢٤؛ وحاشية الدسوقي مع الشرح ٣/ ٧.
(١) رَ: ١٠/ ٤ و٣٤؛ ٢١/ ١٠٤؛ ٣٠/ ١١؛ ٨٥/ ١٣.

٣ . سأله رسـولُ اللّه ذات مرّة: «كيف أصبـحتَ يا مُعاذ؟» قال: «أصـبحتُ مؤمناً حـقًا، يا رسول اللّه». فـقال رسول اللّه: «إنّ لكلّ شيء حقـيقة، فـما حقيـقة إيمانك؟». قال مـعاذ: «ما أصبحتُ صـباحاً قط إلاّ ظننتُ أنّي لا أمســي؛ ولا أمسيتُ مساءً إلاّ ظننتُ أنّي لا أصبح؛ ولا خطوتُ خطوة إلاّ ظننت أنّي لا أتبعها غيرها»..

٤ . وكان عمر بن الخطّاب يجلّه ويقول: «عجزت النسـاء أن يلدن مثل معاذ. ولولا معاذ لهلك عمر». توفّي بطاعون عمواس.

المَعَارِج : سورة ٧٠ من سور القـرآن. آياتها ٤٤. وهي من العروج بمعنى الذهاب في صـعود. وقـد ذكرت مـادّة «عرج» ومـشتـقّاتهـا في القرآن ٧ مـرّات. والمعارج لغة تعني الدرجات. والمراد بها: إمّا معـارج الأعمال الصالحة؛ وإمّا معارج المؤمنين في سلوكهم المراتب الإلهيّة؛ وإمّا مـعارج الملائكة ومنازلهم؛ وإمّا الفضائل والنعم أي مراتب اللّه على الخلق؛ وإمّا الغرف التي جعلها اللّه لأوليائه في الجنّة[1].

مُعَاوِيَة بن أبِي سُـفْيَان (ت ٦٠هـ/ ٦٨٠م) : مؤسّس الدولة الأمـويّة. كان والياً على سورية في عهدي عُمر وعُثمان. وأبوه هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عـبد شمس. وأمّه هند بنت عـتبة بن ربيعـة. وقد يُعرَّف بها فـيقال له: إبن هند، وابن آكلة الأكـباد، وهي الـتي بقرتْ بطن حـمزة عـمّ النبيّ في معـركة أُحـد، ولاكتْ كبـدَه انتقاماً.. لـقد كان معـاوية أحد كتـبة الوحي. في سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م أرسله أبو بكر إلى الشـام ففتح بيت المقـدس سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م. عارض مـعاوية عليًا وقاتله في صفّين ٣٧هـ/ ٦٥٧م. فكان التحكيم. اشتهر معاوية بدهائه ومكره.

المُعْتَزِلَة : ١ . إسم أوّل مذهب في علم الكلام في الإسلام. أسّسه **واصل بن عطاء** (ت ١٣١هـ/ ٧٤٨م)، الذي **اعتـزل** مـجلس **الحَسن البصـري** (ت ١١٠هـ/ ٧٢٧م)، عندما سئل الحـسن البصري عن مرتكب الكبيرة: هل هو مـؤمن أم كافر؟ وقبل أن يجـيب على السؤال، وقف واصل وعَمـرو بن عُبيـد، وقالا: إنّه في «منزلة بين المنزلتَين»، أي: الحال الوسط بين الإيمان والكفر. وهو مذهبهم الأسـاسي.

---

(١) رَ: أ.د.عبد الحي الفرماني، مفردات قرآنيّة، في الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، ص ٧٦٣.

٢ . وبعد هذا الانفصال، أو **الاعتزال** عن الحسن البصري، أصبح موضوع هويّة مرتكب الكبيرة، أهو فاسق أم فاجر؟ من أهمّ موضوعات المعتزلة التي تباينت الآراء حولها: فقال الخوارج إنّه كافر؛ وقال المرجئة إنّه مؤمن؛ ووصفه الحسن البصري بأنّه منافق؛ وقال واصل بن عطاء بأنّه لا مؤمن ولا كافر، بل فاسق، أي هو في «منزلة بين المنزلتين».

٣ . وكان المعتزلة يُسمَّون، في البدء، «بأهل العدل»، أو «العدليّة» لقولهم بالعدل الإلهي، و«بأهل التوحيد»، لقولهم بأن لا قديم مع اللّه. وشدّدوا في عقيدتهم على هذين الأصلَين بالإضافة إلى قولهم «بالمنزلة بين المنزلتَين»، و«بالوعد والوعيد»، ثمّ «بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». هذه الأصول الخمسة هي المبادئ الأساسيّة في عقيدة الاعتزال :

٤ . أصل التوحيد : إنكار كلّ شبه بين اللّه وخلْقه، القول بأنّ صفات اللّه لا تُضاف إلى الذات الإلهيّة. فلا بدّ إذاً من تفسير المتشابهات في القرآن تفسيراً رمزيًا. لهذا، فهم ينكرون رؤية اللّه، ويقولون إنّ اللّه في كلّ مكان، ولكن ليس موجوداً في أيّ مكان. لا تدركه الحواس، ولكن سوف يُدرَك في العالَم الآخِر بواسطة حاسّة سادسة سوف يخلقها اللّه عندئذٍ. صفاتُ اللّه أزليّة، مماثلة للماهيّة، كامنة في الجوهر. القرآن مخلوق، ولكنّه معجز في تأليفه وأسلوبه.

٥ . أصل العدل : اللّه عادل، كلّ ما يهدف إليه هو الأصلح لخلْقه. الأمر والإرادة واحد. لا علاقة له بأفعال الإنسان الشريرة. جميع أفعال الإنسان تتولّد من إرادته الحرّة. للإنسانْ قدرة واستطاعة قبل الفعل. سوف يُثاب الإنسان على أعماله الصالحة، ويُجازى على أعماله الشرّيرة. يمكن للّه أن يقترف الظلم، ولكنّه لا يفعل. يستطيع اللّه أن يمنع الشرّ، ولكنّه يفعل دائماً ما هو أصلح..

٦ . انقسم المعتزلة إلى مدرستَين: الأولى في البصرة، والثانية في بغداد.

٧ . أشهر رجالات البصرة : واصل بن عَطاء، وعَمرو بن عُبَيد، وأبو الهُذَيل العلاّف (ت ٢٢٧هـ/٨٤٢م)، وإبراهيم النَّظَّام (ت ٢٣٥هـ/٨٥٣م)، وعَمرو بن

بحر الجاحظ، وأبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩٢٤م)، وابنه عبد السلام أبو هاشم (ت ٣٢١هـ/ ٩٤١م)، وأخذ عنهما أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ/ ٩٤٤م)، الذي انقلب فيما بعد عن الاعتزال، ثمّ القاضي عبد الجبّار الهمذاني (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م) صاحب موسوعة «المغني في أبواب التوحيد والعدل»، و«المحيط بالتكليف»، و«شرح الأصول الخمسة»...

٨. وفي بغداد اشتهر: بِشر بن المُعتَمِر (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م)، وأبو موسى المردار (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٤م)، وثمامة بن الأشرس (ت ٢١٣هـ/ ٨٣١م)، وأبو الحسين الخيّاط (ت ١٩٠هـ/٨١٨م)، وأبو جعفر محمّد الإسكافي (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٨م)، وأبو القاسم الكعبي (ت ٣١٩هـ/٩٣٨م)، وأبو بكر الأخشيدي (ت ٣٢٦هـ/٩٤٦م). ناصرها المأمون والمعتصم والواثق. فامتحنوا الناس في خَلْق القرآن. وعُرف هذا الامتحان «بالمحنة». ولمّا وُلّي المتوكّل حاربها وقضى عليها.

المُعْجِزَة : **١.** هي «أمر خارق للعادة، يُظهره الله على يد نبيّ، تصديقاً له في دعواه، مقرونة بالتحدّي، مع عدم المعارضة». لا يرد اللفظ في القرآن الذي يعتبر أنّ كلّ آية من آياته معجزة بحدّ ذاتها. وهو كلّه معجزة المعجزات.

٢. المعجزة و**الآية** مترادفتان، وتدلّان على العجائب التي يصنعها الله لكي يبرهن على صدق رسله. ويُستخدم لفظ «**كرامة**» في الحديث عن الأولياء، وهي تختلف عن المعجزة نظراً لأنّها لا تدلّ على شيء، ولكنّها امتياز شخصي وهبه الله لوليّ. والفرق بين المعجزة والكرامة هي أنّ المعجزة تحدٍّ، فيما الكرامة امتياز للوليّ.

٣. تخضع المعجزة للشروط التالية :

١ – أن تكون من صنع الله؛

٢ – أن تخالف المألوف؛

٣ – أن يكون نقضها مستحيلاً؛

٤ – أن تحدث على أيدي رسول حتّى تكون دليلاً على صدقه؛

٥– أن تتفق مع ما يعلنه بشأنها؛

٦- ألاّ تكون إنكاراً لدعوته؛

٧- أن تقترن بدعوته وتأتي بعدها.

المِعْرَاج : هو صعود محمّد إلى السماء. وإمكانيّة الصعود إلى السماء يعرض لها القرآن عدّة مرّات[1]. وقد ثار الجدل حول ما إذا كان **الإسراء** بالروح أم بالجسد. والمعراج، عند الصوفيّة، هو رمز ارتفاع الروح من قيود الحسيّة إلى ذرى العلم الصوفي. فابن عربي، في كتابه «الفتوحات» يجعل مؤمناً وفيلسوفاً يقومان بالرحلة سويّاً، ولكنّ الفيلسوف لا يصل إلاّ إلى السماء السابعة، بينما لا يبقى سرٌّ مستوراً عن الصوفيّ المسلم الورع. وكتاب أبي العلاء المعرّي «رسالة الغفران» في عرض جدّي في قالب هزلي للروايات التقليديّة عن المعراج.

المَعَرّي (راجع مادّة : **أبو العلاء**).

المَعْصِيَة : هي مخالفة أمر اللّه وطاعته ممّا يوجب سخطه تعالى ويستوجب العقاب على فعلها، والثواب على تركها. واختلف الفقهاء في تصنيف المعاصي على ثلاثة أوجه: ١ - تنقسم إلى صغائر وكبائر؛ ٢ - إنّ المعاصي كلّها كبائر، وإنّما يُقال لبعضها صغائر بالنسبة إلى ما هو أكبر منها. ٣ - إن المعاصي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: كبيرة كقتل النفس بغير حقّ؛ وفاحشة، كقتل ذي رحم؛ وصغيرة كالخدشة والضرب... إلاّ أنّ الإصرار على فعل الصغائر قد يجعلها في منزلة الكبائر، ولا بدّ من التوبة عنها حتّى تُغفر.

المُعَلَّقَات : مِن غرر الشعر العربي أيّام الجاهليّة. في عددها قولان: هي سبع قصائد، أو عشر. أصحابها :

١. أمرؤ القَيس، وعدد أبيات معلّقته ٨٢. أوّلها: قِفا نَبكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومنزلِ / بسِقطِ اللِّوى بين الدَّخولِ فحومَلِ.

٢. وطَرفة بن العَبد، وعدد أبيات معلّقته ١٠٢. أوّلها: لِخَولةَ أطلالٌ ببَرْقَةِ ثَهْمدِ / تلوح كباقي الوشْم في ظاهرِ اليدِ.

---

(١) ٤٠/٣٦؛ رَ: ٢٨/٤؛ ٥٢/٣٨؛ ٦/٣٥.

٣. وزُهَير بن أبي سُلمى، وعدد أبيات معلّقته ٦٤. أوّلها: أَمِن أمٍّ أَوفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ/بحَومانة الدرّاجِ فالمتثلّمِ.

٤. ولَبيد بن رَبيعة، وعدد أبيات معلّقته ٨٨. أوّلها: عفتِ الديارُ : محلُّها فمقامُها/بمنى تأبَّدَ غَولُها فرِجامُها.

٥. وعَمْرو بن كُلثوم، وعدد أبيات معلّقته ١٠٠. أوّلها: ألا هُبّي بصَحْنِكِ فاصبَحِينا/ولا تُبْقي خمورَ الأَنْدَرينا.

٦. والحارث بن حِلِّزة، وعدد أبيات معلّقته ٨٥. أوّلها: آذنَتْنا ببَينِها أسماءُ/ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ.

٧. وعَنترة بن شَدّاد، وعدد أبيات معلّقته ٨٠. أوّلها: هل غادرَ الشعراءُ من متردَّمِ/أم هل عرَفْتَ الدارَ بعدَ توهُّمِ.

يُضاف إليهم: ٨. الأعشى، ٩. والنابغة الذبياني، ١٠. وعُبيد بن الأبرص.

المُغُول : شعب من شعوب آسيا يقطن منغوليا ومنشوريا وجنوبي سيبيريا وروسيا.. يرجع أقدم مؤلّف مكتوب بلغتهم المغوليّة إلى عام ١٢٤٠م حين ظهروا على مسرح التاريخ بزعامة جنكيزخان، عندما فتحوا أوروبّا وآسيا. وحكموا الصين، وكانت قورم كبرى عواصمهم. وكان تيمورلنك يدّعي أنّه من سلالة جنكيزخان. في عام ١٣٧٠م طُردوا من الصين. وأسّسوا أمبراطوريّة في الهند، واستمرّوا فيها من سنة ١٥٢٦-١٨٥٧م.

المُغِيْرَة بن شُعْبَة (ت ٥٠هـ/ ٦٧٠م) : صحابيّ ثَقَفيّ من دُهاة العرب وولاتهم. ولاّه عُمر البَصرة والكوفة. عزله عُثمان. ولاّه مُعاوية الكوفة. ومات فيها.

المُفَاضَلَة : بين الأشياء الدينيّة والدنيويّة أمرٌ واردٌ في أحكام الإسلام :

١ . فقراءة القرآن أفضل من الأذكار والأوراد الأخرى؛ ولكنّ العلماء اختلفوا في المفاضلة بين آيات القرآن، فذهب الجمهور إلى أنّ بعض سور وآيات القرآن أفضل من بعض.. والفضل راجع لا إلى المفاضلة بين السور والآيات، بل إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب خشية النفس وتدبّرِها وتفكّرِها عند القراءة.

٢ . فضل العالم على العابد، لقوله تعالى: «قلْ هل يستوي الذينَ يَعلمون والذين لا يعلمون» (٣٩/٩)، وقوله: «يَرفَع اللّهُ الذينَ آمَنوا منكم والذينَ أُوتُوا العلمَ درجات» (٥٨/١١)، وقوله: «إنّما يَخشَى اللّهَ مِن عباده العلماء» (٣٥/٢٨)، وقول النبي: «من يرد اللّه به خيراً يفقّهه في الدين»[١]، وقوله: «.. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٢].

٣ . فضل الفرض على النفل، لقول اللّه في الحديث القدسي: «مَن عادى لي وليًا فقد آذنتُه بالحرب. وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبُّ إليّ ممّا افترضتُه عليه. وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه..»[٣]؛ ولأنّ الأمر بالفرض جازم، ويتضمّن الثواب على فعله والعقاب على تركه، بخلاف النفل فلا عقاب على تركه.

٤ . فضل بعض الأمكنة على بعض بما أودع اللّه فيها من فضله، وما يقع فيها من إكرامه لعباده.. وقد أجمع العلماء على أنّ مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة هما أفضل بقاع الأرض.. ومكّة أفضل من المدينة.. والمسجد الحرام أفضل من سواه..

٥ . فضل بعض الأزمنة على بعض.. ففضل اللّه شهر رمضان على سائر الشهور، وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر.. وجعل يوم الجمعة خيرَ يوم طلعت عليه الشمس.. وفضل قيام الليل على غيره، والثلث الأخير منه على سائره، وفضل العشر الأول من ذي الحجّة على غيرها من الأيّام..

٦ . فضل الأذان على الإمامة، لقوله تعالى: «ومَن أحسنُ قولاً ممّن دعا إلى اللّهِ وعمِلَ صالحاً» (٤١/٣٣)، ولقول النبيّ: «المؤذّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١/ ١٦٤؛ مسلم ٢/ ٧١٨، من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٤٨، من حديث أبي الدرداء.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ١١/ ٣٤٠، من حديث أبي هُريرة.

(٤) أخرجه مسلم ١/ ٢٩٠، من حديث معاوية بن أبي سفيان.

٧ . فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذّ (أي الفرد)، لقول النبي: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة»[٥]، وكونها في المسجد أفضل منها في غير المسجد.

٨ . فضل الصفّ الأوّل من صفوف صلاة الجماعة، لقول النبي: «أتمّوا الصفَّ المقدم، ثمّ الذي يليه. فما كان من نقص فليكن في الصفّ المؤخر»[٦]، وقوله: «خير صفوف الرجال أوّلها، وشرّها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرّها أوّلها»[٧].

٩ . فضل المجاهد على القاعد: أجمع الفقهاء على أنّ الجهاد في سبيل اللّه من أفضل القربات إلى اللّه، وأنّ المجاهدين أفضل من القاعدين غير المعذورين، لقوله تعالى: «لا يستوي القاعِدونَ من المؤمنين غيرُ أولي الضَّرَرِ والمجاهدون في سبيل اللّه بأموالهم وأنفسهم فضَّل اللّهُ المجاهدينَ بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً، وكلاً وعدَ اللّهُ الحسنى وفضّلَ المجاهدينَ على القاعدين أجراً عظيماً، درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً. وكان اللّهُ غفوراً رحيماً» (٤/ ٩٥-٩٦).

المُفَصَّل : هو القسم الأخير من القرآن، وهو ما يلي المَثَاني من قِصار السور. سمّي به لكثرة الفصول بين سوره بالبسملة، أو لقلّة المنسوخ فيه. ولهذا يسمَّى بـ **المُحْكَم** أيضاً. القسم الأوّل: **الطوال** وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال مع التوبة (جمعتا لأنّهما لا تنفصلان بالبسملة)؛ و**المئون**، سمّيت بذلك لأنّ كلّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.. **المَثَاني**، جمْع مثنى أو مثناة، من التثنية بمعنى التكرار؛ وهي القسم الذي يلي المئين، لأنّها ثنّتها، أي كانت بعدها، وهي السور التي آيها أقلّ من مائة. **المُفَصَّل** يبدأ بسورة الحجرات (رقم ٤٩) أو سورة ق (رقم ٥٠).

---

(٥) أخرجه البخاري، فتح الباري ٢/ ١٣١؛ مسلم ١/ ٤٥٠، من حديث ابن عمر.

(٦) أخرجه أبو داود ١/ ٤٣٥، من حديث أنس بن مالك.

(٧) أخرجه مسلم ١/ ٣٢٦، من حديث أبي هُريرة.

المُفَضَّل الضَّبِّيّ (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) : لغويّ كوفيّ. جمع أشعار العرب للخليفة المهدي في كتاب «المُفَضَّلِيَّات»، أكبر مجموعة من شعر العرب وصلت إلينا.

المَفْقُود : غائب لم يدرَ، انقطع خبره وخفي أثره. تبقى زوجة المفقود على نكاحه، وتستحقّ النفقة، ويقع عليها طلاقه، وترثه، ويرثها ما لم ينتهِ الفقدان. ولكن إلى متى تبقى كذلك؟ جاء في الحديث قوله: «إمرأةُ المفقودِ امرأتُه حتّى يأتيها الخبر»[1]؛ وقال علي: إنّ امرأةَ المفقود تبقى على عصمته إلى أن يموت، أو يأتي منه طلاقها[2]. وقال الحنفيّة والشافعيّة وعمر: إنّ امرأة المفقود تتربّص أربع سنين، ثمّ تعتدّ للوفاة أربعة أشهر وعشرة أيّام. فإذا انقضت حلّت للأزواج.

المُفَوِّضَة : هي المرأة التي نكحت بلا ذكْر مَهر، أو على أن لا مَهر لها. وسمّيت مفوِّضة لتفويضها أمرَها إلى الزوج أو إلى الوليّ بلا مَهر، أو لأنّها أهملت المهر. وتسمّى مفوَّضة إذا فوّض وليُّها أمرَها إلى الزوج بلا مَهر. وقد اتّفق الفقهاء على أنّ المهر ليس من أركان عقد النكاح، وأنّ عقد الزواج يصحّ بلا مهر، لأنّ القصد من النكاح الوصلة والاستمتاع دون الصداق.

المُفِيْد (الشيخ محمّد) (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م) : فقيه شيعيّ. عاش في بغداد. هو أعظم أهل زمانه فكراً وجدَلاً وعلماً ومدافعةً. وهو المؤسّس الحقيقي لمدرسة علم الكلام عند الشيعة الإثني عشريّة. وُلد الشيخ المفيد في مدينة عكبرا على الضفّة الشرقيّة لنهر دجلة بين بغداد والموصل. من آثاره كتاب «الإرشاد»، و«أوائل المقالات»، و«الأمالي»، و«مناسك المزار»، و«المزار الصغير»، و«المعراج»، وما يزيد على مائتَي كتاب، معظمها في العقيدة الشيعيّة الإماميّة.

مُقَاتِل بن سُلَيْمَان (أبو الحسن البلخيّ) (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م) : مفسّر كبير. عاش في البصرة. له «التفسير الكبير».

مَقَامُ إبْرَاهِيم : مكان للصلاة طبقاً لـ (٢/ ١٢٥). هو الحجر المسمّى بهذا

---

(١) أخرجه الدارقطني، سنن الدارقطني ٣/ ٣١٢.

(٢) أخرجه عبد الرزّاق في المصنف ٧/ ٩٠.

الإسم بالقرب من الكعبة. وهو مقدّس لأنّه يحمل أثر قدم إبراهيم.. والمقام حجر صغير الأبعاد، يبلغ ٦٠ سم عرضاً و٩٠ ارتفاعاً. وهو الآن يُحتفظ به في صندوق زجاجي ذي قضبان فوق قاعدة متعدّدة الأضلاع. يُقال إنّ الدعاء مستجاب عنده. وترجع قدسيّته أيضاً لكونه قد هبط من السماء؛ أو لأنّ عدداً من الأنبياء، يبلغ عددهم ٩٩ نبيًا، مدفونون تحته. منهم نوح وصالح وهود.

المُقَامَة : حكاية قصيرة، أنيقة الأسلوب. نشأ هذا النوع من القصص في أواسط الدولة العباسيّة، وهو عهد الترف الأدبي والإنشاء الصناعي الأنيق. ليس الغرض من المقامة جمال القصّة، ولا حسن العظة، ولا إفادة العلم؛ وإنّما هي قطعة أدبيّة فنّيّة يُقصد بها جمع شوارد اللّغة، ونوادر التركيب في أسلوب مسجوع، أنيق الوشي، يُعجب أكثر ممّا يؤثّر، ويلذّ أكثر ممّا يفيد.

أشهر كتّاب المقامات بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، الذي كان رائدها ومُنشئها. أملى ٤٠٠ مقامة، لم يُعثر منها إلاّ على ٥٣. ثمّ جاء بعده الحريري (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م) فكتب ٥٠ مقامة، وغيرهما ممّن جاءوا بعدهما.

المِقْدَادُ بن الأَسْوَد (ت ٢٣هـ/٦٥٣م) : كان من أوائل الذين أظهروا الإسلام. هاجر إلى الحبشة، وقاتل، إلى جنب رسول الله، في بَدر وأُحُد. يُقال إنّه، حين شاور النبي أصحابَه في وقعة بدْر، قال له المقداد: "لا نقول لكَ ما قال بنو إسرائيل لموسى: «فاذهبْ أنتَ وربُّكَ فَقاتلا. إنّا ههنا قاعِدُون» (٥/ ٢٤)؛ بل نقول: لو أمرْتَنا أن نخوض جمر الغضى وشوك الهراس لخضناه معك". وقال لعليّ يومَ السقيفة: "إنْ أمَرْتَني لأضربنّ بسيفي. وإنْ أمَرْتَني كففتُ. فقال له: أكفف". يعتبره الشيعة من روّادهم. توفّي بالجرف في خلافة عُثمان، وهو ابن ٧٠ سنة. حُمل على الرقاب ودفن بالبقيع.

المَقْرِيزِيّ (تقي الدّين) (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) : مؤرّخ مصريّ بعلبكيّ الأصل، نسبة إلى حارة المَقَارِزَة. وُلد بالقاهرة وتولّى القضاءَ فيها. من كتبه: «السلوك لمعرفة دول الملوك»؛ و«المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار»، ويُعرف بخطط المقريزي؛ و«النقود الإسلاميّة القديمة»؛ وكتاب «إمتاع الأسماع بما

للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع»؛ و«اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفا»، في تاريخ الفاطميّين؛ و«درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»، جمع فيه أخبار مَن أدركه من الملوك والأمراء وأعيان الكتّاب والوزراء ورواة الحديث والفقهاء، ابتداءً من سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م.، وغير ذلك من كتب...

المُقَنَّع الخُرَاسَانِيّ (ت ١٦٣هـ/ ٧٨٠م) : ثائر من أهل مَرو. ادّعى الحلول وقام بفتنة فقضى عليه المسلمون.

المُقَوْقَس : إسم زعيم القِبط، دعاه النبيّ إلى الإسلام، فبادله المقوقس بهدايا، منها: جاريتَين، وعبد، وبغلة، وألبسة ذات شأن.

مكّة المُكَرَّمَة : ١ . لها عدّة أسماء. منها : بكّة (رَ: ٣/٩٦)، وأمّ القرى، والبلد الأمين (٩٥/٣)، والبلد (٩٠/١)، والبلد الحرام، ووادٍ غير ذي زرع (رَ: ١٤/٣٧)؛ سمّيت «بكّة» لأنّها كان تبكُّ، أي تدقّ أعناق الجبابرة. عرفها الجغرافي بطليموس باسم «مكورايا». ولكن لا بدّ أنّها كانت أقدم منه عهداً.

٢ . تقع مكّة في الحجاز على بعد حوالي ٧٢ كلم من ميناء جدّة على ساحل البحر الأحمر.. وتقع في منخفض ضيّق بين سلسلتَين من التلال الجرداء المنحدرة.. يجعل منها موقعُها ملتقى الطرق التجاريّة: طريق إلى الشام شمالاً؛ وطريق شمالي شرقي يخترق سلسلة جبال السراة إلى العراق؛ وطريق إلى اليمن؛ وأخرى تصل مكّة بالبحر الأحمر حيث ميناء جدّة.

٣ . أمطار مكّة غير منتظمة. فقد تمضي سنوات أربع دون هطول مطر. ولكن إن حدث وهطل فإنّه يعدو سيلاً تفيض به شعاب مكّة.. ويعتمد الناس على الآبار في التزوّد بالماء. وأكثر هذه الآبار شهرةً وقداسةً **بئر زمزم**، بجوار الكعبة.

٤ . وفي تاريخ مبكّر عقدت مكّة مفاوضات مع الدول المجاورة؛ وحصلتْ منها على صكوك أمان وعلى امتيازات تسمح بحرّيّة مرور قوافلهم؛ كما عقدت اتّفاقات مع نجاشي الحبشة، وشيوخ نجد الكبار، وأقيال اليمن، وملوك غسّان والحيرة. وكذلك كان لها مفاوضات ومعاملات تجاريّة مع الروم والفرس عند

الحدود وفي مــوانئ أيلة وغزّة وبيت المقـدس بفلسطين، وبصرى الشــام، منفذهم الرئيسـي وسوقهم الكبرى.

٥ . مكّة بلدة فقيرة. العيش فيــها صعب؛ لذلك سكنها طارئون عليها من كلّ مكان، بسبب مـوقعها علـى الطريق الرومانيّة التي تصل بلاد الشــام باليمن. وفي فتـرة من الزمن جاء زعيمٌ اســمه **قُصَيّ**، أسكن سكّان الجبـال الجرداء، من نسل كنانة، بقـوّة السلاح في مكّة التي انتـزعهـا من سيطرة قـبيلـة خزاعة. ووزّعــهم قسمَين، قسماً في وسط المدينة، وهم قريش البطاح، وقـسماً خارجها، وهم قريش الظواهر.

٦ . في مكّة وُلد النبيّ محمّد، سنة ٥٧٠م. وفيها بعث اللّهُ برسالة الإسلام، فناصبه أهلُهــا العداء، حتّى اضطرّوه إلى الخروج منها مع أصحـابه مهاجرين إلى الحبشة أوّلاً وثانياً، ثمّ إلى يثرب. وقـد خاطبها النبيُّ بقوله: «واللّهِ! إنّكِ لأحبُّ بلادِ اللّه إليّ. ولولا أنّ قومَكِ أخرجوني ما خرجت».

٧ . في العــام ٨هـ/ ٦٣٠م جـاءها رسول اللّــه فاتحـاً، فـهدم أصنـامهـا، وطهّرها مــن الشرك، ونزل قوله: «يـا أيّها الذين آمَنوا! إنّمــا المشركون نَـجَسٌ. فلا يَقرَبوا المسجدَ الحرامَ بعدَ عامِــهم هذا» (٩/ ٢٨). وحظّر دخول غير المسلمين إليها إلى آخر الدهر.

٨ . مكّة كلُّها حَـرَم، وكذلك مـا حولها.. يجب تعظيم مكّـة لقول النبيّ: «إنّ مكّة حرّمــها اللّهُ ولم يحرمّهــا الناس. فلا يحلّ لامرئ يؤمن باللّه واليـوم الآخِر أن يسفكَ بها دماً، ولا يعضُدَ بها شجرة. فإن أحدٌ ترخّص لقتال رسول اللّه فقولوا له: إنّ اللّهَ أذنَ لرسوله ولم يأذن لكم، وإنّما أذن لي ساعةً من نهار. وقد عادت حرمتُها اليومَ كحرمتــها بالأمس. وليبلّغِ الشاهدُ الغائب»[1]. وذهب الفقهاء إلى أنّه يُستحبّ الغسل لدخول مكّة.. وقالوا: إنّ مَن أراد دخولَها للحجّ أو العمرة فعليه أن يحرم من **المواقيت**.

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/ ٤١؛ مسلم ٢/ ٩٨٧، من حديث أبي شريح العدوي.

المَلَك و المَلائكة : ١ . مِن أركان العـقيـدة الإسلامـيّة **الإيمان بالملائكة**. قال تعالـى: «آمَنَ الرسولُ بما أُنزل إليـه من ربِّه، والمؤمنون، كلٌّ آمنَ باللّه، وملائـكته، وكُتُـبِه، ورُسُله. لا نُفرِّقُ بين أحدٍ من رُسُله. وقـالوا: سمعْنا وأطَعنا. غـفرانَك ربَّنا وإليكَ المصيرُ» (٢/ ٢٨٥)، وقال: «ومَن يكفر باللّه وملائكتِه وكتبه، ورسله، واليومِ الآخِرِ فـقد ضلّ ضلالاً بعـيداً» (٤/١٣٦). وعندمـا سـألَ جبـريلُ عن الإيمان، قال رسولُ اللّه: «أن تؤمن باللّه ومـلائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخِر، وتؤمن بالقدَر خيره وشرّه»[1]. فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شكٌّ. ومن هنا كان إنكارُ وجودهم كفراً بإجماع المسلمين.

٢ . أخبر القرآن أنّ الملائكة **خُلقوا قبل آدم**، قال: «وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكةِ: إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفـةً. قالوا: أتجعلُ فيهـا مَن يُفسِدُ فيهـا ويَسْفِكُ الدماءَ، ونحن نسَبِّحُ بحـمدِكَ، ونُقدِّسُ لك؟ قال: إنّي أعلمُ مـا لا تَعلَمون» (٢/ ٣٠). ؛ كما أخـبرنا النبيّ فقال: «خُلِقَتِ الملائكةُ مـن نور، وخُلِق الجانّ من مارج من نار، وخُلق آدم ممّا وصف لكم»[2]؛ أي: إنّ الملائكة مـخلوقـات نورانيّة، ليس لـهم جسم مـادّي، يُدرك بالحواس الإنسانيّة، وأنّهم ليسوا كالبشر، فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوّجون، مطهَّرُون من الشهوات الحـيوانيّة، ومنزّهون عن الآثام والخطايا.. غير أنّ لهم القدرة على أن يتمثّلوا بصور البشر.

خلق اللّهُ الجِنَّ والملائكـةَ قبل الإنسـان : الجِنّ صنفٌ، لا هم مـلائكة ولا هم بشر. ولا يُستبعَد أن تكون الملائكة، بسـبب استتارهم هذا، هم أيضاً من الجِنّ. لهذا اختلطتْ أعمالُ الملائكة والجنِّ على النّاس[3]. و**إبليس** نفسه، تارة هو من الجِنّ كما

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٣٧، ط. الحلبي، من حديث عمر.

(٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٩٤، ط. الحلبي، من حديث عائشة.

(٣) قال الرّازي: «إنّ لفظ الجنّ مـأخوذ من الاسـتتار، ومنه الجَنّة لاسـتتـار أرضها بالأشـجار. ومنه الجِنّة لكونهـا سـاترة للإنسـان. ومنه الجنّ لاسـتتـارهم عن العـيـون. ومنه المجنون لاستتـار عقله. ومنه الجنين لاستـتاره في البطن. ومنه قوله تعـالى: «اتّخذوا أيمانهم جنّة»، أي وقايةً وسـتراً. واعلم أنّ على هذا القـول يلزم أن تكون الملائكة من الجنّ لاستـتارهم عن

في سورة الكهف (١٨/ ٥٠)؛ وطوراً من الملائكة كما في سورة البقرة (٢/ ٣٣). والاختلاف حاصلٌ بين المسلمين حتّى اليوم. قال كثير من الفقهاء إنّه كان من الجنّ؛ وقال بعض المتكلّمين، ولا سيّما المعتزلة، إنّه كان من الملائكة. وقال آخرون: إنّ جنسه ملكي، أمّا فعله فجِنّي. ولعلّ إبليس كان من الجنّ فعلاً ومن الملائكة نوعاً.

٣ . **علاقة الملائكة بالله** هي علاقة العبوديّة الخالصة والطاعة والامتثال والخضوع المطلق لأوامره. قال تعالى: «لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أمَرَهم ويَفعَلون ما يُؤمَرون» (٦٦/ ٦)؛ وقد وصفهم اللّه بأنّهم لا يستكبرون عن عبادته، قال: «لا يستكبرون عن عبادته، ولا يستحْسِرون. يُسبِّحون الليلَ والنهارَ لا يَفْتَرون» (٢١/ ١٩-٢٠)؛ وهم منقطعون دائماً لعبادة اللّه وطاعة أمره..

والملائكة ينفِّذون أمرَ اللّه الواحد القهّار: «لا يَسبَقونَه بالقول، وهم بأمرِه يَعملون. يَعلَمُ ما بين أيديهم وما خلفَهم، ولا يَشفعون إلاّ لِمَنِ ارتَضى، وهم من خَشيَتِه مُشْفِقون» (٢١/ ٢٧-٢٨)، «يخافونَ ربَّهم مِن فوقِهم ويَفعلونَ ما يُؤمَرون» (١٦/ ٥٠)، «لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أمَرَهم ويَفعلون ما يُؤمَرون» (٦٦/ ٦).

٤ . **و الملائكة أصناف** :كلّ منها موكل بأصناف المخلوقات، وذلك لما ورد في الآيات التالية: منهم «المُرسلاتِ عُرْفاً، فالعاصِفاتِ عَصْفاً، والنَّاشِراتِ نَشْراً، فالفارِقاتِ فَرْقاً، فالمُلْقِيَاتِ ذِكْراً» (٧٧/ ١-٥)؛ ومنهم «النّازِعاتِ غَرْقاً، والنَّاشِطاتِ نَشْطاً، والسَّابِحاتِ سَبْحاً، فالسَّبِقاتِ سَبْقاً، فالمُدَبِّراتِ أمْراً» (٧٩/ ١-٥)؛ ومنهم «الصافَّاتِ صَفّاً، فالزَّاجِراتِ زَجْراً، فالتَّالِياتِ ذِكْراً» (٣٧/ ١-٣).. إلى ما هنالك من أصناف لا يحصيها إلاّ اللّه.

٥ . **أسماء ملائكة** : ثمّة أسماء ملائكة معروفةٌ في التقليد اليهودي والنصراني، ومتداولة بين العرب، منذ ما قبل الإسلام. ولمّا جاء الإسلام استمرّ يذكرها. منها ما جاء في القرآن، ومنها ما بقي متداولاً في التقليد والأخبار. هم :

العيون، إلاّ أن يقال: إنّ هذا من باب تقييد المطلق بسبب العرف»، تفسير الرازي، ١/ ٨٩.

١ - **جِبْرِيل** : ذكره القرآن ثلاث مرّات (٢/٩٧ و٩٨؛ ٦٦/٤). وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء؛ وقد ذكره قبل سائر الملائكة؛ بل جعله ثاني نفسه، كما في قوله: «فإنّ اللّه هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين» (٦٦/٤)؛ وسمّاه، كما يقول المسلمون، «روح القدس»[٤]؛ و«الرّوح الأمين» (٢٦/١٩٣)؛ ومدحه بصفات ستٍّ في قوله: «إنّه لقول رسول كريم، ذي قوّةٍ عند ذي العرش مكين، مطاع ثمّ أمين» (٨١/٢٠)[٥].

٢ - **مِيكَال** : ورد اسمُه في القرآن مرّةً واحدة؛ وهو من صفّ جبريل: «مَن كان عدوًا للّهِ وملائكتِه ورسلِه وجبريلَ وميكالَ فإنّ اللّهَ عدوٌّ للكافرين» (**٢**/٩٨).

٣ - **مَلاك الموت** : ورد اسمه مرّة واحدة في القرآن:«قُلْ (لهم): يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوتِ الذي وُكِّلَ بكم (أي يقبض أرواحكم). ثمّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (٣٢/١١). وهو نفسه عزرائيل المذكور في التقليد النصرانيّ وفي كتب السنّة.

٤ - **مَالِك** : ورد اسمُه مرّة واحدة : «ونادَوا: يَا مَالِكُ! (هو ملاك خازن النّار) لِيَقْضِ عَلَينا رَبُّكَ (أي ليُمِتْنا). قَالَ: إنّكُمْ ماكِثُونَ (في العذاب)» (٤٣/٧٧).

٥ و٦ - **هَارُوت ومَارُوت** : ورد ذكرُهما مرّة واحدة في (٢/١٠٢) وهما «إسمان أعجميّان... أراد اللّهُ أن يبتلي الملائكة، فقال لهم: اختاروا مَلَكين من أعظم الملائكة علماً وزهداً وديانةً لأُنزلهما إلى الأرض، فأَختبرُهما. فاختاروا هاروتَ وماروتَ. وركّب فيهما شهوة الإنس. وأنزلهما. ونهاهما عن الشرْك والقتل والزنا والشرب. فنزلا. فذهبتْ إليهما امرأةٌ من أحسن النساء. فراوداها عن نفسها. فأبتْ أنْ تطيعَهما إلاّ بعد أنْ يعبدا الصنم، وإلاّ بعد أن يشربا الخمر. فامتنعا أوّلاً. ثمّ

---

(٤) أربع مرّات: **٢**/٨٧ و٢٥٣؛ ٥/١١٠؛ **١٦**/١٠٢.

(٥) «**فرسالته** أنّه رسول اللّه إلى جميع الأنبياء. فجميع الأنبياء والرسل أمّته. **وكرمه** على ربّه أنّه جعله واسطة بينه وبين أشرف عباده وهم الأنبياء. **وقوّته** أنّه رفع مدائن قوم لوط إلى السماء وقلَبَها. **ومكانته** عند اللّه أنّه جعله ثاني نفسه في قوله تعالى: :فإنّ اللّهَ هومولاه وجبريل وصالح المؤمنين». وكونه **مطاعاً** أنّه إمام الملائكة ومقتداهم. وأمّا كونه **أميناً** فهو قوله: «نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين».

غلبتِ الشهـوةُ عليهما. فـأطاعاها في كلٍّ ذلك. فعند إقدامـهما على الشـرب وعبادة الصنم دخل سـائلٌ عليهم. فـقالتْ: إنْ أظهـرَ هذا السائلُ للنـاسِ ما رأى منّا، فَـسُدَ أمرُنا. فإنْ أردتُمـا الوصولَ إليَّ فاقتلا هذا الرّجل. فـامتنعا منه. ثمّ اشتـغلا بقتله. فلمّا فـرغا من القتل وطلبـا المرأةَ فلم يجداها. ثمّ إنّ الملَكَين عند ذلك ندما وتحـسّرا وتضرّعا إلى اللّه تعالى. فـخيّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. فـاختارا عذابَ الدنيا. وهما يعذَّبان ببابل معلَّقَين بين السماء والأرض يعلِّمان الناسَ السحر»[٦].

٧ – **الزَّبَانية** : وردتْ مـرّة واحدة: «فَلْيَـدْعُ نَادِيَه. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَـةَ» (٩٦/ ١٧–١٨). وعددهم، كما في مكان آخر: «تسـعة عشر» (٧٤/ ٣٠). هم ملائكة، من دون شكّ. ولكنّهم ملائكة «غِلاظٌ، شِدَادٌ. لا يَعْصَونَ اللّهَ مَا أمَرَهُم» (٦٦/ ٦).

«ومن جملة أكـابر الملائكة أيضاً، ولم يرد ذكرهم فـي القرآن، بل في السنّة والتقليد:

٨ – **عَزرَائيل** : هو نفسُه «ملك الموت» الذي ورد ذكره أعلاه.

٩ – **إسرَافيل** : لا ذكْر له في القرآن؛ إنّما دلّتْ كتبُ السنّة والأخبار على أنّه صـاحب الصُّور، أي البـوق، على مـا جاء وصـفه فـي القرآن: «وَنُفِخَ في الصُّـور فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَات ومَن فِي الأرْضِ إلاّ مَن شَـاءَ اللّه. ثمَّ نُفِخَ فيه أُخْرَى. فإذَا هُم قيامٌ يَنظُرُون» (٣٩/ ٦٨).

١٠ و ١١ – **مُنْكَر** و **نَكِير** : لا وجود لهذين الإسمَين في القرآن. إنّما هما من السنّة والتقليد. مهمّـة هذين الملاكَين زيارةُ الميتِ في قبره، في اللّيلة التي تلي دفنَه، ليسـألاه عن إيمانه. فإنْ كانَ غيـر مؤمنٍ يتحـوّل قبرُه إلى جحـيمٍ أوّليّ؛ وإنْ كان مؤمناً يكـونُ مكاناً لتطهيره، ومـنه يمرّ إلى الجنّة يومَ الدينونة الأخيـرة. وإنْ كان المؤمن طاهراً يتحوّل قبره مباشرةً إلى درجة من درجات الجَنّة. هذه المرحلة تسمّى في التقليد الإسلامي: «سؤال القبر»؛ وهي عـقيدة مبنيّة على ما ورد في القرآن عن

---

(٦) تفسير الرّازي على ٢/ ١٠٢.

الميتتَين والحياتَين. قال: «قالُوا: رَبَّنَا! أَمَتَّنَا اثْنَتَينِ، وأحْيَيْتَنَا اثْنَتَينِ. فَاعْتَرَفنَا بِذُنُوبِنَا. فَهَلْ إلى خروجٍ مِن سَبيلٍ؟!» (٤٠/ ١١ و٤٩). هذا ولم يُذكر عذاب القبر في القرآن صراحة؛ وإنْ كان الإيحاء به يُستقَى من بعض الآيات مثل: «فكيف إذا توفَّتْهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم» (٤٧/ ٢٧).

٦ . **عصمة الملائكة** : يتّفق معظم علماء الدّين المسلمين على عصمة الملائكة عن الذنوب. وذلك لقوله تعالى: «لا يعصون اللّه ما أمرهم. ويفعلون ما يُؤمرون» (٦٦/٦)؛ وقوله: «يخافون ربَّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» (١٦/ ٥٠)؛ وقوله: «وهم بأمره يعملون» (٢١/٢٧). وإذا كانوا أيضاً يقومون بتسبيح اللّه ليلَ نهار، فهذا يعني امتناع صدور المعصية منهم.

غير أنّ بعض المسلمين يقول بأنّ الملائكة يمكنهم ارتكاب المعاصي. وهذا ما جاء عنهم في القرآن. لقد حكى عنهم أنّهم قالوا: «أتجعلَ فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك؟!» (٢/ ٣٠). وهذا يقتضي صدور الذنب عنهم؛ لأنّ سؤالهم اللّهَ:«أتجعلْ فيها» إنّما هو اعتراض على اللّه. وهو من أعظم الذنوب؛ ولأنّهم، بعد أن طعنوا في بني آدم، مدحوا أنفسَهم بقولهم: «ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك». وأنّهم قالوا: «وإنّا لَنحن الصّافّون وإنّا لنحن المسبِّحون» (٣٧/ ١٦٦). فكأنّهم نَفَوا كونَ غيرهم كذلك. وهذا يشبه العجب والغِيبة. وهو من الذنوب المهلكة... ثمّ إنّ قولهم «لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا» (٢/ ٣٢) يشبه الاعتذار. فلولا تقدُّم الذنب لما اشتغلوا بالعذر. ثمّ إنّ قوله: «أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتمْ صادقين» (٢/ ٣١) يدلّ على أنّهم كانوا كاذبين فيما قالوه أوّلاً.

ثمّ إنّ قصّة هاروت وماروت دليل على عصيان بعض الملائكة. وكانا ملَكَين ابتلاهما اللّه بشهوات بني آدم، فشربا الخمر، ثمّ غلبت الشهوة عليهما، ثمّ دَعَوَا امرأةً إلى الفاحشة. ثمّ سجدا للصنم. فأمر اللّهُ بعذابهما في هذه الدنيا. ثمّ إنّ إبليس كان من الملائكة المقرّبين، عصى اللّهَ، وكفر. وذلك يدلّ على صدور المعصية من جنس الملائكة. وأخيراً، جاء في القرآن: «وما جعلْنا أصحابَ النّار إلاّ ملائكة» (٧٤/ ٣١)، فدلّ هذا على أنّ الملائكة يُعذَّبون؛ لأنّ أصحاب النار لا يكونون إلاّ ممن

يُعَذَّب فيها، كما قال: «أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون» (٢/٢١٧)[٧].

٧. مَن الأعظم؟ الملائكة أم الأنبياء؟ هناك اختلاف بين المسلمين في مَن يكون أعظم وأفضل. فمنهم مَن قال بأنّ الملائكة أعظم وأفضل من الأنبياء؛ ومنهم مَن قال: بل الأنبياء أعظم وأفضل من الملائكة. ولكلّ فئةٍ من المختلِفين حججها من القرآن والسنّة.

فالقائلون بأنّ **الملائكة أفضل من الأنبياء** ومن البشر عامّة قد احتجّوا:

١ - بقولهم إنّ الملائكة يسبّحونَ اللّه من دون ملل، كما في قوله: «يُسبّحون اللّيلَ والنهارَ لا يَفتُرون» (٢١/ ٢٠)؛ فيما البشر لا يصلّون إلاّ قليلاً؛

٢ - وبقولهم إنّ عبادات الملائكة أشقّ من عبادات البشر، فتكون، بالتالي، أكثر ثواباً من عبادات البشر، لقول النبيّ لعائشة: «إنّما أجْرُك على قدْر نصبك»؛

٣ - وبقولهم إنّ الملائكة أسبق في عبادة اللّه من البشر، لقوله: «والسّابقون السّابقون أولئك المقرّبون» (٥٦/ ١٠)؛

٤ - وبقولهم إنّ الأنبياء ما استغفروا لأحدٍ إلاّ بدأوا بالاستغفار لأنفسهم، ثمّ بعد ذلك لغيرهم من المؤمنين: هكذا فعل نوح: «ربِّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً» (٧١/٢٨)؛ وإبراهيم: «ربّ اغفر لي ولوالديّ» (١٤/ ٤١)؛ وموسى: «ربِّ اغفر لي ولأخي» (٧/ ١٥١)؛ وهكذا قال اللّه لمحمّد: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (٤٧/ ١٩).. أمّا الملائكة فإنّهم لم يستغفروا لأنفسهم. ولكنّهم طلبوا المغفرة للمؤمنين من البشر، كما في قوله: «ويستغفرون للذين آمنوا» (٤٠/ ٧)؛

٥ - وبقولهم، كما جاء: «إنّ اللّهَ وملائكتَه يُصلّون على النّبيّ» (٣٣/ ٥٦)، وذلك يدلّ على كون الملائكة أشرف من النبيّ؛

---

(٧) رَ: ٢/ ٢٧٥؛ ٣/ ١١٦؛ ١٠/ ٢٧؛ ٥٨/ ١٧؛ ٦٤/ ١٠.

٦ - وبقولهم إنّ جبريل أفضل من محمّد، لكون جبريل، بالاستناد إلى (٨١/ ٢٠)، يتّصف بستٍّ من صفات الكمال. فهو: رسول اللّه، كريم على اللّه، ذو قوّة عند اللّه، مكينٌ عند اللّه، مطاعٌ في عالم السموات، أمينٌ في كلّ الطاعات، مبرّءٌ عن أنواع الخيانات... ولو كان محمّد مساوياً لجبريل، أو مقارناً له، لكان وُصف بهذه الصفات بعد وصف جبريل.

أمّا القائلون **بفضل الأنبياء على الملائكة** فقد احتجّوا أيضاً بأمور:

١ - إنّ اللّه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم. وثبت أنّ آدم لم يكن كالقِبلة، بل كانت السجدة في الحقيقة له؛

٢ - إنّ اللّه تعالى جعل آدم خليفةً له (٢/ ٣٠). والمراد منه خلافة الولاية والحكم، لقوله لداود: «يا داود إنّا جعلْنَاكَ خليفةً في الأرضِ فاحكمْ بين النّاس بالحقّ» (٣٨/ ٢٦). ومعلوم أنّ أعلى الناس منصباً عند المَلِك مَن كان قائماً مقامه في الولاية والتصرّف والحكم؛

٣ - إنّ آدم كان أعلم من الملائكة، والأعلم أفضل. والدليل على أنّ آدم كان أعلم هو أنّ اللّه، لمّا طلب منهم عِلْمَ الأسماء، «قالوا: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا. إنّك أنت العليم الحكيم» (٢/ ٣٢). فعند ذلك قال اللّه: «يا آدمَ أنبِئْهم بأسمائهم. فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال: ألمْ أقلْ لكمْ» (٢/ ٣٣). وذلك يدلّ على أنّ آدمَ كان عالماً ممّا لم يكونوا عالِمين به. وأمّا أنّ الأعلم أفضل فلقوله تعالى: «قلْ هلْ يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (٣٩/ ٩)؛

٤ - قوله تعالى: «إنّ اللّهَ اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم وآل عِمران على العالمين» (٣/ ٣٣)؛ معناه أنّ اللّه اصطفاهم على المخلوقات، أي إنّهم من المخلوقات؛

٥ - قوله تعالى: «وما أرسلناكَ إلاّ رحمة للعالمين» (٢١/ ١٠٧). والملائكة من جملة العالمين. فكان محمّد رحمةً لهم؛ فوجب أن يكون محمّد أفضل منهم؛

٦ - إنّ عبادة البشر أشقّ فوجب أن يكونوا أفضل. وإنّما أشقّ لأنّ الآدمي له شهوة داعية إلى المعصية والمَلَك ليست له هذه الشهوة. والفعل مع المعارض

القويّ أشدّ منه من دون المعارض؛

٧ - إنّ الملائكة حَفَظة. وبنو آدم محفوظون. والمحفوظ أعزّ وأشرف من الحافظ. فيجب أن يكون بنو آدم أكرم وأشرف من الملائكة.

٨ . آدم والملائكة : أمرَ اللّهُ الملائكةَ ليسجدوا لآدم، أي، بحسب إجماع المفسِّرين: لينحنوا له انحناءَ تكريمٍ واحترام، لا سجودَ عبادة. فسجدوا إلاّ إبليس أَبَى واستكبر واعترض على اللّه.

ولمّا وسوس الشيطان لآدم وحواء بأنْ يأكلا من الشجرة فقد غرّهما وقال لهما بأنّهما سوف يكونان مَلَكَين، ويكونان من الخالدين. قال: «فوسوسَ لهما الشيطانُ... وقال: ما نَهاكُما ربُّكُما عن هذه الشجرةِ إلاّ أنْ تكونَا مَلَكَينِ، أو تكونا من الخالِدِين (٧/ ٢٠)؛ أو كما في آيةٍ أخرى: «هل أدلّك على شجرة الخلد وملْك لا يبلى؟» (٢٠/ ١٢٠).

وجرى حديثٌ بين اللّه والملائكة عند خلق آدم. واعترض الملائكة، وكأنّهم يعلمون بما سيكون من معصية آدم، فيما اللّه لا يعلم. وكان بينهما سجال. قال: إنّي أعْلَمُ مَا لا تَعْلَمون . وَعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها. ثمّ عَرَضَهم على الملائكة. فقال: انْبِؤوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتمْ صادقين. قالوا: سُبحانك لا علْمَ لنا إلاّ ما عَلَّمْتَنا. إنّك أنتَ العليم الحكيم . قال: يا آدمَ! أنبِئْهُمْ بأسمائهمْ. فلمّا أنبأهم بأسمائهمْ قال: ألَمْ أَقُلْ لكم إنّي أعْلَمُ غيبَ السمواتِ والأرضِ، وأعلَمُ ما تُبدونَ وما كنتمْ تكتُمون؟ وإذْ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم. فسجدوا إلاّ إبليس. أبى واستكبر. وكان من الكافرين» (٢/ ٣٠-٣٤). وتعدّد الحديث حول سجود الملائكة لآدم في أمكنة عديدة من القرآن، وجميعها متّفق في الفكرة والصيغة[٨].

٩ . محمّد والملائكة : في القرآن، كما في السيرة النبويّة، دورٌ كبيرٌ للملائكة مع محمّد، منذ خلق اللّهُ العالَم. فهم يرافقونه عبر الأرحام والأصلاب إلى أن وُلد من رحم أمّه آمنة. كانوا يشهدون له ويؤيّدونه ويعضدونه وينصرونه في معاركه

---

(٨) رَ: **٧**/ ١١؛ **١٥**/ ٢٨-٣٠؛ **١٧**/ ٦١؛ **١٨**/ ٥٠؛ **٢٠**/ ١١٦؛ **٣٨**/ ٧١-٧٣.

ضدّ الكفّار. ويشهدون على حقيقة ما أُنْزِل عليه: «لكنِ اللّهُ يَشْهَدُ بما أَنْزَلَ إليكَ (من القرآن). أنْزَلَه بِعِلْمِه. والملائكةُ يَشهدونَ (لكَ أيضاً)» (٤/ ١٦٦).

وقال كفّار مكّة لمحمّد: لو كنتَ صادقاً في ادّعاء النبوّة لأتيتَنا بالملائكة يشهدون عندنا بصدقك فيما تدّعيه من الرسالة... وحيث لم تفعل ذلك علمنا أنّك لست من النبوّة في شيء (ر: ١٥/ ٦-٨). «وقالوا: لولا أُنزلَ عليه مَلَك. ولو أنزَلنا ملَكاً لقضي الأمر» (٦/ ٨).

وكذلك آيات عديدة تبيّن دور الملائكة مع محمّد[٩]. ولو نزل الملائكة وشهدوا على صدق نبوّة محمّد، ما كان كفّار قريش ليؤمنوا، ولو كلّمهم الموتى، وجاءه رسلٌ وأنبياء من السماء، لما آمنوا. قال : «وَلَو انَّنَا نَزَّلْنَا إلَيهم الملائكةَ. وكلَّمَهُمْ الموتى، وحَشَرْنا (جَمَعْنا) عليهم كلَّ شيءٍ قُبُلاً (أي فوجاً فوجاً فشهدوا بصدقك) مَا كَانُوا ليُؤمِنوا» (٦/ ١١١؛ ر: ٢٥/ ٢١-٢٢).

١٠ . وللملائكة في الإسلام **دورٌ يومَ الدّينونة**، فهم سوف يجيئون مع اللّه للقضاء ولإنهاء شكل العالم الحاضر (٨٩/ ٢١-٢٢)، ولتكريم الأبرار وإدخالهم الجنّة بسلام : «والملائكةُ يَدخُلُونَ عليهِمْ من كلِّ بابٍ (من أبواب الجنّة. يَقولونَ): سَلامٌ عليكمْ (هذا الثواب) بِمَا صَبَرْتُمْ. فَنِعْمَ عُقبَى الدَّارِ» (١٣/ ٢٣-٢٤).

ولكنّهم أيضاً، يُهلكون الكفّار في عذاب النّار : «هَل يَنظرُونَ (ينتظر الكفّار) إلاّ أنْ تَأْتِيَهُمُ الملائكةُ (لقبض أرواحهم)، أو يَأتِي أمرُ رَبِّكَ (أي عذابه). كَذلِكَ (كما فعل هؤلاء) فَعَلَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (كذّبوا رسلَهم فأهلكوا). وَمَا ظَلَمهم اللّهُ (بإهلاكهم بغير ذنب). ولكنْ كانوا أنفسَهم يَظلِمونَ (باتّباع الكفر)» (١٦/ ٣٣).

وسوف يأتي اللّه في السحاب، مع الملائكة، ليهلكَ الكفّار، كلاً بحسب ما يستحقّ :«هل يَنظرونَ إلاّ أنْ يأتيَهمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ من الغمامِ، والملائكةُ (أيضاً يأتون ليقوموا بما أُمروا به)، وقُضِيَ الأمرُ (أيّ تمّ أمر هلاكهم). وإلى اللّهِ تُرْجَعُ الأمورُ (في الآخرة فيجازي كلاً بعمله)» (٢/ ٢١٠). والملائكةُ، في اليوم الأخير، تَلعنُ،

(٩) ر: ٦/ ٥٠؛ ٢٥/ ٧/ ٧؛ ١٧/ ٩٠-٩٢؛ و٩٥؛ ٦٦/ ٤؛ ٣٣/ ٥٦.

هي أيضاً، الكفّارَ الذين مـاتوا وهم كفّار: «إنّ الذين كفروا ومـاتوا وهم كفّارٌ أولئك عليهم لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والنّاسِ أجـمعين» (٢/ ١٦١؛ ٣/ ٨٧). يعلّق الرّازي: «إعلمْ أنّ لعنةَ اللّه مـخالفـة للعنة الملائكة. لأنّ لعنتَـه بالإبعـاد من الجنّة وإنزال العقـوبة والعذاب؛ واللّعنة من الملائكة هي بالقول، وكذلك من الناس»[١٠].

يُضـاف إلى ذلك أنّ الملائكةَ، يؤنّبـون الكفّـار على قلّة إيمانهم، وعلى عـدم لحـاقهم بمن هاجـرَ من المؤمنين من أرضِ الكفـر إلى أرض الهجـرة (رَ: ٤/ ٩٧). وسـوف يعـذِّبـون الذين كـذبوا على اللّه، «والمـلائكةُ باسِطو أيْدِيْهِـم (إلى الكفّـار بالضرب، ويقولون لهم): أَخْرِجُوا أنفسكم. أليومَ تُجْزَونَ عَذابَ الهَونِ (الهوان) بما كنتم تقولونَ على اللّهِ غيرَ الحقِّ، وكُنتم عن آياتِهِ تَستكبِرونَ» (٦/ ٩٣).

والملائكة، في اليوم الأخـير، لا تفيدُ الكفّـار، حتّى ولو آمنوا (٦/ ١٥٨)؛ بل هم يسهمون في عذاب الكفّار بضرب وجوهِهم وظهورِهم بمقامع من حديد : «ولَو تَرى (يا مـحمّـد) إذْ يَتَـوَفَّى الذينَ كَـفَروا الملائكةُ يَضْـرِبُونَ وُجُـوهَهُمْ وأَدْبَارَهم (بمقامع من حديد) وَ (يقـولون لهم): ذُوقُوا عَذابَ الحَريقِ» (٨/ ٥٠؛ رَ: ٤٧/ ٢٧–٢٨). ويقولون لهم: «هَذَا يومُكُمُ الذي كنتم تُوعَدونَ (في الدنيا)» (٢١/ ١٠٣). إنّه حقًّا يومٌ عسير على الكافرين. فيما هو يومُ تحقيقِ وعد اللّه للمؤمنين (٤١/ ٣٠).

١١ . الملائكة والرّوح : في القـرآن آيات أربع تجـمع بـين الملائكة والرّوح؛ رأى فيها المسلمون أنّ الرّوحَ هو جبريل، عظيم الملائكة ورئيسهم. هذه الآيات هي:

١ – «يُنَزِّلُ الملائكَةَ بالرُّوحِ (أي مع الرّوح الذي هو جـبريل) مِنْ أمْـرِهِ علَى مَن يشـاءُ مِن عبـادِهِ أنْ أَنْذِرُوا أنَّه لا إلَهَ إلاّ أنا فاتَّقُـونِ» (١٦/ ٢). ألرّوح، هنا، في رأي المفسّـرين، مَلَك في السمـاء من أعظم مَن خَلَقَ اللّه. سـوفَ يقف يوم القيـامة صفًّا والملائكةُ كلّهم صفًّا. قال الواحدي: وتسمية الواحد باسم الجمع إذا كان ذلك الواحد رئيساً مقدّماً جائز.

---

(١٠) تفسير الرّازي على ٣/ ٨٧.

٢ - «تَعْرُجُ المَلائكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيهِ في يَومٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً» (٧٠/ ٤-٥). المقصود بهذا الكلام، أنّ الملائكة، وجبريل، تنزلُ من السماء، يومَ القيامة، لتدين الكافرين. ويومُ القيامة هذا، بالنسبة إلى الكافرين، يُقدَّرُ، لشدَّته، بخمسين ألف سنة...

٣ - «يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ والملائِكَةُ صَفًّا لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا» (٧٨/ ٣٨). إنّ "الرّوح" هنا هو جبريل، الذي يأتي، مع الملائكة، في اليوم الأخير، ليشفعوا لدى الله بالخَلق...

٤ - «تَنَزَّلُ الملائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا (في ليلة القَدْر) بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ» (٩٧/ ٤-٥). إنّ الله أنزل القرآن، في ليلة القدْر، من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.. فيها، ولشرفها، تتنزّلُ الملائكةُ وجبريلُ، بأمرِ قضاه الله.

يشير البيضاوي وغيرُه من المفسِّرين على صعوبة فهم هذه العلاقة بين الرّوح والملائكة، وعلى صعوبة التمييزِ بينهما. فلكأنّ «الرّوح» هنا، كما يقول حسين فضل الله[١١]، مستشهداً بالطباطبائي[١٢]، «موجود مستقلّ ذو حياةٍ وعلمٍ وقدرة. وليس من قبيل الصفات والأحوال القائمة بالأشياء»[١٣]، يعني أنّ «الرّوح» فوقَ كلِّ الملائكة وكلِّ الأرواح. ألعلّه هو «روح القدس» عند المسيحيّين؟!

المَمَاليك : عبيد أتراك وجراكسة ومُغول، اشتراهم الأيُّوبيّون وجنّدوهم في الخدمة العسكريّة. تمكّن بعضهم من الوصول إلى الحكم، وأسّسوا في مصر سلالتَي المماليك البحريّة والبرجيّة. **البحريّون** (١٢٥٣-١٣٨٢) : دعوا بالبحريّين

---

(١١) سماحة آية الله العظمى السيّد محمّد **حسين فضل الله**، دام ظلّه، **من وحي القرآن**، دار الملاك، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ٢٤ جزءاً.

(١٢) للعلاّمة السيّد محمّد حسين الطباطبائي (١٨٩٢-١٩٨١)، **الميزان في تفسير القرآن**، ٢٢ مجلّداً، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ألطبعة الأولى المحقّقة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١٣) **الميزان في تفسير القرآن**، ج ١٢، ص ٢٠٥.

لإقامتهم في جزيرة الروضة على النيل. و**البرجيّون** (١٣٨٢-١٥١٧) أقاموا في برج قلعة القاهرة. وانتهى حكمهم بسيطرة العثمانيّين عليهم.

المَنَاذِرَة : (راجع مادّة : **لخم**).

المَنَاسِك : جمع مَنْسَك. أطلقت على أمور الحجّ، من عبادة وطاعة وذبائح، وأمكنة، وما يتقرّب به إلى الله. وفي التنزيل: «وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا» (٢/١٢٨)، أي متعبّداتنا.

مَنَاف : من أصنام العرب في الجاهليّة.

مَنَاة : إلاهة عند العرب القدماء. إنّها، بحسب اسمها، إلاهة المنيّة، أي الموت، أو إلاهة القضاء والقدر. كانت موضع عبادة الكثير من القبائل العربيّة، وخاصّة الأوس والخزرج في يثرب. وفي مكّة كانت مشهورة جدًا مع الإلاهتَين اللاّت والعزّى. وكانت الثلاث يُعتَبَرْن، على ما جاء في القرآن، بنات الله. وفي لحظة ما أعلن محمّد أنّ عبادتها مباحة (ر: ٥٣/١٩...). والمرجّح أنّ عبارة «ومناة الثالثة الأخرى» الغامضة، ترجع إلى مقتضيات النظم فحسب.

المُنَافِقُون : سورة ٦٣ من القرآن. آياتها: ١١. يربطها معظم المفسّرين بغزوة بني المصطلق. النفاق في القرآن هو إظهار غير الباطن. وهم المرتدّون عن الدين، «ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا» (٦٣/٣). ويُجمَعون مع الكفّار في خلود العذاب في الآخرة[1]، ويجب جهادهم وأخذهم بالقوّة والشدّة والغلظة (٩/٧٣؛ ٦٦/٩)، ويستحقّون القتل: «فإنْ تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم» (٤/ ٨٩ و٩٠).

أمّا أوصافهم فهي سيّئة جدًا. فهم : ١- كذّابون؛ ٢- صادّون عن سبيل الله؛ ٣- لا يفقهون؛ ٤- أعداء؛ ٥- مستكبرون؛ ٦- لن يغفر الله لهم مهما استغفر لهم الرسول؛ ٧- مراؤون في إيمانهم (٩/٦٧ و٩٠-١١٠)؛ ٨-

---

(١) ر: ٩/٧٣-٨٧؛ ٤/١٤٠-١٤٥؛ ٤٨/٦؛ ٥٨/١٣-١٥؛ ٥٩/١١-١٥.

محجمون عن الجهاد في سبيل اللّه.. وبوجه عامّ، منشقّون عن الأمّة. يقول الشيعة: إنّ الرسول حارب الكفّار، أمّا عليّ فحارب المنافقين. لا يجوز قتل المنافقين على الرغم من كونهم أسوأ من الكفّار.

المُنْذِر : إسم خمسة من أمراء الحيرة اللّخميّين. أشهرهم: الثالث إبن ماء السماء (٥١٤-٥٥٤م)؛ حارب الروم. زوجته هند الكبرى أمّ عَمرو الثالث اللّخميّ. قُتل يوم حَليمة. الرابع إبن السابق (٥٧٣-٥٩٢م). في عهده أحرق الغساسنة الحيرة سنة ٥٨٠م.

المُنْذِر : إسم أربعة من أمراء الغساسنة. أشهرهم: الثالث إبن الحارث (٥٦٩-٥٨١م). انتصر على قابوس ابن المُنذر الثالث اللّخميّ في معركة عين أباغ سنة ٥٧٠. أحرق الحيرة سنة ٥٨٠. نفاه البيزنطيّون إلى صِقِلِّيَّة.

مُنْكَر ونَكِير : (راجع مادّة : **الملائكة/أسماء -**).

المُنْكَر : ما ليس فيه رضا اللّه من قول أو فعل. إنّه منهيّ عنه في الكتاب: «ولتكُنْ منكم أمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخيرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ ويَنْهَوْنَ عنِ المُنْكَرِ» (٣/ ١٠٤)، وفي السنّة: «مَن رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان»[١].

المَنّ : ١ . يُطلق على معانٍ عدّة : ١ - على الإنعام، وتعداد الصنائع، كأن تقول: أعطيتُك كذا، وفعلت بك كذا؛ ٢ - على المكيال أو الميزان؛ ٣ - على قطع الشيء، من مننتُ الحبلَ، أي قطعتُه، فهو ممنون؛ ٤ - على شيء ينزل من السماء يشبه العسل، من قوله تعالى: «وأنْزَلنا عليهم المَنَّ والسَّلْوَى» (٧/ ١٦٠)؛ ٥ - والمُنَّة: الضعف والقوّة معاً، إذ هي من أسماء الأضداد.

٢ . المَنُّ، بمعناه الأوّل، إن كان من اللّه، فهو تذكير المخلوق بخالقه الذي أنعم عليه، وتنبيهه ليشكره.. وإن كان من العبد فهو من الكبائر، ويبطل ثواب الصدقة،

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٦٩، من حديث أبي سعيد الخدري.

لقوله تعالى: «الذينَ يُنفِقونَ أموالَهم في سبـيل اللّه، ثمّ لا يُتبِعونَ ما أنفَقوا مَنًّا ولا أذًى لهم أجرُهُم عند ربِّهم، ولا خَوفٌ عليهم ولا هم يَحزَنون» (٢/ ٢٦٢)، والمفهوم من ذلك أنّ الذين يتبـعون ما أنفقوا مـنًّا وأذًى ليس لهم عند ربّهم أجر، ولا أمن من الخوف والحزن، لقوله: «قولٌ مـعروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صَدَقـةٍ يتبعها أذًى» (٢/ ٢٦٣)؛ وقوله: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! لا تُبْطِلوا صدَقَاتِكم بالمَنِّ والأذَى» (٢/ ٢٦٤).

وقد جاء في السنّة الصـحيحة أنّ المَنَّانَ لا يكلّمه اللّهُ ولا يَنظر إليـه، كما في حديث أبي ذرّ: «ثلاثة لا يكلّمهم اللّهُ يومَ القيامة، ولا يَنظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم. قال أبو ذرّ: خابوا وخسروا، مَن هم يا رسولَ اللّه؟ قال: المسبل، والمنّان، والمُنَفِّق سلعتَه بالحلف الكاذب»[1].

مِنًى: ١ . مكان في التـلال الواقعـة شرقي مـكّة على الطريق إلى عرَفـة. سمّيت مِنى لما يمنى به من الدماء، أي يُـراق. تقع في وادٍ ضيّق يمتدّ من الغرب إلى الشرق، طوله ١٠٠ خطوة، وتحيط به جروف مـن الغرانيت، جرداء منحدرة. وفي الجانب الشمالي جبل يدعى ثبير.

٢ . يهـبط القادمـون من مكّة إلى الوادي بطريق فـي الجبل فـيه درجـات. وهذه هي «العقـبة» التي اشتـهرت بسبب المفاوضـات التي أجراها محـمّد مع أهل المدينة. وبجوار العقبة عمود قصـير، يستند إلى حائط. وهذا هو «الجمرة الكبرى»، أو «جمـرة العقـبة» حـيث يَرمي الحجّـاج الحجـارة. وإلى الشرق قليـلاً في وسط الشـارع «الجمرة الوسطى»، وتتـميّز أيضاً بعمود يدلّ عليهـا. وعلى مسافة مماثلة نجد «الجمرة الأولى».

٣ . على الحـجّـاج الذين يصلـون إلى مكّة في الثـامن من ذي الحـجّـة أن يغادروها ويتوجّهوا إلى عرَفة مـباشرة حيث يصلون في المسـاء. وبعد أداء مناسك الحجّ في عـرَفة والمزدلفـة يتـوجّهـون قبل الشـروق في اليـوم العاشـر إلى مِنى للاحتفال بيوم الأضـحى، أو يوم النحر. هنا يقومون بالشعائر الختاميّة، وهي:

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ١٠٢.

١ – رمي الجمـار: ترمى جمـرة العقـبة يومَ النحـر بعد دفع الحـجّاج من مزدلفة إلى منى؛ ثمّ ترمى الجمار الثلاث في أيّام التشريق بعده؛ وترمى كلّ جمرة بسبع حصيّات. والرمي واجب من واجبات الحجّ.

٢ – ذبْح الهَدْي يومَ النحـر: يجوز ذبْح الهدْي فـي مكّة والحرَم؛ ولكن في منى أفضل.

٣ – الحلق والتقصير لشعر الرأس.

٤ – المبيـت بمنى ليلة يوم عرفـة: يسنّ للحاجّ أن يخـرج من مكّة إلى منى يومَ التروية، **٨** من ذي الحـجّة، بعـد طلوع الشمس، فـيصلّي خـمس صلوات؛ ثمّ يخرج إلى عرفة بعد طلوع الشمس..

٥ – المبيت بمنى ليالي أيّام التشريق.

٤ . وختـام الحجّ كلّه هو أيّام مِنى الثـلاثة، أو أيّام التشـريق في **١١** و**١٢** و**١٣** من ذي الحجّة. وهي أيّام فرح يحتفلون بها بابتهاج كبير وإشعال الأنوار.

المَنِيّ : **١** . ماء الرجل والمرأة، وجمْعـه: مُنْيٌ، وفي القرآن: «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى» (٧٥/٣٨).. وفـي الاصطلاح: هو الماء الغليظ الدافـق الذي يخـرج عند اشتداد الشـهوة. وقال صاحب دستور العلمـاء: المنيّ هو الماء الأبيض الذي ينكسر الذَّكَـرُ بعد خـروجه ويتـولّد منه الولد[1]. والفرق بين **المذيّ** والمنيّ أنّ المنيّ يخرج بشهوة مع الفتور عَقِبَه؛ وأمّا المذيّ فيخرج عن شـهوةٍ لا بشـهوةٍ، ولا يعقبه فتور.

٢ . ذهب الفقـهاء إلى أنّ المنيّ نجس، سـواء كان من إنسانٍ أو من حـيوانٍ مأكولِ اللحم وغير مأكوله.. واستـدلّوا على نجاسته من كون المنيّ خارجاً من أحد السبيلَين فهو نجس كسائر النجاسات.

٣ . أمّا الشافعيّة فيـقولون بأنّ منيّ الإنسان طاهر،لأنّه مبدأ خلق الإنسان، فهـو طاهر كالطين. روتْ عـائشة «أنّهـا كانت تفرك المنيّ من ثـوب رسول اللّه، ثمّ

---

(١) دستور العلماء ٣/ ٣٦١.

يصلّي فيه»[٢]، فدلّ أنّ النبيّ كـان يصلّي والمنيّ على ثوبه.. وعن ابن عبّـاس قال: «سئل رسولُ اللّه عن المنيّ يُصيب الثوبَ، فـقال: إنّما هو بمنزلة البصاق أو المخاط، إنّما كان يكفيك أن تمسحه بخرقة أو إذخر»[٣].. وعن سعد بن أبي وقّاص «أنّه كان إذا أصاب ثوبَه المنيُّ، إن كان رطباً مسحه، وإن كان يابساً حتَّهُ ثم صلّى فيه»[٤].

٤ . ذهب الفقهاء إلى أنّ الصائم إذا قـبّل ولم يمنِ لا يفسد صومه، لما روت عائشـة: «كان النبيّ يقبّل ويبـاشر وهو صـائـم. وكان أملككم لإربه»[٥].. وإن قبّل الصائم فأمنى فسد صومُه، ووجب القضاء والكفّارة..

٥ . واختلف الفـقهاء في حكم إنزال المنيّ باليد، فـذهب المالكيّة والشافـعيّة والحنابلة إلى أنّ الاستمناء باليد، لغـير حاجة، حرام وفيه التعـزير. وقال الحنفيّة: يكره، إلاّ إذا لم يكن خـلاصٌ من الزنا إلاّ بالاسـتمناء وكـان عزباً، لا زوجـة له ولا أمَة.. وفي رواية عن أحـمد أنّه يحرّم ولو خاف الزنى.. ويجـوز عند جميع الفـقهاء الاستمناء بيد الزوجة.

المُهَاجِرُون : ١ . هم أتباع محمّد الذين هاجروا معه من مكّة إلى المدينة.. أمّا أتباعه من المدينة فأطلق عليهم إسم «**الأنصار**». وكلا المهاجرون والأنصار يُسمّون «**الصحـابة**». ولا يتـميّـز فريق عن فـريق، بحسب مـا جاء في القـرآن: «إنّ الذين هاجروا وتركـوا ديارهم ليُقاتلوا في سبـيل الدين الحقّ والذين آووهم ونصروهم (أي الأنصار)، أولئك بعضهم أوليـاء بعض» (٨/ ٧٢). غير أنّ الخلافَ بينهم وقع بعد موت النبيّ، وذلك في موضوع مَن يخلفه: المهاجرون أم الأنصار؟

٢ . جاء في القرآن في بيان مكانة المهاجرين في سبيل اللّه قوله: «إنّ الذينَ آمَنوا والذينَ هاجَروا وجاهَدوا في سبيل اللّه أولئك يَرْجَـونَ رحمةَ اللّهِ. واللَّهُ غفورٌ

---

(٢) أخرجه مسلم ١/ ٢٣٨.

(٣) أخرجه البيهقي ١/ ٤١٨.

(٤) أخرجه الشافعي في المسند ١/ ٢٦ ترتيبه.

(٥) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ١٤٩؛ مسلم ٢/ ٧٧٧.

رحيم» (٢/٢١٨)، وقوله: «فالذينَ هاجَروا وأُخْرِجوا من دِيارِهِمْ وأُوذُوا في سبيلي وقَاتَلوا وقُتِلوا لأُكَفِّرَنَّ عنهم سَيِّئاتِهم ولأُدْخِلَنَّهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ثواباً مِن عند اللّهِ. واللّهُ عندَه حُسْنُ الثواب» (٣/١٩٥).

٣ . وكما أثنى اللّه على المهاجرين أثنى أيضاً على مَن أحسنوا استقبالَهم ونصرتَهم، وهم الأنصار. قال: «والسَّابِقونَ الأوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرينَ والأنصارِ والذينَ اتَّبَعوهم بإحسانٍ رَضيَ اللّهُ عنهم ورَضوا عنه وأَعَدَّ لهم جنَّاتٍ تجري تحتَها الأنهارُ خالِدِينَ فيها أبداً. ذلكَ الفوزُ العظيم» (٩/١٠٠؛ ر: ٩/٥٩)..

المَهْدِيّ : يطلق الشيعة اسم المهدي على الإمام المستور الذي ينتظرون رجعته. ولكنّ وضعَه مختلفٌ كلّيّة عن وضع المجدِّد الذي سيأتي في المستقبل والذي يتوقّعه أهلُ السنّة.. والشيعة لا يسلّمون بأنّ اليقين يمكن الوصول إليه عن طريق القرآن والسنّة والقياس والإجماع؛ بل عن طريق المهدي. فهو الحجّة، والمفسِّر الأخير للوحي والمعصوم في الأمّة الإسلاميّة كافّة. فاليقين لا يمكن اكتسابه إلاّ من تعليم المَهدي، الإمام المستور، الذي يعصمه اللّه من الخطأ والخطيئة.

وعن حديث: «لا مَهْدي إلاّ عيسى»، يقول الشيعة إنّ معناه أنّه ما من أحد تكلّم أبداً في المهد (٣/٦) سوى عيسى.

المَهْر : ١ . في اللغة: هو صداق المرأة، وهو ما يدفعه الزوج إلى زوجته بعقد الزواج. والجمْع: مهور ومهورة. ويقال: مهرتُ المرأةَ مَهراً وأمْهرتُها: أعطيتُها المَهر. وفي الاصطلاح: هو ما وجب بنكاحٍ أو وطءٍ. وللمهر تسعة أسماء: المَهر، والصداق، والصدقة، والنحلة، والفريضة، والأجر، والعلائق، والعقر، والحباء.

٢ . الصلة بين المهر و **النَّفَقة** وجوبُ كلّ منهما للزوجة؛ إلاّ أنّ النفقة تجب جزاءً للاحتباس؛ في حين يجب المَهر إبانةً لشرف المحل. والنفقة شرعاً هي: الطعام والكسوة والسكنى والحضانة ونحوها. والمَهر واجبٌ في كلّ نكاح، لقوله تعالى: «وأُحِلَّ لكم ما وراءَ ذلكم أن تَبْتَغُوا بأموالكم» (٤/٢٤).. إلاّ أنّ ذكر المَهر في العقد

ليس شرطاً لصحّة النكاح، لأنّ القصد من النكاح الوصلة والاستمتاع.

٣ . ذهب الفقهاء إلى استحباب عدم المغالاة في المهور، لما روت عائشة عن النبيّ أنّه قال: «مِن يُمْنِ المرأة تسهيلُ أمرِها وقلّةُ صداقها»[1]، وروى ابن عبّاس أنّ النبي قال: «خيرهنّ أيسرهنّ صداقاً»[2]..

٤ . واتّفق الفقهاء على أنّ للمرأة منْع نفسها حتّى تقبض مهرَها، لأنّ المهر عوض عن بضْعِها، كالثمن عوض عن المبيع. وللبائع حقّ حبس المبيع لاستيفاء الثمن. فكان للمرأة حقّ حبس نفسها لاستيفاء المهر.. أمّا إذا كان المهر مؤجّلاً فيرى الفقهاء أنّ تسلّم نفسها، لأنّها قد رضيت بتأخير حقّها وتعجيل حقّه. ولكن لها أن تمنع نفسَها بالمؤجّل، لأنّ حقّ الاستمتاع بها بمقابلة تسليم المهر.

٥ . واتّفق الفقهاء على وجوب المهر في النكاح الفاسد بالدخول، لما روي عن النبيّ أنّه قال: «أيّما امرأة نُكحت بغير إذن وليّها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل. فإن دخل بها فلها المهر بما استحلّ من فرْجِها»[3]

المُهَلْهِل (ت نحو ٥٣١م) : لقب عَديّ بن رَبيعة. شاعر جاهليّ. خال امرئ القَيس. من أبطال حرب البسوس. أكثر شعره في رثاء أخيه كُلَيب. لُقِّب بالزِّير.

المُؤَاخَاة : من الأُخُوَّة التي هي في الإسلام أعلى رباط إجتماعي، لأنّها ناتجة عن الإيمان. وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله: «إِنَّما المُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ» (٤٩/ ١٠)، كما أثر عن الرسول قوله: «المسلم أخو المسلم»، وقوله: «وكونوا عباد الله إخواناً». وحرص الإسلام على المؤاخاة بين المسلمين، فحين رأى النبيّ مجتمعَ المدينة ممزّقاً بسبب الخلافات بين الأوس والخزرج، وبسبب فقر معظم المهاجرين طبق مبدأ أخوّة الإسلام بحيث يشعر كلّ مسلم أنّه مكفول كفالة تامّة في المجتمع الإسلامي.. فيعطي الغنيّ منهم فقيرَهم، ويعين القادر غيرَ القادر.

---

(١) أخرجه إبن حبان ٢/ ٤٠٥؛ الحاكم في المستدرك ٢/ ١٨١.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٧٨؛ إبن حبان في صحيح ٩/ ٣٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٣/ ٣٩٩، وقال: حديث حسن.

المَوَاقِيْت : جمع ميقات. وهو يطلق على الزمان والمكان:

١ . فدخول الوقت من شروط صحّة الصلاة: «إنّ الصلاةَ كانتْ على المؤمنينَ كتاباً موقوتاً» (١٠٣/٤)؛ ولزكاة الفطر وقت، وهو طلوع الفجر من يوم عيد الفطر؛ وللأضحيّة وقت وهو يوم العاشر من ذي الحجّة؛ وللإهلال بالحجّ وقت يكون في أشهر الحجّ؛ وللوقوف بعرفة وقت، يبدأ من زوال التاسع من ذي الحجّة، ويستمرّ إلى قبل فجر العاشر منه؛ وللمبيت بمزدلفة وقت، يبدأ من بعد غروب يوم التاسع من ذي الحجّة إلى قبيل طلوع الشمس من يوم النحر؛ ولرمي جمرة العقبة وقت، يبدأ من بعد طلوع الشمس من يوم العاشر من ذي الحجّة إلى وقت الزوال؛ ووقت رمي الجمرات يبدأ من زوال اليوم الحادي عشر ويمتدّ إلى الغروب؛ ولطواف الإفاضة وقت، وقد اختلفوا في أوّل وقت مشروعيّته، كما اختلفوا في نهاية وقته.

٢ . أمّا المواقيت المكانيّة فثلاثة: مواقيت الآفاقيِّين، وميقات الميقاتيّين، وميقات المكّيين (أنظر ذلك في مادّة: **إحرام**).

المَوْت : ليس الموت في القرآن عقاباً على خطيئة اقترفها أبوانا الأوّلان. فعندما أكل آدم من الشجرة الممنوعة وتاب عن فعلته، قبل اللّه توبته. ولئن مات فموته مصير محتّم، شأنه شأن المخلوقات كلّها: «وَاللّهُ خَلَقَكم ثمّ يَتَوَفّاكم» (١٦/ ٧٠)؛ «أللّهُ الذي خَلَقَكم. ثمّ رَزَقَكم. ثمّ يُميتكم. ثمّ يُحييكم. هل مِن شركائِكم (أي ممّن أشركتم باللّه) مَن يَفعلُ من ذلك مِن شيءٍ؟ (لا). سبحانَه وتعالى عمّا يُشركون» (٣٠/ ٤٠). إنّ لفظة «موت» ومشتقّاتها ترد في القرآن ١٦٤ مرّة؛ بينما لفظة «حياة» ومشتقّاتها ترد ١٧٦ مرّة.

١ . **أسماء الموت** : ألفاظ عديدة، في القرآن والسنّة، تعني الموت. مثل :

١ – **الموت** : والمَوَتَان ضدّ الحياة. رجل مَيِّتٌ ومَيْت. قيل: **المَيْت** الذي مات وفارق الحياة، قال تعالى: «إنّكَ مَيِّتٌ وإنّهم مَيِّتُون» (٣٩/ ٣٠)، أي: سيموتون.. **والمَيِّت** و**المائت** الذي لم يَمُت بعد، إنّما هو في حكم الميت. **المَيْتَة**: الحيوان الذي مات

حتف أنفه أو على هيئةٍ غير شرعيّة. ذهب الفقهاء إلى أنّ المَيتة نجسة العين، وقد حرّم اللّهُ أكلها بقوله: «حُرِّمَتْ عليكمُ المَيتَة» (٥/٣)؛ ووصفها بالرجس في قوله: «قل لا أجِدُ في ما أُوحيَ إليَّ مُحَرَّماً على طاعمٍ يَطعَمُه إلاّ أن يكون مَيتةً أو دماً مَسفوحاً أو لحْمَ خِنزيرٍ فإنّه رِجْسٌ» (٦/١٤٥)، وقوله: «وإنّما حرّم عليكم المَيتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير اللّه به» (١٦/١١٥)[1].وتحريم المَيتة تحريم لجميع أجزائها.. أمّا **المِيتة** فهي حالة الموت. و**الإمَاتَة**:الامتناع عن بعض الأطعمة وقمْع الأهواء قهراً للنفس وعبادةً للّه. والخطيئة **المُمِيتَة** هي التي تسلبُ النفسَ حياةَ النعمة المبرِّرة. و**المُستَمِيت** هو المُستقتل الذي لا يبالي في الحرب بالموت.

٢ – **المَنُون** : (٥٢/٣٠) (أمّا المنيّة فغير موجودة في القرآن). مِن **مَنَّ** أي قطع. و**المَنّ**: الإعياء. و**منين**: ضعيف، كأنّ الدهر مَنَّه أي ذهب بمُنّته، أي بقوّته. و**المَنين**: القوي والضعيف على السواء. وهي من الأضداد. و**المنون**:الموت لأنّه يَمُنُّ كلَّ شيء بضعفه ويُنقصه وَيقطعه؛ وهو: منيّة لأنّها تقطع المَدَد وتنقص العدَد. وقيل: المنون الدهر والزمان. و**المنايا**: الأحداث.

٣ – **الحَتْف** : جمْعه حُتُوف. ولا يُبنَى منه فعل. وقول العرب: مات فلانٌ حتْفَ أنفه، أي بلا ضرب ولا قتل. وقيل: إذا مات فجأةً. وقيل: مَن مات على فراشه من غير قتْل ولا غرق ولا سَبُع ولا غيره. فهو شهيد. والحتْف : الهلاك، والقدَر، والفناء في قوله : «كلّ مَن عليها فانٍ. ويبقى وجه ربّك» (٥٥/٢٦).

٤ – **الأَجَل**: «غاية الوقت في الموت، وحُلول الدَّين ونحوه. والأجَل: مدّة الشيء. وفي التنزيل: «ولا تعزموا عقدة النّكاح حتّى يبلغ الكتابُ أَجَلَه» (٢/٢٣٥)، أي حتّى تقضي عدّتُها. وقوله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لِزاماً وأجَلٌ مسمّى» (٢٠/١٢٩)، أي لكان القتل الذي نالهم لازماً لهم أبداً. وكان العذاب دائماً بهم. ويعني بـ «الأجَل المُسَمَّى»[2]: القيامة؛ لأنّ اللّه وعدهم بالعذاب ليوم القيامة.

---

(١) رَ: ٦/١٣٩ و ١٤٥؛ ٢/١٧٣؛ ٥/٣.

(٢) يرد التعبير في القرآن ٢١ مرّة..

والجمع : آجال.. والآجِل: نقيض العاجل. والآجلة: الآخرة. والعاجلة: الدنيا.

٥ – **المُوَافَاة:** أن توافي إنساناً في الميعاد. توفّى المدّة: بَلَغها واستَكْملها.. وكلّ شيء بلغ تمامَ الكمال فقد وَفَى وتمّ.. و**أوفى** الرجلَ حقّه ووَفّاه إيّاه بمعنى: أكملَه له وأعطاه وافياً. وفي القرآن: «وَوَجَدَ اللّهَ عندَه فوفّاه حسابَه» (٢٤/٣٩). وتوَفّاه هو منه واستَوفاه : لم يدَعْ منه شيئاً.

٦ – **الوَفَاة:** المَوت والمَنيّة. وتُوُفِّيَ فلان وتَوَفَّاه اللّهُ إذا قَبَضَ نفسَه. وقيل: تَوَفِّي الميتِ استيفاء مدّتِه التي وُفِيتْ له عددُ أيامِه في الدنيا. وَتَوَفَّيْتُ المالَ منه واستَوفيتُه إذا أخذتُه كلَّه. ومن ذلك قوله: «اللّه يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حينَ موتِها» (٣٩/ ٤٢)، أي يستوفي مُدَد آجالهم في الدنيا.

أمّا لفظة وفاة ومشتقّاتها فلئن كانت تعني الموت، إلاّ أنّها تعني بنوع خاصّ الكمال، أي الحياة المستكملة، المستوفاة. وكلمة الوفاة، في اللّغة العادية، أقلّ وقعاً على الإنسان من الموت. إنّها مقبولة أكثر من لفظة الموت. لأنّها تعني كمالَ الحياة التي قدّرها اللّه. فيما الموت فهو الهلاك، ونتيجة حادثٍ طبيعيّ سبَّبَ الوفاة.

٢ . الموت والحياة : في القرآن جدليّة دائمة بين الموت والحياة. وما كان الموتُ ليكون لولا الحياة. فلكأنّ الموت خطوة على طريق الحياة؛ أو لكأنّ الحياةَ طريقٌ إلى الموت. واللّهُ خلقهما معاً ليمتحنَ طاعةَ الإنسان له بأعماله الحسنة: «الّذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحسَنُ عَملاً (أي أطوع للّه) (٦٧/٢).

ولئن وجد الإنسانُ الموتَ شرّاً كبيراً، فهو، في حقيقته، مرحلة تؤدّي إلى الحياة الأبديّة والسعادة التي لا تنتهي؛ فإنّ الأبديّة هي للّه وحدَه. واللّه يُشركُ الإنسانَ بهذه الأبديّة بعد عبوره بالموت. هذا العبور هو الذي يؤهّله للحياة. وهو مَعاد كلِّ إنسان الذي يرجعه اللّهُ إليه: «كُلُّ شيءٍ هَالكٌ إلاّ وَجْهَهُ. لَهُ الحُكْمُ وإلَيهِ تُرْجَعُونَ» (٢٨/٨٨)؛ «كُلُّ مَنْ عَلَيها فانٍ. وَيَبْقَى وجهُ رَبِّكَ» (٥٥/ ٢٦–٢٧).

٣ . في النّهي عن تمنّي الموت : عن أنس عن رسول اللّه قال: «لا يتمنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ لِضُرٍّ نَزلَ به. فإنْ كان لا بدَّ مُتمنِّياً فليقلْ: اَللّهمّ أحْيِني ما كانتِ الحياةُ

خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي»[٣].

ورُوي عن سهْل التُّسْتُرِي أنّه قال: «لا يتمنّى أحدُكم الموتَ إلاّ ثلاثة: رجلٌ جاهل بما بعد الموت، ورجلٌ يفرّ من أقدار اللّه تعالى عليه، ورجل مشتاقٌ محبٌّ للقاء اللّه عزّ وجلّ».

ورُوي أنّ مَلَك الموت، عليه السلام، جاءَ إلى إبراهيم، عليه السلام، خليل الرّحمن، عزّ وجلّ، ليَقبض روحَه. فقال إبراهيم: «يا مَلَكَ الموتِ! هل رأيتَ خليلاً يقبض روحَ خليله؟». فعرج مَلَكُ الموتِ إلى ربِّه فقال: «قلْ له: هلْ رأيتَ خليلاً يكره لقاءَ خليلِه؟». فرجع فقال: «اقبضْ روحي الساعة».

وقال حيّان بن الأسود: «الموتُ جسرٌ يوصل الحبيب إلى الحبيب».

٤ . **في ذكر الموت** : عن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «أكثروا ذكرَ هاذِمِ اللّذّات». قلنا: يا رسول اللّه! وما هاذم اللّذّات؟ قال: «الموت» . عن ابن عمر أنّه قال: «كنتُ جالساً مع رسول اللّه، فجاءَ رجلٌ من الأنصار فسلّم على النّبيّ فقال: يا رسول اللّه! أيّ المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خُلقاً». قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لِمَا بعده استعداداً أولئك الأكياسُ».

ورُوي عن أنَس قال: قال رسول اللّه: أكثروا ذكرَ الموت. فإنّه يمحّص الذنوب، ويزهد في الدنيا». وقيل له: يا رسول اللّه! هل يُحشر مع الشهداء أحد؟ قال: «نعم. مَن يَذكر الموت في اليوم واللّيلة عشرين مرّة». عن ابن مسعود أنّ رسول اللّه قال: «كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور. فزوروها. فإنّها تزهِّدُ في الدنيا، وتذكِّرُ الآخرةَ». قال العلماء: تذكُّر الموت يردع عن المعاصي، ويليِّن القلبَ القاسي، ويُذهب الفرح بالدنيّا، ويهوّن المصائب فيها.

---

(٣) أخرجه مسلم والبخاري، عن القرطبي (ت ٦٧١هـ)، **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقّا، جزءان في مجلّد واحد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣؛ (١٧×٢٤ سم)، ٣٦٠+٤٦٠ ص. أنظر : (١/ ١٠-١٧٧).

٥ . **في شدّة الموت** : رُوي عن النّبي أنّه قال: «والذي نفسي بيده لَمعاينةُ مَلَكِ الموتِ أشدُّ مِن ألفِ ضربةٍ بالسّيف». ورُوي أيضاً بأنّ مَلَك الموت، إذا تولّى قبْضَ نفسٍ يقول: «وعزّتُكَ! لو علمتُ من سكرةِ الموتِ ما أعلم ما قبضتُ نفسَ مؤمنٍ». وجاء في القرآن: «فَكَيفَ إذَا تَوفَّتْهُمُ المَلائكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأدْبَارَهُمْ» (٤٧/ ٢٧)؛ أي: يُضربون بسياطٍ من نار. وقيل: إنّ لمَلَكِ الموت أعواناً. أللّهُ أعلمُ بهم. ليس منهم مَلَكٌ إلاّ لو أُذِن له أنْ يلتقم السموات والأرضَ في لقمة واحدة لَفعل. وقيل أيضاً : إنّه لو وُضع وجَعُ شعرةٍ من الميت على السموات والأرض لأذابَها.

٦ . **الموت كفّارة** : عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه: «الموتُ كفّارةٌ لكلّ مسلمٍ». وقال: «ما مِن مسلمٍ يُصيبه أذًى من مرضٍ فما سواه إلاّ حطَّ اللّهُ به سيّئاته كما تحطّ الشجرةُ ورَقَها». وفي الخبر المأثور يقول اللّه تعالى: «إنّي لا أُخرج أحداً من الدنيا، وأنا أريدُ أن أرحمَه، حتّى أوفيَه بكلّ خطيئةٍ كان عملها: سقماً في جسده، ومصيبةً في أهله وولدِه، وضيقاً في معاشه، وإقتاراً في رزقه، حتّى أبلغَ منه مثاقيلَ الذرّ. فإنْ بقي عليه شيءٌ شددتُ عليه الموتَ، حتّى يُفضيَ إليَّ كيومِ ولدتْه أمّه». وهذا بخلاف مَن لا يحبّه ولا يرضاه، كما في الخبر المأثور. يقول اللّه: «وعزّتي وجلالي! لا أُخرج من الدنيا عبداً أُريدُ أن أُعذِّبَه حتّى أوفيَه بكلّ حسنةٍ عملَها بصحّةٍ في جسده، وسعةٍ في رزقه، ورغدٍ في عيشِه، وأمْنٍ في سربه، حتّى أبلغَ منه مثاقيلَ الذرّ. فإنْ بقي له شيءٌ هوّنتُ عليه الموتَ، حتّى يُفضي إليّ وليس له حسنةٌ يتّقي بها النّار».

٧ . **في تلقين الميت لا إله إلاّ اللّه** : عن عثمان بن عفّان قال: قال رسول اللّه: «إذا احتضر الميتُ فلقِّنوه لا إله إلاّ اللّه. فإنّه ما من عبدٍ يُختم له بها عند موته إلاّ كانت زادَه إلى الجنّة». فإذا تلقّنها المحتضر وقالها مرّةً واحدة فلا تُعاد عليه لئلاّ يضجر.. ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سبباً لسوء الخاتمة.

٨ . **في مَن حضره الموت** : عن شدّاد بن أوس قال: قال رسول اللّه: «إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصرَ. فإنّ البصرَ يتبعُ الرّوحَ. وقولوا خيراً فإنّ الملائكةَ تؤمن على ما قال أهلُ الميت».. ولهذا استحبّ العلماء أن يحضر الميت

الصالحون، وأهلُ الخير حالة موته ليـذكروه، ويدعوا له ولمن يخلفه، ويقولوا خيراً فيـجتمع دعاؤهم وتأمين الملائكة، فينتفع بذلك الميتُ ومَن يُصـاب به ومَن يخلفه. وعن أمّ سلَمة قـالتْ: أتيتُ النبيَّ فقلتُ: يا رسول اللّـه! إنّ أبا سلَمة قد مات. فـقال: «قولي: اَللّهمّ اغفرْ لي وله، وَأعْـقِبني منه عُقبَى حسنة». قالت: فـقلتُ. فأعقبني اللّهُ مَن هو خـير مـنه: رسول اللّه صلّـى اللّه عليـه وسلّم.. ثمّ قال: «اَللّـهمّ اغفـرْ لأبي سلمة. وارفع درجتَــه في المهديّين. واخلفْه في عَقِبه في الغـابرين. واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين. وافسحْ له في قبره. ونوِّرْ له فيه».

٩ . **في رسل مَلَك الموت** : روي أن مَلَك الموت دخل عـلى داود. فـقـال: مَن أنتَ؟ فقال: مَن لا يهابُ الملوكَ ولا تُمنع منه القصور، ولا يقبل الرِّشا. قال: فإذاً أنتَ ملَكُ الموت! قال: نعم. قال: أتيـتَني ولم أستعدّ بعد. قـال: يا داود! أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات. قال: أما كان لكَ في هؤلاء عبرة لتستعدّ؟.

١٠ . **في استحـسان الكفن** : عن جابر بن عبـداللّه عن النّبيّ قال: «إذا كَفَّنَ أحدُكم أخاه فليحسنْ كَفنَه إنِ استطاع». وعنه أيضاً قال: قال رسـول اللّه: «أحسنُوا أكفانَ موتاكم فإنّهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم».

١١ . **في ما يتبع الميت إلى قبره** : عن أنس قال: قال رسـول اللّه: «يتبعُ الميتَ ثلاثٌ. فيـرجع إثنان، ويبقى واحدٌ: يتـبعه أهلُه ومـالُه وعملُه، فيـرجع أهلُه ومالُه. ويبقى عمـله». وعن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «إنّ مـا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علّمه ونشره؛ أو ولداً صـالحاً تركه؛ أو مصحفاً ورّثه؛ أو مسجـداً بناه؛ أو بيتاً لابن السبيل بناه؛ أو نهـراً أجراه؛ أو صدقة أخرجـها من ماله في صحّته تلحقه بعد موته».

١٢ . **في تلقين الميت الشهادة** : عن أبي أمامة قال: قال رسـول اللّه: «إذا ماتَ أحدُكم فسـوّيتم عليه التراب، فليـقمْ أحدُكم على رأس قبره، ثمّ يقـول: يا فلان ابن فلانة. فـإنّه يسمع ولا يجـيب. ثمّ ليقل: يا فـلان ابن فلانة الثانيـة. فإنّه يسـتوي قاعداً. ثمّ يقول: يا فلان ابن فلانة الثالثة. فإنّه سيقول: أرشدْنا رحمك اللّه. فيقول: أُذكرْ مـا خرجتَ عليه من الدنـيا: شهـادة أنْ لا إله إلاّ اللّه، وأنّ محمّـداً رسول اللّه،

وأنّك رضيتَ باللّهِ ربًا، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد (ص) نبيًا، وبالقرآن إماماً. عن عثمان بن عفّان قال: كان رسول اللّه، إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه، وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت. فإنّه الآن يُسأل».

مُؤْتَة : موضع في الأردنّ جنوبيّ الكَرَك. حدثت فيه معركة بين العرب والبيزنطيّين. قُتل فيها جَعفر بن أبي طالب، وعَبداللّه بن رَواحة وزيد بن حارثة، سنة ٦٢٩م.

المُوَحِّدُون (أنظر مادّة : **الدروز**).

المُوَحِّدُون : هم مؤسّسو الدولة الإسلامية التي قامت في المغرب والأندلس في القرنين ٦ و٧ هـ/ ١٢ و١٣م. وينتمون إلى قبائل بربريّة. ترجع نشأتهم إلى رجل اسمه محمّد بن تومَرْت، يُعرف بالمهدي بن تومرت، عمل على تنقية العقيدة الإسلاميّة ممّا أصابها من تحريف. تبعه أناس عديدون، وعمل على دحر المرابطين المتراخين في دينهم.

ولمّا مات ابن تومرت عام (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)، خلفه عبد المؤمن بن علي، المتّصف بالنجابة والعقل ومؤهّلات القيادة، فتصدّى للمرابطين، وغزا بلادهم، وضمّها إليه، فأخذ وهران ثمّ تلمسان ثمّ فاس ثمّ سلا وسبتة. وحاصر مراكش عاصمة المرابطين، فسقطت عام (٥٤٣هـ/ ١١٤٧م).. واستمرّ الموحِّدون يتوسّعون حتى فاجأهم ألفونسو الثامن في معركة «حصن العقاب» سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٣م. وهزمهم وشتّت قوّاتهم.

مُوسَى : **١** . ورد اسم موسى في القرآن ١٣٦ مرّة، بوصفه المبشّر بمحمّد (٧/ ١٥٧)؛ وهو ومحمّد على عقيدة واحدة (٤٣/ ٤٦..). وقد وُجِّهت لهما تهمة محاولة صرف الناس عمّا كان عليه آباؤهم وتضليلهم (١٠/ ٧٨)، وأنّه كان يمارس السحر (١٠/ ٧٩..) وقد انصبّت رسالة موسى وهارون على فرعون الطاغية أكثر من تركيزها على المؤمنين من بني إسرائيل، وأنزلت عليه التوراة[1].

---

(١) ٢/ ٥٣؛ ٢١/ ٤٨؛ ٨٧/ ١٩؛ ١١/ ١١٠؛ ٤٦/ ١٢٠ إلخ..

٢ . يتّفق القـرآن والتوراة والهجّادة في الـصورة العامّة لموسى: فـقد أُلقي موسى في البحر (أي نهر النيل)، وراقبتْه أختُه، ورفض الرضاعة من غير أمّه. ولمّا كبر قَتل مـصريًا، ولكنّه تاب. وطارده رجال فرعون، فهرب إلى مَـدين، واستسقى غنم ابنتَي أحد شيوخ مدين، وتدعوه إحداهما إلى دارهم على استحياء، ويتزوّجها، ويمكث في مدين ما بين ثماني وعشر سنوات.

٣ . تلقّى موسى رسـالة وهو «بالوادِ المقدّس طوى» (٢٠/١٢؛ ٧٩/١٦)، وأمره اللّه بأن يخلع نعـليه، ويدعو فرعـون لعبادة اللّه، وآيتـه هي العصا والحـيّة واليد التي تصـير بيضـاء ناصعة، وعـقدة لسانه، واتخـاذه أخاه هارون وزيراً له (ورد كلّ هذا في سـورة طه). وتنكّر فرعـون للدعوة، واسـتدعى السحـرة، ولكنّ عصا موسى تلقّفت ما صنعوا. وأعلن السحرةُ إيمانَهم بربّ موسى وهارون، ولكنّ فرعون عاقبهم على ذلك، وأمر فرعون وزيرَه هامان أن يبني له برجاً ليصل به إلى ربّ موسى.

٤ . أوتي موسى تسع آيات بيّنات : ١- العصا والحيّـة؛ ٢- اليد البيضاء؛ ٣- الطوفان؛ ٤- الجـراد؛ ٥- القمل؛ ٦- الضـفادع؛ ٧- الدم؛ ٨- الظلام؛ ٩- شقّ البحر.

٥ . وأتى اللّهُ موسى بتـعليمات ووصايا على ألواح. وفي غـيابه على رأس الجبل، صنع السامريُّ العجلَ الذهبيّ، وألقى موسى بالألواح لفرط غضبه من فعل السامريّ، وطلب أن يرى اللّهَ جهرةً، فـدكّ الجبلَ دكّا، دلالة على عدم إمكان موسى أن يراه. وخَشي بنو إسرائيل الحربَ، وتاهوا في البراري أربعين سنة، وهلك أعداء موسى: فرعون وهامان وقارون.

٦ . إلاّ أنّه يوجـد بعض الاختـلافات بين القـرآن والتوراة، منهـا : أنّ امرأة فرعون هـي التي أنقذت موسى بطلبهـا تبنّيه في القرآن، بينمـا التوراة تتكلّم على أخت فرعـون بأنّها هي التي أنقـذته. وصاحَبَ موسى راعـيتان للـغنم في القرآن، بينما صَـاحَبَه سـبعـةٌ في العهد القـديم. تحدّث القرآن عن تسـع معجـزات، بينما تحدّثت التوراة عن عشرة أوبئة. في القرآن ضرب موسى بعصاه الحجرَ فانفجرتْ

منه اثنتا عشرة عيناً (٢/٥٧)، وتوجد تفاصيل هذه العيون في سفر الخروج (خر ٢٧/١٥). في القرآن أصبح هامان وزيراً لفرعون، فيما في التوراة كان وزيراً لنبوخذنصّر..

٧. وتوجد في القرآن بعض الأمور التي لا توجد في العهد القديم، مثل: توبة موسى بعد قتله المصري؛ ورؤية موسى ناراً اقترب منها ليأتي بقبس منها لأهله؛ يُؤْثِر سحرة فرعون.

٨. ويتّفق القرآن في بعض ما جاء في الهجّادة من تفاصيل، مثل: رفض موسى، وهو طفل، أن يرضع من غير أمّه (٢٨/١١). رفع اللّه طور سيناء فوق بني إسرائيل[٢]. تحوّل أصحاب السبت إلى قردة؛ وقد وردت في الهجّادة بوصفهم بُناة برج بابل الذين تحوّلوا إلى قردة[٣]. ورد ذكر قارون في القرآن بوصفه رجلاً وصل ثراؤه إلى الحدّ الذي لا يستطيع الأقوياء حمل مفاتيح خزائنه؛ أمّا الهجّادة فتقول إنّ قارون اكتشف كنزاً مصريًا، وقام ٣٠٠ من البغال بحمل مفاتيح الخزائن[٤].

٩. وممّا ورد في القرآن ولم يرد في أيّ مصدر يهوديّ، قصّة الرجل المؤمن من آل فرعون الذي حاول مساعدة موسى (٤٠/٢٩)، وقصّة الرجل الحكيم الذي صاحبه موسى (١٨/٥٩-٨١).

مُوسَى بن نُصَير (ت ٩٧هـ/٧١٦م) : فاتح الأندلس. قاد بعض الحملات البحريّة في عصر معاوية، وغزا قبرص، وغزا إفريقية في خلافة عَبد المَلِك بن مروان، وتابع فتوحاته في خلافة الوليد بن عَبد المَلِك. أرسلَ مولاه طارق بن زياد لغزو إسبانيا، ولحق به. وتوغّل في إسبانيا. وعاد مع طارق إلى سورية بغنائم عظيمة. عزله سليمان بن عبد المَلِك. ونكبه فمات منسيًا.

---

(٢) رَ: ٢/٦٠ و٨٧؛ ٧/١٧٠= الهجّادة، سبت ٨٠أ، عبد زارا ٢ ب.

(٣) رَ: ٢/٦١؛ ٤/٥٠؛ ٥/٦٥؛ ٧/١٦٦ = سنهدرين، ١٠٩أ.

(٤) رَ: ٢٨/٧٦-٧٩ = بسكيم، ١١٩أ، سنهدرين، ١١٩أ، بال: سنهدرين، ١٠، ٢٧ د.

المُوَشَّحات : فنٌّ مستحدث من فنون النظم الشعري يربطه بأصله اللغوي طلب الزينة والزخرف الجمالي والتأثير الشعوري كالوشاح الذي تتّشح به المرأة لإبراز جمالها.. نشأ هذا الفن في الأندلس في أواخر القرن ٣هـ/ ٩م.

المُوَلَّد والمولَّدون : هم جماعة من العَجم وُلدوا ونشأوا ونموا في بلاد العرب، أو العكس. ولمّا شاع الإقبال المتزايد على الزواج من الأعجميّات، في العصور العبّاسيّة بنوع خاصّ، ولمّا كان الإسلام لا يسمح بالزواج من أكثر من أربع، فقد انطلق المجتمع في التسرّي، وامتلأت القصور بالإماء والمولَّدين من أبنائهنّ؛ كما صاحب ذلك الكثير من الظواهر الاجتماعيّة، والنتاج الأدبي واللغويّ الذي لم يكن مألوفاً بين العرب.

المَوْلَوِيَّة : ١ . طريقة صوفيّة منسوبة لمولانا جلال الدين الرومي، يدعوها الأوروبيّون الدراويش الراقصة، أو الدوّارة. نشأت في إيقونيا. وأهم ما يميّز هذه الطريقة هو جلسات الذكْر الموسيقيّة، المسمّاة «سماع»، وهي تنفّذ في غرفة خاصّة، تسمّى «سماع–خانة»، والـ«مطرب–خانة»، أو مكان العازفين... وكان التقليد الساري منذ عهد جلال الدين الرومي لا تجري حفلات السماع إلاّ في حالات النشوة الخالصة.. ويبدو أنّ دوران الدراويش كان يقصد به إحداث دوار؛ أو لفتاً للنظر؛ أو جذباً للناس إلى الإيمان؛ أو محاكاة لحركات الأجرام السماويّة.

٢ . وكانت الآلات مقصورة في البداية على الناي والربابة؛ ثمّ أضيف إليها آلات أخرى، مثل العود والكمان والقانون؛ ومؤخّراً دخل البيانو والفيولينشيلّلو؛ ولكنّها لم تلقَ نجاحاً كبيراً. أمّا الشيء الثاني المميّز لهذه الطريقة فهو مرحلة الاختبار لطالبي الانضمام في الطريقة. وهي لا تتضمّن كما في طرق أخرى أموراً شاقّة على النفس، كحرمان من الطعام أو الشراب أو النوم، أو قسوة في عمليّة الذكْر في مكان ضيّق؛ ولكنّها تتمّ في ١٠٠١ يوم،

٤ . وتبدي الطريقة تسامحاً دينيًا مع الأديان الأخرى، خاصّة مع الديانة المسيحيّة. ولهم الفضل في العصور الحديثة في أنّهم حالوا دون مذابح الأرمن. على أنّها كانت دائماً موضع استهجان الفقهاء لما تتميّز به من رقص وموسيقى..

٥ . ألغى كمال أتاتورك هذه الطريقة عام ١٩٢٥، كما ألغى كافّة الطرق الصوفيّة في تركيّا، وضمّ مكتبتها في إيقونيا لمتحف المدينة.

مُوْيِر (وليم) Muir (ت ١٩٠٥) : مستشرق إسكتلنديّ. خدم في حكومة الهند. له: «حياة النبيّ»، و«التاريخ الإسلاميّ»، و«تاريخ المماليك».

المِيْرَاث : جاء الإسلام بنظام جديد للمواريث، هو نظام إلهي، لا دخل للبشر في ترتيب الحقوق فيه. أهم ما يميّزه هو تحسين وضْع المرأة، التي تأخذ، كقاعدة عامّة، نصف الذكَر.. والنصيب الأكبر من التركة يؤول إلى العصبة.. وهناك ثلاثة موانع تحجب الإرثَ عن الوارث :

١ – القتل، أي إذا قتل الوارث مورثه، وذلك لحديثٍ: «لا يرث القاتل»؛

٢ – الرقّ، أي لا يرث العبد ولا الأمَة من مورثهما شيئاً، لأنّه لا ذمّة للرقيق؛

٣ – إختلاف الدين، أي إذا كان الوارث كافراً ومورثه مسلماً؛ وإذا كان الوارث مسلماً ومورثه كافراً، فلا توارث بينهما، لحديث النبي: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم». إلاّ أنّ المعمول به اليوم هو أنّ المسلم يرث من غيره؛ أمّا غير المسلم فلا يرث من المسلم.

مِيْرْزَا (غُلاَم أحمد) : (ت ١٩٠٨) : مؤسّس مذهب **القاديانيّة**. عاش في قاديان بالبنجاب.

المِيْزَان : ١ . لا خلاف بين المسلمين في أنّ البخس في الميزان بالتطفيف أو التنقيص حرام. وتكرّر في القرآن النهيُ عن ذلك والأمرُ بإيفائهما، وأوعد على المطفِّفين الويل: وهو الهلاك. واعتبر أيَّ إخلالٍ فيهما، بالنقص أو التطفيف، إفساداً في الأرض. والوعيد على فاعلي البخس في الميزان يشير إلى أنّه من الكبائر، لقوله تعالى: «وَيلٌ للمُطَفِّفِينَ، الذينَ إذا اكتالُوا على النَّاسِ يَستَوفُونَ؛ وإذا كالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» (٨٣/ ١–٣)، ولقول النبي: «مَن غَشَّنا فليس منّا»[1].

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٩٩، من حديث أبي هُريرة.

٢ . وقال تعالى عن النبي شُعيب مع قومه: «ولا تَنقُصوا المكيالَ والميزانَ. إنِّي أراكُم بخير. وإنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ مُحيط. ويا قومِ! أوفُوا المكيالَ والميزانَ بالقِسْطِ. ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم. ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفْسِدِين» (١١/ ٨٤-٨٥).

٣ . جاء في القرآن : «وَنَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظلَم نفسٌ شَيئاً» (٢١/ ٤٧). وقال: «فأمّا مَن ثَقُلَتْ موازينُهُ فهو في عيشةٍ راضيةٍ. وأمّا مَن خفّتْ موازينُه فأُمُّه هاويةٌ» (١٠١/ ٦-٨). قال العلماء: إنّ وزن الأعمال يكون للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة. فإنّ المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

٤ . وقال أيضاً : «فأمّا مَن خفّتْ موازينُه فأولئك الذين خسروا أنفسهم» (٧/ ٩؛ ٢٣/ ١٠٢). وقال النبيّ: «فَلا نُقيمُ لَهُمْ يَومَ القِيَامَةِ وَزْناً»؛ أي: إنّه لا ثواب لهم، ولا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة. ومَن لا حسنة له فهو في النّار. إنّ كلّ مؤمن يُعطى كتابه بيمينه. وكلّ مؤمن يثقل ميزانه: «فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فأولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ (أي النّاجون)» (٧/ ٨؛ ٢٣/ ١٠٢).

المَيْسِر : ١ . لغةً: قمار العرب بالأزلام، أو اللعب بالقداح، أو هو النرد، أو كلّ قمار. و **الأَزْلام**: عيدان مخصّصة للاستقسام بها. و**الاستقسام** بالأزلام هو طلب معرفة ما قُسِم للشخص، أي ما قدّر له، من خير أو شرّ.. والمَيسر أيضاً هو معرفة الحظوظ برمي السهام، وهو طريقة كانت تقسم بها الماشية. وكانت هذه عادة العرب قبل الإسلام. ويكاد يبدو أنّ الكلمة معناها الصدفة الحسنة، أو النجاح السهل، من «يسير» أي سهل، و«ميسرة» أي الرغد والثراء.

٢ . اتّفق الفقهاء على تحريم الميسر، لقوله تعالى: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! إنّما الخَمْرُ والمَيسِرُ والأنْصابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِن عمَلِ الشيطانِ. فاجْتَنِبُوهُ لعلّكم تُفْلِحُون» (٥/ ٩٠).

٣ . والحكمة في تحريم الميسر و**الخمر** هي في أنّهما سبب لإيقاع الناس في الإثم، لقوله تعالى: «إنّما يريد الشيطانُ أن يوقِعَ بينَكُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضاءَ في

الخمْرِ والمَيسرِ، ويَصدُّكم عن ذكرِ اللّه وعن الصلاة. فهل أنتم مُنْتَهُونَ؟» (٥/ ٩١)، وقوله: «يسألونَكَ عنِ الخمْرِ والمَيسِر. قلْ فيهِما إثْمٌ كَبِيرٌ ومَنافِعُ للناس. وإثمُهُمَا أكبَرُ مِن نَفْعِهِما» (٢/ ٢١٩)..

مَيْسَرَة بن مَسْرُوق (ت ٢٠هـ/ ٦٤١م) : صحابيّ. قائد شجاع. من عبس. شهد اليمامة وفتوحَ الشام مع خالد بن الوليد. قاد في حروب الروم فظفر وغنم.

مَيْسُون بنت بَحْدَل (ت ٨٠هـ/ ٧٠٠م) : زوجة معاوية وأمّ يَزيد الأوّل. كانت مسيحيّة من بني كلب.

مِيكَال : أي الملاك ميكائيل. ذُكر اسمه مرّة واحدة في القرآن (راجع: **المَلَك**).

مَيْمُونَة بنت الحَارِث : ١ . آخر زوجات النبيّ من قبيلة هوازن. وكانت أختُها زوجاً للعبّاس عمّ النبي. هي خالة خالد بن الوليد، وبنت خالة ابن عبّاس. بعد طلاق ميمونة من زوجها الأوّل، مسعود بن عمرو الثقفي، ووفاة زوجها الثاني، أبي رُهْم من قريش، أقامت في مكّة حتّى خطبها رسول اللّه لنفسه، وذلك بعد عمرة القضاء في العام ٧هـ/ ٦٢٧م. وكانت في السابعة والعشرين عند زواجها.

٢ . أرسلَ رسولُ اللّه ابنَ عمّه جعفرَ بن أبي طالب إليها. فخطبها. وهي جعلتْ أمرَها إلى العبّاس بن عبد المطلب. فزوّجها من رسول اللّه. ويقال إنّ العباس هو الذي عرضَ على النبيّ أن يتزوّجها. واستجاب النبيّ. ويقال أيضاً إنّها هي التي وهبتْ نفسَها للنبيّ فأنزل اللّه آية: "وَامْرَأة مؤْمِنَة إنْ وهبتْ نفْسَها للنبيِّ إنْ أرادَ النبيُّ أنْ يَسْتَنكِحَهَا خالصةً لكَ من دون المؤمنين" (٣٣/ ١١٥).

٣ . تزوّج النبيُّ ميمونة في الثلاثة أيّام الأخيرة من صلح الحديبيّة، فيما كان يحاصر مكّة. وتمنّى لو يُمهلُه المكّيون قليلاً ليقضي زواجه منها. فقال لأهل مكّة: "ما عليكم لو تركتموني، فأعرستُ بين أظهرِكم! وصنعْنا لكم طعامًا فحضرتموه!"[1]؛ وفي كتاب الإصابة، "قيل: تزوّجَها رسولُ اللّه، وبنى بها في

---

(١) طبقات إبن سعد ٢/ ٨٩.

قبّة لها وماتتْ بعد ذلك"[٢].

٤ . وهي آخر مَن توفّي من زوجات النبيّ، سنة ٦١هـ/ ٦٨١م. ودفنتْ حيث تزوّج بها. وكان لها يوم توفّيتْ ثمانون سنة. لم تلد له أيَّ ولد.

٥ . يُروى عن ميمونة ٤٦ حديثاً، معظمُها يدور حول علاقة الرسول الجنسيّة بها: فأخبرت، مثلاً، "أنّها كانت تغتسل هي والنبيّ من إناء واحد". وقالت: "كان رسولُ اللّه يصلّي في مسجده على خمرة، وأنا نائمة إلى جنبه، فيُصيبُني ثوبُه وأنا حائض". وعن ابن عبّاس، قالت: "أجنَبْتُ أنا ورسولُ اللّه، فاغتسلتُ من جفنة؛ ففضلتْ فضلةٌ، فجاء النبيُّ فاغتسل منها؛ فقلتُ: إنّي قد اغتسلتُ منها. فقال: ليس على الماء جنابة".

وعنها أيضا هذا الخبر: "خرج رسولُ اللّه ذات ليلة من عندي، فأغلقتُ دونَه الباب. فجاء يستفتحُ البابَ. فأبيْتُ أن أفتحَ له. فقال: أقسمتُ ألا فَتَحْتِه لي؟ فقلتُ له: تذهبُ إلى أزواجكَ في ليلتي هذه؟!! قال: ما فعلتُ. ولكن وجدتُ حِقْنًا من بَولي"[٣].

المَوْقُوذَة : هي الشاة التي تُرمَى أو تُضرَب بالعصا أو بالحجر حتّى تموت من غير تذكية.. إنّ الموقوذة لا يحلّ أكل لحمها إذا لم يتمّ ذبْحُها، لقوله تعالى في تعداد ما يحرّم أكلُه: «حُرِّمَت عليكمُ المَيتَةُ والدمُ ولحمُ الخِنزيرِ وما أُهلَّ لغيرِ اللّهِ به، والمُنْخَنِقَةُ (أي الشاة التي تموت خنقاً)، والمَوقُوذَةُ، والمُتَرَدِّيَةُ (أي التي تتردّى من العلو إلى السفل فتموت)، والنَّطِيحَةُ (أي الشاة تنطحها أخرى، فتموت قبل أن تُذكّى)، ومَا أكلَ السَّبُعُ إلاّ ما ذَكَّيتم» (٥/ ٣).

المَوْقُوف من الأحاديث : وهو ما يُروى عن الصحابة من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها، فيوقَف عليهم، ولا يتجاوز به إلى رسول اللّه.. من الموقوف ما يتّصل الإسناد فيه إلى الصحابي فيكون من الموقوف الموصول؛ ومنه ما لا يتّصل إسنادُه فيكون من الموقوف غير الموصول.

---

(٢) كتاب الإصابة، رقم ١٠٢٦.

(٣) طبقات إبن سعد ٨/ ١٣٨.

المَوْلُوْد: ١ . علامـات حيـاة المولود كلُّ ما دلّ عـلى الحياة، مـن رضـاع، أو اسـتهـلال، أو حركـة، أو سـعال، أو تنفّس.. بولادة المولـود يقع المعلّق من الطلاق والعتاق وغيرهما. إذا مات يُغسل ويُصلَّى عليه، وتجب فيه الديّة إن قُتل.. يُستحبّ الأذان في أذُنه اليـمنى حين يولد، والإقـامة في أذنـه اليسـرى. وكـذلك يُستـحبّ تحنيكه.. ويُسـتـحبّ حلْق رأسـه في اليوم السـابع من ولادته، والـتصـدّق بوزن الشعر ذهبـاً أو فضـّةً.. ويستـحبّ تسميتـه يوم السابع من ولادته.. والمسلم الذي يولد قبل غروب شمس آخر يوم من رمضان تخرج عنه زكاة الفطر..

٢ . اختلف الفـقهاء في خـتان المولود: فذهب بعـضهم إلى أنّ ختـان الذَكَر سنّة، وقـال آخرون: إنّه واجب. أمّـا الأنثى فـذهب بعضـهم إلى أنّه واجب، وذهب آخرون إلى أنّه مندوب، وقـال غيرهم: إنّه مكرمـة. واختلفوا كذلك في وقت خـتان المولود (راجع: **ختان**).

ن

النَّائِحَة : هي المرأة التي تبكي على الميت وتعدّد محاسنه. قال النبيّ: «النائحة ومَن حولها في النار»، أو «النائحة ومَن حولها من امرأة عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين»[1]. يرى الفقهاء أنّ النائحة تُعزر وتُحبس حتّى تتوب. حكى الأوزاعي أن عمر بن الخطّاب سمع صوتَ بكاء، فدخل ومعه غيره، فمال عليهم ضرباً حتّى بلغ النائحة، فضربها حتّى سقط خمارُها، فقال: إضربْ فإنّها نائحة ولا حرمة لها. إنّها لا تبكي لشجوكم. إنّها تهرق دموعَها على أخذ دراهمكم. وإنّها تؤذي موتاكم في قبورهم، وأحياءَكم في دُورِهم. إنّها تنهي عن الصبر وقد أمر اللّهُ به، وتأمر بالجزع وقد نهى اللّه عنه[2].

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيّ (ت نحو ٦٠٤م) : من فحول شعراء الجاهليّة. كان نصرانيًا. أقام في بلاط ملوك الحيرة. أسخط النُّعمان أبا قابوس ولجأ إلى ملوك غسَّان. ثمّ عاد إلى الحيرة معتذراً. أشهر شعره «الغسّانيّات»، و«الاعتذاريّات». امتاز بقوّة الخيال ورقّة الشاعريّة.

النَّار : عدا عن أنّها عنصر طبيعي يمثّلها النور والحرارة واللّهب والضوء، وما إلى ذلك، فإنّها تعني، بحسب القرآن، جهنّم، وقد «أُعِدَّتْ للكافِرين» (٣/ ١٣١). عرض القرآن لموضوع النّار في آيات كثيرة ومتنوّعة (راجع مادّة: **جهنّم**).

ويلفت النظر ما جاء من أحاديث عن النبيّ: عن أسامة بن زيد أنّه سمع رسول اللّه يقول: «يُجاء بالرجل يومَ القيامة فيُلقَى في النار فتندلق أقتابه (أمعاؤه)

---

(١) أورده الشيزري في نهاية الرتبة في طلب الحسبة،، ص ١١٠، ط. دار الثقافة؛ راجع: الطبراني ١٢/ ٤٢٦؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٩١.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ١٦٠، ط. دار المعارف.

فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهلُ النار عليه فيقولون: يا فلان! ما شأنكَ! ألستَ كنتَ تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». وعنه أيضاً أنّ النبيّ قال: «وإنّي سمعتُه يقول: مررتُ ليلةَ أُسري بي بأقوامٍ تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمّتِكَ يقولون ما لا يفعلون» (رواه البخاري ومسلم).

نَافِع بن الأَزْرَق (ت ٦٥هـ/ ٦٨٥م) : زعيم **الإزارقة الخوارج**. اجتاح قرى السواد. قُتل في وقعة دولاب أيّام خلافة عبداللّه بن الزُّبَير.

نَافِع بن عبْد الرَّحمن (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٥م) : أحد أئمّة القراءات العشر. عاش في المدينة. كان أسود البشرة. أصله من أصبهان.

نَانَكْ Nanak (١٤٦٩-١٥٣٨) : ١ . مؤسّس السيخ في الهند. وُلد من أبوين كهاتريين في تلوندى (ثمّ نسبت إليه فأصبحت الآن تسمّى باسم نانكانه)، وهي قرية صغيرة بالقرب من لاهور. ولم يتلقَّ من العلم في المدارس إلاّ القليل؛ على أنّه كان منصرفاً، منذ فجر شبابه، إلى التأمّل والتفكير في أصول الأشياء...

٢ . وفيما هو خالد إلى التأمّل تلقّى الرسالة بأن يبشّر الناس : «إنّ اللّه لا إله إلاّ هو، وإنّ اسمه هو الحقّ والخالق، تعالى عن الخوف والبغضاء، وهو الباقي. لم يولد. يقوم بذاته. عظيم، كريم، جواد».. ثمّ ابتدأ يعظ الناس. وشرع في سلسلة من الرحلات، زار خلالها أرجاء الهند، وخاصّة مثابات الهندوس المقدّسة وأضرحة أولياء المسلمين..

٣ . واستقرّ نانك في السنوات العشر الأخيرة من حياته في كرتاربور، وهي قرية أنشأها أحد أصحاب الملايين تكريماً له على ضفّة نهر رَاوَى، حيث مضى يبشّر الذين استهوتهم تقواه، فأقبلوا عليه من كلّ حدب وصوب.

٤ . وتوفّي نانك في سنة ١٥٣٩م. وقد بلغ السبعين، تاركاً جماعة لا يُستهان بها من المريدين «السيخ»، ومخلِّفاً إبنَين أنشأ أحدهما، وهو يدعى سرى جند، فرقة **أوداسي**.

٥. وأقام نانك، قبيل وفاته، تابعاً من أتباعه المخلصين، إسمه **أنكد** (وهو كهاتري مثله) خليفةً (كورو) له على السيّخ. ذلك أنّه أعلن، عقب إقامته شعائرَ توليته، أنّ أنكد كشخصه، وأنّ روحَه ستحلّ فيه. وكان نانك قد قال من قبل بمذهب التناسخ، على أنّ إعلانه ذاك كان هو السبب في نشأة الاعتقاد بين السيخ بأنّ روحه تحلّ في كلّ مَن يخلفه من سلسلة الأئمّة (الكورو)، ومن ثمّ اتّخذ كلٌّ منهم لقب نانك في ما يصدر عنه من أقوال. وتولّى كورو أنكد إمامة السيخ ثلاثة عشر عاماً حتّى أدركته المنية سنة ١٥٥٢م.

النّبِيّ و النُّبُوَّة : ١. لقد كانت النبوّة، عند نصارى مكّة، في الوقت الذي كان فيه محمّد، وظيفةً روحيّةً عند مَن «يبشّر» الناس، و«يبلّغهم» كلمةَ اللّه، و«ينذرهم» بالعذاب. وكان النبيّ، عندهم، هو «البشير والنذير». والنبوّة، والحال هذه، لم تكن اختياراً إلهيًا، ولا موهبة فائقة الطبيعة يُنعِم بها اللّهُ على أناسٍ من دون أناس. إنّها «تبشير و«إنذار»: تبشير بالسعادة، وإنذار بالهلاك.

٢. لم يكن «النّبيّ» Prophète، في قبيلته وبين شعبه، على غير ما كان عليه «المُلهم» Inspiré و«الرائي» Voyant و«الشاعر» Poète، و«العرّاف» Devin، و«المنجِّم»، Astrologue، و«الساحر» Sorcier، و«الكاهن» Prêtre. فالتنبّؤ مألوفٌ بين هؤلاء، في استطلاع الغيب[١]، ومعرفة مشيئة الآلهة، والتكلّم باسمها، واستراق السمْع[٢]، وتبصّر المستقبلات، واكتشاف الأسرار، واستحضار الأرواح، ورؤية الملائكة والشياطين والجنّ وما إلى ذلك...

---

(١) وكان اللّه مراراً يُطلع النّبي على الغيب. قال: "ذاك من أنباء الغيب نوحيه إليك..." (٣/ ٤٤). وقال: "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك" (١١/ ٤٩؛ ١٢/ ١٠٢). واللّه وحده عالِم الغيب. قال: "عالِمُ الغيب فلا يُظهِرُ على غيبه أحداً إلاّ مَن ارتضى من رسول..." (٧٢/ ٢٦-٢٧). وكان محمّد مراراً، لكي لا يكون كسائر المتنبّئين والسحرة، يرفض إمكان معرفة الغيب. قال: "لا أقول لكم عندي خزائن اللّه. ولا أعلم الغيب. ولا أقول لكم إنّي مَلَك" (٦/ ٥٠؛ ١١/ ٣١). وقال: "... ولو كنتُ أعلمُ الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسّني السوءُ" (٧/ ١٨٨).

(٢) إشارة إلى ما ورد في القرآن بما اتّهم به محمّد من أنّه يسكنه جنّ يسترق السمْعَ من أبواب السماء. (أنظر: س. الحجر ١٥/ ١٨).

٣ . ولم تخلُ بيئةُ محمّد من هؤلاء المتنبِّئين : فكتبُ السيرة مليئة بمن تنبّأ بمجيئه، واكتشفَ نبوّتَه، وعرف مستقبلَه، وتكهّن بما سيكون مصيره، وبما ستؤول إليه رسالته؛ بدءاً بورقة بن نوفل إبن عمّ السيّدة خديجة، والراهب بَحيرا صاحب ديرٍ على طريق قوافل قريش، والراهب سرجيوس، من بصرى حوران، والرّاهب عِيص من الشام، والرّاهب عَدّاس النينوي، وخديجة نفسها التي كانت تعرف ما سيكون عليه زوجُها، وأبو بكر الصدّيق رفيق عمره.

هذا عدا عن الأحبار والعرّافين وملوك فارس والروم والحبشة والقبط... حتّى إنّنا، لكثرة مَن تنبّأ عن محمّد، بتنا لا نعرف أن نميّز بين مَن هو الذي يتكلّم باسم اللّه ومَن هو الذي يستلهم الغيب؛ وبتنا نتساءل أيضاً، لا عن صحّة ما تنبّأوا به، بل عمّن هو النبيّ الحقيقيّ: هم أم محمّد؟!

٤ . ومحمّد نفسه لم يسلم، في هذا المناخ، من تهمٍ كثيرة وضعتْه في خانة المتنبّئين والسحَرة والكهّان والشعراء والمتعاطين مع الجنّ. وكان دائماً يرفض أن يكون منهم؛ ذاك لأنّ الإصلاح الروحي والاجتماعي العظيم الذي جاء به، صيّره، لشدّةِ حاجةِ الناسِ إليه، نبيًا عظيماً من بين عظماء التاريخ.

٥ . **الجنّ** أنفسهم كانوا قد اضطَرَبوا، وهم يتنصّتون على السماء ليسرقوا الوحي؛ «قالوا: يا قومَنا! إنّا سَمِعنا كتاباً أُنْزل من بعد موسى» (٤٦/ ٣٠)؛ وقالوا: «إنّا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنّا به» (٧٢/١)؛ وقال محمّد: «قلْ أوحي إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ» (٧٢/١)؛ وقال: «إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن» (٤٦/ ٢٩) ...

٦ . وكذلك اتُّهم محمّد مراراً بأنّه يتعاطى **السحْر**؛ وأنّ القرآن عمل ساحر، والنّبي رجل مسحور: «فقال الذين كفروا منهم إنْ هذا إلاّ سحرٌ مبين» (٥/ ١١٠)[٣]؛ «فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا: إنْ هذا لسحر مُبين» (١٠/٧٦)[٤]؛

---

(٣) رَ : ٦/٧؛ ١١/٧؛ ٣٤/٤٣؛ ٣٧/١٥؛ ٤٦/٧؛ ٦١/٦.

(٤) وقال: «هل هذا إلاّ بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون» (٢١/٣).

وقال: «فلمّا جاءتْهم آياتنا مبصرة قالوا: هذا سحر مبين» (١٣/٢٧)[٥]؛ و«قال الكافرون: إنْ هذا لساحر مبين» (٢/١٠)؛ و«قال للملإ حوله: إنْ هذا لساحر عليم» (٣٤/٢٦)؛ «وقال الكافرون : هذا ساحر كذّاب» (٤/٣٨)؛ «وقالوا: يا أيّها الساحر ادْع لنا ربّك بما عهد عندك» (٤٩/٤٣)؛ و«.. يقول الظالمون إنْ تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً» (٤٧/١٧؛ ٨/٢٥)...

٧. ثمّ يدفع محمّد عنه تهمة قرضِ ألشِّعْر؛ فالقرآن ليس شعراً؛ ومحمّد لا ينتمي إلى طغمة الشعراء، ولا هو يتعاطى الشعر مثلهم، ولا آياته خاضعة للنظم والقوافي الشعريّة. قال: «وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إنْ هو إلاّ ذكر وقرآن مبين» (٦٠/٣٦)؛ و«قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر» (٥/٢١)؛ «ويقولون : أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» (٣٦/٣٧)؛ «أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون» (٣٠/٥٢)؛ وقال: «وما هو بقول شاعر» (٤١/٦٩)..

٨. ثمّ ينفي محمّد عن نفسه تهمة **الجنون**. فهو ليس بمَجنُون؛ بل هو نذير، وبشير، ورسول اللّه. قال: «أو لم يتفكّروا ما بصاحبهم من جِنَّةٍ إنْ هو إلاّ نذير مبين» (١٨٤/٧)[٦]؛ وقال: «ما بصاحبكم من جنّة إنْ هو إلاّ نذير لكم» (٣٤/ ٤٦)؛ «وقالوا: يا أيّها الذي نزل عليه الذكر إنّك لمجنون» (٦/١٥)؛ و«قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون» (٢٧/٢٦)[٧]؛ وقال: «ما أنت بنعمة ربّك

---

(٥) وقال: «ولمّا جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنّا به كافرون» (٣٠/٤٣)؛ وقال: «أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون» (١٥/٥٢)؛ وقال: «وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» (٥٤/ ٢)؛ وقال: «إن هذا إلاّ سحر يؤثر» (٢٤/٧٤).

(٦) وقالوا: «إنْ هو إلاّ رجل به جِنّة فتربّصوا به حتّى حين» (٢٥/٢٣)؛ «أم يقولون به جِنّة بل جاءهم بالحقّ وأكثرهم للحقّ كارهون» (٧٠/٢٣؛ رَ:٨/٣٤).

(٧) «ويقولون أئنّا لتاركون آلهتنا لشاعر مجنون» (٣٦/٣٧)؛ «ثم تولوا عنه وقالوا معلّم مجنون» (١٤/٤٤)؛ «فتولّى بركته وقال ساحر أو مجنون» (٣٩/٥١)؛ و«كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحراً أو مجنون» (٥٢/٥١)؛ وقال: «فذكّر فما أنتَ بنعمة ربّك بكاهن ولا مجنون» (٢٩/٥٢)؛ «كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر» (٩/٥٤).

بمجنون» (٦٨/ ٢)؛ «ويقولون إنّه لمجنون» (٦٨/ ٥١)؛ وقال: «وما صاحبكم بمجنون» (٨١/ ٢٢)؛ «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله» (١٧/ ٨٨)؛ و«ومن الجنّ مَن يعمل بين يديه بإذن ربّه» (٣٤/ ١٢).

٩ . ومحمّد، أخيراً، ليس بـ **كاهن**، ولا يتعاطى الكهانة، ولا يقدّم الذبائح للآلهة، ولا القرابين؛ ولا يدخل في مؤسّسة كهنوتيّة؛ ولم يؤسّس كهنوتاً... يدعوه القرآن بقوله : «فذكّر فما أنتَ بنعمة ربّك بكاهن ولا مجنون» (٥٢/ ٢٩)؛ «ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون» (٦٩/ ٤٢).

١٠ . إنّنا، بسبب هذه التّهم التي يذكرها القرآن، وبسب دفاع محمّد عن نبوّته دفاعاً مستميتاً، يمكننا القول بأنّ اعتبارَنا لنبوّة محمّد لم يعد شيئاً مجيدًا، ولا التزامُه بها شرفاً أثيلاً... وسوف تكون أهمّيّة محمّد متأتّيةً من شيء آخر أبدع فيه وأفلح، وذهب فيه بعيداً ونجح. هو دوره في إصلاح مجتمعٍ فاسدٍ بأمّه وأبيه، ونجاحِه في ما قام به ودعا إليه. هذا النجاح كان في مجالات عدّة : روحيّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، وتشريعيّة...

١١ . فعلى الصعيد الرّوحي، عاد محمّد بالإسلام إلى صفائه، إلى زمن الأنبياء، قبل أي تحزّب. ودعا إلى تبسيط العقيدة الدِّينيّة، وعلّم أنْ "لا إله إلاّ اللّه"، وكفى. وتخطّى بذلك، اختلافاتِ المسيحيّين في ألوهيّة المسيح، وطبيعتِه، وصلبِه، وقيامتِه... وما إلى ذلك. وكذلك دعا إلى كتابٍ واحدٍ يجمع فيه تعاليمَ سائر الكتب المختلفة. و "الجمع" هو معنى آخَر لكلمة "قرآن" من "قرن قراناً" .. ودعا أيضاً إلى توحيد الشِّيع المتقاتلة بسبب اختلاف العقيدة.

١٢ . وعلى الصعيد الإجتماعي، استطاع محمّد، وهو يعيش في مجتمع تجاري منقسمٍ إلى أغنياء وفقراء، أن ينتصر للفقراء، ويولي اليتامى والأرامل عناية فائقة؛ حتّى إنّ تعاليمَه الأولى كانتْ مصوَّبةً نحو هؤلاء اليتامى والمساكين.

١٣ . فالنبوّة، إذاً، لا يجب أن تكون، لا في المسيحيّة ولا في الإسلام، ذاك الشيء العظيم، ولا هي أيضاً تلك الموهبة الإلهيّة الفائقة الطبيعة. فكلّ مَن «يتكلّم»

باسم اللّه، و«يبشّر» الناس بالحياة الأبديّة، و«ينذرهم» بعذابات جهنّم، يكون نبيًا، بل أعظم من نبيّ.

١٤ . وقد يلتقي المسلمون والمسيحيّون، لا على الاعتراف بنبوّة محمّد؛ بل على إلغاء صفة النبوّة عن جميع مَن نسمّيهم أنبياء. عندئذٍ يُصبح الإسلام والمسيحيّة على قرابة وحوار.

كلمة نبيّ نلقاها في القرآن من العهد المكّي الثاني، بصيغة المفرد، وبصيغة الجمع «نبيّون»، وفي العهد المدني بصيغة «أنبياء». وردت قوائم الأنبياء في (٦/ ٨٣–٨٦؛ ٣/ ٣٩؛ ٤/ ١٦٣ وما بعدها). وثمّة بيانات أخرى عنهم في آيات عدّة من سورة مريم، وفي (١٧/ ٥٥). وتتكوّن القائمة، بنوع خاصّ، من أسماء من التوراة والإنجيل.

١٥ . ومحمّد نفسه لم يدعُ نفسَه نبيًا إلى أن كان في المدينة عندما كانوا يخاطبونه بقولهم: «يا أيّها النبيّ»، وباعتباره «خاتم الأنبياء». وعندما يُدعى محمّد «النبيّ الأميّ» في (٨/ ١٥٧ و١٥٨) فهذا لتمييزه باعتبار أنّه النبيّ الذي قام في صفوف الوثنيّين، وكان اليهود يطلقون على الوثنيّين «أمّة هاعولام» ommot ha'olam، أهل الدنيا، واعترفوا أيضاً بأنبياء ظهروا بينهم ومنهم، مثلاً: بلعم وأيّوب. هذا الاسم اليهودي للوثنيّين أصبح «الأميّون» في القرآن (ر: ٦٢/ ٢؛ ٣/ ٢٠ و٧٥).. واشتقاق «أمّي» من العبريّة «أمّة هاعولام» تناسب جميع الآيات القرآنيّة.

١٦ . ذكر القرآن ثمانية عشر رسولاً[٨]؛ ولكنّه نصّ على أنّ هناك رسلاً آخرين، لقوله: «ورسُلاً قد قَصَصْناهم عليكَ مِن قَبْلُ، ورسلاً لم نَقْصُصْهُم عليك» (٤/ ١٦٤)، وقوله: «ولقد أرسَلنا رسلاً مِن قبْلِكَ منهم مَن قَصَصنا عليكَ ومنهم مَن لم نَقْصُصْ عليك» (٤٠/ ٧٨).. قيل إنّ عدد الأنبياء ١٢٤ ألفاً، والرسل منهم ٣١٣ فقط.

---

(٨) ذكر أسماءهم في ٦/ ٨٣–٨٦.

١٧ . آخر الأنبياء بعثةً، في عقيدة المسلمين، محمّد، ويدلّ عليه قوله: «أنا خاتَم النّبيّين»[٩]. وقد اختصّ محمّد بتحريم الصدقة عليه، فقال: «إنّ الصدقة لا تنبغي لآل محمّد، إنّما هي أوساخ الناس»[١٠]؛ وجاء في نعته أنّه يأكل الهديّة ولا يأكل الصدقة[١١].. وأموالهم لا تورث عنهم، بل تكون صدقة، قال: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، ورَّثوا العلم»[١٢].. وقيل: إنّ هذه خاصّيّة لمحمّد وحده، فليست لغيره من الأنبياء، بدليل أنّ سليمان ورث أباه داود (٢٧/١٦)، وأنّ زكريّا طلب من الله أن يهبه مَن يرثه (١٩/ ٥-٦).

النَّجَاسَة : **١** . القذارة التي تمنع أداء العبادات، كالصلاة والطواف ومَسّ المصحف، وغيرها؛ ضدّها الطهارة التي هي المدخل لأداء هذه العبادات التي لا تجوز إلاّ بها.

٢ . قسم الحنفيّة النجاسات إلى نوعين: النجاسة المغلّظة والنجاسة المخفّفة : كل ما يخرج من بدن الإنسان ممّا يوجِبُ خروجَه الوضوءُ أو الغسل، فهو مغلّظ، كالغائط والبول والمنيّ والمذي والودي والقيح والصديد والقيء إذا ملأ الفم، ودم الحيض والنفاس والاستحاضة، وكذلك بول الصغير والصغيرة أكَلا أو لا، والخمر والدم المسفوح ولحم المَيتة وبول ما لا يؤكل والرَّوث وإخثاء البقر والعذرة ونجو الكلب وخرء الدجاج والبط والأوزّ وخراء السباع والسنّور والفأر وخراء الحيّة وبولها وخراء العلق ودم الحلمة والوزغة إذا كان سائلاً..

٣ . ومن النجاسات المخفّفة: بول ما يؤكل لحمه والفرس وخراء طير لا يؤكل. أمّا أجزاء المَيتة التي لا دم فيها إن كانت صلبة، كالقرن والعظم والسنّ والحافر والخفّ والظلف والشعر والصوف والعصب والأنفحة الصلبة، فليست بنجس، لأنّ هذه الأشياء ليست بميتة، ولقوله تعالى: «وَمِن أصوافِها وأوبَارِها

---

(٩) أخرجه البخاري، فتح الباري ٦/٥٥٨؛ مسلم ٤/١٧٩١، من حديث أبي هُريرة.

(١٠) أخرجه مسلم ٢/٧٥٣، من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.

(١١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٥/٢٠٣؛ مسلم ٢/٧٥٦، من حديث أبي هُريرة.

(١٢) أخرجه أبو داود ٤/٥٨؛ الترمذي ٥/٤٩، من حديث أبي الدرداء.

وأشعَارِها أَثَاثًا ومَتَاعاً إلى حِينٍ» (١٦/ ٨٠).

٤ . وقال المالكيّة عند الكلام على تمييز الأعيان الطاهرة عن النجسة:

١ - الجمادات كلّها على الطهارة إلاّ المسكر؛

٢ - والحيوانات كلّها على الطهارة؛

٣ - والميتات كلّها على النجاسة؛

٤ - ودُودُ الطعـام كلّه طاهر، ولا يحـرّم أكلُه مع الطعـام، وكلّ مـا ليس له نفَس سائلة لا ينجِّس بالموت، ولا ينجِّس ما مات فيه من ماء أو مائع.

٥ . وذهب الشافعيّة إلى أنّ الأصل في الأعيان الطهارة: فالجماد كلّه طاهر؛ والحـيوان الحـيّ كلّه طاهر إلاّ الكلب والخنزير؛ والمَيـتـة كلّهـا نجسـة إلاّ السـمك والجراد والآدمي والجنين بعـد ذكاة أمّه، والصـيد الذي لا تُدرك ذكـاته؛ والمنفصل عن الحيوان، إمّا يرشح رشـحاً، كالعرق، وله حكم حيوانه الحيّ، وإمّـا له استحالة في الباطن كالبول فهو نجس إلاّ ما استثني..

٦ . ذهب الفـقهـاء إلى طهارة الآدميّ الحيّ المسلم والكافـر، لقوله تعـالى: «ولَقَد كـرَّمْنا بني آدمَ» (١٧/ ٧٠)، ولأنّ النبيّ أنزل وفْدَ ثقيف في المسـجد[1]، ولو كانت أبدانهم نجسة لم يُنزلهم فيه تنزيهاً له. وأمّا الآدمي الميت فيرى عامّة الحنفيّة أنّه يتنجّس بالمـوت، لما فيـه من الدم المسـفـوح، ولهـذا، لو وقع في البـئـر يوجب تنجّسـه، إلاّ أنّه إذا غسِّل يُحكم بطهارته إذا كان مسلماً كرامةً له، وأمّا الكافر فإنّه لا يُطهَّر بالغـسل، ولا تصحّ صلاة حامله. أمّـا المالكيّة والشافعـيّة فيقـولون بطهارة الآدمي الميت، مسلماً أو غير مسـلم، لقوله تعالى: «ولقد كرَّمْنا بني آدم»، وتكريمهم يقتضي طـهارتهم أحياء وأمواتاً.. وأمّـا قوله تعالى: «إنَّمَا المُـشرِكون نَجَس» (٩/ ٢٨) فالمراد به نجاسة الاعتقاد لا نجاسة الأبدان..

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٣٢١، من حديث الحسن البصري في مختصر السنن ٤/ ٢٤٤.

النَّجَاشِيّ : ١ . حاكم الحبشة زمن الرسـول وفي أوائل عصر الإسلام. لم ترد الإشارة إليه في القرآن، ولكنّه كثير الورود في السيرة النبويّة. ولقد كان النبيّ يعرف بعضَ الشيء عن الحـبشة ومَلِكِهـا عن طريق جدّه عبـد المطّلب لِما كان له من خبر مع أبرهة الحبشي، وتجارته مع الحبشة ذاتها، ومرافقته الأحباش الذين كانوا يخفرون قوافلَ خديجة معه. ثمّ إنّ حاضنته، أمّ أيمن، كانت امرأة حبشيّة.

٢ . ولمّا هاجر جـماعة من المسلمين إلى الحـبشة نزولاً على نصيـحة النبيّ بعثت قريش طائفة من رجالها في إثر هؤلاء المهاجرين.. وجميع المصـادر تتّفق على أنّ النجاشي أحـسن لقاء هؤلاء المسلمين المهاجـرين إليه، ووقف إلى جانبـهم ضدّ عبـدالله بن أبي ربيـعة بن المغيـرة ورفيـقه عـمرو بن العـاص، ليحمـلاه على ردّ المسلمين. وقام جـعفر بن أبي طـالب ابن عمّ الرسول، وعرض في إيجـاز إنجازات النبيّ، وتلا آيات من القـرآن لم يرَ فيـها النجـاشي ما يشـير إلى أنّ الإسـلام عدوّ للنصرانيّـة. فلمّا سمع من القـرآن ما سمع قال: والـلّهِ! ما عيسى ابن مـريم إلاّ ما قلت». ثمّ قال للمـهاجرين: «إذهبـوا فأنتم آمنون بأرْضي. من سبّكم غـرّم». وعاد عبدالله وعمرو بن العاص إلى مكّة..

٣ . ثمّ أذن النجاشي لثـلاثة وثلاثين من المهاجرين عـنده بالعودة إلى مكّة، كما أنّ النجاشي استجـاب لسؤال محمّد، فأصدق **أمّ حبيبة** إلى النبيّ بعد أن كانت قبل ذلك عند عـبيـد الله بن جحش الأسدي (إبن عـمّة النبيّ وأخي زوجـته زينب) الذي تنصّر وتوفّي فـي الحبشة. وكـان وليّهـا في هذا الزواج خالد بن سعـيد بن العاص. وكانت أمّ حبيبة هذه ابنة أبي سفيان بن حرب، ومن المهاجرات الأوائل.

٤ . وفي السنة السـابعـة للهـجرة أرسل الـرسول سـتّـة رُسُل إلى حكّام وملوك الأقطار المجاورة يدعوهم إلى الإسلام، وكان من بينهم النجاشي. أمّا كتاب الرسول إلى النجاشي فقد حمله إليه عمرو بن أميّة الضَّمْري..

٥ . ويرد في الأخبار الإسلاميّة أنّ بلاد النجاشي مـعفاة من «الجهاد». فقد أورد أبو داود وأحمـد بن حنبل أنّ الرسول قـال: «أتركوا الحبـشة مـا تركوكم».. ويُقال: «وليس دارهـم بدار حرب»... ولكنّ الحقـيقة هي أنّ غـزو الحبـشة لم يكن

ممكناً بحراً؛ كما أن الحبشة كانت فقـيرة إنْ هي قورنت بالأمبراطوريّتَين البيزنطيّة والساسانيّة.

نَجْد : إقليم في وسط السعوديّة، شرقّي الحجـاز. يمتدّ بين صحراء النّفود الكبـرى والرُّبع الخالي. عـاصمـته: الرياض. أهمّ مـدنه: بُرَيدة، وعُنَيزة، وحـائل، والقطيف، والعارِض، والخَرج، والقَصيم، والسَّدير، والجَوف، والحريق، والأفلاج، والدَّواسِر، والدشم، وجبال شُمَّر. ومعظم سكّان نجد سنّة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويتبعـون التعاليم الوهّابيّة. وينتمي أهل نجد إلى قـبائل: مُطير، وحرب، وعتيـبة، وسُبيـعة، وعجمـان، وبني مرّة، وقحطان. ولا توجد فـي نجد أي جداول مياه دائمة.. وتُعدّ منطقة «شرق» أغنى مناطق نجد.

نَجْرَان : ١ . مدينة في شمال اليمن ومركـز مدني هام في الجزيرة العربيّة في الزمن القديم. وهي مركز زراعي وصناعي وتجاري بفضل مـوقعها الجغرافي. وكانت مـشهـورة بحبوبهـا، وفواكـهها، وخـضرواتهـا، ومصنوعاتهـا الجلديّة، ومنسوجاتها. وتقع وسط وادٍ خـصيب. وتأتي أهمّيتها من كـونها محطة للقوافل، وبسبب وقوعـها عند ملتقى طريقَين رئيـسيّين: أحدهما ينطلق من حـضرمَوت إلى الحجاز إلى شرق البحر المتوسط، والآخر يمتدّ إلى الشمال عبر اليمامة إلى العراق.

٢ . أحرزت نجران شهرة عالميّة في القرن السادس الميلادي، بسبب سلسلة من الأحداث المتعاقبـة غير العاديّة، أبرزها دخول المسيحيّـة إليها في القرن السـابق على يد أحد التجّار اليمنيّين، ويسمّى حنان. وبالرغم من أنّ طلائع المسيحيّة الأولى جاءت من الحيرة، توافدت بعثات مسيحيّـة أخرى من سوريا البيزنطيّة والحبشيّة على نجران، ممّا جعلهـا مركز المسيحـيّة الرئيسي جنوب شبـه الجزيرة. وعاشت طوائف مسيحيّة مختلفة في نجران، لكنّ السيادة بينها كانت لليعاقبة.

٣ . وحوالي سـنة ٥٢٠ م استولـى ملك حِميَـر «ذو نوّاس» اليهـودي على نجران، وخيّر مسيحيّيهـا بين اعتناق اليهوديّة والموت، ممّا أدّى إلى استشهاد عدد كبير مـنهم. وردّ أمبراطور بيزنطية وملك الحبـشة بإرسال حملة مشتـركة قضت عليه سنة ٥٢٥م، وأخضعت اليمن لمدّة خمسين عاماً للنفوذ الحبشي والبيزنطي.

٤ . وكانت قبيلة الحارث بن كعب أكبر القبائل العربيّة في نجران، وهم من الأزد الذين ينتسب إليهم الغساسنة حلفاء بيزنطيّة في الشرق. وصارت نجران آنذاك مدينة حافلة بالكنائس والأديرة، وعلى رأسها ما يُعرف بـ «كعبة نجران».

٥ . وفي سنة ٥٧٠م احتلّ الفرس جنوب شبه الجزيرة بما فيه نجران. وظلّت تحت الحكم الفارسي حتّى مجيء الإسلام. وفي سنة ٦٣٠م (عام الوفود)، جاء وفْد نجران إلى المدينة ليتفاوض مع محمّد، دون أن يعتنق الإسلام. فكان عليه، بدل القتل والإسلام، دفْع الجزية.

٦ . ولمّا جاء عمر بن الخطّاب، سألهم لماذا هم باقون على دينهم، وقد كان النبيّ أبقاهم عليه إلى حين؟! لهذا جلاهم عن مدينتهم إلى العراق، حيث أقاموا في محلّة عُرفت بـ «النجرانيّة» قرب الكوفة، واعتنقوا الإسلام، عملاً بوصيّة الرسول، وهي أن لا يبقى في الجزيرة العربيّة دينان.

٧ . ولا يزال «الأخدود» القديم قائماً على هيئة أطلال خرائب جاثمة في جنوب نجران الحاليّة في منطقة «عسير» في العربيّة السعوديّة.

النَّجس : تعتبر الأشياء التالية نجسات : الخمر والمسكرات الأخرى، الكلاب، الخنازير، المَيتة، الدم، المفضلات التي تخرج من الجسم، ولبن الحيوانات التي لا يؤكل لحمها.. لا يذكر في القرآن أنّ الكلاب نجسة، بل بالعكس يُدرج الكلب في وصف النوّام السبعة في (١٨/١٨ و٢٢). أمّا في الحديث فالاتّجاه العام ضد الكلاب قويّ جدًا.. وإلى هذه الأشياء النجسة يضيف الشيعة : جثّة الإنسان، والكافر، لقوله: «إنّما المشركون نَجَس» (٢٨/٩).

النَّجَش : لغةً: الإثارة؛ واصطلاحاً: الزيادة في ثمن السلعة أكثر من ثمنها، وليس قصدُه أن يشتريها، بل ليغرَّ غيرَه فيوقعه فيه، وكذلك في النكاح وغيره. والفاعل: ناجش. مثله مثل **السَّوْم**، وهو عرْض البائع سلعتَه بثمن ما، ويطلبها مَن يرغب في شرائها بثمن دونه، والفرق بين السوم والنجْش هو أن الناجش لا يرغب في شراء السلعة والمساوم يرغب فيه. قال الفقهاء:النَّجْش حرام، لأنّه خديعة.

النَّجَف : مدينة في العراق، إلى الغرب من الـكوفة بستة أميال. فيهـا مشـهد الإمام علي، ومـدفنه، ومدرسـة الشيـعة الكبرى وجـامعة فقـهائهم. ومكان للحجّ. أولى العتبات المقدّسـة في العراق التي تشمل، أيضاً، كَربلاء، والكاظميّة، وسامَرَّاء.

النَّحْر : مِن نحَـر البعيـرَ ينحره نحـراً، أي: أصابه في مـنحره حيـث يبدو الحلقـوم من أعلى الصـدر، ومنه قـوله تعالى: «فـصَلِّ لربِّكَ وانْحَـرْ» (١٠٨/ ٢). والنحْر: هو قطْـع عروق الإبل الكائنة في أسفل عنقـها عند صـدورها. والفرق بين النَّحر و **العِقْر**، هو أنّ العِقْر هو ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم. ثمّ استعمله الفقهاء بمعنى الإصابة القاتلة للحيوان في أي موضـع كان مِن بدنه.

ويستحبّ القول: يُنحر البعير ويُذبح ما سواه، لقوله تعالى: «إنّ اللَّهَ يأمُرُكم أن تَذبَحوا بقَـرَة» (٢/ ٦٧)؛ أمّا مجـاهد فيقـول: أُمِرْنا بالنحر، وأُمِـرَ بنو إسرائيل بالذبح، وثبت «أنّ رسول اللّه نحَرَ بدنةً، وضحّى بكبشَـين أقرنَين ذَبَحَهما بيده»[١]. أيّام النَّحر ثلاثة أيّام هي: **يوم النحر** ويومان بعده.

النُّخَامَة : ما يخـرج من صدر الإنسان أو خـيشومـه من البلغم والموادّ عند التنحنح.. اتّفق الفقـهاء على أنّ النُّخامـة طاهرة إن نزلت من الرأس، أو خرجت من الصدر، أو مِن أقـصى الحلق. واختلفوا فـي حكم ما صـعـد من المعدة بين أن تكون نجسة (الشافـعيّة والحنفيّة) وبين أن تكون طاهرة (المالكيّـة والحنابلة).. واختلفوا أيضاً في حكم ابتلاع النخـامة في الصوم، فذهب بعضـهم إلى تحـريم ذلك وفساد الصوم به، وخالفهم آخرون (رَاجع مادّة: **الصوم**).

النَّدْب : مِن ندَبَ، وهو في اللـغة: الـدعاء إلى الـفعـل، ومنه نَدْبُ الميت، أي: تعديد مـحاسنه.. أمّـا في الاصطلاح، فالنَدْب هو مـأمور، لا يلحق بتـركه ذمّ، ولا عقاب.. وسمّي مندوباً من حيث إنّ الشارع ندب إلـيه وبيّنَ ثوابَه وفضيلتَه؛ وسمّي **نَفْلاً** من حيث إنّه زائـد على الفرض ويزيد به الثـواب؛ وسمّي **تَطَوُّعاً** من حيث إنّ فاعلَه يفعله تبرّعاً من غير أن يُؤمر به؛ وقيل: النَدْب أي المندوب الزائد على الفرض.

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٣/ ٥٥٤؛ الفتح ١٠/ ٩.

النَّذْر : مِن نذر ينذُر نذراً، هو واجب أوجبه الشخص على نفسه باختياره؛ بخلاف **الفَرْض** الواجب بإيجاب الشرع.. لا خلاف بين الفقهاء في صحّة النذر في الجملة، لقوله تعالى: «وَلْيُوفُوا نُذورَهُمْ» (٢٢/ ٢٩)، وقوله في شأن الأبرار: «يُوفُونَ بالنَّذْرِ ويَخافونَ يوماً كان شَرُّهُ مُسْتَطيراً» (٧٦/٧). وعن عمر بن الخطّاب «أنّه قال للنبيّ: يا رسولَ الله! إنّي نَذَرتُ في الجاهليّة أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام. فقال النبيّ: أوفِ بنذرِكَ»[1].

نِزَار بن مَعَدّ : جَدّ القبائل العَدنانيّة في شماليّ الجزيرة العربيّة. بنوه: أنمار، وإياد، ورَبيعة، ومُضَر.

النُّزُول : ١ . يُقال: نزل نزولاً: هبط من علو إلى أسفل؛ ونزل فلان عن الأمر والحقّ: تركه؛ ونزل بالمكان وفيه: حلّ؛ ونزل على القوم: حلّ ضيفاً؛ ونزل به مكروهٌ: أصابه؛ ونزل الحاجّ: أتى مِنًى؛ ونزل على إرادة زميله: وافقه في الرأي.

٢ . *أسْبَابُ النُّزُول* :أمّا النزول، أي نزول القرآن من اللوح المحفوظ، من السماء العليا إلى السماء الدنيا، بواسطة جبريل، فلكلّ آية من آياته أسباب استدعتْ نزولَها. هذا في عقيدة المسلمين كافّة؛ إلاّ أنّ اعتراضاً يقول: « لو كان صحيحاً أنّ القرآن مكتوب في لوح محفوظ لنزلتْ آياته بدون الحاجة إلى مناسبات بعينها لإنزال الآيات. ولكن الذي حدث أنّ أغلب الآيات، باستثناء القصص، نزلتْ في مناسبات معيّنة، أو عندما سأل الناسُ النبيَّ أسئلةً معيّنة. وبعض المناسبات التي نزلت بها آيات ما كانت تستدعي نزول آيات. فمثلاً :

٣ . *حادثة حفصة* : عندما وجدت النبيّ مع ماريّة القبطيّة في فراشها. فخرج النبيّ يتصبّب عرقاً. وأقسم لها أنّه سيحرّم على نفسه ماريّة القبطيّة. وطلب من حفصة ألاّ تخبر أحداً بما حدث. وكما نتوقّع، لم تستطع حفصة كتمان الخبر. فأخبرت عائشة بما حدث. ولمّا علم النبيّ بذلك ثارت ثائرته واعتزل نساءه. فأنزل الله الآيات (٦٦/٣-٤).

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/ ٢٨٤؛ مسلم٣/١٢٧٧، من حديث ابن عمر.

وهذه واقعة شخصيّة تخصّ محمّداً وزوجاته فقط. وليس لبقيّة المسلمين دخْلٌ بما حدث بين محمّد وأزواجه. فلماذا، يا تُرى، اضطرّ اللّه أن ينزل آيات بسببها؟! فإذا كان القرآن مكتوباً منذ الأزل في اللوح المحفوظ، وعلم اللّهُ أنّ محمّداً سوف يُضاجع ماريّة القبطيّة في بيت حفصة، أما كان من الممكن تفادي ما حدث قبل أن يحدث؟ ثمّ لماذا كلّ هذا العدد الهائل من النصراء لمحمّد ضدّ عائشة وحفصة؟ فإن لم يتوبا فسيكون اللّه وجبريل والملائكة وصالح المسلمين عوناً له ضدّهما، كما جاء في (٦٦/ ٤).

٤ . *وحادثة الإفك*: لمّا اصطحب الرسول زوجتَه عائشة في إحدى غزواته، وقد عسكر الجيشُ في مكانٍ ما. ولمّا همّوا بالرحيل، رفع بعضُ الرجال هودجَ عائشة على الجمل، ظنّاً منهم أنّ عائشة فيه. وعائشة كانت قد خرجت للخلاء لقضاء حاجتها. فرحلوا من دونها. فلمّا رجعتْ للمعسكر، لم تجدهم. فجلستْ مكانها حتّى أتى عليها رجلٌ يُدعى صفوان بن المعطل السلمي. فحملها على بعيره حتّى لحق بها الركب. فتهامس الناس أنّ عائشة وصفوان خانا الرسول مع بعضهما. فغضب الرسول، ولم يكلّم عائشة لمدّة شهر، أو أطول، فنزلتْ: «إنّ الذين جاءوا بالإفك منكم عُصبة...» (٢٤/ ١١). فقال الرسول: إنّ اللّه برّأ عائشة، وأمر النبيّ بجلْد حسّان بن ثابت وحمنة أخت زينب بنت جحش ومسطح بن أثاثة.

وهذه كذلك كانت مسألة شخصيّة تخصّ محمّداً وعائشة، ولا منفعة لعامّة المسلمين من الذي حدث. ونسأل مرّة أخرى: لو علم اللّه مسبقاً بأنّ عائشة سوف تتخلّف عن الركب، ويحدث ما حدث، أما كان الأجدر به أن ينبّه محمّداً إلى أنّ عائشة ليست بهودجها، وليرسل وراءَها مَن يُحضرها قبل أن يتحرّك الركب؟ خاصّةً وأنّ المسلمين يعتبرون أنّ النبيّ كان يعلم الغيب»[1].

٥ . وثمّة مثل آخر على عدم معرفة اللّه للأحداث قبل وقوعها، نجده في هذه الطرفة: «قالوا: إنّ الرسول منع عليّ بن أبي طالب من أن يتزوّج بنتَ أبي جهل

---

(١) رَ: د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ٢٤٣-٢٤٤.

على فاطمة بنت الرسول، وقال: «فاطمة بضعةٌ منّي، يُريبني ما يُريبها، ويُؤذيني ما أذاها». فلم يتزوّج عليها عليّ حتّى ماتت بعد ستّة أشهر من موت الرسول.

فإذا كان زواج أكثر من واحدة يؤذي الزوجة الأولى، لماذا سمح الإسلام للمسلمين بزواج أربعة أزواج؟!»[٢].

النَّسَائِيّ (أبو عبد الرحمن، أحمد)(ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) : مؤلِّف واحدة من ستّ مجموعاتٍ للحديث. محدِّث حافظ. اشتهر بكتابه «السُّنَن الكبرى». يقسم كتابه عن الحديث إلى ٥١ فصلاً، كلّ منها ينقسم إلى أبواب. وأفسح مساحة كبيرة للأحاديث التي تتعلّق بالعبادات. أمّا فصوله عن «الإحباس»، و«النحل»، و«الرقبى» و«العمرة» فلم ترد في سواها من المجموعات.

النَّسَب : لقد حرص الإسلام على حفظ الأنساب عن الاختلاط. ولهذا حرَّم الزنا لما يترتّب عليه من اختلاط الأنساب، فقال: «ولا تَقْرَبوا الزِّنَى. إنَّه كانَ فاحِشَةً. وساءَ سَبيلاً» (١٧/ ٣٢)، كما حرّم انتساب المرء إلى غير أبيه، سواء كان بالادّعاء أو التبنّي أو غيرهما، فقال: «وما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُم. ذَلِكُمْ قَولُكم بأفْوَاهِكم» (٣٣/ ٤)، وقال أيضاً: «ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عندَ اللّه. فإنْ لمْ تَعلَموا آباءَهُمْ فإخْوَانُكم في الدِّينِ ومَوَاليكم» (٣٣/ ٥). وقال النبيّ: «مَن ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنَّه غيرُ أبيه فالجَنَّة عليه حرام»[١].

النَّسْخ : ١ - يُطلق في اللغة على معنيَين: أحدهما: **النَّقْل**، كنقل كتاب من كتاب آخر، تقول: نسختُ الكتابَ إذا نقلتُه، ومن هذا قوله تعالى: «إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنتُم تَعْمَلون» (٤٥/ ٢٩)، أي نأمر بنسخه وإثباته؛ والثاني: **الإبْطَال والإزَالَة** : يقال: نسختِ الشمسُ الظلَّ، والرِّيحُ الأثَرَ: أزالتْه.

٢ - واصطلاحاً: «إبطال العمل بالحكم الشرعي بدليل شرعيّ متراخ عنه، يدلّ على إبطاله صراحة أو ضمناً إبطالاً كلّيًا أو جزئيًا، لمصلحةٍ اقتضته». والعنصر

---

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٤٨.

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٧٠؛ وصحيح مسلم، ص ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٧، عن ابن أبي وقّاص.

الأساسي في المفهوم العام للنسخ هو التعديل والاستبدال وأيضاً المحو. وذلك طبق آيات عديدة وردت في القرآن[1].. ويُقال إنّ «آية السيف» (٩/٥) نَسخت مائة وأربعاً وعشرين آية.

٣ . النسخ ثلاثة أقسام: نسْخُ الحكْم دون التلاوة؛ ونسخ التلاوة دون الحكم؛ ونسخ التلاوة والحكم معاً (راجع مادّة: **القرآن/الناسخ والمنسوخ**).

٤ . للنسخ في الإسلام حكمة عظيمة: ففيه حفْظٌ لمصالح العباد في وقت الرسالة، لانتقال المسلمين من فوضى الجاهليّة إلى نظام الإسلام، فاقتضت حكمة الشارع ألاّ ينقلَهم دفعةً واحدة إلى ما يستقرّ عليه التشريع آخر الأمر، لأنّهم لا يُطيقون ذلك؛ بل سلك بهم طريق تشريع الحكم الملائم لحالهم أوّل الأمر، فإذا ذاقوا بشاشته وأَلِفوا الخروجَ على ما تعوّدوه بترويض أنفسهم لذلك جاء حكم آخَر. لذا نجد النسْخ قد يكون من الأخفّ إلى الأشدّ، إنّما المقصود مراعاة المصلحة. وعموماً ففي النسْخ رحمة اللّه لخلقه بالتخفيف عنهم والتوسعة عليهم.

إلاّ أنّ النسخ، عند كثير من المسلمين، مطعون فيه، ودليلهم من القرآن نفسه:

٥ . «يقول القرآن في سورة هود، الآية الأولى: «ألر. كتابٌ أحكمتْ آياته. ثمّ فُصِّلتْ من لدن حكيم خبير»، نفهم من هذه الآية أنّ اللّه قد أحكم آيات القرآن من قبل أن يُنزله على محمّد. ثمّ فصّل آياته كما يُفصّل الخياط الثوب، فأنزلَ الآيات المناسبة في المناسبات المناسبة لها. وهذا تقديرٌ من إله حكيم وخبير ببواطن الأمور، وبما سيحدث في المستقبل القريب والبعيد. لهذا فلا مجال للنسْخ، لأنّ الإحكام ينافي النسخ..

٦ . وفي سورة البروج، الآية ٢١: «بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ».. وهذا اللوح خُلق قبل أن يخلق اللّهُ الأرضَ والسماء، وكُتب فيه كلّ شيء سوف يحدث لكلّ إنسان أو حيوان إلى أن تقوم الساعة. وفي هذا اللوح كتب اللّهُ القرآن. إذاً القرآن كتب قبل أن تُخلق الأرض. ويقدّر العلماء عمر الأرض بأربعة مليارات

---

(١) رَ: ٨٧/٦-٧؛ ١٦/٣٨؛ ١٧/٨٦؛ ٢٢/٥٢؛ ٢/١٠٦.

ونصف المليار من السنين.. وفي هذه الفترة خلق القرآن وحفظه في اللوح المحفوظ، وأحكم اللّه آيات القرآن، كما أخبرنا في الآية. وإذا تتبّعنا هذا المنطق، فليس هناك أي سبب يجعل اللّه يبدّل آية مكان آية، إذا كان القرآن في حوزته كلّ هذه السنين.

٧. ولكن دعنا ننظر للآية ١٠١ من سورة النحل: «وإذا بدّلنا آيةً مكانَ آية، واللّه أعلم بما يُنزل..»؛ وفي سورة البقرة، الآية ١٠٦: «ما ننسخ من آيةٍ أو نُنسها، نأتِ بخيرٍ منها، أو مثلها. ألم تعلم أنّ اللّه على كلّ شيء قدير». وهنا مربط الفرس:

أً – لماذا احتاج اللّهُ أن ينسخ أي آية في القرآن الذي كان بحوزته كلّ هذه المليارات من السنين، وهو قد أحكم آياته؟! لماذا لم يغيّر هذه الآيات قبل أن يُنزلها؟!

٢ً – إذا نسخ آية، لماذا يريد أن يأتي بمثلها؟ فما الغرض من نسخها إنْ كان اللّه يريد أن يأتي بمثلها؟!

٣ً – إذا أراد أن يأتي بأحسن منها، فقد كان القرآن عنده كلَّ هذه السنين، فكان الأجدر به أن يغيّر الآيات التي أراد أن يأتي بأحسن منها قبل أن ينزلها على الرسول. وكونه أراد أن يأتي بأحسن منها يعني أنّ بعض آيات القرآن ليست بدرجة الكمال، كما يدّعون، إذ أنّ هناك أحسن منها.

٤ً – إذا نسخ اللّهُ آيات بعد أن نزّل القرآن على محمّد، وأبدلها بآيات أخرى، فإنّ هذه الآيات الجدد لم تكن في اللوح المحفوظ من قبل، وإنّما خلقها اللّهُ حديثاً لتحلَّ محلَّ الآيات القديمة، وإلاّ، لو كانت الآيات الجديدة موجودة في اللّوح المحفوظ، ما كان هناك داعٍ لإنزال الآيات المنسوخة، لأنّ اللّه قد كتب بدلاً عنها آيات جديدة. فإذاً، نستطيع أن نقول إنّ أجزاءً من القرآن لم تكن في اللوح المحفوظ.

٥ً – وعليه، فإنّ اللوح المحفوظ لا يحتوي على كلّ شيء، كما أخبرنا القرآن، وإنّ القرآن مخلوق، وليس أزليًا. وهو قول المعتزلة الذين قُتلوا من أجله.

٨. والسبب الرئيس في النسخ، في اعتقادي، هو انتشار الإسلام على مرحلتَين، وأعني مرحلة مكّة ومرحلة المدينة. فلمّا كان محمّد في مكّة يحاول نشر

الإسلام بين قريش، كان مستضعَفاً لا يحميه من قريش غيرُ عمِّه أبي طالب. فما كان باستطاعته مخاطبة قريش بلهجة آمرة.

فأغلب الآيات المكّيّة فيها تسامح شديد مع الذين لم يؤمنوا[٢]. والآيات المكّيّة أغلبها قصص عن يونس وهود ويوسف وإبراهيم والكهف والإسراء ومريم ونوح وما إلى ذلك. وكان النبيّ يجلس مع أهل مكّة يحكي لهم قصص الأوّلين، ويصف لهم الجنّة وخيراتها، والنار ودرجات العذاب بها..

ولكن، بعد أن هاجر محمّد إلى المدينة، واستقرّ به الحال وسط الأوس والخزرج، وقويت شوكته، تغيّرتْ لهجته كذلك، وأصبحت الآيات أكثر جرأةً، وصارت تحضّ على القتال. ولذا، كان لا بدّ من إلغاء، أو تعطيل الآيات المكّيّة التي كانت تنصحه بأن يتساهل مع الكافرين وأهل الكتاب، فنزلت آية السيف وغيرها، التي أباحت للمسلمين القتال. ولكي يُلغي الآيات المكّيّة المتسامحة مع أهل الكتاب، كان لا بدّ من إدخال آيات متشدّدة في سور مكّيّة كان قد اكتمل إنزالها في مكّة.

٩ . وهناك سور مدنيّة أدخلت بها آيات مكّيّة... ولكنّ السؤال الدائم هو: إذا كان هذا القرآن قد كُتب في لوح محفوظ قبل أن يُخلق العالم، لماذا لم تُرتّب هذه السور ترتيباً دقيقاً دون الحاجة لإدخال آيات مدنيّة في سور مكّيّة؟

جاء في سورة التوبة، الآية ٥: «فإذا انسلخ الأشهرُ الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم». وهذه هي آية السيف المشهورة التي قال عنها ابن كثير في تفسيره: «قال الضحّاك بن مزاحم إنّها نسختْ كلَّ عهدٍ بين النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم وبين أحد من المشركين، وكلّ عقد وكلّ مدّة». وهذه الآية بمفردها نسختْ من القرآن مائة وأربعاً وعشرين آية. ويقول الزمخشري إنّ أوّل آية نزلت في المدينة تبيح القتال، نزلت بعد أكثر من سبعين آية تحضّ على التسامح والغفران، أغلبها مكّيّة»[٣].

---

(٢) رَمثلاً: ٢٧/ ٩٢؛ ٢٩/ ٤٦؛ ٣١/ ٢٣؛ ٣٢/ ٣٠؛ ٣٩/ ٤١؛ ٧٣/ ١٠ و١١؛ ٣/ ٢٠؛ ٤١/ ٣٤.
(٣) د. كامل النجّار، قراءة منهجيّة للإسلام، ص ١٩٠–٢٠٠.

النَّسْطُورِيُّون : نسـبة إلى نسطور أسـقف القسطنطينيّـة (ت ٤٥١م) الذي أدان مجمعُ «أفـسس» (٤٣١م) تعاليمَه حول التعلـيل اللاّهوتي لشخص المسيح... كان للنـبيّ موقف إيجابي تجـاه النسـاطرة. وقـد التقى بهم في اليـمن، وفي طريق التجارة بين اليمن والعراق؛ ومن بين هؤلاء «قسّ بن ساعدة» من نجران، الذي يُقال إنّ محمّداً سمعه وهو يعظ في عكاظ.

النَّسَفِيّ (أبو البركات) (ت ٧٠١هـ/١٣١٠م) : فقيه حنفي مفسّر. هو أحد الزهّاد المتأخـرين، والأئمّة المعتبـرين. كان إماماً كـبيراً في زمانه، رأساً فـي الفقه والأصول، بارعاً في الحديث، بصيراً بكتـاب اللّه. وهو صاحب تصانيف مفيدة في الفقه والأصول.

له في التفـسير: «مـدارك التنزيل وحقائق التـأويل». اختصـره النسفي من تفاسـير البيـضاوي والزمخـشري، غيـر أنّه ترك ما في كـشّاف الزمخـشري من الاعتـزالات. قال فـي مقـدّمتـه: «قد سـألني مَن تتعـيّن إجابتـه، كتـاباً وسطاً في التـأويلات، جامـعـاً لوجوه الإعـراب والقراءات، مـتـضمّناً لدقـائق علمَي البـديع والإشـارات، حاليـاً بأقاويل أهل السنّة والجـمـاعة، خـالياً عن أباطيل أهل البـدع والضلالة. ليـس بالطويل المملّ، ولا بالقصـير المخلّ». هذا، وإنّ الكتـاب لمتداول بين أهل العلم، ومطبوع في أربعة أجزاء متوسّطة الحجم.

النَّسِيْء : من «نسأ»، أي زاد وأخّر ونسي. والنسـيء يعني الزيادة والتأخير والنسيان. يُطلق على الإضافة، كما في الشهر المضاف للسنة.. والنسـيء هو بإطالة السنة القـمـريّة. وردت الكلمة في الـقرآن وفي خطبـة الوداع للرسـول. والنسـيء محرّم بوصف القرآن له بأنّه زيادة في الكفـر، في قوله تعالى: «إنّما النسـيء زيادة في الكفر» (٩/٣٧).

النِّسْيَان : ضدّ الذكر والحـفظ؛ ويأتي النسيان بمعنى التـرْك، يقول تعالى: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» (٩/٦٧)، أي: تركوا اللّهَ فتركهم، وقوله: «ما نَنْسَخْ مِن آيَةٍ أو نُنْسِهَـا» (٢/١٠٦)، أي نأمركم بتـركها.. والنسـيان اصطلاحـاً: هو ترْك الإنسان

ضبطَ ما استُودع، إمّا لضعف قلبه، وإمّـا عن غفلة، وإمّا عن قصد حتّى ينحذف عن القلب ذكرُه[١]؛ وهو، كما عرّفه ابن نجيم: عدم تذكّر الشيء وقت حاجته إليه[٢].

إنّ الناسي لحقوق اللّه غير مكلّف حال النسيـان، والنسيان مُـسقط للإثم مطلقـاً، لقـوله تعالى: «ربَّنا لا تُـؤَاخِذْنا إنْ نَسـينا أو أخْطَأنا» (٢/٢٨٦)، ولقـول النبيّ: «إنّ اللّهَ وضَعَ عن أمَّـتي الخطأ والنسـيانَ ومـا استُكرهوا عليـه»[٣].. وأمّا الناسي لحقوق العباد فلا يُعذر، لأنّ حقوق العباد محترمة جبراً.

النُّشُوز : ١ . يقال: نشزتِ المرأةُ تَنْشُزُ: عصتْ زوجَـها وامتنعتْ عليه. وهي ناشـز وناشزة. والجـمْع: نواشـز. قال تعـالى: «واللاَّتِي تَخـافُونَ نُشُـوزَهُنَّ (أي عصـيانهنّ)» (٤/ ٣٤)؛ وكذلك الزوج ينشـز على زوجته، أي يضـربها ويجافيـها ويُضرّ بهـا، كمـا في قوله تعالى: «وإنِ امْـرَأةٌ خافَتْ مِن بَعلِهـا نُشُوزاً (أي ترفّـعاً عليها، بترْك مـضاجعتها، والتقصيـر في نفقتها، لبغضِهـا وطموحِ عينه إلى أجمل منها)، أو إعْرَاضاً» (٤/١٢٨).

٢ . ذهب الفقـهاء إلى أنّ نشوز المرأة على زوجهـا حرام، لما ورد في تعظيم حقّ الزوج على زوجتـه ووجوب طاعتِـها له، ومنه قول رسـول اللّه: «لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لأحد لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها»[١]. واستدلّ الفقهاء كذلك على حرمة نشوز المرأة على زوجها من قول النبيّ: «إذا باتتِ المرأةُ هاجرةً فراشَ زوجِها لَعَنَتْها الملائكةُ حتّى تُصبح»[٢]. وعن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: «خير النساء امرأةٌ إذا نظرتَ إليها سرَّتْكَ، وإذا أمرتَها أطاعتْكَ، وإذا غِبتَ عنها حفظتْكَ في نفسِها ومالك»[٣].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.

(٢) الأشباه لابن نجيم، ص ٣٠٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١/ ٦٥٩؛ الحاكم في المستدرك ٢/ ١٩٨، من حديث ابن عبّاس.

(١) أخرجه الترمذي ٣/ ٤٦٥، من حديث أبي هُريرة: حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري ٩/ ٢٩٤؛ مسلم ٢/ ١٠٥٩، من حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٥/ ٣٩؛ الحاكم ٢/ ١٦١–١٦٢.

٣ . تأديب الزوجة الناشزة مشروع، لقوله تعالى: «.. واللأتي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ، واهْجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ، واضْرِبُوهُنَّ..» (٤/ ٣٤). نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع الذي نشزتْ عليه امرأتُه فلَطَمَها. فجاءَ بها أبوها إلى النبيّ، فقال: «أفْرَشْتُهُ كريمَتي فلَطَمَها. فقال لها النبيّ: اقتصّي منه. وانصرفتْ مع أبيها لتقتصَّ منه. فقال صلّى الله عليه وسلّم: إرجعوا. هذا جبريل أتاني. وأنزل اللهُ هذه الآية. فقال صلّى الله عليه وسلّم: أرَدْنا أمراً وأرادَ اللهُ أمراً. والذي أراد اللهُ خيرٌ. ورُفع القصاص»[٤]. فالتأديب يكون، باتّفاق الفقهاء، كما ورد في الآية، بالوعظ، والهجر في المضجع، والضرب.

النِّصَاب : القدر المعتبر من المال لوجوب الزكاة؛ والنصاب شرعاً: ما لا تجب فيما دونه زكاةٌ من مال.. وتتعلّق بالنصاب أحكام، منها: ١ – يشترط الفقهاء لصحّة صلاة الجمعة كونها في جماعة، واختلف الفقهاء في النصاب الذي تنعقد به. ٢ – يشترط الفقهاء لوجوب الزكاة في المال أن يبلغ المال النصاب، وهو المقدار الذي لا تجب الزكاة في أقلّ منه. ٣ – يشترط الفقهاء للقطْع في حدّ السرقة أن يبلغ المال المسروق نصاباً، فلا قطْع فيما دونه. ولكنّهم اختلفوا في تحديد مقداره.

النَّصَارَى (راجع: **أهل الكتاب**) : ترد لفظةُ «النَّصَارَى» في القرآن ١٤ مرّة[١]؛ و«نَصْرَانِيًا» مرّة واحدة (٣/ ٦٧). أمّا لفظة «المسيحيّين» فلا ترد إطلاقاً.

عندما يَجمع القرآن بين اليهود والنصارى في تحريف الكتاب وإنكار نبوّة محمّد، فالمقصود به المسيحيّون، لا النصارى؛ لأنّ المسيحيّين واليهود يتّفقون على عداوة محمّد ورفض القرآن. وهذا الاتّفاق هو أيضاً من زمن الفتوحات، حيث أصبح اليهود والنّصارى والمسيحيّون سواء بسواء في عداوة الإسلام والمسلمين.

---

(٤) أورده الواحدي في أسباب النزول، ص ١٥١، ط. مؤسّسة الريّان، عن مقاتل؛ وأخرجه إبن جرير في تفسيره ٨/ ٢٩١، ط. دائرة المعارف، من حديث الحسن البصري.

(١) ر: ٢/ ٦٢و١١١ و١١٣ (مرّتَين) و١٢٠ و١٣٥ و١٤٠؛ ٥/ ١٤ و١٨ و٥١ و٦٩ و٨٢؛ ٩/ ٣٠؛ ٢٢/ ١٧.

والحقّ يُقال، إنّ لفظة «نصارى»، في كثير من الآيات القرآنيّة، المكّيّة منها والمدنيّة، مُقحمة، وفي غير محلّها. وقد أُقحِمَتْ من زمن «جمْع القرآن»، أو من زمن الفتوحات، أي عندما أصبح اليهود والنّصارى والمسيحيّون، أعداءً سياسيّين للإسلام والمسلمين الفاتحين.

على هذا نستعرض آيات القرآن، حيث ترد لفظة نصارى؛ لنتأكّد بأنّ المقصود في عداوة المسلمين هم المسيحيّون، لا النصارى؛ أو تكون لفظة «نصارى» مقحمة على النصّ؛ أو أيضاً يكون المقصود من لفظة «النصارى» المسيحيّين.

١ . يقول القرآن في اختلاف اليهود والنصارى فيما بينهم: إنّ اليهود والنصارى اختلفوا على الجنّة لَمن تكون. كلٌّ يعتبرُها خاصّةً به وحده دون سواه؛ فيما الحقيقة، أنّ الجنّة هي، بحسب القرآن، لكلِّ متعبِّدٍ للّه، وكلّ محسنٍ إلى الإنسان: «وَقَالُوا: لَنْ يَدخُلَ الجنَّةَ إلاَّ مَنْ كانَ هُوداً –**أو نَصَارَى**–. تلكَ أمَانِيُّهُمْ. قُلْ (لهم يا محمّد): هَاتُوا بُرْهانَكُمْ، إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى (يدخل الجنّةَ غيرُ اليهود): مَنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ للّهِ (أي انقاد لأمر اللّه)، وَهُوَ مُحْسِنٌ (مع الفقير والمسكين واليتيم)؛ فلَهُ أجْرُهُ عندَ ربِّهِ. ولا خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنونَ.

«وَقَالَتِ اليَهُودُ: لَيستِ **النَّصَارَى** عَلَى شَيْءٍ (بسبب إيمانهم بعيسى). وَقَالَتِ **النَّصَارَى**: ليستِ اليَهُودُ علَى شَيْءٍ (بسبب كفرهم بعيسى). وَهُمْ (أي الفريقان) يَتْلُونَ الكتَابَ (أي التوراة والإنجيل). كَذَلكَ قَالَ الّذينَ لا يَعْلَمُونَ (أي المشركون من العرب) مِثْلَ قَولِهِمْ. فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَينَهُمْ يَومَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفونَ (من أمر الجنّة)» (٢/ ١١١–١١٣).

٢ . «ولَنْ تَرضَى عنكَ اليَهُودُ –**وَلاَ النَّصَارَى**– حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ. قُلْ: إنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى. ولَئِنِ اتَّبَعْتَ أهْوَاءَهُمْ (أي اليهود)، بعدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ. مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَليٍّ وَلا نَصِيرٍ. الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكتابَ (أي النّصارى)، يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ (أي من دون تحريف)، أولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ (وهم النّصارى). ومَن يَكْفُرْ بِهِ (أي اليهود)، فَأولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ» (٢/ ١٢٠–١٢١).

المقصود به هنا أنّ اليهود لم يكونوا راضين عن محمّد؛ أمّا النَّصارى فكانوا راضين عنه. هؤلاء مؤمنون؛ وأولئك كافرون؛ ثمّ إنّ اليهود والنّصارى ليسوا على ملّة واحدة، حتّى يُجمَع بينهما؛ ممّا يعني أن تعبير «وَلاَ النَّصَارَى» مقحم على النّص، أو يُقصد به «المسيحيّين».

٣ . «وَقَالُوا: كُونُوا هُوْداً **-أَوْ نَصَارَى-** تَهتَدُوا. قُلْ: بَلْ (نتبع) مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً (أي على الدِّين القيّم). وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ» (٢/ ١٣٥).

٤ . وشبيه بهذا قوله في سورة آل عمران: «مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا **-وَلاَ نَصْرَانِيًا-**. وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً (مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدِّين القيّم)، مُسْلِماً. وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ» (٣/ ٦٧).

إنّ إقحام «أَوْ نَصَارَى»، و «وَلاَ نَصْرَانِيًا»، في الآيتَين، واضحٌ. إنّه إقحامٌ يُفسد المبنى والمعنى معاً. والأصل في الآية الأولى: «كونوا هوداً تَهتدوا»؛ وهو قول اليهود لمحمّد ولأتباعه. وجواب محمّد لهم: إنّنا نتبع دينَ إبراهيمَ القيِّم، لا دينَكم كما عملتم في تحريفه. والأصل في الثانية إلغاء «وَلاَ نَصْرَانِيًا»؛ لأنّ من البديهي ألاّ يكون إبراهيم نصرانيًا. لهذا، ودّ اليهود تضليلَ محمّد وجماعته، ولكنّهم، «وَمَا يَضِلُّونَ إلاّ أنفُسَهُمْ. وَمَا يَشْعُرُونَ» (٣/ ٦٥-٦٩ و٩٨-١٠٠).

٥ . «أم تَقُولُونَ: إنَّ إبْرَاهِيمَ وَإسْمَاعِيلَ وإسْحَقَ وَيَعقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُوا هُوْداً**-أَوْ نَصَارَى؟-** قُلْ (لهم يا محمّد): أَأَنْتُمْ أعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ (عن النّاس) شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (٢/ ١٤٠).

فاليهود هم الذين كتموا شهادةَ اللّه في التوراة لإبراهيم ؛ وليس النّصارى. فتعبير «أَو نَصَارَى» مقحَمٌ على النصّ.

٦ . «وَمِنَ الذِينَ قَالُوا إنّا **نَصَارَى** (وهم المسيحيّون)، أَخَذْنَا مِيثَاقَهمْ (كما أخذنا على اليهود)، فَنَسَوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ (في الإنجيل)، فَأَغْرَيْنَا بَينَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إلى يومِ القِيامةِ (بتفرّقهم واختلاف أهوائهم. فكلّ فرقة تكفّر الأخرى). وَسَوفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ (في الآخرة) بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (فيجازيهم عليه)» (٥/ ١٤).

يلاحظ أن لا شأنَ للنَّصــارى هنا. فالمقصود هم المســيحيّون الذين اخــتلفوا مع اليهود ومع النصارى معاً. وقد جاء محمّد يبيّن لهم كَثيراً ممّا كانوا يخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير فلا يبـيّنه. لهذا «قد جاءَكمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبين»، وهو القرآن (٥/ ١٥).

٧ . «وَقالتِ اليَهودُ **وَالنَّصارَى**: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّه وَأحِبَّاؤُهُ. قُلْ (لهم يا محمّد): فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ (إنْ صــدقتْم في ذلك؟). بَلْ أنتُمْ بَشَرٌ مِـمَّنْ خَلَقَ. (لكم ما لهم وعليكم ما عليهم). يَـغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشــاءُ. وللَّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ والأَرْضِ ومَا بينَهُما. وإليهِ المَصيرُ» (٥/ ١٨).

فبين اليهود والنصارى، إذاً، اخــتلاف في مَن منهم هم «أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ»؛ غير أنّ اللّه هو الذي يحكم، فـ «يَغفِرِ لِمَن يَشَاءُ، ويُعَذِّب مَن يَشَاء». وله الحقّ المطلق في ذلك لأنّه هو مالك الكلِّ وإليه مصائر الكلّ.

٨ . «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (وتبعوا محـمّداً)! لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ **وَالنَّصَارَى** (أي المسيـحيّين) أَوْلِيَـاءَ (توالونهم وتوادّونهم)، بَعضُــهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (لاتّــحادِهِم في الكفـر). وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنـكُمْ فإنَّهُ مِنْهُمْ. إنَّ اللّهَ لا يَـهْدِي القَـومَ الظَّالِمِينَ (بموالاتهم الكفّار)» (٥/ ٥١).

المقصود بـ «الـنّصارى» هنا: المسيحـيّون؛ لأنّهم هم الذين غلَوا في إيمانهم وكفروا. أمّا النّصارى فهم، هنا، في هذه الآية، وكـما يصفهم القرآن دائماً، هم أهل «مودّة»، وإيمانٍ واعتدالٍ في عقيدتهم..

٩ . ومن أهل الكتاب «أُمَّــةٌ مُقْتَـصِدَةٌ» (٥/ ٦٦) في عقـيدتهـا، تقيم أحكام التوراة والإنجيل، وهم النّصــارى؛ ومنهم ظالمون كاليهود، ومغالون كـالمسيحيّين. «قُلْ (لهم): يَا أهلَ الكتَابِ! لَسْتُمْ عَلَى شيءٍ حتَّى تُقيمُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ ومَا أُنْزِلَ إليكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ (أي القرآن)... إنَّ الّذِينَ آمَنُوا (من أتباع مــحمّد)، والّذِينَ هَادُوا (أي اليهـود)، والصَّابِئُونَ (فـرقة من اليهـود–المتنصرِّين)، **وَالنَّصَارَى**، مَنْ آمَنَ باللّهِ واليَومِ الآخِرِ، وعَمِلَ صَالِحاً، فلاَ خَوفٌ عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ» (٥/ ٦٨–٦٩).

مـثلهـا: «الَّذينَ آمَنُوا، وَالّذينَ هَادُوا، وَالصَّـابِئِينَ، **وَالنَّصَارَى**، وَالمَجُـوسَ، وَالّذينَ أشْرَكُوا. إنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يومَ القِيامَةِ» (٢٢/١٧).

المقصود هنا، في هذه الآيات: اليـهود الحقيقيّون الذين لـم يحرّفوا التّوراة، ولم يبـدّلوا الكلامَ، ولم يُخـفـوا اسمَ محـمّـد منهـا، ولم يتعـدّوا على شـرع اللّه، والنّصـارى الذين آمنوا بعـيـسى بأنّه نبيّ جـاء يتـمّم ناموس مـوسى، ويصـدّق التّوراة، لا المسـيحيّـون الذينَ غلَوا في قولهم عنه، فـ «قَالُـوا إنَّ اللّهَ هُوَ المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ»، و«قَالُوا إنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ» (٥/٧٢-٧٣).

١٠ . والنتـيجـة الواضـحة والحـاسـمة أنّ الـيهـود والمشـركين، ومعـهم المسيحيّـون المشار إليهم أعلاه، هم أعداء المسلمين، أمّا الـنّصارى فهم «أهل مودّة»، لأنّهم يؤمنون بما جاء في القرآن الذي قال فيهم قولَه المأثور:

«لَتَجِـدَنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَـدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَـهُودَ والَّذِينَ أشْـرَكُوا. ولَتَـجِدَنَّ أقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الذِّينَ قَالُوا **إنَّا نَصَارَى**، ذلكَ بأنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً، وأنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِـرُونَ . وَإذَا سَمِعُـوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ (من القـرآن) تَرَى أعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّـا عَرَفُوا مِنَ الحقِّ. يَقولونَ: رَبَّنَا! آمَنَّا. فاكْـتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بالـلّهِ، ومَا جاءَنَا مِنَ الحَقِّ (أي القـرآن)، وَنَطْمَعُ أنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القومِ الصَّـالِحِينَ . فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِما قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَـارُ، خَالِدِينَ فِيهَا. وَذلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ كَفَـرُوا وكَذَّبُوا بآيَاتِنَا أولَئِكَ أصحَابُ الجَحِيمِ» (٥/٨٢-٨٦).

١٢ . «الَّذِينَ يَتَّـبِعُـونَ الرَّسُولَ النَّـبِيَّ الأُمِّيَّ (أي محـمّداً)، الَّذِي يَجِـدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْـدَهُمْ فِي التَّوراةِ -**وَالإنْجِيلِ**- يَأْمُـرُهُمْ بالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَـاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ، ويُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبَائِثَ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ والأغْلالَ (الشدائد)، الَّتِي كَانَتْ عَلَيهِمْ. فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ (منهم) وَعَـزَّرُوهُ (ووقروه)، ونَصَرُوهُ، واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَـعَهُ (أي القـرآن)، أولئكَ هُمُ المُفْلِحُـونَ ... فَـآمِنُوا باللّهِ ورَسُـولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ باللّهِ وكَلِمَـاتِهِ. وَاتَّبِعُـوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَـدُونَ . وَمِنْ قَوْمِ مُـوسَى أمَّةٌ

يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ. وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتي عَشْرَةَ أسْبَاطاً أُمَماً (أي قبائل). وأوْحَينَا إلَى مُوسَى إذِ اسْتَسْقَاهُ قَومُهُ (في التِّيه) أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ (فضربَه) فَانْبَجَسَتْ (انفجرتْ) مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيناً (بعدد الأسباط). وَظَلَّلْنَا عَلَيهِمُ الغَمَامَ، وَأنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوَى» (٧/ ١٥٧-١٦٠).

يبدو أن كلمة «**وَالإنْجِيل**» مضافة إلى النّص، باعتبار الكلام يدور على «قوم موسى» وتوراتهم وما جاء فيها، من عدد الأسباط، ومعجزة انفجار الماء من الصخر، وتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وما يقوله اليهود بأن لا نبيّ خارج ملّتهم. من هنا تكون كلمة «والإنجيل» مقحمة على النّص. ويكون معنى تعبير«النّبيّ الأمّيّ»، لا الذي يجهل القراءة والكتابة، بل يعني: النّبيّ من الأمَم، أي من غير اليهود.

١٣. «قَاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ ولا باليَومِ الآخِرِ، ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ ورسُولُهُ، وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ (أي اليهود والمسيحيّين)، حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ، عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وقَالَتِ اليَهُودُ: عُزَيرٌ ابْنُ اللَّهِ. وَقَالَتِ **النَّصَارَى** (أي المسيحيّون): المَسِيْحُ ابنُ اللَّه. ذَلِكَ قَولُهُمْ بأفْوَاهِهِمْ (لا مستند لهم عليه. بل) يُضَاهِئُونَ (يشابهون به) قولَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ (أي من آبائهم). قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى (كيف) يُؤْفَكُونَ (يصرفون عن الحقِّ). اتَّخَذُوا أحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أرْبَاباً مِنْ دونِ اللَّهِ، والمسيحَ ابنَ مريمَ. ومَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا إلهاً واحداً. لا إلهَ إلاّ هُوَ. سُبْحَانَه عَمَّا يُشْرِكُونَ ... يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! إنّ كَثِيراً مِنَ الأحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أليمٍ» (٩/ ٢٩-٣٥).

هذه الآيات تقطع المعنى اللاّحق عن المعنى السابق. ثمّ إنّها تقصد اليهودَ والمسيحيّين، لا النّصارى. فاليهود هم الذين قالوا: عُزَيرٌ ابن اللّه؛ وكذلك المسيحيّون هم الذين قالوا : المسيح ابن اللّه. أمّا النّصارى فيقولون بأنّ المسيح نبيٌّ مثل سائر الأنبياء، جاء يتمّم ناموسَ موسى، تماماً كما يقول القرآن.

١٤ . وفي الختام، على الذين اتّبعوا محمّداً أن يسألوا النصارى عن صحّة ما أُنْزل إليهم، وعن جدوى إيمانهم، وعن كلّ ما يجهلون من أمور الدِّين. فالنصارى خير شاهد على كلّ ذلك. لهذا حرّض أتباعَه على السؤال: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون» (٢١/ ٧؛ ١٦/ ٤٣).

١٥ . وعلى محمّد نفسه أن يسأل النصارى، إذا ما شكّ يوماً بما أُنزل إليه، فهم خيرُ مَن دلّه على الإيمان القويم. قال: «فَإِنْ كُنْتَ (يا محمّد) فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيكَ، فَاسْأَلِ الّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ (أي التوراة والإنجيل) مِنْ قَبْلِكَ» (١٠/ ٩٤)، أي النصارى. وعليه أيضاً أن يرجِع إلى ما جاء به الأنبياء والرسل من قبلُ ليتأكّد ممّا أُنْزِلَ إليه. قال: «وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا» (٤٣/ ٤٥).

١٦ . واضحٌ جدّاً، في ما استعرَضنا من آيات، أنّ الشِّقاق بين أهل الكتاب، كبير جدّاً. وكان محمّد يؤيّد النّصارى تأييداً مطلقاً، ويكفّر اليهود والمسيحيّين تكفيراً مطلقاً. وسبب تأييده النّصارى هو أنّه دعا دعوتَهم، وآمن بإيمانهم، وشهد شهادتَهم، وسار بموجب شريعتهم، وعلّم تعاليمَهم، وتدرّب على أيدي قسّيسيهم ورهبانهم، وحضر نقْلَ إنجيلهم، واستشهد به مراراً، واتّبع أسلوبه.

أمّا عداوته لليهود فقد كان سببها الأساسي إنكار اليهود لعيسى، ولنبوّته، وقد همّوا بقتله، لولا تدخّل اللّه الذي نجّاه من أيديهم. وكذلك بسبب رفضهم رسالةَ محمّد ونبوّتَه، معتبرين أنْ لا نبوّة خارج ملّتهم.

١٧ . وما في القرآن عن تكفير النّصارى، يعود إلى إحدى الحالتَين : إمّا إلى إقحام كلمة "النّصارى" حيث يُذكر "اليهود"، وهو من زمن "جمْع القرآن"، والفتوحات، والعداء السياسيّ؛ وإمّا المقصود بهم "المسيحيّون" الذين تعرّف إليهم محمّد في السنة ما قبل الأخيرة من حياته، مع وفْد نجران الذين غَلَوا في المسيح، واعتبروه إلهاً. وفي هاتَين الحالتَين تقوم المشكلةُ كلّها، أي مشكلة الخلط بين «النّصَارى» و«المسيحيّين»، خلطٌ عقّد الأمور، وأضلَّ الباحثين، وأفسدَ موقف الإسلام من المسيحيّة والمسيحيّين، وأبطلَ كلَّ معنى لأيِّ حوار بين المؤمنين.

النُّصَيرِيَّة أو **العَلَوِيَّة** : ١ . في البدء هم فرقة من غلاة الشيعة، ينتسبون إلى محمّد بن نُصَير النميري (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، «باب» الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري، الذي قال، بعد «غَيبة» الإمام الثاني عشر، بأنّ اللّهَ لن يترك المسلمين، بعدَه، «هُملاً من دون مرجع دينيّ»، فالإمام الغائب كالإمام الميت. لهذا نصّب ابنُ نُصَير نفسَه مرجعاً لمَن اتّبعه.

٢ . ثمّ جاء بعده الحسين بن حمدان **الخَصِيْبِيّ**، فعمّق العقيدة، وطوّرها، ووضع لها الكتب والرسائل، وفصلها عن الإسلام فصلاً كاملاً بما وضع لها من معتقدات وتعاليم لا تمتّ إلى الإسلام بصلة :

٣ . فكانت أولى عقائدهم تقوم على مبدأ «ظهور الروحانيّ بالجسماني»، أي على ظهور اللّه في الإنسان، فكان **عليّ** بن أبي طالب هو اللّه الذي ظهر في شخصه، و**محمّد** هو الإسم الذي يدلّ عليه، و**سَلْمان** الفارسي هو الباب الذي يُدخل منه؛ والثلاثة (**ع.م.س.**) هو الثالوث الإلهي عند النصيريّين، محور دينهم، وسرّ أسرارهم، وركن إيمانهم.

٤ . ويقولون أيضاً بالتناسخ، أي انتقال الأرواح من جسدٍ إلى أيِّ جسدٍ آخر، مرّات عدّة، وللامتحان والتطهير. ولهم مواقف عدائيّة من جميع الأديان؛ إلاّ أنّهم يُظهرون مودّتهم لهم تبعاً لمبدأ التقيّة الذي يُظهر غير ما يُبطن، ويأخذون من جميع الأديان ما يحلو لهم من الأعياد والصلوات والاحتفالات، حتّى إنّهم يمارسون الاحتفالات بالقدّاس، وشرب الخمرة، والاعتراف، وما إلى ذلك.

٥ . هذا وقد أضبحت كتبهم مكشوفة، مطبوعة، في «سلسلة التراث العلويّ»، كما هناك ثمّة دراسات عنهم، في مثل كتاب «العلويّون النصيريّون»؛ وقد كشف شيخٌ منهم كثيراً من أسرارهم، وهو سليمان الأذني في كتاب «الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيريّة»، إلى ما هنالك من مراجع بات لا بدّ منها لكلِّ مَن يشاء معرفة أي شيء عن الديانة النصيريّة.

النَّضْر بن الحَارِث : صاحب لواء المشركين ببدر. أُسر. وأمر النبيُّ بقتله.

النَّضِير (بنو) : إحدى القبائل اليهوديّة بالمدينة. امتزجوا بالدم العربي، واتّخذوا أسماء عربيّة. وجمعوا الثروات عن طريق الزراعة وإقراض المال والاتّجار في السلاح والمجوهرات. كانوا موالي الأوس، ينحازون إلى جانبهم في صراعاتهم مع الخزرج.. وكان رئيسهم، حين نكثوا العهد مع النبيّ ونفاهم وصادر أملاكهم، **حُيَيّ بن أخْطَب** الذي أصبحت ابنتُه **صَفِيَّة** زوجاً لمحمّد في سنة ٧ هـ .. ونزل في بني النضير عند إجلائهم سورةُ الحشر بأسرها.

النُّطْفَة : ماء الرجل والمرأة. قال تعالى: «إنَّا خَلَقْنا الإنسانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ» (٢/٧٦). وهي أولى مراحل الجنين، بعدها تأتي **العَلَقَة**، ثمّ **المُضْغَة**. وهي، أي النُّطفة ليست بشيء يقيناً، ولا يتعلّق بها حكم.. ولو ألقت المرأة، بسبب جناية عليها، نطفةً لم يجب على الجاني شيء، أي لا غرّة عليه، لأنّه لم يثبت أن السقط ولد، لا بالمشاهدة ولا بالبيّنة.

النَّطِيْحَة : التي ماتت بنطح الكباش.. حكمها أنّها مَيتة نجسة، يحرَّم أكلُها، لقوله تعالى: ««حُرِّمَت عليكمُ المَيتَةُ والدمُ ولحمُ الخِنزيرِ ومـا أُهِلَّ لغيرِ اللّهِ به، والمُنْخَنِقَةُ، والمَوقُوذَةُ، والمُتَرَدِّيَةُ، والنَّطِيحَةُ، ومَا أكلَ السَّبُعُ، إلاّ ما ذَكَّيتم» (٣/٥).

النَّظَّام (إبراهيم بن سيّار) (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) : متكلّم معتزلي من مدرسة البصرة. درس علم الكلام في مجلس أبي الهُذيل **العَلاَّف**، وسرعان ما انفصل عنه وأسّس مدرسةً مستقلّة.. لقد ضاعت كتاباته، ولكن حُفظت لنا شذرات كبيرة منها وخاصّة في مؤلّفات تلميذه **الجَاحِظ** الذي ذكر في كتابه الحيوان (٣/ ١٤٦): «أنّ الأوائل يقولون في كلّ ألف سنة رجلٌ لا نظير له. فإن كان ذلك صحيحاً فهو أبو إسحاق النظّام».

نِظَامُ المُلْك (ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م) : أشهر وزراء السلاجقة. وزير ألب أرسلان وابنه ملكشاه. تفرّد بالحكم. أنشأ «نظاميّة» نيسابور وبغداد. أقرّ الأمنَ في العراق وفارس. اغتاله الإسماعيليّون. له «سياسة نامه».

النَّظَّام النَّيْسَابُورِيّ (الحسن بن مُحمّد) (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) : مفسّر

اشتهر بكتابه «غرائب القرآن ورغائب الفُرقان». وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي. نشأ في نيسابور. وأصله من قُمّ.

النُّعْمَان الثالث ابن المُنْذِر (٥٨٠-٦٠٢م) : أشهر ملوك الحيرة وآخرهم. مدحه النّابغة الذُّبيانيّ. خلعه كسرى وسجنه في المدائن. عُرف بأبي قابوس. وقيل إنّه صاحب يومَي «البؤس والنعيم». قتَلَ الشاعر عَديّ بن زيد زوج ابنته هند.

النُّعمان بن الحارِث (أبو كُرب) (ت ٥٨١) : من ملوك الغساسنة. مدحه النّابغة الذُّبيانيّ في شعره.

النَّعْي : خبر الموت، أو نداء الداعي، أو الدعاء بموت الميت والإشعار به. النّاعي: الذي يأتي بخبر الموت.. أمّا **النُّدْب** فهو البكاء مع تعديد محاسن الميت بلفظ النداء، كوَاسَيِّداه، واجَبَلاه. و**النَّوح** فهو رفْع الصوت بالبكاء مع رنّة، عن أبي سعيد الخدري: «لعن رسولُ اللّه النائحة والمستمعة»[١]..

يُستحبّ أن يعلم جيران الميت وأصدقاؤه حتّى يؤدّوا حقَّه بالصلاة عليه والدعاء له. فـ «إنّ رسول اللّه نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج بهم إلى المصلّى. وكبّر أربع تكبيرات»[٢]. والوجه في الاستحباب عند ابن قدامة أنّ في كثرة المصلّين على الميت أجراً لهم ونفعاً للميت، وجاء عن النبيّ أنّه قال: «ما من ميت يصلّي عليه أمّةٌ من المسلمين يبلغون مائة كلّهم يشفعون له إلاّ شفعوا فيه»[٣]؛ وقال كذلك: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون باللّه شيئاً إلاّ شفعهم اللّهُ فيه»[٤].

نَعِيْمُ القَبْر : نعيم القبر وعذابه آمن بهما الأشاعرة وأنكرهما المعتزلة. وللمؤمنين بهما أدلّتهم من الكتاب والسنّة. يقول الكتاب: «النَّارُ يُعرَضونَ عليها

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/٤٩٣؛ أحمد في المسند ٣/٦٥.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٣/٢٠٢؛ مسلم ٢/٦٥٦، من حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه مسلم ٢/٦٥٤، من حديث عائشة.

(٤) أخرجه مسلم ٢/٦٥٥، من حديث ابن عبّاس.

غُدُوًا وعَـشِيًـا، ويومَ تقومُ السـاعة. أَدْخِلوا آلَ فِـرعَونَ أشَـدَّ العَذَابِ» (٤٠/ ٤٦)، وقال: «ممَّا خَـطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً» (٧١/ ٢٥)، وقـال: «قَالوا: رَبَّنا! أَمَتَّنا اثْنَتَينِ وأَحْيَيْتَنـا اثْنَتَينِ فَاعتَرَفْنا بذُنُوبِنا» (٤٠/ ١١)، فذكر الحـياة مرّتَين، وهما لا يتحقّقان إلاّ بالحياة في القبر.

أمّا السنّة فعن ابن عـبّاس أنّ النبيّ مرّ بقبـرَين، فقال: «إنّهما لَيُـعذّبان، وما يُعذّبان في كبيـر: أمّا أحدهما فكان لا يستبرئ مـن البول؛ وأمّا الآخَر فكان يمشي بالنميمة. ثمّ دعا بجريدة رطبة، شقّها نصفَين، فقال: لعلّه يُخفِّف عنهما»[١].

النِّفَاس : لغـةً: ولادة المرأة إذا وضعت وتنفّسَ الرحمُ بالولد، فـهي نُفَـسَاء. والنَّفْسُ: الدم. والمنفوس: المولود.. واصطلاحاً: الدم الخـارج عقيب الولادة.. قريب منه **الحَيْض**، وهو دم يلقـيه رحمُ امرأةٍ مـعتـاد حملُهـا دون ولادة، ولا مرض، أو افتضاض، ولا زيادة على الأمد. **والاستحاضة**، هي أن يستمـرّ بالمرأة خروجُ الدم بعد أيّام حـيضهـا المعتاد.. ثبت بالنصّ أنّ الـطهارة منه شرط للصـلاة والصوم.. اتّفق الفـقهـاء على أنّ الدم الخارج بعـد انفـصال الولد نفـاس. واختلفـوا في الدم الخارج قبل الولادة لأجلها.. وقالوا بوجـوب الغسل بعد انقطاع دم النفاس، ودليل وجوبه الإجماع لأنّه لم يرد نصّ من قرآن أو سنّة على وجوبه[١].

النِّفَاق : نافق الرجل: إذا أظهر الإسلام، وأضمـر غير الإسلام؛ والمنافق هو الذي يستر كفرَه ويُظهر إسلامَـه.. حكمه أن يُقتل إذا نطق بكلمة الكفر، أو وُجد منه كفـر، وقامت عليه البـيّنة، ولم يتب قبل الاطلاع عليـه، لقوله تعالى: «جـاهِدِ الكفَّارَ والمُنَافِـقِينَ» (٦٦/ ٩)، وقوله: «إنَّ المُنافِـقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النّار. ولَـن تجدَ لهم نَصيراً إلاّ الذين تابوا وأَصلَحوا واعْتَـصموا باللّه وأَخْلَصوا دينَهم للّهِ. فأولئكَ مع المؤمنينَ. وسـوفَ يُؤْتِ اللّهُ المؤمنينَ أجـراً عَظيمـاً» (٤/ ١٤٥-١٤٦).. واللّه لا

---

(١) راجع مادّة: نعيم القبر، د. جمال رجب سيدبي، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٤٠٨.

(١)فتح القدير ١/ ١٦٥؛ حـاشية الدسوقي ١/ ١٣٠؛ مغني المحـتاج ١/ ٦٩؛ روضة الطالبين ١/ ٨١؛ المغني لابن قدامة ١/ ٢١٠.

يقبل مغـفرتهم إن ماتوا على نِفاقهم: «إن تَسـتَغفِرْ لهم سبعين مـرّةً فلن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهم» (٩/ ٨٠).

النَّفْر: ١ . من نفر نفْراً: هجر وطنه وضـرب في الأرض. ويُقال: نفر الحاجّ من مِنى: دفعوا إلى مكّة؛ ونفر الناس إلى العدوّ: أسرعوا في الخروج لقتاله..

٢ . للحاجّ نفـران ينفر في أيّهمـا شاء، لقوله تعـالى: «واذْكُروا اللَّهَ في أيّامٍ معـدودات. فمَن تَعَـجَّل في يومَين فلا إثمَ عليـه، ومَن تأخّرَ فلا إثمَ علـيه لِمن اتَّقى» (٢/٢٠٣):

٣ . النفر الأوّل، وهو في اليوم الثاني من أيّام التشريق ثالث أيّام النحر، أي الثاني عشر من ذي الحجّة، ويسـمّى يوم النفر الأوّل، وذلك إذا رمى الحاجُّ الجمارَ الثـلاث في اليوم الثـاني من أيّام التـشريق، جـاز له أن ينفـر، أي يرحل إلى مكّة، ويَسقط عنه رميُ اليوم الثالث من أيّام التشـريق والمبيت بمنى ليلته. فإن لم يخرج الحاجُّ من مِنى، فليمكثْ وليبتْ بمنى، وقد وجب عليه رمي الجمار الثلاث في اليوم الثالث من أيّام التشريق، ووجب عليه المبيت بمنى هذه اللّيلة.

٤ . النفر الثاني، وهو في الـيوم الثالث من أيّام التشريق، بعـد رمي الجمار الثـلاث، ويسمّى يوم النفـر الثاني. وبعـد هذا الرمي تنتـهي مناسك منى، ويرحل الحجّاج جميعُهم إلى مكّة، ولا يشرع المكث بمنى بعد رمي هذا اليوم.

٥ . ورد النفر في القرآن في الحثِّ على طلب العلم والجهاد في قوله تعالى: «ومَا كانَ المؤمنونَ لِيَنْفِـرُوا كافَّةً (إلى الغزو). فلولا (فهلاً) نَفَـرَ مِن كلِّ فِرقةٍ منهم طائفةٌ لِيَـتَفَقَّهوا في الدِّين ولِيُنْـذِروا قومَهم إذا رَجَعوا إليـهم لعلَّهم يَحذَرون» (٩/ ١٢٢)، وقوله: «انْفِروا خِـفَافاً وثِقَالاً، وجاهِدوا بأموالكم وأنفـسِكم في سبيلِ اللّه. ذلكم خـيرٌ لكم إن كنـتم تعلمون» (٩/ ٤١). قـال القـرطبي: الآية الأولى أصل في وجوب طلب العلم.

النَّفْس: ١ . هي الذات والحقيقـة، وهي عين الشيء، ومن الجوهر البخاري اللطيف الحامـل لقوّة الحيـاة والحسّ والحركة الإراديّة.. وقـد تطلق على «الروح»،

فيُقال: خرجتْ نفسُه، أي روحُه. وشاع استعمالُ النفس في الإنسان خاصّةً حيث تُطلق ويُراد منها هذا العنصر الروحاني، الذي، مع الجسد، يكوّن شخصَ الإنسان.

٢ . وردت كلمة «النفس» في القرآن ٧٢ مرّة، مفردة ومضافة ومعرّفة ومنكّرة، إضافة إلى مواضع ثلاثة وردت فيها موصوفة بأوصاف معيّنة، هي: النفس الأمّارة بالسوء، والنفس اللوّامة، والنفس المطمئنّة. ولأنّ النفس من عجائب صنع اللّه أقسَم بها فقال: «وَنَفْسٍ ومَا سَوَّاها» (٧/٩١).

٣ . يقول بعض المتكلّمين المسلمين: إنّ النفس ليست جسماً ولا عرضاً حالاً في جسم، وإنّما هي جوهرٌ مجرَّدٌ قائمٌ بذاته غيرُ متحيِّزٍ. وتعلُّقه بالبدن تعلُّق تحريكٍ وتدبيرٍ فقط.. ويذهب بعضهم الآخر إلى أنّ النفس «جسمٌ لطيفٌ»، يَسري في البدن سريانَ الماء في العود الأخضر.. ويقول آخرون: إنّ النفس تحلّ في البدن كما يحلّ العرضُ في الجوهر. ويرى ابن القيّم: أنّ المذهب الصحيح هو أنّ النفس جسمٌ علويٌّ نورانيٌّ، مخالِف للأجسام المحسوسة، ينفذ في الأعضاء، ويَسري فيها سَريانَ الماء في الورد[٢]..

٤ . وفي النتيجة، لا تختلف عقيدةُ المسلمين اليوم عن المألوف عند النّاس في أنّ الإنسان مركّب من عنصرَين: روحاني وجسماني: النفس والبدن؛ وعند الموت ينفصلان بعضهما عن بعض؛ وعند القيامة العامّة تعود النفس لتلتحم بجسدها التحاماً أبديًا، إمّا للنعيم وإمّا للهلاك.

٥ . غير أنّ تعاليم لاهوتيّة معاصرة لا تعير بالاً إلى هذه الثنائيّة، إذ إنّ الإنسان هو كلٌّ لا ينفصل فيه شيء عن شيء، يحيا كلّه ويموت كلّه. وإذا كان ثمّة من قيامة فستكون بسبب عاملٍ خارجيّ يفعل فعله في الإنسان، وهو ما يُدعى في المسيحيّة بـ «روح القدس»، الذي هو وحده، يُقيم، ويُحيي، ويقدِّسُ، ويخلِّص، ويعدّ الإنسانَ للسعادة الأبديّة والحياة الخالدة.

---

(٢) إبن القيّم، في كتابه: الروح، ص ٢٦٦.

النَّفسُ الزَكيَّة (ت ١٤٥هـ/٧٦٢م) : هو أبو عبدالله، محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أحد علماء آل البيت وأئمّتهم. ولد بالمدينة. انحاز إلى صفوف المعارضة الثائرة على بني أميّة. واستقرّ الرأي على إعادة الخلافة إلى إطار الشورى والاختيار والبيعة، وإنهاء مرحلة الانحراف بها إلى الوراثة، وعقدوا البيعة للنفس الزكيّة إماماً وخليفة للمسلمين.. ولكنّ أبا مسلم الخراساني دبّر أمراً آخر، فأفضت الأحداث بنقل الخلافة إلى الفرع العبّاسي بقيادة أبي العبّاس السفّاح، وأجهزت جيوشه على النفس الزكيّة.

النَّفَقَة : واجبة بأحد أسباب ثلاثة هي: النكاح، والقرابة، والملك..

١ . أمّا وجوب نفقة الزوجة فواضح من قوله تعالى: «لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ مِن سَعَتِه. ومَن قُدِرَ عليهِ رِزْقُهُ فلْيُنْفِقْ ممّا آتاهُ اللّهُ» (٦٥/٧)، وقوله: «وعلى المولودِ له رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمَعْرُوف» (٢/٢٣٣)، وقوله: «أَسْكِنُوهنَّ من حيثُ سَكَنتُم مِن وُجْدِكم، ولا تُضارُّوهنَّ لتُضَيِّقوا عليهِنَّ. وإن كنَّ أولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقُوا عليهِنَّ حتّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» (٦٥/٤٦)؛ ولقول النبيّ في خطبته في حجّة الوداع: «فاتّقوا اللّهَ في النساء. فإنّكم أخذتموهنّ بأمان اللّه، واستحللتم فروجهنّ بكلمة اللّه. ولكم عليهنّ أن لا يوطئنَ فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرح. ولهنَّ عليكم رزقُهنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف»[1].

لقد أوجب الإسلامُ، إذاً، إنفاقَ الزوج على زوجته، غنيًا كان أو فقيراً؛ ولم يوجب على الزوجة أن تنفق على نفسها وإنْ كانت موسرة، أو أن تنفق على زوجها بالأولى مِن هذا المال، وإن كان معسراً.. ونفقة الزوجة تشمل: الإطعام والكسوة والسكنى ووسائل النظافة، وأجْرَ الخادم إن كانت ممّن تُخدَم في بيت أهلها.. وكذلك صيانتَها وحمايتَها من التبذّل والامتهان.. وذلك لتتفرّغ لأداء رسالتها المنوطة بها في الحياة.

٢ . وكذلك أوجب الإسلامُ النفقة على ذوي القربى، على والدَيه بنوع

(١) أخرجه مسلم ٢/٨٨٩، من حديث جابر بن عبدالله.

خاصّ، كما أوجب على الوالدَين النفقة على أولادهما[٢].

٣ . وكذلك أيضاً أوجب نفقةَ المالكِ على ما يملك من نساء، وبنين، وخدم، وأرزاق، لأنّها جميعها في ذمّته وفي عهدته.

النَّفْل : من معاني النَّفْل في اللغة: الزيادة، أو ما يفعله الإنسان ممّا لا يجب عليه. وفي الاصطلاح: النّفْل هو العبادة التي ليست بفرضٍ ولا واجب. هي العبادة الزائدة على ما هو لازم. قال الدسوقي: النَّفْل ما فعله النبيّ ولم يداوم عليه، أي يتركه في بعض الأحيان ويفعله في بعض الأحيان[١]. والنَّفْل، عند الشافعيّة: هو ما عدا الفرائض –أي من الصلاة والصوم والصدقة وغيرها– وهو: ما طلبه الشارع طلباً غيرَ جازم، ويعبّر عنه بالسنّة، والمندوب، والحسن، والمرغب فيه، والمستحبّ، والتطوّع. فهي بمعنى واحد..

النَّفَل : جمْع أنْفال (راجع: **أنْفَال**).

النُّفُودُ الكُبْرَى : صحراء واسعة في السعوديّة. تمتدّ شمالي نَجد حتّى الصحراء السوريّة. تتّصل في الجنوب بصحراء النَّفود الصغرى، أو الدَّهناء التي تمتدّ حتّى الرُّبع الخالي.

النَّفي : لغةً: التغريب، والطرد، والإبعاد. وفي الاصطلاح له عدّة معانٍ: ١ – النفي هو التشريد في البلدان والمطاردة والملاحقة؛ ٢ – الحبس والسجن؛ ٣ – الإبعاد إلى بلد آخر مع الحبس فيه.. والنفي ثابت بالكتاب، لقوله تعالى: «إنّما جزاء الذينَ يُحارِبونَ اللّهَ ورسولَه، ويَسْعَونَ في الأرضِ فَساداً أن يُقَتَّلوا، أو يُصَلَّبوا، أو تُقطَّعَ أيدِيهم وأرجُلُهُم مِن خِلافٍ، أوْ يُنْفَوا مِنَ الأرضِ. ذلك لهم خِزيٌ في الدنيا، ولهم في الآخِرةِ عذابٌ عظيم» (٥/ ٣٣). اتّفق الفقهاء على وجوب النفي في ثلاثة أحوال: في حدّ الحرابة، وفي حدّ الزنا لغير المحصَن، وفي التعزير.

---

(٢) راجع مادّة: النفقة، د. عبد الفتّاح محمود إدريس، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٤١٢–١٤١٣.

(١) حاشية الدسوقي ١/ ٣١٢؛ الشرح الصغير ١/ ٤٠١، ط. المعارف.

النِّقَاب : هو القِناع تجعله المرأة على مـارِنِ أنفها تستر به وجهـها. والجمْع: نُقُب. من الألفاظ ذات الصلة: ١ – **الخُمَار** : وهو التغطية والستر، وهو ما تغطّي به المرأة رأسَها. وجمْعه: خُمُر، قـال تعالى: «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ» (٢٤/ ٣١). والفرق بين النقاب والخمار هو أنّ الأوّل غطاء لوجهها، والثاني غطاء لرأسها. ٢ – **الحِجَاب** : وهو الستر، ومـا احتجبتْ به المرأة. وهو سـتر للمرأة جميـعها عن غير المحارم. ٣ – **البُرْقُع** : ما تستر به المرأة وجهها. جاء في لسان العرب: البرقع فيه خرْقان للعـينَين. وكلا النقاب والبرقع غطاء لوجه المرأة. ٤ – **اللِّثَام** : ما تغطّي به المرأةُ الشفـة، أو ما كـان على الفم من النِّقاب. جـاء في لسان العـرب: اللِّثام ردُّ المرأةِ قناعَها على أنْفِها، وردُّ الرجلِ عمامتَه على أنْفه. والفرق بين اللثام والنقاب هو أنّ في النقاب يُستر الوجه عدا العينَين، وفي اللثام يُستر الفم وما دونه.

النَّقْشَبَنْدِيّ (بهاء الدِّين محمّد) (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م): صوفيّ من الكبار من أهل بُخـارى. مـؤسّس الطريقـة النَّقـشـبنديّة المنتـشـرة في الـصين والهند وتركستان وتركيا. قبره في بُخـارى. من كتبه: «الأوراد البهائيّة»، و«سلك الأنوار وهديّة السالكين».

النَّقْض : إفسـاد ما أبرمتَـه من عَقد أو بنـاء أو غيره. فـالنقض ضدّ الإبرام. تتعـلّق به أحكام. منها: ١ – نقض الطهـارة، وتشمل نواقـض الوضوء، والتـيمّم، والمسْح على الخـفَّين؛ ٢ – نقض العـهود، ويـشمل نقض الهـدنة، ونقض الأمـان، ونقض عقـد الذمّة؛ ٣ – نقض الاجتـهاد، أي إذا حكم الحـاكم في قضيّـة، لم يجز النقض إلاّ إذا بان أنّ حكمـه خـلاف نصّ الكتاب أو السـنّة أو الإجمـاع؛ ٤ – نقض القضاء، أي إذا خالف القاضي نصّ الكتاب أو السنّة أو الإجماع.

نَقْلُ الأعْضَاء : «لا تمنع منه الشريـعة الإسلامـيّة، لأنّه من قبـيل التداوي.. وقد وضـعت الضوابط لهـذا النقل، قُصِـدَ بها مراعـاة عدم الإضرار بالمـنقول منه العضو، أو تعريضه للهلاك إذا كان آدميًا حيًا، وعدم التمثيل بجثّته إنْ كان ميتاً»[1].

(١) راجع مادّة: نقْل الأعضاء، د. عبد الفتّاح محمود إدريس، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٤١٤.

النَّقِيْعَة : طعام يتّخذ للقادم من السفر. أمّا **الوَلِيمة**، فهي طعام العرس؛ و**العَقِيقَة**، ما يذبح لأجل المولود عند حلق شعره؛ و**العَذِيرَة**، طعام يُصنع للختان؛ و**الوَكِيرَة**، طعام يتّخذه الرجل عند فراغه من بنيانه؛ و**الحِذَاق**، طعام يُصنع لحفظ القرآن ويُدعى إليه الناس؛ و**الخُرْس**، طعام يُصنع للولادة أي للسلامة من الطلق؛ و**المأدُبَة**، طعام يُصنع بدعوة لأجل أي سبب.

النِّكَاح : ١ . يُطلق على **الوطء** حقيقةً، وعلى العقد مجازاً. أو هو يُطلق على العقد والوطء معاً.

٢ . *النكاح مشروعٌ* بالكتاب والسنّة والإجماع: فمن الكتاب قوله: «فانْكِحُوا ما طابَ لكم من النساء» (٤/٣)؛ ومن السنّة قول النبيّ: «يا معشر الشباب! مَن استطاع منكم الباءة فليتزوّج»[1]؛ وأجمع المسلمون على أنّ النكاح مشروع، وحكمة مشروعيّته: حفْظ النسل، وإخراج الماء الذي يضرّ احتباسه بالبدن، ونيل اللذة. وهذه الأخيرة وحدَها باقية في الجنّة، إذ لا تناسل هناك ولا احتباس[2].

٣ . يتعلّق بعقد النكاح أنواع من المصالح الدينيّة والدنيويّة، من ذلك حفْظ النساء، والقيام عليهنّ، والإنفاق، وصيانة النفس عن الزنا، وتكثير عباد اللّه وأمّة محمّد، وتحقيق مباهاة الرسول كما قال: «تزوّجوا الودود الولود. فإنّي مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[3]. وقد روي عن عمر أنّه كان يقول: "إنّي لأتزوّج المرأةَ وما لي فيها حاجة، وأطؤها وما أشتهيها. قيل له: وما يحملك على هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: حبّي أن يُخرج اللّهُ منّي مَن يكاثر به النبيُّ النبيّينَ يومَ القيامة ".

٤ . «النكاح من سنّتي»، «فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»[4].. «يا معشرَ الشباب! مَن استطاع منكم الباءة فليتزوّج. فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج. ومَن

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٩/١١٢؛ مسلم ٢/١٠١٨، من حديث ابن مسعود.
(٢) أسنى المطالب ٣/٩٨؛ مغني المحتاج ٣/١٢٤؛ مطالب أولي النهى ٥/٦؛ المغني ٦/٤٤٦.
(٣) أخرجه أحمد ٣/١٥٨، من حديث أنس؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٢٥٨.
(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ٠/١٠٤؛ مسلم ٢/١٠٢٠، من حديث أنس بن مالك.

لم يستطع فعليه بالصوم. فإنّه له وَجَاء»[٥].. ومن لا يمكنه الزواج فقد قال تعالى: «ولَيستَعفِفِ الذينَ لا يَجدونَ نكاحاً حتّى يُغنيَهُمُ اللّهُ مِن فضْلِه» (٢٤/٣٣)، أي: يقترض ويتزوّج.

واشتغال ذي الشهوة بالنكاح أفضل من نوافل العبادة. قال ابن مسعود: "لو لم يبقَ من أجَلي إلاّ عشرة أيّام، وأعلم أنّي أموت في آخرها، ولي طَول النكاح فيهنّ، لتزوّجتُ مخافةَ الفتنة". قال أحمد: ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء، ولأنّ مصالح النكاح أكثر من مصالح التخلّي لنوافل العبادة[٦]. فعلَهُ رسولُ اللّه وواظب عليه، بل كان يزيد عليه حتّى تزوّج عدداً ممّا أبيح له من النساء. ولو كان التخلّي أفضل لما فعل.

٥ . ثمّة حقوق مشتركة بين الزوجَين تترتّب على النكاح الصحيح، وهي:

١ – المعاشرة بالمعروف، مثل الصحبة الجميلة، وكفّ الأذى، وذلك لقوله تعالى: «وعاشِروهنَّ بالمعروف» (٤/ ١٩)؛

٢ – إستمتاع كلّ من الزوجين بالآخر، قال النبيّ: «إتّقوا اللّهَ في النساء. فإنّكم أخذتموهنّ بأمان اللّه، واستحللتم فروجهنّ بكلمة اللّه»[٧]؛

٣ – الإرث؛

٤ – حرمة المصاهرة؛

٥ – ثبوت نسب الولد.

٦ . وحقوق *الزوج* على زوجته، منها :

١ – طاعة المرأة زوجها، لقوله تعالى: «الرِّجالُ قوّامون على النساء بما فضّل اللّهُ بعضَهم على بعضٍ وبما أنْفَقوا من أموالِهم» (٤/ ٣٤)، ولقوله: «ولهنَّ مِثْلُ الذي عليهنَّ بالمعروف وللرجالِ عليهنّ درجةٌ» (٢/٢٢٨)؛

---

(٥) أخرجه البخاري، فتح الباري ٩/ ١١٢؛ مسلم ٢/ ١٠١٨، من حديث ابن مسعود.

(٦) كشفاف القناع ٥/ ٦؛ مطالب أولي النهى ٥/ ٥؛ الإنصاف ٨/ ٦–١٥.

(٧) أخرجه مسلم ٢/ ٨٨٩، من حديث جابر.

٢ – تسليم الزوجة نفسها إلى الزوج للاستمتاع بها؛

٣ – عدم إذن الزوجة في بيت الزوج لمن يكره دخوله؛

٤ – عدم خروج الزوجة من البيت إلاّ بإذن الزوج؛

٥ – سفر الزوج بامرأته؛

٦ – خدمة المرأة لزوجها ديانةً لا قضاءً؛

٧ – تأديب الزوج امرأته لنشوزها (ر: ٤/ ٣٤)؛

٨ – الطلاق، أي إنهاء النكاح حقّ للزوج، وهو مشروع بالكتاب والسنّة والإجماع (أطلب مادّة: **الطلاق**).

٧. وحقوق *الزوجة* هي:

١ – المَهر، لقول الكتاب: «وآتُوا النساءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» (٤/ ٤)؛

٢ – النَّفقة، لقوله تعالى: «وعلى المَولودِ له رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف» (٢/ ٢٣٣)؛

٣ – إخدام الزوجة، لأنّ ذلك من المعاشرة بالمعروف التي أمر اللّه بها؛

٤ – القِسْم بين الزوجات، لأنّ ذلك أيضاً من المعاشرة بالمعروف، ولما روي عن النبيّ، قال: «إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يومَ القيامة وشقّه ساقط»[8]؛

٥ – البيات عند الزوجة؛

٦ – إعفاف الزوجة، وذلك بأن يطأها حتّى تعف بالوطء الحلال عن الحرام.

٨. ينتهي النكاح وتنفصم عقدته بأمور، منها:

١ – موت أحد الزوجَين؛

٢ – الطلاق؛

---

(٨) أخرجه الترمذي ٣/ ٤٣٨؛ الحاكم ٢/ ١٨٦، من حديث أبي هُريرة.

٣ – الخلع، وهو فرقةٌ بعِوَضٍ مقصودٍ للزوج، بدليل قوله تعالى: «فإن خِفْتُمْ ألاّ يُقيما حدودَ اللّهِ فلا جُناحَ عليهما فيما افْتَدَتْ بِهِ» (٢/ ٢٢٩)؛

٤ – الإيلاء، وهو إذا أصرّ الزوجُ المُولَى على عدم قربان زوجته بعد المدّة التي حدّدها اللّه بقوله: «للذينَ يُؤْلُونَ مِن نسائهم تَرَبُّصُ أربعةِ أشْهُرٍ. فإن فاءوا فإنّ اللّه غفورٌ رحيم. وإن عَزَموا الطلاقَ فإنّ اللّهَ سميعٌ عليم» (٢٢/ ٢٦٦–٢٢٧)، فإنّ الطلاق يقع بمضي هذه المدّة؛

٥ – اللِّعان، إذا تمّ فإنّه يفرّق بين الزوجين لقول النبيّ: «المتلاعنان إذا تفرّقا لا يجتمعان أبداً»[٩]؛

٦ – إعسار الزوج بالصداق أو بالنفقة للزوجة قبل الدخول، ومنْع تسليم نفسها للزوج حتّى تستوفي معجّل صداقها؛

٧ – الردّة، أي إذا ارتدّ أحد الزوجين حيل بينهما؛

٨ – غيبة الزوج؛

٩ – فوت الكفاءة بين الزوج والزوجة؛

١٠ – التحريم الطارئ بالرضاع؛

١١ – العيب الذي يثبت الخيار في النكاح، ولم يسبق علمه بهذا العيب قبل العقد، ولم يرضَ به بعد اطلاعه عليه..

٩ . ثمّة *أنواع* عديدة *من الأنكحة* نهى الشارع عنها، منها:

١ – نكاح الرايات، وهو أنّ العاهرات والبغايا في الجاهليّة كنّ ينصبن على أبوابهنّ رايات وعلامات ليعلم المارّ بها عهرهنّ. فمن أرادهنّ دخل عليهنّ. واستدلّوا على تحريم ذلك بقوله تعالى: «وذَرُوا ظاهِرَ الإثْم» (٦/ ١٢٠)، ومعنى ظاهر الإثْم، بحسب تفسير القرطبي: ما كان عليه الجاهليّة من الزنا الظاهر..

---

(٩)أخرجه الدارقطني ٣/ ٢٧٦، دار المحاسن، من حديث ابن عمر.

٢ – نكاح الرهط، وهو أنّ النفر من القبيلة كانوا يشتركون في إصابة المرأة، ويكون ذلك عن رضا منها وتواطؤ بينهم وبينها، ويكون عددهم ما دون العشرة.. حتّى إذا جاءت بولد ألحقتْه بمن تريد منهم، فيلتحق به ولا يستطيع أن يمتنع عنه.

٣ – نكاح الاستبضاع، وهو أنّ الرجل، في الجاهليّة، كان يقول لامرأته – إذا طهرتْ من طمثها–: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه. ويعتزلها زوجُها، ولا يمسُّها أبداً حتّى يتبيّن حملُها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه. فإذا تبيّن حملُها أصابها زوجُها إذا أحبّ. وإنّما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد»[١٠].

٤ – نكاح الشِّغار، وهو أن يزوّجَ الرجلُ ابنتَه على أن يزوّجه الآخرُ ابنتَه، وليس بينهما صداق..

٥ – نكاح الخِدْن، والخدن هو الصديق للمرأة يزني بها سرًّا. وحرم اللّه ما ظهر من الزنا وما بطن بقوله: «ولا تَقْرَبوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ» (٦/ ١٥١)، وقوله: «غيرَ مُسافِحاتٍ ولا مُتَّخِذاتِ أخْدَانٍ» (٤/ ٢٥).

٦ – نكاح المتعة، وهو قول الرجل للمرأة: أعطيك كذا على أن أتمتّع بك يوماً أو شهراً أو سنةً أو نحو ذلك، سواء قدّر المتعة بمدّة معلومة، أو قدّرها بمدة مجهولة كقوله: أعطيكِ كذا على أن أتمتّع بكِ موسمَ الحجّ، أو ما أقمتُ في البلد، أو حتّى يقدم زيد. فإذا انقضى الأجل المحدّد وقعت الفرقة بغير طلاق.. لا يقع على المرأة في نكاح المتعة طلاقٌ ولا إيلاءٌ ولا ظهارٌ، ولا يجري التوارث بينهما، ولا لعان، ولا يثبت به إحصان للرجل ولا للمرأة، ولا تحصل به إباحة للزوج الأوّل لمن طلّقها ثلاثاً.. واتّفق الفقهاء على أنّه إن جاءت المرأة بولد في نكاح المتعة لحق نسبه بالواطئ، سواء اعتقده نكاحاً صحيحاً أو لم يعتقدْه، لأنّ له شبهة العقد، والمرأة تصير به فراشاً.. ويحصل بالدخول في نكاح المتعة المصاهرة بين كلّ من الرجل والمرأة وبين أصولهما وفروعهما.

---

(١٠) أخرجه البخاري، الفتح ٩/١٨٢، من حديث عائشة.

٧ – النكاح الموقّت، والفرق بينه وبين زواج المتعة هو بذكرِ التزوّج في الموقّت دون المتعة، وبالشهادة فيه دون المتعة.

٨ – النكاح بنيّة الطلاق. يقول الفقهاء إنّه نكاح صحيح، سواء علمت المرأة أو وليُّها بهذه النيّة أم لا.. وذهب الأوزاعي إلى بطلان هذا النكاح باعتبار أنّه صورة من صور نكاح المتعة.

٩ – النكاح بشرط الطلاق. يقول معظم الفقهاء: هذا النكاح لا يصحّ، لأنّه شرط يناقض مقصود العقد.. ويقول الحنفيّة إنّه صحيح، إذ لو تزوّجها على أن يطلّقها بعد شهر –مثلاً– جاز النكاح، لأنّ اشتراط القاطع يدلّ على انعقاد النكاح مؤبداً وبطل الشرط، كما لو شرط أن لا يتزوّج عليها أو أن لا يسافر بها.

١٠ – نكاح المحلّل، وهو يتأتّى في امرأة طلّقها زوجُها ثلاثاً، فلا تحلّ لزوجها الأوّل إلاّ بشروط هي:

أ. أن تنقضي عدّتُها منه؛

ب. أن يتزوّجها رجلٌ آخر زواجاً صحيحاً؛

ج. أن يدخل بها الزوج الجديد دخولاً حقيقيًا؛

د. أن يطلّقها الزوج الآخر؛

هـ أن تنقضي عدّتها منه.

١١ – نكاح المحرَم، لا يصحّ، سواء كان زوجاً أو زوجةً أو وليًا عقد النكاح لمن يليه، أو وكيلاً عقد النكاح لموكله.. ومن قال أنّه يصحّ، لما رواه ابن عبّاس «أنّ النبيّ تزوّج ميمونة وهو محرم»[١١]..

١٢ – نكاح المريض والمريضة...

١٣ – نكاح السرّ، هو ما لم يحضره الشهود.

١٤ – نكاح المحارم: محرّمات النكاح منها ما هو محرّم حرمة مؤبّدة بسبب

---

(١١) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٣١.

قرابة أو رضاع أو مصاهرة؛ ومنها ما هو محرّم حرمة مؤقتة كالجمع بين الأختين وبين المرأة وعمّتها وبينها وبين خالتها..

١٠ . عيوب *النكاح* :

١ – عيوب الرجال : ١) الجبّ، أي قطع الذَكَر والأنثيين؛ ٢) الخَصاء، أي قطع الأنثيين أو رضّهما أو سلّهما دون الذَكَر؛ ٣) العنّة، أي العجز عن الوطء مع سلامة العضوّ؛ وسمّي بذلك لأنّ الذَكَر يعنّ يمنةً ويسرة، ولا يطأ في الفرج؛ ٤) الاعتراض، أي عدم انتشار الذَكَر.

٢ – عيوب النساء : ١) الرّتق، وهو انسداد محلّ النكاح، بحيث لا يمكن معه الوطء، وربّما كان ذلك لضيق في عظم الحوض أو لكثرة اللحم فيه؛ ٢) القرن، وهو شيء ناتئ في الفرج يسدّه ويمنع الوطء؛ وربما كان ذلك من لحم أو عظم؛ ٣) العفل، وهو رغوة في الفرج تحدث عند الجماع، أو هو ورم في اللحمة التي بين مسلكي المرأة فيضيق به فرجها فلا ينفذ به الذَكَر؛ ٤) الإفضاء، وهو اختلاط مسلك النكاح مع مسلك البول، أو اختلاط مسلك النكاح مع مسلك الغائط؛ ٥) البخر، وهو نتن الفرج، أو نتن الفم.

٣ – عيوب مشتركة :

١) الجنون، وهو آفة تعتري العقل فتذهب به؛

٢) الجذام، وهو علّة يحمرّ منها العضو، ثم يسودّ، ثم ينقطع ويتناثر، ويتصوّر ذلك في كلّ عضو من أعضاء الجسم، إلاّ أنّه في الوجه أكثر؛

٣) البرص، وهو بقع بيضاء على الجلد تزداد اتّساعاً مع الأيّام؛ وربّما نبت عليها شعر أبيض أيضاً، وربما كانت بقعاً سوداء؛

٤) العذيطة، وهي التغوّط عند الجماع، والتبوّل مثله؛

٥) الخناثة، وهي على صورة الرجال وأحوال النساء، أي من له عضو الرجال والنساء معاً، أو هي الاسترخاء والتكسّر والتثنّي.

نُمَيْر بن عَامِر بن صَعْصَعَة : قبيلة عربيّة من هوازن من عَدنان. هجاهم جَرير بشخص شاعرهم راعي الإبل، في بيتٍ صار مثلاً: «فغضٍّ الطرْفَ إنّكَ مِن نُمَيْرٍ فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابا».

النَّمِيمَة : السعي بين الناس بالفتنة والوحشة والضرر بالغير؛ أو هي نقل الكلام عن المتكلِّم به إلى غيره على وجه الإفساد. أو هي: إفشاءُ السرِّ وهتك الستر عمّا يُكره كشفه[١]. وهي كبيرة من الكبائر، لقوله تعالى: «ولا تُطِعْ كلَّ حلّافٍ مَهِينٍ، هَمّازٍ مشّاءٍ بِنَميمٍ» (٦٨/ ١٠-١١)، وقوله: «ويلٌ لكلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ» (١٠٤/ ١)، وقول النبيّ: «لا يدخل الجنّةَ نمّام»[٢].. وقال ابن عبّاس: «الحدث حدثان: حدث اللسان وحدث الفرج، وأشدّهما حدث اللسان»[٣].

نَهْرَوَان : موقع في العراق بين بغداد وواسط. حدثت فيه معركة شهيرة بين عليّ بن أبي طالب والخوارج سنة ٣٨هـ/٦٥٨م.

النَّهْيُ عَنِ المُنْكَر : هو طلب الكفّ عن فعلٍ ما ليس فيه رضا اللّه. وهو من فروض الكفاية التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها، ويأثمون إذا تركوها جميعاً، ويسقط الحرج عن الباقين إذا قام به بعضهم، قال تعالى: «ولْتَكُن منكُمْ أمّةٌ يَدْعونَ إلى الخيرِ ويأمُرون بالمَعروف ويَنهَونَ عن المُنْكَر. وأولئكَ همُ المُفلِحون» (٣/ ١٠٤) (أطلب مادّة: **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**).

النُّوبَخْتي (الحسن بن موسى) (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): صاحب كتاب «فِرَق الشّيعة»، وهو متكلّم وفلكيّ. من أسرة شيعيّة بغداديّة فارسيّة الأصل. أنجبتْ عدداً من المتكلّمين والنقلة والفلكيّين.

نُوح : ١ . هو، عند المسلمين، أوّل الرّسل وثاني الأنبياء بعد آدم. يرد اسمه في القرآن ٤٣ مرّة في سور عديدة ومختلفة، مكيّة ومدنيّة. وهو مثال محمّد في

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ١٠١، من حديث حذيفة.

(٣) النويي في المجموع ٢/ ٦٢؛ رواه البخاري في كتاب الضعفاء.

تكذيب قـومه له: «وإن يكذّبوك فـقد كـذّبتْ قبله قـوم نوح» (٢٢/٤٢)[1]، وقوله: «كذّبت قومُ نوح المرسَلين» (٢٦/١٠٥)

٢ . ونوح نبيٌّ أرسله اللّه إلى قومه بعد أن فشتِ الفـاحشة فيهم، وانهمكوا في اللّهو والمجون، وأكبّوا على شرب الخمور، واتّخذوا الأصنام يعبدونها من دون اللّه، فجاء ليهديهم سواء السبيل، ولكنّهم أبَوا أن يستجيبوا لدعوة الحق..

٣ . أمـره اللّه أن يصنع سفـينةً تحمله مـع المؤمنين وإثنين من كلّ دابّة. ثمّ أوحى إلى السـماء لتـمطر. وفـجّر ينابيع الأرض. وانطلقت الـسفـينة غيـر عابئـة بالأمـواج. وبات الكافرون يصـارعون الموج ويـغالبـون الموت. قال تعـالى: «وهِيَ تَجري بهم في مَوجٍ كالجبـالِ. ونادى نوحٌ ابنَه وكان في مَعْزِلٍ: يا بُنَيَّ! اركَبْ معنا ولا تكنْ معَ الكافرين. قال: سآوي إلى جبلٍ يَعصِمُني من الماءِ. قال: لا عاصِمَ اليومَ منْ أمرِ اللّهِ إلاّ مَن رَحِمَ. وحالَ بينهما الموجُ. فكان مِنَ المُغْرَقِين» (١١/٤٢-٤٣).

٤ . ثمّ أُمـرت السمـاء بحـبس أمطارها، والأرض بابتـلاع مائهـا، ورست السـفينة على جـبل الجوديّ، وحـاق بالكافرين الهـلاك. ونزل نوح ومَن معـه إلى الأرض ليعبدوا اللّه.

نُولْدِكه (تيودور) Nöldeke (ت ١٩٣٠) : من كـبار المسـتشـرقين الألمان. أحسن اللّغات الشـرقيّة، لا سيّما العربيّـة والفارسيّة والعبريّة والسـريانيّة، وعدّة لغات غربيّـة كاليونانيّة واللاّتينيّة والفـرنسيّة والإنكليزيّة والإيطاليّة والإسـبانيّة. واختصّ بدراسة التاريخ الإسلاميّ والآداب العـربيّة. له بالألمانيّة: «تاريخ القرآن»، ترجمه جـورج تامر إلى العربيّة سنة ٢٠٠٥، ومُنع من التداول. وله أيضـاً: «حياة النبيّ محمّـد»، و«دراسات لشعر العرب القـدماء»، وترجمة المعلّقـات. وله بالعربيّة «منتخبات الأشعار العربيّة».

النَّوَوِيّ (محيي الدين) (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) : فقيه شافعي. وُلد في نوى جنوبي دمشق في الجولان. ومات فيهـا دون أن يتزوّج. كتبَ الشرحَ الرئيسي على

---

(١) أنظر أيضاً: ٣٨/١٢؛ ٤٠/٥؛ ٥٠/١٢؛ ٥٤/٩.

صحيح مسلم. وله «كتاب الأربعين»، وشروحه على البخاري، و«منهاج الطالبين».

نُوْيَا (بولس) (ت١٩٨٠) : راهب يسوعي وأديب عراقيّ. اهتمّ بالتراث الصوفيّ الإسلامي. له: «التأويل القرآنيّ واللّغة الصوفيّة»، و«دراسة في شخصيّة ابن عبّاد الرُّنديّ». ونشر مؤلّفات لابن عطاء اللّه والنِّفَّريّ وشقيق البلخيّ، وغيرهم.

النُّوَيْرِيّ (شهاب الدِّين) (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) : أديب مصريّ خدم المماليك. له «نهاية الأرب في فنون الأدب».

النِّيَاحَة : ١ . لغةً: من مصدر ناح ينوح نوحاً ونواحاً ونياحاً، وهي: البكاء بصوت عالٍ، كالعويل. و**النَّائِحَة**: الباكية. وأصل التناوح: التقابل. ومنه: تناوحُ الجبلَين، أي: تقابلُهما. وإنّما سمّيت النساء النوائح لأنّ بعضهنّ يقابل بعضاً إذا نُحْنَ. وكان النساء في الجاهليّة يُقابل بعضُهنَّ بعضاً، فيبكِينَ ويندبن الميت.. ونوح الحمامة: ما تبديه من سجعها على شكل النوح.. واصطلاحاً: البكاء مع ندب الميت، أي تعديد محاسنه؛ أو: رفع الصوت بالندب برنّةٍ أو بكلام مسجّع.

٢ . ذهب الفقهاء إلى أنّ النياحة محرّمة، واستدلّوا على ذلك بقوله: «يا أيّها النبيُّ! إذا جاءك المؤمناتُ يُبايِعْنَكَ على أن لا يُشْرِكْنَ باللّهِ شيئاً، ولا يُسْرِقْنَ، ولا يَزنَينَ، ولا يَقْتُلْنَ أولادَهنّ، ولا يأتِينَ ببُهتانٍ يَفْتَرِينَه بينَ أيدِيهِنَّ وأرْجُلِهِنَّ، ولا يَعْصَيْنَكَ في معروفٍ، فبايِعْهُنَّ واستغفرْ لهنَّ اللّهَ. إنّ اللّهَ غفورٌ رحيم» (١٢/٦٠)؛ وروي أنّ المقصود بقوله: «ولا يَعْصَيْنَكَ في معروفٍ» هو النوح[1].. واستدلّوا كذلك بأحاديث منها ما ورد عن أبي هُريرة قال: قال رسول اللّه: إثنتان في الناس هما بهم كفر (أي كفر بالنعمة): الطعن في النسب والنِّياحة على الميت»[2].

٣ . والحكمة في تحريم النياحة: أنّها مهيِّجة للحزن، ورافعة للصبر، وفيها مخالفة للتسليم للقضاء والإذعان لأمر اللّه. واللّه قد أمر بالصبر، فقال: «يا أيّها

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٣/٥٨٩؛ تفسير القرطبي ١٢/٧٢؛ تفسير الماوردي ٤/٢٢٩.

(٢) أخرجه مسلم ١/٨٢.

الذين آمَنوا! استَعينوا بالصبرِ والصلاةِ. إنّ اللّهَ مع الصابرين» (٢/١٥٣). وروي أن عمر بن الخطّاب سمع نوّاحة بالمدينة ليلاً، فأتى عليها، فدخل، ففرّق النساء، فأدركَ النائحة، فجعل يضربها بالدرة، فوقع خمارُها. فقالوا: شعرُها يا أمير المؤمنين! فقال: أجلْ. فلا حرمة لها. إنّما تأمر بالجزع وقد نهى اللّهُ عنه، وتنهى عن الصبر وقد أمر اللّه به، وتفتن الحيَّ وتؤذي الميتَ، وتبيع عبرتَها وتبكي شجو غيرها. إنّها لا تبكي على ميتكم وإنّما تبكي لأخْذ دراهمكم»[٣].

٤ . حمل جمهور الفقهاء خبر: «إنّ الميتَ لَيُعذَّب ببكاء أهله عليه»[٤] على ما إذا وصَّى بذلك ونُفِّذَت وصيّتُه[٥].

نِيكِلْسُونْ (رينولد ألين) Nicholson (ت ١٩٩٤): مستشرق إنكليزيّ. عالم بالتصوّف الإسلاميّ. أتقن العربيّة والفارسيّة. من كتبه: «متصوِّفو الإسلام»، و«تاريخ الآداب العربيّة». ترجم «المَثنوي» لجلال الدين الروميّ.

النِّيَّة : ١ . لغةً: من مصدر: نوى. وتعني: القصد من فعل شيء من غير تردّد. والمقصود بها تمييز العبادات عن بعضها، وتمييز العبادة عن العادة. واشتراط النيّة يقتضي استحضار الذهن، والتجرّد من شواغل الدنيا، عند العزم على فعلٍ ما. واصطلاحاً: النيّة هي قصدُ الإنسان بقلبه ما يريده بفعله؛ وهي أيضاً العزم: والعزم هو جزم الإرادة بعد تردّد.. العزم، إسم للمتقدِّم على الفعل؛ فيما النيّة هي اسم للمقترن بالفعل. وكلاهما، العزم والنيّة، مرحلتان من مراحل الإرادة.

٢ . إذا كانت العبادة تلتبس بالعادة، أو بغيرها من العبادات، كالغسل، والصلاة، والصيام، والضحايا، والصدقة، والنذور، والكفّارات، والجهاد،

---

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/٥٥٧-٥٥٨، ط. المجلس الأعلى؛ راجع: الكبائر، ص ١٨٤؛ مجموع الفتاوى ٣٢/٢٥١.

(٤) أخرجه البخاري ٣/١٥١؛ مسلم ٢/٦٤٠، من حديث ابن عمر.

(٥) المجموع ٥/٣٠٨؛ البناية شرح الهداية ٢/١٠٤٤، ط. دار الفكر بيروت؛ الاستذكار ٨/٣٣٢؛ كشاف القناع ٢/١٦٣-١٦٤.

والعتق...، فإنّها تفتقر إلى النيّة.. أمّا العبادات، كالإيمان باللّه، والمعرفة، والخوف، والرجاء، وقراءة القرآن، وسائر الأذكار، وأمثال ذلك.. فلا تفتقر إلى النيّة، لأنّها متميّزة للّه بصورتها، ولا تلتبس بغيرها.

٣ . والنيّة هي محطّ نظر اللّه من العبد، قال النبيّ: «إنّ اللّهَ لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[١]. والهمّ بفعل الحسنة حسنة في ذاته، يدل على ذلك قول النبيّ: «مَن همَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كُتبتْ له حسنة»[٢]. والنيّة تعظّم العمل وتصغّره، لقول النبيّ: «نيّة المؤمن خير من عمله»[٣]. وعماد الأعمال النيّات، لقول النبيّ: «إنّما الأعمال بالنِّيَّات»[٤]، وعن أبي هُريرة عن النبيّ قال: «مَن تزوّج امرأةً على صداق وهو ينوي أن لا يؤدّيه إليها فهو زان. ومَن ادَّانَ دَيناً وهو ينوي أن لا يؤدّيه إلى صاحبه، أحسبه قال: فهو سارق»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٨٧، من حديث أبي هُريرة.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ١١٨، من حديث أبي هُرييرة، راجع: إحياء علوم الدين ٤/ ٣٥٢.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٦/ ١٨٥، ط. العراق، من حديث سهل بن سعد، أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٦١، ط. المقدسي.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ١/ ٩؛ مسلم ٣/ ١٥١٥، من حديث عمر بن الخطّاب.

(٥) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢/ ١٦٣، ط. الرسالة، وأورده المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٥٨٦، دار ابن كثير.

هـ

هَابِيْل : ثاني أبناء آدم وحوّاء. قتله أخوه حسداً. لا ذكر لاسمه في القرآن.

هَاجَر : أمّ إسماعيل. مصريّة. كانت أمَةً لسارة، تزوّجها إبراهيم. فولدت له إسماعيل. وعند المسلمين أنّها هرولت بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء لابنها، فنبعت زمزم بأمر اللّه تعالى.

الهَادِي (عليّ بن محمّد الجواد) (ت ٢٥٤هـ/٨٦٨م) : الإمام العاشر عند الشيعة. وُلد في المدينة وتوفّي في سامرّاء.

الهَادِي : اصطلاحاً: عرّفه المالكيّة: دم أبيض يخرج من فرْج المرأة قرب الولادة، عند شمّ الرائحة من الطعام وعند حمْل الشيء الثقيل، لا يوجب الغسل.

هَارُوت ومَارُوت : (راجع مادّة : **الملائكة/أسماء**).

هَارُون : ١ . هارون بن عمران، أخو موسى. ذكره القرآن ٢٠ مرّة. أمر اللّه موسى: «اذْهَبْ إلى فِرعونَ إنّه طَغَى» (٢٠/ ٢٤)، وسأله أن يشدّ عضدَه بأخيه هارون، لأنّه كان صاحبَ فصاحة وبيان، وحجّةٍ وبرهان. «قال: ربِّ! اشرحْ لي صدْري، ويَسِّرْ لي أمْري، واحلُلْ عُقدَةً من لساني، يَفقَهوا قَولي. واجعلْ لي وزيراً من أهلي، هارونَ أخي. أشدُدْ به أَزْري، وأشْرِكْه في أمْري، كي نُسَبِّحَكَ كثيراً، ونَذْكُرَكَ كثيراً. إنَّكَ كنتَ بنا بَصيراً» (٢٠-٢٥-٣٥). وعلّل موسى حاجته لأخيه بقوله: «وأخي هارونُ هُوَ أفْصَحُ منّي لساناً. فأَرْسِلْهُ معي رِدْءًا يُصَدِّقُني» (٢٨/ ٣٤)، فردّ عليه اللّه: «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيكَ ونَجْعَلُ لكما سُلْطاناً» (٢٨/ ٣٥).

ولمّا ذهب موسى لميقات ربّه، استخلف أخاه هارون في قومه، فاستضعفوه، واتّبعوا أمرَ **السَّامِرِيّ** الذي فتنهم بالعجل، فعبدوه، ولم يسمعوا لهارون حين نهاهم عن عبادة العجل، وعكفوا عليه حتّى عاد موسى ورأى سوء

فعلهم، فقام إلى العجل فحطّمه، وألقى الألواح، ثمّ أعادهم إلى رشدهم.

٢. يقول القرآن عن مريم إنّها «أخت هارون» (١٩/٢٨). وهنا يخلط القرآن بين «مريم» أمّ عيسى، و«مريم» أخت هارون وموسى[١]. وهو خلطٌ لا مبرّر له سوى التشابه بالإسم. ووجَد المسلمون لهذا الخلط حججًا وتفاسير عدّة :

١ – فقال بعضُهم: إنّ هارون هذا شخص آخر غير هارون شقيق موسى؛

٢ – وقال آخرون: بل هو هارون أخو موسى، ونُسبتْ مريم إلى أنّها أخته، لأنّها من ذرّيّته. كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري: يا أخا مضر؛

٣ – وقال آخرون: إنّ هارون هذا كان رجلاً فاسقاً معلناً فنسبوها إليه؛

٤ – وقال آخرون: إنّ في هذا التعبير تعظيماً لمريم كتعبير «بنت داود»؛

٥ – وقال آخرون: إنّ هارون كان رجلاً طَيِّباً مؤمناً حين ولادةِ مَريم، يشبِّهون به كلَّ إنسانٍ طيّب مؤمن، فشبّهوها به. فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح؛ لأنّ أهل الصلاح فيهم كانوا يُسَمَّون هارون. وذُكر أنّه شَيَّع جنازتَه يومَ مات أربعون ألف رجل[٢].

هَاشِم بن عَبْد مَنَاف (ت نحو ٥٢٤م) : من سادة قريش في الجاهليّة. من بنيه النبيّ. إليه نسبة الهاشميّين. وفد على الشام في تجارة.. وتوفّي في غزّة.

الهَاشِمِيّ (عبدالله بن إسمعيل) (القرن ٩) : أمير عبّاسيّ. له رسالة إلى **عبد المسيح الكِنديّ** يدعوه فيها إلى الإسلام. وهي من أوائل الأدب الجدلي بين المسيحيّة والإسلام.

---

(١) أنظر: سفر العدد ٢٦/٥٩؛ الأخبار ٥/٢٩.

(٢) «وأوجز أبو جعفر الطبري الذي أورد هذه الأقوال، فقال: «والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله الذي قال لرسوله إلى أهل نجران الذين اعترضوا على تعبير "أخت هارون". قال : "ألا أخبرتهم أنّهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم!"؛ تفسير الطبري على سورة مريم ١٩/٢٨.

هَامَان: وزير فرعون. ذكر معه في القرآن ٦ مرّات: (٢٨/ ٦ و٨ و٣٨؛ ٢٩/ ٣٩؛ ٤٠/ ٢٤ و٣٦). وكانا معاً عدوّين لموسى، يتّهمـانه بالسحر، بسبب ما جاء من بيّنات.

هُبَل: صنم كان يُعبد بمكّة في الكعبة. يُقال إنّ عَمرو بن لحيّ جاء به من مؤاب. وإنّ الذي وضعه في الكعبة كان خُزيمة بن مدركة. ولهذا السبب دعوه «هبل خزيمة». ويروى أنّه كان من عقيق أحمر وعلى صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فجعلت له قريش يداً من ذهب. واستشاره عبد المطلب بالنسبة إلى ابنه عبدالله.. وبعد فتح مكّة كان مصيرُه مصيرَ الأصنام الأخرى، فأزيل من الكعبة وحُطِّم.

الهَجْر: ١ . من هَجَرَ فلانٌ فلاناً: تباعد، وتركه، وأعرض عنه؛ وهجر زوجتَه: اعتزل عنها ولم يطلّقها، كما في قوله تعالى: «واللاّتي تَخافونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ» (٤/ ٣٤)، كناية عن عدم قربهنّ؛ وقوله: «إنّ قَومي اتَّخَذوا هذا القرآنَ مَهْجُوراً» (٢٥/ ٣٠)، أي مهجوراً بالقلب أو بالقلب واللسان؛ وقوله: «وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَميلاً» (٧٣/ ١٠).

٢ . لا خلاف بين الفقهاء في أنّه يحرّم على المسلم هجر أخيه المسلم فوق ثلاث ليالٍ بأيّامها، لقول النبي: «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام»[1].. وقد عدّ ابن تيميّة وابن حجر الهيتمي هجْرَ المسلمِ أخاه فوق ثلاثٍ من الكبائر، لما فيه من التقاطع والإيذاء والفساد، وثبوت الوعيد عليه في الآخرة لحديث: «مَن هجرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ فهو في النار إلاّ أن يتداركه اللّهُ بكرامته»[2].

الهِجْرَة: ١ . هي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام. يبدأ التاريخ الهجري أوّل العام الذي هاجر فيه النبيّ من مكّة إلى المدينة. وكان ذلك في ١٥ أو ١٦ تمّوز عام ٦٢٢م.

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٤٩٢؛ مسلم ٤/ ١٩٨٤، من حديث أبي أيّوب الأنصاري.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٨/ ٣١٥؛ رَ: الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٦٧، ط. القدسي.

٢ . وهي نقطة البداية في التاريخ الإسلامي. و«سبب وضع التاريخ أوّل الإسلام أنّ عمر بن الخطّاب أُتِي بصكٍّ مكتوبٍ إلى شعبان. فقال: أهو شعبان الماضي أم شعبان القابل؟ ثمّ أمر بوضع التاريخ. واتّفقت الصحابة على ابتداء التاريخ من هجرة النبيّ إلى المدينة. وجعلوا أوّل السنة المُحرّم»[١].

وروى ابن عساكر عن الشعبي قال: كتب أبو موسى إلى عمر أنّه تأتينا من قِبَلِكَ كتبٌ ليس لها تأريخ. فأرّخ. فاستشار عمر في ذلك. فقال بعض الصحابة: أرّخ بمبعث النبيّ. وقال بعضهم: بوفاته. فقال عمر: لا. بل نؤرّخ بمهاجَرِه. فإنّ مهاجَره فرَّقَ بينَ الحقِّ والباطل. فأُرِّخ به»[٢]..

٣ . إنّ الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة إلى المدينة انقطعتْ. إلاّ أنّ المفارقة بسبب الجهاد، أو بسبب نيّة صالحة، كالفرار من ديار الكفر، أو البدعة، أو الجهل، أو من الفتن، أو لطلب العلم، باقية غير منسوخة[٣].

٤ . إذا أسلم شخص في دار الحرب، فإنّه تلزمه الهجرة إلى دار الإسلام. وهي واجبة عليه لئلاّ يكثّر سواد الكفّار، وليتخلّص من مخالطتهم ورؤية المنكر بينهم، وليتمكّن من جهادهم، ولأنّه لا يُؤمن أن يميل إليهم، أو يكيدوا له، وليكثّر المسلمين ويعينهم بهجرته إليهم.. غير أنّ النبيّ أذِنَ لقومٍ بمكة أن يُقيموا بها بعد إسلامهم، إذا لم يخافوا الفتنة، وإذا كان في بقائهم خدمة للمسلمين، كما حدث ذلك مع العبّاس عمّ النبيّ.

٥ . و**المهاجرون** هم الذين ذهبوا مع النبيّ: «وَمَن يُهاجرْ في سبيلِ اللّهِ يجدْ في الأرضِ مُراغَماً كثيراً، وسَعَةً (من الرزق). ومَن يَخرُجْ من بيتِهِ مُهاجِراً إلى اللّهِ ورسولِهِ، ثمّ يُدرِكْهُ الموتُ (في الطريق، كما وقع لجندع بن ضمرة اللّيثي) فَقَدْ وَقَعَ (ثبت) أجرُهُ على اللّهِ. وكانَ اللّهُ غَفوراً رحيماً» (٤/ ١٠٠).

---

(١) العقود الدريّة في تنقيح الفتاوى الحامديّة، لابن عابدين ٢/ ٣٣٥، ط. بولاق.
(٢) الشماريخ في علم التاريخ، للسيوطي، ص ٢٣٣.
(٣) الملا القاري، مرقاة المفاتيح ٤/ ١٨٢.

وقد هاجر المؤمنون عندما اشتدّ بهم تعذيب المشركين بمكّة إلى الحبشة مرّتَين.. وكانت الهجرة الكبرى، والتي أذن اللّه فيها لنبيّه بتحقيقها إلى المدينة، ومعه أبو بكر الصدّيق، وفشلت محاولات المشركين في تتبّعه وإعادته.. حتّى وصل إلى المدينة فاستُقبل بفرح المؤمنين، وأقام مسجداً، وآخى بين المهاجرين والأنصار.. وسمّيت بدار الهجرة..

ثمّ صارت الهجرة إلى المدينة من سائر الأنحاء التي بلغها الإسلام تقويةً للدولة إلى أن قال النبيّ بعد فتْح مكّة ودخول الناس في دين اللّه أفواجاً: «لا هجرةَ بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة. وإذا استنفرتم فانفروا».

٦. والهجرة، بالعموم، هي الخروج من **دار الكفر**، إلى **دار الإسلام**.

٧. واختلف الفقهاء في مسألة أصل الهجرة، هل هي باقية؟ أم أنّها نُسختْ: فقال بعضهم: إنّها نُسختْ، أي انقطع حكمها، لقوله: «فلا تتّخذوا منهم أولياء حتّى يُهاجِروا في سبيل اللّه» (٤/ ٨٩)، أي إنّ الهجرة كانت فرضاً إلى أن فُتحتْ مكّة، فنُسختْ ولم تعد فرضاً أو واجباً.

وقال آخرون: إنّ حكم الآية المذكورة ثابت في كلّ مَن أقام في دار الحرب. لقد كانت فرضاً على عهد رسول اللّه، واستمرّتْ بعده لمن خاف على نفسه. فالهجرة، في رأي هؤلاء، لم تُنسخ، ولم تنقطع لقول رسول اللّه: «لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة. ولا تنقطع التوبة حتّى تطلع الشمس من مغربها»[٤]. وكذلك روى سعيد وغيره أنّ النبيّ قال: «لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد». ويكون معنى القول: «لا هجرة بعد الفتح»، أي لا هجرة بعد الفتحِ من بلدٍ قد فُتح.

الهَجْوِيْرِيّ (أبو الحسن علي) (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) : عالم من علماء الصوفيّة في القرن الخامس الهجري. ولد في مدينة غزنة بالهضبة الأفغانيّة، ولقّب بالهجويري نسبة إلى هجوير من توابع غزنة. له كتاب «كشف المحجوب»

---

(٤) رواه أبو داود عن معاوية.

الذي يخبرنا عن القليل من حياته، وخاصّة عن سلوكه طريق التصوّف. أسهم في تحوّل عدد كبير من سكّان لاهور إلى الإسلام، وظلّ يبشّر به حتّى وفاته في لاهور. دفن فيه ولا يزال قبره بها داخل مزار يعرف بمزار «داتا كنج بخش»، وهو الإسم الذي يعرف به الهجويري في الهند وباكستان.

وكتاب «كشف المحجوب» يعتبر أقدم مؤلف في التصوّف باللغة الفارسيّة، وأوّل كتاب منظم في الأصول النظريّة والعمليّة للتصوّف. فيه كلام على أصول التصوّف، وتراجم لأئمّة وشيوخ الصوفيّة، وأقوال الصوفيّة ورموزهم والفرق الصوفيّة والعقائد الدينيّة والعبادات والمعاملات ورسوم الصوفيّة وتقاليدهم.

وقد أفاد الصوفيّة الفرس من كشف المحجوب، وعلى الأخصّ فريد الدين العطّار في كتابه تذكرة الأولياء، وعبد الرحمن الجامي في كتابه نفحات الأنس.

الهَدْر : مِن هدر الدم هدراً: أباحه. والنفس الهدر: التي لا قود فيها ولا دية ولا كفّارة. وهو ضدّ **العِصْمة**.. بم الإنسان معصوم إلاّ في حالات. منها:

١ . المرتدّ: تُهدر دمه، لقول النبي: «لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنّي رسول اللّه إلاّ بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيّب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[1]، ولقوله: «مَن بدّل دينَه فاقتلوه»[2]؛

٢ . المبتدع بدعة مكفّرة: هذا يُهدر دمه لكفره

٣ . الكافر الحربي: وهو غير الذمّيّ والمُعاهد والمؤمَّن، مهدَر إذا كان مقاتلاً. أمّا إذا كان غير مقاتل، كالنساء والصبيان والعجزة والرهبان وغيرهم فلا يجوز قتله، إلاّ إذا اشترك في حرب ضدّ المسلمين، أو أعانهم برأي، أو تدبير، أو تحريض، لحديث: «لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة»[3]؛

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٢/ ٢٠١؛ مسلم ٣/ ١٣٠٢-١٣٠٣، من حديث ابن مسعود.
(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٢/ ٢٦٧، من حديث ابن عبّاس.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣٨٣، ط. السلفيّة، من حديث أنس بن مالك.

٤ . الزاني المحصن: يهدر الإمامُ، أو نائبُه، دمَه. أمّا غيرهما فيعزر، لافتياته على الإمام، لا للقتل.

الهُدْنَة : هي الصلح على ترك القتال مدّةً معيّنة؛ أو هي عقد على ترك القتال مع غير المسلمين مدّة معيّنة ومعلومة بقدر الحاجة. وتسمّى: موادعة، معاهدة، مسالمة، مصالحة.. والفرق بين الهدنة وعقد الذمّة هو أنّ الأولى أمان موقت؛ والثانية عقد مؤبّد.. يُشترط في صحّة عقد الهدنة شروط، وهي:

١ . الإمام أو نائبه، لما فيه من الخطر، ولأنّ النبي هادن بني قريظة بنفسه[1]، وهادن قريشاً بالحديبيّة عشر سنين بنفسه[2]، وأمّن صفوان بن أميّة عام الفتح بنفسه[3]، ولأنّ الإمام أعرف بمصالح الأمور من أشتات الناس، ولأنّ تجويزه لغيره يتضمّن تعطيلَ الجهاد..

٢ . المصلحة للمسلمين، لقوله تعالى: «فلا تَهِنُوا وتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأنتمُ الأعْلَونَ. واللّهُ معكم ولن يَتِرَكُم (ينقصكم) أعمالكم (أي ثوابَها)» (٤٧/ ٣٥).. وإن لم تدع إلى عقدها حاجة فلا يجوز عقدها بالاتفاق.

٣ . تعيين مدّة الهدنة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الهدنة لا تنعقد مطلقةً، لأنّ إطلاقها بلا تحديد مدّتِها يؤدّي إلى ترْك الجهاد.. والمدّة تتحكّم بها مصلحة المسلمين.

٤ . خلوّ عقد الهدنة عن شرط فاسد، كأن يهادن الإمام على خراج يضربونه على بلاد المسلمين، أو على مال يحمله الإمام إليهم، أو على ردّ ما غنم من سبي ذراريهم، أو على دخول الحرم، أو استيطان الحجاز، أو على ترك القتال أبداً، أو على ألاّ يستنقذ أسرانا منهم، وردّ مَن جاء مسلماً من الكفّار.. إلاّ أنّه يجوز، عند الضرورة، عقد الهدنة بشرطٍ محظور، كبذل المال للكفّار.

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٤٠٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٢٥، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٥٤٤، من حديث ابن شهاب.

الهَدْي : ١ . هو ما يُهدَى إلى الحرَم من الإبل والبقـر والغنم؛ تُقدَّم أضحيّة في عيد الأضحى، وبالـتحديد تقرّب إلى اللّه في أيّام النحر بشرائط مـخصوصة.. يُستــحبّ لمن قصد مكّة، بحجٍّ أو عـمرةٍ، أن يهدي هدْياً من الأنعــام، وينحرَه هناك، ويفرّقَه على المساكين الموجودين في الحرم..

٢ . سَوْقُ الهَـدْي من شعائـر اللّه ومعالم النسك، لهـذا يُستـحبُّ للحاجّ أن يسوق هديه من بلده، فإن لم يفعل فـشراؤه من الطريق أفضل من شرائه من مكّة، ثمّ من مكّة، ثمّ من عرفات، فإن لم يسقه أصلاً، بل اشتراه من مِنى جاز.

٣ . ذهب الفقـهاء إلى أنّه يحرّم بيــع شيء من لحم الهدْي وجِلده وشحـمه وغير ذلك من أجزائه، سواء كان الهـدي واجباً أو تطوّعاً.. ولا يجوز ذبْح الهدايا إلاّ في الحرَم. ويجوز للمُهدي أن يتصدّق بها على مساكين الحرَم.. ولا يجوز للمُهدي أن يأكل من هدايا الكفّارات والإحصار، ويجب عليه التصدّق بلحمها بعد الذبح..

٤ . اختلف الفقهاء في وقت ذبح الهـدي، أهو قبل يوم النحر، أو أيّام النحر الثلاثة، أو أنّه لا يخـتصّ بزمان فيجـوز ذبحه في أي وقت شاء (الحنفـيّة)، أو أنّه يختصّ بيوم النحر وأيّام التشريق الثلاثة (الشافعيّة).. واتّفقوا على أنّ دماء الهدْي –عدا الإحصار– يختصّ جواز إراقتــها بالحرم. ولا يجوز ذبح شـيء منها خارجه، لقوله تعـالى: «هدْياً بَالِغَ الكعبةِ» (٥/ ٩٥)، وقـوله: « ثمّ مَحِلُّها إلى البيتِ العـتيقِ» (٢٢/ ٣٣)، ولقول النبي: «نحرت هـهنا. ومِنى كلُّها منحر، فانحروا في رحالكم»[١]، وقوله: «كلّ فجاج مكّة طريق ومنحر»[٢].. وأفضل بقاع الحرم للنحر في حقّ الحاجّ مِنى، وفي حقّ المعتمر مكّة.

الهَدِيّة : هي تمليك عين مــجّـاناً، بلا عوض مع النـقل إلى مكان الموهوب له إكراماً. وثمّة ما يجمع بين الهديّة والأمور التالية، وهو تمليك العين بلا عوض :

١ – فإنْ ملّك محتاجاً لطلب ثوابِ الآخرة فهي **صَدَقة**؛

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ٨٩٣، من حديث جابر بن عبدالله.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٤٧٩؛ الحاكم ١/ ٤٦٠.

٢ – وإن نقلها إلى مكان الموهوب له إكراماً له فـ**ـهديّة**؛

٣ – وإن ملّكه بدون طلب الثواب ولم ينقل إلى مكان الموهوب له فـ**ـهِبَة**.

والهبة أعمّ من الهديّة والصدقة. وكلّ من الهديّة والصدقة هبة، ولا عكس؛

٤ – وكلا **الوصيّة** والهديـة تبرّع بما ينتـفع به بلا عوض، إلاّ أنّ الوصـيّة تضاف إلى ما بعد الموت؛ والهديّة تنفّذ حالاً.

٥ – **والوقف** هو حبس مـال يمكن الانتفاع به مع بقاء عـينه.. إلاّ أن الهديّة تمليك عين؛ فيما الوقف تمليك منفعة مع بقاء العين على ملك الواقف.

٦ – **والعارية** إباحة الانتفاع بما يحلّ الانتفاع به مع بقاء عينه. والصلة بين الهديّة والعارية: أنّ الهديّة تمليك عين بلا عوض؛ والعارية تمليك منفعة بلا عوض.

٧ – **والرُّقْـبَى** هي أن يُعطـي الرجلُ إنسـانـاً داراً أو سـواها، ويقـول له مشارطاً: إن متُّ قبلكَ فهي لك، وإن متَّ قـبلي رجعتْ إليّ. وقد سُمّيت بذلك لأنّ كلَّ واحد منهـما يَرْقُب مـوتَ صاحبـه.. والصلة بين الهديّة والرُّقْبى: أنّ الـهديّة تمليك على التأبيد؛ والرقبى تمليك مدّة حياة أحدهما.

٨ – **والعُمْرَى** هي ما يجعله إنسانٌ لكَ طولَ عمرك أو عمرِه، بشرط رجوع الدار الى المعـمِر، أو لورثتـه، إذا مات المعـمِر والشـخص المعمـر له. والعلاقـة بين العمـرى والهديّة: أنّهما تمـليك شيء بلا عوض، لكنّ الهديّة غـير مؤقّتـة بزمن ما، والعمرى تتوقّت بحياة الموهوب له.

هُذَيْل بن مُدْرِكَة : قبيلة عـربيّة عدنانيّة. اشتـهرت بشعرائهـا في الجاهليّة والإسلام.

هَرْتْمَان (مرتين) Hartmann (ت ١٩١٨) : من أئمّة مـستـشرقيّ الألمان. أنشأ مجلّة «عالم الإسلام» سنة ١٩١٣. له مؤلّفات في تاريخ العرب.

هِرَقْل الأوّل أو **هيراكـليوس** (٦١٠–٦٤١) : أمـبراطور بيـزنطيّ. قـاهر الفرس. احـتلّ تبريز واسـتردّ عـود الصليب (٦٢٢–٦٢٩). فشل في وقف الـفتح

الإسلامي فتخلّى عن سورية وفلسطين وما بين النهرين ومصر (٦٣٤-٦٤٢). خلفه **هرقل الثاني** ابنه من زوجته الثانية، إبنة أختِه مرتين. ملك أشهراً قليلة.

هِرْمَن : راهب دلماتيّ. ساهم في نقل القرآن إلى اللاّتينيّة. أنهى ترجمة المجريطي لكتاب بطليمس في الجغرافية سنة ١١٤٣.

الهِلاَل : هو ما يُرَى من المضيء من القمر أوّل ليلة.. جعل الشارع الأهلّة مواقيت للناس يؤقّتون بها معاملاتهم وأوقات عباداتهم: كالحجّ ومناسكه (رَ:٢/ ١٨٩)، والصوم (رَ:٢/ ١٨٥)، والفطر، وعيد الأضحى؛ وغيرها ممّا يترتّب عليه آثار شرعيّة: كعدّة النساء (رَ: ٢/ ٢٣٤)، والحَيض (رَ: ٦٥/ ٤)، ومدّة الحمل، والرضاع (رَ: ٢/ ٢٣٣)، والأيمان كمدّة إمهال الإيلاء (رَ:٢/ ٢٢٦)، ومدّة كفّارتَي الظهار والقتل بالصوم.

هِلاَل بن عَامِر : قبيلة عدنانيّة. أبطال القصّة المعروفة بسيرة بني هِلال. وهي قصّة شعبيّة لاقت رواجاً واسعاً في العالم العربيّ منذ القرون الوسطى.

هَمْدَان : قبيلة قَحطانيّة يمانيّة من كَهلان.

الهَمْدَانِيّ (إبن الحائك الحَسَن) (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) : مؤرّخ وشاعر. وُلد بصنعاء. عالم بالأنساب. له كتاب «الإكليل» في أنساب حِمير وملوكها، في ١٠ مجلّدات؛ و«صفة جزيرة العرب»، ويعتبر أوّل عمل علمي جغرافي في محيط العالم الإسلامي؛ و«ديوان شعر».

الهَمْدَانِيّ (القاضي عبد الجبّار) (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م) : معتزليّ شافعيّ أصوليّ. وُلد ونشأ في بغداد. وظلّ بها حتّى استدعاه إليه الصاحب بن عبّاد وزير مؤيّد الدولة، الذي كان من غلاة المعتزلة، فذهب إلى هناك وجعله قاضي الولاية. وعيّنه قاضياً لقضاة الريّ. وعزله فخر الدولة من منصبه بعد أن صادر ممتلكاته هو وجميع مَن كانوا على علاقة بالصاحب بن عبّاد. ثمّ جال في البلاد. أهمّ كتبه: «المغني في أبواب التوحيد والعدل» الذي يعتبر أكبر موسوعة كلاميّة عن المعتزلة، يقع في ٢٠ جزءاً، وقد تكفّل مجمع اللغة العربيّة بتحقيقه ونشره، حصل عليها من

مكتـبات اليـمن. وله أيضاً: «تثـبيت دلائل النبـوّة»؛ و«شرح الأصـول الخمـسة»؛ و«تنزيه القـرآن عن المطاعن»؛ و«طبـقات المعـتزلة»؛ و«كـتاب المجـموع في المحـيط بالتكليف»؛ و«دلائل نبوّة محمّد»؛ و«متشابه القرآن»؛ وغيرها.

الهَمَذانيّ (بديع الزمان) (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٨م) : شاعـر وكاتب. اشتـهر بكتابَيه: «الرسائل» وهي مجمـوعة رسائل من ٢٣٣ رسالة. في الرسالة رقم ١٦٧ يصف الهمذاني انـتشار الزندقة الشيـعيّة؛ و«المقامات» في اللّغـة والعلم والتاريخ وحيل الشحّـاذين واللصوص والدين والمواعظ وأعاجيب الشـعر. يبلغ عددها ٤٠٠ مقامة، بقي منها ٥١ مقامة. عنه أخذ الحريري أسلوب مقاماته. تُوفّي في هراة.

الهِمْيَان : كيس تجعل فيه النفقة ويُشَدّ على الوسط. وجمْعه: هَمَايِين.. ذهب الفقهـاء إلى أنّه يجوز للمحرم أن يشـدّ الهِمْيان في وسطه، لحـديث ابن عبّاس عن النبيّ «أنّه لم يرَ للمحرم بأساً بأن يعقد الهِميان على وسطه وفيه نفقته»[1].

هِنْد (ت بعد ٦٠٢م) : بنت النُّعمان الثالث، ملك الحيرة اللّخميّ. ترهّبتْ بعد مقتل زوجها الشاعر عَديّ بن زَيد، وبنَتْ ديراً عُرف باسمها.

هِنْد بنت عُتْبَة (ت ١٤هـ/ ٦٣٥م) : صحابيّة. أمّ مُعاوية.

الهِنْدُوسيّة : ١. دينٌ يعتنقه معظم سكّان الهند، وقـد أطلق عليها ابتداءً من القرن الثامن ق.م. اسم البرهمـيّة، نسبة إلى براهما، وهو القوّة العظيـمة السحريّة الكامنة التي تتطلّب كثيراً من العبادات..

٢ . ليس للهندوسـيّة مـؤسّس يمكن الرجوع إليـه كمـصدر لـتعالـيمـها وأحكامها. فهي مجموعة مـن التقاليد والأوضـاع تولّدت من تنظيم الآريّين لحياتهم جيلاً بعـد جيل بعدما وردوا على الهنـد.. والهندوسيّة أسلوب في الحيـاة أكثر ممّا هي مجمـوعة من العقائد.. كـتابُها المقدس هو «الفـيدا»... وبلغ تعدّد آلهتـهم مبلغاً كبيراً، إذ يوجد لكلّ ظاهرة طبيعيّة تنفعهم أو تضرّهـم إلهٌ يعبدونه..

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/٣٩٧؛ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٢.

٣ . من معتـقداتهم الأساسيّة: ١ - التناسخ، أي انتقـال الأرواح من جسدٍ إلى آخر، سواء أكان في الإنسان أو في الحيـوان حتّى تصل إلى هدفها الأخير وهو اندماجـها في «براهمـا» كما تندمج قطرة الماء في المحـيط؛ ٢ - كارمـا، وهي تقوم على أسـاس أنّ كلّ عـملٍ له ثمـرته، وأنّ كلّ شيء يكتـسبـه الإنسـان في كلّ طورٍ تحدّده الأعـمال التـي يقوم بهـا في الوجود السـابق؛ ٣ - نظام الطبقـات: الكهنة، والمحاربين، والتجّار، والخدم. ولا يحقّ لطبقة أن تختلط بأيّة طبقة أخرى.

هَوَازِن : قبـيلة عربيّـة من قَيس عَـيلان من العـدنانيّة، أخت سُلَيم. أشـهر بطونها: سَعد بن بَكر، وثَقيف، وعامِر بن صَعصَعَة وفروعها.

هُوْد : نبيّ من أنبياء اللّه عند المسلمين. يحدّثنا القرآن أنّه ظهر في قوم **عَاد**. وقصّـته واردة في: الأعراف وهود والشعـراء والأحقاف والحجـرات. يُقال إنّه أخ لعاد، أو أيضاً إنّه هو «عـابر» المذكور في التوراة والجدّ الأعلى للعـبرانيّين. ويُدعى ابن عابر في مـرجع آخر. ويُقال إنّه كان في نـفس مركز محـمّد في مكّة، أي إنّه لم يجد من قـومه غيرَ الكفـر. وكان أتباعُه قلـيلين. ولذلك عذّب اللّه قومَ عاد فـأمسك المطرَ عنهم ثلاث سنين.. هؤلاء كفروا ولم ينج منهم إلاّ هود والمؤمنون معه.

يرد اسـمـه في القـرآن **٧** مرّات (٧/ ٦٥؛ ١١/ ٥٠ و٥٣ و٥٨ و٦٠ و٨٩؛ ٢٦/ ١٢٤). وثمّة سورة، رقم **١١** باسم «هود».

هُوْلاَكُو (ت ١٢٦٥): فاتح مُـغوليّ ومـؤسّس دولة المُغول الإيلخـانيّة في إيران ١٢٥١. حـفـيد جنكيـزخان. قطـع نهر أمـودريا. وأخـضع أمـراء الفـرس والإسماعـيليّة في **أَلَموت** ١٢٥٦. قضى على الخـلافة العبّاسيّـة في بغداد ١٢٥٨، واحتلّ سورية. عاد إلى إيران بعد موت أخيه منكو. هاجم المسلمون جيشَه في عين جالوت وأبادوه ١٢٦٠. ثمّ خلفه ابنه أباقا.

الهَـيْثَـمِيّ (نور الدين عليّ) (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) : مـحدّث، حـافظ. وُلد وتُوفّي بالقـاهرة. من مصـنّفاته «مـوارد الظمآن فـي زوائد صحـيح ابن حيّـان»، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد».

و

وأدُ البنَات : ١ . هو قـتل البنات أطفالاً، ودفـنهنّ في الرمال،لأنّ الأنثى قـد تسبّب المشـاكل والعوز لأهلها.. إلاّ أنّ بعض البـاحثين رأوا أنّ قصّة وأد البنات لم تكن متفشّية في كلّ القبائل العـربيّة، ولا حتّى في قبائل معيّنة، وإلاّ لانقرضت تلك القبائل؛ وربّما انقرض العرب كلّهم منذ أمد بعيد قبل ظهور الإسلام لو كانت العادة متفشّية فيهم وقتلوا بناتهم وهنّ صغار.

٢ . ربّما كان هناك بعض الرجال ممّن يقتلون بناتهم خـشية إملاق (فقر)، ولم يكن قتل الأطفـال محصـوراً على البنات فقط؛ بل كانوا يقـتلون الأولاد كذلك، كمـا يبيّن لنا القـرآن في الآية ٣١ من سورة الإسراء: «ولا تقـتلوا أولادكم خشـية إملاق. نحن نرزقهم وإيّاكم. إنّ قتْلَهم كان خطأً كبيراً».

٣ . فـقتْل الأولاد والبنات كـان يقـوم به بعض الأشـخاص خـوف الفقـر والإملاق. وقد رأينا أنّ أحدَ الأحناف، وهو زيد بن عَمرو بن نفيل بن عبد العُزّى من قريش، كان يقـول للرجل إذا أراد وأْدَ ابنته: «مهْلاً. لا تقـتلْها. أنا أكفيك مـؤونتها». وكان الأب يعطيه ابنتَه. وهذا يدلّ على أنّ الوأد كان بسبب الفقر، وليس لأنّهم كانوا يستـاءون من البنات. ولو كـانوا يستـاءون من البنات لما جعلوا آلهـتَهم إناثاً مـثل اللاّت والعزّة ومناة، ولما سمّوا الملائكة بأسماء الإناث كما يخبرنا القرآن.

٤ . وكذلك تخبرنا كتب السيرة أنّ الجـاهليّين كانوا يتزوّجون عشر نساء، أو أكثر، حتّى جـاء الإسلام، وحدّد عدد الزوجات بأربع. فلو كان هذا صـحيحاً من أين أتوا بكلّ هؤلاء النسـاء حتّى يسـتطيع الرجل منهم أن يتـزوّج عشـر نساء، إذا كانوا يقتلون بناتهم عند الولادة؟

٥ . المنطق يخبرنا أنّهم إذا وأدوا بناتـهم فسيكون عدد الرجال أكبـر بكثير من عدد النساء، وبالتالي قد يكون مـن نصيب المرأة الواحدة عدّة رجال. ولكن، بما

أنّ عدد النساء كان كبيراً، فقد تيسّر لبعضهم أن يتزوّج عشر نساء. فإذاً، وأد البنات، إذا حدث، كان محصوراً في جيوب صغيرة فقط، وكان بسبب الفقر.

الوَاثِقُ بِاللّه : خليفة عبّاسي (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م). شُغل بالاختلافات الكلاميّة، وناصر المُعتزلة، وامتحن الناس في خَلْق القرآن.

الوَاجِب : مِن وجب يجب وجوباً: لزم. والواجب هو ما لزم بدليل فيه شبهة؛ أمّا **الفَرْض** فهو ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه.

الوَاحِدِيّ (أبو الحَسن عليّ) (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) : مُفسّر ولغويّ من أهل نيسابور. من آثاره: «الوجيز» في تفسير القرآن، و«شرح ديوان المتنبيّ».

وَادِي القُرَى : منخفَض في الحجاز بين العُلا والمدينة. فيه آثار الحِجر وديار بني ثمود.

وَادِي مُحَسِّر : هو موضع فاصل بين **مِنى** و**مزدلفة**. سمّي محسّر لأنّ فِيل أبرهة كلَّ فيه وأعيا، فحسر أصحابه بفعله، وأوقعهم في الحسرات. ويسمَّى أيضاً وادي النّار لأنّ رجلاً صاد فيه فنزلت عليه نار فأحرقتْه.. أوّل محسِّر من القرن المشرف من الجبل الذي على يسار الذاهب إلى مِنى، وآخره أوّل مِنى.

تتعلّق بوادي محسِّر أحكام. منها:

١ - إسراع الحاجّ في سيره عند بلوغه وادي محسِّر، وذلك، كما يقول الفقهاء، لأنّ النصارى، أصحابَ الفيل، كانوا يقفون فيه، قاصدين هدم الكعبة، فأمر النبيّ المسلمين بمخالفتهم؛

٢ - دعاء المارّ بوادي محسّر كما كان يقول عمر عند المرور فيه: «إليكِ تعدُو قلقاً وضينها/ مخالفاً دينَ النصارى دينُها»[1]، ومعناه: أنّ ناقتي تعدو إليك مسرعة في طاعتك قلقاً وضينها (والوضين حبل كالحزام) من كثرة السير والإقبال التام والاجتهاد البالغ في طاعتك..

---

(١) أخرجه الشافعي في الأم ٢/ ٢١٣، نشر دار المعرفة؛ البيهقي في السنن ٥/ ١٢٦.

٣ - عدم الوقوف بوادي محسِّر، وهو كبطن **عرنة في عرفة**، لقول النبي: «عرفة كلّها موقف، وارفعوا عن بطن عرنة؛ والمزدلفة كلّها موقف، وارفعوا عن بطن محسِّر»(٢).

وَاصِل بن عَطَاء (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) : رأس متكلّمي المُعتزِلة. إليه تُنسب «الواصليّة». وُلد بالمدينة، وانتقل إلى البصرة حيث اتّصل بالحَسَن البَصريّ وعَمرو بن عُبَيد. هو الذي نشر مذهب «الاعتزال» في الآفاق. من تصانيفه: «معاني القرآن»، و«أصناف المُرجئة»، و«المَنزِلة بين المَنزِلتَين»، و«طبقات أهل العلم والجهل»، و«السبل إلى معرفة الحقّ».

الوَاصِلَة : إسم يُطلق على المرأة التي تصل الشعر بشعر الغير، أو التي توصل شعرها بشعرٍ آخر زوراً؛ والمستوصلة التي يوصل لها ذلك بطلبها. ووصْل الشعر محرّم لحديث أسماء بنت أبي بكر «أنّ امرأةً جاءت إلى النبيّ وقالت: يا رسولَ اللّه! إنّ لي ابنةً عريساً أصابتْها حصبةٌ فَتَمَرَّقَ شعرُها، أفأصله؟ فقال: لعن اللّهُ الواصلةَ والمستوصلة»(١).

الوَاقِدِيّ (أبو عبداللّه، محمّد) (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م) : وُلد بالمدينة، وتُوفّي في بغداد، ودُفن في مقابر الخيزران أمّ الرشيد. من أقدم المؤرّخين في الإسلام. تولّى قضاء بغداد. اتّصل بخالد البرمكيّ. أديب، فقيه، مفسّر، طبيب يداوي بالأعشاب. يقول فيه الطبري: «كان من أهل العلم بمغازي رسول اللّه وبأيّام العرب وأخبارهم وأنسابهم، راوية لأشعارهم، كثير الحديث، غزير العلم. ثقة».

وإذا كان أهل الحديث لا يقبلون الواقدي كلَّ القبول، فإنّ المؤرِّخين يوثقونه في السيرة والمغازي والفقه والفتوح. ويرى فيه المستشرقون المؤرِّخَ الأوّل بسبب دقّته زمنيًا وجغرافيًا، وبسبب اعتماده على الوثائق.

من مؤلّفاته: «المغازي»، «فتح إفريقيه»، «فتح العجم»، «فتح مصر

---

(٢) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/ ٢٢٩؛ الحاكم ١/ ٤٦٢، من حديث ابن عبّاس.

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٣٧٨؛ مسلم ٣/ ١٦٧٦.

والإسكندريّة»، «فُتوح الشام»، «أخبار مكّة»، «أزواج النبيّ»، «وفاة النبيّ»، «السقيفة وبيعة أبي بكر»، «كتاب السيرة»، «يوم الجمل»، «كتاب صفّين»، «مولد الحسن والحسين»، «مقتل الحسين»، «حرب الأوس والخزرج»، وغيرها.. أشهر مَن روى عنه كاتِبُه وأمينُ سرِّه ابنُ سعد..

وَائِل بن قَاسِط : قبيلة عربيّة عَدنانيّة. أشهر فروعها بَكر وتَغلب.

وَالِبَة بن الحُبَاب (ت ١٧٠هـ/٧٨٦) : شاعر غزل ماجِن. من أهل الكوفة. هو أستاذ أبي نوّاس.

الوَتْر : لغةً: الفرد، أو ما لم يتشفّع من العدد؛ واصطلاحاً: صلاة مسنونة، لا أذان لها، ولا إقامة، ولا جماعة فيها. ويجوز أن تُؤَدَّى على الراحلة، ووقتها بين العشاء وطلوع الفجر. يدلّ على مشروعيّتها قول الرسول: «قد أمدّكم اللّهُ بصلاةٍ هي خيرٌ لكم من حُمر النّعم، وهي الوَتَر. فجعلها لكم فيما بين العشاء الآخِرِ إلى طلوع الفجر»[1]. وأقلّ الوتر ركعة من آخر الليل. إلاّ أنّه يجوز الزيادة عليها.

وِثْ (بيتر) Weth (ت ١٨٩٩) : مستشرق هولنديّ. من كتبه: «مُحمّد والقرآن»، و«تاريخ اللّغات الساميّة». نقل القرآن إلى الهنديّة.

الوَثَن: هو الصنم، من خشبٍ كان أو حجر أو غيره. والجمْع: وُثُن، وأوثان، ووُثْن.. الوثن ما كان غير مصوّر بصورة مخلوق، والصنم ما كان مصوَّراً..

الوَجْد : إنفعال القلب بالفرح والحزن والألم وغيرها.. ولأهل الوجد تغيّرات تظهر عليهم في وجدهم، مثل: قشعريرة البدن، والصعق، والزفير، والشهيق، والبكاء، والغشية، والأنين، والصراخ.. وهذا للمبتدئين الذين يؤثّر عليهم الوجد لضعف قلوبهم عن تحمّل ما يرد عليها من الإشراقات، بخلاف الكاملين من أهل السلوك، فإنّهم كالجبال، لا تنزعج قلوبهم ولا تضطرب ظواهرهم[1].

---

(١) رواه الحاكم وصحّحه عن خارجة بن حذافة.

(١) راجع مادّة: الوجد، د. أحمد الطيّب، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٤٣٤-١٤٣٥.

وَحْدَةُ الـوُجُود : نظريّة فلسـفيّـة تقول: ليس في الوجـود إلاّ كائـن واحد مـوجود حـقـيـقةً وضـرورةً؛ بل هو الوجـود كلّه. ولا تسـمّى الكائنات الأخـرى موجودات إلاّ بضرب من التوسّع والمجاز. قال بهـا جماعة من الصوفيّة، منهم ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) والحلاّج (ت ٣٠٩هـ) وجلال الدين الروميّ (ت ١٠٧٣).

ومن الطبيعي أن يجرّ القول بـوحدة الوجود إلى القول بـ «وحدة الأديان»، بحجّة أنّ اللّه هو كلّ شيء، وفي كلّ شـيء. فمن عبد صنماً أو شجـراً أو حيواناً أو إنساناً أو كوكباً، فقد عبد اللّه.

الوَحْي : لفظة من التراثِ اليهودي–المسيحي. وهو أساس النبوّات والأديان. وبدون الوحي، لا تكون نبـوّة أو رسالة. ولهـذا كثر الكلام عن الوحـي في القرآن، وتردّد اللفظ ٧٨ مـرّة. والإيمان بالوحـي حقّ وواجب على كلّ مـسلم ومـسلمـة، لارتبـاط ذلك بالإيمان بجـمـيع مـا أنزل اللّـه من كـتـاب.. وملَك الوحي، بحـسب المسلمين، هـو جـبـريل (٢/٩٧)، الروح الأمين (٢٦/١٩٣)، روح القـدس (١٦/ ١٠٢)؛ فيما الوحي، في اليهوديّة والمسيحيّـة، مناط باللّه مباشرة، فهو الذي يختار أنبياءَه ويلهمهم مشيئتَه.

يختلف مفهوم الوحي في الإسلام عمّا هو في المسيحيّة كلَّ الاختلاف :

أوّلاً – يتمـيّز الوحيُ في المسـيحيّـة بكونه **وَحْيًا تاريـخيًا**، أي يقوم على أسس تاريخـيّة، وينطلق من التـاريخ، ويرتبط بأحداث التـاريخ، ويتفـاعل معـها، ويتحـدّد في مكان وزمان، ويتتـبّع ظروف الأشخـاص وتغيّـراتهم، ويُنقَل بواسطة شـهود، شـفاهةً وكتابةً، ويتكيّف بتكيّف الثقـافات والحضارات والتقـاليد، ويتزّين بمختلف الفنون الأدبيّة، ويتميّز بأساليب ناقليه.

أمّا الـوحي في الإسلام فـلا علاقـة له بأحداث التـاريخ، ولا يخضع حـتى لأحوال الشـخص الملقى عليه (وهو هنا النّبي محـمّد وحده)؛ ولا يتـحدَّد في زمن، ولا يتعامل مع تقـلّبات الحياة البشـريّة.. بل هو وحيٌ «مُنْزَل» من فوق، من «اللّوح المحفـوظ» (٨٥/٢٢)، وقد «نزل جملةً واحـدة» من الأفق الأعلى. ولكنّ محـمّداً لم

يتلقّاه إلاّ منجَّماً، أيّ آيةً آية، أو كلّ خمس آيات معاً، أو عشر آيات، أو أكثر أو أقلّ[١].

هذا الوحي، كلّه من عند اللّه، بمبناه ومعناه، وليس لمحمّد فيه يد، لا يُعطيه من تلقاء نفسه، ولا يبدِّل فيه، ولا يَنطق به على هواه، وليس عليه أن يختار اتّباعَه بحسبما يشاء. قال: «قلْ مَا يَكونُ لي أنْ أُبَدِّلَه مِن تَلقَاءِ نَفسِي، إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إليَّ. إنِّي أَخَافُ إنْ عَصيتُ رَبِّي (بتبديله) عَذابَ يومٍ عظِيمٍ»[٢]. وقال أيضاً: «... ومَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلاَّ وَحيٌ يُوحَى» (٥٣/٣-٤).

لقد «نَزَلَ» الوحيُ على محمّد «تنزيلاً من ربِّ العالمين»[٣]، أو «نَزَل به الروح الأمين» (٢٦/١٩٢؛ ١٦/١٠٢). فالنبيُّ إذًا «لا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه»، و «لا يملك حتّى حقّ استخدام ذاكرته في حفظ القرآن، بل اللّه يتكفّل بتحفيظه إيّاه»[٤]. وبوضوح أكثر: «إنّه الوحي ينزل على محمّد، حين يشاء ربُّ محمّد، ويفتر إذا شاء له ربّ محمّد الإنقطاع، فما تنفع التعاويذ والأسجاع، ولا تُقدِّم عواطفُ محمّد ولا تؤخِّر في أمرِ السماء»[٥].

غير أنّ في القرآن دليلاً على أنّه يخضع لأحداث تاريخيّة كثيرة مختلفة ومتنوّعة، ولأساليب اللّغة والبشر، إذ هو، في النهاية، كان على يد رسولٍ من البشر: «لقَد مَنَّ اللَّهُ علَى المؤمِنِينَ إذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولاً مِن أنْفُسِهِم»[٦]. وأنزل قرآناً بلغتهم ليعقلوه: «إنّا أنزلْناهُ قرآناً عَرَبيًا لعلّكم تَعقلون»[٧].

---

(١) أنظر جلال الدّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٧٣.
(٢) سورة يونس ١٠/١٥؛ رَ: ٦/٥٠؛ ٧/٢٠٣؛ ٤٦/٩.
(٣) رَ: ٢٦/١٩٢؛ ٣٢/٢؛ ٣٦/٥؛ ٣٩/١؛ ٤٠/٢؛ ٤١/٢ و٤٢؛ ٤٥/٢؛ ٤٦/٢؛ ٥٦/٨٠؛ ٦٩/٤٣؛ ٧٦/٢٣...
(٤) الشيخ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٠؛ ٣٣.
(٥) المرجع نفسه، ص ٣٨.
(٦) س آل عمران ٣/١٦٤؛ أنظر: ٢/١٢٩ و١٥١؛ ١٦/٣٦؛ ٢٣/٣٢؛ ٦٢/٢...
(٧) سورة يوسف ١٢/٢؛ رَ: ١٣/٣٧؛ ١٦/١٠٣؛ ٢٠/١١٣؛ ٢٦/١٩٥؛ ٣٩/٢٨؛ ٤١/٣ و٤٤؛ ٤٢/٧؛ ٤٣/٣؛ ٤٦٦/١٢.

فاللّه، إذاً، وفي حقيقة الأمر، يراعي أحوالَ البشر، فيرسل إليهم رسولاً منهم، ووحياً بلغتهم. وبسبب ذلك، قال بعضُ المسلمين بأنّ القرآن، ولو كان من عند اللّه، فهو «مُحدَثٌ»، أي خاضعٌ لأحداث التاريخ وتقلّباته.

ثانياً – الوحي في المسيحيّة «**لا يستند إلى تعليم مؤسّسٍ واحدٍ بعينه**، بل ينمو نموًّا مطّرداً خلال خمسة عشر أو عشرين قرناً، قبل أن يصل إلى ملئه في ظهور المسيح الذي هو صاحب الوحي الأساسي»[٨]. في هذا النموّ المطّرد حمل الوحيُ معه حضارات الأمم القديمة وتقاليدهم، ولبس أشكالاً وأجناساً من الفنون الأدبيّة المختلفة، وخضع لخصوصيّات الشعوب. لهذا يتعسّر فهمه إنْ لم يتزوّد الباحث بعلم التفسير الكتابي وبعلوم تاريخ الحضارات والحوادث.

لقد كلّم اللّهُ البشرَ بلغتهم وأسلوبهم: «عندما يتنازلُ اللّهُ في صلاحه، ويكاشفُ البشرَ بنفسه، يكلِّمُهم بكلماتٍ بشريّة: هكذا فإنّ كلامَ اللّه، وقد عبّرت عنه ألسنةٌ بشريّة، صار شبيهاً بكلام البشر»[٩].

هذا الكلام لكي يُفهَمَ، وتُفهم فيه نيّةُ الكتّابِ الإلهيّين، لا بدّ من النّظر إلى أحوال عصرهم، وإلى ثقافتهم، وإلى «الأساليب الأدبيّة» المتّبعة آنذاك، وإلى طرائق الشعور والكلام ورواية الأخبار الشائعة لذلك العهد. «لأنّ هنالك طرقاً جدًّ مختلفة تُعرَض بها الحقيقة، ويُعبَّر عنها في نصوصٍ تختلف تاريخيًّا، في نصوص نبويّة، أو شعريّة، أو حتّى في أنواعٍ تعبيريّة أخرى»[١٠].

زد على ذلك أنّ الفنون الأدبيّة في الوحي المسيحيّ غنيّة ومتنوّعة جدًّا، من نثرٍ وشعر، وأخبار وقصص، وأمثال وحكم وأناشيد، ومزامير، ورؤى ورسائل وأعمال.. إنّه تنوّع عجيب يحدونا إلى القول بأنّ الوحي لا يُفهم بمعزلٍ عن مراحل نموّه وأطره الحضاريّة كلّها.

---

(٨) معجم اللاّهوت الكتابي، مقال: الوحي.

(٩) دستور عقائدي في الوحي الإلهي (و ل)١٣؛ ألتعليم المسيحي، عدد ١٠١.

(١٠) و ل١٢، ٢؛ التعليم المسيحي، عدد ١١٠.

هذا النموّ المطّرد يعود، طبعاً، إلى كَتَبةٍ عديدين ومتنوّعين، فكان منهم رواة، ومُخبرين، ومؤرِّخين، وقضاة، ومشترِعين، وحكماء، وملوك، وأنبياء، ورسل، ومبشّرين، ورائين، وما إلى ذلك... «إنّ اللّهَ اختارَ أناساً، استعانَ بهم، وهم في ملء عمل قواهم ووسائلهم، فعمِلَ هو نفسه فيهم وبهم»(١١).

أمّا في الإسلام فالأمر يختلف تماماً، جملةً وتفصيلاً: لا يد لأحد في القرآن لغير يد اللّه. ليس من شخصٍ آخر أُنزِلَ الوحي عليه غير محمّد. وليس من كتابٍ إسلاميّ جاء الوحي فيه غير القرآن. وليس في وحي القرآن مراحل زمنيّة متباعدة. ولا تختلف، أخيرًا، هويّة الذين نزل الوحي من أجلهم اختلافاً يُذكر.

إنّه وحي «حصريّ» exlusif ، أي محصور في شخصٍ واحد هو محمّد، وبكتابٍ واحد هو القرآن، وبلغةٍ واحدة هي العربيّة، وبفترةٍ زمنيّةٍ محدودة ما بين ٦١٠ و ٦٣٢، وبمجتمعٍ متجانسِ الثقافة والمستوى الإجتماعي والحضاري هو مجتمع مكّة والمدينة... هذا «الحصر» يُخشَى أنْ يكونَ المقصودُ منه والمعنيُّ به محمّدًا وحدَه، وليس كلّ البشر. لكأنّ الوحي نزل على محمّد ومن أجله فقط. وقد يستفيد الناس منه بعض الشيء، ولكن بالدرجة الثانية، أو بالعرض. ولنا على ذلك برهان من القرآن نفسه :

لقد قضى محمّدٌ حياتَه، كما يبدو ذلك من القرآن، يدافع عن أنّه إنسان موحىً إليه. فراح يجد التبريرَ بعد التبرير، ويُقنع سامعيه بأنّ ما يُنزل عليه هو «تنزيل من ربّ العالمين»، وأنّه «مصدِّق لما في التوراة والإنجيل»، وأنّه أنزله جبريلُ الروحُ الأمين... بل يروح محمد إلى تحدِّي الأنس والجنّ بأن يأتوا بمثلِ سورةٍ أو آيةٍ من سورِه أو آياته... وكم اتّهمه المتّهِمون بأنّه «مجنون»، و«ساحر»، و«شاعر»... فكان يرفض ويدافع ويتحدّى : «يقولون شاعر مجنون» (٣٦/٢٧؛ ٥/٢١)؛ فيُجيبهم: «وما هو بقول شاعر» (٤١/٦٩)؛ و«يقولون إنّه لمجنون» (٢/٦٨)، ويجيبهم: «وما صاحبكم بمجنون» (٥١/٦٨؛ ٤٦/٣٤).

---

(١١) ول ١١؛ التعليم المسيحي، عدد ١٠٦.

ثمّ، لو كان الوحيُ الإسلامـي كاملاً يناسب نموّ البشرية التـاريخي، فلماذا هو لم يكن كذلك خلال نزوله على النبيّ مـحمّد؟ ونحن نعلم أنّه تطوّر تطوّرًا هائلاً من بدايتـه حتى نهـايته خـلال ثلاث وعشـرين سنة! فإذا كـان تطوُّره، كمـا يرى المسلمون، «رحمـة» بإنسـان تلك الفترة من الزمن فقـط، أفليس من «رحمة» مماثلة بالذين يعيشون عبر الدهور والأجيال المتعاقبة والاكتشافات المتسارعة والهائلة!!

وأخيراً، إنّ هذا الوحي «المحـصور» بشخصيّة مـحمّد وبيئته الضـيّقة، ماذا يعني للبشريّة الممتدّة عبر الدهور، والمتلوّنة بمختلف ألوان الحضارات والثقافات؟!

الوحي المسـيحي، إذاً، مرتبط بـحياة البـشر وتنّوعـهم وتطوّرهم؛ والوحي الإسـلامي محـصور ضـيّق، بلونٍ واحـد، لا تنوّع فـيه ولا تطوّر. ألأوّل مـتعـدّد الوسائل؛ والـثاني بدايته قـريبة من نهـايته، كـان على يد واحدة ووسـيلة واحدة ووسيط واحد. الأوّل متعدّد الأسـاليب والفنون؛ والثاني مغلَق، على أسلوب واحد، بفنٍّ واحد، في لغةٍ واحـدة، وفي ذهنيّة واحدة. الأوّل متواصل متفـاعل يتعامل مع ظروف البشر الراهنة؛ والثـاني منقطع منزل من علُ يتعامل مع محمّـد ومع محمّد وحدَه، ومـا يريد محمّـد في ظروفه الخاصّـة وبحسب أمـيال قلبه. ألأوّل مـتدرّج منفـتح يربط بين عهـدَين، القـديم والجديد، ويؤمّن صلتـه بشعـوب الأرض كافّـة بواسطة «جماعة» حيّة فاعلة هي الكنيـسة؛ والثاني، –صحيح أنّه «مصدِّق التوراة والإنجيل»، ولكنّه «نسخهما»–؛ ويكفي أن يقال فيه بأنّه «نزل دفعة واحدة».

ثالثاً – يقوم الوحيُ في المسيحيّة على «**تكامل**» بين مراحله عبر العصور والأجيال. أي هناك علاقة بين العهد القديم والعهد الجديد، تقوم على هذه الحقيقة : «بدون العهـد القديم تصـبح كتب العهـد الجديد غـيرَ مفـهومة، تتكلّـم لغةً لا يملك مفـتاحها أحـد؛ كما أنّه بدون العـهد الجديد يصيـر محتـوى كتب اليهود أسـاطيرَ خرافيّـة، شريعةً إلهيّـة تبقى حَرْفاً مـيِّتاً، ووعداً يَعـجز عن تحقيقِ آمـال الإنسان، ومغامرةً فاشلة لا يُرجى منها شيء»[١٢].

---

(١٢) معجم اللاهوت الكتابي، مقال: الكتاب.

هذا التكامل يوضحه المجمع في دستور الوحي بقوله: «لقد كان تدبير العهد القديم يهدف بنوع خاص إلى تهيئة مجيء المسيح مخلّص الكلّ، وإلى الإعداد للملك الماسوي... وأسفار العهد القديم تبيّن بوضوح الطرق التي يتّبعها اللّه، للتعامل مع البشر، وذلك حسب أوضاع الجنس البشري...»[١٣]. وقد «رتّب اللّه، بحسب قول المجمع أيضاً، الأمورَ بحكمته، كي يحتجب الجديد في القديم، ويتّضح القديم في الجديد... وأسفار العهد القديم كلّها تكسب كمال معناها، وتظهره في العهد الجديد[١٤]؛ وبدورها هي تنيره وتشرحه»[١٥]. هذا التكامل بين العهدَين يكوّن العنصرَ الأساسي لمفهوم الوحي المسيحي...

«... يتطلّب العهدُ الجديد أن يُقرَأ على ضوء القديم... وفي قولٍ عتيقٍ مأثور أن العهد الجديد مُخبَّأ في القديم، في حين يتكشّف القديمُ في الجديد: ألجديدُ مختبئٌ في القديم، وفي الجديد يتكشّف القديم»[١٦]. فالوحي في المسيحيّة إذاً يستمرّ متكاملاً في عهدَين: القديم والجديد؛ بل يستمرّ في تعاليم الكنيسة إلى منتهى الدهر، ولكن بطريقة أخرى.

هذا «التكامل»، مع أنّه مشار إليه في القرآن، لا يكوّن عنصراً هامّا في المفهوم الإسلامي للوحي: فالقرآن يعترف بنبوّة النبيّين السابقين كلّهم، ويعترف بوحيهم على أنّه من عند اللّه، «ويُصَدِّقُ» ما في التوراة والإنجيل[١٧]، ويقرّ بأنّ الشريعة الإسلاميّة تعتمد على الشريعة اليهوديّة-النصرانيّة، ويشير إلى تعاليمَ كثيرةٍ مشتركةٍ بين القرآن والتوراة، ويعتبر اللّهَ هو نفسه إلهَ بني إسرائيل...

---

(١٣) دستور عقائدي في الوحي الإلهي، عدد ١٥.

(١٤) راجع متى ٥/١٧، لو ٢٤/٢٧، رو ١٦/٢٥-٢٦، ٢ قور ٣/١٤-١٦...

(١٥) دستور عقائدي في الوحي الإلهي، عدد ١٦.

(١٦) ألقديس أغوسطينوس، في الأسفار الخمسة ٢، ٧٣؛ رَ: ول ١٦؛ ألتعليم المسيحي، عدد ١٢٩؛ أنظر أيضاً عدد ١٤٠.

(١٧) رَ: ١٠/٣٧؛ ١٢/١١١؛ ٢/٤١ و٨٩ و٩١ و٩٧ و١٠١؛ ٣/٣ و٨١؛ ٤/٤٧؛ ٦/٩٢؛ ٣٥/٣١؛ ٣٧/٣٧؛ ٤٦/٣٠...

ومع هذا فإنّ هذا التقارب لا يعني «تكاملاً»؛ بل يعني: أنّ المسلمَ قد يستغني عن التوراة والإنجيل، ويكتفي بالقرآن وحدَه، ويبقى مسلماً مؤمناً حقيقيًا. وقد يستغني أيضاً عن تعاليم النّبيّين، ويكتفي بنبّوة محمّد وحدَها، ويبقى مسلماً حنيفاً طيّباً. وبكلمة إنّ القرآنَ «نسخ»، أي ألغى التوراة والإنجيل، والإسلامَ «نسخ» أيضاً اليهوديّة والمسيحيّة.

الواقع أنّنا لا نجد اليومَ مسلماً يأخذ بالتوراة والإنجيل على أنّهما من صلب إيمانه؛ لا لأنّهما «محرَّفان»، كما يقول المسلمون؛ بل لأنّ المسلمين يستغنون بالقرآن عن التوراة والإنجيل، كما يستغنون بمحمّد عن النبيّين السابقين.

ولكن، كان على المسلمين ألاّ يفعلوا ذلك حتّى يبقوا مسلمين حقيقيّين، لأنّ المسلمين الحقيقيّين هم، كأهل الكتاب، «يُقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل عليهم»[١٨]، ولأنّ الإسلام الحقيقي هو إسلام النّبيّين جميعهم[١٩].

رابعاً – ثمّة فرق آخر بين الوحي المسيحي والوحي الإسلامي، هو الفرق بين **الحرف والرّوح**:

في الوحي المسيحي، لم يعد العهد الجديد عهدَ حرفٍ، بل عهد روح (٢ قور ٣/٦)، ولا الختان يعود إلى الشريعة، بل إلى الروح (روم ٢/ ٢٩)، ولسنا نعمل في نظام الحرف القديم، بل نعمل في نظام الروح الجديد (روم ٧/٦). إنّ الشريعة الجديدة مكتوبة في قلوب الشعب الجديد: «ها إنّها تأتي أيّام، يقول الرب، أقطع فيها مع بيت إسرائيل عهدًا جديداً... هذا العهد... هو أنّي أجعل شريعتي في بواطنهم، وأكتبها على قلوبهم»[٢٠].

---

(١٨) أنظر لفظة «مسلمين» في القرآن حيث تعني، دائماً، الذين لا يفرّقون بين النبيّين: «لا نفرّق بين أحد منهم (من النّبيّين). ونحن له (للّه) مسلمون» (٢/ ١٣٦ و٢٨٥؛ ٣/ ٨٤...).

(١٩) أنظر: أ.ج.قـزّي، نظرة مسيحيّة في الإسلام، سلسلة الأديان السرّيّة، رقم ٨؛ دار لأجل المعرفة؛ ديارعقل ٢٠٠٤؛ ط٢.

(٢٠) إرميا ٣١/ ٣١–٣٤.

هذا العهد، الذي يتدبّره الروحُ يقوم على «عبادة الرب عبادة باطنيّة، فلا تبقى الشريعة محضَ نظامٍ خارجي، بل تصبح إلهاماً يؤثّر في قلب الإنسان[٢١] تحت تأثير روح اللّه الذي يهب للإنسان قلباً جديداً[٢٢] قادراً على معرفة اللّه»[٢٣].

إنّ تعهّدَ فهمِ الوحي، إنطلاقًا من الروح لا من الحرف، شدّد عليه المجمع في دستور الوحي ونبّه على المنقّبين والدّارسين والمفسّرين واللاّهوتيّين جميعهم، بأنْ يأخذوا بعين الإعتبار «نيّة الكتّاب القدّيسين»[٢٤]. ويوجب المجمع أيضاً «على الشارح أن يفتّش عن المعنى الذي كان في نيّة الكاتب المقدّس أن يعبّر عنه، وعبّر عنه حقًّا في الظروف المعيّنة التي عاش فيها، وفقاً لأوضاع عصره وثقافته، بواسطة الفنون الأدبيّة المتداولة إذ ذاك»[٢٥].

إنّ التمييز بين الحرف والرّوح لا وجود له في الوحي الإسلامي لأسباب أهمّها:

١ً - إنّ الوحي الإلهي في القرآن لم يخضع لذهنيّة البشر وطرق حياتهم. ألوحي الإسلامي، في «روحه» و«حرفه» إنتاجٌ إلهي، وليس للبشر فيه يد. ومحمّد نفسه «لم يصغْه بلفظِه».

٢ً - يقول المسلمون باعجاز القرآن، يعني إعجازاً في اللّغة والأسلوب والألفاظ والتعابير والصور والتشابيه والأحكام... هو إعجاز بلغته، التي هي معجزة المعجزات؛ والتي بها تحدّى الإنس والجنّ والشعراء والكهّان وكلَّ ساحرٍ مفتون. فالحرف، إذًا، كالروح، معجزة إلهيّة.

٣ً - ثمة دليل آخر على معجزة «الحرف» نأخذه من كتب تفاسير القرآن

---

(٢١) أنظر: إرميا ٣١/٣٣؛ ٢٤/٧؛ ٣٢/٣.

(٢٢) أنظر: حزقيال ٣٦/٢٦-٢٧؛ مزمور ٥١/١٢؛ إرميا ٤/٤.

(٢٣) رَ: هوشع ٢/٢٢. راجع الحواشي على إرميا ٣١/٣١.

(٢٤) دستور عقائدي في الوحي الإلهي، عدد ١٢.

(٢٥) ألمرجع نفسه.

ومن المفسّرين المسلمين جميعهم، وهو أنّ المسلمين لم يميّزوا قط بين «نيّة الكاتب» الذي هو اللّه، وبين «الطريقة في التعبير» التي هي من اللّه أيضًا.

ينتج من ذلك أنّ «الروح» و«الحرف»، في القرآن، سيّان. لهذا شدّد المسلمون، منذ البدء، على حفظ القرآن غَيباً، حرفاً حرفاً. وكتبوا حروفَه بعناية فائقة. ولم تكن صلواتهم إلاّ تلاوة ما تيسّر من آياته.

هذا الربط بين «الحرف» و«الروح» في الوحي الإسلامي أوقف مدارس «علم الكلام» عند حدّها. فليس اليوم في الإسلام ما يسمّى بـ «علم اللاّهوت»، أي البحث العقلي في الأمور الإلهيّة، وعلم استخلاص العقيدة الإلهيّة من أساليب البشر. كما ليس في الإسلام طقوسٌ ليتورجيّة يستطيع المسلمون بواسطتها، أن يتحرّروا من «حرف» القرآن، ليضعوا، بلغتهم وأسلوبهم صلواتٍ وابتهالاتٍ يرتفعون بها نحو اللّه. فبسبب هذا الربط بين الحرف والروح ليس في الإسلام طقوسٌ، أو رتبٌ، للعبادة؛ ولا يجب أن يكون عندهم أعيادٌ واحتفالات إلاّ للذكرى.

المسلمون، إذاً، هم «أهل كتاب»، لا المسيحيّون، كما يحلو للقرآن تسميتهم. المسلمون يسيرون بموجب حرفيّة الكتاب؛ فيما المسيحيّون هم مسيحيّون يتبعون شخصاً حيًا ويقتدون به، إسمه المسيح: « ليس الإيمانُ المسيحيّ " دينَ الكتاب ". إنّ المسيحيّة هي دينُ " كلمة اللّه "، " لا دين كلمة مكتوبة خرساء، بل دين الكلمة المتجسّد والحيّ ". ولكي لا يبقى الكتابُ المقدّس حرفاً ميّتاً، لا بدّ للمسيح، كلمة اللّه الحيّ الأزليّة، من أن يفتح، بالروح القدس، أذهانَنا على فهم الكتب »[٢٦].

خامساً – وهناك أيضا فرقٌ آخر بين الوحي المسيحي والوحي الإسلامي يقوم على مدى الترابط بين «**الأعمال والأقوال**» :

في المسيحيّة نرى «ارتباطًا وثيقاً» بين الأعمال والأقوال، كما يعبّر المجمع الفاتيكاني الثاني عن ذلك بقوله: «وتدبير الوحي هذا يقوم بالأعمال والأقوال التي

---

(٢٦) لوقا ٢٤/ ٤٥؛ ألتعليم المسيحي، عدد ١٠٨.

ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، بنوعٍ أنّ الأعمال التي حقّقها اللّه في تاريخ الخلاص، تُبرز العقيدة والحقائق التي تُعبّر عنها الأقوالُ وتدعمها؛ بينما الأقوال تُعلن الأعمال وتُوضح السرّ الذي تحويه»[٢٧].

هذا «الارتباط الوثيق» هو من صميم مفهوم التجسّد الإلهي الذي به كان تمامُ الوحي وكمالُه... أمّا قبل التجسّد فقد كانت «أقوال اللّه» تعبّر عن «أعمالِه»، و«أعمالُه» تبرز حقيقة «أقوالِه»، بطرق مختلفة وأنواع شتّى. واستمرّت هذه الطرق والأنواع تتلازم وتتقارب حتى اجتمعت نهائيًا في شخص يسوع المسيح، الذي هو نفسه «كلمة» اللّه و«روحه» المرسل من لدنه. وبذلك أمسى الوحي، بمفهومه المسيحي، كاملاً منسجمًا، قولاً وعملاً، «في المسيح الذي هو وسيط الوحي بكامله، وملؤه في آن واحد»، على حدّ تعبير المجمع أيضاً[٢٨].

إعتماداً على هذا، نقول في شأن العجائب إنّها، إنْ لم تخضع لقاعدة «الارتباط الوثيق بين الأقوال والأعمال»، أي إن لم تكنْ، في هذه الأعمال العجائبيّة، رسالةٌ ما، لم يُعبَّر عنها بالأقوال، فلا يتوجّبُ على أحدٍ تصديقُها.

أمّا في الإسلام فترابط الأقوال مع الأعمال في موضوع الوحي غير وارد. لقد قلنا سابقاً بأن ليس في الإسلام من وحي إلاّ على محمّد؛ ولكنّ أعمال محمّد لم تكن، حتّى في نظر المسلمين أنفسهم، موحاة؛ ولا أقواله أيضاً لها علاقةٌ بالوحي؛ وأيضاً حتّى ما في القرآن هو «كلام اللّه» لا أفعاله. وكلام اللّه، بوصفه أزليًا، لا يُعبّر عن أعمالٍ زمنيّة، خاضعةٍ لأحداثٍ تاريخيّة، ومحدّدةٍ في زمان ومكان...

فالفصل إذاً في الإسلام بين الأقوال والأعمال، في موضوع الوحي، واجب. وأوجب منه اعتبار أعمال النبي، حتى ولو أشار إليها القرآن، غير موحاة أيضًا. وما إشارة القرآن إليها إلاّ دعماً لمحمّد وتبريراً إلهيًا له :

---

(٢٧) دستور عقائدي في الوحي الإلهي، عدد ٢.

(٢٨) المرجع نفسه، بالإستناد إلى مراجع كتابيّة: متى ١١/٢٧، يو ١/١٤و١٧، ١٤/٦، ١٧/١-٣، ٢ قور ٣/١٦، ٤/٦، أفسس ١/٣-١٤.

فغزواته، وأعماله التجارية، ومعاركه، وهجراته، وعداوته لقريش ولبعض القبائل، وحبّه الجمّ للعديد من النساء، وسنّه لقوانين الزواج والطلاق والإرث، وتدخّله في شؤون المرأة وطهارتها وأوضاعها، وتنظيمه للأسرة والمجتمع، وتحديده لأعمال الزّكاة والفَيء والخراج والجزية، وأحكامه المبرمة بحقٍّ الكافرين والمشركين، إلى ما هنالك من أعمال رصدها القرآن، وتكلّم عنها... هذه كلّها لا علاقة لها بالوحي الأزلي، ولا التعبير عنها يُعتَرف به على أنّه من عند اللّه، لكونها خاضعة لمجريات الزمن الراهن.

يتحصّل من التمييز بين الأقوال والأفعال، أو الربطِ بينهما، صفة خاصّة مميِّزة لشخصيّةِ كلٍّ من المسلم والمسيحي: فبسبب «الترابط الوثيق» بين الأقوال والأفعال، يتحتّم على المسيحي أن يكون صادقاً، واضحاً، في حياته، منسجماً في الظاهر والباطن، في السرّ كما في العلن. إنّه يلتزم في الحياة حدودَ ما يجب أن يلتزم به... في حين أنّ شخصيّة المسلم، المبنيّة على الفصل بين الأقوال والأعمال، هي شخصية تميل نحو فصلٍ تامٍّ بين الظاهر والباطن، والسرّ والعلن، والفصل بين المادّة والرّوح... وكم من الذين اتّخذوا، في الإسلام، بمقولة «الظاهر والباطن»، ووجوب ممارسة «التقيّة»، حتى انقسم الإسلام إلى قسمين لا رابط بينهما، رغم وَحدة الوحي ووحدة النبيّ ووحدة الكتاب!!

سادساً — الوحي والتقليد : لقد ارتكز الوحي، في المسيحيّة، منذ نشأته على التقليد، أي على الكرازة الرسوليّة الشفويّة. والتقليد كان قبل الكتاب. ثمّ دُوّن في كتاب. و«التقليد الرّسولي، كما يقول كتاب التعليم المسيحي، هو الذي أرشد الكنيسة إلى تمييز الكتابات التي يجب أن تُعَدَّ في لائحة الأسفار المقدّسة»(٢٩).

التقليد والكتاب هما ينبوعا الوحي المسيحي وأساسا تعليم الكنيسة. ومع هذا، فإنّ الكنيسة لا تأخذ بالقضايا التي تتأتّى فقط من التقليد، فهي تفتّش كي تجد الأساس الأخير لكلّ قضيّة في الكتاب. ولكنّ مبدأ «الكتاب وحده» (Sola

---

(٢٩) رَ: و ل ٨، ٣؛ التعليم الرسولي، عدد ١٢٠.

Scriptura) لا يكفي؛ لأنّ الكرازةَ الرسوليّـة وُجدتْ قبل الكتـاب، ونَشرتِ الإيمانَ باسم سلطةٍ أساسيّة أعطاها المسيح للكارز عينه: «إذْهَبوا وبشّروا». ثمّ إنّ الكنيسة هي التي اعترفتْ بصحّة الكتاب، لأنّ تكوين الكتاب كـان نتيجة سلطةٍ أعطتْه صفتَه القانونيّة[٣٠].

من دون التـقليـد لم تسـتطع الكنيـسة أن تحـدِّد كـتبَ الوحي، ولم تفـهم مضـمونَه. جاء في دستـور الوحي المجمعي: «بفضلِ هذا الـتقليد يتّضح للكنيـسة قانونُ الأسفار المقدّسـة بكامله؛ وبفضله أيضًا تُفهمُ الأسفارُ المقدّسة نفسُـها فهمًا أعمق، وتصـبح فعّـالةً باستمـرار. وهكذا فإنّ اللّه، الذي تكلّم قـديمًا، لا يزال يكلّم خطيبةَ ابنه الحبيب (الكنيسة)»[٣١]. ثمّ يخلص الدستور إلى القول: «إنّ الكنيسة لا تنهل اليـقين عن محـتويات الوحي كلّها من الكتـاب المقدّس وحدَه. ولهـذا علينا أن نقبل كليهما (أي التقليد والكتاب) ونجلّهما بعاطفةٍ واحدة»[٣٢].

هذا الكلام يفرض علينا الإنتباه إلى أمور مهمّة جداً:

١ً - إنّ التقليـدَ يوضِحُ الكتاب، وبالتـقليد يُفهم الكتـاب فهمًـا عميـقاً، وبه يُصبح فعّالاً.

٢ً - إنّ الكنيسـة، كما تحيـا بجسد المسيـح ودمه، تحيا أيضـاً بالكلمة في مصـدرَيها: التـقليد والكتاب. «ولهـذا، فالكنيـسة قد أحـاطتْ دوماً الكتبَ الإلهـيّةَ بالإجلال الذي تُحيط به أيضاً جسَدَ الرب...»[٣٣].

٣ً - ثمّ إنّ التقليـد مستمـرٌّ فعلهُ في الكنيسـة، لكأنّ اللّه لا يزال يوحي إلى الكنيسـة بكلٍّ جديد. وقد عبّـر المجمع عن ذلك بقوله: «إنّ الرسل تركـوا خلفاءَ لهم الأساقـفة، وسلّمـوهم مكانتهم التـعليمـيّة، لتظلّ البـشارة دائمـاً تامّة وحـيّة في

---

(٣٠) كارل راهنر، معجم اللاّهوت الكاثوليكي، مادّة: ألكتاب المقدّس.

(٣١) دستور عقائدي في الوحي الإلهي، عدد ٨.

(٣٢) ألمرجع نفسه، عدد ٩.

(٣٣) ر: و ل ٢١؛ ألتعليم المسيحي، عدد ١٠٣.

الكنيسة»[٣٤]. هذا يعني، بحسب قول المجمع أيضًا: «أنّ الكنيسة ، بتعليمها، وحياتها، وطقوسها، تخلّد، وتنقل للأجيال بأسرها كلّ ما هي عليه وكل ما تؤمن به»[٣٥]. هذا يعني أيضاً أن الأسقفيّة في الكنيسة، أي الكهنوت، والتعاليم، والبراءات الرّسولية الصادرة عن المجامع الكنسيّة وعن المسؤولين فيها... كلّها تكمّل الوحي. أي تكمّل التجسّد الإلهي في البشريّة الذي هو تمام الوحي. يعني أنّ يسوع المسيح، بحسب نظريّة التقليد، لا يزال يتجسّد في الكنيسة وفي العالم إلى الأبد.

هذا المنطق غريب جدًا عن الإسلام: نظريّة التقليد كلّها، بكلّ معانيها وأبعادها ونتائجها، غير واردة فيه. وإذا أردنا تبسيط الأمور نقول: القرآن وحده يكفي. أي: كلُّ مَن يأخذ القرآن ويتلوه، ويعمل بموجبه، يحصل على الوحي كلّه، أي على ٩٩٪ من أسماء اللّه الحسنى، أي على اللّه بتمامه. وليست «السنّة»، وهي تعني التقليد في اللّغة الإسلاميّة، سوى أقوال النبيّ التي تشرح و تفسّر الوحيَ؛ ولكنّها ليست من الوحي في شيء، ولا في أساسه، كما هو في المسيحيّة.

لهذا، لا يوجد في الإسلام «تقليد»، وبالتالي، لا «كنيسة» تُحيي الوحيَ والتقليدَ ليستمرًا في خدمة العالم وخلاصه.

إلاّ أنّ الشيعة، الذين قالوا بـ «الإمامة» ركناً من أركان الإسلام، أعطوها دوراً كبيراً وخطيراً في الدِّين. فالإمام يحفظ الدِّين، ويحافظ على الوحي، ويحقّ له التفسير والتأويل والاجتهاد والدعوة إلى الجهاد ونشر الإسلام. وهو معصوم من كلِّ خطأ وخطيئة. بل هو المثال الكامل. ولهذا، وبسبب عقيدتهم هذه، وتنبّههم إلى أهمّيّةِ التقليد، أضفوا على الإمام صفاتٍ إلهيّة، ليستمرّ الإسلام «حيًا».

وثمّة شيء آخر ينتج عن نفي التقليد، وهو أنّه لا «كرازة» في الإسلام، ولا «جماعة». وحده «الكتاب» يدعو إلى الإسلام. وليس غيرَه.

واستعاض المسلمون عن الكرازة، لنقل الحقيقة إلى الآخرين، بما يسمّى بـ

---

(٣٤) المرجع نفسه، عدد ٧.

(٣٥) المرجع نفسه، عدد ٨

«الجهاد». وإذا كانت «الكرازة» في المسيحيّة ركناً من أركانها[٣٦]. فـ «الجهاد»، في الإسلام، هو الركن الأساسي للانتشار والفتوح وتثبيت الإسلام.

يتحصّل ممّا تقدّم أنّ «التقليد» في المسيحيّة هو مصدرٌ من مصادر الوحي؛ بل هو استمراريّة الإيمان و«الحياة» فيها. أمّا في الإسلام فـ «الكتاب» وحدَه يكفي. إلى درجة أنّه يسعنا أن نقول بأنّ اللّهَ في الإسلام يبقى صَمَداً إلى مدى الدهر، وكأن لا حياة فيه، ولا حركة؛ فيما هو في المسيحيّة «تجسّدٌ» وحياة وحركة. وهذا لا يعني انتقاصاً لنظرة الإسلام إلى اللّه، بمقدار ما يعني اختلافاً جوهريّاً في نظرة كلٍّ من المسيحيّة والإسلام إليه.

سابعاً – موضوع الوحي روحيّ: ليست البحوث العلميّة، ولا النظريّات الفلسفيّة أو الاجتماعيّة، ولا العلوم الفلكيّة أو الطبيّة أو الجغرافيّة أو الاقتصاديّة... من موضوعات الوحي في المسيحيّة. موضوع الوحي هو هذا : أن يوحي اللّه عن ذاته ويكشف عن مقاصده في خلاص الإنسان: «لقد حَسُن لدى اللّه، لفرط حكمته ومحبّته، أن يُوحي بذاته، ويُعلِنَ سرَّ مشيئته من أنّ البشرَ يبلغون الآب، في الروح القدس، بالمسيح، الكلمة المتجسّد، فيُصبِحُونَ شُرَكَاءَهُ فِي الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ»[٣٧].

فالقول إذاً بأنّ الوحي في المسيحيّة يكشف عن الحقائق العلميّة، أو هو يأخذ موقفاً منها، أو هو يتناقض معها، أو لا يتناقض، هو قولٌ يتناقض تماماً مع مفهوم الوحي الحقيقي وغايته. فغاية الوحي الأولى والأخيرة هي الإنسان الذي يريد أن يعرف طريقَه إلى اللّه، ليصير «شريكاً له في طبيعته الإلهيّة».

لهذا، يمكننا أن نقول بأنّ الوحي في المسيحيّة قد يحمل أخطاء، وهذه الأخطاء تصنع هي أيضاً شخصيّةَ الإنسان؛ وأن نقولَ أيضاً بأنّ اللّه يكشف عن

---

(٣٦) إذهبوا وتلمذوا جميعَ الأمم» (متى ٢٨/ ١٩–٢٠). وانطلق الرسل «وكرزوا في كلّ مكان، والربُّ يؤازرهم، ويؤيّد الكلمة بالآيات التي تصحبها» (مر ١٦/ ٢٠). وقال بولس: «ألويل لي إنْ لم أبشّر».

(٣٧) و ل ٢؛ التعليم المسيحي، عدد ٥١.

ذاته، كما يشاء هو، «بقرارٍ منه حرّ»، ولو كان ذلك في ظلمات الحياة البشريّة المدلهمّة؛ ويخطّ مستقيمًا ما رسم من أهدافٍ ولو كان ذلك في أحداثٍ تاريخيّةٍ كثيرةِ الإعوجاجاتِ والالتواءات.

أمّا في الإسلام فالكلام يطول جدًا إن أردنا استعراض ما يجده المسلمون في القرآن من علومٍ إجتماعيّة وسياسيّة وأدبيّة وفلسفيّة ولغويّة واقتصاديّة وطبيّة وعلميّة وفلكيّة وفيزيائيّة وكيماويّة...

في القرآن يجد المسلمون، بحسب محمد عزّة دروزة: «مختلف شؤونهم الدينيّة والدنيويّة، الرّوحيّة والماديّة، العامّة والخاصّة، السياسيّة والقضائيّة والاجتماعيّة والشخصيّة والإنسانيّة»[٣٨].

وعند أنور الجندي، إنّ كلّ ما في الأرض من علوم مصدرها ومرجعها القرآن، بل «إنّ القرآن بمثابة ندوةٍ علميّة للعلماء، ومعجم لغة للّغويّين، وأجروميّة نَحْوٍ لمن أراد تقويمَ لسانه، وكتب عروضٍ لمحبِّ الشِعر، وانسكلوبيدية عامّة للشرائع والقوانين»[٣٩].

هذا القرآن، بحسب قول الدكتور يوسف مروّة[٤٠]، نجد فيه كلّ «ما يؤكّد ويدعم مواضيع العلم الحديث : مِن تجزئة الذرّة، وثنائيّة المادّة، والأشعّة الكونيّة، وطبقات الجوّ، والضغط الجوّي، وتركيب الماء والهواء، ولغة الحشرات، وبصَمات الأصابع، والكائنات المجهريّة، وعدم فناء المادّة، وغزو الفضاء، والذبذبات الصوتيّة، والنقل البعيد، والرؤية عن بُعد (التلفزة)، إلى غير ذلك من حقائق العلم الحديث»[٤١].

---

(٣٨) القرآن المجيد، المكتبة العصرية، صيدا، بدون تاريخ، ص ٥ – ٦.

(٣٩) أنور الجندي، العالم الإسلامي والإستعمار، ص ٣٢٦.

(٤٠) أنظر لمحة عن حياته وعلمه واكتشافاته بقلمه، في كتابه العلوم الطبيعيّة في القرآن، منشورات مروّة العلميّة، بيروت ١٩٦٨، ص ٨ – ٩).

(٤١) يوسف مروة، كتاب العلوم الطبيعية في القرآن، ص ٦٩.

وفي رأي أحمد سليمان، إنّ القرآن تناول بالبحث كلَّ المعارف والعلوم الممكنة «تناولاً شاملاً جامعًا مانعًا. لم يبقِ فيه للأجيال التي تلتْ نزولَه ما تزيده، ولم يترك للعلم وآلاته أن يُضيفا شيئاً إلى بيّناته... فسبق العلمَ ولم يترك زيادةً لمستزيد»(٤٢).

وفي علم الدكتور مصطفى الرّافعي أنّ في قطرةٍ واحدةٍ من بحر القرآن «زهاءَ ثلاثةِ آلاف علْم. فترى ما عسى أن يكون البحر!»(٤٣). وعنده أنّ في القرآن «آيات بيّنات في مسائل ما برحتِ العلومُ الطبيعيّة تحاول الكشفَ عن كنهها منذ عصور»(٤٤).

والشّريعة الإسلاميّة أيضاً، بحسب محمّد قطب، «أرادها اللّه لمستقبل البشريّة كلّها، والّتي وضعها اللّه على مستوى النضج للبشريّة كلّها، وصاغها بحيثُ تشمل كلَّ دقائق حياتهم، وتسير مع كلّ نموّهم وتطوّرهم... وعالج الإسلام هذه الشريعة بحيث لا تخرج الحياة البشريّة في أيّةِ لحظة من تطوّرها عن مفاهيم الإسلام وتشريعاته»(٤٥).

ويختصر الدكتور داوود العطّار سببَ انحطاط المسلمين وتأخّرهم بقوله: «لعلّ أهمّ الأسباب الداخليّة لانحطاط المسلمين وتأخّرهم في الوقت الحاضر هو انصرافهم عن تدارس ما في القرآن من كنوز العلم والمعرفة، والتي ما زالت بكراً حتى الآن»(٤٦).

يتحصّل من مفهوم الوحي المسيحي، أنّ المسيحيّين، تجاه الحقيقة والمطلق، يظلّون في حالة بحثٍ وتفتيشٍ وقلق. وهم لا يجدون في كتبهم الموحاة أيّة حقيقة

---

(٤٢) أحمد سليمان، القرآن والطب، دار العودة بيروت، ص ١٢٠-١٢١.
(٤٣) إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٩، ١٩٧٣، ص ١٢٦ حاشية ١.
(٤٤) المرجع نفسه، ص ١٣١.
(٤٥) محمد قطب، جاهليّة القرن العشرين، ص ٢١-٢٢.
(٤٦) د. العطار، موجز علوم القرآن، مؤسّسة الاعلمي، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص ٧.

تعالج الوضع البشري، رهينَ الظروف التاريخيّة وتحوّلاتها. بل هم في صراع ونضال دائمَين. لا شيء ينكشف لهم طالما هم في هذا العالم العابر. ولذلك هم، في قلقهم هذا، يعيشون حالةَ رجاءٍ دائم. يتطلّعون باستمرارٍ نحو العالم الآتي، ويأملون، بعد انتقالهم من هذه الحياة، مواجهةَ الحقيقة والمطلق اللّذين يبحثون عنهما في هذه الدنيا. هذا الرجاء هو لهم اليوم بسبب معاناتهم مع الله. هذا هو صليبهم المنتصب أمام عيونهم أبدًا.

أمّا ما يتحصّل من مفهوم الوحي الإسلامي، فهو أنّ المسلمين، تجاه الحقيقة، مطمئنّون. لا قلق عندهم ولا اضطراب. يواجهون الحقيقة فيجدون لها ألف ألف حلّ وحلّ في كتابهم «المنزل». هذا الكتاب، فيه «الحق اليقين»(٤٧)، و«القول الفصل»(٤٨). كلّ ما يترجّاه المسلم من الحياة الآتية يعرفه هنا. وما سيحصل عليه هناك لا يختلف عمّا حصل عليه هنا. ولهذا يجد في كتابه «كلَّ الحلول لكلّ المشاكل»، كما يجد فيه كلَّ العلوم والاختراعات والمعارف. هذا «الكلُّ في كلِّ شيء» جعل المسلمَ قابلاً لوضعه، غيرَ متألّمٍ من أيّ نقص، وغيرَ قلقٍ على مسيرته وحرّيّته. حتّى إنّ سعادتَه في الجنّة لن تختلف عن سعادته في الأرض.

ثامناً – كمالُ الوحي وتمامه : كمال الوحي المسيحيّ في شخص يسوع المسيح. فهو الوحي، وملء الوحي، تمامه، وغايته ونهايته، واستمراريّته إلى مدى الدهر باستمرار الرّوح في الكنيسة. لا بعده وحيٌ يرتجَى خارجًا عنه، ولا قبلَه وحيٌ لم يكن متَّجِهًا إليه. فالمسيح هو صاحب الوحي، وهو موضوعه. به تمّ كلُّ شيء، وبه كان «ملء الزمن» (غل ٤/٤). وما تمّ به سلّمه إلى رسله، و«تسلّم» رسلُه ما سلّمهم إيّاه. وهؤلاء «بلّغوا الناس»، عن طريق الكنيسة، ما تسلّموه، وذلك بهديِ الرّوح القدس ومواهبه. وفي النهاية، سوف يتمّ الوحي وينتهي بتمام المشاهدة العيانيّة لسرّ الله.

---

(٤٧) سورة الحاقة ٦٩/٥١.

(٤٨) سورة الطارق ٨٦/١٣.

هذا ما يعلّمه المجمع، فيقول: «ألحقيقة الخالصة التي يُطلعنا عليها الوحي، سَواء عن الله أم عن خلاص الإنسان، فإنّها تسطع لنا في المسيح الذي هو وسيط الوحي بكامله، وملؤه، في آنٍ واحد»[٤٩]. ويعلّم أيضًا: إذا كانت غاية الوحي خلاصَ الإنسان، فالخلاص تمّ واكتمل بالمسيح. فالمسيح، إذاً، هو غاية الوحي: «وعليه، فهو الذي -إن رآه أحد فقد رأى الآب- بحضوره الذاتي الكامل، وبظهوره، وبأعماله وأقواله، وبآياته ومعجزاته، وخاصّة بموته وقيامته المجيدة من بين الأموات، وأخيراً بإرساله روحَ الحقّ، يتمّم الوحي، ويكمّله، ويثبّته»[٥٠].

ألقول بأنّ المسيح هو كمال الوحي يعني :

أ - أنّ الوحي في المسيحيّة ليس كتاباً. وما كتابُ الإنجيل سوى ذكريات أو مذكّرات شخصيّة[٥١]، كتبها أناسٌ بصدق. في هذه «المذكّرات» بعض تعاليم معلّمهم، وبعض أعماله وسيرة حياته. وهي مهمّة لأنّها تعرّفنا إلى المسيح وعملِه الخلاصيّ. أقرّتْها الكنيسةُ لأنّ فيها «الشهادة الرئيسيّة على حياة الكلمة المتجسّد»[٥٢]. وهذه الكتب «تؤكّد كلَّ ما يتعلّق بالمسيح، وتعبّر أكثر فأكثر عن تعاليمه الأصيلة، وتبشّر بقوّة العمل الإلهي الخلاصيّة التي تمّمها المسيح، وتخبر عن بدايات الكنيسة وانتشارها العجيب، وتنبئ بكمالها المجيد»[٥٣].

٢ - إذا كان المسيح هو تمام الوحي فهذا يشير إلى إمكانيّة تعدّدِ كَتَبَةِ الوحي، مراعاةً لأحوال المسيحيّين، وانسجاماً مع مبدأ الكرازة. وقد عبّر المجمع عن ذلك أيضاً بقوله: «كتب المؤلّفون الأناجيلَ الأربعة، واختاروا بعضَ ما كان يُنقل بغزارة، شفويًا أو كتابةً، وأوجزوا البعضَ الآخر، أو فسّروه مع مراعاة ظروف الكنائس... وكتبوا بتلك النّيّة، سواء تدفّقت الأمور من ذاكرتهم وذكرياتهم

---

(٤٩) دستور عقائدي في الوحي الإلهي، عدد ٢.

(٥٠) ألمرجع نفسه، عدد ٤.

(٥١) تعبير استعمله الدستور في عدد ١٩، سيأتي ذكره في نصّ لاحق.

(٥٢) دستور في الوحي الإلهي، عدد ١٨.

(٥٣) ألمرجع نفسه، عدد ٢٠.

الشخصيّة، أو صدرت عن شهادة أولئك الذين عاينوا بأنفسهم»[٥٤].

٣ً – ويعني، بحسب تعبير المجمع أيضًا: «أنّ التدبير المسيحي الذي هو العهد الجديد والنهائي لن يزول أبداً، ولن يُرتَقَبَ بعدَه أيّ وحي جديد علني قبل الظهور المجيد لسيّدنا يسوع المسيح»[٥٥]. هذا يعني أنّ ما في العهد الجديد يكوِّن أساساً كاملاً لحياة الكنيسة حتّى تسيرَ به مزوَّدةً كفايةً نحو مَعَادِها.

«ومع ذلك، وإنْ أتى الوحيُ على تمامه، في المسيح، فهو لم يتمّ الإفصاحُ الكاملُ عن مضمونه. فيبقى على الإيمان المسيحيّ أن يُدرك عبر الأجيال وتدريجيًا ما ينطوي عليه من فحوى»[٥٦].

ثمّ «إنّ الإيمان المسيحيّ لا يستطيع أن يتقبّلَ "وحياً" يدّعي أنّه يفوق، أو يصحِّح، الوحيَ الذي كان المسيحُ نهايتَه»[٥٧].

٤ً – ويعني أخيراً عناية الكنيسة عناية فائقة بكتب الوحي جميعها، كما هي، بتعدّد رواياتها. وذلك استناداً إلى القول بمختلف مصادر الوحي، شفويّةً كانت أم كتابةً، إخباريّة هي أم رسائل أم أعمال أم رؤى..؛ لأنَّ «الكنيسة تمسّكتْ وتتمسّك دائماً، وفي كلّ مكان، بالإنجيل الرباعيّ الشّكل»، وتحترم تعدّدَها... وقد رفضت كلَّ محاولة لدمجها[٥٨]. هذا الاحترام يستند إلى مفهومها للوحي، أيّ أنّ الوحي الحقيقي ليس في ما كُتب، بل عن مَن كُتب؛ «وعلى حدٍّ قولِ الآباء المأثور: يُقرَأ الكتابُ المقدَّس في قلبِ الكنيسة أكثر ممّا يُقرَأ في موادٍّ تعبيرِه»[٥٩].

---

(٥٤) ألمرجع نفسه، عدد ١٩.

(٥٥) ألمرجع نفسه، عدد ٤، راجع ١ طيموتاوس ٦/ ١٤، تيطوس ٢/ ١٣.

(٥٦) ألتعليم المسيحي، عدد ٦٦.

(٥٧) ألتعليم المسيحي، عدد ٦٧.

(٥٨) رَ: التعليم المسيحي، عدد ١٢٧.

(٥٩) رَ: القديس إيلاريون أسقف بواتييه، رسالة إلى الأمبراطور قسطنطين ٩؛ القديس إيرونيموس، في الرسالة إلى الغلاطيّين ١، ١، ١١–١٢؛ ألتعليم المسيحي، عدد ١١٣.

أمّا كمال الوحي في الإسلام فهو القرآن وكلُّ ما في القرآن. ولا وحي بعدَ القرآن. ألقرآن هو الوحي الكامل والنّهائي. وليس محمّد، في حقيقة الأمر، سوى «شاهد» عليه. لقد ذهب محمّد وبقي القرآن، وهو الأساس. وقد نقول: ذهب «الإنسان» وبقي «الكتاب»، أي ذهب «الروح»، وبقي «الحرف». لذلك قلنا ونقول بأنّ المسلمين هم «أهل كتاب» فيما المسيحيّون «أهل شخص».

لم يتحمّل المسلمون، عبر العصور، أن يستمرّوا متعلّقين بـ «الكتاب» من دون «الإنسان». لهذا حصل عندهم ما حصل من تقديس للنبيّ واعتباره كائنًا ساميًا فاعلاً شفيعاً حيّا، يهتمّ بهم، ويهديهم إلى حيث يريد. ولهذا، أقاموا له الأعياد والاحتفالات والصلوات والابتهالات... وهو تكريم رفضه المسلمون أنفسُهم، ولكنّه قد حصل.

وحصل ثانياً الإيمان بوجود الإمام المهدي المنتظر، إنساناً كاملاً حيًا إلى مدى الدّهر، يعتني بالكتاب، وبحفظِه، وتفسيره، وتأويله، وبقائه. وهو موقف الشيعة الإماميّة الذين لم يتقبّلوا اتّباع كتابٍ جامدٍ، فآثروا اتّباع شخصٍ حيٍّ. وهذا حاصلٌ أيضاً.

هذان موقفان طبيعيّان، لأن ليس، في الإسلام، مَن يضمن الوحي ويتولاّه بسلطان، ويقدّمه للعالم بصيغةٍ عصريّة مناسبة، وبقراءةٍ تناسب متغيّرات هذا العالم، كما هو، في المسيحيّة، حال الكنيسة.

ومن الطبيعي أيضاً، نتيجة للوحي في القرآن، أن لا يتسنّى للمسلمين إمكانيّة تحديث موضوعات إيمانهم، أو عصرنتها، وتطوّرها؛ وأنْ لا يكون من حقّهم وضْعُ صلواتٍ واستحداث أعيادٍ وطقوسٍ، وذلك نظراً إلى العلاقة المباشرة بين المسلم والكتاب، وإلى عدم وجود أيّة سلطةٍ روحيّة فاعلةٍ على الأرض تستطيع أن تطوّر ما في «الكتاب».

بهذا المعنى نقول: إنّ الوحي في الإسلام «مغلق»، يدور في دائرة لا تتعدّى ثلاثة: اللّه، جبريل، ومحمّد. وهو أيضًا «مغلق»، لأنّه محصورٌ بين دفّتي كتاب

واحد، مؤلِّفُه واحـد، في فترة زمنيّة واحدة، ولمجتـمع واحد.. لا تعدّدية في الوحي الإسلامي، أي لا تنوّع فيه ولا تطوّر.

تاسعاً – طابع الوحي الجماعيّ: ١ . للوحي المسيحـي طابعٌ جماعيّ، أي إنّه لا يتوجّه إلى الفـرد فحسب، بكونه فرداً مـعزولاً يتولّى شؤونَ نفسـه بنفسه، إنّما يتوجّه إلى الفرد في «جماعـة»، أي «كنيسة». فلكأنّ الوحيَ يعني «الجماعة» لا الفرد؛ بحيث أنّها هي المُوحَى إليها لا الفرد. وهي التي عليها أن تشهد لما به تؤمن.

وهذا الوحي المدرَج في كتابٍ لا يُعـرف وحياً إلاّ بشـهادة الكنيسـة. ألكنيسة تقرّه، وتفسّره، وتحافظ عليه، كوديعةٍ مقدّسة.

ثمّ إنّ الصلة بين الكنيسة والوحي تتأتّى من كون الإثنين لا يمثّلان مرجعَين متنافسَين: فـالكنيسة تشهد للوحي، والوحي مـصدر تعاليمها؛ للكنيـسة سلطانها المطلق من الوحي، والوحي مطلق كـامل ناجز تتـولّى الكنيسـة تعيـينه وتفسـيره وتبليغه. وليـس لأحد أن يشكّ في صلاحيّات الكنيـسة هذه. فهي المسيح المتـجسّد في العالم، والوحي المستمرّ لنموّ البشريّة. إنّها هي المسيح المستمرّ حيًا في العالم.

فعلاقة الوحي بالكنيسة، إذًا، هي علاقـة ارتباط عضوي. لا ينفصلان. غير أنّ الكنيسـة لها أن تستخـرج معاني الوحي وتُقـدّمها للناس حيث هم في مـختلف عصورهم ومجتمعاتهم وحالات تطوّرهم. وليس لأحدٍ أن يجد ما تستطيع الكنيسة أن تجد. فـالوحي أُعطي أوّلاً وآخرًا لها. هذا يعني أنّ مـسيحـيّاً خارجَ الكنيـسة لا يكون. أي أن مسيحيّاً يحاول فهمَ الوحي اعتـماداً على ثقافته وتربيته وهوى قلبه، هو مسيحيٌ قد يصنع لنفسه مسيحاً على حسب ثقافته وتربيته وهوى قلبه.

«إنّ الكنيسـةِ التي أُودِعتْ نقْلَ الوحي وتفـسيرَه، "لا تقـتصرُ عـلى الكتاب المقدّس في الوصولِ إلى يقينها في جميع نقاط الوحي. ولهذا، فمن الواجب تقبُّلُهما (أي الكتاب والكنيسة)، وتوقيرهما كليهما بنفس عاطفة المحبّة والاحترام "»[٦٠].

---

(٦٠) ول ٩؛ التعليم المسيحي، عدد ٨٢.

«مهمّة تفســير كلمة اللّه، المكتوبة أو المنقولة، تفسيراً أصيلاً، عُــهِدَ فيها إلى سلطة الكنيســة التعليمــيّة الحيّــة وحدَها، تلك التي تمارِسُ سلطانهــا باسم يسوع المسيح»[٦١].

هذا الطابع الجمــاعي للوحي غيــرُ وارد في الإسلام : لقد نــزل الكتاب على محمّد، ومحمّد دفعه إلى النــاس لكي يسيروا بموجبه. فكلُّ مَن «قرأه» يكون مسلماً مـؤمناً، لا شائبــة في إسلامــه. نعني بذلك أنّ المسلــم يأخذ إســلامَه من «الكتــاب» مباشرة، لا من «جماعة». ولئن كان من «جماعة»، أو «أمّة» في الإسلام، دعا القرآن إلى تكوينها، فهي «أمّة» اجـتماعيّة سياسيّة تُطبِّقُ شــريعةَ الإسلام، ويكون القرآن دستورها الأوحد.

فالوحي الإسلامي، إذًا، على صعيد «الجماعــة»، كان في سبيل بناء مجتمع سياسي، هو «دار الإسلام» بمقابل «دار الحرب» التي هي دار غير المسلمين. وعلى صعــيد الفرد، هو في ســبيل هديه إن سارَ بموجب الشــريعة. فالفــرد في الإسلام يكون مسلمــاً وإنْ لم ينتمِ إلى «الأمّة». وانتــماؤه إلى «الأمّة» يكون في ســبيل بناء مجتــمع سياسي يُقيم أحكام القــرآن، وليس في سبيل الخلاص أو صحــة الإنتماء إلى الإسلام.

علينا أن نلاحظ، في مــجال هذا الطابع الجمــاعي للوحي، أنّ المسلمين الذين يجتــمعــون للصلاة «يوم الجــمعــة»، هم لا يجتمــعون من قِــبَلِ الواجب الملزِم؛ ولا يجتمعــون عند صلوات ليتورجيّة تضــعها الجماعة، أو لها الحــقّ في وضعها؛ ولا يجتمعون لذكــرى حدثٍ خلاصيّ تمّ في التاريخ؛ ولا يجتمعون في احــتفالٍ أو عيدٍ يدور على نعمــةٍ تلقّاها وليّ... هذا، وإن اجتــمع المسلمون «يوم الجــمعة» فاقــتداءً باجتماع اليهود «يومَ السبت»، واجتماع المسيحيّين «يومَ الأحد». وكم من فرق!!

عاشراً – الطابع المَعادي للوحي : وأخيــرًا يتميّز الوحي المســيحي بكونه **وحيًا مَــعاديًا** (نُهْيَوِيًا eschatologique)، أيّ أنّه «لم يتمــحور حول حيــاة يسوع

---

(٦١) ول ١٠؛ التعليم المسيحي، عدد ٨٥.

الأرضيّـة فحسب، بل يتّجـه نحو ظهوره الأخـير الذي يُمهِّـد له، منذ اليوم، تاريخُ الكنيسة والعالم أجمع... وإليه تتطلّع الكنيسة»[٦٢]... وبفضله تستطيع الكنيسة أن تدرك بوضوح مسيرتها التاريخيّة.

في ذلك اليـوم، حـيث يصبح الوحيُ مـتـجلِّيًـا بتجلّي يســوع النهـائي[٦٣]، سيظهر البشــر أيضاً معه في المجد[٦٤]. ويتطلّع البشر كلّهـم نحو هذا التجلّي الذي سيتمّ في آخر الأيّام، بفارغ الصبـر، بالمشاركة مع الخليقة كلّها[٦٥]، حيث تُستبدل بعده حياةُ الإيمان بحياة المشاهدة المباشرة للّه وجهًا لوجه[٦٦].

فالوحي المسيـحي، إذاً، في معناه الحقيقـي، وفي حقيقتـه القصوى، يتطّلع نحو تحقيق غاية الإنسان الأخيـرة التي هي الحياة مع المسيح، وفيه ومن أجله. إنّه وحي ذو غاية مَعَاديّة، حيث تصير مشاركة فعليّة في الطبيعة الإلهيّة.

في الإسلام يتـمحور الوحي حـول بناء حياةٍ دنيويّة، تُـطبّق فيها شــريعة القرآن. ولا تُنتظر سعادةٌ في الجنّة تختلف عن سعـادة الأرض، بما فيها من طيّبات ماديّة، وتحقيقٍ لشهوات جسديّة، واستـحصالٍ على عددٍ وافرٍ من الحُوْر... فما هو هنا سوف يجده المسلمون هناك. وما يكوّن سعادتَهم هنا هو نفسه يكوّن سعادتهم هناك. وليس اللّه نفسه هناك بأكثر ممّا هو هنا إلاّ بنسبة ١٪[٦٧]. وسعادة المسلمين هناك، لا باللّه نفسه، بل بما يُعِدّ لهم اللّهُ من خيراتٍ وملذّات وأطايب.

في الخـتام نقول : هناك مـغالطات في مـفهـوم مـعظم المسلمين للوحي المسيحي، نختصرها في ثلاث :

---

(٦٢) راجع رؤيا ٢٢/١٧.

(٦٣) راجع ١ بطرس ١/٧ و١٣.

(٦٤) راجع كولوسّي ٣/٤.

(٦٥) راجع روما ٨/٩-٢٣.

(٦٦) راجع ١ قورنتس ١٣/١٢؛ ٢ قورنتس ٥/٧.

(٦٧) أي: إنّ المسلم يعـرف عن اللّه هنا تسـعة وتسـعين إسمـاً؛ ويبقى له إسم واحـد لا يعرفـه؛ وسوف يعرفه هناك في الحياة الثانية.

١ً - يقولون بأنّ لعيسى إنجيلاً نزّله علـيه اللّهُ، وأنزله معه من السماء إلى الأرض؛

٢ً - ويقولون أيـضاً بأنّ هذا الإنجيل «الحـقيـقي» قد ضـاع، أو ضُيِّعَ، أو أُخفي، أو أُتلِف، أو حُرِّفَ، وزُوِّر؛

٣ً - ثمّ يأخذون على الكنيـسة تعيينَ هذه الكتب، وتمييـزها عن سواها، إذ قبلت منها مـا قبلتْ، ونفتْ ما نفت. ثمّ حصـرت تفسيرها بنفســها؛ وزادت تعاليمَ عليها، وحدّدتْها بعقائد ثابتة.

يقول شريـف هاشم، مثلاً: «إنّ المسلمين يؤمنون بأنّ النّبي عيـسى قد ترك للبشرية إنجـيلاً سماويّاً»؛ وأيضـاً: «إنّ القرآن والمسلمين والمؤمنين بـه لا يعترفون إلاّ بإنجيل واحد، هو إنجيل النّبي عيسى»[٦٨].

وبالمعنى نفسه يقول عبـد الكريم الخطيب بأنّ «الواقع والعرف لا يسمحان بأن يكون لعيسى أكثر من كتاب»[٦٩]، و«أنّ أنصار التثليث قضَوا قضاءً مبرَماً على كلِّ أثرٍ لهذا الإنجيل العيسوي»[٧٠].

نجيب : لم يكتب المسيحُ كتابًا، ولم ينزّل كـتابًا. فمن أين جاء المسلمون بهذه المقولة؟! إنّه كلام لا سند له في المسيحيّة، لا قديماً ولا حديثاً، لا في العقيدة ولا في التاريخ. ولم يقل به أحد، وليس هو في وارد أي منطقٍ مسيحيّ.

يقول سمـاحة مفتي الجمهـوريّة اللّبنانيّة الشيخ حسن خـالد بأنّ الكنيسة استبـدلتِ الإنجيلَ الواحد بأناجيل؛ فـأخفتِ الإنجيلَ الحقيـقي، لأنّه يناقض تعاليمَ مجامعها. فأشار إليها ناصحاً: إنّ « هذا الإنجيل لا يمكن أن يكون أناجيل»[٧١].

---

(٦٨) الإسلام والمسيحيّة في الميزان، ص ١٥.

(٦٩) يرد في المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ١٦٨.

(٧١) موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة، ص ٧١٣.

نجيب : تعلِّم الكنيسةُ بأنّ كتاب الإنجيل روايات تاريخيّة وذكريات مَن عاينوا وسمعوا ونقلوا بصدق...فليس هو اللّه الذي كتب لعيسى، كما يكرّر ذلك سماحتُه : «إنّ سيدنا عيسى عليه السلام جاء حاملاً معه كتابه الإنجيل»[٧٢].

فمن أين جاء سماحتُه بهذه المقولة؟! أهو الذي يعلّم الكنيسة ما به يجب أن تؤمن وتعلّم! أم عليه أن يسمع ويتأمّل ويقبل ويؤمن. فقبل القرآن بسبعة قرون كانت الكنيسة تعلّم ما هي عليه الآن، لا بما يقوله الشيخُ معتمداً على قول القرآن بأنّ الإنجيل محرَّف ومزوّر.

ثمّ إنّ قول الشيخ حسن خالد بأنّ الإنجيل تكلّم على محمّد ووصفه في أكثر من مكان فهو قولُ جاهلٍ بمفهوم الوحي من أساسه.

إنّنا نؤكّد لسماحته بأن ليس من شأن الوحي أن يتنبّأ عن المستقبلات، ولا أن يتكلّم على علوم الناس، ولا أن يبدّل ويغيّر في قوانين الكون، ولا أن يبشّر بأحداثٍ عتيدة، ولا أن يحلّ مشاكل، ولا أن يتضمّن دقائق العلم والمعرفة، ولا أن يسنّ شرائع... كتاب الإنجيل هو، مذكّرات، أو ذكريات عن بعض حياة يسوع المسيح وبعض أعماله وتعاليمه، كتبها مَن عاينها وشاهدها وسمعها، وألهمه الروح على كتابتها، وثبّتت الكنيسة ما كتبه بسلطان.

نختصر ونقول: إنّ الإنجيلَ ليس كتابًا منزَلاً من السماء. يسوع لم يَنزِّلْ كتاباً. ولم يكتب إنجيلاً. ولم يأمر بأن يكون للكنيسة كتاباً. وليس الخلاص متعلّقاً بكتاب. وليس الكتاب هو تمام الوحي وغايته.

الإنجيل كتاب كتبه رجالٌ من الكنيسة ملهمون. كرزوا به شفويًا، ثمّ كتبوه، ليبقى فقط شاهداً على الوحي الذي هو المسيح نفسه. ويربأ المسيحيّون أن يُدعَوا، كما يحلو للقرآن تسميتهم، «أهل كتاب». فهم لا ينتسبون إلى أيِّ كتاب. هم ليسوا «كتابيِّين» ولا «إنجيليّين». بل هم «مسيحيّون» ينتسبون إلى المسيح.

---

(٧٢) المرجع السابق نفسه، ص ٥٩٥.

أمّا في الإسلام فالأمر يختلف تماماً، إذ إنّ النازل من السماء هو «القرآن». والقرآن هو الوحي بكامله. وما محمّد سوى شاهد لهذا الكتاب. والمسلمون هم حقّاً كتابيّون قرآنيّون، لا محمّديون، بل ولا مسلمون بحسب مفهوم القرآن نفسه[٧٣].

الوَدِيّ : الماء الثخين الأبيض الذي يخرج في إثر البول أو عند حمْل شيء ثقيل.. قال الفقهاء بنجاسة الوديّ، وبالتالي بوجوب الوضوء؛ لأنّ الخارج من السبيلَين، كالبول والغائط والمني والمذي والودي والريح، ينقض الوضوء إجماعاً.

وَرْش (عُثمان بن سَعيد) (ت ١٩٧هـ/٨١٢م) : شيخ القرّاء في مصر.

وَضّاح اليمَن (ت ٩٠هـ/٧٠٨م) : شاعر اشتهر بالغزل في العصر الأمويّ. تشبّب بـ «أمّ البنين» زوجة الوليد بن عبد الملِك، فأمر الوليد بدفنه حيًا.

وَلاّدَة بنت المُستَكْفي (ت ٤٨٤هـ/١٠٩١م) : شاعرة أندلسيّة، من بيت الخلافة. كان مجلسها في قُرطُبة مُنتدى للأدباء. اشتهرتْ بأخبارها مع الوزيرَين ابن زيدون وابن عبدوس، وكانا يهويانها. في شعرها رقّة وعذوبة.

وَرَقَة بن نَوْفَل بن أسَد بن عَبد العُزّى بن قُصَيّ : ابن عمّ السيّدة خَدِيجَة بنت خُوَيلِد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، أولى أزواج النبي محمّد بن عبدالله بن عَبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيّ. فيكون قُصَيّ الجَدُّ الثالث لوَرَقَة وخَديجة، والجَدُّ الرّابع لمحمّد. والثلاثة، أي: ورقة وخديجة ومحمّد، يلتقون عند قُصيّ نَسَباً وجاهاً وإيماناً وديناً ومكانةً. والثلاثة من قُرَيش سَدَنَة الكعبة، ومن سكّان مكّة، وأصحاب دار النّدوة.

١ . لقد قيل عن ورقة إنّه «كان على دين موسى، ثمّ صار على دين عيسى، عليهما الصلاة والسلام. أي كان يهودياً ثمّ صار نصرانيًا»[١]. هذا القول يعني أنّ

---

(٧٣) رَ: نظرة مسيحيّة في الإسلام، الآنف ذكره.

(١) ابن هشام ١/٢٠٣، وقيل أيضاً: «انه كان نصرانياً» (ابن هشام ١/١٧٥) وأيضاً: «كان امرأ قد تنصّر في الجاهلية» (البخاري، باب بدء الوحي ١/٣).

ورقة كان يأخذ بتعـاليم موسى وعيسى معاً، أي كان يقيـم التوراة والانجيل معاً، بحـسب تحديد القـرآن: «يَا أَهْلَ الكِتَـابِ! لَسْـتُمْ عَلَى شَيْءٍ حتّى تُـقِيـمُوا التَّـورَاةَ وَالإنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» (٥/ ٦٨)؛ ويعني ثانياً أنّ ورقة كان مـقتصداً في عقيدته، لا يغلو في نظرته إلى المسيح، كوفد نجران المسيحي النسطوري القائل بألوهيّة المسيح؛ ولا يقتصر على موسى، كاليهود الذين ينكرون على عيسى نبوّته.

فورقـة يكون، إذاً، من اليهـود–المتنصّرين، أي مـن اليهود الذين تـنصّروا، واعتـقدوا في المسيح نبـيًّا أتى يكمّل ناموسَ مـوسى من دون أن يكون إلهاً أو إبناً للّه؛ ويعني أخيراً أنّ مِن العرب مَن اعتنق النّصـرانيّة التّي لم تبق وقفاً على الغرباء والطّارِئين.

هذا وإنّ التاريخ الإسلامي شـهدَ على تنصّر أحياء كثـيرةٍ من العرب، ودلّ، بنوعٍ خاصّ، على دخول النصرانيّة بعضَ قبائل مكّة والحجاز. وأشار بوضوح الى اعتناق بعض بطون قريش لها، وأخـصّها فرع عبد العزّى بن قـصيّ، الذي قال فيه اليعـقوبي (ت ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م)، أحد أقـدم مؤرّخي الإسلام: «وأمّـا مَن تنصّر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزّى، منهم عُثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزّى، وورقة بن نوفل بن أسد...»[٢].

هذه الشهادات وغـيرها في كتب السِيَر والأخبـار تدلّ على وجودٍ نصرانيّ واسع في مكّة والحـجاز وسائر أنـحاء الجزيرة العـربيّة وبلاد الشـام؛ وتدلّ على جماعةٍ نصرانيّة ذات كيان وشـأنٍ في مكّة، ممّا يجيز القول بوجود قسٍّ عليها يدير شؤونها الروحيّـة، ويرعى أمورها الزمنيّة والاجتماعـيّة، هو القسّ ورقة بن نوفل، زعيم قريش وقائد من قادة مكّة.

٢ . أمّـا نصـرانيّـة القسّ ورقـة فكانت تقـوم على مـا كـانت تقـوم عليـه النصـرانيّة في تاريخ الـكنيسـة. لقد قـيل في ذلك: إنّ القسّ ورقـة «كان أحـد مَن اعتزل عبادة الأوثان في الجـاهليّة، وطلب الدين، وقرأ الكتب، وامتنع عن أكل ذبائح

(٢) كلاهما ابن عمّ السيّدة خديجة زوج النّبيّ. تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٧.

الأوثان»[٣]. وقيل أيضاً: إنّه «كان رابع أربعة تركوا الأوثان، والميتة، وما يذبح للأوثان»[٤]، وهم: عُبيد الله بن جحش بن أميمة بنت عبد المطّلب عمّة النبي وقد مات نصرانياً في أرض الحبشة تاركاً امرأته أم حبيبة التي تزوّجها الرسول من بعده[٥]؛ وعثمان بن الحويرث، ابن عمّ ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد زوج محمّد الأولى، تنصّر بأرض الروم وحسنت منزلته عند القيصر، وكان يقال له البطريق، لا عقب له، مات بالشام مسموماً[٦]؛ وَزَيد بن عَمرو بن نَفيل الذي قال فيه النبي: «إنّه يُبْعَثُ أمّةً وحدَه»[٧]، وهو ابن أخي الخطّاب، اشتهر عنه أنّه «نهى عن قتل الموؤودة»[٨]، و«يقول للرّجل، إذا أراد أن يقتلَ ابنته، لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتَها. فيأخذها»[٩] .

هؤلاء الأربعة، من فرعي عبد العزّى وعبد مناف على السواء، اشتهروا بتنصّرهم وفق الواجبات والفروض النصرانيّة المتّبعة في الكنيسة، والمعروفة في مقرّرات مجمع أورشليم الرسولي المعقود سنة ٤٩م، وهي تقوم على «الامتناع عن نجاسات الأصنام، والفحشاء، والمخنوق، والدم»[١٠]، وعلى الأخذ بالتوراة والإنجيل على السواء، وعلى الختان والمعمودية معاً...

٣ . إلاّ أنّ نصرانيّة القسّ وَرَقة وندمائه الثلاثة الآخرين تختلف، على ما يبدو، عن نصرانية مقرّرات مجمع أورشليم في أشياء، وتتّفق في أشياء: فمقرّرات المجمع الرسولي تقول بألوهيّة المسيح، وبنوّته لله، وتقول بصلبه وقيامته من بين الأموات، وعمله الخلاصيّ الشامل؛ في حين أنّ نصرانيّة القسّ ورقة وزملائه تنكر

---

(٣) الاصفهاني في الاغاني٣/١١٣.
(٤) ألطبقات ١/١٦٢، السيرة المكية ١/١١٠، ابن هشام ١/٢٠٤ – ٢١٥.
(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٠٦.
(٦) المرجع نفسه ١/٢٠٦ في اشارة حاشية (١).
(٧) سيرة ابن هشام ١/٢٠٨.
(٨) المرجع نفسه ١/٢٠٦–٢٠٧.
(٩) صحيح البخاري ٥/٥١.
(١٠) سفر أعمال الرسل ١٥/٢٠ و ٢٩؛ ٢١/٢٥.

ألوهيّة المسيح وبنوّته لله، وترفض صلبه وقيامته رفضاً قاطعاً. وتتّفق في إقامة أحكام التوراة والإنجيل، من ختان وصلاة وصوم وما أشبه.. والاختلاف، على ما يبدو، يعود إلى شيعةٍ في النصرانيّة معيّنة ينتمي إليها القسّ ورقة ومعظم قريش، وهي الشيعة الإبيونيّة Ebionisme (راجع مادّة : **الإبيونيّة**).

٤ . إنّ ما ظهر من إبيونيّة ورقة في حياته وممارساته الروحيّة وتعاليمه يدلّ على انتمائه الأكيد إليها. فعدا عن تعاليمه التي نجدها واضحة في القرآن، نتوقّف الى ما عُرِف عنه في كتب السِيرة من تحنّثه في غار حراء –والتحنّث هو التحنّف، والتبرّر، والتعبّد الليالي الطوال– إلى إقامة أعمال البرّ والإحسان، والصيام شهراً كاملاً في السنة، وإطعام الجياع، والرأفة بالمساكين، والتخلّي عن الناس، والانقطاع الى الله والتفكّر فيه[١١]، واعتزال عبادة الأوثان، والامتناع عن أكل الذبائح المقرَّبة إليهم، وقراءة الكتب المقدسة، والتأمّل في قصصها وأخبارها[١٢]، والأخذ بالختان، والحجّ إلى البيت، والغسل من الجَنابة، وتحريم الخمرة، وما أُهِلّ لغير الله[١٣].

٥ . أمّا عن علْم ورقة فقد قيل فيه: إنّ ورقة «كان نصرانيّاً قد تتبّع الكتب، وعَلِمَ مِن عِلْمِ الناس»[١٤]. وقيل فيه أيضاً: «إنّه استحكم في النصرانيّة، واتّبع الكتب من أهلها حتى عَلم علماً من أهل الكتاب»[١٥]. وقيل «كان قد تنصّر واتّبع الكتب»[١٦].

هذه الأقوال في ورقة تقطع في علمه وفي تتبّعه المتواصل لدرس الكتاب وفي وعيه هذا العلم. فهو يأخذ من أهل الكتاب، ومن علماء النصارى الموصوفين

---

(١١) الاصفهاني في الاغاني ٣/١١٣.

(١٢) طبقات ابن سعد ١/ ٨٥.

(١٣) لسان العرب ١٠/٤٠٢، الكشّاف ١/١٧٨، ٢٣٦، ٤٠٧، الطبرسي ١/٤٦٧، ٣/١٠٩، تفسير الرازي ١٣/٥٧، ١٤/ ١٠، ١٧/ ١٧١،. تفسير الطبري٣/ ١٠٤... تاج العروس ٦/ ٧٧ لفظة «حنف»، القرطبي ٤/ ١٠٩، القاموس ٣/ ١٣٠، ابن خلدون ٢/ ٧٠٧... وغيرهم.

(١٤) إبن هشام ١/ ١٧٥. سيرة ابن كثير ١/ ١٦٧؛ تاريخ الطبري ٢/ ٢٤٤.

(١٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٥.

(١٦) إبن هشام ١/ ١٥٤، السيرة الحلبية ١/ ٢٦٣.

في القرآن بـ «الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ» (٤/١٦٢؛ ٣/٧)، وبـ «أُولِي العِلْم» (٣/١٨)، وبـ «الَّذين جَاءَهُمُ العِلْمُ» (٣/١٩؛ ١٠/٩٣)، وبـ «مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ» (١٣/ ٤٣؛ ٢٧/٤٠)، وبـ «الَّذِينَ أُوتُوا العِلْم»[١٧]. «وكان محمد بن اسحق، صاحب السيرة، يعتمد على أهل الكتاب ويسمّيهم أهل العلم الأوَل. قال: حدّث بعضُ أهل العلم من أهل الكتاب»[١٨].

صفة العلم هذه، بحسب القرآن وأهل السِّيَر والأخبار، هي صفة القسِّيسين والرّهبان الأساسيّة: فخطَبُ القسّ ابن ساعدة الإيادي شهيرة في كتب الأدب، وفي سوق عكاظ؛ وشهرةُ الرّاهب بَحِيرا، الذي تعرّف عليه النبيُّ في أسفاره إلى الشام، بعيدةُ الأثر في نفوس أهل قريش؛ وقد قيل عنه: «انتهى إليه علم النّصرانيّة»[١٩]؛ والرّاهب عَدّاس النينوي «كان يُرقي محمّداً بما يعرفه من الكتب»[٢٠]؛ وراهب آخر من الشام يدعى عِيصاً «آتاه اللّه علماً كثيراً»[٢١]؛ وراهب آخر في سوق عكاظ كان على علمٍ في الطبّ، ذهب إليه محمَّدٌ برفقة جَدّه عبد المطّلب يطلب منه شفاءَ عينيه من رمَدٍ أصابهما في صغره[٢٢]... وغيرهم، وغيرهم!. ويُستغرب حقًّا ألاّ يكون القسّ ورقة واحداً من هؤلاء الرهبان المتبحرين الرّاسخين في العلم. وهو الذي قيل عنه بأنّه كان يتتبّع الكتبَ، ويتعلّم من أهل العلم، ويأخذ ممّن عنده علم الكتب.

٦. وجاء في صحيح البخاري أنّ القسّ ورقة «كان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من **الإنجيل بالعبرانيّة** ما شاء اللّه أن يكتب»[٢٣]. وجاء في صحيح مسلم أنّ القسّ ورقة «كان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربيّة ما شاء اللّه أن

---

(١٧) أنظر السور: ٥٨/١١؛ ٤٧/١٦؛ ٣٤/٦؛ ٣٠/٥٦؛ ٢٩/٤٩؛ ٢٨/ ٨٠؛ ٢٧/٤٢؛ ٢٢/ ٥٤؛ ١٧/١٠٧؛ ١٦/٢٧؛ ٣/١٩...

(١٨) الهمداني، الأكليل، ١/٣١؛ أنظر الفهرست لابن النديم، ص ١٧٦.

(١٩) إبن هشام ١/١٦٥؛ أنظر: الحلبية ١/ ١٣٠؛ تاريخ الطبري ٢/٢٧٧...

(٢٠) السيرة الحلبية ١/٢٦٧؛ السيرة المكية ١/١٨٣.

(٢١) السيرة الحلبية ١/٧٨.

(٢٢) المرجع السابق نفسه، ١/١٣٥.

(٢٣) صحيح البخاري بشرح الكرماني ١/٣٨-٣٩.

يكتب»[٢٤]. وجاء في أبي الفرج الأصفهاني أنّ ورقة «كان امرأ تنصّر في الجاهليّة، وكان يكتبُ الكتاب العـبراني، فيكتب بالعبرانيّة من الإنجـيل ما شاء أن يكتب»[٢٥]. وجاء في الـسّيرة النبـويّة لابن كثِـير: «وكـان يكتب الكتاب العـبراني فـيكتب من الإنجيل بالعبرانيّة ما شاء الله أن يكتب»[٢٦].

لئن كـان الاختـلاف بين هذه الروايات ظاهراً، فـإنّ بينها، من حـيث المعنى والمدلول، اتّفاقاً. كلّـها تشير، بدون شكّ، إلى أنّ القسّ ورقة كـان ينقل الإنجيل من العبرانـيّة إلى العربيّة. هذا الإنجـيل هو المعروف في الكنيسة بـ «الإنجـيل بحسب العبرانيّـين»، أو بـ «الإنجيل العبراني»، أو أيضـاً بـ «الإنجيل بالعبرانيّـة»؛ وتشير أيضاً إلى أنّ القسّ ورقـة كان يعرف، الى جانب اللّغـة العربيّة، اللّغة العـبرانيّة، أو الأراميّة بحرفٍ عبرانيّ، التي منها ينقل. لم يُعرف، عن القسّ ورقة، في كتب السِّير والأخبار، مهمّةٌ غير هذه، وهي مهمّةُ نقلِ الإنجيل العبراني...

هذا الإنجـيل عرفه آبـاء الكنيسـة؛ وقد كان واسـع الانتشار فـي الأوساط النصـرانيّة : فـالقديس جـيروم وجـدَه في حلب ونقلَه من الأرامـية الى اللاتينيّـة واليـونانيّـة[٢٧]، واسـتـشـهد بـه اغناطيـوس الإنطاكي في إنطاكـيا[٢٨]، وقرأه أوريجينوس في الإسكندريّة[٢٩]، وكذلك كليمنضوس الإسكندري[٣٠]، وإبيفانوس أسقف قـبرص[٣١]، والقديس إيريـناوس في ليون بعد آسـيا الصـغرى[٣٢]. ونقله

---

(٢٤) صحيح مسلم ١/٧٨-٧٩.

(٢٥) الأغاني لأبي فرج الأضفهاني ٢/١١٤.

(٢٦) ابن كثير، السيرة النبوية ١/٣٨٦.

(٢٧) St. Jérôme, Comm. sur Isaïe, XI, 2; Comm. sur Ezéchiel, XVIII,7; Comm. sur Ephésiens, V,3,4; Comm. sur Mat., XII,13; Dialogue Contre les Pélagiens, III,2; De Viris Illustribus,II...

(٢٨) Ignace d'Antioche, Smyrnes,III,2...

(٢٩) Origène, Comm. sur St. Mat., XV, 14; Comm. sur St. Jn, II, 12.

(٣٠) Clément d'Alexandrie, Stromates, II 9,45.

(٣١) Epiphane, Panarion, XXX, 3...

القسّ ورقة في مكّة إلى العربيّة[٣٣]. وممّا يدلّ على أنه هو نفسه كان بين يدي القسّ تلك الصلة القريبة جداً بين تعاليمه وتعاليم القرآن المكّي. أضف إلى ذلك اعتباره إنجيلاً خاصّاً بالشيعة الإبيونيّة التي تأكّد لنا انتماء القسّ اليها.

٧. وقيل عن ورقة إنّه «كان قسّاً. والقسّ رئيس النصارى»[٣٤]. وعرّف ورقة عن نفسه أمام محفل من قريش، قال: «نحن سادة العرب وقادتها»[٣٥]. وعن ابن اسحق وابن هشام قالا: «فأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانيّة واتّبع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب»[٣٦]. وعرف أهل مكّة مقام القسّ عندهم فولّوه أمورَ دينهم وشؤونَ دنياهم، واسترشدوا بآرائه، كما فعلت خديجة حيث قيل عنها: «إنّ ذلكَ مِن خديجَة كانَ بإرشادٍ مِن وَرَقة»[٣٧].

نفهم من هذه الأقوال أنّ ورقة كان رئيساً على كنيسة مكّة النصرانيّة في زمن عبد المطّلب، وفي فترةٍ طويلة من حياة محمّد. وكان له فيها دور روحي وزمني: فعليه تقوم مهمّة قيادة الكنيسة، وتعليم الناس وإرشادهم، وتفسير الكتاب وتأويله؛ وبه تناط خدمة الهيكل (الكعبة)، وإليه يُرجع في مختلف أمور الدين العقائديّة والتشريعيّة. عليه تقوم مهمّة تفقيه رعيّته معاني الوحي، يفصّل لهم آيات الكتاب، وينقل إليهم ما عجم منها، وييسّرها لهم بلسان عربي مبين. يثّبتهم في إيمانهم، ويزكّيهم من خطاياهم، ويهديهم إلى صراط مستقيم. فهو، بكلمة، أولّهم وسيّدهم وقائدهم والمسؤول عنهم.

وليس أدلّ على ذلك من كثرة اهتمام القسّ بالنبيّ نفسِه: فهو الذي زوّجه من خديجة، وهو الذي درّبه على التأمّل والصلاة في حِراء ، وهو الذي تولّى إعلان

---

(٣٢) St. Irénée, Adv. Haer., I, 26,2

(٣٣) البخاري ١/٣٨؛ مسلم ١/٧٨؛ الاصفهاني ٣/١١٤؛ ابن كثير ١/٣٨٦...

(٣٤) السيرة الحلبيّة ١/٣٦٣.

(٣٥) السيرة المكية ١/١٢٣؛ السيرة الحلبية ١/١٥٥.

(٣٦) سيرة ابن هشام ١/٢٠٥.

(٣٧) السير الحلبيّة ١/٢٧٥.

نبوّته على العرب. إنّ هذه المسؤوليّة لجـديرة بالاهتمام. فهي تُظهر لنا الدور الذي لعبه القسّ في مجتمع مكّة، ومهمّتـه في تعريب الإنجيل العبراني، وفرض ترجمته على العرب، ومكانتـه العالية بين زعـماء قريش وتجّـارها الميسورين، وتولّيـه أمر الكعبة، وملازمته بيت اللّه الحرام، والطواف حوله.

كلُّ هذه مهمّـات تُناط بالـرئيس السيّد القائد، والكاهن الجليل. وربّمـا شعر بعض كتبة السِّير بهذا الدور الخطير فأعلنوا عن أهميّة القسّ هذه في وساطته بين اللّه ومـحمّـد، بل وفي الوحي نفـسه، فـقـالوا: «وَلَمْ يَنْشَبْ وَرَقَـةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَـرَ الوَحيُ»[٣٨]، أو عندمـا امتـدحه النـبيّ في قوله: «أَبْصَـرْتُه في بطنان الجَنّة وعليـه السندس»، أو «إنّي رأيتُ له جَنّةً أو جَنّتَين»[٣٩].

٨ . أمّـا عن موت القسّ وَرَقَـة فالمعـروف عنه قليل جـداً. فكما نجـهل زمن ولادته ومدّة حيـاته كذلك نجهل أسبـاب وفاته واليوم الذي توفّي فيـه. إلاّ أنّه قيل فيه: «إنّه مات عن عمر يفوق المائة سنة». ولا يستبعد ذلك، طالما أنّه كان صديقَ عبد المطّلب جَدّ النبيّ ونديمه. وقـد قيل عن عبد المطلب أنّه مات وله من العـمر مائة سنة ونيّف.

ويُذكر أيضاً أنّ ورقـة توفّي بعدما بدأ محمّد رسـالته بثلاث أو أربع سنين، أي عندما كان لمحمـد من العمر أربع وأربعون سنة[٤٠]. ويوافق ذلك ما نراه عند ابن الجوزي في كتاب الأمتاع: «أنّ ورقة مات السنة الرابعة من المبعث»[٤١]، وفي سيرة ابن اسحق، وفي كتـاب الخميس...[٤٢]. ويرجّح طولَ حياة القسّ مـا كان عليه في آخر أيّامه من صمم وعمى. وهو ما يشير إلى عبء السنين عليه.

---

(٣٨) صحيح البخاري بشرح الكرماني ١/ ٣٨.

(٣٩) السيرة الحلبيّة ١/ ٢٧٤

(٤٠) ويُقال أنّه مـات في «عام الحزن»، أي في العـام الذي توفّي فيه أبو طالب وخـديجة، أي في السنة السابعة للدّعوة، أي: سنة ٦١٧م وكان لمحمّد ٤٧ سنة.

(٤١) راجع السيرة الحلبية ١/ ٢٧٤.

(٤٢) المرجع نفسه.

أمّا عن تأثير موت القسّ على النّبيّ فظاهر في حديث عائشة، إذ قالت: «ولم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أنْ تُوُفِّي وَفَتَرَ الوَحيُ». وهذا يدلّ على أنّ القسّ كان للنبيّ العضد الأمين، والمرشد الحكيم، والوسيط بينه وبين اللّه. وهو ما يشير إلى كونه كان رجلاً صالحاً، له دورٌ فعّال في الدّعوة الجديدة التي أصبح محمّد، بعد موته، قَيِّماً عليها و "الأوَّلَ" فيها.

ويختلف أهل السير والأخبار في موت القسّ ورقة إنْ كان على الإسلام أو على النصرانيّة: ففي رواية عن ابن عبّاس أنّ ورقة «مات على نصرانيّته»[٤٣]، وفي كتاب الأمتاع لابن الجوزي إنّ القسّ ورقة كان «آخر مَن ماتَ في الفترة، ودُفن بالحجون. فلم يكنْ مسلماً»[٤٤]. و«الفترة» هي المدّة التي تفصل بين عيسى ومحمّد، حيث لم يكن نبوّة. و«الحجون» هو مدفن الحنفاء من آل قريش، حيث قبر عبد المطلب جدّ النبي ووالدَيه.

إلاّ أنّ مفهوم أهل السير والأخبار للنصرانيّة، كدِينٍ يختلف عن الإسلام، فيه نظر. ومفهومهم لرسالةِ النبيّ على أنّها تختلف عن رسالة القسّ فيه أيضاً نظر.

وفي كلِّ حال، إنّ ما قاله النبيّ عن مصير القسّ بعد موته يفوق كل تصوّر، ويحسم الموضوع، ويتحدّى مفاهيم أهل السِّير والأخبار. يقول النبيّ: «لقد رأيتُ القسّ، يعني ورقة، في الجَنّة، وعليه ثياب الحرير». وفي رواية: «أبصرتُه في بطنان الجنّة، وعليه السندس». وفي روايةٍ أيضاً: «قد رأيتُه، فرأيتُ عليه ثياباً بيضاً، وأحسبه، لو كان من أهل النار، لم تكن عليه ثيابٌ بيض». وفي رواية أخرى : «لا تسبّوا ورقة، فإنّي رأيتُ له جنّة أو جنّتين، لأنّه آمَنَ بي وصدّقني»[٤٥]..

هذه الأقوال تقطع بأنّ ورقة هو من أهل الجنّة، أي لم يمت كافراً، بل مؤمناً وعلى الصراط المستقيم، أي مؤمناً بالإسلام الذي هيّأ له، ومؤمناً بالنصرانيّة التي

---

(٤٣) أنظر قول ابن عباس في السيرة الحلبية ١/٢٧٣.

(٤٤) إبن الجوزي في الامتاع نقلاً عن السيرة الحلبية ١/٢٧٣.

(٤٥) ترى هذه الأحاديث للنبي في السيرة ١/٢٧٤.

هو عليهـا. وبتعبيـر آخر: كان نصـرانيًا مسلماً حـنيفاً؛ لأنّ النصرانيّـة والإسلام، كلاهما دين واحد، في بشارة القسّ وتعاليمه.

لنعـد الآن إلى دور القسّ في حيـاة النبيّ وتعليـمه وتدريبـه. فكتب السيـر قاطعة جازمة بهذا الدور الكبير. منها :

٩ . القسّ يزوّج النّبي : عندمـا بلغتِ الساعة، أرسلتْ خـديجة إلى أعمامـها. وأرسل محمّد إلى أعـمامه فحضروا جـميعاً[٤٦]. واجتمع الناس. وخطب أبو طالب وقال: «...وابنُ أخي له في خـديجة بنتِ خُويلد رغـبة، ولها فيـه مثل ذلك». وخطب القسّ ورقة وليُّ أمـر خديجة، وقـال: «الحمد للّه الذي جـعلَنا كما ذكـرتَ، وفضّلَنا على مـا عدّدتَ. فَنَحْنُ سَـادةُ العَـرَبِ وَقَادَتُهـا. وأنتم أهلُ ذلك كلّه. لا يُنكِر العـربُ فضلكم. فَـاشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَـعْشَرَ قُـرَيش. إنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيجَـةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ مِنْ مُحَمَّـدِ بِنْ عَبْدِ اللّه... وفرح أبو طالـب فرَحاً شديداً، وقال: " الحـمد للّه الذي أذهب عنّا الكرب ودفع عنّا الغموم "[٤٧]. وقال أيضاً عن ابنِ أخـيه: " وهو، واللّهِ، بعدَ هذا (الزّواج)، له نبأ عظيم وشأنٌ خطير " »[٤٨].

يلاحظ أوّلاً مـقـام القسّ ورقـة في مكّة وفي قـريش: فـهـو سيِّـد العـرب وقائدهم. من قوله: «نحن سادة العرب وقادتها». وقـد اعتبرته كتب السير «رئيس النصارى» والمسؤول عنهم. ونستـدلّ على ذلك من أولويّته في محفل الزواج ومِن تقدّمِه على الحاضرين جميعـهم. والقسّ، على ما نعلم، محظوظ بثقة الناس موفور الاحترام.

يلاحظ ثانياً أنّ القسّ لم يكن حاضِراً حفلَ الزّواج ومـتقدِّماً على الحاضرين فحسب؛ بل لقـد كان محتفِلاً بالعَـقْد و«مكلِّلاً». فهو الذي أبرمَ العهد. وشـهد عليه، وأعلن على الحضـور ما جرى. هو المحـتفِلُ الأوّل بالعَقـد، أو قل هو «الكاهن» الذي

---

(٤٦) سيرة ابن هشام ١ / ١٧٤.

(٤٧) السيرة الحلبية ١ / ١٥٥، السيرة المكية ١ / ١٢٣.

(٤٨) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٤.

ربَط، باسم اللّه، ما لا يحلّه إنسان، بحسب تعليم إنجـيل الإبيونيّين. كاهنٌ نصرانيّ يبارك الزّواج! فعلى أيّ دين يكون الزوجان إذاً؟!

يلاحظ ثالثاً صـيغة العـقد التي تلاها القسّ على الزّوجين وأمام الحـضور. إنّها الصيغة المستعملة عادةً عند النصارى مع عناصرها الأساسيّة لصحّة الزّواج :

أً – وجود القسّ وإشرافه المباشر اللّذان اتضـحا في صيغة المتكلّم من قول ورقة: «إنّي قد زَوَّجْتُ».

٢ً – رضى الزّوجَين الذي بدا أكيـداً في عرض خديجة نفـسَها على محـمّد قائلة: «يا ابن عمّ! إنّي قد رَغِبْتُ فيكَ»، وفي رضى محـمّد الذي «ذكر ذلك لأعمامه» بفرح وسرور[٤٩]، وفي خطبة أبي طالب الذي أعلن «رَغْبَةَ» ابن أخيه.

٣ً – وجود شهود عِيان من آل قريش ومن الأقرباء والأنسباء.

٤ً – إعلان القسّ لعقد الزّواج إعلاناً رسميًا وصريحاً أمام الحاضرين.

٥ً – وأخيراً، إستمـراريّة الزّواج الذي ربط بين الزّوجَين حتى موت أحدهما. وبالفعل كان ذلك إذ «كانت خديجة أوّلَ امرأةٍ تزوّجها رسولُ اللّه، ولم يتزوّج عليها غيرَها حتّى ماتت»[٥٠].

يلاحظ رابعـاً مقاصـد القسّ في ما دبَّر علـى يدِ خديجة. إنّه زواجٌ، علـى ما يبدو، رغبه القسُّ قبلَ أن ترغبه خديجة : فهو الذي أعلن، قبل سواه، هذه الرغبة في قوله: «ورغبتُنا في الاتّصـال بحبلِكم وشرفِكم»[٥١]؛ وذلك بالرغم من رفض والدها الذي تساءل متـعجّباً: «أنا أزوّجُ يتـيمَ أبي طالب؟! لا لَعمري. فقـالتْ له خديجة: ألا تستحي؟! تريد أنْ تسفِّهَ نفسَك عند قريش؟! فلم تزل به حتّى رضي»[٥٢].

---

(٤٩) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٣، السيرة الحلبية ١/ ١٥٣.
(٥٠) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤.
(٥١) طبقات ابن سعد ١/ ١٣٣، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥، الحلبية ١/ ١٥٥.
(٥٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٣١-١٣٣.

وفي رواية «إنّ خديجة قالت لمحمّد: إذهبْ إلى عمك فقلْ له تعجّل إلينا بالغداة. فلمّا جاءها ومعه رسول اللّه، قالتْ له: يا أبا طالب! تدخل على عمّي، فكلّمه يزوّجني من ابن أخيكَ محمّد بن عبد اللّه. فقال أبو طالب: يا خديجة! لا تستهزئي. فقالتْ: هذا صنْع اللّه (؟؟؟). فقام فذهب وجاء مع عشرةٍ من قومه إلى عمّها»[٥٣].

ولن ندركَ الآنَ مقصد القسّ في ذلك. لعلّه، وهو الإبيوني المذهب، يريد الاهتمام باليتيم والفقير محمّد؟ أو لعلّه، وهو قسٌّ مكّة يريد أن يعدّ خليفةً له من بعده؟ أو يدبّر قائداً وزعيماً يخلفه على قريش؟! اللّه أعلم.

ويلاحظ خامساً -وقبل كلّ شيء- كيفيّة زواج المرحومِ والدِ محمّد المدعوّ عبداللّه، الذي كان يسعى وراء شريكة حياته؛ وقد عَرَضتْ «رقيّة» أختُ القسّ ورقة نفسَها عليه. وهي، كما تخبر عنها كتب السِّير، «كانتْ تسمع من أخيها ورقة أنّه كائنٌ في هذه الأمّة نبيّ»[٥٤]... إلاّ أنّها لم توفّق بالزّواج من عبداللّه... وهذا ما يدلّ، مرةً أخرى، على معرفة ورقة بمحمّد وبآل محمد، حتّى قبل ولادة محمد؛ كما يدلّ على أنّ في الأمر تدبيراً مدروساً ومصمّماً له. هذا وإنّ في السيرة الهاشميّة تأكيداً على «أنّ الذي وجدَه (محمداً) هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش. فأتيا به عبدَ المطّلب. وكان له من العمر خمس أو ستّ سنين. وهذا معنى ما جاء في القرآن: «وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى» (٩٣/٧)»[٥٥].

ويلاحظ سادساً دخول أبي طالب، هو الآخر، في مخطّط القسّ وتدابيره. وهو واضح في قوله: «وهو (أي محمّد)، واللّهِ، بعدَ هذا (الزّواج)، له نبأٌ عظيم وشأن خطير». ونحن نسأل: من أين لأبي طالب معرفةُ المستقبل واستنباطُ التنبؤات؟ من أين للعمّ أن يعرف ما سيكون عليه مصيرُ ابن أخيه؟ ثمّ إنّ أبا طالب رضي أن يزوّج محمّداً الشاب من أرملةٍ لرجلَين قبله، رضي بذلك مسروراً، فأعلن:

---

(٥٣) السيرة الحلبية ١/ ١٥٤.

(٥٤) ابن هشام ١/ ١٤٣-١٤٤ و١٤٥؛ ابن سعد ١/ ٩٥؛ الحلبية ١/ ٦٢-٦٣.

(٥٥) ابن هشام ١/ ١٥٤؛ انظر الحلبية ١/ ١٥٥.

«الحمد للّه الذي أذهب عنّا الكرب ودفع عنّا الغموم». ونسأل: أكان النبيّ على عمّه عالة، أم أراد العمّ لابنِ أخيه قَصاصاً، «وهو الذي كان يحبّه حبّاً شديداً لا يُحبّه ولده. وكان لا ينام إلاّ إلى جنبه. وكان يحفظه ويحوطه ويقصده وينصره إلى أن مات»[٥٦]. كيف رضي له ذلك لولا مخطط القسّ المدبّر الذي أراد أن يعوّض على محمّد عن الإجحاف العاطفي بتوليته قيادة روحيّة وسيادة زمنيّة على العرب؟

ويلاحظ سابعاً وأخيراً دخول محمّد نفسه في تدابير القسّ: فتىً في الخامسة والعشرين من عمره يتزوّج من امرأة تجاوزتِ الأربعين، وأرملةٍ لرجلَين قبله وأمٍّ لعدّة أولاد[٥٧]. هذا الشاب، مهما كان جريئاً، لا يخطر بباله، وهو الخادم، أن يتزوّج من سيّدته التي شفقتْ عليه واستخدمتْه في تجارتها، وقد كان قومُها حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك؛ قد طلبوها وذكروا لها الأموالَ فلم تقبل. ما كان ليكون لمحمّد ذلك لولا دافع دبّر له ما يناسب. ومَن يكون هذا الدافع غير القسّ؟ فلولا القسّ لما كان ما كان، ومتى أراد القسّ شيئاً كان.

١٠ . القسّ يدرّب النبيّ : بعدما ارتبط مصير محمّد بمصير خديجة انحلّت من مخطط القسّ عِقَدٌ كثيرة. لقد وقع النبيّ في قبضة القسّ وقعةً إلهيّة. لقد تمّت الخطوة الأولى بنجاح. وضع القسّ خبرتَه في خدمة نسيبه، فزيّن له مستقبلاً غنيًا بالأماني والآمال. ولم تضنّ ثريّةُ قريش بمالها لتنفيذ رغبات ابن عمّها. وتعاون الإثنان، بما يملكان من خبرةٍ ودهاءٍ وجاهٍ ومال، على إعداد النبيّ للرسالة المقرّرة. وسار القسّ به على طريق النّجاح المكفول. والنجاحُ المكفول يُصار إليه حثيثاً وبتوءدة.

والرسالة الخطيرة تتمّ بالتدريب المتواصل والتهيئة الباطنيّة العميقة. فكان أوّل ما كان وأهمّ ما كان الخلوة. والخلوة في غار حرَاء حيثُ اعتكفَ جَدُّه وندماءُ جَدِّه و«الحُمْس» من قريش. هناك، في مدّةٍ تزيد على الخمس عشرة سنة، راحَ

---

(٥٦) طبقات ابن سعد ١/١١٩، ١٢١.

(٥٧) السيرة الحلبية ١/١٥٦.

القسُّ والنبيُّ يختليـان ويصلّيان وينقطعان عن الناس ويفكّران باللّه، شهـراً كاملاً من كلّ سنة(٥٨). هناك تدرّب النبيُّ على يد القسّ.

إنّها المرحلة الهـامّة من حيـاة النبيّ وممارساته الروحيّـة وثقافتـه الدينيّة. والثقافة الدينيّة كانت تقوم دائماً على قراءة الكتاب المقدّس ودراسته وتفصيله. ولا غرابةَ في أن يكون «الإنجيل العبراني» الذي كان ورقـة ينقله إلى العربيّة، ويحضر محـمّد نقله، ويدرسه، و«يقرأ» فـيه، ويتأمّل، هو الكتـاب «الإمَام»، بحسب تعبـير القرآن نفسه (٢٦/١٢؛ ١١/١٧؛ ٤٦/١٢). وكم من إشارةٍ في القرآن العربيّ تدلّ على هذه المهمّة الجديدة التي اكـتسبها النبيّ وتلقّنها ودرسَـها بشغف الملهوف إلى كلمة اللّه.

١١. القسُّ يُعلنُ خليفَـتَه : لم يُخْفِ القسّ مقاصده في مـا دبّر لمحمّد منذ أن تعرّف عليـه. ولم يُخْفِ كتّـابُ السِّير مـقاصدَ القسّ هذه ولـو بعد مائة وخـمسين سنة. لقد عرف القسّ ما يقصد، وأدرك كتّـاب السِّير مقاصد القسّ؛ ولكنّهم حاولوا تجنّبَ خطرِ ما أدركوا وما عـرفوا. غير أنّ ما تجنّبوه من خطرٍ كان أكـثرَ إثباتاً لهذا الخطر :

لقد حـاولوا إثبات نبـوّة محـمّد؛ ولكنّهم، في الحقـيقـة، أثبتوا نـبوّة القسّ. وحاولوا إرجاع كلِّ شيءٍ في حياة مـحمّد إلى اللّه؛ ولكنّهم، في الواقع، كان القسّ، الذي نطّقوه باسم اللّه، مرجعهم وثقتهم العميـاء. لقد بحثوا في علاقة محمّد باللّه، فإذا هم يعلّقون محمّداً بالقسّ...

ويدرك الباحثُ ذلك عندمـا يسمع القسَّ يُطلقُ الإعـلانَ تلوَ الإعلان، فيـتنبّأ هو، لا محـمّد، على كلّ شيء. فـالقسّ هو الذي تنبّأ عـلى أنّ محمّـداً نبيُّ اللّه. وهو الذي عرف مـستـقبل محـمّد.. لكأنّ كـتّاب السِّيـر يطلقون الأدلّة على نـبوّة القسّ وقدرته، فيما هم يظنّون التدليل على نبوّة محمّد.

---

(٥٨) ابن هشام ١/٢١٨.

لا عجبَ، عندنا، في الأمـر، فإنّ كلّ شيءٍ قد أُعدّ إلى الآن على أحـسن حال، والقسّ، في رأي النّاس، وفي القرآن أيضاً(٨٧)، قدير على كلّ شيء وخبيرٌ في أمور اللّه. وللناس ثقـة بقدرة القسّ، أيّ قسّ، ممّا يثـبّت كلّ مخططٍ يـرسمه، وينـفّذ كلّ قصدٍ يعزم على تحقيقه. وقد تيسّر له ذلـك بسهولة، لاعتبارات عديدة: منها مقامه الرفيع بين الناس، فهو من «سادة العرب وقادتها»؛ ومنها رئاسته على جماعة مكّة، فهو «رئيس الـنصارى»؛ ومنها علمه الواسع بالكتب والأمـور الالهية، فهـو «يتتبّع الكتب من أهلها»؛ ومنها انقياد الناس له ولأمـثاله من القسّيسين والرهبان، لـ«أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ» ٥/ ٨٢)، وقـد اتّخذهم بعضُ النّاس «أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللّهِ» (٩/ ٣١)؛ ومنهـا أخيـراً سـعي أصحـاب الحـاجة إليـهم وطلب نصـائحـهم، والالتجـاء إلى صوامـعهم، والتـماس الشفـاء من أيديهم، والاعتـماد عليهم في اكـتشـاف الغيب واستطلاع الأسرار الخفيّة...

واستغلّ القسّ ورقة اعتبـارات الناس هذه، وراح يدبّر مَن يخلفُه في مهمّته، فكان محـمّد بن عبـد اللّه خيرَ مَن دَبّر. وأشـرك في تدبيره هذا أقرب المقـرّبين إليه وإلى النّبيّ، وهم : خديجـة زوج النّبيّ، وأبو طالب عمُّه وكفـيله، وأبو بكر الصدّيق صديقُ الصـبا، ووالدُ خديجـة بعد رضاه، وأخـوها عَمرو، وغـيرهم الكثـير. كلّهم انصاعوا لتدابير اللّه على يدِ قسّه ووكيله في مكّة، واتُّخذوا في ما دبّر.

وبارك هذا التـدبيـر الراهبُ بَـحِيـرا، والراهـبُ عَـدّاس النينوي، وسَلمـان الفارسي(٨٨). وساعدوا القسّ في ما أراد، فـتوالتِ التنبؤات عن مستقـبل محمّد من كل جانـب، من على ألسنة السحـرة والكهّان، والإنس والجنّ، والشـجر والحـجر، والحيـوانات على أنواعهـا، والملوك والأحبار، والملائكة والبـشر... ولم تبـخل كتب السيـر والأخبار عن ذكر الكثـير الكثير منهـا. وبعض ما ذُكر ينبيء عن كثـيرٍ ممّا حدث. ومـا كنّا ندري شيئًـا ممّا حدث لولا القسّ ورقة نفسـُـه يفسّر لنا مـا حدث.

---

(٨٧) إشارة إلى ٥/ ٨٢ حيث يقول: «ذلك بأنّ منْهمْ قِسِّيسِينَ ورُهْباناً وأنّهم لا يَسْتَكبِرون».
(٨٨) السيرة المكيّة ١/ ١٨٣، السيرة الحلبية ١/ ٣٦٧.

واستمرّت الإعلانات تتوالى على مدى خمس عشرة سنة. وأهمّها أتى في ست مراحل هامّة من حياة النبي ورسالته:

الإعلان الأوّل : قبل الزواج : قبل أن تتمّ مراسيم الزّواج بين محمّد وخديجة، وفيما كان محمّد يتاجر لخديجة في بلاد الشام، رجع «مَيْسَرَة»، خادمُها الأمين، يخبرها عمّا رأى وسمع من مذهلات جرت لمحمّد(٨٩). ولمّا انتهى من حديثِه، قامت خديجة للحال، وأتتْ مسرعةً تخبر ابنَ عمّها وَرَقة ما سمعتْه من خادمها عن محمّد. وللتّو وقف القسّ باطمئنان العارف بمشيئة اللّه يقول: «لئنْ كان هذا حقًا، يا خديجة، فإنّ محمّداً لَنبيّ هذه الأمّة. وقد عرفتُ (؟) أنّه كائن لهذه الأمّة نبيٌّ منتظَر هذا زمانه»(٩٠).

نحن نسأل، لا عن حقيقة نبوّة محمّد، بل عن حقيقة نبوّة ورقة. في كلِّ حال، لقد عرفتْ خديجة أن تستسلم لتدابير ابن عمّها في ما أراد، وهي التي كانت تسترشد بآرائه، على حدّ قول صاحب السيرة: «كان ذلك لخديجة بإرشادٍ من ورقة»(٩١).

الإعلان الثاني : عند بدء الوحي : لمّا كان محمّد في غار حراء يتحنّث ويصوم ويصلّي ويتفكّر باللّه ، وقد بلغ الأربعين، أتاه جبريل آخر الشهر يعلن له: «أبْشِرْ يا محمّد، أنا جبريل وأنت رسول اللّه لهذه الأمّة». ودفع إليه كتاباً يقرأه. فاعترى محمّداً ذهولٌ. ثمّ انصرف عنه الملاك . ورجع المرتاض قافلاً إلى بيته يُحَدِّث زوجتَه بما سمع ورأى. وللحالِ أعلنتْ خديجة، هي الأخرى العارفة بمشيئة اللّه: «أَبْشِرْ يا ابنَ عمّ واثبتْ. فوالذي نفسُ خديجة بيده! إنّي لأرجو أنْ تكون نبيَّ هذه الأمّة». ثم قامتْ، وجمعتْ عليها ثيابَها، وانطلقتْ إلى وَرَقة تُخبره عمّا حدثَ لزوجها. وقبل أن تستكمل حديثَها أعلن ورقة مطمئناً وقال: «قدّوسٌ قدّوسٌ،

(٨٩) ابن هشام ١/ ١٧٥، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٩، الحلبية ١/ ١٤٧-١٥٢، ابن كثير، السيرة النبوية ١/ ٢٦٨.

(٩٠) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٥-١٧٧، السيرة الحلبية ١/ ١٥١.

(٩١) السيرة الحلبية ١/ ٢٧٥.

والذي نفسُ ورقة بيـده، لئن كنتِ صدقتني يا خديجـة، لقد جاءَه النامـوسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى. وإنّه لَنَبيّ هذه الأمة . فقولي له فليثبتْ»[٩٢]...

ولا بدّ لنا من أن نسأل أيضاً، لا عـن نبّوة محمّد، بل عن نبـوّة خديجة، التي أعلنت لزوجها نبوّتَه، وعـرفتْ مشيئة اللّه، وفسّرتِ الرؤيا كعليـمة بأسرار الغيب. فمن أين لها ذلك؟ أمن اللّه؟ أم من ابن عمّها ورقة؟ أم من جبريل؟ أللّه أعلم.

الإعـلان الثـالث : في بدء الرسـالة : لمّا نزل مـحـمّـد من على جـبل الخلوة والصلاة، في نـهاية شهـر رمضـان، أتى الكعبـةَ، قبل أن يرجع إلى بيـته، يطوفُ حولهـا، سبع مرّات، بحسب عـادته. وفيما هو يطوف ذات مـرّة كان القسُّ يطوف أيضاً. وبادره بالسؤال: «يا ابنَ أخي! أخـبرْني بما رأيتَ وسمعتَ. فأخـبره رسول اللّه». فأعلن القسّ، لسـاعته وقـال: «والذي نفسـي بيده. إنّك لَنَبيٌّ هذه الأمّـة. ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى. وَلَـتُكَذِّبَنَّهْ وَلَتُؤْذَيَنَّهْ وَلَتُخْرَجَنَّهْ وَلَتُقَاتِلَنَّهْ. ولئن أنا أدركتُ ذلك اليـوم لأنصُرَنَّ اللّه نـصراً يعلمُـه». ثمّ أدنى رأسَه منه وقـبّل يأفوخَه. ثمّ انصرف محمّدٌ إلى منزله مطمئناً»[٩٣].

هذا هو الاطمئنان المطلوب، الذي حـصل عليه محمّد، والـذي كان يتمنّاه من ورقة. وهذا هو الاطمـئنان الذي يُطلب من القسّ توفيـره لرعيّتـه. وهذا هو النصر الذي حقّقه القسّ في تدبير خليفةٍ له عـلى جماعة مكّة... وهكذا انتصر القّس نصراً من عند اللّه بنصر تلميذه: «وَيَنْصُرُكَ اللّهُ نَصْراً عزيزاً» (٤٨/٣).

الإعـلان الرّابع : عند نزول الوحي : بعد هـذا النصر انطلق مـحمّـد، برفقـة صديقـه أبي بكر الصدّيـق، إلى ورقة، طالبـاً منه تفسـير ما يعـرض له من نوبات

---

(٩٢) ابن هشام ١/٢٢١، الحلبـية ١/٢٦٢، ابن سعـد ١/١٥٩. تاريخ الطبري ٢/٣٠١-٣٠٢، الكامل لابن الأثير ٢/٣١.

(٩٣) سيرة ابن هشام ١/٢٢٢، تفسير الطبـري ٢/٤٩، السيرة الحلبية ١/٢٦٣. وعند الطبري هذا التوضيح: «وقـد زاده ذلك من قول ورقة **ثباتاً** وخفّف عنه بعض ما كـان فيه من الهمّ» (تاريخ ٢/٣٠٢).

وإرهاصات. فهو لا يدري من أين هي، وممّن هي، وما معانيها. وأخبر محمّدٌ ورقةَ: «إذا خلوتُ وحدي، سمعتُ نداءً خلفي: يا محمّد! يا محمّد! فأنطلقُ هارباً إلى الأرض». وللحال راح القسّ يُرشد محمّداً، ويَنصحه، ويهدّئ روعه، ويطمئن نفسَه، ويقول له: «لا تفعل. إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثمّ ائْتِني»[٩٤].

ورجع النبيُّ عائداً إلى بيته، ورجعتْ عليه الرؤى، واضطربتْ نفسه مجدَّداً، وكثُرتِ الإغماءات عليه، وانتابتْه إرهاصات كان منها جزعاً. ثم عاد إلى مرشده يسأله عن سبب اضطراباته هذه؛ فإذا نحن مع الإعلان الخامس.

الإعلان الخامس : بعد بدء الرسالة : ثبت النبيّ على نصيحة القسّ واطمأنّ. وراح يباشر مهمّته، ويبلّغ رسالتَه، وينذر. وابتدأ يعلن للناس بعضَ ما نُزِّل عليه (؟) من سور القرآن بلسانٍ عربيٍّ مُبين. ولكنّ عبء الرسالة الملقاة على عاتقه أقلقله، فراح يضطرب من جديد. ففيما هو، مرّةً، يقرأ وينذر ويتوعّد، أخذتْ بوادره ترتجف، ووجهه يتربّد، وجبينُه يتفصّد عَرَقاً، وتنتابه نوبات وإرهاصات. فرجع إلى بيته مذعوراً مرعوباً. دخل على خديجة يقول لها: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»[٩٧]، أي لفّوني بالثياب الدافئة. فأسرعتْ خديجة وزمّلته حتى ذهب عنه الرّوع. وطلبتْ منه أن يُطلعها على ما جرى. فأخبرها. وقالت للحال قولَ العارفِ بالأمور ومجريات الأحداث: «كَلاَّ. أَبْشِرْ. فَوَاللّهِ، لا يُخْزِيكَ اللّهُ أبداً. إنّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ، وتُصدقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ لغيرك، وتُكسبُ المعدوم، وتُقري الضَّعيف، وتُعينُ على نوائب الحقّ»[٩٨].

وأرادت خديجة ان تتثّبت ممّا تقول وأن تؤكّد لزوجها حجّتها. فانطلقتْ به، كعادتها، الى الخبير الإلهي، إبنِ عمِّها، وَرَقة، تقول له: «إيْ عَمّ! إسمع من ابن أخيك». واستوضح ورقة محمّدًا: «يا ابن أخي! ماذا ترى»؟ فأخبره ما يرى.

---

(٩٤) الحلبية ١/٢٦٣.

(٩٧) طبقات ابن سعد ١/١٩٥، تاريخ الطبري ٢/٤٨، أنظر في القرآن سورتَي «المزّمّل» و «المدّثّر»، وصحيح البخاري، باب بدء الوحي، ١/٤.

(٩٨) صحيح مسلم ١/٩٧-٩٨؛ الحلبية ١/٢٦٧؛ صحيح البخاري ١/٣.

فأسكن القسُّ روعَه مجدّداً، وراح يردّد عليه قوله السابق: «هذا الناموس الذي أُنزل على موسى». ويضيف هذه المرّة: «يا لَيتَني فيها جَذِعاً وأكونُ في زمن الدعوة». ثمّ التفتَ ورقة إلى خديجة قائلاً: «نعم لم يأتِ رجلٌ بما جئتِ إلاّ عُودِيَ»[٩٩]، بسبب ما سوف يقوم به محمّد من ثورة على الأغنياء، وغزو القبائل، وإعطاء تعاليم غير مألوفة... وعادت خديجة ماسكةً بيدِ زوجها، والطمأنينة في نفسيهما. وأبلغَنا القسّ عن تمنّياته بعدما تحقّق اليسير منها.

الإعلان السادس : عند بدء الجهاد : عن عليّ قال: «لمّا سمع محمّدٌ النداء: " قلْ أشهدُ أنْ لا إله إلاّ اللّه وأنَّ محمّداً رسول اللّه " . قال محمّد: "لبّيكَ" . ثمّ قال: " قل الحمدُ للّهِ ربِّ العالمِين، الرّحمن الرّحيم، مالكِ يوم الدين " ». لمّا سمع محمّد ذلك اضطرب. وقام. وأتى القسَّ. وذكر له ما سمع. فقال ورقة: «أَبْشِرْ ثمّ أَبْشِرْ. فإنّي أشهد أنّك الذي بشّر بكَ ابنُ مَريمَ. فإنّك على مثل ناموس موسى. وإنّك نبيٌّ مرسَل. وإنّك ستؤمر بالجهاد بعد يومك. ولئنْ أدركني ذلك لأُجَاهِدَنَّ مَعك»[١٠٠].

يبدو أنّ هذا الإعلان أطلقه القسُّ قُبَيل أن يؤمَر محمّد بالجهاد، أي بعد مضي زمن غير يسير على بدء الرسالة. وكان القسّ قد أصبح عاجزًا ضريراً أصمّ. في هذا الإعلان اطمئنانٌ آخر لمحمّد بأنّه لن يكونَ وحده في جهادهِ ضدّ المترَفين من قريش. فالقسّ عازمٌ على أن يكون إلى جانبه، رغم كبر سنّه. ولكنّه الآن يرشده، ويعضده، ويشدّد من عزيمته، وينصحه بألاّ يستعجل الأمور، لأنّ المهمّ في سبل النّجاح الصبر والتصبّر. وهي نصيحة ثمينة جداً، ذكّره بها القرآن مراراً: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. وَلا تَسْتَعْجِلْ» (٤٦/٣٥). وعلى محمّد ألاّ يترك الرسالةَ المدعوَّ لها، مهما ضاق صدره: «فَلَعَلّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ!» (١١/١٢). فإنّ اللّه لن يترك نبيَّه بغير عضد، ولن ينساه أو يودّعه، أو يبغضه: «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الأُولَى» (٩٣/٣-٤).

---

(٩٩) السيرة الحلبية ١/٢٦٣ و٢٦٧؛ تاريخ الطبري ٢/٢٩٨-٢٩٩.

(١٠٠) السيرة الحلبيّة ١/٢٦٩.

وهكذا صار. وما كان هذا ليحدث لولا رحمة الله التي دبّرت كلَّ شيء على أحسن حال. ولئن صحّ ما جاء في الأخبار، أم لم يصحّ، فإنّ روايات السِّير النبويّة، وتسلسل الأحداث، وشهادات القرآن لها، والوساطة البشريّة التي يستخدمها اللّهُ لإعلان كلمته وتبليغها.. كلّها يؤكّد لنا وقوع محمّد وقعة إلهيّة في مخطط القسّ ورقة وتدابيره، وعَونِ خديجة سيدة نساء قريش التي وفّرت له «المال والجاه والشرف والجمال والكفاية والحنان».

لقد دبّر القسُّ كلَّ شيءٍ، ونفّذت خديجة كلَّ شيء على أكمل وجه. فهي التي كانت تسعى بين القسّ والنبيّ. تسمع النبيّ وتشجّعه، وتذهب إلى القسّ وتسترشده. ويكفي أن يقال عنها «إنّ ذلك من خديجة كان بإرشادٍ من ورقة»[101].

ورقة وخديجة وأبو طالب لعبوا في حياة محمّد دوراً كبيراً . وبموتهم فقد محمّد العضد والسند والمرشد والمنعة والحنان : بموت ورقة «فَتَرَ الوحي»[102]. وبموت خديجة «تتابعت على رسول الله المصائب»[103]. وبموت أبي طالب «نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب»[104].

١٢ . القسُّ النَّبيّ والنَّبيُّ القَسّ : نسأل: ماذا كان في نيّة القسّ أن يعلن؟ نبوّة محمّد؟ أم قسوسيّته؟ أم خلافته؟ أم ماذا؟.. من أين للقسِّ وَرَقة أن يعلن محمّداً نبياً، فيُشرك معه خديجة وأبا طالب وأبا بكر وعليّاً؟ وهل القسّ هو الذي أطلق على محمّد لقبَ نبيّ؟ أم تبدّلت الأسماء، فيما بعد، وتحرّفتِ المعاني، وتغيّرتِ النيّات، واستبدّتِ الأحداث السياسيّة بالأمور الدينيّة؟ أم ماذا؟..

لئن صحّ إعلان القسِّ نبوّةَ محمّد، يكون القسّ مخبولاً حقًّا، ويكون النبيّ، فيما صدّق من القسّ، مغروراً بدون شكّ. وحده الله يَختار أنبياءه، ووحدَه النبيّ

---

(١٠١) السيرة الحلبيّة ١/٢٧٥.

(١٠٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني ١/٣٨، أو ١/٤.

(١٠٣) المرجع السابق نفسه ١/٢٤٤..

(١٠٤) المرجع السابق نفسه ٢/٤٥-٤٦.

يعرّف بنبوّته، ويفرضها على النّاس فرضاً، وتعاليمُه تعلن عنها، وأعماله تدعم تعاليمه! وما من نبيٍّ في التاريخ احتاج إلى الدّفاع عن نبوّته كما هي الحال مع محمّد. والحقّ يقال إنّ القرآن المكّي لا يسمّي محمّداً نبيّاً على الإطلاق؛ بل يسمّيه «بشيراً» و«نذيراً». وهو ما يؤكّد لنا، مرّةً أخرى، أنّه لا القسّ ولا النبيّ استمتعا بالنبوّة، بحسب مفهومها في العهد القديم. فماذا يكون الأمر إذن؟

في ظنّي أنّ نيّة القسّ كانت غيرَ ذلك، ووعيَ محمّد كان هو الآخر، في بدء أمره، غير ادّعاء النبوّة. والذي بدّل المقاصد والنيّات والأسماء هو «مصحف عثمان» وكتّاب السِّيرة والأخبار، والفتوحات العربيّة المتتالية لبلاد الشام والفرس والروم والقبط... وكان قصد القسّ الحقيقي، على ما يبدو، أن يُعلن محمّداً خليفتَه على جماعة مكّة النّصرانيّة! وأدلّتنا على ذلك، نردّدها فنقول: القسّ هو الذي اختار محمّداً وتبنّاه؛ ودبّر زواجَه من خديجة بنتِ عمِّه؛ واعتكفا معاً في غار حراء أكثر من خمس عشرة سنة؛ ودرّبه على التأمّل والصوم والصلاة وقراءة الكتب المقدّسة؛ وعلّمه التوراة والإنجيل؛ ونقل له الإنجيل العبراني بلسان عربيّ مبين.

لقد كان يعي محمّد اختيارَه هذا، فعرف المطلوبَ منه. وباشر مهمّتَه. فراح يُنذر النّاس ويُبشّرهم، ويُثقّفهم، ويعلّمهم ما لا يعلمون من الكتاب، ويبيّن لهم «الصراط المستقيم»، ويهديهم إلى «الدِّين القَيِّم»، ويعظهم عن الحساب والعقاب والجنة والنّار والقيامة، ويحرّضهم على فعل الحسنات والصدقات، ويَقرأ عليهم ما تيسّر من قَصص الآباء وأخبار الأنبياء.

لقد كان يعلم أنّ مهمّته تقوم على أن يذكّر الناس بتعاليم التوراة والإنجيل: فكان القسُّ يحثّه على تذكير النّاس، فيقول له: «فَذَكِّرْ. إنّما أَنْتَ مُذَكِّر» (٨٨/ ٢١)، «وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» (٥١/ ٥٥؛ ٨٧/ ٩)، «فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ» (٥٠/ ٤٥). وكتابه هو «ذكر»، «وذكرى»، «وتذكرة»، و«تفصيل»، و«تصديق» للكتاب[١٠٥] الذي كان بين يدي القسّ ويحضر محمّد تعريبه حوالي أربعين سنة.

---

(١٠٥) أنظر مراجع هذه الألفاظ في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

لقـد أراد القسّ أن يكون مـحمّـد خليفـةً له على نصـارى مكّة، يكمّل عـمله الرّوحي بين العرب، ويحافظ على اسـتمرارية النّصرانية في الحـجاز، ويعمل على جمع شمل «شيَع» بني إسرائيل، ويوحّد كـتبَهم وعقيدتَهم... فكان له ذلك بما أوتي من تجرّد وذكاء وجرأة وإقـدام. وساعده على إتمام مهمّته امـرأتُه خديجة بما كان لها من مكانةٍ وجاهٍ ومال، وأعانه أبو طالـب عمّه الوفيّ، ولبّى الدعوةَ «الحُمْس» من قريش، وناصره فـقراء مكّة و«أذلّتُها»، واستضـافه النجاشي ملك الحبشـة بعدما قاومه أصـحابُ المال و«أعزّة مكّة»... حتى أصـبح محمّد، بعـد وفاة القسّ، «رئيس النّصـارى» المُوَحَّدِين «القانـتين» الخاضعين أي «المسـلمين»، أي زعيمـهم الرّوحي الأوّل، والمسؤول عنهم.

على هذا، بعد وفاة القسّ ورقة، انتقلتِ الزّعامة الروحيّة إلى محمّد، وأصبح محمّـد «أوّل المسلمين». وبوفاة القسّ خشي محـمّد أن يتركه اللّه وينسـاه، إذ «فتَر الوحي» مـدّةً من الزّمن تتراوح بين السنتين والثـلاث سنين، وعاوده بعـد ذلك مع كثيرٍ من التغيير في المواقف، والتبـديل في التعليم والتشريع، بما يناسب شـخصيّةَ محـمّد واستـقلاليّتـه عن معلّمه، وبما يـوافق الظروفَ المستجـدّة وأحوال البيـئة والمجتمـع. وأعلن القرآن عن عودة الوحي هذه بقوّة: «مَـا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (أي: وما أبغضك). وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى» (٩٣/٣-٤).

وما يؤكدّ لنا، أيضاً، خلافة محمّد لوَرَقة هو أنّ الإسلام، في بدء أمره، وكما كان في أيّام القسّ وتحت تأثيـره، لم يكن دِيناً جديداً، ولم تكن دعوةُ محـمّد دعوةً إلى دينٍ جديد؛ بل كانت تعاليم من التّوراة والإنجيل، وتعاليم إبيونيّة في الحسنات والصدقـات، وتبشيـر بالجنّة والنار والقيامـة، ووعيد بالعـقاب، وتذكيـر بأحوال الساعة الأخيرة، على ما عرفنا من تعاليم كثيرٍ من الشيع النصرانيّة.

هذا هو قصد القسّ، ومـهمّة النّبيّ، ومنطق الأحداث كلّها. وتلك هي مـقاصد كتّاب السِّيرة النبويّة. وبالرّغم من هذا كلّه، يريد مؤرّخو حياة محمّد أن يكون الأمر غيـر ذلك، ضنّاً بالنبـوّة والدِّين الجديد، فـأغفلوا، للأسف، وجـودَ القسّ، وأنكروا لقاءاته المتعدّدة مع محمّد، وتجاهلوا إعلاناته.

فالشيخ الدكتور صبحي الصالح لم يقرّ إلاّ بلقاءٍ واحد جرى بين القسّ والنبيّ. قال: «فما عسى أن يكون النبيّ تعلّم في هذين اللّقائين (لقاء مع الراهب بحيرا وآخر مع القس ورقة) من علوم الغيب والتاريخ»؟. وعندما يستشهد الشيخ الدكتور بحديثِ البخاري يأخذ ما يناسبه ويغفل ما يزعجه، فينقل: «ولم يلبث ورقة أن توفي»، ويترك «وفَتَرَ الوحي»[١٠٦]. ويستنتج: أنّ محمّداً تعرّف على ورقة في آخر أيّام حياته، ورآه عجوزًا ضريراً، لا تصلح همّته لأيٍّ شيء. وكذلك هو الأمر مع محمد حسين هيكل في موسوعته «حياة محمّد»، فهو يتجاهل القسّ ودوره، ولم يذكر من اللقاءات أو الإعلانات سوى اثنين وبطريق العرض[١٠٧]...

لماذا هذا التنكّر؟ إنْ كان جهلاً فهو طعنةٌ في وقائع التّاريخ؛ وإنْ كان تجاهلاً فهو طعنة في صميم الحقيقة.

الوَشْم : لغةً: العلامة. والجمع: وُشُوم ووَشَائم. وهو ما يكون من غرز الإبرة في البدن. ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الوشم حرام لقول ابن عمر: «لعن رسولُ اللّه الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»[١]. واتّفقوا على أنّ الوشم نجس، لأنّ الدم انحبس في موضع الوشم بما ذُرَّ عليه.

الوِصَال : منه **وَاصَلَ** الصومَ وغيرَه، أي: لم يفطر أيّاماً تباعاً. ومنه: صَوم الوِصَال، وهو: أن يصل صومَ النهار بإمساك الليل مع صوم الذي بعده من غير طعام. وروى أبو هُريرة وعائشة «أنّه صلّى اللّه عليه وسلّم نهى عن الوصال»[١]..

الوَصِيَّة : ١ . تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرّع. وهي مشروعة بالكتاب لقوله تعالى في توزيع الميراث والتركة: «مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بها أو دَينٍ» (٤/ ١٢)، وقوله: «مِن بعدِ وصيَّةٍ تُوصُونَ بها أو دَينٍ» (٤/ ١٢). فهذان

---

(١٠٦) ألشيخ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت، صفحة ٤٥

(١٠٧) محمد حسين هيكل، حياة محمّد، القاهرة، صفحة ١٣٥–١٣٧.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ١٠/ ٣٧٨؛ مسلم ٣/ ١٦٧٧.

(١) أخرجه البخاري، الفتح ٤/ ٢٠٥ و٢٠٢؛ مسلم ٢/ ٧٧٤ و ٧٧٦.

النصّان جعلا الميراث حقًّا مؤخَّراً عن تنفيذ الوصيّة وأداء الدَّين. لكن الدَّين مقدّم على الوصيّة، لأنّ «رسولَ اللّه قضى بالدَّين قبل الوصيّة»[1].

ومشروعة بالسنّة، لقول رسول اللّه: «ما حقّ امرئ مسلمٍ له شيءٌ يوصي فيه يبيتُ ليلتَين إلاّ ووصيّتُه مكتوبةٌ عنده»[2]؛ وبالإجماع حيث أجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصيّة؛ وبالمعقول إذ هي حاجة الناس إليها زيادةً في القربات والحسنات وتداركاً لما فرّط به الإنسان في حياته من أعمال الخير.

٢ . وحكمة مشروعيّة الوصيّة: تحصيل ذكر الخير في الدنيا، ونوال الثواب في الآخرة؛ وصلة الرحم والأقارب غير الوارثين، وسدّ خلّة المحتاجين، وتخفيف الكرب عن الضعفاء والبؤساء والمساكين، وذلك بشرط التزام المعروف أو العدل، وتجنّب الإضرار في الوصيّة، لقوله تعالى: «مِن بعدِ وصيّةٍ يُوصَى بها أو دَينٍ غيرَ مُضارٍّ» (٤/١٢).

٣ . ذهب الفقهاء إلى أنّ الوصيّة بجزء من المال ليست بواجبة على أحد.. ثمّ قالوا: تُستحبّ الوصيّة بجزء من المال لمن ترك خيراً، لأنّ اللّه قال: «كُتب عليكم، إذا حضر أحدَكم الموتُ إن تركَ خيراً، الوصيّةُ للوالِدَين والأقْرَبِين» (٢/ ١٨٠).. ويُستحبّ أن لا يستوعب الموصي الثلث بالوصيّة وإن كان غنيًّا لقول النبي: «الثلث والثلث كثير»[3]. وأضاف الحنابلة: إذا ثبت هذا فالأفضل للغنيّ الوصيّة بالخمس.. وصرّحوا بأنّ الفقير الذي له ورثة محتاجون لا يُستحبّ له أن يوصي.. وقال الشعبي: ما من مالٍ أعظم أجراً من مالٍ يتركه الرجل لوُلدِه يغنيهم عن الناس. وقال النبي: «إنّك إن تركتَ ورثتَك أغنياء خيرٌ لك من أن تتركهم عالةً يتكفّفون الناس»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٤١٦، ط. الحلبي، وضعف إسناده ابن حجر في الفتح ٥/٣٧٧، من حديث عليّ بن أبي طالب.

(٢) حاشية ابن عابدين ٥/٤١٥.

(٣) أخرجه البخاري، الفتح ٥/٣٦٣؛ مسلم ٣/١٢٥٣.

(٤) أخرجه البخاري، الفتح ١٢/١٤؛ مسلم ٣/١٢٥٣.

٤ . فالأصل في الوصيّة أنّها لا تجوز بأزيد من ثلث المال إن كان هناك وارثٌ، فإن كانت الوصيّة بأزيد من ثلث المال، فإنّ الزيادة على الثلث تتوقّف على إجازة الورثة، فإن أجازوا جازت الوصيّة، وإن لم يُجيزوا بطلتْ فيما زاد على الثلث(٥).

الوُضُوء : ١ . في اللغة: من الوَضاءة، أي: الحسن والنظافة. وَضَّأه: جعله يتوضأ. وتوضَّأ: غسل بعض أعضائه ونظّفها. والمِيضأة: الموضع يتوضأ فيه؛ أمّا الوَضُوء فهو الماء الذي يُستعمل؛ وشرعاً هو استعمال الماء في أعضاء مخصوصة مفتتحة بالنيّة، وهو غسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس.

٢ . ذهب الفقهاء إلى أنّ الوضوء مشروع بالكتاب والسنّة والإجماع : فمن الكتاب قوله تعالى: «يا أيُّها الذينَ آمَنوا! إذا قُمْتُمْ إلى الصلاة فَاغْسِلُوا وُجُوهكم وأيدِيكم إلى المرافِقِ، وامْسَحُوا برؤوسِكم وَأرْجُلَكُم إلى الكَعبَين» (٥/٦).. ومن السنّة، قول النبيّ: «لا تُقبل صلاة بغير طهور»(٦). وأجمعت الأمّة على وجوبه.

٣ . والحكمة من غسْل هذه الأعضاء هو كثرة تعرّضها للأقذار والغبار. . ونصّ الفقهاء على أنّ مَن أنكر وجوب الوضوء للصلاة يكفر، لإنكاره النصّ القطعي في الآية المذكورة.

٤ . والوضوء يكون في الحالات التالية:

١ – إنّه فرض على المُحدث إذا قام للصلاة (٥/٦)، وعلى مَن يمسّ القرآن لقوله: «لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرون» (٥٦/٧٩)؛

٢ – وواجب للطواف حول الكعبة؛ إنّما مختلف فيه بين الفقهاء؛

٣ – ومندوب في أحوال كثيرة منها: ١) التوضؤ لكلّ صلاة؛ ٢) مسّ الكتب الشرعيّة من تفسير وحديث وفقه؛ ٣) للنوم وعقب الاستيقاظ من النوم؛ ٤) قبل

---

(٥) راجع مادّة: الوصيّة، د. فرج السيّد عنبر، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٤٤٤–١٤٤٥.

(٦) أخرجه مسلم ١/٢٠٤، من حديث ابن عمر.

غسل الجنابة، وللجنب عند الأكل والشرب والنوم ومعاودة الوطء؛ ٥) عند ثورة الغضب؛ ٦) لقراءة القرآن؛ ٧) للأذان والإقامة؛ ٨) عند ارتكاب خطيئة من غِيبة وكذب ونميمة؛ ٩) بعد قهقهة؛ ١٠) بعد غسل ميت وحمله؛ ١١) إذا لمس امرأة؛

٤ – ومكروه، كإعادة الوضوء قبل أداء صلاة بالوضوء الأوّل؛

٥ – وحرام، كالوضوء بماء مغصوب أو بماء يتيم[(٧)]؛

٦ – ومباح، للتنظيف والتبرّد؛ ولتعلّم العلم وتعليمه.

٥ . وردتْ عدّة أحاديث في فضل الوضوء وسقوط الخطايا به، منها ما روي عن النبيّ، قال: «الطهور شطر الإيمان»[(٨)]، وما روى عثمان بن عفّان أنّه توضّأ ثم قال: إنّي رأيتُ رسولَ اللّه توضّأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «مَن توضّأ هكذا غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[(٩)]، وما روى عثمان أيضاً قال: قال رسول اللّه: «مَن توضّأ فأحسنَ الوضوء خرجتْ خطاياه حتّى تخرج من تحت أظفاره»[(١٠)]..

٦ . من شروط وجوب الوضوء: ١– العقل؛ ٢– البلوغ؛ ٣– الإسلام؛ ٤– إنقطاع ما ينافي الوضوء من حيض ونفاس؛ ٥– وجود الماء المطلق الطهور الكافي؛ ٦– القدرة على استعمال الماء؛ ٧– وجود الحدث؛ ٨– ضيق الوقت؛ ٩– بلوغ دعوة النبيّ إلى المكلّف..

٧ . ومن شروط صحّة الوضوء : ١– عموم البشرة بالماء الطهور؛ ٢– زوال ما يمنع وصول الماء إلى الجسد؛ ٣– إنقطاع الحدث حال التوضؤ؛ ٤– العلم بكيفيّة الوضوء؛ ٥– عدم الصارف عن الوضوء؛ ٦– جري الماء على الوضوء؛ ٧– النيّة؛ ٨– إباحة الماء.

---

(٧) راجع مادّة: الوضوء، د. فرج السيّد، عنبر، م.إ.ع.، ٢٠٠٣؛ ص ١٤٤٦–١٤٤٧.

(٨) أخرجه مسلم ١/٢٠٣، من حديث أبي مالك الأشعري.

(٩) أخرجه مسلم ١/٢٠٧.

(١٠) أخرجه مسلم ١/٢١٦.

٨. فروض الوضوء : ١- غسل الوجه؛ ٢- غسل اليدين إلى المرفقَين؛ ٣- مسح الرأس؛ ٤- غسل الرِّجلَين. من الفرائض المختلف فيها في الوضوء: ١- النيّة؛ ٢- الموالاة؛ ٣- الترتيب؛ ٤- الدلك.

٩. من سنن الوضوء: ١- التسمية في أوّل الوضوء وعند غسل كلّ عضو من أعضاء الوضوء؛ ٢- غسل اليدين إلى الرسغين؛ ٣- المضمضمة؛ ٤- الاستنشاق؛ ٥- الاستنثار؛ ٦- مسح كلّ الرأس؛ ٧- مسح الأذنَين؛ ٨- تخليل اللحية وشعور الوجه؛ ٩- تخليل أصابع اليدين والرجلين؛ ١٠- التثليث؛ ١١- الاستياك؛ ١٢- المسح على العمامة؛ ١٤- التيامن؛ ١٥- إطالة الغرّة والتحجيل؛ ١٦- إستقبال القِبلة؛ ١٧- الجلوس بمكان مرتفع؛ ١٨- التوضؤ في مكان طاهر؛ ١٩- ترك الاستعانة بأحد؛ ٢٠- مسح الرقبة؛ ٢١- تحريك الخاتم؛ ٢٢- البدء بمقدم الأعضاء؛ ٢٣- عدم الكلام والسلام على المتوضئ؛ ٢٤- الدعاء عند كلّ عضو؛ ٢٥- الدعاء بعد الوضوء؛ ٢٦- تنشيف الأعضاء من بلل ماء الوضوء؛ ٢٧- ترك نفض اليد أو الماء؛ ٢٨- الشرب من فضل ماء الوضوء؛ ٢٩- صلاة ركعتَين عقب الوضوء؛ ٣٠- تجديد الوضوء؛ ٣١- عدم نقض ماء الوضوء من مدّ؛ ٣٢- عدم النفخ في الماء حال غسل الوجه؛ ٣٣- الترتيب بين السنن؛ ٣٤- أخذ المتوضئ الماء بيديه جميعاً عند غسل الوجه؛ ٣٥- تدارك ما فات من الوضوء.

١٠. مكروهات الوضوء: ١- لطم الوجه وغيره من أعضاء الوضوء؛ ٢- التقتير في الوضوء؛ ٣- الإسراف في الوضوء؛ ٤- التوضؤ بفضل ماء المرأة؛ ٥- تثليث المسح بماء جديد؛ ٦- الوضوء في مكان نجس؛ ٧- التوضؤ في المسجد؛ ٨- إراقة ماء الوضوء في المسجد؛ ٩- الوضوء بالماء المشمّس؛ ١٠- ترك سنّة من سنن الوضوء.

١١. نواقض الوضوء: ١- الخارج من السبيلَين؛ ٢- خروج النجاسات من غير السبيلَين؛ ٣- زوال العقل: في النوم، والإغماء، والجنون، والسكر؛ ٤- مسّ فرج الآدميّ؛ ٥- إلتقاء بشرتَي الرجل والمرأة؛ ٦- الردّة؛ ٧- القهقهة في الصلاة؛ ٨- أكل ما مسّته النار؛ ٩- الوضوء من أكل لحم الجزور؛ ١٠- أكل

الأطعمة المحرّمة؛ ١١- غسل الميت؛ ١٢- الشكّ في الوضوء أو عدمه؛ ١٣- الغِيبة والكلام القبيح.

١٢ . مَن ترك الوضوء عمداً، ثمّ صلّى مُحدَثاً قُتل حدًا، لا كفراً (الشافعيّة).

الوَضِيْمَة : طعام المأتم، أو الطعام المتّخذ عند المصيبة. ضدّه **الخُرْس**، وهو الطعام الذي يُصنع للولادة. أمّا **الحَذاق** فهو طعام يُصنع عند حفظ القرآن.

الوَطْء : لغةً: العلوّ على الشيء. يُقال: وطئتُه برِجلي: أي علوته. وكذلك يُطلق الوطء على الجماع الذي هو إيلاج ذَكَرٍ في فرْج. فيقال: وطئ زوجته وَطأً، أي: جامعها، لأنّه استعلاء.. واصطلاحاً: الوطء هو حقيقة النكاح. والنكاح هو حقيقة في الوطء مجاز في العقد.. والوطء مشروع في عقد النكاح، وفي ملك اليمين، إذ لا خلاف بين الفقهاء في جواز وطء الأمَة المملوكة والتسرّي بها، دون حاجة إلى عقد نكاح. قال ابن قدامة: لأنّ ملْك الرقبة يفيد ملك المنفعة وإباحة البضع.

٢ . موانع الوطء المشروع : ١- الحيض (رَ: ٢/٢٢٢)؛ ٢- النّفاس؛ ٣- الاستحاضة (رَ: ٢/٢٢٢)؛ ٤- الاعتكاف (رَ: ٢/١٧٨)؛ ٥- الصوم؛ ٦- الإحرام (رَ: ٢/١٩٧)؛ ٧- الظهار (رَ: ٥٨/٣)؛ ٨- وطء المسلم حليلتَه في دار الحرب؛ ٩- عدم الاغتسال بعد الطهر من الحيض..

٣ . الوطء المحظور: ١- الزنى (رَ: ١٧/٣٢)؛ ٢- اللِّواط؛ ٣- وطء الحليلة في الدبر؛ ٤- وطء الأجنبيّة في دبرها؛ ٥- وطء الميتة؛ ٦- وطء البهيمة؛ ٧- الوطء بشبهة، والشبهة هو ما يشبه الثابت وليس بثابت.

الوَقْت : مقدارٌ من الزمان مفروضٌ لأمرٍ ما؛ وكلّ شيء قدّرتَ له حيناً فقد وقَّتّه توقيتاً.. وأجمع الفقهاء على أنّ بعض الأوقات أفضل من بعض، لا بصفاتٍ قائمةٍ في تلك الأوقات والأزمان، لأنّها متساويةٌ في الأصل، بل بما يُنيل اللّهُ العبادَ فيها من فضله وكرمه.. كالأشهر الحرم (رَ:٩/٣٦)، وأشهر الحجّ (رَ:٢/١٩٧)، وشهر رمضان (رَ: ٢/ ١٨٥)، وجعل ليلة القدر خيراً من ألف شهر (رَ: ٩٧/١-٦)، وأقسم بليالٍ عَشْر (رَ: ٨٩/٢)، وهي عشر ذي الحجّة.

الوَقْف : ١ . لغةً: الحبس. يقال: وقفتُ الدار وقفاً: حبستُها في سبيل اللّه.. واصطلاحاً: كما عرّفه الحنفيّة: حبْس العين على حكم ملك الواقف، والتصدّق بالمنفعة.. وعرّفه الشافعيّة: أنّه حبْس مالٍ يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرّف في رقبته على مصرف مباح موجود.. أو هو: تمليك المنفعة مع بقاء العين على ملك اللّه فلا يجوز التصرّف فيها. عكس **الهبة** التي هي تمليك العين، وللموهوب له أن يتصرّف فيها بما يشاء..

٢ . ذهب جمهور الفقهاء إلى مشروعيّة الوقف، وذلك لما روى ابن عمر قال: «أصاب عمر أرضاً بخيبر، فأتى النبيَّ يستأمره فيها. فقال: يا رسولَ اللّه! إنّي أصبتُ أرضاً بخيبر لم أصب مالاً أنفسَ عندي منه. فما تأمر به؟ قال: إن شئتَ حبستَ أصلَها وتصدَّقتَ بها. قال: فتصدّق بها عمر أنّه لا يُباع ولا يوهب ولا يورث. وتصدّق بها في الفقراء..»[1].

٣ . وذهب الفقهاء أيضاً إلى أنّ الوقف متى أصبح لازماً فلا يجوز الرجوع فيه، فلا يُباع، ولا يُرهن، ولا يوهب، ولا يورث.. ويكون الوقف باطلاً إن شرط الرجوع فيه. قال النووي: لو وقف بشرط الخيار، أو قال: وقفتُ بشرط أنّي أبيعه أو أرجع فيه متى شئتُ، فباطل.

٤ . ويجوز وقف المنقول من أثاث وحيوان وسلاح لقول النبي: «مَن احتبس فرساً في سبيل اللّه إيماناً باللّه وتصديقاً بوعده، فإنّ شبعه وريَّه وروثَه وبولَه في ميزانه يوم القيامة»[2]، ولقوله: «أمّا خالد فقد احتبس أدْرَاعَه وأعْتَادَه في سبيل اللّه»[3].. لكنّ الأصل أنّه لا يجوز وقف المنقول لأنّ شرط الوقف التأبيد، والمنقول لا يتأبّد.. لكنّ بعضَهم يجيز وقف المنقول إذا كان فيه تعامل للناس، لأنّ القياس قد يُترك بالتعامل، لقول ابن مسعود: «ما رأى المسلمون حسناً فهو عند اللّه حسن»[4].

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٥/ ٣٥٤؛ مسلم ٣/ ١٢٥٥.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٦/ ٥٧، من حديث أبي هُريرة.

(٣) أخرجه مسلم ٢/ ٦٧٧.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٧٩؛ وحسّن إسناده السخاوي، المقاصد الحسنة، ص ٣٦٧.

٥ . يشترط في العين الموقوفة: ١- أن تكون العين معيّنة، إذ لا يصحّ وقف المبهم، ولا وقف المعلّق؛ ٢- أن يكون الموقوف ممّا يُنتفع به مع بقاء عينه، إذ لا يصحّ وقف ما يُستهلك كالطعام والشراب؛ ٣- أن لا يتعلّق بالعين الموقوفة حقٌّ الغير، كأن تكون مرهونة أو مؤجرة؛ ٤- أن يكون الموقوف ممّا يجوز بيعه، ولا يصحّ وقف ما لا يجوز بيعه كأم الولد والمرهون والكلب والخنزير وسائر سباع البهائم..

الوِلاَيَة : ١ . لغةً: من الولى، وهو القرب. يقال: وَلِيَه وليًا، أي: دنا منه. أوليتُه إيّاه: أدنيتُه منه. وولي الأمر: إذا قام به. وتولّى الأمر: تقلّده. وتولّى فلاناً: اتّخذه وليًا. والولاية إمّا عامّة أو خاصّة.

٢ . الولاية العامّة هي سلطة على إلزام الغير وإنفاذ التصرّف عليه بدون تفويض منه. تتعلّق بأمور الدين والدنيا والنفس والمال، وتهيمن على مرافق الحياة العامّة وشؤونها، من أجل جلب المصالح للأمّة ودرء المفاسد عنها.. بها يناط تجهيز الجيوش، وسدّ الثغور، وجباية الأموال، وصرفها، وتعيين القضاة والولاة، وإقامة الحجّ والجماعات، وإقامة الحدود والتعازير، وقمع البغاة والمُفسدين، وحماية بيضة الدِّين، وفصل الخصومات، وقطع المنازعات، ونصب الأوصياء والنظّار والمتولّين ومحاسبتهم، وما سوى ذلك من الأمور التي يستتبّ بها الأمن، ويُحكَّمُ شرع الله. قال ابن تيميّة: وأصل ذلك أن تعلم أنّ جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كلّه لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

٣ . ولهذا اعتبرت الشريعة الإسلاميّة ولايةَ أمرِ الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلاّ بها، لأنّ بني آدم لا تتم مصلحتُهم إلاّ بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدّ لهم عند الاجتماع من رأس، حتّى قال النبي: «إذا خرج ثلاثةٌ في سفرٍ فليؤمِّروا أحدَهم»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٨١، ط. حمص، من حديث أبي سعيد الخدري. وحسّنه النووي في رياض الصالحين، ص ٣٧٥، ط. المكتب الإسلامي.

الوَهَّابِيَّة : ١ . مذهب إسلاميّ ذو نزعة سلفـيّة يرمي إلى تخليص الشريعة من الشوائب. دعا إليـه محمّد بن عبـد الوَهَّاب (ت ١١١٥هـ/١٧٠٣م). يستند إلى تعاليم ابن حَنبل وابن تَيـميّة. ســاعد محمّـد بن سعود على انتشــاره في الجزيرة العربيّة.

٢ . تتلخّص المبادئ التي قال بها الوهّابيّون بما يلي: ١- التوحيد، والعودة إلى أصول الإسلام الصـحيحة؛ ٢- الجهاد في سـبيل ذلك، وجواز قتـال مانعي الزكاة وتاركـي الصلاة؛ ٣- ترك زيارة القـبور، لأنّ الميـت بعد الدفن أحـوج إلى الدعاء، لا أن يُدعى به؛

٣ . ويضاف إلى هذا: منع اتّخاذ التمائم، والتبرّك بالشجر والحجر، والذبح لغير اللّه، والنذر لغير اللّه، والاستعاذة بغير اللّه، والعبادة عن القبور.

وَهْب بن مُنَبِّه (ت ١١٤هـ/٧٣٢م) : مؤرّخ من التـابعين. اشتهر بمعـرفته أخبار الأقدمين والأنبياء. وُلد ومات بصنعاء. له: «التيجان في ملوك حِميَر».

وَهْبُ اللاّت : إبن أُذينة وزنّوبيا ملكة تدمر. ملك بوصـاية أمّه (٢٦٦-٢٧٢).

ي

يَاقُوتُ الحَمَوِيّ (ت ٦٢٧هـ/١٢٢٩م) : مؤرّخ وجغرافيّ عربيّ. روميّ الأصل. اشتراه تاجر من حماة. عاش في حلب. من آثاره: «مُعجَم البُلدان»، و«مُعجَم الأُدباء»، أو «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» في التراجم.

يَأْجُوج ومَأْجُوج : أو ياجوج وماجوج في (سفر التكوين ١٠)، يرد التعبير في القرآن مرّتَين (١٨/ ٩٤؛ ٢١/ ٩٦). في كتب الأخبار الإسلاميّة، إن يأجوج ومأجوج أمم لا يُحصى عددهم إلى حدّ أنّهم يشربون مياه الفرات ودجلة، أو مياه بحيرة طبريّة. وبعد أن يكونوا قد فرغوا من أهل الأرض يرمون بحرابهم إلى السماء، فيبعث اللّه دوداً في خياشيمهم وأعناقهم أو آذانهم، فيصبحون في ليلة واحدة وقد هلكوا، فلا يكون بيتٌ في الأرض إلاّ وقد ملأه زهمهم ونتنهم[1]، أو جماعات من الطير فتمسك بهم وتغرقهم في البحر[2]، وهم من أكلة لحوم البشر[3]. ولهم أنياب كما للسباع ومخاليب مكان الأظفار[4]. ويسكنون وراء جبال أرمينية وأذربيجان[5].

أمّا في سورة الكهف، فثمّة إشارة إلى صلة يأجوج ومأجوج بالسدّ الذي بناه الأسكندر الكبير إذ يقول: «حتّى إذا بلغَ (الإسكندر) بين السَّدَّين وجَدَ مِن دونِهما (أي أمامهما) قوماً لا يكادونَ يَفقَهون قولاً (أي لا يفهمونه إلاّ ببطء). قالوا:

---

(١) مسلم، الفتن، الحديث ١١٠؛ إبن ماجه، الفتن، أبواب ٣٣ و٥٩؛ أحمد بن حنبل، ١/ ٧٧٥، ٢/ ٥١٠ وما بعدها و٦٥.

(٢) الطبري، تفسير ١٧/ ٦٤.

(٣) الثعلبي، ص ٣٢٠.

(٤) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٤٠٢.

(٥) الطبري، تفسير ١٦/ ١٢.

يا ذا القَـرنَين! إنّ يَأجـوجَ ومَأجـوجَ مُفـسِـدونَ في الأرضِ (بالنهب والبـغي عند خروجـهم إلينا)، فـهل نَجعَلُ لكَ خَـرْجاً (أي جـعلاً من المال) على أن تَجـعلَ بينَنا وبينَهم سدًا (فلا يصلوا إلينا)؟ قال: ما مكّني فـيه ربّي (من المال وغيره) خيرٌ (من خرجكم)، فـأعينُوني بِقُوّةٍ أجعَلْ بيـنكم وبينهم ردماً (أي حاجزاً حـصيناً» (١٨/ ٩٣-٩٥).

ثمّ تمضي السورة تحكي كيف بنى الإسكندر السدَّ أو البوّابة. وسوف يظلّ يأجوج ومأجوج محبوسين وراءَه إلى يوم الدين. وفي كلّ ليلة يحفرون تحت السدّ حتّى يهربوا. وكلّ ليلة يُسمع صوت أدواتهم. ولكنّ اللّهَ يُصلح الثغرة التي أحدثوها، قبيل طلوع النهار[٦]..

وجاء في الخبر عن زينب بنت جحش قالت: إنّ رسول اللّه دخل عليها ذات يوم فزعاً يقول: فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج. وكان عاقداً بأصبعيه السبابة بالإبهام. فقالت: أنَهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم. إذا كثر الخبث[٧].

اليَتِيْم : في اللغة: الفرد وكلّ شيء يعزّ نظيره؛ واليُتم: فقدان الأب؛ والأنثى: يتيمة؛ والجمْع: أيتام ويتامى.. وفي الاصطلاح: اليتيم مَن مات أبوه وهو دون البلوغ، لحديث: «لا يُتْم بعد احتلام»[١].

يجب الاعتناء باليتيم والعطف عليه والرأفة به وبرّه والإحسان إليه لقول النبي: «أنا وكافل اليتيم كهاتَين. وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى»[٢]، كما أنّ اللّه نهى عن إذلال اليتيم وظلمه ونهره وشتمه والتسلّط عليه بما يؤذيه في قوله: «فأمّا اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ» (٩٣/ ٩).. وذهب الفقهاء إلى أنّ لليتامى سهماً من خمس

---

(٦) الطبري، تفسير ١٦/ ٦٤.

(٧) البخاري، الأنبياء، باب ٧؛ الترمذي، الفتن، باب ٢٣؛ إبن ماجه، الفتن، باب ٩، أحمد بن حنبل، ٢/ ٣٤١ و٢٥٩ وما بعدها، ٦/ ٤٢٨ و٤٢٩.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٤/ ١٤، من حديث حنظلة بن حذيم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٢٦: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ١٠/ ٤٣٦، من حديث سهل بن سعد.

الغنائم لقوله تعالى: «واعْلَموا أنَّما غَنِمْـتُم مِن شيءٍ فأنَّ للّهِ خُمُسَه وللرسول ولذي القُربى واليَتَامَى والمساكِينِ وابنِ السبيل» (٨/ ٤١).

يُفكّ الحجر عن اليتيم ويسلّم ماله إلـيه إذا بلغ رشيداً، لقوله تعالى: «وابْتَلُوا اليتامَى حتّى إذا بلـغوا النِكاحَ فإنْ آنَسْتُم منهم رُشْداً فادْفَـعوا إليهم أموالَهم» (٤/ ٦).. ويستوي في الوصيّة لليتـامى الغنيُّ والفقير، لقوله تعالى: «إنَّ الذينَ يأكُلونَ أموالَ اليتامَى ظُلْماً إنّما يأكُلونَ في بُطونِهم ناراً» (٤/ ١٠).

يَثْرِب (راجع مادّة: **المدينة المنوّرة**).

يَحْـيَى بنُ الحُـسَين (ت ٢٩٨هـ/ ٩١١م): الإمـام الهـادي إلى الحقّ. ولد بالمدينة قبل وفاة جدِّه **القاسم بن إبراهيم الرَّسّي**، أوّل أئمّة الزيديّة، بسنة واحدة. ومات مسمـوماً بمدينة صَعدة اليمنيّة، وقـبره ومشـهده بمسجده الجـامع مشهور حتّى اليوم. فـقيه عالم ورع. امتاز في الفـروسيّة والشجاعة. وفي سنّ الخـامسة والثلاثين عقـدت له البيعة بإمـامة الزيديّة. وقام بإصلاح العلاقـات بين العديد من القبائل التي بايعته بالإمامة. وانتـصر مراراً على ولاة بني العبّاس. وغزا القرامطةَ في صنعاء وانتصر عليهم. وامتـدّت حدود دولته إلى ما وراء اليمن. فكان المؤسّس الحقيقي لدولة الإمامة الزيديّة باليمن، والتي حكمها أئمّة أغلبهم من نسله، فاستمرّ حكمهـا حتى ثورة اليمن سنة ١٩٦٢م. وسـمّي المذهب الفقـهي الذي ساد الزيديّة منذ عـهده حـتّى الآن بمذهب الهـادويّة الزيديّة، نسـبة إلى كـتـاب وضعـه باسم: «الوافي في فقه الهادويّة الزيديّة».

يَحْيَى بـنُ زَكَرِيّا: هو يوحنّا المعـمـدان. يلعب دوراً بارزاً في القـرآن الذي يذكره مع عـيسى والياس وغيـرهما من الأنبيـاء، وكلّ الصـالحين، ليكونوا حجـجاً على وحدانيّة اللّه (رَ: ٦/ ٨٥). وتاريخ مولده الخارق للمألوف، في الأناجيل، يذكر القرآن اسمَه مرّتَين (٣/ ٣٨-٤٠؛ ١٩/ ١..). قد وهبه اللّه لأبويه زكريّا وأليصابات وإن كان قد أدركـهما كبر السن وامـرأة زكريّا عاقر. «يا زكريّا! إنّا نبشّرك بغلامٍ اسمـه يحيى. لم نجعل له من قبل سـميّا» (١٩/ ٧). وتكلّم يحـيى في المهد. وعلى

غرار المسيح أوتي الحكمة صبيّا. وأعطاه لقب «سيّد»، ومعنى «يحيى» رحيم. وصفاته التي كان يتميّز بها هي الحنان والزكاة أي الطهارة من الذنوب.

وثمّة نقطة كانت موضع نقاش وهي الفقرة المتضمّنة« يا يحيى! خذ الكتابَ بقوّة» (١٩/ ١٢). ومنها يبدو أنّ محمّداً ظنّ أنّ يحيى أُنزل عليه كتاب. وفي رأي المفسّرين أن يحيى بُعث من دون كتاب، بل اقتصرت بعثته على كونه «مصدِّقاً بكلمة من اللّه (أي بعيسى)» (٣/ ٣٩).

لا يذكر القرآن دوره كمعمدان، ولا يُخبر شيئاً عن قصّة موته كما هي في الأناجيل..

أمّا عن «نصارى القديس يوحنا» أو «المنديّين»، فيكاد لا يعرفهم القرآن والكتّاب العرب. وإذا أشاروا إليهم لم يذكروهم بهذه الأسماء، وإنّما على أنّهم «**الصابئة**». ويعتبرونهم فرقة وسط بين اليهود والنصارى، ويعترفون بأنّ عندهم كتاب. ولكنّهم يجعلون نوحاً، وليس يوحنّا المعمدان، نبيّهم.

يَحْيَى بنُ سَعِيْد (أبو الفرج الأنطاكيّ) (ت بعد ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م) : طبيب نصرانيّ. كمّل تاريخ سعيد بن البطريق، من (٣٢٧-٤١٩هـ/ ٩٣٨-١٠٢٨م).

يَحْيَى بنُ عَدِيّ (أبو زكريّا المنطقيّ) (ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) : فيلسوف سرياني من تكريت. تلميذ أبي بشر متّى والفارابيّ. نقل إلى العربيّة بعض كتب اليونان. منها كتاب «النفس» لأرسطو. وله مصنّفات أدبيّة وفلسفيّة ولاهوتيّة.

اليَرْمُوك : من روافد الأردن. ينبع في هضبة حوران. ويجري في حدود سورية. ويصبّ في الأردنّ في المجامع جنوبيّ طَبريّة. عنده انتصر خالد بن الوليد على البيزنطيّين ١٥هـ/ ٦٣٦م. فانفتحت أمامه أبواب الأمبراطوريّة البيزنطيّة.

يَزِيْد الأوّل (ت ٦٤هـ/ ٦٨٣م) : الخليفة الأمويّ الثاني، إبن معاوية ومَيسون. في عهده قُتل الحسين بن علي في كربلاء (٦١هـ/ ٦٨٠م). ثار عليه عبداللّه بن الزُّبَير في الحجاز. عُرف بميله إلى اللّهو والخمرة. توفّي قرب حمص.

اليَزِيْدِيَّة : عقيدة دينيّة تزعم أنّ اللّه يبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، وينسخ بشرعه شريعة محمّد. وتقوم أيضاً على تقديس الشيطان. نسبتها إلى يَزد أو يزدان من آلهة الزرادشتيّين الإيرانيّين. أتباعها من الأكراد. يعيش معظمهم في شماليّ العراق لا سيّما في قضاء سنجار بمحافظة نينوى، ومنهم جماعات في تركيّا ونواحي حلب. أشهر أوليائهم **الشيخ عَديّ بن مُسافر**، صاحب كتابَي: «الجلوة» و «مصحف رَش»، وهما من الكتب المقدّسة عندهم.

يَعْرُب بنُ قَحْطَان : من سلاطين اليمن بالجاهليّة. جَدّ ملوك حِميَر.

يَعْقُوب بنُ إسْحَق : وهو في أوائل السور المكّيّة[1] أخو إسحق بن إبراهيم. سلسلة النسب: إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، الأسباط الإثني عشر (٢/١٣٦ و١٤٠).. وتروي الأسطورة التي ترجع إلى ما بعد عصر القرآن أنّ يعقوب وعيص (أي عيسو (تك ٣٥) اقتتلا في بطن أمّهما، إذ كان يعقوب سيولد أوّلاً، ولكنّه فضّل أن يخرج بعد أخيه لينقذ حياة أمّه. كان يعقوب أكبرهما في البطن (الطبري ١/ ٣٥٠). ورحلة يعقوب إلى حرّان وإقامته مع لابان مذكورة في القرآن كما هي في التوراة.

اليَعْقُوبِيّ (أحمد) (ت ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م) : جغرافيّ ومؤرّخ بغداديّ كثير الأسفار. اشتهر بكتابه «البُلدان» دونّ فيه ملاحظاته عن البلاد التي زارها. وله أيضاً كتاب «التاريخ»، المعروف بـ«تاريخ اليعقوبيّ».

يَعُوق : من أصنام العرب في الجاهليّة.

يَغُوث : من أصنام العرب في الجاهليّة.

يكْسُوم بنُ أبْرَهَة الأشْرَم : آخر ملوك اليمن الأحباش. استنجد عليه كسرى سيف بن ذي يزن أواخر القرن السادس.

---

(١) رَ: ٦/٨٤؛ ١٩/٤٩؛ ٢١/٧٢؛ ٢٩/٢٧.

يَلَمْلَم : جبل في تهـامة جنوبي مكّة، وعلى مـرحلتَين منها. مـيقـات اليمن، مشــهور بالسعـديّة. قال ابن عـبّاس: «وقّت النبيّ لأهل المدينة: ذا الحليـفة، ولأهل الشام: الجحفة، ولأهل نجد: قرن المنازل، ولأهل اليمن: يلملم. وقال: فهنّ لهنّ ولمن أتى عليهنّ من غير أهلِهنّ»[١]. قال النووي: «واليمن يشمل نجداً وتهامة»[٢].

اليَمِين : ١ . الجهـة اليمنى، واليد اليمـنى، وهي خلاف اليسار. أمّـا اليمين بمعنى القَسَم فـقد سبق تفصـيله في مصطلح **أيْمَان**. يستحبّ تقـديم اليمين على اليسـار في كلّ ما هو من باب التكريم، كالوضوء والغـسل؛ ويستحبّ تقديم اليسـار على اليمين في كلّ ما كان من باب الإهانة والأذى، كالامتخاط والاستنجاء، لحديث عائشة: «كانت يدُ رسول اللّه اليمنى لطهـوره وطعامه، وكانت يدُه اليسرى لخلائه وما كان من أذى»[١]، ولحديث حـفصة «أنّ رســول اللّه كان يجعل يمينه لطعـامه وشرابه وثيابه، ويجعل يسارَه لما سوى ذلك»[٢].

٢ . وعليه يجب تقديم الرِّجل اليمنى عند الخـروج من مكان قضاء الحاجة؛ والاستنجاء باليـمنى؛ وتقديم الأيمن من أعضاء الوضوء على اليســار؛ والمضمضة والاستنشـاق باليمين؛ وتقديم اليـد اليمنى على اليـد اليسرى في التـيمّم؛ ووضع اليمين على اليـسار في الصلاة؛ وتقـديم الرِّجل اليمنى في دخول المســجد؛ والأكل باليـمين؛ والبدء بقصّ الأظافـر من اليد الـيمنى؛ وقطع يمين الســارق في السرقـة الأولى؛ وقطع اليمنى باليمنى قصاصاً؛ والأذان في الأذُن اليمنى للمولود.

٣ . أمّـا اليمين بمعنى الجـهة فـيجب الـبداءة بالجـانب الأيمن من الفمّ عند الاستـياك؛ وبدء الغـسل بالشقّ الأيمن؛ وتحويل الـوجه يميناً وشـمالاً في الأذان؛ والبدء بغسل ميامن الميت؛ والسيــر عن يمين الكعبة عند الطواف؛ والتيامن في حلق الرأس؛ والتيامن في إدارة الإناء.

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ٣/٣٨٨؛ مسلم ٢/٨٣٨، من حديث ابن عبّاس.

(٢) كشاف القناع ٢/٤٠٠؛ هداية السالك لابن جماعة ٢/٤٥٠؛ روضة الطالبين ٣/٣٩.

(١) أخرجه أبو داود ١/٣٢؛ وأعلّه ابن حجر في التلخيص ١/٣٢٢، ط. العلميّة.

(٢) أخرجه أبو داود ١/٣٢.

اليَهُود (راجع: **أهل الكتاب**) : **١** . ترد لفظة «يهود» ومشتقّاتها في القرآن : ٢٢ مرّة[1]. لقد كان محمّد يؤمن أنّ رسالتـه، في بدايتها، كانت «إنذاراً» إلى قومه؛ وهو كـان «نذيراً»، لهم؛ ممّا يُسـتنـتج منه أنّه كـان، في بداية العـهـد المكّي الأوّل، مشغولاً بمحاولة كسب الناس إلى جانبه، ومنهم، بنوع خاصّ، اليهود.

٢ . إلاّ أنّ النصوص القـرآنيّة أكّدت أنّ اللّه قـضـى عليهم، أي على اليـهود، بالنفي والشـتات بعد تدمـير دولتهم وتخـريب هيكلهم، بسبب عـنادهم وإلحادهم وإفسادهم في الأرض. قال: «وقَطَّعناهم في الأرضِ أُمَـماً» (١٦٨/٧)، وقال أيضاً: «وإذ تأذَّنَ ربُّكَ لَيَبْـعَثَنَّ عليهم إلى يومِ القِيـامةِ مَن يَسومُهم سُـوءَ العَذابِ. إنّ ربَّكَ لسريعُ العِقاب» (١٦٧/٧).

٣ . ويصفهم بأنّهم «يَسْعَون في الأرضِ فَساداً» (٣٣/٥)، وبأنّهم يبذرون الفتن والمؤامرات وإيقاد نيران الحروب: «كُلَّما أَوْقَدوا ناراً للحربِ أطْفَأَها اللّهُ» (٥/ ٦٤)، وينقضـون العهود والمواثيق: «أو كُلَّمـا عاهَدوا عهداً نَبَـذَهُ فريقٌ منهم» (٢/ ١٠٠)، «ثمّ يَنقُضونَ عهدَهم في كلِّ مـرّةٍ» (٥٦/٨)، ويحرّفون ويبدّلون ويزيّفون الكتـاب: «يَلوُونَ ألسنَتَـهم بالكتاب لِتَـحـسَبُـوهُ مِنَ الكتـابِ، وما هو من الكتـابِ. ويقولون هو من عندِ اللّهِ، وما هو من عند اللّه.

٤ . ويقولونَ عـلى اللّه الكذبَ، وهم يَعلمون» (٧٨/٣)، و«يسـمعـون كلامَ اللّه ثمّ يحرِّفـونَه مِن بعدِ مـا عَقَلوه، وهم يعلمون» (٧٥/٢)، ويتّـصفون بقـساوة القلوب وفظاظتها: «وقـالوا قُلوبُنا غُلْفٌ» (٨٨/٢)، «فبما نَقْضِـهِم ميـثاقَهُمْ لَعَنَّاهم وجَعَلنا قلوبَهم قـاسيةً» (١٣/٥)، وبالخـساسة والجبن: «قـالوا: يا موسى! إنّا لن نَدخُلَها أبداً ما داموا فيها فاذهَبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا. إنّا هاهنا قاعِدون» (٢٤/٥).

يُوحَنَّا الدِّمَشْقِيّ (القدّيس) (ت ٧٤٩م) : وُلد في دمشق. من آباء الكنيـسة

---

(١) **هوداً** ٣ مرّات: **٢**/١١١ و١٣٥ و١٤٠؛ **والذين هادوا** ١٠ مرّات: **٢**/٦٢؛ **٤**/٤٦ و١٦٠؛ **٥**/ ٤١ و٤٤ و٦٩؛**٦**/١٤٦؛ **١٦**/١١٨؛ **٢٢**/١٧؛ و**اليـهود** ٨ مـرّات: **٢**/١١٣ (مرّتين) و١٢٠؛ **٥**/١٨ و٥١ و٦٤ و٨٢؛ **٩**/٣٠؛ **ويهوديًا** مرّة **٣**/٦٧.

ومعلّميها. حفيد سرجون بن منصور. قاوم بدعة محطّمي الصور. ألّف في اللاّهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر والألحان الدينيّة. مهّد بمؤلّفاته لنشأة تعليم الفلسفة واللاّهوت في أوروبّا. من كتبه المنقولة إلى العربيّة «منهل المعرفة».

يُوسُفُ بنُ يَعْقُوب : نقل أبو هُريرة عن رسول اللّه: سُئل رسول اللّه: مَن أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم للّه». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فأكرمُ الناس يوسف ابن نبي اللّه ابن نبيّ اللّه ابن نبيّ اللّه وخليل الرحمن». أخرجه البخاري. قال تعالى: «لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين» (١٢/٧). وفي سورة يوسف متعة وعظات. قال عطاء: «لا يَسمع سورةَ يوسف محزونٌ إلاّ استراح لها». وقال ابن عبّاس: «إنّ طائفة من اليهود أسلموا حين سمعوا هذه السورة لموافقتها ما عندهم». وسورة يوسف رقمها في المصحف ١٢؛ وآياتها: ١١١.

اليَوم : مقدارٌ من الزمان، أوّله طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس. وجمْعه: أيّام. وفي التنزيل: «واذْكُرُوا اللّهَ في أيَّامٍ مَعْدُودات» (٢/٢٠٣)؛ أمّا **النَّهَار** فهو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس.. وثمّة أيّام مذكورة في الإسلام، كـ **يوم الجمعة، ويوم السبت، ويوم الشكّ، ويوم عَرَفة، ويوم النحر، واليوم الآخِر.**

يَومُ الجُمْعَة : ١ . الجمعة إسم لأيّام الأسبوع، أوّلها السبت وآخرها يوم الجمعة. وأمّا يوم الجمعة فكان يسمّى قبل الإسلام: يوم العُرُوبة.. ولمّا جاء الإسلام سمّي يوم الجمعة، إذ كانت قريش تجتمع إلى كعب بن لؤي –الجدّ الأعلى للنبيّ– في هذا اليوم، فيخطبهم ويذكّرهم بمبعث النبيّ. وروي عن سلمان الفارسي أنّ رسول اللّه سأله: «ما يوم الجمعة؟ قال: اللّهُ ورسولُه أعلم. قال: به جمع أبوك، أو أبوكم»[1]. وقال أقوام: إنّما سمّيت الجمعة في الإسلام وذلك لاجتماعهم في المسجد (لسان العرب).

---

(١) أخرجه ابن خزيمة ٣/١١٨، ط. المكتب الإسلامي؛ الطبراني في الكبير ٦/٢٣٧، ط.. العراق؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٧٤، ط. القدسي.

٢ . يتميّز يوم الجمعة عن باقي أيّام الأسبوع بـ :

١ – أنّه خير أيّام الأسبوع، وهو يوم عيد، وفيه ساعة إجابة، وتجتمع فيه الأرواح، وتُزار القبور، ويأمن الميت فيه من عذاب القبر، ولا تسجّر فيه جهنّم، وفيه خلق آدم، وفيه أُخرج من الجنّة، وفيه يزور أهل الجنّة ربّهم.

٢ – وصلاة الجمعة فرْض عين على الذكور البالغين من المسلمين، ووقتها وقت صلاة الظهر.

٣ – واتّفق الفقهاء على أنّ الغسل للجمعة مطلوب شرعاً، واختلفوا في حكمه، وفي وقته، وفي أنّه لليوم أو للصلاة.

٤ – وذهبوا إلى حرمة السفر يوم الجمعة.

٥ – وإلى كراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم، لقول النبي: «لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلاّ يوماً قبله أو بعده»[٢].

٦ – وإلى أنّ دعاء الله يُستجاب يوم الجمعة أكثر من سائر الأيّام، واختلفوا في ساعة الإجابة.

٧ – وإلى أنّ التزيين يوم الجمعة مستحبّ، وذلك بلبس أحسن الثياب والتطيّب وحلق الشعر وقلم الظفر والسواك.

٨ – ويستحبّ فيه عقد النكاح، لأنّه يوم شريف ويوم عيد.

٩ – ويستحبّ أن يُقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة «آلم. السَّجْدَة»، و«هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ».

١٠ – واتّفق الفقهاء على المنع عن البيع عند النداء إلى الجمعة، لقوله تعالى: «فاسْعَوا إلَى ذِكْرِ اللّهِ وَذَرُوا البَيْعَ» (٦٢/ ٩).

١١ – وقال الحنفيّة: لوقفةِ الجمعة مزيّةٌ سبعينَ حجّة، ويُغفر فيها لكلّ فرد بلا واسطة، وقالوا: أفضل الأيّام يوم عرَفَة إذا وافق يومَ الجمعة.

---

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/ ٢٣٢؛ مسلم ٢/ ٨٠١، من حديث أبي هُريرة.

يَومُ السَّبْت : من معاني السبت: الراحة، والقطع، والدهر، ويوم من الأسبوع. وسبت اليهود: إنقطاعهم عن المعيشة والاكتساب؛ وفي التنزيل: «إذ تأتِيهِمْ حِيْتانُهُم يومَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً ويومَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأتِيهِمْ» (٧/١٦٣).

من أحكام يوم السبت: أنّه لا يُفرد بالصوم، لقول النبي: «لا تصوموا يومَ السبت إلاّ فيما افترض عليكم. وإنْ لم يجدْ أحدُكم إلاّ لحاء عنبة، أو عود شجرة، فليمضغْه»[٣]، وزاد الحنفيّة: يكره تحريماً إفراد يوم السبت بالصوم إذا قصد الصائم بصومه التشبه باليهود.

يَومُ الشَكّ : مصطلح فقهي يراد به يوم الثلاثين من شعبان، أو ما بعد التاسع والعشرين من شعبان، إذا لم يثبت فيه رؤية هلال رمضان ثبوتاً شرعيًا معتدًا به، وإلاّ فهو الأوّل من رمضان، لحديث النبي: «صوموا لرؤيته»[٤]. وسمّي بيوم الشكّ لأنّه قد يكون الأوّل من رمضان.

يَومُ عَرَفَة : ١ . عرَفة إسم للموقف المعروف، ويتمّ الحجّ بالوقوف به. حدُّه من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى الجبال المقابلة إلى ما يلي حوائط بني عامر. ويوم عرفة هو التاسع من ذي الحجّة.

٢ . وردت أحاديث عديدة في فضل يوم عرَفة: عن عائشة أنّ رسول اللّه قال: «ما من يوم أكثر من أن يَعتق اللّهُ فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنّه ليدنو ثمّ يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء»[٥]؛ وعن ابن عمرو قال: قال رسول اللّه: «خير الدعاء دعاء يوم عرَفة. وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيّون من قبلي: لا إله إلاّ اللّه وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير»[٦]؛

---

(٣) أخرجه أبو داود ٢/٨٠٥، نقل ابن حجر في التلخيص ٢/٤٧٠ عن النسائي، من حديث عبداللّه بن بسر عن أخته الصمّاء.

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري ٤/١١٩؛ مسلم ٢/٧٦٢، من حديث أبي هُريرة.

(٥) أخرجه مسلم ٢/٩٨٣.

(٦) أخرجه الترمذي ٥/٥٧٢.

وعن جابر بن عبدالله قال: قـال رسول الله: «ما من يوم أفضلُ عند الله من يوم عرَفة. يَـنزل اللّهُ تعالى إلى السماء الدنيـا، فيباهي بأهلِ الأرضِ أهلَ الـسماء، فيـقول: أنظروا إلى عبادي شُـعثاً غبـراً ضاحين، جاءوا من كلِّ فجٍّ عمـيق، يرجون رحمـتي ولم يروا عذابي. فلم يُرَ يومٌ أكثـر عتقاً من النار من يوم عـرَفة»[٧]؛ وعنه أيضاً قال رسول الله: «ما رُئي الشيطانُ يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغـيظ منه في يوم عـرَفة. ومـا ذاك إلاّ لمّا رأى من تَنَزُّلِ الرحـمة وتجـاوز الله عن الذنوب العظام، إلاّ ما أُري يوم بدر. قيل: ومـا رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: أما إنّه قد رأى جبريل يَزُعُّ الملائكة»[٨].

٣ . لقد أجـمعت الأمّـة على أنّ الوقوف بعـرَفة ركنٌ من أركـان الحجّ؛ فمن تركه، أو أخّره عن وقته، فقد فاته الحجّ إجـماعاً. وشروط الوقوف بعرَفة: أن يكون الوقوف في أرض عرفات؛ وأن يكون في زمان الوقوف، وهو اليوم التاسع من ذي الحجّة، وهـو يوم عرَفة، وليلة العاشـر من ذي الحجّة إلى طلوع الفجـر. فمن طلع الفجر ولم يقف في شيء من عرَفة فقد فاته الحجّ؛ أن يكون محرماً أهلاً للعبادة.

٤ . إذا كان صـباحُ يومِ التاسع من ذي الحجّـة يصلّي الحاجُّ صلاةَ الفـجر في مِنًى. ثمّ يمكث إلى أن تشرق الشمس. فإذا طلعتِ الشمسُ توجّه إلى عرفات مع السكينة والوقار، مـلبّياً مهـلّلاً مكبِّراً. ويسنّ أن يغتـسل للوقوف، وإلاّ فليتـوضّأ. ويُستـحبّ أن يقول في التـوجّه إلى عـرفات: «اللّهمّ! إليكَ توجّـهتُ. وعليكَ توكّلتُ. ووجـهَكَ الكريمَ أردتُ. فاجـعلْ ذنبي مـغـفوراً، وحَـجِّي مـبروراً. وارحـمني ولا تخيِّبني. وبارك في سفري. واقضِ بعـرفات حاجتي. إنّك على كلّ شيء قدير».. ثمّ يلبّي إلى أن يدخل عرفة، وينزل مع الناس في أيِّ موضعٍ شاء إلاّ الطريق..

٥ . وإذا غربت الشـمس أفاض -أي سار- الإمامُ من عرَفـة، وسار الناس معه من غير تأخير، وعليهم السكينة والوقار. فإن وجد سعةً في الطريق أسرع بلا

---

(٧) أخرجه ابن حبان، الإحسان ٩/ ١٩٤، ط. الرسالة.

(٨) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٤٢٢، من حديث طلحة بن عبيدالله.

إيذاء، ماشياً أو راكباً. ويُستحبّ أن يكون في سيره ملبّياً مكبّراً مهلّلاً مستغفراً داعياً مصلّياً على النبيّ، ذاكراً كثيراً، باكياً أو متباكياً، ويدعو اللّه ألاّ يجعلَه آخر العهد بعرَفة. ويظلّ على الذكر والخشوع حتّى يصل إلى المزدلِفة، فيكون بذلك أدّى ركن الوقوف تامّاً بفضل اللّه.

يَومُ النَّحْرِ : هو عاشر ذي الحجّة، سمّي بذلك لكثرة ما يُنحر فيه من الأضاحي والهَدْي. وأيّام النحر ثلاثة: يوم العيد، ويومان بعده؛ أو يوم العاشر من ذي الحجّة وأيّام التشريق الثلاثة التي بعده.. ليوم النحر فضل كبير، لما شرّع فيه من مناسك وعبادات، ولفضله أطلق عليه يوم الحجّ الأكبر المذكور في قوله تعالى: «وأذانٌ مِنَ اللّهِ ورسولِهِ إلى الناسِ يومَ الحَجِّ الأكْبَرِ أنَّ اللّهَ بريءٌ من المشرِكينَ ورسولُه» (٩/٣). وقيل في أهمّيته: إنّ فيه تمام الحجّ ومعظم أفعاله، من وقوف بالمشعر الحرام، ودفع منه لمنى، ورمي جمرة العقبة، ونحْر الهدي، وحلْق وتقصير، وطواف إفاضة، ورجوع لمنى للمبيت بها. وليس في غيره مثله، ولأنّ الإعلام، أي الأذان المذكور في الآية، كان فيه.

يكره صوم يوم النحر كراهة التحريم للإعراض عن ضيافة اللّه ومخالفة الأمر.. ولا يصحّ صوم ذلك اليوم، لما جاء في حديث ابن عبّاس: «لا تصوموا هذه الأيّام. فإنّها أيّام أكْل وشرْب وبعال»(٩). والنهي يقتضي فساد المنهي عنه.

اليَومُ الآخِر : أو أيضاً : الساعة الأخيرة، والآخرة (راجع مادّة: **الآخرة**). بين القرآن العربي والتقاليد النصرانيّة، في ما يخصّ أحوال المَعاد Eschatologie ، اتّفاقٌ تامّ. فأهوال اليوم الأخير، وأحوال الجنّة والنار، والإيمان بالقيامة العامّة، وبالحساب والعقاب، هي نفسُها في كلا المصدرَين. حتّى الصورُ والتعابير والرموز تكاد تكون واحدةً. لكأنَّ القرآنَ العربي ينقل مباشرةً عن التوراة والأناجيل والتقاليد النصرانيّة. وحسبنا أن نقابل ونقارن.

---

(٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/٢٣٢؛ وحسّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٠٣.

١ . يعلّم القـرآن العربـي أنّ «السّاعـة» الأخيـرة من هذا العـالم «سَتَـأْتِي بَغْتَةً»[١٠]، وأنّها «آتِيَـةٌ لاَ ريبَ فيـهَا»[١١]، و«تَجِيءُ كلَمْحِ البَـصَر» (٤٣/٦٦؛ ٤٧/ ١٨)، وقد تكون قريبة، «لعلَّ السَّاعةَ تكونُ قريباً» (٣٣/٦٣).

وفي النصرانيّـة، إنّ المسيح يجيء بغـتة *«في ساعـة لا تتوقّعونهـا»* (متى ٢٤/٤٤)، *في «ساعة لا يعلمها أحد»* (متى ٢٤/٥٠). *سيأتي «كاللّص ليلاً»* (متى ٢٤//٤٣). *ويكون مجيئه «قريباً على الأبواب»* (متى ٢٤/٣٤).

٢ . يصرُّ القرآن على أنَّ اللّهَ وحـدَه «عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» (٤٣/٨٥)، ويردّد بأنَّ «عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي» (٧/١٨٧)، و«عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّه» (٣٣/٦٣). ومحمّد، على قربه من اللّه، لا يعلم «مَـتَى هَذا الوَعْدِ» (١٠/٤٨)، لأنَّ اللّه «لا يُـظْهِرُ عَلَى غَـيْبِـهِ أحَداً» (٧٢/٢٦).

وكذلك الأمر في النصـرانيّة: «ذلكَ اليوم وتلك الساعة فلا يَعلمُـهما أحد، لا الملائكة ولا الابن، إلاَّ الآب» (متى ٢٤/٣٦).

٣ . أوصاف ذلك اليوم في القـرآن رهيبة: مظاهر الكون كلُّها تتبـدّل: فيه «تنشقُّ السماء»[١٢]، وتنفطر (٨٢/١)، وتنكشط (٨١/١١)، وتكون كالْمُهْلِ (٧٠/ ٨)، أي كـالفضــة الذائبة، وتمـور موراً (٥٢/٩)، وتصـبح كالدخـان (٥٥/٣٧)، وتشـقق بالغـمام (٢٥/٢٥)، وتُطوى كطـيِّ السجلِّ (٢١/١٠٤). يومـئـذ تتكوّر الشـمس (٨١/١)، ويُخسف القـمر (٧٥/٨)، وينشقّ (٥٤/١)، ويُجـمع بينهـما (٧٥/٩)، بعد أنْ كانا لا يجـتمعان ولا يلتقـيان (٣٦/٤٠). وتتكدر النجوم (٨١/ ٢)، وتنتثر الكواكب (٨٢/٢)، وتُفجَّر البحار وتسجَّر (٨١/٦ ؛ ٥٢/٦؛ ٨٢/٣).

وتستفـيضِ الأناجيلُ والتقاليـد النصرانيّة في وصف ذلك اليـوم الذي فيه «تظلم الشـمس، ويَفقد الـقمرُ ضـوءه، وتتسـاقطُ النجوم من السـماء، وتتـزعزع

---

(١٠) أنظر: ٦/٣١ ؛ ٧/١٨٧؛ ١٢/١٠٧ ؛ ٢١/٤٠ ، ٢٢/٥٥ ؛ ٢٩/٥٣.

(١١) أنظر: ٦/٤٠ ؛ ١٥/٨٥؛ ١٨/٢١ ؛ ٢٠/١٥؛ ٤٠/٥٩ ؛ ٤٥/٣٢.

(١٢) أنظر: ٨٤/١؛ ٢٥/٢٥؛ ٥٥/٣٧؛ ٦٩/١٦.

كواكب السماوات» (متى ٢٤/٢٩)، و*«يَطوي اللّهُ السماءَ كمَن يطوي رداءً»*[١٣]، و*«تُفتَّح أبواب السماء، وتُهدَّم، وتتمزَّق أحجبتُها»*[١٤]، و*«يَحمرُّ القمر»* (أش ٢٤/٢٣)، و*«يتحوّل إلى لون الدماء»*[١٥]، و*«يُجمَع فيما بين الشمس والقمر»*[١٦].

٤. في ذلك اليوم ترتجفُ الأرض (٧٣/١٤)، وتتزلزل (٩٩/١)، فتَحدثُ زلزلةٌ عظيمة (٢٢/١) وشديدة (٧٣/١٤)، وتُبدّل الأرضُ غير الأرض (١٤/٤٨)، وتمتدُّ جبالُها سهولاً (٨٤/٣)، وتُدَكُّ دكّةً واحدة (٦٩/١٤)، وتشقَّق سراعاً (٥٠/٤٤)، وترتجف (٧٤/١٤)، وتكون كالعهن (٧٠/٩؛ ١٠١/٥)، أي: كالصوف المنفوش، وتسير سيراً (٥٢/١٠)، وتُنْسَفُ نَسْفاً (٧٧/١٠)، وتُبَسُّ بسًا (٥٦/٥)، وتَخِرُّ هدًا (١٩/٩٠)، فتصبح هباءً منثوراً (٢٥/٢٣).

وفي المصادر النّصرانيّة، تحدث، في ذاك اليوم « زلازل هنا وهناك» (متى ٢٤/٧)، و*« تذوب الصخور وتصير رَماداً منثوراً»*[١٧]، و*«تذوب السماوات كالرّصاص في النار»*[١٨].

٥. في ذلك اليوم أيضاً، تنزل الملائكةُ على الناس (٢٥/٢٥)، وتَلقاهم (٢١/١٠٣)، وتقابلهم (١٧/٩٢)، ويَدخلون عليهم من كلِّ باب (١٣/٢٣)، ويأتي اللّهُ في ظلَلٍ من الغمام (٢/٢١٠)، ويجتمع الملائكة صفًا صفًا (٨٩/٢٢).

وفي المصادر النّصرانيّة، يحضر الملائكة، في ذاك اليوم، كشهداءَ على أعمال البشر، ومشتكين على سيِّئاتهم: «هوذا الربّ قد أتى في ألوف قدّيسيه، ليجري القضاء على جميع الخلق، ويخزي المنافقين جميعاً في كلِّ نفاق اقترفوه، وكلّ كلمة سوء قالها عليه الخاطئون المنافقون» (يه ١٤-١٥).

---

(١٣) أشعيا ٣٤/٤؛ رؤيا ٦/١٤.

(١٤) IV Esdras, VI, 14-26...

(١٥) يوئيل ٣/٤؛ أعمال الرسل ٢/٢٠.

(١٦) Livres Sibyllins, II.

(١٧) Apocal. de Jean, (apocryphe) 81.

(١٨) II Clément, XVI, 3

٦. في ذلك اليوم، يقـول القرآن: يحدث برقٌ ورعـدٌ ومخاوف عظيـمة[١٩]. ويكون جوعٌ عـظيم (٧/٨٨). فيه يُنقَـر في الناقور (٧٤/٨)، ويُنفَـخ في الصُّوْر (٧٣/٦). وتُسمَع صيحةٌ في كلِّ مكان تَهـتزُّ لها الأرضُ، وترتجف فرائصُ البشر، وتخشع لها أبصارُهم[٢٠]. فيه «تذهـل كلُّ مرضعة عمَّـا أرضعتْ، وتضع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حملَها» (٢٢/٢)، و«يُجعل الولدانُ شيباً» (٧٣/١٧) لشدّة الرعب.

وفي المصادر النصرانيّة، تحدث، في ذلك اليـوم، مجاعاتٌ هنا وهناك (متى ٢٤/٧)، يُرسل اللّهُ مـلائكتَه بالصُّـوْر (متى ٢٤/٣١)، ويُنفَخ في البـوق (١ قور ١٥/٥٢)، وتُسمع صـيحةٌ (١ تس ٤/١٦) تنتحبُ لهـا جميعُ قبـائل الأرض (متى ٢٤/٣٠). فـ «ويل للحَبالى والمرضِـعات» (متى ٢٤/١٩). ثمّ «يُرى على رؤوس الشبّان شعرٌ أبيض»[٢١].

٧. في ذلك اليوم، يقول القـرآن: «يَفرُّ المرءُ من أخيه وأُمِّه وأبيه وصـاحبتِه وبنيه. لكلِّ امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه» (٨٠/ ٣٤). فيـه «لا يَسـألُ حَميمٌ حميماً» (١٠/ ١٠)، و«لا يُجزَى والدٌ عن ولدِه، ولا مـولودٌ هو جازٍ عن والدِه شيـئاً» (٣١/ ٣٣). «ولا يُغني مولًى عن مـولًى شيئاً» (٤٤/ ٤١). «ولا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شـيئاً» (٨٢/ ١٩). و«لا تُجزى نفسٌ عن نفس شيئاً، ولا يُقبل منها شفاعة» (٢/٤٨).

وفي المصادر النّصرانيّـة، في ذلك اليوم، «يُسلِّم الأخُ أخاه إلى الموت، والأبُ ابنَه، ويثورُ الأبناءُ على والديهـم فيَقتلونهم» (مـتى ١٠/٢١). و«على كلِّ واحدٍ أن يحمل حمله» (غل ٦/٥)، إذ «لا أحد يشفع لأحد: لا أبٌ ولا أمٌّ ولا أخٌ ولا صديقٌ ولا قريب. لا يحمِل أحـدٌ حملَ آخَر. كلٌّ مسـؤولٌ عن أعماله»[٢٢]. فهو يوم لا تنـفع فيه شفاعة: «الحق أقول لكنَّ إنّي لا أعرفكنَّ» (متى ٢٥/١٢).

---

(١٩) سورة النور ٢٤/٤٣؛ البقرة ٢/ ٢٠؛ الروم ٣٠/ ٢٤.

(٢٠) أنـظـر: ٥٠/٤٢؛ ١١/٦٧ و٩٤؛ ١٥/٧٣ و٨٣؛ ٢٣/٤١؛ ٢٩/ ٤٠؛ ٣٦/٢٩ و٤٩ و٥٣؛ ٥٤/٣١؛ ٧٩/٦-٩؛ ٧٠/٤٤؛ ٨٢/٤؛ ٥٤/٧...

(٢١) Apoc. de Thomas (apocryphe); Sibylliens, 2.

(٢٢) IV Esdras, X, 104-105; II Hénoch, LII, 1.

٨ . في ذلك اليوم، بحسب القرآن، لا شيء يفيد الإنسان سوى أعماله: «للَّذينَ استَجَابوا لربِّهم الحُسنَى، والَّذينَ لم يَستَجيبوا لَه لَو انَّ لهم مَا في الأرضِ جميعاً، وَمِثْلَه مَعَهُ لافْتَدَوا بهِ. أولئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسَابِ وَمَأواهُم جهنَّمُ. وبِئسَ المِهَادُ» (١٣/ ١٨). إنَّه «يوم لا يَنفع فيه مَالٌ ولا بَنون» (٢٦/ ٨٨). ومن النَّاس مَن اعتبرَ أنَّ كثرة الأموال والأولاد تنجِّيهم من الهلاك، فافتخروا بذلك: «نحن أكثر أموالاً وأولاداً. ومَا نَحن بمُعَذَّبِين» (٣٤/ ٣٥).

وفي التقاليد اليهودية-النصرانيَّة: «لا تقدر فضَّتُهم وذَهَبُهم على إنقاذهم في يوم غضبِ الربِّ. ولا يُشبعون نفوسهم، ولا يملأون أجوافَهم بهما، لأنَّهما كانا معثرةً لهم» (حز ٧/ ١٩؛ صف ١/ ١٨). وكذلك «لا ينفع المال في يومِ الغضب» (أم ١١/ ٤). فـ «الويل لكم أيُّها الأغنياء لأنَّكم ثقْتُم بغناكم. ستُحرَمون منها لأنَّكم لم تذكروا العليَّ يوم غناكم. لقد نضجتم ليوم الدِّين العظيم»[٢٣].

٩ . في نهاية ذلك اليوم، كما يقول القرآن: يحضر الناس أمام اللّه «أشتاتاً» (٩٤/ ٦). ويكون الفصل بين الأبرارِ أصحاب اليمين (٥٦/ ٨ و٣٨) والأشرار أصحاب الشمال (٥٦/ ٩ و١٠)، ويُخيِّم على الجميع صمتٌ رهيب (٢/ ١٠٧)، ويبتدئ الحساب (٨٤/ ٨)، وتُكشَف الأعمال والخفيَّات (٦٩/ ١٨؛ ١٨/ ٤٦)، بحسب كتابِ الأعمال، لأنَّ لكلِّ إنسانٍ كتاباً خاصًا تُدوَّن فيه أعماله[٢٤].

وفي المصادر النصرانيَّة: «وتحشر لديه جميع الأمم... فيفصل (الناس) بعضَهم عن بعض. فيُقيم النعاجَ (الأبرار) عن يمينه والكباشَ (الأشرار) عن شماله» (متى ٢٥/ ٣٢). «ويجازي يومئذ كلَّ امرئ على قدر أعماله (متى ١٦/ ٢٧)، «كلّ واحد سيؤدِّي عن نفسه حساباً للَّه» (روم ١٤/ ١٢).. ثمَّ تُفتح الكتب.. ومَن لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة يُطرح في مستنقع النّار»[٢٥].

---

(٢٣) I Hénoch, XLIV, 8-9.

(٢٤) ٧٨/ ٢٩؛ ٨٢/ ١٠-١٢؛ ٣٦/ ١١؛ ٢١/ ٩٤...

(٢٥) رؤيا ٢٠/ ١٢-١٥؛ ٣/ ٥؛ دانيال ٧/ ١٠.

١٠. في القـرآن العربي: «تَشْـهَدُ عَلَيـهِمْ أَلْسِنَتُـهُمْ وَأَيدِيهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعمَلون» (٢٤/ ٢٤). «ويَشْـهَدُ عليهِمْ سَمْعُـهم وأبْصَارُهم وجُلُودُهُم» (٤١/ ٢٠؛ ٣٦/ ٦٥). وتوزَن الأعمال: «فمَن ثَـقلَتْ مَوازِينُه فَهو فِي عِيشَـةٍ راضِية. وأمَّا مَن خفَّتْ مَوازِينُه فأُمُّه هاوية.. نارٌ حامية» (١٠١/ ٦-١١).

وفي المصادر النَّصرانيَّة: «كلّ أعضـائكم تشـهد عليكم في البيت الأزلي»[٢٦]. *واللهُ يزِنُ أعمـالَ الإنسان في ميزان العـدل، يقول أيّوب: «ليزنِّي (اللهُ) في مـيزانِ العدل، إنْ كانتْ خطواتي قد جارتْ عن الصراط المستقيم» (أي ٣١/ ٦).*

يُونُس بن حَبِيب الضَبِّيّ (ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م) : من أقدم نحويِّـي البصرة. وُلد في جَبُّل بالعراق. تعـلّم على أبي عَمرو بن العلاء، والأخفش الأكـبر. وعنه أخذ سيبَويه والكِسـائيّ والفَرَّاء. من كتبه: «القياس في الـنحو»، وكتابان في «النوادر»، و«اللّغات»، و«الأمثال».

يُونُس بن مَتَّى : هو يونان النبيّ (٢ مل ١٤/ ٢٥). يُذكر اسمه ٤ مرّات في القـرآن، من دون اسم أبيـه، ومـرّة بأنّه ذو النون (٢١/ ٨٧)، والنون هو الحـوت، ومـرّة على أنّه صاحب الحـوت (٦٨/ ٤٨). يونس هو الوحـيد مـن كبـار الأنبيـاء وصغارهم الذي يُذكر في القرآن. يذكـر محمّد يونس بين رسل الله (٤/ ١٦٣؛ ٦/ ٨٦). وتحمل إحدى السور في القـرآن إسم يونس، رقم ١٠، وآياتها: ١٠٩. تحدّث عن القرية التي آمنت، فانكشف عنها عذاب الخزي.

---

(٢٦) Talmud, sur Ecclés. 4,5; Voir Cohen, p. 454.

